

إدام القوت

في ذكر بلدان حضرموت

معجم: جغرافي - تاريخي - أدبي - اجتماعي

تأليف

علامة حضرموت ومفتيها

السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف

رحمه الله تعالى

طبعة: محققة - مهذبة - متممة - مفهرسة

دار المنهاج




إدام القوت
في ذكر بلدان حضرموت



إدام القوت

في ذكر بلدان حضرموت

مُعجمٌ: جُغرافيٌّ - تاريخيٌّ - أدبيٌّ - اجتماعيٌّ

تأليف

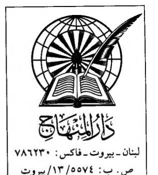
علَّامة حضرموت ومُفتيها

السيّد عبد الرحمن بن عُبيد الله السقّاف

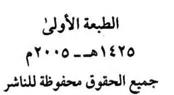
رحمه الله تعالى

طبعةٌ: مُحقّقةٌ - مُهذَّبةٌ - مُتمّمةٌ - مُفهرسةٌ

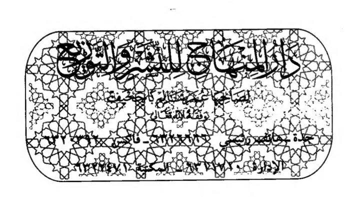
دار المنهاج



لبنان - بيروت - فاكس: ٧٨٦٢٣٠
ص. ب: ١٣/٥٥٧٤ / بيروت



الطبعة الأولىٰ
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م



www.alminhaj.com
E-mail: info@alminhaj.com

أسماء اللجنة العلمية للكتاب

عُنِيَ بِهِ تاريخياً

محمد أبو بكر عبد الله باذيب

عُنِيَ بِهِ أدبياً

محمد مصطفى الخطيب

كله ورقم

مازن سميح البيات

ارض نسخه الخط

أحمد المحمد — داوود بوخاري — سميح رسلان

صافي شحادة — محمد شادي عربش

حه وراج

أحمد بركات — السيد صالح عبد الرحمن البيض — بوجمعة مكري

قاسم الحلبية — قصي الحلاق — محمد شادي عربش

تنفيذ جميع تصح

عماد علي باشا — غالب أكريِّم — محمود المدني

فهارسه الع

قصي الحلاق — محمد شادي عربش

تشرَّفَ برئاسةِ لجنتهِ

محمد غسّان نصوح عزقول



مقدمة علاَّمة ٱلجزِيرَة
ٱلشيخِ حمد ٱلجاسرِ[١]

حَضْرَمَوْتُ : بلادُها وسكّانُها :

أَتحفني ٱلصَّديقُ ٱلحبيبُ ، ٱلأُستاذُ هادونُ بنُ أَحمدَ ٱلعطّاسُ[٢] بكتابٍ يتعلَّقُ بتاريخِ جزءٍ عزيزٍ مِنْ وطنِنا ٱلعربيِّ[٣] ، مِنَ ٱلجزيرةِ ٱلعربيَّةِ نَفْسِها ، يوشكُ أَنْ يكونَ مجهولاً أَو منسيّاً ، معَ ما لِكَثيرٍ مِنْ أَهلهِ مِنَ ٱلصِّلاتِ ٱلقويَّةِ بمختلفِ ٱلأَقطارِ في أَنحاءِ ٱلمعمورةِ ، وما لَهم مِنْ نشاطٍ مُتميِّزٍ في ٱلسَّعي وراءَ ٱكتسابِ ٱلرِّزقِ بأذكى ٱلطُّرقِ وأَنزهِها وأَشرفِها ، حتَّى حازوا بأَمانتِهم وصدقِهم ثقةَ غيرِهم .

وتميَّزَ عددٌ منهم في مختلفِ ٱلنَّشاطاتِ ٱلأُخرى ؛ كٱلسِّياحةِ وٱلهجرةِ .

وبرزَ آخَرونَ في ٱلمجالاتِ ٱلثَّقافيَّةِ ، فعُرِفَ منهُم علماءُ وأُدباءُ وشعراءُ ، وباحثونَ ومُؤَلِّفونَ في مختلفِ ٱلعلومِ ، قديماً وحديثاً ، ممَّنْ كانَ لَهم في ٱلتَّعريفِ ببلادِهِم ما لَم

---

(١) هٰذه المقدِّمة كتبها الجاسر مع نشره لهٰذا الكتاب على حلقاتٍ في مجلَّةِ ٱلعربِ ، وقد استغرق نشره للكتاب حدود خمس سنوات ، ولعموم الفائدة . . فقد أَعدنا كتابتها ، وعلَّقنا عليها ، وقد قام بجهد مشكور في إخراج هٰذا العمل رحمه الله تعالى .

(٢) توفي بمكة صبيحة يوم عرفة الأربعاء التَّاسع من ذي الحجَّة عام (١٤١٧هـ) . والسَّيِّد هادون مؤرِّخ وباحث في التراث اليمني وممن يُرجع إِليهم في تاريخ حضرموت ، وله مؤلفات تاريخيَّة ، وتحقيقات نشرت بعضها جامعة الرِّياض ـ كليَّة الآداب ، وُلدَ بالمشهد بحضرموت سنة(١٣٣٧هـ) ـ كما أَخبرني هو رحمه الله ـ ورحل إِلى العراق لطلب العلم وعُيِّن في بعض المناصب الحكوميَّة في عهد السَّلطنة القعيطيَّة بحضرموت ، وهاجر إِلى الحرمين الشَّريفين ، وقطن بمكَّة المكرَّمة منذ عام(١٣٧٠هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

(٣) السَّيِّد هادون العطَّاس أَهدى الجاسر كتاب « حول مصادر التَّاريخ الحضرمي » للمستشرق سارجنت ، الذي عرَّبه د . سعيد النُّوبان ، والَّذي أَهدى الجاسر نسخةً من « إِدام القوت في ذكر بلدان حضرموت » هو السَّيِّد عبد الله بن محمَّد الحَبْشي . فليتنبه لذلك .

يتهيأْ لَهُ مِنَ ٱلانتشارِ ما يُيَسِّرُ ٱلاطِّلاعَ عليهِ لكلِّ راغبٍ في ٱلاستفادةِ منهُ في معرفةِ جميعِ أَحوالِ ذلكَ ٱلجزءِ مِنَ ٱلوطنِ ٱلعربيِّ .

مِنْ هنا كانَ لِما أَتحفني بهِ[1] ٱلأُستاذُ هادوْنُ ـ وقد تحدَّثْتُ عنهُ في « ٱلعربِ » في هـٰذا ٱلجزءِ ـ ٱلأَثَرُ ٱلعميقُ في نَفْسي ؛ لأَنَّهُ أَحدثَ في ٱلقلبِ شَجَناً وتأَثُّراً ، لا لِكَوْنِ مؤلِّفِ ذلكَ ٱلكتابِ غريباً عنَّا وعن بلادِنا ، وأَنَّهُ كانَ يعملُ في دائرةِ ٱلبحوثِ في وزارةِ ٱلمستعمراتِ ٱلبريطانيَّةِ ـ ٱلَّتي جثمَ كابوسُها على تلكَ ٱلبقعةِ ٱلحبيبةِ مِنْ بلادِنا حِقبةً مِنَ ٱلزَّمنِ ـ فٱلحكمةُ ضالَّةُ ٱلمؤمنِ ، وٱلحقُّ يَتطلَّبُهُ ٱلعاقلُ ويَقبلُهُ مِنْ كلِّ أَحدٍ .

ولـٰكنَّني أَحسستُ بكثيرٍ مِنَ ٱلخجلِ حينَ أَدركتُ أَنَّ هـٰذا ٱلباحثَ ٱلغريبَ ـ ٱلَّذي لا تربطُهُ ببلادِنا رابطةٌ مِنْ روابطِ ٱلحبِّ ، أَو عاطفةٌ مِنْ عواطفِ ٱلصِّلةِ وٱلإِخاءِ ـ يعرفُ مِنْ أَحوالِ تلكَ ٱلبلادِ أَكثرَ ممّا يعرفُهُ كثيرٌ مِنَ ٱلمهتمّينَ بٱلبحثِ وٱلدِّراسةِ في تاريخِ ٱلأُمَّةِ ٱلعربيَّةِ كلِّها ، ممَّنْ يجبُ أَنْ تكونَ صِلتُهُم بها أَعمقَ ، وعنايتُهُم بمعرفةِ أَحوالِها أَشدَّ ، ومعرفتُهُم بتاريخِها أَوسعَ ، وسعيُهُم لتقويةِ أَواصرِ ٱلأُخوَّةِ وٱلارتباطِ بها أَقوى وأَشملَ .

ولقد حفزني هـٰذا إِلى محاولةِ تحويرِ ٱتّجاهِ مجلةِ « ٱلعربِ » ـ قدرَ ٱستطاعةِ ٱلقائمينَ عليها ـ للإِسهامِ بجهدِها ـ على ضعفهِ وقلَّةِ جدواهُ ـ فتُقدِّمُ لقرّائِها ما تتمكَّنُ مِنْ تقديمهِ مِنْ معلوماتٍ تتعلَّقُ بتاريخِ تلكَ ٱلبلادِ وجغرافيَّتِها ، وتراجمِ مشاهيرِها ، ممّا يمدُّها بهِ أُولـٰئكَ ٱلقرّاءُ مِنْ ثمراتِ قرائِحِهم ؛ فهُم ذووا ٱلفضلِ على مجلَّتِهم ، قرّاءً وكتّاباً :

---

(١) أي : كتابُ المستشرق سارجنت السَّابق الذِّكر ، وسارجنت هو : مستشرق بريطاني ، ولد سنة (١٩١٥م) تعلم في إدنبرا وكمبريدج، وانتدب باحثاً لشؤون الجزيرة العربية في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية سنة (١٩٤٠م) ، ومحاضراً للغة العربية سنة (١٩٤١) ، وموظفاً في الإذاعة البريطانية سنة (١٩٤٢ـ ١٩٤٥م) ، ومنقباً في حضرموت سنة (١٩٤٧ـ ١٩٥٤م) ، ومنقباً في جنوب الجزيرة العربية والخليج الفارسي سنة (١٩٥٣ـ ١٩٥٤م) ، له مؤلفات قيمة منها : « مختارات من الأدب العامي الحضرمي » طبع سنة (١٩٥١م) بلندن ، وغيرها في مجالات متعددة أخرى .

كَـٱلْبَحْـرِ يُمْطِـرُهُ ٱلسَّحَـابُ وَمَـا لَـهُ   فَضْـلٌ عَلَيْـهِ لأَنَّـهُ مِـنْ مَـائِـهِ[1]

ولقد سبقَ أَنْ قدَّمَ ليَ ٱلأُستاذُ ٱلكريمُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدٍ ٱلحبشيُّ[2] نسخةً مصوَّرةً لمؤلَّفِ عالِمِ حَضْرَمَوْتَ ومؤرِّخِها في عصرِنا : ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عبيدِ ٱللهِ ٱلسَّقّافِ ، ٱلمتوفَّى سنةَ (١٣٧٥هـ) وصفَهُ ٱلأُستاذُ عبدُ ٱللهِ بأَنَّهُ مِنَ ٱلكتبِ ٱلقيِّمةِ ٱلنّادرةِ في موضوعِ جغرافيَّةِ حَضْرَمَوْتَ .

فرأَيتُ في تقديمِ هـٰذا ٱلكتابِ على صفحاتِ ٱلمجلَّةِ ما قد يكونُ مِنَ ٱلبواعثِ للاهتمامِ بما قد يتعرَّضُ لَهُ مِنْ أَبحاثٍ ، أَو يعرضُهُ مِنْ معلوماتٍ ؛ ليتَّسعَ ٱلمجالُ أَمامَ ٱلباحثِينَ .

ويبدو أَنَّ مؤلَّفَ ٱلسَّقّافِ هـٰذا هوَ خلاصةٌ ممّا كُتبَ عن تلكَ ٱلبلادِ ؛ فقدِ ٱنتهى مِنْ تأْليفِهِ سَنةَ(١٣٦٧هـ) قَبْلَ وفاتِهِ بثماني سنواتٍ . وقالَ بأَنَّهُ أَلَّفَهُ بٱقتراحٍ مِنْ بَلْخَيْرٍ ـ ولعلَّهُ ٱلأُستاذُ عبدُ ٱللهِ عمرُ بَلْخَيْرٍ ـ وقدَّمَهُ لسعودِ بنِ عبدِ ٱلعزيزِ حينَ كانَ وليّاً للعهدِ قَبْلَ أَنْ يتولَّى ٱلمُلكَ ، وكانَ بَلْخَيْر مستشاراً لَهُ .

ولقد خلا ٱلكتابُ ممّا شابَ كثيراً مِنْ مؤلَّفاتِ بعضِ أَحبابِنا ٱلحضارمةِ ، ممّا يتعلَّقُ بطغيانِ ٱلعواطفِ في تقديرِ ٱلعلماءِ وٱلسّادةِ ، بدرجةٍ تُقلِّلُ ٱلثِّقةَ بكثيرٍ مِنْ تلكَ ٱلمؤلَّفاتِ مِنَ ٱلوجهةِ ٱلتّاريخيَّةِ ٱلبحتةِ .

ويبدو أَنَّهُ لخَّصَهُ[3] مِنْ كتابِهِ : « إِدام ٱلقوتِ في ذِكْرِ بلدانِ حَضْرَمَوْتَ » ، فكثيراً ما يَختمُ بعضَ ٱلعباراتِ بقولِهِ : (وهـٰذا مفصَّلٌ في أَصلِهِ) أَو : (وقد أَوردناهُ في ٱلأَصلِ) وَهُوَ يعني : ما لَم يَرِدْ ذِكْرُهُ .

---

(١) البيت للمتنبي .

(٢) السَّيِّد عبد الله الحَبْشي : باحث موسوعيٌّ في التراث اليمني ، له جهود علميَّة كبيرة وبارزة في مخطوطات التُّراث الإسلامي ، وله مؤلَّفات فريدة في هـٰذا الباب ، وهو حاليّاً في المجمَّع الثقافي بـ(أبو ظَبي) ، مظهر من مظاهر النفع فيما يخرجه من الكتب المحقَّقة والدراسات . حفظه الله تعالىٰ .

(٣) اختلط الأمر هنا على الشَّيخ الجاسر ، والصَّحيح أَنَّ كتاب « إدام القوت » مختصر من الكتاب الكبير « بضائع التَّابوت في نتف من تاريخ حضرموت » ويقع في ثلاثة مجلدات ضخام ، وقد اختصره المؤلِّف بطلب من الشيخ عبد الله بلخير ، ومن ديباجة الكتاب يتضح كل ذلك .

ٱلسَّيِّدُ ٱلسَّقَّافُ مؤَلِّفُ ٱلكتابِ[١] :

تُعدُّ أُسرةُ ٱلسَّقَّافِ مِنْ أَشهرِ ٱلأُسرِ ٱلحضرميَّةِ ، وأَكبرِها ، وأَوسعِها ٱنتشاراً في ٱلبلادِ ٱلعربيَّةِ ، في ٱلمدينتينِ ٱلكريمتينِ وفي ٱلقاهرةِ ، فضلاً عن بلادِ ٱليَمنِ .

وهيَ تُنمى إِلى ٱلسَّيِّدِ سقَّافِ بنِ محمَّدِ بنِ عمرَ ٱلصَّافي[٢] ، ٱلعلويِّ ٱلنَّسبِ .

وٱشتهرَ منها عددٌ مِنْ أَهلِ ٱلعِلْمِ وٱلأَدبِ ، وٱلوجهاءِ وٱلأَثرياءِ ، ومِنْ فُضْلَياتِ ٱلنِّساءِ ؛ حيثُ عُرفتْ سيِّدةٌ جليلةٌ مِنْ هـٰذا ٱلبيتِ ٱلكريمِ ممَّنْ يُقيمُ في ٱلقاهرةِ برعايتِها للأَدبِ ، فكانَ لَها منتدىً يرتادهُ ٱلمثقَّفونَ[٣] .

ومِنْ مشاهيرِ هـٰذهِ ٱلأُسرةِ : ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عمرَ[٤] ٱلسَّقّافُ ، ٱلمتوفَّى سَنةَ(١٣٨٧هـ) ، مِنَ ٱلعلماءِ ٱلبارزينَ .

ومِنْ مؤَلَّفاتِهِ : « تاريخُ ٱلشُّعراءِ ٱلحضرميِّينَ » ، طُبعَ سَنةَ(١٣٥٣هـ) في خمسةِ أَجزاءٍ[٥] .

---

(١) للتوسع في الاطلاع على ترجمة المؤلف انظر « التلخيص الشافي » وترجمته في كتاب « العود الهندي » من منشورات دار المنهاج .

(٢) بل تُنمَىٰ إِلَىٰ الشَّيخ الكبير عبد الرَّحمـٰن السَّقَّاف المتوفَّىٰ بتريم سنة (٨١٩هـ) عن(٨٠) عاماً . أَمَّاالسَّيِّد سقَّاف بن محمَّد المذكور : فهو سقَّاف بن محمَّد بن عمر بن طـٰه بن عمر بن طـٰه بن عمر (الصافي) بن المعلم عبد الرحمـٰن بن محمَّد بن عليِّ بن الشَّيخ الكبير عبد الرحمـٰن السَّقَّاف ، مولده بسيون ، وبها وفاته سنة (١١٩٥هـ) . أَفرده بالتَّرجمة ابنه العلاَّمة السَّيِّد حسن بن سقَّاف (ت ١٢١٠هـ) وجاءَت في مجلَّد وسط ، سمِّيت (نشر محاسن الأَوصاف) ، صدرت مطبوعة في حلَّة بهيَّة عن (دار الحاوي) في (٣٥٧) صفحة . والحبيب سقَّاف هـٰذا هو الجدُّ الثَّالث للعلاَّمة ابن عبيد الله مؤلِّف هـٰذا الكتاب .

(٣) هي السَّيِّدة (خديجة) بنت السَّيِّد الأَديب المؤَرِّخ عبد الله بن محمَّد بن حامد السَّقَّاف صاحب « تاريخ الشُّعراء الحضرميِّين » الآتي ذكره عقبها .

(٤) صوابه : محمَّد بن حامد بن عمر . . وليس كما ذكر الأُستاذ الجاسر .

(٥) كان طبع الجزء الخامس بعد سنة (١٣٦٣هـ) ، وبقي جزءٌ سادس ، يقال : إِنَّه لدى ابنته خديجة بمصر ، ترجم فيه لبعض أَقرانه ومعاصريه .

و« تاريخُ حَضْرَمَوْتَ ٱلسِّياسيُّ » وغيرُهُ[١] .

ومنهُم علماءُ وشعراءُ آخَرونَ لا يتَّسعُ ٱلمجالُ لذِكْرِهِم .

ومِنْ مشاهيرِ متأَخِّري هـٰذهِ ٱلأُسرةِ : ٱلسَّيِّدُ عمرُ ٱلسَّقّافُ[٢] ، ٱلَّذي كانَ وزيراً لخارجيَّةِ هـٰذهِ ٱلبلادِ حتَّى توفِّيَ .

وٱلأُستاذُ أَحمدُ زينٌ ٱلسَّقَّافُ[٣] ، ٱلَّذي ٱستقرَّ في ٱلكويتِ منذُ قَبْلِ نصفِ قرنٍ مِنَ ٱلزَّمانِ ، مشاركاً في إنماءِ ٱلحركةِ ٱلعلميَّةِ ٱلثَّقافيَّةِ في تلكَ ٱلبلادِ ، في مجالاتٍ مختلفةٍ في ٱلتَّعليمِ ، وفي إنشاءِ ٱلصَّحافةِ ، حيثُ أَنشأَ « مجلة كاظمةَ » في آخِرِ ٱلسِّتِّيناتِ مِنَ ٱلقرنِ ٱلماضي ، وفي تنظيمِ حركةِ ٱلأدبِ بٱلمشاركةِ بتَأْسيسِ رابطةِ ٱلأُدباءِ ، وفي غيرِ ذلكَ مِنَ ٱلمجالاتِ ٱلحيويَّةِ . وهوَ مِنْ كبارِ أُدباءِ ٱلعصرِ وشعرائِهِ .

وهناكَ كثيرونَ مِنْ مشاهيرِ هـٰذا ٱلبيتِ ، ليسَ ٱلمجالُ مجالَ ٱلحديثِ عنهُم .

أَمّا مؤَلِّفُ هـٰذا ٱلكتابِ : فعليهِ ينطبقُ نَعْتُ « ٱلسَّقّافِ ٱلكبيرِ » في ٱلعهدِ ٱلأَخيرِ ؛ لِما بلغَهُ مِنَ ٱلشُّهرةِ داخلَ بلادهِ وخارجَها في ٱلأَقطارِ ٱلعربيَّةِ ؛ لِما ٱشتهرَ بهِ مِنْ عِلْمٍ وفضلٍ .

ففضلاً عمّا لأُسرتهِ في حَضْرَمَوْتَ مِنَ ٱلمكانةِ وعلوِّ ٱلمنزلةِ في نفوسِ أَهلِ تلكَ ٱلبلادِ. . بلغَ مرتبةً مِنَ ٱلعِلْمِ أَهَّلَتْهُ بينهُم بأَنْ يحلَّ أَرفعَ ٱلمقاماتِ ، فعُرفَ بـ(عالِمِ حَضْرَمَوْتَ) و(مفتي ٱلدِّيارِ ٱلحضرميَّةِ) .

---

(١) منها كتاب هامٌّ أيضاً ، يسمّىٰ : « المعروضات النقيّة في الشّخصيّات الحضرميّة » ، أكثر من ذكره في « تاريخ الشّعراء » وفي « التعليقات علىٰ رحلة باكثير » ، ترجم فيه لغير الشُّعراءِ من الشَّخصيّات الحضرميّة علماً وثراءً واجتماعاً وسياسةً ، رآه شيخنا العلاّمة السَّيِّد عبد القادر الجنيد عند مصنِّفه في منزله بحضرموت ، عندما زاره بمعيّة شيخه العلاّمة محمَّد بن سالم بن حفيظ ، في ربيع الثّاني سنة(١٣٦٨هـ) ، كما ذكر في « العقود الجاهزة » ص (١٣٣) (مخطوط) ولانعلم مصيره الآن .

(٢) السَّيِّد الوزير إبراهيم السَّقّاف ، هـٰكذا شهرته في الأوساط السعوديّة والحجازيّة وإنما هو من آل (العطّاس) ، واسم أبيه « سقّاف » ؛ فنسب إليه واشتهر بذلك .

(٣) الأستاذ الشّاعر الكبير ، أحمد بن زين السَّقّاف أصله من آل السَّقّاف سكّان الوهط ـ قرية قريبة من عدن ـ ونسبهم خارج أسرة آل السَّقّاف الصّافي سكّان سيئون ، ويجتمعون في الشَّيخ عبد الرَّحمـٰن الكبير .

وكانَ ذا نفوذٍ قويٍّ في ٱلشُّؤونِ ٱلعامَّةِ في تلكَ ٱلبلادِ ، وصلةٍ قويَّةٍ بحُكّامِ أَقاليمِها ، وإسهامٍ بارزٍ في ٱلسَّعي لتوحيدِ أَجزائِها وٱستقلالها ، ورفعِ كابوسِ ٱلاحتلالِ ٱلبريطانيِّ ٱلَّذي كانَ جاثِماً عليها .

كما كانَ قويَّ ٱلصِّلةِ بإمامِ ٱليَمنِ يحيى بنِ حميدِ ٱلدّينِ ؛ بحيثُ كانَ يرجعُ إليهِ في معالجةِ بعضِ ٱلقضايا ٱلعامَّةِ ٱلمتعلِّقةِ بٱلخلافاتِ ٱلَّتي تقعُ بينَ حكّامِ تلكَ ٱلبلادِ ، كما يتَّضحُ مِنْ إشاراتٍ وردتْ في كتابهِ .

وقد وُلدَ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عُبيدِ ٱللهِ بنِ محسنِ بنِ علويِّ بنِ سقّافٍ في بلدةِ سيونَ مِنْ حَضْرَمَوْتَ ، وفيها نشأَ وتوفِّيَ ، على ٱختلافٍ في تاريخِ ولادتهِ .

فالأُستاذُ ٱلزركليُّ يُحدِّدهُ في « ٱلأَعلام » بعام (١٣٠٠هـ) ويشيرُ إلى رأيٍ آخرَ هوَ سَنة (١٢٩١هـ) ، ولـٰكنَّهُ لا يأخذُ بهِ ، معلِّلاً بأَنَّ مظهرَ ٱلرَّجلِ عندَ وفاتهِ لا يدلُّ علىٰ أَنَّهُ بلغَ مِنَ ٱلعمرِ (٨٤) عاماً ؛ فقد توفِّيَ سنةَ (١٣٧٥هـ) .

وقد عرفَهُ ٱلأُستاذُ ٱلزركليُّ وٱجتمعَ بهِ في صفرَ سَنةَ (١٣٦٩هـ) في جدَّةَ ، وأَطلعَهُ على بعضِ مُؤَلَّفاتهِ ، فطالَعها وٱستفادَ مِنها ، ووصفَهُ بأَنَّهُ مؤرِّخٌ بلدانيٌّ ، مِنْ شيوخِ ٱلعِلْمِ بٱلأَدبِ وٱلأَخبارِ ، وفقهِ ٱلشّيعةِ وٱلسُّنَّةِ ، لَهُ شِعْرٌ حسنٌ ، وأَنَّهُ كانَ مفتي ٱلدّيارِ ٱلحضرميَّةِ .

وقدِ ٱجتمعَ بهِ ٱلمستشرقُ ٱلبريطانيُّ ، ٱلمعتني بٱلدِّراساتِ ٱلحضرميَّةِ (سرجنت) SERJENANT.R.B ، فوصفَهُ في مقالهِ عنِ ٱلمؤرِّخينَ ، وكتابةِ ٱلتّاريخِ ٱلحضرميِّ ٱلمعرّب في كتابٍ : « حولَ مصادرِ ٱلتّاريخِ ٱلحضرميِّ » (١١) فقالَ عنهُ : (معروفٌ أَساساً كحجَّةٍ في ٱلشَّريعةِ ، ذو ذكاءٍ حادٍّ ، ولقدِ ٱستمتعتُ بمجالسهِ عدَّةَ مرّاتٍ ، لقد كسبَ ٱحترامَ حَضْرَمَوْتَ ، وهوَ لا شكَّ عالمٌ فذٌّ ، وقد درَّبَ أَبناءَهُ على ذلكَ) .

ويشيرُ (سرجنت) إلى موقفٍ مِنْ مواقفِ ٱلسَّيِّدِ ٱلسَّقّافِ جديرٍ بٱلذِّكرِ ؛ هوَ : موقفُهُ في ٱلنِّزاعِ ٱلَّذي حدثَ بينَ ٱلسّادةِ ٱلعلويّينَ وبينَ ٱلإرشاديّينَ ، في آخرِ ٱلنِّصفِ ٱلأَوَّلِ مِنَ ٱلقرنِ ٱلماضي ، في ٱلبلادِ ٱلأَندونسيَّةِ ، فيقولُ :

(لقد شاركَ[1] في ٱلنِّزاعِ ٱلعلويِّ ٱلإرشاديِّ في أَندونيسيا ، وبحوزتي خُطبةٌ لَهُ قالها في أَحدِ ٱلجوامعِ في بتافيا عام (١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م) ، وفي ٱلعام ٱلتّالي حاولَ أَنْ يُصلحَ بينَ ٱلطَّرفينِ ، وأَخبرني أَنَّ ٱلرَّسائِلَ ٱلمتبادَلةَ ضُمَّتْ إِلى مخطوطاتهِ ٱلتّاريخيَّةِ « بضائِعُ ٱلتّابوتِ ») .

ثمَّ يضيفُ (سرجنت) : (لقدِ ٱحترمَهُ ٱلكثيرونَ ، خصوصاً عندما يتَّخِذُ موقفاً مخالفاً لموقفِ ٱلعلويّينَ ٱلمتزمِّتينَ) اهـ

ويتجلَّى ما كانَ يتحلَّى بِهِ ٱلسَّقّافُ مِنِ ٱعتدالٍ في مواقفهِ فيما لقيَهُ مِنْ تقديرٍ وإِجلالٍ بينَ طبقاتِ مثقفي عصرِهِ ، كما يبدو ذلكَ واضحاً في ٱحترامهِ وٱعتدادهِ بآراءِ ٱلعلماءِ ٱلمحقِّقينَ مِنْ مختلفِ ٱلمذاهبِ .

ولـٰكنَّ هـٰذا ٱلمستشرِقَ لَمْ يَفُتْهُ غَمْزُهُ بقولهِ : (وٱلرَّأْيُ ٱلحضرميُّ عنهُ أَنَّهُ ساذجٌ ، وغيرُ مفرطٍ في ٱلنَّقدِ كمؤرِّخٍ ، لـٰكنَّهُ عالمٌ لَهُ صِيتُهُ ، ولابدَّ أَنْ يُقدِّمَ إِسهاماً هامّاً لصياغةِ ٱلتّاريخِ ٱلحضرميِّ) .

ولعلَّه يعني بهـٰذا ٱلغمزِ : أَنَّ ٱلسَّيِّدَ ٱلسَّقّافَ ـ فيما يبدو مِنْ أَبحاثهِ ٱلتّاريخيَّةِ ـ لا يُكلِّفُ نَفْسَهُ عناءَ مناقشةِ ما يوردُهُ مِنْ نقولٍ تغلبُ على كثيرٍ منها ٱلسَّذاجةُ[2] ، ولاسيَّما حينَ يَنقلُ عمَّن يَعتقدُ فيهِمُ ٱلصَّلاحَ وٱلتَّقوى .

ومهما يَكُنْ . . فإِنَّ فيما قدَّمَهُ للباحِثينَ عن تاريخِ بلادهِ أَوضحُ دليلٍ على ما يتمتَّعُ بِهِ من سعةِ ٱلاطِّلاعِ ، وشدَّةِ ٱلغيرةِ وٱلحرصِ على ٱلاهتمامِ بهـٰذا ٱلجانبِ ، وهوَ ـ بدونِ شكٍّ ـ ممّا لا غناءَ لكلِّ معنيٍّ بدراسةِ ٱلتّاريخِ ٱلعربيِّ بصفةٍ عامَّةٍ عنِ ٱلرُّجوعِ إِليهِ .

---

(١) القول بأَنَّه شارك في النِّزاع ، كلام يوهم خلاف الحقيقة ؛ لأَنَّه لم يكن متحيِّزاً إِلىٰ أَحد الطَّرفين كما يبدو ، لأَنه إِنَّما قدم إِلى جاكرتا بصفته داعية للصُّلح بين الفريقين ، والحديث عن دوره في ذلك النزاع يطول ، ولديَّ وثائِق ورسائل تؤرِّخ وتكشف بدقَّة كلَّ الملابسات الَّتي لاتعرف عن بعض خفايا الموضوع ، يسَّرالله جمعها ودراستها عمَّا قريب .

(٢) ونحن نقف من هـٰذا النبز المكشوف موقف الرادِّ له ، لأَنَّ وصف فكر ابن عبيد الله ولو في بعض ما كتبه بالسَّذاجة أَمر نراه سخيفاً ؛ فالرَّجل كان من الجلالة بمكان ، وهلمَّ إِلىٰ مناقشة بعض تلك السَّذاجات المزعومة لتقف علىٰ حقيقة ما قيل بدلاً من مجرَّد النَّبز والتَّعريض .

ومعَ أنَّ ٱلسَّيِّدَ ٱلسَّقّافَ لَم يتلقَّ ٱلعِلْمَ ـ فيما علمتُ عنهُ ـ خارجَ ٱلجزيرةِ . . إلاَّ أنَّ ٱلمرءَ حينَ يُطالعُ أَحدَ مؤلَّفاتهِ ؛ ككتابهِ عنِ ٱلمتنبيّ[1] . . يَعْجَبُ مِنْ سعةِ ٱطِّلاعهِ ، وقوَّةِ ٱستحضارهِ للشَّواهدِ وٱلنُّصوصِ عندَ ٱلحاجةِ ، وسرعةِ بديهتهِ .

ولاشكَّ أنَّ دراستَهُ ٱلأُولى كانتْ وفقَ ٱلطَّريقةِ ٱلمتَّبعةِ في تلكَ ٱلبلادِ ، وفي غيرِها مِنَ ٱلبلدانِ ٱلإسلاميَّةِ ، مِنْ حيثُ ٱلاتِّجاهُ لِلدِّراساتِ ٱلدِّينيَّةِ . وبلادُهُ في عهدِهِ عُرفتْ بنوعٍ مِنَ ٱلمحافظةِ وٱلميلِ إلى ما يُشبهُ ٱلانقطاعَ أَوِ ٱلانعزالَ للعبادةِ وٱلتَّجرُّدِ ٱلرّوحيِّ ، ويظهرُ أنَّهُ تأثَّرَ في أوَّلِ مراحلِ حياتهِ ٱلدِّراسيَّةِ بِمَنْ تَلَقَّى عليهِمُ ٱلعِلْمَ وٱستفادَ منهُم بدرجةٍ أَحلَّتْهُ منزلةً رفيعةً بينَهُم ، حتَّى بلغَ أَعلى منصبٍ دينيٍّ ، حيثُ عُرِفَ بمفتي حَضْرَمَوْتَ . ويلمحُ ٱلباحثُ أثَرَ هٰذا مِنْ خلالِ مؤلَّفاتهِ ٱلَّتي ذكرَ مِنها ٱلأُستاذُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدٍ ٱلحبشيُّ في كتابهِ : « مصادرُ ٱلفكرِ ٱلعربيِّ ٱلإسلاميِّ في ٱليَمنِ » :

١ـ « نسيم حاجر في مذهبِ ٱلإمامِ ٱلمهاجرِ » .

لعلَّ ٱلمقصودَ بـ « ٱلمهاجرِ » جدُّ ٱلسّادةِ ٱلحضرميّينَ ، ٱلَّذي هاجرَ إلى حَضْرَمَوْتَ ؛ فقد أَلَّفَ عنهُ ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ طاهرٍ ٱلحدّادُ (١٢٩٠/ ١٣٨٠هـ) مفتي حَضْرَمَوْتَ كتاباً دعاهُ : « إثمدُ ٱلمهاجرِ » ، حاولَ إثباتَ أنَّهُ شافعيُّ ٱلمذهبِ ، بينما يرى ٱلسَّيِّدُ صالحُ بنُ عليٍّ ٱلحامد ٱلمتوفَّى سنةَ (١٣٨٧هـ) أنَّهُ إماميُّ ٱلمذهبِ .

قالَ (سرجنت) بعدَ ذِكرِ هٰذا : (وقد أَضافَ ٱلسَّيِّدُ ٱبنُ عُبيدِ ٱللهِ مُلحَقاً يقالُ : إنَّهُ نشرَ فيهِ ما يُؤَيِّدُ رأيَ ٱلسَّيِّدِ صالحٍ) .[2]

٢ـ حاشيةٌ على « فتحِ ٱلجوادِ » .

٣ـ حاشيةٌ على « تحفةِ ٱلمحتاجِ » .

٤ـ « صوبُ ٱلرّكامِ في تحقيقِ ٱلأَحكامِ »[3] .

---

(١) أي كتاب « العود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي » وهو عبارة عن مجالس أدبيّة تناولت نقدَ وتحليل وشرح بعض أَشعار المتنبّي ، كتاب فريد في بابه ، وهو من منشوراتنا ولله الحمد والمنّة .

(٢) وهٰذا الملحق سمّاه ابن عبيد الله : « سُموم ناجر » يوجد مسودة لدىٰ أحفاده بسيئون .

(٣) طبع في مجلَّدين .

٥ـ « ٱلسَّيفُ ٱلحادُ ٱلقاطعُ لأعناقِ ٱلإلحادْ » قالَ عنهُ ٱلأُستاذُ ٱلحَبْشيُّ : (أَلَّفَهُ في ٱلرَّدِّ على كتابِ « توحيدِ ٱلأديانِ »)[1] وطُبِعَ في عَدن سَنةَ (١٣٦٩هـ) . ويبدو أَنَّهُ أَلَّفَ هـٰذهِ ٱلكتبَ في عهدٍ مبكِّرٍ مِنْ حياتهِ .

أَمَّا آثارُهُ ٱلأدبيَّةُ ، فمِنها :

١ـ « ٱلإماميّاتُ » : قصائِدُ في مدحِ ٱلإمامِ يحيى ، طُبِعَتْ في ٱلقاهرةِ سَنةَ (١٣٤٥هـ) .

٢ـ « بلابلُ ٱلتَّغريدِ في ما أَفدناهُ في أيّامِ ٱلتَّجريدِ » . قالَ عنهُ ٱلأُستاذُ ٱلزّركليُّ : (هوَ أَشبهُ بكتبِ ٱلأَمالي في ثلاثةِ أَجزاءٍ) اهـ[2]

علىٰ أَنَّهُ وردَ في ذِكرِهِ في « ٱلعُودِ ٱلهنديِّ » (٣٧٦) بما نصُّهُ : (وقد ذكرنا في تفسيرِ ٱلفاتحةِ في كتابِنا : « بلابلُ ٱلتَّغريدِ » ما تنشرحُ بِهِ صدورُ ٱلمؤمنينَ) ممّا يُفهَمُ منهُ أَنَّهُ في ٱلتَّفسيرِ ، ولـٰكنَّ كتبَ ٱلأَمالي قد تحوي تفسيرَ بعضِ ٱلآياتِ .

٣ـ « ديوانُ شِعرٍ » طُبِعَ في مصرَ سنةَ (١٩٥٩م) في (٥٥٢) صفحةً . ذَكرَهُ ٱلزّركليُّ وغيرُهُ .

٤ـ « ٱلرِّحلةُ إِلى دوعن » : أُرجوزةٌ طُبعتْ في عدن سَنةَ (١٩٤٨م) على ما ذكرَ ٱلحَبْشيُّ .

٥ـ رحلةٌ تحوي بعضَ ٱلمعلوماتِ ٱلتّاريخيَّةِ ، طُبعتْ في (ٱلقاهرةِ) سَنةَ (١٣٤٥هـ) على ما ذكرَ (سرجنت) ، وأَخشى أَنْ تكونَ ٱلَّتي قَبْلَها[3] .

٦ـ « ٱلعودُ ٱلهنديّ عنْ أَماليَّ في ديوانِ ٱلكنديّ » : كذا وردَ ٱلاسمُ فيما أَظنُّهُ مسوَّدةَ

---

(١) وكتاب « توحيد الأديان » تأليف السَّيِّد حسين الصَّافي ، من أُدباء جيزان في العصر الحديث ، وقد تراجع عنه فيما بعد ، كما أَخبرني بذلك السَّيِّد جعفر السَّقَّاف الَّذي اجتمع بالصَّافي بعد تأليف ابن عبيد الله لـ(السَّيف) .

(٢) الأعلام (٣/ ٣١٥ـ٣١٦) .

(٣) وما خشي منه الجاسر هو الصَّواب ، والسَّيِّد الحَبْشيُّ أَعرف بابن عبيد الله من سرجنت .

ٱلمؤلِّفِ ، وسمّاهُ ٱلأستاذُ ٱلحَبْشيُّ : « ٱلعودُ ٱلهنديُّ عنْ مجالس في ديوانِ ٱلكنديِّ » يعني المتنبي .

وقال الحَبْشيُّ : (في ثلاثةِ مجلَّداتٍ) ولـٰكنَّهُ أتحفني بنسخةٍ مصوَّرةٍ منهُ تقعُ في (٥١٦) صفحةً ، جاءَ فيها بعدَ ٱلمقدِّمةِ :

(تنبيهٌ : كنتُ بيَّضتُ هـٰذهِ ٱلأَمالي حسبما ذكرتُ في ٱلخُطبةِ ، ثمَّ بعثتُ بها إلى مصرَ لتُطبعَ بمعرفةِ ٱلفاضلَينِ ٱلشَّيخَينِ : أَحمدَ باغفَّار وعليٍّ باكثيرٍ ، فلَم يتيسَّرِ ٱلطَّبعُ ، ولَم يَرجعِ ٱلكتابُ ، فٱحتجتُ إلى ٱستئنافِ ٱلغايةِ ، معَ إعادةِ ٱلنَّظرِ في ٱلمراجعِ ؛ إذْ كانتْ حاضرةً ، بخلافِها عندَ ٱلأوّلِ ، فجاءَ وفيهِ نقصٌ وفضلٌ ، وصحةُ رواية ونضلٌ[1] ، فليُعلَمْ ذلكَ ، وبٱللهِ ٱلتَّوفيقُ) .

وقالَ في ٱلمقدِّمةِ : (وقد بيَّضتُها لولدي حسنٍ ـ باركَ ٱللهُ فيهِ وفي إخوانهِ وأَبيهِ ـ رجاءَ أَنْ تكونَ لَهُ فاتحةَ تهذيبٍ ، ولائِحَةَ تأديبٍ ، وسميراً وجليساً ، وخليطاً وأنيساً) .

وٱنتهى مِنَ ٱلتَّأليفِ مساءَ (١٧) جمادى ٱلأولى ، سَنَةَ (١٣٥٢هـ) وقد قسَّمَ ٱلكتابَ إلى ستَّةَ عشرَ مجلساً وخاتمةٍ . ويُعدُّ مِنْ أَحفلِ كتبِ ٱلأدبِ بٱلفوائِدِ وٱلفرائِدِ مِنَ ٱلأَشعارِ وٱلأَخبارِ ، ممّا يدلُّ على ما يتَّصفُ بهِ مؤلِّفهُ مِنْ سَعةِ ٱلاطِّلاعِ ، معَ رحابةِ ٱلصَّدرِ في إيرادِ ما قد يتحاشى ٱلبعضُ مِنْ إيرادهِ مِنَ ٱلنُّكتِ وٱلنَّوادرِ ، وقد يسوقُ بعدَ ما يوردُ مِنَ ٱلشَّواهدِ طرائِفَ مِنَ ٱلشِّعرِ أَوِ ٱلقَصَصِ ٱلحديثةِ .

٧ـ « ٱلنَّجمُ ٱلمُضيّ ، في نقدِ كتابِ عبقريَّةِ ٱلشَّريفِ ٱلرَّضيّ » : ٱنتقدَ بهِ بعضَ ما جاءَ في : « عبقريَّةِ ٱلرَّضيِّ » للدُّكتورِ زكي مبارك في جزءٍ لطيفٍ ، ويُسمَّى : « مفتاحُ ٱلثَّقافةِ » على ما ذكرَ ٱلأُستاذُ ٱلزركليُّ .

أَمّا مؤلَّفاتُهُ ٱلمتعلِّقةُ بتاريخِ ٱلبلادِ ٱلحضرميَّةِ ، ووَصْفِ قراها وموانِئِها وأَوديتها وما يتعلَّقُ بذلك . . فمِنها :

---

(١) أي : غلبة .

١ـ « إدامُ ٱلقوتِ في ذِكرِ بلدانِ حَضْرَمَوْتَ » ، قالَ عنهُ ٱلزّركليُّ : (في مجلدٍ ضخمٍ) .

وقالَ ٱلحَبْشيُّ : (خَطٌّ بمنزلِ ٱلمؤَلِّفِ بمدينةِ سيئونَ) .

وقدِ ٱطّلعَ عليهِ ٱلزّركليُّ ، فنقلَ عنهُ في ترجمةِ عوضٍ ٱلقعيطيِّ في « ٱلأعلامِ » ، ولا أَستبعدُ أَنْ يكونَ هوَ ٱلأَصلُ[1] ٱلّذي يُحيلُ إِليهِ في ٱلكتابِ ٱلّذي بينَ يدي ٱلقارىءِ مقدِّمتُهُ ؛ حيثُ نجدُ ٱلنّصَّ ٱلّذي أَوردَهُ ٱلزّركليُّ في ترجمةِ ٱلقعيطيِّ منهُ في كتابِنا ، إلاَّ أَنّهُ في ٱلكلامِ على حَجَرٍ لا ٱلشّحْرِ كما في « ٱلأعلامِ » .

٢ـ « بضائعُ ٱلتّابوتِ في نُتَفٍ مِنْ تاريخِ حَضْرَمَوْتَ » . قالَ ٱلزّركليُّ : (ذكرَ أَنّهُ زارَ ٱليمنَ ، وكانَ ضيفاً على ٱلإمامِ يحيى حميدِ ٱلدِّينِ ، فأُبيحَ لَهُ ٱلاطّلاعُ على خِزانةِ كتبِهِ ، فكانَ كلّما وقفَ على شيءٍ يتعلّقُ بحَضْرَمَوْتَ ، أَو يَستظرفُهُ . . نقلَهُ وأَلقى ما كتبَ في سلّةِ ٱلمهملاتِ ، ويُسمِّيها « ٱلتّابوتُ » ، ثمّ جمعَها في كتابِهِ هٰذا[2] ، وهوَ في ثلاثةِ مجلّداتٍ ، جعلَهُ كٱلشّرحِ لقصيدةٍ مِنْ شعرِهِ سينيّةٍ ، عارضَ بها شوقي في معارضتِهِ للبحتريِّ ، وأَتى فيهِ بعِلْمٍ غزيرٍ في تاريخِ حَضْرَمَوْتَ وبيوتِها ، وحُكّامِها وأَعلامِها ، إلى ٱستطراداتٍ في فنونٍ مختلفةٍ ، مِنْ أَدبٍ وحديثٍ ونقدٍ ، إلى وثائقَ سياسيّةٍ ومعاهداتٍ وملحوظاتٍ) .

وقالَ عنهُ ٱلحَبْشيُّ : (خَطٌّ بمنزلِ ٱلمؤَلِّفِ في سيئونَ) .

وذكرَ (سرجنت) أَنّهُ في ٱلمكتبةِ ٱلسُّلطانيّةِ في ٱلمُكَلاَّ معَ مخطوطاتٍ أُخرى .

وأَشارَ ٱلزّركليُّ إلى أَنَّ فهرسَ هٰذا ٱلكتابِ طُبعَ في (٦٤) صفحةً .

وذكرَ (سرجنت) أَنّهُ جمعَ معجماً جغرافيّاً تاريخيّاً لحَضْرَمَوْتَ ولَم يذكرهُ ٱلزّركليُّ ولا ٱلحَبْشيُّ ، ولا أَستبعدُ أَنْ يكونَ هٰذا ٱلمعجمُ هوَ كتابَنا هٰذا ، وهوَ خلاصةٌ ممّا

---

(١) يرجع إلى ما كُتب عن ذلك في حاشية (٣) صفحة (٩) ، فقد وهم الجاسر رحمه الله في هٰذا .

(٢) إنما نقى عن كتب أَهل اليمن لقلة المصادر والمراجع المتعلّقة والمختصّة بتاريخ حضرموت ، كما ذكر المصنّف في مقدّمة « البضائع » : ص (٢) (خ) . وأَمّا وصف التّابوت بأَنّه « سلّة مهملات » فهٰذه لعلّها من (زيادة الرّاوي) .

أَلَّفَهُ آبنُ عُبيدِ آللهِ عن تاريخِ حَضْرَمَوْتَ وجغرافيَّةِ بلادِها .

توفِّيَ آلسَّيِّدُ آلسَّقّافُ في بلدتهِ (سيئونَ) سَنَةَ (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م) على ما ذكرَ آلأُستاذُ آلزّركليُّ ، وقالَ :

(وفي « آلبرقيّاتِ » : يومَ وفاتهِ أَنَّهُ عاشَ (٨٤) سنةً) . ثمَّ يُضيفُ : (وكانَ مَظهرهُ دونَ ذلكَ . وفي « نَيْلِ آلحُسنيين » (١٣٨) : أَنَّهُ ماتَ عن (٧٥) سنةً ، وأَخذتُ بهـٰذهِ آلرِّوايةِ ، و« مراجعِ تاريخِ آليمنِ » (٢٤٥ـ٢٦١) اهـ .

على أَنَّ (سرجنت) قالَ ما تعريبُهُ : (يحتملُ أَنْ يكونَ توفِّيَ سنةَ (١٩٥٥م) وقد ترجمَهُ « فان درمولن »[1] ونُشرتْ صورتُهُ في « المستمعِ ») . ولا شكَّ أَنَّ آلزّركليَّ

---

(١) فان در مُوْلن ، رحَّالة هولنديٌّ ، من المستشرقين المهتمِّين بتاريخ حضرموت ، ينتسب إلىٰ مدرسة المستشرق الشهير سنوك هرخرونيه ، قام برحلات عدَّة إلىٰ حضرموت في السنوات : (١٩٣١) ، (١٩٣٩) ، (١٩٤٥) م .

نشرت جامعة عدن الرِّحلة الأُولى ـ مترجمة ـ عام (١٩٩٨م) ، وأَتبعها بنشر الثَّانية سنة (١٩٩٩م) .

وهـٰذه الرِّحلة الثَّانية تعتبر التَّجربة الأكثر نضجاً من السَّابقة ، قام بتعريبها د . محمد سعيد القدال ، واحتوت علىٰ ترجمة مُوْلن لفضيلة العلاَّمة ابن عبيد الله . . ويحسن بناهنا أَن نسوق ما كتبه ذلك الرَّجل في تلك الرِّحلة ؛ ففيها كلام هامٌّ يحسن ويجمل إيراده لعموم الفائدة .

قال (فان مُوْلن) ص (٢٢٠)من رحلته المسمَّاة : « رحلة في جنوب شبه الجزيرة العربيَّة » . . الَّتي قام بها سنة(١٩٣٩م) = (١٣٦٠هـ) تقريباً : (في بداية إقامتنا في سيئون تفضَّل السَّيِّد أَبو بكر بتقديمنا لرجل كبير مقبول ، له لحية بيضاءُ ، السَّيِّد عبد الرَّحمـٰن بن عبيد الله ، الَّذي سمَّاه مفتي حضرموت ، سافر هـٰذا العالِم الإسلامي ثلاث مرَّات إلىٰ جاوة . وقابل هناك مستشار حكومة هولندا للشؤون الإسلاميَّة ، بل ادَّعىٰ أَنَّه قابل الرَّجل الَّذي يعتبر المؤسِّس للسِّياسة الهولنديَّة الإسلاميَّة الحديثة ، البروفيسور سنوك هرخرونيه . وفيما بعد ، عند الحديث عن كتاب جُمِعتْ فيه كلُّ أَحاديث الرَّسول ﷺ ويعتبر ذا قيمة كبيرة لأَيِّ متعلِّم مسلم ، خَطَّأ ـ ابن عبيد الله ـ هـٰذا الدَّارس للإسلام بِخَلْفيَّتِهِ الواسعةِ ، والمعتبرة من وضع البروفسور (فِينسنك) خليفة هورخرونيه .

ثمَّ سأَل بشكل غير متوقع : إن كنا أَخذنا تاريخ وحياة ومعتقدات المسلمين المعاصرين علىٰ أَنَّها تمثِّل الإسلام الحقيقيَّ كما فعل غالبية المستشرقين؟ أَم هل نعرف الإسلام الحقيقيَّ في جوهره وتاريخه؟ .

كانت إجابتنا : أننا حاولنا تحت التَّوجيه الصَّارم لسنوك هوخرونيه أَن نقترب إلى الإسلام =

والحبشيَّ أوثقُ وأعرفُ بتاريخِ الرَّجُلِ .

و« المستمعُ » هي : المجلَّةُ الَّتي يُصدرُها القسمُ العربيُّ في (إذاعةِ لندن)[1] .

ولا شكَّ أنَّهُ كُتِبَ الكثيرُ عن ترجمةِ السَّيِّدِ السَّقَّافِ ، ولٰكنْ ليسَ بينَ يديَّ الآنَ سوى ما أوردتُ خلاصتَهُ .

ولقد عرفتُ مِنْ أبناءِ السَّيِّدِ السَّقَّافِ ـ أثناءَ إقامتي في (مكَّةَ) في أوَّلِ النِّصفِ الثَّاني مِنَ القرنِ الماضي ـ : ابنَهُ الأُستاذَ السَّيِّدَ حسنَ ، أديباً شاعراً ، لطيفَ المعشرِ ، فَكِهاً ، محبّاً للبحثِ وكثرةِ المطالعةِ . ثمَّ علمتُ بأنَّهُ سافرَ إلى الحبشةِ ، وأنَّهُ توفِّيَ بعدَ ذاكَ .

= الحقيقيِّ ، وأننا نعي تماماً حقيقة أن الدين والنَّظرة العامَّة للإسلام تمر هٰذه الأيَّام بأزمة محرجة بشكل عامٍّ .

لم يكن المفتي مرتاحاً أبداً لأوضاع الإسلام في الوقت الحاضر ، العديد من علماءِ الدِّين الَّذين سبقوه قلقون مثله ، وينظرون بأسىً إلىٰ الأيَّام المثالية الذهبيَّة لقرون الإسلام الأولىٰ من أجل إعادة تأسيس الإسلام النَّقيِّ وانتصار الإسلام في العالم ؛ فإنَّهم يتطلَّعون إلىٰ قدوم (المهدي) وهو رسول يرشده الله إلىٰ الطَّريق القويم ، شخصَ مسيحَ .

انتقلنا إلىٰ مسائلِ ماديَّة ، سأل زائرنا الموقَّرُ(هيرمان) ـ مرافق للرَّحَّالة مُولن ـ بعض الأسئلة عن جغرافيَّة وجيولوجيا البلاد ، ثمَّ قليلاً قليلاً بدأ يسألنا عن الأوضاع في الغرب :

كيف نفسر أنَّ قارَّة لها مثل هٰذا المستوى الحضاريِّ الرَّفيع تبرز فيها دائماً أُمَّة يبدو أنَّها على استعداد لإبادة الأخرىٰ بوحشيَّة؟

وكانت إجابتنا في نفس اتِّجاه إجابتنا علىٰ تحسُّره بتدهور الإسلام : الأُمم والحكومات في الغرب فقدت مخافة الله والإيمان العميق في الاتكال علىٰ هداية الله ، لقد أصبحوا يعتمدون علىٰ قدرتهم فقط لتعزيز سعادة البشريَّة . هٰذا الزُّهوُّ سيقود إلىٰ كارثة مفجعة ، نرىٰ كلُّنا أنَّها قادمة لا محالة . استأذن المفتي في الانصراف ، ووعد بالعودة لمواصلة الحوار)اهـ .

هٰذا هو الحوار الَّذي دار بين علاَّمتنا الجليل وهٰذا المستشرق ، ولولا ضيق نطاق هٰذا الهامش لعلَّقت علىٰ بعض مواضع من هٰذا النَّصِّ أراها لازمة ، ولٰكني أُرجِىءُ هٰذا إلىٰ موضع آخر في الترجمة الموسَّعة الَّتي لازلت أَجمع مادَّتها عن حياة العلاَّمة ابن عبيد الله السَّقَّاف .

(١) واسمها : « المستمع العربيُّ » .

ٱلكتابُ :

كانَ في حاجةٍ إلى بذلِ عنايةٍ ؛ لضبطِ كثيرٍ مِنَ ٱلأسماءِ ٱلَّتي وردتْ فيهِ بدونِ إتقانٍ لِكتابتِها ، بل قد يكونُ قد وقعَ تحريفٌ في بعضِها مِنَ ٱلنّاسخِ ، مِثلُ : (ريسوت) حيثُ كُتبَ ٱلاسمُ (ريبوت) وكثيرٌ مِنْ أسماءِ ٱلمواضعِ وٱلقبائِلِ ممّا لَم يَرِدْ فيما بينَ يديَّ مِنَ ٱلمراجعِ .

أمّا ٱلمؤلَّفاتُ ٱلكثيرةُ ٱلَّتي رجعَ إليها ٱلمؤلِّفُ.. فلَم أعرفْ أسماءَها قبلَهُ ، فضلاً عنِ ٱلاطِّلاعِ عليها ، ولهـٰذا وردتْ أسماءٌ وعباراتٌ ونصوصٌ كثيرةٌ يكتنفُها ٱلغموضُ .

ولاشكَّ في أنَّ ٱلإخوةَ ٱلمثقَّفينَ ٱلحضرميّينَ يعرفونَ عن بلادِهم ما لا يعرفُهُ غيرهُم[1] ، وأنَّ مِنهمْ مَنْ يُسرُّ بٱلمشاركةِ في إفادةِ ٱلقرّاءِ تجاهَ ما يَعرضُ لَهم مِنْ إشكالٍ ، أو حينَ يتطلَّعونَ إلى مزيدِ ٱستفادةٍ مِنَ ٱلمعرفةِ بأحوالِ هـٰذا ٱلجزءِ مِنْ وطنِهم ، ومِنْ هنا كانَ عرضُ ٱلكتابِ كما هوَ بإضافةِ بعضِ ٱلحواشي ٱلموجزةِ .

* * *

(١) وقد حاولنا أن نصل إلى ما كان يطمح إليه الجاسر في عملنا في هـٰذا الكتاب ، وذلك بوضع تراجم للشّخصيّات الواردة ، وكذلك للمواضع المذكورة ، وكذلك شرح لبعض الألفاظ الغريبة .

بين يدي الكتاب

بقلم الدكتور

محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل

حمداً لمن أزاح حجب الغفلة عن أفئدة المخبتين ، وجعل تعاقب الجديدين عظةً للمعتبرين .

وصلاة وسلاماً على من أُنزل عليه : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾ ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدىٰ بهديه ، **وبعد** :

فإن السيد العلَم السقاف جامعةٌ من المعارف ، تتربع على قمة الفضل ، وطود من جهابذة المتأخرين ، لم تتقاصر مداركه العلمية عن مراتب المتقدمين . . فكأنه مرجع الضمير المتأخر لفظاً المتقدم رتبةً ، وما أقرأ له كتاباً . . إلا وأزداد بعلو كعبه إعجاباً ، والمتأمل في مؤلفات هـٰذا الإمام يتحقق من صدق تلك المقولة : (إن الله تعالىٰ تفضل على الخلف كما تفضل على السلف) ؛ فقد ذاع صِيْت هـٰذا المفتي حتىٰ أخمل القرناء ، وتكشفت بفتاواه غياهب الظلماء .

يرفعه إلى أوْج العلا ورع طوى عليه ضميره ، واجتهادٌ كان فيه العلم ضجيعه وسميرَه .

بلغ الشَّأْوَ القَصِيَّ في معارف الشريعة الغراء ، وكان المجلِّيَ في التضلّع من معين الآداب ، فارتفعت في كافة الأنحاء منزلته ، وملأت مسامعَ الدنيا آثارُه ، وصافحت كفَّ العلا أمجادُه ، فهو علمٌ شامخٌ من أعلام النهضة الإسلامية البارزين .

فَهُـوَ ٱلَّـذِي أَجْمَـعَ كُـلُّ عَـالِـمِ	فِـي عَصْـرِهِ مِـنْ نَـاثِـرٍ وَنَـاظِـمِ
بِـأَنَّـهُ ٱلْحَبْـرُ نَسِيـجُ وَحْـدِهِ	فِـي عِلْمِـهِ وَدِينِـهِ وَزُهْـدِهِ

وبالأمس كنا نمتّع الأفكار بروضهِ النضير ، ونجني من فواكهه الجنية كل معنى خطير ، ونهلنا من أماليه علىٰ ديوان أبي الطيب . . فأفدنا وانتفعنا ، وقال حكيمنا : (لقد أعطي هـٰذا السيد مقاليد الفصاحة) .

وها نحن اليوم إزاء كتاب تاريخي لهـٰذا النِّحرير الألمعي ، تهش الأفكار إلى ما حوىٰ من فرائد ، ويثني عليه لسان الزمان ، وتفرح بإخراجه جزيرة العرب ، وتتغنى به مطوّقات التاريخ ، وتتلو من فوائده صحفاً[١] .

وَمَـنْ يَعِـي ٱلتَّـارِيـخَ فِـي صَـدْرِهِ أَضَـافَ أَعْمَـاراً إِلَـىٰ عُمْـرِهِ

والمؤرخ الثقة الثبت ـ كهـٰذا الإمام ـ تتميز كتابته بالصيانة عن الهذر ؛ إذ هي متزينة بحلل الإتقان ، مقبولة عند الخاص والعام ، مقدمة علىٰ ما سواها ، مبرأة من وصمة التحامل المرذول ، والتعصب الممقوت ، سالمة من نفَثَاتِ الجهلِ .

إِذَا قَـالَـتْ حَـذَامِ فَصَـدِّقُـوهَـا فَـإِنَّ ٱلْقَـوْلَ مَـا قَـالَـتْ حَـذَامِ

ولموقع هـٰذا الكتاب وعظيم نفعه كان أحد اهتمامات علاّمة الجزيرة حمد الجاسر رحمه الله تعالى[٢] ؛ إذ اندفع منجذباً إلى العناية به ، والإفادة من كتابته ، ونشره حلقات تترىٰ في (مجلة العرب) علىٰ مدار خمس من السنين ، وما حداه إلى القطف من جناه الشهي والعبِّ من منهله الرويّ . . إلا لأنه يسلط أضواء التاريخ على جزءٍ من جزيرتنا المباركة ، ويرسم بخطوط يَرَاعته لوحات ناطقة لناحية كانت قبلُ مهدَ الملوك من غابر الأزمان ، ومنبتاً لعلماء وحكماء ، وحكام وأمراء .

واعترافاً بفضل المتقدم ، ووفاءً لعلامة الجزيرة . . فقد آثرت دار المنهاج أن تحلِّي جِيدَ الكتاب بعقود مقدمته ، وأن تزين الطروس بمُذَهَّبات كَلِمه .

---

(١) مقتبس من قول ابن سنان الخفاجي في وصف قمرية :

ونـائحـة بـالبـان تملـي غـرامهـا علينـا وتتلـو مـن صبـابتهـا صحفـا
ولـو صـدقـت فيمـا تقـول مـن الأسـى لمـا لبِسـتْ طـوقـا ولا خضبـتْ كفـا

(٢) توفي (١٤٢١/٦/١٥ هـ) .

ـ ومما يزيد الكتاب أهميةً : أنه يؤرخ لأرض هي مكنونة عذراء ، لم تعتورها أقلام الباحثين ، ولم تَجْلُها يَرَاعة المؤرخين ، فهي من الأبكار الحسان ، والمراتع المجفوة في الماضي والحاضر ، علىٰ ما بها من مآثر .

ـ وإن تعجب . . فعجب لأولئك الأجانب من مختلف الجنسيات من عشاق الآثار ، المغرمين بالتراث العربي ، والتراب الحضرمي ، فنراهم بين الفينة والأخرى يؤمون هـٰذه المناطق علىٰ ما بها من مناخ مغاير لأجواء بلادهم التي غادروها ، وعلى تباين العادات والمطعومات والتضاريس .

ورغم ذلك نراهم في قمة النشوة مستمتعين بتلك المناظر والمآثر ، ويعتقدون أنّا لا نقيم لمآثر أجدادنا وزناً .

ـ ومما جعل الكتاب من الأهمية بمكان : أنه يترجم لأعلام موفقين وعلماء مجاهدين ، ساهموا في بناء الفكر الإسلامي ، بل وامتداد رقعته ، فحُظُوا بشرف الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتبيان محاسن الإسلام ، والتطبيق الفعلي لأحكامه ، وآدابه ، فهدى الله تعالى بهم في جنوب شرق آسيا خلائق لا تحصى ، بدون أن تراق قطرة محجم ، وهـٰذا مصداق للحديث الصحيح : « والحكمة يمانية » .

وكان من عوامل الدفع لدار المنهاج لاستخراج هـٰذا السفر من مكامنه ما يلي :

أولاً : أن من المقاصد الشرعية التي تجلت في مواضع عدة من التنزيل الحكيم العظة والاعتبار بمن مضىٰ ، وتذكر من قضىٰ ممن طواهم الزمان ، ولم تبق إلا مآثرهم الحسان .

وَإِنَّمَا ٱلْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ ... فَكُنْ حَدِيثاً حَسَناً لِمَنْ وَعَىٰ

وهـٰذا السفر يحقق هـٰذا المقصد .

ثانياً : يقول الحافظ ابن الجوزي في « المنتظم »[1] : (للسير والتواريخ فوائد ؛ أهمها فائدتان :

إحداهما : إن ذكرت سيرة حازم ، ووصفت عاقبة حاله . . أفادت حسن التدبير ، واستعمال الحزم ، أو سيرةَ مفرط ، ووصفت عاقبته . . أفادت الخوف من التفريط ، فيتأدب المتسلط ، ويعتبر المتذكر ، ويتضمن ذلك شحذ صوارم العقول ، ويكون روضة للمتنزه في المنقول .

والثانية : أن يطلع بذلك علىٰ عجائب الأمور ، وتقلبات الزمن ، وتصاريف القدر ، وسماع الأخبار) .

وفي « شذور العقود في تاريخ العهود » : (إن التواريخ وذكر السير راحة القلب ، وجلاء الهم ، وتنبيه للعقل ؛ فإنه إن ذكرت عجائب المخلوقات . . دلت على عظمة الصانع ، وإن شرحت سيرة حازم . . علمت حسن التدبير ، وإن قصت قصة مفرط . . خوفت من إهمال الحزم ، وإن وصفت أحوال ظريف . . أوجبت التعجب من الأقدار ، والتنزه فيما يشبه الأسمار)[2] .

ثالثاً : ومما يفصح عن مكانة التاريخ الساحقة : قول ابن خميس في مقدمة تاريخ مالقة ـ وقد أجاد ـ : (إن أحسن ما يجب أن يعتنىٰ به ويلم بجانبه بعد الكتاب والسنة : معرفةُ الأخبار ، وتقييد المناقب والآثار ؛ ففيها تذكرة بتقلب الدهر بأبنائه ، وإعلام بما طرأ في سالف الأزمان من عجائبه وأنبائه ، وتنبيه على أهل العلم الذين يجب أن تُتَّبع آثارهم ، وتُدَوَّن مناقبهم وأخبارهم ؛ ليكونوا كأنهم ماثلون بين عينيك مع الرجال ، ومتصرفون ومخاطِبون لك في كل حال ، ومعرفون بما هم به متصفون ، فيتلو سُوَرَهم من لم يعاين صُوَرَهم ، ويشاهد محاسنَهم من لم يعطه السنُّ أن يعايِنَهم ، فيعرف بذلك مراتبهم ومناصبهم ، ويعلم المتصرفَ منهم في المعقول والمفهوم ، والمتميزَ في

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص٢١) .

(٢) المصدر السابق .

المحسوس والمرسوم ، ويتحقق منهم من كسته الآداب حُلِيَّها ، وأرضعته الرياسة ثُدِيَّها ، فيجدُّ في الطلب ليلحق بهم ، ويتمسك بسببهم) اهـ

ولله در القاضي الأرجاني[1] إذ يقول :

إِذَا عَلِمَ ٱلإِنْسَانُ أَخْبَارَ مَنْ مَضَىٰ ... تَوَهَّمْتَهُ قَدْ عَاشَ مِنْ أَوَّلِ ٱلدَّهْرِ

وَتَحْسِبُهُ قَدْ عَاشَ آخِرَ عُمْرِهِ ... إِذَا كَانَ قَدْ أَبْقَى ٱلْجَمِيلَ مِنَ ٱلذِّكْرِ

فَقَدْ عَاشَ كُلَّ الدَّهرِ مَنْ كَانَ عَالماً ... حَلِيماً كَرِيماً فَٱغْتَنِمْ أَطْوَلَ ٱلْعُمْرِ

رابعاً : إن حضرموت المعرقة آثاره في القدم ، والمنطقة التي أزاح الستار عن مآثرها السيد السقاف بصفة خاصة . . جفاها الحظ قديماً ، وأشاح بوجهه عنها حديثاً ، على الرغم من عطائها الثر على المستوَيَين الإقليمي والعالمي ، اللهم إلا شذرات منثرة لا تبل الصدى ، ولا تشبع القَرْم ، ولا تقيم الأود ، ولا عجب إذا نعتها الواصفون بأنها شبه مجهولة ؛ فأعلامها الأعلام لم يحظَوا بما يستحقونه من اهتمام ، ومن ليالٍ قريبة فقط دار في مطالعتي لكتاب معاصر يتعلق بأحكام الأوراق النقدية دار ذكر علامة حضرمي ، له وزنُه على البساط الفقهي ـ كما نعته الباحث ـ فجهدني التنقير المتتابع في كتب التراجم للبحث عن إضاءةٍ ترفع حجب الجهالة بهذا الفقيه . . فضنّت مصادري بالبغية ، وشحّتْ بالمطلب ، ثم أنحيت باللائمة على غيري ، وهـٰذا هو الداء العضال ، الذي ينخر في عزائمنا ، ويجعل التقاعس ملء أُهُبنا ، وربما كان للتكوين الجغرافي الذي يشكل صعوبة المواصلات في القديم دخل في هـٰذا التعتيم التاريخي ، هـٰذا بالإضافة إلىٰ أن هـٰؤلاء الصفوة يؤثرون الخمول ويعادون الشهرة ، كأنما هي عندهم السُّم لزعاف الذي يدني حتف السليم[2] .

وسواء كان السبب هـٰذا أو ذاك . . فإنَّ هـٰذا السفر العزيز سدّ فجوة في هـٰذا الباب ،

---

(١) الأرجاني : بسكون الراء : نسبة إلى أرجان ، وهي من كور الأهواز من بلاد خوزستان « اللباب في تهذيب الأنساب » (١/ ٤٠) .

(٢) السليم : الملدوغ ؛ سمي بذلك تفاؤلاً .

وأماط اللثام عن منطقة ومواقع ربما لم تلامس أسماع طلبة الآداب ، فضلاً عمن يعادي الكتاب ويضيق ذرعا بالأقلام .

خامساً : ومما يجعل لـ« إدام القوت » أهمية بالغة : أن كاتب تاريخ هـٰذه المنطقة هو أحد أبنائها ، العليم بحاضرها وماضيها ، وأعمالها وأعلامها ، وقيعانها وآكامها ، وجبالها ووديانها ، ومآثرها ومثالبها ، إلىٰ غير ذلك مما قيدته يَرَاعة هـٰذا المفكر ، وجاد به خاطر هـٰذا العبقريِّ .

ونحن لا نقول : إن « إدام القوت » قد سد النقص ؛ إذ لا شيء قبله ؛ اللهم إلا خطوطاً مقرمطة لا تكاد تبين . . ولـٰكن نقول : إن هـٰذه بداية قوية تدفع الباحثين في الحلقات التاريخية إلى الإضافات ، واستنطاق التاريخ الحضرمي ، وعصر أحداثه ، والاستيحاء من قيعانه ، واستخلاص الأحاديث الشيقة من بطون الأعوام ، وتسطيرها للأنام ؛ فإن في ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

سادساً : إن البلاد الحضرمية أنعم الله تعالىٰ عليها بالآلاء الجسام ، ومَنَّ عليها بعلماء أئمة امتلأت بهم بيوت المجد ، وتمخضت عنهم دُوْر الفكر ، حتى أَرْبَوْا على كل توقع ، فما من ركن من أركانها ولا موقع من زواياها . . إلا وقد شهد حلقة علمية لعلاّمة راسخ ، حتى أصبحت كلمة حضرمي تساوي غالباً الفقيه المتمكن ، أو العلامة المتفنن ولعل هـٰذا أحد مدلولات الحديث الصحيح : « وَٱلْفِقْهُ يَمَانٍ » .

ولقد شاهدت من قريب النهضة العلمية النشطة التي تسطع في تريم وجاراتها ، وأعجبت بطلبة العلم الذين هرعوا إليها من أقطار عديدة عربية وإسلامية وقد انقطعوا لطلب العلم في هـٰذه الديار المباركة ، « وليس الخبر كالمعاينة »[1] .

فما دامت هـٰذه البلاد قد أنجبت أفذاذاً موهوبين ، وعبّاداً زاهدين ، وأعلاماً مفكرين . . فلا مراء أنها قمنةٌ بالبحث في تاريخها ، جديرةٌ بالتنقيب عن مناقبها ومآثرها ، فَطَيُّ تاريخها نوع من الغبن ، وتناسي محاسنها ضرب من الجحود ،

---

(١) جزء من حديث صحيح .

لا سيما ونحن في عصرٍ لم تعد بقعة من الدنيا إلا وهي تحت أقدام النسر الطيار ، وغدا الكون الأرضي كله موطئاً لكل قدم ، وآضت البسيطة خوافيها قوادما ، وزواياها النائية دانية بفضل الإبداع الحضاري في ميدان المواصلات .

فمن العبث الممجوج أن يتقاعس أولو الأقلام اللامعة عن الكتابة عن أولئك المرموقين الذين أسهموا في بناء الفكر الإسلامي حقبةً من الزمن ، فذلك نكرانٌ للجميل .

وأخيراً : فقد توّجت دار المنهاج العامرة هـٰذا الكتاب بقيادة مديرها اللوذعي ، الأديب الألمعي الشيخ عمر سالم باجخيف بتتميمات وتكميلات بالهوامش ، منتزعة من كتاب « الشامل » للدوعني وصاحب البيت أدرىٰ بالذي فيه ، فما من مواقع أغفلها المؤلف ، أو أعلام لم ينتظموا في سمط كتابه . . إلا وتم إلحاقها بالهوامش ، فكأن هـٰذا الكتاب قسمان وثماره نوعان .

فلدار المنهاج أن تفخر بإخراجه المتميز ، وأن تعتز بإنجازاتها المتتابعة ، بإشراف مباشر من ذي العزمات الجادة في سبيل خدمة العلم وأهله ، أبي المكارم عمر بن سالم ، كما قلت في « رحلتي » لتلك المعالم ، وكنا رفيقين في تلك الرحلة المباركة :

فَعُمَـرٌ هُـو ٱلصَّـدِيـقُ فِـي ٱلسَّفَـرْ وَهْـوَ ٱلأَدِيـبُ ٱلأَلْمِعَـيُّ فِـي ٱلْحَضَـرْ

لا زالت نعم الله تعالى على الجميع تترىٰ ، وفيضه علينا يتوالىٰ ، فهو الجواد المنان .

أبو عبد الباري

د. محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل

* * *

وصف النسختين الخطيتين

ألَّف العلامة ابن عبيد الله رحمه الله تعالىٰ كتابه « إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت » ـ الذي اختصره من كتابه « بضائع التابوت في نتفٍ من تاريخ حضرموت » ـ بإشارة من الشيخ الأديب عبد الله بن عمر بن محمد بلخير رحمه الله تعالى ؛ فقد اقترح عليه أن يلتقط منه ما يخصُّ بلاد حضرموت وأخبارها ورجالاتها ، وأن يجعله علىٰ طريقة المعاجم ليسهل الرجوع إليه ، فأخذ الاقتراح من نفسه مأخذ الإجابة ، فابتدأ بجمعه في سنة (١٣٦٦هـ) حتىٰ فرغ منه ـ كما ذكر في خاتمته ـ سنة (١٣٦٧هـ) .

ثم تُرِكَ الكتاب ، ومرَّ عليه زمن ليرجع المؤلِّف إلى ما ألَّف ممحِّصاً مدقِّقاً ، فزاد عليه الكثير المستطاب ، ونقص منه ما قد يعاب ، فخرج الكتاب بهوامش مليئة بالحواشي والاستطردات ، ولا شك أن هذه النسخة المزيدة أفضل وأدق ؛ إذ أنها صارت نسخة مسبوكة سبكاً كاملاً بالإضافات والإلحاقات .

ويلاحظ أن النسخة الأولىٰ حوت مقدمة للمؤلف رحمه الله تعالى على حين أن الثانية خلت عنها .

أما وصف النسخ :

فالأولىٰ : تتكون من (٢٥٢) ورقة ، عدد سطور الورقة الواحدة (٢٦) سطراً ، متوسط عدد كلمات السطر الواحد (١٩) كلمة ، خطها نسخي معتاد ، كتبت أسماء المدن الرئيسة بخط مغاير ، ورمزنا لها بـ(أ) .

والثانية : تتكون من (٩٤٠) صحيفة ، عدد سطور الصحيفة الواحدة (٢١) سطراً ، متوسط كلمات السطر الواحد (١١) كلمة ، خطها مستعجل ، كتبت أسماء المدن الرئيسة بخط مغاير ، ورمزنا لها بـ(ب) .

* * *

عملنا في الكتاب

١ـ نسخنا المخطوط (أ) وعارضناه على النسخة (ب) ولم نُعنَ بالفروق المتشابهة التي لا تغير معنىً ولا تخلّ بمتنٍ ، لئلا يثقل الكتاب بالهوامش .

٢ـ ضبطنا مادة الكتاب بطريقة تكون ـ إن شاء الله تعالى ـ كما أراده مؤلفه رحمه الله تعالى .

٣ـ رصَّعنا الكلمات بالحركات الإعرابية المناسبة ، ووشَّيناه بعلامات الترقيم ، وقسَّمناه حسب القواعد المعتمدة لدى الدار ؛ تسهيلاً للقارىء .

٤ـ أضفنا ما كان مناسباً من العبارة لتقويم المعنى وميزناه بـ[] .

٥ـ خرَّجنا أحاديث الكتاب ـ وهي قليلة ـ وعزوناها إلى مظانها في دواوين السنة المطهرة .

٦ـ خرَّجنا معظم النصوص الشعرية مع ذكر بحرها .

٧ـ ضبطنا الشعر العامي الحضرمي كما يُنطق به ، وكذلك أسماء المدن والأعلام .

٨ـ شرحنا الكلمات الغامضة .

٩ـ أحلنا معظم النصوص الواردة في الكتاب إلى مظانها .

١٠ـ ذكرنا بهامش الكتاب بعض الفوائد العزيزة .

١١ـ صنعنا للكتاب فهارس خاصة تُعنىٰ به ، وهي :

ـ فهرس الأعلام التي ذكرها المؤلف وترجم لها في طيات الكتاب .

ـ فهرس الأعلام التي ترجمناها في هوامش الكتاب .

ـ فهرس ألفبائي للمواضع التي ذكرت في الكتاب .

ـ فهرس موضوعات الكتاب .

١٢ـ عهدنا إلى بعض أهل العلم المختصين بالتراث الحضرمي بمراجعة الكتاب وتدقيقه والاستدراك عليه .

* * *

خاتمة

ـ نسأل الله حسنها ـ

بعد حمد الله ، والصلاة والسلام على خير أنبيائه. . فإننا نرجو أن نكون قد وُفِّقنا فيما عملنا في هذا الكتاب ، ولا ندَّعي أننا بذلك قد وصلنا إلى إرضاء الجميع ، فإرضاء الناس غاية لا تُدرَك ، وهنا يكمُن الإشكال ، وتبرز الحاجة إلى تبيان ما يلي :

١ـ هذا الكتاب يتناول الجانب التاريخي لهٰذا القطر ، وعليه : فربما نرى هناك من سيقول : إن هذا الكتاب لم ينصف هذه الواقعة أو هذه المرحلة ، وربما سيقول مثل ذلك من كانت الأحداث أو الوقائع في غير صالحه . ولهؤلاء جميعاً نقول : إنَّ ما ذُكِر هو دليل على أن الكتاب أخذ جانب الاعتدال بين جميع الأطراف .

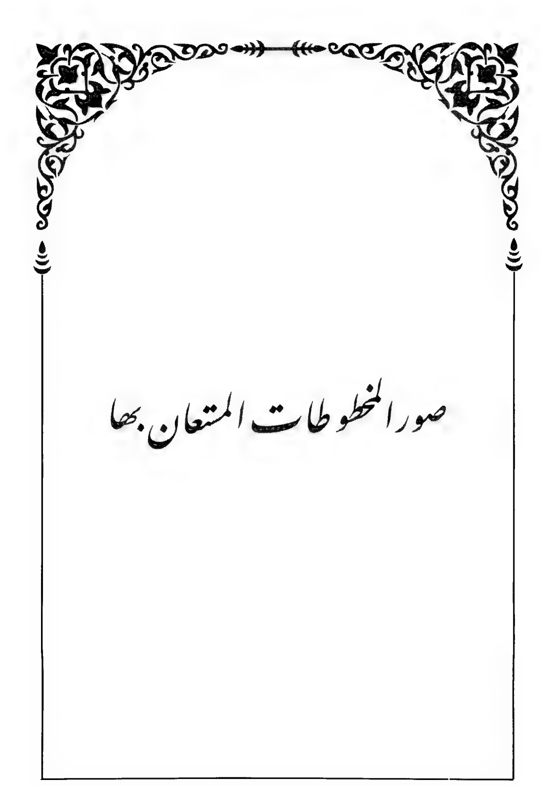
٢ـ ربما أغفل المؤلفُ أو المحققون للكتاب مواقع أو أعلاماً ، إما بعدم ذكرها ، أو سلوك الاختصار الشديد في بيانها ، وعليه فإننا نطلب من كل قارىء إذا وقف على فائدة أو معلومة تفيد الكتاب. . أن يرسلها إلينا لنتداركها في الطبعات اللاَّحقة لهذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

٣ـ القبائل والأعلام والشخصيات الواردة في الكتاب. . لم نخرج عن منهج المؤلف فيما أورد ، وعليه : فإننا نعتذر لكل من يشعر أن هناك جوانب أو أحداثاً شابها أيُّ تقصير أو قصور ؛ فهذا الكتاب يعدُّ من أوائل الكتب التي تحدثت عن هذه المنطقة المجهولة ، مع أننا نَعِدُ ـ إن شاء الله تعالى ـ بأن نَسْتَدرِك جوانب الضعف إن كان هناك روافد تصبُّ في المنهج العام للكتاب .

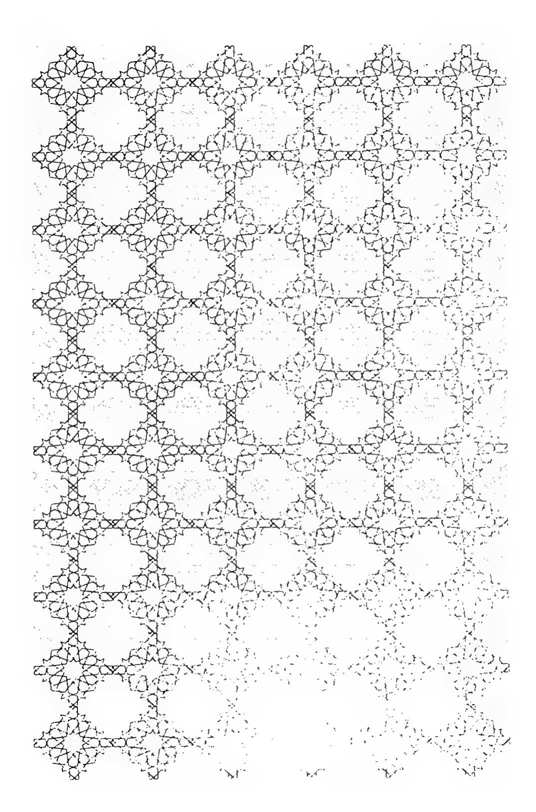
وأخيراً : نتمنى للقارىء الكريم أن يُبْحر معنا في سفينة هذا الكتاب ؛ ليصل إلى التعرف على هذه المنطقة؛ بجغرافيتها ، وأحداثها ، وأعلامها ، وعاداتها، وغير ذلك.

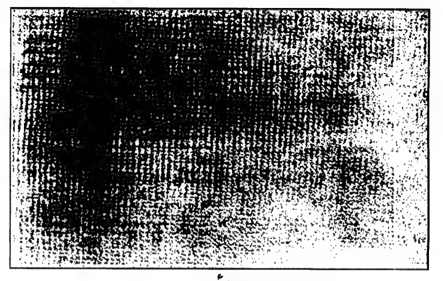
والله وَليُّ التوفيق ، وهو حَسْبنا ونِعمَ الوكيل

وكتبه رئيس اللجنة
أبو نصوح
محمد غسان نصوح عزقول

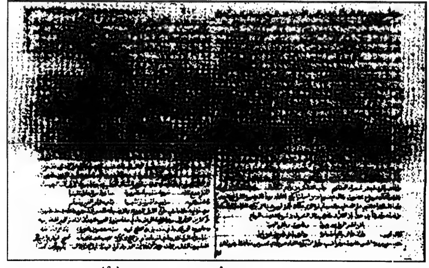


صور المخطوطات المستعان بها





راموز الورقة الأولى للنسخة (أ)

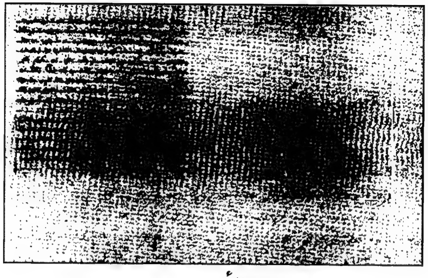


راموز الورقة الثانية للنسخة (أ)

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (أ)

حضرموت

راموز الورقة الأولى للنسخة (ب)



راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ب)





إدام القوت

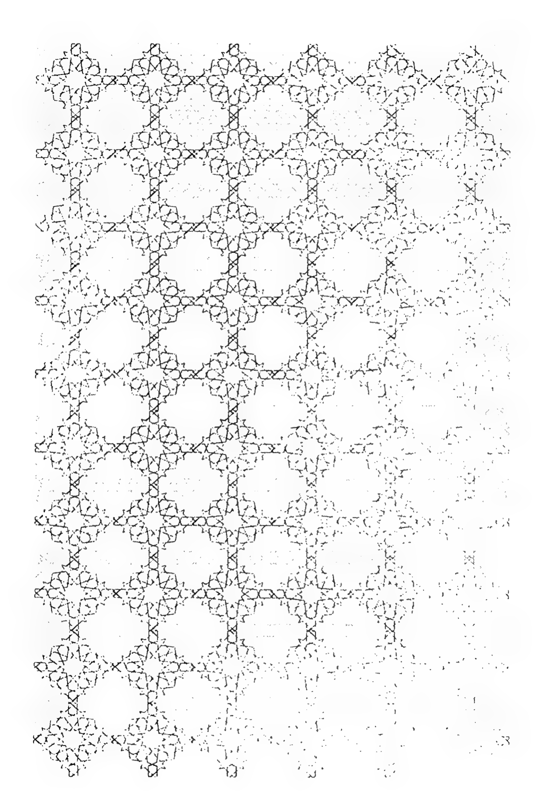
في ذكر بلدان حضرموت

تأليف

علامة حضرموت ومفتيها

السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف

رحمه الله تعالى



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[المقدِّمة]

أَمَّا بعدَ حَمْدِ ٱللهِ لكمالِهِ ، وٱلصَّلاةِ وٱلسَّلام علىٰ نبيِّهِ وأَصحابهِ وآلِهِ . . فهٰذا ما ٱنتهىٰ بهِ ٱلسَّير ، في ٱقتراحِ بَلْخَيْر[1] ، وما ظَنَنتُهُ كذا ، فقد لقَّاني أَذىٰ ، إِذْ لَم يَكُنْ لَهُ مثالٌ يُحتذىٰ ، لقد خِلْتُهُ أَدنىٰ مِنَ ٱلقابِ[2] ، فإِذا هوَ أَنأَىٰ مِنَ ٱلعُقابِ[3] ؛ فٱلحاصلُ كثيرٌ ممَّنْ خَنَقَ دِقَاقُهُ ٱلرقابَ[4] ، وبما أَنَّ مِثلَهُ يُديمُ ٱلذِّكرىٰ في ٱلأَعقابِ ، ويُخلِّدُها طولَ ٱلأَحقابِ[5] . . فقد أَهديتُهُ لِمَنْ أَخذَ على ٱلكرامِ ٱلأَنقابَ[6] ، وغنيَ عنِ

---

(١) عندما أَطْلع الأُستاذ بلخير علىٰ كتاب ابن عبيد الله المسمَّىٰ « بضائع التابوت » . . اقترح عليه أَن يلتقط منه ما يخصُّ البلدان الحضرميَّة ويجعله علىٰ شكل معجم ؛ ليسهل الاطِّلاع عليه والرُّجوع إِليه . . فخرج كتابنا هٰذا « إِدام القوت » . وبلخير المشار إِليه هنا ، هو معالي الشيخ الأديب الوزير المعمَّر عبد الله بن عمر بن محمد بن عمر بن حسين بن عمر دحدوح ابن أحمد بن حسن بلخير الحضرمي الدوعني ، مولده بغيل بلخير سنة (١٣٣١هـ) ، نشأ في بيئة علمية محافظة وهاجر بصحبة والده إلى الحجاز سنة (١٣٤٥هـ) ، ثم التحق بالمدرسة الأهلية في الشبيكة سنة (١٣٤٦هـ) ، ثم التحق بمدرسة الفلاح سنة (١٣٤٨هـ) ، وتخرج منها سنة (١٣٥٣هـ) وفي سنة (١٣٥٤هـ) أُبتُعِث إلى بيروت لإتمام دراسته في جامعتها الأمريكية ، وصحب ثلة من أبناء العائلة المالكة وأبناء الوزراء لنجابته ولعناية الحكومة به ، تقلد مناصب حكومية هامة ، منها : أنه أول وزير إعلام في المملكة العربية السعودية ، توفي يوم الأحد (٤/ شوال / ١٤٢٣هـ) .

(٢) القابُ : المقدار ، وقاب القوس : مقبضهُ ، وهو كناية عن القرب ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ .

(٣) العُقاب : طائر من الجوارح ، يُحلِّق بعيداً في الفضاء فلا يناله أَحد بسهولة . أو العِقابُ ـ جمع عقبة ـ وهي : المرقى الصَّعب من الجبال ، والظاهر الأَوَّل . والله أعلم .

(٤) الدقاق : ما دقَّ وصَغُرَ ، والمعنىٰ : أن ما تحصَّل من المجموع كثير للجامع الذي حمل عبئاً يخنق حمل صغاره الرقاب فضلاً عن كباره .

(٥) الأَحقاب : الدُّهور .

(٦) الأَنقابُ ـ جمع نقب ـ وأَصله : الشقُّ في الجبل ، ومنه الحديث : « فَإِنَّ عَلَىٰ أَنْقَابِهَا مَلاَئِكَةً » . والمقصود : أَنَّه منعهم من التَّقدُّم في حلبة المكارم بوفرة نداه ؛ حيث لا يقوون علىٰ مجاراته .

ٱلأَوصافِ وٱلألقابِ ، طلاَّعِ ثنايا ٱلشَّرفِ وٱلمجد ، ووليِّ عهدِ ٱلحجازِ ونجد[1] ، مَنْ أَنطقَ يراعَ ٱلإِشادهْ ، بما تَسمعُ إِنشادَهْ [مِنَ الطَّويل] :

يَقُـولُـونَ : سُـوقُ ٱلْعِلْـمِ بَعْـدَ قِيَـامِهَـا	أُصِيبَـتْ عَلَـىٰ طُـولِ ٱلْمَـدَىٰ بِقُعُـودِ
فَقُلْـتُ لَهُـمْ : قَـدْ أَدْرَكَ ٱللهُ أَهْلَهَـا	وَخَـوَّلَهُـمْ مِـنْ جُـودِهِ بِسُعُـودِ
فَقَـالَ لأَيَّـامِ ٱلـرَّشِيـدِ وَنَجْلِـهِ	وَأَيَّـامِ أَبْنَـاءِ ٱلْعَنَـابِسِ : عُـودِي[2]
فَبُشْـرَىٰ رِيَـاضِ ٱلْعِلْـمِ مِنْـهُ فَهَـٰذِهِ	مَخَـايِلُـهُ فِـي بَـارِقٍ وَرُعُـودِ[3]

عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عُبيدِ ٱللهِ

* * *

(١) يعني بهـٰذا من صَرَّح بذكره في البيت الثاني الآتي ذكره ، وهو الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ، المولود بالكويت سنة(١٣١٩هـ) ، والمتوفىٰ بأثينا اليونان سنة (١٣٨٨هـ) . وكان المذكور إبَّان تأليف هـٰذا الكتاب ولياً للعهد في حياة والده الملك عبد العزيز ، وتولَّىٰ حكم المملكة العربية السعودية عقب وفاة أبيه سنة (١٣٧٣هـ) . ينظر : « الأعلام » (٣/ ٩٠) ، « شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز » (٧٧٣) ، (١٤٠٤) .

(٢) **العنابسُ** : العنابس من قريش هم أَولاد أُميَّةَ الأَكبرِ ٱبن عبد شمس بن عبد مناف ، وهم : أَبو سفيان ـ وهو أَكبرهم ، كان يلقب عنبسة كما في « التَّبيين » ـ وسفيان ، وحرب ، وأَبو حرب ، وعمرو ، وأَبو عمرو . هـٰؤلاء ستَّة ، ولهم أَربعة إِخوة آخرين يلقَّبون الأَعياص ، وهم : العاص ، وأَبو العاص ، والعيص ، وأَبو العيص . والله أَعلم .

(٣) **المخايلُ** : السَّحاب ، ويُطلق أَهل حضرموت اسم (المَخِيْله) على السَّحاب إِذا كان متراكماً وبرقت بروقه . وكأَنَّ جوده يغمر النَّاس في الكرم كما يغمرهم السَّحاب بالمطر .

حَضْرَمَوْتُ[1]

ساكنةُ ٱلضَّادِ ، مفتوحةُ ٱلميمِ ، قال أبو صخرٍ ٱلهذليُّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

حَدَتْ مُزْنَةٌ مِنْ حَضْرَمُوتَ مَرِيَّةٌ   ضَجُوجٌ لَهَا مِنْهَا مُدِرٌّ وَحَالِبُ[2]

وقال عبد يغوث الحارثي [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

أَبَا كُرَبٍ وَٱلأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا   وَقَيْساً بِأَعْلَىٰ حَضْرَمَوْتَ ٱلْيَمَانِيَا

وهـٰذا ٱلبيتُ مِن قصيدةٍ لها قصَّةٌ وشرحٌ يوجدانِ في « خزانةِ ٱلأدبِ » [٢/ ١٩٤ـ٢٠٢] .

ويروىٰ : أن قيساً لمَّا سمعَهُ . . قال : لبيك ، وإن أخَّرتني .

وما هو إلاَّ محض تعنُّتٍ ، وإلاَّ . . فٱلوزنُ يمهِّد لما هوَ أكبرُ مِن هـٰذا ، علىٰ أَنَّ أَساليبَ ٱلقرآنِ ٱلتَّعلِّي ، وفيهِ شَبَهٌ بما ذكرَ ٱلسُّيوطيُّ في « شواهدِ ٱلمغني » ، والأصفهانيُّ في « ٱلأغاني » [٢٢/ ٣٠٨] أخرجا عنِ ٱبنِ سيرينَ أن سُحيماً قدمَ علىٰ عمرَ بنِ ٱلخطَّابِ . . فأنشدَهُ قصيدتَه ٱلَّتي يقولُ فيها :

كَفَى ٱلشَّيْبُ وَٱلإِسْلاَمُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا   . . . .

فقال : لَو قدَّمتَ ٱلإسلامَ على ٱلشَّيبِ . . لأجَزْتُكَ .

وفي « ٱلصَّحيحِ » [خ ٣٧٥٨] مِن حديثِ عبدِ ٱلله بنِ عمرٍو مرفوعاً : « اِسْتَقْرِئُوا ٱلْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ ؛ مِنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ فَبَدأَ بِهِ ـ وَسَالِمٍ مَوْلَىٰ أَبِي حُذَيْفَةَ ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ » .

---

(١) حَضْرَمَوْتُ : بالفتح ثُمَّ السُّكون وفتح الرَّاء والميم . ومنهم من يضمُّ الميم فيجعلها (حَضْرَمُوت) ، علىٰ وزن : عنكبُوت .

(٢) البيت الذي ذكره المؤلف رحمه الله تعالىٰ . . لشاعرٍ هذلي ، وهو عندهم بضمِّ ميم (حضرمُوت) ؛ إذ هي لغة هذيل قبيلة الشاعر ، وذكره في « معجم ما استعجم » (١/ ٤٥٥) شاهداً على ذلك . **المزنة** : السحابة البيضاء . المريَّة : الناقة الغزيرة الدَّرِّ ؛ من المَرْي وهو الحلب . **الضجوج** : الناقة التي تضجُّ إذا حلبت ، فالشاعر هنا شبه السحابة بالناقة الكثيرة اللبن . **المدِرُّ** : التي يدرُّ لبنها .

وفيهِ أيضاً [خ ٣٧٩١] أنَّ رَجُلاً منَ ٱلأنصارِ قالَ : يا رسولَ ٱللهِ ؛ خُيِّرَ دورُ ٱلأنصارِ فَجُعلنا آخراً ، فقالَ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : « أَوَلَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ ٱلْخِيَارِ » .

ولغةُ هُذيلٍ ضمُّ ضادِ حضرمُــوت(١) .

قالَ ٱلهَمْدانيُّ : (وحضرموتُ هيَ جُزْءُ ٱليمنِ ٱلأصغرُ ، نُسِبتْ إلىٰ حَضْرَمَوْتَ بنِ حِمْيَرَ ٱلأصغرِ ، فغَلَبَ عليها ٱسمُ ساكنِها ، كما قيلَ : خَيْوان ونَجْران ، وٱلمعنىٰ : بلدُ حَضْرَمَوْت ، وبلدُ خيوان ، ووادي نجران ؛ لأنَّ هـٰؤلاءِ رجالٌ نُسِبتْ إليهِم هـٰذهِ ٱلمواضعُ) اهـ(٢)

وقيلَ في تسميتِها غيرُ ذلكَ .

وهيَ ٱلمنطقةُ ٱلحارَّةُ علىٰ بُعدِ أَربعَ عَشْرَةَ أو خمسَ عَشْرَةَ درجةً مِن خطِّ ٱلاستواءِ ، هواؤُها علىٰ مقربةٍ مِنَ ٱلاعتدالِ ، وقد يشتدُّ ٱلحرُّ وٱلبردُ فيها ، وٱلغالبُ أنْ لاتطولَ مدَّةُ تلكَ ٱلشِّدَّةِ ، وربَّما ٱمتدَّ ٱلحرُّ مِن نيسانَ إلىٰ تشرينَ ٱلثَّاني ، وٱلبردُ إلىٰ آذار ، وكثيراً ما يحرقُ ٱلزُّروعَ وبعضَ ٱلأشجارِ ، وعنِ ٱلشَّيخِ ٱلمؤرِّخِ سالمِ بنِ حميد : أنَّ ٱلبردَ ٱشتدَّ مرَّةً بحضرموتَ ، وأَحرقَ في نجمِ ٱلإكليلِ ، وهو شيءٌ مخالفٌ للعادةِ .

وحرُّ حضرموتَ في ٱلأزمنةِ ٱلمتأخِّرةِ أَشدُّ وأطولُ مِن بردِها ، وفي مروحةِ ٱلأُستاذِ عبد الله بن علويٍّ الحدَّاد [مِنَ ٱلوافر] :

وَمِــرْوَحَــةٌ تَــذُودُ ٱلْحــرَّ عَنَّــا ... ثَــلاَثَــةَ أَشْهُــرٍ لاَ بُــدَّ مِنْهَــا
حُــزَيْــرَانٌ وَتَمُّــوزٌ وَآبٌ ... وَفِــي أَيْلُــولَ يُغْنِــي ٱللهُ عَنْهَــا

وقد سبقَ أنَّهُ قد لا يغني ٱللهُ عنها في أيلولَ ومدخلِ حزيرانَ في نحو ٱلثَّالثَ عشرَ من يوليَه ، وٱلتَّاسعِ من نجم ٱلقلبِ .

وحضرموتُ مَظِنَّةُ ٱلكنوزِ وٱلمعادِنِ ، وٱلكتاباتُ بٱلمسندِ ٱلحميريِّ موجودةٌ بكثرةٍ علىٰ حجارة أَطلالِها منَ ٱلبلدانِ ٱلقديمةِ ، وفي (ص١٢٢ ج٦) من « الحديقة » :

---

(١) تقدَّم أن لغة هذيل ضم ميم حضرموت لا ضادها . وانظر « معجم ما استعجم » (١/ ٤٥٥) .

(٢) صفة جزيرة ٱلعرب (١٦٥ـ١٦٦) .

(أَنَّ مدينة أَوْفير ٱلَّتي جاءَ في سفرِ ٱلملوكِ ٱلثَّالثِ مِنَ « ٱلتَّوراةِ » أَنَّ سليمانَ عليهِ ٱلسَّلامُ جلبَ مِنها ستَّ مَئةٍ وستَّةً وستينَ قنطاراً من ٱلذَّهبِ في سنةٍ واحدةٍ . . هيَ في شرقيِّ عدنٍ ، على مسافة أَربعِ مئةِ ميل) اهـ

وذلكَ صالحٌ لأَنْ يكونَ في حضرموتَ ، وسيأْتي ذكرُ فُرطِ ٱلحُمَيْرا في موضعِهِ ، قُبَيلَ ٱلقَارَة .

وفي ذلكَ ٱلسِّفرِ أَيضاً : ذكرُ ٱلاتِّفاقِ بينَ ملكِ أُورشليمَ ـ وهوَ سليمانُ عليهِ ٱلسَّلامُ ـ وملكِ صورٍ ـ وهوَ حيرومر ـ علىٰ إنشاءِ ٱلسُّفنِ لتمخُرَ ٱلبحرَ ٱلمحيطَ ٱلهنديَّ وغيرَهُ ، وترسوَ بمراسي ٱلشِّحرِ وظفارٍ ، ٱلمسمَّاةِ لذلكَ ٱلعهدِ بزفز ؛ لأَنَّها كانت مقرَّ ثروةٍ عظيمةٍ ، وواسطةَ ٱتِّصالٍ بينَ ٱلشَّرقِ وٱلغربِ كما يأْتي في موضعِهِ .

ويَحُدُّها شمالاً : صحراءُ ٱلأَحقافِ . **وجنوباً** : بَحْرُ عُمَان . **وشرقاً** : سلطَنَةُ مَسْقَط . **وغرباً** : ولايةُ ٱليمنِ . وهـٰذا أَوسعُ ٱلحدودِ عندَ ياقوت مِنَ ٱلجهاتِ ٱلثَّلاثِ ، أَمَّا مِنْ جهةِ ٱلشَّمالِ . . فلا ؛ لأَنَّهُ كٱلصَّريحِ في إخراجِ صحراءِ ٱلأَحقافِ عن حَدِّها ، وقيل : إنها ـ أو بعضها ـ منها ، لاسيَّما وأَنَّ ٱلخطَّ ٱلَّذي يمتدُّ مِنْ سلطنةِ مَسْقط إلى ٱلجهةِ ٱلغربيَّةِ يشمَلُها ، بل يشمَلُ أَكثرَ منها ، فلَئِنْ خرجتْ في كلامِ ياقوت مِنْ ناحيةٍ . . فقد دخلتْ فيهِ مِنَ ٱلنَّاحيتينِ ٱلأُخرَيينِ[1] .

---

(١) ومن أدق ما حددت به حضرموت : ماورد في « الشامل » (٢٦ـ ٢٧) من بدء الحدود من عين بامعبد ، وهي بأعلىٰ حضرموت كما قرره المؤلف ، وتقع عين بامعبد على خط العرض (٢٥ـ ٢ـ ١٤) (أربع عشرة درجة ودقيقتين وخمس وعشرين ثانية) من خط العرض الشمالي وهي في الساحل في الجانب الغربي الجنوبي بين حضرموت وأحور ، فتدخل : بير علي وبلحاف . ثم يمتد خط الحدود منها إلى الشمال بخط معترض يزداد ميلاً إلى جهة الغرب ، حتى ينتهي إلى البرية عند مخرج وادي جردان إلى الصحراء . وهـٰذا الحد غير مستقيم بل هو متقدم إلى جهة الغرب في جردان وإلىٰ جهة الشرق ني عين بامعبد وخط العرض الواقع عليه جردان (١٤ـ ١٥) (خمس عشرة درجة وأربع عشرة دقيقة) . . فالبعد بينه و بين (العين) نحو (٧٢) ميلاً إلاربعاً من جهة خط الاستواء .

ثم الحد الثاني : من عين بامعبد إلى مَخْرَج وادي المسيلة ، بين سيحوت ودَرْفوت ، وطول هـٰذا الخط الممتد : (٢١٠) أميال .

والحد الثالث : خط هلالي غير منتظم التقويس ، يبتدىء من سيحوت ويمتد إلى البر في نحو نصف=

وفي تواريخِ حَضْرَمَوْتَ أَنَّ حَدَّها : مِنْ جهةِ ٱلسَّاحلِ : عينُ بامعْبَدٍ ، وبُرُومُ ، وٱلشِّحْرُ ونواحيها ، إِلىٰ أَرضِ ٱلمَهْرَةِ شرقاً . ومِنْ جَرْدَانَ ونواحيها ٱلغربيَّةِ إِلىٰ أَرضِ ٱلمَهرةِ أَيضاً شرقاً[1] .

وعلىٰ هـٰذا . . فلا تدخلُ فيها ظَفَارُ ٱلحَبُوظِيِّ ، وجَزَمَ كثيرونَ بدخولها في حدِّها ، وتفصيلُ ذلكَ في «ٱلأَصْلِ»[2] .

= دائرة ، فيمر بخط يقطع بين الرمل والنجد ، حتى يصير أعظم تقويسه أمام ريدة الصيعر ، ثم ينعطف على الجبل الأبتر ، فرمال شبوة ، حتى ينحط قرب مخرج وادي جردان .

هل حضرموت هي الأحقاف؟

صنيع المؤلف هنا قاض بأن صحراء الأحقاف هي الواقعة في شمال حضرموت ، وهـٰذا هو الواقع ، وإن كان بعض المتأخرين يدعون وادي حضرموت بوادي الأحقاف .

قال العلامة الحداد في « الشامل » (١٨ـ ١٩) (**وادي الأحقاف** : هـٰذا الاسم اشهر في الزمن الأخير ، وأما الأحقاف. . فقد قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾ ، والمراد بالأحقاف : جبال الرمل الموجودة في الرمل المعروف بالبحر السَّافي ـهو الربع الخالي ـ شماليَّ حضرموت ، أضيف وادي حضرموت إليها لقربه منها ، وليس في حضرموت أحقاف رمل كما يتوهم ذلك من لايعرفها ؛ فإن حضرموت جبل متصل بجبال اليمن الجنوبية ، يشرف جنوبيُّه الغربيُّ على البحر ، وشماليُّه وغربيُّه الشمالي علىٰ رمل الأحقاف .

. . . ولايتوهمَنَّ أحد أن منازل عادٍ كانت رملاً ؛ فإن الرمل لا تكون فيه عيون جارية ، ولا جنات ، ولا مصانع ، وإنما طغى عليها الرمل بعد ذلك ، وكانت قبل ذلك أرضاً متسعةً طيبة ، ذات عيون جارية ، وجنات وخصب ، كما أخبرنا الله في كتابه) اهـ

وقال ياقوت (١/ ١١٥) : (والأحقاف المذكورة في الكتاب العزيز : وادٍ بين عمان و أرض مهرة ؛ عن ابن عبّاس . قال ابن إسحاق : الأحقاف رمل فيما بين عمان إلى حضرموت . وقال قتادة : الأحقاف رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن وهـٰذه ثلاثة أقوال غير مختلفة في المعنى) اهـ .

قال في « الشامل » (ص ١٩) عقب هـٰذا : (وهـٰذا هو الذي يطلق عليه علماء العرب لفظ : (أرض وَبَار) غالباً) اهـ

(١) مما اعتمد عليه الشيخ المؤلف رحمه الله تعالى في ذكر حدود حضرموت كتاب : « الهديَّة السَّنية » للعلامة أحمد بن حسن الحداد وهو بدوره اعتمد علىٰ : « النُّور السَّافر » ، و « المشرع الرَّويّ » ، وغيرهما ؛ كـ« مناقب آل باقشير » ، ذكر ذلك في « بضائع التابوت » (١/ ٩٨) .

(٢) حاصل ما أَحال عليهِ من تفصيلٍ : أَنَّ مؤلف « الهدية » أَطال التَّردُّد في دخول ظَفار ومشقاص المهرة في =

والأقربُ : أنَّ حدَّها المصغَّرَ هو : حدُّها الدَّوليُّ في أيَّامِ بني قحطانَ ؛ بأمارةِ أنَّهم يُسَمُّونَ ذلكَ : واديَ بنِ راشدٍ ؛ يعنونَ : عبدَ الله بنَ راشدٍ القحطانيَّ المشهورَ .

وحدَّها المكبَّرَ هو : حدُّها الطَّبيعيُّ .

وقالَ الطَّيِّبُ بامخرَمَةَ في كتابِهِ « نسبةُ البلدانِ »(١) [٩١ خ] : (قالَ القاضي مسعودٌ : هيَ مِنْ قبرِ هودٍ عليهِ السَّلامُ إلى القَطْنِ . وعُرضُها مِنَ الشَّمالِ : الصَّيْعَرُ وبنو عكير والشَّمَّاخُ وتَميم ، إلىٰ ريفِ البصرةِ وعُمان . وعرضُها مِنَ الجنوبِ : الغَيْلُ الأعلىٰ والغَيْلُ الأسفلُ إلىٰ حدِّ سَيْبان ، والحُمُومُ والمَهْرَةُ) اهـ

وفي هٰذا الكلامِ خبطٌ كثيرٌ ؛ لأنَّهُ يُضيِّقُها مِنَ الحدودِ الثَّلاثةِ ومِنَ الشَّمالِ بإيهامِهِ خروجَ أرضِ الصَّيْعَرِ عنها ، وهيَ ـ كما يأتي آخرَ الكتابِ ـ كنجدِ آل كثيرٍ والعوامرِ والمناهيلِ : نجودُ حضرموتَ .

ويُوسِّعُها مِنْ هٰذا الحدِّ بقولِهِ : (إلىٰ ريفِ البصرةِ) وليسَ الأمرُ كذلكَ .

وللحضارمةِ اصطلاحٌ أخيرٌ مصغَّرٌ في حدِّها ، فيجعلونَها مِنَ العَقَّادِ ؛ وهوَ مكانٌ يقربُ مِنْ شِبَامٍ في غربيِّها إلىٰ قبرِ نبيِّ اللهِ هودٍ عليهِ السَّلامُ ، لٰكنَّ المعتبرَ في الأيمانِ والنُّذورِ والوَصايا . . الأوسعُ ، كما قرَّرتُهُ في «الأصلِ»(٢) .

= حدود حضرموت ، ونقل عن بعض مصادره ما يفيد دخول ظفار والمشقاص كله في الحدِّ الحضرميِّ . ثم قال : وظاهره دخول ظفار والمشقاص كلِّه فيه ، لٰكن مؤلف « الهدية » تردَّد في ظفار ـ كما قدَّمنا ـ نفياً وإثباتاً ، وتوسَّط في المشقاص ؛ فقال بدخول مشقاص الظَّني ، وخروج مشقاص المهري الَّذي أوَّله بديعوت ، واستقرب بعد ذلك خروج ظفار . . إلخ . من « بضائع التابوت » (١/٩٨ـ٩٩) . والمشقاص الظَّنِّي : أي الذي يسكنه بنو ظَنّة التَّميميُّون ، وهو بمحاذاة الموضع المسمَّىٰ (بديعوت) في ساحل المهرة .

(١) أي : كتاب « النسبة إلى المواضع والبلدان » .

(٢) هٰذا الحدُّ هو ما قرَّره الشَّيخ أبو بكر باشراحيل ـ من أهل القرن العاشر ـ في « مفتاح السُّنَّة » كما نقل نصّ عبارته في « بضائع التَّابوت » (١/١٠١) وهي : (حضرموت بلاد مشهورة متَّسعة ، من بلاد اليمن ، تجمع أودية كثيرة ، وقد اختصَّ بهٰذا الاسم وادي ابن راشد ، طوله نحو مرحلتين أو ثلاث من العقَّاد إلىٰ قبر هود عليه السلام ، ويطلق علىٰ بلاد كثيرة) اهـ

وكذلك قرَّره الإمام أحمد بن حسن الحدَّاد في « الهديَّة السَّنيَّة » ، وعبارته : (لا يطلق لفظ =

إلاَّ أنَّهُ نَجَمَ إشكالٌ ذكرتُهُ معَ جوابهِ في قيدونَ . . فانتظرهُ ؛ فكلُّ آتٍ قريبٌ .

وفي مادَّتَيْ : (عَبَدَ) و(عَبْدَلَ) مِنَ « ٱلتَّاج »[1] : أَنَّ ٱسمَ حَضْرَمَوْتَ ٱلأَوَّلَ هوَ : عَبْدَلُ .

وقالَ بعضهُم : إنَّ حَضْرَمَوْتَ كانت تُسمَّىٰ وَبارِ ، ثمَّ سُمِّيتْ : وادي ٱلأَحقافِ ، ثمَّ سُمِّيتْ : حَضْرَمَوْتَ .

ولاحظتُ عليهِ تأَخُّرَ حَضْرَمَوْتَ بنِ حميرَ ٱلأَصغرِ ووبارِ عن هود وٱلأَحقافِ كما يشهدُ لذلكَ ذِكرهُ في كتابِ ٱللهِ ٱلقديمِ ، ويأْتي في ٱلشِّحرِ أَنَّها تُسمَّىٰ : الأَحقاف ، وفي « التاج » عن « ٱلمعجم » [١/١١٥] : (روي عنِ ٱبنِ عبَّاسٍ أَنَّها وادٍ بينَ عُمانَ وأرض المهرة . وقال ابن إسحاقَ : الأَحقافُ رملٌ فيما بينَ عمانَ وحضرموتَ . وقالَ قتادةُ : الأَحقافُ رمالٌ مشرفةٌ علىٰ هَجرٍ بٱلشِّحرِ مِن أَرضِ ٱليمنِ . قال ياقوت : فهـٰذهِ ثلاثةُ أَقوالٍ غيرُ مختلفةٍ في ٱلمعنىٰ) اهـ

= حضرموت الآن ـ بل ومن زمان ـ إلاَّ علىٰ وادي ابن راشد فقط ، وحدُّه : من العقَّاد إلىٰ قبر نبيِّ الله هود عليه السلام) اهـ « بضائع التابوت » (١/ ٩٩) . أمَّا ما يتعلَّق بالوصايا والأَيمان والنُّذور . . فهي مسأَلة عرضت للمصنِّف أثناء بحثه موضوع حدود حضرموت . قال في « بضائع التَّابوت » (١/٩٩ـ١٠٠) : (وتعترضنا في طريق الموضوع مسأَلة لها أَهميَّتها الكبرىٰ ، وهي : ما الَّذي يعتبر من حَدَّي حضرموت للأَيمان والطَّلاق والنُّذور وما أَشبه ذلك؟ وساق الجواب علىٰ هـٰذه المسأَلة أَو الاستشكال في أَكثر من ثلاث صفحات . . نقل فيها كلاماً عن الشَّيخ ابن حجر في « التحفة » في تخصيص اللَّفظ العامِّ بالعرف الخاصِّ ، وهل العرف ينقل اللَّفظ عن مدلوله اللُّغوي إلىٰ ما هو أَخصُّ منه . . وخَلُص كلام الشَّيخ ابن حجر إلىٰ أَنَّ الأَصل أَنَّ العمل يكون باللُّغة (قبل تخصيصها بالعرف) متىٰ شَملت واشتهرت ولم يعارضها عُرْف أَشهر منها . . فإن اختلَّ أَحدهما . . اتُّبع العرف إن اشتهر واطَّرد . . إلخ .

وبنىٰ علىٰ هـٰذا : أَنَّ حدَّ حضرموتَ الأَصغر الَّذي تقدَّم آنفاً نقله عن باشراحيل والحدَّاد . . إنَّما هو من باب اطِّراد العرف لغلبة الشُّهرة به علىٰ شهرته اللُّغوية بالحدِّ الأَوَّل الأَوسع ، وعليه : فالاعتبار في الأَبواب الفقهيَّة المذكورة إنَّما هو بالوضع اللُّغويِّ الأَصليِّ لا الوضع العرفيِّ الطارىء ، وأَيَّده بكلام ابن حجر في « الفتاوى الكبرىٰ » (٤/ ١٥٨) و(٤/ ٢٦٤) .

(١) أي : كتاب « تاج العروس في شرح القاموس » للإمام الحافظ محمد مرتضى الزبيدي الحسيني ، مطبوع في (٤٠) مجلداً .

وفيهِ أَيضاً : أَنَّ ٱلحِقْفَ أَصلُ ٱلجبلِ ، ومنَ ٱلشِّحرِ إلى ٱلدَّهناءِ سلسلةُ جبالٍ تخللها ٱلأوديةُ .

وفيه عن « اللسان » : (أَنَّ كلَّ ما طالَ واْعوجَّ . . فقدِ ٱحقوقَفَ) اهـ

وكذلكَ حضرموتُ جبالاً ورمالاً ، وكثرةُ أَحقافِ ٱلرَّملِ بٱلدَّهناءِ في شمالِ حضرموتَ لا يغبِّرُ علىٰ إطلاقهِ على ٱلبلادِ بأَسرِها ، لاَ مجازاً فقط مِن إطلاقِ ٱلجزءِ على ٱلكلِّ كما في قوله : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ﴾ . . بل حقيقةً ؛ لِمَا علمتَ أَنَّ حضرموتَ سلاسلُ جبالٍ ورمالٍ . . فٱلأَحقافُ ٱسمٌ لجميعِ حضرموتَ ، لا للرِّمالِ ٱلَّتي في شمالِها فقط .

وقال ٱلشَّيخ أَبو بكرِ بنُ عبدِ ٱللهِ باشراحيلَ ٱلحضرميُّ ٱلشِّباميُّ في كتابهِ : « مفتاحِ ٱلسُّنةِ » : حضرموتُ بلادٌ مشهورةٌ متَّسعةٌ مِن بلادِ ٱليمنِ ، تجمعُ أَوديةً كثيرةً ، وقدِ ٱختُصَّ بهٰذا ٱلاسمِ وادي ٱبنِ راشدٍ ، وساحلُها : العينُ وبرومٌ إلى ٱلشِّحرِ ونواحيها ، والأَحقافُ بلادُ عادٍ .

وفي « سيرة ابن هشام » : بلادُ عادٍ بينَ حضرموتَ وعُمان ، وقيلَ : الأَحقافُ رملةُ ٱلشِّحرِ ، وليس بشيءٍ . . إلاَّ أَنْ يُرادَ بٱلرَّملةِ ماوراءَ جبل ٱلشِّحرِ ٱلَّذي عندَ ظفارِ ٱلحبوظيِّ ؛ فثَمَّ رملةٌ متَّصلةٌ بطرفِ عُمانَ ، وهٰذا لاَ يُغبِّرُ علىٰ إطلاقِ ٱلأحقافِ علىٰ سائرِ بلادِ حضرموتَ ؛ لأَنَّ ٱلأَمرَ كما سبقَ ، ولأَنَّ مثاني أَوديةِ ٱلأَحقافِ رمالاً كثيرةً ؛ منها : ٱلَّتي في جنوبِ بَوْر ، وٱلَّتي ما بين ٱلسَّومِ وقَسَم ، ويتأَكَّدُ بما سيأْتي في ٱلشِّحرِ عن « مروج ٱلذَّهبِ » للمسعوديِّ .

وفي (ص٥٧ ج٥) من « صُبحِ ٱلأَعشى » عن « العِبَرِ » : أن عُماناً كانت في ٱلقديمِ لعادٍ معَ ٱلشِّحرِ وحضرموت وما والاهما .

فٱلشِّحرُ وحضرموتُ : بلادُ عادٍ ، وبلادُ عادٍ هي ٱلأَحقافُ . . فلا مُشاحَّةَ في شيءٍ ، وفي وجودِ قبرِ نبيِّ ٱللهِ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ بآخرِ حضرموتَ . . أَقوىٰ تأكيدٍ لذلكَ .

وفي « الرِّياضِ ٱلمُؤْنِقَةِ » للعلاَّمةِ ٱلجليلِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ : (الأَرضُ

ٱلجُرُزُ ٱلمذكورةُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ . . هي حضرموتُ ، يحدُّها ٱلمشقاصُ إلىٰ عينٍ بامعبد ، إلى ٱلشِّحرِ ، إلىٰ مأربَ ، وليست غيرَها ، وذلك لما ذكرهُ ٱلإمامُ ٱلبخاريُّ في « صحيحه » في تفسيرِ سورةِ ٱلجُرُزِ : أنَّها ٱلَّتي لا يصلُها من ٱلماءِ إلاَّ دونَ كفايتِها .

ولا نعلمُ أرضاً أولىٰ بهـٰذا من هـٰذهِ ٱلجهةِ ٱلحضرميَّةِ ، ولا أجرزَ ولا أسنتَ[١] ، ولا أغلىٰ أسعاراً ، ولا أقلَّ ثماراً) اهـ

ومنهُ[٢] : مثل غالب أهل حضرموت ، مِنَ ٱلسَّاحلِ إلىٰ مأربَ ، ومِن عينٍ بامعبدٍ إلىٰ سيحوت ، في ٱلسعي ٱلممقوت ، وضعفِ ٱلبخوت . . كمثَلِ ٱلعنكبوتِ ٱتَّخذَتْ بيتاً ، وإنَّ أوهنَ ٱلبيوتِ لَبيتُ ٱلعنكبوت . . . إلىٰ آخر ما أطالَ بهِ في ذمِّ أهلِها . ونقلَهُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ باسودانَ في كتابهِ ٱلَّذي ترجمَ بهِ للعلاَّمةِ ٱلسَّيِّد عليِّ بنِ حسنٍ ووسمهُ بـ : « جواهرِ ٱلأنفاسِ » ، وقال : (وَتحديدُ حضرموتَ في **ٱلعرفِ ٱلعامِّ** ـ كما حقَّقهُ شيخُنا عليُّ بنُ شهابٍ في رسالةٍ مختصرَةٍ ـ : من مرباطِ ٱلحبوظيِّ إلىٰ حَبَّانَ ، فيدخلُ مرباطُ ٱلحبوظيِّ دونَ حَبَّانَ . **وأمَّا ٱلعرفُ ٱلخاصُّ** : فمِن شبامٍ إلىٰ تريمٍ) اهـ

وٱسمُ حَضْرَمَوْتَ في ٱلتَّوراةِ كما نقلَهُ ياقوتُ [٢/ ٢٧٠] عنِ ٱبنِ ٱلكلبيِّ[٣] : حاضر ميت .

وكانَ يقالُ لَها : وادي سُكَاك أيضاً .

وأنشدَ ياقوتُ [٢/ ٢٧٠] لبعضِ شعراءِ ٱلحضارمِ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

جَـابَ ٱلتَّنَـائِـفَ مِـنْ وَادِي سُكَـاكَ إِلَـىٰ ... وَادِي ٱلأَرَاكِ إِلَـىٰ بَطْحَـاءِ أَجْيَـادِ[٤]

---

(١) قوله : أسنتَ : أجدبَ .

(٢) أي : كتاب « الرياض المؤنقة » .

(٣) ابن الكلبي هو : هشام بن محمد بن السائب الكلبي الكوفي ، أبو المنذر ، المتوفىٰ سنة (٢٠٤هـ) ، مؤرخ نسابة كأبيه ، له مصنفات كثيرة ؛ منها : « جمهرة الأنساب » (خ) ، و« ملوك كندة » ، و« بيوتات اليمن » ، و« تسمية من بالحجاز من أحياء العرب » .

(٤) التَّنائف : الصَّحراءُ . والبيت عند ياقوت :
جَـابَ ٱلتَّنَـائِـفَ مِـنْ (وَادِي سُكَـاكَ) إِلَـىٰ ... (ذَاتِ ٱلأَمَـاحِـلِ) مِـنْ (بَطْحَـاءِ أَجْيَـادِ)

وهوَ في عدَّةِ أَبياتٍ لها قصَّةٌ طويلةٌ ، أَوردها ٱلهَمْدانيُّ في « الإكليل » [١٣١/٨] وغيرُهُ[١] .

---

(١) وٱلقصَّةُ كما في « ٱلإكليل » : قالَ هشامُ بنُ محمَّدٍ قالَ : أَبو يحيى ٱلسجستانيُّ عن مرَّة بن عمرَ ٱلأَيليِّ عن ٱلإصبغ بن نباتةَ قالَ : إنَّا لجلوسٌ عندَ أَميرِ ٱلمؤمنينَ عليِّ بنِ أَبي طالبٍ رضيَ ٱللهُ عنهُ في مدَّةِ أَبي بكرٍ رضي ٱللهُ عنهُ . . إذ أَقبلَ رجلٌ حضرميٌّ مِن بلادِ حضرموتَ لمْ أَرَ أَطولَ منهُ ، فٱستشرَفَهُ ٱلنَّاسُ وراعهم منظَرُهُ ، وأَقبلَ جواداً حتَّىٰ وقفَ وسلَّمَ وجاءَ ثمَّ جلسَ ، فكثرَ إدناءُ ٱلنَّاسِ منهُ مجلساً ، فقالَ : مَن عميدكم؟

فأَشاروا إلىٰ عليِّ بنِ أَبي طالبٍ رضي الله عنه .

فقال : أَهٰذا ٱبنُ عمِّ رسولِ ٱللهِ صَلى الله عليه وسلم وعالمُ ٱلنَّاسِ ٱلمأخوذُ عنهُ؟

قيلَ : نعم .

فقالَ ٱلحضرميُّ :

أَبلِـغْ كَـلامِـي هَـدَاكَ ٱللهُ مِـنْ هَـادِ ... وَٱفْـرُجْ بِعِلْمِـكَ عَـنْ ذي غُلَّـةٍ صَـادِ
جَـابَ ٱلتَّنَـائِـفَ مِـنْ وَادي سُكَـاكَ إلَـىٰ ... ذَاتِ ٱلأَمَـاحِـلِ مِـنْ بَطْحَـاءِ أَجْيَـادِ
تَلُفُّـهُ ٱلـدِّمْنَـةُ ٱلبَـوْغَـاءُ مُعْتَمِـداً ... إلَـى ٱلسَّـدَادِ وَتَعْليـمٍ بِـإرْشَـادِ
سَمِعْـتُ بِـٱلـدِّيـنِ دِيـنِ ٱلحَـقِّ جَـاءَ بِـهِ ... مُحَمَّـدٌ وَهْـوَ قَـرْمُ ٱلحَضْـرِ وَٱلبَـادِي
فَجِئْـتُ مُنْتَقِـلاً مِـنْ دِيـنِ طَـاغِيَـةٍ ... وَمِـنْ عِبَـادَةِ أَوْثَـانٍ وَأَنْـدَادِ
وَمِـنْ ذَبَـائِـحِ أَعْيَـادٍ مُضَلِّلَـةٍ ... نَسِيكُهَـا خَـائِـبٌ ذُو لَـوْثَـةٍ عَـادِ
فَادْلُلْ عَلَى ٱلقَصْدِ وَٱجْلُ ٱلرَّيْبَ عَنْ خَلَدِي ... بِشِـرْعَـةٍ ذَاتِ إيضَـاحٍ وَإرْشَـادِ
وَٱلْمُـمْ بِهَـدْيِ هَـدَاكَ ٱللهُ مِـنْ شَعَثِـي ... وَٱهْـدِنِـي إنَّـكَ ٱلمَشْهُـورُ بِـٱلنَّـادِي
إنَّ ٱلهِـدَايَـةَ لِـلإيمَـانِ نَـائِبَـةٌ ... عَـنِ ٱلعَمَـىٰ وَٱلتُّقَـىٰ مِـنْ خَيْـرِ أَزْوَادِ
وَلَيْـسَ يَفْـرُجُ رَيْـبَ ٱلكُفْـرِ عَـنْ خَلَـدٍ ... أَقَضَّـهُ ٱلجَهْـلُ إلاَّ حَيَّـةُ ٱلـوَادِي

قالَ : فأَعجبَ علياً شعرُهُ ، وقالَ له : للهِ درُّكَ ما أَرصنَ شِعْرَكَ!! ممَّن أَنتَ؟

قال : أَنا مِن حضرموتَ . قالَ : فسرَّ بهِ عليٌّ رضي الله عنه وشرع عليه ٱلإسلامَ . فأَسلمَ علىٰ يديهِ ، ثمَّ أَتىٰ أَبا بكرٍ وأَسمعَهُ شعرَهُ . . فأَعجبَهُ وحسُنَ إسلامُ ٱلرَّجلِ .

ثمَّ أَتىٰ علياً رضي الله عنه يسأَلُهُ ذاتَ يوم ونحنُ مجتمعونَ للحديثِ ، فقال : أَعالمٌ أَنتَ بحضرموتَ . قالَ : إذا جهلتُها . . فما أَعلمُ غيرَها . قالَ : أَتعرفُ موضعَ ٱلأَحقافِ؟ قالَ : كأَنَّكَ تسأَلُ عن قبرِ هودٍ . قالَ عليٌّ : للهِ درُّكَ! ما أَخطأتَ . قالَ : نعم ، خرجتُ وأَنا في عنفوانِ الشبابِ في أَغلمةٍ منَ ٱلحيِّ ونحنُ نريدُ أَن نأْتيَ قبرَهُ لبعدِ صوتِهِ فينا ، وكثرةِ مَن ينكرُهُ .

فسرنا في وادي ٱلأَحقافِ أَيَّاماً ، وفينا رجلٌ قد عرفَ ٱلموضعَ حتَّى ٱنتهينا إلىٰ كثيبٍ أَحمرَ فيهِ كهوفٌ مشرفةٌ . . فٱنتهىٰ بنا ذلكَ ٱلرَّجلُ إلىٰ كهفٍ منها ، فدخلناهُ ، فأَمعنَّا فيهِ ، فانتهينا إلىٰ حَجَرَينِ قد =

ثُمَّ قالَ ياقوتُ [٣/٢٢٩] : وسُكاكُ موضعٌ بحَضْرَمَوْتَ .

وقالَ بعضُهُم : إنَّ مِنْ أَسمائِها : بَرْكُ ٱلْغِمادِ .

وكانَتْ حضرموتُ أَرضَ خصبٍ ورخاءٍ بما كانت تشربُ مِن فضولِ مياهِ مأْربَ حَسَبَما يأْتي في ٱلمبحثِ ٱلخامسِ من الحسيَّةِ وغيرِهِ ، وبما فيها مِنَ ٱلعيون ٱلسَّائِحَةِ على ٱلأَرضِ ، وٱلمنبثقةِ مِنَ ٱلجبالِ . . إلىٰ أَنْ سَدَّها معنُ بنُ زائدةَ ؛ إذ فعلَ فعلتَهُ ٱلَّتي فعلَ بأَهلِ حضرموتَ بعدَ أَنْ قتلوا أَخاهُ ، كَما أَشارَ إلىٰ ذلكَ مروانُ بنُ أَبي حفصةَ في قولِهِ لهُ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَطِئْتَ خُدُودَ ٱلْحَضْرَمِيِّينَ وَطْأَةً ... بِهَا مَا بَنَوا مِنْ عِزَّةٍ قَدْ تَضَعْضَعَا

فَأَقْعَوْا عَلَى ٱلأَسْتَاهِ إِقْعَاءَ مَعْشَرٍ ... يَرَوْنَ ٱتِّبَاعَ ٱلذُّلِّ أَحْرَىٰ وَأَنْفَعَا

فَلَوْ مُدَّتِ ٱلأَيْدِي إِلَى ٱلْحَرْبِ كُلُّهَا ... لأَقْعَوْا وَمَا مَدُّوا إِلَى ٱلْحَرْبِ إِصْبَعَا

وفي « ٱلنُّورِ ٱلسَّافِرِ » و« ٱلمشرعِ ٱلرويِّ » و« ٱلفوائدِ ٱلسَّنِيَّةِ » : أَنَّ بعضَ ٱلمغاربةِ جاءَ في أَيَّامِ بدر بوطويرقٍ ، وتعهَّد بفتحِها ، ولـٰكنَّ بدراً خافَ من رغبةِ الأَتراكِ فيها ، ويتأَكَّدُ ما ذُكِرَ بما جاءَ في (ص٦٣) و(ص٦٤) من « تاريخ المستبصر » لابن المجاورِ : (أَنَّ موضعَ زبيدَ كانَ حِمىً لكُليبِ وائلٍ وأَخيهِ مهلهلٍ ، وكانَ ريفاً واسعاً ، به ستُّ مئَةٍ ، أو ستُّون عيناً سائحةً لم تزل كذلك حتى ردَمَها بعضُ ٱلملوكِ ، ولا شكَّ أَنَّهُ معنُ بنُ زائدةَ ٱلشَّيبانيُّ) اهـ

ولا يُحصىٰ ما أَنجبَتْ حضرموتُ مِن رجالِ ٱلعِلمِ وٱلمجدِ وٱلشَّرفِ وٱلزَّعامةِ

= أُطبقَ أَحدُهما دون ٱلآخرِ ، وبينهما خللٌ يدخل فيه ٱلنَّحيفُ متجانفاً . . فدخلتُه .

فرأَيت رجلاً علىٰ سريرٍ شديدَ ٱلأُدمةِ ، طويلَ ٱلوجهِ ، كثَّ ٱللِّحيةِ ، قد يبسَ علىٰ سريرِهِ ، وإذا مسستَ شيئاً مِن جسدِهِ . . أَصبتَهُ صلباً لم يتغيَّر .

ورأَيتُ عندَ رأْسِهِ كتاباً بٱلعربيَّة : (أَنا هود ٱلَّذي آمنتُ بٱللهِ ، وأَسفتُ علىٰ عادٍ وكُفرِها ، وما كان لأَمرِ ٱللهِ مِن مردٍّ) . وسيأتي للحديث شواهد في مبحث قبر نبي الله هود عليه السلام في آخر الكتاب .

والعروبةِ قديماً وحديثاً ، كما تشهد معاجمُ ٱلرِّجالِ وكُتُبُ ٱلتَّاريخِ ، وفي هٰذه ٱلمجموعةِ و«أصلِها» ٱلكثيرُ ٱلطَّيِّبُ مِنْ ذلكَ .

وممَّا يؤكِّدُ تسميتها ببركِ الغمادِ : أَنَّها مضربُ ٱلمثل في ٱلبُعدِ .

وقد قالَ ٱلمقدادُ ـ وهوَ حضرميٌّ ـ للنَّبيِّ صلَّى ٱلله عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ : فوَٱلَّذي بَعثكَ بٱلحقِّ ، لَو سِرْتَ بِنا إِلىٰ بَرْكِ ٱلغِمادِ . . لَجَالدنا معكَ مَنْ دُونَهُ[1] .

وقالَ ٱلشَّمَرْدَلُ بنُ شَرِيكٍ يصفُ ٱلرِّياحَ [مِنَ الرَّجز] :

بَلَغْـنَ أَقْصَـى ٱلـرَّمْـلِ مِـنْ يَبْـرِينَـا وَحَضْـرَمَـوْتَ ، وَبَلَغْـنَ ٱلصِّينَـا[2]

وقالَ قيس [في « ديوانه » ٢٢٧ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَلَـوْ أَنَّ وَاشٍ بِـٱلْيَمَـامَـةِ دَارُهُ وَدَارِي بِأَعْلَىٰ حَضْرَمَوْتَ ٱهْتَدَىٰ لِيَا

وبعضُهُم يرويهِ : (أَقصىٰ حَضرَمَوْتَ) وهوَ أَنسبُ .

وقيلَ : إِنَّ بَرْكَ ٱلغِمادِ وادٍ مخصوصٌ مِنها فقط ، وهوَ الَّذي فيه بئرُ بَرهُوت .

قالَ ٱبنُ دُرَيْدٍ [مِنْ مجزوءِ ٱلكامِلِ] :

وَإِذَا تَنَكَّـرَتِ ٱلْبِـلاَ دُ فَـأَوْلِهَـا كَنَـفَ ٱلْبِعَـادْ
وَٱجْعَـلْ مَقَـامَـكَ أَوْ مَقَـرَّ كَ جَـانِبَـيْ بَـرْكِ ٱلْغِمَـادْ

وفي « ٱلصَّحيح » [خ ٣٩٠٥] أَنَّ أَبَا بكرٍ هاجرَ إِلى ٱلحبشةِ ، حتَّىٰ إِذا بلغَ بركَ ٱلغمادِ . . لقيَهُ ٱبن ٱلدَّغِنَةِ . . . إِلىٰ آخرِ ٱلحديثِ ، وذكرَ ٱلشُّرَّاحُ فيهِ أَقوالاً ؛ أحدها : أَنَّهُ بحضرموتَ .

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٩) عن سعد بن عبادة لا عن المقداد رضي الله عنهم .

(٢) وأصلُ الأبيات كما وردت :

حَيْـثُ يُقَـالُ لِلـرِّيَـاحِ ٱسْفِينَـا هُـوجٌ يُصَبِّحْـنَ فَـلاَ يُنْبِينَـا
وَكُـلُّ وَجْـهٍ لِلسُّـرَىٰ يَسْـرِينَـا بَلَغْـنَ أَقْصَـى ٱلـرَّمْـلِ مِـنْ (يَبْـرِينَـا)
وَ(حَضْـرَمَـوْتَ) وَبَلَغْـنَ (ٱلصِّينَـا)

وكما كانت حَضْرَمَوْتُ مضرِبَ ٱلمثلِ في ٱلبُعدِ.. فكذلكَ كانتْ مضرِبَةً في أُمورٍ كثيرةٍ، منها كما في «ٱلأَصلِ»:

ـ ٱلْجَمَالُ.

وحسبُكَ شاهداً عليهِ ما جاءَ في كتابهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ لوائلِ بنِ حُجْرٍ مِنْ وصفِ أَقيَالِ حَضْرَمَوْتَ بِٱلمَشَابِيبِ[1]، ومعناهُ كما في «ٱلتَّاجِ» وغيرِهِ: ٱلرّؤُوسُ ٱلزُّهرُ ٱلألوانِ[2]، كأَنَّما أُوقدتْ وجوهُهُم بِٱلنَّارِ؛ لِحُسْنِها وإِشراقِها.

ومعلومٌ أَنَّ وفدَ كِنْدَةَ ٱسْتَجْهَرُوا ٱلنَّاسَ بجَمالِهِم وحُسنِ شارتِهِم، وأَنَّ عليهِم مِنَ ٱلحِبَراتِ ما شبَّبَ أَلوانَهُم[3].

وذكرَ ٱلمبرِّدُ: أَنَّ ٱلأَشعثَ بنَ قيسٍ مِنَ ٱلنَّفرِ ٱلَّذينَ فرَعُوا[4] ٱلنَّاسَ طولاً وجَمالاً، وكانَ مِنْ مُقَبَّلي ٱلظُّعُنِ[5].

وذكرَ أَيضاً قولَ أَبي دَهْبَلٍ [مِنْ مجزوءِ ٱلكامِلِ]:

أَعَرَفْتَ رَسْماً بِٱلنُّجَيْـ ... ـرِ عَفَا لِزَيْنَبَ أَوْ لِسَارَهْ
لِعَزِيزَةٍ مِنْ حَضْرَمَوْ ... تَ عَلَىٰ مُحَيَّاهَا ٱلنَّضَارَهْ

وروى ٱلجاحظُ: أَنَّ حضرميَّةً ـ وكانتْ مِنْ آياتِ ٱللهِ جَمالاً ـ تجرَّدَتْ أَمامَ زوجِها، وقالتْ: ما ترىٰ في خَلْقِ ٱلرَّحمٰنِ مِنْ تفاوتٍ، فقالَ لَها: أَرىٰ فُطُوراً، فَٱسْتَحْيَتْ.

وقالَ ٱمرؤُ ٱلقيسِ [في «ديوانهِ» ١٤١ مِنَ ٱلطَّويلِ]:

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتَ وَأَهْلُهَا ... بِيَثْرِبَ أَدْنَىٰ دَارِهَا نَظَرٌ عَالِي

---

(١) عندما أَسلم وائل بن حُجْرٍ.. كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم عِدَّة كتب، فكتب كتاباً إِلىٰ أَقيال ـ ملوك ـ حضرموت، فقال صلى الله عليه وسلم: «أُكْتُبْ يَا مُعَاوِيَةُ، إِلَى ٱلأَقْيَالِ ٱلْعَبَاهِلَةِ، وَٱلأَرْوَاعِ ٱلْمَشَابِيبِ».

(٢) في المخطوط: (الرؤُوس الأَعيان). والتصحيح من «تاج العروس».

(٣) أَي: زادها حسناً. والحبرات: ثياب وبُرُد معروفة.

(٤) فَرَعُوا: علَوا.

(٥) الظُّعُن ـ جمع ظعينة ـ يقال: فلان مُقَبَّل الظعينة؛ أَي المرأة في هَوْدَجِها وجمَلُها قائم، وهٰذا يعني أنه فارع الطول، وقد نعت بذلك جماعة في الجاهلية وصدر الإسلام.

ويترب ـ بٱلمثنَّاة ٱلفوقيَّةِ ـ : مدينةٌ بحضرموت ـ كما قالَ ٱلهَمْدانيُّ ـ نزَلَتْها كندةُ[١] ، وإِيَّاها يعني ٱلأَعشىٰ بقولِهِ [في « ديوانه » ١١٧ مِنَ ٱلكاملِ] :

. . . . بِسِهَــامِ يَثْــرِبَ أَوْ سِهَــامِ ٱلْــوَادِي

وقالَ ٱبنُ عبيدٍ ٱلأَشجعيُّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَعَــدْتِ وَكَــانَ ٱلْخُلْـفُ مِنْـكِ سَجِيَّـةً مَــوَاعِيــدَ عُــرْقُــوبٍ أَخَــاهُ بِيَثْــرِبِ

وقد أجمعوا علىٰ روايتِهِ بٱلتَّاءِ ٱلمثنَّاةِ ، ولئِن كانَ ٱلأَكثرُ يزعُمونَ أَنَّ يثرب ٱلحضرميَّةَ بٱلثَّاءِ ٱلمثلَّثةِ أَيضاً ، ويتأَكَّدُ ذلكَ بوجودِ طائفةٍ مِنَ ٱلحضارمِ يقالُ لهم : (آلُ يثربَ) لايزالُ منهم ناسٌ حتَّى ٱليومِ يحترفون بٱلحدادةِ .

وقد وُصِفَتْ لرسولِ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ ٱمرأَةٌ من كندةَ بٱلجمالِ . . فرغِبَ فيها ، ولمَّا قالَ لهُ أَبوها : وأَزيدُكَ أَنَّها لَم تَتَّجعْ قطُّ في عُمُرِها . . رغبَ عنها[٢] ، وهي غيرُ ٱلجُونيَّةِ[٣] ، وغيرُ أُختِ ٱلأشعثِ ٱلَّتي حُرِمتِ ٱلسَّعادةَ بٱمتناعِها مِنَ ٱلارتحالِ إلى ٱلمدينةِ[٤] ، وهي ٱلَّتي ٱقترنت بعدُ بعكرمةَ بنِ أَبي جهلٍ ، وجرىٰ لها مع أَبي بكرٍ شأْنٌ .

ـ ومنها : حُسْنُ ٱلنَّسْجِ .

ففي حديثِ ٱلهجْرَةِ : (أَنَّ علياً تَسجَّىٰ ببُرْدِ ٱلنَّبيِّ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ ٱلحضرميِّ ٱلأَخضرِ)[٥] .

وأَخرجَ ٱبنُ سعدٍ بسندِهِ إِلىٰ عروةَ بنِ ٱلزُّبيرِ : أَنَّ ثوبَ رسولِ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ ٱلَّذي كانَ يَخرجُ فيهِ إِلى ٱلوفدِ ورداءَهُ : حضرميٌّ ، طولُهُ : أَربعةُ أَذرعٍ ،

---

(١) صفة جزيرة العرب (١٧٠) .

(٢) ذكر ذلك ابن طاهر المقدسي في « البدء والتاريخ » (٥/ ٩) .

(٣) واسمها : أسماء بنت كعب الجونية ، لم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم حتى طلقها ، قال الزهري : استعاذت منه . . فقال : « لقد عُذتِ معاذاً ، الِحقي بأهلك » . « السير » (٢/ ٢٥٥) .

(٤) واسمها : قتيلة بنت الأشعث بن قيس .

(٥) الخبر في « دلائل النبُوَّة » لأبي نُعيم (١/ ٢٦١) ، و« دلائل » البيهقيِّ (٢/ ٤٦٨) ، وفي « عيون الأثر » (١/ ١٧٨) ، والطَّبريِّ (١/ ٥٦٧) .

وعَرضُهُ : ذراعانِ وشبرٌ ، فهوَ عندَ ٱلخلفاءِ ، قد خَلَّقُوهُ[١] وطَوَوْهُ بثوبٍ يلبسونَهُ يومَ ٱلأضحىٰ وٱلفطرِ[٢] .

وقالَ ٱلنَّابغةُ ٱلجَعديُّ في مَشُوبتِهِ [في « ديوانه » ٧٩ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

يُــدِيــرُ عَلَيْنَــا كَــأْسَــهُ وَشِــوَاءَهُ مَنَــاصِفُــهُ وَٱلْحَضْــرَمِــيَّ ٱلْمُحَبَّــرَا

و(ٱلمَناصِفُ) : هُمُ ٱلخدَمُ .

وقالَ ذو ٱلرُّمَّةِ [في « ديوانِهِ » ١٩١ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

كَــأَنَّ عَلَيْهَــا سَحْــقَ لِفْــقٍ تَنَــوَّقَــتْ بِــهِ حَضْــرَمِيَّــاتُ ٱلأَكُــفِّ ٱلْحَــوَائِــكِ[٣]

وقالَ جريرٌ [في « ديوانه » ١٣٤ مِنَ ٱلكاملِ] :

وَطَــوَى ٱلطِّــرَادُ مَــعَ ٱلْقِيَــادِ بُطُــونَهَــا طَــيَّ ٱلتِّجَــارِ بِحَضْــرَمَــوْتَ بُــرُودَا[٤]

وقالَ كثيرٌ [في « ديوانِهِ » ١٢٥ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

رَأَيْــتُ ثِيَــابَ ٱلْعَصْــبِ مُخْتَلِطَ ٱلسَّــدَىٰ بِنَــا وَبِهِــمْ وَٱلْحَضْــرَمِــيَّ ٱلْمَخَصَّــرَا[٥]

وقالَ حبيبٌ[٦] [في « ديوانه » ١/ ٢٢٤ مِنَ ٱلكاملِ] :

كَشَقِيقَــةِ ٱلْبُــرْدِ ٱلْمُسَهَّــمِ وَشْيُــهُ فِــي أَرْضِ مَهْــرَةَ أَوْ بِــلَادِ تَــزِيــدِ[٧]

---

(١) خلَّقوه : طيَّبوه .
(٢) الطبقات (١/ ٤٥٨) .
(٣) السَّحقُ : الثوب البالي . اللِّفق : الثوب الذي ضُمَّ شقَّاه إلىٰ بعضهما وخُيِّطا . تنوَّقت : ترفَّقت .
(٤) الطِّراد : المطاردة والجري خلف العدوِّ . القِياد : الحبل الَّذي يُساق به الدَّابة . التِّجار : كرِجال ، جمع تاجر . « القاموس » .
(٥) البيت في « الدِّيوان » و« الأغاني » على الشَّكل التَّالي :
لَبِسْنَــا ثِيَــابَ ٱلْعَصْــبِ فَــاخْتَلَــطَ ٱلسَّــدَىٰ بِنَــا وَبِهِــمْ وَٱلْحَضْــرَمِــيَّ ٱلْمُخَصَّــرَا
العَصْب : ضرب من برود اليمن . السَّدىٰ : الخيوط الطوليَّة الَّتي يتكوَّن منها النسيج . وعكسها : اللُّحمة ، وهي الخيوط العَرْضيَّة . الحضرميُّ : النَّعل المنسوبة إلىٰ حضرموت . المُخَصَّرُ : ما قطع خصراه حتىٰ صارا مستدقَّين .
(٦) هو حبيب بن أوس أبو تمَّام ، الشَّاعر المعروف .
(٧) كشقيقة : جار ومجرور متعلِّق بحال محذوف من الفعل (خذها) في الأبيات قبله ، وهو : =

وتَرِيدُ ـ زِنَةُ جميلٍ ـ هوَ كما في « ٱلتَّاجِ » : (ٱبنُ حيْدانَ بنِ عمرانَ بنِ الحافِ بنِ قضاعةَ ، وهمُ ٱلَّذينَ تُنسَبُ إليهِمُ ٱلبرودُ ٱلتَّرِيديَّةُ) .

قالَ أبو ذؤيبٍ [مِنَ ٱلكاملِ] :

يَعْثُـرْنَ فِـي حَـدِّ ٱلظُّبَـاةِ كَـأَنَّمَـا ... كُسِيَـتْ بُـرُودَ بَنِـي تَـرِيـدَ ٱلأَذْرُعُ

وقالَ علقمةُ [مِنَ ٱلكاملِ] :

رَدَّ ٱلْقِيَـانُ جِمَـالَ ٱلْحَـيِّ فَـٱحْتَمَلُـوا ... فَكُلُّهَـا بِـٱلتَّـرِيـدِيَّـاتِ مَعْكُـومُ[1]

وكانت حَضْرَمَوْتُ تفيضُ بٱلأكسيةِ إلىٰ صنعاءَ فما دونَها مِنْ بلادِ ٱليمنِ . وفي « مجموعِ كلامِ ٱلحبيبِ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ سميطٍ » أنَّ بعضَ أهلِ شبام يستحيكُ شياذرَ فيذهب بهنَّ بعضُ أولاده إلىٰ صنعاءَ فيبيعُهُنَّ على ٱلإمامِ أو بعضِ حاشيتِهِ من ثمانينَ ريالاً ومئةِ ريالٍ .

ولم يزَلْ أمراءُ لحجٍ إلىٰ عهدِ ٱلسُّلطانِ أحمدَ فضلٍ ٱلعبدليِّ يستحيكونَ ٱلشياذرَ ٱلتَّريميّةَ ، وإلىٰ تزيينِ حواشيها بخيوطِ ٱلحريرِ ٱلأبيضِ ، أو ٱلمقصَّب ٱلمتخالفِ ٱلنَّسيجِ . . يشيرُ ذو ٱلرُّمَّةِ بقولِهِ [في « ديوانه » ١٦٤ مِنَ ٱلطَّويل] :

بِـهِ مَلْعَـبٌ مِـنْ مُعْصِفَـاتٍ نَسَجْنَـهُ ... كَنَسْـجِ ٱلْيَمَـانِـي بُـرْدَةً بِـٱلْـوَشَـائِـعِ[2]

إذِ ٱلوشائع : ٱلطَّرائقُ ٱلمختلفةُ ؛ من : (وَشَعَتِ ٱلمرأةُ ٱلغزلَ علىٰ يدِها) ؛ أي : خالفته ، وتوشَّعَتِ ٱلغنمُ في ٱلجبلِ . . ٱختلفت .

وكانَ بصنعاءَ دَلاَّلونَ مخصوصونَ بِٱلْبزِّ ٱلحضرميِّ[3] ، يَرجعُ نَسبهُم إلىٰ آلِ

= خُـذْهَـا مُثَقَّفَـةَ ٱلْقَـوَافِـي رَبُّهَـا ... لِسَـوَابِـغِ ٱلنَّعْمَـاءِ غَيْـرُ كَنُـودِ
حَـذَّاءَ تَمْـلأُ كُـلَّ أُذْنٍ حِكْمَـةً ... وَبَـلاَغَـةً وَتَـدُرُّ كُـلَّ وَرِيـدِ

والمعنىٰ : خذها قصيدة مرتَّبة منقَّحة كالبرود الجميلة الأنيقة الَّتي تنسج في اليمن وبلاد تزيد .
و(**بلاد تزيد**) : قبيلة تنسب إليها البرود الفاخرة ، وهي علىٰ أحد الأقوال : قبيلة للجنِّ .

(١) **معكوم** : مربوط ومشدود .
(٢) **المعصفات** : الريح العاصفة .
(٣) **دلاَّلون** ـ جمع دلاَّل ـ وهو : الَّذي يجمع بين البائع والمشتري ، يقال له : سمسار .

ٱلسَّقَّافِ بسيئونَ ، ولمَّا ٱنقطعَ ٱلبَرُّ ٱلحضرميُّ منذُ نحوٍ مِنْ نصفِ قرنٍ . . ساءَتْ أَحوالُهم .

وكانَ ٱلحضارمةُ في عهدِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بَاعَلويٍّ يَجلِبونَ ٱلخيلَ مِنْ حَضْرَمَوْتَ إِلىٰ ظَفَارٍ كما يُعرفُ مِنَ ٱلحكايةِ (١٥٦) مِنَ « ٱلجوهرِ ٱلشَّفَّافِ » للخطيبِ [١/ ١٨٢ خ] .

وسيأتي عندَ ذكرِ آلِ باماجدٍ في تريم : أنَّ مِلاحَةَ ٱلبحرِ ٱلهنديِّ بأَسرِهِ كانت للحضارم من القرن ٱلثَّاني ٱلهجريِّ .

ـ ومِنها : **جودةُ ٱلإِبلِ** .

قالَ ٱلبُعيثُ ٱلحنفيُّ يمدحُ ناقتَهُ [في « ديوان الحماسة » ٢/ ٣٨٠ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

مُفَـــرَّجَـــةً مَنْفُـــوجَـــةً حَضْـــرَمِيَّـــةً مُسَـــانَـــدَةً سِـــرَّ ٱلْمَهَـــارَى ٱنْتَقَيْتُهَـــا[١]

وقالَ ذو ٱلرُّمَّةِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

حَـــرَاجِيـــجُ مِمَّـــا ذَمَّـــرَتْ فِـــي نِتَـــاجِهَـــا بِنَـــاحِيَـــةِ ٱلشِّحْـــرِ ٱلْغُـــرَيْـــرُ وَشَـــدْقَـــمُ[٢]

ويدخلُ فيهِ كُلُّ ما جاءَ في مدحِ ٱلإِبلِ ٱلمَهْرِيَّةِ بما لا يَضبِطُهُ ٱلحصرُ ؛ لأَنَّ مَهْرَةَ داخل حَضْرَمَوْتَ علىٰ كثيرٍ مِنَ ٱلأَقوالِ[٣] .

ـ ومِنها : **فَرَاهَةُ ٱلْحُمُرِ**[٤] .

فقد جاءَ في « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » للهمدانيِّ : إِنَّ أَحسنَ ٱلحميرِ : ٱلحضرميَّةُ .

---

(١) **مفرجة** : الَّتي بعدت مرافقها واتَّسعت آباطها ، يريد أَنَّها فتلاءُ المرافق . **المنفوجة** : الواسعة الجنبين . **الحضرميَّة** : من نسل إِبل حضرموت . **المسانَدة** : القويَّة الظَّهر . **سِرُّ المَهارىٰ** : خيارها . والمَهارىٰ : نسبة إِلىٰ مهرة بن حيدان .

(٢) **حراجيج** ـ جمع حرجوج ـ وهي : النَّاقة الضَّامرة القويَّة القلب . **ذمَّرت** : أَدخل المذمِّر يده في رحمها ليرى الجنين أَذكر هو أَم أُنثىٰ . **الغرير وشدقم** : اسما قبيلتين . **والمعنىٰ** : أَنها من إِبل هـٰؤُلاءِ القوم فهم يُذَمِّرونها .

(٣) ينظر تفصيل طويل ، وعرض موسَّع حول المَهرة في « الشَّامل » (٢٢ـ٢٤) .

(٤) **الفراهة** : جودة السَّير .

ـ ومِنها : جودةُ ٱلْخَمْرِ .

فقد جاءَ في مادةِ (بَنَىٰ) مِنَ « ٱلتَّاجِ » قولُهُ [مِنَ ٱلوافِرِ] :

سَبَتْــهُ مُعْصِــرٌ مِــنْ حَضْــرَمَــوْتٍ   بَنَــاةُ ٱللَّحْــمِ جَمَّــاءُ ٱلْعِظَــامِ[1]

ـ ومنها : جُدُلُ ٱلنُّوقِ[2] .

فقد جاءَ في آخِرِ مادةِ (ثنىٰ) مِنَ « ٱلتَّاجِ » قولُ شاعرٍ [مِنَ الطَّويلِ] :

تُــلاَعِــبُ مَثْنَــىٰ حَضْــرَمِــيٍّ كَــأَنَّــهُ   تَعَمُّــجُ شَيْطَــانٍ بِــذِي خِــرْوَعٍ قَفْــرِ[3]

ـ ومِنها : جودةُ ٱلنِّعالِ .

وهوَ ٱلبابُ ٱلواسعُ ٱلَّذي لا يضبطُهُ عَدٌّ ، ومنه ما سبقَ مِن قولِ كُثَيِّرٍ :

رَأَيْــتُ ثِيَــابَ ٱلْعَصْــبِ مُخْتَلِــطَ ٱلسَّــدَىٰ   بِنَــا وَبِهِــمْ وَٱلْحَضْــرَمِــيَّ ٱلْمُخَصَّــرَا

وقولُهُ أيضاً [في « ديوانه » ٣٣٩ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

لَهُــمْ أُزُرٌ حُمْــرُ ٱلْحَــوَاشِــي يَطَــوْنَهَــا   بِــأَقْدَامِهِــمْ فِــي ٱلْحَضْــرَمِــيِّ ٱلْمُلَسَّــنِ[4]

وقولُ مروانَ بنِ أبي حفصةَ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

كَمَــا قَــاسَ نَعْــلاً حَضْــرَمِــيٌّ فَقَــدَّهَــا   عَلَــىٰ أُخْتِهَــا لَــمْ يَــأْنِ أَنْ يَتَجَــرَّدَا

---

(١) يرحمُ اللهُ المؤلِّفَ ؛ فقد ظنَّ أَنَّ (المعصر) الخمر ، وليس كذلك.. بل **المعصِر** : الفتاة أَوَّل ما تحيض ، وكأنَّ رحمها يعتصر .
ومنه قول عمر بن أبي ربيعة مِنَ الطَّويل :
فَكَــانَ مِجَنِّــي دُونَ مَــنْ كُنْــتُ أَتَّقِــي   ثَــلاَثُ شُخُــوصٍ كَــاعِبَــانِ وَمُعْصِــرُ
بَنَاة اللحم : طَيِّبة رائحة اللَّحم . **جمَّاء العظام** : ليِّنة كأنْ ليس لها عظام . والله أعلم .

(٢) **الجُدُل** : جمع جَديل ، وهو حَبل مفتول من أَدم أَوْ شعر ، يكون في عنق البعير أَو النَّاقة .

(٣) **المَثْنَىٰ** : زمام النَّاقة . **التَّعمُّج** : التَّلوِّي في السَّير والاعوجاج . **شيطان** : نوع من أَنواع الحيَّات . **الخروع** : كلُّ نبت ضعيف يتثنَّىٰ . **والمعنىٰ** : أَنَّ ناقته تلاعب حبلها الَّذي يشبه في تثنِّيه الحيَّة الَّتي تطوف بين لزَّرع الطَّري . والله أعلم .

(٤) **يَطَوْنَها** : يطؤُونها .

وقولُ حبيبٍ [في « ديوانه » ٢/ ١٧ مِنَ الكامِلِ] :

حُـذِيَـتْ حِـذَاءَ ٱلْحَضْـرَمِيَّـةِ أُرْهِفَـتْ ... وَأَجَـادَهَـا ٱلتَّخْصِيـرُ وٱلتَّلْسِيـنُ(١)

وقولِ ٱلرضيِّ [في « ديوانه » ٢/ ١٧٧ مِنَ ٱلوافرِ] :

وَتَـمَّ عَـلاَؤُكُـمْ بِـي بَعْـدَ نَقْـصٍ ... تَمَـامَ ٱلْحَضْـرَمِيَّـةِ بِـٱلْقِبَـالِ(٢)

وكما يُضرَبُ ٱلمثلُ بٱلسُّيوفِ ٱليمانيَّةِ . . فإنَّ أَهلَ ٱليَمنِ يَضربونَ ٱلمثلَ بالجنابي ؛ أي : ٱلخناجرِ ٱلحضرميَّةِ ، ويتنافسونَ في ٱقتنائِها ، ويتمدَّحونَ بها في أَشعارِهم .

وسيأْتي في وبار من آخرِ ٱلكتابِ مضربُ ٱلمثَلِ بنخيلِها ، ولا جرم ؛ فإنَّه كثيرٌ ، معتدلُ ٱلحلاوةِ ، رقيقُ ٱلقِشرةِ ، كثيرُ ٱللُّبِّ ، رقيقُ ٱلنَّوىٰ . . فلهُ أن يتفضَّلَ بحقٍّ عن سائرِ ٱلتُّمورِ(٣) .

ونقلوا عن ٱلصَّاغانيِّ أَنَّ ذا ٱلنُّخيلِ يُطلَقُ علىٰ بقاعٍ ؛ منها : واحدٌ دُوَيـنَ حضرموتَ ، وهو ٱلمرادُ مِن قولِ أَبي حربِ ٱلأَعلمِ ، أَحدِ بني عقيلٍ ، أو ليلى ٱلأَخيليَّةِ [مِنَ ٱلرَّجَزِ] :

نَحْـنُ ٱللَّـذُونَ صَبَّحُـوا ٱلصَّبَـاحَـا ... يَـوْمَ ٱلنُّخَيْـلِ غَـارَةً مِلْحَـاحَـا

مَـذْحِـجَ فَـٱجْتَحْنَـاهُـمُ ٱجْتِيَـاحَـا ... وَلَـمْ نَـدَعْ لِسَـارِحٍ مُـرَاحَـا

---

(١) حُذيت : قِيست . حِذاءَ : قياسَ . أُرهفت : لطُفت ورقَّت . التَّلسين : خرط صدر النَّعل ، وجعلُ شيءٍ له يشبه اللِّسان .

(٢) الحضرمية هنا : النعل . القِبال : الزمام الذي بين الإصبع الوسطى والتي تليها .

(٣) وكذلك من الأمور التي اشتهرت بها حضرموت ما يلي : غزارة المياه وعذوبتها ؛ فإن مياه حضرموت الجوفية غزيرة ، وقد اكتشفت بها كميات كبيرة . وكما أن النفط اكتشف أيضاً في وادي المسيلة بكميات تجارية كبيرة . وكذلك العسل الحضرمي ، الذي تغني شهرته عن التعريف به . واشتهار أهلها بعلم الفقه ، وخدمتهم لمذهب الإمام الشافعي مما لا يخفىٰ علىٰ أحد . ودخول كثير من الأمم في الإسلام على أيدي علماء وتجار حضرموت الصالحين الدعاة إلى الله ، وهٰذا كالتاج علىٰ هامة كل حضرمي . وشهرة أهلها بالأمانة ، وحسن سياستهم للأمور ، ونجاحهم في أمور التجارة مع النزاهة و العصامية ؛ حتىٰ إنَّ بعضهم اليوم يعد من أغنىٰ رجالات العالم .

وذكر مذحج يُؤَكِّدُ ذلكَ ؛ لأنَّها بلادُهم ، وفي [٦/٢٣] من « خزانة ٱلأدبِ » عنِ ٱبنِ ٱلأثيرِ[١] : أنَّ ذا ٱلنُّخَيلِ ـ بضمِّ ٱلنُّونِ وفتحِ ٱلخاءِ ـ : عينٌ قُربَ ٱلمدينةِ ، وأُخرىٰ قربَ مكَّةَ ، وموضعٌ دُوَينَ حَضرموتَ . ومثله في (ص٥٠٧) .

ومن قصيدة هائيَّةٍ لصخرِ بنِ ٱلعودِ ٱلحضرميِّ يذكرها ٱلنُّحاةُ في ذكر لنخلِ حضرموتَ في قولِهِ [في « الأغاني » ٢٢/٣٩ مِنَ ٱلطَّويل] :

تَـذَكَّـرْتُ كَـأْسـاً إِذْ سَمِعْـتُ حَمَـامَـةً بَكَتْ فِي ذُرَىٰ نَخْلٍ طِوَالٍ جَرِيدُهَا[٢]

وروى ٱلهَمْدانيُّ : عن أَبي ٱلحسنِ ٱلخُزاعيِّ ـ وكانَ يَسكنُ بأَرضِ نجدِ ٱلعُلْيا ـ : أَنَّهُ أَصابَ ٱلنَّاسَ أَزمةٌ شديدةٌ ، فأَقبَلوا مِنْ نجدٍ إِلىٰ مكَّةَ ، وكانَ فيهم شاعرٌ يقالُ لَهُ : ٱلحَزارةُ العامريُّ ، فأَنشدَ شعراً يذكرُ فيهِ ما كانَ مِنْ رحمةِ ٱللهِ عندَهُم ، فقالَ ٱلتِّهاميُّونَ لِشاعرِهِم أَبي ٱلجيَّاشِ : قُلْ مِثْلَهُ .

فأَنشدَ شعراً ؛ منهُ [مِنَ ٱلخفيفِ] :

سُقِيَـتْ حَضْـرَمَـوْتُ مِنْهَـا مَـعَ ٱلأحْـ ـقَـافِ رِيّـاً وَعُلِّـتِ ٱلأَسْعَـاءُ[٣]

طُبِّقَـتْ بِـٱلسُّيُـولِ أَبْيَـنُ حَتَّـىٰ (لَحْجُهَـا) فَهْـيَ وَٱلسَّمَـاءُ سَـوَاءُ[٤]

تنبيه : إِنَّما قلتُ سابقاً : إِنَّ ٱلأنسبَ في بيتِ قيسٍ أَنْ يُقالَ : (بِأَقْصَىٰ حَضْرَمَوْتَ) ؛ لأَنَّ أَعلاها يقربُ مِن نجدٍ . فلا يليقُ أَن يكونَ غايةً للبعدِ ، وعاصمةُ نجدٍ : اليمامة الآتي ذكرها في حَجْرٍ ، وكانَ ٱسمها جوّاً في ٱلزَّمانِ ٱلأوَّلِ .

قالَ ٱلأعشىٰ من قصيدةٍ عذبةٍ يمدحُ هوذةَ بنَ عليٍّ بنِ ثمامةَ ٱلحنفيَّ [في « ديوانه » ٢٤١ مِنَ ٱلطَّويل] :

فَلَمَّـا أَتَـتْ آطَـامَ جَـوٍّ وَأَهْلَـهُ أُنِيخَـتْ فَـأَلْقَـىٰ رَحْلَهَـا فِـي فِنَائِكَـا

---

(١) لكنهُ غيرُ ناقل عن ابن الأثير فيها .

(٢) كأس : اسم محبوبته ، واسمها كاملاً : كأس بنت بجير بن جندب .

(٣) الأسعاء : اسم من أسماء مدينة الشحر ، وقد يخفف فيقال : لسعاء .

(٤) صفة جزيرة العرب (٣٣٣ـ٣٣٦) .

وقالَ مِن أُخرىٰ [في « ديوانه » ٣٢٣ مِنَ الوافر] :

عَـرَفْـتَ ٱلْيَـوْمَ مِـنْ تَيَّـا مُقَـامَـا ... بِجَــوٍّ أَوْ عَــرَفْـتَ لَهَـا خِيَـامَـا

وقالَ أيضاً يمدحُ هوذةَ ، ويذم الحارثَ بنَ وعلة [في « ديوانه » ٩٨ مِنَ الطَّويل] :

وَإِنَّ ٱمْـرَأً قَـدْ زُرْتُـهُ قَبْـلَ هَـٰـذِهِ ... بِجَـوٍّ لَخَيْـرٌ مِنْـكَ نَفْسـاً وَوَالِـدَا

ولمَّا صُلِبتِ اليمامةُ علىٰ بابِها.. سُمِّيت بٱسمها ، وٱلَّذي سمَّاها بذلكَ ٱلاسمِ : هو تُبَّعٌ الحميريُّ قاتلُ اليمامةِ ، وقال [مِنَ الطَّويل] :

وَقُلْنَـا فَسَمُّـوهَـا ٱلْيَمَـامَـةَ بِـٱسْمِهَـا ... وَسِـرْنَـا وَقُلْنَـا لاَ نُـرِيـدُ إِقَـامَـةَ

واليمامةُ ٱمرأةٌ تُبصِرُ مِن ثلاثٍ ، وحديثُها مشهورٌ ، وإليها ٱلإشارةُ بقولِ أَبي ٱلطَّيِّب [في « العُكبريّ » ٤/١٥ مِنَ الطَّويل] :

وَأَبْصَـرَ مِـنْ زَرْقَـاءِ جَـوٍّ لأَنَّنِـي ... إِذَا نَظَـرَتْ عَيْنَـايَ شَـاءَهُمـا عِلْمِـي[1]

وقبلَهُ يقولُ ٱلنَّمرُ بنُ تولبَ [مِنَ الكامل] :

وَفَتَـاتُهُـمْ عَنْـزٌ عَشِيَّـةَ أَبْصَـرَتْ ... مِـنْ بَعْـدِ مَـرْأَىً فِـي ٱلْفَضَـاءِ وَمَسْمَـعِ

قَـالَـتْ : أَرَىٰ رَجُـلاً يُقَلِّـبُ نَعْلَـهُ ... أُصُـلاً وَجَـوٌّ آمِـنٌ لَـمْ يَنْـزِعِ

فَكَـأَنَّ صَـالِـحَ أَهْـلِ جَـوٍّ غُـدْوَةً ... صُبِحُـوا بِـذِيفَـانِ ٱلسِّمَـامِ ٱلْمُنْقِـعِ

و(أُصُلاً) : جمع أصيل . و(الذيفان) : أقتلُ السُّموم .

وكانَتْ بلدُ ٱليمامةِ لأُمَّتينِ ؛ إحداهما طسمُ بنُ لاوذَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ ، وٱلأُخرىٰ جديسُ بنُ عابر بن إِرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ .

ومِن قربِها إلىٰ نوحٍ يضعفُ ٱلقولُ بأَنَّ ٱلَّذي أهلك جديساً حسَّانُ بنُ تُبَّعٍ ؛ لتأَخُّرِهِ ، وٱلكلامُ منتشرٌ في ذلكَ ، حتَّى لقد قِيلَ : إِنَّ هوداً عليهِ ٱلسَّلامُ مِن ولدِ إسماعيلَ ، وإِنَّهُ وعشيرتَهُ مِن عادٍ ٱلثَّانيةِ ، وهوَ غيرُ ٱلمعروفِ ٱلمشهورِ . قالَ ٱبنُ هشامٍ : (وبعضُ أَهلِ ٱليمنِ يقولُ : إِنَّ قحطانَ مِن ولدِ إسماعيلَ ، وإِنَّ إسماعيلَ أَبو ٱلعربِ كلِّها) .

---

(١) أبصرَ : معطوف بالنصب على البيت السابق . شاءهما : سبقهما . وللبيت روايات أخرى .

وقالَ : (قالَ ٱبنُ إسحاقَ : عادُ بنُ عوين[1] بنِ إرمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ ، وثمودُ وجديسُ ٱبنا عابرِ بنِ إرمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ ، وطسمُ وعملاقُ وأُميمُ بنو لاوذَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ . . عربٌ كلُّهم) اهـ[2]

وأطال فيه صاحب « التاج » ، وذكرَ : (أَنَّ عاداً وثموداً وأُميماً وعبيلاً ووباراً همُ ٱلعربُ ٱلعاربةُ ، ومنزلهُمُ ٱلأحقَافُ وماجاورها) اهـ

وقال ٱلهمداني في أوائلِ « ٱلإكليلِ » : أمَّا ٱلَّذينَ ذَكروا أَنَّ قحطانَ مِن ولدِ إسماعيلَ . . فإنَّهم تعلَّقوا بظاهرِ حديثِ ٱبنِ أَبي حدردٍ قالَ : مرَّ رسولُ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ بناسٍ مِن أَسلمِ خزاعةَ وهم ينتَضلونَ . . فقال : « أَرْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ »[3] ، وهم مِنَ ٱلأزدِ ، وٱلأزدُ مِن قحطانَ .

وجوابه : أَنَّ ٱلعربَ ٱختلطتْ بٱلصُّهوريَّة . . فٱلقحطانيَّةُ أبناءُ إسماعيلَ مِن جهةِ ٱلأُمهَّاتِ ، وٱلنزاريَّةُ أَبناءٌ لقحطانَ بهنَّ ؛ كما نُسِبَ عيسىٰ عليهِ ٱلسَّلامُ في ٱلقرآنِ إلىٰ آباءِ أُمِّهِ ، ومِن ذلكَ قولُ لوطٍ : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ ، وإنما أرادَ نِساءَ ٱلقريةِ ، ومنهُ قولهُ عزَّ وجلَّ : ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فإنَّهُ لا يخرجُ عنها أَحدٌ مِنَ ٱلعربِ ؛ إذ قد أَولدَ ٱلجميعَ بٱلرِّجالِ وٱلنِّساءِ .

ثمَّ أَطالَ في ذلكَ بأشعارٍ تركناها ، ثم قالَ : ومِنَ ٱلحجَّة ٱلأَكيدةِ : ما رُويَ مِن جهاتٍ كثيرةٍ : أنَّه لمَّا نزلَ قولُهُ تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ . . .﴾ إلى آخرِ ٱلآيةِ . . قالَ ناسٌ : ما سَبَأٌ؟ أَرضٌ أَم ٱمرأةٌ؟ فقالَ رسولُ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : « لاَ ذَا ، وَلاَ ذَاكَ ، وَلَـٰكِنَّهُ رَجُلٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ أَوْلَدَ عَشَرَةَ أَبْطُنٍ ، فَتَيَامَنَتْ سِتَّةٌ ، وَتَشَاءَمَتْ أَرْبَعَةٌ » قالوا : فَمَنْ هُم يا رسولَ ٱللهِ؟ قالَ : أَمَّا ٱلَّذِينَ تَيَامَنُوا . . فَكِنْدَةُ ، وَمَذْحِجٌ ، وَٱلأَشْعَرُونَ ، وَحِمْيَرُ ، وَأَنْمَارٌ ، وَٱلأَزْدُ . وَأَمَّا ٱلَّذِينَ تَشَاءَمُوا . . فَجَذَامُ ،

---

(١) في « السيرة النبوية » : (عوص) .

(٢) السيرة النبوية (١/ ١١٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٩٩) ، عن سلمة بن الأكوع لا عن ابن أبي حدرد رضي الله عنهما . ينتضلون : يتسابقون في رمي السهام .

وَلَخْمُ ، وَعَامِلَةُ ، وَغَسَّانُ » قالوا : فما خثعمُ وبَجيلةُ؟ قال : « بَطْنَانِ مِنْ أَنْمَارَ » .

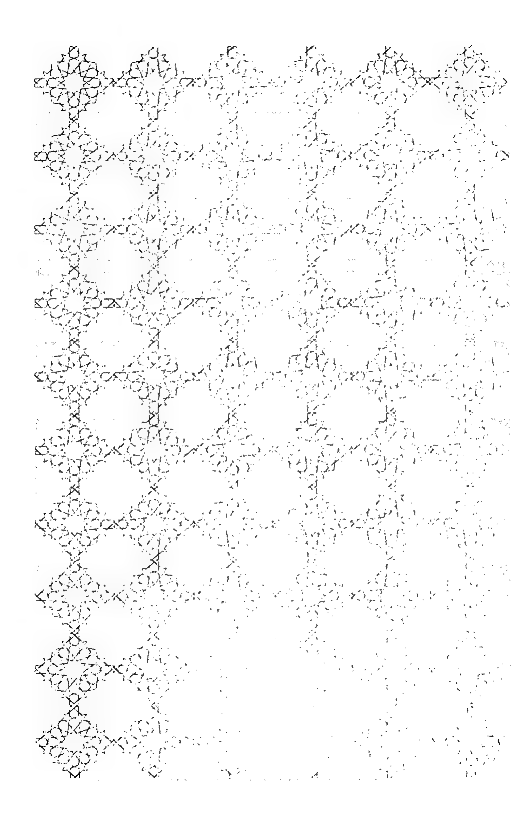
وأَسهبَ بما لاَ حاجةَ بنا إِليهِ ، وحديثُ سبأ موجودٌ عندَ ٱلتِّرمذيِّ [٣٢٢٢] بزيادةٍ ، وقال : إِنَّهُ حسنٌ غريبٌ .

* * *



ٱلقِسمُ ٱلأَوَّلُ

في مرافىء حَضْرَمَوْتَ وَمَا دَاناها مِنْ أَعلاها إلىٰ أدناها



ٱلقِسمُ ٱلأَوَّلُ
في مرافىء حَضْرَمَوْتَ وَمَا دَاناها مِنْ أَعلاها إِلىٰ أَدناها

عَيْنُ بَامَعْبَدٍ

هيَ قريةٌ صغيرةٌ ، واقعةٌ في حدِّ حَضْرَمَوْتَ ٱلجنوبيِّ ٱلغربيِّ ، ويأتي في ميفعَ أَنَّ بهِ ناساً مِنْ آلِ بامَعْبَدٍ لا يزالونَ إِلى ٱليومِ . فيُفهَمُ منهُ أَنَّ ٱلعَيْنَ منسوبةٌ إِلىٰ جدِّهِم(١) .

ولاَ يزالُ بٱلعينِ منهم خلقٌ إِلى ٱلآنَ ، وقد نجعَ كثيرٌ منهم إِلىٰ تريم ، ولما مسَّهم ظُلمُ يافعٍ . . ٱنتقلَ بعضُهم إِلى دمُّون ، وبعضٌ إِلى ٱلسويريِّ .

وفي ترجمةِ ٱلشَّيخِ ٱلكبيرِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويٍّ ٱبنِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ : أَنَّهُ مَرَّ في طريقهِ مِنَ ٱلحِجازِ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ بعَينِ بامَعْبَدٍ . . فٱستقبلَهُ شيخُها محمَّدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بَامَعْبَدٍ ، وأَجَلَّهُ وٱحترمَهُ .

وكانَتْ وفاةُ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويٍّ المذكور في سنةِ (٧٣١هـ) عن إِحدىٰ وتسعينَ عاماً .

وفي صفحةِ [٣٥٣] مِنَ « ٱلنُّورِ ٱلسَّافرِ » للشَّيخِ عبدِ ٱلقادرِ بنِ شيخِ ٱلعيدروسِ : (أَنَّ ٱلشَّيخَ بَامَعْبَدٍ ٱنتفعَ بـٱلشَّيخِ سعيدِ بنِ عيسى ٱلعَموديِّ) ، ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (٦٧١هـ) ، فيمكِنُ أَنْ يكونَ هوَ صاحبَ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويٍّ ، ويَحتمِلُ أَنْ يكونَ أَباهُ(٢) .

---

(١) قوله (إِلىٰ جدِّهم) : قال في « الشَّامل » (ص ٤٩) : (آل بامعبد : ذرِّيَّة الشَّيخ محمَّد بن محمَّد بن معبد الذَّرعني ، المعروف بأَبي معبد ، توفي سنة (٧٢٠ هـ) ، وأَصله من دوعن ، وحلَّ بالعِمَاد قريباً من عدن ، ثمَّ انتقل إِلىٰ نواحي عين بامعبد ، تفقَّه من ولده : محمّد الغزالي ، وعبد الله ، وكان لهم رباط ، ولم تزل ذرِّيَّته هناك وفي ميفعة) اهـ

(٢) يستفاد بعد التَّمحيص والسَّبر : أَنَّ الَّذي أَخَذ عن الشَّيخ سعيد العموديّ هو الشَّيخ الوليُّ محمَّد بن=

أَمَّا رجوعُ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويٍّ مِنَ ٱلحجازِ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ . . فقد كانَ في سنةِ (٦٨٠هـ) .

وفي عَينِ بامعبدٍ عيونُ ماءٍ عليها نخلٌ كثيرٌ ، وسكَّانُها ٱلآنَ مِنَ ٱلرِّجالِ نحوَ ٱلمئتينِ مِن آلِ بامعبدٍ وآل عبدِ ٱلله وغيرِهِم ، وهيَ تبعدُ عن ٱلسَّاحلِ بنحوِ أَربعِ ساعاتٍ للماشي ، ومنهمُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلحسينِ بنُ حُميدِ بنِ ٱمباركِ بنِ عمرَ بامعبدٍ ، وُلِدَ بالسويريِّ حوالي سنة (١٣٠٥هـ) ، وبها قرأَ ٱلقرآنَ على ٱلمعلِّم عمرَ بنِ عبودٍ باعطب ، ثمَّ أَقامَ زماناً على طلبِ ٱلعلمِ بتريم ، وهو ٱلآنَ بالمكلاَّ ، وله تنقُّلاتٌ .

وٱلتَّسميةُ بعبد ٱلحسين ممنوعةٌ كما في « ٱلتُّحفة » [٩/ ٣٧٣] وغيرِها ؛ لإِيهامِ ٱلتَّشريكِ ، ولعلَّ ٱلحرمةَ مقصورةٌ على ٱلواضع ٱلأَوَّلِ ، أَمَّا إِذا وُضِعَ لإِنسانٍ وٱشْتُهِرَ بهِ . . فلا يحرمُ ؛ للحاجةِ ، ولأَنَّ ٱلنَّهيَ لا يشملُهُ ، كما ٱعتذروا عن تكنيةِ ٱلرَّافعيِّ بأَبي ٱلقاسِم ، مع حرمتِها مطلقاً كما ٱعتمدهُ ٱلرَّمليُّ وٱبنُ حجرٍ ؛ تبعاً لما صحَّحه ٱلنَّوويُّ ، وإِنْ كانَ ٱختيارُ تخصيصِ ٱلحرمةِ بزمنهِ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وٱعتمادُ ٱلرَّافعيِّ ٱختصاصَ ذلكَ بمنِ ٱسمُهُ (محمَّدٌ) ، وبمثلِ ذلكَ ٱلاعتذارِ ٱلتَّلقيبُ بمثل ٱلأَعشىٰ ، ومِن إطلاقِ : (جار الله) في ٱلدَّوامِ على ٱلزَّمخشريِّ ، مع حرمة ذلكَ في ٱلبدءِ ، كما في « التحفة » [٩/ ٣٧٤] وغيرِها .

وبنحوه ٱلعذرُ عن تكنية ٱلتِّرمذيِّ بأَبي عيسىٰ ، مع ٱلقولِ بكراهتها في ٱلابتداءِ ، أَمَّا تسميةُ ٱبنِ ٱلصَّبَّاغِ بعبدِ ٱلسَّيِّدِ . . فلا إِشكالَ فيها ؛ لأَنَّ ٱلسَّيِّد هوَ ٱللهُ كما ورد . ولا حرجَ في إِطلاقِ : (ٱللَّعينِ) على ٱلمنقريِّ[١] ، أَمَّا في ٱلدَّوام . . فواضحٌ ، وأَمَّا في ٱلابتداء . . فلأَنَّ ٱلواضعَ مجتهدٌ ، وهو ٱبنُ ٱلخطَّابِ ، وقد سمعَهُ ينشدُ شعراً وٱلنَّاسُ يُصلُّون .

= محمَّد بن معبد ؛ لأَنَّ مولده كان بدوعن ثمَّ رحل عنها . وترجمته في « طبقات الخواص » (ص٣١٢ـ ٣١٣) . . مفيدة . وفيه أَنَّه اشتهر بكرامات كثيرة ، وفي « الطبقات » : أن الذي توفي سنة (٧٢٠هـ) هو عبد الله بن محمد بامَعْبَد ، وليس والده محمداً ، كما ذكر صاحب « الشامل » والله أعلم .

(١) هو منازل بن زمعة التميمي المنقري . قال في « الأعلام » (٧/ ٢٨٩) سمع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً ينشد الشعر والناس يصلون . . فقال : من هـٰذا اللعين؟ فعلق به لقباً .

بَٱلحَاف[1]

هوَ مِنْ وراءِ عينِ بامعبدٍ إِلىٰ جهةِ ٱلشَّرقِ ، وهوَ مرسىً لآلِ أَحمدَ بنِ هادي آل عَزَّان[2] .

وٱلسُّلطانُ فيهِم : عبدُ ٱللهِ بنُ محسنٍ ٱلواحديُّ[3] ، وهوَ مِنْ جملةِ ٱلموقِّعينَ على

---

(١) **بلحاف** : ميناء يطل على البحر العربي ، عداده من مديرية رُضُوم وأعمال محافظة شبوة ، أقيم فيه ميناء حديث لاستقبال وتصدير الغاز الطبيعي المسال القادم عبر أنبوب الغاز من محافظة مأرب ، ومن شبوة . ونظراً لجمال المنطقة الطبيعي فإن السيّاح يرتادونها من حين لآخر .

منها : الشيخ سعيد بن عمر بلحاف (القرن السابع الهجري) أحد كبار الأولياء العارفين بالله ، ومن أعيان صوفية حضرموت في العصور الوسيطة ، تخرج بالإمام الكبير الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي (ت٦٥٣هـ) ، ولعل هـٰذه المنطقة تنسب إليه أو إلى أسرته المعروفة بها . كان هـٰذا الرجل من الأكابر ، ولـٰكن لم تصل إليه أقلام المؤرخين ولم يترجموه في كتبهم ، واكتفوا بإشارات عابرة فقط . كان من أهل الذوق والوجدان والعرفان ، له شعر رمزي عجيب غريب . عثرت في بلدنا شبام على مجموعة صغيرة من شعره ، وقد كان للسادة بني علوي اهتمام بشعره ، واعتنى جماعة منهم بشرح بعض قصائده الغريبة الفريدة ـ سنأتي على ذكرهم ـ ومن الآخذين عنه والمصاحبين له : الشيخ الجليل عبد الله باعلوي حفيد شيخه الفقيه المقدم ، كما ذكر في ترجمتهما من « المشرع » .

أما شراح شعره :

السيد الإمام العيدروس الأكبر عبد الله بن أبي بكر ، الملقب بسلطان الملا ، المتوفى بتريم سنة (٨٦٥هـ) ، له شرح على قصيدة بلحاف التي مطلعها :

نحـن لكـم مـن قبـل أن يـولـد نـوح . . . .

ذكره الشلي في « المشرع » (٢/٣٤٦ـ٣٤٧) .

السيد العلامة عقيل بن عمر باعمر باعلوي العُمَاني ، المتوفى سنة (١٠٦٢هـ) ، أحد شيوخ صاحب « المشرع » . له شرح قصيدة « جلبة المسافر » ، اسمه : « فتح الكريم الغافر » ، منه نسخة بتريم .

(٢) آل أحمد بن هادي هم فخذ من فخائذ آل الواحدي حكام تلك النَّواحي ، ولمعرفة المزيد من التَّفاصيل حول هـٰذه الأُسرة الواحديَّة ، ومعرفة أَخبارهم . . يُنظر : « الشَّامل » (٥٥ـ٦٣) ، وفيه تفصيل لم يسبق إلىٰ مثله ، و« بضائع التَّابوت » (٢/٣١٨ـ٣٢١) ، و« ما جاد به الزَّمان من أَخبار مدينة حبّان » (١٠٢ـ١١٤) ، و« معالم تاريخ الجزيرة العربيَّة » (٢١٦ـ٢١٨) .

(٣) عبد الله بن محسن بن صالح بن ناصر بن عبد الله بن أَحمد بن هادي الواحديُّ . . كان سلطانَ عَزَّان =

ٱلوثيقةِ ٱلَّتي أَمضىٰ عليها أَعيانُ تلكَ ٱلجهاتِ وسلاطينُها بِٱلسَّمعِ وٱلطَّاعةِ لي علىٰ نصرِ ٱلحقِّ في ٱلمَنْشَطِ وَٱلمَكْرَه[١] .

كما أَنَّ مِنْ جملةِ ٱلموقِّعينَ عليها : ٱلشَّيخ محمَّدَ بنَ جَعْبَل ٱلعوذليَّ بِٱلنِّيابةِ عنِ ٱلسُّلطانِ صالحِ بنِ حسينِ بنِ جعبلٍ ؛ لأَنَّهُ كانَ إِذ ذاكَ صغيراً ، وهوَ ٱلقائمُ بأُمورِ ٱلسَّلطنةِ .

ومِنَ ٱلموقِّعينَ عليها : ٱلسُّلطانُ حسينُ بنُ أَحمدَ ٱلرّصاصُ ، ومشايخُ ٱلمصعبينَ وٱلمَيَاسرِ وآلِ حَسْنَة[٢] ، ومناصبُ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلمحضارِ بمرخة وحَبَّان ، ورؤساءُ آلِ بامسدوس وٱلدَّيِّنِ ، وغيرُهم ، وكانَ كلُّ ذلكَ برأْيِ ٱلمغفورِ لهُ سيفِ ٱلإِسلامِ محمدِ ٱبنِ مولانا أَمير ٱلمؤمنينَ ، أَرادَ بذلكَ نُصرتي لما نالني من ٱلاهتضام بحضرموت إِزاءَ قيامي بنصرِ ٱلشَّريعةِ ، وٱلأَمرِ بٱلمعروفِ وٱلنَّهيِ عنِ ٱلمنكرِ ، وقد ٱستنجدتُ بوالده أَميرِ ٱلمؤمنينَ يحيى بنِ محمَّدٍ . . فلم يتمكَّنْ مِن مساعدتي علناً ؛ لتلبُّد ٱلجوِّ ٱلسِّياسيِّ بٱلغيومِ . ولقد تمَّ كلُّ مايُرامُ مِن أَخذِ ٱلعهودِ علىٰ أُولئكَ ، ولولا أَنَّني شاورتُ مولانا ٱلإِمامَ يحيىٰ في ٱلنُّهوضِ بهم فثناني ـ أَدامَ ٱللهُ مجدَهُ ـ عنِ ٱلاعتمادِ عليهم . . لكانَ لذلكَ نبأٌ عظيمٌ ، ولـٰكنَّهُ ـ أَعلى ٱللهُ شأْنَهُ ـ كانَ أَعرفَ بأَحوالِهم ، وما كنتُ لأُقدمَ علىٰ أَمرٍ وبَيعتُهُ في عُنقي بدونِ إِشارتهِ ؛ لأَنَّ طاعتَهُ واجبةٌ ، ورأْيَهُ ٱلأَعلىٰ وٱلأَصوبُ ، فللّهِ ٱلحمدُ على ٱلسَّلامةِ[٣] .

= فقط ، أَمَّا حَبَّان : فإِنَّها بعد مقتل سلطانها ناصر بن صالح بن ناصر الواحدي سنة (١٣٣١ هـ) صارت تحت سلطان العوالق ، فحَكَمَها محسن بن فريد من ذلك التَّاريخ إِلىٰ سنة (١٣٥١هـ) ، حيثُ نُصِّب عليها حسين بن عبد الله الواحديُّ . وأَمَّا عبد الله بن محسن . . فقد قتل فجأَةً بعدن سنة (١٣٥٨ هـ) .

(١) هـٰذه الوثيقة كتبها وسار بها على المذكورين السَّيِّدُ المصنِّفُ رحمه الله في أَوائل سنة (١٣٤٩ هـ) كما ذكر في « بضائع التابوت » (٣٠٨/١) .

(٢) **المصعبين** : من بلدان ناحية حَبَّان . **المياسر** : جماعة مفردهم ميسري . **الحَسْنَة** : هم قبائل آل الحَسْني ، بتسكين السِّين .

(٣) ذكر المصنِّف في « بضائع التابوت » (٣٠٨/٢) : أَنَّه في أَوائل سنة (١٣٤٩ هـ) وفد علىٰ أَمير المؤمنين الإِمام يحيىٰ حميد الدِّين يستنجد به في التَّدخُّل في سياسة حضرموت الدَّاخليَّة ؛ لكثرة الفتن فيها ، وعدم انضباط أُمورها ، لكنَّ الإِمام اعتذر ، قال ابن عبيد الله : (ولما اعتذر عن المبادرة بتلبُّد=

وأخبرني ٱلشَّيخُ محَمدُ بنُ أَحمدَ ٱلحجريُّ بأَنَّ ٱلأَسلحةَ ٱلمطلوبةَ لذلكَ مِن ألمانيا وصلت ، لـٰكنْ بعدَ وفاةِ ٱلمرحومِ ٱلسَّيفِ محمَّدٍ ، وٱنتهاءِ ٱلحاجةِ .

ومِنْ آلِ بٱلحاف جماعةٌ كثيرةٌ نجَعَتْ إلى ٱلشِّحْرِ .

وفي ٱلحكايةِ (١٦٨) مِنَ « ٱلجوهرِ » (١/ ١٩٣) : أَنَّ آلَ بٱلحافِ تلقَّوا ٱلسَّيِّدَ عليَّ بنَ علويِّ بنِ أَحمدَ ٱبنِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّم[1] بِٱلسَّماعِ .

وفي أَخبارِ سَنةِ (٨١٣هـ) : أَنَّ أَحمدَ بنَ فارسٍ أَخذَ قريةَ آلِ بٱلحاف وأَخرجهُم مِنها ، فخرجوا إلى ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ عمرَ ، فأَرسلَ بعضَ ٱلفقراءِ فلَم يُجِبْهُ ، فسارَ هوَ بنَفْسهِ في رجبٍ ، فردَّها عليهِم ورجعَ هوَ ـ أَعني ٱلشَّيخَ عليَّ بنَ عمرَ ـ في شعبانَ . اهـ مِنْ « تاريخِ باشراحيل »[2] .

وما أَدري مَن هوَ ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ عمرَ ، أَمِن آل باشراحيلَ ، أَم ٱلشَّاذليُّ صاحبُ ٱلمخا ، المتوفىٰ بها سنة (٨٢٨هـ) ، وٱلأَقربُ أَنَّه عليُّ بنُ محمدِ بنِ عمرَ صاحبِ ٱلحوطةِ ، الآتي ذكرُهُ فيها عمَّا قليل ، وأَنَّ سقوطَ ٱسم أبيه في ٱلعبارَةِ ٱلسَّابقةِ سهوٌ مِنَ ٱلنَّاسخ .

وقدِ ٱنعقدتْ بينَ سلطانِ بٱلحاف وهو محسنُ بنُ صالحِ بن عبدِ ٱللهِ ٱلواحديُّ وٱلإنكليزِ معاهدةٌ بتاريخِ (١٣) نوفمبر سنةَ (١٩٠٥م) علىٰ يدِ مايسون والي عدنَ ، وشهودُها : عبدُ ٱللهِ بنُ حسينٍ ٱلواحديُّ ، وأَحمدُ بنُ صالحِ بنِ ناصرِ ٱلواحديُّ ، وهادي بنُ صالحِ ٱلواحديُّ ، وحسينُ بنُ صالحِ ٱلواحديُّ . . علىٰ غرارِ ٱلمعاهداتِ ٱلَّتي جرت بينَ ٱلقعيطيِّ وٱلإنكليزِ .

= غيوم السِّياسة ، ووعدني هو ووليُّ عهده ـ لـٰكن إلىٰ أَجل غير معلوم ـ . . اقترح عليَّ زينةُ العصر ، سيفُ الإِسلام ، الشَّهيدُ البدْرُ : أَن أَذهب إِلىٰ هـٰذه الأَطراف لإِرشادهم ووعظهم ، ثمَّ أَخذ العهود عليهم بالسَّمع والطَّاعة ، في المنشط والمكره ، والسَّعة والضِّيق ، متعهِّداً بما يلزم لذلك من النَّفقات . . ففعلت ، وقرن الله المسعىٰ بالنَّجاح . .) إلخ .

(١) توفي مجاوراً بمكَّة . « المشرع » (٢/ ٤٩٧ـ٤٩٩) .

(٢) ومثله في « تاريخ شنبل » (ص ١٥٩) ، و« العدة المفيدة » (١/ ١٣٧) .

ثمَّ ٱنعقدتْ بأثَرِها على ٱلقربِ بينَهم معاهدةٌ أُخرى بتاريخِ (٢٢) نوفمبر[١] مِنَ ٱلسَّنةِ ٱلمذكورةِ ، جاءَ في ٱلمادةِ ٱلثَّالثةِ مِنها : (أنَّهُ متىٰ قَذَفَتْ مياهُ ٱلبحرِ ببضاعةٍ أَو بمركبٍ ، فإنْ عُرِفَ مالِكُهُ في ظرفِ شهرٍ . . فليسَ للسُّلطانِ ٱلواحديِّ إلاَّ ثُلثُ ٱلموجودِ . وإنْ لَمْ يُعرَفْ في ظرفِ شهرٍ . . فكلُّهُ لهُ) اهـ

وهـٰذا يدلُّ علىٰ أَنَّهُم كانوا علىٰ نوعٍ مِنَ ٱلقرصنةِ[٢] ؛ كآلِ كثيرٍ في رَيْدَةِ ٱبنِ حمدات ، حَسَبَما يأْتي فيها .

وفي أَواخرِ ٱلحربِ العظمى ٱلأُولىٰ وردَني بريدٌ مخصوصٌ بكتابٍ مِنَ ٱلسَّيِّدِ بوبكرِ بنِ سالمِ بنِ أَحمدَ بنِ عليِّ بنِ عمرَ ٱلمحضارِ[٣] ، محرَّراً في (١٧) ذي ٱلحجَّةِ سَنةَ (١٣٣٥هـ) يقولُ لي فيهِ : إنَّ آلَ طالبِ بنِ هادي يريدونَ أَنْ يُحالِفوا آلَ كثيرٍ ، فإذا كانوا راغبينَ . . أَفيدونا .

ولـٰكنَّ آلَ كثيرٍ قد رَكَنوا إلى ٱلدَّعةِ ، وقصُرتْ هِمَّتُهُم ، فلَمْ نَجدْ عندَهُم حركةً لشيءٍ ، ولَمْ يكُن ذلكَ موافقاً لِهَوانا ؛ إذْ قد غُمِسْنا في صداقةٍ معَ ٱلدَّولةِ ٱلقعيطيَّةِ لا يُمكِنُ معها أَنْ نؤَلِّبَ ٱلأَعداءَ عليها ، وإنْ كانت صداقتُها لا تُسمِنُ ولا تُغني مِنْ جوعٍ ، لا معنا فقط ، بل معَ سائرِ حلفائِها وأَصدقائِها ؛ لأَنَّ ٱلسَّيِّدَ حسينَ بنَ حامدٍ ٱلَّذي يمثِّلُها إذ ذاكَ إنَّما ينفقُ مِنْ

---

(١) نوفمبر : اسم الشهر الحادي عشر من شهور السَّنة الشمسيَّة الميلاديَّة بحسب التَّقويم الروميِّ ، يقابله شهر تشرين الثَّاني ، الحادي عشر من شهور السَّنة الشمسيَّة الميلاديَّة حسب التَّقويم السُّريانيِّ . والشهور علىٰ الشَّكل التَّالي :

	روميٌّ	سريانيٌّ		روميٌّ	سريانيٌّ
١ـ	يناير	كانون الثَّاني	٧ـ	يوليو	تموز
٢ـ	فبراير	شباط	٨ـ	أُغسطس	آب
٣ـ	مارس	آذار	٩ـ	سبتمبر	أَيلول
٤ـ	أَبريل	نيسان	١٠ـ	أُكتوبر	تشرين الأَوَّل
٥ـ	مايو	أَيَّار	١١ـ	نوفمبر	تشرين الثَّاني
٦ـ	يونيو	حزيران	١٢ـ	ديسمبر	كانون الثَّاني

(٢) القرصنة : السَّطو على ٱلسُّفن ٱلَّتي في البحر . **والقُرصان** : لصُّ ٱلبحر .

(٣) توفيِّ بحبَّان سنة (١٣٥٧ هـ) .

بضائعِ ٱلمجاملةِ وٱلمعانقةِ ٱلَّتي لا تنفدُ ، بدونِ أَيةِ نتيجةٍ ، ومَنْ بَعْدَهُ مِنَ ٱلوزراءِ شرٌّ منهُ ، فهيَ دولةٌ غنيَّةٌ متراميةُ ٱلأَكنافِ[1] ، ولـٰكنْ بلا رجالٍ أَكْفَاءَ مخلِصينَ .

بيرُ علي

هيَ إِحدىٰ موانىءِ ٱلبحرِ ٱلشِّحريِّ ، في شرقيِّ بٱلحافِ ، وهيَ لآلِ طالبِ بنِ هادي ٱلواحديِّ .

وٱلسُّلطانُ فيهِم : ناصرُ بنُ طالبٍ ، وقد زارَ حَضْرَمَوْتَ قريباً ، وكانَ يزورني بعدَ ٱلظُّهرِ في أَكثرِ ٱلأَيَّام .

وكانت حكومةُ عدنَ تحاولُ ٱتِّحادَهُ معَ آلِ أَحمدَ بنِ هادي وجَعْلَهُم دولةً واحدةً . فأَمَّا آلُ أَحمدَ بنِ هادي . . فرَضوا ، وأَمَّا هوَ . . فأَبىٰ . ولـٰكنَّهُ توفِّيَ فجأَةً بعدن في (١٤) أَبريل مِنْ سَنةِ (١٩٤٠م) ، ولا أَعرفُ ٱلآنَ ما يوافقُها بٱلضَّبطِ مِنَ ٱلتَّاريخِ ٱلهجريِّ[2] .

ومِنْ تلكَ ٱلسَّنةِ و(٢٨) ديسمبرَ توفِّيَ أَيضاً بعدن فجأَةً نقيبُ ٱلمُوسطةِ ٱلشَّيخُ بوبكرٍ ، بعَقِبِ مقابلتهِ لوالي عدن في ٱلحادي عشرَ مِنَ ٱلشَّهرِ ٱلمذكورِ .

وكذلكَ كلُّ مَنْ لَمْ يوافِقْ حكومةَ عدن علىٰ هواها يموتُ فجأَةً ؛ لأَنَّ لهُم جُنُوداً مِنَ ٱلعسلِ ! !

حصنُ ٱلغرابِ

هوَ في بيرِ عليٍّ ، وكانَ أَحدَ مرائِي حَضْرَمَوْتَ[3] ، وهوَ مبنيٌّ بٱلحجارةِ ٱلمنحوتةِ ـ يبلغُ بعضُ أَحجارهِ أَربعةَ أَذرُعٍ وستَّةَ أَذرُعٍ ـ علىٰ قمَّةِ جبلٍ ، يحيطُ بهِ ٱلبحرُ مِنَ ٱلجهاتِ

---

(١) **الأَكناف** : الجوانب .

(٢) الَّذي يوافقها من التَّاريخ الهجريِّ (١٣٥٩هـ) . والله أَعلم .

(٣) **مرائي** ـ جمع مَرْأَىٰ ـ وهو : المكان العالي ، الَّذي تُرىٰ منه الأَشياءُ ، وكأَنَّ المقصود هنا : ما يشبه بُرج المراقبة .

ٱلثَّلاثِ علىٰ عمقٍ غزيرٍ ، يُمكِنُ لكبرياتِ ٱلبواخرِ أَنْ ترسوَ بقُربهِ ، وليسَ لَهُ طريقٌ مِنَ ٱلبرِّ إلاَّ مِنْ جهةِ شِمالهِ فقط .

وهوَ حِصنٌ منيعٌ ، باقيةٌ آثارُهُ ، وحواليَهِ كتاباتٌ بٱلمسندِ[1] ، يظهرُ أَنَّها تعريفٌ بهِ وبأَهلهِ[2] .

هـٰكذا وصفَهُ لي ٱلسُّلطانُ ناصرُ بنُ طالبٍ .

وقد ذكرَهُ ٱبنُ ٱلحائكِ ٱلهمدانيُّ بقولهِ : (وفي ٱلمنتصفِ مِنْ هـٰذا ٱلسَّاحلِ شرقاً بينَ عُمانَ وعَدَنَ . . ريسوت[3] وهوَ موئِلٌ كٱلقلعةِ ، بل قلعةٌ مبنيَّةٌ علىٰ جبلٍ ، يحيطُ بها ٱلبحرُ إلاَّ مِنْ جانبٍ واحدٍ ، وبها سكنَ ٱلأَزدُ مِنْ بني جُدَيْدٍ ، حتَّىٰ طردَتْهم بنو خَنْزَريتْ مِنَ ٱلقَمَرِ ، فتفرَّقوا في بلادِ ٱلمَهْرَةِ .

ويقالُ : إنَّ ساكنَ رَيْسوت ٱلقدماءَ هُمُ ٱلبياسرةُ ، وٱلقمرُ زِنَةُ قمر ٱلسَّماءِ ، بخلافِ مدغشقر وما حواليها ؛ فإنَّها تسمىٰ : جزائِرَ ٱلقُمُر بضمِّ ٱلقافِ وٱلميمِ .

وفي موضعٍ آخرَ يقولُ : ودهلك من معاقلِ ٱلبحرِ ، وكذلكَ ريسوت : حصنٌ منيعٌ لبني رئامٍ وسقطرىٰ وجبل الدخان) اهـ

ولريسوت ذكرٌ عندَ ياقوتَ : في موضعهِ ، وفي ٱلتَّعريفِ بٱليَمنِ [٤٤٨/٥] ، وهوَ ناقلٌ عنِ ٱبنِ ٱلحائكِ ، وما ذكَرَاهُ ينطبقُ في ٱلكيْفِ علىٰ حصنِ ٱلغرابِ .

---

(١) **الخط المسند** : خط حمير القدماء ، وهو مخالف لكتابتنا اليوم .

(٢) ورد في « تاريخ اليمن القديم » (ص ١٥٧ـ ١٥٨) . . ما يدلُّ علىٰ أَنَّ هـٰذه النُّقوش والكتابة وضعت سنة (٦٢١ م) ، وهي تؤَرِّخ مرحلة من الصِّراع الدَّامي الَّذي لاقاه نصارىٰ نجران علىٰ يدي (ذي نواس) الملك اليهوديِّ . والَّذي نقش ذلك النقش هو (سميفع أَشْوَعْ) من أَبناءِ شرحبيل يعفر السَّبَئِيِّ اليهوديِّ ، أَحد أَبناءِ حكَّام اليمن التبابعة . وممَّا يستفاد منه : أَنَّ حصن الغراب هـٰذا كان يسمّىٰ (عرماويه) . . وكان قد قام السَّميفع المذكور بترميم سوره وبابه وصهاريجه وطريق العقبة الصاعدة إليه ، وتحصن هو وجنوده به بعد عودتهم من أرض الحبشة . . وللمزيد من التفاصيل يراجع الكتاب المذكور ، وكتاب « خلاصة السيرة الجامعة لعجائبِ أَخبار الملوك التبابعة » (١٧٥) .

(٣) في المخطوط (ريبوت) ـ بالباء الموحَّدة ـ وفي « صفة الجزيرة » و« معجم البلدان » : ريسوت بالسِّين ؛ وهو الصَّواب . . ولذا عدلنا إليه .

وأمَّا ما ذَكرهُ ياقوتُ مِنَ ٱلأينِ وٱلموقعِ . . فلا يَنطبقُ إلاَّ علىٰ رَيْسوت ٱلقريبةِ مِنْ ظَفَارٍ وهيَ ٱلَّتي يَفرقُ بينَ طريقِها وبينَ ٱلطَّريقِ ٱلمسلوكِ إلىٰ ظَفَارٍ نحوُ ميلٍ ، وهيَ ٱلَّتي تلاقتْ فيها عساكرُ ٱلمَلِكِ ٱلمظفَّرِ ٱلرَّسوليِّ، ثمَّ تقدَّموا مِنها إلىٰ موضعٍ مِنْ أعمالِ ظَفَارٍ، يقالُ لَهُ : **عوقد** ، حيثُ كانتِ ٱلواقعةُ ٱلهائلةُ ٱلَّتي دارتْ فيها ٱلدَّائرةُ علىٰ سالمِ ابنِ إدريسَ ٱلحبوظيِّ ، وٱستولىٰ بعدَها عسكرُ ٱلمظفَّرِ علىٰ ظَفَارٍ ، وعلىٰ سائرِ بلادِ حَضْرَمَوْتَ . وكانتْ تلكَ ٱلموقعةُ في يومِ ٱلسَّبتِ (٢٧) رجبٍ مِنْ سَنَةِ (٦٧٨هـ)[١] ولا يمكنُ أن يرَوىٰ كلُّ هـٰذا عنِ ٱبنِ ٱلحائكِ ؛ إذْ كانتْ وفاتُهُ بسجنِ صنعاءَ في سَنَةِ (٣٣٤هـ) كما في « بغيةِ ٱلوعاةِ » لِلسُّيوطيِّ[٢] ، وإنَّما أُنشِئَتْ ظَفَارُ بعدَ ذلكَ بزمانٍ .

أمَّا مِرباطُ : فلَها ذِكرٌ كثيرٌ في « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » ، ومنهُ في هـٰذا ٱلموضعِ [ص٩١] : (أَنَّ أهلَ ريسوت تفرَّقوا في ٱلبلادِ بعدَ ما بيَّتَهُم بنو خنزريت ، فسَكنوا موضعاً مِنَ ٱلغُبِبِ يقالُ لَهُ : حاسك ومرباط) .

ومِنْ هنا نشأَ وَهَمُ ياقوتٍ ، فذِكرُ حاسكٍ ومِرباط هنا يُمهِّدُ ٱلعُذرَ لَهُ ، لـٰكنَّ ٱلغُبَبَ بأَسرِها مِنَ ٱلمَهرَةِ .

وبذلكَ يقوى ٱلإشكالُ ، ويشتدُّ ٱلاشتباهُ ، وقد عرفتُ بعدُ مِن سؤَالِ ٱلملاَّحينَ : أنَّ ريسوتَ ٱلظَّفاريَّةَ شبهُ قلعةٍ يحيطُ بها ٱلبحرُ مِنَ ٱلجهاتِ ٱلثَّلاثِ ، وهيَ في منتصفِ ٱلطَّريقِ بينَ عُمانَ وعدن ؛ لأنَّ ٱلمسافةَ في ٱلسُّفنِ ٱلشِّراعيَّةِ بٱلرِّيحِ ٱلمعتدلِ من مسقطَ إلى ريسوتَ أَربعةُ أيَّامٍ ، ومِن ريسوتَ إلى ٱلمكلاَّ يومانِ ، ومِنَ ٱلمكلاَّ إلىٰ بيرِ عليٍّ نصفُ يومٍ ، ومنها إلىٰ عدن يومان . . فالوصفُ منطبقٌ علىٰ ريسوتِ ظفارٍ أكثرَ منهُ على حصنِ ٱلغرابِ .

ومِنها ـ أعني « صفةَ جزيرةِ ٱلعربِ » ـ : (أَنَّ شطوطَ بحرِ ٱلعربِ[٣] : مثلَ سفوان

---

(١) وقد قتل فيها الحبوظيُّ ، وتفاصيل هـٰذه الواقعة التَّاريخيَّة مذكورة في « العقود اللُّؤلؤيَّة في تاريخ الدَّولة الرَّسوليَّة » (١/ ٢٠٧ـ٢١٦) ، و« تاريخ حضرموت » للحامد (٢/ ٦٠٢ـ٦٠٤) ، وغيرها .

(٢) والتَّحقيق في وفاة الهَمْداني : أنَّه توفِّي بعد سنة (٣٤٤ هـ) ، حقَّق ذلك العلاَّمة محمَّد بن عليٍّ الأكوع في مقال نشر في (مجلَّة المجمَّع العلميِّ العربيِّ) بدمشق ، المجلَّد رقم (٢٥) (ص٦٢) ، بتاريخ ربيع الأوَّل (١٣٦٩ هـ) . وأورد ذلك التَّحقيق العلاَّمة حمد الجاسر في مقدِّمة « صفة الجزيرة » المطبوع .

(٣) **شطوط** ـ جمع شاطىءٍ ـ وهو : جانب النَّهر والبحر .

وكاظمة وأغبابَ مَهْرةَ وسفلىٰ حَضْرَمَوْتَ والأَحقافُ وتِيهُ أَبينَ وفلاة ٱلفرسانِ وحيقُ بني مجيدٍ) اهـ [٢٤٠] .

وحيقُ بني مجيدٍ : هوَ ثغرُ عدنَ ، ولعلَّهُ منهم آل ماجدٍ ٱلآتي ذِكرهم في تريمٍ ؛ بِأَمارَةِ أَنَّ ٱلعربَ يقولونَ عن ٱلملاَّحِ ٱلخبيرِ ٱلآتي ذكرُهُ معهم : (أحمدُ باماجد) ، والإفرنجُ يقولون : (أَحمد بنُ مجيدٍ) . . فٱلأَمر قريبٌ من بعضِهِ ، ويأتي أَنَّ في تأليفهِ مايصرِّح بأَنَّه مِن عُمانٍ . وٱللهُ عالمٌ .

وفي « ٱلقاموسِ » : (أَنَّ غُبَّ ٱلقمرِ موضعٌ ما بينَ ٱلشِّحْرِ وظَفَارٍ) .

وقالَ ٱلطَّيِّبُ بامخْرَمةَ : (وغبُّ ٱلقمرِ هوَ ٱلمعروفُ ٱليومَ بعشَّةِ ٱلقمرِ ، وهوَ موضعٌ خطِرٌ ، إِذا سَقطتْ إِليهِ ٱلسُّفنُ . . قَلَّ أَنْ تسلَمَ) اهـ

وقالَ ٱلهمدانيُّ [٢٤٠] : (ورؤُوسُ هـٰذا ٱلبحرِ ـ يعني بحرَ ٱلعربِ ـ ٱلمتعالمةُ بٱلخطرِ وٱلصُّعوبةِ : الفرتك ، ورأْسُ ٱلجمجمةِ ، وبابُ ٱلمندبِ) .

ثمَّ ذكرَ غيرَها ممَّا لا حاجةَ بنا إِليهِ، وسيعادُ بعضُ ما هنا قُبيلَ ٱلقسمِ ٱلثَّاني ، فلا مؤَاخذةَ .

ورأْسُ ٱلفرتكِ قريبٌ مِن حصويلَ ، والملاَّحونَ يعرفونَ غُبَّ ٱلقمرِ ويسمُّونَهُ : (غُبّة)؛ لأَنَّهُ في ٱلبحرِ لا في ٱلبرِّ ، وهيَ قريةٌ قريبةٌ جدّاً مِن ظفارٍ ، وقد مرَّ بك قريباً عن ٱلهمداني مايفيد أَن أَغباب ٱلمهرةِ هيَ شواطىءُ ، معَ أَنَّ ٱلملاَّحينَ لا يعرفونَها ؛ إِلاَّ أَغباباً بحريَّةً ، وأَذْكَرُهَا بينهم : غُبّةُ قمر ، ومن ٱلمرافىءِ ٱلَّتي تقربُ منها : غيضةُ غُبةِ ٱلقمرِ ، وهيراك غُبة قمرَ ، وفوري غُبّة قمر ، وخور خلفوت غُبة قَمَر ، ورأسُ نشطونَ آخر غُبة قمر ، وكلُّها واقعٌ بينَ غيضةِ ٱبنِ بدرٍ وجبلٍ يُقالُ له : رأْسُ ٱلغنطاسِ ، وهو شرقيَّ رأْسِ ٱلفرتكِ .

ورأَيتُ في « ٱلشِّهابِ ٱلرَّاصدِ » : (أَنَّ ضابطاً إِنكليزيّاً نَقَلَ بعضَ ٱلنُّقوشِ ٱلَّتي في حصن ٱلغرابِ ، وعرضَها على ٱلعلماءِ ٱلعارفينَ ، فإِذا فيها : أَنَّ سَميفَعَ أَشوىٰ وأَولادَهُ نَقشوا هـٰذا ٱلتَّذكارَ في حصنِ مِريجتْ ـ غراب ـ لَمَّا وصلوا أَسوارَهُم ، ومَهَّدُوا دروبَهُم ، وتحصَّنوا فيهِ ، بعدَ أَنْ فتحوا ٱليَمنَ وغلبوا أَهلَها ، وفتحوا طريقَ ٱلتِّجارةِ في أَرضِ حِمْيَرَ ، وقَتلوا مَلِكَها وأَقيالَهُ[1] ٱلحِميريِّينَ .

---

(١) **أَقيالَهُ** : الملوك ٱلَّذينَ تحت يد الملك الكبير .

وشبيهٌ أَنْ يكونَ هـٰذا ٱلمقتولُ هوَ ذا نُواسٍ ٱلْحِمْيَرِيَّ ؛ فإِنَّهُ ٱلَّذي قتلَهُ ٱلأَحباشُ) اهـ
وفي مذكِّراتي عن بعضِ ٱلتَّواريخِ ٱليمنيَّةِ أَنَّ أَوَّلَ نائبٍ مِن جهةِ ٱلحبشةِ كانَ عربياً مسيحياً يقالُ لهُ : (سيمافع أشوع) ، ثم تبعَهُ أَبرهةُ ٱلمشهور . اهـ وهيَ فائدةٌ حسنةٌ ؛ لتقاربِ ٱلاسمين .

وسمعتُ أَنَّ هـٰذا ٱلضَّابطَ ٱلَّذي نقلَ ٱلنُّقوشَ يقالُ لَهُ : (والسْتَماد) ، وهوَ صادقٌ في قولِهِ : (أَنَّ ٱلأَحباشَ قتلوا ذَا نُواسٍ) ؛ لأَنَّهُم إِنْ لَمْ يَقتلوهُ مباشرةً . . فقد أَلقىٰ بنَفْسِهِ في ٱلبحرِ ، لَمَّا ٱنهزمَ مِنْ أَرياطَ وأَبرهةَ ٱلحبشيَّيْنِ .

وذُو نُواسٍ هـٰذا هوَ ٱلَّذي أَجْبَرَ أَهلَ نَجْرَانَ على ٱلتَّهوُّدِ ، وخَدَّ لَهُمُ ٱلأُخدُودَ ، فكانَ في غزوِ ٱلأَحباشِ لَهُ ٱنتصارٌ للمسيحيَّةِ ، وأَخذٌ بٱلثَّأرِ[1] .

أَمَّا مدَّةُ ٱلأَحباشِ بٱليَمنِ : فقد كانت قصيرةً ، حَسَبَما هوَ مفصَّلٌ «بٱلأَصلِ» .

وموجودٌ في « سيرةِ ٱبن هشامٍ » [١٥١/١] وغيرها : (وأَوَّلُ مَن ملكَ مِنهم أَرياطٌ ، بعثَهُ صاحبُ ٱلحبشةِ علىٰ جيوشِهِ لمّا تهوّد ذو نواسٍ ، وأَحرقَ ٱلإِنجيلَ . . ففتح أَرياطٌ ٱليمنَ وٱستقرَّ في مُلك ذي نواسٍ ، ثمَّ ملكَ بعدَهُ أَبرهةُ ٱلأَشرمُ ، وهو صاحبُ ٱلفيلِ ، ثمَّ ملكَ بعدَهُ ٱبنُهُ أَكسومُ[2] ، ثمَّ ملكَ بعدَهُ أَخوهُ مسروقٌ ، وهو آخرُ مَن ملكَ ٱليمنَ مِنَ ٱلحبشةِ ، وذلكَ أَنَّ سيفَ بنَ ذي يزنَ ٱستعاذ بكسرىٰ علىٰ مسروقٍ . . فأَمدَّهُ بجيشٍ ، ففتحَ بهِ ٱليمنَ ، وبقيَ نائباً عن كسرى حتّىٰ قتلَهُ بعضُ مَنِ ٱستخلصهُ مِن

---

(١) الملك هـٰذا هو : الملك ذو نواس الأَصغر ؛ واسمه : زرعة بن عمرو بن زرعة الأَوسط ابن حسَّان الأَصغر بن عمرو بن زرعة الأَكبر ابن عمرو بن تُبَّع الأَصغر بن حسَّان بن أَسعد تُبَّع .
وهو صاحب الأُخدود ، سُمِّي يوسف لما تهوَّد ، وقيل : سمِّي ذا نواس ؛ لذؤابتين كانتا تنوسان علىٰ رأسه . وكان علىٰ دين اليهود ، فشكا إِليه يهود نجران غلبة النَّصارىٰ . . فنهض بالجنود إِلىٰ نجران فحفر الأُخدود ، وأَضرم النَّار فيه . . . وفيهم نزلت الآيات .
ثمَّ ذكر أَنَّ : ذو ثُعْلُبان الأَصغر الحميري مضىٰ إِلى النَّجاشيِّ ـ ملك الحبشة ـ وكان نصرانيّاً واستغاث به . . فأَرسل معه قائداً علىٰ رأس جيش عداده ثلاثون أَلفاً . . فغدر بهم ذو نواس ، وقتل منهم أَعداداً كثيرةً ، فغضب نجاشيُّ الحبشة فأَرسل جيشاً أَعظم من الأَوَّل علىٰ رأسه أَرياط وأَبرهة . . فلمَّا لاقاهم ذو نواس ورأَىٰ عجزه عن قتالهم . . اقتحم البحر بنفسه وفرسه ، فغرق فيه . اهـ بتصرُّف يسير واختصار من : « خلاصة السِّيرة الجامعة » (١٧٥ـ١٧٦) .
(٢) في « سيرة ابن هشام » : (يكسوم) . والله أعلم .

ٱلحبشةِ ، فولَّىٰ كسرىٰ وَهْرزَ مكانَهُ ، ولمَّا هلكَ . . أَقامَ كسرى ٱلمرزبانَ ، ولمَّا هلك . . أَقامَ خذخسرو ، ثم عزَلَهُ ، وولَّىٰ باذان ، وفي عهدِهِ كانتِ ٱلبعثةُ . . فأَسلمَ باذانُ وفشا ٱلإِسلامُ بٱليمنِ ، وتتابعت منهُ ٱلوفودُ علىٰ رسولِ ٱللهِ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وبقيَ باذانُ نائباً على ٱليمنِ حتَّىٰ ماتَ بعدَ حجَّةِ ٱلوداعِ ، فولَّى ٱلنَّبيُّ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ٱبنهُ شهراً علىٰ صنعاءَ ، وعلىٰ كلِّ جهةٍ واحداً من ٱلصَّحابةِ إلى أن خرجَ ٱلأَسودُ ٱلعنسيُّ . . فقتلَ شهرَ بنَ باذانَ ، وأَخرجَ عمَّالَ ٱلنَّبي صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ مِنَ ٱليمنِ ، ولمّا قُتِل . . عادوا إلىٰ أَعمالهم) اهـ من « صبح الأعشىٰ » [٥/ ٢٥ـ٢٦] .

وقد دخلَتْ بيرُ عليٍّ تحتَ ٱلحمايةِ ٱلإِنكليزيَّةِ علىٰ يدِ والي عدنَ لذلكَ ٱلعهدِ ، المسمىٰ : هرغ .

وسلاطينُها : محسنُ بنُ صالحٍ ، وصالحُ بنُ أَحمدَ بنِ صالحٍ ، وعبدُ ٱللهِ بنُ أَحمدَ بنِ صالحٍ ، وناصرُ بنُ حسينِ بنِ محسنٍ ، وبو بكرِ بنُ حسينِ بنِ محسنٍ ، وصالحُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ صالحِ بنِ محسنٍ ، وعليُّ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ صالحِ بنِ محسنٍ ، وناصرُ بنُ طالبِ بنِ هادي بتاريخِ (٢٠) أبريل سَنَةَ (١٨٨٨م) .

وبٱلحجازِ حِصنٌ خرابٌ يُقالُ له : حصنُ ٱلغرابِ ، وهو ٱلَّذي يُقالُ لهُ أَيضاً : حصنُ ٱلهجومِ . قال ابن المجاور في (ص٢٠) من « تاريخه » : كان جبلاً مدوراً في قاعٍ صفصفٍ ، حولَهُ قلعةٌ بُنِيت بٱلحجارةِ ٱلمنحوتةِ ، طولُ كلِّ حجرٍ سبعةُ أَذرعٍ في عرضِ ثلاثةٍ ، يحاذي طولُهُ ذروةَ ذلك ٱلجبلِ ، وقد فتحَ ٱلنَّبيُّ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ذلكَ ٱلموضع ، وبقيَ ٱلحصنُ بحالِهِ حتَّى انتهى ٱلمُلكُ إلىٰ قتادةَ بنِ إدريسَ . . فهدَمَهُ ؛ كي لا يعتصِمَ بِهِ ٱلأَعرابُ ، وسمِّيَ ٱلآنَ : حصنَ ٱلغرابِ . وٱللهُ أعلمُ بحالِ هـٰذا ٱلخبرِ ؛ ففي ٱلكتابِ كثيرٌ مِنَ ٱلأَقاصيصِ ٱلَّتي لا تطمئِنُّ إليها ٱلنَّفسُ . قالَ : وهوَ مِن بناءِ ٱلأَنباطِ ٱليونانيين ، وليسَ مِن بناءِ ٱلعربِ ؛ لأَنَّه لا يتدبَّرُ لهم فيه عملٌ ، ولا يصلحُ علىٰ أيديهم . . فلا يُتَصوَّرُ في خواطِرِهم ، وإِنَّما هوَ وما أَشبَهَهُ مِن عملِ ٱلجبابرةِ ، وحكمةِ ٱلأَوائلِ . اهـ مختصراً بٱلمعنىٰ ، ويأتي في هـٰذا ٱلكلامِ ما سيجيء عليكَ في ٱلعُرِّ .

عَزَّانُ[1]

هوَ في شمالِ بٱلحافِ ، علىٰ مسافةِ ثلاثةِ أيّامٍ منها لِلجِمَالِ .

وهوَ حصنُ آلِ أحمدَ بنِ هادي ، وقد جَرتْ لَهُم خطوبٌ ، وتقلَّبتْ بِهِمُ ٱلأَحوالُ ، حسَبَما فُصِّلَ «بٱلأَصلِ» .

وفي غربيِّ عَزَّانَ علىٰ مسافةِ ساعتينِ بٱلتَّقريبِ . . تكونُ حَوْطَةُ ٱلفقيهِ عليٍّ .

حوطةُ ٱلفقيهِ

هيَ بلادٌ تجاريَّةٌ معمورةٌ ، في غربيها علىٰ بُعدِ تسعِ ساعاتٍ للجِمَالِ يكونُ : موقعُ حَبَّانَ ، ومِنها إلىٰ يبْعِثْ في شرقيها مرحلتانِ بسيرِ ٱلأَثقالِ[2] .

وٱلحوطةُ ٱلمذكورةُ منسوبةٌ للشَّيخِ ٱلجليلِ : عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ عُمرَ بنِ راشدِ بنِ خالدِ بنِ مالكٍ ، ٱلمالكيِّ نسباً ، ٱلشَّافعيِّ مذهباً .

وبها كانت وفاتُهُ أَوائِلَ سَنةِ (٨٣٢هـ) ، وعليهِ قبَّةٌ كبيرةٌ إلىٰ جانبِ جامعهِ ٱلَّذي كانتْ عمارتُهُ في سَنةِ (٧٧١هـ) .

وقالَ ٱلطَّيِّبُ بامخرمةَ في مادةِ (ٱلرَّحبي) : (إنَّ بٱليمنِ بقُربِ قريةِ محفن ـ ٱلمعروف بحصنِ ٱلمخارمِ ٱلكِنديِّينَ ـ قريةً يقالُ لَها : **ٱلرَّحبةُ** ، أَنشأَها ٱلفقيهُ ٱلعالمُ ، ٱلصَّالحُ ٱلورعُ : نورُ ٱلدِّينِ عليُّ ٱبنُ جمالِ ٱلدِّينِ محمَّدِ بنِ عُمرَ ٱلمالكيُّ .

قَدِمَ والدُهُ مِنْ أَبْيَنَ ، ثمَّ أَقامَ **بٱلمَصْنَعةِ** ـ وهيَ حَبَّانُ ـ فأَولدَ ٱلولدَ ٱلصَّالحَ علياً

---

(١) كانت عزان هـٰذه عاصمة السلطنة الواحدية قبل استقلال الجنوب في (١٩٦٧م) ، وهي من أعمال محافظة شبوة ، وقد أقيم بجوارها جسر يربط مناطق وأنحاء ميفعة بغيرها من مديريات شبوة . ويوجد في عموم اليمن (٢٢) اثنانِ وعشرون موضعاً كلها تحمل نفس هـٰذا الاسم ، أوردها المقحفي في « معجمه » .

(٢) أي : بسير الجِمالِ المحمَّلة بالأثقالِ .

ٱلمذكورَ ، وٱلفقيهَ شرفَ ٱلدِّينِ إسماعيلَ ، وٱلفقيهَ إسرائيلَ ، وٱلفقيهَ أبا بكرٍ .

وكانت هٰذهِ ٱلرَّحبةُ مَوَاتاً ، طلبها مِنْ أَهلِ تلكَ ٱلجهةِ ، وبنىٰ بها جامعاً حَسَناً ، وفطرَ[1] فيها آباراً ، وأَولدَ فيها أَولادَهُ ٱلفقهاءَ يُطعِمونَ ٱلطَّعامَ .

توفِّيَ ٱلفقيهُ عليٌّ بٱلمحرَّمِ سَنةَ (٨٣٢هـ) ، كذا ذكرَهُ ٱلقاضي مسعودٌ) . هٰذا آخرُ كلامِ ٱلطَّيِّبِ ، وهوَ موافقٌ لِما تقدَّمَ[2] .

روضةُ بني إسرائيلَ

هيَ واقعةٌ في شِمالِ حوطةِ ٱلفقيهِ عليٍّ ، منسوبةٌ إِلىٰ أَخيهِ إسرائيلَ بنِ محمَّدٍ ، وهُم بيتُ عِلْمٍ وصلاحٍ ، ولَهُم مؤَلَّفاتٌ وفتاويات كثيرةٌ في فقهِ ٱلإمامِ ٱلشَّافعيِّ ، منهُم : ٱلشَّيخُ ٱلشَّهيرُ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱلقادرِ ، مؤَلِّفُ « غرائب ٱلقرآنِ » وغيرِهِ ، ذكرَهُ صاحبُ « ٱلمَشْرَعِ » في (ص١٩٨/ج٢)[3] .

وقد صدرَ لإسماعيلَ ـ ٱلمذكورِ في كلامِ بامخرمةَ ، أَخي إسرائيلَ هٰذا ـ مرسومٌ سلطانيٌّ بولايةِ ٱلقضاءِ مِنْ بابِ بروم إِلىٰ بابِ أَبينَ وما بينَهُما مِنَ ٱلقرىٰ ، مِثل : دثينةَ وأَحور وميفعةَ وٱلعينِ وغيرِها .

---

(١) فطر : ابتدأ واخترع . قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما : كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض . .حتىٰ أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ؛ أي : أنا ابتدأت حفرها .

(٢) النسبة (١٣٠خ) .

(٣) ذكره في « المشرع » (٢/ ٤٣٥) ، في ترجمة السَّيِّد عبد الله بن محمَّد صاحب الشُّبَيْكة القديم ، المتوفَّىٰ بمكَّة المكرَّمة سنة (٩٧٤ هـ) . والفقيه محمَّد بن عبد القادر الإسرائيليُّ هٰذا . . معدود من تلامذة السَّيِّد صاحب الشُّبيكة المذكور ، وقد ترجم له في « تاريخ الشُّعراءِ » (١/ ٢١١ـ٢١٣) ، وأَورد نسبَه مغايراً لما هنا . . فقال : محمَّد بن عبد القادر بن أَحمد بن أَبي بكر بن إِسرائيل بن إِسماعيل بن محمَّد بن عمر . . وما ورد في « عقد اليواقيت الجوهرية » (٢/ ١١٦) يؤَيِّد هٰذا .

ولد الفقيه محمَّد بن عبد القادر في روضة أَجداده سنة (٩٥٧ هـ) ، ونشأ محبّاً للعلم وأَهله ، وطلبه أَوَّلاً علىٰ أَبيه ، ثمَّ علىٰ علماءِ عصره ، وكان له ولآبائهِ وجاهةٌ دينيَّة بوادي حَبَّان ، ولهم بها ثروة وأَراض . . توفِّي في (١٨) رجب (١٠١٥ هـ) .

وكانَ ذلكَ ٱلمرسومُ بتاريخِ (١٠) محرَّم سَنَةَ (٨١٥هـ) ، وكانت وفاةُ إسماعيلَ هـٰذا بمدينةِ حبّان في (٧) ربيع ٱلثَّاني سَنَةَ (٨٣٥هـ)[1] .

ولإسماعيلَ بنِ محمَّدِ بنِ عمرَ هـٰذا ذكرٌ كثيرٌ في « مجموعِ ٱلجدِّ طـٰه بنِ عمرَ » ، وهوَ ممَّن أفتىٰ بصحَّة ٱلعهدَةِ ٱلمعروفةِ بحضرموتَ .

مَيْفَعَة[2]

هيَ أَرضٌ واسعةٌ ، فيها قُرىً وآبارٌ كثيرةٌ ، عاصمتُها قريةٌ في أَثنائِها تسمَّىٰ : **أَصبعون** ، علىٰ شفا جُرُفٍ هارٍ مِنَ ٱلدَّمارِ .

وهيَ في شرقيِّ عَزَّانَ ، بينها وبينَهُ مسافةُ نحوِ ساعتينِ ، ومِن أرباضِ ميفعةَ في جنوبِها : **ٱلصَّعيدُ** ، **وجولُ آلِ عبدِ ٱلمانعِ** ، **وٱلحوشُ** ، **ورضومُ** ، وفي شمالها : **ٱلرَّقَّة** ، **وٱلعطوفُ** ، **وريدةُ آلِ بارشيدٍ** .

---

(١) هـٰذه التَّولية صدرت من حاكم اليمن كما في « الشَّامل » (ص٦٨) ، وكان الحاكم آنذاك ـ أَي في عام (٨١٥ هـ) ـ هو الملك النَّاصر أَحمد بن إِسماعيل بن العبَّاس بن عليِّ بن داود بن يوسف بن عمر بن عليِّ بن رسول الرسولي الغسّاني ، الَّذي تولَّىٰ حكم اليمن من سنة (٧٧٨ هـ) إلىٰ سنة وفاته عام (٨٢٩ هـ) ، كما في « بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولَّىٰ ملك اليمن من مَلِكٍ وإمام » (ص٤٦) .

وقد أَورد الحدَّاد نصَّ التَّولية ورسالة الشَّيخ العلاَّمة عبد الرحمن بن حيدر الشِّيرازيِّ لبعض قضاة اليمن في التَّعريف بحال العلاَّمة الشَّيخ إِسماعيل الإِسرائيلي ، ولا نطيل بإِيرادها . . فليُطَالع « الشَّامل » (٦٨-٦٩) .

(٢) ميفعة غبر ميفع ، وبينهما (١٠٠) كيلومتر تقريباً ، وميفعة وادٍ في جنوب حَبّان من أعمال محافظة شبوة ، وسمّي باسم ميفعة القديمة التي كانت عاصمة مملكة حضرموت القديمة في عصور ما قبل الإسلام ، والتي كانت مركزاً تجارياً ذات أسوار عالية ومعابد مما يدل على أنها كانت ذات شأن . وقد تعرضت ميفعة القديمة للخراب من جراء السيول ، فقامت بدلاً منها مدينة جول الريدة وهي الآن عاصمة مديرية ميفعة ، وتقع المدينة القديمة بمحاذاة الطريق الإسفلتية التي تربط بين شبوة وحضرموت بالقرب من عزّان .

ويدخل في حدود مديرية ميفعة : عزان ، بلحاف ، بيرعلي ، الروضة ، الصدارة ، وادي عماقين ، جول بن نشوان ، فرتك ، رأس الكلب ، وعين بامعبد ، وغيرها .

وفي عِطفِها : جماعةٌ مِنْ أَعقابِ ٱلسَّيِّدِ فَدْعَقَ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ ٱمْباركِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلمشهورِ بوَطَب .

ولآلِ باقُطْميٍّ[1] ٱعتقادٌ في شريفةٍ مقبورةٍ هناكَ ، يقالُ لها : علويَّةُ ، يُشاعُ أَنَّها مِن آلِ ٱلبغداديِّ ، وٱلأَثبتُ : أَنَّها مِن آلِ جنيدٍ سكَّانِ عزَّانَ .

ومِنْ شَرْطِهم : أَنْ لا يكونَ ٱلقائِمُ بمنصبتِها[2] إلاَّ بنتُ بِكْرٌ مِنْ أُسرتِها ، ولا يمكنُ لَها أَنْ تتزوَّجَ .

وعلىٰ منصبتِها ٱليومَ شريفةٌ يقالُ لَها : سيدهْ ، تَبرُزُ للرِّجالِ وتحادِثُهُم ، ولَها جاهٌ واسعٌ لدىٰ آلِ باقطمي وغيرِهم ، وهيَ تُكرِمُ ٱلضِّيفانَ .

وفي مَيْفعةَ كانتْ وفاةُ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ ٱلصَّالحِ ٱلمغربيِّ[3] ، وكانَ مِنْ خبرِهِ : أَنَّ ٱلشَّيخَ أَبا مَدْينَ أَرسلَ بخِرقةِ ٱلتَّصوُّفِ[4] للفقيهِ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ محمَّدٍ ، بمعيَّةِ ٱلشَّيخِ

---

(١) باقُطْميٍّ ـ بضمِّ القاف ـ : قبيلة من آل بابحر من نَعْمَان . كما في « إدراك الفوت في ذكر قبائل حضرموت » . وآل نعمان من عرب حمير . . وفي « الشَّامل » (ص ٧٠ـ٧٣) . . تفصيل وافٍ شاف لهٰذه القبائل وأُصولها .

(٢) المنصبة : هي القيام في مقام الشَّخص الوجيه ، أَو المعتقَد ، وهو عُرف عامٌّ في حضرموت كلِّها ، بل وفي تهامة اليمن . . فعندما يظهر شخص بمظهر دينيٍّ أَو زعامة روحيَّة ويأتيه النَّاس من كلِّ مكان ، ويطير صيته في الآفاق . . يخلفه بعد وفاته أَحد أَبنائه ، وهٰكذا دواليك يستمرُّ الاستخلاف في الذريَّة ، الأَصلح فالأَصلح ، وقد قام المناصب في حضرموت بأَدوار تاريخيَّة وسياسيَّة كبيرة وكثيرة علىٰ مرِّ العصور .

(٣) وفي « المشرع » (٢/ ١١) : أَنَّه من تلامذة الشَّيخ عبد الرَّحمٰن الحضرميِّ المغربيِّ .

(٤) خرقة التَّصوف : هي ما يلبسه المريد من يد شيخه الَّذي يدخل في إرادته ويتوب علىٰ يده ، وقد صنَّف وتكلَّم جمع من السَّلف الأَكابر في الإلباس وحكمه وبيان أَصله الشَّرعيِّ ؛ منهم :

١ـ الحافظ جلال الدِّين السُّيوطي في رسالته المسمَّاة « إتحاف الفرقة برفوِّ الخرقة » مطبوع ضمن المجلد الثاني من « الحاوي للفتاوي » : (١٩١ـ١٩٧) . أَثبت فيها سماع وأَخذ الحسن البصريِّ من الإمام عليِّ بن أَبي طالب عليه السَّلام .

٢ـ السَّيِّد الشَّريف الإمام أَبو بكر العدنيُّ بن عبد الله العيدروس (ت ٩١٤ هـ) في كتابه « الجزءُ اللَّطيف في التَّحكيم الشَّريف » . مطبوع .

٣ـ السَّيِّد الإمام الشَّيخ عليُّ بن أَبي بكر السَّكران بن عبد الرَّحمٰن السَّقَّاف (ت ٨٩٥ هـ) بكتاب سمَّاه : « البرقة المشيقة في ذكر لباس الخرقة الأَنيقة » ، طبع بمصر في مجلَّد لطيفٍ سنة (١٣٤٧ هـ) . =

عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ محمَّدٍ ٱلحضرميّ[1] ، فأَدركتْهُ ٱلوفاةُ بمكَّةَ ٱلمشرَّفةِ ، فعَهِدَ للشَّيخِ عبدِ ٱللهِ ٱلصَّالحِ ٱلمغربيّ بإيصالِها للفقيهِ ٱلمقدَّمِ ، فألبسَهُ إيَّاها ، وغضِبَ لذلكَ شيخُهُ عليٌّ بامروان ، وقالَ لَهُ : أَذْهَبْتَ نورَكَ بعدَ أَنْ رجوتُ أَنْ تكونَ كابنِ فورك ، فتفقَّرتَ .

فقالَ لَهُ ٱلأُستاذُ ٱلفقيهُ ٱلمقدَّمُ : ٱلفقرُ فخري .

ثمَّ سارَ ٱلشَّيخُ ٱلصَّالحُ لإلباسِ ٱلشَّيخِ سعيدِ بنِ عيسى ٱلعَموديّ عن إشارةِ ٱلشَّيخِ أَبي مَدْيَنَ ، ثمَّ توجَّهَ إلىٰ مَيفعةَ ، وفي طريقهِ إليها أَلبسَ صاحبَ عُورةَ : ٱلشَّيخَ باعُمرَ ، عن نَفْسهِ لا عنِ ٱلشَّيخِ أَبي مَدْيَنَ ، ولمَّا صعدَ إلىٰ مَيفعةَ . . ٱتَّصلَ بباحُمْران .

وذكرَ ٱلشِّلّيُّ [٢/١٢] وغيرُهُ : أَنَّ ٱلفقيهَ ٱلمقدَّمَ سارَ إلىٰ مَيفعةَ لعيادةِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ ٱلصَّالحِ ـ وكانَ بَلَغَهُ توعُّكُهُ[2] ـ وهناكَ ٱجتمعَ بهِ وبتلاميذهِ ، وشَهدوا وفاتَهُ ودفنَهُ بميفعةَ ، ولَمْ يذكروا تاريخَ موتهِ ، غيرَ أَنَّهُ كانَ قبلَ موتِ ٱلفقيهِ ٱلَّذي كانت وفاتُهُ سَنةَ (٦٥٣هـ) .

ومِنَ ٱلعجبِ أَنَّ ٱلعلاَّمةَ ٱلسَّيِّدَ عليَّ بنَ حَسَنٍ ٱلعطَّاسَ يقولُ في « سفينةِ ٱلبضائعِ » : (إنَّ ٱلفقيهَ ٱلمقدَّمَ ، وٱلشَّيخَ سعيدَ بنَ عيسى ٱلعَموديَّ ، وٱلشَّيخَ عبدَ ٱللهِ بنَ عُمرَ صاحبَ ٱلدِّلْقِ ، وٱلشَّيخَ باحُمْران . . ٱجتمَعوا بشيخِهم ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ ٱلصَّالحِ ٱلمقبورِ ببلدِ كنينةَ ـ بلدٌ بٱلشّقِّ ٱلبحريِّ ، قريبٌ مِنْ حَجْر ـ وهيَ ٱلجهةُ ٱلَّتي يقالُ لَها : ميفع) اهـ[3] .

= ٤ـ العلاَّمة المسند الحافظ الشَّريف أَحمد بن محمَّد الصِّدِّيق الغُماريُّ الحسينيُّ المغربي (ت ١٣٨١ هـ) بكتاب حافل جليل سمَّاه : « البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلىٰ علي » ، ط بمصر سنة (١٣٨٩ هـ) ، وقد عقد فصلاً في آخر هـٰذا الكتاب ذكر فيه أَئمة علماءِ المسلمين ممَّن لبسوا الخرقة ، ومنهم الحافظ ابن حجر العسقلاني وتلميذاه السَّخاويُّ والسُّيوطيُّ والشَّيخ زكريَّا الأَنصاريُّ . . وغيرهم . ويُنظر : « أَدوار التَّاريخ الحضرميُّ » (١/ ٢٥٣ـ٢٥٧) .

(١) المعروف عند المؤرِّخين بالمُقعد ؛ لمرض أَصابه فأَقعده عن الحركة . وهو حضرميٌّ مغربيٌّ . . كذا في « المشرع الرَّويِّ » ، فلعلَّ أَصله من حضرموت كما هو حال كثير من أَعلام المغرب كابن خلدون ، ويؤيِّد هـٰذا وَصْف الشِّليُّ له بأَنَّه : (من أَكابر تلامذة الشَّيخ أَبي مدين) . . « المشرع » (٢/ ١١) .

(٢) **التوعُّك** : التَّعب الَّذي يجده الإنسان من المرض ، أَو هو أَذى الحُمَّىٰ .

(٣) سفينة البضائع (خ ١/ ٦٤) .

ففيهِ أَوهامٌ ، وكأَنَّ ٱلنَّظرَ ٱنتقلَ عليهِ مِنْ ميفعةَ إلىٰ ميفع ، ثمَّ ما كانَ ٱلشَّيخُ ٱلصَّالحُ بشيخٍ لِلمقدَّمِ ولا للعَموديِّ ، وإنَّما هوَ سفيرٌ محضٌ في إيصالِ ٱلخِرقةِ لَهُما[1] .

ونقلَ ٱلحبيبُ شيخٌ ٱلجفريُّ في « كنزِ ٱلبراهينِ » عنِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلقادرِ ٱلعيدروس : (أنَّ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱللهِ ٱلصَّالحَ لمَّا رجعَ إلىٰ حضرموتَ . . أقامَ بميفعة ، وهي بلدٌ أقصىٰ حضرموتَ ، قريبٌ مِن ساحلِ عينِ بامعبدٍ ، وتزوَّج بقريةٍ مِن قراها ، يقال لها : ٱلسوقُ ، أعلى من أصبعونَ ، فوقَ ٱلرَّبوةِ ، وكانَ له بنتانِ ؛ حمادةُ ومحمودةُ ، فلمَّا مرض . . جاء ٱلمشايخُ ٱلَّذينَ حكَّمهم رضيَ ٱللهُ عنهُم يزورونَهُ ، وهم : ٱلفقيهُ ٱلمقدَّمُ ، وٱلشَّيخُ سعيدٌ ٱلعموديُّ ، وباعمر ، وباحمران ، وقالوا : تشير إلىٰ أحدٍ بعدك؟ فسكت ساعة ، ثم قال : يا أولادي ؛ ما ٱستقلَّ منكم إلاَّ صاحبُ ٱلسُّبحةِ ، وأنتم مشايخُ ، وميراثي أرباعٌ بينكم ، وٱلبنتانِ علىٰ يدك يا شيخُ سعيدُ ، فلمَّا مات . . قسموا ميراثه بٱلقرعةِ ، فخرج ٱلمشعلُ والقدرُ للشَّيخِ سعيدٍ ، وٱلسُّبحةُ وٱلعكَّازُ للفقيه ٱلمقدّم ـ فكانَ هوَ ٱلمشارَ إليهِ بٱلاستقلالِ ـ والدلق لباعمر ، صاحبِ عورةَ ، وٱلحبوةُ وٱلبسطةُ لباحمران . وقبرُ ٱلشَّيخِ ٱلصَّالحِ بأَصبعون) اهـ

وقسمةُ ٱلميراثِ بينَ هؤلاءِ إشكالٌ ؛ لأنَّهُ إن أرادَ ٱلسِّرَّ . . غبَّرَ عليهِ ذكرُ ٱلمقتَسَماتِ ، ولعلَّ ٱلمرادَ ٱلوصيَّةُ ، وٱلسِّرُّ تبعٌ لِما جَرت فيهِ ٱلقسمةُ ، ثمَّ إنَّ قولَهُ يا أولادي لا يخالف ما نقلوه أن ليسَ له مشيخةٌ على ٱلفقيهِ ولا على ٱلعموديِّ ؛ إذ لا مانعَ من ٱلتَّغليبِ وتقدُّمِ ٱلسِّنِّ .

وفي ميفعةَ باحُمْرانَ آخَرُ غيرُ ٱلأَوَّلِ ، هوَ مِنْ تلاميذِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ باعلويٍّ[2] .

وكانَ في ميفعةَ جماعةٌ مِنْ علماءِ ٱلإباضيَّةِ ، حَسَبَما يُعرَفُ مِنْ شِعرِ ٱلإمامِ إبراهيمَ بنِ قيسٍ ٱلآتي في ذِكرِ شِبام .

---

(١) الَّذي في « المشرع الرَّويّ » (١/ ١٢) ، وكما تقدَّم قريباً من قول المؤلِّف رحمه الله : أنَّ الشَّيخ الصَّالح ألبس باعمر وباحُمران عن نفسه لا عن الشَّيخ أبي مدين كما فعل مع الفقيه المقدَّم والعموديِّ . . فلعلَّ الحبيب عليَّ بن حسن أراد بقوله : (شيخهم) التَّغليب ، أو هو شيخهم مجازاً لا على الحقيقة ، والله أعلم .

(٢) كذا ورد في « المشرع » (٢/ ٤٠٦) ، بالنَّصِّ .

أمّا سلطنةُ ميفعةَ وحَبَّانَ : فقد كانت في ٱلقرنِ ٱلتّاسعِ للدّولةِ ٱلطّاهريّةِ[١] .

وأمّا في ٱلقرنِ ٱلعاشرِ. . فسلطنةُ حَبّان لِلواحديِّ ، ومنهُم : عبدُ ٱلواحدِ بنُ صلاحِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلواحدِ بنِ صلاحِ بنِ روضانَ ، وهوَ ممدوحُ ٱلشّيخِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلقادرِ بنِ أحمدَ ٱلإسرائيليِّ .

توفِّيَ عبدُ ٱلواحدِ ٱلمذكورُ في سَنةِ (٩٩١هـ) وسلطنةُ ميفعةَ لابنِ سدّةَ .

وكثيراً ما جاءَ ذِكرُهُ في « ديوانِ » ٱلشَّيخِ عُمرَ بنِ عبدِ ٱللهِ بامَخْرَمةَ ، فمِنْ ذلكَ قولُهُ يُهيِّجُ بَدْرَ بُوطُوَيرق عليهِ :

فَـٱلْمَـرَهْ زَاهِلَـهْ لِلْعَقْـدْ مَـا عَـادْ عِـدَّهْ   مَـا تِبَـا ٱلاَّ حِصَـانَـكْ قُـلْ لَعَبْـدَكْ يِشِـدَّهْ
حَجْرْ فِي شَهْرِنَا وَٱلْعَوْلَقِي وَٱبْنْ سَدَّهْ

وهوَ[٢] وآلُ عبدِ ٱلمانعِ وآلُ ٱبنِ عبدِ ٱلواحدِ سلاطينُ ٱلظّاهرِ ، يَرجعونَ إلىٰ بني أُميّةَ في ٱلنَّسبِ[٣] .

---

(١) الدّولة الطّاهرية : نسبتها لطاهر بن تاج الدِّين بن مُعُوضة اليمنيّ ، تمكَّن أبناؤه من تأسيس دولتهم الطّاهريّة في اليمن سنة (٨٥٨هـ) ، علىٰ أنقاض دولة بني رسول ، استمرّت أكثر من سبعين سنة لتنتهي قبيل دخول الأتراك العثمانيّين إلى اليمن سنة (٩٣٣هـ) .

(٢) أي : ابن سدّة .

(٣) هٰذا النّصُّ ممّا كثر تداوله عند متأخّري المؤرِّخين والنّسّابة ، وكلٌّ منهم ينقله عن الآخر ، وليس فيه تحقيق ولا تمحيص. . ولكنَّ السّيِّد المحقّق العلاّمة علويَّ بن طاهر الحدّاد تكلّم عنه وعن عدم الاعتناءِ بالنَّسب وكثرة التّلاعب فيه من قِبَل من لا يحسن هٰذا الفنَّ ، في « الشّامل » (٥٣ـ٥٥) .

وأنقل هنا بعض كلامه لشدّة أهميّته ، قال رحمه الله وطيَّب ثراه : كانت كندة تُسمَّىٰ (كندة الملوك) ؛ لتطاولهم إلى الملك وحرصهم عليه ، وكانت العرب تعترف لهم بذلك. . .

. . . ولعل وجود اسم (معاوية) في أنسابهم ـ أي ولاة حَبّان ـ هو الّذي حمل أصحاب التّعاليق علىٰ نسبة ولاة حَبّان إلىٰ بني أُميّة ؛ لأن عامراً هو ابن وهب بن معاوية الأكرمين الكنديُّ ، وأهل الزّمن الأخير قد تركوا البحث في الأنساب ، وخلت أيديهم من كتبها ، فإذا سمعوا بقيّة إشاعة عن نسب. . فهموه علىٰ ما عندهم من قلّة العلم ، وهم إنّما يعلمون أنّ معاوية كان من بني أُميّة لشهرته عندهم ، ولا يعلمون أنّه كان في حضرموت وجهاتها كمٌّ من معاوية . وفي كندة قبيلة تسمَّىٰ : (يزيد بن معاوية) ، ومنهم بقيّة إلى الآن ، فلعلَّ ذلك مصدر ما جاء في بعض التّعاليق : (أنّ ابن سدّة ، وباواحدة ، حُرّاث بحضرموت. . أُمويّون من ذريّة يزيد بن معاوية ، وأنّ آل عبد المانع بالجول =

وفي حوادثِ سَنةِ (٩١٥هـ) مِنْ « تاريخ شنبل » [ص٢٣٧ـ٢٤٨] : أَنَّ عبدَ ٱلودودِ بنَ سدَّةَ صالَ علىٰ بيحان ، فأَفسدَ ضُمُراً[١] فيها ، ثمَّ لاقاهُ آلُ بيحانَ معَ رجوعهِ عن واديهم ، فقَتلوا مِنْ عسكرِهِ أَكثرَ مِنْ عشرينَ ، وأَخذوا عليهِ عبيداً وعتاداً وأَسلحةً .

ومنهُ : في أَخبارِ سَنةِ (٩١٧هـ) [ص٢٥٣] : توفِّيَ ٱلسُّلطانُ ٱلعادلُ عبدُ ٱلودودِ بنُ سدَّةَ .

وينهرُ إِلىٰ ميفعةَ كلٌّ مِنْ جبالِ عَمَقين[٢] ووادي هدىٰ ووادي سلمونَ ، وكانَ بينَها وبينَ وادي حَبَّانَ جبلٌ يمنعُ مِنْ وصولِ مائِهِ إِليها ، ولـٰكنَّ أَحدَ الملوكِ السابقين فتح فيهِ نفقاً يَخترِقُهُ ، فصارَ ماءُ حَبَّانَ يفيضُ فيهِ إِلىٰ ميفعةَ . كذا أَخبرني بعضُهُم عن مشاهدةٍ ، وإِنَّها لأَمارةُ مُلْكٍ ضخمٍ وسلطانٍ عظيمٍ .

وما بينَ عطفِ ميفعةَ ٱلمسمَّىٰ عطفَ بالرشيد وميفعةَ . . آثارُ مدينةٍ قديمةٍ يقالُ لَها : ٱلهَجْرُ[٣] ، كانَ يقالُ : إِنَّها ثاني بلادِ ذلكَ ٱلصَّقعِ بعدَ مدينةِ شَبْوَةَ ، ولا تزالُ آثارُها ماثلةً وأَساطينُها قائمةً ، وعليها كتاباتٌ كثيرةٌ بٱلمسندِ ، وحجاراتُها منجورةٌ ،

= قرشيُّون أُمويُّون ، ومنهم آل عبد الواحد سلاطين الظَّاهر . ا هـ

ومع أَنَّ آل عبد الواحد ليسوا سلاطين الظاهر . . فالقول بنسبتهم إِلىٰ بني أُميَّة وَهَم من الأَوهام . وقد جاءَت جيوش المنصور العبَّاسيِّ مع معن بن زائدة فما تركت من متردِّم ، فكيف يصحُّ أَن تترك أَحداً من بني أُميَّةَ حتَّىٰ يملك ويتسلطن ، وهم قد قتلوا من أَهل حضرموت في وقعة واحدة خمسة عشر أَلفاً لأَنَّهم خوارج ، فكيف لو كان أَحد منهم مع ذلك من بني أُميَّة أَعدائِهم الأَلدَّاءِ ؟! . . . إِلخ وهو كلام محرَّر نفيس .

(١) الضُّمُر ـ بضمتين ، جمع ضمير ـ وهو : السَّدّ الصَّغير الَّذي يبنيه المزارع ليستفيد من مياه السُّيول والأَمطار .

(٢) وادي عَمقين : بفتح العين والميم ، وقد أَطنب في وصفه صاحب « الشامل » (ص ٤٧) بما لا مزيد عليه . . فلينظر هناك .

(٣) يوجد بحضرموت ثلاثة مواضع تسمّىٰ (الهَجْر) . . وردت في كتاب « تاريخ اليمن القديم » وهي : (هجر الناب) بوادي مرخة ، وفيه آثار قديمة ، لعلَّها تعود إِلىٰ عهد مملكة أُوسان . و(هجر كحلان) وهـٰذا بمنطقة بيحان ، وهو موقع مدينة تمنع ، عاصمة الدَّولة القتبانيَّة الَّتي يعود عهدها إِلى القرن العاشر أَو الحادي عشر قبل الميلاد . و(هجر بن حميد) وهو العاصمة الجديدة لمملكة قتبان بعد خراب تمنع ، وهـٰذان الهجران الأَخيران لعلهما الأَقرب إِلىٰ مراد المصنِّف رحمه الله .

وضخامتُها تدلُّ علىٰ أَنَّهُ كانتْ عندَهُم آلاتٌ غريبةٌ للنَّقلِ ؛ لأَنَّ نقلَ تلكَ ٱلحجارةِ ٱلضَّخمةِ لا يَسهُلُ للجِمَالِ ولا للرِّجال .

وقبائِلُ ميفعةَ هُم :

آلُ بابحرٍ ، ينقسمونَ إِلىٰ أَربعِ فصائلَ ؛ آلِ بارشيدٍ ، وآلِ باقُطمي ، وآلِ باديَّانَ ، وآلِ بافقيهٍ يقدَّرونَ ـ حَسَبَما أَخبرني بعضُهُم ـ بأَكثرَ مِنَ ٱلفٍ وخمسِ مئةِ رامٍ . وٱللهُ أَعلمُ بحقيقةِ ٱلحالِ[1] .

وما سبقَ مِنْ خَرْقِ ٱلجبلِ ليسَ بٱلكبيرِ في جانبِ ما ذكرهُ ياقوتٌ في مادةِ (مَنْدَب) [٢٠٩/٥] : (مِنْ أَنَّ بعضَ ٱلملوكِ أَرادَ أَنْ يُهلِكَ عَدوَّهُ ، فندبَ ٱلرِّجالَ إِلى ٱلمَنْدَبِ ـ وكان جبلاً يَحجُزُ ٱلبحرَ ، ويمنعُهُ أَنْ ينبسطَ بأَرضِ ٱليَمنِ ـ فقدُّوهُ ، فنفذَ ٱلبحرُ إِلىٰ أَرضِ ٱليَمنِ ، وغلبَ علىٰ بلدانٍ وقرىً كثيرةٍ ، وأَهلكَ أُمماً ، وصارَ منهُ بحرُ ٱليَمنِ ٱلحائِلُ بينَ أَرضِ ٱليَمنِ وٱلحبشةِ ، ٱلآخذُ إِلىٰ عَيْذَابَ وٱلقصيرِ إِلىٰ مقابلِ قُوصٍ مِنْ بلدِ ٱلصَّعيدِ ، وعلىٰ ساحلهِ أَيلةُ وجُدَّةُ وٱلقَلْزمُ وغيرُ ذلكَ مِنَ ٱلبلادِ) . وٱللهُ أَعلمُ .

هٰذا آخِرُ كلام ياقوتٍ ، وفيهِ مِنَ البعدِ ما لا يقبلُهُ العقلُ ؛ لأَنَّ هٰذا ٱلبحرَ ٱلمسمَّىٰ بالأَحمرِ قديمٌ جداً ، ولأَنَّ ٱلمسافةَ ما بينَ رأسِ دمار ٱلواقعِ في أَفريقيا وٱلجبلِ ٱلمسمَّى ٱلمنهلي ـ ٱلمنسوبِ للشَّيخِ سعيدٍ ، وفيهِ قلعةٌ ـ تقرُبُ مِنْ ثلاثينَ ميلاً[2] ، تمخرُها كبرياتُ ٱلسُّفنِ بلا توقُّفٍ ، فما هوَ ـ إِنْ صحَّ ـ إِلاَّ أَمرٌ عظيمٌ لَمْ يَصلْ إِليهِ ٱلغربيُّونَ ٱلآنَ ، ولا إِلىٰ قريبٍ منهُ ، وظاهرُ كلامِ ياقوتٍ أَنَّهُ لذلكَ سُمِّيَ ٱلمَنْدَبَ .

وسمعتُ بعضَ أَهلِ ٱليمنِ يقولُ : إِنَّما سُمِّيَ ٱلمَنْدَبَ لواقعةٍ بتِهامةَ كثُرتِ ٱلقتلىٰ فيها ، فٱنتشرتِ ٱلنُّدبةُ[3] فيهِ وفي كلِّ ما وراءَهُ مِنَ ٱلبلدانِ ، فلذلكَ قيلَ : بابُ ٱلمَنْدَبِ . وٱللهُ أَعلمُ .

---

(١) الَّذي في « الشَّامل » (ص ٧٢) : أَنَّ الباقطميَّ يتراوح تقديرهم بين (١٥٠) و (٥٠٠) ، على اختلاف بين القائلين . ونعمان كلُّها تقدَّر بنحو (١٥٠٠) مقاتل .

(٢) يُقدر عرض فتحة باب المندب بنحو (٢٤) كم فقط .

(٣) النُّدبة : لبكاء على الميت ، وتعداد محاسنه .

ثمَّ زارني ٱلبحَّاثةُ ٱلمؤرِّخُ سارجنت يحملُ كتاباً ٱسمهُ : « تاريخ المستبصر » طبع بليدن سنة (١٩٥١م) ، مؤلِّفُهُ جمالُ ٱلدِّين أبو ٱلفتح يوسفُ بنُ يعقوبَ ٱلشَّيبانيُّ ٱلدِّمشقيُّ المعروفُ بٱبنِ ٱلمجاورِ ، فإذا بعبارةٍ ضعيفةٍ ، ومناقضاتٍ وتجازيفَ تطلبُ كثيراً مِنَ ٱلبساطةِ ، وقد نقلَ في (ص٩٥) منه عن ٱلمفيدِ بجياش ٱبن نجاحٍ ٱلحبشيِّ قال : إنَّ ذا ٱلقرنينِ لمَّا وجدَ شدّةَ ٱلحرِّ . . نقبَ بابَ ٱلمندبِ ، فخرجَ ٱلبحرُ حتَّىٰ وقفَ عرقٌ منه بالقلزمِ ، وحصلَ ٱلفرقُ بذلكَ بينَ ٱلعربِ وٱلحبشِ ، وبنىٰ بعضُ ٱلعربِ علىٰ جبلِ ٱلمندَبِ حصناً .

وقال في (ص١٠٦) : إنَّه كانَ لايُرىٰ من عدن إلاَّ رؤوسُ ٱلجبالِ ، حتَّى فُتحَ بابُ ٱلمندبِ ، فجرى ٱلبحرُ إلى ٱلقلزمِ وعرضَ وٱنبسطَ . . فبانَتْ أرضُ عدن .

ومثله في (ص ١٠٧) و (١١٥) ، وغير ذلك ، ودلل في (ص ١٠٦) بما أكثره عليه لا لهُ ؛ منه : أنَّ شدَّاد بنَ عادٍ لم يبنِ إرمَ ذاتِ ٱلعمادِ إلاَّ مابينَ ٱللَّخيَّةِ ولحجٍ ، وبينَ ٱلمعادي ٱلَّتي علىٰ طريق المفاليسِ ، ولم يكن ثَمَّ بحرٌ ، وإنَّما ٱستجدَّ ٱلبحرُ بفتحِ ذي ٱلقرنينِ . اهـ مختصراً .

فإنَّه لو كانَ موضعُ إرمِ ذاتِ ٱلعمادِ مغموراً بٱلبحرِ . . لما أمكنَ ٱلبناءُ فيهِ ، وقد قالَ في (ص ١٤٨) : إنَّ ٱلمعادي قريبٌ من عدن ، فهل كانَ قاعاً صفصفاً ثمَّ ٱنغمرَ بالبحرِ حتَّىٰ كانَ فتحُ ذي ٱلقرنينِ لبابِ ٱلمندبِ فعادت إلىٰ حالتِها ٱلأُولى؟!

وسيأْتي في ٱلعُرِّ أنَّه ٱسمٌ لجبلِ عدن ، وقالَ ٱبن المجاور في (ص ١٠٧) ناقلاً عن « تفسير أبي عبد الله الكيبساني » : لمَّا خرجَ شدَّادُ بنُ عادٍ مِن أرضِ ٱليمنِ . . طالباً أعراض حضرموتَ ، ووصلَ لَحجاً . . نظر جبلَ ٱلعُرِّ في مسافةٍ بعيدةٍ ، فقالَ لأصحابه : اغدوا فٱنظروا ما دونَ هـٰذا ٱلجبلِ ، فقالوا : وادٍ فيه شجرٌ وأفاعٍ عظامٌ ، وهوَ مشرفٌ على ٱلبحرِ ٱلمالحِ ، فنزل بلحجٍ ، وأمرَ بأَنْ تُحفرَ ٱلآبارُ ٱلَّتي يشربُ مِنها أهلُ عدن ، وأمر أن ينقبوا لهُ بابَ ٱلمندبِ في صدرِ ٱلوادي ، وٱستعانَ عليه بعفريتٍ مِنَ ٱلجنِّ ، فنقرهُ لهُ في سبعينَ سنةً ، وتمَّ لهُ ٱلأمرُ علىٰ ما أرادَ . اهـ باختصار ، فهـٰذا كلُّه شاهدٌ بأَنَّ أرضَ عدن كانت كحالها ٱليومَ في أيَّامِ شدَّادٍ ، وهو في غير موضع من

« تاريخه » ، مصرِّحٌ بتأَخُّر ذي القرنين عن شدَّادٍ كما عليهِ ٱلنَّاسُ ، ثمَّ إنَّه يَعِدُ كما في صفحة (١٤٧) بغرق عدن ، ورجوعها لجَّةً مِن لُجَجِ ٱلبحرِ ، وعلى ٱلجملةِ . . ففي ٱلكتابِ تجازيفُ ـ كما قلنا ـ لا تبركُ عليها الإبِلُ ، ولا يُسلِّم بها من يعقل .

ومنها قولُهُ بصفحةِ (٣٢) : إنَّ بٱلحجازِ نهراً يُسمَّىٰ : نهر ٱلسَّبتِ ، يشتدُّ جريهُ ليلةَ ٱلجمعةِ إلى غداة ٱلسَّبتِ ، حتَّى لايقدرُ ٱلإنسانُ يعبرُهُ ، ثمَّ يسكنُ باقي ٱلأُسبوعِ ، ووراءَ هـٰذا ٱلنَّهرِ مئةُ ألفِ ألفٍ مِنَ ٱليهودِ مابينَ رجلٍ وٱمرأةٍ ، ولم يذكرِ ٱلصِّبيانَ .

أمَّا زمنُ ٱبن ٱلمجاورِ مؤلِّفِ ٱلكتابِ . . فيُفهَم من قولِهِ في صفحة (١٥) رأيت في المنام ليلة السبت (٦) شعبان (٦٢٤هـ) . . . إلخ ، وقوله في صفحة (٩٥) : حدثني بدوي من أهل البلاد بهـٰذا ٱلمنزلِ سنة (٦١٩هـ) . . . إلخ .

إلاَّ أَنَّ ذلكَ لا يلتئِمُ معَ ما ذكرهُ في صفحةِ (١١٧) مِن خرابِ عدن إلىٰ أن جاءَ ٱلفرسُ ووقع سلطانُ شاه بنُ جمشيد بنِ أَسعدَ بن قيصرَ في عدن ، وتوطَّن بها ، فانعمرَت بمقامِهِ ، وكانَ يجلب إليهم ماءَ ٱلشُّربِ من زيلع ، ثم بنوا ٱلصِّهريجَ لماءِ ٱلغيثِ . . . إلىٰ أن قال : ووضعَ مربطَ فيلِهِ في سنة (٦٢٥هـ) ، فلمَّا رأَىٰ ذلكَ . . تولى ٱلسَّلطنة ، وذكرَ لهُ مِنَ ٱلألقابِ ماتَستَحْقَرُ له ٱلأَقاليمُ ٱلواسعةُ ، ومنها :

مالكُ رقابِ ٱلأُمم ، سيِّدُ سلاطين ٱلعربِ وٱلعجم ، غياثُ ٱلدُّنيا وٱلدِّين ، ركن ٱلإسلامِ وٱلمسلمين ، ظِلُّ ٱللهِ في ٱلأَرضِ ، محيي ٱلسُّنَّة وٱلفرضِ ، سلطانُ ٱلبرِّ وٱلبحرِ ، ملكُ ٱلشَّرقِ وٱلغربِ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنَ ٱلأَوصافِ ٱلَّتي أَضجرتني . . فتركتُ أَكثرَها ، ثمَّ ذكرَ بعدهُ أَلقابَ تسعةٍ من ملوكِهم ، كلُّها ضخمةٌ تتفسَّخ منها ٱلآكامُ ، ثم قال :

فهـٰؤلاءِ ملوكُ ٱلعجمِ ٱلذينَ تولَّوا عدن ؛ فإنَّ عمُرهُ لا يتَّسع لزمانِ هـٰؤلاء ، مالم تكنْ مدَّةُ كلٍّ منهم أَقصرَ مِن ظمءِ ٱلحمارِ[1] ، وبينَ يديَّ ٱلآنَ « صبحُ ٱلأَعشىٰ » [٥/١٨ـ ٣٣] وقد ذكرَ ملوكَ ٱليمنِ جاهليَّةً وإسلاماً ، وجعلَهم عشرَ طبقاتٍ : ٱلعاديةُ ،

---

(١) مَثَل يُضرب في شدة قِصَر المدة ، قال الميداني في « مجمع الأمثال » (٢/ ١٢٦) : (قالت العرب ذلك ؛ لأَنَّ الحمار لا يصبر عن الماء) .

فالقحطانيّةُ ، فالتّبابعةُ ، فالحبشةُ ، فالفرسُ الأُولىٰ ، فعمّالُ النّبيِّ صلّى الله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ والخلفاءِ الرّاشدينَ ، فبنو زيادٍ ، فبنو مهديٍّ ، فبنو أيُّوبَ أصحابُ مصرَ ، فبنو رسولٍ ، ولم يذكر حرفاً واحداً عن أولـٰئك الّذينَ عظّم ابنُ المجاورِ مِن أمرهم حتّىٰ كادَ يبلغ بهِم عَنانَ السّماءِ ، وحسبُكَ بذلكَ دلالةً علىٰ صغرِهم معَ انطوائِهم في ملكِ آلِ رسولٍ .

ثمَّ ابنُ المجاورِ ناقضَ كلامَهُ ؛ إذ قالَ في ذكر خراب عدن صفحة (١٤٧) : قالَ قومٌ : تخربُ عدنُ سنة (٦٤٧هـ) ، ودلَّ علىٰ تصديقِ المقالةِ دخولُ نورِ الدِّينِ عمرَ بنِ عليٍّ بنِ الرّسولِ إلىٰ عدن يومَ الأربعاءِ (٢٦) رجب سنة (٦٢٤هـ) ، وذكر من إرهاقه الرّعايا بالضّرائبِ الباهظةِ ، الّتي وضعَها علىٰ كلِّ شيءٍ ما عدا السّمكَ والماءَ مدلِّلاً بذلك علىٰ ما تفرّسَهُ من خرابِ عدن. . فما هوَ إلاَّ متخبِّطٌ في الأحلامِ والأوهام. . فكيفَ يزعُمُ أنَّ عدنَ عمرت بعدَ الخرابِ علىٰ يدِ سلطانِ شاهٍ ، وسلطنتُهُ متأخِّرةٌ عَن دخولِ عمرَ بنِ عليٍّ كما يُفهَمُ مِن كلامِهِ السّابقِ ، علىٰ أنَّ عمرَ بنَ عليٍّ بنِ رسولٍ إنّما استقرَّ على الملكِ بالنِّيابةِ بعدَ أبيهِ ، ثمَّ غلبَ عليهِ ، وخرجَ عن طاعةِ بني أيُّوبَ ملوكِ مصرَ فتلقَّبَ بالملكِ المنصور ، وكانت وفاةُ أبيهِ علىٰ ما في « صبح الأعشىٰ » سنة (٦٣٠هـ) ، علىٰ أنَّ الّذي في « التّاجِ » أنَّهُ ـ أعني عليَّ بنَ رسولٍ ـ أوّلُ مَن عهدَ إليهِ الخليفةُ المستعصمُ قتيل هولاكو آخرُ ملوكِ بني العبّاسِ في العراقِ ، والّذي في « حياةِ الحيوانِ » [١/١٢٣] للدّميريِّ : (أنَّ بيعةَ المستعصمِ هـٰذا لم تكن إلاَّ سنة « ٦٤٠هـ ») ، ومهما يكن من الأمر. . ففي كلام ابنِ المجاورِ أغلاطٌ تمنعُ مِنَ الاعتمادِ عليهِ .

أمَّا قوله : الرسولُ في قوله : عمرَ بنِ عليٍّ بنِ الرّسولِ. . فلا يُستنكَرُ منهُ ؛ لأنَّ كثيراً مِن عباراته علىٰ هـٰذا النّمطِ من الضّعفِ الّذي يُخلجُ بالشّكِّ في نسبتِهِ لعالمٍ يتكلّمُ بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ ، وسيأتي في ثبي عن الهمدانيِّ أنَّ عدنَ كانت محاطةً بالجبالِ ، لا يظهرُ عليها إلاَّ مَن تسنَّمها ، إلاَّ أنَّ حِمْيَرَ فتحت لها باباً في الجبلِ تمرُّ فيهِ المحاملُ والدّوابُّ ، وهوَ مخالفٌ لما سبقَ عنِ ابنِ المجاورِ ، ومِن أنَّ ناقرَهُ هو عفريتُ شدّاد ،

وبعد هٰذا رأيتُ سيِّدي عبدَ ٱلقادرِ بنَ شيخٍ ٱلعيدروسِ ينقلُ في « ٱلنُّورِ ٱلسَّافر » عن « تاريخِ ٱبن ٱلمجاورِ » هٰذا ، وٱسمه : « المستبصر » ، ومن جملة ذلك ما نقله عنه في (ص٧١) في ذكر سدِّ مأربَ ، ولٰكنَّه لا يَسلَمُ مِنَ ٱلخبطِ ؛ إذ زعمَ أَنَّ ٱلملكَ ٱلَّذي تواطأَ معَ ٱبنهِ على ٱلمشادَّةِ وٱلضَّربِ . . هوَ ٱلنُّعمانُ بنُ ٱلمنذرِ ، وإنَّما هوَ عمرُو بنُ عامرٍ كما ذكرَ ٱلسَّيِّد عبدُ ٱلقادرِ عن غيرِهِ ، وهوَ ٱلَّذي عليهِ ٱلمؤرِّخونَ .

ميفعُ[1]

هوَ ساحلٌ يَبعدُ عنِ ٱلبحرِ بنحوِ ساعةٍ ونصفٍ ، في شرقيِّ بيرِ عليٍّ وغربيِّ بروم .

عليهِ أَراضٍ واسعةٌ ، وفيهِ مياهٌ غزيرةٌ تُدفعُ إليهِ مِنْ حَجْر .

وفي أَخبارِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ بامخرمةَ ـ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (٩٧٢هـ) ـ : أَنَّ لَهُ مدائحَ في سُلطانِ ميفعَ سندِ بنِ محمَّدٍ ٱلودادِ ٱلثعيريِّ[2] .

---

(١) ميفع الآن مركز إداري في الساحل الحضرمي ، وإليه تدفع مياه حجر وتذهب بعد ذلك إلى البحر عند رأس الرجيمة وحصن بن طالب ، وتكثر على جانبيه أحراج النخيل والأشجار والأعشاب . وفي عام (١٤١٧ هـ) دهمه سيل عظيم فتح منافذ جديدة له في الأرض . وأغلب السكان فيه من قبيلة (نوّح) ، وأكبر بلدانه : السفال ، ثم جول الهنا ، وشرمه ، والغبره . وبالقرب من السفال تمر الطريق الإسفلتية الذاهبة شرقاً إلى المكلا ، وغربا إلى وادي ميفعة .

(٢) هٰهنا حصل تصحيفٌ من النُّسَّاخ أَدَّىٰ إلىٰ وجود هٰذه العبارة والمعلومة المغلوطة .

وتصويب العبارة : أن للعلامة الفقيه عبد الله بن عمر بامخرمة مدائح في سلطان ميفعة ـ وليس ميفع ـ واسمه أحمد بن محمد بن عبد الودود بن سدّة ، الذي كان يحكمها في منتصف القرن العاشر ، وكان حاكماً لها سنة (٩٤٥هـ) حيث ذكره المؤرخ باسنجلة في « تاريخه » ، ونقله عنه صاحب « الشامل » (٦٩) . ومنشأ الوهم والخطأ من نسخة « السنا الباهر » للشلي ، ويعلم ذلك من الآتي : ١ـ عدم وجود قوم يقال لهم آل الوداد ، بل هم آل عبد الودود . ٢ـ النسبة (الثعيري) لا تعرف ، إنما المعروف : الثُّعَيْني ، وهم من بني ظنة . ٣ـ أن آل سدّه معروفون بكونهم حكام المنطقة كما يؤخذ من « الشامل » وغيره . ٤ـ تبع صاحب « السنا الباهر » في نقل هٰذا الخبر على علاَّتِهِ عدد من المؤرخين ؛ منهم المصنف ، وباوزير في « الصفحات » وصاحب « تاريخ الشعراء » . ٥ـ النص الذي اعتمد عليه هٰؤلاء هو في حوادث سنة (٩٧٢هـ) في ترجمة بامخرمة من كتاب « السنا الباهر » (ص٦٣٣) ، و(٦٣٧) من نسخة دار الكتب المصرية ، وهو نص محرف . =

وقالَ السَّيِّدُ سالمُ بنُ أحمدَ ٱلمحضارُ : (وفي سَنةِ « ١٣١٤هـ » ٱستولى ٱلجَمَعْدارُ[1] غالبُ بنُ عوضٍ ٱلقعيطيُّ علىٰ وادي ميفعَ ، أَخذَهُ بٱلشِّراءِ ٱلصَّحيحِ مِنْ آلِ بامزاحمٍ ، وآلِ باحفيظٍ ، وآلِ بامعبدٍ .

ولَمَّا علمَ بذلكَ آلُ عبدِ ٱلواحدِ . . رَفعوا عليهِ دعوىٰ في عدنَ وطالَ ٱلنِّزاعُ ، ولـٰكنَّهُ ٱنتهىٰ بفوزِ ٱلقعيطيِّ .

وفي سَنةِ « ١٣١٥هـ » بنى ٱلمصانعَ وٱلحصونَ بميفعَ وساقَ ٱلأَكَرَةَ وٱلعمَّالَ مِنَ ٱلمُكَلاَّ ، وحصَّنها بٱلعساكرِ ، وهيَ بٱلحقيقةِ أَرضُ آلِ عبدِ ٱلواحدِ ، ولـٰكنَّ ٱلقعيطيَّ غلبَهُم عليها معَ ضعفِهم)[2] . هـٰذا حاصلُ كلامهِ بٱختصارٍ وتلطيفٍ .

وقولُهُ : (غلَبَهُمُ ٱلقعيطيُّ) لا يُخالفُ ما قبلَهُ مِنْ قولهِ : (أَخذَهُ بٱلشِّراءِ ٱلصَّحيحِ) ؛ لأَنَّ ٱلشِّراءَ واقعٌ علىٰ مِلْكِ ٱليدِ ، وٱلغلبةَ واقعةٌ على ٱلإمارةِ ، وقلَّما تُؤْخذُ إلاَّ غصباً .

قالَ ٱلمتنبِّي [في « ديوانه » ١/ ١٢١ مِنَ ٱلبسيط] :

فَٱلْمَوْتُ أَعْذَرُ لِي وَٱلصَّبْرُ أَجْمَلُ بِي ... وَٱلْبَرُّ أَوْسَعُ ، وَٱلدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا

وقالَ [في « ديوانه » ٣/ ١٤٧ مِنَ ٱلخفيف] :

مَنْ أَطَاقَ ٱلْتِمَاسَ شَيْءٍ غِلاَبَا ... وَٱغْتِصَاباً . . لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالاَ

= فائدة : كان وادي ميفع ـ وهو قطعة من وادي حجر ممَّا يلي السَّاحل ـ في القديم من أملاك كندة وفي القرن العاشر غار عليه آل سدَّة حكَّام ميفعة ، ثم كان لآل عبد الواحد بها ملك . اهـ« الشَّامل » : ص(٧٤) .

(١) الجَمَعْدار : (رتبة عسكرية) كلمة هندية الأصل ، وتعادل هـٰذه الرتبة في أيامنا رتبة ملازم أول ، وكانت تعني في عصر المؤلف : رئيس الجماعة ، وقد يصل عدد هـٰذه الجماعة إلى ألفين أو أكثر من الجنود التابعين لجيش نظام حيدر آباد .

(٢) ومثله في « الشَّامل » (ص٧٤ـ٧٥) ، ولم يذكر فيه أنَّها لآل عبد الواحد حقيقة كما هنا ، وزاد بعد هـٰذا : (ولـٰكنَّ حُمَّى الصفرا وحُمَّى الوَخَم كانت تُنقِص من أعداد العسكر والعمَّال ، ولم يستفد السُّلطان منها شيئاً يذكر) اهـ

وقالَ [في « ديوانه » ٢/ ٦٢ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

إِذَا لَـمْ تُجِـزْهُـمْ دَارَ قَـوْمٍ مُـوَدَّةٌ ... أَجَازَ ٱلْقَنَا، وَٱلْخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ ٱلْوُدِّ[١]

وقالَ [في « ديوانه » ١/ ٦٠ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَمَـنْ تَكُـنِ ٱلأُسْـدُ ٱلضَّـوَارِي جُـدُودَهُ ... يَكُـنْ لَيْلُـهُ صُبْحـاً وَمَطْعَمُـهُ غَصْبَـا[٢]

وأَصلُ ٱلمعنىٰ فيما أَحفظُ : ما أَنشدهُ مروانُ يومَ وثبَ على ٱلمُلْكِ بعدَ معاويةَ بنِ يزيدَ ، وهوَ [كما في « الطبقات الكبرىٰ » ٤/ ١٦٩ مِنَ ٱلبسيطِ] :

إِنِّـي أَرَىٰ فِتْنَـةً تَغْلِـي مَـرَاجِلُهَـا ... وَٱلْمُلْـكُ بَعْـدَ أَبِـي لَيْلَـىٰ لِمَـنْ غَلَبَـا

وأَرضُ مَيفعَ صالحةٌ للزِّراعةِ لكثرةِ مائِها وحُسنِ تُربتِها ، فهيَ مظنَّةُ ٱرتفاعٍ هائلٍ ، إلاَّ أَنَّها موبوءَةٌ[٣] ، قَلَّ مَنْ أَقامَ بها إلاَّ زارتْهُ ٱلحُمَّىٰ مِن دُونِ حياءٍ ، ثمَّ لَمْ تُفارِقْهُ حتَّىٰ توردَهُ شَعُوبَ[٤] ، ولـٰكنْ ما أَظنُّهُ يَصعُبُ معَ تقدُّمِ ٱلطِّبِّ في ٱلأَيَّامِ ٱلأَخيرةِ أَنْ يُعالَجَ هواؤُها حتَّىٰ يصِحَّ ، فتنبعثَ نيَّةُ ٱلسُّلطانِ لعِمارتِها ، حتَّىٰ يتوفَّرَ على ٱلخزينةِ رِبحٌ عظيمٌ ، ومالٌ كثيرٌ تنتعشُ بهِ ٱلبلادُ وينتفعُ بهِ ٱلعبادُ ، إنْ لَمْ يَؤُلِ ٱلأَمرُ إلىٰ مِثلِ قولِ ٱلرُّصافيِّ [مِنْ مجزوءِ ٱلرَّمَلِ] :

هُـــوَ مُلْـــكٌ مَشْـــرِقِـ ... ـــيُّ ٱلضَّـرْعِ غَـرْبِـيُّ ٱلْمَـلاَبِـنْ

---

(١) المعنىٰ : إذا بلغوا في أَسفارهم منازل قوم لَمْ يكن بينهم وبين سكانها مودَّة . . أَجازتهم رماحهم فلم يخافوا أَهل النَّاحية . ثمَّ قال : وأَن تُخافَ خير من أَن تُحَبّ ؛ لأَنَّ من أَطاعك خوفاً منك . . كان أَبلغ من أَن يطيعك بالمودَّة . والله أَعلم .

(٢) المعنىٰ : من كان ولد الشُّجعان ، وكان جدوده كالأُسود الَّتي تعوَّدت أَكل اللُّحوم . . يكن اللَّيل له نهاراً ؛ لأَنَّه لا تعوقه الظُّلمة عن إدراك ما يريد ، وكان مطعمه ممَّا يَغصِب من الأَعداء ، فهو يركب اللَّيل لقضاءِ حاجته .

(٣) تحدَّث عن وباء ميفع صاحبُ « الشَّامل » ص(٧٥) فقال : (وفي ميفعة مستنقعات ، كثُر من أَجلها البعوض ، وكانت العرب تقول : إنه عشُّ الحُمَّىٰ ، وقد صدَّق قولَهم أَهلُ علم الطِّبِّ الحديث ؛ فإنَّه يوجد منه جنس يتسبَّب عن قرصه الحمَّى الصفراويَّة ، ويقال لها : (الملاريا) ، وهـٰذه الحمَّىٰ منتشرة بميفع وبحَجْر وبوادي ساه ، وبعض الغياض . وقد قلَّ سكَّان ميفع لوبائها ووَخَمِها . .) اهـ

(٤) شَعوبُ : اسم من أَسماءِ المنيَّة (الموت) .

غيرَ أنَّ ٱلولدَ حامدَ بنَ أبي بكرٍ ٱلمحضارَ كثيراً ما يغضُّ من شأنِ ميفعَ هـٰذهِ ، ويجزمُ بضياعِ ٱلآمالِ ٱلَّتي تعلَّقُ علىٰ خيراتِها ، وما أدري أهوَ بارٌّ في ذلكَ أم مِن أثرِ حقدِهِ علىٰ تلكَ ٱلحكومةِ بسببِ عزلِهِ .

وفي أخبارِ سنةِ (٩١٦هـ) مِنْ « تاريخِ باشراحيلٍ » : أنَّ ٱبنَ سَدَّةَ أغارَ علىٰ ميفع ، ونهب عبيداً وبهائِمَ ، ثمَّ لاقاهُ ٱبنُ دَغَّارٍ إلىٰ نحوِ عَيْنٍ بامعبدٍ ، فٱنهزمَ ٱبنُ دَغَّارٍ ٱنهزاماً فاحشاً فأُسِرَ ، وقُتلَ مِنْ قومهِ نحوُ خمسةَ عشرَ ، وأُسرَ ٱلباقونَ .

حَجْرٌ[1]

ذكرَ في « ٱلتَّاجِ » و« أصلهِ » : (حَجْرَ ذي رُعَينٍ مِنْ حِمْيَرَ . وحَجْرَ ٱلأزدِ) .

قالَ : وبٱليَمنِ موضعٌ يُقالُ لَهُ : حَجْرُ ، علىٰ مسافةِ عَشَرةِ أيَّامٍ مِنْ زَبيد[2] .

وهوَ ٱلمذكورُ في قولِ مُهَلْهِلٍ [مِنَ ٱلوافرِ] :

وَلَـوْلاَ ٱلـرِّيـحُ أُسْمِـعَ مَـنْ بِحَجْـرٍ　　　صَلِيـلَ ٱلْبِيـضِ تُقْـرَعُ بِـٱلـذُّكُـورِ[3]

---

(١) حَجْر ـ بفتح فسكون ـ : واد عظيم في ساحل حضرموت ، على بعد خمسين كيلومتراً غرب المكلا ، يمتد مِن يبْعث وميفع شمالاً إلى الساحل جنوباً ، بطول (٢٠٠ كم) تقريباً ، ثم يصب في البحر بالقرب من رأس الكلب ، وتوجد على امتداده قرى بها مساحات واسعة من الأراضي الزراعية . ويعتبر من أخصب المناطق في حضرموت وأكثرها ماءً ، وفيه بعض عيون الماء الحار ، وأغلب سكانه من نوّح وحضرموت القبيلة ، وحالكة ومراشدة وخامعة ، وجماعة من العلويين .

(٢) زبيد هي : البلدة المشهورة ، صُنِّف في تاريخها مصنَّفات ، وأجودها لابن الديبع الشَّيبانيِّ ، ومن أجمل ما كُتِبَ عنها : الكتاب المسمَّىٰ : « زبيد مساجدها ومدارسها العلميَّة في التَّاريخ » للأُستاذ الفاضل عبد الرحمـٰن عبد الله الحضرمي (١٩٣٣ـ١٩٩٣م) رحمه الله ، صدر عن المركز الفرنسي للدراسات اليمنيَّة بصنعاء في(٢٠٠٠م) .

(٣) **الصليل** : الصوت . **والبيض** : السيوف . والذكور : السيوف الفولاذيَّة ، وسيف ذَكَرٌ : يابس شديد جيِّد . ويقال : إنَّ هـٰذا أكذب بيت قالته العرب ، وذلك لأنَّ المعنىٰ : قاتلناهم أشدَّ القتال ، وضربناهم ضرباً عنيفاً . . حتَّىٰ إنَّ صوت سيوفنا لولا وجود الرِّيح ليُسمَعُ من بُعدِ عشرة أيَّامٍ ، وقبل هـٰذا البيت قوله :

أَلَيْلَتَنَـــا بِـــذِي حُسُـــمٍ أَنِيـــرِي　　　إِذَا أَنْـــتِ ٱنْقَضَيْـــتِ فَـــلاَ تَحُـــورِي=

وكانتِ ٱلواقعةُ بِٱلذَّنائِبِ[1] ، وهيَ علىٰ مَقْرُبةٍ مِنْ زَبيد .

وَعَلَّ هـٰذهِ ٱلواقعةِ هي ٱلتي كثرت علىٰ هلكاها ٱلندبةُ ، فيما تقدَّمَ .

ولا أدري أَحجْرُ هـٰذهِ بضمِّ ٱلحاءِ أَم بفتحِها ؟ ولـٰكنَّ ياقوتٍ [٢/٢٢٣] يقولُ : (قالَ أَبو سعدٍ : حُجْر ـ بِٱلضَّمِّ ـ ٱسمُ موضعٍ بِٱليمنِ ، إِليهِ يُنسَبُ أَحمدُ بنُ عليٍّ ٱلهُذَليُّ ٱلحُجْريُّ) ، وأَطالَ في حُجْرِ ٱليمامةِ ، وهيَ غيرُ ٱلَّتي نحنُ بسبيلِها ، وهيَ عاصمةُ نجدٍ ، وٱسمُها ٱليومَ : الرِّياضُ ، وإِليها ٱلإشارةُ بقولِ عروة بنِ حزامٍ في نونيَّتِهِ ٱلمشهورةِ [في « الأغاني » ٢٤/ ١٢٢ مِن ٱلطَّويلِ] :

جَعَلْتُ لِعَرَّافِ ٱلْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعَرَّافِ حَجْرٍ إِنْ هُمَا شَفَيَانِي

وقولِ جحدرِ بنِ مالكٍ ٱلحنفيِّ [مِن ٱلوافرِ] :

فَيَا أَخَوَيَّ مِنْ جُشَمِ بْنِ سَعْدٍ أَقِلاَّ ٱللَّوْمَ إِنْ لَمْ تَنْفَعَانِي
إِذَا جَاوَزْتُمَا سَعَفَاتِ حَجْرٍ وَأَوْدِيَةِ ٱلْيَمَامَةِ فَٱنْعَيَانِي

وقولِ ٱلنَّابغةِ [ٱلذُّبيانيِّ في « ديوانهِ » ٦٧ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَهُمْ قَتَلُوا ٱلطَّائِيَّ بِٱلْحَجْرِ عَنْوَةً أَخَا جَابِرٍ وَٱسْتَنْكَحُوا أُمَّ جَابِرِ

وقولِ زهيرٍ [مِنَ ٱلكاملِ] :

لِمَنِ ٱلدِّيَارُ بِقُنَّةِ ٱلْحَجْرِ . . . .[2]

وأَنكرَ أَبو عمرٍو أَن يكونَ ٱلمرادُ مِن هـٰذا قصبةَ ٱليمامةِ، وقالَ: لأَنَّ (أل) لا تدخلُها .

ولـٰكن قالَ ٱلجوهريُّ : (الحجر ـ بِٱلفتحةِ ـ : قصبةُ ٱليمامةِ ، يذكَّرُ ويؤنَّثُ) .

= فَإِنْ يَكُ بِٱلذَّنَائِبِ طَالَ لَيْلِي فَقَدْ أَبْكِي مِنَ ٱللَّيْلِ ٱلْقَصِيرِ
فَلَوْ نُبِشَ ٱلْمَقَابِرُ عَنْ كُلَيْبٍ فَيَعْلَمَ بِٱلذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرِ
بِيَوْمِ ٱلشَّعْثَمَيْنِ أَقَرَّ عَيْناً وَكَيْفَ لِقَاءُ مَنْ تَحْتَ ٱلْقُبُورِ
وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ بِوَارِدَاتٍ بُجَيْراً فِي دَمٍ مِثْلَ ٱلْعَبِيرِ

« البلدان اليمانية عند ياقوت » (ص٢٤) . والزِّير : الذي يعجبه كلام النِّساء ، أو : جليسهنَّ .

(١) الذنائِب : بلدة في أسفل جبل ملحان ، بالقرب من المهجَّم .

(٢) القُنَّة : أعلى الجبل . والبيت ـ كما سيأتي بعد قليل ـ في « خزانة الأدب » (٩/ ٤٣٩) .

وبيتا زهيرٍ والنَّابغةِ يؤيِّدان ما قالَ ؛ لأنَّهم كثيراً ما يُدخِلونَ آلةَ التَّعريفِ على الأعلامِ كما في قولِهِ [مِنَ الطَّويل] :

وَجَدْتُ الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مُبَارَكاً . . . .

وهٰذا يُنزَّلُ عليهِ .

وقالَ في « صبح الأعشىٰ » [٥/٥٩] : (ومن بلادِ اليمامةِ حجرٌ ، بفتحِ الحاءِ ، وسكونِ الجيمِ وراءٍ مهملةٍ في الآخرِ ، وهي في الغربِ عن مدينةِ اليمامةِ ، علىٰ مرحلتينِ منها ، وبعضُهم يجعلُها قاعدةَ اليمامةِ . وبها قبورُ الشُّهداءِ الَّذينَ قُتِلوا في حربِ مسيلمةَ الكذَّاب) اهـ

وهو في هٰذا ناقل عن « المشترك » .

ويأتي في السُّفيل مِن قرىٰ وادي العينِ ذكرُ سوقِ حجرٍ ، وفي [٩/٤٣٩] من « الخزانة » أنَّ قولَه :

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الْحَجْرِ . . . .

ليسَ لزهيرٍ ، وإنَّما انتحلَها حمَّادٌ ، لمَّا سألَهُ المهديُّ عنِ المشارِ إليهِ بقولِهِ :

دَعْ ذا وَعَدِّ الْقَوْلَ فِي هَرِمِ . . . .

فانتحل الأبياتَ الثَّلاثةَ الَّتي قبلَهُ .

وقالَ الطَّيِّبُ بامخرمةَ : (وحَجْرُ بفتحٍ ثمَّ سكونٍ ، قالَ القاضي مسعودٌ : هٰذا الاسمُ مشتركٌ بينَ موضعينِ : **أحدُهما** : **حَجْرُ عَلْوانَ** ، وهوَ وادٍ باليَمنِ ، فيهِ قُرىً وحصونٌ ، طيِّبُ الماءِ والهواءِ والتُّربةِ . **والثَّاني** : **حَجْرُ ابْنِ دغَّارٍ الكنديِّ** ، وهوَ كثيرُ المياهِ والنَّخيلِ ، لَهُ غِيَالٌ لا تنقطعُ ، وهيَ وخيمةٌ جدّاً بضدِّ الأُولىٰ) اهـ

وهوَ صُقعٌ واسعٌ[1] ، كثيرُ المياهِ والنَّخيلِ . ومِنْ مُدنِهِ : **كَنِينَة ومِحْمِدَة ويُوَنْ**[2] .

---

(١) **الصُّقع** : بالضَّم ، النَّاحية .

(٢) وقد وصف صاحب « الشامل » وادي حجر وشعابه ومدنه وقراه (ص٧٦ـ ٨٣) . وذكر : أنَّ الجائي=

ومِنْ نواحيهِ ٱلخِصْبَةِ : ٱلمكانُ ٱلمسمَّىٰ **بٱلصَّدارةِ** ، فيهِ نحوُ مئةِ عينٍ نضَّاخةٍ[1] .

ولا يزالُ آلُ أحمدَ بنِ هادي ٱلواحديِّ يدَّعونَ لَهُم حقوقاً فيهِ ، فلَمْ تُسمَعْ لَهُم دعوىٰ .

وفي غربيِّ حَجْرٍ جبالٌ ، فيها ٱلمكانُ ٱلمعروفُ **بصيق ٱلعَجْر** ، وهوَ ٱلَّذي قُتِلَ فيهِ ٱلسُّلطانُ عُبُودُ بنُ سالمٍ ٱلكِثيريُّ غَدراً ، قَتَلَهُ أحدُ آلِ خَليفةَ ـ وكانَ خفيراً[2] معهُ ـ بجِعالةٍ[3] وقعتْ لَهُ مِنْ جانبِ ٱلقعيطيِّ ، حَسَبَما فُصِّلَ بـ« **ٱلأَصلِ** » .

وفي شِمالهِ **لِبْنَةُ بارشيد** ، بأعلى ٱلجبلِ ٱلَّذي يَنْهَرُ إلىٰ حَجْرٍ ، وهيَ ٱلحدُّ ٱلفاصلُ ما بينَ ٱلدَّيِّنِ ونَوَّحٍ . ومِنْ ورائِها **رَيْدَةُ ٱلدَّيِّنِ وسيبان وجبالُ دَوْعَن وجبالُ نُعمان** .

وفي شِعرِ ٱلإمامِ إبراهيمَ بنِ قيسٍ ٱلإباضيِّ ـ وهوَ مِنْ أهلِ ٱلقرنِ ٱلخامسِ ـ ذِكرٌ كثيرٌ لابنِ دغَّارٍ ٱلمنسوبِ إليهِ هٰذا ٱلوادي ، منهُ قولُهُ [مِنَ الطَّويل] :

سَيَعْلَمُ دغَّارُ ٱبْنُ أَحْمَدَ وَٱلْفَتَىٰ ... سُلاَلَةُ مَهْدِيٍّ وَكُلُّ مُخَالِفِ
إِذَا نَزَلَ ٱلْمُسْتَنْصِرُونَ بِجَحفَلٍ ... يَهُزُّونَ بِيضاً كَٱلْبُرُوقِ ٱلْخَوَاطِفِ

وٱلظَّاهرُ أنَّهُ أبو حَجْرٍ ٱلَّذي يُنسَبُ إليهِ هٰذا ٱلوادي .

وفي مسوَّدةٍ بقلمٍ ضعيفٍ : إنَّ بلادَ مدورة ٱلواقعة بينَ لازم وٱلسُّورِ كانت بلاداً قويَّةً معمورةً .

أَمَّا ملوكُها فهُم : ٱبنُ دغَّارٍ ، وبابَقِي ، وٱلصَّيعرُ ، وٱبنُ دخياخ .

وأمَّا سُوقَتُها فهُم : باصفَّار ، وبامحفوظ ، وآلُ شحبل .

ثمَّ لَمَّا طَغَوا . . سلَّطَ ٱللهُ عليهِم ٱلنَّهديَّ ، وأتىٰ لَهُم بٱبنِ سهلٍ مِنَ ٱلقبلةِ ، فدمَّروها

= من قُوَّة إلىٰ حجر يأتي أوَّلاً إلى وادي يُوَن ، وهي بلدة قديمة بها آثار وقبور قديمة العهد ، والمسافة بين يون وكنينة مسيرة يوم ، ثم يسير الرَّاكب في وادي عود مغرِّباً إلى وادي فَحْمة ، وينعرج إلى الجنوب الغربي فتأتيه بلدة مِحمِدة بكسر الميمين وسكون الحاءِ .

(١) **نضَّاخة** : فوَّارة ، كثيرة المياه .

(٢) **الخفير** : الحارس .

(٣) **الجِعالة** : ما يُعطىٰ للإنسان علىٰ فعل شيءٍ .

تدميراً ، وهربَ آبنُ دغَّارٍ وباقي أَهلِها ، وسَكنوا خرايت سباي ، فسلَّطَ آللهُ عليهِم آلجوهي وطردَهُم ، فآنتقلَ آبنُ دغارٍ إِلىٰ حَجْرٍ ، وآستولىٰ علىٰ باحوته وباحيوته ، وآتَّخذها لَهُ موطناً .

ثمَّ جاءَ مركبٌ مِنْ مسيطبةَ إِلىٰ حصنِ آلغرابِ فماتَ رُبَّانُهُ ، فأَخذَهُ آبنُ دغَّارٍ ، وآتَّخذَ آلمسيطبةَ آلَّذينَ بِهِ عسكراً ، فهٰؤلاءِ آلحجور من ذرّيةِ أُولٰئكَ .

ثمَّ إِنَّ آبنَ دغَّارٍ قهرَ آلدَّيِّنَ وآلمشاجرةَ ، وأَخذَ منهمُ آلعشورَ[1] ، وملَكَ دَوْعَنَ وطَغىٰ ، فتقلَّصَ ملكُهُ مِنْ دُوعَنَ ، ولَمَّا أَيقنَ بآلزَّوالِ . . ختمَ آلأَنهارَ بآلأَخشابِ ، ثمَّ بآلرَّصاصِ آلكثيرِ آلمذابِ .

وكانَ آلَّذي خَلَفَهُ على آلرَّشيدِ وطائفةٍ مِنْ دَوْعَنَ : آلُ بالحمان .

وتاريخُ زوالِ مُلْكِهِ عن دَوْعَنَ حَسَبَما يُفهَمُ مِنْ تلكَ آلمسوَّدةِ في حدودِ سَنةِ (٧٨٢هـ) .

وعن بارضوان عن « شجرةِ آلأَنسابِ » لأَبي آلحَسنِ آلأَشعريِّ : (أَنَّ بني دَغَّارَ بمدورةَ) اهـ

وفيهِ تأْكيدٌ لبعضِ ما تقدَّمَ .

وفي ترجمةِ آلشَّيخِ مُبارزِ بنِ غانمٍ آلزُّبَيديِّ[2] مِنْ « طبقاتِ آلشَّرجيِّ » [٢٦٣ـ ٢٦٤] : (أَنَّهُ آنتقلَ إِلىٰ حَجْرٍ ـ وهيَ جِهَةٌ متَّسعةٌ ، تشتملُ علىٰ قرىً ومزارعَ ، خرجَ منها جماعةٌ مِنَ آلصَّالحينَ ـ وآبتنىٰ بها رباطاً لَمْ يَزلْ بِهِ حتَّىٰ ماتَ هناكَ ، وقبرهُ مشهورٌ) . وكانتْ وفاتُهُ ـ حَسَبَما يُفهَمُ مِنَ آلسِّياقِ ـ في آلعقدِ[3] آلثَّامنِ مِنَ آلمئةِ آلسَّابعةِ .

وهٰذا آلاسمُ وإِنْ كانَ مشتركاً بينَ حَجْرِ عَلْوان وحَجْرِ آبنِ دَغَّارٍ . . فهوَ إِلى آلثَّاني أَقربُ ؛ لأَنَّ آنتقالَ آلشَّيخِ مُبارزٍ إِليها كانَ مِنْ عندِ آلشَّيخِ أَحمدَ بنِ أَبي آلجعدِ بأَبْيَنَ ، وهيَ إِلىٰ هٰذهِ أَدنىٰ ، ثمَّ أَخبرني مَن أَثقُ بِهِ أَنَّ حَجَر علوانَ في قعطبةَ علىٰ مقربةٍ مِنَ آلضَّالعِ وأَبينَ . . فهو آلمرادُ إِذن ، والله أعلم .

---

(١) العُشْر : ما يؤخذ من زكاة الأَرض الَّتي أَسلم أَهلها عليها ، ولعلَّ المراد هنا : الضَّرائب .

(٢) هو بضمِّ الزَّاي ، نسبة إِلى القبيلة المشهورة لا إِلى البلدة .

(٣) العِقد : عشر سنوات ، أَي : في سنة ست مئة ونيِّف وسبعين .

وبعدَ أَنْ تقلَّصَ مُلكُ ٱبنِ دغَّارٍ مِنْ دَوْعَنَ . . وَهَتْ أَسبابُهُ في حَجْرٍ ، ولَمْ يَزلْ في ٱلتَّلاشي حتَّى ٱضمحلَّ ملكُهم ، وبقيَتْ مِنهم فرقتانِ ، يُقالُ لإِحداهما : آل فارس ، يسكنون ٱلآن في ميفع ، لايزيدُ عددُهم عن خمسةَ عشرَ رجلاً ؛ منهم : ٱلشيخُ سعيدُ بنُ طالبٍ . والأُخرىٰ : آل ٱبنِ يُمَينٍ ، وعدَّتُهم نحوُ ثلاثينَ رجلاً ، يسكنونَ قريةً صغيرةً ، تبعدُ خمسةَ أَميالٍ عن جول باخيوة ، يقال لها : الحسين .

وخَلَفَتْهُ عليها نَوَّحٌ ، وهيَ مِنْ سيبانَ ، وسيبانُ كما في « بغيةِ شيخِنا ٱلمشهورِ » [ص٢٩٩] ، نقلاً عنِ ٱلغسَّانيِّ : مِنْ ولدِ حَضْرَمَوْتَ بنِ سبأٍ .

وهيَ شعبٌ كبيرٌ تتفرَّعُ منهُ عِدَّةُ قبائلَ :

منهُم : ٱلحالكةُ[1] ، تشملُ : بلْحُمَر ، وبانْخَر ، وباسَعْد ، وهُم نحوُ أَربعِ مئَةِ رامٍ .

ومنهُم : ٱلخامعةُ ، تشملُ : باصُرَّة[2] ، وباقديم ، وباسُلُوم ، وبازْشِيد ، وهُم نحوُ ثلاثِ مئَةٍ وخمسينَ رامياً .

ومنهُم : ٱلمراشدةُ[3] ، يدخلُ فيهم : آلُ بادُحَيدُوح ، وبابْعَير ، وباصْرَيح ، وباكَرْدُوس ، وباصُرُوس ، وهُم نحوُ خمس مئَةِ رامٍ .

ومنهُم : ٱلقُثَمُ ، يدخلُ فيها : آلُ بامَغْرومة ، وباصقع ، وبني مقدَّم ، وبن علي بامُسَلَّم ، وهُم نحوُ ثلاثِ مئَةِ رامٍ .

---

(١) في « تاريخ حضرموت السِّياسي » (٢/١٠١) : الحالكة ، قبيلة كبيرة من سيبان ، تسكن غيل الحالكة في وادي دوعن الأيسر ، والنسبة إليهم (أَحَلْكي) بفتح الحاءِ وسكون اللاَّم ، وهم : آل بادقيل ، آل بانخر ، آل باسعد ، الإبايضة . وآل بادقيل منهم : آل بلحمر ، آل بلغيث ، آل باجعيفر ، آل بلشرف ، آل باحميد . وباحميد هـٰؤلاء هم سكان دوعن غير باحميد سكان مدودة الآتي ذكرهم فيها . وبانخر منهم : آل بقشان ، آل باكزموم ، آل باضراح ، وآل باطويل ، وسيأتي في دوعن أن باطويل أسرة من آل العمودي وهم غير هـٰؤلاء . وزاد في « أدوار التَّاريخ الحضرمي »(٢/٣٥٩) : الخنابشة ، أي : آل الخنبشي .

(٢) آل باصرة هـٰؤلاء غير آل باصُرَّة سكان حوفة وتولبة من بلاد وادي دوعن الأيسر ؛ فإن أولـٰئك سادة أشراف من بني علوي الحسينيين ، وسيأتي التنبيه على هـٰذا في موضعه لاحقاً .

(٣) وهم غير المرشدي اليافعي .

ومنهُم : آلُ باخَشْوَينَ ، لا يزيدونَ عن ستِّينَ رامياً ، ومنهمُ ٱلآنَ رجلٌ أَبيضُ ٱلسَّريرةِ ، وٱسمُهُ محمَّدُ بنُ سالمٍ ، يُحبُّ ٱلخيرَ ، عمَّر عدَّةَ مساجدَ في ممباسا ، وبها سكناه ، وهوَ مِنَ أتلادِها[1] .

ومنهُم : باعَمْرُوش ، نحوَ عشرةِ رميانٍ .

ومنهُم : ٱلسُّمُوحُ[2] ، وهُم : ٱلجهضميُّ ، وٱلشاكعةُ ، وبامنصورٍ ، وٱلجودانيُّ ، وٱلغويثيُّ ، وٱلحسنيُّ ، وباوسيم[3] ، وعَددُهم قليلٌ .

ومقدَّمُ ٱلسُّموحِ أَوِ ٱلسَّماحِ بأَسرِهم ٱلآنَ : حسنُ باعمرَ .

وأَكثرُ هٰذهِ ٱلقبائلِ بدَوْعَنَ وجبالِها وما حواليها .

ومساكنُ ٱلسَّماحِ روبه وهيَ : علىٰ مقربةٍ مِن لبنةِ بارشيدٍ وحنور ومسايل الصيوق وهٰذهِ كلُّها نجودٌ يدفعُ ماؤُها إِلىٰ حجرٍ .

ومِن مساكِنهم يُوَن وهي : سبعُ قرىً فوقَ أَعلىٰ وادي حجرٍ .

ومِنْ سيبانَ ٱلإِمامُ ٱلعظيمُ ، أَحدُ علماءِ ٱلإِسلامِ : أَبو عَمرٍو عبدُ ٱلرَّحمٰنِ بنُ عَمرِو بنِ محمَّدٍ ٱلأَوزاعيُّ[4] ، كما في (ٱلسِّين) مِنْ كتابِ « ٱلمغني في ٱلنَّسبِ » للعلاَّمةِ ٱلفتني .

وقالَ ٱلطَّيِّبُ بامخرمة : (سيبانُ بطنٌ مِنْ حِميرَ ، ووَهِمَ ٱلذَّهبيُّ فجعلَهُم مِنْ مرادٍ) اهـ وٱلطَّيِّبُ جَعلَ سيبانَ بَطْناً ، وٱلعِمارةُ أَكبرُ منهُ ، وٱلقبيلةُ أَكبرُ مِنَ ٱلعِمارةِ[5] .

ونحنُ ذهبْنا بها بعيدةً ، فجَعَلْنا سيبانَ شعباً تتفرَّعُ منهُ تلكَ ٱلقبائلُ ٱلَّتي لا تُعَدُّ إِلاَّ

---

(١) من أتلادها ؛ أي : ممَّن سكنوها قديماً .

(٢) والنسبة إليهم : سومحي .

(٣) والأشكعي وهم أكثرهم ، والأشْولي ، والحسْني ، والغويثي ، وبامنصور ، وغيرهم .

(٤) الإمام الأوزاعي (٨٨ ـ ١٥٧ هـ) ، كان أعلم أهل الشام في زمانه ، وجده اسمه يحمد ـ بالياء ـ وليس محمداً .

(٥) رتَّبت العربُ القبائل والشُّعوب فجعلتها أَقساماً : **فأكبرها** : الشَّعب ، ثمَّ القبيلة ، ثمَّ الفصيلة ، ثمَّ العِمارة ، ثمَّ البطن ، ثمَّ الفخِذ .

أفخاذاً أو فصائلَ على ما ذُكِرَ ، ولـٰكنْ لا مشاحّةَ في مثلِ ذلكَ ، ولاسيَّما معَ تطاوُلِ ٱلأيّامِ وكثرةِ ٱلتّوالدِ . ومهما يَكُنْ مِنَ ٱلأمرِ . . فإنَّهُ قريبٌ .

وعندما جاءَ ذِكْرُ أعقابِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ علويٍّ ٱلخوَّاص ٱلجفريِّ[1] مِنْ « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » . . أشارَ إلىٰ أنَّ بعضَهُم بحجرِ ٱلعوالقِ ، ومنهُ يُفهَمُ أنَّ هناكَ حَجْراً ثالثاً ، إلاَّ أنَّهُ خفيٌّ لا شهرةَ لَهُ .

وقد عَلِمْتَ ممَّا سَبَقَ عنِ ٱلطَّيِّبِ بامخرمة : أنَّ حَجْرَ بنَ دَغَّارٍ كنديُّ ٱلنَّسَبِ ، ليسَ مِنْ سيبانَ في رُطَبٍ ولا عِنَبٍ .

وفي حَجْرٍ موضعٌ يُقالُ لَهُ : ٱلوادِ ، زَعَمَ بعضُهُم أنَّهُ ٱلمرادُ مِنْ قولِهِ جلَّ ذِكرُهُ : ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ وقد يُستظهَرُ لَهُ بقُربِهِ مِن حصنِ ٱلغرابِ ، وبما حواليهِ مِنَ ٱلآثارِ ٱلموجودةِ وٱلحجارةِ ٱلمنحوتةِ ، وإليهِ يذهبُ ٱلعلاَّمةُ أبو بكرٍ ٱبنُ شهابٍ ، بل يقولُ : إنَّ حجراً هـٰذا هوَ حجر ثمودَ ، لـٰكنَّه مخالفٌ لما في « الصحيحين » [خ ٣٣٧٨ـ م ٢٩٨٠] من مرورِهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم بهِ في مسيرِهِ إلىٰ تبوكَ ، ولم يُذْكر أنَّهُ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ دخلَ هـٰذا ولا قاربَهُ ، إلاَّ إن تناءت بٱلتَّعدُّدِ لانتشارِ ٱلأُمَّةِ وضخامتِها ، وٱلعربُ كثيراً ما تسمِّي مهاجراتِها بأسماءِ أوطانِها ، وقد وصفَ ٱللهُ في (ٱلشُّعراءِ) بلادَ ثمودَ بأنَّها في جنَّاتٍ وعيونٍ وزروعٍ ونخلٍ ، طلعُها هضيم ، وإنَّ أهلَها ينحتونَ مِنَ ٱلجبالِ بيوتاً فرهين[2] . وكلُّ ذلكَ منطبقٌ علىٰ حجرٍ . وٱللهُ أعلم .

وبِعَقبِ ما ٱشترى ٱلسُّلطانُ غالبُ بنُ عوضٍ ٱلقعيطيُّ أرضَ ميفعَ ـ بٱلنِّيابةِ عن أبيهِ ـ ٱشتدَّ طَمَعُهُ في حَجْرٍ ، إلاَّ أنَّها تمنَّعتْ عليهِ بعقبةٍ كأداءَ[3] لا طريقَ لها إلاَّ منها ، فكلَّما أرسلَ ٱلقعيطيُّ بجيشٍ . . كمَنوا لَهُ في مخارمِها فأبادوهُ ـ أو كسروهُ على ٱلأقلِّ ـ حتَّىٰ لقد جهَّزَ لهم ثلاثةَ آلافِ مقاتلٍ بزادِهم وعتادِهم ، فلَمَّا كادوا يتسنمونَ تلكَ ٱلعقبةَ ، وأيقنوا بٱلظَّفرِ . . سيَّروا بٱلكتبِ إلى ٱلسلطانِ غالبِ بنِ عوضٍ ، فأمَرَ بإطلاقِ ٱلمدافعِ ،

---

(١) السيد عبد الرحمـٰن هـٰذا ، توفي في مطلع القرن العاشر .

(٢) والآيات المشار إليها في سورة الشعراء هي (١٤٧ـ١٤٩) .

(٣) كأداءُ : شاقَّة .

ورفعِ شاراتِ ٱلأفراحِ ، ولـٰكن نوَّح غدرت بهِم ، فتداعت عليهم وهزمتْهُم ، وقتَلَتْ ثلاثينَ ، وأَسرَتْ ثلاثين ، وفرَّ ٱلباقونَ ، وكانت معدَّاتُهم غنيمةً لنوَّحٍ ، وفي ذلك يقولُ شاعِرُهُم :

يـا حَجْـر رِيضِـي وَٱرْقُبِـي وٱستَـامِنِـي ... مـا دَامـوا ٱصحـابِـشْ يـدِيـرُون ٱلنُّقُـوسْ

إلا ٱن بِغَيتِـي ٱليـافعـي مـن خـاطـرش ... أَنَـا عَلَـيَّ العَقـد وٱمسِـي لُـهْ عـرُوسْ

والمراد بالنقوس : البارود .

ولَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُم ذرعٌ بٱلمطاولةِ ، وكانَ ٱلسُّلطانُ عوضُ قويَّ ٱلعزيمةِ ، شديدَ ٱلشَّكيمةِ ، لا تنفسخُ لَهُ نيَّةٌ مِنْ هزيمةٍ . . أَخذَ يوالي ٱلزُّحوفَ ، ويبذلُ ٱلأُلوفَ[1] ، ويشتري ما يقدرُ عليهِ مِنَ ٱلضَّمائرِ بواسطةِ ٱلسَّادةِ ، حتَّى ٱنقطعتْ أَسبابُ نَوَّحٍ ، وتعطَّلت معايشُهُم ، فنجعوا لتحكيمِ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ أَحمدَ ٱلعطَّاسِ ـ صاحبِ (عَمْدٍ) ـ وٱلسَّيِّدِ أَحمدَ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ صاحبِ حُرَيضةَ[2] .

وفي ذي ٱلقَعدةِ مِنْ سنةِ (١٣٢٨هـ) توجَّهَ ٱلسَّيِّدانِ ـ وكانَ ٱلأَوَّلُ محمولاً على ٱلأعناقِ ؛ لِضَعْفهِ وكبرِ سِنِّهِ ـ فحَكما بأَنَّ جميعَ وادي حَجْرٍ ونواحيَهُ ـ كنينةَ ومِخْمِدةَ ويُوَنَ وما تعلَّق بها ـ يكونُ تحتَ سلطنةِ ٱلسُّلطانِ عوضِ بنِ عُمرَ وأَولادهِ : غالبٍ ، وعُمرَ ، وصالحٍ ، وما تناسلوا .

فلَهُم سلطانُ ٱلأَرضِ ، ولنَوَّحٍ إِعفاءُ أَموالِهِمُ ٱلخاصَّةِ مِنْ جميعِ ٱلرُّسومِ ٱلدَّوليَّةِ ،

---

(١) وقد استمر في المناوشات مدة تقرب من(١١) أحد عشر عاماً ، من (١٣١٧هـ) إلىٰ (١٣٢٨هـ) حين تم التَّحكيم .

(٢) ومثله في « الشَّامل » (ص٨١) ، وحاصله : أنَّه عقب هزيمة الجيش القعيطيِّ في وقعة(حُوته) سنة(١٣١٧هـ) غضب السلطان غالب ممَّا حدث ، حتَّىٰ أنَّه طرد بعض القوَّاد من الجيش ، أمَّا والده السُّلطان عوض . . فلم يعلم بما جرىٰ إلاَّ بعد مدَّة ، ولمَّا رجع السُّلطان عوض إلى الهند . . كان ابنه غالب والوزير السيد حسين بن حامد يدبِّرون لضرب أهل حجر ، فكان غالب يذهب إلىٰ ميفع ويزعج أهلها ، ويرهبهم ويرجفهم ، فلمَّا استمرَّ عليهم هـٰذا الحال . . ضاقوا ، ورغبوا في الصُّلح ، فتوسَّط السَّادة آل العطَّاس .

قال السَّيِّد علويٌّ : طلع شيخنا ـ يعني الإمام أحمد بن حسن العطَّاس ـ ومن معه من كبار آل العطَّاس ، وكاتبوا بوَادي نوَّح ، فأقبَلوا في عدد منهم إلى المكلاَّ ، وتمَّ الصُّلح علىٰ سلامة أنفسهم وأموالهم ومنازلهم ، وكان ذلك سنة (١٣٢٩هـ) اهـ

فلا عَشُورَ ولا مُكوسَ[1] عليهِم ، ولا علىٰ مناصبهِم : آلِ ٱلبيتي ، وآلِ ٱلعطَّاسِ ، وآلِ باراس ، وآلِ ٱلشَّاطريِّ ، وبافقيهِ ، وباعلويٍّ ، وآبنِ مالكٍ .

وعلىٰ أَنْ يبقىٰ عشُورُ ٱلشَّيخِ سعيدِ بنِ عيسى ٱلعَموديِّ بحَجْرٍ علىٰ حالهِ[2] .

وعلىٰ قبائِلِ نَوَّحٍ أَنْ يَضعوا رهائِنَ مِنْ أَولادِهِم ـ للوفاءِ بذلكَ ـ مِنْ كلِّ قبيلةٍ ، وهُم : بامسعودٍ ، وبافقّاسٍ ، وبادُبَيَّانَ ، وبارْشَيدٍ ، وهـٰذهِ هيَ أَقوىٰ قبائِلِهِم ، وفيها رئَاستهُمُ ٱلعامَّةُ[3] .

وعلىٰ أَنْ تكونَ ٱلرَّهائِنُ بنسبةِ ٱلقبائِلِ كثرةً وقلَّةً .

وكُتبَ بينَهُم في ذلكَ عدَّةُ وثائِقَ موجودةٌ بنصِّها في «ٱلأَصلِ» [٢/ ٢٦٥ـ٢٦٩] .

وبتمامِ ٱلأَمرِ ٱنتهتِ ٱلبشارةُ إِلى ٱلسُّلطانِ عوضٍ وهوَ علىٰ فِراشِ ٱلموتِ ، فقرَّتْ عينُهُ ، ولَمْ يُسْلِمْ روحَهُ لبارئِها إِلاَّ مَثلُوجَ ٱلصَّدرِ مِنْ جهةِ حَجْرٍ ، باردَ ٱلفؤَادِ .

وكانَ ٱهتمامُهُ بها يَشغَلُ أَكبرَ موضعٍ مِنْ بالهِ ، حتَّىٰ لقد قالَ في حَجِّهِ وهوَ متعلِّقٌ بأَستارِ ٱلكعبةِ في سَنةِ (١٣١٧هـ) ـ حَسَبَما أَخبرني بذلكَ ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ ٱلمِحضارُ ـ : أَتوبُ إِليكَ يا ربِّ مِنْ كلِّ ذنبٍ ، إِلاَّ مِنْ حَجْرٍ وحَضْرَمَوتَ[4] .

ولآلِ حَجْرٍ عوارضُ قويَّةٌ في ٱلأَشعارِ ٱلعاميَّةِ ـ كما يُعرَف ممَّا مرَّ ـ أخبرني ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ ٱلمحضارُ بأَنَّها كثيراً ما تحصلُ ٱلمهادَناتُ بينَهُم أَثناءَ الحربِ ،

---

(١) المكوس : الضَّرائب .

(٢) قال في « الشَّامل » (ص٧٩) عند ذكره الموضع المسمَّىٰ : جول باحيوة قال : (وإليه يأتي عامل الشَّيخ العموديِّ والي بضه ، فيستلم ربع العشور من التَّمر ، وكان ذلك مستمرّاً يوَرَّد لزاوية الشَّيخ سعيد بن عيسى العموديِّ الوليِّ الصَّالح المشهور) اهـ.

(٣) وكان رئِس القبائِل في الصُّلح المذكور هو : الشَّيخ عبد الله بن أَحمد الحاج .

(٤) زاد في « بضائع التابوت » (٢/ ٢٦٤) قوله : (فإِنَّه لا بد لي منهما) . . قال المصنف معقباً : فكان في ذلك كما قال أخو عامر وهو مُمْسِكٌ بوسائِل البيت :

أَتُـوبُ إِلَيْـكَ يَـا رَحْمٰـنُ مِمَّـا ... جَنَيْـتُ فَقَـدْ تَكَـاثَـرَتِ ٱلـذُّنُـوبُ
وَأَمَّـا مِـنْ هَـوَىٰ لَيْلَـىٰ وَحُبِّـي ... زِيَـارَتَهَـا فَـإِنِّـي لاَ أَتُـوبُ

فيتبادلونَ ٱلزِّياراتِ بينَ ٱلأَراجيزِ ودَويِّ ٱلبنادقِ ، وإِنْ كانَ ٱلواحدُ لَيرتجلُ ٱلعشرينَ بيتاً . . فلا يرتجزونَ إِلاَّ بٱلأَخيرِ منها .

ومِنْ أَشعارِهِمُ ٱلدَّالَّةِ على ٱلإِباءِ : قولُ أَحدِهِم[1] :

جَاه خَنْتُوب من حَربِ النَّمر في صَنِيفه	وٱلقعيطي نَطَح بـٱلـرَّاس لَمَّـا ٱنكسـر
حـامِلِيـن البنـادق والمقـاصّ اللطيفـهْ	واللهْ إِنَّ عشـا نـوَّح ومَبْقَـىٰ ضحـاهـم
بَـانْعَـارِضَـهْ بَـانِلْقِـي حَـرَاوَهْ وَضِيفَـهْ	وَٱللِّقَا وَٱلْوَفَا وَٱلْوَعْدْ لَىٰ رَاسْ حُوتَهْ
وَٱلنَّبِي مَا ٱلْتَـوَىٰ يَـدُّهْ لِعَقْـدِ ٱلشَّـرِيفَـهْ	لَوْ يَقَعْ مِنْ مِئَةْ مَقْتُولْ فِي قَبْرْ وَاحِدْ

فبقيتْ مِنْ هـٰذا حزازةٌ في نَفْسِ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ ، لَمْ يستطعْ أَنْ ينفثَ بما يَشفي صدرَهُ في جوابِها إِلاَّ ليلةَ دخولِهم إِلى ٱلمُكَلاَّ بعدَ إِبرامِ ٱلمعاهَداتِ ، فقالَ :

مِـنْ بَعْـدْ مَـا غَلَبَـتْ وَصَـالِيهَـا غَلَـبْ	قَـالُـوا لِـيَ ٱلْيَـومْ ٱلشَّـرِيفَـهْ وَكَّلَـتْ
حَمْلَوْا عَلَىٰ (حُوتَهْ) وَخَلْفَوْا فِي ٱلسَّلَبْ	بِيـدِي عَـوَادِي شَـارِبِيـنَ ٱلْمسْكَـرَهْ

و(حُوتَهْ) : هيَ ٱلعقبةُ ٱلكأْداءُ ٱلَّتي أَعجزتهُم عن أَخذِها عَنْوةً[2] ، ولـٰكنْ طفقوا يفتلونَ في ٱلذُّرىٰ وٱلغوارب[3] حتَّىٰ وطَّؤُوا أَكنافَهُم بٱلبذلِ ، ولهـٰذا أَجابَهُ بعضهُم قبلَ أَنْ يبلع ٱلرِّيقَ بما نسيتُهُ ، ومعناهُ : لَم تنفعكَ ٱلأَسلحةُ ولا ٱلرِّجالُ ، وإِنَّما نفعَكَ ما بذلتَهُ مِنَ ٱلمالِ ، وكادوا يتواثبونَ إِثرَ تلكَ ٱلمراجعاتِ بالأَراجيز ٱلحارَّةِ ، ولـٰكِن هَدَّأَهمُ ٱلمناصبُ .

وأَخبرني ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ : أَنَّهُ قالَ في إِحدىٰ مراجزِه لَهُم في هُدنة ذات ٱلأَيَّامِ :

---

(١) واسمه : عمر با محمد با مَهْدي (بامزاود) ، من الباديّان .

(٢) لمعرفة موقع عقبة حوتة جغرافياً . . ينظر الوصف الدَّقيق الذي أورده صاحب « الشامل » (ص٧٨) . وهي الطَّريق الوحيد لمريد الوصول إلى المكلاَّ من حجر . . كما في « بضائع التابوت » . ووقعة حوتة التاريخية تنظر في « الشَّامل » (ص٦٤) .

(٣) الذُّرىٰ : أَعالي كُلِّ شيءٍ . الغوارب : أَعالي الموج . والمعنىٰ : أَنَّهم يحيكون المكائد ويؤججون الفتن حتى انصاع لهم ما يريدون .

يَـا حَجْـر بِـنْ دَغَّـارْ مَـاشِـي مَعْـذِرَهْ   لَـوْ بَـانْـرَادِفْ فِـي ٱلْمَقَـابِـرْ مِـنْ ثِنَيْـنْ
إِنْ عَـادْ شِـي تَـرْكُـوبْ وَٱلاَّ تبصـرهْ   وَٱلاَّ مَـعَ ٱللهْ بِـٱلْمَطَـابِـقْ وَٱلْكَبِيْـنْ

فأَجابَهُ أَحدُهُم ـ لا عن ذُلٍّ ، ولٰكِنْ خَضَعَ ٱلجناحَ شيئاً بما جُبِلوا عليهِ مِنْ كرمِ ٱلضِّيافةِ ـ فقالَ :

حَيَّـا وَسَهْـلا بِـٱلْـوُجِيـهِ ٱلـزَّاهِـرهْ   بِـٱلسَّيِّدِ ٱلْمِحْضَـارِ بِـنْ حَـامِـدْ حُسَيْـنْ
أَنتُّـوا وَصَلْتُّـوا وِٱلْبَشَـارَهْ ظَـاهِـرهْ   وِٱلـزَّيْـنْ يُخْـرُجْ مِنُّـهْ الاَّ كُـلّ زَيْـنْ

قالَ : فأَخجلَني بهٰذا ٱللُّطفِ ؛ لأَنِّي نزيلُهُم علىٰ ضيافتِهم ، معَ أَنَّهُ لَم يخضع صريحاً ، لاسيَّما وٱلبشارةُ محتملةٌ للطَّرفينِ ، وٱلمساجلاتُ ٱلَّتي بينَهُم تدخلُ في جزءٍ . وعلىٰ أَلسنةِ ٱلرُّواةِ منها ٱلشَّيءُ ٱلكثيرُ[1] .

وقالَ شيخُنا ٱلمشهورُ في « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » [٢١٥/١] : (وللسَّيِّدِ أَبي بكرٍ ٱلبيتيِّ ٱبنِ إِبراهيمَ بنِ ٱلسَّقَّافِ عَقِبٌ منتشرٌ بحَجْرٍ وكنينةَ ومحمِدةَ)[2] .

وفيها أَيضاً [٣٦٨/١] : (أَنَّ للسَّيِّدِ أَبي نُميٍّ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخِ بنِ عليٍّ ٱلمندرجِ أَعقاباً بكنينةَ ويُوَن)[3] .

---

(١) ومن أَراجيز السَّيِّد حسين بن حامد لمَّا قدم السَّادة آل العطَّاس للصُّلح بين نوَّح والقعيطيِّ :

الليلــة العطــاس جــا بــالنَّــوَّحــيْ   مقضـي ومـرضـي بعـد ضـرَّاب التِّـلام
ولعــاد بــاالتكلـم ولا بــاقــول شِــي   مقبـول عنـدي كُـلّ مَـا قـالـه تمـام

(٢) ومن علماء السادة آل البيتي هٰؤلاء : القاضي الفقيه السيد محمد رشاد بن أحمد بن عبد الرحمٰن بن شيخ بن عبد الرحمٰن بن محمد بن شيخ بن عبد الرحمٰن بن شيخ بن إسماعيل بن أبي بكر البيتي . . . إلى آخر النسب . ولد بكنينة (٢٠) رمضان سنة (١٣٤٤هـ) ، وتوفي والده بمحمده وعمره (١١) سنة ، وطلب العلم ببلده ، وتخرج بالفقيه محمد بن عوض العمودي الآتي ذكره ، وتخرج في القضاء بالسيد محسن بونُمي ، وله شيوخ عدة ، وآثار علمية ، وهو مقيم بجدة نفع الله به .

ومنهم : السيد العلامة القاضي : أحمد الغزالي بن محمد المشهور البيتي ، ولد بكنينة ، وطلب العلم ، ثم تولى القضاء في حَجْر ، وانتقل بعد ذلك إلى عُمَان ، وهو صهر العلامة السيد حامد الجيلاني الآتي ذكره في الخريبة ، وهو من شيوخ القاضي محمد رشاد ، توفي سنة (١٣٨٠هـ) تقريباً .

(٣) صوابه : أبو نمي بن شيخ بن علي بن عبد الله وطب . وفي « المعجم اللَّطيف » (ص١٠٨ـ ١٠٩) : أَنَّ الذي لُقِّب بالشَّاطري من آل أَبي نمي هو : السَّيِّد أَبو بكر بن عبد الرَّحمٰن بن محمود بن محمَّد بن=

وفيها [٤٢٠] : (أَنَّ لعلويِّ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويِّ بنِ أَحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ ٱلكافِ عَقِباً بحَجْرٍ وكنينةَ)[١] .

وفيها [٤٢١] : (وأَمَّا عمرُ ٱلجفْريُّ : فذُرِّيَّتُهُ بحَجْرٍ) .

وفيها : (أَنَّ عبدَ ٱللهِ بنَ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلتَّريسيِّ ٱبنِ علويِّ ٱلجفريِّ ٱلخوَّاصِ لهُ ذريَّة برداعٍ وحَجرٍ ، وكانَ نجوعُهم مِن حَجرٍ إلىٰ رداعٍ في طلبِ ٱلعلمِ ، ثمَّ هاجروا في طلب ٱلمعيشةِ إلى ٱلسَّواحلِ ٱلإفريقيَّةِ ؛ ففي ممباسا جماعةٌ ؛ مِنهم ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ شيخِ ٱلرَّداعيُّ ، وفي ٱلسُّومالِ ٱلإيطاليِّ ناسٌ ؛ منهم ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ صالحِ بنِ حامدِ بنِ محمَّد بنِ عبد ٱلرَّحمـٰنِ بنِ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلتَّريسيُّ) .

وفيها [٥٣٨] : (أَنَّ عبدَ ٱللهِ ٱلأَعينَ ٱلنَّسَّاخَ بافقيهِ بنَ محمَّدٍ عيديدَ لَهُ ذرِّيَّةٌ بحَجْرٍ وكنينةَ)[٢] .

وبكنينةَ كانت خِزانةٌ ملأىٰ بٱلكتبِ ٱلخطيَّةِ ٱلنَّفيسةِ للشَّيخِ ٱلعَموديِّ ، ولـٰكنْ أَخبرني مَنْ رآها بالآخرةِ : أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ بها مِنْ تلكَ ٱلأَعلاقِ[٣] إلاَّ ما لا يَستحقُّ ٱلذِّكرَ . فلا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بٱللهِ[٤] .

= أَبي نمي بن عبد الله بن شيخ بن علي بن عبد الله وطب.. إلخ . بسبب تزوُّجه من السَّادة آل الشَّاطري أَهل تريم .

(١) واستدرك في « الشَّامل » (ص٧٨) بقوله : (وذكر في « الشَّجرة » : أَنَّ بها من آل الكاف عقباً قليلاً لزين بن حسن بن علوي بن عبد الله بن علوي بن أَحمد بن محمَّد الكاف ، ولم نسمع بأَحد من آل الكاف بحجر فلعلَّهم انقرضوا أَو نقلوا إلىٰ بعض الوديان الأُخرىٰ . والله أعلم) اهـ

(٢) « شمس الظَّهيرة » (ص٥٣٨) ، وقد نبَّه السَّيِّد محمَّد ضياء شهاب علىٰ وجود سقط في بعض نسخ « الشَّمس » ، وذكر أَنَّ الَّذين بحجر وكنينة من آل بافقيه هم من ذرِّيَّة السَّيِّد عبد الرَّحمـٰن بن عليِّ بن أَحمد بن عبد الله الأَعين النَّسَّاخ بافقيه.. ولعبد الرَّحمـٰن هـٰذا أَخ هو محمَّد بن عليٍّ ، توفِّي بتريم سنة(١٠٠٧هـ) « الفرائد الجوهريَّة » (٣/ ٨٢٨) . وممَّن بحجر من السَّادة أَيضاً : آل العطَّاس.. من ذرِّيَّة محسن بن الحسين بن عمر بن عبد الرَّحمـٰن العطَّاس ، كما في « شمس الظَّهيرة » (ص٢٥٠) . وفي « الشَّامل » (ص٧٨) نقلاً عن « الشَّجرة العلويَّة » : أَنَّ بحجر ذرِّيَّة سالم بن عمر بن محمَّد بن عليِّ بن محسن بن الحسين.. ثمَّ قال : إنَّ بحصن باقروان ذرِّيَّة سالم بن عمر بن عليِّ بن محسن بن الحسين.. إلىٰ آخر النَّسب . اهـ

(٣) **الأَعلاق** ـ جمع عِلق ـ وهو : النَّفيس من كلِّ شيء .

(٤) وبحَجْر جماعة من آل العمودي : منهم الشيخ الفقيه الفاضل محمد بن عوض العمودي ، طلب العلم=

وفي كنينةَ ناسٌ مِن آلِ ٱلعموديِّ ؛ منهمُ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عوضٍ ٱلعموديُّ ، نهشَتْهُ أفعىٰ في رجلِهِ . . فورمَتْ ، فأَشارَ عليهِ ٱلطَّبيبُ بقطعِها ، ففعلَ وكانَ ذلك سببَ عكوفِهِ على ٱلعلمِ ، حتَّىٰ حصَّلَ منهُ جملةً ، فأَفادَ وٱستفادَ ، وكانَ في قصَّته شبهٌ بعروةَ بن ٱلزُّبيرِ .

ومنهم آلُ بنْ دحمانَ ، كانوا بكنينةَ ، ثمَّ ٱنتقلوا إلى محمدة ، نجع أَحمدُ بنُ دحمانَ وأَخوهُ عمرُ إلى ٱلسَّواحلِ ٱلإفريقيَّةِ . وعمرُ خيرٌ مِن أَحمدَ .

وأَكثرُ حاصلاتِ حَجْرٍ : ٱلتَّمرُ ، فٱلَّذي يَخرجُ منها زائداً عن حاجاتِ أَهلِها شيءٌ كثيرٌ[1] .

ومِنَ ٱلغرائبِ ـ كما حدَّثني ٱلثِّقةُ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ حامدٍ ٱلمِحضارُ ـ : أَنَّ ٱلغرابَ لا يتعرَّضُ لثمارِ حَجْرٍ بسوءٍ أَبداً .

ومِنْ عادتِهم : إباحةُ ٱلتُّمورِ ٱلَّتي تتساقطُ بعصفِ ٱلرِّياحِ ، وأَنْ لا حَرَجَ علىٰ أَيِّ إنسانٍ في تسلُّقِ نخلةٍ أَرادَ للأَكلِ فقط ، أَمَّا أَخْذُ شيءٍ إلى ٱلمنزلِ . . فممنوعٌ .

بُرُوم[2]

هيَ مرسىً حصينٌ مِنْ عواصفِ ٱلرِّياحِ ، أَحصنُ مِنْ مرسى ٱلمُكَلاَّ ـ علىٰ حصانتهِ ـ فإليهِ تأْوي ٱلسُّفنُ عندَ ٱضطرابِ ٱلأَمواجِ وهَيَجانِ ٱلبحرِ . وهوَ واقعٌ بينَ ميفعَ وٱلمُكَلاَّ .

= بقيدون عند السيدين علوي وعبد الله ابني طاهر الحداد ، وعليهما جل انتفاعه ، وقد حصل به نفع كبير لما عاد إلى وادي حَجْر ، فكان إماماً لجامع مسجد كنينة ، وممن تخرج به : العلاّمة السيد القاضي محمد رشاد البيتي ، ومقروءاته عليه مفصلة في مقدمة كتاب « التقريرات البهيّة » .

(١) قال الحدّ د في « الشّامل » (ص٧٧) يصف نخل حجر : (والنَّخل بوادي حجر إذا غرس . . يثمر علىٰ سنتين ، وفي غيرها علىٰ خمس سنين وأقل وأكثر) .

(٢) بروم : مبناء صغير غربيَّ مدينة المكلا بمسافة (٣٠ كم) تقريباً ، كان بندراً شهيراً مأمونا للسفن الشراعية أيام الرياح الموسميّة ، تأوي إليه السفن عند اضطراب الأمواج وهيجان البحر ، ثم خمل دوره بعد عمارة المكلا ، إلا أنه أعيد إنشاؤه حديثاً لكي يستوعب استقبال السفن وإمكانية تفريغها . وقد شهد العديد من الحوادث سيذكرها المؤلف ههنا .

قالَ ٱلطَّيِّبُ بامخرمة : (بُرُومُ بلدةٌ بينَ ٱلشِّحْرِ وميفعَ علىٰ ساحلِ ٱلبحرِ . كانت بلدةً قديمةً مِنْ أعمالِ فُوَّه ، يُجلبُ إليها ٱلصَّبرُ ٱلصُّقطْرِيُّ[1] ، وكانَ بها قلعةٌ تسمَّىٰ : « عُرْفة » ـ بضمِّ ٱلعينِ ٱلمهملةِ وسكونِ ٱلرَّاءِ ـ وهيَ رديئةُ ٱلماءِ ، وأكثرُ أهلِها ٱلمتقدِّمينَ صيَّادونَ) اهـ[2]

وفيهِ شاهدٌ لأنَّ ٱلمُكَلاَّ لَمْ تَكُنْ إذْ ذاكَ شيئاً مذكوراً ، وإلاَّ . . لأشارَ إليها .

وإلىٰ بُرُومَ يُنسَبُ ٱلسَّيِّدُ حسنُ بنُ محمَّدِ بنِ علويٍّ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ ٱللهِ باعلويٍّ[3] .

وقد ترجمَ في « ٱلمَشْرَعِ » [٢/ ٥٤] لابنهِ أحمدَ بنِ حسنٍ[4] ، وذكرَ أنَّهُ هوَ ٱلَّذي عمَّرَ مسجدَ آلِ جَديدٍ[5] بتريمٍ ، وأنشأَ لَهُ بِركةً في سَنةِ (٩١٩هـ) فنُسبَ إليهِ ، فهوَ ٱليومَ يُعرفُ بمسجدِ بُرُومٍ .

---

(١) **الصَّبر** : هو المادَّة المعروفة . **الصُّقطْري** : منسوب إلىٰ سقطرىٰ ، وهي جزيرة معروفة ، تابعة لـ(اليمن) في بحر العرب .

(٢) نسبة البلدان (ق ٣٨) .

(٣) توفي السَّيِّد حسن بروم هـٰذا بتريم سنة (٩٢٧هـ) . « الفرائد الجوهرية » (٢٠٩) ـ بالهامش .

فائدة هامَّة : قال في « المعجم اللَّطيف » (ص٥٨ـ ٥٩) : ولُقِّب حسن المشار إليه ببروم لسكناه في قرية بروم بساحل حضرموت ، وتبعد عن المكلاَّ عاصمة السَّلطنة القعيطيَّة سابقاً بنحو(٢٠ كم) . وهم يختصرون ويحذفون المضاف ، فلا يقولون ساكن بروم ، ولا صاحب بروم ، ولا مولىٰ بروم ، ويكتفون بالمضاف إليه الدَّالِّ على المضاف ، فيقولون لكلِّ فرد من سلالته : بروم ، كما يدعونه هو نفسه . فكأنَّه تجسَّد في كلٍّ منهم كما ذكرنا عن كثير من أمثاله . وربَّما قالوا في هـٰذا العصر ـ وفي المملكة العربيَّة السعوديَّة ـ : باروم ، وخرجوا عن اللَّقب القديم إلى الكنية جرياً على الغالب من استعمال الحضرميِّين ـ وبالأخص الدَّوعنيِّين ـ الكنية أكثر ، وما بينها هنا وبين اللقب إلاَّ زيادة الألف فقط ، ولـٰكن المعنىٰ يتغيَّر هنا كما لا يخفى . اهـ

(٤) توفِّي السَّيِّد أحمد بن حسن بروم في جمادى الأُولىٰ (٩٥٧هـ) ، ومن مصنَّفاته : « جوهرة الجواهر » في مناقب الشَّيخ عبد الله العيدروس ، كان مولده بتريم .

(٥) المنسوب للسَّادة بني جديد بن عبيد الله بن أحمد المهاجر ، وقد انقرضوا على رأس القرن السَّادس الهجري . « المعجم اللَّطيف » (ص٨٥) .

وترجمَ في « ٱلمَشْرَعِ » [٢/١٩٤] أيضاً لابنِ حفيدِهِ ، وهوَ : عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ حَسَنِ بُرُومٍ ، ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (١٠٣٩هـ)[١] .

ولبُرُومٍ هـٰذهِ ذِكرٌ كثيرٌ في ٱلحروبِ ٱلواقعةِ بينَ ٱلكساديِّ وٱلقعيطيِّ[٢] .

وهيَ أَوَّلُ ما رسَتْ بها سفائِنُ ٱلنَّجدةِ ٱلتُّركيَّةِ في سَنةِ (١٢٦٧هـ) ٱلَّتي كانَ علىٰ رأْسِها شيخُ ٱلسَّادةِ بمكَّةَ ٱلسَّيِّدُ : إِسحاقُ بنُ عقيلِ بنِ يحيىٰ[٣] .

ومِنْ أَعيانِ بُرُومٍ في ٱلقرنِ ٱلثَّامنِ[٤] : ٱلعارفُ بِٱللهِ ٱلشَّيخُ مزاحمُ بنُ أَحمدَ باجابر ، أَخذَ عنهُ سيِّدُنا ٱلإِمامُ ٱلكبيرُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافُ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريمَ سنةَ (٨١٩هـ) .

وفي ٱلحكايةِ (٣٠٤) مِنَ « ٱلجوهرِ » [٢/٥٣] لِلخطيبِ : (عن عبدِ ٱللهِ بنِ نافعِ بنِ أَبي منذرٍ قالَ : لَمَّا وقعتِ ٱلفتنةُ في بلادي ٱلهَجْرَينِ . . سِرتُ إِلىٰ بُرُومٍ عندَ ٱلشَّيخِ ٱلكبيرِ مزاحم بنِ أَحمدَ باجابر ، فأَحبَّني ، وسارَ بيَ إِلىٰ أَحورَ ، وكانت معَ ٱلشَّيخِ خيمةٌ مِنْ سلطانِ ٱليَمنِ ، فلمَّا وصلْنا أَحْوَرَ . . نصبنا تلكَ ٱلخيمةَ ، ومضى ٱلشَّيخُ

---

(١) توفِّي بتريم عن عمر أَناف على السَّبعين .

(٢) تفاصيل تلك الحروب والوقائع في الجزءِ الثَّالث من « بضائع التَّابوت » .

(٣) السَّيِّد إِسحاق ؛ هو : إِسحاق بن عقيل بن عمر بن عقيل بن شيخ بن عبد الرَّحمـٰن بن عقيل بن أَحمد بن يحيىٰ . . كذا ساق نسبه المصنِّف في « بضائع التابوت » (٣/٩) . وانظر ما يأْتي في قارة الشناهز . وهـٰذه الحملة أَو النجدة أُرسلت لفكِّ الحصار الَّذي ضربته إِمارة الكسادي وابن بريك في السَّاحل على الشَّعب في الدَّاخل الَّذي هو تحت سلطنة عدوَّتها السَّلطنة الكثيريَّة النَّاشئة علىٰ إِصلاح ما يمكن إِصلاحه بواسطتها ، وإِنقاذ ما يمكن إِنقاذه كذلك ، ولـٰكن لم يصحبها التَّوفيق لأَسباب طبيعيَّة وعسكريَّة . « أَدوار التَّاريخ الحضرميِّ » (ص٣٨٦) . ولمعرفة تفاصيل حملة الأَتراك على السَّاحل الحضرميِّ . . ينظر « بضائع التَّابوت » (٣/٩-١٥) ؛ ففيه ما لا يوجد في غيره ، و« تاريخ ابن حَميد » : نهاية الجزءِ الأَوَّل وبداية الجزءِ الثَّاني ، و« تاريخ أُمراءِ البلد الحرام » (٣١٧) ، وذكر في هـٰذا الأَخير خبر مقتل السَّيِّد إِسحاق بن عقيل سنة (١٢٧١هـ) مسجوناً في قلعة المثناة بالطَّائف . ينظر : « تعليقات السَّيِّد ضياءِ شهاب علىٰ شمس الظَّهيرة » (ص٣١٤) .

(٤) صوابه : القرن التَّاسع ، وإِنما لم يقف المؤلف علىٰ تاريخ وفاته فظنه من أَهل القرن الثامن . وكانت وفاته كما في « تاريخ شنبل » (ص١٦١) : سنة(٨١٧هـ) ، وقبره معروف في بروم ، وعليه قبَّة صغيرة إِلىٰ جوار المسجد الجامع .

مُزَاحمُ لبعضِ شأنهِ ، فسألَني بعضُ ٱلسَّادةِ عن حالي في بُرُومٍ ، فقلتُ لَهُ : ما رأيتُ أَنجسَ منها ولا مِنْ ساحلِ بربرةَ) اهـ

أمَّا ٱلَّذي أهدى ٱلخيمةَ للشَّيخِ مُزَاحمٍ مِنْ ملوكِ ٱليمنِ[1] ، فيحتملُ أنْ يكونَ :

ٱلأفضلُ عبَّاسُ ٱبنُ ٱلمجاهدِ عليٍّ ؛ لأنَّهُ ـ كما في « ٱلتَّاجِ » ـ ٱستولىٰ على ٱلمُلْكِ في سَنةِ (٧٦٤هـ) وماتَ في سَنةِ (٧٧٨هـ) . أَوِ ٱلأشرفُ إسماعيلُ بنُ ٱلأفضلِ ، وكانَ تولَّىٰ بعدَ أبيهِ إلىٰ أنْ ماتَ سَنةَ (٨٠٣هـ) . أَوِ ٱبنُ ٱلأشرفِ[2] ٱلَّذي بقيَ على ٱليمنِ ـ كما في « صبحِ ٱلأعشىٰ » [٥/٣١] ـ إلىٰ سَنةِ (٨١٢هـ) .

وأقربُ ما يكونُ ٱلأشرفُ إسماعيلُ ؛ لأنَّهُ كانَ محبّاً لِلعلْمِ وٱلعلماءِ .

وفي ٱلحكايةِ (٣٤٤) مِنْ « جوهرِ ٱلخطيبِ » [٢/٨٧] : (عنِ ٱلسَّيِّدِ أحمدَ ٱبنِ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ أحمدَ باجابرٍ قالَ : كنتُ إذا ٱجتمعتُ بعمِّي ٱلشَّيخِ مُزَاحمٍ . . يُثني على ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ ويقولُ : إنَّهُ ٱلقطبُ) . وكانَ ذلكَ قبلَ سنةِ (٨٠٥هـ) .

وقالَ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ حَسَنٍ ٱلعطَّاسُ في « سفينةِ ٱلبضائعِ » : (وفي سَنةِ « ٨٨٧هـ » توفِّيَ ٱلشَّيخُ ٱلأجلُّ ، ذو ٱلأخلاقِ ٱلرَّضيَّةِ : أبو ٱلغيثِ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ مُزَاحمٍ ببُرُومٍ)[3] .

وسيأتي في عَنْدَلَ ـ مِنْ أطرافِ وادي عَمْدٍ ـ ٱلتَّعريفُ بنَسَبِ ٱلشَّيخِ مُزَاحمٍ ؛ لأنَّهُ هوَ وآلَ جابرٍ ـ أصحابُ عَنْدَل ـ مِنْ قبيلةٍ واحدةٍ .

وسيأتي في ٱلشِّحْرِ ذِكرُ أحدِ علماءِ آلِ مزاحم باجابر ، وهوَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱلرَّحيمِ .

وفي أواخرِ ٱلجزءِ ٱلأوَّلِ مِنَ «ٱلأصلِ» عَن قصيدةٍ للشَّيخِ عمرَ بامخرمةَ ما يشهدُ بأنَّ

---

(١) وملوكها آنذاك : آل رسول .

(٢) ابن الأشرف هو : الملك النَّاصر أحمد ابن الملك الأشرف إسماعيل ، ولـٰكنَّه بقي ملكاً على اليمن إلىٰ أن توفِّي سنة (٨٢٩هـ) ، كما في « بلوغ المرام » للقاضي العَرَشي (ص٤٦) .

(٣) مثله في « تاريخ شنبل » (ص٢٠٠) حوادث سنة(٨٨٧هـ) . وعنه نقل ابن حميد في « العدَّة المفيدة » (١/ ١٥٠) ، وصالح الحامد في « تاريخ حضرموت » (٢/ ٢٩٧) .

بُروماً كانت للحبوظيِّ ، ثمَّ صارَت لعليِّ بنِ عمرَ ٱلكثيريِّ ، وذلكَ حيثُ يقولُ للسُّلطانِ عبدِ ٱللهِ بنِ جعفرٍ :

خَـــاطِـــرْ كَمـــا خـــاطَـــرْ عَلـــي جَـــدّك وخـــاضَ أغمـــارَهـــا
حتَّـــى سكَـــن بعـــد ٱلحبـــو ظـــي فـــي بُـــروم ٱختَـــارَهـــا

ٱلمُكَلاَّ(١)

هوَ ٱسمٌ دالٌّ علىٰ مسمَّاهُ ؛ إِذْ جاءَ في مادَّةِ (كَلأَ) مِنَ « ٱلتَّاج » و« أَصلِهِ » : (أَنَّ ٱلكَلأَّءَ ـ ككَتَّانٍ ـ مرفأُ ٱلسُّفنِ . وهوَ عندَ سِيبَوَيْهِ : فعَّالٌ ، مثلُ جبَّارٍ ؛ لأَنَّهُ يَكْلأُ ٱلسُّفنَ مِنَ ٱلرِّيحِ . وساحلُ كلِّ نَهَرٍ كاْلمُكلأَّ ، مهموزٌ مقصورٌ) اهـ بٱختصارٍ .

(١) المكلا : هي ميناء حضرموت الشهير ، وكان يقال لها : بندر يعقوب ؛ نسبة للشيخ يعقوب المقبور بها ـ ستأتي ترجمته ـ تقع بين خليجين ، وخلفها جبل شاهق يبلغ ارتفاعه (٦٠٠) قدم . وقد شهدت المكلا اتساعاً عمرانياً مذهلاً في السنوات الأخيرة ، وأقيمت بها المستشفيات والفنادق الفارهة . وربطت بحضرموت الداخل (سيئون) بخط إسفلتي حديث ، يبلغ طوله (٣٢٠ كم) ، وخط آخر يربطها بعدن يجري العمل على إعادة سفلتته وترميمه . كما بها مطار دولي وهو مطار الريّان في غربيِّها . والميناء اليوم يقع في منطقة خلف .

طول المكلأ وعرضها ـ جغرافيّاً ـ : ورد في « الشّامل » (ص٨٨) ، تحديد طول المكلأ وعرضها استناداً لما ورد في « التّقويم الفرنسيّ » و« جدول الأوضاع الجغرافيّة » لـ(كوليه) ، كما هو ملحق بكتاب « الدُّرر التّوفيقيّة » لسعادة إسماعيل بيك مصطفى المصري.. وحاصل ما ورد أنّ : طول المكلأ : (٣٥ـ٤٧ـ٤٦) ؛ أي : ستٌّ وأربعون درجة ، وسبع وأربعون دقيقة ، وخمس وثلاثون ثانية .

وعرضها : (١٥ـ٣١ـ١٤) ؛ أي أربع عشرة درجة ، وإحدىٰ وثلاثون دقيقة ، وخمس عشرة ثانية . وفي بعض الخرائط الأخرى تفاوت يسير . قبلة المكلأ : في « الشامل » : (وإنَّ سمت القبلة علىٰ أربعين درجة وسبع دقائق من القطب (الجاه) إلى المغرب الأصل .

ولمعرفة سمت القبلة في المكلأ قاعدة أخرىٰ ، وهو : أن يترقَّب مريد ذلك يوم ثلاثين أيّار وهو يوافق (٨) في (نجم الإكليل) ، أو (١٨) (تموز) وهو يوافق(٥) في(نجم البلدة) بعد السّاعة الثّانية عشر ظهراً ؛ أي : السّاعة(٦) ظهراً للسّاعات المغربيّة ، فإذا مضىٰ بعد ذلك إحدى وأربعون دقيقة وعشر ثوان.. فلينظر إلى الشّمس فإنّها في ذلك الوقت فوق الكعبة . وإن جعل شاخصاً فإنّ ظلّ الشّاخص يكون علامة على اتجاه القبلة ، والله أعلم) اهـ

ومنهُ تعرفُ أنَّهُ عربيٌّ فصيحٌ، لَمْ تتصرَّفْ فيهِ ٱلعامَّةُ علىٰ ممرِّ ٱلسِّنينَ إلاَّ بالشَّيءِ ٱليسيرِ.

وكانتِ ٱلمُكَلاَّ خَيْصَةً[1] صغيرةً لبني حَسنٍ وٱلعكابرةِ[2]، وملجأً تعوذُ بهِ سفائِنُ أَهلِ ٱلشِّحْرِ، وٱلواردينَ إليهِ مِنَ ٱلآفاقِ عندما يهتاجُ ٱلبحرُ في أَيَّامِ ٱلخريفِ؛ لتأْمَنَ بهِ مِنْ عواصفِ ٱلرِّياحِ؛ لأَنَّهُ مصونٌ بٱلجبالِ، بخلافِ ساحلِ ٱلشِّحْرِ. فإِنَّهُ مكشوفٌ.

وقدِ ٱتَّخذَ ٱلصَّيَّادونَ بهِ أكواخاً، ففَرضتْ عليهِمُ ٱلعَكابرةُ ضريبةً خفيفةً إزاءَ ٱستيطانهِم بها؛ لأَنَّها مِنْ حدودِ أَرضِهم، ثمَّ ٱزدادتِ ٱلأكواخُ، وٱستوطنَها كثيرٌ مِنَ ٱلعكابرةِ أنفسِهِم وناسٌ مِنْ أَهلِ رُوكِبْ.

ويقالُ: إنَّ آلَ ٱلجَذْيانيِّ ـ وهُم مِنْ يافعٍ ـ مَرُّوا بها في أَواخرِ سَنةِ (٩٨٠هـ) مُجْتازينَ، فأَعجبَتْهُم، فٱستوطنوها، وصارَ أَمرُ أَهلِ تلكَ ٱلخَيْصَةِ إلىٰ رئيسهِم يُشاورونَهُ في أُمورِهِم حتَّىٰ صارَ أَميراً عليهِم.

وكانَ كبيرُ آلِ كِسَادٍ ـ وٱسمُهُ: سالمٌ ـ موجوداً بٱلمُكلاَّ إذْ ذاكَ، فٱغتالَ ٱلجَذْيانيَّ وٱستقلَّ بأَمرِ ٱلمُكلاَّ.

ثمَّ جاءَ سالمُ بنُ أَحمدَ بنِ بَحْجَم ٱلكساديُّ ومعَهُ ولدُهُ صلاحٌ وأَخوهُ مقبلٌ، فٱغتالوا سالمَ ٱلكساديَّ في ٱلبيرِ ٱلمعروفةِ إلى ٱليومِ ببيرِ بَشْهَر، وٱستولىٰ سالمُ بنُ أَحمدَ بنِ بَحْجَمٍ على ٱلبلادِ، وحكمَها سَنةً ثمَّ ماتَ، وخَلَفَهُ عليها ٱبنُهُ صلاحٌ ثمَّ ماتَ، ولَهُ ثلاثةُ أَولادٍ: عبدُ ٱلرَّبِّ، وعبدُ ٱلحبيبِ، وعبدُ ٱلنَّبيِّ.

وكانَ ٱلنُّفوذُ لعبدِ ٱلحبيبِ؛ لأَنَّهُ ٱلأكبرُ، ولَمَّا ماتَ.. خَلَفَهُ عليها أَخوهُ عبدُ ٱلرَّبِّ، وبقيَ يحْكم ٱلمُكَلاَّ إلىٰ أَنْ توفِّيَ في سَنةِ (١١٤٢هـ)، وخلفَهُ عليها ٱبنُهُ صلاحٌ، فأَخذَ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱلحبيبِ ينازِعُهُ حتَّى ٱتَّفقوا علىٰ تحكيمِ صاحبِ عَدَن، فركبوا إليها، فقضىٰ بها لمحمَّدِ بنِ عبدِ ٱلحبيبِ.

---

(١) والخيصة عند أَهل السَّاحل الحضرميِّ هي الفُرْضة؛ أَي: الميناء الصغير.

(٢) بنو حسن: قبيلة من سيبان، يسكنون الجبال القريبة من ساحل البحر، ومنهم: آل باخميس، وآل باضمن، وآل بارعيدة، وآل باحاج. «أدوار التَّاريخ الحضرميِّ» (ص٣٥٨). نقلاً عن «الشَّامل».

فسافرَ صلاحٌ وأخوهُ مطلقٌ وعمُّهُم عبدُ ٱلنَّبيِّ إلى ٱلسَّواحلِ ٱلإفريقيَّةِ ، وبقيَ محمَّدُ عبدِ ٱلحبيبِ يَحكُمُ ٱلمُكَلاَّ .

وفي أيَّامهِ بُنيتْ حافة ٱلعَبيدِ ، وسمِّيتْ بذلكَ ؛ لأنَّ أوَّلَ ما بُنيَ بها بيتٌ لعَبيدِ آلِ كسادٍ .

ولَمَّا ماتَ محمَّدُ عبدِ ٱلحبيبِ في سَنةِ (١٢٠٧هـ) . . قامَ مِنْ بَعدِهِ ولدُهُ صلاحُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلحبيبِ ، وكانَ عمُّهُ عبدُ ٱللهِ بنُ عبدِ ٱلحبيبِ يُنازعُهُ ٱلإمارةَ ، ولـٰكنَّهُ تغلَّبَ عليهِ بمساعدةِ عمِّهِ عليِّ بنِ عبدِ ٱلحبيبِ ، وبقيَ علىٰ حُكمِ ٱلمُكَلاَّ إلىٰ أَنْ ماتَ في سَنةِ (١٢٩٠هـ) .

وقامَ بعدَهُ ولدُهُ عُمرُ بنُ صلاحٍ ، وكانَ صلاحٌ في أيَّامهِ ٱستدانَ مئَةَ ألفِ ريالٍ مِنْ عوضِ بنِ عُمرَ ٱلقعيطيِّ في سَنةِ (١٢٨٥هـ) ـ وهيَ حصَّتُهُ في نفقةِ غزوةِ ٱلمحائِلِ عامَئِذٍ[1] ـ وبإثرِ موتهِ . . وصلَ عوضُ مِنَ ٱلهندِ إلى ٱلشِّحْرِ ، وأقامَ بها أشهراً ، ثمَّ سارَ إلى ٱلمُكَلاَّ بهيئَةِ ٱلتَّعزيةِ ، وبعدَ أنِ ٱجتمعَ لَهُ بها مِنْ عسكرهِ نحوُ ثلاثِ مئَةٍ دخلوا أرسالاً . . طالبَ بذلكَ ٱلدَّينِ ، فَسَفَرَ ٱلنَّاسُ[2] بينَ عُمرَ بنِ صلاحٍ وٱلقعيطيِّ علىٰ أَنْ يحتلَّ ٱلقعيطيُّ ناصفةَ ٱلمُكَلاَّ إلىٰ أَنْ يستوفيَ مالَهُ مِنَ ٱلدَّينِ ، ولـٰكنَّ عُمَرَ صلاحٍ ٱستدعىٰ عسكرَهُ مِنْ كلِّ ناحيةٍ ، وأذكىٰ نارَ ٱلحربِ ، وعندما أَحسَّ ٱلقعيطيُّ بٱلهزيمةِ . . ٱستوقفَ ٱلحربَ ، ونجا بنَفْسهِ .

هـٰذهِ إحدى ٱلرِّواياتِ في إمارةِ آلِ كسادٍ على ٱلمُكَلاَّ .

وٱلأُخرىٰ[3] : (أنَّ في أواخرِ ٱلقرنِ ٱلحادي عشرَ ـ أو أوائِلِ ٱلثَّاني عشرَ ـ وردَ ٱلمُكَلاَّ أحدُ آلِ ذي ناخبٍ[4] وهوَ جدُّ آلِ كِسَادٍ ، وبمجرَّدِ ما ٱستقرَّتْ قَدَمُهُ

---

(١) تفاصيل هـٰذه الغزوة أو الوقعة في « بضائع التَّابوت » (٢/ ٢١٥-٢٢٢) والمحايل : حَسْبَما ورد في « العدَّة المفيدة » (٢/ ٢٨٢) : أنَّها حصون أو بيوت صغيرة بناها العساكر اليافعيُّون لضرب بعض مناوئيهم .

(٢) سفر النَّاس : توسطوا بينهم للصلح .

(٣) أسندها في « بضائع التَّابوت » (٢/ ١٠٨) ، عن بعض المعمَّرين .

(٤) ذو ناخب : واد كبير معروف في مرتفعات بلاد يافع السُّفلىٰ ، وهو الوادي الرَّئيس الَّذي يمتد من =

بِٱلْمُكَلاَّ[1] . . ٱتَّجهتْ هِمَّتُهُ للتِّجارةِ وٱلمضاربةِ معَ أَهلِ ٱلسُّفنِ ، ثمَّ ٱتَّفقَ هوَ وإِيَّاهُم علىٰ شيءٍ يَدفعونَهُ إِليهِ برسمِ ٱلحراسةِ ، يُعطي ٱلعكابرةَ وبني حَسَنٍ بعضَهُ ، ويَستأْثِرُ بٱلباقي ، إِلىٰ أَنِ ٱستقوىٰ أمره ، وضعُفَ أَمرُ أُولـٰئِكَ وٱنشقَّ رأْيُهم ، فما زالَ يتدرَّجُ حتَّىٰ صارَ أَميرَ ٱلمُكَلاَّ) .

وٱلثَّالثةُ : عنِ ٱلشَّيخِ ٱلمعمَّرِ أَحمدَ بنِ مرعيِّ بنِ عليِّ بنِ ناجي ٱلثَّاني[2] : (أَنَّ صلاحَ بنَ سالمٍ ٱلكِسَاديَّ كانَ بغَيلِ ٱبنِ يمينٍ ، فكثُرَ شَرُّهُ ، فطردَهُ ٱليافعيُّونَ ٱلشَّناظيرُ[3] ، فٱلتجأَ إِلىٰ علي ناجي ٱلأَوَّلِ بنِ بريكٍ[4] بِٱلشِّحْرِ ، فأَجارَهُ هوَ وأَولادَهُ : عبدَ ٱلحبيبِ ، وعبدَ ٱلرَّبِّ ، وعبدَ ٱلنَّبيِّ .

وكانت لصلاحٍ بنتٌ تُدعىٰ عائِشةَ ، جميلةُ ٱلطَّلعةِ ، ٱستهوت قَلْبَ عليِّ ناجي ، فطلبَ يدَها ، وٱستاءَ آلُ بريكٍ مِنْ بِنائِهِ عليها ؛ لِما يَعلمونَ مِنْ شَيْطَنةِ صلاحٍ ، وخافوا أَنْ يستوليَ بواسطةِ بنتهِ علىٰ خاطرِ ٱلسُّلطانِ علي ناجي فيتنمَّرَ[5] لهم ، فبيَّتوا قَتْلَ

= مشارف حدود يافع الأعلىٰ وحدود البيضاء ، ويعرف أيضاً بوادي سلب لمروره عبر بلدة سَلَب ، ويصبُّ في البحر غرب مدينة شقرة . « رحلة إلىٰ يافع » (ص٣٦) . وفي « الصفة » للهمداني ذكر له في (ص١٧٢ـ ١٧٣) ، وفيها : أنه لبني جَبْر من يافع . اهـ وإليه ينسب آل الناخبي ، وأشهر شخصية عرفت منهم : هو العلامة الشيخ المعمر : عبد الله بن أحمد الناخبي .

(١) ورد في « بضائع التابوت » (١٠٨/٢) أنَّه زار تريم أوَّلاً ودخل على الإمام الحدَّاد وطلب منه الدُّعاءَ لضائقة نزلت به ، فأشار عليه بالذَّهاب إلى المكلاَّ .

(٢) رواها المصنِّف ـ كما في « بضائع التابوت » (١٠٨/٢) . . عن السَّيِّد المنصب حسن بن سالم ابن الحبيب أحمد بن حسن العطَّاس ، المتوفَّىٰ بالمكلاَّ سنة(١٣٦٤هـ) ، وهو سمعها من المعمَّر المذكور ، الذي كان عمره حين حدَّث بها : مئة وعشرين عاماً .

(٣) الشَّناظير ـ جمع شِنظير ـ وهو : الفاحش الغَلِقُ من الرِّجال ، الَّذي يشتم أعراض النَّاس ، وهو لقب أُطلق على فئة من العسكر اليافعيِّين الَّذين حكموا بعض مناطق حضرموت إبَّان فترة الفوضىٰ ، وكان قد استقدمهم في مطلع القرن الثَّاني عشر الهجري السُّلطان بدر بن محمَّد المردوف الكثيري ، المتوفَّىٰ سنة(١١٢٠هـ) ينظر : « معالم تاريخ الجزيرة العربيَّة » (ص٢٦٥ـ٢٦٦) ، و« تاريخ الدَّولة الكثيريَّة » (ص٩١) وما بعدها .

(٤) توفِّي عليُّ بن ناجي بن أحمد بن بريك بالشِّحر سنة(١٢٢٠هـ) كما في « نشر النَّفحات المسكيَّة » للسَّيِّد محمد جمل اللَّيل باحسن (٩٩/٢) « مخطوط » .

(٥) يتنمَّر : يتغيَّر عليهم ، ويصول عليهم كما يصول النَّمِرُ .

صلاحِ بنِ سالمٍ ٱلكساديِّ ، فغدرَ بهِم عليٌّ ناجي .

فذهبَ بهِ إلى ٱلمُكَلاَّ ـ وهيَ إذ ذاكَ خيصةٌ للعكابرةِ وبني حَسَنٍ ـ فبنىٰ بها ٱلسُّلطانُ عليّ ناجي حِصناً علىٰ ساحلِ ٱلبحرِ ، سمَّاهُ : حصنَ عبدِ ٱلنَّبيِّ ؛ ٱحتفاظاً بٱلاسمِ لولدِهِ ، وعاهدَ أَهلَ ٱلمُكَلاَّ لِعمِّهِ صلاحِ بنِ سالمٍ ، وأَجلسَهُ بها معَ عائلتِهِ) اهـ[(1)]

وقد نزغَ[(2)] ٱلشَّيطانُ آخِراً بينَ علي ناجي وعبدِ ٱلرَّبِّ بنِ صلاحِ بنِ سالمٍ ٱلكساديِّ .

وجاءَ في « تاريخِ باحَسَنٍ ٱلشِّحْريِّ » [٢/٩٨ـ٩٩ خ] : (أَنَّ علي ناجي نفىٰ آلَ هُمَامٍ إلى ٱلمُكَلاَّ ، فٱستنجدوا بعبدِ ٱلرَّبِّ بنِ صلاحٍ ـ صاحبِ ٱلمُكَلاَّ ـ فجهَّزَ قوماً ٱلتقوا بعسكرِ علي ناجي في ٱلحِذْبةِ[(3)] ، وقُتِلَ محسنُ بنُ جابرِ بنِ همامٍ ، وٱنكسرَ عسكرُ ٱلكساديِّ ، وغنِمَ آلُ بريكٍ جميعَ ما معَهُم) اهـ

وسيأْتي في تريم أَنَّ ٱلكساديَّ لَمْ يجىءْ إلى ٱلمُكَلاَّ إلاَّ بعدَ سَنةِ (١١١٧هـ) .

وفي أَواخرِ سَنةِ (١١٦٣هـ)[(4)] : غزا ناجي بنُ بريكٍ ٱلمُكَلاَّ بسبعِ مئَةٍ مِنَ ٱلحُمُومِ وغيرِهم ، فلاقاهُم آلُ كسادٍ إلىٰ رأْسِ ٱلجبلِ ، فهزموهُم ، وقتلوا منهُم نحوَ ٱلعشرينَ ، ولم يُقتَل مِنَ ٱلكساديِّ إلاَّ أَربعةٌ ، ولا تزالُ قبورُهم ظاهرةً برأْسِ ٱلجبلِ .

ولَمَّا ماتَ صلاحُ بنُ سالمٍ ـ علىٰ هـٰذهِ ٱلرِّوايةِ ـ خَلَفَهُ على ٱلمُكَلاَّ ولدُهُ

---

(١) إلىٰ هنا انتهت رواية ذلك المعمَّر ، وسيظهر للقارىء المتابع أَنَّ ما بعدها من الكلام مناقض لما ورد فيها ، والحال أَنَّ المصنِّف رحمه الله ردَّها حَسَبَما توسَّع فيه في الأَصل ولكنَّه اختصر الكلام هنا . وحاصل كلامه : أَنَّ هـٰذه الرِّواية تخالف أَوَّلاً : ما ورد في « تاريخ باحسن » من أَنَّ أَمر الكساديِّ وظهوره كان متقدِّماً علىٰ هـٰذا الزَّمان ؛ إذ تقدم أَنَّ وفاة عليٍّ ناجي كانت سنة(١٢٢٠هـ) بينما ظهور آل كساد كان سنة(١١١٥هـ) . . فهـٰذا يناقضه ، هـٰذا أَوّلاً . وثانياً : أَنَّ ماجرىٰ بعد هـٰذه الرِّواية من قيام الخصومة والحرب بين عليٍّ ناجي وعبد الرَّبِّ الكساديِّ لا يتناسب مع ما بينهم من الرَّحم والصِّهارة . . فهـٰذان دليلان يبطلان هـٰذه الرواية . والله أَعلم .

(٢) نزغَ : أَفسد .

(٣) الحذبة : قرية صغيرة بريدة المشقاص .

(٤) الَّذي في « نشر النَّفحات » ، و« يافع في أَدوار التَّاريخ » : أَنَّ تملُّك ناجي بن عمر الشَّحر ومبايعته عليها كان سنة(١١٦٥هـ) ، وكانت وفاته سنة(١١٩٣هـ) . . ولم تذكر هـٰذه المصادر مصادمته لآل كساد ، ولـٰكن ذكرت مصادمة ابنه عليٍّ ناجي لهم .

عبدُ ٱلرَّبِّ بنُ صلاحٍ ، ثمَّ أخوهُ عبدُ ٱلحبيبِ ، وكانَ شهماً صارماً حازماً . ثمَّ تولَّىٰ بعدَهُ ولدُهُ محمَّدٌ .

وفي أيّامهِ : أخذَ آلُ عبدِ ٱلرَّبِّ بنِ صلاحٍ يُدبِّرونَ ٱلمكايدَ لاغتيالهِ ، فأحسَّ بذلكَ ، فوطَّأَ لهم كَنَفَهُ ، وكانَ ذلكَ في أقتبالِ رمضانَ ، فأظهرَ ٱلنُّسكَ وٱشتغلَ بٱلعبادةِ ، فخفَّ حِقدهُم عليهِ ، وهوَ يَعملُ عملَهُ ليتغدَّاهُم قَبْلَ أَن يتعشَّوهُ .

وفي ٱللَّيلةِ ٱلسَّابعةِ وٱلعشرينَ مِنْ رمضانَ : هجمَ عليهِم وهُم غارُّونَ[1] نائمونَ ، بعدَ أَنِ ٱشترىٰ ذِممَ عَبيدِهِم ففتحوا لَهُ ٱلبابَ ، فأبادَ خضراءَهُم ، وقَتلَ منهُم ومِنْ حاشيتِهِم ثلاثةَ عشرَ رجلاً في ساعةٍ واحدةٍ ، وهربَ مَنْ بقيَ منهُم بخيطِ رَقَبتِهِ إلى ٱلسَّواحلِ ٱلإفريقيَّةِ .

ولَمَّا ماتَ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱلحبيبِ . . وقعت عصابتُهُ[2] على ٱبنهِ صلاحِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلحبيبِ ، وكانت لَهُ محاسنُ ، وعدلٌ تامٌّ ، وشدَّةٌ قاسيةٌ علىٰ أَهلِ ٱلفسادِ ، ولَمْ يَزَلْ علىٰ ذلكَ إلىٰ أَنْ توفِّيَ في ربيعٍ ٱلثَّاني مِنْ سَنَةِ (١٢٩٠هـ) .

وخَلَفَهُ ولدُهُ عمرُ بنُ صلاحٍ ، وجرتْ بينَهُ وبينَ ٱلسُّلطانِ عوضِ بنِ عُمرَ ٱلقعيطيِّ خطوبٌ ٱنهزمَ في أوَّلها ٱلقعيطيُّ ، ثمَّ ٱستعانَ بحكومةِ عدن ، فٱستدعتْ عمرَ صلاحٍ ، وخيَّرتهُ ـ بعدَ أَنْ أخذتِ ٱلتَّحكيمَ مِنَ ٱلطَّرفينِ ـ بينَ أَنْ : يدفعَ ٱلمئةَ الألف حالاً ، أو يَتسلَّمَ مئةَ ألفِ ريالٍ مِنَ ٱلقعيطيِّ ، ويتركَ لَهُ ٱلبلادَ . وبينَ أَنْ يتسلَّمَ بُروماً مِنَ ٱلقعيطيِّ ، وقَدْراً دونَ ٱلأوَّلِ مِنَ ٱلرِّيالاتِ . فلَمْ يَقبلْ ، فأجبروهُ على ٱلجلاءِ مِنَ ٱلمُكلاَّ ، فذهبَ إلى ٱلسَّواحلِ ٱلإفريقيَّةِ ـ حَسَبَما فصَّلناه بـ**«ٱلأصلِ»** ـ وٱحتفَظوا لأنفسِهِم منَّةً كبرىٰ على ٱلقعيطيِّ بهٰذا ٱلصَّنيعِ .

وكانَ ليومِ سَفرِ ٱلنَّقيبِ مِنَ ٱلمُكلاَّ رنَّةُ حُزْنٍ في جميعِ ٱلدِّيارِ ؛ لأَنَّهم كانوا متفانينَ في محبَّتِهِ .

---

(١) غارُّون : غافلون .

(٢) كناية عن استخلافه بعده .

سَـارَتْ سَفَـائِنُهُـمْ وَٱلنَّـوْحُ يَتْبَعُهَـا ... كَـأَنَّهَـا إِبِـلٌ يَحْـدُو بِهَـا ٱلْحَـادِي

وَٱلنَّـاسُ قَـدْ مَلَـؤُوا ٱلْعَبْـرَيْـنِ وَٱعْتَبَـرُوا ... وَأَرْسَلُـوا ٱلـدَّمْـعَ حَتَّـىٰ سَـالَ بِـٱلْـوَادِي

كَمْ سَالَ فِي ٱلْبَحْرِ مِنْ دَمْعٍ وَكَمْ حَمَلَتْ ... تِلْـكَ ٱلْقَطَـائِـعُ مِـنْ أَفْـلاَذِ أَكْبَـادِ[1]

هـٰذا حالُ أهلِ ٱلمكلاَّ في توديعِهِم ، وأمَّا هم (أعني آل النقيب) . . فكما قالَ ٱلرَّضيُّ [في « ديوانهِ » ٢/ ٥٧١ منَ ٱلطَّويلِ] :

تَـرَحَّلْـتُ عَنْكُـمْ لِـي أَمَـامِـيَ نَظْـرَةٌ ... وَعَشْـرٌ وَعَشْـرٌ نَحْـوَكُـمْ مِـنْ وَرَائِيَـا

وزَعَمَ بعضُهُم أَنَّ صاحبَ زنجبارَ لذلكَ ٱلعهدِ ـ وهوَ ٱلسُّلطانُ سعيدُ بنُ سلطانٍ[2] ـ منعَ ٱلسُّلطانَ عُمرَ بنَ صلاحٍ مِنَ ٱلنُّزولِ ببلادهِ ؛ لِما سبقَ مِنْ فعلةِ جدِّهِ ٱلشَّنعاءِ بأقاربهِ ، وكادَ يرجعُ أدراجَهُ ، ولـٰكنَّ بقايا ٱلموتورينَ[3] مِنْ آلِ عبدِ ٱلرَّبِّ أظْآرَتهُمُ[4] ٱلرَّحِمُ عليهِ ، فشَفعوا إلىٰ سلطانِ زنجبارَ في قَبولهِ ، فقَبِلَ نزولَهُ . ولا تزالُ ٱلدَّراهمُ مُرَصَّدةً لَهُ بأرباحِها في خزينةِ عدن ، كذا يقولُ بعضُهُم .

ويزعمُ آخرونَ أَنَّ ٱلحكومةَ ٱختلقتْ مُبرِّراً لحرمانهِ منها . ولا بأسَ بإيرادِ وثيقتينِ تتعلَّقانِ بٱلقضيَّةِ . هـٰذه صورةُ ٱلأُولىٰ :

بسمِ ٱللهِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلرَّحيمِ

أُقِرُّ أنا عمرُ صلاحٍ ، نقيبُ بندرِ ٱلمكلاَّ بأنِّي قد قَبلتُ بتوقيفِ وقطعِ ٱلعداوةِ ٱلتي بيني وبينَ عوضِ بنِ عمرَ ٱلقعيطيِّ وأخيهِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ حاكم بندرِ ٱلشِّحرِ ، وأَنْ

(١) الأبيات من البسيط .

(٢) الواقع التاريخي يخالف هـٰذا الزعم ، لأنَّ السُّلطان سعيداً هـٰذا توفِّي في صفر سنة(١٢٧٣هـ) ، كما في سيرته المسمَّاة : « بدر التّمام في سيرة السَّيِّد الهمام سعيد بن سلطان » للفقيه الإباضيِّ حميد بن محمَّد بن رُزَيق (ص٤٥٩ـ٥٦٥) . وإنَّما وَرَدَ الكساديُّ زنجبار إبَّان حكم ابنه السُّلطان برغش بن سعيد لها ، لصداقة كانت بينهما ، فأقام عنده على الرَّحب والسَّعة حتَّىٰ توفِّي . . ذكر هـٰذا السَّيِّد محمَّد بن هاشم في « رحلة الثَّغرين » بهامش (ص٤١) .

(٣) **الموتورون** : من قُتِلَ لهم قتيل ولم يدركوا ثأره ، وهم أقاربه أبناءُ صلاح ومطلق ابني عبد الرَّبِّ الكساديِّ الَّذين هاجروا بعد أن غلبهم على الحكم محمَّد بن عبد الحبيب بمعونة الإنكليز .

(٤) **أظْأرتهم** : من الظئار وهو العطف .

أُجريَ وأَقبلَ صلحَ هدنةٍ لمدَّةٍ سنتينِ مِن هـٰذا ٱلتَّاريخِ ، وكذلكَ أَقبلُ وأُلزِمُ نفسي بنيَّةٍ صالحةٍ بأن لاَ أُعاونَ ولا أُساعدَ بأَيِّ وجهٍ كانَ ظاهراً أو باطناً كلَّ عدوٌ للقعيطيِّ ٱلمذكورِ في أَثناءِ هـٰذهِ ٱلهدنةِ ٱلسنتين ٱلمذكورة ، وقد رضيتُ وصحَّحتُ هـٰذهِ ٱلشُّروطَ برضاي وٱختياري ، وٱللهُ خيرُ الشَّاهدينَ .

النقيبُ عمرُ صلاحٍ

ثم ٱلختم

حُرِّرَ في ٱلمركبِ كونتنك

ٱلدَّولةِ ٱلعظمى ٱلإِنكليزيَّةِ (٢٢) ديسمبر سنة (١٨٧٦م) ، (٦) الحجة سنة (١٢٩٥هـ) .

والأخرى :

بسمِ ٱللهِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلرَّحيمِ

أُقرُّ أَنا ٱلجمعدارُ عبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ ٱلقعيطيُّ حاكمُ بندرِ ٱلشِّحر بأَنِّي قبلتُ بتوقيفِ وقطع ٱلعداوةِ ٱلتي بيني وبينَ ٱلنَّقيبِ عمرَ صلاحٍ نقيبِ ٱلمكلاَّ ، وأَنْ أُجريَ وأَقبلَ صلحَ هُدنةٍ لمدَّة سنةٍ واحدةٍ مِن هـٰذا ٱلتَّاريخِ ، وكذلكَ أَقبلُ وأُلزمُ نفسي بنيَّةٍ صالحةٍ بأن لا أُعاونَ ولا أُساعدَ بأَيِّ وجهٍ كانَ ظاهراً أو باطناً كلَّ عدوٌ للنَّقيبِ عمرَ في أَثناءِ هـٰذه ٱلهدنةِ ٱلسَّنةَ ٱلمذكورةَ ، وقد رضيتُ وصحَّحتُ هـٰذهِ ٱلشُّروطَ برضاي وٱختياري ، وٱلله خيرُ الشَّاهدين .

صحيحٌ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ ٱلقعيطيٌّ

حرر في ٱلمركبِ ٱلحربيِّ ٱلمسمَّىٰ : عرب تعلق ٱلدَّولة ٱلعظمىٰ في (٧) مي سنة (١٨٧٩م) ، الموافق (١٢) جماديٰ أولىٰ سنة (١٢٩٦هـ) .

وفي الأولىٰ إمضاءُ ٱلوكيلِ ٱلسِّياسيِّ صالح جعفر ، وفي ٱلأُخرىٰ كومندور ٱلدَّارعة فرانسيس لوك ، المقيمُ السياسيُّ . عدن .

وفي معنى ٱلوثيقةِ ٱلأُولىٰ ولفظِها وتاريخِها وموضِعِها وثيقةٌ بإمضاءِ ٱلسُّلطانِ

عوضِ بنِ عمرَ ، وهو : صحيحُ عوضِ بنِ عمرَ ٱلقعيطيِّ عن نفسِهِ وعن أَخيهِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ حاكم ٱلشِّحرِ .

ثمَّ وجدتُ عريضةً تضمُّ ما ٱنتشرَ ، وتفصِّلُ ما أُجملَ ، تُشبهُ أَن تكونَ بأَمرِ ٱلنَّقيبِ عمرَ صلاحٍ قدَّمها فيما يُظَنُّ لدولةِ ٱلإِنكليزِ ، جاءَ فيها :

أَولاً : كانَ بينَ ٱلنَّقيبِ صلاحِ بنِ محمَّدٍ الكساديِّ سلطانِ ٱلمكلاَّ ، وبينَ ٱلجمعداريَّةِ صالحٍ وعبدِ ٱللهِ وعوضٍ أَبناءِ عمرَ بنِ عوضٍ ٱلقعيطيِّ صداقةٌ ، وكانوا تابعينَ للنَّقيبِ ، حتَّىٰ عزمَ علىٰ حربِ ٱلشِّحرِ ، فجهزَ ومعَهُ عوضُ بنُ عمرَ على ٱلشِّحر ، وأَخذوها علىٰ أَنَّها أَنصافٌ بينَهم ، وبقيَ عوضُ بنُ عمرَ حاكماً عليها .

وبعد ستِّ سنين مِنْ أَخذِ ٱلشِّحرِ . . توفِّي ٱلنَّقيبُ صلاحُ بنُ محمَّدٍ ، وخلفَهُ ولدهُ عمرُ صلاحٍ ، فٱشتبكَ في حربٍ معَ آلِ ٱلعموديِّ وقبائِلِ دوعنَ ، فٱنتهزَ عوضُ بنُ عمرَ ٱلفرصةَ ، وٱستأْذنَ في ٱلوصولِ إلى ٱلمكلاَّ ؛ للتَّوسُّطِ بينَ ٱلنَّقيبِ عمرَ صلاحٍ وآلِ دوعنَ في ٱلصُّلحِ ، فوصلَ علىٰ حينِ غفلةٍ ، فخرجَ عمرُ صلاحٍ لاستقبالِهِ . . فٱستنكرَ كثرةَ ٱلعساكرِ ٱلَّتي جاءَ بها معَهُ ؛ لأَنَّها تُقَدَّرُ بسبع مِئةٍ ، فقالَ له : لِمَ لَمْ تبعَثْ برسولٍ يُخبرنا بوصولِكَ؟

فٱعتذرَ وَأَظهرَ أَنَّ قصدَهُ ٱلمصالحةُ بينَ ٱلنَّقيبِ وبينَ قبائِلِ دوعنَ ، وفي ثاني يومِ وصولِهِ . . ٱدَّعىٰ بمئةٍ وستين أَلفَ ريالٍ عندَ ٱلنَّقيبِ صلاحِ بنِ محمَّدٍ . . فأَجابهُ ٱلنَّقيبُ عمرُ بـ : (لا أَعلمُ شيئاً علىٰ والدي ، وقد عاشَ ستَّ سنينَ بعدَ أَخذِ ٱلشِّحر ولم تطلبوا بشيءٍ ، وإنِ كانَ بها سندٌ صحيحٌ علىٰ والدي . . فأنا مستعدٌّ للوفاءِ) .

لٰكنَّ عوضَ بنَ عمرَ لمَّا رأَى ٱلمكلاَّ خاليةً . . ٱعتمدَ على ٱلقوَّةِ ، وقالَ لعمرَ صلاحٍ : إن لم تُمضِ علىٰ بيع ناصفةِ ٱلمكلاَّ لي بٱلمبلغِ ٱلمذكورِ . . أَخذتُها بٱلقوَّةِ ، فأمضى ٱلنَّقيبُ مضطرّاً ، ثمَّ ٱستدعىٰ عساكرَهُ مِن دوعنَ ، وحصلَ مِن عسكر ٱلقعيطيِّ تعدٍّ بقتلِ أَحدِ عسكرِ ٱلنَّقيبِ ، فنشبتِ ٱلحربُ ثلاثةَ أَيَّامٍ ، ٱنهزمَ في آخرِها عوضُ بنُ عمرَ ، فطلبَ ٱلأَمان لنفسِهِ . . فأَمَّنَهُ ٱلنَّقيبُ .

فسارَ إلى ٱلشِّحرِ بسلاحِهِ وعساكرِهِ في عدَّةِ سفنٍ ، وبعدَ وصولِهِ إلى ٱلشِّحرِ . . ٱستمرَّتِ ٱلمناوشاتُ بينَ ٱلنَّقيبِ وٱلقعيطيِّ ثلاثَ سنينَ ، حتَّىٰ وصلَ ٱلجنرالُ سندر من عدن ، وعقدَ هدنةً لمدَّةِ سنتينِ ، ولمَّا ٱنقضتْ . . وصلَ والي عدن فرانسيس لوك ، وعقدَ هدنةً لمدَّةِ سنةٍ ، ولمَّا ٱنقضتْ . . منعَ ٱلطَّرفينِ عَن جهةِ ٱلبحرِ ، ولـٰكنَّ عبدَ ٱلقعيطيِّ جهَّزَ عساكرَهُ بحراً ، وهجمَ علىٰ بروم في ٱللَّيلِ ، وٱستولىٰ عليها ، وأَرسلَ ٱلنَّقيبُ سلطانُ ٱلمكلاَّ خبراً لوالي عدن . . فتغافلَ عن تعدِّي ٱلقعيطيِّ ، فطلبَ ٱلنَّقيبُ آلَ كثيرٍ ، وجهَّزَ علىٰ برومٍ ، وجهَّزَ عسكرُ ٱلقعيطيِّ بها مِن جهةِ ٱلبرِّ .

وفي (٢٥) ديسمبر سنة (١٨٨١م) وصلَ مركبٌ إنكليزيٌّ فيه صالحُ جعفرٍ مندوبٌ مِن والي عدن . . فوجدَ عسكرَ ٱلقعيطيِّ محصورينَ في برومٍ ، وسفُنَهُ في ٱلمرسىٰ ملآنةً بٱلرَّصاصِ والزانةِ ، فربطَ سفينتينِ منها بمركبِهِ إلىٰ عدن ، وهرَبتْ أَربعُ سفنٍ إلى ٱلشِّحرِ ، ثمَّ أَرسلَ ٱلوالي بمركبٍ حربيٍّ ٱسمُهُ (سيجل) ، يرأَسُهُ ٱلقبطانُ بيلَس ، وأَقامَ هدنةً خمسةَ عشرَ يوماً .

وفي (٢٢) فبروري وصلَ ٱلمركبُ (دجمار) وفيهِ صالحُ جعفرٍ ووكيلُ ٱلقعيطيِّ ٱلواصلُ مِنَ ٱلهندِ . . فدفعَ صالحُ جعفرٍ للنَّقيبِ عمرَ كتاباً مِنْ والي عدن يقولُ لهُ فيه : واصلكَ مرسولُنا صالحُ جعفرٍ . . فأقبل ما أَودعناهُ لكَ مِن خطابٍ ، فقالَ صالحُ جعفرٍ : إنَّ ٱلدَّولةَ حرَّرتْ بينَكمُ معاهدةً علىٰ ثلاثةِ شروطٍ ، كلُّ شرطٍ في ورقةٍ ؛ لتخرجَ عساكرُ ٱلقعيطيِّ من برومٍ بغيرِ سفكِ دماءٍ ، وبعدَ خروجِ عساكرِ ٱلقعيطيِّ بانسلِّمْهَا لكَ ، وبانُعطيكَ حمايةً لبلادكَ ، وتكونُ تبع للدَّولةِ ٱلإنكليزيَّةِ .

فلمَّا وقفَ ٱلنَّقيبُ على ٱلشُّروطِ ٱلثَّلاثةِ . . ٱمتنعَ عن ٱلإمضاءِ ، وبقي صالحُ جعفرٍ يرغِّبهُ ويقولُ لهُ : إنَّما هيَ وسيلةٌ إلىٰ خروجِ عسكر ٱلقعيطيِّ من برومٍ ، وتكونُ ٱلشُّروطُ تحتَ ٱختيارك بعدَ ذلكَ ، وكانَ ٱلنَّقيبُ واثقاً بصالحِ جعفرٍ . . فأمضىٰ على ٱلشُّروطِ ٱلثَّلاثةِ ، كلِّ شرطٍ في ورقةٍ ، فتوجَّهَ صالحُ جعفرٍ ونزعوا عساكرَ ٱلقعيطيِّ مِن برومٍ ، وسلَّموها للنَّقيبِ .

وبعد أَربعينَ يوماً . . وصلَ ٱلقبطانُ هنتر وصالحُ جعفرٍ ، وقالوا للنَّقيبِ : إنَّ والي

عدن ٱستحسنَ أَن تبيعَ بلادَك ٱلمكلاَّ لعدوِّكَ ٱلقعيطيِّ بثلاثة لَكٍّ[1] ريالٍ ، وطلبَ إمضاءَهُ علىٰ ورقةِ بيعٍ مكتوبةٍ بالإنكليزيَّة . . فأَبىٰ ، فأَلزموهُ أَن يواجهَ ٱلوالي بنفسِهِ في عدنٍ ، فتوجَّهَ علىٰ أَملٍ مِنْ إِنصافِ ٱلوالي ، فلم يكن منهُ إِلاَّ أَن أَلزمَهُ ٱلإمضاءَ علىٰ ورقةِ ٱلبيعِ . . فٱمتنعَ ، وبقيَ خمسةً وعشرينَ يوماً في مراجعةٍ معَ ٱلوالي .

ثمَّ عادَ إِلى ٱلمكلاَّ في نفسِ ٱلمركبِ ٱلَّذي سارَ فيهِ ، وٱسمُهُ (دجمار) ومعهُ صالحُ جعفرٍ ، ولمَّا وصلَ ٱلمكلاَّ . . وجدَ ٱلمنورَ ٱلحربيَّ ٱلمسمَّىٰ (دراقين) راسياً بٱلمكلاَّ ، وفي ٱليومِ ٱلثَّاني . . نزلَ قبطانُهُ ـ وٱسمه هلتن ـ ورافقَهُ صالحُ جعفرٍ وأَعطىٰ للنَّقيبِ ورقةً مكتوبةً بٱلعربيِّ : إِنَّكَ راضي أَن تفارقَ بلدَكَ وحدودَكَ ما عدا بروم ، ونسلِّم لكَ لاكين وعشرينَ أَلفَ ريالٍ ، فٱمتنعَ ٱلنَّقيبُ عنِ ٱلإمضاءِ عليها ، فعادَ هلتن للمنورِ ٱلمسمَّىٰ (دراقين) ومعهُ صالحُ جعفرٍ . . فضربوا ثلاثةَ مدافعَ ؛ إِعلاناً بحصرِ ٱلمكلاَّ ، ومنعوا ٱلسُّفنَ ٱلواردةَ ، فضربوا ٱلسُّفنَ ٱلرَّاسيةَ ، وبقيَ ذلكَ ٱلمنورُ محاصراً للمكلاَّ ستَّةَ أَشهرٍ ، وبعدما وَصَلَ ٱلمنورِ (دجمار) مِن عدن وفيهِ حاكمٌ صغيرٌ ٱسمه (والش) . . قال للنَّقيبِ عمرَ : إِنَّ دولةَ ٱلإنكليز رفعَتِ ٱلحصرَ عَن بلادِكَ ، وإِنَّها لا تتداخلُ بينكَ وبينَ ٱلقعيطيِّ .

وبعد عشرينَ يوماً وصلتِ ٱلمناورُ ٱلحربيَّةُ (دراقين) و(عرب) و(دجمار) ، وفيها ٱلقبطانُ (هولتن) وٱلقبطان (هنتر) ، وأَلزموا ٱلنَّقيبَ صلاحَ يصحِّحُ علىٰ ورقةِ بيع بلادِهِ للقعيطيِّ بثلاثةِ لَكٍّ ريالٍ . . فٱمتنعَ ، فتوجَّهَ ٱلمنورُ (دراقين) والمنور (دجمار) إِلى ٱلشِّحرِ عند ٱلقعيطيِّ ، وأَقاما خمسةَ أَيَّامٍ ، وفي ٱليومِ ٱلسَّادس . . وصلت مناور إِنكليزيَّةٌ شاحنةً بعسكرِ ٱلقعيطيِّ وآلاتِ ٱلحرب ، ومعهم عبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ ٱلقعيطيُّ ، ونزلَ هنتر إِلىٰ بروم ، وقالَ لحاميتِها : إِنْ لم تفرغوها . . أَثرنا عليكمُ ٱلحربَ ، وفي أَوَّلِ يوم مِن نوفمبر سنة (١٨٨١م) . . أَطلقوا ٱلمدافعَ ، وهدموا ٱلقلاعَ ، فهُزِمت عسكرُ ٱلنَّقيبِ ، وٱستولتِ ٱلمناورُ علىٰ بروم ، ثمَّ سلَّموها لعبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ ٱلقعيطيِّ ، ثمَّ توجَّهَ (دراقين) وسفن القعيطي بحراً ، وبعض عساكره

---

(١) **اللَّكُّ** : عند أهل الهند وإيران واليمن : مئة ألفٍ ، وعند المولَّدين : عشرة ملايين ، وجمعه : لكوك .

براً حتَّىٰ وصلوا بلادَ فوّة ، فنزلَ هولتن وطردَ عسكرَ ٱلنَّقيبِ ، وسلَّمَ فوة للقعيطيِّ .

ثمَّ توجَّهَ ٱلمنورُ وٱلسُّفنُ إلى ٱلمكلاَّ ، وحصروا ٱلمكلاَّ ، وقطعوا واردَ ٱلماءِ مِنَ ٱلبرِّ ، فطفقَ ٱلنَّقيبُ يخاطِبُ هولتن ويذكِّرُهُ ٱلصَّداقةَ وٱلمعاهدةَ ، ولمَّا رآه مصمِّماً علىٰ حربِهِ بما لا طاقةَ لهُ بهِ . . طلب ٱلأمانَ ، وسلَّمَ بلادَهُ للقبطانِ هولتن ، ونزلت عساكرُ ٱلإنكليز ، وركبَ ٱلنَّقيبُ عمرُ صلاحٍ في حاشيتِهِ ونسائِهِ وأطفالِهِ ورجالِهِ المقدَّرينَ بألفينِ وسبعِ مئةِ نفسٍ ، سار بهم ٱلقبطانُ هولتن إلىٰ عدن بعدَ أن سلَّم ٱلمكلاَّ للقعيطيِّ ، ولمَّا وصلَ ٱلنَّقيبُ بحاشيتِهِ إلىٰ مرسى عدن . . طلبَ مواجهةَ ٱلوالي . . فلم يُجِبْهُ ، بل شدَّدَ عليه ٱلحصرَ في ٱلسُّفن ، ومنعهمُ ٱلنُّزولَ إلى ٱلبرِّ ، وٱشتدَّ عليهمُ ٱلضِّيقُ وٱلزِّحامُ حتَّىٰ مات منهمُ نحوُ مئتي نفسٍ ، وبقوا في ٱلحصرِ ٱثنينِ وعشرينَ يوماً ، يطلعُ إليهم هنتر وصالحُ جعفرٍ إلى ٱلبحرِ في كلِّ يومٍ يتهدَّدونَ ٱلنَّقيبَ عمرَ بٱلحبسِ وٱلقيدِ إذا لَم يُمضِ علىٰ خطِّ ٱلبيعِ . . فلم يوافِقهم ، ولمَّا أَيسوا مِن موافقتِهِ . . نزَّلوا فرقةً مِن عسكره تقدَّرُ بسبعِ مئةٍ إلىٰ برِّ عدن ، ورخَّصوا لهُ بٱلسَّفرِ ، فتوجَّهَ مظلوماً مقهوراً مِن مأموري عدن إلىٰ بندرِ زنجبارَ ، وٱلآنَ لهُ مدَّةَ سنتينِ يخاطِبُ دولةَ ٱلهندِ فيما حصلَ مِن ظلمِ مأموري عدن ، ويطلبُ ٱلإنصافَ من دولةِ ٱلإنكليز بوجهِ ٱلحقِّ . . فلم تُفِدْهُ بجوابٍ ، وهو في ٱنتظارِ ٱلإنصافِ إلىٰ هـٰذا ٱلوقتِ ، وقد حُرِّرَ هـٰذا لأعتابِ دولتِكم ؛ ليكونَ ٱلأمرُ معلوماً ، وٱلسَّلامُ . اهـ بنوعِ ٱختصارٍ .

ومنها يُعرَفُ أَنَّ ٱلوثيقةَ ٱلأُولىٰ هي ٱلَّتي انعقدَت علىٰ يدِ سندر سنة (١٢٩٥هـ) ، وٱلثَّانية هي ٱلَّتي انعقدَت علىٰ يد فرانسيس لوك سنة (١٢٩٦هـ) ، وٱللهُ أعلمُ .

ومِنْ ذلكَ ٱليوم صفتِ ٱلمُكَلاَّ لآلِ ٱلقُعَيطيِّ ، يُتداولُ حُكمُها بينَ ٱلسُّلطانِ عوضٍ وأَخيهِ عبدِ ٱللهِ بنِ عُمرَ ، إلىٰ أَنْ ماتَ ٱلثَّاني في سَنةِ (١٣٠٦هـ) عن ولدينِ ، كانَ لَهُما معَ عمِّهما عوضٍ نبأٌ يأتي ذِكرُ بعضِهِ في ٱلشِّحْرِ .

وفي سَنةِ (١٨٨٨ميلاديَّة) ـ ولعلَّها موافقةٌ سَنةَ (١٣٠٥هجريَّةٍ)[1] ـ ٱنعقدتْ معاهدةٌ بينَ ٱلحكومةِ ٱلإنكليزيَّةِ وٱلحكومةِ ٱلقعيطيَّةِ ، هـٰذا نصُّها :

---

(١) **فائدةٌ** : لتحويل التَّاريخ الميلاديِّ إلىٰ هجريٍّ نفعل الآتي : (ميلادي ـ ٦٢٢) × ٣٣ ÷ ٣٢ = الهجري .

المادةُ ٱلأُولىٰ : تلبيةً لرغبةِ ٱلموقِّعِ أدناهُ : عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ ٱلقعيطيِّ ، بٱلأَصالةِ عن نَفْسهِ ، وبٱلنِّيابةِ عن أَخيهِ عوضٍ . . تتعهَّدُ ٱلحكومةُ ٱلبريطانيَّةُ بأَنْ تمدَّ إِلى ٱلمُكَلاَّ وٱلشِّحْرِ ومتعلَّقاتِهما ٱلَّتي في دائِرةِ تفويضِهما وحُكمِهما ٱلمنَّةَ ٱلسَّاميةَ ، وحمايةَ صَاحبةِ ٱلجلالةِ ٱلملكِةِ ٱلإمبراطورةِ .

المادةُ ٱلثَّانيةُ : يَرتضي ويتعهَّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ ٱلقعيطيُّ ، بٱلأَصالةِ عن نَفْسهِ ، وبٱلنِّيابةِ عن أَخيهِ عوضٍ ووُرَثائِهما وخُلَفائِهما . . بأَنْ يتجنَّبَ ٱلدُّخولَ في مكاتباتٍ أَوِ ٱتفاقيَّاتٍ أَو معاهداتٍ ، معَ أَيِّ شَعْبٍ أَو دولةٍ أَجنبيَّةٍ إلاَّ بعِلْمِ وموافقةِ ٱلحكومةِ ٱلبريطانيَّةِ .

ويتعهَّدُ أَيضاً : بأَنْ يُقدِّمَ إِعلاماً سريعاً لوالي عدنَ ، أَو لضابطٍ بريطانيٍّ آخرَ عندَ محاولةِ أَيَّةِ دولةٍ أُخرىٰ في ٱلتَّدخُّلِ في شؤُونِ ٱلمُكَلاَّ وٱلشِّحْرِ ومتعلَّقاتِهما .

المادةُ ٱلثَّالثةُ : يَسْري مفعولُ هـٰذهِ ٱلمُعَاهدةِ مِنْ هـٰذا ٱلتَّاريخِ .

وشهادةً علىٰ ذلكَ فقد وضعَ ٱلموقِّعونَ أَدناهُ إِمضاءاتِهم أَو ختوماتِهم في ٱلشِّحْرِ بٱليومِ مِنْ شهرِ مايو سَنَةَ (١٨٨٨م) اهـ

وكنتُ أَتوهَّمُ هـٰذهِ أَوَّلَ معاهدةٍ بينَ ٱلقعيطيِّ وٱلإنكليزِ ، ولـٰكنْ رأَيتُ قَبْلَها أُخرىٰ بواسطةِ(جايمس بلار) والي عدن بتاريخ (٢٩) مارس سَنَةَ (١٨٨٢م) و(١٢) رجبَ سَنَةَ (١٢٩٩هـ) جاءَ فيها ما يوافقُ ٱلَّتي قَبْلَها ، معَ زياداتٍ :

أُولاها : أَنَّ عبدَ ٱللهِ بنَ عُمرَ وأَخاهُ عوضَ بنَ عُمرَ تمكَّنا ـ بواسطةِ ٱلمساعدةِ لَهما مِنَ ٱلحكومةِ ٱلبريطانيَّةِ ـ مِنَ ٱلاستيلاءِ علىٰ مرفأَي بُرُومٍ وٱلمُكَلاَّ في أُكتوبرَ سَنَةَ (١٨٨١م) ، وعلى ٱلأَراضي ٱلَّتي كانَ يحتلُّها ٱلنَّقيبُ .

وبما أَنَّ ٱلحكومةَ قد أَسدتْ إِليهما مساعداتٍ ومنناً أُخرىٰ . . فقد وافقوا على ٱلمعاهدةِ ٱلآتيةِ ، وهيَ معاهدةُ سنةِ (١٨٨٨م) .

وٱلزِّيادةُ ٱلثَّانيةُ هيَ : بما أَنَّ ٱلممتلكاتِ ٱلَّتي كانت سابقاً في قبضةِ ٱلنَّقيبِ عُمرَ بنِ صلاحٍ قدِ ٱنتقلَتْ إِلىٰ يدِ عبدِ ٱللهِ بنِ عُمرَ ٱلقعيطيِّ ، وهوَ قد دفعَ مئَةَ أَلفِ ريالٍ للوالي

في عدن لقاءَ نفقاتِ ٱلنَّقيبِ عُمرَ بنِ صلاحٍ . . فإِنَّ هٰذا ٱلمبلغَ سيُصرفُ بنظرِ ٱلوالي في عدن عنِ ٱلنَّقيبِ عُمرَ بنِ صلاحٍ ٱلمذكورِ .

وٱلزِّيادةُ ٱلثَّالثةُ هيَ : تعهُّدُ ٱلحكومةِ ٱلبريطانيَّةِ بمعاشٍ سنويٍّ لآلِ ٱلقعيطيِّ ، قدرُهُ : ثلاثُ مئةٍ وستُّونَ رُبيَّةً ، ما داموا قائِمينَ بشروطِ هٰذهِ ٱلمعاهدةِ . اهـ

ولٰكنَّ آلَ ٱلقعيطيِّ ترفَّعوا عن ذلكَ ٱلمعاشِ ٱلزَّهيدِ ، ولَم يَقبضوا منهُ شيئاً مِن يومِ ٱلمعاهدةِ إِلى ٱليومِ .

ومُقدَّمُ تربةِ ٱلمُكَلاَّ[1] هوَ : ٱلشَّيخُ يعقوبُ بنُ يوسفَ باوزيرٍ ، وهوَ آخِرُ مَنْ وصلَ إِليهِ ٱلعِلْمُ مِنْ أَجدادهِ[2] ٱلمشايخِ آلِ باوزيرٍ ، وكانت وفاتُهُ بِٱلمُكَلاَّ في سَنةِ (٥٥٣هـ) .

وقالَ ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ حَسَنٍ مُذهِر : (إِنَّ آلَ باوزيرٍ يرجعونَ إِلى ٱلشَّيخِ حسنٍ ٱلطَّرفيِّ ، ٱلمقبورِ بجزيرةِ كَمَرانَ) .

وقالَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ عُمرَ بامخرمة : (إِنَّ آلَ باوزيرٍ يُنسبونَ إِلىٰ قريةٍ يقالُ لَها : وَزيريَّة مِنْ شَرْعَبْ بِٱليَمنِ ، علىٰ مَقْرُبةٍ مِنْ تَعِزّ ، بينَهُما مرحلةٌ ، تطلُّ علىٰ تهامةَ) .

وقدِ ٱجتمعتُ بِٱلفاضلِ ٱلسَّيِّدِ : محمَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ ٱلمتوكِّلِ ، فحدَّثني عن وزَيريَّة هٰذهِ وقالَ : (إِنَّها ٱلوزيرةُ[3] لا وزيريَّة ، وهيَ ما بينَ شَرْعَب وٱلعُدَينِ ، بلادٌ خصبةٌ جدّاً ، يمرُّ فيها غَيْلٌ غزيرٌ ، لا تزالُ بهِ خضراءَ صيفاً وشتاءً) .

وزعمَ قومٌ : أَنَّ ٱلشَّيخَ يعقوبَ بنَ يوسُفَ مِنْ آلِ ٱلجَيلانيِّ[4] .

---

(١) مقدَّم التُّربة : أَي هو أشهر أو أَقدم من قُبر بها ؛ لذا فهو المقدَّم علىٰ غيره بالزِّيارة لسابقته .

(٢) كذا في الأَصل بزيادة هاءِ الضَّمير ، ولعلَّ الأَصوب بدون الهاءِ ؛ لأَنَّ آل باوزير ينتهون في النَّسب إِليه .

(٣) **الوزيرة** : عزلة من ناحية الفرع من العدين ، والعزلة أَصغر من القرية ، وظهر من هٰذه العزلة علماءُ أَجلاَّءُ ؛ منهم : الفقيه عبد الله بن أَسعد الوزيري ، شارح « اللُّمع » لأَبي إِسحاق الشِّيرازيِّ ، توفِّي بعد سنة(٦١٣هـ) . وله أَولاد علماءُ أَعلام ؛ منهم : الفقيه أحمد الذي بنى الملك المنصور عمر بن عليٍّ الرَّسوليُّ مدرسة عرفت بالوزيريَّة نسبة إِليه ، توفي الفقيه أحمد بن عبد الله هٰذا سنة(٦٦٢هـ). . ينظر : « البلدان اليمانيَّة عند ياقوت » (ص٣٠٠) ، و« المدارس الإِسلاميَّة في اليمن » (ص٤٦ـ٥٠) .

(٤) فصَّل هٰذا الموضوع صاحب « الشَّامل » (ص٨٦) بقوله : وبها الشَّيخ يعقوب ، مُعتَقَد يزار ، =

وكانَ لآلِ باوزيرٍ منصبٌ عظيمٌ ، وجاهٌ واسعٌ ، حتَّىٰ لقد كانَت لَهم دولةٌ بأنقزيجةَ وهيَ مِن جزائِر ٱلقمرِ ، وآخرُ سلاطينِهم بها يقالُ لهُ : (مرسى فوم) ، ولٰكنَّ ٱلسَّيِّدَ عليَّ بنَ عمرَ ٱلمسيليَّ طلبَ مِنهُ أَن يولِّيه علىٰ بعضِ ٱلبلادِ . . فلم يرضَ ، فخرجَ عَن طاعتِهِ ، وٱستعانَ بفرنسا . . فساعدَتْهُ بٱلأموالِ وٱلعتادِ ، وبباخرةٍ حربيَّةٍ حاصرَ بها مرسىٰ فوم ، ولمَّا رغبَ في ٱلصُّلحِ . . ٱتَّعدَ هو وإيَّاهُ إلىٰ مكانٍ أَعدَّ فيهِ ٱلرِّجالَ ، وبمجرَّدِ ما وصلَ . . غدرَ بهِ وقتلَهُ خنقاً ، وٱستولىٰ علىٰ ملكِهِ ، وكان جبَّاراً ظالماً ، معاصراً لسيِّدي أَحمدَ بنِ أَبي بكرِ بنِ سميطٍ ، ولا تزالُ لأَولادِهِ سلطنَةٌ ٱسميَّةٌ إلى ٱليومِ ، وأُمُّهُ مِن ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ بنِ عليٍّ ، أَحدِ آلِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ ، وكانَ لهُ

= ويقال : إنَّه ليس من أَهل البلد ولٰكنه غريب جاءَ إليها فمات ودفن هناك ، وإنَّه قديم العهد ، وهٰذا شيءٌ يتناقله النَّاس شفاهاً ، وقد دوَّنه بعضهم فيما بعد .

وقيل فيه : إنَّ اسمه يعقوب بن يوسف ، وإنَّه شريف حسنيُّ النَّسب ، ونقل في الجزءِ الثَّاني من « نشر النَّفحات المسكيَّة » : أَنَّ للعلاَّمة السَّيِّد الشَّريف عبد الرَّحمٰن بن محمَّد بن عبد الرَّحمٰن العيدروس العلويّ الحسينيّ المعروف بـ(صاحب الدشتة) قصيدة مدحه فيها ونسبه إلى الشَّيخ عبد القادر الجيلاني .

وقال بعض المتأَخِّرين من المشايخ آل باوزير : إنَّه جدُّهم ، وإنَّه عبَّاسيُّ النَّسب . كلُّ هٰذا قيل ، ولٰكن لم نر لشيءٍ من ذلك مستنداً في كتاب قديم يمكن أَن يُوثق به ، والتَّاريخ نقل ورواية) اهـ كلامه .

أَقول : والَّذي عليه بعض مؤرِّخي آل باوزير إثبات أَنَّهم عبَّاسيُّون ؛ فقد صنَّف الشَّيخ مزاحم بن سالم بن مزاحم باوزير كتاباً سمَّاه : « البدر المنير في رفع الحجاب عن نسب آل أَبي وزير » أَو « دفع الالتباس عمَّن لا يعلم أَنَّ آل أَبي وزير من بني العبَّاس » . . طبع بمصر بمطبعة التَّقدُّم العلميَّة سنة (١٣٢٩هـ) ملحقاً به كتابان لبعض آل باوزير في التَّصوُّف .

وكتب المؤرِّخ سعيد عوض باوزير في « صفحات من التَّاريخ الحضرميِّ » قصَّة نزوح جدِّهم الشَّيخ يعقوب من العراق (ص٩٧ـ١١٢) .

وأَبيات السَّيِّد العيدروس الَّتي ذكرها صاحب « الشامل » تشير إلىٰ أَنَّ الشَّيخ يعقوب هو سبط الشَّيخ عبد القادر الجيلانيِّ ، وهي قوله من الخفيف :

لا يقـــــاس عُـــــلاؤه بعُـــــلاء	وهـــو نســل الـرســول ذاك الحبيـــبِ
سبــط شيـخ الشيــوخ قطــب المعــالــي	الشــريــف الجيــلانــي المـرغــوبِ
العفيـــف المنيـــف حقــاً وصـــدقـــاً	نـــاده بـــاسمــه العَلَــمْ (يعقـــوبِ)

إلخ ، وإنَّما أَوردتها لتكون شاهداً علىٰ قول المصنِّف . والله أَعلم .

أَولادٌ يزيدونَ عَنِ ٱلمئةِ ، وسلطتُهُ علىٰ أَنقزيجة ٱنتهت بآلِ باوزيرٍ ، ثمَّ ٱنتهت دولةُ آلِ باوزير بحكمِ عليِّ بنِ عمرَ ، وليسَ مِن آلِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ ، ولـٰكنَّ أُمَّهُ مِنهُم ، وأَمَّا هوَ . . فمِن آلِ ٱلمسيلةِ ، ولهـٰذا قيلَ لهُ : ٱلمسيلي .

وللمُكَلاَّ ذِكرٌ كثيرٌ في أَخبارِ بدرٍ ـ أَبو طويرقٍ ـ ٱلكثيريِّ ، ٱلمتوفَّىٰ بسيئون سَنةَ (٩٧٧هـ) ، وشيءٌ مِنْ ذلكَ لا يُنافي كونَها خَيْصَةً صغيرةً لذلكَ ٱلعهدِ ، لَمْ تعمَّرْ إِلاَّ في أَيَّامِ ٱلكِسَاديِّ ؛ لأَنَّهُ لا يُنكَرُ وجودُها مِنْ زمنٍ متقدِّمٍ ، وصُغرُها لا يَمنعُ ذِكرَها ، فمَنْ ذَكَرَها . . فقد نظرَ إِلىٰ مجرَّدِ وجودِها ، ومَنْ لَمْ يذكُرْها . . فلحقارتِها ، ولأَنَّها لا تستحقُّ ٱلذِّكرَ إِذْ ذاكَ .

إِلاَّ أَنَّهُ يُشكلُ علىٰ ذلكَ شيئَانِ :

أَحدُهما : أَنَّ ٱلشَّيخَ عُمرَ بنَ صالحٍ هرهره[1] لَمْ يَذكُرْها في « رحلتهِ » ٱلَّتي ٱستولىٰ فيها علىٰ حَضْرَمَوْتَ وٱلشِّحْرِ ، ولقد ذكرَ فيها أَنَّهُ أَقامَ بٱلشِّحْرِ ثلاثةَ أَشهرٍ ، وأَنَّ ما جباهُ منها في هـٰذهِ ٱلمدَّةِ: خمسةٌ وثلاثونَ أَلفَ ريالٍ، معَ أَنَّهُ متأَخِّرُ ٱلزَّمانِ في سَنةِ (١١١٧هـ)؛ فإِنَّ هـٰذا يدلُّ علىٰ فرطِ تأَخُّرِها ، إِلاَّ أَنْ يُقالَ : إِنَّ ٱلشَّيخَ عُمرَ صالحٍ ٱحترمَها لمكانِ إِخوانهِ ٱليافعيِّينَ فيها ، ولـٰكنَّهُ لا يَصلحُ إِلاَّ جواباً عنِ ٱلغزوِ لا عنِ ٱلذِّكرِ .

وثانيهما : أَنَّ كثرةَ ٱلمقابرِ بها تدلُّ علىٰ عمرانٍ قديمٍ .

وقد يُجابُ بأَنَّها : ربَّما كانت كلُّها مقبَرةً للعكابرةِ وبني حَسَنٍ ومَنْ داناهُم ؛ حرصاً علىٰ مجاورةِ ٱلشَّيخِ يعقوبَ ، كما هيَ عادةُ أَهلِ ٱلبلادِ ، وأَهلُ ٱلباديةِ أَكثرُ ٱلنَّاسِ حرصاً علىٰ مثلِ ذلكَ .

وقد عُمِّرَ كثيرٌ مِنْ تلكَ ٱلمقابرِ بعدَ دثورِها مساكنَ ومساجدَ ، وكنت أَشتدُّ في إِنكارِ ذلكَ ، حتَّىٰ رأَيتُ كلامَ « ٱلتُّحفةِ » و« ٱلإِيعابِ » في ذلكَ .

وحاصلُ ما فيهِما : (أَنَّ ٱلمواتَ ٱلمعتادَ لِلدَّفنِ بلا مانعٍ يدخلُ في قسمِ ٱلمُسبَّلِ ، ويجوزُ زرعُهُ وبناؤُهُ متىٰ تُيُقِّنَ بلاءُ مَنْ دُفنَ بهِ ، ولاسيَّما إِذا أَعرضَ أَهلُ ٱلبلدِ عنِ ٱلدَّفنِ

---

(١) آل هرهرة : فخذ من آل الظبي بطن من يافع ، كانوا سلاطين يافع العليا . وأخبار عمر بن صالح هرهرة في « العدّة المفيدة » : (١/٢٤٩ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢) .

فيهِ حالاً وٱستقبالاً . وإنَّما يمتنعُ ٱلإحياءُ وٱلتَّصرُّفُ فيما تُيُقِّنَ وقفُها ، أو أنَّ مالكاً سَبَّلَها) .

وقالَ ٱلعينيُّ ـ وهوَ مِنَ ٱلحنفيَّةِ ـ : (ذكرَ أصحابُنا أنَّ ٱلمقبرةَ إذا دَثَرَتْ . . تعودُ لأربابِها ، فإنْ لَمْ يُعرفْ أربابُها . . كانت لبيتِ ٱلمالِ) . اهـ وفي شروحِ « ٱلمنهاجِ » ما يوافقُهُ .

وقالَ ٱبنُ ٱلقاسمِ مِنَ ٱلمالكيَّةِ : (لو أنَّ مقبرةً عَفَتْ[1] ، فبنىٰ عليها قومٌ مسجداً . . لَمْ أرَ بذلكَ بأساً) اهـ[2]

وهٰذا شاملٌ لِما تُحقِّقَ وقفُها أو تسبيلُ مُسَبِّلٍ لَها .

أمَّا ما لَمْ يَتحقَّقْ فيهِ ذلكَ . . فنحنُ وإيَّاهُم على ٱتِّفاقٍ في جوازِ إحيائِهِ وٱلتَّصرُّفِ فيهِ .

وقالَ بعضُ ٱلحنابلةِ : (إذا صارَ ٱلميتُ رميماً . . جازتْ زراعةُ ٱلمقبَرةِ وٱلبناءُ عليها) .

وهٰذا في غيرِ قبورِ ٱلأولياءِ وٱلعلماءِ وٱلصَّحابةِ ؛ أمَّا هٰؤلاءِ . . فلا تجوزُ على قبورِهم مطلقاً .

وفي شرحِي بيتَي ٱلسُّلطانِ غالبِ بنِ محسنٍ من ثالثِ أجزاءِ « ٱلأصل » ما يُصرِّحُ بأنَّ ٱلمكلاَّ لم تزل خيصةً في سنة (١٢٤٩هـ) ، وأنَّ سكَّانَها إذ ذاك لا يزيدونَ عن أربعةِ آلافٍ وخمسِ مئةِ نفسٍ .

ثمَّ إنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِلعِلْمِ شأنٌ يُذْكَرُ بٱلمُكَلاَّ[3] ونواحيها[4] ؛ لانصرافِ وزيرِ ٱلحكومةِ

---

(١) عَفَتْ : زالت وذهب آثارها .

(٢) التاج والإكليل (٦/ ٣٢) .

(٣) ذكر السيد محمد بن هاشم في « رحلة الثغرين » عندما ورد المكلا في سنة (١٣٥٠هـ) ، أن بها خمس مدارس وهي : المدرسة السلفية ، والمدرسة الوطنية ، ومدرسة الفلاح ، والمدرسة الهاشمية ، والمدرسة السلطانية .

(٤) ونواحيها : ما قرب منها من المناطق الساحلية ، ولا يدخل في هٰذه النواحي غيل باوزير ؛ فقد كان للتعليم به شأن وأي شأن ؛ إذ كان رباط آبن سلم يغدق على الساحل الخريجين الفقهاء وطلاب العلم الشرعي ، كما سيأتي معنا في الغيل لاحقاً .

ٱلقعيطيَّةِ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدِ ٱلمحضارِ إِذْ ذاكَ عن هـٰذهِ ٱلنَّاحيةِ ، بل كانَ ـ رحمَهُ ٱللهُ ـ يتعمَّدُ ذلكَ ؛ لأَنَّ في ٱلعلمِ وٱلمدارسِ تنبيهَ ٱلأَفكارِ ، وهوَ يكرهُ وجودَ ٱلنَّابغينَ ؛ لِئَلاَّ يزاحموهُ أَو يغلبوهُ على ٱلسُّلطانِ ، أَو يطالبوهُ بحقوقِهِم[1] .

وإِنَّما كانَ يوجدُ فيها ٱلأَفذاذُ ٱلنَّاقلونَ بحُكمِ ٱلفَلَتاتِ ؛ كٱلشَّيخِ عوضِ بن سعيدِ بنِ محمَّدِ بنِ ثعلبٍ ، ٱلَّذي تولَّى ٱلقضاءَ بها فيما قَبْلَ سَنةِ (١٣١٣هـ) ، وكٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ عوض باحشوان[2] ، وٱلشَّيخِ سعيدِ بنِ ٱمْبارك باعامر في قليلٍ مِنْ أَمثالِهِم ، لا تحضرُني أَسماؤُهم .

ومِن أَواخرِهم : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عوضٍ باوزيرٍ ، قرأَ على ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ سِلْمٍ ، وله رحلاتٌ في طلبِ ٱلعلمِ إِلى ٱلحجازِ وعدن وحضرموتَ ، وكانَ ذا لسانٍ ونَفَسٍ طيِّبٍ في ٱلوعظِ وٱلتَّذكيرِ ، توفِّيَ بٱلغيلِ في سنة (١٣٥٤هـ) ، ودُفِنَ إِلىٰ جانبِ شيخِهِ ٱبنِ سِلْمٍ .

وبإِثرِ وصولِ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلدَّبَّاغِ[3] إِلى ٱلمُكَلاَّ في حدودِ سَنةِ (١٣٤٣هـ) . . فتحوا ٱلمدارسَ وأَحسنوا ٱلتَّعليمَ ، وكانَ حزبُ ٱلأَحرارِ ٱلحجازيِّ[4] يُغْدِقُ عليهِمُ ٱلأَموالَ ، وتصِلُهم معَ ذلكَ ٱلمواساةُ مِنَ ٱلعراقِ .

---

(١) لقد أَطال المصنِّف وأَفاض في ترجمة السَّيِّد حسين بن حامد في « بضائع التابوت » ، وذكر أُموراً خاصَّة جرت بينهما ، (٢/٢٨٨ـ٢٩٦) .

(٢) عالم فقيه من سكَّان المكلاَّ ، توفِّي قبيل وفاة السُّلطان عمر بن عوض ؛ أَي في بداية الأَربعينيَّات الهجريَّة ، وكان بارعاً في الفرائض كما يقول معاصره فضيلة الشيخ النَّاخبيُّ حفظه الله .

(٣) وهم السَّادة : طاهر الدَّبَّاغ ، وأَبنا أَخيه : حسين وعليٌّ ، وهم أَشراف حسينيُّون ، من أَهالي الحجاز .

(٤) حزب الأَحرار الحجازيُّ : تأَسَّس إِبَّان نشوب الحرب بين جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وجلالة الشريف الحسين بن عليٍّ ؛ إِذ تنادىٰ طائفة من أَعيان مكة وجدَّة إِلى الحضور إِلى دار الشَّيخ محمَّد حسين نصيف ، حيث قرَّروا بأَغلبيَّة الأَصوات إِنشاءَ حزب يدعىٰ (الحزب الوطني الحجازيّ) ، وانتخبوا آثني عشر شخصاً من أَعيان الأُمَّة في مكَّة وجدَّة ؛ ليكونوا الهيئة الإِداريَّة للحزب ، وقد اختير لرئاسة هـٰذا الحزب الشَّيخ محمَّد الطَّويل ، كما اختير لأَمانة سرِّه السَّيِّد طاهر الدَّبَّاغ ، وقد أَصدر الحزب بجدة عدَّة نشرات موجَّهة إِلى الأُمَّة تدعوها إِلى الاتِّحاد والتَّضامن . « من أَعلام التَّربية والفكر في بلادنا » للسَّيِّد محسن باروم : (٥٨ـ٥٩) .

إلاَّ أنَّهم كانوا يُضمرونَ منَ ٱلتَّعليمِ غيرَ ما يُظهرونَ ، وحاولوا تربيةَ ٱلأَولادِ على ٱلطَّريقةِ ٱلحَزبيَّةِ ؛ ليُعِدُّوهُم لغزوِ ٱلحجازِ ، وٱستمالوا رؤَساءَ يافعٍ ، وكانَ لَهم إذْ ذاكَ أكبرُ ٱلنُّفوذِ في ٱلمُكلاَّ ، وربَّما تركوا صندوقَ ٱلذَّهبِ مفتوحاً ليَرَوْهُ عندما يزورونَهُم ، وبٱلآخرةِ طالبوهُم بعسكرٍ علىٰ أنْ يَدفعوا لهُم مرتَّباتٍ ضخمةً ، فٱلتزَموا لَهم بخمسةٍ وأَربعينَ ألفَ مقاتلٍ من يافعٍ ، ولـٰكنَّ آلَ ٱلدَّبَّاغِ تأخَّروا بعدَ ذلكَ لمؤثِّرٍ إمَّا مِنَ ٱلحجازِ ، وإمَّا مِنَ ٱلعراقِ ، وحاولوا إثارةَ حفيظةِ ملكِ ٱلعراقِ[1] لغزوِ ٱلمُكلاَّ وحَضْرَمَوْتَ .

وفيما كانتْ فرقةُ ٱلكشَّافةِ مارَّةً بسوقِ ٱلمُكَلاَّ ، ترفرفُ عليها ٱلأعلامُ ٱلعراقيَّةُ . . تكدَّرَ لذلكَ ٱلشَّيخُ ٱلأَديبُ عبدُ ٱللهِ أَحمدُ ٱلنَّاخبيُّ[2] ، وكانَ شريكَهُم في ٱلتَّعليمِ ، ولـٰكنَّهُ لَم يَصبرْ علىٰ هـٰذا ٱلتَّطرُّفِ ، فنبَّهَ ٱلوزيرَ[3] ، ولـٰكنَّهُ[4] خافَ مِنْ يافعٍ ـ وكانَ

---

(١) هو الملك فيصل بن الشَّريف الحسين بن عليٍّ الحسنيُّ الهاشميُّ (١٣٠٠ـ ١٣٥٢ هـ) أبو الملك غازي ولد بالطَّائف ، وتوفِّي فجأة بسكتة قلبيَّة في العاصمة السُّويسريَّة برن ، ونقل جثمانه إلى بغداد ودفن بها ، وهو من أشهر السَّاسة العرب في العصر الحديث ، نودي به ملكاً على البلاد السُّوريَّة سنة (١٣٣٨ هـ) ، ثمَّ نودي به علىٰ عرش العراق في السَّنة الَّتي تليها (١٣٣٩ هـ) ، ينظر : « الأعلام » (٥/ ١٦٥ـ ١٦٦) ، « ما رأيت وما سمعت » (١٧٩) .

(٢) هو الشيخ العلامة الفقيه الأديب المؤرخ ، عبد الله بن أحمد بن محسن بن ناجي الناجي اليافعي ، مولده بجبل يافع في بلدة تسمّى : حُمُحُمَة ـ بضمِّ الحائين المهملتين ـ المشرفة على وادي ذي ناخِبْ ، ولد عام (١٣١٧هـ) ، وهو يحفظ أنّ تاريخ مولده أيّام موقعَة حُوتة التاريخية أي ما بين أجواء (١٣١٤هـ) و(١٣١٧هـ) وكان والده ضمن الجنود الذين شاركوا فيها من جانب القعيطي ، ثم أخذه والده إلى تبالة ، فدرس بها على يد الشيخ سالم الكلالي ، وهو شيخ فتحه وتخريجه ، ثم دخل المكلا في عهد السلطان عمر ، وشارك في النهوض بالتعليم بها ، وعُدَّ في أعيانها ، وله مواقف وأخبار كثيرة ، وتقلد عدداً من المناصب الحكومية في عهد السلطان صالح ، وأضفى عليه المذكور لقب : (شاعر الدولة) ، وهو الآن مقيم بجدة ، أطال الله عمره في خير وعافية .

(٣) كان ذلك في عهد السَّيِّد أبي بكر بن حسين بن حامد المحضار ، ويقول الشَّيخ النَّاخبيُّ : إنَّ آل الدَّبَّاغ استمرُّوا في التَّدريس على منوالهم حتَّىٰ نهاية عهد السُّلطان عمر ، وكان ابن أخيه السُّلطان صالح في الهند ، فبلغته أنباء عن توجُّه آل الدَّبَّاغ السياسيِّ ، فكتب رسالة من الهند إلى عمِّه السُّلطان عمر بالمكلاَّ أبلغه فيها بما نُمي إليه من أخبارهم .

(٤) أي : الوزير المذكور ؛ الَّذي استمرَّ في الوزارة إلىٰ حدود سنة (١٣٤٩ هـ) .

خوّاراً[1] ـ فسكتَ علىٰ مضَضٍ ، حتّىٰ قَدِمَ ٱلفاضلُ ٱلسَّيِّدُ طاهرٌ ٱلدَّبّاغُ[2] ، فعرفَ تهوُّرَ أَصحابِهِ فقذعَهُم[3] ، ولٰكنَّهُ بارحَ ٱلمُكَلاَّ وشيكاً ، فعادتِ ٱلقضيَّةُ إِلىٰ أَسوأَ ممَّا كانت ، إِلاَّ أَنَّ ٱلمسأَلَةَ ٱنحلَّتْ بطبيعةِ ٱلحالِ ؛ إِذْ سافرَ عليٌّ ٱلدَّبّاغُ إِلىٰ جازانَ ؛ لتدبيرِ ٱلثَّورةِ ، فغرِقَ هناكَ ، وكانَ آخِرَ ٱلعهدِ بهِ[4] .

---

(١) **الخوّار** : الضّعيف الّذي لا بقاء له على الشّدّة .

(٢) السّيّد محمّد طاهر بن مسعود الدّبّاغ ، ولد بالطّائف سنة (١٣٠٨هـ) ، وتوفّي بالقاهرة في شهر رجب سنة (١٣٧٨هـ) . أرسله والده إلىٰ مصر للدّراسة بها . . فدرس المرحلة الابتدائيّة ، ثمّ عاد وأكمل تعليمه في رحاب المسجد الحرام على أيدي شيوخ العلم بمكّة ، وكانت ملازمته لشيخه العلاّمة سيبويهِ الحجازِ الشّيخ محمّد علي المالكي . عيّن مدرساً في مدرسة الفلاح سنة (١٣٣٠ هـ) ، ثمّ مديراً لماليّة جدّة في عهد الشّريف حسين بن عليٍّ ، وعند اضطراب حبل الأمن في الحجاز سنة (١٣٤٣ هـ) عيّن أمين سرّ الحزب الوطنيّ الحجازيّ وسكرتيراً له ، ولم يلبث أن غادر الحجاز بعدها إلى مصر واليمن وحضرموت ، ثمّ إلى الهند وجاوة ، فسنغافورة سنة (١٣٥٠ هـ) ، وغادرها إلى عدن ومكث بها إلىٰ أواخر (١٣٥٤ هـ) .

وفي سنة (١٣٥٥ هـ) عاد إلىٰ بلاده ، ولقي إكراماً وعطفاً من الملك عبد العزيز آل سعود ، وعيّن مديراً عامّاً للمعارف في المملكة إلى سنة (١٣٦٤ هـ) . ثمّ عيّن عضواً في مجلس الشّورىٰ إلىٰ عام (١٣٧٢ هـ) حيث طلب إحالته للتقاعد . ترجمته في : « سير وتراجم » (٢٨٢ـ٢٨٥) ، « من أعلام التّربية والفكر في بلادنا » (٥٣ـ٨٨) ، « الدّليل المشير » (٢١٢ـ٢١٤) ، « الانطلاقة التّعليميّة في المملكة » (١٩٧ـ٢٠١) .

(٣) **قذعهم** : أفحش القول فيهم .

(٤) لٰكنّ شاعر الدّولة القعيطيّة الشّيخ عبد الله النّاخبيّ ، وهو أحد معاونيهم في مدرسة الفلاح يقول عن نهاية آل الدّبّاغ : إنّه بعد أن أمر السّلطان عمر بإغلاق المدرسة في أواخر الأربعينيّات الهجريّة ـ حوالي (١٣٤٨) أو (١٣٤٩ هـ) ـ توجّه الأخوان عليٌّ وحسين آل الدّبّاغ إلىٰ عدن ، وفتحوا بها مدرسة سمّوها مدرسة الفلاح أيضاً ، وأقاموا في عدن بضع سنوات ـ أربع أو خمس سنوات ـ وبعدها راحوا إلى لحج وفتحوا مدرسة أيضاً بها ، وأدخلوا الموسيقىٰ في المدرسة . . فكانت أوّل فرقة موسيقيّة رسميّة تكونت على أيديهم في بلاد لحج .

وعادوا إلى عدن في حدود (١٣٥٥ هـ) ، وحاولوا أن يكوّنوا جيشاً لغزو الحجاز به ، وأعدّوا عدّة ليست بالقليلة ، وكانت خطّتهم : أن يقوم حسين بالذّهاب إلىٰ يافع ليجلب الجنود ، ويذهب عليٌّ إلى الحبشة لشراءِ السّلاح . . ونفذت أوائل هٰذه الخطّة ، وسار عليٌّ الدّبّاغ إلى الحبشة ليجلب الأسلحة ، لٰكنّ منّيتهُ عاجلته . . فغرق في زورق بقرب السّواحل الحبشيّة ، وليس بالقرب من جيزان وأما حسين فسيذكر المؤلف خبره .

وأمَّا حسينٌ : فلَمْ يَزَلْ مصراً على رأيِهِ في ٱلانتقام مِنَ ٱلحكومةِ ٱلسُّعوديَّةِ ، وكانت خاتمةُ أمرِه أنْ نزلَ بٱلحالمينَ[١] مِنْ بلادِ يافع ، فمنعَهُ[٢] أهلُها آلُ مُفلح[٣] ، فلَمْ يَقدِرْ عليهِ أحدٌ ، ثمَّ نَشبتْ بينَهُم وبينَ جيرانِهم مِنْ يافع أيضاً فتنةٌ ، ولَمَّا علِموا أنَّهُ ٱلسَّببُ فيها . ٱعتزموا قتلَهُ ، فغدرَ بهِم فهربَ ـ كما فعلَ ٱلكُميتُ[٤] ـ في زيِّ ٱمرأةٍ ، وذهبَ إلى ٱلحمراءِ[٥] في آخرِ حدودِ يافعٍ ، فأذكىٰ شرّاً بينَهُم وبينَ آلِ ٱلقويمي مِنَ ٱلزَّيديَّةِ[٦] ، وكثرت بينَهُمُ ٱلقتلىٰ .

ولَمَّا أحسَّ بٱلفشلِ[٧] . . هربَ إلى . . . .

---

(١) الحالمين : في بلاد رَدْفان ، وهي من أعمال محافظة لحج ، وهي منطقة أثرية ، عُثِر بها سنة (١٩٩٩م) على قطع أثرية تعود إلى عهود سبأ وحمير .

(٢) أي : حموه من أعدائه وكانوا ظهراً له .

(٣) النسبة إليهم : مُفْلحي ، وهي قبيلة كبيرة في يافع العليا ، ويطلق اسمها على مركز إداري تابع لمديرية يافع .

(٤) كان خالد بن عبد الله القَسْري قد حبس الكميت بعد أن قال فيه :

وَإِنِّـي وَتَمْـدَاحِـي يَـزِيـداً وَخَـالِـداً ... ضَـلاَلاً لَكَـالْحَـادِي وَلَيْـسَ لَـهُ إِبْـلُ

فكانت امرأته تدخل عليه.. حتَّىٰ عرف أهل السِّجن وبوَّابوه ثيابها وهيئتها ، ولمَّا علم بأنَّه سيُقتل بالسِّجن.. أرسل إليها يأمرها بأن تجيئه ومعها ثياب من لباسها ، وخُفَّان ، فقال : ألبسيني لِبسة النِّساء ، ففعلت ، ثمَّ قالت له : أقبل.. فأقبل ، وأدبر.. فأدبر ، فقالت : ما أرىٰ إلا يَبَساً في منكبيك ، اذهب في حفظ الله .

فخرج ، فظنَّ السَّجَّان أنَّه المرأة ، فلم يتعرَّض له ، فنجا وأنشأ يقول :

خَـرَجْـتُ خُـرُوجَ الْقِـدْحِ قِـدْحِ ابْـنِ مُقْبِـلِ ... عَلَى الـرَّغْـمِ مِـنْ تِلْكَ النَّـوَابِـحِ وَالْمُشْلِي

عَلَـيَّ ثِيَـابُ الْغَـانِيَـاتِ وَتَحْتَهَـا ... عَـزِيمَـةُ أَمْـرٍ أَشْبَهَـتْ سَلَّـةَ النَّصْـلِ

وللقصَّة ذيولٌ وأسبابٌ غيرُ ما ذُكِر فراجعها ـ إن شئت ـ في « طبقات فحول الشُّعراء » (٢/٣١٩) ، و« الأغاني » (١٧/٢٠) . والله الموفِّق .

(٥) وهي قرية من لحج ، وإليها ينسب العلاَّمة السَّيِّد الشَّريف عمر صاحب الحمراءِ ابن عبد الرَّحمـٰن المتوفى سنة (٨٨٩هـ) .

(٦) هم من يافع ، وليسوا من الزَّيديَّة ، كما يقول العلاَّمة النَّاخبيُّ اليافعيُّ.. وهو أدرىٰ بهم .

(٧) في سرد هـٰذه الأحداث الَّتي أوردها المصنِّف بعض خلط كما يقول الشيخ النَّاخبيُّ ؛ إذ إنَّ حقيقة الأمر : أنَّ حسيناً الدَّبَّاغ ذهب إلىٰ يافع ليعدَّ عدَّته ، ويجلب منها رجالاً يكونون سنداً له في تنفيذ خططه الهجوميَّة ، الَّتي سبق ذكرها في كلام المصنِّف ـ قبل أن يجليَهم السُّلطان عمر من المكلاَّ إلىٰ عدن ـ وما الفتنة الَّتي ذكرها المصنِّف هنا إلاَّ فتنة نشبت بين يافع والإمام يحيىٰ ؛ إذ إنَّ حُسَيناً الدَّبَّاغ لم يزل=

ٱلقُطَيبِ[1] ـ وهيَ إحدى ٱلمحميَّاتِ ـ فألفىٰ هناكَ ضابطاً إنكليزيّاً ، فأغرىٰ بهِ بدويّاً فقتلَهُ بجُعلٍ دَفَعَهُ لَهُ ، فطلبتْهُ حكومةُ عدن ، بهـٰذه ٱلتُّهمةِ فحماهُ حسنُ بنُ عليٍّ ٱلقُطَيبيُّ ، وأَبىٰ أَنْ يُخَيِّسَ بجوارهِ وذمَّتِهِ ، وبعدَ أَنْ أَقامَ لديهِ مدَّةً . . خطرَ لَهُ أَنْ يخرجَ متنكِّراً إلىٰ حَضْرَمَوْتَ ، وكانتِ ٱلحكومةُ ٱلإنكليزيَّةُ جَعلتْ أَربعةَ آلافِ[2] رُبيَّةٍ لمَنْ يُلقي ٱلقبضَ عليهِ ، فلمَّا ٱنتهىٰ إلىٰ أَرباضِ ٱلهَجْرَينِ . . أَمسكَ بهِ عاملُها ـ وهوَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عوضٍ ٱلنَّقيبُ ، وكانَ أَحدَ تلاميذِهِ بمدرسةِ ٱلنَّجاحِ[3] بٱلمُكَلاَّ ـ وهناكَ أَخذَهُ ٱلضَّابطُ ٱلسِّياسيُّ انجرامس[4] وهوَ يصيحُ ويستثيرُ حفائظَ ٱلمسلمينَ ، وقد حضرَ كثيرٌ فلم يتحرَّكْ مِن أَحدٍ عِرْقٌ .

ولَمَّا وصلوا بهِ إلىٰ عدن . . طلبَهُ ملكُ ٱلحجازِ[5] ، وأَمرَ بإنزالهِ مكرّماً في جيزانَ ، وأَعلنَ لَهُ عاملُها عفوَ ٱلمَلِكِ عنهُ ، وأَنَّهُ حُرٌّ في نَفْسهِ تحتَ حراسةِ عسكرٍ بمثابةِ خدمٍ لَهُ ، حتَّىٰ يَعرِفَ سلوكَهُ .

= يتوغَّل في بلاد يافع حتَّىٰ وصل إلىٰ حدود مملكة الإمام يحيىٰ ، وكانت معركة بسبب تحرُّشات جرت بين الفريقين ، كانت نهايتها هزيمة يافع وفرار حسين الدَّبَّاغ إلىٰ حضرموت عبر السَّواحل كما سيقص المصنف .

(١) قرية تقع بالقرب من بلدة السواط في وادي ميفعة من أعمال محافظة شبوة .

(٢) الَّذي يحفظه الشَّيخ النَّاخبيُّ : أَنَّها خمسة آلاف روبيَّة .

(٣) بل هي « مدرسة الفلاح » . . ولعلَّ هـٰذا سبق قلم .

(٤) **انجرامس** ؛ اسمه : هارولد وليم انجرامس ، بريطانيٌّ ، ولد سنة (١٨٩٧م) ، شارك كجندي في أَحداث الحرب العالميَّة الأُولىٰ ، نال ترقية إلىٰ رتبة ملازم أَوَّل عام (١٩١٤م) ، ابتعثته بريطانيا إلىٰ زنجبار كمساعد لحاكمها سنة (١٩١٩م) ، زار حضرموت لأَوَّل مرَّة كسائح عام (١٩٣٤م) ، وكان حينها ضابطاً سياسياً في عدن . ثمَّ صار مستشاراً مقيماً في المكلاَّ سنة (١٩٣٧م) ، وغادر حضرموت سنة (١٩٤٤م) ، وخلفه مستشارون آخرون . ومات في بريطانيا ، وكان له ولزوجته (دورين) أَعمال خيريَّة في حضرموت . . ينظر : « مذكَّرات انجرامس » واسمها (Arabic And The Isles) . الصَّادرة عن (London 1966- John Marry) ، ومذكَّرات زوجته دورين المسماة : (A time in Arabia) الصَّادرة عن نفس الدَّار سنة (١٩٧٠م) ، و« حياة السَّيِّد الزَّعيم » ومقدِّمة « ديوان شاعر الدَّولة » الشَّيخ عبد الله النَّاخبيِّ .

(٥) بل كان يلقَّب آنذاك : ملك نجد والحجاز وملحقاتها ، وهو الملك عبد العزيز آل سعود ، رحمه الله ، الَّذي صار لقبه فيما بعد : ملك المملكة العربيَّة السعوديَّة .

فلَمْ يَزَلْ يُخاطبُ رُؤَساءَ ٱلعشائرِ ، ويعملُ أَعمالاً لا تنطبقُ معَ ٱلمنطقِ ، وكانَ ذلكَ إِثْرَ مَرَضٍ لَمْ يَزَلْ يتزايدُ بهِ حتَّىٰ توفِّيَ وهوَ مشمولٌ بإكرامِ ٱلحكومةِ ٱلسُّعوديَّةِ وسماحِها .

فمِنْ حينَ فَتَحَ آلُ ٱلدَّبَّاغِ ٱلمدارسَ . . بدأَتِ ٱلمعارفُ تتقدَّمُ بخطىً قصيرةٍ ، حتَّىٰ لقد عَنَيتُ مدارسَ ٱلمُكَلاَّ بما ذكرتُهُ في مقدِّمةِ كتابي « ٱلنَّجمُ ٱلمُضِيّ في نقدِ عبقريَّةِ ٱلرَّضيّ » .

إلاَّ أَنَّ ٱلسُّلطانَ ٱلحاليَّ[1] لَمَّا كانَ مِنْ جملةِ ٱلعلماءِ . . أَخذَ يُناصرُ ٱلمدارسَ ، وأَغدقَ عليها ٱلأَموالَ ، حتَّىٰ لقد قيلَ لي : إِنَّ ما ينفقُهُ عليها سنويّاً أَكثرُ مِنْ ثلاثِ مئةِ أَلفِ رُبِيَّةٍ ، عبارةٌ عمَّا يقاربُ ربعَ إِيرادِ ٱلمُكَلاَّ . وقدِ ٱستجلَبَ لَها ناظراً[2] خبيراً محنَّكاً مِنَ ٱلسُّودانِ ، هوَ ٱلفاضلُ ٱلشَّيخُ سعيدُ ٱلقدالُ[3] ، فأَدارها أَحسنَ إِدارةٍ ، وظهرَ ٱلأَثرُ وينَعَ ٱلثَّمرُ . فٱلمُكَلاَّ بل وسائرُ ٱلموانىءِ اليومَ في ٱلمعارفِ غيرُها بالأَمسِ .

إلاَّ أَنَّني ٱقترحتُ على ٱلسُّلطانِ يومَ كانَ بمنزلي في سَنةِ (١٣٦٥هـ) أَنْ يهتمَّ بإيجادِ

---

(١) وهو السُّلطان العالم الفقيه صالح بن غالب بن عوض القعيطيُّ ، المتوفَّىٰ سنة (١٣٧٥ هـ) .

(٢) **النَّاظر** : لغة : الَّذي يحفظ الشَّيء ، وفي الاصطلاح : وظيفة استحدثت في العصر الأَيوبيّ ، وٱستمرَّت بالَّذي بعده ، عُدَّ صاحبها من أَرباب الوظائف الدِّينيَّة ، والنُّظَّار وفق هٰذا المعنىٰ كثيرون ، منهم : **ناظر ٱلأَشراف** : وهو عادة ممَّن ينتهي نسبه بأهل البيت ، وإليه رئاسة الأَشراف . **ناظر الحسبة** : مهمَّته التَّحدُّث عن أَرباب المعاش ، كبيراً أَو صغيراً . **ناظر الأَحباس** : مهمَّته النَّظر بشؤون الأَوقاف . وغير ذلكَ من المسائل الأُخرى . ثمَّ تطوَّر هٰذا الاصطلاح ليصبح في العصر ٱلعثمانيِّ إلى زمن المؤلف منسوباً إلى (نظارة) بمعنىٰ (وزارة) . والله أعلم .

(٣) **اسمه** : القدَّال سعيد القدَّال ، ولد بالسُّودان سنة (١٣٢٣هـ) ، كان قدومه إلى المكلاَّ سنة (١٣٥٩) أو (١٣٦٠ هـ) ، مشرفاً علىٰ معارف الدولة بالمكلاَّ ، بإيعاز من المستر انجرامس ، وأَوَّل عمل قام به القدَّال هو تأسيس (مكتب إدارة المعارف) ، الَّذي عرف فيما بعد بـ(نظارة المعارف) ، وعين فيه النَّاخبيُّ وباعنقود ، وغيرهما ، ثمَّ صار القدَّال ناظراً لعموم معارف الدَّولة ، ثمَّ رقَّاه السُّلطان إلىٰ مرتبة سكرتير الدَّولة . . فضجَّ عليه الشَّعب ، وصار من جرَّاءِ ذلك : (حادثة القصر) الشهيرة سنة (١٣٧٠ هـ) . ثمَّ غادر القدَّال البلاد عقب وفاة السُّلطان صالح . . وتوفِّي في السُّودان سنة (١٣٩٥ هـ) . كتب عنه كتاباً كاملاً ابنه د . محمد سعيد ، الأستاذ بجامعة عدن ، صدر من سنوات عن جامعة عدن .

مدرسةٍ تحضيريَّةٍ لتربيةِ ٱلتَّلاميذِ على ٱلأخلاقِ ٱلفاضلةِ ؛ فإنَّ ٱلهِممَ قد سَقَطتْ ، وٱلذِّممَ قد خَرِبتْ ، ولَنْ تعودَ سيرتَها ٱلأولىٰ إلاَّ بمدرسةٍ تأخذُ بطريقِ ٱلتَّربيةِ ٱلصُّوفيَّةِ ، أَو قريبٍ منها ، معَ ٱلابتعادِ عنِ ٱلخِلْطةِ[1] ؛ لأنَّ أكبرَ ٱلمؤثِّراتِ على ٱلصِّبيانِ ٱلمشاهدةُ ، فلَنْ ينفعَهُم ما يَسمعونَ إذا خالفَهُ ما يَنظرونَ ؛ إذِ ٱلمنظورُ لا ينمحي مِنَ ٱلذَّاكرةِ ، بخلافِ ٱلمسموعِ . . فإنَّهُ لا يبقىٰ إلاَّ عندَ صدقِ ٱلتَّوجُّهِ ، فلا مطمعَ في إصلاحِ نَشْءٍ معَ ٱختلاطهِ بمَنْ لا تُحمَدُ سيرتُهُ ٱلبتَّةَ ؛ ولذا لَمْ يَكُنْ لبني إسرائيلَ علاجٌ مِنْ أَمراضِهِمُ ٱلأخلاقيَّةِ إلاَّ بإهلاكِ ٱلجيلِ ٱلفاسدِ في ٱلتِّيهِ ، وتكوينِ ناشئةٍ لَمْ تتأثَّر بهِم .

وفي « ٱلصَّحيحِ » [خ١٣١٩] : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى ٱلْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ » .

فنحنُ بحاجةٍ ماسَّةٍ إلىٰ إيجادِ ٱلبشريَّةِ ٱلصَّحيحةِ قَبْلَ ٱلعَالِمِيَّةِ ، ومعلومٌ أنَّ ٱلتَّخْلية مقدَّمةٌ على ٱلتَّحْلِيةِ ، وٱلتَّلاميذُ ظِلُّ آبائِهم وأُمَّهاتِهم ومعلِّميهِم ، إنْ خيراً . . فخيرٌ ، وإنْ شرّاً . . فشرٌّ ، وكثيراً ما أُذكِّرُ ٱلمعلِّمينَ بخاتمةِ قصيدةٍ جزلةٍ ليَ في ٱلموضوعِ ، وتلكَ ٱلخاتمةُ هيَ قولي [في « ديوانِ ٱلمؤلِّفِ » ٢٠٧ مِنَ ٱلبسيطِ] :

وَقُوا ٱلْكَلاَمَ وَكُونُوا فِي ٱلذِّمَامِ وَفِي   خَوْفِ ٱلْمُلاَمِ عَلَىٰ مَا كَانَتِ ٱلْعَرَبُ

ثمَّ إنَّهُ لم يكنْ عندي تصوُّرٌ لمناحي ٱلتَّعليمِ وأخلاقِ ٱلطُّلاَّبِ وٱلمدرِّسينَ بٱلسَّاحِلِ . . حتَّىٰ يسوغَ لي ٱلحكمُ ؛ فإنَّما يتناولُ ثنائي ما ظهرَ مِن جمالِ ٱلأُسلوبِ ، وحركةِ ٱلانقلابِ ، وعمومِ ٱلتَّيقُّظِ وٱلانتباهِ ، وإجادةِ بعضِهم في ٱلشِّعرِ حتَّىٰ يسوغَ ليَ ٱلحكمُ .

وفي ٱلمُكَلاَّ : ديوانٌ للحكومةِ ، وإدارةٌ للكهرباءِ ووزارةٌ للماليَّةِ ، وليسَ للسُّلطانِ إلاَّ مرتَّبٌ مخصوصٌ قدرُهُ عشرةُ آلافِ رُبيَّةٍ في ٱلشَّهرِ ، ثمَّ رُفِعَ إلىٰ خمسةَ عشرَ ألفِ ربيَّةٍ ، معَ إضافاتٍ معيَّنةٍ لا يتجاوَزُها .

---

(١) مراد المصنِّف هنا بالخلطة : مخالطة الأضداد ، ويقصدُ بهم : ذوي الطِّباع السيِّئة والأخلاق الرَّذيلة ، المضادَّة للطِّباع السَّليمة والأخلاق القويمة .

وفيها غرفةٌ تجاريَّةٌ تراعي أَغراضَ ٱلتُّجَّارِ وتقدِّمُها علىٰ مصالحِ ٱلشَّعبِ .

وفيها إدارةٌ للقضاءِ ، ومجلسٌ عالٍ ، لـٰكنَّ ذلكَ ٱلمجلسَ ٱلعالي هوَ أَكبرُ حجارِ ٱلعِثارِ في طريقِ ٱلعدالةِ ! !

فٱلحقوقُ مهضومةٌ ، وٱلحقائِقُ مكتومةٌ ، وطالما رُفِعَتْ إِليَّ أَحكامُ ذلكَ ٱلمجلسِ . . فإذا بها شرٌّ ممَّا نتأَلَّمُ منهُ بسيئونَ ؛ وذلكَ أَنَّ وزيرَ ٱلدَّولةِ ٱلَّذي يقولونَ لهُ : (السكرتير) ـ وهوَ ٱلشَّيخُ سيفُ أبو عليٍّ ـ جعلَ كلمةَ ذلكَ ٱلمجلسِ ٱلنِّهائِيَّةَ لا معقِّبَ لها بحالٍ ، فسقطَتْ عنهُ مُؤْنةُ ٱلتَّحفُّظِ ، ولَمْ يَحتجْ إِلىٰ مراجعةِ ٱلكتبِ ؛ إِذْ هوَ في أَمانٍ مِنَ ٱلنَّقضِ ، وٱلشَّعبُ مَيْتٌ ، وٱلخاصَّةُ نفعيُّونَ يتساكتونَ .

وإِلاَّ . . فلَوِ ٱحتجُّوا لدى ٱلسُّلطانِ . . لَعَدَّلَ ٱلأَمرَ ؛ لأَنَّهُ يكرهُ ٱلجَوْرَ .

أَمَّا ٱلآنَ . . فإِنَّ ٱلمجلسَ يفعلُ ما يشاءُ بدونِ رقيبٍ ؛ فبعدَ أَنْ يُنشِقَ ٱلخصومَ إِنشاقَ ٱلخردلِ . . يَصكُّهم[1] بتلكَ ٱلأَحكامِ ـ ٱلمضحكةِ ٱلمبكيةِ ـ صكَّ ٱلجندلِ[2] .

وللهِ درُّ ٱلعبسيِّ في قولهِ [في « البيان والتبيين » ١/ ١٦٤ مِنَ ٱلبسيطِ] :

إِنَّ ٱلْمُحَكَّمَ مَا لَمْ يَرْتَقِبْ حَسَبَا ... أَوْ يَرْهَبِ ٱلسَّيْفَ أَوْ حَدَّ ٱلْقَنَا . . جَنَفَا

ودفاترُ ٱلتَّسجيلِ شاهدةٌ بصدقِ ما أَقولُ ، لا تخفىٰ علىٰ مَن لهُ أَدنىٰ إِلمامٍ بٱلفقهِ .

وفي ٱلحفظِ عن « جمعِ ٱلجوامعِ » : (أَنَّهُ لَمْ يَقع أَنْ قيلَ لنبيٍّ مِنَ ٱلأَنبياءِ صلواتُ ٱللهِ وسلامُهُ عليهِم : ٱحكُم بما شئْتَ ففيهِ ٱلصَّوابُ ، وإِنَّما ٱلاختلافُ في ٱلجوازِ)[3] .

---

(١) **يصكُّهم** : يضربهم .

(٢) **الجندل** : الحجارة .

(٣) ما عناه المصنِّف صحيح ، ونصُّ عبارة « جمع الجوامع » : (مسأَلة : يجوز أَن يقال لنبيٍّ أَو عالم : احكم بما تشاءُ فهو صواب . ويكون مدركاً شرعياً ، ويسمَّى التَّفويض . وتردَّد الشَّافعيُّ ، قيل : في الجواز ، وقيل : في الوقوع . وقال ابن السَّمْعانيِّ : يجوز للنَّبي دون العالم . ثمَّ المختار : لم يقع) اهـ .

فالجمهور علىٰ عدم الوقوع مطلقاً ، وخالفهم موسىٰ بن عمران من المعتزلة فقال بالوقوع ؛ مستنداً=

غيرَ أنَّ ٱلحفظَ يخونُ ، وٱلعهدَ بعيدٌ .

ومثلُهُ عندَ غيرِهِ مِن أَهلِ ٱلأُصولِ ، وقد قالَ تعالىٰ لأَشرفِ ٱلخلقِ : ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ وقال لداود عليه ٱلسَّلامُ : ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ .

فإن قيل : إنَّ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ تفويضاً مطلقاً . . قيل : لا ، وإنَّما هوَ بما أَراهُ ٱللهُ مِنَ ٱلحقِّ ، كما يشهدُ ٱلسِّياقُ ، وقد جاءَ في « ٱلتُّحفةِ » [٩٨/٧] قبيل (ٱلوديعة) ما نصُّه : (قال بعضهم : وفيما إذا فوَّضَ للوصيِّ ٱلتَّفرقةَ بحسبِ مايراهُ . . يلزمُهُ تفضيلُ أَهلِ ٱلحاجةِ . . . إلخ) .

على ٱتِّساعِ شقَّةِ ٱلفرقِ بينَ ما تراهُ وبينَ ما أَراكَ ٱللهُ ، وقد روي عن عمرَ رضي الله عنه : لا يقولَنَّ أَحدُكم : قضيتُ بما أراني ٱللهُ ؛ فإنَّ ٱللهَ لم يجعل ذلكَ إلاَّ لنبيِّهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ . ولـٰكن ليجتهد رأيَه ؛ لأَنَّ ٱلرأيَ مِن رسولِ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ كان مصيباً ؛ لأَنَّ ٱللهَ كانَ يُريهِ إيَّاهُ ، وهوَ منَّا ٱلظَّنُّ وٱلتَّكلُّفُ . ثمَّ ما أَبعدَ ٱلبونَ بينَ ما تراهُ ٱلأَدنىٰ ممَّا أَراكَ ٱللهُ ـ كما تقدَّم ـ وبينَ ماتشاءُ في الآية (٤٨) من (المائدة) : ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ وفي ٱلَّتي بعدها : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ .

ولـٰكنَّ ٱلمجلسَ ٱلعاليَ بٱلمُكَلاَّ وقعَ مِن وزيرِ ٱلدَّولةِ علىٰ ما لَمْ تَحصُلْ عليهِ ٱلأَنبياءُ

= إلىٰ حديث السِّواك ، وإيجاب الحج : « لو قلت نعم . . لوجبتْ » ، ورد عليه الجمهور بعدم دلالة ذلك على المدَّعىٰ ، لجواز التَّخيير أو الوحي . . « شرح الجمع » (٢/ ٣٩١-٣٩٢) ، مع حاشية البناني .

ومعنىٰ : (ففيه الصَّواب) أو (فهو صواب) كما هو النَّصُّ : أي موافق للحكم الإلـٰهي ، قال البناني : فهو صواب . . من جملة المقول للنَّبيِّ أو العالم . . وحاصل ذلك : أن يجعل الله تعالى مشيئة المقول له ذلك دليلاً علىٰ حكمه في الواقع ، بأن لا يلهمَه إلاَّ مشيئة ما هو حكمه في الواقع . اهـ

مِنْ ربِّها ، فصارَتْ أَحكامُهُ شرّاً مِنَ ٱلأَحكامِ ٱلعرفيَّةِ ؛ لأَنَّها ليست إلاَّ عبارةً عَن مشيئَةِ وهوى ٱلاستئْنافِ ، بَلْ رئيسِهِ فقط ، مِن دونِ تقيُّدٍ بقانونٍ شرعيٍّ ولا عُرفيٍّ ، وإِنَّما قلنا شرّاً مِنَ ٱلحكمِ ٱلعرفيِّ ؛ لأَنَّ ٱلحاكمَ ٱلعرفيَّ بمصرَ وغيرها يكونُ تحتَ مراقبةِ ٱلبرلمانِ ، بخلافِ هـٰذا . . فلا مراقبةَ عليه أَصلاً ، وهلْ تقبلُ هـٰذا أُمَّةٌ في بعضِ أَفرادِها نبضٌ مِنَ ٱلحياةِ؟!! كلاَّ ، ولـٰكنَّ ٱلمتنبِّي يقولُ [في « العكبريِّ » ٤/ ٩٤ مِنَ ٱلخفيفِ] :

مَـــنْ يَهُـــنْ يَسْهُـــلِ ٱلْهَـــوَانُ عَلَيْـــهِ   مَـــا لِجُـــرْحٍ بِمَيِّـــتٍ إِيـــلاَمُ

هـٰذا معَ أَنَّ هوى ٱلسُّلطانِ ـ كما سبقَ ـ ٱلعدلُ ، وغايةَ ما يتمنَّاهُ ٱلإِنصافُ ، لـٰكنَّ ٱلأُمَّةَ أنتهت إِلىٰ ذلكَ ٱلحدِّ مِنَ ٱلسُّقوطِ وٱلانحطاطِ . . فسحقاً ، سحقاً .

وسيأْتي في ٱلظَّاهرةِ مِنْ أَرضِ ٱلكسرِ ما يَستخرجُ عند ٱلتَّمثيلِ ٱلعجبَ ٱلعجابَ ، ويَستلفتُ أَنظارَ طالبي ٱلحقيقةِ في هـٰذا ٱلبابِ .

وسكَّانُ ٱلمُكَلاَّ ٱليومَ يزيدونَ عن خمسةٍ وعشرينَ أَلفاً .

وفيها عدَّةُ مساجدَ ، أَشهرُها :

ٱلجامعُ ٱلقديمُ[١] . ومسجدُ ٱلرَّوضةِ : بناهُ صاحبُ ٱلأَحوالِ ٱلغريبةِ ، ٱلسَّيِّدُ عُمرُ ـ ٱلمشهورُ ببوعلامة ـ ٱبنُ عليِّ بنِ شيخِ بنِ أَحمدَ بنِ عليِّ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ ، ٱلمتوفَّىٰ في شِبام سَنَةَ (١٢٧٨هـ)[٢] ، وقد أَنكرَ عليهِ بعضُهم بناءَهُ بشطِّ ٱلبحرِ محتجّاً بما جاءَ في رسالةٍ للسُّيوطيِّ في ٱلموضوعِ ، وهي مدرجةٌ بـ« الحاوي »[٣] . وجامعُ ٱلسُّلطانِ عمرَ[٤] : وهوَ أَنزهُ مسجدٍ رأَيتُ .

---

(١) وهو المعروف بجامع البلاد ، وتعرف المنطقة الَّتي يقع فيها بحافة البلاد ، وهو مسجد قديم يعود بناؤه إلى القرن العاشر الهجري كما قيل لي .

(٢) وفي بعض المصادر : أنَّ وفاته سنة (١٢٧٩ هـ) في جمادى الآخرة ، ومسجد الرَّوضة بُني في حدود سنة (١٢٥٠ هـ) .

(٣) واسم الرسالة : « الجهر بمنع البروز على شاطىء النهر » ، انظر « الحاوي للفتاوي » (١/ ١٣٣) .

(٤) بني مسجد السُّلطان عُمَر سنة (١٣٤٩ هـ) تقريباً ، كما يقول العلاَّمة النَّاخبيُّ ، وكان قد حضر بناءَه ، وكان موضعه مبركاً للجمال علىٰ أكمة صغيرة .

ومسجدُ ٱلنُّورِ[1] . ومسجدُ باحْلَيوة . ومسجدُ ٱلسُّلطانِ غالبِ بنِ عوضٍ[2] . وغيرُها[3] .

وبها كانت وفاةُ ٱلعلاَّمةِ ٱلجليلِ ٱلصَّادعِ بٱلحقِّ ، ٱلنَّاطقِ بٱلصِّدقِ ، ٱلسَّيِّدِ شيخانَ بنِ عليِّ بنِ هاشمٍ ٱلسَّقَّافِ[4] ٱلعلويِّ ، وكانَ رباؤُهُ بٱلغرفةِ ، ثمَّ تنقَّلَ في ٱلقرىٰ ، ثمَّ سارَ إلىٰ جاوة ، ثمَّ عادَ إلى ٱلوَهْطِ ولَحْجٍ ، وكانَ لَهُ جاهٌ عِندَ سلاطينِها عظيمٌ ، ثُمَّ عادَ إلى ٱلشِّحْرِ ، وجرت بينَهُ وبينَ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ عيديدَ[5] أُمورٌ ، ثمَّ سارَ إلى ٱلمُكَلاَّ ، وبها توفِّيَ سَنَةَ (١٣١٣هـ) ، وعليهِ قبَّةٌ صغيرةٌ لا يزالُ أَبناؤُهُ في شجارٍ بشأْنِها ؛ إذ كانَ علويٌّ يحمل صكّاً بشرائها ، وعمرُ يدّعي تسبيلَها .

وتركَ أَولاداً: أَحدُهُم: محمَّدٌ[6] بلَحْجٍ. وٱلثَّاني : جعفرٌ[7] ، وهو حافظٌ للقرآنِ، مشهورٌ بٱلصَّلاحِ ، بسربايا مِنْ أَرضِ جاوة . وٱلثَّالِثُ : عبدُ ٱللهِ[8] كانَ خفيفَ ٱلظِّلِّ ، مقبولاً ، راوية لأَخبارِ مِنِ ٱتَّصلَ بهم مِنَ ٱلرِّجال ، وفيهم كثرةٌ . وٱلرَّابعُ : ـ وهوَ أَكبرُهُم ـ : علويٌّ[9] ،

---

(١) ويقع إلى جانبه رباط النُّور ، بناه بعض فضلاءِ المكلاَّ .

(٢) وهو المعروف بالغالبيِّ .

(٣) وقد بنيت في المكلاَّ بعد عصر المؤلِّف مساجد كثيرة ، من أكبرها : (**جامع الإمام الشافعي**) ، و(**جامع الشَّرج**) ، و(**جامع الشُّهداء**) ، و(**جامع خالد بن الوليد**) ، والأخيران في الديس .

(٤) وكان مولده سنة (١٢٤٨ هـ) ، أخذ عن جمع من علماء حضرموت الداخل ، ومن أجلهم الإمام عبد الله بن حسين بن طاهر .

(٥) هو السَّيِّد عبد الله بن سالم عيديد ، من أهل الشِّحر ، توفِّي سنة (١٣٠٦ هـ) ، تُرْجِم له في « نشر النَّفحات » (١/٣٢٦ـ٣٣٠) .

(٦) محمَّد هـٰذا . . ترتيبه الثَّالث بين الأَبناءِ ، وكان قد توطَّن مدَّة بلحج ، ثمَّ انتقل إلى دار سعد ، وبها توفِّي ، وأَخواله من العوالق .

(٧) جعفر بن شيخان ، ولد بالمكلاَّ ، ثمَّ هاجر صغيراً إلىٰ جاوة ، وكان يرسل أَولاده إلىٰ حضرموت ليربِّيَهم عمُّهم علويٌّ بن شيخان .

(٨) توفِّي بالمكلاَّ قبل أَخيه علويٍّ ، وهو شقيقه .

(٩) علويٌّ بن شيخان ، أكبر أَبناءِ السَّيِّد شيخان ، شقيق عبد الله المتقدِّم ، أُمُّهما من آل باعبَّاد ، كان عالماً جليلاً زاهداً مهاباً ، كان إذا دعاه السَّيِّد الوزير حسين بن حامد . . أَتاه ، ولم يأكل ولم يشرب شيئاً من ضيافته ، وجاءَه مرَّة السُّلطان عمر بن عوض القعيطيُّ فكلَّمهُ من سطح داره ولم يخرج إليه ، فعاد السُّلطان بعد أَن تصبَّب عرقاً ، توفِّي بالمكلاَّ عن عُمر ناهز التِّسْعين في حدود عام (١٣٧٠ هـ) . وهو=

بِٱلْمُكَلاَّ ، ولَهُ أَولادٌ[1] فَتحوا بها مدرسةً أَهليَّةً منذُ عشرِ سنواتٍ . وٱلخامسُ : عمرُ ، وهوَ أَصغرُهُم ، بِٱلْمُكَلاَّ أَيضاً[2] .

ولَئِنْ قَلَّ ٱلعِلْمُ بِٱلْمُكَلاَّ في ٱلأَزمنةِ ٱلسَّابقةِ . . فقد كانتْ ملأَىٰ بفحولِ ٱلرِّجالِ .

ولقد أَخبرني ٱلثِّقةُ أَنَّ وسطَ ٱلبقعةِ ـ ٱلمسمَّاةِ بِٱلحارةِ منها ـ كانَ مُزداناً[3] ـ في حدودِ سَنةِ (١٣٢٨هـ) ـ برجالٍ لَمْ تُعَوَّضْ عنهُم ؛ كٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ ، وأَخيهِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ، وسعيدٍ وأَحمدَ وعوضٍ آلِ بوسبعةَ ، وعليٍّ بامختارٍ وأَولادِهِ ، وآلِ زيَّادٍ مِنْ يافع ، وسعيد باعمر ، وعبدِ ٱللهِ بن عوضٍ باحشوانَ وعوضِ بن سعيد بن ثعلبَ ٱلسَّابقُ ذِكرُهُما ، وعُمرَ وأَحمدَ وعبدِ ٱلرَّحمـٰنِ آل لَعْجَم[4] ، وعقيلِ بنِ عوضٍ بلربيعة ٱلشباميِّين ، وبوبكرٍ وعبدِ ٱلصَّمدِ وعبدِ ٱلكريمِ آلِ بَفْلَح ، وسالم عُمرَ وعوضٍ عُمرَ آلِ قيسان ، وٱلشَّيخِ عُمرَ بن عبدِ ٱللهِ عبَّاد ، وٱبنِ عمِّهِ ٱلشَّيخِ حسنِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ عبَّاد ، وأَحمدَ ومحمَّدٍ وسعيدٍ آلِ مُسَلَّمٍ ٱلغُرفيِّين ، وعُمرَ ٱلجرو ، وولديهِ : عبدِ ٱللهِ وعليٍّ ، وسالمِ وسعيدٍ آلِ بشيرٍ هؤلاءِ من خلعِ راشدٍ ، وٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بارَحِيمٍ ، وآلِ غُزِّي ، وآلِ غريبٍ ، وغيرِهم .

فهـٰؤلاءِ كلُّهُم مِنْ نقطةٍ صغيرةٍ مِنَ ٱلحارة ـ دَعْ ما سِواها ـ كانتِ ٱلعيونُ بقُربِهم تَقرُّ ، وٱلنُّفوسُ بجوارِهم تَستبشرُ ، فتواترَ نَعيُهُم ، وٱشتدَّتِ ٱلواعيةُ[5] بهم .

= أَحد شيوخ العلاَّمة النَّاخبيِّ حفظه الله تعالىٰ .

(١) إنما هما ولدان ، وهما السَّيِّدان : محمَّد ومحسن ، وهـٰذه المدرسة الَّتي ذكرها المصنِّف سمَّياها : (المدرسة الهاشميَّة) ، قامت علىٰ أَنقاض (مدرسة الفلاح) الَّتي تقدَّم ذكرها . وكان قيام هـٰذه المدرسة في حدود (١٣٦٠ هـ) .

(٢) **تتمَّة** : ومن أَولاد الحبيب شيخان ممن لم يذكرهم المصنِّف : عليُّ بن شيخان ، ولد بقرسي بجاوة ، وعاش ونوفِّي بها . وأَبو بكر بن شيخان ، توفِّي بشُقرة ، أُمُّه من آل الفضْلي .

(٣) **مزداناً** : مزيَّناً .

(٤) آل لعجم فرع من أسرة آل باذيب ، من شبام .

(٥) **الواعية** : الصُّراخ على الميت .

فَلَـوْ قِيـلَ هَـاتُـوا فِيكُـمُ ٱلْيَـوْمَ مِثْلَهُـمْ   لَعَـزَّ عَلَيْكُـم أَنْ تَجِيئُـوا بِـوَاحِـدِ[1]

وفي غربيِّ ٱلْمُكَلاَّ قريةٌ يقالُ لَها : **شرجُ باسالم**[2] ، وفي شِمالها إِلى ٱلغربِ بستانٌ مسوَّرٌ يُسمَّىٰ (**ٱلقرية**) ، وذلكَ أَنَّ كثيراً مِنَ ٱلأَيتامِ نَجعوا مِنَ ٱلمنطقةِ ٱلكثيريَّةِ بحَضْرَمَوْتَ في أَيَّامِ ٱلمجاعةِ ٱلَّتي ٱبتدأَتْ من سَنةِ (١٣٦٠هـ) إِلى ٱلْمُكَلاَّ ، فأَدركَهُم عطفُ ٱلسُّلطانِ ، وتصدَّقَ عليهِم بذلكَ ٱلبستانِ ، وبَنَوا لَهُم فيهِ بناياتٍ تُؤْوِيهِم ، فأَنقذوهُم مِنَ ٱلمجاعةِ ، وعلَّموهُم مِنَ ٱلجهالةِ ، وقد نَيَّفَ عَددُهُم على ٱلمِئتينِ وٱلخمسينَ ، ولٰكنَّ كلَّ مَنِ ٱشتدَّ ساعدُهُ ، وعرفَ أَهلَهُ . . رجعَ إِليهِم ، وٱلباقونَ بها ٱليومَ يزيدونَ على ٱلمئةِ ، في عيشٍ رغيدٍ ، وتعليمٍ نافعٍ ، وحالٍ مشكورٍ[3] .

وفي شِمالها : **ٱلبُقْرَين** ، **وٱلدِّيس**[4] . ثمَّ : **ٱلخِزْبةُ** . **وٱلحَرْشِيَّاتُ** . **وثِلَةُ عَضُد**[5] .

وهٰذهِ هيَ ضواحي ٱلْمُكَلاَّ وأَرباضُها ومُخْتَرَفاتُ أَهاليها[6] .

وفي شرقيِّ ٱلْمُكَلاَّ على ٱلسَّاحلِ : **رُوكِب**[7] وفيها جامعٌ . ثمَّ : **بُوَيش**[8] ، تبعدُ قليلاً عنِ ٱلسَّاحلِ ، وفيها عيونُ ماءٍ جاريةٌ ، ومزارعُ[9] .

---

(١) البيت من الطَّويل .

(٢) والشرج هٰذا صار اليوم من ضمن أحياء المكلا ، ولم يعد قرية مستقلة كما ذكر المؤلف .

(٣) وتوجد هٰذه الأيام منطقة حديثة على غرار هٰذه القرية التي ذكرها المصنف تسمّى : قرية الصومال ، تقع قريباً من فوّه ، أقيمت لسكنى المنكوبين من بلاد الصومال الفارين من جحيم الحرب الأهلية بها ، والفضل في إنشائها يعود للسيد مفتي الساحل العلامة عبد الله محفوظ الحداد رحمه الله .

(٤) وهما الآن في ضمن أحياء المكلا ، واتصل العمران بهما .

(٥) في « الشامل » (٨٨) أنَّها : ثِلَةُ العليا ، وهي للمشايخ آل باعمر العموديّ .

(٦) **مخترفات أهاليها** : أي متنزهاتهم في زمن الخريف ، لٰكنَّ الدِّيس اليوم يعتبر حيّاً من أحياءِ المكلاَّ .

(٧) روكب : قرية ساحلية قديمة ، تقع على بعد (١٥ كم) إلى الشرق من المكلا ، وبها سوق للوَزِيف ؛ أي : السمك المجفف ، وسكانها العكابرة .

(٨) بويش : وهي تبعد عن مدخل المكلاَّ بنحو (٥كم) ، وقد ٱختفت المزارع والعيون الَّتي ذكرها المصنِّف ، وبرزت فيها نهضة عمرانيّة في السَّنوات العشر الأخيرة .

(٩) لمن أراد التَّوسُّع ومعرفة القرى الواقعة خارج المكلاَّ والشِّحر والَّتي تربط بين المدينتين ، وكذلك =

شُحَير

كانتْ بلدةً لا بأْسَ بها ، ولـٰكنَّها خَربتْ مِنْ سابقِ ٱلزَّمانِ ، ولهـٰذا قلَّ ذِكرُها .

ويقالُ : إنَّ ٱلبرتغالَ جاؤُوا إليها فهزمهُم أَهلُها[1] ، وقُتلَ منهُم في هـٰذهِ ٱلوقعةِ خلقٌ كثيرٌ ، فخافوا أَنْ يَعودوا إِليها بتجهيزٍ أَقوىٰ . . فهجَروها ، ولَمْ يَبْقَ بها إلاَّ العوابِثَةُ[2] .

وعندما تولَّىٰ بدرُ بوطويرق على ٱلشِّحْرِ . . ٱسترضىٰ قبائِلَها علىٰ خُمُسِ ٱلوزيفِ[3] ٱلَّذي يأْتي بهِ ٱلصَّيَّادونَ ، وٱشترطَ عليهِم أَنْ يُقاتِلوا معَهُ . . فرَضُوا بذلكَ .

وكانَ يُقالُ للشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ـ ٱلملقَّبِ بٱلعَكْظَةِ[4] ـ ٱبنِ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱلرَّحيمِ مولى ٱلدَّعامةِ باوزير : صاحبُ شحيرٍ .

ولا يبعدُ أَنْ يكونَ هوَ أَوَّلَ مَنِ ٱختطَّها ؛ فإنَّ ٱلبرتغاليّينَ ٱلَّذينَ حاربوا أَهلَها إنَّما كانوا أَثناءَ ٱلقرنِ ٱلعاشرِ ، وقد توفِّيَ جدُّهُ عبدُ ٱلرَّحيمِ سَنَةَ (٧٤٧هـ)[5] فٱلأَمرُ محتملٌ جدّاً .

وفي حدودِ سَنةِ (١٢٥٥هـ) : ٱستولىٰ علي ناجي علىٰ شُحَيرٍ ، وولَّىٰ عليها رجلاً مِنْ آلِ ٱلبَطَاطِي كانَ معَهُ ، ولا تزالُ أَطلالُ حِصنِهِ قائمةً إلى ٱلآنَ ، وبقيَتْ تحتَ أَيدي آلِ بُرَيك ، حتَّى ٱنتهَتْ دولتُهُم بٱلكثيري .

= وصف الطُّرق والوديان . . ينظر « الشَّامل » (٨٨ـ١٠٨) .

(١) كان مجيءُ البرتغال في النِّصف الأَوَّل من القرن التَّاسع الهجريِّ ، في زمن السُّلطان بدر بوطويرق . « أَدوار التَّاريخ الحضرمي » (٢٣٨ـ٢٣٩) ، و« تاريخ الشِّحر » (١٥٧) ، و« تاريخ الدَّولة الكثيريَّة » (٤٠) ، و« الشُّهداءُ السَّبعة » ، و« تاريخ باحسن » ، و« حاضر العالم الإسلامي » (٣/ ١٧٠ـ١٧١) .

(٢) **العوابِثة** : قبيلة معروفة ، الواحد منهم : عوبثانيٌّ .

(٣) **الوزيف** هو صغار السَّمك ، يجفَّف ويملَّح .

(٤) **العكظة** : بلهجة الحضارمة تعني : الزرع الذي يقطع ويبقى أصله (جذره) في التربة ، فينمو مرة أخرى عقب الجذاذ ، وفي المثل العامي : العِيْضهْ في العكظة .

(٥) « تاريخ شنبل » : (١٢٢) .

ثمَّ ٱستولىٰ عليها عوضُ بنُ عُمرَ بعدَ أَنِ ٱشترطَ عليهِ قبائِلُها ٱلإعفاءَ مِنَ ٱلضَّرائِبِ ، وإِبقاءَ عوائِدِهم .

وسُكَّانُها نحوُ ٱلألفِ نسمةٍ .

الغَيْلُ[1]

هوَ واقعٌ في شمالِ شُحَير ، وهوَ أَرضٌ واسعةٌ ، فيها عيونُ ماءٍ غزيرةٌ جاريةٌ ، عليها نخلٌ كثيرٌ ، وأَكثرُ ما يُزرَعُ عليها ٱلتَّبغُ ، وهوَ أَجودُ ما يكونُ ، يُرسَلُ منها إِلىٰ عدن وإِلىٰ مصرَ وإِلى ٱلحجازِ ، يَتَغالىٰ فيهِ أَهلُ تلكَ ٱلجهاتِ ؛ لأَنَّهُ مضربُ ٱلمثلِ في ٱلجودةِ ، ويكونُ لَهُ إِيرادٌ عظيمٌ .

و(ٱلغيلُ) منسوبٌ إِلىٰ : ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحيمِ باوزير ـ مولى ٱلدَّعامة ـ ٱبن عُمرَ ـ صاحبِ **ٱلغَيلِ ٱلأَسفلِ**[2] ، ٱلمسمَّىٰ **بغَيلِ عُمرَ** ، **وغَيلِ باسَوْدان** ـ ٱبنِ محمَّدٍ ـ صاحبِ عَرَف ـ ٱبنِ سالمٍ ـ ٱلمقبورِ **بٱلجُوَيب**[3] قريباً مِنْ حَورَةَ ـ ٱبنِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ ـ مولى المحَطَّة بٱلشِّحْرِ ـ ٱبن عُمرَ ٱبنِ ٱلشَّيخِ يعقوبَ بنِ يوسفَ باوزيرٍ مقدَّمِ تُربةِ ٱلمُكَلاَّ ، السَّابقُ ذِكرُهُ .

وفي الحكايةِ رقم (١٦٤) [١/ ١٩٠] مِنَ « ٱلجوهرِ ٱلشَّفَّافِ » للخطيبِ ما يُعرفُ منهُ أَنَّ هـٰذا ٱلغيلَ كانَ موجوداً مِنْ قَبلِ سَنةِ (٧٤٣هـ) ، ويتأَكَّدُ ذلكَ بأَنَّ وفاةَ ٱلشَّيخِ

---

(١) **الغَيلُ** : الشَّجر الملتفُّ ، أَو المكان المرتفع من الغابة الَّذي يأْوي إِليه الأَسد ، **والغَيلُ** : الماء الذي يجري علىٰ وجه الأرض ، وكلاهما مقصود هنا ، وقد صار الغيل عَلَماً على بلدة غيل باوزير هـٰذه .

(٢) يراد بالغيل الأَسفل : الَّذي داخل وادي حضرموت ؛ ٱحترازاً من الأَعلى الَّذي بالسَّاحل ، وهو الَّذي يجري الكلام عنه وعن تاريخه . وسُمِّي الغيل الأَسفل بغيل عمر نسبة للشَّيخ عمر بن محمَّد باوزير ، وهو في وادي عِدِم بكسر العين والدال المهملتين ، ونسب أَيضاً لآل باسودان ؛ لأَنَّهم كانوا يسكنون به قبل ولادة الشَّيخ عمر بن محمد باوزير الَّذي هو سبط آل باسَوْدان . كذا في « حدائق الأَرواح » (٤١١) (خ) .

(٣) **الجويب** : بقعة بحضرموت الدَّاخل بالقرب من حَورَة في وادي العين .

عبدِ ٱلرَّحيمِ بنِ عُمرَ باوزيرٍ كانت سَنةَ (٧٤٧هـ) ، وقدِ ٱختطَّهُ قَبلَ وفاتهِ بزمانٍ[١] .

وأَوَّلُ مَنْ بنىٰ بٱلغيلِ ٱلأسفلِ : ٱلشَّيخُ عُمرُ بنُ محمَّدِ بنِ سالمٍ باوزيرٍ ، سَنةَ (٧١٦هـ) ـ حَسَبَما يأتي عندَ ذِكْرِهِ .

وكانَ أَمرُ ٱلغيل لآلِ باوزيرٍ . وٱلعوابثةُ ٱلمَذْحِجيُّونَ ينتمونَ إِليهِم بٱلخدمةِ ويَذبُّونَ عنهُم[٢] .

وفي أَوائِلِ ٱلقرنِ ٱلتَّاسعِ : ٱستولَتْ علىٰ بعضِ ٱلأَمرِ فرقةٌ مِنَ ٱلعوابثةِ ، يقالُ لَهم : آلُ عُمرَ باعُمرَ[٣] ، فغلبوا آلَ باوزيرٍ علىٰ بعضِ ٱلنَّهي وٱلأَمرِ ، وكوَّنوا لَهُم دَولةً ـ أَو شبهَها ـ داموا عليها حتَّى ٱنقرضوا بٱلسُّلطانِ عوضِ بنِ عُمرَ ٱلقعيطيِّ ، علىٰ ما فصَّلناهُ بـ« ٱلأَصلِ » ، ونزيدُ هنا ما تلقَّيناهُ بعد عن ٱلمعمَّرينَ ومنهمُ : ٱلشَّيخُ صالحُ بنُ محمَّدِ بن أَحمدَ بنِ هُمامٍ صاحبِ ٱلغيل : أَنَّ ٱلذي سجنَهم ٱلقعيطيُّ من آل عمر باعمرَ مئتان ـ عبيداً وأَحراراً ـ ثمَّ إِنَّهُ أَطلقَ سراحَ ٱلعبيدِ ، وبقيَ في سجنهِ مئةٌ وخمسونَ كلُّهم أَحرارٌ ، فتمكَّنوا مِنَ ٱلهربِ بعدَ عامين إلاَّ أَحدُهم ؛ إِذْ لم يقدر على ٱلهربِ ، ووصلَ

---

(١) تقول المصادر الَّتي بين أَيدينا : إِنَّ الشَّيخ عبد الرَّحيم بن عمر قدم إِلى السَّاحل سنة (٧٠٦ هـ) ، باحثاً عن المنطقة الصَّالحة للإِقامة له ولعقبه من بعده ، فوقع ٱختياره على البقعة الَّتي تدعى الآن بغيل باوزير ، وقد بنى بها أَوَّل منزل لسُكناه غربيَّ مسجده الجامع المشهور ، ثمَّ حفر في النَّاحية الشَّمالية للمسجد غير بعيد منه أَشهر العيون بها. . . إِلخ . اهـ عن « صفحات من التَّاريخ الحضرميِّ » (١٠٩) .

(٢) يذبُّون : يدافعون .

(٣) آل عمر باعمر : تقول بعض الرِّوايات التَّاريخيَّة : إِنَّه في منتصف القرن التَّاسع الهجريِّ بالتَّقريب ، جاءَت ٱمرأَة من قبيلة العوابثة القاطنين في قارة ابن مَحْرَكَة شماليَّ الغيل إِلى الشَّيخ عبد الرَّحيم باوزير ، ومعها طفل رضيع بعد أَن توفي والده قبل أَن تلده أُمُّه ، وطلبت من الشَّيخ رعايته وكفالته ، فوافق ، وأَسماه : عمر بن عمر ، وفقاً لاسم والده المتوفَّىٰ ، ومع مرور الوقت أَصبح هـٰذا الاسم يلفظ (عمر باعمر) ، حسب اللَّهجة السَّيبانيَّة .

كبر عمر في رعاية الشَّيخ عبد الرَّحيم وٱشتدَّ عوده ، فقرَّر الرَّحيل إِلىٰ قرية بضة بدوعن ، واستقرَّ بها ، ثمَّ تزوَّج من إِحدىٰ كرائم الأُسر هناك . فأَنجبت له ولدين هما : شدَّاد ، وسعيد . وٱستمرَّ آل عمر باعمر في التَّكاثر من هـٰذين الجدَّين ، وكثرت ذرِّيَّتهم وانتشروا حتَّىٰ حدود وادي العين ، ليعودوا بعدها إِلىٰ غيل باوزير ويستقرُّوا بها ويشكِّلوا قوَّة سكَّانيَّة متميزة . عن « تاريخ الغيل » (٢٤ـ٢٥) ، وعن « تاريخ البكري » (١٥٣) .

خمسونَ منهم إلى ٱلمكلاَّ ، فأمِنوا عندَ ٱلنَّقيبِ ، وسارَ ٱلباقونَ عندَ صائلِ ٱلبحسني . . فغدرَ بهم ، وردَّهم إلى ٱلقعيطيِّ ، فأودعهم ٱلسِّجنَ ثانياً ، حتَّىٰ لم يبقَ منهم إلاَّ سبعةٌ أَطلقهم ، ولا يزالُ منهم بٱلغيل ٱليومَ نحوٌ من خمسةٍ وخمسينَ رجلاً بعائلاتِهم ، ونجعَ كثيرٌ مِنهم إلى ٱلسُّومال ٱلإيطاليِّ ؛ فيهِ منهم في ماركة ومقدشوه نحوٌ مِن ثلاث مئةٍ وخمسينَ رجلاً بعائلاتهم ، ولهم في ماركة مسجدانِ ، وفي مقدشوه مسجدٌ .

ومنهم : ٱلشَّيخُ سالمُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ سالمِ بنِ مساعدِ بنِ عمرَ باعمرَ ، وهو عالمهم ومدرِّسُ مسجدِهم بمقدشوه .

ومنهم في براوةَ من ٱلسُّومالِ ٱلإيطاليِّ أيضاً نحوُ متي رجلٍ ، عالمهم : ٱلشيخُ محمَّد بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ شدَّادٍ ، وهوَ من أخصِّ أصحابِ ٱلسَّيِّد عليِّ بنِ أبي بكر بنِ محمَّدٍ ٱلنَّضيريِّ وولدِهِ عيدروس ٱلآتي ذِكرُهما في قارَّة ٱلصَّناهجةِ .

ومنهم بماركة : الشيخُ سعيدُ بنُ أحمدَ بنِ مساعدٍ ، من تلاميذ ٱلشَّيخِ محمَّد بنِ عمرَ بنِ سِلْم ، توفِّي في حدودِ سنة (١٣٥٣هـ) .

ومنهم بها : ٱلشيخُ محمَّدُ بن عبدِ ٱللهِ بنِ مقدادٍ .

ومرجعُ ٱلعوابثِ في ٱلنَّسبِ[١] إلىٰ عَوبَثَان بنِ زاهرِ بنِ مرادِ بنِ مَذْحِجٍ .

وقد جَرتْ بينَهُم وبينَ ٱلسُّلطانِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ أخي بدرٍ بوطويرق[٢] حوادثُ في سَنةِ (٩١٩هـ) ، وقَتلَ منهُمُ ٱثنينِ وثلاثينَ ظلماً[٣] .

ثمَّ ساكنَهُم في ٱلغيلِ آلُ هُمامٍ[٤] مِنْ يافعٍ ، فغلَبوهُم بسطوةِ عشائرِهم علىٰ شيءٍ مِنْ أمرِ ٱلغيلِ[٥] .

---

(١) للتَّوسُّع ينظر : « أدوار التَّاريخ » (٣٧١) ، و« حضرموت » (١٥١ـ ١٥٢) . والعوابثة أقسام ؛ مِنهم : آل باعنس ، وآل بازور ، وآل الحيق ، وآل عمر باعمر .

(٢) السُّلطان محمَّد بن عبد الله بن جعفر الكثيريُّ ، تولَّىٰ سنة (٩١٠ هـ) بعد أبيه ، وتوفِّي بالشِّحر سنة (٩٧٥ هـ) كما في « تاريخ الشِّحر » لبافقيه (٣٨٨) .

(٣) « تاريخ شنبل » (٢٥٢) ، « تاريخ الدَّولة الكثيريَّة » (٣١) ، وفيه أنَّه قتلهم بظفار .

(٤) وهم من قبائل يافع السُّفلىٰ .

(٥) قدم آل همام في أوائل القرن الحادي عشر الهجريِّ تقريباً واستقرُّوا في النَّاحية الشَّماليَّة من الغيل ، =

وفي سَنةِ (٩٤٣هـ) : ٱبتدأَ ٱلسُّلطانُ بدرٌ بعمارةِ حُصْنِ غَيلِ باوزيرٍ[1] .

وقد أنجبَ ٱلغيلُ كثيراً مِنَ ٱلعلماءِ .

وجاءَ في ترجمةِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ أَبي بكرٍ ، ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (٨٩٥هـ) مِنَ « ٱلمَشْرَعِ »[٢/ ٤٧٠ـ ٤٧٥] أَنَّهُ : (رحلَ إلى ٱلشِّحْرِ وٱلغيلِ ، ومكثَ هناكَ أربعَ سنينَ ، يَقرأُ على ٱلفقهاءِ : آلِ باهارونَ ، وآلِ باعمَّارٍ ، وٱلفقيهِ محمَّدِ بنِ عليٍّ باعُدَيلةَ ، وٱلعلاَّمةِ إبراهيمَ بنِ محمَّدٍ باهرمزٍ ، وٱلفقيهِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ باغشيرٍ ، وعبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدٍ باغشيرٍ[2] ، وٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ باوزيرٍ) اهـ

وفي « ٱلبرقةِ » : أَنَّ ٱلشيخَ ٱلعالمَ ٱلعاملَ ٱلزَّاهدَ ٱلورِعَ ، عفيفَ ٱلدِّينِ عبدَ ٱللهِ بنَ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ باوزيرٍ كتبَ ٱلإِجازةَ لمؤلِّفها أَربعَ مرَّاتٍ .

وفي سَنةِ (٩٠٣هـ) : توفِّيَ بها ٱلفقيهُ ٱلعارفُ بٱللهِ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ أَحمدَ باجَرْفيل ٱلدَّوعنيُّ .

وقد أَوردَ سيِّدي ٱلأُستاذُ ٱلأَبرُّ إجازةً[3] منهُ للشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ أَبي بكرٍ بٱفضلٍ ٱلتَّريميِّ ، عَدَّ فيها بعضَ مشايخهِ ؛ كٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ ٱلعدنيِّ ٱبنِ عبدِ ٱللهِ ٱلعيدروسِ ، عن شيخهِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ باهراوه ، عن شيخهِ فضلِ بنِ عبدِ ٱللهِ بافضلٍ ، عن شيخهِ أَبي بكرِ بنِ محمَّدٍ عبَّادٍ .

ومِنْ مشايخِ باجَرْفيل : ٱلشَّيخُ سعيدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بابصيلٍ ، يَروي عن أَبي بكرِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ سالمٍ ، عنِ ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ أَبي بكرٍ عبَّادٍ .

= ونصبوا بها منازلهم الَّتي عرفت بحصون آل هُمَام . وهم أوَّل من قدم إلىٰ حضرموت من قبائل يافع . « تاريخ الغيل » (٢٦) .

(١) « تاريخ الطَّيِّب بافقيه » حوادث سنة (٩٤٣ هـ) (ص٢٣٨) .

(٢) آل باغشير بالغين المعجمة : غير آل باقشير ، الآتي ذكرهم في بور .

(٣) وهي برمَّتها في « عقد اليواقيت » (٢/ ١٢٠) .

ومِنْ مشايخهِ أيضاً : ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ مسعودٍ باشُكَيل ، عن ٱبنِ كِبَّن[1] ، وعن عُمرَ بنِ أَبي بكرٍ بانقيبٍ ، عن عليِّ بنِ عُمرَ باعفيفٍ .

ومِنْ مشايخهِ أَيضاً : ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عثمانَ باوزيرٍ وغيرُهُم .

وفي ٱلحكايةِ (٣٩٨) منَ « ٱلجوهرِ » [١٦٢/٢] : (أَنَّ ٱلفقيهَ أَبا بكرٍ باقَتِيل كانَ يَقرأُ تفسيرَ ٱلقرآنِ على ٱلشَّيخِ عُمرَ ٱلمِحضارِ بمسجدِ غيلِ باوزيرٍ) . ولا يزالُ بٱلغيلِ حتَّى ٱلآنَ ناسٌ مِنْ آلِ بافتيلٍ .

ومِنْ أَهلِ ٱلغيلِ : ٱلشَّيخُ ٱلجليلُ محمَّدُ بنُ أَحمدَ باحَمِيش ، كما ذكرَهُ ٱلسَّخاويُّ في « ٱلضَّوءِ ٱللاَّمعِ » [١٢٤/٧] ؛ إِذْ كانَ ترجمَ لَهُ فيهِ . ولا يزالُ بها وبٱلشِّحْرِ جماعةٌ منهُم .

ولا بأْسَ أَنْ نَعُدَّ ٱلعلاَّمةَ ٱلكبيرَ ٱلشَّيخَ محمَّدَ بنَ أَحمدَ بافضلٍ[2] مِنْ علماءِ ٱلغيلِ ؛ لأَنَّهُ ولدَ بتريمَ سَنةَ (٨٤٠هـ) ، ونشأَ بٱلغيلِ ٱلمذكورِ ، وٱشتغلَ في ٱلفقهِ علىٰ باعُدَيلة[3] ، ثمَّ دخلَ إِلىٰ عدنَ يقصدُ ٱلقاضي محمَّدَ بنَ أَحمدَ باحميشٍ ، ولَمَّا ماتَ . . جلسَ مجلسَهُ ، وٱقترنَ بٱمرأَتهِ . وكانت وفاتُهُ بعدن سَنةَ (٩٠٣هـ) .

قالَ ٱلسَّيِّدُ ٱلشَّريفُ محمَّدُ بنُ عمرَ ٱلطَّيِّبِ عمدةُ ٱلفتوىٰ بعدن : (وكان بينَهما مِنَ ٱلتَّوادِّ وٱلتَّناصُفِ ما هوَ مشهورٌ ، وفضائِلُ أَكثرُ مِنْ أَنْ تُحصَرَ ، وأَشهرُ مِنْ أَنْ تُذكرَ ، ومِن مؤلَّفاتِهِ : « العدَّةُ وٱلسِّلاحُ في أَحكامِ ٱلنِّكاحِ » لا مُستغنىٰ عنهُ لمن يتصدّىٰ لعقودِ ٱلأنكحةِ ، ولهُ شرحُ « ٱلمدخلِ » و« ٱلبرماويَّةِ » ، وكتابٌ علىٰ تراجم ٱلبخاريِّ بيَّنَ فيهِ

(١) هو الإمام محمَّد بن سعد بن كِبَّن الطَّبريُّ العدنيُّ ، المولود بها سنة (٧٧١ هـ) ، والمتوفَّىٰ بها سنة (٨٤٢ هـ) ، له مشيخة كبيرة ، ومن أَجلِّ شيوخه الإمام محمَّد بن سعد باشكيل ، والحافظ محمَّد بن الجزري ، وغيرهما ، وقد خرَّج له الحافظ النَّجم ابن فهد المكيُّ أَربعيناً موصولة الأَسانيد ، توجد بخط مؤلفها في مكتبة الحرم بمكَّة المكرَّمة .

(٢) صاحب المصنَّفات الشَّهيرة المباركة ؛ منها : « العدَّة والسِّلاح في أَحكام النِّكاح » ، وهو متداول بين أَهل العلم ، وعليه شرحان ، أَحدهما للإمام عبد الله بن عمر بامخرمة ، والآخر للفقيه الإمام محمَّد بحرق ، وله مصنَّفات أُخرىٰ . ينظر : « صلة الأَهل » ، و« النُّور السَّافر » .

(٣) اسمه : محمَّد بن عليٍّ .

مناسبةَ ٱلتَّرجمةِ للحديثِ ، ولهُ رسالةٌ في ٱلرُّبعِ ٱلمُجَيَّب ، وله « مختصرُ ٱلأنوارِ » ، وٱختصارُ « قواعدِ ٱلزركشيِّ » قالَ ٱلطَّيِّبُ بامخرمةَ : وغالبُ ظنِّي أنَّه مجدِّدُ قرنِهِ ، ودُفِنَ بتربةِ حافَّة ٱلبصَّالينَ بعدن) اهـ

ومِنْ أهلِ ٱلغيلِ : ٱلفقيهُ ٱلجليلُ محمَّدُ بنُ مسعودٍ باشكيل[1] ـ ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ في مشايخِ باجَزْفيلٍ ـ وقد رحلَ إلىٰ عدن ، وبها كانتْ وفاتُهُ .

ومنهُمُ : ٱلفقيهُ أحمدُ بارعيَّة ، تلميذُ ٱلعلاَّمةِ ٱبنِ حَجَرٍ ٱلهيتميِّ ، ولَهُ منهُ مكاتباتٌ كثيرةٌ نافعةٌ ، لا يزالُ مشايخُنا يوصونَ بقولهِ مِنْ أثناءِ إحداها : (فبٱللهِ عليكَ . . ثمَّ بٱللهِ عليكَ . . أنْ تجعلَ جُلَّ وقتِكَ ليلاً ونهاراً في ٱلبحثِ في ٱلفقهِ وٱلتَّحقيقِ ، وٱلتَّأمُّلِ وٱلتَّدقيقِ ، معَ نَشْرِهِ بينَ طالبيهِ وغيرِهم) أو ما هـٰذا معناهُ .

ومِنْ « خلاصةِ ٱلأثرِ » للمحبِّي [٤/٤٤٢] : (أنَّ آلَ بامَزْرُوع وآلَ بامَطْرَف قنازلةٌ ، وهُم فخذٌ مِنْ كِندةَ) .

وسيأتي لبعضِ ٱلقنازلةِ ذِكرٌ في قريةِ ٱلواسطةِ ، ٱلواقعةِ في شَمالِ ٱلعِجزِ مِنْ أسفلِ حَضْرَمَوْتَ .

وقد نَجعَ آلُ بامَطْرَفٍ مِنْ رَيْدَةِ ٱلصَّيْعَرِ إلى ٱلهَجْرَينِ ، وتَفقَّروا ، وتَركوا ٱلسِّلاحَ ، إلاَّ أنَّ آلَ مُسَاعِدٍ ـ على ٱلقولِ بأنَّهُم منهُم ـ عادوا إلىٰ حَمْلِهِ ، كما يُعرفُ ممَّا سيأتي في ٱلهَجرينِ ، ثمَّ ٱفترقوا في ٱلبلدانِ ، وٱختلَطوا في ٱلأعمالِ ، حتَّىٰ لقد كانَ جماعةٌ منهُم بمدودةَ خوّاصونَ[2] ونجّارونَ .

وأوَّلُ مَنْ نَجعَ مِنَ ٱلهَجرينِ إلى ٱلغيلِ مِنْ آلِ بامطرفٍ : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ أبي بكرٍ ، وكانَ صاحبَ يسارٍ ، فٱشترىٰ بٱلغيلِ أطياناً كثيرةً تُسقىٰ مِنْ مِعْيانِ ٱلحرثِ[3]

---

(١) المولود بالغيل سنة (٨٠٤ هـ) ، والمتوفّىٰ بعدن سنة (٨٧١ هـ) ، إمام جهبذ علاّمة ، له مصنَّفات شاهدة بعلوِّ كعبه ؛ منها : « شرح على المنهاج » في الفقه ، سلك فيه مسلكاً غريباً لم يعهد مثله ، ترجم له السَّخاوي في « الضَّوء » .

(٢) الخوّاص : الّذي يبيع الخوص ، والخوص : ورق النَّخل .

(٣) المعيان : بالدّارجة الحضرميَّة يقصد به : عين الماءِ ، أو النَّبع .

ٱلَّذي ٱشتراهُ أَيضاً ، ووقفَ جميعَ ذلكَ على ٱلبَطْنِ ٱلأعلىٰ ثمَّ ٱلأعلىٰ مِنْ ذريَّتهِ .

ولَمَّا ٱستولى ٱلقعيطيُّ علىٰ أَموالِ آلِ عمرَ باعمرَ . كانَ معيانُ ٱلحرثِ في جملةِ ما أَخذَ فيها ، وبٱنقطاعِ ٱلماءِ أَو قلَّتهِ عن أَوقافِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بامطرفٍ . . كادتْ تتلاشىٰ غِلالُهُ .

وفي سَنةِ (١٠٧١هـ) : كانَ ٱلقاضي بٱلغيلِ أَحدَ ذرِّيَّةِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بامَطْرَف ، وكانَ ٱلعلاَّمةُ أَحمدُ بنُ محمَّدٍ مؤذِّنُ باجمَّال يصفُهُ بٱلتَّهوُّرِ في قَبولِ الأَهِلَّة ، وهوَ أَوَّلُ مَنْ تولَّى ٱلقضاءَ منهُم ، ثمَّ تولاَّهُ ٱلفقيهُ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ أَحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ أَبي بكرٍ بامَطْرَف ، وكانت ولايتُهُ سنةَ (١١٠٠هـ) .

وممَّنْ تولاَّهُ منهُمْ : ٱلشَّيخُ بُوبَكْرِ بنُ محمَّدٍ بامَطْرف ، وكانتْ ولايتُهُ بٱلمُكَلاَّ سَنةَ (١٢٦١هـ) ، أَيَّامَ ٱلنَّقيبِ صلاحِ بنِ محمَّدٍ ٱلكساديِّ ، ولَهُ : « فتاوىٰ » موجودةٌ لدى ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلقادرِ بامطرفٍ ٱلموجودِ بٱلمُكَلاَّ ٱلآنَ ، وهوَ والدُ ٱلشَّيخِ محمَّدٍ عبدِ ٱلقادرِ بامَطْرَف[1] ، ٱلكاتبِ ٱلأَوَّلِ بإدارةِ ٱلمستشارِ بسيئونَ ، وهوَ ولدٌ نَبيهٌ ، سهلُ ٱلخُلُقِ ، بعيدُ ٱلغورِ[2] ، يُحبُّ ٱلمطالعةَ وٱلبحثَ .

ويُعجبني منهُ أَنَّهُ لَمْ يُقلِّدِ ٱلأَجانبَ في شيءٍ مِنْ أَزيائِهم وعاداتِهم ، معَ ٱنقطاعهِ إِليهِم وشدَّةِ ٱختلاطهِ بهِم ، وكانَ بمعيَّةِ ٱلنَّاسكِ ٱلعلاَّمةِ سيفِ ٱلإِسلامِ : ٱلحسينِ ٱبنِ ٱلإِمامِ ، يترجِمُ لهُ في وِفادتهِ إِلى ٱلجزائرِ ٱلبريطانيَّةِ ، وكانَ يحدِّثُنا عنهُ بما يُشَنِّفُ

---

(١) محمَّد بن عبد القادر بامطرف ، المؤرِّخ الأديب ، مولده بالشِّحر في (١٢) شعبان (١٣٢٣هـ) ، تلقَّىٰ دراسته الأوليَّة بمدرسة مكارم الأخلاق بالشِّحر ، والقانونية بعدن ، وواصل دراساته العليا بجامعة كامبردج بلندن ، والخرطوم بالسُّودان . تدرَّج في وظائف متعدِّدة ؛ منها : مترجم ، ومستشار ، وسكرتير للدَّولة القعيطيَّة ، فالكثيريَّة .له عدَّة مصنَّفات أدبيَّة وتاريخيَّة ، طبع منها (١٤) كتاباً ، وله دواوين شعر لم تطبع ، ومسرحيَّات أدبيَّة .

منح وِسام المؤرِّخ العربيِّ من اتِّحاد المؤرِّخين العرب ، كما نال وِسام الآداب والفنون عام (١٩٧٧م) . توفِّي رحمه الله بالمكلاَّ في (١٧) ذو القعدة (١٤٠٨ هـ) . « مدرسة مكارم الأخلاق ، ثمانون عاماً من الجهد والعطاء » (ص٤٥) .

(٢) **الغَوْرُ** : قعر كلِّ شيء ، وبعيد الغور : دقيق الاستنباط .

ٱلأسماعَ ، ولـٰكنَّهُ متىٰ وقفَ بهِ ٱلحالُ بينَ نصرةِ مظلومٍ ورضا وزيرِ ٱلدَّولةِ ٱلمحليَّةِ . . آثرَ ٱلثَّاني تمكيناً لمركزهِ بسيئونَ .

وقد رأىٰ عَيْنَ ٱلذِّئبِ[1] في ٱلمُكَرَّمِينَ : عُمرَ مُحَيرِز ، ومصطفىٰ رِفعَتْ[2] . وهوَ يَكرهُ ٱلرُّجوعَ إلى ٱلمُكَلاَّ ؛ إذْ كانَ وزيرُها ٱتَّهمَهُ بتهمةٍ برَّأَهُ ٱللهُ منها ، وظَهَرَ لَهُ تحاملُهُم عليهِ ، فحقَدَها عليهم ، ولَمْ يَبرحْ يكيدُ لدولةِ ٱلقعيطيِّ بكلِّ ما في وُسْعِهِ . وكثيرٌ مِنْ أَهلِ ٱلمُكَلاَّ يَجعلونَ ٱلفشلَ ٱلقعيطيَّ في مسأَلةِ ٱلحدودِ راجعاً إِلىٰ تلقينهِ ٱلكثيريَّ ٱلحجَّةَ .

توفِّيَ ٱلشَّيخُ بوبكر بنُ محمَّدٍ بامَطْرَف بٱلغيلِ سَنةَ (١٢٨٤هـ) .

وممَّنْ تولَّى ٱلقضاءَ منهُم : ٱلشَّيخُ عوضُ بنُ سعيدٍ بامَطْرَف ، تولاَّهُ بٱلشِّحْرِ في عهدِ آلِ بُرَيك ، وتوفِّيَ سَنةَ (١٢٨٧هـ) .

وٱلقاضي ٱلابتدائيُّ في ٱلمُكَلاَّ لهـٰذا ٱلعهدِ هوَ عبدُ ٱللهِ بنُ عوضٍ بامطرف .

ومِنْ أَواخرِ علماءِ ٱلغيلِ : ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عُمرَ بنِ بَكْرانَ بنِ سِلْم[3] ، كانَ رُكناً

---

(١) يقال : فلان رأى عين الذئب ، كناية عامية بمعنىٰ : رأى ما يعتبر به من النكال فتجنبه تهيباً .

(٢) عمر محيرز من أهالي المكلا ، ومصطفى رفعت من عدن ، وكلاهما كانا كاتبين في مكتب المستشار البريطاني في المكلا . وكان محيرز يسّرب أخبار المستشار إلى بعض أقاربه ، ويقوم بنشر الدعايات ضده ، فنكّل بهما انجرامس .

(٣) الشَّيخ الفقيه العلاَّمة محمَّد بن عمر بن سِلْم ولد علاَّمة عصره وفريد مصره بالشِّحر في حارة تسمىٰ : حارة عيديد ، من أُسرة عرفت بالنُّبل والفضل ، ونسبُ آلِ آبن سلم في العقيليِّين كما يقول بعض المؤرِّخين . تلقَّىٰ مبادىءَ العلوم علىٰ يد شيخه الفقيه الشَّيخ ناصر بن صالح آبن الشيخ عليٍّ ـ اليافعيِّ ـ ولازمه مدَّة طويلة ، وكانت وفاة الشَّيخ ناصر سنة (١٣٠٠ هـ) . سافر الشَّيخ محمَّد إلىٰ مصر لطلب العلم ، ودرس في الأزهر الشَّريف ، ويخمن الأُستاذُ سعيد باوزير أَنَّ رحلته ابتدأت سنة (١٣٠٦ هـ) ، وكانت عودته سنة (١٣١١ هـ) ؛ أَخذاً من تاريخ الإجازة الَّتي حصل عليها من الأَزهر . وبعد عودته من مصر . . خرج إلىٰ وادي حضرموت ، ولقي به عدداً من الشُّموس المضيئة ، علىٰ رأْسهم سيِّدنا الإمام عيدروس بن عمر الحَبْشيُّ ، والإِمامان : أَحمد بن حسن العطَّاس ، وعليُّ بن محمَّد الحَبْشيُّ . وقام المترجَم بتأسيس رباط العلم بغيل باوزير سنة (١٣٢٠ هـ) ، وتخرَّج من تحت يده كبار العلماءِ والمرشدين ، والفقهاءِ والقضاة . وقد انبعث عن هـٰذا الرِّباط أكبر حركة علميَّة فقهيَّة عرفتها السَّواحل الحضرمية علىٰ مرِّ أَزمانها ، وكلُّ الموجودين اليوم من علماءِ السَّاحل الحضرميِّ يدينون بالولاءِ العلميِّ لصاحب التَّرجمة ، وإليه ترجع أسانيدهم وطرق أخذهم . توفِّي الشَّيخ محمَّد بن=

ركيناً مِنْ أركانِ ٱلعِلْمِ ، لَهُ وفاداتٌ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ ، ثافنَ[1] فيها ٱلعلماءَ ، وأَخذَ فيها عنْ مُسْنِدِ حَضْرَمَوْتَ ـ بلِ ٱليَمنِ ، بلِ ٱلدُّنيا ـ سيِّدِنا ٱلأُستاذِ ٱلأبرِّ عيدروسِ بنِ عُمرَ ٱلحبشيِّ ، ولعلَّ ذلكَ في حدودِ سَنةِ (١٣١١هـ) .

وكانَ معَهُ في تلكَ ٱلقدمةِ ٱبنٌ لَهُ منوَّرُ ٱلقلبِ ، صافي ٱلسَّريرةِ ، مستوقدُ ٱلذَّكاءِ ، يحفظُ عدَّةً مِنَ ٱلمتونِ علىٰ صغرِ سِنِّهِ ، ولـٰكنَّهُ نُغِّصَ شبابُهُ فماتَ عبطةً[2] مرجعَهُ مِنْ حَضْرَمَوْتَ .

ويقالُ : إنَّ سببَ موتهِ ٱنبهارُ قَلْبِهِ ممَّا رأىٰ مِنَ ٱلأشعَّةِ ٱلنُّورانيَّةِ علىٰ غرَرِ ٱلسَّادةِ ٱلأجلاَّءِ بحَضْرَمَوْتَ ؛ كـٱلسَّادةِ عبدِ ٱللهِ بنِ عُمرَ بنِ سُميطٍ ، وٱلأُستاذِ ٱلأبرِّ عيدروسِ بنِ عُمرَ ، وعبدِ ٱللهِ بنِ حسنٍ ٱلبحرِ ؛ إِذْ كانَ رآهُم مجتمِعينَ في حفلٍ مشهودٍ فٱنشقَّتْ مرارتُهُ ، فعظُمَ عليهِ وَجْدُ أَبيهِ .

وٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عُمرَ بن سِلْم هوَ مؤسِّسُ رباطِ ٱلغيلِ ، وكانت وفاتُهُ سَنةَ (١٣٢٩هـ) ، وٱبنُهُ أَحمدُ ٱلآنَ مِنْ مشاهيرِ ٱلرُّوَاقِ ٱليمانيِّ بٱلأزهرِ ٱلشَّريفِ .

وآلُ ٱبنِ سِلْم بيتُ عِلْمٍ وصلاحٍ ، منهُمْ : ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ سِلْم ، تلميذُ سيِّدِنا عبدِ ٱللهِ باعلويٍّ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (٧٣١هـ) .

وفي ٱلغيلِ ٱلمذكورِ جماعةٌ مِنْ أَعقابِ ٱلسَّيِّدِ أَبي نُميٍّ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخِ بنِ عليٍّ ٱلمندرجِ ٱبنِ فدعقَ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ ٱمْباركِ بنِ عبدِ ٱللهِ وَطَبْ ، منهُمُ ٱلآنَ :

ٱلفاضلُ ٱلسَّيِّدُ محسنُ بنُ جعفرِ بونُميٍّ[3] ، فقيهٌ ذكيٌّ بحَّاثةٌ ، تولَّى ٱلقضاءَ بٱلمُكلاَّ وٱلغيلِ مرَّاتٍ .

= عمر بن سلم في (٦) محرم (١٣٢٩ هـ) ، عن أربعة وخمسين عاماً رحمه الله تعالىٰ . ينظر « صفحات من التَّاريخ الحضرميّ » (٢٠١ـ٢١٣) .

(١) ثافنَ : لازم .

(٢) يقال : مات فلان عبطة . . أي شاباً سليماً لم تصبه علَّة .

(٣) السَّيِّد محسن بن جعفر بونمي ، مولده بغيل باوزير سنة (١٣٠٦ هـ) ، وكان من أوائل الطَّلبة الملتحقين برباط الغيل عند افتتاحه سنة (١٣٢٠ هـ) ، وكان من أبرزهم استفادة وحرصاً علىٰ دروس العلاَّمة ٱبن سِلْم ، فتوسَّعت معلوماته الفقهيَّة واللُّغويَّة ، إلىٰ شغفه بالقراءة والمطالعة ، حتَّىٰ لا يكاد يُرىٰ إلاَّ وفي يده كتاب . وكان ينفق علىٰ شراءِ الكتب بسخاءٍ نادر ، ويبحث عن القيِّم منها والجيِّد ، فكان يحوز علىٰ مكتبة عامرة بشتَّى العلوم والفنون . وصار بعد ذلك مرجعاً للفتوىٰ والاستشارات =

وهوَ ٱلآنَ مديرُ رباطِ ٱلغيلِ ، وهوَ أفقهُ رجالِ ٱلسَّاحلِ وبما أنَّ مدارسَهم ـ علىٰ ما ذكرنا مِن نظامِها ـ محدودةَ ٱلمعارفِ . . فما إلاَّ عليهِ يتخرَّجُ مَنْ يُرشَّحونَهُ لِلقضاءِ ـ وفيهِم كثرةٌ ـ إلاَّ أنَّهُ لا يعامَلُ بمقتضىٰ ما يستحقُّ ؛ فإنَّ مرتَّبَهُ ٱلشَّهريَّ لا يَبلغُ ٱلمئةَ ٱلرُّوبيَّةِ ، معَ أنَّ عائِلاتهِ[1] تقاربُ ٱلأربعينَ نَفْساً .

غيرَ أنَّ ٱلشَّيخَ ٱلفاضلَ سعيدَ ٱلقدَّالَ يَعرفُ لَهُ فضلَهُ ، ويَسعىٰ في ترفيهه ، ولقد صدقَ ٱلَّذي يقولُ : (إنَّما يَعرفُ ذا ٱلفضلِ ذَووهُ) .

وكانَ بٱلغيلِ جماعةٌ مِنْ ذُرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ محمَّدٍ عيديد ، لا أدري أيوجدُ ٱلآنَ بهِ أحدٌ منهُم ، أم لا ؟

وكانَت بٱلغيلِ مدرسةٌ للسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ جعفرٍ ٱلعطَّاس ، وهوَ رجلٌ غزيرُ ٱلعلمِ وٱلعبادةِ ، صحيحُ ٱلتَّقوىٰ وٱلزَّهادةِ ، وكانَ لهُ إخوانٌ فتحَ ٱللهُ عليهم أبوابَ ٱلرِّزق بجاوةَ ، فبعثوا لهُ برسالةٍ معَ خمسِ مئة ريالٍ فرانصة . . فأمرَ أحَدَ تلاميذهِ بٱلجوابِ ، وشكرَهم على ٱلرِّسالةِ ، وفرحهِ بعافيتِهم ، وإرجاعِ ٱلدَّراهمِ إليهم ، وٱلإشارة بأن يتابعوا ٱلرَّسائِلَ بدونِ صلةٍ ماليَّةٍ ، فلم يرَ ٱلتِّلميذُ ردَّها ، بل أرسلَها إلىٰ مَن يشتري بها مالاً للسَّيِّد محمَّدٍ بحريضة ، وهـٰكذا يفعلُ بما تواترَ بعدَها مِنَ ٱلصِّلاتِ ، حتَّى ٱجتمعَ

= القضائيَّة ، وأناط المجلس العالي برئاسة الشَّيخ عبد الله عوض بكير ـ بصاحب التَّرجمة مهمَّة تخريج القضاة وتدريبهم ، فكان ممَّن تخرَّج علىٰ يديه في (كورسات القضاء) وفيما يلي بعض أسماء أعلام أُولئك القضاة علىٰ حسب ترتيبهم :

فمن الكورس الأوَّل : القاضي سعيد بن عليٍّ بامخرمة ، وعبد الله عوض بامطرف ، والسَّيِّد مصطفى بونميٍّ ابن المترجَم . ومن الكورس التالي : السَّيِّد عبد الله محفوظ الحدَّاد ، والشَّيخ عبد القادر الحاج ، وعبد الله بن عليٍّ بامخرمة ، وسالمين بن سرور . ومن الكورس التالي : الشَّيخ سعيد بالزُّعيَّة ، والسَّيِّد عليٌّ المديحج ، وسالم بامخرمة . ومن الكورس التالي : السَّيِّد محمَّد رشاد البيتي ، وسعيد علي سلومة . ومن الكورس التالي : السَّيِّد حسين المديحج ، والسيد أحمد عيديد ، وسعد بانكيل . هـٰذا ما ذكره العلامة السَّيِّد رشاد البيتي حفظه الله ، وقد نسي بعضهم . وكانت وفاة السَّيِّد محسن . . بغيل باوزير في شعبان (١٣٧٩ هـ) ، ودفن بجوار ضريح شيخه ٱبن سِلْم . « شذور من منجم الأحقاف » (١٠٦ـ١٠٨) .

(١) عائِلاته : من يعولهم وينفق عليهم ، وهو بهـٰذا يشير إلىٰ أنَّ السَّيِّد محسناً كان يعيل أكثر من أُسرة ؛ إذ كان متزوجاً بأربع نسوة ، وله من كلٍّ واحدة نسل مبارك .

لَهُ مِن ذلكَ مالٌ دَثْرٌ[1] ، وكلَّما جاءَت رسالةٌ . . قرأَها عليهِ ، وكفَّ عن ذكرِ ٱلصِّلةِ ، وهوَ معَ ثقتِهِ بِٱلتِّلميذِ وشُغلِهِ بربِّهِ لا يباشرُ قراءةَ ٱلكُتُبِ ، وفِي آخرِ أَمرِهِ . . طالعَهُ بِٱلحالِ ، فعاتبَهُ يسيراً ، ثم وقفَ ذلكَ ٱلمالَ علىٰ أَولادِهِ سوَاءٌ فيهم ٱلذَّكرُ والأُنثىٰ ، وٱلعالي وٱلسَّافلُ ، لا ينقطِعُ إلاَّ نَصيبُ مَن يموتُ ، ولا يزالُ يصلُ للسَّيِّد بو بكر بنِ حسنٍ صاحبِ ٱلحديدة ٱلآتي ذكرُهُ في ٱلرِّباطِ ، يصلُ نصيبُهُ ونصيبُ أَولادِهِ ممَّا يفضلُ عن أَيدي ٱلعابثينَ من غلاَّتِ ذلكَ ٱلوقفِ .

وإلىٰ جانبِ ٱلغيلِ ٱلشَّرقيِّ : ٱلرُّقيميُّ وٱلسَّاحةُ ٱلَّتي حواليهِ ، وهيَ إقطاعٌ مِنَ ٱلسُّلطانِ عمرَ بنِ جعفرٍ ٱلكثيريِّ لهمَّام بنِ سعيدِ بنِ همَّامٍ ، ولا يزالُ بيدِهم أَصلُ ذلكَ ٱلإقطاعِ ، وفي أَولِهِ ٱلبسملةُ ، وعن يمينِها ٱلخاتمُ ، وعن يسارِها ٱلإمضاءُ ، ونصُّه بخطِّه : عمرُ بنُ جعفرٍ أَشهد الخط أَنتَ ؛ لأَنَّ العمدةَ عليكَ بأَنَّا أَعطينا ٱلنَّقيبَ همَّامَ بنَ سعيد بنِ همَّامٍ ٱلرُّقيميَّ وٱلسَّاحة ؛ الصائِرةَ إليهِ بٱلمشترىٰ ، وملَّكناهُ ذلكَ تمليكاً شرعيّاً في مقابلِ مصاريفَ منكسرةٍ لأَولادهِ في بيتِ ٱلمالِ ، يعتمدُ ذلكَ ٱلواقفُ عليهِ مِنَ ٱلعمَّالِ وٱلخدَّام ، ومَن خالفَ . . فلا يلومَنَّ إلاَّ نفسَهُ ، ثاني شهر ٱلحجةِ ٱلحرام سنة (١١٢٤هـ) .

وفيه ذكرُ بعضِ ٱلحدودِ ؛ فبحريّاً : دارُ أَحمدَ بنِ عمرَ بنِ بو بكرٍ ، وشرقياً : ٱلسَّاقيةُ . وفيهِ خرمٌ أَصلحناهُ بٱلذَّوقِ . وٱللهُ أَعلمُ .

وفي أَخبارِ ٱلفتنِ ٱلَّتي بينَ ٱلقعيطيِّ من جهةٍ وآلِ كثيرٍ وٱلعولقيِّ منَ ٱلأُخرىٰ : أَنَّ آلَ كثيرٍ وآل عمرَ باعمرَ وٱلعوالقَ . . أَحاطوا بثمانينَ من عبيدِ ٱلقعيطيِّ ، يرأَسُهم عنبرُ عُبَيدٍ ، ولمَّا أَشرفوا على ٱلأَسرِ أَوِ ٱلهلاكِ . . ٱستغاثوا بهمَّام بنِ ٱمباركٍ وجماعتِهِ آلِ همَّامٍ أَصحابِ حصنِ ٱلرقيميِّ ، وبقيَت مدافعُ آلِ كثيرٍ وٱلعولقيِّ وأَلفافِهم أَربعةَ أَشهرٍ وهيَ تدوِّي عليهِم ، تُبَاكِرُهم وتماسِيهم .

وفي ٱلغيلِ مدرسةٌ داخليَّةٌ ، كلُّ نفقاتِها على ٱلحكومةِ ٱلقعيطيَّةِ ، تسمىٰ : (الوسطى) لارتفاعها عنِ ٱلتَّعليمِ ٱلابتدائيِّ ، وقُصورِها عَنِ ٱلتَّعاليمِ ٱلعاليةِ ، غير أَنَّ ٱلحكومةَ ترسلُ ٱلبعثات مِن خرِّيجيها إلى ٱلشَّامِ وٱلسُّودانِ ؛ ليتمِّموا بها دراستَهم ،

---

(١) مال دَثْرٌ : كثيرٌ .

وهي ٱلآنَ تضمُّ بينَ جُدْرَانِها زهاءَ ٱلمئةِ وٱلخمسينَ طالباً . ومحلُّها ٱلمؤَقَّتُ قصرُ ٱلأميرِ مُنصَّرِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ ٱلقعيطيِّ ، ٱلَّذي سمَّاهُ : (الأزهر) .

وممَّا يستحقُّ ٱلإعجابَ : أنَّ ٱلمنازلَ ٱلعليا مِن ذلكَ ٱلقصرِ مخصَّصةٌ للتَّدريسِ وٱلطَّلبةِ ، وأَمَّا ٱلمنازلُ ٱلسُّفلىٰ . . فللماليَّةِ وللمحاكمِ ٱلعرفيَّةِ وٱلشَّرعيَّة . ورفعُ ٱلتَّعليمِ على ٱلأُوليين مليحٌ ، وأَمَّا على ٱلأخيرَة . . فلا .

النَّقْعَة[1]

هيَ في شمالِ ٱلغَيلِ إلىٰ جهةِ ٱلغرب .

والنَّقْعةُ ـ كما في « فتحِ ٱلرَّحيمِ ٱلرَّحمـٰنِ » للشَّيخِ عُمرَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ صاحبِ ٱلحمراءِ ـ : (في عُرفِ أَهلِ ٱليَمنِ مرادِفٌ للحَوطَةِ في ٱصطلاحِ أَهلِ حَضْرَمَوْتَ) .

وأَوَّلُ مَنْ سكنَها : ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ سعيدِ بنِ محمَّدٍ باوزير ، صاحبِ عَرَف . وآلُ باوزير أَهلُ ٱلنَّقعةِ ٱلمذكورةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ .

وممَّنْ كانَ يَسكنُها : ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ علويِّ بنِ محمَّدٍ صاحبِ (مِرباطَ) ٱلعلويُّ[2] ، وبها كانَ موتُهُ ودفنُهُ .

وكانَ يكتفي لخَرْجِه بثمرةِ شجرةٍ واحدةٍ بها مِنَ ٱللَّيمونِ ، وفي ذلكَ دلالةٌ علىٰ حُسنِ تُربتِها وبركةِ عيشتِها .

وفي « ديوانِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلصَّمدِ باكَثِير »[3] ذِكرُ واقعةِ ٱلنَّقعةِ بينَ آلِ ٱلعموديِّ وآلِ

---

(١) هـٰذه هي النقعة القديمة وهي بلدة كبيرة تتبع مديرية المكلا ، وباسمها سميت نقعة آل جنيد التي في حضرموت الداخل قرب حوره .

(٢) وهو المعروف بالنَّقعي في كتب الأَنساب والطَّبقات ، مولده بتريم ووفاته بالنَّقعة ، أَخذ عن والده الفقيه أَحمد المتوفَّىٰ بتريم سنة (٧٢٠ هـ) ، وصحب جماعة من العارفين ، وكان زاهداً متقلِّلاً من الدُّنيا ، واختار العزلة عن أَبناءِ زمانه ، وأَقام بالنَّقعة وتخلَّىٰ للعبادة ، وكان يزرع اللَّيمون ، وكان يجني من ثمار اللَّيمون أَلف حبَّة ، ينفق ثمنها في وجوه البرِّ ، وله كرامات ، ولم يؤَرَّخ لسنة وفاته ، إلاَّ أَنَّها في النِّصف الثَّاني من القرن الثَّامن الهجري . « المشرع » (١/ ١٧٢ـ١٧٣) .

(٣) عبد الصَّمد باكثير ؛ علاَّمة فقيه ، شاعر أَديب ، مولده بتريس سنة (٩٥٥ هـ) ، ووفاته بالشِّحر سنة (١٠٢٥ هـ). ترجمته موسَّعة في « البنان المشير » (٦٢ـ٧٣) ، وفي « خلاصة الأَثر » (٢/ ٤١٨) ، =

كثيرٍ ، وهيَ ٱلَّتي كانَ فيها قَتْلُ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلعموديِّ علىٰ يدِ ٱلسُّلطانِ عُمرَ بنِ بدرٍ بوطويرق[1] ، وقد هنَّأَهُ عبدُ ٱلصَّمدِ بقصيدتهِ ٱلمستهلَّةِ بقولهِ [مِنَ ٱلبسيط] :

اللهُ أَكْبَـــرُ هَـٰــذَا ٱلْفَـــوْزُ وَٱلظَّفَـــرُ   فَتْحـاً مُبِينـاً مَـعَ ٱلتَّـأْيِيـدِ يَـا عُمَـرُ[2]

وعلى ٱسمِ هـٰذهِ ٱلنَّقعةِ كانت نقعةُ آلِ جُنَيدٍ[3] ٱلواقعةُ شماليَّ حَوره بٱلكسْرِ .

وفي حوادثِ سَنَةِ (٩١٧هـ) مِنْ « تاريخ شنبل » [ص٢٤٧] : (أَنَّ ٱلعوابثةَ قطعوا بعضَ خريفِ ٱلنّقعةِ[4] وغيلِ باوزيرٍ ، وعطَّلوا ٱلحرثَ) .

ومِنْ فضلاءِ ٱلنّقعةِ : ٱلعالِمُ ٱلعاملُ ٱلمعمَّرُ ٱلشَّيخُ سالمُ بنُ محمَّدٍ باوزيرٍ[5] ، وُلِدَ

= و« ملحق البدر الطّالع » (١٢١) ، و« الأعلام » (٤/ ١١) ، و« سلافة العصر » (٤٣) .

أَمّا « ديوان عبد الصَّمد » . . فمنه نسخة بمكتبة الشَّيخ محمَّد بن محمَّد باكثير ، مؤلِّف « البنان » ، آلت إلىٰ ابنه عمر (ت ١٤٠٥ هـ) ، ولعلَّها محفوظة عند ورثتهما ، وذكر الشَّيخ محمَّد أَنَّ الحبيب عليّاً الحَبْشيَّ لديه نسخة منه .

وفي « مصادر الفكر الإسلاميِّ » (٣٧٢) : أَنَّ نسخة آل باكثير آلت إلىٰ الأديب محمَّد عبده غانم ، ومنه نسخة أُخرىٰ بمكتبة عارف حكمت بـ(المدينة المنوَّرة) علىٰ ساكنها الصَّلاة والسَّلام ، صوَّرتها جامعة الملك سعود بالرياض .

ومن المصادر الَّتي تحدَّثت عن عبد الصَّمد وشعره : « تاريخ الدَّولة الكثيريَّة » (٦٤ـ٦٦) ، و« نشر النَّفحات المسكيَّة » لباحسن ، « الحركة الأدبيَّة في حضرموت » للصَّبّان (٨٨ـ٩٣) .

(١) السُّلطان عمر ابن السُّلطان بدر بوطويرق ، وخليفته من بعده ، كان عالماً فاضلاً عادلاً حَسَبَما تقول المصادر ، له سياسة مرضيَّة ، وأَخلاق سويَّة ، توفِّي سنة (١٠٢١ هـ) . وقد كان الشَّيخ عبد الصَّمد يكنُّ له حبّاً جمّاً ، وله قصائد كثيرة فيه ، مدائح ومراثٍ ، تسمَّىٰ بـ : « العمريَّات » ، ينظر المراجع الَّتي سبق ذكرها في ترجمة عبد الصَّمد .

(٢) ويلي هـٰذا البيت قوله :

فَمَــنْ رَعَتْــهُ عنَــايَــاتُ ٱلإِلَـٰــهِ فَــلاَ   يَخْـشَ ٱلْمعَـادِيْـنَ إِنْ قَلُّـوْا وَإِنْ كثُـرُوْا
مَــنْ كَــانَ مُعْتَصِمــاً بِــٱللهِ كَــانَ لَــهُ   عَــوْنــاً وَسَــارَ بِمَــا يَخْتَــارُهُ ٱلْقَــدَرُ
وَكُــلُّ بَــاغٍ فَــإِنَّ ٱللهَ خَــاذِلُــهُ   وَلَــمْ يَفُــزْ مَــنْ بِغَيْــرِ ٱللهِ يَنْتَصِــرُ

(٣) آل جنيد أَحد بيوت آل باوزير .

(٤) الخريفُ : الثَّمر الَّذي يُجنىٰ في فصل الخريف ، ولا يراد به عند الحضارمة سوى الرُّطَب .

(٥) الشَّيخ سالم بن محمَّد باوزير (١٢٠٠ـ١٣١٨ هـ) ، ولد بالنَّقعة وبها توفِّي ، ورحل إلىٰ مصر والشَّام وفلسطين ، وأَقام بالحرمين مجاوراً (١٤) عاماً في مكَّة ، و(٧) سنين في المدينة المنوَّرة علىٰ ساكنها الصَّلاة والسَّلام ، ثمَّ عاد إلى الشِّحر . ترجمته في : « تعليقات السَّقّاف على رحلة الأشواق=

بها ، وطَلَبَ ٱلعلمَ بٱلشِّحْرِ وحَضْرَمَوْتَ وٱلحجازِ ومصرَ وٱلشَّامِ ، وأَقامَ مدَّةً طويلةً يَنشرُ ٱلعِلْمَ بٱلشِّحْرِ ، ثمَّ عادَ إلى ٱلنّقعةِ ، وبها توفِّيَ سَنَةَ (١٣١٨هـ) عن مئةٍ وستَّةَ عشرَ ربيعاً تقريباً ، وكانَ متمكِّناً مِنْ علمِ ٱلأوفاقِ وٱلحروفِ .

ٱلقارةُ

وبإزاءِ ٱلنّقعةِ وشَمالِ ٱلغيلِ إلىٰ جهةِ ٱلشّرقِ في غَربيِّ ٱلحَزْمِ . . قريةٌ يقالُ لَها : ٱلقارةُ ، لا يزالُ بها جماعةٌ مِنَ ٱلعوابثةِ ، وآلِ عُمرَ باعمرَ ، وآلِ بُكَيرٍ ، وأَصلُهم مِنَ ٱلرُّبَيدَةِ ٱلقريةِ ٱلّتي في شمالِ بَورٍ إلى ٱلغربِ في أَطرافِ وادي مدرٍ ، يحترفونَ بإثارةِ ٱلأَرضِ وبناءِ المساقي .

ومِن آلِ بُكَيرٍ أَصحابِ ٱلقارةِ : قاضي ٱلقضاةِ ٱلآنَ : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ عوضٍ بكير[١] ، وهوَ رجلٌ دَمِثُ ٱلأَخلاقِ[٢] ، بعيدُ ٱلقعرِ[٣] ، مرنٌ ، هَشٌّ بَشٌّ ، ولَهُ ٱبنٌ يُسمَّىٰ عبدَ ٱلرَّحمـٰنِ[٤] ، ذكيٌّ ، نَبيهٌ ، لَهُ شِعرٌ جميلٌ .

= القوية » (٤) وفيه : أنَّه توفي عن (١١٨) سنة .

(١) الشَّيخ العلاَّمة عبد الله عوض بُكَير . عالم ، فقيه ، قاضٍ ، ولد بغيل باوزير سنة (١٣١٤هـ) ، وانتقل في سنٍّ مبكِّرة إلى القارة حيث قرأ بها القرآن في كُتَّاب صغير بالقرية ، ثمَّ بدأ دراسته على الشَّيخ عمر أمبارك بادبَّاه في قرية الصُّداع ، وأكب على القراءة والمطالعة في العلوم الشَّرعيَّة ، لا سيَّما الفقه . التحق بخدمة القضاء الشَّرعيِّ في الدَّولة القعيطيَّة سنة (١٣٥١هـ) ، وتقلَّب في الوظائف حتَّىٰ صار رئيس القضاة الشَّرعيِّين عام (١٣٥٦ هـ) . وتطوَّر القضاءُ في عهده ، وامتازت أيَّام رئاسته للقضاءِ الشَّرعيِّ بإصلاحاتٍ هامَّة ، واتَّسع نطاق المحاكم الشَّرعيَّة ، وتضاعف نفوذها وسلطانها ، وأصبحت كلُّ منطقة في السَّلطنة تختصُّ بمحكمة شرعيَّة وقاض شرعيٍّ . وهو الَّذي طلب من العلاَّمة السَّيِّد محسن بونمي أن يقوم بتدريب فريق من القضاة ويشرف عليهم ، فكان نظام الكورسات الَّذي قدَّمنا الحديث عنه ، وأرسل بعضاً من النَّابهين لإكمال دراستهم في السُّودان ؛ منهم : ابنه الشَّيخ عبد الرَّحمـٰن ـ الآتية ترجمته ـ والسَّيِّد عبد الله محفوظ الحدَّاد . له مصنَّفات ناقصة ، توفِّي رحمه الله سنة (١٣٩٩ هـ) . عن كتاب « شذور من مناجم الأحقاف » (١٠٣ـ١٠٦) .

(٢) **دمث الأخلاق** : ليِّن الأخلاق .

(٣) **بعيد القعر** : بعيد الغور ؛ أي : دقيق النَّظر .

(٤) الشَّيخ عبد الرَّحمـٰن بن عبد الله بكير . ولد بقرية الصداع سنة (١٣٤٢هـ) ، ودرس علىٰ يد والده ، وعلىٰ عدد من علماءِ السَّاحل ، رحل إلى السُّودان لدراسة الشَّريعة بجامعة الخرطوم ، وحصل على=

وبِٱلقارةِ ٱلمذكورةِ ناسٌ مِنْ آلِ باعَمْروه ، وآلِ باسُوَيدٍ ، وآلِ بايُمَين ، وآلِ بَالجَعْدِ .

وفيها عيونٌ غزيرةٌ ، ٱستأْثرَ ٱلغيلُ بِنسْبَتِها إِليهِ لاشتهارهِ وخمولها ، كما ٱستأْثرَ ٱلمَخَا بِبُنِّ ٱليَمنِ ؛ لاشتهارِهِ بِهِ مِنَ ٱلقديمِ ، معَ أَنَّهُ لا يوجدُ بِهِ شيءٌ منهُ ٱلآنَ .

ويقالُ : إِنَّ ٱلقارةَ أَقدمُ مِنَ ٱلغيلِ ، وإِنَّ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱلرَّحيمِ باوزيرٍ كانَ يجلبُ ٱلأَكَرَةَ مِنها ؛ لبناءِ مسجدِهِ بِٱلغيلِ .

وفيها جامعٌ منسوبٌ للسَّيِّدِ عليِّ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلمغْربيِّ ، يقالُ : إِنَّهُ بناهُ في ٱلقرنِ ٱلثَّامنِ .

وكانَ أَهلُها ـ مِنَ ٱلعوابِثةِ وغيرِهِم ـ في ليلٍ حالكٍ مِنَ ٱلجهالةِ ، فما زالَ ٱلمغْربيُّ ٱلمذكورُ يَنشرُ فيهِم دعوةَ ٱلإِسلامِ ، ويُعلِّمهُم مبادئَهُ ، حتَّى ٱنكشفَ عنهُم ليلُ ٱلجهلِ ؛ إِذْ صادفَتْ دعوتُهُ ثرىً طيِّباً ، ونفوساً سليمةً . وقد قالَ يزيدُ ٱبنُ ٱلطَّثْرِيَّةِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

أَتَـانِـي هَـوَاهَـا قَبْـلَ أَنْ أَعْـرِفَ ٱلْهَـوَىٰ ... فَصَـادَفَ قَلْبـاً خَـالِيـاً فَتَمَكَّنَـا

ٱلحَزْمُ وصَدَاعُ

هوَ أَرضٌ واسعةٌ مِنْ أَعمالِ غيلِ باوزيرٍ ، كانتْ بها عَيْنُ ماءٍ وَشِلَةٌ[1] ، فما زالَ ٱلأَميرُ عبدُ ٱللهِ بنُ عليٍّ ٱلعولقيُّ في علاجِها حتَّى ٱنبثقتْ ماءً غزيراً ، وفيهِ ٱليومَ معيانانِ ، ولَهُ جامعٌ .

ومِنْ سكَّانهِ : ٱلشَّيخُ ٱلصَّالحُ ٱلمعمَّرُ عُمَرُ بادُبَّاه[2] ، يقالُ : إِنَّ سِنَّهُ ٱليومَ ينتهي إِلىٰ مئةٍ وأحد عشر عاماً .

= الامتياز سنة (١٩٥٣م) . عيِّن مساعداً إداريّاً بمجلس القضاءِ الشَّرعي الأعلىٰ . ثمَّ مفتِّشاً قضائياً ، وعضواً بالمجلس العالي الشَّرعيِّ . ثمَّ مستشاراً قضائيّاً عام (١٩٦٧م) . ولا زال الشيخ المترجَم يفيد الطالبين ، وهو مقيم بالمكلا ويتردد على القارة حفظه الله ونفع به المسلمين .

(١) وَشِلَة : قليلة الماء .

(٢) هو الشَّيخ العلاَّمة الصَّالح ، المربِّي القدير ، والعالم النِّحرير ، والنَّاسك الأوَّاب عمر بن أمبارك بن عوض بادُبَّاه الحضرميُّ (١٢٥٧ـ١٣٦٧ هـ) . ولدَ المترجَم له في حصن العولقيِّ ، وحصن العولقي عبارة عن قرية تلتفُّ بهضبة صخريَّة ، يتوِّجها الحصن الكبير الَّذي لم تبق إلاَّ آثاره . نشأ المترجَم له في هـٰذا الحصن ، وترعرع فيه ، ثمَّ مع بلوغه سنَّ الإدراك والتَّمييز . سافر إلى الهند سنة (١٢٨٢ هـ) ،=

وفي حوالي سَنةِ (١٢٦٠هـ) : كانتِ ٱلمنافساتُ قائِمةً علىٰ قَدَمٍ وساقٍ بحَيدَرِ آبادَ ٱلدَّكنِ بينَ ٱلأَميرِ عُمرَ بنِ عوضٍ ٱلقعيطيِّ وٱلأَميرِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ ٱلعولقيِّ وفي جانبهِ ٱلأَميرُ غالبُ بنُ محسنٍ ٱلكثيريُّ ، وكلُّهم في خدمةِ ٱلجيشِ ٱلآصِفيِّ .

فٱتَّفقَ ٱلعولقيُّ وغالبُ بنُ محسنٍ علىٰ تكوينِ دولةٍ لَهم بحَضْرَمَوْتَ ، وكانَ ٱلعولقيُّ كثيرَ ٱلمالِ ، كريمَ ٱلنَّفْسِ ، شجاعَ ٱلقلْبِ ، فطفِقَ يُرسلُ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ بكثيرٍ مِنَ ٱلأَموالِ ؛ لمواصلةِ ٱلعلويِّينَ ، ولِبناءِ ٱلمساجدِ وٱلسّقايا وما أَشبهَ ذلكَ .

ولَمَّا بدأَ غالبُ بنُ محسنٍ بشراءِ ٱلغُرَفِ مِنْ أَسافلِ حَضْرَمَوْتَ . . بدأَ ٱلعولقيُّ بشراءِ ٱلحَزْمِ هـٰذا ، وٱختارَ ٱلقارةَ ٱلمعروفةَ هناكَ لِبناءِ حِصْنهِ ٱلحصينِ عليها ، وهوَ ٱلمعروفُ بحِصْنِ صداعٍ ، ٱلَّذي يقولُ فيهِ شاعرُهُم :

سَلاَمَ ٱلْفَيْنْ يَا حُصْنْ مَبْنِي فَوْقْ قَارَهْ بَنَاكْ ٱلْعَوْلَقِي مَا يُعَوِّلْ بِٱلْخَسَارَهْ

ولَمَّا شعرَ ٱلقعيطيُّ بذلكَ . . أَرسلَ أَولادَهُ محمَّداً وعبدَ ٱللهِ وعليّاً وعَوضاً إِلى ٱلقَطْنِ مِنْ أَرضِ حَضْرَمَوْتَ ، وزوَّدَهُم بٱلأَموالِ ٱلطَّائِلة ، وبعثَ معَهُم بعَبْدَينِ داهِيَينِ مُحنَّكَينِ ، يقالُ لأَحدِهما : ٱلماسُ ، وللآخَرِ : عنبرُ ، ووافقَ ذلكَ هوىً مِنْ يافعٍ ،

= ثمَّ عاد إِلىٰ وطنه سنة (١٢٩٣ هـ) بعد أَن حصل علىٰ معلومات قيِّمة دينيَّة وطبيَّة واجتماعيَّة وعسكريَّة . وبعد عودته إِلىٰ بلده . . تحرَّكت همَّته إِلى الاتِّصال بالسَّيِّد الكبير عليِّ بن محمَّد الحَبْشيِّ في سيئون ، الَّذي كان يواصل الجهود لإِخراج أَكبر مجموعة من العلماءِ في السَّاحل والدَّاخل ؛ لتقوم بواجبها في عموم القطر .

فحصل الاتِّصال بين المترجَم له مع الإِمام الحَبْشيِّ ، ونهل من علومه ومعارفه ما برَّز فيه ، وفي أَحد المرَّات كان الإِمام الحبْشيُّ يمازح تلميذه المترجَم له . . فقال المترجَم له : ما أَنا إِلاَّ دُبَّاه ـ يشير إِلىٰ شجرة القَرع ـ فقال له شيخه : ولـٰكنَّها ستلقي قحازيز . (وهي كلمة عامّيَّة ، معناها : صغار القرع) . ثمَّ استمرَّ عند شيخه في سيئون خمس سنوات ، كلها جدٌّ ودرس وتحصيل . ثمَّ ٱستأذن شيخه في العودة إِلىٰ بلده صداع . . فأَذن له شيخه ، فعاد إِلىٰ بلده وقد سبقه إِليها صيته ومكانته العلميَّة ، وما إِن مرَّت سنوات قليلة حتَّىٰ صارت بلدة الصداع مقرّاً وموئلاً لطلبة العلم ، ومقصداً للعلماءِ وطلاَّب العلاج . ولم يقتصر علىٰ هـٰذه النَّاحية ؛ فقد باشر أَعمال الإِصلاح بين النَّاس . . حتَّىٰ سرت محبَّته في القلوب ، وأَخذ ينشر الدَّعوة والتَّعليم في القرىٰ . تخرَّج عليه جملة صالحة من العلماءِ ؛ منهم : الشَّيخ العلاَّمة سالم بن ٱمبارك الكلالي ، والشَّيخ العلاَّمة عبد الله بن عوض بكير ، والشيخ عبد الله الناخبي وغيرهم ، وكانت وفاته سنة (١٣٦٧هـ) .

إلاَّ أَنَّهُمُ ٱختلَفوا معَ عبدَيْهِ في مخزنِ ٱلتَّموينِ ، فأَرادَ ٱلعبدانِ أَنْ يكونَ بسيئونَ ، فٱمتنعتْ يافعُ خوفاً مِنْ رسوخِ قَدَمِ ٱلقُعيطيِّ فيها وهُم لا يَبغونَ بها بديلاً .

ولَمَّا أَحسَّ آلُ كثيرٍ ـ بعدَ ٱللُّتيا وٱلَّتي[1] ، وبعدَ هروجٍ ومروجٍ مستوفاةٍ بـ« ٱلأَصلِ »[2] ـ بأَنَّهُم عاجزونَ عن مناهضةِ ٱلقعيطيِّ . . عَقدوا حِلفاً ثلاثياً من ٱلكساديِّ ـ ٱلَّذي ٱستمالوهُ إليهِم ، وكانَ هوَ وٱلقعيطيُّ علىٰ رأيٍ لأَنَّهُم يافعيُّونَ ـ ومِنَ ٱلعولقيِّ وٱلكثيريِّ ، وكانَ ذلكَ في سَنةِ (١٢٩٠هـ) .

وكانتْ للعولقيِّ عدَّةُ مراكبَ شراعيَّةٍ تَمْخُرُ عُبابَ ٱلبحرِ ، وتَنقلُ ما يَحتاجُهُ مِنَ ٱلهندِ إلى ٱلحزمِ وصداعٍ .

وجَرَتْ بينَهُم حروبٌ كثيرةٌ ، كانتِ ٱلنِّهايةُ فيها ـ كما بـ« ٱلأَصلِ »[3] ـ ٱنهزامَ ٱلعولقيِّ وٱلكساديِّ وآلِ عُمرَ باعمرَ ، وتراجُعُ آلِ كثيرٍ ، وٱستيلاءُ ٱلقعيطيِّ على ٱلغيلِ وعلى ٱلحزمِ وعلىٰ صداعٍ ، وكانَ ذلكَ في سَنةِ (١٢٩٣هـ) .

وسمعتُ مِنَ ٱلثِّقاتِ : أَنَّ نفقاتِ ٱلعولقيِّ على ٱلحزمِ وصداع بَلغتْ ثمانيةَ آلافِ أَلفِ روبيَّةٍ ، وكانَ كثيرَ ٱلنَّدمِ علىٰ ما كانَ في أَيَّامِ حياتهِ مِنْ ذلكَ ، وتمنَّىٰ أَنْ لَو كانت في سُبلِ ٱلخيراتِ .

---

(١) بعد اللُّتيَّا والَّتي : مثل عربيٌّ معناه : بعد الدَّاهية الكبيرة والصَّغيرة . وكنَّىٰ عن الكبيرة بلفظ التَّصغير تشبيهاً بالحيَّة ؛ فإنها إذا كثر سمُّها . . صَغُرت ؛ لأَنَّ السُّمَّ يأكل جسدها . وقيل : أَصل هـٰذا المثل : أَنَّ رجلاً من جديس تزوَّج امرأَة قصيرة ، فقاسىٰ منها الشَّدائد ، وكان يعبِّر عنها بالتَّصغير ، فتزوَّج امرأَة طويلة ، فقاسىٰ فيها ضعف ما قاسىٰ من الصَّغيرة ، فطلَّقها وقال : بعد اللُّتيَّا والَّتي . . لا أَتزوَّج أَبداً . فجرىٰ ذلك على الدَّاهية .

(٢) كان انعقاد الحلف في رمضان (١٢٩٠ هـ) ، كما نقل ذلك في الأَصل عن « تاريخ الجُنَيْد » والكلام في هـٰذا يطول ، وهو في « بضائع التابوت » : (٣/ ٢٦ـ٣٤) .

(٣) كانت بدايةُ نهايةِ الحلفاءِ في وقعة شحير في صفر (١٢٩٢ هـ) ؛ إذ هجموا علىٰ شحير بعد طلوع الفجر ، فلاقاهم عسكر القعيطيِّ من يافع وغيرهم إلىٰ خارج شحير ، واشتدَّ الحرب وانتهىٰ بعد أَن استحرَّ بالحلفاءِ القتل والهزيمة . ثمَّ جهَّز القعيطيُّ في رجب علىٰ غيل باوزير ، وانهزم الحلفاءُ أَيضاً ، ولم يكن لهم ملجأً بعد ذلك إلاَّ إلى الحزم وصداع مع فلول الأَحلاف . وفي شوال (١٢٩٣ هـ) . . جهَّز السُّلطان عوض بن عمر القعيطيُّ علىٰ حصن صداع والحزم بثلاث فرق ، وحاصر مَن فيها أَربعة أَشهر حتَّى استسلمت حامية الحصن وهم العوالق ، وآل عمر باعمر ، فسفَّر العوالق بعضهم إلىٰ أَرضهم جهة القبلة ، والبعض إلى الهند ، وسجن آل عمر باعمر .

وللعامَّةِ في تمنِّيهِ ذلكَ أشعارٌ كثيرةٌ ، ومَنْ يَكُ وكلاؤُهُ آلَ كثِيرٍ[1] . . فإنَّهُ جديرٌ بمثلِ ذلكَ .

وما أدري ، أكانَ ما أنفقَهُ ولدُهُ محسنٌ بعدَ وفاتهِ في حروبِ ٱلحزمِ وصداعٍ داخلاً في ذلكَ ٱلقدْرِ ، أمْ كانَ علاوةً عليهِ ؟

إلا أنَّهُ ٱنتبهَ لآلِ كثِيرٍ وٱحتاطَ منهُم ، ولذا لَمْ يُحمَدْ بينَهُم ٱلمآلُ ولَمْ يَبلغوا ٱلآمالَ .

وينتهي نَسَبُ ٱلعولقيِّ إلىٰ ذي يزنٍ ٱلحِمْيَرِيِّ ، وقيلَ : إلىٰ معنِ بنِ زائدةَ ٱلشَّيبانيِّ ، وقيلَ : إنَّهُ مِن آلِ باحلوانَ ، وهوَ مِن بني حلوانَ بنِ عمرَ بنِ ٱلحافِ بنِ قُضاعةَ ، وإنَّ ٱلأميرَ عبدَ ٱللهِ بنَ عليٍّ ٱلعولقيَّ من ذرِّيَّةِ عبدِ ٱللهِ بنِ قيسِ بنِ زمليِّ بنِ عمرٍو ٱلفهميِّ ٱلآتي ذكرُهُ في ٱلغرفةِ ، وٱللهُ أعلمُ بحقيقةِ ذلكَ ، ومهما يكن منَ ٱلأمرِ . .

فَمَا سَوَّدَتْهُ عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ ... أَبَى ٱللهُ أَنْ يَسْمُو بِأُمٍّ وَلاَ أَبِ[2]

ولَهُ أخبارٌ عظيمةٌ ، ومناقبُ كريمةٌ ، وأنفٌ حَميٌّ ، وقَدْرٌ سَميٌّ .

وَٱللهُ أَعْطَاهُ ٱلْمَحَبَّةَ فِي ٱلْوَرَىٰ ... وَحَبَاهُ بِٱلْفَضْلِ ٱلَّذِي لاَ يُجْهَلُ
نَفْسٌ مُشَيَّعَةٌ وَرَأْيٌ مُحْصَدٌ ... وَيَدٌ مُؤَيَّدَةٌ وَرَأْيٌ فَيْصَلُ[3]

إلىٰ جودٍ ضخمٍ ، ومجدٍ فخمٍ ، وعقلٍ راجحٍ ، وسيفٍ طامحٍ .

وَزَنُوا ٱلأَصَالَةَ مِنْ حِجَاهُ وَإِنَّمَا ... وَزَنُوا بِهَا طَوْداً مِنَ ٱلأَطْوَادِ
وَوَرَاءَ ذَاكَ ٱلْحِلْمِ لَيْثُ خَفِيَّةٍ ... مِنْ دُونِ حَوْزَتِهِ وَحَيَّةُ وَادِي[4]

ولَمْ تَكُنِ ٱلهزائمُ ٱلمشارُ إليها في ٱلحزمِ وصداعٍ إلاَّ بعدَ خمودِ ريحِ دولتهِ بموتهِ في حيدرِ آبادَ ٱلدَّكنِ سَنةَ (١٢٨٤هـ) .

---

(١) الرَّجل الَّذي كان يزجُّ بالعولقي في تلك الوقائع هو الأمير عُبُود بن سالم الكثيريُّ ، وقد فرَّ مِنَ السَّاحل بعدَ هزيمته والعولقيُّ في صداع .

(٢) البيت مِنَ الطَّويل ، وهو لعامرِ بنِ ٱلطُّفيلِ بنحوه كما في « لسان العرب » (١١/ ٥٩٣) .

(٣) البيتان من الكامل ، وهما للبحتري في « ديوانه » (١/ ٣٣) . رأي مُحْصَدٌ : رأي سديد .

(٤) البيتان من الكامل ، وهما أيضاً للبحتري في « ديوانه » (١/ ١٨٦) .

والمشهورُ : أَنَّهُ ماتَ علىٰ فراشِهِ ، وقالَ بعضُهم : إِنَّها وقعَتْ بينَهُ وبينَ ٱلشَّاوشِ صلاحٍ ٱلضَّبيِّ ٱليافعيِّ واقعةٌ قُتِلَ فيها صلاحٌ وجماعةٌ مِن عسكرِ ٱلطَّرفينِ ، ولـٰكنَّ مَلِك حَيْدرَ آبادٍ أَصْلَحَ بينَهم ، غيرَ أَنَّ يافعاً بعدَ عامينِ منَ ٱلصُّلحِ كادَت للأَميرِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ ٱلعولقيِّ معَ خروجِهِ لصلاةِ ٱلعصرِ ، وأَطلقت عليهِ ٱلرَّصاصَ ، وكانَ كما قالَ ٱلأَوَّلُ :

مَضَىٰ مِثْلَ مَا يَمْضِي ٱلسِّنَانُ وَأَشْرَقَتْ ... بِـهِ بَسْطَـةٌ زَادَتْ عَلَـىٰ بَسْطَـةِ ٱلـرُّمْـحِ
فَتَـىً يَنْطَـوِي ٱلْحُسَّـادُ مِـنْ مَكْـرُمَـاتِـهِ ... وَمِنْ مَجْدِهِ ٱلأَوْفَىٰ عَلَىٰ كَمَدٍ بَرْحِ[1]

وقد وقعَ رداؤُهُ علىٰ ولدهِ مُحْسِنٍ[2] ، وكانَ علىٰ قِدَّةِ أَبيهِ[3] ، جوداً ونجدةً وشهامةً ، ولـٰكنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِثلَهُ ـ ولا بقريبٍ منهُ ـ لا في ٱلعِلْمِ ولا في ٱلدِّينِ ، فٱنطبقَ عليهِ قولُ لَيْلَى ٱلأَخيليَّةِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَنِعْـمَ فَتَـى ٱلـدُّنْيَـا وَإِنْ كَـانَ فَـاجِـراً ... وَفَـوْقَ ٱلْفَتَـىٰ لَـوْ كَـانَ لَيْـسَ بِفَـاجِـرِ

وهـٰذا ٱلبيتُ مِنَ ٱلكلامِ ٱلجزلِ[4] ، ٱلَّذي لا يَعلِكُهُ إِلاَّ لَحيٌ بازلٍ فحلٍ[5] ، فمَجيئُهُ مِنْ لسانِ هـٰذهِ ٱلمرأَةِ يفتحُ للنِّساءِ أَبوابَ ٱلفخرِ وٱلاحتجاجِ على ٱلرِّجالِ بمصاريعِها ،

---

(١) البيتان من الطويل ، وهما أَيضاً للبحتري في « ديوانه » (١/ ٧٤) .
(٢) خلف محسنُ بن عبد الله والدَه في حكم الحزم وحصن صداع ، وهو الَّذي جرت بينه وبين القعيطيِّ الحوادث السَّالفة الذِّكر ، عقب دخوله في الحلف الثُّلاثيِّ . وقد ترك له والده تركة وميراثاً يقدَّر بعشرين مليون روبية أَو تزيد ، ويروىٰ عن الأَمير عبد الله بن علي قوله : تركت لولدي محسن عشرين أَلف أَلف روبية نقداً ، فضلاً عمَّا يناسبها من العقار والأَثاث والمجوهرات ، ثمَّ إِنْ كان فحلاً . . فلن يحتاجها ، وإِن كان فَسْلاً . . فلن تنفعه . « بضائع التابوت » (٣/ ٢٦) . قال السُّلطان غالب بن عوض القعيطيُّ ـ الأَخير ـ : ولقد سمعت بنفسي من مجموعة من الثِّقات المسنِّين بأَنَّه عندما أُحترق قصره في أَيَّام أَحفاده نتيجة لإِصابته بصاعقة . . شوهدت المعادن ـ مثل الفضة وغيرها ـ تسيل في المجاري بسبب الحرارة .
(٣) قِدَّة : طريقة .
(٤) الجزل : ضدُّ الرَّكيك .
(٥) في هـٰذا الكلام كناية علىٰ رفعة هـٰذا الكلام ، وأَنَّه لا يتكلَّم به إِلاَّ الفحول من الرِّجال .

فلقد أَرادَ حبيبٌ أَنْ يتعلَّقَ بهِ . . فٱنهارَ رَجاه ، وأَخطأَتْهُ ٱلنَّجاه ؛ إذْ لَمْ يأْتِ إلاَّ بقولهِ [في « ديوانه » ١/ ٣٧٧ مِنَ ٱلكاملِ] :

إنَّ ٱلطَّـلاَقَـةَ وَٱلنَّـدَىٰ خَيْـرٌ لَهُـمْ ... مِـنْ عِفَّـةٍ جَمَسَـتْ عَلَيْـكَ جُمُـوسَـا[1]

لَـوْ أَنَّ أَسْبَـابَ ٱلْعَفَـافِ بِـلاَ تُـقىً ... نَفَعَـتْ . . لَقَـدْ نَفَعَـتْ إذاً إبْلِيسَـا[2]

وقولهِ [في « ديوانه » ١/ ٤٢٧ـ ٤٢٨ مِنَ ٱلكاملِ] :

إنْ كَـانَ بِـٱلْـوَرَعِ ٱبْتَنَـى ٱلْقَـوْمُ ٱلْعُـلاَ ... أَوْ بِـٱلتُّقَـىٰ صَـارَ ٱلشَّـرِيـفُ شَـرِيفَـا

فَعَـــلاَمَ قُـــدِّمَ وَهْـــوَ زَانٍ عَـــامِـــرٌ ... وَأُمِيـطَ عَلْقَمَـــةٌ وَكَـــانَ عَفِيفَـــا[3] ؟

ثمَّ رأَيتُ ٱلمبرِّدَ يقولُ في أَواخرِ « ٱلكاملِ » [٣/ ١٤١٠ـ١٤١١] : (لقد كانتِ ٱلخنساءُ وليلىٰ متقدِّمتينِ لأكثرِ ٱلفحولِ ، وربَّما تتقدَّمُ ٱلمرأَةُ في ٱلصِّناعةِ ، ولـٰكنَّهُ قليلٌ ، وٱلأغلبُ ما قالَ تعالىٰ : ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾) ، وأَطالَ في هـٰذا ٱلبابِ ، ويرد عليهِ : أَنَّ هـٰذا ليسَ مِن كلامِ ٱللهِ ، وإنَّما هو محكيٌّ عن فرعونَ[4] ، ولقائلٍ أَن يستثنيَ منهُ بفرضِ ٱلرِّوايةِ عندَ ٱلبُحتريِّ أَوِ ٱلشَّجريِّ في « ٱلحماسةِ » إبدالُ (فاجرٍ) بفاخر . . فقلتُ لهُ : ليسَ ٱلفخرُ بعابٍ عندَ ٱلعربِ حتَّىٰ يُسلكَ بهِ فجه فهو ظاهرُ ٱلغلطِ ، لاسيَّما وقد قالَ توبةُ [الخفاجيُّ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

لَقَـدْ زَعَمَـتْ لَيْلَـىٰ بِـأَنِّـيَ فَـاجِـرٌ ... لِنَفْسِـي تُقَـاهَـا أَوْ عَلَيْهَـا فُجُـورُهَـا[5]

---

(١) جمست : جمدت . يقول : طلاقة وجهك وجودك . . خير لهم من عفَّتك ؛ لأَنَّ هـٰذه يعود نفعها عليك ، أَمَّا الطَّلاقة والنَّدىٰ . . فنفعهما عليهم .

(٢) يقول : إنَّ أَسباب العفاف بلا تقىً لا تنفع ؛ لأَنَّها قد توجد مع البَرِّ والفاجر ، وقد توجد مع إبليس ، ولو أَنَّها تنفع بلا تقىً . . لنفعته ؛ لأَنَّه لا يأكل حراماً ، ولا يأْخذ أَموال النَّاس بالباطل ، وكذلك عفَّتك إن لم يكن معها تقىً ولا ندىً . . فهي لا تنفع .

(٣) عامر : هو عامر بن الطُّفيل ، وكان زنَّاءً . علقمة : هو ابن علاثة وكان عفيفاً . وأَشار بقوله : قُدِّمَ : إلىٰ أَنَّ الأَعشىٰ قدَّم عامراً علىٰ علقمة حينما تنافرا إليه . وقصَّة منافرتهما موجودة في « جمهرة خطب العرب » (١/ ٤١) ، فليرجع إليها من أَحب .

(٤) في قوله تعالى : ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ ، والله أعلم .

(٥) البيت من قصيدة رائعة لتوبة الخفاجي ، الذي هو أحد عشاق العرب ، ومحبوبته هي ليلى الأخيلية الشاعرة العفيفة ، التي لم يحظ منها بشيء ؛ إذ زوَّجها أبوها لغيره ، ومن أشعارها فيه : =

أمَّا قولُ ليلىٰ [مِنَ الطَّويلِ] :

مَعَاذَ ٱلنُّهَىٰ قَدْ كَانَ وَٱللهِ تَوْبَةٌ جَوَاداً عَلَى ٱلْعِلاَّتِ جَمّاً نَوافِلُهْ
أَغَرَّ خَفَاجِيّاً يَرَى ٱلْبُخْلَ سُبَّةً تُحَالِفُ كَفَّاهُ ٱلنَّدَىٰ وَأَنَامِلُهْ
عَفِيفاً بَعِيدَ ٱلْهَمِّ صُلْباً قَنَاتُهُ جَمِيلاً مُحَيَّاهُ قَلِيلاً غَوَائِلُهْ

إنَّما جاءَت بهِ مكابرةً لقولِ معاويةَ ـ أَو عبد ٱلملكِ ـ ويحكِ يا ليلىٰ ؛ يزعُم ٱلنَّاسُ أنَّهُ كانَ عاهراً فاجراً . ورأْيُها معَ ٱلنَّاسِ أَقوىٰ حجَّةً مِن وصفهِ بٱلعفافِ معَ ٱلضَّعفِ ؛ بأَمارةِ ٱلإيجازِ ٱلَّذي لَم يتجاوزِ ٱللَّفظةَ ٱلواحدةَ فيه .

وسمعتُ مِنْ غيرِ واحدٍ مِن أَهلِ حيدرَ آبادَ أَنَّ بغيّاً قالتْ لمُحسنٍ هـٰذا : أَتوجدُ مئةُ أَلفِ روبيَّةٍ مجموعةً معاً في مكانٍ واحدٍ ؟

فقالَ لَها : نعَمْ .

فقالتْ : أَمَّا أَنا فلا أُصدِّقُ بذلكَ ، وإِنْ كانَ واقعاً . . فإِنِّي أَتمنَّىٰ أَنْ أَراهُ .

فأَمرَ بإِحضارِ مئةِ أَلفِ روبيَّةٍ ، ونثرَها في بقعةٍ واحدةٍ ، ثمَّ أَمرها أَنْ ترقصَ عليها ، لا أَدري أَبثيابِها أَم عُريانةً ، ثمَّ سوَّغَها إِيَّاها .

ومِنْ محاسنِهِ : وَقْفُهُ ليَشْحر ٱلآتي ذِكرُهُ بموضعهِ[1] .

وقد أَثَّرتْ علىٰ حياةِ مُحْسِنٍ حادثةُ ٱلهزيمةِ في ٱلحَزْمِ وٱلصداعِ ، لاسيَّما وأَنَّ آلَ ٱلقعيطيِّ أَحضروا سِدّة[2] صداعٍ إِلىٰ حيدرَ آبادَ ووضعوها في ٱلطَّريقِ ٱلواسعةِ ، فماتَ غبناً[3] في سَنةِ (١٢٩٤هـ) عن ولدٍ يُقالُ لَهُ : حسينٌ ، لَمْ يَكُنْ بدونِ أَبيهِ في

= وذي حاجة قلنا له لا تَبُح بها فليس إليها ما حييتَ سبيلُ
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحبٌ وخليلُ

وللبيت الذي معنا قصةٌ رائعة ، موجودة في « جمهرة خطب العرب » (٢/ ٤١١) . . فليُرجَعْ إليها.

(١) ونصُّ وثيقة الوقفيَّة في « بضائع التابوت » (٣/ ٣٧) كتبت سنة (١٢٨٦ هـ) .

(٢) السُّدَّة : هي بوَّابة مدخل البلدة المسوَّرة ، وإنَّما فعل آل القعيطي ذلك نكاية وأذيَّة للعولقيِّ وسخرية منهم به .

(٣) في « بضائع التابوت » : أنَّ محسناً مات مسموماً ، سمَّه طبيب ، ولمَّا فطن ولده حسين بالأمر . . أستلَّ خنجره وطعن الطَّبيب .

ٱلشَّجاعةِ ، ولٰكنَّهُ ماتَ بعدَهُ وشيكاً بِسُمٍّ ـ حَسَبَما يقالُ ـ دُسَّ إليهِ ، وبموتهِ ٱنقرَضوا عن غيرِ وارثٍ ثابتٍ ، فصارتْ نقودُهُمْ ـ ٱلمقدَّرةُ بأكثرَ مِنْ عشرينَ ألفَ ٱلفِ روبيَّةٍ ، فضلاً عمَّا يُناسبُها مِنَ ٱلمجوهراتِ وٱلعقاراتِ ٱلكثيرةِ ـ طعمةً لبيتِ ٱلمالِ[1] .

وَأَصْبَحُوا لاَ تُرَىٰ إِلاَّ مَنَازِلُهُمْ قَفْراً سِوَى ٱلذِّكْرِ وَٱلآثَارِ إِنْ ذُكِرُوا[2]

وسبحانَ مَنْ لا يدومُ إلاَّ ملكُهُ[3] وما هنا ليسَ إلاَّ نموذجاً لِمَا في « **ٱلأَصلِ** » مِنْ **أخبارِهِمُ ٱلشَّيِّقةِ** ، وكلُّهُ دونَ ما يَستحقُّونَ ؛ لأنَّ خبرَ ٱلأميرِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ مِنْ أكبرِ أخبارِهِ ، فلَو أنَّنا كتَبْنا كلَّ ما سَمعناهُ عمَّنْ رآهُ . . لكانَ عجباً! وموتُه مِن غيرِ وارثٍ قد ينافي كونَه مِن آلِ عبدِ ٱللهِ باحلوانَ ؛ لأنَّهم معروفونَ في ٱلغرفةِ بأنسابِهم إلى ٱلآنَ .

ٱلشِّحْرُ[4]

لَها عدَّةُ إطلاقاتٍ :

ٱلأوَّلُ : أنَّها ٱسمٌ لكلِّ ما شَمِلَهُ حدُّ حَضْرَمَوْتَ ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ أوائِلَ ٱلكتابِ .

ٱلثَّاني : أنَّها ٱسمٌ لساحلِ ٱلمشقاصِ بأَسرِهِ ، فما كانَ منهُ لبني ظَنَّةَ . . فهوَ داخلٌ في

---

(١) ولم يكن بالهند آنذاك بيت مال إسلاميٌّ ، إنَّما ٱستولت على التَّركة الحكومة الإنكليزيَّة ؛ إذ كانتْ مستعمِرة الهند التي كانت تسمى آنذاك : درَّة التَّاج البريطانيِّ .

(٢) البيت من البسيط .

(٣) قال المصنِّف رحمه الله في « بضائع التابوت » : (ولقد رأيت قصره الفخم الضخم بحيدر آباد عندما اجتزت بها في سنة (١٣٤٩ هـ) خراباً يباباً) .

(٤) للطيب بامخرمة كلام مفيد عن الشحر في كتابه « نسبة البلدان » سيذكره المصنف في موضع لاحق ، وكان حقه أن يذكر هنا ، وقد كانت الشحر تطلق قديماً على المنطقة الساحلية الواقعة ما بين عمان وساحل حضرموت جميعها . أما اليوم . . فهي من أكبر مديريات حضرموت ، وتضم أربعة مراكز متباعدة ومترامية الأطراف وهي : الديس الحامي ، والريدة ، وقصيعر ، وغَيل بن يمين . وهي منطقة غنية جداً بتراثها وخيراتها النفطية والسمكية . وهي تقع على سطح متسع من الشاطىء الذي ينحدر تدريجياً إلى البحر ، ولذا ترسو السفن بعيداً عنه لضحالته ، وكان لها قديماً سور له بوابتان تعرف إحداهما بسدَّة العيدروس ، والأخرى بسدَّة الخور ، وقد خرب هٰذا السور وبقيت سدة العيدروس قائمة كمَعلم تاريخي .

حدُّ حَضْرَمَوْتَ ، وما كانَ منهُ للمَهْرَةِ كبديعوت . . فهوَ شِحْرُ ٱلمَهرةِ .

ٱلثَّالثُ : أَنَّها ٱسمٌ لجميعِ ما بينَ عَدَن وعُمانَ ، كما ذكرَهُ ياقوتُ [٣/٣٢٧] عنِ ٱلأَصمعيِّ .

وكثيرٌ مَنْ يقولُ : إِنَّ ظَفارَ هيَ قاعدةُ بلادِ ٱلشِّحْرِ ، وفي « **ٱلأَصلِ** » بسطُ ذلكَ .

ٱلرَّابعُ : ٱختصاصُ ٱلاسمِ بٱلمدينةِ ٱليومَ .

لـٰكنْ نقلَ ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ حسنٍ ٱلحدَّادُ عنِ ٱلبابِ ٱلسَّابعِ مِنْ « نخبةِ ٱلدَّهرِ » : (إِنَّ لحَضْرَمَوْتَ فُرْضَتينِ[١] علىٰ ساحلِ ٱلبحرِ ، يقالُ لإِحداهما : شرمةُ ، وهيَ ٱلآتي ذِكرُها . وللأُخرىٰ : ٱلشِّحْرُ ، ولَمْ تَكُنْ بمدينةٍ ، وإِنَّما كانوا يَنزلونَ بها في خَصاصٍ[٢] ، حتَّىٰ بنىٰ بها ٱلملكُ ٱلمظفَّرُ ـ صاحبُ ٱليَمنِ في زماننا هـٰذا[٣] ـ مدينةً حصينةً بعدَ سَنةِ سبعينَ وستِّ مئَةٍ) اهـ[٤]

وفي « صبحِ ٱلأَعشىٰ » (٥/١٦) : (وٱلشِّحْرُ ـ قالَ ياقوتُ ٱلحَمَويُّ : هيَ بُلَيدَةٌ صغيرةٌ ـ ولَمْ يَزِدْ علىٰ ذلكَ . وٱلَّذي يَظهرُ : أَنَّ لَها إِقليماً يُنسَبُ إِليها) اهـ

وما ٱستظهرَهُ هوَ ٱلواقعُ ، ولاسيَّما في ٱلأَعرافِ ٱلقديمةِ ، وكانتْ وفاةُ ياقوتَ في سَنةِ (٦٢٦هـ) ؛ أَي : قُبيلَ أَنْ يَجعلَها ٱلمظفَّرُ مدينةً بمدَّةٍ ليستْ بٱلطَّويلةِ .

وما جاءَ في « صبحِ ٱلأَعشىٰ » عن ياقوت لعلَّهُ مِنْ غيرِ مادةِ ٱلشِّحْرِ ، أَمَّا فيها مِنْ « مُعْجَمِهِ » . . فقد أَطالَ ٱلقولَ عنِ ٱلشِّحْرِ ، وقالَ : (هوَ صقعٌ علىٰ ساحلِ بحرِ ٱلهندِ مِنْ ناحيةِ ٱليَمنِ ، وإِليهِ يُنسبُ ٱلعنبرُ ٱلشِّحْريُّ ؛ لأَنَّهُ يوجدُ في سواحلهِ ، وهناكَ عدَّةُ

---

(١) الفُرْضة : الفتحة الَّتي يدخل منها الماءُ ، وتطلق عرفاً على الميناءِ .

(٢) قوله (خصاص) : الَّذي في « الهديَّة السَّنيَّة » و« الشَّامل » : أَنَّها (أخصاص) وهي ـ كما عرَّفها الحدَّاد ـ : بيوت صغيرة من الخوص والسَّعَف .

(٣) يعني به القرن السابع ، والمظفر هو الملك يوسف بن عمر بن رسول الرَّسولي ، كان تولِّيه الملكَ في اليمن عقب مقتل أبيه سنة (٦٤٩هـ) ، وتوفِّي هو سنة (٦٩٤هـ) .

(٤) « الهديَّة السَّنيَّة » للحدَّاد (ص١٦) (مخطوط) ، و« نخبة الدَّهر » هو لشيخ الرَّبوة محمَّد بن أَبي طالب الأَنصاريِّ (٦٥٤ـ٧٢٧هـ) ، دمشقيٌّ ، وَلِيَ مشيخةَ الرَّبوة وهي من ضواحي دمشق ، وتوفِّي بصَفَدْ . وٱسم كتابه كاملاً : « نخبة الدَّهر في عجائب البرِّ والبحر » مطبوع .

مدنٍ يتناولُها هـٰذا ٱلاسمُ ، وإلى ٱلشِّحْرِ يُنسَبُ جماعةٌ منهم محمَّدُ بنُ خُوَيٍّ بنِ معاذٍ ٱلشِّحْريّ) اهـ [٣/ ٣٢٧ـ٣٢٨] بٱختصارٍ .

وفي « مروجِ ٱلذَّهبِ » ذكرٌ للنَّسناسِ ٱلَّذي أفضتُ ٱلقولَ عنهَ بـ« الأَصلِ » ، ثمَّ قالَ ٱلمسعوديُّ : ووجدتُ أَهلَ ٱلشِّحرِ مِن بلادِ حضرموتَ وساحلِها ـ وهيَ تسعونَ مدينةً على ٱلشَّاطىءِ مِن أَرضِ ٱلأَحقافِ ، وهِيَ أَرضُ ٱلرَّملِ وغيرها ممَّا ٱتَّصلَ بهـٰذي ٱلدِّيارِ مِن أَرضِ ٱليمنِ وغيرِها ، مِن عمانَ وأَرضِ ٱلمهرةِ ـ يستظرفونَ أَخبارَ ٱلنَّسناسِ إِذَا ما حُدِّثوها ، ويتعجَّبونَ مِن وصفهِ ، ويتوهَّمون أَنَّهُ ببعضِ بقاعِ ٱلأَرضِ ممَّا قَد بَعُد عنهُم ؛ كسماعِ غيرِهم مِن أَهلِ ٱلبلادِ بذلكَ عنهم ، وهـٰذا يدلُّ علىٰ عدمِ كونِهِ في ٱلعالمِ ، وإِنَّما هوَ مِن هوسِ ٱلعامَّةِ ؛ كما وقعَ لهم مِن عنقاءِ مُغربٍ[١] ، ونحنُ لا نحيلُ وجودَ ٱلنَّسناسِ وٱلعنقاءِ ؛ لأَنَّ ذلكَ غير ممتنعٍ في ٱلقدرةِ ، غيرَ أَنَّهُ لم يَرِدْ خبرٌ قاطعٌ للعذرِ بصحَّةِ وجودِ ذلكَ في ٱلعالمِ . . فهـٰذا داخلٌ في حيِّزِ ٱلممكنِ ٱلجائزِ . . . إلىٰ آخرِ ما أَطالَ بهِ .

والذي يعنينا منه كونُ ٱلشِّحرِ فيما سلفَ مِنَ ٱلزَّمانِ تسعينَ مدينة ، وكونُ هـٰذهِ ٱلأَرضِ تسمَّىٰ كلُّها أَرضَ ٱلأَحقافِ ، وهوَ موافقٌ لكثيرٍ ممَّا سبقَ . وٱللهُ أَعلمُ .

وللشِّحرِ ذِكْرٌ في شِعرِ سُراقةَ بنِ مِرداس ٱلبارقيّ ، وذلكَ أَنَّهُ أُخذَ أَسيراً يومَ جبَّانةِ ٱلسَّبيعِ ، فقُدِّمَ في ٱلأَسرىٰ ، فقالَ ـ كما عندَ ٱلطَّبريِّ وغيرِهِ[٢] ـ [مِنَ ٱلرَّجز] :

ٱمْنُنْ عَلَيَّ ٱلْيَوْمَ يَا خَيْرَ مَعَدّ ... وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشِحْرٍ وَٱلْجَنَدْ
وَخَيْرَ مَنْ لَبَّىٰ وَصَلَّىٰ وَسَجَدْ

فعفا عنهُ ٱلمختارُ في قصَّةٍ طويلةٍ تَشهدُ لاستيلائِهِ على ٱلشِّحرِ[٣] .

---

(١) العنقاء : طائر أسطوري عظيم ، معروف الاسم ، مجهول الجسم . وعنقاءُ مُغرِب : أي مبعدٍ في البلاد . وهـٰذا قول من أحد الأقوال فيها ، ومن أراد التوسع . . فليرجع إلى « لسان العرب » (٦٤١/١) .

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٤٦٠) .

(٣) سيذكر المصنِّف عقب ذكره المختار بن أَبي عبيد الثَّقفيّ . . ما وقف عليه من حوادث في تاريخ الشِّحر=

= السِّياسيَّة بدءاً من سنة (٥٧٥هـ) . . إلاَّ أنَّ صاحب « الشَّامل » (١١٠ـ١١٥) أورد أخباراً ومعلومات هامَّة عن تاريخ الشِّحر القديم إلىٰ سنة (٥٤٩هـ) ولأنَّها أخبار مختصرة ومجملة فنذكرها لفائدة القارىء ؛ قال العلاَّمة الحدَّاد :

(للشِّحر تاريخ طويل ، هو جزءٌ من تاريخ حضرموت ، فنذكر هنا كلاماً إجماليّاً كالمقدمة لما يأتي والتَّوطئة . فقد تداولتها أيدٍ كثيرة ، فذكروا أنَّها كانت بأيدي سبإٍ أيَّام ملكهم ، ثمَّ خلفتهم حضرموت ، فمهرة ، ثمَّ تولاَّها الفرس وجعلوا (اسبيخت) أي والياً من جهتهم .

ثمَّ جاءَ الإسلام وهي كذلك . . فدخلت تحت حكم الخلفاءِ الرَّاشدين ، ثمَّ الملوك من بني صخر بن حرب الأمويِّ ، ثمَّ دخلت تحت حكم ابن الزُّبير حتَّىٰ قتل ، فتولاَّها ملوك بني مروان الأمويُّون ، إلىٰ أن ولي الأمر مروان بن مُحَمَّد الملقَّب بالحمار ، فظهر في أيَّامه عبد الله بن يحيى الكنديُّ الإباضيُّ وملَكَها مع سائرِ حضرموت واليمن ومكَّة والمدينة ، ثمَّ جاءَته جنود بني مروان فقضت عليه ، وعادت إليهم مع سائرِ حضرموت ، ثمَّ عادت إلى الإباضيَّة في فترة الحرب بين بني العبَّاس وبني مروان إلىٰ سنة (١٤٠هـ) . فجهز المنصورُ العباسيُّ معن بن زائدة ، وأوعب معه الخيل ، قيل : إنَّه جهَّز معه أربعين ألف فارس . . فاستباح اليمن وحضرموت ، واستخلف ابنه زائدة بن معن بن زائدة ، فأقام في اليمن ثلاث سنين ، ثمَّ توالت الأُمراءُ من بني العبَّاس . حتَّىٰ كانت سنة (٢٠٦هـ) ، فجاءَ ألف من مسودة خراسان مدداً للأمير الَّذي ولاَّه المأمون العبَّاسيُّ على اليمن ، وهو مُحَمَّد بن زياد من ذرِّيَّة زياد ابن سميَّة ، فعظم أمر ابن زياد وملك إقليم اليمن بأسره ، حضرموت بأسرها ، والشِّحر ومرباط وأبين وعدن والتِّهائم إلىٰ حَلْي ابن يعقوب .

وملك من الجبال الجَنَد وأعماله ، ومخلاف جعفر ، ومخلاف المعافر ، وصنعاء وأعمالها ، ونجران وبيحان والحجاز بأسره ، وخَلَفَه بعد وفاته سنة (٢٤٥هـ) ابنه إبراهيم بن مُحَمَّد ، ثمَّ ابنه زياد بن إبراهيم ، ثمَّ أخوه أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم في حدود سنة (٢٩٠هـ) ، فاستولىٰ علىٰ ما كان جدُّه مستولياً عليه ، ومنه حضرموت بأسرها والشِّحر . وطالت ولايته نحو ثمانين سنة ، فتمنَّعت عليه أطراف البلاد . واستبدَّ عنه أسعد بن أبي يعفر بن عبد الرَّحيم الحواليُّ ، ثمَّ أخوه مُحَمَّد بن أبي يعفر ، فغزا حضرموت وأجناحها . ثمَّ تولَّتها مهرة ؛ منهم أبو ثور المهريُّ ، ثمَّ عادت إلىٰ أيدي بني زياد ، وكانت الشِّحر بيده إلىٰ سنة (٣٦٦هـ) كما ذكر ذلك عمارة في « مفيده » ، وتوفِّي أبو الجيش الزِّياديُّ سنة (٣٧١هـ) ، ثمَّ تولَّىٰ بعده ابنه ، ثمَّ انقرضوا . فقام بالأمر عبد الحسين بن سلامة ، وكان أميراً نوبيّاً كبيراً) .

إلىٰ أن قال : (وأقام في الملك ثلاثين سنة ، وتوفِّي سنة (٤٠٢هـ) ، واضطرب ملك بني زياد بعد وفاته ، واستولىٰ بنو معن من العوالق علىٰ عدن وأبين وحضرموت والشِّحر . ثمَّ ثار الدَّاعي أبو الحسن عليُّ بن مُحَمَّد بن عليٍّ الصُّليحيُّ القائِم بدعوة العبيديِّين المصريِّين ، فطوى اليمن طيّاً ، ولٰكنه أبقىٰ بني معن نوَّاباً عنه ، فلمَّا قتل سنة (٤٥٩هـ) . . تغلَّب بنو معن علىٰ ما بأيديهم من البلاد ، ثمَّ

وكانتْ دولةُ ٱلشِّحْرِ لِكندةَ إِلىٰ سَنةِ (٥٧٥هـ)[1] . . حيثُ هجمَ عليها ٱلزَّنجيليُّ .

ثمَّ تولاَّها آلُ فارسٍ[2] ٱلمختلفُ في نَسَبِهِم : فقيلَ : إِلى ٱلأنصارِ ، وهوَ أَبعدُها .

= قصدهم المكرَّم بن عليِّ بن مُحَمَّد الصُّليحيُّ إِلىٰ عدن ، فأخرجهم منها ، وولاَّها العبَّاس ومسعود ابني المكرَّم الهَمْدانيِّ وتغلَّب في هٰذه الفترة علىٰ حضرموت والشِّحر أُمراءُ البلاد كما يظهر . ولم نجد تفصيلاً في ذلك ؛ فهي فترة مجهولة في تاريخ الشِّحر وحضرموت إِلىٰ سنة ٥٠٢هـ)

(١) بعد أن سردنا أحداث تاريخ الشِّحر مجملة من « الشَّامل » الَّذي انتهىٰ إِلىٰ سنة (٤٥٩هـ) . . ثمَّ ذكر أنَّ هناك فترة في التَّاريخ الحضرمي مجهولة إِلىٰ سنة (٥٠٢هـ) أي حوالي بضع وأربعين سنة ، ولما أن المصنف لم يذكر إلا ما بعد سنة (٥٧٥هـ) . . فإننا نستأنف الكلام هنا علىٰ تاريخ الشِّحر وحكم آل فارس بن إقبال ـ وهم من كندة ـ علىٰ أوسط الأقوال كما ذكر المصنِّف رحمه الله :

دولة آل إقبال في الشحر :

سنة (٥٠٢هـ) قتل أبو أحمد بن مُحَمَّد بن فارس وابنه مظفَّر في الأشحار ، [« شنبل » (ص٢١)] .

سنة (٥٠٩هـ) قتل راشد بن إقبال بن فارس بدوعن ، وولد ابن ابنه راشد بن محفوظ بن راشد [« شنبل » (ص٢٤)] .

قال في « الشَّامل » : (فمن هاتين الكلمتين وما يأتي يظهر أنَّ هٰذه العشيرة تعرف بآل ابن فارس ، وآل إقبال هي المتولِّية على الشِّحر والمنازعة في دوعن ؛ فإنَّه قال ـ أي شنبل في سنة (٥١٥هـ) ـ : (انفرد فارس بن راشد بن إقبال بولاية الأشحار ، وخرج أخوه محفوظ منها) [« شنبل » (ص٢٦)] . ثمَّ سكت عنهم إِلىٰ سنة (٥٤٧هـ) ، فقال : (وفيها توفِّي عبد الباقي بن فارس بن راشد بن إقبال بمأرب) [« شنبل » (ص٣٧)] . وفي سنة (٥٧٥هـ) قتل راشد بن عبد الباقي بن فارس بن إقبال ، قتله الثُّعَيْن بعد أن قتل عيسىٰ بن إبراهيم وأخاه أبا بكر [« شنبل » (ص٤٨)]) اهـ انتهىٰ كلام الحدَّاد ، ثمَّ تحدَّث عن غزو الغزِّ لحضرموت . . كما سيأتي ذكره في تريم .

(٢) الكلام علىٰ نسب آل فارس الَّذين هم نفسهم آل إقبال ، كما تقدَّم . فقول المصنِّف : كانت دولة الشِّحر لـكندة . . إلخ ، ثمَّ قوله : (ثمَّ تولاَّها آل فارس) . . يوهم أنَّ الأوَّلين غير الآخرين ، وهٰذا لعلَّه سهو منه لما قدَّمنا .

حُكم الغزِّ ثمَّ عودة آل فارس : قدَّمنا أنَّه في عام (٥٧٥هـ) قتل راشد بن عبد الباقي بن فارس بن إقبال . . إلخ الخبر السابق ، وفي تلك السَّنة كان قدوم الزَّنجيلي عثمان الَّذي عاث في حضرموت الفساد ، ولٰكنَّه هرب من عدن سنة (٥٧٩هـ) لمَّا جاءَ طغتكين بن أيُّوب من مصر إلى اليمن . ثمَّ عادت الشِّحر إِلىٰ حكم الأهالي حتَّىٰ سنة (٦٠٩هـ) . . فوصل عبد الباقي بن فارس بن راشد بن عبد الباقي بن فارس بن إقبال ومعه جماعة من الغزِّ وأخرجوا الأهالي ، وهرب واليها إِلىٰ تريم ، وهو فارس بن راشد ، وتوفِّي بها في سنة (٦٠٨هـ) ، وبقيت الشِّحر تحت إمرتهم إِلىٰ سنة (٦١٦هـ) ، وفيها خرج ابن مهديٍّ وطرد آل إقبال . . كما سيذكر المصنِّف . ينظر « الشَّامل » (١١١) ، والجزءُ=

وقيلَ : إلىٰ كِندةَ ، وهوَ أَوسطُها ، ويُؤَيِّدهُ ما سبقَ في حَجْرٍ أَنْ لا تزالَ بهِ طائفةٌ مِن آلِ ٱبنِ دَغَّارٍ ٱلكِنْديِّينَ ، يُقال لهم : آلُ فارسٍ . وقيلَ : إلى ٱلمَهْرةِ ، **وهوَ ٱلَّذي رَجَّحتهُ ودلَّلتُ عليهِ** .

وفي سَنةِ (٦١٦هـ) : ٱنقضَّ ٱبنُ مهديٍّ[1] ـ وهوَ مِنْ صنائعِ آلِ رسولٍ ٱليمانيّينَ ـ علىٰ آلِ فارسٍ ، وأَخرجَهُم مِنَ ٱلشِّحْرِ[2] .

وفي سَنةِ (٦٢١هـ) : تولَّىٰ عليها عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ راشدٍ[3] ، وكانَ يُؤَدِّي ٱلخَراجَ لملوكِ ٱلغزِّ ، فعزلَهُ نورُ ٱلدِّينِ ٱلرَّسوليُّ[4] برجلٍ مِنَ ٱلغزِّ ، وأَضافَ إليهِ نقيباً ، فقتلَ ٱلغزِّيَّ ، وٱستولىٰ على ٱلبلادِ ، وكانَ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ راشدٍ في ضيافةِ نورِ ٱلدِّينِ بتعزٍ ، فٱستدعاهُ ، وخَلَعَ عليهِ ، وأَمرَهُ أَنْ يسيرَ إلى ٱلشِّحْرِ ، فضبطَها وبقيَتْ تحتَ حُكمِهِ[5] إلىٰ سَنةِ (٦٧٨هـ) حيثُ دخلتِ ٱلشِّحْرُ وحَضْرَمَوْتُ تحتَ حُكمِ ٱلمظفرِ ٱلرَّسوليِّ ، ولـٰكنَّهُ أَبقىٰ عبدَ ٱلرَّحمـٰنِ بنَ راشدٍ عليها نائباً عنهُ حتَّىٰ توفِّيَ في سَنةِ (٦٦٤هـ) ، ودُفنَ بينَ تربةِ ٱلشَّيخِ سعدٍ ٱلظَّفاريِّ وتربةِ عَمرٍو ، وقبرُهُ مشهورٌ بها .

= الثَّاني من « جواهر الأَحقاف » و« تاريخ الحامد » .

(١) ابن مهديٍّ وٱسمه : عمر بن مهديٍّ الحميريُّ اليمنيُّ ، كان أَميراً علىٰ جنود الغزِّ من قبل الأَيُّوبيِّين .

(٢) ولم تكن هـٰذه هي المرَّة الوحيدة أَو الأُولىٰ لابن مهديٍّ في فتكه بآل فارس ، بل إِنَّه بدأَ تحرُّكاته الواسعة منذ عام (٦١٠هـ) ، وله أَخبار كثيرة ، وقد قتل بشبام سنة (٦٢١هـ) علىٰ قول الحامد ، والَّذي في « شنبل » أَنَّه قتل بشحوح ، وهو وادٍ قرب سيئون ، سيأْتي ذكره ، وبالتَّحديد قتل في (٩) محرم (٦١٠هـ) ، قتلته نهد . انظر في أَخبار حملات ابن مهديٍّ : « جواهر الأَحقاف » (٢/ ١١٥ـ١٢٣) ، « تاريخ الحامد » (٢/ ٤٩٣ـ٤٩٧) . « الأَدوار » (١٨٠) .

(٣) هو عبد الرَّحمـٰن بن راشد بن إِقبال بن فارس الأَصغر ابن محفوظ بن راشد بن إِقبال بن فارس الأَكبر ، وكان حكمه للشِّحر من سنة (٦٢١) إِلىٰ (٦٦٤هـ) حيث توفي فيها . وكان من أَمره أَنَّه اشترىٰ حضرموت كلَّها سنة (٦٣٦هـ) لـٰكنَّها خرجت عن طاعته سنة (٦٣٦هـ) علىٰ يد ابن شمَّاخ . والتَّفاصيل في « تاريخ الحامد » (٢/ ٥٣٨ـ٥٤٣) .

(٤) نور الدِّين المنصور عمر بن عليٍّ بن رسول ، أَوَّل من ملك اليمن من آل رسول ، وكان ملكه من سنة (٥٢٥هـ) إِلىٰ سنة (٦٤٩هـ) ؛ إِذ قتل فيها .

(٥) أَي : حكم آل رسول ؛ وجندهم الغزُّ .

وخَلَفَهُ أَخوهُ راشدُ بنُ شجعنةَ ، فبقيَ عليها إِلىٰ سنةِ (٦٧٧هـ) ، فتغيَّرَ عليهِ ٱلمظفَّرُ وٱعتقلَهُ بزبيد إِلىٰ أَنْ ماتَ[١] .

وفي سَنةِ (٧٦٧هـ) : وصلَ ٱلمظفَّرُ بنَفْسهِ إِلى ٱلشِّحْرِ ، فعمَّرها ـ حَسَبَما تقدَّمَ ـ ثمَّ لَمْ يَزَلْ حُكّامُها مِنْ أُسرتهِ تحتَ أَمرِ آلِ رسولٍ حتَّىٰ ضَعُفَ أَمرهُم .

وصارَ ٱلنُّفوذُ بحَضْرَمَوْتَ لآلِ يمانيٍّ[٢] .

وفي سَنةِ (٨١٢هـ)[٣] : ٱستولىٰ دويسُ بنُ راصعٍ على ٱلشِّحْرِ ، ثمَّ عادتْ لآلِ فارسٍ[٤] ، حتَّى ٱنتزعَها منهُم آلُ كثيرٍ في سَنةِ (٨٦٧هـ) ، وهيَ أَوَّلُ دولتِهم بها[٥] .

ثمَّ ٱستردَّها آلُ فارسٍ منهُم في سَنةِ (٨٩٤هـ)[٦] .

---

(١) « الحامد » (٢/٥٤٣) ، ويموت راشد هٰذا انتهت فترة حكم آل إِقبال الأَخيرة على الشِّحر ، ولم يؤرِّخ لوفاته .

(٢) انظر تفاصيل فترة حكم آل يمانيٍّ في : « تاريخ الحامد » (٢/٤٩٨ـ٥٣٥) ، واستمرَّت من سنة (٦٢١هـ) إِلىٰ سنة (٩٢٦هـ) بدءاً بالسُّلطان سعود بن يمانيٍّ وانتهاءً بمُحَمَّد بن أحمد بن سلطان .

(٣) ما بين عامي (٦٦٧هـ) و(٨١٢هـ) جرت حوادث كثيرة ، انظرها مجملة في « الشَّامل » (١١٢) ، و« تاريخ شنبل » ، و« الحامد » .

(٤) لم أجد لهٰذا القول مؤازراً في المصادر الأُخرىٰ ، والَّذي اتَّفقوا عليه كما تقدَّم قريباً أَنَّ حكم آل فارس بن إِقبال انتهىٰ بموت راشد بن شجعنة المتقدِّم . لٰكنَّ خبراً في سنة (٨٣٦هـ) عند « شنبل » أَنَّ السُّلطان عبد الله عليَّ الكثيريَّ حاصر الشِّحر وفيها ابن فارس ، فقتل فيها جماعة ، وقبله في سنة (٨٣٢هـ) ذكر أَنَّ ابن فارس جمع قومه مرة أُخرىٰ!!

سعد بن فارس بادجانة : ثمَّ بعد بحثٍ تبيَّن أَنَّ ابن فارس هٰذا ليس هو من آل إِقبال الَّذين انتهوا كما ذكرنا ، وإِنَّما المقصود به سعد بن فارس بادجانة (أبو دجانة) الشَّماسيُّ الكنديُّ من قبيلة التحمت بالمهرة ، وهي كنديَّة الأصل ، ولما طلبوا الملك.. ساعدهم أخوالهم من المهرة ، وكان مُلك سعد بن فارس قبل سنة (٨٢٠هـ) كذا في « الشَّامل » (١١٢) ، ولم يجزم به الحامد ، إِلاَّ أَنَّه قال : حوالي سنة (٨٣٦هـ) ، لٰكن حَسَبما في « الشامل » أنه في ذلك التاريخ ؛ أي سنة (٨٣٦هـ) استولىٰ علىٰ حيريج بعد الشحر . وأخبار آل بادجانة عند « الحامد » (٢/٥٦٥) وما بعدها ، و« الشَّامل » (١١٢ـ١١٣) .

(٥) وظهر في ذلك الأثناء : آل طاهر (الدولة الطاهرية)، وتدخَّلوا في الأحداث السِّياسيَّة أيضاً هم الآخرون.

(٦) وذلك على يد سعد بن مبارك بادجانة . « شنبل » (٢٠٦) ، و« الشَّامل » (١١٧) ، و« الحامد » (٢/٨٦) .
=

ثمَّ ٱسترجعها آلُ كثيرٍ في سَنَةِ (٩٠١هـ)[١] ، وما زالتْ في أَيديهم علىٰ مناوشاتٍ بينَهُم وبينَ أُمراءِ ٱلعشائِرِ حتَّى ٱستولى ٱلإمامُ (ٱلمتوكِّلُ على ٱللهِ) علىٰ حَضْرَمَوْتَ وعليها في سَنَةِ (١٠٧٠هـ)[٢] .

---

(١) دخلت الشِّحر تحت حكم آل كثير في ذلك التَّاريخ علىٰ يد السُّلطان بدر بن مُحَمَّد بن عبد الله بن عليٍّ الكثيريِّ ، وبقيت في حكمهم حتَّىٰ سنة (١٠٧٠هـ) ؛ إذ قدم الزَّيديَّة وحكموها إلىٰ سنة (١٠٩٣هـ) ؛ إذ خرج عليه حسن بن عبد الله بن عمر الكثيريُّ وٱستولىٰ عليها . ثمَّ خرجت عليهم يافع واضطربت أمور آل كثير ، حتَّىٰ قام جعفر بن عمر سنة (١١٢٩هـ) فشدَّ مِئْزره وٱستردَّها ، وهو القائل :

قـال الكثيـري بـنْ عمـرْ بـنْ جعفَـرْ	لِـي نـاذْ راسـي يَـالشَّـوامِـخْ نُـودي
عـاد عـا (المكـلا) بـاتِحِـنّ رعـودي	(الشِّحـر) خـذنـاهـا قَـدَ الله قـدَّرْ

ملخَّصاً من « تاريخ الدَّولة الكثيرية » . . عدة مواضع .

(٢) حُكم أَئِمَّة اليمن لحضرموت : كانت البداية في عهد السُّلطان بدر بن عمر بن بوطويرق الَّذي ولي الحكم بإشارة الإمام الحسين ابن الشَّيخ أَبي بكر سنة (١٠٢٤هـ) ، ولـٰكن قام عليه ابن أَخيه بدر بن عبد الله بن عمر وصار يكيد له ، فلجأ إلىٰ موالاة أَئِمَّة اليمن وأَخذ يكاتبهم ويستنجد بهم . . فنفر الشَّعب منه .

ثمَّ وثب بدر بن عبد الله علىٰ عمِّه السُّلطان بدر بن عمر وابنه مُحَمَّد المردوف وكبَّلهما وسجنهما في حصن مريمة . ولما علم إمام اليمن ، وهو في ذلك الوقت المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد ، الذي حكم في الفترة ما بين (١٠٥٤هـ) و(١٠٨٧هـ) ، أرسل ابن أخيه الصفي أحمد بن الحسن بن القاسم إلى حضرموت .

وكان النِّداء بالنفير في صنعاءَ والدَّعوة إلى الجهاد ثمَّ التحرُّك من الغراس يوم الخميس (١٨) شوَّال (١٠٦٩هـ) . ثمَّ كان وصولهم إلىٰ حضرموت آخر رجب (١٠٧٠هـ) ، واتَّجهوا إلى العوالق وابن عبد الواحد ، وتلقَّاهم العموديُّ إلىٰ جردان ، ثمَّ ساروا طريق حجر ، وطلعوا عقبة المدلاة على السَّوط ، وخرجوا بعقبة باعقبة ، ونصبوا خيامهم بجدفرة بيضان ، ثمَّ انتهوا إلى الهجرين ، وكان أَهلها طلبوا الأَمان ، فأَمَّنهم ، ونُهِبَتْ حَورَة وسَدْبة في الطَّريق ، وسَلِّمت له مصنعة هينن ثمَّ بقيَّة المصانع . ومنعوا الأَذكار في المساجد ، لاسيَّما راتب الإمام الحدَّاد ، ونودي بـ(حيَّ علىٰ خير العمل) ، ولم يمانع إلاَّ مؤذِّن مسجد باعَلَوي بتريم . . فلم يؤَذِّن به . وبدخول الجيوش الزَّيديَّة إلىٰ حضرموت . . انتهت السُّلطة الكثيريَّة تماماً ، وأصبح السُّلطان عديم القوَّة حتَّىٰ جاءَت سنة (١١١٣هـ) وفيها قدمت يافع ، أقدمهم السُّلطان بدر بن مُحَمَّد المردوف بن بدر بن عمر . . وستأْتي أَخبارهم . ثمَّ كانت وفاة السُّلطان بدر بن عمر بالمدينة المنوَّرة سنة « ١٠٧٢هـ » بعد أَن مكث في السَّلطنة قرير العين ، ومات بدر بن عبد الله في سيئون سنة (١٠٧٥هـ) . ينظر : « تاريخ الدَّولة الكثيريَّة » (٦٩ـ٨٣) .

وقالَ ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ حسنٍ ٱلحدَّادُ : (كانَ خروجُ ٱلإمامِ أَحمدَ بنِ حسنٍ سَنَةَ « ١٠٧٢هـ » ، وأَقامَ بجيشهِ في حَضْرَمَوْتَ نصفَ شهرٍ ، ثمَّ عادَ طريق البحرِ مِنْ بندرِ ٱلشِّحْرِ ، وٱستخلفَ ٱلسُّلطانَ بدرَ بنَ عُمرَ ٱلكثيريّ ، وتركَ عندَهُ جملةً مِنْ عسكرِهِ ٱلزيديَّةِ ، وٱستمرَّ أَمرهُم نحوَ خمسينَ سنةً إِلىٰ خروجِ يافعٍ مِنَ ٱلجبلِ سَنَةَ ١١١٧هـ) اهـ[١]

وقالَ ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ إِسماعيلَ ٱلكبسيُّ[٢] في كتابهِ « ٱلمسالكُ ٱليمنيَّةُ » : (وفي سَنَةِ « ١٠٦٤هـ » : خَطَبَ بدرُ بنُ عُمرَ ٱلكثيريُّ للإمامِ ، فقبضَ عليهِ ٱبنُ أَخيهِ بدرُ بنُ عبدِ ٱللهِ ، فهَمَّ ٱلإمامُ بٱلتَّجهيزِ ، وأَمرَ بحَشْدِ ٱلجنودِ إِلىٰ بني أَرض ، ومَنَعَتْ بلادُ ٱلرَّصَّاصِ ويافع وٱلعوالقِ وٱلجرشِ وٱلواحديِّ وٱلفضليِّ عنِ ٱلمرورِ فيها ، فجدَّ ٱلإمامُ[٣] في جهادِهم ، وٱجتمعَ لأَولادِ إِخوتهِ زهاءُ عشرةِ آلافِ راجلٍ وأَلفِ عنانٍ ، وٱشتدَّ ٱلقتالُ بينَهُم وبينَ حسينٍ ٱلرَّصَّاصيِّ حتَّىٰ قُتِلَ ، وٱنهزمَ أَخوهُ صالحٌ إِلى ٱلبيضاءِ ، وٱنتهبَ ٱلعسكرُ جميعَ ما في مخيَّمِهِم .

وكانَ محمَّدُ بنُ ٱلحسينِ[٤] لَمْ يَشهدِ ٱلوقعةَ ، ولـٰكنَّهُ حضرَ بعدَها ، فتقدَّمَ إِلىٰ يافع يومَ ٱلإثنينِ « ١٩ » جُمادَى ٱلآخرَةَ مِنَ ٱلسَّنةِ إِلىٰ ذيلِ جبلِ ٱلعُرّ ، فٱستولىٰ على ٱلجبلِ ، وعادوا إِلىٰ عندِ ٱلإمامِ .

ولَمَّا ٱنتهىٰ خبرُ هـٰذا ٱلنَّصرِ ٱلعظيمِ إِلىٰ بدرِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلكثيريّ . . أَطلقَ عمَّهُ ، وخَطَبَ للإمامِ ، فأَرسلَ ٱلإمامُ صالحَ بنَ حسينٍ ٱلجوفيّ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ ، فأَلفى ٱلأَمرَ علىٰ حقيقتهِ ، فوجَّهَ بدرَ بنَ عُمرَ إِلىٰ ظَفَار والياً عليها .

---

(١) الهدية السنية (٣٨) خ .

(٢) العلامة المؤرخ السيد محمد بن إسماعيل الكبسي ، مولده بهجرة الكبس سنة (١٢٢١هـ) ، عاصر الشَّوكاني ، وولي قضاءَ ذمار للمتوكِّل محسن بن أحمد (١٢٩٥هـ) ، وتوفِّي بالكبس سنة (١٣٠٨هـ) .

(٣) هو المتوكِّل على الله إسماعيل ٱبن المنصور بالله القاسم بن مُحَمَّد ، المتوفَّىٰ سنة (١٠٨٧هـ) .

(٤) هو مُحَمَّد بن الحسين بن القاسم . . العالم المفسِّر المحدِّث ، كان نحويّاً أُصوليّاً بارعاً ، وكان من أكابر الأُمراءِ وقوَّاد الجيوش في دولة عمِّه المتوكِّل ، مات بصنعاءَ (٨) شوَّال (١٠٦٧هـ) .

وفي سَنةِ « ١٠٦٨هـ » : غدرَ بدرُ بنُ عبدِ ٱللهِ بعمِّهِ بدرِ بنِ عُمرَ ، وأَخرجَهُ عن ظَفَار[١] ، فقدِمَ على ٱلإمامِ فأكرمَهُ[٢] .

وفي جُمادَى ٱلأُولَىٰ مِنْ سَنةِ « ١٠٦٩هـ » : ٱختارَ ٱلمتوكلُ ٱلصَّفيَّ أَحمدَ بنَ حسنٍ[٣] لِفَتْحِ حَضْرَمَوْتَ وٱلشِّحْرِ وظَفَار .

وفي شعبانَ : توجَّهَ ٱلصَّفيُّ إِلىٰ وادي ٱلسِّرِّ[٤] بمخلافِ خَوْلانَ[٥] ، ثمَّ إِلىٰ فَحْوانَ ورَغْوانَ[٦] ، ثمَّ إِلىٰ مأربَ[٧] وحَبَّانَ ، ثمَّ دخلَ أَطرافَ بلادِ ٱلعوالقِ فوصلَ بلدةَ واسطٍ ، ثمَّ سارَ إِلىٰ وادي حَجْرٍ ، ثمَّ تجرَّدَ مِنها تجرُّدَ ٱلحسامِ .

وكانَ سلطانُ حَضْرَمَوْتَ قدَّمَ عساكرَهُ إِلىٰ أَعلىٰ عقبةِ حَجْرٍ فٱنهزَموا مِنْ أَحمدَ بنِ

---

(١) قصَّة غدر بدر بن عبد الله بعمِّه كانت بمساعدة أَخيه جعفر بن عبد الله . ينظر : « تاريخ الدَّولة الكثيريَّة » (٧٠ـ٧١) .

(٢) وحاصل قصته وخبره أنه هرب من ظفار ووصل إِلىٰ عدن ، وكان قد وجَّه ولديه مُحَمَّداً وعلياً إِلى الإمام ، فتلقَّاه والي عدن من قِبَل الصَّفيِّ مبعوث الإمام ، وجهَّزه إِلىٰ ذمار ، فأَرسل الإمام ولديه لاستقباله ومعهما الأَكسية الفاخرة ، والخيل المحلاَّة والنُّقود الكثيرة ، ولمَّا وصل إِلىٰ ذمار ، أَمر الإمام أَنجاله الكرام ومن بحضرته من العلماءِ أَن يتلقَّوه بالجنود ، حتَّىٰ وصلوا به إِلىٰ حضرته « الدَّولة الكثيريَّة » (٧١) .

(٣) صفيُّ الإسلام أَحمد بن الحسن بن القاسم المهدي لدين الله (١٠٢٩ـ١٠٩٢هـ) ، كان من شجعان الزَّيديَّة ، بويع له بالخلافة بعد عمِّه إِسماعيل المتوكِّل سنة (١٠٨٧هـ) ، وكان غزير العلم ، له مؤلَّفات ، قال الشَّوكاني : وهو من أَعظم الأَئِمَّة المجاهدين . وهو الَّذي أَخرج اليهود الَّذين كانت بيوتهم بصنعاءَ ، وسمَّر كنيستهم ، ثمَّ هدمها وعمَّر مكانها المسجد المعروف بمسجد الجلاءِ ، قال العرشيُّ : كان أَشجع أَهل زمانه . . حتَّىٰ سمَّوه « سيل الليل » .
« الأعلام » (١/ ١١٢) ، و« البدر الطَّالع » (١/ ٢٤٣) ، و« بلوغ المرام » (٢٦٨) ، و« خلاصة الأثر » (١/ ١٨٠) .

(٤) واد مشهور في ناحية بني حُشَيش ، كان يسمَّىٰ : سرُّ ابن الرويَّة يبعد عن صنعاءَ (٢٥ كم) إِلى الشَّمال الشَّرقيِّ .

(٥) هي بلاد خولان العالية المعروفة بخولان الطِّيال المجاورة لصنعاءَ .

(٦) رغوان : بلدة تقع في سهل الجوف من الجدعان وأعمال نهم ، شمال شرقيِّ صنعاء ، ورد في شعر أعشى باهلة حيث قال :
وأقبل الخيل من تثليث مصغية ... أو ضم أعينها رغوان أو حضر

(٧) مأرب شرق صنعاءَ علىٰ مسافة (١٧٠كم) .

ٱلحسنِ ، وبٱنهزامِهم . . ٱنهزمَ مَنْ بَعدَهُم ، وهـٰذا ٱلمحلُّ يقالُ لَهُ : ريدة بَامَسْدُوس ، ثمَّ تقدَّمَ إلى ٱلهَجْرَينِ ، ثمَّ ٱلتقوا بعسكرِ سلطانِ حَضْرَمَوْتَ فهزموهُم وٱستولوا علىٰ حَضْرَمَوْتَ ، وعادَ ٱلصَّفيُّ إلىٰ حضرةِ ٱلإمامِ بضُوران[1] ، في أُبَّهةٍ فاخرةٍ ، ودولةٍ قاهرةٍ ، وفتحٍ قريبٍ ، ونصرٍ عجيبٍ) اهـ بٱختصارٍ .

وإنَّما ٱستوفيتُهُ معَ عدمِ ملاءَمتهِ للإيجازِ ؛ لأنَّ فيهِ ما ليسَ في « ٱلأصلِ » ، علىٰ أنَّ في « ٱلأصلِ » ما ليسَ فيهِ ، فليُضمَّ إلىٰ كلٍّ ما نقصَ .

أمَّا ٱستيلاءُ يافعٍ على ٱلشِّحْرِ وحَضْرَمَوْتَ : فكما ذكرَ ٱلسَّيِّدُ أحمدُ بنُ حسنٍ ٱلحدَّادُ : كانَ في سنةِ (١١١٧هـ) ، وقد سَبَقَ في ٱلمُكَلاَّ أنَّ ٱلشَّيخَ عُمرَ بنَ صالحٍ هرهرة أميرَ ذلكَ ٱلجيشِ أقامَ بِٱلشِّحْرِ ثلاثةَ أشهُرٍ ، جبىٰ فيها مِنها خمسةً وثلاثينَ ألفَ ريالٍ (٣٥٠٠٠) .

وكانَ مِنْ يافعٍ طائِفةٌ يقالُ لَهُم : آلُ عيَّاشٍ ، سَكَنَ رئيسُهُم بحصنِ ٱلشِّحْرِ ٱلَّذي كانَ يقالُ لَهُ : ٱلمُصَبَّحُ ، فأُطلقَ عليهِ مِنْ ذلكَ ٱليومِ : حصنُ ٱبنِ عيَّاشٍ .

وما زالتْ يافعٌ على ٱلشِّحْرِ حتَّىٰ أخذَها ٱلإمامُ ٱلمهديُّ[2] بالمَهرَةِ ، ومعَهُمُ ٱلأميرُ سعيدُ بنُ عليِّ بنِ مطران ، وحصلَ ٱلنِّداءُ بِٱلشِّحْرِ أنَّ ٱلنَّاسَ في أمانِ ٱلمهديِّ .

وٱشترطَ يافعٌ لأنفُسِهِم أنْ يُغادروا ٱلشِّحْرَ بسلاحِهِم بعدَ ثمانيةِ أيَّامٍ ، فخَرجوا مِنها إلىٰ حَضْرَمَوْتَ ، وٱنضمُّوا إلىٰ عسكرِ عُمرَ بنِ جعفرٍ[3] .

وفي سَنةِ (١١١٨هـ) : وصلَ ٱلسُّلطانُ عُمرُ بنُ جعفرٍ مِنَ ٱليَمنِ إلى ٱلشِّحْرِ ،

---

(١) ضُوران : قرية وحصن في مخلاف دايان من بني مطهَّر ، غرب صنعاءَ ، وأصل التَّسميَة هي لجبل بهـٰذه النَّاحية فوقها سمِّيت به . وأيضاً : هو جبل كبير ويسمَّى الدَّافع تقع في سفحه الشَّماليِّ بلدة ضوران ، وقد تهدَّمت بفعل زلزالٍ في (٢٧) صفر (١٤٠٣هـ) « البلدان اليمانيَّة عند ياقوت » للأكوع (١٨٨) .

(٢) هو الصَّفيُّ أحمد بن الحسن ، السَّابق ذكره ، تلقَّب بالمهديِّ بعدما ملك .

(٣) هو السُّلطان عمر بن جعفر بن عليِّ بن عبد الله بن عمر بن بدر بوطويرق ، ترتيبه (٣١) الحادي والثلاثون بين سلاطين آل كثير . تولَّى السَّلطنة حدود سنة (١١١٦هـ) ، إلىٰ وفاته بعد (١١٣٠هـ) ، وكانت وفاته بمسقط في عمان . « تاريخ الدَّولة » (٩٦ـ١٠٥) .

وسلَّمَهُ ٱلنَّقيبُ وٱلعسكرُ حصنَ ٱلشِّحْرِ ، ونادىٰ بـٱلأمـانِ ، ثـمَّ كتـبَ للعسكرِ بحَضْرَمَوْتَ : (إنَّ سيِّدي ٱلإمامَ ٱلمهديَّ وجَّهني إلىٰ حَضْرَمَوْتَ ، فإنْ كنتُم في ٱلطَّاعةِ . . سَلَّمتُمُ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلضَّررِ ، وإلاَّ . . فنحنُ واصلونَ بٱلجيشِ ٱلمنصورِ ، وهوَ مؤلَّفٌ مِنْ ثلاثِ مئَةٍ مِنْ حاشدَ وبكيلَ[1] ، ونحوِ مئَةٍ مِنْ سائرِ عسكرِ ٱلإمامِ ، ونحوِ مئَةٍ مِنَ ٱلحجازِ ، ونحوِ مئَةٍ وخمسينَ أخلاطٍ مِنَ ٱلخَلْقِ) .

وكانَ ٱلسُّلطانُ عيسىٰ[2] علىٰ سيئون وحَضْرَمَوْتَ ، فٱنهزمَ .

ثمَّ تغلَّبتْ يافعٌ علىٰ عُمرَ بنِ جعفرٍ ، وعادَ ٱلأمرُ إليهم بٱلشِّحْرِ ، إلىٰ أنِ ٱختلفوا ، فغلبَهُم آلُ بُرَيكٍ ، وكانوا ولَّوا رئيسَهم بعضَ ٱلأمرِ بٱلنِّيابةِ عنهُم ، فلمَّا ٱختلَفوا . . ٱستبدَّ عليهم .

وأَصلُ آلِ بُرَيكٍ مِنْ حريضة ، وهُم إمَّا مِنْ بقايا بني ناعبٍ ٱلآتي ذِكْرُهُم في ٱلتَّعريفِ بوادي عَمْدٍ ، وإمَّا مِنْ بني جبر ؛ قبيلةٌ مِنْ يافعٍ يَسكنونَ جبلاً في سَرْوِ حِمْيَرَ ، يقالُ لَهُ : **ذُو ناخِب** ، كما في « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » لابنِ ٱلحائكِ ٱلهمدانيِّ [١٧٣] .

وأَوَّلُ ما ٱبتدأَ بهِ آلُ بُرَيكٍ ٱلمصالحةُ بينَ ٱلحُمُومِ[3] ، وٱلتَّحالفُ معَهُم ، حتَّىٰ قرَّبوا ٱلنَّاسَ وعاملوهُم بٱلإحسانِ حتَّىٰ أَحبُّوهُم .

---

(١) **حاشد وبكيل** : قبيلتان من كبريات قبائل همدان ، وهما أخوان ، قال الهَمْدانيُّ : (حاشد وبكيل قبيلا همدان بن جشم بن حبران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن أُوسله بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ) اهـ

حاشد : تنقسم إلىٰ أربعة أقسام : صريميٌّ ، وخارفيٌّ ، وعصيميٌّ ، وعِذَريٌّ ، وأَراضيهم من صنعاءَ شمالاً إلىٰ بلاد صعدة ، وتشمل جبال لاعة ، والأهنوم ، وظليمة ، وعذر ، وخارف ، والعمشيَّة ، وتنتظم حاليّاً تحت مسمَّىٰ : محافظة عمران .

بكيل : وهي أيضاً أربعة أقسام : أرحب ، ونهم ، ومرهبه ، وشاكر ، وتمتدُّ ديارهم من شمال صنعاءَ الشَّرقيِّ إلىٰ بلاد صعدة ، وتشمل : أرحب ، ويره ، والجوف ، ونهم ، وعيال سريح ، وجبل عيال يزيد ، ووريده ، ثمَّ مرهبه ، وشاطب من مديريَّة ذي بين ، ومديرية سفيان بن أرحب ، وهمدان الشَّام في صعدة ، وبلاد وائلة والعمالسة ، وآل سالم ، وآل عمَّار بن شاكر بن بكيل .

(٢) هو عيسىٰ بن بدر بن عليِّ بن عبد الله بن عمر بن بدر بوطويرق ، سلطان عاثر المجد سيِّءُ الحظِّ ، جاءَ في وقت عصيب . . غادر حضرموت سنة (١١١٦هـ) ومعه حاشيته ، ومات بالمَخَا شمال اليمن .

(٣) **الحُمُوم** : قبيلة كبيرة من قبائل بادية حضرموت .

وأوَّلُ أميرٍ لَهم[1] هوَ : نَاجِي بنُ عُمرَ ، وكانت يافعٌ جعلَتْ إليهِ ٱلماليَّةَ في أيَّامِ نفوذها ؛ لأنَّهُم تَنازعوها وكادوا أنْ يَقتتِلوا عليها ، ولَمَّا ٱستقلَّ شيئاً فشيئاً علىٰ حسابِ ٱختلافهِم وتفرُّقِ آرائِهِم . . أفاقوا ، فناوشَهُم ، ولـٰكنَّهُ ٱنتصرَ عليهِم لأنَّهُم كانوا متحاسدينَ .

ولَمَّا ماتَ ناجي بنُ عُمرَ في سَنةِ (١١٩٣هـ) . . خَلَفَهُ ولدُهُ عليُّ بنُ ناجي بنِ عُمرَ بنِ بُريك ، فخالفَهُ محسنُ بنُ جابرِ بنِ هَمَّامٍ ، وٱنضمَّ إليهِ آلُ عُمرَ باعمرَ ، فجهز عليهِم عليُّ ناجي وأجلىٰ آلَ هَمَّامٍ إلى ٱلمُكلاَّ ، وآلَ عُمرَ باعمرَ إلى ٱلرَّيدةِ ، وٱستنجدَ آلُ همَّامٍ بعبدِ ٱلرَّبِّ بنِ صلاحٍ ٱلكَسَاديِّ ، ولـٰكنَّهُ ٱنهزمَ هوَ وإيَّاهُم كما سَبَقَ في ٱلمُكَلاَّ .

وفي أيَّام عليٍّ ناجي هـٰذا : ظهرَ أنَّ ٱلقاضي سعيدَ بنَ عُمرَ بنِ طاهرٍ كانَ يَعملُ ٱلأَسحارَ ، فأَغرقَهُ في بالوعةِ ٱلأقذارِ ، وكانَ آخِرَ ٱلعهدِ بهِ .

ولَمَّا ماتَ عليُّ بن ناجي سَنةَ (١٢٢٠هـ) . . خَلَفَهُ أخوهُ حسينُ بنُ ناجي ، ثمَّ ولدُهُ ناجي بنُ عليِّ بنِ ناجي .

وفي أيَّامهِ جاءَتِ ٱلوهَّابيَّةِ[2] في خمسٍ وعشرينَ سفينةً تحتَ قيادةِ ٱبنِ قملةَ ، بأمرِ ٱلملكِ عبدِ ٱلعزيزِ بنِ سعودِ آلِ سعودٍ[3] ، ٱلَّذي ٱستفحلَ سلطانُهُ لذلكَ ٱلعهدِ ، فٱفتتحَ نَجْداً وٱلحسا وٱلعروضَ وٱلقطيفَ وٱلحجازَ وغيرَها ، وكانَ أكثرُ فتوحهِ علىٰ يدِ ٱلقائدِ

---

(١) أي : لآل بُريك .

(٢) **الوهَّابيَّة** : هم أتباع الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب المولود بالدرعيَّة سنة (١١١٥هـ) والمتوفَّىٰ سنة (١٢٠٦هـ) ، اصطلح المؤرِّخون علىٰ تسميتهم بالوهَّابيَّة نسبة لوالد شيخهم ، وكان قدومهم سنة (١٢٢٤هـ) في عهد السُّلطان عليِّ بن بدر بن عليِّ بن عمر بن جعفر الكثيريِّ ، وأقاموا بحضرموت (٤٠) يوماً جرت خلالها وقائع بينهم وبين الحضارمة ، تفصيلها في : « العدَّة المفيدة » (١/٣٢١) ، و« تاريخ الدَّولة الكثيريَّة » (١٢٢) .

(٣) هو عبد العزيز بن محمد بن سعود ، من أمراء آل سعود في دولتهم الأولى ، كانت عاصمته الدرعية ، ولي بعد وفاة أبيه سنة (١١٧٩هـ) كان شديد البأس ، يباشر الملاحم بنفسه ، قتل غيلة في جامع الدرعية سنة (١٢١٨هـ) « الأعلام » (٤/٢٧) .

ٱلعظيم ٱبنهِ سعودٍ[1] ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (١٢٢٩هـ) . . فٱمتلكوا ٱلبلادَ ، ولَم يُؤذوا أَحداً في حالٍ ولا مالٍ ، ولَمْ يُهلِكوا حَرثاً ولا نسلاً ، وإنَّما أَخربوا ٱلقِبابَ ، وأَبعدَوا ٱلتَّوابيتَ ـ وقد قرَّرتُ في « ٱلأَصلِ » ما ذكرَهُ ٱبنُ قاسمٍ ٱلعبَّاديّ مِنْ حرمةِ ٱلتَّوابيتِ .

وأَمَّا ٱلقِبابُ : فإِنْ كانت في مُسبَّلةٍ[2] . . فحرامٌ ، وإلاَّ . . فلاَ ، بشَرْطه[3] ، ولَمْ يَعترضهُم آلُ بُريكٍ .

وأَقاموا بٱلشِّحْرِ أَربعينَ يوماً ، ثمَّ رَكبوا سفائِنَهُم وعادوا لِطَيِّبَهِم[4] .

وفي سَنَةِ (١٢٢٧هـ) : نشبَ ٱلشَّرُّ ما بينَ ٱلكساديِّ ـ صاحبِ ٱلمُكَلاَّ ـ وآلِ بُريكٍ ، وٱمتدَّتِ ٱلمناوشاتُ بينَهُم زماناً طويلاً في ٱلبحرِ وٱلبرِّ .

وفي سَنةِ (١٢٤٢هـ) : توفِّيَ ناجي بنُ عليٍّ ؛ وكانَ خادماً للدِّينِ ، شديدَ ٱلغيرةِ علىٰ شعائرِهِ ، لا يَخرجُ عن رأْيِ ٱلإمامِ ٱلحبيبِ حسنِ بنِ صالحٍ ٱلبحرِ في ذلكَ ، حتَّىٰ لقد أَمرَهُ أَنْ لا يُمكِّنَ أَحداً مِنَ ٱلباديةِ يدخلُ ٱلشِّحْرَ ليمتارَ[5] إلاَّ بعدَ أَنْ يحلفَ ٱليمينَ علىٰ أَنْ لا يقصِّرَ في ٱلصَّلاةِ ، فحصلَ بذلكَ نفعٌ عظيمٌ ، وصلاحٌ كبيرٌ ، حتَّىٰ جاءَ ٱلعوابثةُ في قطارٍ لَهُم ، فلمَّا أَرادوا أَنْ يَدخلوا مِنْ سدَّةِ ٱلعيدروسِ وهي بابُ ٱلشِّحْرِ ٱلشَّماليُّ . . عرضوهم على ٱلعهدِ ، فأَبوا ، وصَرفوا وجوهَ إبلِهِم إلى ٱلغيلِ عندَ رفاقِهِم آلِ عُمرَ باعمرَ ، وٱرتَجزوا بقولِ شاعرِهم :

قُـولُـوا لِنَـاجِـي بِـنْ عَلِـيّ كُلِّيـنْ يُـوخُـذْ لُـهْ مَـلاَهْ
مَـارَاسْ بِـنْ عَـوْبَـثْ غَلَـبْ مَـا بَـايْعَـاهِـدْ عَـالصَّـلاَهْ

وٱختلفَوا في تفسيرِ هـٰذا : فقومٌ يَحملونَهُ على ٱلعِنادِ وٱلمجاهرةِ بٱلفسادِ .

---

(١) هو سعود بن عبد العزيز بن محمد ، ولد سنة (١١٦٣هـ) ، وهو المعروف بسعود الكبير ، ولي الحكم بعد مقتل أبيه ، وكان علىٰ جانب من العلم ، مات سنة (١٢٢٩هـ) « الأعلام » (٣/ ٩٠) .

(٢) المسبّلة : المقبرة الَّتي جُعلت سبيلاً لعامَّة النَّاس .

(٣) أي : يحرم بناؤها إن كانت المقبرة مسبّلة ، ولا يحرم ذلك إذا كانت ملكاً خاصاً أوغير مسبّلة .

(٤) الطَّيَّة : الناحية .

(٥) يمتار : يأخذ الطَّعام لأهله .

وآخرونَ يَحملونهُ علىٰ أَنَّ ٱلدَّاعي إِلى ٱلصَّلاةِ مِنَ ٱلدِّينِ ، وٱلسَّائِقَ لَها مِنَ ٱلضَّميرِ ، فلا تحتاجُ إِلىٰ عهدٍ ولا إِلىٰ يمينٍ . ولَمَّا ماتَ ناجي بنُ عليٍّ . خَلَفَهُ ولدُهُ عليُّ ناجي ٱلثَّاني .

وفي سَنةِ (١٢٦٧هـ) : كانت **حادثةُ مُرَيرٍ**[(١)] ، **وحاصلُها** : أَنَّ آلَ كثيرٍ أَغاروا على ٱلشِّحْرِ بعسكرٍ مَجْرٍ[(٢)] ، وجاءَتْهُم نجدةٌ مِنَ ٱلأَتراكِ في ٱلبحرِ مِنْ مكَّةَ ٱلمشرَّفةِ ، علىٰ رأسِها شيخُ ٱلعلويّينَ ، ٱلسَّيِّدُ إِسحاقُ بنُ عقيلِ بنِ يحيىٰ ، مؤَلَّفة تلكَ ٱلنَّجدةُ مِنْ نحوِ خمسِ مئَةِ جنديٍّ بعُدَّتهِم وعتادِهِم ، فبلغتِ ٱلعساكرُ ٱلبحريَّةُ وٱلبريَّةُ نحواً مِنْ خمسةِ آلافٍ ، إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَصحَبها رفيقٌ مِنَ ٱلتَّوفيقِ ، فكانَ عاقبتَها ٱلانهزامُ ٱلشَّاملُ ، وٱلفشلُ ٱلشَّائنُ ، كما هوَ مفصَّلٌ بـ« **ٱلأَصلِ** » [٣/٩-١٦] .

وبعضُهُم يُعلِّلُ ذلكَ ٱلانهزامَ بخيانةٍ مِنْ سَيْبانَ ٱلموجودينَ بكثرةٍ في ٱلجيشِ ٱلكثيريِّ ؛ لأَنَّهُم كانوا في طليعةِ ٱلجيشِ ٱلمرابطِ بمُرَيرٍ ، فلمَّا هاجمتْهُم فرقةٌ مِنْ عسكرِ ٱلكساديِّ جاءَتْ مِنَ ٱلمُكَلاَّ لمساعدةِ آلِ بُريكٍ . . ٱنهزَموا وذهبوا بها عَريضةً وأَكثروا مِنَ ٱلأَراجيفِ[(٣)] ، فخلَعوا قلوبَ ٱلجيشِ ٱلكثيريِّ وملؤُوا صدورَهُم رُعباً ، فركبَ كلٌّ منهُم رأْسَهُ ، وذَهبوا عباديدَ[(٤)] لا يلوي أَحدهُم علىٰ شيءٍ قطُّ ، وعادتِ ٱلنَّجدةُ ٱلتُّركيَّةُ إِلىٰ أُسطولها ٱلرَّاسي بشَرْمَة ؛ لأَنَّ مرسى ٱلشِّحْرِ كانَ مكشوفاً ؛ وكانَ ٱلبحرُ هائجاً ، وٱلوقتُ خريفاً ، وتفرَّقَ ٱلجيشُ ٱلكثيريُّ أَيدي سبأ[(٥)] ، وعادَ بخيبةِ ٱلرَّجاءِ ، ولَمْ يَبْقَ بٱلمعسكرِ في ٱليومِ ٱلثَّاني نافخُ ضَرمٍ[(٦)] .

وكانَ مِنْ نتيجةِ ذلكَ ٱلفشلِ : أَنَّ ٱلسُّلطانَ عبدَ ٱلمجيدِ ٱلعثمانيَّ[(٧)] أَقالَ ٱلسَّيِّدَ

---

(١) **مُرَير** : موضع بين الشّحر وزغفة ، نسبت إليه تلك الحادثة التّاريخيّة ؛ لأنّ فيه كان مبدأ فشل المحادثات بين السَّيِّد إسحاق بن عقيل وسلاطين حضرموت .

(٢) **المَجْرُ** : الكثير العظيم .

(٣) **الأراجيف** ـ جمع إرجاف ـ وهو : الخوض في الكلام .

(٤) **عباديد** : فرقاً متبدِّدين .

(٥) **تفرَّقوا أَيادِي سبأ** : كلمة تقولها العرب كناية عن تفرُّق الشَّمل .

(٦) **نافخ ضرمٍ** : موقد نارٍ .

(٧) السُّلطان عبد المجيد خان بن محمود خان العثمانيُّ (١٢٣٧-١٢٧٧هـ) ، له مبرَّات ، من أَجلِّها =

إسحاقَ مِنْ مشيخةِ ٱلعلويِّينَ بمكَّةَ[1] ، وأبدلَهُ بٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ محمَّدِ ٱلسَّقَّافِ[2] .

وفي سنةِ (١٢٨٣هـ) : جهَّزَ ٱلسُّلطانُ غالبُ بنُ محسنٍ ٱلكثيريُّ على ٱلشِّحْرِ ، فٱستولىٰ عليها ، وهربَ عليُّ ناجي بمَنْ معَهُ وما قدرَ عليهِ ، في خمسٍ مِنَ ٱلسُّفنِ أَعدَّها لذلكَ مِنْ يومِ عَلِمَ بٱلغزوِ ، وكانَ هربُهُ إلى ٱلمُكَلاَّ فلَمْ يُمكِّنْهُ ٱلكساديُّ مِنَ ٱلنُّزولِ بها ؛ معتذراً بأنَّهُ لا يصلحُ سيفانِ في جَفِيرٍ[3] ، فأبحرَ إلىٰ يشْبُمَ[4] ، وأذنَ لهُ ٱلنَّقيبُ أن يُبقيَ نساءَهُ وصِغارَهُ في خلف ، وماتَ كثيرٌ منهم بٱلبردِ . . فٱنتقلَ بعضُهم إلى ٱلحرشياتِ ، أمَّا ٱلمكلاَّ . . فلم يُمَكِّنْهُم مِن دخولِها ، وأقامَ عليُّ ناجي عندَ ٱلشَّيخِ فريدِ بنِ محسنٍ ٱلعولقيِّ عاماً ، ثمَّ ركبَ إلىٰ عدن ، وعادَ مِنها إلى ٱلشِّحْرِ .

وكانَ عليها ٱلأميرُ عبدُ ٱللهِ بنُ عُمرَ ٱلقعيطيُّ بعدَ جلاءِ غالبِ بنِ محسنٍ عنها[5] ، فأكرمَ وِفادتَهُ ، وتحفَّىٰ بهِ[6] حتَّىٰ لقد دخلَ بينَ ٱلبحَّارة ٱلَّذينَ حملوهُ مِنَ ٱلقاربِ إلى ٱلسَّاحلِ ، وأحسنَ مثواهُ ، إلاَّ أنَّ فكرةَ ٱلإمارةِ عادت تتحرَّكُ في صَدْرِهِ ، وكلَّما ذكرَ أيَّامَهُ عليها بٱلشِّحرِ . . قالَ بلسانِ حالِهِ :

فَـوَالَهْفَـةَ كَـمْ لِـي عَلَـى ٱلْمُلْـكِ شَهْقَـةٌ   تَـذُوبُ عَلَيْهَـا قِطْعَـةٌ مِـنْ فُـؤَادِيَـا

= تجديده عمارة الحرم النَّبويِّ الشَّريف سنة (١٢٧٠هـ) . « حلية البشر » (١٠٣٠ـ١٠٣٦) .

(١) توفِّي السَّيِّد إسحاق سنة (١٢٧١هـ) ، وتقدَّم ذكر شيءٍ من ترجمته ، ولوالده ترجمة حافلة في « عقد اليواقيت » .

(٢) السَّيِّد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد السَّقَّاف ، توفِّي بمكَّة سنة (١٢٨٣هـ) ، كان عالماً فاضلاً ، جمع مكتبة خطِّيَّة ضخمة ، تفرَّقت بعد موته ، وهو من آل باعقيل السَّقَّاف . وتولَّىٰ مشيخة السَّادة بمكَّة بعده ابن أخيه السَّيِّد محضار بن عبد الله بن مُحَمَّد السَّقَّاف .

(٣) الجَفِيرُ : الكنانة ، والمعنىٰ : لا يصلح سلطانان في موضع واحد .

(٤) يشبم : بلدة كبيرة في محافظة شبوة ، تقع إلى الجنوب من عتق بنحو(٤٠ كم) ، وكانت في السابق عاصمة للعوالق العليا ، قبل أن تصبح الصعيد عاصمة لها .

(٥) كان جلاءُ غالب بن محسن الكثيريِّ عن الشِّحر في (٢٤) ذي الحجَّة (١٢٨٣هـ) ، بعد أن أغار عليه القعيطيُّ بجيش يقدَّر عدد رجاله بثلاثة آلاف مقاتل ، قاوم جيش السُّلطان غالب ، ثمَّ استسلم بعد يومين فقط من المقاومة ، تاركاً وراءَه (٤٠) قتيلاً .

(٦) تحفَّىٰ به : بالغ في إكرامه .

فعزمَ إلى ٱلآستانةِ[١] ؛ ليستنجدَ بٱلخليفةِ ٱلعثمانيِّ على ٱلكساديِّ بٱلمُكَلاَّ وعلى ٱلقعيطيِّ بٱلشِّحْرِ ، فسافرَ إلىٰ عدن ، ثمَّ خرجَ إلىٰ لحجٍ ، وبها فاجأَتْهُ ٱلمنيَّةُ[٢] ، وعادَ كثيرٌ مِنْ أعقابهِ إلى ٱلشِّحْرِ ، ولا يزالُ بها ناسٌ منهُم إلى ٱليوم[٣] .

أمَّا غالبُ بنُ محسنٍ : فلَو قنعَ بٱلشِّحْرِ كما أشارَ عليهِ ٱلمخلِصونَ . . لأوشكَ أنْ تطولَ بها مدَّتُهُ ، لـٰكنَّهُ طمعَ في أخذِ ٱلمُكَلاَّ مِنَ ٱلكساديِّ ، فٱنكسرَ دونَها .

وفي آخرِ ذي ٱلحجَّةِ مِنْ نَفْسِ ٱلسَّنةِ ٱلَّتي أخذَ فيها ٱلشِّحْرَ ـ أعني سنةَ (١٢٨٣هـ) ـ : جَهَزَ ٱلقعيطيُّ بمساعدةِ ٱلكساديِّ على ٱلشِّحْرِ ، وٱفتتحَها بأسرعِ وقتٍ ، وتفرَّقَ عسكرُ ٱلسُّلطانِ غالبٍ شذرَ مذرٍ[٤] ، بعدَها أخذَتِ ٱلسُّيوفُ منهم كلَّ مأخذٍ ولولا أنَّ أحدَ عبيدِهِ ـ وهوَ صنقورُ سليمان ، وكانَ مِنْ أهلِ ٱلقوَّةِ وٱلأيدِ[٥] ـ ٱحتملَهُ علىٰ ظَهرِهِ . . لذهبَ معَ شفراتٍ يافعٍ ، فما نجا إلاَّ بجُريعةِ ٱلذَّقَنِ[٦] وخيطِ ٱلرَّقبةِ .

وفي رجبٍ مِنْ سَنةِ (١٢٨٤هـ) : ٱستأنفَ ٱلسُّلطانُ غالبُ بنُ محسنٍ ٱلتَّجهيزَ على ٱلشِّحْرِ ؛ إذْ بقيَ قلبُهُ بحسرةٍ عليها ، ودخلَ أكثرُ جيشهِ مِنْ كُوَّةٍ فَتَحوها في سورِ ٱلبلدِ ، فٱنحَصروا وٱنقطعَ عليهِم خطُّ ٱلرَّجعةِ ، وأَصْلَتْهُم يافعُ ومَن لَفَّهُم مِن عسكرِ ٱلقعيطيِّ ناراً حاميةً ، فأثخَنوا فيهِم قتلاً ، وخرجَ ٱلباقونَ لا يلوي آخِرُهُم علىٰ أوَّلِهم[٧] .

---

(١) الآستانة : هي القسطنطينيَّة ، وهي أستانبول .

(٢) توفِّي بعد صلاة الجمعة ، ودفن صباح السَّبت (٢١) ربيع الأوَّل سنة (١٢٩٣هـ) .

(٣) وهم المعروفون بآل بن بُريك .

(٤) شَذَرَ مَذَرَ : أي مذاهب مختلفة ، ولا يقال ذلك في الإقبال .

(٥) الأَيْدُ : القوَّة ، وهـٰذا من عطف المترادفات علىٰ بعضها .

(٦) جُريعة الذَّقَن : يقال في المثل العربي : أفلت فلانٌ جريعة الذَّقَن ؛ أي : أفلت قاذفاً جريعة ، وهو كناية عمَّا بقي من روحه ، يريد أنَّ نفسه صارت في فيه ، وقريباً منه كقرب الجرعة ـ وهي جرعة الماءِ ـ مِنَ الذَّقَن .

(٧) كانت خسائر جيش غالب بن محسن : (١٢٠) قتيلاً و(٦٠) جريحاً و(٢٠) أسيراً ، وعاد غالب بن محسن بعد هزيمته إلىٰ سيئون ، وجرت له وقائع أُخرىٰ ، حتَّىٰ مات سنة (١٢٨٧هـ) ، وسيأتي ذكره لاحقاً في سيئون .

ورَسختْ أَقدامُ ٱلقعيطيِّ بٱلشِّحْرِ ، وجلسَ عليها ٱلأَميرُ عبدُ ٱللهِ بنُ عُمرَ ٱلقعيطيُّ ، كما عُرِفَ ممَّا سَبَقَ .

وبعدَ وفاتِهِ في سَنةِ (١٣٠٦هـ) : خَلَفَهُ عليها ولدُهُ حسينُ بنُ عبدِ ٱللهِ ؛ لأَنَّ أَكثرَ إِقامةِ ٱلسُّلطانِ عوضِ بنِ عُمرَ كانت بحيدر آباد ٱلدَّكَن في خدمةِ ٱلنِّظام ٱلآصفي ، ثمَّ نزغَ[١] ٱلشَّيطانُ بينَ ٱلسُّلطانِ عوضٍ وأَولادِ أَخيهِ عبدِ ٱللهِ ، وهُما : منصَّرٌ وحسينٌ ، وجرىٰ بينَهُم ما فصَّلناهُ بـ« **ٱلأَصلِ** »[٢] .

وكانتِ ٱلنِّهايةُ تحكيمَ ٱلمنصبِ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ بنِ سالمِ بن سقَّاف ، فحَكَمَ بأَنْ لا حَظَّ لَهُم في ٱلإِمارةِ ، وتمَّ جلاؤُهم عنِ ٱلشِّحْرِ وٱلغيلِ بمساعدةِ ٱلحكومةِ ٱلإِنكليزيَّةِ في سَنةِ (١٣٢٠هـ) .

ومِنَ ٱلعجبِ أَنَّ ٱلتَّحكيمَ كانَ خاصّاً بما بينَهُم مِنَ ٱلدَّعاوى ٱلماليَّةِ ، ومعَ ذلكَ فقد كانَ ٱلحُكمُ شاملاً للإِمارةِ!! .

وٱستتبَّ ٱلأَمرُ للسُّلطانِ عوضِ بنِ عُمرَ ٱلقعيطيِّ ، فَخلِ حَضرَمَوْتَ ، وطَلاَّعِ نِجادِها ، ومُزلزِلِ أَوتادِها .

مُـدَبِّـرُ مُلْـكٍ أَيَّ رَأْيَيْـهِ صَـارَعُـوا	بِهِ ٱلْخَطْبَ رَدَّ ٱلْخَطْبَ يَدْمَىٰ وَيُكْلَمُ
وَظَـلاَّمُ أَعْـدَاءٍ إِذَا بُـدِىءَ ٱعْتَـدَىٰ	بِمُـوجِـزَةٍ يَـرْفَـضُّ مِـنْ وَقْعِهَـا ٱلـدَّمُ[٣]
وَلَـوْ بَلَـغَ ٱلْجَـانِـي أَقَـاصِـيَ حِلْمِـهِ	لأَعْقَـبَ بَعْـدَ ٱلْحِلْـمِ مِنْـهُ ٱلتَّحَلُّـمُ[٤]

(١) نزغَ : أَفسدَ وأَغرىٰ .

(٢) **حاصل ما جرىٰ** : أَنَّ منصَّراً وحسيناً ابنا عبد الله بن عمر قاما بتقسيم السَّلطنة إلىٰ نصفين : لهما نصف ، ولعمِّهما عوض نصف ، فعرض عليهم السُّلطان عوض كلَّ الإغراءَات والتَّنازلات ليكسبهما ويقنعهما بعدم التَّقسيم بدون فائدة . وانقسم الجيش والحاشية إلىٰ قسمين ، وكلُّ قسم يؤيِّد صاحبه على السُّلطة ، وكادت هـٰذه الخلافات أن تعصف بالإمارة ، لـٰكن تدخُّل الوسطاءُ ، وبعد رأيٍ.. قبلت الوساطة من الطَّرفين ، وحكّموا منصب عينات ، ووقَّعوا على التَّحكيم ، وقضى المنْصِبُ لعوض بن عمر بالإمارة ، ممَّا جعل الأميرين يرفضان التَّحكيم ويتوجَّهان إلىٰ سبل العناد والعصيان ، وانتهى الخلاف بإقصاء حسين ومنصّر من حضرموت ، ومنصر هذا هو باني الحصن المشهور باسمه الكائن في غيل باوزير والقائم بناؤه إلى الآن .

(٣) **الموجزَةُ** : الضَّربة الَّتي تختصر العمر ، فيترشرش الدَّم من وقعها .

(٤) الأبيات من الطَّويل ، وهي للبحتري في « ديوانه » (١/ ١١٣) .

وقد أطلقنا عليهِ لقبَ ٱلسُّلطانِ ؛ لأنَّهُ بهِ حقيقٌ في ٱتِّساعِ مُلْكِهِ ، وٱمتدادِ نفوذِهِ ، وفي « ٱلأصلِ » بسطُ ٱلكلامِ عمَّنْ يُسمَّىٰ سلطاناً ومَنْ لا يُسمَّىٰ .

ونَزيدُ هنا قولَ ٱلإمامِ ٱلرَّازيِّ في تفسيرِ قولهِ : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ وهوَ أنَّ : (مَنْ مَلَكَ بلداً صغيراً لا يَحسُنُ فيهِ أَنْ يُقالَ فيهِ : جلسَ على ٱلعرشِ ، وإنَّما يَحسُنُ ذلكَ فيمَنْ مَلَكَ ٱلبلادَ ٱلشَّاسعةَ ، وٱلأَقطارَ ٱلواسعةَ . فٱلعرشُ وٱلكرسيُّ لا يكونانِ إلاَّ عندَ عظمةِ ٱلمُلْكِ) اهـ

وهوَ لا يخرجُ عمَّا هناكَ .

وللسُّلطانِ عوضٍ محاسنُ جمَّةٌ ، ومناقبُ مهمَّةٌ ، وقد حجَّ في سَنةِ (١٣١٧هـ) ، وأَظهرَ مِنَ ٱلتَّواضعِ وٱلخضوعِ ما يدلُّ علىٰ قوَّةِ دِينٍ ، وصحَّةِ إيمانٍ ، وأكرمَهُ ٱلشَّريفُ عونٌ ٱلرَّفيقُ[1] ، وأَعادَ لَهُ ٱلزِّيارةَ ، فأَدركَتْهُ عندَهُ نوبةُ صَرَعٍ ، فٱنزعجَ ٱلقعيطيُّ ، وظنَّها ٱلقاضيةَ ، حتَّىٰ هدَّأَهُ أَصحابُ ٱلشَّريفِ ، وقالوا لَهُ : إنَّما هيَ عادةٌ تعتادهُ مِنْ زمنٍ قديمٍ ، وقدَّمَ للشَّريفِ هدايا طائِلةً .

ومعَ قُربِ سفرِهِ . . طَلبوا منهُ معونةً لإجراءِ سِكَّةِ ٱلحديدِ بينَ ٱلشَّامِ وٱلمدينةِ ، فدفعَ لَهُم ثلاثينَ أَلفَ ربيَّةٍ ، فأَرجَعوها إليهِ ٱستقلالاً لَها ، فركبَ إلى ٱلمدينةِ علىٰ وعدِ ٱلرُّجوعِ إلىٰ جدَّةَ ، ثمَّ سار إلى ٱلشَّامِ ، وكانَ آخِرَ ٱلعهدِ به ، وسَلِمتِ ٱلثَّلاثونَ أَلف .

وقد سَبَقَ في حَجْرٍ أَنَّهُ تعلَّقَ بأَستارِ ٱلكعبةِ وتابَ مِنْ كلِّ سيِّئةٍ إلاَّ مِنْ فَتْحِ حَجْرٍ وحَضْرَمَوْتَ .

---

(١) عون الرَّفيق باشا بن مُحَمَّد بن عبد المعين الحسنيُّ ، شريف مكَّة (١٢٥٦ـ١٣٢٣هـ) ، ولد بمكَّة ، ونابَ في إمارتها عن أَخيه الشَّريف حسين ، ولي مكَّة سنة (١٢٩٩هـ) ، وكان جبّاراً طاغية ، وتنتابه نوبات صرع ، صنَّف فيه بعض السَّادة رسالة سمَّاها « ضجيج الكون من فظائع عون » سنة (١٣١٦هـ) ، ولأحمد شوقي فيه قصيدة أنشأها سنة (١٣٢٢هـ) ؛ في حادثةٍ جرت آنذاك ؛ مطلعها :

ضَـجَّ ٱلْحَجِيـجُ وَضَـجَّ ٱلْبَيْـتُ وَٱلْحَـرمُ ... وَٱسْتَصْـرَخَـتْ رَبَّهـا فـي (مَكَّـةَ) ٱلأُمَـمُ

« خلاصة الكلام » (٣٢٧) ، « مرآة الحرمين » (١/ ٣٦٦) ، « الأعلام » (٥/ ٩٨) .

توفِّيَ بألهندِ آخِرَ سَنةِ (١٣٢٨هـ)[1] ، ورثاهُ شيخُنا ٱلعلاَّمةُ أَبو بكرِ ٱبنُ شهابِ بقصيدةٍ حُمَينيَّةٍ ولـٰكنَّها مُؤَثِّرةٌ[2] .

ووقعَ رداؤهُ علىٰ ولدِهِ ٱلسُّلطانِ غالبِ بنِ عوضٍ[3] ، وكانَ شهماً كريماً ليِّنَ ٱلجانبِ ، دَمِثَ ٱلشَّمائِلِ ، وديعَ ٱلقلبِ ، شريفَ ٱلطَّبعِ ، وافرَ ٱلحُرمةِ ، سعيدَ ٱلحظِّ ، ميمونَ ٱلنَّقيبةِ[4] ، مبسوطَ ٱلكفِّ ، ينطبقُ عليهِ قولُ ٱلطَّائيِّ [أبي تمّامٍ في « ديوانِهِ » ٢/ ٣١٧ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَتَىً سِيطَ حُبُّ ٱلْمَكْرُمَاتِ بِلَحْمِهِ وَخَامَرَهُ حَقُّ ٱلسَّمَاحِ وَبَاطِلُهْ[5]

وقولُهُ [في « ديوانِهِ » ١/ ٣١٦ مِنَ ٱلوافرِ] :

لَهُ خُلُقٌ نَهَى ٱلْقُرْآنُ عَنْهُ وَذَاكَ عَطَاؤُهُ ٱلسَّرَفُ ٱلْبِدَارُ[6]

---

(١) وفاة السُّلطان عوض مُختلف فيها ، فقيل : سنة (١٣٢٥هـ) ، وقيل : (١٣٢٦هـ) ، وقيل : (١٣٢٧هـ) . ومدَّة ولايته حوالي ثلث قرن من الزَّمن ، أَمضىٰ معظمها بحضرموت في حروب ونزاع مع آل عبد الله ، ومع غيرهم من القبائل والشُّيوخ . « الأدوار » (٤٠٧) ، وفي « بضائع التابوت » : أنَّه دفن بمقبرة أكبر شاه بحيدر آباد .

(٢) طبعت هـٰذه المرثيَّة علىٰ حدة ، قال في « الأصل » (٢/ ٢٧٣) : (ورثاه شيخنا العلاَّمة أبو بكر بن شهاب بمرثية شاعرة من الشِّعر الحمينيِّ العذب الفخم ، ولولا أنَّها مطبوعة علىٰ حدة . . لذكرْتُها ؛ لأنَّ بمثلها يتزيَّن الكتاب ؛ لأنَّها وقائلها والمعنيَّ بها : جمالٌ في جمال من جمال . .) اهـ ومطلعها :

سبحانك الله يا قيوم يا كافي يا المنفرد بالبقا يا دايم السلطانْ
حكمت بالموت ما في وعدك أخلاف وكل من هُوْ عليها غير وجهك فانْ
ساويت بين الخلايق ناعل وحافي ما باقي إلا انت وحدك يا عظيم الشانْ

إلى آخرها .

(٣) غالب بن عوض ؛ كان النَّاس يلقِّبونه : (أَبونا آدم) ، وأُطلق عليه أَيضاً لقب : (غالب السَّادات) ؛ لشدَّة محبَّته في السَّادة العلويِّين آل البيت النَّبويِّ . . يقول هـٰذا السلطان في رسالة منه للمصنِّف ، مؤرَّخة جمادى الأُولىٰ (١٣٣٧هـ) : (ومحبَّة أهل البيت لا تزول من قلوبنا ، بل تزداد ، بل تزداد) . . إلخ .

(٤) النقية : النفس .

(٥) سِيط : خُلِط . خامره : خالطه .

(٦) عطاؤه السَّرَف البدار ؛ أي : عطاؤه المسرف فيه ، المبادر إليه .

وقولُ ٱلبحتريِّ [في « ديوانهِ » ٢/ ٣٣٩ مِنَ الطَّويلِ] :

تَغَطْـرَسَ جُـودٌ لَـمْ يُمَلَّكْـهُ وَقْفَـةً فَيَخْتَـارُ فِيهَـا لِلصَّنِيعَـةِ مَـوْضِعَـا

وقولُهُ [في « ديوانهِ » ١/ ٦٣ مِنَ الطَّويلِ] :

إِلَىٰ مُسْرِفٍ فِي ٱلْجُودِ لَوْ أَنَّ حَاتِماً لَـدَيْـهِ. . لأَمْسَىٰ حَـاتِـمٌ وَهْـوَ عَـاذِلُـهْ

وقولُ أَبي ٱلطَّيِّبِ [في « ٱلعُكبَرِيّ » ١/ ١٢٩ مِنَ الكاملِ] :

وَدَعَـوْهُ مِـنْ فَـرْطِ ٱلسَّمَـاحِ مُبَـذِّرَا وَدَعَـوْهُ مِـنْ غَضْـبِ ٱلنُّفُـوسِ ٱلْغَـاصِبَـا

وفي أَيّامهِ كانتْ حادثةُ ٱلحُمُومِ في (٢٧) ربيعٍ ٱلثَّاني مِنْ سَنةِ (١٣٣٧هـ) ، **وحاصلُها** : أَنَّهُم كانوا يُخيفونَ ٱلسَّابلةَ ، وٱلحكومةُ ٱلقعيطيَّةُ تتوقَّىٰ شرَّهُم وتدفعُ لَهُم مواساةً سنويَّةً يعتادونَها مِنْ أَيّامِ آلِ بُريكٍ .

وفي ذلكَ ٱلعهدِ ٱنعقدَ ٱلصُّلحُ بينَ ٱلحمومِ وٱلحكومةِ ٱلقعيطيَّةِ بدراهِمَ بذلَتْها لَهُمُ ٱلحكومةُ ـ لا يُستهانُ بها ـ على ٱلعادةِ ٱلجاريةِ بينَهُم في ذلكَ ، فبينا هُم غارُّونَ[1] . . هاجمتْهُم سيبانُ ، وكانَ لَها عندَهُم ثأرٌ ، فقتلَتْ منهُم عدداً ليسَ بٱلقليلِ ، فٱتَّهموا ٱلحكومةَ بمساعدتِهم ، وظَفروا بجماعةٍ مِنْ يافعٍ فقتلوهُم ، فما زالَ ناصرُ أَحمدُ بريك أَميرُ ٱلشِّحْرِ يومئذٍ يداريهِم ويَستميلُهُم ، ويُظهرُ لَهم أَنَّ قتلَهُم ليافعٍ لَمْ يُثِرْ حِفاظَهُ . . حتَّى ٱجتمعَ منهُم بٱلشِّحْرِ نحوٌ مِنْ أَربعِ مئةٍ ، وكانوا يعتدُّونَ بأَنفُسِهم وبهيبةِ ٱلحكومةِ لهم . . فلم يبالوا بٱلدُّخولِ مِن دونِ تجديدٍ للصُّلحِ ٱلَّذي وقعَ فيهِ ما وقعَ فأَلقىٰ عليهِمُ ٱلقبضَ أَجمعينَ ، وقتَلَ سبعةً وعشرينَ مِنْ رؤَسائِهم ، ودفنَهم في قبرٍ واحدٍ من غير غسلٍ ولا صلاةٍ ولا تكفينٍ ؛ منهُم : سالمُ بنُ عليِّ بنِ مجَنّحٍ ، ٱلملقَّبُ (حَبْرِيش) ، وحيمدُ بنُ عَمرٍو بالفرَجِ ٱلغرابيُّ ، ومرْضُوحُ بنُ عوضٍ ٱليمنيُّ ، وغيرهُم . وأَظهروا مِنَ ٱلثَّباتِ ساعةَ ٱلقَتْلِ ما أَبقىٰ لَهم جميلَ ٱلأُحدوثةِ .

وماتَ في حَبْسِ ٱلقُعَيطيِّ منهُم مئةٌ وسبعةٌ ، وأُطلقَ بعدَ ذلكَ سراحُ ٱلباقينَ ، ولٰكنْ بعدَ ما وَهَنَ جانبهُم ، ونُخِرَتْ عيدانُهم ، إِلاَّ أَنَّ عليَّ بنَ حبريشٍ لَم يَزَلْ يجمعُ

---

(١) **غارُّون** : غافلون .

جراميزهُ[1] لأخذِ ٱلثّأرِ ، ودارَ علىٰ حصونِ آلِ كثيرٍ فلَمْ يَجِدْ عندَهُم منفعةً ، وإلاّ . . فقد كانتْ بينَهُم وبينَ بعضِهِم أحلافٌ .

وبعدَ أَنْ مضىٰ لهٰذهِ ٱلحادثةِ سبعُ سنينَ . . هجمَ على ٱلدّيسِ فنهبَها وٱستباحَها ، وقتَلَ جماعةً مِنْ عسكرِ ٱلقعيطيِّ ، وأَسرَ ثمانيةَ عشرَ منهُم ، ولَمْ يُقتَلْ مِنْ أَصحابهِ إلاّ أَربعةٌ فقط ، وطفِقَ يتجاذبُ ٱلحبالَ معَ ٱلدَّولةِ ٱلقعيطيّةِ حتّى ٱستعانوا عليهِ بٱلطّائراتِ ٱلإنكليزيّةِ، فأضرَّتْ بمكانهِ ٱلواقعِ علىٰ مقربةٍ مِنْ غَيلِ ٱبنِ يُمَينٍ، ولَمْ يَخْضَعْ معَ ذلكَ .

وفي نحوِ سنةِ (١٣٥٨هـ) : كَمَنَ ولدُهُ في جماعةٍ مِنَ ٱلحمومِ بٱلمكانِ ٱلمسمّىٰ حَرُو[2] ، فجاءَتْهُم ثُلَّةٌ مِنَ ٱلعساكرِ ٱلقعيطيّةِ في سيّاراتٍ ، يتقدَّمُهُم يافعيٌّ شجاعٌ ، يقالُ لَهُ : محمَّدُ محسنٌ ٱلسعديُّ ، فتبادلوا ٱلرّصاصَ ، لٰكنْ كانتْ يافعُ أثبتَ وأَنفذَ سلاحاً ، فٱستأصلوهُم قتلاً ، فٱنكسفَ بالُ عليِّ بنِ حبريش ، وٱستولىٰ عليهِ ٱلفِراشُ ، وماتَ غَبْناً .

وكانَ أَهلُ ٱلشِّحْرِ يُلاقونَ عناءً مِنْ قلَّةِ ٱلماءِ ، فأَجراهُ إليهِم ٱلسُّلطانُ غالبٌ مِنْ تَبَالةَ ، فٱستراحوا بذلكَ .

وفي أيّامهِ[3] ٱنعقدَتْ بينَهُ وبينَ سلاطينِ آلِ كثيرٍ صاحبِ سيئونَ وصاحبِ تريم[4] ٱلمعاهدةُ ٱلمشهورةُ[5] ذاتُ ٱلإحدىٰ عَشْرَةَ مادَّةً ، ٱلمحرَّرةُ (٢٧) شعبان سنةَ (١٣٣٦هـ) وقدِ ٱعترفوا في ٱلمادّةِ ٱلأُولىٰ منها بٱنسحابِ حُكمِ ٱلحمايةِ ٱلإنكليزيّةِ عليهِم[6] .

---

(١) الجراميز : الأيدي والأرجل .

(٢) حرو : موضعان بحضرموت ، الأول : غربيّ بروم ضمن مديرية المكلا في الساحل . والثاني : قرية قرب ساه بوادي عدم ، في الداخل .

(٣) أي : في سنة (١٣٣٦هـ) .

(٤) وهما السُّلطانان : منصور ومحسن أبنا السُّلطان غالب بن الحسن الكثيريّ ، سيأتي ذكرهما وطرف من أخبارهما في سيئون .

(٥) المعروفة بمعاهدة عدن لانعقادها فيها .

(٦) والمادّة الأُولىٰ نصُّها كالآتي : (يرتضي السُّلطان القعيطيُّ مولى الشِّحر والمكلاّ ، وسلاطين آل عبد الله=

ولقد بذلتُ جهدي في تحذير ٱلسَّلاطينِ ٱلكثيريِّينَ ونُصْحِهم عنِ ٱلموافقةِ عليها ، وذَكرتُ لهم مافي ذلكَ مِن ٱلوزرِ وٱلخُسرِ بما هو مبسوط في « **الأصل** » ، ولٰكنَّ ٱلسَّيِّدَ حسينَ بنَ حامدٍ ٱلمِحْضَارَ أَلَحَّ في ذلكَ بسعيٍ شديدٍ ، وجُهدٍ جهيدٍ ، وساعدَهُ ناسٌ مِن أَهلِ ٱلثَّروةِ . . فتمَّ لهُ ما أَرادَ ، ومعروفٌ ومشهورٌ ما لي في ذلكَ مِنَ ٱلمنظومِ وٱلمنثورِ .

وكانت بيني وبينَ ٱلسُّلطانِ غالبِ هٰذا مودَّةٌ لولا مكايدةُ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ لها . . لكانت قويَّةً ، وبيني وبينَهُ مكاتباتٌ ممتعةٌ ذكرتُ بعضَها في « **ٱلأَصلِ** »[1] ، ولي عليهِ عهودٌ موثَّقةٌ بٱلنَّصرِ علىٰ كلِّ مَنْ عاداني ، وبٱلإِعفاءِ مِنَ ٱلرُّسومِ عن ستِّينَ طرداً في كلِّ عامٍ ، وبمرتَّبٍ سنويٍّ زهيدٍ ، ومعَ ذلكَ . . فقد كانَ وزيرُهُ ٱلمرحومُ ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ ٱلمِحضارُ يراوغني فيها ، ويُمانعُ ٱلعملَ بها .

ولَمَّا توفِّيَ . . أَرسلتُها إِلىٰ عندِ ولدهِ ٱلسَّيِّدِ أَبي بكر بنِ حسينٍ أُطالبُهُ بإِجرائِها وتنفيذِ ما فيها ، فلَمْ يَرُدَّها إِليَّ رأساً ، وظنَّها ٱلنُّسخةَ ٱلوحيدةَ ، ولٰكنْ كانتْ عندي صورتُها بإِمضاءِ ٱلسُّلطانِ غالبٍ وٱلسَّيِّدِ حسينٍ ، وشهادةِ ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ هادونَ بنِ أَحمدَ ٱلمِحضارِ ، وٱلأَميرِ عليِّ بنِ صلاحٍ ، وطالما ذكَّرتُ بها ٱلعلاَّمةَ ٱلسُّلطانَ صالحَ بنَ غالبٍ ، فقلتُ لَهُ أَمامَ ٱلملإِ : أَهٰذهِ ٱلمعاهداتُ صحيحةٌ معمولٌ بها ، أَم

= آل كثير : أن يكون إقليم حضرموت إقليماً واحداً ، وأنَّ الإقليم المذكور هو من تعلُّقات الدَّولة البريطانيَّة تابعاً لسلطان الشِّحر والمكلاَّ) . عن « ترجمة السَّيِّد الزَّعيم » (١٠٢) .

لقد كانت تلك المعاهدة أوَّل إنجاز رسميٍّ لم يقع مثله طيلة مدَّة الحكم القعيطيِّ والكثيريِّ ، أمَّا الحكومة الكثيريَّة . . فقد غُبنتْ بسبب هٰذه المعاهدة غبناً ظاهراً فادحاً ؛ فقد اعترفت للقعيطيِّ بحضرموت كلِّها عدا رقعة صغيرة من الأرض هي سيئون ونواحيها إلى الحزم غرباً ، وشرقاً إلىٰ تريم فقط ، مع أنَّها تمتلك من المال والرِّجال ما يفوق دخلُ الواحدِ منهم ميزانيَّة القعيطيِّ عشرات المرَّات كآل الكاف وأضرابهم . . « السَّيِّد الزَّعيم » (١٠٦) وما بعدها .

(١) ذكر في « **الأصل** » رسالة طويلة وجَّهها هو إلى السُّلطان في (١٥) جمادى الأُولىٰ سنة (١٣٣٧هـ) : (٢/٧٧ـ٢٧٩) ، قال في ديباجتها : (. . كتابي إليك والشَّوق يزيد ، والودُّ أكيد ، وبيننا وبينكم أحلاف نديم وجديد ، ونودُّ الوصول ولٰكن خفنا أنَّه ما يفيد ، وذكركم يدور ، وخيالكم يزور ، وجيلكم مذكور ، والله يحفظكم من الغرور . .) إلخ .

تُعتبرُ لاغيةً ؟! فأَجابَ بصحَّتِها وٱلتزامِ تنفيذِها ، وكانَ ذلكَ بمرأىً ومَسْمَعٍ مِنْ وزيرهِ ٱلمكرَّمِ ٱلفاضلِ سيفِ بنِ عليٍّ آلِ بوعليٍّ .

وقد تقدَّمتُ إلى ٱلسُّلطانِ صالحٍ في سَنةِ (١٣٥٥هـ) بقصيدةٍ [كما في « الدِّيوان » ق/ ١٦٧ـ١٦٩ مِنَ الطَّويلِ] تزيدُ عن مئةٍ وعشرينَ بيتاً لَمْ تُعَدْ فيها قافيةٌ ، وأَنشدتُها لَهُ مرَّاتٍ ، أُولاها بٱلمكلاَّ عامئذٍ ، وٱلثَّانيةُ بحُورَة في سَنةِ (١٣٦٠هـ) ، وٱلثَّالثةُ بمنزلي في سَنةِ (١٣٦٥هـ) . منها :

وَبَيْـنَ يَـدَيْنَـا شِـرْعَـةٌ لاَ تَـزِيـدُهَـا ... تَجَـارِيـبُ ذِي عَقْـلٍ وَلاَ عَقْـدُ مُـؤْتَمَـرْ

هِـيَ ٱلْقِـدَّةُ ٱلْمُثْلَـى ٱلْعَلِـيُّ مَنَـارُهَـا ... أَتَتْنَـا بِهَـا غُـرُّ ٱلأَحَـادِيـثِ وَٱلسُّـوَرْ(١)

وَحَسْبُكَ بِـٱلإِفْـرَنْـجِ فَـٱلْخُطَّـةُ ٱلَّتِـي ... بِهَـا ٱلْمَشْـيُ فِيمَـا يَحْكُمُـونَ بِـهِ ٱسْتَمَـرّ

مُـدَوَّنَـةٌ فِـي ٱلأَصْـلِ مِـنْ قَـوْلِ مَـالِـكٍ ... وَسَائِلْ تَجِدْهَا فِي ٱلتَّوَارِيخِ وَٱلسِّيَرْ

وَلَـٰكِـنَّ أَهْـلَ ٱلْعِلْـمِ وَٱلـدِّيـنِ دَاهَنُـوا ... وَبَـاعُـوا حُقُـوقَ ٱللهِ بِـٱلْمَـاءِ وَٱلشَّجَـرْ

فَلَـنْ تَلْـقَ مِنْهُـمْ مَـنْ نَهَـىٰ عَـنْ قَبِيحَـةٍ ... وَلاَ مَـنْ بِمَعْـرُوفٍ عَلَـىٰ مَكْـرِهِ أَمَـرْ

إِذَا ٱنْتُهِكَ ٱلإِسْـلاَمُ أَغْضَـىٰ زَعِيمُهُـمْ ... وَإِنْ أُخِـذَتْ شَـاةٌ لَـهُ ٱهْتَـاجَ وَٱسْتَعَـرْ(٢)

فَمَـا شَـأْنُهُـمْ إِلاَّ ٱلتَّصَنُّـعُ وَٱلـرِّيَـا ... وَأَعْجَـبُ مَـا تَلْقَـى ٱلنِّفَـاقَ لَـدَىٰ مُضَـرْ

نِفَـاقٌ وَأَخْـلاَقٌ دِقَـاقٌ وَذِلَّـةٌ ... بِهَـا شَـوَّهَ ٱلإِدْبَـارُ أَيَّـامَنَـا ٱلأُخَـرْ

تَوَلَّى ٱلْوَفَا وَٱلصِّدْقُ فَٱنْدَكَّ مَجْدُهُمْ ... وَرَاحَـتْ عَلَيْهِـمْ كُـلُّ مَكْـرُمَـةٍ هَـدَرْ

يَقُـولُـونَ مَـا لاَ يَعْمَلُـونَ تَصَنُّعـاً ... سَـوَاسِيَـةً مَـنْ قَـالَ شِعْـراً وَمَـنْ نَثَـرْ

وَقَـدْ كَـانَـتِ ٱلآبَـاءُ مِـنْ قُنَّـةِ ٱلْعُـلاَ ... بِشَأْوٍ حَتَّىٰ فِي وَجْهِ كُلِّ مَنِ ٱفْتَخَرْ(٣)

تَـزِلُّ ٱلْـوُعُـولُ ٱلْعُصْـمُ عَـنْ قَـذَفَـاتِهِـمْ ... وَكَمْ مِنْ عُقَابٍ فِي مَرَاقِيهِمُ ٱنْكَسَرْ(٤)

مَضَوْا شُهَدَاءَ ٱلْحَقِّ فِي نُصْرَةِ ٱلْهُدَىٰ ... وَمَـا بَـرِحُـوا فِـي هِجْـرَةٍ وَعَلَـىٰ سَفَـرْ

---

(١) القِدَّة : الطَّريقة .

(٢) أستعر : هاج واشتد غضبه .

(٣) القُنَّة : أعلى الجبل . شاوٍ : تسهيل شأوٍ ، وهو : السَّبق .

(٤) العُقاب : بضم العين الطائر المعروف يضرب به المثل في العلو في الطيران ، والمعنىٰ : أن العقاب ينكسر جناحه ولا يبلغ علوّ مجدهم .

وَمِـنْ آلِ قَحْطَـانٍ رِجَـالٌ عَلَـى ٱلْـوَفَـا مَضَـوْا بِسَـلاَمٍ ذِكْـرُهُـمْ طَـابَ وَٱشْتَهَـرْ
إِذَا عَـاهَـدُوا وَفُّـوا ٱلْعُهُـودَ وَإِنْ دُعُـوا أَجَـابُـوا وَلَـوْ كَـانَ ٱلظَّـلاَمُ قَـدِ ٱعْتَكَـرْ
كِـرَامٌ يَهَـابُـونَ ٱلْمَـلاَمَ ، وَلَـذْعَـةُ ٱلْـ كَلاَمِ لَهُمْ أَشْوَىٰ مِنَ ٱلصَّارِمِ ٱلذَّكَرْ(١)
وَجَـاءَتْ خُلُوفٌ سُخْنَةُ ٱلْعَيْنِ بَعْدَهُمْ مَشَائِيمُ قَدْ ضَمُّوا إِلَى ٱلْعُجَرِ ٱلْبُجَرْ(٢)
مَـذَامِيـمُ تَطْـوِيـلُ ٱلإِزَارِ مِـنَ ٱلْعُـلا لَـدَيْهِـمْ ، وَتَصْفِيفُ ٱلْمَـلاَبِسِ وَٱلطُّرَرْ
إِذَا عَقَـدُوا عَقْـداً وَقَـالُـوا مَقَـالَـةً فَـلاَ عَقْـدُهُـمْ يُـرْجَـىٰ وَلاَ ٱلْقَـوْلُ يُعْتَبَـرْ
فَـآهٍ مِـنَ ٱلشُّـؤْمِ ٱلَّـذِي مَسَّنَـا بِهِـمْ!! وَآهٍ عَلَـىٰ عِقْـدِ ٱلْكِـرَامِ ٱلَّـذِي ٱنْتَثَـرْ!!
وَلَمَّـا نَصَـرْتُ ٱلْحَـقَّ بَيْـنَ بَنِـي أَبِـي رَأَوْا أَنَّـهُ ٱلـذَّنْـبُ ٱلَّـذِي لَيْـسَ يُغْتَفَـرْ
فَـدَانُـوا بِبُغْضِـي وَٱسْتَهَـانُـوا بِحُـرْمَتِـي وَكَـمْ قَصَـدُونِـي بِـٱلأَذَايَـا وَبِـٱلضَّـرَرْ
وَكَمْ حَطَّ مِنْ قَدْرِي حَسُودٌ فَلَمْ يَنَلْ عُـلاَيَ لأَنِّـي صُنْـتُ نَفْسِـي عَـنِ ٱلْقَـذَرْ
فَـإِنْ جَـاءَ عَنِّـي فَـاسِـقٌ بِنَمِيمَـةٍ وَأَلْصَـقَ بِـي عَيْبـاً وَأَرْجَـفَ وَٱفْتَجَـرْ
فَقُـولُـوا لَـهُ: قَـابِـلْ، فَـذَا هُـوَّ حَـاضِـرٌ وَغِـبَّ ٱلتَّـلاَقِـي يُعْـرَفُ ٱلصَّفْـوُ وَٱلْكَـدَرْ
يَعِيبُـونَنِـي غَيْبـاً وَأُعْلِـنُ ذَمَّهُـمْ وَلَيْـسَ سَـوَاءً مَـنْ أَسَـرَّ وَمَـنْ جَهَـرْ
نُنَـاشِـدُكَ ٱلإِسْـلاَمَ وَٱلْحُـرْمَـةَ ٱلَّتِـي نُـؤَمِّـلُ فِيهَـا أَنْ نَلُـوذَ إِلَـىٰ وَزَرْ
وَلِـي بِخُصُـوصِـي فِـي ٱلـذِّمَـامِ وَثَـائِـقٌ أَبُـوكَ بِهَـا ـ حَيَّـاهُ مَـوْلاَهُ ـ قَـدْ أَقَـرّ
وَأَمْضَـىٰ بِمَـرْأَىً مِـنْ رِجَـالٍ وَمَسْمَـعِ عَلَيْهَـا وَعِنْـدِي خَطُّـهُ ٱلآنَ مُسْتَطَـرْ
وَأَكَّـدَ إِحْـدَاهُـنَّ تَـوْقِيعُكُـمْ بِهَـا وَشَـاعَ لَـدَىٰ أَهْـلِ ٱلْمَـدَائِـنِ وَٱلْـوَبَـرْ
فَمَـا بِـيَ مِـنْ هَضْـمٍ يَمَـسُّ بِمَجْـدِكُـمْ وَأَنْتَ ٱلْحَمِيُّ ٱلأَنْفِ وَٱلأَمْرُ قَدْ ظَهَرْ
أَتَـرْضَـىٰ عَلَـىٰ هَـٰذَا بِـوَاشٍ يَقُـولُ لِـي: كَـلاَمُ ٱلْقُعَيْطِـيِّ ٱلَّـذِي قَـالَـهُ قَصَـرْ ؟!

وكانَ ٱلاقتصارُ أَحقَّ بٱلاختصارِ ، لٰكنْ أَخذَ ٱلكلامُ برقابِ بَعضِهِ ، وٱقتضاهُ سَوْقُ ٱلحفيظةِ ، وٱلاستنجازُ في هٰذا ٱلمَعرِضِ ٱلمناسبِ .

---

(١) اللَّذعة : الحُرقة بالنار . والمعنىٰ : أَنَّ الكلام عليهم أشد عليهم وأخوف عندهم من السَّيف البتَّار .
(٢) العُجَرُ : العروق المتعقِّدة في الظَّهر . البُجر : العروق المتعقِّدة في البطن . والمقصود : أنَّهم ضمُّوا عيباً إلىٰ عيب .

وقد توفِّيَ ٱلسُّلطانُ غالبُ بنُ عوضٍ في سَنةِ (١٣٤٠هـ) ودُفنَ بجانبِ أَبيهِ بمقبَرةِ أَكبر شاه بحيدرِ آبادَ ٱلدَّكَن .

وقد رَثَيْتُهُ عن وجدانٍ صحيحٍ ووِدٍّ صادقٍ ، بقصيدةٍ توجدُ بمكانِها مِنَ « ٱلدّيوانِ »[١] .

ورثاهُ شيخُنا ٱلعلاَّمةُ ٱبنُ شهابٍ بأَبياتٍ ، مِنها :

جَـاءَ تَـارِيـخُ مَـوْتِـهِ   عَظَّـمَ ٱللهُ أَجْـرَكُـمْ

وما سمعنا بسلطانٍ بكَتْهُ رعاياهُ بدموعٍ حارَّةٍ[٢] ، وأَحزانٍ متواصلةٍ.. مثلَهُ ، ولا جَرَمَ ؛ فقد قالَ أَبو ٱلطَّيِّبِ [في « العُكبَرِيِّ » ١/٤٩ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ ٱلأَرْضِ ثُمَّ بَكَىٰ أَسىً   بَكَىٰ بِعُيُونٍ سَرَّهَا وَقُلُوبِ[٣]

---

(١) لمَّا نُعي السُّلطان غالب.. كان المصنِّف خارج حضرموت في الحديدة ، فكان لموته أثر بالغ عليه ، فرثاه بقصيدة تقرب من الخمسين بيتاً ، قال في مطلعها :

فِيمَـا يُكِـنُّ ٱلْغَيْـبُ طَـيَّ ضَمِيـرِهِ   بُـرْهَـانُ عَجْـزِ ٱلْعَبْـدِ عَـنْ تَـدْبِيـرِهِ
سِـرٌّ تَطَـاوَلَـتِ ٱلنُّفُـوسُ لَـهُ فَمَـا   بَلَّـتْ صَـدَاهَـا قَطْـرَةٌ مِـنْ بِيـرِهِ

ومنها :

أَفَلَيْـسَ فِـي ٱلْمَـاضِيـنَ تَعْـزِيَـةٌ لَنَـا   وَلِفُطْـرِنَـا إِذْ جَـاءَ نَعْـيُ أَمِيـرِهِ
هَيْهَـاتَ مَـا عَـنْ غَـالِـبٍ مِـنْ سَلْـوَةٍ   فِـي نُقْطَـةٍ لَـمْ تَكْتَمِـلْ بِنَظِيـرِهِ
يَبْكِيـهِ سَـاحِـلُ (حَضْـرَمَـوْتَ) بِعَبْـرَةٍ   تَجْـرِي بِخَـدٍّ صَغِيـرِهِ وَكَبِيـرِهِ
شَمِـلَ ٱلْمُصَـابُ جَمَـادَهُ وَنَبَـاتَـهُ   وَشَجَـىٰ قُلُـوبَ غَنِيِّـهِ وَفَقِيـرِهِ
إِلاَّ ٱلْخَـزِينَـةَ لَـمْ يَسُـؤْهَـا فَقْـدُهُ   لِسَخَـائِـهِ ٱلْمُفْضِـي إِلَـىٰ تَبْـذِيـرِهِ

ومنها :

عِظَـةٌ يَـذُوبُ لَهَـا ٱلْجَمَـادُ وَعَبْـرَةٌ   تُغْنِـي غَلِيـظَ ٱلْقَلْـبِ مِـنْ تَـذْكِيـرِهِ
إِنَّـا لَيُـوحِشُنَـا خُلُـوُّ مَكَـانِـهِ   مِنْـهُ فَيُسْعِـدُنَـا ٱلْجَـوَىٰ بِـزَفِيـرِهِ

إلىٰ آخرها .

(٢) قيَّد الدُّموع هنا بكونها حارَّة لكونها علامة الحزن ، أَمَّا الدُّموع القارَّة ـ الباردة ـ فهي أَمارة الفرح والسُّرور ومن ذلك قولهم : فلانٌ قرير العين .

(٣) **المعنىٰ** : من أَدخل السُّرور على جميع النَّاس ، ثُمَّ بكىٰ لحزن أَصابه.. ساءَ حزنه النَّاسَ الذين سرَّهم ، فكأَنَّه بكىٰ بعيونهم ، وحزن بقلوبهم ؛ لما يصيبهم من الأَسى والجزع .

وقالَ يزيدُ ٱلمُهَلَّبيُّ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

أَشْـرَكْتُمُـونَـا جَميعـاً فِـي سُـرُورِكُـمْ ... فَلَهْـوُنَـا إِذْ حَـزِنْتُـمْ غَيْـرُ إِنْصَـافِ

وخَلَفَهُ أَخوهُ ٱلسُّلطانُ عُمرُ بنُ عوضٍ ، وكانَ ثقةً ، حازماً ، صادقاً ، شجاعاً ، غيوراً ، ولَهُ وِفاداتٌ مكرَّرةٌ إلىٰ مكَّةَ ٱلمعظَّمةِ وٱلمدينةِ ٱلمشرَّفةِ ، يتواترُ عنهُ فيها ما يدلُّ علىٰ صحَّةِ ٱلإيمانِ وقوَّةِ ٱلدِّينِ ، ولَئِنِ ٱتُّهِمَ بتقصيرٍ في ٱلعبادةِ ، وٱنحرافٍ في ٱلسِّيرةِ . . فٱلنَّدمُ أَمارةُ صدقِ ٱلتَّوبةِ .

وبقيَ علىٰ وِزارتهِ ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ ٱلمِحضارُ ، إلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ في أَيَّامِهِ وافرَ ٱلحرمةِ نافذَ ٱلكلمةِ واسعَ ٱلجاهِ ، كما كانَ في أَيَّامِ ٱلسُّلطانِ غالبٍ ٱلَّذي لا يَعترضُهُ في أَيِّ أَمرٍ كانَ ، بل يُفوِّضُ إليهِ ٱلأُمورَ تفويضاً أَعمىٰ .

أَمَّا ٱلسُّلطانُ عُمرُ . . فقد أَسمعَهُ ما يَكرهُ ، حتَّىٰ لقد أَخبرني ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ هادونَ بنِ أَحمدَ ٱلمِحضارُ : أَنَّ ٱلسَّيِّدَ حسينَ بنَ حامدٍ قالَ لولدِهِ أَبي بكرٍ وهوَ علىٰ فراشِ ٱلموتِ : (إِنَّني قتيلُ عُمرَ بنِ عوضٍ) .

ولَمَّا ماتَ ٱلسَّيِّدُ حسينٌ في آخِرِ سَنةِ (١٣٤٥هـ) . . أَبقى ٱلسُّلطانُ عُمرُ ولدَهُ أَبا بكرٍ ، ثمَّ عَزَلَهُ ، ولَمْ يُثرِّبْ عليهِ[1] ، ولَم يُؤذِهِ في حالٍ ولا مالٍ .

وٱستوزرَ بعدَهُ ٱلمكرَّمَ سالمَ بنَ أَحمدَ ٱلقعيطيَّ ، وجعلَهُ موضعَ ثِقتهِ وأَمانتهِ .

توفِّيَ ٱلسُّلطانُ عُمرُ بنُ عوضٍ أَواخِرَ سَنةِ (١٣٥٤هـ) بحيدرَ آبادِ ٱلدَّكَنِ ، وخلَفَهُ ٱلعلاَّمَةُ ٱلجليلُ ٱلسُّلطانُ صالحُ بنُ غالبٍ ، وكانَ غزيرَ ٱلمادَّةِ في ٱلعِلْمِ ، كما تشهدُ لَهُ بذلكَ مؤَلَّفاتُهُ ٱلمنقطعةُ ٱلنَّظيرِ ، وقد سبقَ في ٱلمُكَلاَّ شَغَفُهُ بِٱلعِلْمِ ، وإنفاقهُ على ٱلمدارسِ ما يوازي ربعَ حاصلاتِ ٱلبلادِ بِٱلتَّقريبِ[2] .

---

(١) لم يثرِّب عليه : لم يكثر العتاب واللوم عليه .

(٢) من مؤلَّفات السُّلطان صالح :

١ـ « مصادر الأحكام الشرعيَّة » ، علىٰ طريقة أَحاديث الأحكام ، مطبوع في (٣) أجزاء ، قال المصنف عنه في « بضائع التابوت » : (منها كتابٌ في الفقه علىٰ طريق الاجتهاد ، أطلعني على حصَّة منه في العادات ، يذكر أدلَّة الأحكام ثمَّ يختار ما ينصُّ عليه أقواها بحسب فهمه ، فأعجبني وآنقني ، =

وقد تجدَّدتْ بينَهُ وبين ٱلحكومةِ ٱلبريطانيَّةِ معاهدةٌ في ٱلأَخيرِ ـ لعلَّها في سَنةِ (١٣٥٨هـ)[1] ـ قَبِلَ فيها أَنْ يكونَ لَهُ مُستشارٌ إنكليزيٌّ ، وعُذرُهُ فيما يَظهرُ : أَنَّ بعضَ آلِ حَضْرَمَوْتَ أَكثروا ٱلزِّرايةَ علىٰ وِزارتهِ ، وتمضَّغوها في ٱلجرائِدِ بحقٍّ وبغيرِ حقٍّ ، وأَغدقوا ٱلعرائِضَ في ذلكَ علىٰ دارِ ٱلاعتمادِ بعدنَ[2] ، وعندما أَحسَّ بٱلإِصغاءِ إِليها معَ تردُّدِ رجالِ ٱلحكومةِ ٱلإِنكليزيَّةِ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ ونزولِهم على ٱلرَّحبِ وٱلسَّعةِ بأَكثرَ ممَّا يوافقُ هواهُم ، ويَملأُ رضاهُم ، ويُوطِّىءُ لَهمُ ٱلمناكبَ ، ويَفتحُ لَهمُ ٱلأَبوابَ . . لَمْ يَسعْهُ ـ مع ما عرفَهُ مِنَ ٱلأَحابيلِ ٱلمنصوبةِ لَهُ ولولدِهِ مِنْ بعدِهِ ، معَ حرصهِ علىٰ توثيقِ ٱلأَمرِ لَهُ ـ إِلاَّ أَنْ يقولَ بلسانِ حالِهِ : (إِذا سعيتُم في موالاةِ ٱلحكومةِ ٱلإِنكليزيَّةِ

= وكان عُرْضَةَ ذلك نفاسةً وتحقيقاً وعذوبة عبارة) اهـ .

٢ـ « الآيات البيِّنات علىٰ وجود خالق الكائنات » ، مطبوع أيضاً ، قال عنه في « بضائع التابوت » : (وقد أطلعني عليه فأَلقيت فيه نظرةً عجلىٰ ؛ إذ كنت علىٰ وَفَازٍ ـ عجلة ـ فإذا به كتاب جليل القدر ، يصف نفسه بنفسه ، ويكلُّ لسان الثَّناءِ عن استقصاءِ وصفه ، ولو لم يكن له إلاَّ سواه . . لأَبقىٰ له الشَّرف الخالد ، والمجْد التَّالد ؛ إذ العلم أَشرف من الملك) اهـ .

وممَّا لم يطَّلع عليه من مؤلَّفاته الأُخرىٰ :

٣ـ « الرِّحلة السُّلطانيَّة إِلىٰ دوعن » ، وفيها من عجائِب الأَفكار ، وبدائع النُّقول عن الكون والإِعجاز والاختراعات الحديثة ما يُدهش المطالع ، توجد منها نسخة بمكتبة الأحقاف بتريم مزودة بالصُّور الفوتوغرافية الملوّنة ، وطبعها بعض الناس من أهل المكلا في سنغافورة في حياة السلطان ، بدون الصور .

٤ـ مبحث في التَّعبُّد بخبر الآحاد . رسالة لطيفة ، أوجب فيها التَّعبُّد بخبر الآحاد . . ولعلَّه أَبعد النُّجعة فيه .

٥ـ تفسير لكلمات القرآن بالأردو ، لم يطبع ، وغيرها .

(١) كانت معاهدة الاستشارة بالتَّحديد في (١٣) أغسطس (١٩٣٧م) ، الموافق لعام (١٣٥٦هـ) .

(٢) يقول الشيخ عبد الله الناخبي : إنَّ هـٰذه العرائِض ـ الَّتي أشار إليها المصنِّف رحمه الله ـ إنَّما استكتبها (انجرامس) ، ذلك السِّياسيُّ الدَّاهية قبل أن يأتيَ إلى المكلاَّ مستشاراً مقيماً ؛ إذ إنَّه كان يتردَّد علىٰ حضرموت كسائح ، وقدمها نحواً من (٣) مرَّات ، جاب خلالها البلاد ، وسبر أخلاق العباد ، وكان يجس نبض زعماءِ قبائِل حضرموت وقادتها حول السَّلاطين القعيطيين وربما استثار أحقادهم عليهم ، واستكتبهم عن السُّلطان صالح ، وسجَّل شهاداتهم تلك في وثائِق سرِّيَّة أخذها معه وسلَّمها إلىٰ والي عدن الحاكم البريطانيِّ ، وكلَّما استجدَّ شيءٌ . . بعث به إليه ، **وكانت هـٰذه العرائِض من وسائِل الضَّغط على السُّلطان في قَبول المستشار .**

برِجْلٍ . . طرتْ فيها بجناحِ)، فكانَ ما كانَ ، إلاَّ أنَّهُ تنازلَ لَهُم عن أكثرَ ممَّا ٱلتزمَهُ[1] .

ولقد كانَ ٱلسُّلطانُ ٱلكثيريُّ ـ معَ نزولِ درجتِهِ عنهُ وصُغْرِ مملكتِهِ بتفاوتٍ عظيمٍ ـ لا يزالُ يُنازِعهُم ، وقلَّما يشتدُّ في أمرٍ إلاَّ وافقوهُ عليهِ ، فتراهُ يتحمَّلُ معَ ٱتِّساعِ مُلكِهِ ما لايتحمَّلُهُ ٱلكَثيريُّ ، وٱلسُّلطانُ صالحٌ محبوبٌ عندَ ٱلنَّاسِ ، مفدَّىً بٱلأَرواحِ مِنْ سائرِ ٱلأَجناسِ :

هُـوَ ٱلْمَلِـكُ ٱلَّـذِي جُمِعَـتْ عَلَيْـهِ	عَلَـىٰ قَـدَرٍ مَحَبَّـاتُ ٱلْعِبَـادِ
تَـوَلَّتْـهُ ٱلْقُلُـوبُ وَبَـايَعَتْـهُ	بِـإِخْـلاَصِ ٱلنَّصِيحَـةِ وَٱلْـوِدَادِ[2]

(١) الاستشارة البريطانيّة وأسبابها : كشف السَّيِّد العلاَّمة ، السِّياسيُّ المحنَّك : حامد بن أبي بكر بن حسين المحضار في كتابه « حياة السَّيِّد الزَّعيم » عن أسباب خفيَّة قد لا يعلمها كثير من النَّاس ، حول قبول السُّلطان صالح للمستشار الإنكليزيِّ ، وجعل أكبر الأسباب هو رغبة السُّلطان صالح الجامحة في إقصاء ابن عمِّه : مُحَمَّد ابن السُّلطان عمر من السُّلطة ، وخوفه من مجيئه إلىٰ المكلاَّ بين الفينة والأخرىٰ ، فلمَّا طلب من حاكم عدن أن يلغي حقَّ ابن عمه من السُّلطة ـ مخالفاً بذلك وصيَّة جدِّه عوض بن عمر ـ رحَّب الحاكم بذلك ، لـٰكن شرط عليه قبول الاستشارة . . فأجابه علىٰ مضض .

ويزيد علىٰ هـٰذا ما تقدم نقله عن الشيخ الناخبي ، ولا منافاة ولا معارضة بين القولين لجواز وقوع كل منهما .

وأنقل هنا نصَّ كلام السَّيِّد المحضار ؛ لما فيه من الفذلكة التَّاريخيَّة ، قال رحمه الله : (ولمَّا توفِّي السُّلطان عمر . . تولَّى السُّلطان صالح ، ولم يواجه أيَّ معارضة من أبناء عمِّه ، ولـٰكنَّه جعل همَّه الأوَّل أن يحرم ابن عمِّه الأمير مُحَمَّد بن عمر من ولاية العهد ؛ ليكون ابنه الأمير عوض بن صالح وليّاً لعهد أبيه ، فنكث عهده ، وأخلف وعده ، ثمَّ ساوم الإنكليز علىٰ قبولهم ابنه وليَّ عهدٍ للسَّلطنة بعده ، واعترافهم به وإلغاءِ ولاية ابن عمِّه الأمير مُحَمَّد بن عمر ، خلافاً لمَّا قرَّره مؤسِّس السَّلطنة الأوَّل ، وخلافاً لما أجمع عليه هو وعمُّه السُّلطان عمر ووزيرهم المحضار ورجال دولتهم . ولم يوافق الإنكليز علىٰ ذلك إلاَّ بشرط أن يقبل السُّلطان صالح مستشاراً إنكليزيّاً مقيماً في عاصمة السَّلطنة ، علىٰ أن يكون للمستشار البتُّ في كلِّ أُمور السَّلطنة ، وليس للسُّلطان أن يتعاطىٰ أمراً ولا نهياً إلاَّ بموافقة المستشار الإنكليزيِّ ، علىٰ أن تصدر الأوامر والنَّواهي بٱسم السُّلطان صالح ، وقَبلَ السُّلطانُ صالحٌ المستشارَ الَّذي أصبح هو المتصرِّف المطلق في أُمور السَّلطنة القعيطية ، وبذلك دفع السُّلطان صالح ثمن حرمان ابن عمِّه من ولاية العهد لينصِّب ولده وليّاً للعهد ثمناً عالياً غالياً جدّاً ، هو في نظرنا أعلىٰ وأغلىٰ من ولاية السُّلطان صالح نفسه ، فضلاً عن ولاية ابنه لولاية العهد ، ولقد تمَّ كلُّ ذلك رغم كلِّ العهود والوعود والشُّهود ، واليوم الموعود ، وكانت عاقبة أمره خسراً) اهـ « السَّيِّد الزَّعيم » (٨٥) .

(٢) البيتان من الوافر ، وهُما للبحتري في « ديوانه » (١/ ١١٩) .

وهوَ كآبائِهِ ، مُحبٌّ بنفسِهِ لِلعدلِ ، بعيدٌ مِنَ ٱلظُّلمِ ، إلاَّ أَنَّهُ يُرخي ٱلأَعنَّةَ للحُكَّامِ وللعمَّالِ . وبما عَرفوا مِنِ ٱنبنائِهِ على ٱلعفوِ ٱلواسعِ ، وٱلحِلْمِ ٱلشَّاملِ . . أَخذوا يَتبسَّطونَ في ٱلمظالمِ ، ونخافُ أَنْ يَخلقوا لَهُ بأَعمالِهِمُ ٱلَّتي هوَ مِنها بَراءٌ بُغضاً في ٱلقلوبِ مِنْ دونِ جنايةٍ فعليةٍ ، ولا نجاةَ مِنْ ذلكَ ٱلخطرِ إلاَّ بأَنْ يأْخذَ هوَ ووزيرُهُ بسيرةِ ٱبنِ ٱلخطَّابِ في مراقبتِهِم وبثِّ ٱلأَرصادِ عليهِم ، حتَّىٰ إنَّهُ لَيُصبحُ وكأَنَّما باتَ معَ كلِّ واحدٍ في فراشِهِ ، تأْتيهِ أَخبارهُم بدونِ غشٍّ في كلِّ ممسىً ومَصْبَحٍ ، ويقولُ : (لَو ضاعتْ ناقةٌ بشاطىءِ ٱلفراتِ . . لكانَ ٱلمسؤُولَ عنها آلُ ٱلخطَّابِ) وما يعني إلا نفسَهُ ، ويقولُ : (لو عثرت دابَّةٌ كانت التَّبيعةُ عليَّ) ، قيلَ لهُ : (ولِمَ) . . قالَ : (لأَنَّ مِن واجبي تعبيدَ ٱلطُّرقاتِ) أَو ما يقربُ من هـٰذا .

وتلكَ هيَ سيرةُ أَزدشير بنِ بَابَكَ[1] ، وقد تقيَّلَها[2] معاويةُ بنُ أَبي سفيانَ ، وزيادُ بنُ أَبيهِ[3] ، فٱنتظمتِ ٱلأُمورُ ، وٱندفعتِ ٱلشُّرورُ ، وٱنعدمَ ٱلجَوْرُ ، وإنَّني لأَتمنَّىٰ أَنْ يتسمَّتها هـٰذا ٱلسُّلطانُ ووزيرُهُ ؛ لِتثلجَ ٱلصُّدورُ ، وتَبرُدَ ٱلخواطرُ ، وتبقىٰ على ٱنعقادِها بمحبَّتِهِمُ ٱلقلوبُ ؛ إذْ لا أَنصرَ لِلسُّلطانِ مِنْ أَفئدةٍ تمتلىءُ بودِّهِ ، وأَلسنةٍ تهتفُ بشكرِهِ ، وفَّقنا ٱللهُ وإيَّاهُم لِما فيهِ خيرُ ٱلإِسلامِ وٱلمسلمينَ .

ولقد كانتِ ٱلحكومةُ ٱلقعيطيَّةُ في أَيَّامِ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ أَحبَّ مِنْ جهةٍ إلى ٱلنَّاسِ مِنها ٱليومَ ، لا لأَمْنٍ يَنبسطُ ، ولا لِعَدلٍ يَنتشرُ ، ولا لخيرٍ يَعمُّ ، ولا لِشرٍّ يَندفعُ ، ولا لِعطاءٍ يُرجىٰ ، ولا لِسيوفٍ تُخشىٰ ، ولـٰكنْ لخصلةٍ واحدةٍ ، وهيَ : جبرُ ٱلقلوبِ ، وأَخذُ ٱلخواطرِ ، وحلاوةُ ٱللِّسانِ ، وٱلمقابلةُ بٱلتَّرحيبِ وٱلمعانقةِ ، وإنْ

---

(١) هو أحد ملوك الفرس ، عرف بالحكمة ، عاش في القرن الخامس قبل الميلاد . « دائرة المعارف » (١/ ١٦١) .

(٢) **تقيَّل فلان أَباه** : نزع إليه في الشَّبه ، **والمقصود هنا** : سار علىٰ نهجه شبراً بشبرٍ ، وذراعاً بذراعٍ .

(٣) وممَّا يروىٰ في هـٰذا أَنَّ رجلاً كلَّم زياداً في حاجة وجعل يتعرَّف إليه ويظنُّ أَنَّ زياداً لا يعرفه ، فقال : أَنا فلان بن فلان ، فتبسَّم زياد وقال له : أَتتعرف إليَّ وأَنا أَعرف بك منك بنفسك؟!! والله إنِّي لأَعرفك وأَعرف أَباك وأَعرف أُمَّك وأَعرف جدَّك وجدَّتك ، وأَعرف هـٰذه البردة الَّتي عليك ، وهي لفلان ، وقد أَعارك إيَّاها . فبهت الرَّجل وارتعد حتَّىٰ كاد يُغشىٰ عليه .

زادَ علىٰ ذلكَ شيئاً . . فما هوَ إلاَّ كرمُ ٱلضِّيافةِ ، حسبما قلتُ لَهُ في ٱلقصيدةِ ٱلآتي خبرُها في أَحوالِ سيئونَ ٱلسِّياسيَّةِ[1] [مِنَ البسيطِ] :

مَلَكْـتَ قَسْـراً قُلُـوبَ ٱلنَّـاسِ قَـاطِبَـةً ... بِخِفَّـةِ ٱلـرُّوحِ وَٱلأَخْـلاَقِ وَٱلْحِيَـلِ

وَبِـٱلْكَـلاَمِ ٱلَّـذِي نِيـطَ ٱلْقَبُـولُ بِـهِ ... مَـعَ ٱلْعِنَـاقِ لَـدَى ٱلتَّـوْدِيـعِ وَٱلْقُبَـلِ

وإنَّما قلتُ : مِن جهةٍ ؛ لأنَّ ٱلجورَ في بعضِ ٱلأَماكنِ ؛ كوادي ٱلأَيسرِ لعهدِهِ تكادُ تنشقُّ ٱلأَرضُ منهُ ، وتخرُّ ٱلجبالُ هدّاً ، ومفاسدُ ٱلاستبدادِ إذ ذاك فوقَ ٱلتَّصوُّرِ .

فإنكاري علىٰ عمّالِ ٱلحكومةِ ٱلقعيطيَّةِ جدُّ شديدٍ في جَوْرِهِم وتنكُّرِهم لِلمناصبِ ولرؤَساءِ يافع وآلِ تميمٍ وآلِ كثيرٍ وغيرِهم مِنْ حلفاءِ ٱلسُّلطانِ ٱلقعيطيِّ وأَشياعهِ .

وقد كان ٱلسَّببَ ٱلأَكبرَ في سقوطِ دولةِ آلِ مروان : إدناءُ ٱلأَعداءِ ، وإبعادُ ٱلأَولياءِ ؛ إذْ صارَ ٱلوليُّ عدوّاً بالإقصاءِ ، وَلَم يَعُدِ ٱلعدوُّ وليّاً بالتَّقريبِ .

وقدِ ٱتَّفقَ أَنَّ بعضَ ٱلعُمَّالِ في سَنةِ (١٣٦٦هـ) أَخذَ أَهلَ دَوعنَ بالشِّدَّةِ وٱلعنفِ ، وحاولَ أَنْ يضغطَ علىٰ سَيبَانَ وآلِ ٱلعَمُوديِّ وٱلسَّادةِ ، ولَم يَدْرِ أَنَّ ٱلضَّغْطَ يُورثُ ٱلانفجارَ ، فكانتِ ٱلنَّتيجةُ أَنْ تحالَفتْ بطونُ سَيبَانَ مِنْ نَوَّحٍ وٱلحَالِكَةِ وٱلخَامِعَةِ وٱلمَرَاشِدَةِ وٱلقُثَمِ وآلِ باخَشْوَين وآلِ باعَمْرُوش وآلِ نهَيم ، ودخلَتْ معَهُمُ ٱلدَّيِّنُ وناسٌ مِنَ ٱلحُمُومِ علىٰ إعلانِ ٱلثَّورةِ عندما يريدُ أَحدَهُم عمّالُ ٱلحكومةِ بالظُّلم ، وتعاقَدوا أَنْ لا يُجيبوا باغيَ هضيمتِهم إلاَّ بأَلْسِنَةِ ٱلبنادقِ ، وقالوا بِلِسانِ حالِهم :

إِذَا ٱلْمَلِـكُ ٱلْجَبَّـارُ صَعَّـرَ خَـدَّهُ ... مَشَيْنَـا إِلَيْـهِ بِـٱلسُّيُـوفِ نُخَـاطِبُـهُ[2]

---

(١) ومناسبتها : توقيع معاهدة عدن سنة (١٣٣٧هـ) الَّتي تقدَّمت الإشارة إليها .
ومطلع القصيدة :

أَهْـلاً وَسَهْـلاً بِمَـنْ وَافَـىٰ وَمَـوْضِعُـهُ ... مِنِّـي وَإِنْ لُمْـتُ فَـوْقَ ٱلـرَّأْسِ وَٱلْمُقَـلِ

اِبْـنِ ٱلْمَحَـاضِيـرِ مَـنْ طَـابَـتْ شَمَـائِلُـهُ ... وَلَـمْ يَحُـلْ قَـطُّ عَـنْ وُدِّي وَلَـمْ أَحُـلِ

وهي غرّاءُ كبقيَّةِ قصائدِ ابن عبيد الله رحمه الله .

(٢) البيت مِنَ الطَّويل ، وهو لبشّار في « ديوانه » ، وفي « الدّيوان » : (نعاتبه) بدل (نخاطبه) . وصعَّر خدَّهُ : أماله عنّا من الكبر .

وعَقدوا بينَهُم عَهْداً وثيقاً وحِلْفاً أكيداً ، مِنْ قواعدِهِ : أَنْ لا وفاءَ ولا بياضَ وجهٍ لمَنْ تأَخَّرَ عنهُ أَو خاسَ بِهِ إِلاَّ دفعُ أَلفِ ريالٍ وقَتلُ أَحدِ أَقربائِهِ علىٰ عوائِدِهِمُ ٱلجاهليَّةِ .

وكانَ ذلكَ أَواخرَ سَنةِ (١٣٦٦هـ) ببُضَهْ ، وشَهِدَه ٱلفَاضِلُ ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ محمَّدِ بنِ أَحمدَ ٱلمحضارُ ، وأَبو بكر بنُ حسينٍ ٱلمحضارِ ، وأَحدُ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلبارِ .

فلَم يَكُنْ مِنَ ٱلحكومةِ إِلاَّ أَنْ عزلَتْ ذلكَ وعملَتْ بسياسةِ معاويةَ بنِ أَبي سفيانَ ؛ إِذْ يقولُ : (لَو كانت بيني وبينَ ٱلنّاسِ شعرةٌ . . لَمْ تَنقطعْ ؛ لأَنَّهم إِنْ شَدّوا . . أَرخيتُ ، وإِنْ أَرخوا . . قَبضتُ)[١] ، ونِعِمّا فَعَلَتِ ٱلحكومة بذلكَ ؛ لأَنَّهُ إِذا ٱلتقى ٱلسيفانِ . . ذهبَ ٱلخيارُ ، ولـٰكن ٱلصَّيفَ ضَيَّعْتِ ٱللَّبَنَ ؛ إِذْ لَم يَكُنْ إِلاَّ بعدَ أَنْ خَسِرتْ مِنَ ٱلهيبةِ ، وفَقَدتْ مِنَ ٱلأُبَّهةِ ما لا يُمكنُ تلافيهِ إِلاَّ بتحمُّلِ مِنَّةٍ تتفسَّخُ مِنها ٱلقوائِمُ لحكومةِ عدن ، معَ أَنَّها كانَت في غنىً عَن ذلكَ ؛ لانعقادِ ٱلقلوبِ علىٰ محبَّةِ ٱلسُّلطانِ ، لعفَّتِهِ عَن أَموالِ ٱلنَّاسِ . . فلاَ يحتاجُ إِلى ٱلعنفِ إِلاَّ ٱللِّئامُ ٱلَّذينِ لا يُصلحهُم غيرُهُ .

وَوَضْعُ ٱلنَّدَىٰ فِي مَوْضِعِ ٱلسَّيْفِ بِٱلْعُلاَ ... مُضِرٌ كَوَضْعِ ٱلسَّيْفِ فِي مَوْضِعِ ٱلنَّدَىٰ[٢]

ولَو أَنَّ عمّالَ ٱلقعيطيِّ سايَسوا ٱلكرامَ مِنْ سَيبَان وٱلعموديِّ بٱلرِّفْقِ . . لاستقامَ ٱلحالُ ، وٱنْحَلَّ ٱلإِشكالُ ؛ إِذِ ٱلكرامُ كما قالَ ٱلأَوّلُ :

قَـوْمٌ إِذَا شُـومِسُـوا لَـجَّ ٱلشِّمَـاسُ بِهِـمْ ... ذَاتَ ٱلْعِنَـادِ وَإِنْ يَـاسَـرْتَهُـمْ يَسُـرُوا[٣]

وقالَ سعيدُ بنُ ناسبٍ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَمَا بِيْ عَلَىٰ مَنْ لاَنَ لِي مِنْ فَظاظَةٍ ... وَلَـٰكِنَّنِـي فَـظٌّ أَبِـيٌّ عَلَـى ٱلْقَسْـرِ

هـٰذا ما يحسنُ أَن يُعاملَ بِهِ ٱلكرامُ ، أَمَّا ٱلرِّذالُ . . فلا يُصلِحُهم إِلاَّ ضربُ ٱلقَذالِ[٤] ،

---

(١) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢٣٨) .

(٢) البيت من الطَّويل ، وهو من الأمثال السَّائرة للمتنبِّي . « العكبري » (١/ ٢٨٨) .

(٣) شُومِسوا : تُشُوغِبَ عليهم . وأصل الشماس عدم استقرار الدابة وانقيادها لشغبها ، واستعارةُ هنا للآدميين . والله أعلم .

(٤) القَذال : جماع مؤَخَّر الرأس .

وبمثلِ ذلكَ جاء ٱلقرآنُ ٱلعظيمُ ، وسارَ عليهِ ٱلشَّارعُ ٱلحكيمُ ، ومعاذَ ٱللهِ أَن يُصْلِحَ آخرَ هٰذِهِ ٱلأُمَّةِ إِلاَّ مَا أَصلحَ أَوَّلَها ، ولاَ معرفةَ لي تكفي ٱليومَ للحُكمِ بحالِ ٱلقومِ ، ولٰكنَّ مَن يَرِدُني من آل العموديِّ وَآلِ ٱلعطَّاسِ يحدِّثُني عَن شهامتِهم ونخوَتِهم بما يبعدُ معَهُ أَن تُذَلِّلَ مَعاطسَهم ٱلخُطُمُ ، وقد قالَ بعضُ شعرائِهم ٱلمتأخِّرينَ ـ واسمه سعيدُ بنُ سالمٍ بانهيم المرشدي ـ :

لاَ حـــق بــــامُـــدَّهْ ولا منقـــوذْ ... ولا شـــريعـــهْ عنـــد قـــاضـــيْ
لَمَّـــا يُغَلِّـــق كسبـــيَ المـــوجـــوذْ ... هفـــوه لهـــم والقلـــب راضـــيْ

ولا أُشنوعَة عليهِ بٱلتَّمدُّحِ بٱلامتناع عَنِ ٱستدعاءِ ٱلقضاةِ ؛ لأَنَّهم لصوصٌ[١] . . فلهُ مِن جورِهم مخرجٌ عن هٰذا ، وفيهِ شبهٌ مِن قولِ بعضِ ٱلأَوَائِلِ[٢] [مِنَ ٱلطَّوِيلِ] :

بَنِي عَمِّنَـا لاَ تَـذْكُـرُوا ٱلشِّعْـرَ بَعْـدَمَـا ... دَفَنْتُـمْ بِصَحْـرَاءِ ٱلْغُمَيْـمِ ٱلْقَـوَافِيَـا[٣]
فَلَسْنَـا كَمَـنْ كُنْتُـمْ تُصِيبُـونَ سَلَّـةً ... فَنَقْبَـلُ ضَيْمـاً أَوْ نُحَكِّـمُ قَـاضِيَـا[٤]

---

(١) أراد الشيخ رحمه الله تعالى قول ابن المنجم :

فـــلا تجعلنِّـــي للقضـــاء فـــريســـة ... فـــإن قضـــاة العـــالميـــن لصـــوصُ
مجـــالسهـــم فينـــا مجـــالـــس شـــرطـــة ... وأيـــديهـــم دون الشُّصـــوصِ شصـــوصُ

الشُّصوص ـ جمع شِص ـ وهو : اللص الذي لا يدع شيئاً أتى عليه إلا أخذه .
فقال أبو جعفر البحّاث متمماً لهٰذين البيتين :

ســـوىٰ عصبـــة منهـــم تُخَـــصُّ بعفـــةٍ ... ولله فـــي حكـــم العمـــوم خصـــوصُ
خصـــوصهـــمُ زانَ البـــلادَ وإنَّمـــا ... يـــزيـــن خـــواتيـــمَ الملـــوك فصـــوصُ

(٢) هو الشَّميذَرُ الحارثي ، كما في « ديوان الحماسة » (١/ ٣١) ، وكان قد قُتِل أخوه غيلةً . . فقتلَ قاتِلَ أخيه نهاراً في بعض الأسواق من الحضر .

(٣) قال شارح « ديوان الحماسة » (١/ ٣١) : صحراء الغُميم : اسم موضع . والقوافي : جمع قافية ، وأراد بها القصائد . وفي دفن القوافي معنيان ؛ أحدهما : أنكم انهزمتم بهٰذا الموضع . . فلا تكلفوا أحداً مدحكم ولا تفتخروا في شعر ؛ لسوء بلائكم بهٰذا الموضع . والثاني : أن شاعرهم قُتل ودفن بهٰذا الموضع . . فكأنه يقول : لستم قادرين على الشعر وقد دفنتم شاعركم بصحراء الغميم . . فلا تتكلفوا ،الستم من أهله ؛ فعلى هٰذا : كأنه قال : دفنتم صاحب القوافي .

(٤) السَّلَّة : السرقة . يقول لهم : لسنا كمن كنتم تقصدونه وهو متفرد شاذ فتصيبونه سرقة فنرضى بالضيم ، أو نحاكمكم إلى قاض .

وَلَـٰكِـنَّ حُكْـمَ ٱلسَّيْـفِ فِينَـا مُسَلَّـطٌ فَنَرْضَىٰ إِذَا مَا أَصْبَحَ ٱلسَّيْفُ رَاضِيَا[1]

ولا أذكرُ قائلها ٱلآنَ ، ولـٰكنَّني أعرفُ أَنَّ موسى بن ٱلمهديِّ تمثَّلَ بها لمّا جيءَ برأس ٱلحسينِ بنِ عليٍّ بنِ ٱلحسنِ ٱلمثنَّى ، وجعلَ يوبِّخ مَن أُسرَ مِن أَصحابهِ ويقتلُهم .

والحسينُ هـٰذا هو ٱلفخي نسبةً إلىٰ محلِّ واقعتِهِ ، وهو بمكَّة أو قريبٍ منها ، أَو هوَ وادي ٱلزَّاهرِ . . فكلُّ ذلكَ قيلَ ، وهي أقوالٌ متقاربةٌ .

ولطَالما حدَّثني ٱلواردونَ عَن شهامةِ أُولئكَ ، غيرَ أَنَّ قياسَ ٱلمشاهدةِ علىٰ ما نعرفُ مِن قبائلِ بلادِنا . . يجعلُ ٱلسَّعيَ مهلاً ، وٱلصَّعبَ سهلاً ، وٱلعُسرَ إلى ٱلمياسرَةِ .

وبعدَ أَن فرغتُ مِن هـٰذا ٱلكتابِ بشهورٍ أخبرني غيرُ واحدٍ بأَنَّ أَحدَ رؤساءِ آلِ ماضي ـ وكان يحطبُ في حبلِ ٱلحكومة ـ ٱبتزَّ ٱمرأةَ رجلٍ غائبٍ بالهندِ ، ولمَّا حضرَ . . ٱمتلأَ غيظاً ـ وفيما دونَ هـٰذا يحمىٰ أَنفُ ٱلكريمِ ـ فلم يبخلْ بٱلمالِ في سبيلِ غسلِ ٱلعارِ ، فقتلَ ذلكَ ٱلباغي في بلادِهِ ، وٱتُّهم بقتلهِ اثنانِ من آل باصليبٍ ، فجهَّزت عليهمُ ٱلحكومةُ نحوَ سبع مئةِ جنديٍّ بدبَّاباتِهم فما دونَها مِنَ ٱلآلاتِ وٱلأَسلحةِ وٱلعتادِ ، فصبرَ لهم رئيسُ آل باصليبٍ ، وكانَ شهماً ، وأَبلىٰ فيهم أَحسنَ ٱلبلاءِ ، ثمَّ قُتلَ ، وأشبل عليهِ أَخوهُ وٱبنُهُ فأُصيبا[2] ، ولـٰكنَّهما ٱحتملاهُ ، رحمةُ اللهِ عليهِ ، لقد ماتَ شهيداً وأبقىٰ ذِكراً مجيداً :

فتىً مَاتَ بَيْـنَ ٱلطَّعْـنِ وَٱلضَّـرْبِ مِيتَـةً تَقُـومُ مَقَـامَ ٱلنَّصْـرِ إِنْ فَـاتَـهُ ٱلنَّصْـرُ[3]
وَقَـدْ كَـانَ فَـوْتُ ٱلْمَـوْتِ سَهْـلاً فَـرَدَّهُ إِلَيْـهِ ٱلْحِفَـاظُ ٱلْمُـرُّ وَٱلْخُلُـقُ ٱلْـوَعْـرُ[4]
وَنَفْـسٌ تَعَـافُ ٱلْعَـارَ حَتَّـىٰ كَـأَنَّمَـا هُـوَ ٱلْكُفْـرُ يَـوْمَ ٱلـرَّوْعِ أَوْ دُونَـهُ ٱلْكُفْـرُ

وكانَ كلُّ ذلكَ ـ حَسَبَما يُقالُ ـ بخيانةٍ من بعضِ آلِ باصليبٍ أَنفسِهم ، ثمَّ لم يكن مِنَ ٱلحكومةِ إلاَّ إِهانتُهم ، وأَخذُ أَسلحتِهم .

---

(١) رضا السيف ؛ كناية عن كونه يعمل حتى يكِلَّ .
(٢) أشبل عليه : عطفَ .
(٣) الأبيات من ٱلطَّويلِ ، وهي لأبي تمام في « ديوانه » (٢/ ٣٠٣) .
(٤) الحفاظ المر : الدفاع الشديد . الخلق الوعر : النزق والشدة عند المنازعة .

وبإثرِ هـٰذهِ ٱلحادثةِ تراخىٰ أَمر ذلكَ ٱلحلفِ ؛ إذ تقنَّعتِ ٱلأَحلافُ ، ولم يلبثّ صوتَ ٱلمقدَّمِ سعيد باصليبٍ إِلاَّ ٱلمَشَاجرةُ ، جاؤُوا مِن يبعثَ ونواحيها في نحوِ سبعِ مئةِ رامٍ ، يتقدَّمُهُم باشقيرٍ ، ولـٰكن بعدَ ما سبقَ ٱلسَّيفُ ٱلعذلَ ، وفرغوا من سعيدٍ باصليبٍ . . فعادوا أَدارجَهم .

وكانَ عِندَ آلِ العموديِّ بعضُ مأْجوري ٱلحكومةِ يشاغلونهم بٱلكلامِ ، حتَّىٰ قضيَ ٱلأَمرُ ، وما أَظنُّهُ إِلاَّ يتساوى ٱلنَّاسُ ، ويصحُّ ٱلقياسُ .

وقالَ ٱلطَّيِّبُ بامخرمة في ٱلتَّعريفِ بٱلشِّحْرِ : (سُمِّيتِ ٱلشِّحْرُ بهـٰذا ٱلاسمِ لأَنَّ سكّانَها كانوا جيلاً مِنَ ٱلمَهرةِ يُسمَّونَ : ٱلشَّحْراتِ ـ بٱلفتحِ وسكونِ ٱلحاءِ ٱلمهملةِ وفتحِ ٱلرّاءِ ، ثمَّ أَلِفٍ ، فحَذفوا ٱلأَلِفَ وكَسروا ٱلشّينَ ، ومنهُم مَنْ لَم يَكسِرْها ، وٱلكسرُ أَكثرُ ـ وتسمَّىٰ : **ٱلأَشحارَ أَيضاً** ؛ كٱلجمعِ . وتسمَّىٰ : **ٱلأَشغاءَ** ؛ **لأَنَّهُ** كانَ بها وادٍ يُسمَّى ٱلأَشغا[1] ، كانَ كثيرَ ٱلشَّجرِ ، وكانَ فيهِ آبارٌ ونخيلٌ ، وكانتِ ٱلبلادُ حولَهُ مِنَ ٱلجانبِ ٱلشَّرقيِّ ، وٱلمقبرةُ ٱلقديمةُ في جانبهِ ٱلغربيِّ .

وتسمَّىٰ أَيضاً : **سَمْعُون** ؛ لأَنَّ بها وادٍ يُسمَّىٰ بذلكَ ، وٱلمدينةُ حولَهُ مِنَ ٱلشّرقِ وٱلغربِ ، وشُرْبُ أَهلِها مِنْ آبارٍ في سَمْعُون . وتسمَّىٰ : **ٱلأَحقافَ أَيضاً** .

وقد ذكرَ هـٰذهِ ٱلأَسماءَ ٱلنَّقيبُ أَبو حنيفةَ ، وٱسمُهُ أَحمدُ ، كانَ مِنْ أَولادِ أَحدِ تجّارِ عدن ، ثمَّ صارَ نقيباً لفُقَراءِ زاويةِ ٱلشَّيخِ جوهر[2] ، ثمَّ عزمَ إِلى ٱلشِّحْرِ ، وٱمتدحَ

---

(١) انتقد هـٰذه التسمية صاحب « الشامل » وأكد أَنَّ صوابها : الأَسعاءُ ، بالسِّين المهملة ، والعين المهملة ، وأَنَّ الشِّين إِنَّما هي تصحيف . ومن أَسماءِ الشِّحر المعروفة أيضاً : (سُعاد) .

(٢) الشَّيخ جوهر العدني (٠٠٠ ـ ٦٢٦هـ) : هو الشَّيخ الكبير الصوُّفيُّ الصَّالح ، المشهور بعدن ، يقال : إِنَّه من أهل الجَنَدِ ، كان عبداً عتيقاً أَميناً ، وكان يتَّجر في سوق عدن في البزِّ ، لقي الشَّيخ باحُمْران ، وكراماته كثيرة ، وقبره معروف بعدن .

وممَّا ينسب له من الشِّعر هـٰذه الأبيات :

إِذَا سَعِـــدُوا أَحْبَـــابُنَـــا وَشَقِينَـــا ... صَبَـرْنَـا عَلَـىٰ حُكْـمِ ٱلْقَضَـا وَرَضِينَـا
وَإِنْ جَيَّـشَ ٱلأَحْبَـابُ جَيْشـاً مِـنَ ٱلْجَفَـا ... بَنَيْنَـا مِـن ٱلصَّبْـرِ ٱلْجَمِيـلِ حُصُـونَـا
وَإِنْ بَعَثُـــوا خَيْـــلَ ٱلصُّـــدُودِ مُغِيـــرَةً ... بَعَثْنَـا لَهُـمْ خَيْـلَ ٱلْـوِصَـالِ كَمِينَـا=

سلطانَها عبدَ ٱلرَّحمـٰنِ بنَ راشِدٍ بأَشعارٍ كثيرةٍ ، مُعظمُها على ٱلبال بال ، وهوَ ٱلَّذي يُسمِّيهِ أَهلُ حضرموتَ ٱلدان دان .

وخرجَ مِنَ ٱلشِّحْرِ جماعةٌ مِنَ ٱلعلماءِ ٱلفضلاءِ ؛ كآلِ أَبي شُكَيلٍ[1] ، وآلِ ٱلسَّبْتيِّ ، وآلِ بن حاتمٍ ، وغيرهم . **وإِليها يُنسبُ خَلقٌ كثيرٌ** ؛ منهُم : محمَّدُ بنُ معاذٍ ٱلشِّحريُّ ، سمعَ مِنْ أَبي عبدِ ٱللهِ ٱلفزاريِّ[2] . وٱلجمالُ محمَّدُ بنُ عمرَ بنِ ٱلأَصفرِ ٱلشِّحْريُّ ، سمع منه القواضي بماردين سنة « ٦٨٠ هـ » .

= وَإِنْ شَهَـــرُوا أَسْيَـــافَهُـــمْ لِقِتَـــالِنَـــا ... أَتَيْنَـــاهُـــمُ بِـــالـــذُّلِّ مُـــدَّرِعِينَـــا
أَجِبَّـــاءَنَـــا جُـــورُوا وَإِنْ شِئْتُـــمُ اعْـــدِلُـــوا ... صَبَـــرْنَـــا عَلَـــىٰ حُكْـــمِ الْقَضَـــا وَرَضِينَـــا

« تاريخ عدن » (٧١ـ٧٣) .

(١) لم يذكر المصنِّف هنا أحداً من علماءِ آل باشكيل ، وحقُّهم أن يذكروا ؛ فمن أجلِّهم :
العلاَّمة القاضي مُحَمَّد بن سعد بن مُحَمَّد بن عليِّ بن سالم باشكيل الأَنصاريُّ الخزرجيُّ ، ولد سنة (٦٦٤هـ) ، وتولَّىٰ قضاءَ زبيد ، ثمَّ درّس بعدن ، وانفصل سنة (٧٢٠هـ) ، وأقام بالشِّحر ثلاث سنين ، كان فقيهاً كبيراً ، له شرح علىٰ « الوسيط » للغزاليِّ ، في عداد المفقودات ، وفتاوىٰ ، ونبذة في الأنساب ، توفِّي أواسط القرن الثامن .
مُحَمَّد بن مسعود بن سعد بن أحمد بن سعد باشكيل ، ولد بغيل باوزير سنة (٨٠٤ هـ) ، ومناقبه كثيرة ، له شرح علىٰ « المنهاج » للنووي ، جمع فيه بين شروح الإسنوي والسُّبكيِّ والأذرعي وابن النَّحوي .
وهو جدُّ القاضي المؤرِّخ مُحَمَّد الطَّيب بامخرمة ، لأُمِّه ، توفي سنة (٨٧١ هـ) .

(٢) صوابه : الفَرَاويُّ ، بفاء وراء ، نسبة إلىٰ فَرَاوة بالفتح ، بليدة من أعمال نسا ، تقع بينها وبين دهستان وخوارزم ، خرج منها جماعة من أهل العلم ، ويقال لها : رباط فراوة ، بناها عبد الله بن طاهر في خلافة المأمون . وأبو عبد الله المذكور هنا هو : الإمام محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد الفَرَاوي ، المولود سنة (٤٤١هـ) ، والمتوفىٰ سنة (٥٣٠هـ) . كان يعرف بفقيه الحرم ، من أئمة الشافعية .
من شيوخه : الحافظ أبو عثمان بن الصابوني ، وأبو إسحاق الشيرازي ، والحافظ الإمام البيهقي ، وابن القاسم الصفار ، وأبو المعالي الجويني ، وغيرهم . قال ياقوت : روىٰ عنه شيخنا المؤيد بن محمد بن علي الطوسي ، وأبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن سكينة بالإجازة ، وله مجالس في الوعظ والتذكير مجموعة . اهـ وأرخ وفاته في (٥٠٣هـ) . « الأعلام » (٦/ ٣٣٠) ، « معجم البلدان » (٤/ ٢٤٥) ، « شذرات الذهب » (٤/ ٩٦) ، « بروكلمان » (١/ ٤٣٦) . خرّج له ابن معاذ الشحري « أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً » ، قاله السمعاني .

ومن شِحْرِ عُمَان : عمرو بن أَبي عُمَرَ الشِّحري ، أَنشدَ لَهُ ٱلثَّعالبيُّ شِعراً في « ٱليتيمةِ ») اهـ[1]

وقد أطلتُ ٱلقولَ على ٱلأَشحارِ بـ« ٱلأَصلِ » ، ومتىٰ عَرفنا أَنَّهُ مِنْ أَسماءِ ٱلشِّحْرِ . . ٱنحلَّ ٱلمشْكِلُ عليَّ فيهِ ، فهـٰذا ممّا يستدركُ علىٰ ما هناكَ .

وطالَما ٱستشكلتُ قولَهُم : (إِنَّ ٱلمظفَّرَ هوَ ٱلَّذي جعلَ ٱلشِّحْرَ مدينةً) ، معَ عاديِّ عُمرانِها ، وتقادُمِ أَخبارِها ، وٱلمفهومُ : أَنَّها كانت مدينةً عامرةً ثمَّ ٱندثرَتْ حتَّىٰ عمَّرَها ٱلمظفَّرُ ، فهـٰذا ٱلجَمْعُ متعيِّنٌ .

ومرَّ أَوائِلَ هـٰذهِ ٱلمسوَّدةِ عن ياقوت ذِكرُ محمَّدِ بنِ خُوَيٍّ بنِ معاذٍ[2] ، ولـٰكنَّ ٱلطَّيِّبَ بامخرمة نَسبَهُ إِلىٰ جدِّهِ ولَم يَذكرْ أَباهُ .

وقالَ ٱلطَّيِّبُ أَيضاً في مادةِ (ذَبْحَان)[3] : (إِنَّ ٱلشَّيخَ محمَّدَ بنَ سعيدِ بنِ أَحمدَ ٱلذَّبحانيّ[4] تفقَّهَ حتَّىٰ ترشَّحَ لِلفَتوىٰ ، ثمَّ سلكَ طريقَ ٱلتَّصوُّفِ ، وٱجتهدَ في ٱلخلوةِ

---

(١) بعد الرجوع إلى « اليتيمة » ومع شدة البحث تبين أن الذي ذكره الثعالبي هو : أبو الحسن عمر بن أبي عمر السُّجْزِي النوقاني ، من أهل خراسان ، فلعل كلمة السُّجْزِي اشتبهت على بامخرمة فظنها الشحري . والله أعلم .

(٢) محمد بن خوي بن معاذ ، كذا في نسخ « النسبة » ، وفي المطبوع من « تكملة الإكمال » (٣/ ٣١٧) وسمّاه : محمد بن خرفي ، وفي « الأنساب » (٣/ ٤٢٨) سمّاه : محمد بن حرمي ، بحاء وراء وميم مهملات . قال السمعاني (٥٨١٩) : محمد بن حرمي بن معاذ الشحري اليماني ، من أهل الشحر ، ورد العراق وسمع بها وبخراسان . سمع بنيسابور أبا عبد الله محمد بن الفضل الساعدي ، وبمرو أبا الحسن علي بن محمد بن عبد الله الدهان ، وجماعة سواهما . وما رأيته ، ورأيت اسمه على أجزاء الحديث ، وخرّج لشيخنا الفراوي « الأربعين حديثاً عن أربعين شيخاً » اهـ والساعدي والفراوي هما شخص واحد ، تقدمت ترجمته . وزاد صاحب « تكملة الإكمال » : وله شعر . اهـ وفي هـٰذه النصوص زيادات مفيدة جداً ، كما صرح السمعاني بأنه من أهل شحر عمان وهو صريح في أنه ليس من هـٰذه المدينة التي الحديث ههنا عنها ، لما تقدم نقله عن « الشامل » . انظر « معجم البلدان » (٣/ ٣٢٨) .

(٣) ذبحان عزلة فيها عدد من القرىٰ ، أكبرها التُّربة ، وهي اليوم مَركَزُ ناحية الحُجَريَّة المعافر من أعمال تعز ، وكان مركزها من قبل جبا . « هجر العلم » (٦٨٨) .

(٤) أصلهم من ذبحان ، هاجروا إلىٰ عدن ولعلَّ الَّذي قدم عدن هو والده الفقيه سعيد بن أحمد ، المتوفَّىٰ بعدن في (٢٠) رجب (٨٨٨هـ) ، تفقَّه على القاضي إسماعيل بن المقري مصنف « الإرشاد » ، =

والعبادةِ ، ودخلَ الأَربعينيَّةَ مراراً ، وسارَ إلى الشِّحْرِ وإلىٰ دَوْعَن وحَضْرَمَوْتَ ، وزارَ الصَّالحينَ بها ، ثمَّ رجعَ إلىٰ عدن واستوطنَها ، ولَهُ مصنَّفاتٌ في الحقيقةِ ، تدلُّ علىٰ فَضْلهِ واتِّساعِ عِلْمهِ ، وكانَ يَحضرُ السَّماعَ ويتواجدُ ، توفِّيَ لسبعٍ خَلَتْ مِنْ ربيعِ الآخِرِ سَنَةَ « ٨٨٥هـ » بعدن ، قُبيلَ أَبيهِ بقليلٍ ، ولِلغُواةِ فيهِ اعتقادٌ ، خصوصاً يافع والهنودُ . وربَّما تخلَّفَ عنِ الجمعةِ ، والظَّاهرُ مِنْ حالهِ أنَّهُ لا يتخلَّفُ عنها إلا لِعذرٍ شرعيٍّ ، ولَهُ أَشعارٌ جيِّدةٌ ، وقد أَفتىٰ وهوَ ابنُ اثنتي عشرَةَ سنةً) اهـ[١]

ولا يُحصىٰ كثرةُ مَن أَنجبتْهُ الشِّحْرُ مِنْ رجالاتِ الفضلِ والعِلْمِ ، وقد أُلِّفتْ لذلكَ الكتبُ ؛ ككتابِ : « نشرِ المحاسنِ المسكيَّةِ في أَخبارِ فضلاءِ الشِّحْرِ المحميَّةِ »[٢] لِلسَّيِّدِ باحسنٍ[٣] .

وفي « الأَصلِ » : (أَنَّ والدَ الشَّيخِ عبدِ اللهِ القَدِيمِ عبّاد ـ وهوَ الشَّيخُ محمَّدُ بنُ عَبدِ الرَّحمـٰنِ مولى السَّاسِ سارَ إلى الشِّحر ، ودفن بمقبرة الخَور عند الشَّيخ أبي فادة[٤] ، وكان ذلك أَوائِلَ القرنِ السَّابعِ) اهـ[٥]

= وعلى القاضي مُحَمَّد ابن كَبِّن العدني . وفي « الهجر » أن وفاته (٨٧٧هـ) ، وهو وهم ، فليصحح .

(١) الشاهد في هـٰذا النقل : ذكر الشحر فيه ، ودخول العلامة الذبحاني إليها ، تدليلاً على وجود علماء بها آنذاك .

(٢) الصَّواب أَنَّ اسمه « نشر النَّفحات المسكيَّة في أَخبار الشِّحر المحميَّة » ، كما ورد في مقدِّمته من النسخة التي بخطِّ مؤلِّفه ، وكما ورد في ترجمته في « تاريخ الشعراء » (٥/ ٦٣) . احتوىٰ هـٰذا الكتاب علىٰ تراجم جملة من صالحي الشِّحر وعلمائها ، وعرض أَيضاً إلىٰ أَخبارها السِّياسيَّة وذكر حكَّامها وحوادثها ، وهو كتاب نفيس ، يستحقُّ النَّشر ؛ لاحتوائهِ علىٰ تراجم كثير من المتأَخرين ممَّن عاصرهم المؤَلِّف ، ولعلَّ البعض لم يُتَرْجَم لهم في سواه ، يقع في جزأين .

(٣) هو السَّيِّد الأَديب الأَريب عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الله باحسن جمل اللَّيل ، باعلويٌّ الحسينيُّ . ولد بالشِّحر سنة (١٢٧٨هـ) وبها توفِّي سنة (١٣٤٧هـ) ، طلب العلم بسيئون عند الحبيب عليِّ بن مُحَمَّد الحَبْشِيِّ ، وأخذ عن عدد من العلماءِ كالشَّيخ ناصر بن صالح ابن الشَّيخ عليٍّ ، والشَّيخ مُحَمَّد بن سالم باطويح ، والسَّيِّد علويٌّ المشهور ، والسَّيِّد عبد الله بن محسن السَّقَّاف ، وأجلُّ شيوخه السَّيِّد عبد الله بن سالم عيديد . آثاره : له التَّاريخ المذكور ، ونظم « السَّفينة » ، ورسالة سمَّاها « عقد الاتِّفاق على افتتاح مدرسة مكارم الأخلاق » . ينظر « تاريخ الشُّعراءِ » (٥/ ٦٣ـ٧١) .

(٤) كذا بالأصل ، وعند شنبل : أبي حارة .

(٥) تفرَّد المؤرِّخ شنبل بإيراد خبر وفاة الشَّيخ باعباد في الشِّحر ، وذلك سنة (٦٢٢هـ) ، ونصُّ الخبر =

وفي سنة (٧٦٠هـ) توفِّي بها ٱلقاضي أَبو شكيلٍ .

وفي سَنةِ (٨٠٥هـ) توفِّيَ بها ٱلشَّيخُ فضلُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ فضلِ بنِ محمَّدٍ بافضلٍ[١] ، وهوَ مِنْ أَقرانِ ٱلشَّيخِ ٱلسَّقَّافِ ، طَلبَ ٱلعِلْمَ هوَ وإياهُ بشبام عندَ ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ أَبي بكرٍ عبّاد .

قالَ ٱلطَّيِّبُ بامخرمة : (إِنَّ ٱلشَّيخَ جمالَ ٱلدِّينِ محمَّدَ بنَ سعدِ بنِ عليِّ بنِ محمَّد كَبَّن ٱلطَّبريَّ جامعٌ لأَشتاتِ ٱلعلومِ ، كانَ يعاني ٱلتِّجارَةَ ، حتَّىٰ قالَ لهُ ٱلشَّيخُ فضلٌ ـ ٱلمذكورُ ـ ما معناه : ارجعْ يا قاضي عدن ، فَوَقَعَ ذلكَ في قلبهِ ، وٱشتغلَ بٱلعلمِ ، وقرأَ بٱلشحرِ على ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليِّ بنِ أَبي حاتمٍ « ٱلتنبيهَ » جميعَهُ ، ومِنْ أَوَّلِ « المهذَّبِ » إِلى (المساقاة) ، توفِّي سنةَ « ٨٤٢هـ » بعدن ، وقد نَيَّف على ٱلسَّبعينَ) اهـ بمعناهُ مِن « عقودِ ٱللَّآلِ » لسيدي ٱلأُستاذِ ٱلأَبَرِّ .

وفي سَنةِ (٩٠٧هـ)[٢] توفِّيَ بها ٱلعلاَّمةُ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بلحاج بافضل[٣] . وفي تلكَ ٱلسَّنةِ توفِّيَ بها أَيضاً ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدِ بنِ حسنِ بنِ محمَّدِ بنِ

= فيه : (وفي سنة (٦٢٢هـ) توفِّي الرَّجل الصَّالح مُحَمَّد بن عبد الرَّحمـٰن ، أَبو الشَّيخ عبد الله أبا عبّاد ، ودفن بمقبرة الشِّحر الغربيّة القديمة ، المعروفة الآن بتربة أَبي حارة) اهـ « شنبل » (٨٢) . أمّا ابنه الشَّيخ عبد الله . . فسيأْتي ذكره في شبام .

(١) الشيخ فضل بن عبد الله . . أحد الأئمة الأكابر ، من أعيان عصره ، ولد بتريم سنة (٧٣٠هـ) ، تربى بأبيه ، وسلك على يد الشيخ عبد الله باعلوي ، والإمام محمد بن أبي بكر باعبّاد الشبامي .

ومما ينسب له من الشعر الصوفي ، قوله :

سلبـــــــــت ليلـــــــــى	مِنِّـــــــيَ العقـــــــلا
آه يـــــــا ليلـــــــى	ارحمـــــــي القتلـــــــى
إننـــــــي هـــــائـــــمْ	ولهـــــا خـــــادمْ
أيهـــــا الـــــلائـــــمْ	خلنـــــي مَهْـــــلا

إلى آخرها . . ترجمته في « صلة الأهل » (١٠٣ـ١٢١) .

(٢) في المطبوع من « تاريخ شنبل » (٩٠٨) .

(٣) هو ابن الشَّيخ عبد الله الآتي ذكره ، صاحب المختصرات قرأ على والده وعلى الشيخ أبي بكر العيدروس العدني

أَحمدَ بن عَبْسِين[1] ، وهوَ ٱلَّذي كانَ ٱلسَّببَ في مجيءِ ٱلفقيهِ عبدِ ٱللهِ بلحاج إِلى ٱلشِّحْرِ .

وكانَ ٱبنُ عَبْسِين حَسَنَ ٱلخطِّ ، كتبَ نحو خمسينَ مصحفاً بيدِهِ[2] ، ترجمَهُ ٱلطَّيِّبُ بافقيه ترجمةً جميلةً ، وقالَ : إِنَّ وفاتَه في سنةِ (٩٧٠هـ) لا في سنةِ (٩٠٨) ، وكانَ مِن قضاةِ ٱلعدلِ .

وبِٱلشِّحْرِ توفِّيَ ٱلشَّيخُ عبدِ ٱللهِ بنُ عَبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ أَبي بكرٍ بافضلٍ[3] ، صاحبُ « ٱلمختصر ٱللَّطيفِ » ، ٱلَّذي شرحَهُ ٱلرَّمليُّ[4] ، و« ٱلمختصرِ ٱلكبيرِ » ٱلَّذي شرحَهُ ٱبنُ حجرٍ[5] . وكانت وفاتُهُ بها سَنَةَ (٩١٨هـ) .

وفي مناقبِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ ٱلعيدروسِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلسَّكرانِ بنِ عَبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقّافِ أَنَّهُ : كانَ يحثُّ علىٰ « مختصرِ بافضلٍ » ، فذهبَ وهمي أَوّلاً إِلىٰ أَنَّهُ ٱلكبيرُ من

---

(١) هو الفقيه الصالح الزاهد القاضي عبد الله بن محمد بن حسن بن عَبْسِين الشافعي الشحري ، نشأ في طلب العلم والطاعة والعبادة ، وتصدر للفتوى والتدريس في الشحر ، وتخرج به الطلاب ، وكان عالماً محققاً مدققاً ، ساعياً في قضاء حوائج الناس . له قضية مع السلطان عبد الله بن جعفر الكثيري صاحب الشحر ، وذلك : أن السلطان المذكور اشترى حصاناً من بعض الناس ثم بعد ذلك أراد ردّه وادعى فيه عيباً ، وامتنع من تسليم الثمن للبائع ، فاشتكى عليه إلى القاضي المذكور ، فكتب إليه : أن احضر إلى الشرع الشريف ، ولم يراع السلطان ولا تساهل لأجله ولا حاباه بكلمة واحدة . ولله دره!! ولقد أبقى فخراً ، وغنم أجراً ، وامتطى ذروة السماك ، ورقى فوق أوج الأفلاك . عن « النور السافر » (٧٨ـ ٧٩) . وكانت وفاته في ٤ ربيع الثاني من سنة (٩٠٧هـ) .

(٢) قال بافقيه : (وأَهل الجهة مثل الشِّحر وحضرموت يضربون بخطِّه المثل) .

(٣) هو الشيخ الإمام الصالح ، الولي الكبير ، العارف بالله عبد الله بن عبد الرحمـٰن (ت ٨٦٦هـ) ابن أبي بكر (ت ٨٠٤هـ) ابن محمد الحاج بن بافضل المذْحجي السعدي التريمي . مولده بتريم سنة (٨٥٠هـ) ، ورحل لأداء النسكين وأخذ عن القاضي برهان الدين ابن ظهيرة القرشي ، وأبي الفرج المراغي بالمدينة ، وإبراهيم باهرمز بشبام ، وباجرفيل وبامخرمة (الجد) ، وبافضل العدني ، كلهم بعدن ، وعمر بن عبد الرحمن صاحب الحمراء ، وأخذ عنه جمهرة .

ترجمته في : « النور السافر » ، « تاريخ بافقيه » ، « شذرات الذهب » (١٠/ ١٢٥) ، « صلة الأهل » (١٤٢ـ ١٦٧) ، « السنا الباهر » ، « تاريخ باحسن » ، « الأعلام » (٤/ ٩٦ـ ٩٧) .

(٤) واسم شرح الرملي : « الفوائد المرضيّة على المختصر اللطيف في فقه الشافعية » ، مطبوع .

(٥) واشتهر باسم « المقدمة الحضرمية » واسم شرحه « المنهج القويم بشرح مسائل التعليم » ، وعليه عدة حواش وتعليقات . منها : حاشية نفيسة للإمام عبد الله بن سليمان الجرهزي ، صدرت مؤخراً عن دار المنهاج بجدة ، في مجلدين فاخرين

هـٰذينِ ، وأكثرتُ مِنَ ٱلتَّعجُّبِ ؛ إذْ لَمْ يَكُنِ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بافضلٍ[1] يوم توفِّيَ ٱلشَّيخُ ٱلعيدروسُ إلاَّ وهوَ في أوانِ ٱلبلوغِ[2] ، فكنتُ أستخرجُ بهِ ٱلاعتبارَ مِنَ ٱلإخوانِ[3] ، ولـٰكنْ تبيَّنَ لي بعدَ ذلكَ أَنَّ ٱلمرادَ إنَّما هوَ مختصرٌ لِلعلاَّمةِ ٱلفقيهِ عبدِ ٱللهِ بنِ فضلِ بنِ محمَّدٍ ٱلحاجِ[4] ، ٱلمتوفَّىٰ حوالي سَنةِ (٨٣٤هـ) .

وبٱلشِّحْرِ ٱستشهدَ ٱلشَّيخُ أحمدُ بنُ عبدُ ٱللهِ بنِ عَبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بلحاجٍّ[5] ، ٱبنُ ٱلسَّابقِ ، وكانَ ذلكَ في سَنةِ (٩٢٩هـ)[6] .

وتولَّى ٱلقضاءَ بٱلشِّحْرِ جماعاتٌ مِنْ أهلِ ٱلفضلِ ، منهُمُ : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ باكثيرٍ ، ٱلمتوفَّىٰ في حدودِ سَنةِ (٩٢٠هـ)[7] .

---

(١) ومن مؤلفاته : المختصرات ، الكبير : ويسمى « المقدمة الحضرمية » أو « مسائل التعليم » ، والصغير : ويسمى « المختصر الصغير » .
وله أيضاً : « منسك الحج » ، و« نزهة الخاطر في أذكار المسافر » ، و« حلية البررة في أذكار الحج والعمرة » ، و« الحجج القواطع في معرفة الواصل والقاطع » في صلة الرحم ، ومؤلف في معرفة القبلة ، ومجموع فتاوى .

(٢) إذ وفاة العيدروس كانت سنة (٨٦٥هـ) .

(٣) أي : بنباهة الشَّيخ بافضل وتأليفه المختصر ، وهو في سنٍّ صغير .

(٤) ولد العلامة عبد الله بن فضل بتريم ، وتفقه على عمه الشيخ أبي بكر بن محمد الحاج ، وصحب الشيخ عبد الرحمن السقاف ، وأصهر الشيخ السقاف عنده على ابنته وأولدها ابنه إبراهيم بن السقاف ، كما أخذ عن الشيخ سعد بامدحج ، والفقيه محمد بن حكم باقشير .
سمعه بعض تلامذته وهو في مرض موته يقول : إن سلمتُ من هـٰذا المرض.. درتُ على الناس في ديارهم لأعلمهم ؛ لِمَا رأى من غفلتهم وإعراضهم عن العلم .
وهو جدّ العلامة محمد بن أحمد بافضل العدني ، المتوفىٰ سنة (٩٠٣هـ) ، ترجمته في « صلة الأهل » (١٢٦ـ١٢٩) . « شنبل » (١٧٣) .

(٥) أحمد الشَّهيد ٱبن الفقيه عبد الله بلحاج بافضل (٨٧٧ ـ ٩٢٩هـ) ، ولد بتريم ، أخذ عن أبيه والفقيه مُحَمَّد بن أحمد بافضل العدني ، ويونس بن يونس المصريّ ، والمزجّد ، له تعليقات علىٰ « الإرشاد » و« الروض » ، وله الخطب الَّتي تقرأُ في رمضان .

(٦) كان استشهاده علىٰ أيدي البرتغال لمَّا غزوا الشِّحر ، يوم الجمعة (١١) ربيع الثَّاني سنة (٩٢٩ هـ) . « النور السافر » سنة (٩٢٩هـ) « السناء الباهر » ، « شذرات الذهب » (١٠/ ٢٢٥ـ٢٢٦) ، « الأعلام » (١/ ١٦٠) وذكره بافقيه عَرَضاً في حوادث تلك السَّنة .

(٧) ترجمته في « البنان المُشير » (١٩) ، وفيه : أنَّه كان ذا حال كبير ، له مجاهدات عظيمة ، كان أكله=

ومنهُم : ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عمرَ بنِ أمباركِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ بَحْرَقٍ ، ٱلحميريُّ ، ٱلحضرميُّ[1] ، صاحبُ ٱلمُؤلَّفاتِ ٱلكثيرةِ ، توفِّيَ سَنةَ (٩٣٠هـ) ، وكانَ أنِ ٱختلفَ هوَ وٱبنُ عبسين في مسألةٍ . ٱستطارَ فيها ٱلنِّزاعُ ، وٱشتهرتْ بينَ ٱلنّاسِ ، فجاءَ ٱبنُ عبسين ومعَهُ كتابُ « ٱلرَّوضةِ » للنَّوويِّ ، فأَوقفَ بَحرقاً على ٱلنَّصِّ ، فلَم يَكُنْ منهُ إلاَّ أَنْ صعدَ ٱلمنبرَ وخَطبَ وقالَ : إنَّ ٱلمسأَلةَ ٱلَّتي ٱختلفتُ فيها أَنا وٱبنُ عبسين كانَ ٱلحقُّ فيها معَهُ ، فسجّلَ لِنفْسهِ بذلكَ ثناءً عاطراً ، وٱستخرجَ مِنَ ٱلنّاسِ لَهُ ترحُماً وافراً ، فرحمةُ ٱللهِ علىٰ أَهلِ ٱلإنصافِ[2] .

ومِنْ أَجلاّءِ علماءِ ٱلشِّحْرِ وقُضاتِها : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ ٱللهِ بامخرمة[3] ،

= في الأُسبوع لا يزيد علىٰ قرص من الطَّعام ، ولا يأكل السَّمك في السَّنة إلاَّ خمس مرَّات ، ومن كلامه : المريد يخاف أن يقع في المعاصي ، والعارف يخاف أن يقع في الكفر .

(١) الشَّيخ الإمام الفقيه الكبير ، مولده في شعبان سنة (٨٦٩هـ) بالشِّحر ، ووفاته بالهند ، من أشهر علماءِ عصره ، كان إماماً متفنّناً ، له تصانيف كثيرة طبع بعضها منها : « حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار صلى الله عليه وسلم » وهو من إصدارات دار المنهاج ، و« الحديقة الأنيقة شرح العروة الوثيقة » ، و« الأسرار النبوية مختصر الأذكار النووية » ، و« حلية البنات والبنين وزينة الدنيا والدين » ، و« السيف المسلول » ، و« مواهب القدوس في مناقب العيدروس » أي: شيخه ، و« شرح لامية ابن مالك » ، و« مختصر شرح لامية العجم » . مصادر ترجمته : « النُّور السَّافر » ، « السَّناءُ الباهر » ، « الضَّوءُ اللاَّمع » (٨/٢٥٣) ، « شذرات الذهب » (١٠/٢٤٤) ، « الأعلام » (٦/٣١٥) .

(٢) قال العيدروس : (ولا يخفىٰ ما في هٰذه الحكاية من المنقبة العظيمة له ، الَّتي تشهد بغزارة علمه ، وكثرة اطِّلاعه ، وفيها ما يدلُّ علىٰ تواضع الفقيه بحرق وإنصافه من نفسه ، واعترافه بالحقِّ ورجوعه إليه ، وهٰذا عزيز إلاَّ علىٰ من وفَّقه الله تعالىٰ ، وعصمه من الهوىٰ ، ورزقه الإخلاص في العلم ، ولله درُّهما ، وهٰكذا فلتكن العزائم ، وهٰذه والله هي المناقب ، ولمثلها فليعمل العاملون ، وفيها فليتنافس المتنافسون) اهـ « النُّور السَّافر » (٧٩) .

(٣) الإمام الجليل المفتي القاضي الحبر البحر ، مولده بالشِّحر في (١٠) جمادى الثَّانية سنة (٩٠٧هـ) ، ووفاته بعدن في (١٠) رجب سنة (٩٧٢هـ) . كان أفقه فقهاء عصره ، ونادرة دهره ، تفقه بوالده الولي الشيخ عمر ، وبعمه الشيخ المؤرخ الطيب ، والقاضي العلامة عبد الله باسرومي تلميذ الإمام عبد الله بلحاج بافضل ، وجد واجتهد حتى انتهت إليه رئاسة العلم والفتوى في اليمن ، وقصد بالفتاوي ، حتى قال عمه الطيب : (لا أستطيع ما استطاع عليه ابن أخي في حل المشكلات ، وتحرير الجوابات على المسائل العويصات الغامضات) . من أجل تلامذته : الفقيه محمد بن عبد القادر =

وقدِ ٱستوفينا ترجمتَهُ وأَخبارَهُ معَ بدرِ بوطويرق بٱلشِّحْرِ في « ٱلأَصلِ » [١/٣٩٩].

ومِنْ أَهلِ ٱلشِّحْرِ : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَحمدَ بافلاحٍ[١] ، نشأَ بها ، ثمَّ أَبحرَ إِلى ٱلهندِ ، ولبث زماناً في خدمةِ ٱلسَّيِّدِ ٱلجليلِ شيخِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلعيدروسِ[٢] ، ثمَّ صَحِبَ بعدَهُ ولدَهُ ٱلعلاَّمةَ ٱلسَّيِّدَ عبدَ ٱلقادرِ بنَ شيخٍ ٱلعيدروسِ[٣] ، وذكرَهُ في مواضعَ كثيرةٍ مِنَ « ٱلنُّورِ ٱلسَّافرِ »[٤] .

ومِنْ كبارِ أَهلِ ٱلفضلِ بٱلشِّحْرِ : تاجُ ٱلعارفينَ ٱلشَّيخُ سعدُ بنُ عليٍّ ٱلظفاريُّ ، نجعَ إِليها مِنْ ظفار وٱستوطنَها ، ونسبهُ يرجعُ إِلى ٱلجحافلِ وهم من مذحجٍ ، بنو جحفلِ بنِ ٱلحارثِ بنِ حربٍ ، من بني علَّه من مذحجٍ كما في « روضةِ ٱلأَلبابِ » للشَّريفِ محمَّدٍ أَبي علامةَ ، ولا يزال بٱلدثينةِ مثرىٰ علَّه إِلى ٱليومِ . وتوفِّيَ بها في سَنةِ (٦٠٩هـ)[٥] .

= الحباني الإسرائيلي المتقدم ذكره في حبّان ، والفقيه الشيخ محمد بن عبد الرحيم باجابر ، المتقدم ذكره في بروم وله مؤلفات نافعة . ترجمته في المصادر التَّالية : « النُّور السَّافر » ، و« السَّناءِ الباهر » حوادث سنة (٩٧٢هـ) ، وكذا « تاريخ الشِّحر » لبافقيه ، « تاريخ الشُّعراء الحضرميِّين » (١/١٥٧) ، « شذرات الذهب » (١٠/٥٣٦) ، « الأعلام » (٤/١١٠) ، « معجم المؤلفين » (٦/٩٥) ، و« مصادر الفكر الإسلاميِّ في اليمن » : (٥٤٠ ، ٢٣٦) .

(١) عبد الله بن أحمد بافلاح الشِّحريُّ (٩٥٥ـ١٠٢٠هـ) ، فقيه عالم متصوِّف ، ولد بالشِّحر سنة (٩٥٥هـ) ، وتوفِّي بأحمد آباد بالهند سنة (١٠٢٠هـ) . « تاريخ الشُّعراءِ الحضرميين » (١/١٨٥ـ١٨٨) .

(٢) هو السَّيِّد شيخ الأوسط ٱبن عبد الله بن شيخ الأكبر ٱبن الإمام عبد الله العيدروس (٩١٩ـ٩٩٠هـ) ، ولد بتريم ، وتوفِّي بأحمد آباد ، ترجمته في : « المشرع الرَّويِّ » ، « النُّور السَّافر » ، « شرح العينيَّة » ، و« مرآة الشُّموس » .

(٣) مصنِّف « النُّور السَّافر » (٩٧٨ـ١٠٣٨هـ) .. ولد بالهند ، وتوفِّي بها بأحمد آباد ، ترجم لنفسه في « النُّور السَّافر » ، وترجم له في « عقد الجواهر والدرر » ، و« خلاصة الأثر » .

(٤) منها : في حوادث سنة (٩٧٠هـ) ، وحوادث سنة (٩٧٩هـ) ، وسنة (٩٩٠هـ) ، وسنة (٩٩٨هـ) ، وأورد له في « الشعراء » نماذج متعددة من شعره الحسابي ؛ إذ قد برع في التاريخ بحساب الجمّل .

(٥) الشَّيخ سعد الدِّين الظَّفاريُّ الشِّحريُّ (...ـ٦٠٧هـ) ، من كبار الصَّالحين والعارفين بالله ، مولده ونشأته في (ظفار) ، وبها أخذ العلم عن السَّيِّد الجليل الإمام مُحمَّد بن عليٍّ صاحب مرباط ، المتوفَّىٰ بها سنة (٥٥٦هـ) ، ومن هنا نعلم أنَّ مولد صاحب التَّرجمة كان قبل سنة (٥٤٠هـ) يقيناً . ومن شيوخه العلاَّمة العارف عبد الله الأسدي ، الآخذ عن ابن الحدَّاد ، الآخذ عن الشَّيخ الكبير الإمام=

ولَه ذرِّيَّةٌ ومَنْصِبٌ بٱلشِّحْرِ ، يقومُ بهِ ٱلآنَ ٱلشَّيخُ سعدُ بن سعيدٍ ٱلظفاريُّ[1] ، رجلٌ خفيفُ ٱلرُّوحِ ، لَهُ نوادرُ أَشهىٰ إِلى ٱلنُّفوسِ مِنْ نوادرِ أَبي دُلامةَ ، ولذلكَ أَحبَّهُ ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ ٱلمحضارُ .

ومِنْ نوادرِهِ : أَنَّهُ شكا إِلىٰ بعضِ أَهلِ ٱلثَّروةِ موتَ حمارِهِ ، وطلبَ منهُ أَنْ يُساعدَهُ لِشراءِ ٱلبدلِ عنهُ ، وما كادَ يتلُّهُ[2] في يدِهِ إِلاَّ وضجةٌ مِنْ رعاعِ ٱلنَّاسِ ، فقالوا : ماذا ؟ قيلَ : حمارُ ٱلشَّيخِ سعدٍ هربَ إِلىٰ خارجِ ٱلمدينةِ! فتبعوهُ وردّوهُ ، وها هُم أُولاءِ يزفُّونَ بهِ ، فقالَ لَهُ ٱلثَّريُّ : ماذا ترىٰ ؟ قالَ : لَو أَحياهُ ٱللهُ وردَّهُ قَبْلَ أَنْ أَقبضَ ٱلدَّراهِمَ . . لَكانتْ لكَ ٱلسّعةُ في ٱسترجاعِها ، وأَمَّا ٱلآنَ . . فلا .

ولَهُ ردٌّ علىٰ « نِحْلةِ ٱلوطنِ » لِلسَّيِّدِ حسنِ بنِ علويِّ بنِ شهابٍ ، أَعانَهُ عليهِ ـ فيما يقالُ ـ شيخُهُ العلاَّمةُ ٱلجليلُ ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلمشهورُ ، ولذلكَ خبرٌ طويلٌ مستوفىً بـ« **ٱلأَصلِ** » .

وبٱلشِّحْرِ جماعةٌ مِنَ ٱلعلويِّينَ ، منهُم : آلُ باحسنٍ[3] ، أَحدُهم ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدٍ باحسن[4] ، كانَ مِنَ ٱلمتفنِّنينَ في ٱلعِلْمِ ، شَغوفاً بتحصيلِ ٱلكتبِ ومطالعتِها ، ولا سيّما كتب ٱلجلالِ ٱلسّيوطيِّ .

= عبد القادر الجيلاني ، نفع الله بهم ، توفِّي الأَسديُّ سنة (٦٠٢هـ) بقرية الحويَّة .
من أشهر تلامذته : الفقيه مُحَمَّد بن عليٍّ باطحن الظَّفاريُّ كتب ترجمة لشيخه سعد الدِّين ، وأورد فيها بعض مكاتبات جرت بينه وبين الإمام الفقيه المقدَّم ، وللعلاَّمة باطَحْن المذكور شرح علىٰ هـٰذه الرَّسائل . وتاريخ وفاته كما نقله باحسن عن باطَحْن (٦٠٧هـ) ، وليس (٦٠٩هـ) كما ذكر المصنِّف ، ينظر : « تاريخ الشِّحر » لباحسن (١٣٨/٢ـ ١٤٢) (خ) .

(١) الشَّيخ سعد بن سعيد ، من أَهل الشِّحر المشهورين بالظَّرافة ، توفِّي حدود سنة (١٣٩٠هـ) ، وقد عُمِّر ، ولا زال أَهل الشِّحر يروون نوادره إِلى اليوم .

(٢) **يتلُّه** : يضعه .

(٣) آل باحسن جمل اللَّيل أَهل الشِّحر ينسبون إِلى السَّيِّد : عبد الله بن مُحَمَّد المجذوب ٱبن سالم بن أَحمد بن عبد الرَّحمن بن عليٍّ ٱبن الشَّيخ مُحَمَّد باحسن جمل اللَّيل بن حسن . . إِلى آخر النَّسب .
ومنهم السَّادة آل باهارون ، أهل الحامي ، ونسبهم إِلى السَّيِّد مُحَمَّد بن هارون بن الفقيه علويٍّ بن عبد الله . . إلخ .

(٤) سرد الإِمام أَحمد بن زين الحَبشيُّ بعضاً من سيرته ومناقبه في « شرح العينية » ، وهو السَّيِّد الجليل : =

دخلَ ٱلهندَ في مقتبلِ شبابِهِ ، وأَقامَ بها مدَّةً حصَّلَ فيها عِلْمَ ٱلحديثِ[1] ، ثمَّ خرجَ إِلىٰ حضرَمَوْتَ وأَقامَ ببور ، وكانَ يتردَّدُ إِلىٰ تريم ، ويجتمعُ بِٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحيمِ بنِ محمَّدٍ باكثيرٍ[2] علىٰ مطالعةِ ٱلكتبِ ٱلفقهيَّةِ ، ثمَّ حجَّ وزارَ ، وأَخذَ عمَّنْ بِٱلحرمينِ مِنَ ٱلعلماءِ ، وعادَ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ ، فطَلَبَ منهُ ٱلسُّلطانُ عليُّ بنُ بدرٍ أَنْ يتولَّى ٱلقضاءَ بِٱلشِّحْرِ ، فأَقامَ بها على ٱلقضاءِ وٱلتَّدريسِ بِٱلجامعِ إِلىٰ أَنْ ماتَ . وكانت إِليهِ ٱلإِمامةُ وٱلخَطابةُ أَيضاً .

= علويُّ بن عبد الله بن مُحَمَّد ـ صاحب بور ـ ٱبن عبد الله بن مُحَمَّد بن سالم . . إلخ النسب المتقدم ، توفِّي جدُّه مُحَمَّد صاحب بور بالهند ببلدة بيجافور ، سنة (١٠٤٨هـ) ، وأمَّا هو . . فقد توفِّي قبل سنة (١١٢٤هـ) . « شرح العينية » (٢٧٧) .

(١) قال الحبيب أَحمد بن زين : (وطلب الحديث ، وطالع كتبه ، ولعلَّه أَدرك هناك أحداً من الحفَّاظ المتقنين في هٰذا الشأن) اهـ

وكان بدءُ انتشار علم الحديث في الهند في القرن العاشر الهجريِّ ، ومن أوائل من قدم الهند ونشره بها : الشَّيخ الإمام العلاَّمة عبد المعطي بن حسن باكثير المكيُّ ، المتوفَّىٰ بأحمد آباد سنة (٩٨٩هـ) ، ودخلها آنذاك عدد من علماءِ مكَّة أيضاً ؛ منهم : الشَّيخ مُحَمَّد بن أَحمد بن عليِّ الفاكهيُّ ، المتوفىٰ سنة (٩٩٢هـ) وغيرهما . . وظهر صاحب « مجمع البحار » العلاَّمة محمد طاهر الفتني ، المتوفَّىٰ سنة (٩٨٦هـ) ، وكان طلبه العِلْمَ في الحرمين الشريفين .

وأمَّا النَّهضة الحديثيَّة الكبرىٰ . . فكانت إفاضتها علىٰ بلاد الهند بعد مقدم الشَّيخ الإمام عبد الحقِّ الدِّهلويِّ ، المتوفَّىٰ بدهلي سنة (١٠٥٢هـ) ، وليس هو أوَّل من جاءَ بالحديث إلى الهند كما يزعم البعض ، لٰكن نفع الله بعلومه كثيراً ، ثمَّ قام بعده ولده نور الحقِّ ، المتوفَّىٰ سنة (١٠٧٣هـ) . وتصدَّىٰ لنشره أيضاً الإمام أحمد السَّهرندي أو السَّرهندي ، وولده مُحَمَّد سعيد شارح « المشكاة » وأبناؤهُ وتلاميذه . وهٰؤُلاءِ كلهم ظهروا في القرن الحادي عشر الهجريِّ إبَّان وجود الشَّريف علويِّ باحسن في الهند ، فلعلَّه لقي أحداً منهم .

(٢) الفقيه العلاَّمة القاضي عبد الرَّحيم بن مُحَمَّد بن عبد الله المعلِّم ٱبن عمر بن قاضي باكثير ، أخذ العلم عن الشَّيخ عامر بن أحمد بن طاهر الخولانيِّ ، وعليِّ بن حسين بامُهَير ، وبمكَّة عن الشَّيخ العلاَّمة عبد الله القدري باشعيب المكيِّ ـ الآتية ترجمته في الواسطة ـ تولَّى القضاءَ بتريم مدَّة ، وجرت له حادثة شهيرة سنة (١٠٩٦هـ) في رؤية الهلال ، كان الصَّواب فيها حليفه ، وانتصر علىٰ عصريِّه الفقيه مُحَمَّد بن عبد الله باعليٍّ . قال فيه ولده الفقيه عليٌّ يفتخر به :

وَحَسْبِي بِهِ إِذْ يَفْخَرُ ٱبْنٌ بِوَالِدٍ وَجَدِّي أَبُوهُ حَبَّ ذَلِكُمُ ٱلْجَدُّ

« البدْن المشير » (٧٦-٨٠) ، ولم يؤرِّخ فيه لمولده ولا لوفاته .

وهوَ مِنْ تلاميذِ ٱلقطبِ ٱلحدّادِ ، وخلَفَهُ على ٱلخَطابةِ وٱلإمامةِ ولدُهُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ[1] ، وما زالَ أعقابُهُ بٱلشِّحْرِ .

ومنهُمُ : ٱلفاضلُ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدٍ باحسنٍ[2] ، مؤَلِّفُ « تاريخِ ٱلشِّحْرِ » المعروف ، وصاحبُ ٱلأشعارِ ٱلرَّقيقةِ ، ٱلَّتي لا يزالُ يتغنَّىٰ بها أَهلُ ٱلمُكَلاَّ وٱلغيلِ وٱلشِّحْرِ في مجالسِ أُنسِهِم وأَفراحِهِم ، ولا أَدري هل جمعَها ديوانٌ أَم لا توجدُ إِلاَّ في صدورِ ٱلأَشخاصِ ؟

وقد أَعانَهُ على ٱلإجادةِ في شِعرِهِ أَنَّهُ قلَّما سمعَ قصيدةً أَعجبَتْهُ إِلاَّ عارَضها ونَسجَ علىٰ منوالها .

ومِنْ فضلاءِ ٱلعلويّينَ بٱلشِّحْرِ : ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ ابنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكر ٱبنِ سالمٍ ، وكانَ أَزهدَ أَولادِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ توطَّنَ ٱلشِّحْرَ وتوفِّيَ بها في سَنةِ (١٠٢٠هـ) ، ولَهُ ٱبنانِ :

الأَوَّل : ناصرٌ[3] ، والدُ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ[4] شيخِ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ، وقد عقدا بينَهُما

---

(١) هو عبد الرَّحمـٰن بن علويٍّ ، الملقَّب جلال الدِّين ، لقَّبه به والده لفرط محبَّته في الإمام جلال الدِّين السُّيوطي ، لم يؤرِّخ لوفاته ، وذكر السَّيِّد ضياء شهاب أَنَّ له عقباً بالحامي .

(٢) السَّيِّد عبد الله باحسن ، قدَّمنا عنه نبذة مختصرة ، وهو ليس من ذرِّيَّة السَّيِّد علويٍّ المترجم له ، ولـٰكنَّه يجتمع معه في السَّيِّد سالم بن أحمد بن عبد الرَّحمـٰن بن عليٍّ . . إلخ النسب المتقدم . واسم السَّيِّد عبد الله المذكور كاملاً : عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الله بن أَبي بكر بن سالم بن عبد الله بن مُحَمَّد بن سالم بن أحمد . . إلخ .

(٣) ناصر الدِّين بن أَحمد ابن الشَّيخ أَبي بكر ، ولد بعينات ، وتوفِّي بالشِّحر سنة (١٠٥١هـ) ، كان سيِّداً زاهداً ناسكاً ، ترجم له في « المشرع » .

(٤) أحمد بن ناصر بن أحمد ، كان سيداً فاضلاً صالحاً ، أمياً ، سليم الصدر ، زاهداً في الدنيا ورياستها ، غائباً عن أحوال أهلها وماهم عليه ، لا يعرف الدينار من الدرهم ، وله كرامات كثيرة ، وللناس فيه اعتقاد . توفي في شهر ذي الحجة (١٠٨٣هـ) ، أخذ عنه الإمام الحداد ، وقال فيه : (لما اجتمعنا بالسيد أحمد بن ناصر بالشحر ، وجدناه فوق ما توهمناه ، يعني من الكمال ، وكان يغلب عليه الحال والذهول في أكثر أوقاته) ، وعده في شيوخه في « قصيدته العينية » ، وقال في حقِّه :

وكصاحب الشحر ابن ناصر أحمد   من بالعناية والرعاية قد رُعِيْ

« بهجة *الزمان* » : (٣٤ـ٣٦) ، « شرح العينية » (٢٦٥ـ٢٦٦) .

عقدَ ٱلصُّحبةِ ، وبحثتُ عن تاريخِ وفاتهِ في « شرحِ ٱلعينيَّةِ » و« عقدِ » سيِّدنا ٱلأُستاذِ ٱلأبرِّ فلَم أظفرْ بهِ ، ولكنْ قالَ في « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » : (إنَّهُ توفِّيَ سَنةَ ١٠٨٣هـ)[1] .

والثَّاني: شيخٌ ، ومِنْ أَعقابهِ مناصبُ آلِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ بٱلشِّحْرِ ، ومنهُمُ ٱلآنَ : ٱلولدُ ٱلفاضلُ ، عبدُ ٱللهِ بنُ عبد الرحمن بن محمَّدٍ[2] ، ٱلقائمُ بمدرسةِ ٱلشِّحْرِ أَحسنَ ٱلقيامِ .

ومِنَ ٱلعلويّينَ بٱلشِّحْرِ : ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ شيخِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلعيدروس[3] ، ترجمَ لَهُ في « ٱلمشرعِ » [٢/ ٣٨٥ـ٣٨٧] وأَطالَ ، وذكرَ أَنَّهُ أَلقىٰ عصى ٱلتَّرحالِ آخِرَ أَمرِهِ بٱلشِّحْرِ ، وبها كانت وفاتُهُ سنةَ (١٠٧٣هـ) ، وفي « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » [٢/ ١٠٦] أَنَّها كانتْ في سَنةِ (١٠٧٦هـ) .

وهوَ جدُّ آلِ محمَّدِ بنِ جعفرٍ برَمْلةِ تريم ، وجدُّ آلِ ٱلعيدروس بٱلشِّحْرِ[4] ، ومنهُمُ ٱلآنَ :

ٱلمنصبُ ٱلفاضلُ حسينُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينٍ ٱلعيدروسُ .

---

(١) « شمس الظَّهيرة » (١/ ٢٧٦) .

(٢) كان عالماً فاضلاً ، ولد بالشِّحر سنة (١٣٠٩هـ) ، وبها توفِّي في (٢٣) شوال (١٣٨٤هـ) . أخذ عن الشَّيخ مُحمَّد بن سلم ، بغيل باوزير ، ثمَّ توجَّه إلىٰ تريم ، ومكث بها سنتين في الرِّباط عند الحبيب عبد الله بن عمر الشَّاطريِّ ، وفي سنة (١٣٤١هـ) اختير مديراً لمدرسة مكارم الأخلاق ، ومكث بها (٣٠) عاماً ، إلىٰ سنة (١٣٧٠هـ) ، ثمَّ افتتح رباطاً سمَّاه : « رباط المصطفى » وظلَّ يدرِّس فيه إلىٰ سنة (١٣٧٩هـ) ، إذ أُصيب بفالج ألزمه الفراش حتَّىٰ وفاته .
وترجم له العلاَّمة عبد القادر الجنيد في « العقود الجاهزة » .

(٣) المعروف بعبد الله بن شيخ الأصغر ، وهو صاحب الشِّحر ، أمَّا الأوسط.. فمقبور بتريم ، وأمَّا الأكبر.. فبالهند . ولد بتريم سنة (١٠٢٧هـ) ، وتوفِّي سنة (١٠٧٣هـ) على الأرجح ، أخذ عن القشاشي بمكة ، وعن ابن عمِّه عبد الرَّحمٰن السَّقَّاف ٱبن مُحمَّد العيدروس ، وبمكَّة أخذ أيضاً عن عبد العزيز الزَّمزميِّ ، وشيخ الإسلام عبد الله سعيد باقشير ، ورحل إلى الهند ، ولقي بها ابن عمِّه السَّيِّد العلاَّمة جعفراً الصَّادق ٱبن زين العيدروس ، ولازمه برهة ، وأخذ عنه ، ثمَّ عاد إلى الشِّحر ، وبها توفِّي في (١٥) القعدة (١٠٧٣هـ) . ترجم له معاصره وقرينه في الطَّلب السَّيِّد مُحمَّد الشِّليُّ في كتابيه « السشرع » ، و« الجواهر والدُّرر » ، وقبره في الجانب الشَّرقيِّ من الشِّحر .

(٤) آل العيدروس بالشِّحر هم ذرِّيَّة السَّيِّد عمر ٱبن الإمام عبد الله بن شيخ الأصغر صاحب الشِّحر .

والفاضلُ النَّبيلُ السَّيِّدُ زينُ بنُ شيخ بنِ عمرَ العيدروسُ .

ومِنَ العلويّينَ بالشِّحرِ : آلُ بافقيهِ ، يَرجعونَ إلىٰ عبدِ الرَّحمـٰنِ بافقيهِ بنِ محمَّدٍ عيديد[1] منهمْ : الصّالحُ الفاضلُ شيخُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ شيخِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عليٍّ بافقيه ، المتوفَّىٰ بها سَنة (١١٨٦هـ)[2] .

ومنهمْ : حفيدُهُ أَحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ شيخٍ[3] .

ومنهُمْ : ابنُهُ شيخُ بنُ أَحمدَ ، ولدَ بالشِّحْرِ ، ثمَّ رحلَ في طلبِ العِلْمِ إلى الحجازِ ومصرَ ، ثمَّ طوَّحتْ بهِ الأَسفارُ إلىٰ سربايا مِنْ أَرضِ جاوة ، وهناكَ كانَ لَهُ ظهورٌ عظيمٌ وشهرةٌ هائلةٌ ، وجَرَتْ علىٰ يديهِ خوارقُ ، وظهرَ منهُ تخريقٌ ، قالَهُ بمعناهُ شيخُنا المشهورُ في « شمسِ الظَّهيرةِ »[4] ، وكانتْ وفاتُهُ بسربايا سَنةَ (١٢٨٩هـ)[5] .

---

(١) آل بافقيه أَهل الشِّحر الَّذين ينسبون للسيِّد عبد الرَّحمـٰن بافقيه بن مُحَمَّد مولىٰ عيديد ، المتوفَّىٰ بتريم سنة (٨٨٤هـ) ، وليس منهم من سيذكرهم المصنِّف لاحقاً . وإنَّما ذرِّيَّة عبد الرَّحمـٰن هـٰذا : آل الطيِّب بافقيه .

(٢) وقد قدَّمنا أَنَّ من سيأتي من الأعلام ليسوا من ذرِّيَّة عبد الرَّحمـٰن بافقيه ، بل من ذرِّيَّة أخيه عبد الله الأعين النَّسَّاخ ، كما سيأتي ، وإنَّما لزم التَّنبيه خوفاً من الالتباس ، لما يقتضيه العطف .

(٣) كان السَّيِّد أحمد هـٰذا من العلماءِ العاملين ، والأَولياءِ الصَّالحين ، قال صاحب « تاريخ مرداد » : (هو السَّيِّد أحمد بافقيه بن عبد الله الشَّافعي المكِّيُّ ، الفاضل الأديب . أخذ عن عدَّة مشايخ ، من أجلِّهم السَّيِّد أحمد دحلان ، ونجب ومهر في علم الأَدب والنَّحو ، نظم ونثر . وكان مولده بمكَّة المشرَّفة ، ونشأ بها ، ثمَّ كُف بصره ، فسافر إلى الهند فتعالج هناك وأَبصر ، ثمَّ رجع إلىٰ مكَّة ، ومكث بها مدَّة ، ثمَّ سافر إلى الهند مع أكبر أبنائه ، وهو السَّيِّد شيخ) اهـ « المختصر » (٧٥)

(٤) ليس في المطبوع من « الشَّمس » (٢/ ٥٤٢) شيء من هـٰذا ، بل أرَّخ وفاته فقط ، ولعلَّ المصنِّف أراد « الشجرة الكبرىٰ » ، ونصُّ ما فيها (كان عالماً عاملاً ، ووليّاً مكاشفاً ، له خوارق وكرامات كثيرة) اهـ بالحرف .

(٥) ولد السَّيِّد شيخ بن أَحمد بالشِّحر سنة (١٢١٢هـ) ، وتوفي بسربايا سنة (١٢٨٩هـ) ، أخذ عن أبيه ، وسافر بمعيَّته إلىٰ مكَّة المكرَّمة ، وأخذ بها عن عدد من علمائِها ؛ منهم : الشَّيخ عمر بن عبد الكريم العطَّار ، والعلاَّمة مُحَمَّد صالح الرَّيِّس ، وغيرهما ، ورحل إلىٰ مصر ومكث مدَّة في الجامع الأزهر ، ثمَّ رحل إلى الجهة الجاويَّة ، ونزل بمدينة سربايا .
ينظر : « تاريخ الشُّعراءِ الحضرميِّين » (٤/ ٣٠) ، « تاريخ باحسن » (١/ ٣٥٠) (خ) .

وفيها أُناسٌ مِنْ آلِ عَيدِيد[1] ، ذكرَ منهُم شيخُنا ٱلمشهورُ ٱلسَّيِّدَينِ ٱلفاضلَينِ : عبدَ ٱللهِ ومحمَّداً ٱبني سالمِ بنِ عبدِ ٱللهِ عيديد[2] .

وفيها جماعةٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ ٱلبيضِ[3] بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ[4] بنِ حسينِ بنِ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ ، قالَ في « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » [٢/٤٠٣ـ ٤٠٤] (منهُمُ : ٱلسَّيِّدُ ٱلفاضلُ عليُّ بنُ ٱلحسينِ ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (١٢٨٦هـ))[5] ، وحسين بن

---

(١) وهم من ذرِّيَّة السَّيِّد مُحَمَّد بن عبد الله بن عليِّ بن مُحَمَّد مولىٰ عيديد ، المتوفَّىٰ بالشِّحر سنة (٩٨٣هـ) .

(٢) وهما ابنا السَّيِّد سالم بن عبد الله بن زين بن عوض بن زين بن عليِّ بن أحمد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله . . إلخ النسب السابق . فأمَّا : السيد عبد الله بن سالم (. . . ـ ١٣٠٦هـ) : كان فاضلاً عالماً صالحاً ، طلب العلم بحضرموت على السَّيِّد العلاَّمة عبد الله بن عمر بن يحيىٰ ، والسَّيِّد الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر ، والحبيب أبي بكر بن عبد الله العطَّاس . كان عامراً أوقاته بالعبادة ، وله صلوات ونوافل يواظب عليها في عدد من مساجد الشِّحر ، وكانت له دروس بها ؛ ممن أخذ عنه : باحسن صاحب « التَّاريخ » . وكانت بينه وبين الشَّيخ ناصر ابن الشَّيخ عليِّ اليافعيِّ مودَّة ، فلمَّا تولَّى القضاءَ هـٰذا الأخيرُ . . اعتزله صاحبُ التَّرجمة ، توفِّي يوم الأحد (١٧) محرَّم (١٣٠٦هـ) .

وأمَّا : مُحَمَّد بن سالم (. . . ـ١٣١١هـ) : فقد كان فقيهاً عالماً فاضلاً نبيهاً ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، صدراً في الأُمور ، توفِّي سنة (١٣١١هـ) بالشِّحر ، وبها كان مولده .

(٣) توفِّي السَّيِّد أَحمد البيض بتريم سنة (٩٤٥هـ) ، وسمِّي بالبيض ؛ لمواظبته علىٰ صيام الأيَّام البيض من كلِّ شهر ، سمَّاه بذلك ـ كما يقال ـ شيخه الشَّيخ أبو بكر بن سالم . « المعجم اللطيف » (٦٠) . ومن السادة آل البيض جماعة في غيل باوزير ، منهم : السيد العالم الناسك الغيور عبد الرحمـٰن بن سالم بن عبد الرحمـٰن بن سالم البيض باعلوي ، كان مولده بالغيل سنة (١٣٣٠هـ) ، طلب العلم في الغيل ، برباط العلامة ابن سلْم ، ومن شيوخه : العلامة أحمد بن محمد باغوزة قرأ عليه : « المختصر » و« العمدة » ، والعلامة المعمر الشيخ عمر بادباه قرأ عليه في « حاشية الكردي » . ثم رحل إلى تريم ودرس في رباطها على يد الحبيب عبد الله الشاطري ، وأخذ عن طبقته من علماء تريم ، ثم انطلق يعلم ويدعو إلى الله ، وكان له اهتمام بدعوة البادية ، هاجر إلى جدة وأقام بها مدة طويلة ، وبها كانت وفاته سنة (١٤١١هـ) ، رحمه الله . « لوامع النور » (٣/٤٥٩) (خ) .

(٤) وهو الملقَّب عبد الرَّحمـٰن الجزيرة ، توفِّي بتريم سنة (٨٨٤هـ) .

(٥) وهو السيد عليُّ بن الحسين بن عليِّ بن الحسين ـ (١١٦٥هـ) ـ ٱبن عوض بن عبد الله بن حسين بن أحمد بن حسين بن محروس بن أحمد البيض . . إلخ . مولده بالشِّحر في (٢٥) رمضان (١٢٣٥هـ) ، ووفاته بها في شعبان (١٢٨٢هـ) ، تعلم عند الشَّيخ عبد الله بن عمر بن قبيلة باوزير ، ثمَّ قرأ على الشَّيخ سالم بن سعد بن سمير ، ثمَّ خرج إلىٰ دوعن ، وقرأ على الفقيه مُحَمَّد بن عبد الله=

أبي بكر بن سعيد[1] ، ذكيٌّ نبيهٌ ، توفِّيَ سنة (١٢٨٥هـ) .

ومِنْ فضلاءِ ٱلعلويّينَ بٱلشِّحْرِ : ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ سهلٍ[2] ، وكانَ شهماً كريماً ، طويلَ ٱلباعِ مشبوحَ ٱلذِّراعِ ، لَهُ مكارمُ جسيمةٌ وأَخبارٌ عظيمةٌ ، مِنها : عمارتُهُ ٱلموجودةُ إلى ٱليومِ لجامعِ ٱلشِّحْرِ ، وذلكَ أَنَّهُ حَدَثَ بِهِ شيءٌ مِنَ ٱلخرابِ يحتاجُ إِلى ٱلتَّرميمِ ، فٱتَّفقَ أَعيانُ ٱلشِّحْرِ على ٱلاكتتابِ لِترميمِهِ ، وعَرضوا ٱلقائِمةَ على ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ سهلٍ فقالَ : حتَّىٰ أَرىٰ .

ولمّا رأَى ٱلمسجدَ . . قالَ لَهم : لا بدَّ مِنْ تجديدِ عمارتهِ كلِّها ، وتكفَّلَ بجميعِها ، وجلَبَ لَهُ ٱلمهندسينَ وٱلأكرةَ مِنْ تريم حتَّىٰ أَتمَّهُ علىٰ أَجملِ صنيعٍ[3] .

وكانَ هَرَبَ مِنْ تريم لأَذيَّةٍ حصلَتْ عليهِ مِنْ أَعوانِ ٱلسُّلطانِ ٱلكثيريِّ[4] ، فسافرَ إِلى ٱلشِّحْرِ بجوارِ صديقهِ ٱلأَميرِ عبدِ ٱلقويِّ بنِ عبدِ ٱللهِ عوضٍ غرامةَ ٱلبُعْسيِّ ٱليافعيِّ[5] ،

= باسَوْدَان وأَجازه ، وسار لزيارة بقيّة الأعيان ، فلقي الإمام الحسن بن صالح البحر ، والحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر ، وكانت بينه وبين الشّيخ عبد الله معروف باجمال الشُّبامي مودّة ومكاتبات ، أخذ عنه باحسن المؤرّخ ، وأطنب في ترجمته في « تاريخه » (١/ ٩٢-١٢٢) (خ) .

(١) كان سيّداً فاضلاً ، حصَّل طرفاً في العلم ، توفّي بالشّحر . وهو : حسين بن أبي بكر (توفي سنة ١٢٧٨هـ) ابن سعيد بن حسين بن عوض بن عبد الله بن حسين بن أحمد بن حسين بن محروس بن أحمد البيض . . إلخ « تاريخ باحسن » (١/ ٨٨)

(٢) الحسين بن سهل اسمه كاملاً : الحسين بن عبد الرّحمـٰن بن مُحَمَّد بن عبد الله بن أحمد ابن الفقيه سهل بن أحمد بن سهل بن أحمد بن عبد الله ابن الشّيخ مُحَمَّد جمل الليل . . إلخ . السَّيِّد الثّري السّري الفاضل ، التّاجر الصّالح ، الرّاغب في آخرته ، مولده بتريم في رجب (١٢١٣هـ) ، والمتوفّىٰ بالشّحر (٢٨) شعبان (١٢٧٤هـ) . رحل في مطلع شبابه إلى الشّرق الأقصىٰ جاوة ، وتزوج بنت أحد سلاطينها ، وزاول التّجارة ، وكانت له سفن تمخر عباب البحر ، ولمّا أثرىٰ . . عاد إلىٰ وطنه ، ومن كبريات أعماله : صكُّه عملة عرفت باسمه سنة (١٢٥٨هـ) ، ولم يزل النّاس يستعملونها ويتداولونها إلىٰ سنة (١٣١٥هـ) حيث صكَّ السَّيِّد شيخ الكاف عملة أخرىٰ نسخت ما قبلها . وله أَخبار ستأتي كثيرة وفي : « العدة المفيدة » ، « تاريخ باحسن » (٢/ ١٢٤) ، « شمس الظّهيرة » (٢/ ٤٨٦) .

(٣) يقع المسجد الجامع بحارة القرية ، وهو يشتمل ـ بعد توسيعه ـ علىٰ (١٤٠) أُسطوانة ، بين كل أُسطوانة والأُخرىٰ خمسة أَذرع .

(٤) غالب بن محسن .

(٥) البُعْسي نسبة إلىٰ (الأَبعوس = لبعوس) بطن من يافع العليا ، وآل غرامة هـٰؤلاء كانوا يحكمون =

ولَم يَزلْ بها حتَّىٰ ماتَ سَنةَ (١٢٧٤هـ) ، وأَخبارُهُ عجيبةٌ لا يَتَّسعُ لَها ٱلمجالُ ، وفي « **ٱلأَصلِ** » منها ٱلكثيرُ ٱلطَّيِّبُ .

ومِنْ متأخِّري فضلاءِ ٱلعلويّينَ بٱلشِّحْرِ : ٱلسَّيِّدُ ٱلجليلُ علويُّ بنُ عليِّ بنِ علويِّ ٱلجنيدُ[1] ، كانَ مِنَ ٱلآخذِينَ عن والدي وٱلمتعلِّقينَ بهِ ، توفِّيَ بها يومَ ٱلإثنينِ (٢٧) شوّال مِنْ سَنةِ (١٣٤٩هـ) .

وكانَ بٱلشِّحرِ ناسٌ مِن آلِ ٱلسَّقَّافِ ؛ منهم ٱلسَّيِّدُ عيدروسُ بنُ حسينِ بنِ سالمِ بنِ علويِّ بنِ شيخِ بنِ محمَّدِ بنِ شيخِ ٱلسَّقَّافِ ، كانَ جدُّهُ علويُّ بنُ شيخِ بسيئون ، فَنَجَعَ في سنةِ (١٢١٥هـ) إلىٰ موشح ووادي بن عليٍّ ، وكانَت مدَّةُ إقامتِهِ وإقامةِ ولدِهِ سالم بها نحواً من سبعٍ وتسعينَ ربيعاً .

ثمَّ هاجرَ ٱلسَّيِّدُ سالمٌ ـ ٱلمُلَقَّب : سالم سبول ـ ٱبنُ علويِّ بنِ شيخٍ إلى ٱلمكلاَّ وٱلشِّحر ، وذلكَ في سنةِ (١٣١٢هـ) وهوَ مِن أَهلِ ٱلصَّفا ، وله تذكيرٌ ومواعظُ .

ثمَّ ركبَ إلىٰ زنجبار ، وبها كانت وفاتُهُ ، وتركَ ولداً يُقالُ لهُ : حسينٌ ، توفِّي حوالي سنةِ (١٣٢٩هـ) ، وتركَ ولداً ٱسمه : عيدروس ، ركبَ إلىٰ ممباسا في

= جزءاً من تريم ، وممَّا يذكر في مناقب السَّيِّد حسين بن سهل أنَّه اشترىٰ تريم من آل غرامة .

(١) علويُّ بن عليِّ الجنيدي السَّيِّد الفاضل ، التَّقيُّ الصَّالح : علويُّ بن عليِّ بن علويِّ بن عبد الله . . . الجنيديُّ باعلويٌّ . مولده بالشِّحر سنة (١٢٦٩هـ) ، توفِّي أبوه وعمره خمس سنوات ، فكفله أخوه لأبيه مُحَمَّد بن عليٍّ . سار لطلب العلم إلىٰ تريم والغرفة ، ثمَّ عاد إلى الشِّحر . من شيوخه : السَّيِّد الجليل حامد بن عمر بافرَجْ ، والسَّيِّد العلاَّمة عيدروس بن عمر الحَبشيُّ ، والحبيب عبيد الله بن محسن السقاف والد المصنف وغيرهم . حجَّ نحو (١٨) حجَّة ، وآخرها كان سنة (١٣٢٥هـ) . قيل في وصفه : كان رجلاً يتلألأُ وجهه نوراً ، طويل القامة ، جميل الصُّورة ، أبيض اللَّون ، يشبه سمته وهيئته هيئة شيخه عيدروس بن عمر . لقيه قاضي مكَّة السَّيِّد أبو بكر بن أحمد الحَبشيُّ بالشِّحر سنة (١٣٤٥هـ) ، وأخذ عنه . « الدَّليل المشير » (٢٧٠) .

ملاحظة : أُسرة المترجم تعرف بآل الجنيديِّ بياء النِّسبة . وهم غير آل الجنيد أهل تريم ؛ فأُولئك ينتسبون إلى الشَّيخ مُحَمَّد باحسن جمل اللَّيل . . وأمَّا هـٰؤلاء : فنسبتهم إلى الشَّيخ عبد الله بن علويِّ بن الفقيه ، وجدُّهم الأعلىٰ هو : الجنيد الأَخضر ٱبن أحمد بن مُحَمَّد بن أَحمد قسم ـ (ت بقسم ٨٩١هـ) ـ ٱبن علويٍّ الشَّيبة . . . إلخ ، وعلويٌّ الشَّيبة يجتمعون فيه مع آل الشِّلِّيِّ وغيرهم . ولقب الأخضر معناه : المائل إلى السُّمرة . « المعجم اللَّطيف » (٧٥ـ٧٦) .

سنةِ (١٣٢٢هـ) وهو ٱبنُ تسع سنينَ ، وما بَرِحَ يُقاسي ٱلمتاعبَ وٱلمشاقَّ في طلبِ ٱلمعيشةِ حتَّىٰ فتحَ ٱللهُ عليهِ بٱلأموالِ وٱلأولادِ ، فلهُ بها خمسةٌ مِنَ ٱلذُّكورِ ، وتأَثَّلَ ٱلأموالَ وٱلعقارَ بممباسا وٱلشِّحرِ ، ولهُ بحارةِ (عقل باعوين) عدَّةُ دِيارٍ بجوارِ مسجدِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بلحاج بافضلٍ ، وكانَ يُصدِرُ جريدةً تُسمَّى : « الإصلاح » في ممباسا ، جَلَبَ لها مطبعةً علىٰ نفقتهِ ٱلخاصَّةِ ، ولمَّا كانَ ٱلأكثرُ مِنَ ٱلمشتركينَ حضارمةً ـ لا بالَ عندَهم لأمثالِ ٱلجرائِدِ ـ و تأخَّروا عندَ دفعِ ٱلاشتراكِ . . لزمَ تأَخُّرُها .

وأوَّلُ مدرسةٍ عَلِمْتُها بٱلشِّحرِ هيَ : ٱلمدرسةُ ٱلَّتي بناها بدرُ بوطويرق سَنَةَ (٩٥٩هـ)[١] ، وجلبَ لَها ولدُهُ عبدُ ٱللهِ بنُ بدرٍ أُستاذاً مِنْ بروم في سَنَةِ (٩٨٣هـ) ، هوَ ٱلعلاَّمةُ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱلرَّحيمِ باجابرٍ ، فدرَّسَ بها وٱنتفعَ بهِ ٱلأنامُ ، وأسفرتْ بهِ ٱللَّيالي والأيَّامُ .

وفي يوم ٱفتتاحها أنشأَ ٱلسَّيِّدُ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ أحمدَ ٱلبيضِ قصيدةً أَوردَها صاحبُ « ٱلنُّورِ ٱلسَّافرِ » [ص ٤٦٨] ، وفيها مدحٌ لِلأُستاذِ وٱلسُّلطانِ ، ولـٰكنَّها ليستْ بجيِّدةٍ[٢] .

أمَّا ٱلمدرِّسُ بها في حياةِ بدرٍ فهوَ : ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ عليٍّ بايزيد ، ٱلدَّوعنيُّ ثمَّ ٱلشِّحريُّ ، توفِّيَ بها سَنَةَ (٩٧٥هـ)[٣] ، وقدِ ٱنتفعَ بهِ كثيرٌ مِن أهلِ ٱلشِّحرِ وغيرِهم ، منهم : ٱلعلاَّمةُ ٱلمؤرِّخُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدٍ باسخلةَ ، ٱلمتوفَّىٰ بٱلشِّحرِ[٤] .

---

(١) وتعرف بالمدرسة السُّلطانيَّة ، وإلىٰ جوارها مسجد يعرف بمسجد المدرسة ، « النُّور السَّافر » : حوادث سنة (٩٥٩هـ) .

(٢) الصَّواب أنَّه في سنة قدوم باجابر في (٩٨٣هـ) ، كما هو في « النُّور السَّافر » ؛ لأنَّ افتتاحها كان سنة (٩٥٩هـ) كما تقدَّم .

(٣) الشَّيخ عليٌّ بايزيد ، العلاَّمة الفقيه ، الإمام المتبحِّر في الفقه ، ولد بدوعن ، ونشأ مستقيماً ، واشتغل بالتَّحصيل من صباه ، وحفظ « الإرشاد » وغيره من المتون ، تفقَّه بالعلاَّمة عثمان بن مُحَمَّد العموديِّ ، وصحب الشَّيخ العارف بالله معروف بن عبدِ الله باجمال ، ولبس منه ، وصحب غيره من العارفين . وكان في وقته عمدة المفتين ، ولمَّا فتح السُّلطان بدر مدرسته . . ولاَّه تدريسها منذ افتتاحها سنة (٩٥٩هـ) ، وله مصنفات نافعة .

(٤) الشَّيخ عبد الله بن مُحَمَّد باسخلة ، عالم فقيه ، ولد ونشأ بالشِّحر ، وطلب العلم ، وكان أديباً فقيهاً مؤرِّخاً ، تلقَّى العلم علىٰ يد الشَّيخ عليٍّ بايزيد ، وحفظ عليه « الإرشاد » . واختلف في لقبه فقيل=

وممَّنْ هاجرَ لِطَلَبِ ٱلعِلْمِ بها : ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ سراجٍ[1] ، صاحبُ ٱلمؤلَّفاتِ ٱلمشهورةِ ٱلَّتي مِنها : نَظْمُهُ لـ « ٱلإِرْشادِ » و« شرحِهِ » وقدِ ٱستحقَّ مِنْ تخرُّجِهِ بتلكَ ٱلمدرسةِ أَنْ تولَّىٰ قضاءَ حَضْرَمَوْتَ ، مِنْ وادي عَمْد غرباً إِلىٰ يبحُر شرقاً ، تَرجمَ لَهُ في « خلاصةِ ٱلأَثرِ » ، وذَكرَ أَنَّهُ ٱعتراهُ ذهولٌ في آخِرِ عمرِهِ إِلىٰ أَنْ توفِّيَ بٱلغرفةِ سَنَةَ (١٠١٩هـ) .

وممَّنْ تخرَّجَ مِنها : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلعموديُّ .

وفي ترجمةِ ٱلشَّيخِ ٱلشَّهيدِ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بلحاج : (أَنَّ ٱلإِفرنجَ ـ خَذلَهمُ ٱللهُ ـ لمّا هاجموا ٱلشِّحْرَ وٱقتربوا مِنْ مدرسةِ ٱلشَّيخِ أَحمدَ لِلهجوم عليها . . نهضَ كأَنَّهُ ٱلأسدُ ، وٱستنهضَ هِممَ ٱلطلبة بخُطبةٍ مؤَثِّرةٍ ، فٱقتلَعوا أَبوابَ ٱلمدرسةِ وٱقتسَموها عوداً عوداً وحاربوهُم ، وكانَ ٱلشَّيخُ أَحمدُ ممَّنْ رُزقَ ٱلشَّهادةَ سَنةَ « ٩٥٩هـ » ، ولمّا ٱنتهى ٱلبريدُ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ . . جَمعوا عسكراً يَبلغُ نحوَ خمسةِ آلافٍ ، فوصلوا ٱلشِّحْرَ علىٰ خمسةِ أَيّامٍ) اهـ

وما أَدري ، أَهـٰذهِ ٱلمدرسةُ هيَ ٱلَّتي بناها بدرٌ وٱلشَّهيدُ يُدرِّسُ فيها عقبانَ بنائِها ، أَمْ غيرُها؟

ولعليٍّ بايزيد هـٰذا ذكر كثير في « مجموع الجدِّ طه بن عمر » ، وقد زارَ حَضْرَمَوْتَ وٱجتمعَ بٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ أَبي بكرٍ باشيبان ، وأَثنىٰ كلٌّ منهُما على ٱلآخَرِ ، وتوَجَّهَ لزيارةِ نبيِّ ٱللهِ هودٍ ، ثمَّ عادَ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ مرَّةً أُخرىٰ بعدَ ثلاثينَ سنةً مِنَ ٱلقَدْمةِ ٱلأُولىٰ . ذكرَهُ ٱلشّليُّ في ترجمةِ باشيبان مِنْ « مشرعهِ »[2] [٢/٥٣٨ـ٥٣٩] .

وقدِ ٱستوفينا بـ« **ٱلأَصلِ** » حوادثَ ٱلإِفرنجِ ٱلبرتغالِ معَ بدرٍ بٱلشِّحْرِ ، فلا حاجةَ إِلى

= (باسَخْلة) كما أثبت المؤلف ، وقيل باسنجلة ، بنون فجيم .
وله مؤلفات مفيدة ، وفي « الفكر والثّقافة » (ص١٤٩) أن وفاته سنة (٩٨٧هـ) .

(١) الصّواب أَنَّ اسمه : مُحَمَّد بن عبد الرَّحمـٰن بن سراج الدِّين باجمال ، « الدُّرُّ الفاخر » (٣٦٣) .

(٢) وباشيبان هو : عمر بن مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر باشيبان .

ٱلإطالةِ . وذكرنا ما أنكرَهُ عليهِ صاحبُ « ٱلقلائِدِ » مِنْ غدرِهِ بهِم[1] ، معَ أنَّهُ لَم يَفعلْ إلاَّ ما ٱستباحوا أكبرَ منهُ مِنَ ٱلغدرِ بٱلمسلمينَ ، ولـٰكنْ قالَ قتادةُ : (إنَّ ٱللهَ أكَّدَ ٱلوفاءَ بٱلعهدِ في بضعةٍ وعشرينَ آيةً) .

ويروىٰ : أنَّ أهلَ قبرسَ[2] أحدثوا حدثاً في ولايةِ عبدِ ٱلملكِ بنِ صالحِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عبّاسٍ[3] ، فٱستفتى ٱلعلماءَ في نَقْضِ صُلحهم .

فأجابَهُ ٱللَّيثُ[4] : (بأنَّ أهلَ قبرسَ لَم يَزالوا يُتَّهمونَ بخيانةِ ٱلإسلامِ ، وقد قالَ تعالىٰ : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ وإنِّي أرىٰ أنْ تنبذَ إليهِم وتنظرَهُم سَنةً) .

وقالَ لَهُ مالكُ بنُ أنسٍ : (أرىٰ أنْ لا تُعجِّلَ بنقضِ عهدِهِم ؛ حتَّىٰ تتَّجهَ ٱلحجّةُ عليهِم ؛ فإنَّ ٱللهَ يقولُ : ﴿ فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ ، فإنْ هُم لَم يَدعوا غِشَّهُم ، ولَم يَستقيموا . . فأعذرْ إليهِم ، ثمَّ أوْقعْ بهِم . . تُرزَقِ ٱلنَّصرَ) أو ما يقربُ مِنْ هـٰذا[5] .

ورويَ : أنَّ صالحاً هـٰذا أجلىٰ أهلَ ٱلذِّمَّةِ مِنْ لبنانَ مِنْ غيرِ مَنْ مالأَ عليهِ ، فأنكرَ عليهِ ٱلقاسمُ بنُ سلامٍ[6] وقالَ لَهُ : (كيفَ تُؤخَذُ عامَّةٌ بذنوبِ خاصَّةٍ حتَّىٰ يُخرَجوا مِنْ

---

(١) أي السُّلطان بدر .

(٢) قبرس : بالسين ، وقد تكتب بالصاد ؛ جزيرة معروفة في البحر الأبيض المتوسِّط ، الَّذي كان يعرف قديماً ببحر الرُّوم .

(٣) كان عبد الملك هـٰذا أميراً على الموصل من قبل الخليفة الهادي العباسي سنة (١٦٩هـ) ، وعزله الرشيد سنة (١٧١هـ) ثم ولاه المدينة والصوائف ، ثم مصر مدة قصيرة ، فدمشق . كان من أفصح الناس وأخطبهم ، له مهابة وجلالة ، توفي سنة (١٩٦هـ) . « الأعلام » (٤/١٥٩) .

(٤) هو الإمام الليث بن سعد الفهمي بالولاء ، أبو الحارث ، إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً ، من أقوال الإمام الشافعي فيه : الليث أفقه من مالك ، إلا أن أصحابه لم يقوموا به . ولد سنة (٩٤هـ) ، وتوفي سنة (١٧٥هـ) . « الأعلام » (٥/٢٤٨) .

(٥) « فتوح البلدان » (١٥٩ـ ١٦٠) .

(٦) هو أبو عبيد ، من كبار علماء عصره في الحديث والفقه والأدب ، ولي القضاء بطرسوس ، كثير التصانيف ، ولد سنة (١٥٧هـ) ، وتوفي سنة (٢٢٤هـ) . « الأعلام » (٥/١٧٦) .

ديارِهم وأَموالِهِم ، وحُكمُ ٱللهِ أَنْ لا تزرَ وازرةٌ وِزرَ أُخرىٰ ، وهو أَحقُّ ما ٱقتدي بهِ ، وقد قالَ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : « مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَداً . . فَأَنَا حَجِيجُهُ »)[1] ، وفي ٱلجزءِ ٱلثَّاني مِنَ « **ٱلأَصلِ** » كلامٌ نفيسٌ يتعلَّقُ بٱلمسأَلةِ .

وكانتْ لِلحضارمةِ تجارةٌ واسعةٌ بٱلشِّحْرِ ، وكانوا يَتيامنونَ بما يَجلبونَ مِنها[2] ، ويُجرِّبونَ فيهِ ٱلبركةَ ، ولا يزالُ ٱلعلويّونَ يَتردَّدونَ إِليها ، ولاسيّما ٱلمحضارُ وٱلعيدروسُ ؛ لأَنَّهم يَجدونَ فيها مِنَ ٱلانشراحِ ما لا يوجدُ في سِواها ، إِلاَّ أَنَّ طرقَها ملتويةٌ ، وشوارِعَها متَّسخةٌ ، وأَهلُها لا يتعهَّدون أَخليَتَهم وميازيبَهُم ، ويُسرعُ ٱلخرابُ إِلىٰ ديارِهم مِن هٰذهِ ٱلنَّاحيةِ .

وقد وردتُها عدَّةَ مرّاتٍ أَنزلُ في أُخرياتِها ضيفاً علىٰ وافرِ ٱلمروءَةِ ، ٱلحرِّ ٱلشَّهمِ ، ٱلمشارِكِ في ٱلعِلْمِ : ٱلشَّيخِ صالحِ بنِ بكارٍ باشراحيل . وآلُ باشراحيل منتشرونَ في حَضْرَمَوْتَ ، ومرجعهُم في ٱلنَّسبِ ـ كما سيأْتي في وادي ٱبنِ عليٍّ ـ إِلىٰ عباهلةِ حِمْيَرَ[3] .

ويأْتي في سيئونَ ذروٌ مِنْ بدعةِ ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ سعيدٍ باطُوَيحٍ[4] ، ٱلَّتي لا تزالُ تؤُجُّ بٱلشِّحرِ ٱلآنَ .

وآل طُوَيحٍ مِنْ بيوتِ ٱلعِلْمِ ، وكانَ ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ أَبي بكرٍ طُوَيحٌ ممَّنْ تولَّى ٱلقضاءَ بٱلشِّحرِ ، ذَكرَهُ ٱبنُ سراجٍ في « مناقبِ ٱلشَّيخِ معروفٍ »[5] .

وسمعتُ بعضَ أَهلِ ٱلعِلْمِ يذكرُ أَنَّهم مِنْ ذرّيَّةِ ٱلعلاَّمةِ ٱلشَّيخِ محمَّدٍ باطَحْن ، وهوَ

---

(١) « فتوح البلدان » (١٦٧) ، والحديث أخرجه أبو داود (٣٠٥٢) .

(٢) **يتيامنون** : يتباركون .

(٣) **العباهلة** : الملوك الَّذين أُقِرُّوا علىٰ ملكهم ، لا يُزالون عنه .

(٤) توفِّي سنة (١٣٦١هـ) كما كُتِب علىٰ شاهدة قبره بالشِّحر ، وهو تلميذ العلاَّمة السَّيِّد عليِّ بن مُحَمَّد الحبشيِّ ، كان متبحِّراً في النَّحو ، وكان محبّاً جدّاً لشيخه الحبشيِّ إِلىٰ درجة الغلوِّ ، وللمصنِّف معه ومع من يسميِّهم (جماعة باطويح) أخبار وقصص ، بعضها يطوىٰ ولا يروىٰ . . رحم الله الجميع .

(٥) المسمَّاة : « مواهب الرَّبِّ الرَّؤُوف » .

مِن أَوعيةِ العِلمِ ، غيرَ أَنْ غُلوَّهُ في شيخهِ سعدِ الظّفاريِّ أوقعه في إساءَةِ الأدبِ على الفقيهِ المقدَّم فكرهه العلويُّونَ .

وسكّانُ ٱلشِّحْرِ ٱلآنَ أَربعةَ عشرَ أَلفاً وثمانُ مئةٍ وبضعٌ وستُّونَ نفساً ، ويدخلُ في ذلك قُرَاها ، وفيها أكثرُ مِن ستِّينَ مسجداً .

وفي ضواحيها قرىً كثيرةٌ ، أَرادوا أَنْ يجمِّعوا[1] فيها أَواخِرَ ٱلقرنِ ٱلتّاسع ، فأَفتى ٱلعلاَّمةُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَحمدَ بامخرمةَ بٱلمنعِ ؛ لأَنَّها لَم تُخَطَّ قرىً مِنَ ٱلأَصلِ ، وإِنَّما يبنى ٱلواحدُ ثمَّ ٱلثّاني . . . وهلمَّ جراً ، فهيَ مِنْ أَعمالِ ٱلشِّحْرِ لا قرىً مستقلّةٌ ، ولي في ذلكَ بحثٌ ، لَو أَفضتُ فيهِ . . لخرجتُ عمَّا نحنُ بسبيلهِ[2] .

غياضُ ٱلشِّحْرِ[3] :

في شِمالِ ٱلشِّحْرِ إِلىٰ جهةِ ٱلشّرقِ غَيضةٌ يخترفُ فيها ٱلسّادةُ آلُ ٱلعيدروسِ[4] ، فيها جامعٌ وآبارٌ لِلسّناوةِ تسمَّىٰ : **دُفَيقه**[5] .

ومِنْ ورائِها إِلى ٱلشَّمالِ[6] : **تَبالة** ، فيها جامعٌ وأَموالٌ لأَهلِ ٱلشِّحْرِ ، وسبعةُ مَعَايينَ يخرجُ مِنها ماءٌ شديدُ ٱلحرارةِ .

---

(١) أَي : يقيموا بتلك القرىٰ صلاة جمعة .

(٢) وقد ظهر بالعلم في زمن المصنِّف وبعده رجال علماءُ صالحون ، كانوا ملجأً وملاذاً للنّاس في فتاواهم ونوازلهم ؛ منهم العلاّمة الشّيخ الصّالح المعمَّر عبد الكريم الملاّحي ، المولود بـ(زنجبار) بـ(جزر القمر) سنة (١٣٢٨هـ) ، والمتوفَّىٰ بـ(الشّحر) سنة (١٤١٧هـ) ، عن نحو تسعين عاماً قضاها في العلم والتعليم والإرشاد ، هاجر مع والده وأخيه أحمد إلى الشّحر وتوطّنوها ، ولأخيه أحمد الملاّحي اهتمام بالتّاريخ ، وقد دوَّن مذكِّرة مفيدة في حوادث الشّحر الّتي عاصرها ، وترجم لبعض الأعيان ، توفّي سنة (١٣٩١هـ) تقريباً .

ومنهم الشّيخ الفاضل سالمين حَبْليل ، توفِّي في نفس السّنة ـ أي سنة (١٤١٧هـ) ـ وممَّن لازال بها من العلماء : الشّيخ الفاضل ، العالم الفقيه ، القاضي عمر بن سعيد باغزال ، ممَّن درس علىٰ يد السّيِّد محسن أبي نمي وطبقته .

(٣) **الغياض** ـ جمع غيضة ـ وهي : المكان الغزير المياه الذي تكثر فيه الأشجار الملتفة .

(٤) **الاختراف** هو : التصيّف . والمُخْتَرَف بمعنى المَصيف بفتح الميم .

(٥) تقع دفيقه شمال الشحر ، وتبعد عنها نحو (٢ كم) .

(٦) على بعد نحو (٧ كم) .

قالَ ٱلطَّيِّبُ بامخرمةَ : (وتبالةُ قريةٌ قربَ ٱلشِّحْرِ علىٰ طريقِ ٱلخارجِ من ٱلشِّحرِ إلىٰ حَضْـرَمَـوْتَ ، وفيهـا عـدَّةُ عيـونٍ حـارَّةٍ فـي أَكَمَـةٍ واحـدةٍ ، يُسقـىٰ بهـا زرعٌ ونخـلٌ ونارجيلٌ[1] . . . وعيونُها مختلفةٌ ، مِنها حارَّةٌ كثيرةُ ٱلماءِ ، ومِنها قليلةُ ٱلحرارةِ قليلةُ ٱلماءِ ، وهيَ أُعجوبةٌ) اهـ[2]

وٱلنّاسُ يقصدونَ ذلكَ ٱلماءَ ٱلشَّديدَ ٱلحرارةِ مِنْ جهاتٍ بعيدةٍ ؛ لِلاستشفاءِ بٱلاغتسالِ فيهِ مِنْ بعضِ ٱلأَمراضِ[3] .

وفي (ص١٨٥) وٱلّتي بعدَها من الجزءِ ٱلأَوَّلِ مِن « دائرةِ ٱلمعارفِ » لفريد وجديٍّ ما نصُّه : (وربَّما رأىٰ بعضُ قرّاءِ هـٰذا ٱلكتابِ في أُوروبا عيوناً نابعةً مِنَ ٱلأَرضِ علىٰ درجةٍ مِنَ الحرارةِ مرتفعةٍ ، تقتربُ مِنَ ٱلغليانِ ، وهيَ لم تصل إلىٰ هـٰذهِ ٱلدَّرجةِ مِنَ ٱلحرارةِ إلا لكونها آتيةً مِن أَبعادٍ عميقةٍ) اهـ

وهـٰذا ٱلوصفُ ينطبقُ علىٰ بعضِ عيونِ تبالةَ إذِ ٱلبَيْضُ ينضُجُ فيها علىٰ بضعِ دقائقَ .

وكانَ مِنْ سكّانِها : ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ أَبي بكرٍ ٱلشِّحْريُّ ، ممدوحُ عبدِ ٱلصَّمدِ باكثيرٍ بقولهِ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

لِـي فِـي تَبَـالَـةَ إِخْـوَانٌ وَأَخْـدَانُ	أَكْـرِمْ بِهِـمْ فِتْيَـةً فِـي ٱلْحَـيِّ جِيـرَانُ
وَنَحْـنُ فِـي رَوْضَـةٍ خَضْـرَا مُـزَخْـرَفَـةٍ	تُـدَارُ فِيهَـا مِـنَ ٱلصَّهْبَـاءِ أَلْـوَانُ
فِي حَضْـرَةِ ٱبْـنِ أَبِيْ بَكْـرٍ مُحَمَّـدٍ مَـنْ	فِـي ٱلْمُشْكِـلاَتِ لَـهُ حَـلٌّ وَتِبْيَـانُ
صَدْرُ ٱلْمَرَاتِبِ قُطْبُ ٱلْمَجْدِ لاَ بَرِحَتْ	تَسْعَـىٰ إِلَيْـهِ جَمَـاعَـاتٌ وَوِحْـدَانُ

(١) النّارجيل : جنس شجر من الفصيلة النَّخليَّة ، منه أَنواع للتَّزيين ، يزرع لثمره المسمَّىٰ جوز الهند ، ويسمِّيه الأَهالي : الميدع ، ويستخرجون منه خلاً جيِّداً بطريقة معيَّنة ، وهي أَنَّهم يفتحون فتحات في ثمار النّارجيل من اللَّيل ويأْتون في الصَّباح قبل شروق الشَّمس ليأْخذوا ماءَها ويتركونه في أوانيه لمدة أربعين يوماً ، ثم يفتحونها وقد صار خلاً ، وما أَشرقت عليه الشَّمس لا يأْخذونه ؛ لأَنَّه يتخمَّر حينئذٍ بل يتركونه إلى اللَّيل ، وهو منتشر في السّاحل .

(٢) نسبة البلدان (ق٥٧) .

(٣) ولا زالوا كذلك إلى اليوم ، وقد بنيت غرف بالقرب من هـٰذه المعايين ، وهي عبارة عن ماء كبريتيّ صحي .

مُحَــدِّقِيــنَ إِلَيْــهِ مُحْــدِقِيــنَ بِــهِ فِـي رَوْضَـةٍ حَـوْلَهَـا بِـالْـزَّهْـرِ أَلْـوَانُ

وهٰذهِ مِنْ مُنْحطِّ شعرِ عبدِ ٱلصَّمدِ ، وإلاَّ . . فقد كانَ لَهُ مِنَ ٱلإجادةِ نصيبٌ وافٍ .

وقالَ ياقوتُ : (تبالةُ : قيلَ : هيَ ٱلَّتي جاءَ ذكرُها في كتابِ مسلمِ بنِ ٱلحجَّاجِ[1] ، ببلادِ ٱليمنِ ، وأظنُّها غيرَ تبالةِ ٱلحَجَّاجِ بنِ يوسفَ ، ٱلَّتي يُقالُ فيها : « أهونُ مِنْ تبالةَ على ٱلحجّاجِ »[2] ؛ لأنَّ هٰذهِ بلدةٌ مشهورةٌ بتهامة في طريقِ ٱليَمنِ) اهـ[3]

وكِلاهُما غيرُ ٱلَّتي نحنُ في ذِكرِها[4] .

ووراءَها متشائِمةً[5] . عنها : **ٱلواسطُ** ، وهيَ قريةٌ فيها جامعٌ[6] ، وثلاثةُ معايينَ باردةُ ٱلماءِ ، عليها أموالٌ لأهلِ ٱلشِّحْرِ .

وفي غربيِّ ٱلواسطِ بحذائِهِ : **شعبُ ٱلنُّورِ** ، أكثرُهُ لِلسَّادةِ آلِ أحمدَ بنِ صالحٍ ابن ٱلشَّيخِ أبي بكرِ بنِ سالمٍ[7] .

---

(١) أي : « صحيح الإمام مسلم » ، وجاءَ ذكرها في « صحيحه » (٢٩٠٦) : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تقوم الساعة حتىٰ تضطرب أليات نساءٍ من دوس حول ذي الخلصة » وكانت صنماً تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة .

(٢) كان أوّل عملٍ وليه الحجّاج تبالة ، فسار إليها ، فلمّا قرب منها . . قال للدَّليل : أين هي ؟ قال : سترتها عنك هٰذه الأَكَمَةُ ، فقال : أهونْ عليَّ بعمل بلدة تسترها عنّي أَكَمَةٌ ، ورجع من مكانه ، فقالت العرب : (أهوَنُ من تبالة على الحجاج) .

(٣) معجم البلدان (٢/ ٩).

(٤) وفي « النِّسبة » لبامخرمة : أنَّ تبالة موضع باليمن ، كان فيه صنم ذو الخلصة الَّذي كسره الصَّحابيُّ الجليلُ جرير بن عبد الله البجليُّ .

(٥) **متشائمة** : آخذة في طريق الشَّآم .

(٦) وهٰذا الجامع مشهور في السَّاحل ، ينسب إلى الشَّيخ الكبير الإمام عمر المحضار بن عبد الرَّحمٰن السَّقَّاف ، ويقال : إنَّ وفاته كانت بالواسط ، ثمَّ نقل إلىٰ تريم « لوامع النُّور » (١/ ٧٦ـ٧٧) .

(٧) هو السَّيِّد الشَّريف أحمد بن صالح بن أحمد بن عبد الرَّحمٰن بن أحمد بن الحسين ابن الشَّيخ أبي بكر بن سالم باعلوي . ولد بعينات ، ونشأ بها ، وطلب العلم ، وجدَّ واجتهد ، وبنىٰ بيتاً في عرف ، ثمَّ غادرها إلى الشِّحر ، ومنها إلى الواسط ، وأخيراً استقرَّ في هٰذا الشِّعب الَّذي سمَّاه شعب النُّور ، وبنىٰ منزله الَّذي سكنه إلىٰ آخر عمره ، وكان يُقصد إلى الشعب المذكور للأخذ عنه والتبرُّك بزيارته ، =

وفي جنوبِهِ : **ٱلجرادفُ** ، فيها معيانٌ واحدٌ باردُ ٱلماءِ ، عليهِ أَموالٌ لأَهلِ ٱلشِّحْرِ ، وفيهِ آبارٌ كثيرةٌ .

وفي شمالِهِ : **ٱلنّجاعين** ، وهيَ قريةٌ فيها نخيلٌ لآلِ ٱلعيدروسِ .

ومِنْ ورائِها : **ٱلبرحُ** ، سكّانُهُ مِنَ ٱلحمومِ ، وفيهِ ناسٌ مِنَ ٱلحاضرةِ ، وفيهِ جامعٌ .

ومِنْ ورائِهِ : **ٱلرّمضاءُ** .

ومِنْ بَعدِها : **عَرَف** ، وهيَ قريةٌ فيها بساتينُ نخلٍ ، وعيونُ ماءٍ ، كانَ ٱلشَّيخُ ٱلمحضارُ بنُ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقّافِ يُكثرُ ٱلكونَ فيها وٱلتَّردُّدَ عليها ، ولَهُ بها أَموالٌ كثيرةٌ[1] .

وفي غربيِّ ٱلجرادفِ قريةُ **ٱلحِبْسِ** ، فيها معيانانِ وأَموالٌ لِلدَّولةِ ٱلقعيطيَّةِ .

وفي جنوبِ ٱلحبسِ : **شِكْلِنْزِه**[2] ، قريةٌ فيها مزارعُ ، ومعيانانِ ، وآبارٌ ، وبها يخترفُ كثيرٌ مِنْ أَهلِ ٱلشِّحْرِ ، ولـٰكنَّهُ ٱستولىٰ عليها ٱلخرابُ .

وفي غربِها : **مِعْيانُ ٱلمَسَاجدةِ** : يُنسبُ لآلِ ٱلمَسْجديِّ مِنَ ٱلمشايخِ آلِ باوزيرِ ، وهيَ قريةٌ فيها ثلاثةُ معايينَ ، وفيها آبارٌ كثيرةٌ ، وأَموالٌ لأَهلِ ٱلشِّحْرِ .

وفي غربيِّ ٱلمساجدةِ : **صُداعُ ٱلعَوَالقِ وحَزْمهُم** . وفي غربيِّهِ قريةٌ يقالُ لها : **حَبَايرُ** . وفي غربيِّ حباير : **قَارَةُ ٱبنِ محركةَ** .

وفي جنوبِ هـٰذهِ ٱلقارَةِ : **غيلُ باوزيرٍ** .

وفي غربيِّهِ : **ٱلنقعةُ وٱلقارَةُ** ، وقد سبقَ ٱلتَّعريفُ بتلكَ ٱلبقاعِ .

وفي شمالِ ٱلقارةِ : قريةٌ تسمَّىٰ : **ٱلسَّوطَ** ، فيها معيانانِ وجامعٌ .

= وكانت وفاته سنة (١٢١١) أو (١٢١٢هـ) . وله ذرِّيَّة مباركة ، ظهر فيهم علماءُ وأَفاضل .

(١) وممَّن سكن بها من العلماء : الشَّيخ العالم الصَّالح عوض بن مبارك الكلاليُّ ، المتوفَّىٰ في منتصف القرن الرَّابع عشر الهجريِّ .

(٢) ويمكن للبعض أن يسمِّيها : الشكل النِّزه كما فعل باحسن في « تاريخه » ، وكما كان السُّلطان صالح بن غالب يسمِّيها ، وكان يتردَّد عليها .

ولهٰذهِ ٱلغياضِ ـ ولاسيَّما شكلنزة ودُفَيقةُ وٱلحزمُ وصداعُ ـ ذِكرٌ كثيرٌ في ٱلحروبِ ٱلواقعةِ بينَ ٱلكساديِّ وٱلقعيطيِّ ، وٱلعولقيِّ وٱلكثيريِّ ، حسبما فُصِّلَ بـ« ٱلأصلِ » ، ومرَّ بعضُهُ في ٱلحزمِ وصداع .

وممّا يَستحقُّ ٱلإعجابَ ، ويُشنِّفُ ٱلأسماعَ[1] ، وينفخُ ٱلأنوفَ : أَنَّ آلَ كثيرٍ وٱلعوالقَ وٱلكساديَّ حاولوا ٱلهجومَ على ٱلشِّحْرِ في سَنةِ (١٢٩٠هـ) بنحوِ ثلاثةِ آلافِ مقاتِلٍ ، ونزَلوا شكلنزةَ ، وفي ٱللَّيلةِ (٢٣) مِنْ شوّالٍ مِنْ تلكَ ٱلسَّنةِ ٱجتمعَ مَلَؤهُم في دفيقةَ ، فنازلَتْهُم ثُلَّةٌ مِنْ عسكرِ ٱلشِّحْرِ لا تزيدُ عن أَربعِ مئَةِ مقاتِلٍ ، فٱنسحبَ جندُ ٱلعولقيِّ وٱلكساديِّ وٱلكثيريِّ إلى ٱلمِشْرافِ ، وهنالكَ ٱلتحمَ ٱلحربُ وٱستحرَّ ٱلقتلُ ، وجاءَتِ ٱلأمدادُ ٱليافعيَّةُ مِنَ ٱلشِّحْرِ ، ولَمْ يَبْقَ بيدِ ٱلعولقيِّ وٱلكساديِّ وٱلكثيريِّ إلاَّ دارانِ في دفيقة ، ولما دارتِ ٱلدّائرةُ عليهِم ، وٱنهزمَ آلُ كثيرٍ هزيمةً منكَرةً . . ٱنحصرَ مَنْ بقيَ منهُم بدارَي دفيقةَ ، ثمَّ ٱنهزمَ أَحدُ ٱلدّارينِ وأَخذتْهُ يافعٌ عنوةً ، وكانَ في أَسفلهِ كميَّةٌ وافرةٌ مِنَ ٱلبارودِ ، ففَتحَ أَوعيتَها أَحدُ عبيدِ ٱلعوالقِ ، وربطَ بها حبلاً مِنَ ٱلفتيلِ ، وأَشعلَ فيهِ ٱلنّارَ معَ هَرَبِهِ ، فلمّا ٱنتهتْ إِليهِ . . ٱنفجرَ ، فسقطَ ٱلدّارُ علىٰ مَنْ دَاخِلَهُ مِنْ عسكرِ ٱلقعيطيِّ ويافع ، وقَويَتْ نفوسُ آلِ كثيرٍ ومَنْ معَهُمُ ٱلمحصورينَ في ٱلدّارِ ٱلثّاني ، وجَدّوا في ٱلدِّفاعِ وٱلاستماتةِ حتَّىٰ تواضعوا معَ ٱلقعيطيِّ علىٰ أَنْ يَخرجوا بٱلشَّرفِ ٱلعسكريِّ في وجهِ سالمِ بنِ يحيىٰ بنِ عبدِ ٱلحبيبِ بنِ عليِّ جابرٍ ، أَو عليِّ بنِ يحيىٰ . . إلىٰ آخرِ ٱلنَّسَبِ .

ولمّا خَرجوا . . إذا هُم أَفلاذُ كَبِدِ حَضْرَمَوْتَ ، وأَعيانُ ٱلدَّولةِ آلُ عبدِ ٱللهِ ، وآلُ كثيرٍ ، وٱلعوامرُ ، وآلُ جابرٍ ، ٱلَّذينَ لا يُمكنُ أَنْ تقومَ لَهم قائِمةٌ بعدَها لَوِ ٱستأْصلوهُم أَبداً . عندَ ذلكَ حاولَ ٱلقعيطيُّ إرضاءَ سالمٍ أَو عليِّ بنِ يحيىٰ بما يتمنَّىٰ ، علىٰ أَنْ يخيسَ بعَهدِهِ ويَتركَهُم لَهُ ، فقالَ : (وٱللهِ ، لَو أَعطيتني جَبلاً مِنَ ٱلذَّهبِ . . لَن أَخرمَ ذمَّتي ، ولَن أُسوِّدَ وَجهي) ، فبلَّغَهُمُ ٱلمأْمنَ كِراماً وهوَ رافعُ ٱلرَّأْسِ[2] .

---

(١) يشنِّف الأسماع : يزيِّنها .

(٢) تفاصيل هٰذه الحادثة في « العُدَّة المفيدة » (٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٣) .

فمِثْلُ هٰذهِ ٱلأُكرومةِ ينبغي تكريرُها في ٱلمدارسِ ٱلقعيطيَّةِ ؛ لِما فيها مِنَ ٱلشَّرفِ ٱلمخلَّدِ ، وٱلمجدِ ٱلمُتَلَّدِ ٱلَّذي يسوِّغُ لآلِ عليٍّ جابرٍ أَنْ يَتمثَّلوا بقولِ حبيبٍ [في « ديوانه » ١/ ٣٣٢ مِنَ ٱلبسيطِ] :

لَـوْلاَ أَحَـادِيـثُ سَنَّتْهَـا أَوَائِلُنَـا ... مِنَ ٱلْعُلا وَٱلْوَفَا لَمْ يُعْرَفِ ٱلسَّمَرُ[1]

وإِنَّما ينْحَجِز ٱلنَّاسُ عنِ ٱلملاومِ ، ويَتدفَّقونَ على ٱلمكارمِ بإِكبارِ أَعمالِ ٱلأَبطالِ ، وٱزدراءِ أَفعالِ ٱلأَنذالِ ، فأَوجَبُ ما يكونُ على ٱلدُّولِ ٱلرَّاغبةِ في ٱلرُّقيِّ أَنْ تُمجِّدَ صنائعَ ٱللَّهاميمِ[2] ، وتُحقِّرَ معايبَ ٱلمذاميمِ ، فعلىٰ مِثلِ ذلكَ يقومُ عمادُ ٱلشَّرفِ ، وتُتسنَّمُ مدارجُ ٱلغرفِ ، وقد وردَ : (أُمِرنَا أَنْ نُنْزِلَ ٱلنَّاسَ مَنَازِلَهُمْ)[3] ، وجاءَ ٱلحثُّ علىٰ دراسةِ ٱلتَّاريخِ حتَّىٰ في أُمِّ ٱلكتابِ ، كما يُؤْخَذُ مِنْ قولِهِ : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ، وما كانَ أَسمارُ ٱلسَّابقينَ إِلاَّ في مثلِ هٰذا وما أَحسنَ قولَ أَبي ٱلطَّيِّبِ [في « العكبري » ٤/ ٢٦٠ مِنَ ٱلوافرِ] :

وَأَكْثَـرُ فِـي مَجَـالِسِـهِ ٱسْتِمَـاعـاً ... فُـلاَنٌ دَقَّ رُمْحـاً فِـي فُـلاَنِ

ثُمَّ تراذَلَ ٱلزَّمانُ ، فأَنَّتَ ٱلرِّجالَ .

وقالَ ٱلطَّيِّبُ بامخرمةَ : (ثوبانُ[4] : موضعٌ شرقيَّ ٱلشِّحْرِ علىٰ مرحلتينِ مِنها ، فيهِ عينانِ كِبريتيَّتانِ ، يُنتفَعُ بهِما مِنْ عدَّةِ أَدواءٍ ، ذكرَها ٱلقاضي مسعودٌ) اهـ[5]

مراسي بحرِ ٱلشِّحْرِ إِلىٰ ظفار

أَوَّلُ ما يلي ٱلشِّحْرَ إِلى ٱلجهةِ ٱلشَّرقيَّةِ : **ٱلعِيص** ، تبعدُ عنِ ٱلشِّحْرِ ساعةً ونصفاً

---

(١) **السَّمَر** : حديث الليل ؛ أي : إنَّ السَّاهرين في حلقة القوم يتحدَّثون بمآثرنا . وللبيت روايات أخرى .

(٢) **اللَّهاميم** : الأبطال .

(٣) روى الإمام أبو داود (٤٨٤٢) : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال : « أَنْزِلُوا ٱلنَّاسَ مَنَازِلَهُمْ » .

(٤) **ثوبان** : من ضواحي الديس الشرقية ، تتبع مديرية الشحر ، وسكانها من الحموم .

(٥) نسبة البلدان (ق ٦٥) .

بسيرِ ٱلأثقالِ ، في بُعدٍ قليلٍ عنَ ٱلسّاحلِ ، عبارةٌ عن أكواخٍ قليلةٍ محفوفةٍ بزراعاتٍ ، أكثرُها مِنَ ٱلتّبغِ .

ثمَّ **جمعوضُ** ، قريةٌ صغيرةٌ لا يزيدُ سكّانُها ـ مِنَ ٱلعمّالِ وٱلباديةِ آل بَحْسَن ـ عَن مئتي نفسٍ ، وفيها مِعْيَانانِ وعدّةُ أَبْؤُرٍ .

ثمَّ **ٱلحامي** ، بينَهُ وبينَ ٱلعيصِ أربعُ ساعاتٍ ، وفيهِ شَبَهٌ مِنَ ٱلشِّحْرِ مِنْ بعضِ ٱلنّواحي ، لولا ما يتخلَّلُهُ مِنْ أشجارِ ٱلنّارجيلِ ، ويقالُ : إنَّ أهلَها أحسنُ أخلاقاً مِنْ أهلِ ٱلشِّحْرِ .

ولمّا سمعَ هٰذا بعضُ أهلِ ٱلشِّحرِ.. قالَ : إنَّ ٱلأمرَ بٱلعكسِ ، وإنَّهم ليضنُّونَ حتّىٰ بٱلماءِ ، ويقولونَ لِمَنْ طَلَبَ شربةَ ماءٍ : (إنَّهُ حامي ، لا يصلُحُ للشُّرب) ، ويتأكَّدُ هٰذا بما قيلَ : إنهم ٱلّذينَ ٱمتنعوا مِن ضيافةِ ٱلخَضِرِ وموسىٰ ، وأَنَّ ٱلجدارَ ٱلّذي أقامَهُ ٱلخضرُ كان بٱلحامي لِمَا تحته من كنزِ ٱلغلامَينِ ٱللّذَينِ كانَ أبوهما صالحاً .

وفي سِيفِ ٱلحامي عينُ ماءٍ عَذْبٍ كانَ ٱلنَّاسُ يستَقون مِنها للشُّربِ حالَ ما يجزُرُ عنها ٱلبحرُ .

وفيها مدرسةٌ سلطانيّةٌ[1] ، وبها عينُ ماءٍ حارّةٌ ، إلاّ أنَّها أقلُّ حرارةً مِنْ مياهِ تبالة ، يزعمُ ٱلأهالي : أنَّ ٱلاغتسالَ فيهِ شفاءٌ مِنْ أنواعِ ٱلبثورِ ؛ ولذا يَقصِدُهُ ٱلكثيرُ مِنَ ٱلأماكنِ ٱلبعيدةِ ، وأهلُ ٱلبلادِ يَغتسلونَ فيهِ كلَّ صباحٍ .

وفي « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » [٢/٥٤٧] : أنَّ بِهِ ناساً مِنْ ذرّيّةِ ٱلحبيبِ سالمِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويٍّ ٱلحدّادِ[2] ، وآخَرينَ مِنْ ذرّيّةِ ٱلحبيبِ عليِّ بنِ محمَّدٍ جملِ ٱللَّيلِ باحسنٍ[3] .

---

(١) وكان يشرف عليها العلاّمة النّاخبيُّ ؛ إذ كانت تحت مسؤوليّته كغيرها من المدارس السُّلطانيّة .

(٢) الّذي في « شمس الظهيرة » أنَّ بالحامي أُناساً من ذرّيّة حسين ٱبن الإمام الحدّاد ، والصّواب ما ذكره المصنِّف ، ولعلَّ المطبوع من « الشّمس » دخله التحريف ؛ لأنَّ معظم ذرّيّة الحسين المذكور إنّما هم بعمان ورأس الخيمة ونواحيها .

(٣) ويعرفون بآل باهارون باحَسَنْ ، وجدُّهم الجامع لهم هو السَّيِّد : مُحَمَّد بن هارون بن علويٍّ الفقيه ٱبن عبد الله بن مُحَمَّد ـ صاحب بور ـ ٱبن عبد الله بن مُحَمَّد المجذوب ابن سالم بن أحمد بن عبدِ الرَّحمـٰن بن عليِّ بن مُحَمَّد جمل اللَّيل .

ثمَّ المَقَد : وهيَ قريةٌ لا بأسَ بها ، فيها ٱلسَّادةُ آلُ ٱلمَقْديِّ ، وناسٌ مِن آلِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ ، وآلِ بنِ عويضانَ ، وآلِ بنِ سبولٍ ، وآلِ بامحيمود ، وآلِ بَحْسَن مِنَ ٱلحموم .

ثمَّ ٱلقرنُ : وهيَ مرفأُ ٱلدِّيْسِ .

ومِنْ وراءِ ٱلحامي متشاملاً : **ٱلدّيسُ** ، بينَهُ وبينَهُ نحوُ خمسِ ساعاتٍ بسيرِ ٱلأَثقالِ ، يَبعدُ عن سِيفِ ٱلبحرِ[1] بنحوِ ساعةٍ ونصفٍ لِلماشي .

وقد مرَّ في أَخبارِ ٱلشِّحْرِ : أَنَّ عليَّ بنَ حَبْرِيش ٱستولىٰ عليه وٱستباحَه في حدودِ سنةِ (١٣٤٤هـ) .

نسب الحموم :

ومرجعُ ٱلحُمُومُ في ٱلنَّسَبِ ـ علىٰ ما نقلَهُ ٱلشَّريفُ عبدُ ٱللهِ بنُ مصطفىٰ بنِ زينِ ٱلعابدينَ عليّ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخٍ مِنْ خطِّ ٱلفقيرِ ٱلصَّالحِ أَحمدَ بامريم ـ : إِلىٰ حِمْيَرَ ، ومثلُهُ منقولٌ عن خطِّ ٱلشَّيخِ عليٍّ باصَبْرين .

وحاصلُ ما وجدَ بخطِّهِ : (أَنَّ ٱلمَناهيلَ وٱلحُمُومَ ويافع مِنْ حِمْيَرِ بن سبأ) . قالَ باصبرين : (وهوَ منقولٌ عنِ ٱلشَّيخِ عمرَ ٱلعموديِّ ، عنِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ ٱلعيدروسِ) .

وهُم ينقسمونَ إِلىٰ قسمينِ :

ٱلقسمُ ٱلأَولُ : بيتُ ٱلقَرْزَاتِ ، ومقدَّمهُمُ ٱليومَ : ٱبنُ شليانَ ، لا يزيدُ عَددهُمُ ٱلَّذي أَسَارْتُهُ ٱلمجاعةُ وٱلحروبُ ٱليومَ عن مئتينِ وخمسينَ رامياً[2] .

وٱلقسمُ ٱلثّاني : بيتُ علي وأَلفافهِ[3] ، وهوَ بيتُ رئاسةِ حَبْرِيش وبَنِيهِ ، ومقدَّمهُمُ ٱليومَ : أَحمدُ بنُ حبريش ، ولا يزيدُ عددُ بيتِ عليٍّ ٱلآنَ عن تسع مئَةٍ ، ويَنضمُّ إِليهم :

---

(١) **سِيفُ البحر** : ساحله .

(٢) **أسارْتُه** : أبقته .

(٣) **ألفافه** : أحزابه وجماعاته ، وقد تكفل المقحفي بذكرهم في « معجمه » (٥٠٨) .

بيتُ غرابٍ ، وعَددهُم نحو ٱلألفِ . وبيتُ عَجيلٍ ، وعَددهُم نحو ألفينِ . وبيتُ شنيني ، وعَددهُم نحو ٱلألفِ . وبيتُ يمينيّ ، وعَددهُم نحو مئةٍ وخمسينَ . وبيتُ عُبيدٍ ، وعَددهُم مئةٌ . وبيتُ سعيدٍ ، نحو مئةٍ وخمسينَ . وبيتُ بَخسني ٱلتَّامبول ، نحو مئةٍ وخمسينَ[١] .

ويَنضمُّ إليهم مِنْ باديةِ ٱلعلويّينَ : آلُ قِطْبانَ[٢] ، وبيتُ حُمُودةَ[٣] ، وهُم نحو مئتينِ وخمسينَ . وٱلمعتبَرُ في هـٰذهِ ٱلأعدادِ هُمُ ٱلرُّمْيانُ .

وخيامُهُم ضاربةٌ بينَ ٱلشِّحْرِ وٱلمشقاصِ وحَضْرَمَوْتَ ، ولَهم ذِكرٌ كثيرٌ في « **ٱلأصلِ** » .

وبالديس جماعةٌ مِنْ ذرّيّةِ ٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ محمَّدٍ شُرَيمِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويٍّ بنِ أحمدَ بنِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ[٤] .

قالَ شيخُنا في « شمسِ ٱلظَّهيرة » [١/٣٧٦] : (وقد كانَ مكتوباً علىٰ عمرَ هـٰذا أنَّه ٱنقرضَ ، ولـٰكنْ وردَ إلىٰ تريمَ في سَنةِ « ١٢٧١هـ » ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ عبدِ ٱللهِ ، وهوَ مِنْ ذرّيّتِهِ ، وأثبتَ نسبَهُ ونسب بني عمِّهِ بحجَّةٍ واضحةٍ إلىٰ عمرَ ٱلمذكورِ ، فأثبتَهُ سيِّدي عبدُ ٱللهِ بنُ حسينِ بنِ طاهرٍ ، وٱلوالدُ أحمدُ بنُ عليٍّ ٱلجنيدُ ، فليُعلَمْ ذلكَ . وٱلسّادةُ ٱلمذكورونَ بٱلمَقَد وٱلدِّيسِ)[٥] .

---

(١) لمعرفة المزيد من بيوت وقبائل الحموم ينظر : « الشَّامل » (١٠٦ـ١٠٧) ، « أدوار التَّاريخ » (٣٥٦ـ٣٥٧) ، « معجم المقحفي » (٥٠٨ـ٥٠٩) .

(٢) آل قِطْبان ذرِّيَّة السَّيِّد قِطْبان بن عقيل بن أحمد بن أَبي بكر السَّكران ابن عبد الرحمـٰن السَّقَّاف ، ظهر فيهم علماءُ وصلحاءُ ، سيأتي ذكر بعضهم في سيئون .

(٣) بيت حمودة أيضاً من ذرِّيَّة السيد أحمد بن أَبي بكر السَّكران . « المعجم اللَّطيف » (٦٢ـ٦٥) .

(٤) وهم المعروفون بآل المَقْدِي .

(٥) ومن أعيان علماء السَّادة آل المَقْدي : السَّيِّد عمر بن عبد الله المَقْدي ، الَّذي ذكره الحبيب عبد الرَّحمـٰن المشهور في النَّصِّ السَّالف .

ومن أعيان الدِّيس وسكَّانها : السَّادة آل الحدَّاد ، وتقدَّم في الحامي القول بأَنَّ بها جماعة من ذرِّيَّة السَّيِّد سالم ابن الإمام الحدَّاد ، وأَنَّ بعضاً منهم سكنوا الدِّيس .

وأشهر من عُرف بالعِلْم من هـٰؤلاء السَّادة ، العلاَّمة الكبير السَّيِّد عبد الله بن محفوظ بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي بكر بن علويّ بن سالم ٱبن الإمام الكبير عبد الله بن علويّ الحدَّاد . =

شَرْمةُ(١)

قد سَبَقَ أَوائِلَ ٱلتَّعريفِ بِٱلشِّحْرِ عن « نخبةِ ٱلدّهرِ » : أَنَّ لحَضْرَمَوْتَ فُرْضَتينِ علىٰ ساحلِ ٱلبحرِ ، يقالُ لإِحداهُما : شَرمةُ ، وللأُخرىٰ : ٱلشِّحْرُ .

وشَرمةُ هـٰذهِ هيَ في شرقيِّ ٱلدِّيسِ إِلىٰ جنوبهِ علىٰ مسافةٍ قصيرةٍ جدّاً ، وبها رسا أُسطولُ ٱلأَتراكِ في حادثةِ مُرَيْرِ ٱلسّابقِ ذِكرُها .

وفي « معجمِ ياقوت » [٣٣٨/٣] أَنَّ شَرمةَ ٱسمُ جبلٍ ، يقولُ فيهِ أَوسُ بنُ حُجْرٍ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

تَثُوبُ عَلَيْهِمْ مِنْ أُبَانَ وَشَرْمَةٍ ... وَتَرْكَبُ مِنْ أَهْلِ ٱلْقَنَانِ وَتَفْزَعُ

ويقولُ تميمُ بنُ أُبَيِّ بنِ مُقبلٍ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ آخِرَ ٱللَّيْلِ دُونَهُ ... رِضَامٌ وَهَضْبٌ دُونَ رَمَّانَ أَفْيَحُ(٢)

= ولد ببلدة الدِّيس الشَّرقيَّة ـ ويقال لها : ديس الحامي ؛ تمييزاً لها عن ديس المكلاَّ ـ سنة (١٣٤٢هـ) ، ونشأ بها في كنف والده وجدِّه مُحَمَّد بن إبراهيم ، ورحل في طلب العلم ، وله مصنَّفات منها :

كتاب « السنة والبدعة » ، كتاب فريد بديع في موضوعه ، لم ينسج على مثاله ، انتفع به الناس كثيراً ، وصار مرجعاً حتى لبعض كبار علماء عصرنا وللباحثين ، وطبع مرات . وفتاواه الشَّرعيَّة في النوازل العصريَّة . جمعت . ورسالة الصِّيام ، نشرت بتحقيق السيد علي محمد العيدروس . و« القول المثبوت في حكم دعاء القنوت » ، ط بتحقيق سبطه حسن الكاف ، و« فتاوىٰ رمضان » ، نشرها بعض تلامذته . وغير ذلك .

وقد فجعت حضرموت بموته في رجب سنة (١٤١٧هـ) .

ومن جلائل أعماله تَرَؤُّسُهُ للجمعيَّة الإسلاميَّة بالمكلاَّ ، والَّتي انبثقت عنها جامعة الأحقاف ، فكان لها شرف أن يكون المترجَم رئيساً لمجلس أُمنائِها من حين تأسيسها سنة (١٤١٥هـ) إلىٰ وفاته ، رحمه الله تعالىٰ .

(١) شرما ، أو شرمة : منطقة بمديرية الشحر ، تقع شرقي الديس إلى الجنوب منه ، كما ذكر المؤلف . وهي عبارة عن لسان رملي صغير ، كان قديماً مركزاً بحرياً ، واعتبر في أيامنا هـٰذه محمية طبيعية للسلاحف العملاقة التي تتواجد هناك بكثرة . « المقحفي » (٨٦٣) .

(٢) الرِّضام : الصُّخور العظام . الهضب : الجبال الطَّويلة الممتنعة المنفردة . رَمَّان : جبل في بلاد طيِّئٍ . =

،بِحَـزْنِ شَـآمٍ كُلَّمَـا قُلْـتُ قَـدْ وَنَـىٰ سَنَا، وَٱلْقَوَارِي ٱلْخُضْرُ فِي ٱللَّيْلِ جُنَّحُ[1]
فَـأَضْحَـىٰ لَـهُ جُلْـبٌ بِـأَكْنَـافِ شَـرْمَـةٍ أَجَـشُّ سِمَـاكِـيٌّ مِـنَ ٱلْـوَبْـلِ أَفْضَـحُ[2]

وأَبانُ مذكورٌ في قولِ ٱمرىءِ ٱلقيسِ [في « معلَّقته » مِنَ الطَّويل] :

كَـأَنَّ أَبَـانـاً فِـي عَـرَانِيـنِ وَبْلِـهِ كَبِيـرُ أُنَـاسٍ فِـي بِجَـادٍ مُـزَمَّـلِ[3]

فيظهرُ أَنَّ شَرمةَ ٱلمذكورةَ في هٰذينِ ٱلشِّعرينِ هيَ هٰذهِ ؛ لأَنَّ ٱمرأَ ٱلقيسِ حضرميٌّ ، وقد ذَكرَ أَباناً وهوَ إِلىٰ جانبِ شَرمةَ[4] .

وأَبانانِ : جبلان لبني تميم بنِ دارمِ بنِ مُرٍّ[5] .

= الأَفْيَح : الواسع . والمعنىٰ : أَرقت لهٰذا البرق الَّذي بيني وبينه تلك العقبات والمسافات الواسعة .

(١) ونىٰ : ضعف . السَّنا : ضوء البرق . القواري ـ جمع قارية ـ وهي : طير قصير الرِّجل ، طويل المنقار ، أخضر الظَّهر ، يحبُّه الأَعراب كثيراً . جُنَّح : كاسرة أَجنحتها ، مقبلة كاللاَّجىءِ الواقع .
وفي المخطوط : (والضرار) بدل : (والقواري) .

(٢) الجُلْبُ : السحاب . أكناف : نواصي . أجشُّ : في صوته غلظ . سماكيٌّ : مطر بنوءِ السِّماك ، وهٰذا علىٰ معتقدات أَهل الجاهليَّة الباطلة ، وهو منهيٌّ عنه . الوبل : المطر . أفضح : أبيض .

(٣) أَبان : اسم جبل . عرانين وَبْلِهِ : أَوائل مطره . البجاد : كساءٌ مخطَّط مِن أَكسية الأَعراب . مزمَّل : ملفوف . وللبيت روايات أُخرىٰ غير هٰذه . والله أعلم .

(٤) من الملاحظ أن المؤلف يكثر من التدليل على حضرمية امرىء القيس بذكره لأسماء مواضع متعددة توجد بـ(حضرموت) ، والحال أنه يوجد مُثُلٌ لها في نجد ، حيث نشأ وعاش ، وهذا الأمر يحتاج إلى تحقيق وإعادة نظر ، ولا يمكننا التسرع ورمي المؤلف بالخطأ ؛ إذ لولا وجود مواضع بـ(حضرموت) في شعر امرىء القيس كـ(دمّون) ، وصيلع ـ وهي مواضع شهيرة ، ومعروفة إلى اليوم بـ(حضرموت) . . لما كان للمؤلف وهو من هو في العلم والتثبت والاطلاع أن يميل إلى هذا الرأي .

(٥) علق العلامة الجاسر ـ رحمه الله ـ على هٰذا بقوله : (شرمة الوارد في هٰذه الأشعار : في نجد ، غرب بلاد القصيم بقرب أبانين ، الجبلين اللذين لا يزالان معروفين هناك . ولا صلة لهما بالقارتين اللتين قال عنهما : إنهما لبني تميم بن دارم بن مر . وهنا خطأ ، فتميم هو ابن مُر ، ودارم من فروع بني تميم . والقول بأن أباناً الوارد في شعر امرىء القيس هو في حضرموت لأن امرأ القيس حضرمي . هٰذا القول غير صحيح . فامرؤ القيس عاش في نجد ، وأكثر المواضع التي يذكرها في هٰذه البلاد لا في حضرموت) اهـ

وفي شرقيِّ شَرمةَ ، قارَتانِ متقابلتانِ ، تقربُ منهُما عينٌ عذبةٌ ، بينَهُما خَورٌ صغيرٌ[1] . يقالُ لَهُ : خَورُ يَضْغُط[2] ، تَرسو بهِ ٱلسُّفُنُ ٱلَّتي تُهرِّبُ ٱلمسافرِينَ ـ مِنَ ٱلمُكَلاَّ وٱلشِّحْر ـ ٱلَّذينَ لَم يُسمحْ لَهم بركوبِ ٱلبحرِ مِنْ سواحلِ ٱلقعيطيِّ إِلىٰ سيحوتَ وٱلسَّواحلِ ٱلإِفريقيَّةِ ، وعمّالُ ٱلقعيطيِّ بتلكَ ٱلنَّواحي يغضّونَ ٱلطَّرْفَ عنهُم مساعدةً للإِنسانيَّةِ[3] .

ومِنْ وراءِ ذلكَ : قُصَيْعَر[4] ، وهيَ قريةٌ لا بأْسَ بها ، كانت تحتَ حُكمِ آلِ عبدِ ٱلودودِ ، وآخِرُ أُمرائِهم بها : جعفرُ بنُ عليٍّ .

ومِثلُها ٱلرَّيْدَةُ ٱلَّتي تليها .

وفي قُصَيْعَر كثيرٌ مِنَ ٱلمشايخِ آلِ باعبّادٍ ، مِنْ أَواخرِهمُ: ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ ابنُ خالدٍ ، أَحدُ تلاميذِ سيِّدنا ٱلأَبرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ ، توفِّيَ بها[5] .

وقد سأَلتُ ٱلمكرَّمَ ٱلأَميرَ محمَّدَ بنَ عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلودودِ عن كيفيَّةِ خروجِ ٱلرَّيدةِ وقصيعر عن حُكمِهم.. فقالَ : (في سَنةِ « ١٢٩٤هـ » جهَّزَ ٱلقعيطيُّ سَبْعَ سفائِنَ ، في كلِّ سفينةٍ مئةُ عسكريٍّ بِعَتادِهم ، ولَم يَكُنْ منَّا أَحدٌ بقصيعر ، فأَخذوها صَفْواً[6] ، ولمّا سمِعْنا بعزمِهم إِلى ٱلرَّيدةِ.. تحمَّلْنا إِلىٰ بلادِ

---

(١) الخَور : المكان المنخفض بين جبلين .

(٢) خور يَضْغُط : خَوْرٌ صغير علىٰ شاطىءِ البحر العربيِّ ، بالقرب من رأس شرمة ، تربض عليه قرية تتبع مركز الدِّيس الحامي ، من مديريَّة الشِّحر ، وسكَّانه من الثُّعين .

(٣) كان هـٰذا إبَّان ناءَت المجاعة بكلكلها علىٰ حضرموت أثناء تصنيف هـٰذا الكتاب .

(٤) تبعد قصيعر عن الشِّحر مسافة (٦٧كم) في شرقيِّها .

(٥) بعد سنة (١٣٤٤هـ) . واسمه ـ أي ابن خالد ـ تامّاً : عبد الله بن مُحَمَّد بن أحمد بن عبود بن خالد بن عليِّ بن أبي بكر بن عليِّ بن مُحَمَّد ابن الشَّيخ الحسين بن عليِّ بن عبد الله بن عقيل باعبَّاد ، وفي رسالة له من مفتي قعطبة الشيخ عبد الله بن أحمد المسدس باعباد مؤرخة في (١٣٤٤هـ) يطلب مفتي قعطبة المذكور الإجازة من ابن خالد ، ويصفه فيها بـ(الشَّيخ الإمام المكين ، العارف بالله ورسوله..) إلخ ، ويطلب منه أن يرسل له ما يوجد من المعلومات لديه عن أصل باعبَّاد ؛ إذ كان ينوي أن يجمع كتاباً عن سيرهم وأخبارهم .

(٦) صفواً : في سهولة ويسرٍ .

اَلْمَهْرةِ بكلِّ ما نقدرُ عليهِ ؛ إذْ لا قِبَل لنا بهم ولا نزيدُ معَ عبيدِنا علىٰ ثلاثينَ مقاتلاً ، وكنّا عَزَمْنا على اَلرَّحيلِ إلى اَلسَّواحلِ اَلإفريقيَّةِ مثلَ ما فَعلَ اَلنَّقيبُ ، غيرَ أَنَّ سالمين بنَ حسنِ بنِ قحطانَ اَلعليَّ اَلحموميّ ردَّنا إلىٰ بلادهِم ، وأَسكننا في عِسدِ اَلجبلِ ، فاَتَّصلْنا بأَموالِنا ، وكانتْ في ضواحي قصيعر واَلرِّيدةِ .

ومعَ قوَّةِ اَلحُمُومِ إذْ ذاكَ لَم يَقدرِ اَلقعيطيُّ عليها ، وكانوا لا يَعقدونَ صُلحاً معَ اَلقعيطيِّ إلاَّ كانَ أَمانُنا أَوّلَ شرطٍ فيهِ .

وعرضَ علينا اَلسُّلطانُ منصورُ بنُ غالبٍ غيلَ اَبنِ يُمَينٍ فلَم يُعجبْنا ؛ لبُعدهِ عن أَموالِنا .

وكانتْ أُمُّ اَلسُّلطانِ منصورِ اَلكثيريّ عمَّتي ـ ولَها أُختانِ ، إحداهُما : كيميا ، تحتَ عمرَ بنِ حفظَ اَللهُ . واَلأُخرىٰ : سلمىٰ ، تحتَ أَحمدَ بنِ محمَّدٍ ـ فطلَبَتْ أُمُّ اَلسُّلطانِ وصولَنا ، فوصلتُ أَنا وأَبي وعمَّتاي وزوجاهُما ، وأَقمنا بسيئونَ نحواً مِنْ عشرينَ عاماً ، ثمَّ عُدنا إلىٰ عِسدِ اَلجبلِ .

ولمّا تمَّتِ اَلمعاهدةُ بينَ اَلكثيريِّ واَلقعيطيِّ . . عُدنا إلى اَلرِّيدةِ ، واَجتمَعْنا باَلسُّلطانِ غالبِ بنِ عوضٍ اَلقُعيطيِّ ـ وهوَ رجلٌ لا يَعرفُ اَلحقدَ ـ فرأَينا مِنْ لُطفهِ ما لا يفي بهِ اَلكلامُ ، وأَعفانا مِنْ جميعِ اَلرُّسومِ ، ومِنْ ذلكَ اَليومِ ونحنُ في غايةِ اَلرّاحةِ) . هـٰذا كلامُهُ بمعناهُ .

وكانَ سلطانُ آلِ عبدِ اَلودودِ يوم نازلَهُمُ اَلقعيطيُّ هو : جعفرُ بنُ عليٍّ اَلسّابقُ ذِكرُهُ .

وفي شِمالِ قصَيْعَر علىٰ نصفِ ساعةٍ بسَيرِ اَلأَثقالِ قريةٌ قديمةٌ ، يقالُ لَها : مِهينَم .

ومِنْ ورائِها شمالاً علىٰ ساعتينِ غيضةٌ ، يقالُ لَها : مَعْبر[1] ، مِنْ قدامى اَلبلدانِ .

---

(١) معبر : منطقة زراعيَّة من أعمال الشِّحر ، وبها عينان ترويان النَّخيل بها ، ويعيش سكَّانها على الصَّيد ، وتسمَّىٰ : غيضة مَعْبر .

وعلىٰ ثمانِ ساعاتٍ في شَمالها : عِسِد ٱلجبلِ[1] ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ ، بهِ ناسٌ مِنَ ٱلحُمُومِ : ٱلجامِحَة ، وبني عُجَيلٍ[2] ، وسادةٌ مِنْ بيتِ حُمُودةَ ، وغيرُهُم .

ٱلرَّيدةُ[3]

هيَ في شرقيِّ قصيعر ، وكانت تسمَّىٰ : (رَيدةَ ٱبنِ حمدات) ، وتسمَّى ٱلغيضةَ ، وكانَت لآلِ كثيرٍ ، وكانوا علىٰ نوعٍ مِنَ ٱلقرصنةِ .

جاءَ في ٱلحكايةِ (٤٥) مِنَ « ٱلجوهرِ ٱلشَّفَّافِ » [١/٩٩-١٠٠] : عنِ ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ[4] أَنَّهُ قالَ : (سافرتُ مِنْ ظَفار معَ بعضِ ٱلهنودِ ، فلمّا وصَلْنا ٱلغيضةَ بلادَ آلِ كثيرٍ . نَشِبتْ سفينتُنا بجبلٍ في ٱلبحرِ[5] ، فأَقبلَ آلُ كثيرٍ بسنابيقهِم لِيَنهَبونا[6] ؛ لأَنَّ مِنْ عادتهِم أَنْ يَنهبوا جميعَ ما في ٱلمراكبِ ٱلَّتي تَعطبُ هناكَ ، ولٰكنِ ٱنبعثَتْ سفينتُنا قَبْلَ أَنْ يَصلونا . . ففتناهُم ، وكانَ هٰذا أَثناءَ ٱلقرنِ ٱلسَّابعِ) .

وفي يومِ ٱلخميسِ غرَّةَ جمادى ٱلأُولىٰ مِنْ سَنةِ (١٢٧٢هـ) رسا بها ٱلسُّلطانُ غالبُ بنُ محسنٍ ٱلكثيريُّ مَخْرَجَه مِنَ ٱلهندِ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ ، بعدَما تمهَّدتْ لَهُ إِمارتا سيئونَ وتريمَ علىٰ يدِ أَخيهِ عبدِ ٱللهِ وٱبنِ أُختهِ عبُودِ بنِ سالمٍ .

---

(١) عِسِد ـ بكسرتين ـ ويقال لها : عسد الفايد ، وأرضها عبارة عن تلال من صخور بركانيَّة سوداء .

(٢) بنو عجيل هٰؤلاء من فخائذ الحموم ، ولا علاقة لهم ببني عجيل الساكنين بمدينة بيت الفقيه بتهامة اليمن .

(٣) الريدة المرادة هنا : هي ريدة آل عبد الودود . وهي بلدة على الشَّاطىءِ الشَّرقيِّ السَّاحليِّ لمدينة الشِّحر ، تبعد عنها مسافة (٤٠كم) ، سمِّيت بحكَّامها آل عبد الودود الكثيريِّين ، وكانت تسمَّىٰ : ريدة بن حمدات كما ذكر المصنِّف ، أو ريدة المشقاص ، وهي منطقة كثيرة التعاريج والمنحدرات ؛ لكثرة التِّلال والجبال ، والوديان ومجاري المياه ، وتقع منازل أهلها في أعالي الجبال وسفوحها ، وفي بطون الوديان .

(٤) الَّذي في « الجوهر » : مُحَمَّد بن عليِّ ٱبن الفقيه أَحمد بن علويٍّ عمِّ الفقيه ، يرويها عن عمِّه مُحَمَّد ٱبن الفقيه أحمد . . وهي الحكاية رقم (٤٦) في النُّسخة الَّتي لدينا . ومُحَمَّد بن أحمد هٰذا هو الملقَّب : (النَّقْعي) وقد سبقت ترجمته في النَّقعة .

(٥) نشِبت : علقت .

(٦) السَّنابيق : الزَّوارق الصغيرة .

ولَم يَكُنِ ٱلقعيطيُّ بغافلٍ عنِ ٱستمرارِ ٱلمواصلاتِ بينَ ٱلرّيدةِ وحَضْرَمَوْتَ ، ولٰكنَّهُ خشيَ ٱلانفجارَ مِنَ ٱلضَّغْطِ . . فٱنتظرَ ٱلفرصةَ ٱلمناسبةَ ، ولمّا ٱنبتَّتْ أقرانُ آلِ كثيرٍ بإِثْرِ هزائِمِهم في ٱلحزمِ وصداع . . نَهَضَ لَها ولقصيعر ، فكانَ ما كانَ[1] .

وفي ٱلرَّيدةِ جماعةٌ مِنَ ٱلسّادةِ آلِ ٱلعيدروسِ ، وآلِ ٱلجفري ، وآلِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ ، وجماعةٌ مِنَ ٱلمشايخِ آلِ باحُمَيدٍ ، منهُمُ ٱلآنَ : ٱلشَّيخُ ٱلنَّبيهُ ٱلمشارِكُ في ٱلفقهِ ، طٰهَ بنُ عليٍّ بنِ محمَّدٍ باحميدٍ .

ومِنْ وراءِ ٱلرَّيدةِ إلى ٱلشَّرقِ : **دَمْخ حساج**[2] ، ودَمْخ ٱسمٌ لِلجبلِ ، وحساج ٱسمٌ لِلمكانِ ٱلَّذي حوالَيْهِ .

وبهِ دَلَّلْتُ علىٰ وجودِ قبرِ حنظلةَ بنِ صفوانَ عليهِ ٱلسّلامُ بحَضْرَمَوْتَ ، كما يأتي في موضعهِ عندَ ذِكرِ بَوْر ، ولعلَّ دمخاً هٰذا هو ٱلمشارُ إليهِ بقولِ ياقوت [١/ ٣٩٤] : (وبَرْقَةُ دَمْخ : ٱسمُ جبلٍ ، قالَ سعيدُ بنُ براءِ ٱلخثعميُّ [مِنَ ٱلمتقاربِ] :

وَفَــرَّتْ فَلَمَّــا ٱنْتَهَــىٰ فَــرُّهَــا ... بِبُــرْقَــةِ دَمْــخٍ فَــأَوْطَــانِهَــا

وقالَ طفيلٌ ٱلغنويُّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَلَمَّــا بَــدَا دَمْــخٌ وَأَعْــرَضَ دُونَــهُ ... غَــوَارِبُ مِــنْ رَمْــلٍ تَلُــوحُ شَــوَاكِلُــهْ

وقالَ طهمانُ بنُ عمرٍو ٱلكلابيُّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

كَفَــىٰ حَــزَنــاً أَنِّــي تَطَــالَلْــتُ كَــي أَرَىٰ ... ذُرَىٰ قُلَّتَــيْ دَمْــخٍ فَمَــا تَــرَيَــانِ

---

(١) ينظر : « تاريخ بن حميد » (٢/ ١٥٠) .

(٢) الدَّمْخ ـ بفتح وسكون ـ : موضع في وادي المسيلة من مديريَّة سيحوت وأعمال محافظة المهرة ، وقد يقال له : دمخ حساي ؛ نسبة إلىٰ قرية هناك ، وهو الحدُّ الفاصل بين منطقة الحموم (حضرموت القديمة) ومنطقة المهرة ، ولعلَّ الياء في حساي مقلوبة عن الجيم كما هي عادة الحضارمة .

تنبيه : قال العلامة الجاسر ـ رحمه الله ـ : (دمْخ الوارد في شعر الخثعمي : جبل مشهور من جبال نجد ، لا يزال معروفاً ، وفيه برقة هي التي ذكرها ياقوت في « معجمه » . ولا يدل وجود مكان باسم دمخ في حضرموت بأنه المقصود في الأقوال القديمة التي ذكرها ياقوت وغيره ، ما لم توجد قرينة توضح هٰذا ، ولا قرينة هنا) اهـ

وهناكَ آثارٌ قديمةٌ تدلُّ علىٰ ضخامةِ مُلْكٍ وتقدُّمِ حضارةٍ . وهـٰذا ٱلمكانُ هوَ ٱلحدُّ ٱلفاصلُ بينَ ٱلقعيطيِّ وٱلمَهْرةِ .

ومِنْ ورائِهِ إلىٰ جهةِ ٱلشَّرقِ : **دَرْفات** ، وهيَ قريةٌ فيها مسجدانِ .

ثُمَّ **حَيْريج**[1] ، ولَها ذِكرٌ كثيرٌ في ٱلتّاريخِ[2] ، قالَ ٱلطَّيِّبُ بامخرمةَ : (وهيَ أُمُّ ٱلمشقاصِ ، وفيها محمَّدُ ٱلحشريثُ ، وشيوخُهُمُ ٱلأَشعثيّونَ مِنْ ذرّيّةِ ٱلأَشعثِ بنِ قيسٍ ٱلكنديِّ .

وفيها بندرٌ يَقصدُهُ أَهلُ ٱلهندِ ومقدشوه ، ويتوسَّمُهُ أَهلُ ٱلشِّحْرِ وحَضْرَمَوْتَ[3] ، ويُحمَلُ منهُ ٱلكُنْدُرُ[4] وٱلصِّيفةُ[5] إلىٰ عدن وبربرةَ وجُدَّةَ وإلى كل محلٍّ . ذكرَها ٱلقاضي مسعودٌ) اهـ

ولـٰكنَّها دُثِرَتْ ولَم يَبْقَ مِنها إلاَّ ٱلقليلُ ، وفيها مسجدٌ لِلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ ٱلقديمِ عبّاد .

ومِنْ ورائِها : **سيحوتُ**[6] ، علىٰ مسافةِ ثلاثةِ أَيّامٍ إلىٰ جهةِ ٱلشَّرقِ بٱلرّيحِ ٱلمعتدلِ

---

(١) **حيريج** : موضع في غربي وادي المسيلة ، ما بين الشحر وسيحوت من بلاد المهرة ، « الشامل » (١١٧) .

(٢) منها : خروج أهلها سنة (٦١٩هـ) على ابن مهدي ، وقتل عبد الله الحبوظي بها سنة (٦٤٦هـ) . ووفاة الشيخ شماس بن أحمد الشعبي بها سنة (٧٤٢هـ) . وحوادث في (٧٨٩هـ) ، و(٧٩٠هـ) ، و(٧٩١هـ) . وفي (٨٣٢هـ) صال سعد بن فارس (بادجانة) من حيريج على ظفار . وظل آل بادجانة بها إلى سنة (٨٦٣هـ) . وفي سنة (٨٧١هـ) أخذها آل كثير . وفي سنة (٩١٢هـ) حفر الشيخ عبد الله بافضل بئراً بها . ينظر : « تاريخ شنبل » (٨٠ ، ٩٣ ، ١٢٠ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٧٠ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٢٥) . « العدة المفيدة » (١/ ٨١ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٦٧ ، ١٨٠ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٧ ، ٢١٩) .

(٣) **يتوسَّمه أَهل الشِّحر** : يطلبون كلأ الوسميّ ، وهو الكلأ النّاتج عن مطر الرَّبيع .

(٤) **الكُنْدُر** : اللُّبَان ، نوع من العِلك ، ويقال له (المستكىٰ) .

(٥) **الصِّيفَة** : عند الحضارمة هي زيت كبد الحوت .

(٦) تقع سيحوت في شرقيِّ المكلا ، وتبعد عنها نحو (٥٠ كم) ، وهي عاصمة محافظة المهرة . وتقع سيحوت على خط الطول (١٥ـ ١٨ـ ٥١) (واحدة وخمسون درجة ، وثماني عشرة دقيقة ، وخمس عشرة ثانية) . وخط عرض (١٤ـ١٥) (خمس عشرة درجة وأربع عشرة دقيقة) .

في ٱلسُّفنِ ٱلشِّراعيَّةِ مِنْ يضْغُط ، وهيَ ٱلبلادُ ٱلحُرَّةُ ٱلَّتي لمَّا يَطْمِثْها ٱلأَجنبيُّ[١] ، ولولا حرِّيَّتُها . . ما ٱنفتحتْ لِلحضارمةِ طريقُ ٱلهجرةِ لمّا ٱقشعرَّتْ بِهِمُ ٱلبلادُ مِنَ ٱلمجاعةِ ٱلَّتي ٱبتدأَتْ في سَنَةِ (١٣٦٠هـ) ولا تزالُ ضاربةً بجرانِها[٢] إلى ٱليوم بسببِ ٱنقطاعِ ٱلمواصلاتِ مِنْ جاوة ٱلَّتي هيَ ٱلمنيحةُ ٱلدَّارَّةُ[٣] لِلحضارمةِ ومصدرُ ٱلسَّعادةِ ، خصوصاً لمَنْ نَزَلَ عن شِبام مِنْ أَهلِ حَضْرَمَوْتَ[٤] ، أمَّا ما وراءَ شِبامٍ[٥] . . فإنَّهُم لَم يتأثَّروا بٱلأَزمةِ تأَثُّرَ هٰؤلاءِ ؛ لاتِّصالِهم بٱلحجازِ وٱلحبشةِ والأرتريا وعدن وغيرِها ، مِنَ ٱلبلادِ ٱلَّتي لَم تَنْسَدَّ في أَيَّامِ ٱلحربِ .

ولولا ما سمحَ بهِ نوَّابُ سلطانِ سيحوت المهرة ـ جزاهم ٱللهُ خيراً ـ مِنْ بذلِ ٱلجوازِ لمنكوبي حَضْرَمَوْتَ إلى ٱلسَّواحلِ ٱلإفريقيَّةِ . . لماتَ منهُم بٱلجوعِ ضِعْفُ ما قد ماتَ ، لٰكنَّهم فَعلوا معَهُم جميلاً لا يَضيعُ ، وطوَّقوهُم بمعروفٍ لا يَنساهُ إلاَّ أَبناءُ ٱلزِّنا ، بينما ضُرِبَ عليهمُ ٱلحَصْرُ مِنْ كلِّ ناحيةٍ ، وسُدَّتْ في وجوهِهِمُ ٱلأَبوابُ مِنْ كلِّ سبيلٍ[٦] .

وسلاطينُ هٰذهِ ٱلبلادِ علىٰ حالتِهِمُ ٱلبَدويَّةِ ، وطبيعتِهِمُ ٱلفطريَّةِ ، يَمشونَ حفاةً ، ولا شُرْطَةَ ولا حُجَّابَ ، ولا فرقَ بينَهُم وبينَ ٱلسُّوقةِ إلاَّ بما علىٰ وجُوهِهِم مِنَ ٱلشَّهامةِ :

---

(١) لم يطمثها : لم يَمَسَّها .

(٢) الجِرانُ : مقدَّم العنق من مذبح البعير إلىٰ منحره ، فإذا برك البعير ومدَّ عنقه على الأرض . . قيل : أَلقىٰ جِرَانه بالأرض ، وهو كناية عن الأَمن والاطمئنان . والمقصود هنا : أَنَّ هٰذه المجاعة ما زالت مستمرَّة كالإنسان الَّذي يجلس بين أَهله هادئ البال لا يفكِّر بالارتحال .

(٣) المنيحة : الشاة المعارة للإنسان كي يستفيد من لبنها . الدَّارَّة : كثيرة الدَّرِّ والحليب ، وكذلك كانت بلاد جاوة .

(٤) يعني بهم أَهل حدرىٰ في عرف أَهل حضرموت ، وهم أهل القرىٰ والبلدان الواقعة شرقيَّ شبام .

(٥) وهم (أَهل عَلْوىٰ) في عرف الحضارمة ، من يسكن الجهة الغربيَّة من شبام ، والعقاد ، فالقطن وما حواليها .

(٦) جزى الله المصنِّف خيراً بتدوينه هٰذه المعلومة التَّاريخيَّة الهامَّة ، فإنَّ الأجيال المتأخِّرة تجهل أمثال هٰذا الصَّنيع والجميل جهلاً تامّاً ، ولولا التَّدوين . . لما عرفت الحقائق .

مُتَصَعْلِكِيــنَ عَلَــىٰ ضَخَــامَــةِ مُلْكِهِــمْ مُتَــوَاضِعِيــنَ عَلَــىٰ عُلُــوِّ ٱلشَّــانِ[1]

وعلىٰ قريبٍ منها كانتْ أَحوالُ أُمراءِ بلادِنا إِلىٰ ما قبلَ ٱليوم بنحوٍ من ثلاثينَ عاماً فقط ؛ إِذْ لَم ينخرْ في عِظامِهم سوسُ ٱلمدَنيّةِ الشَّوْمىٰ[2] إِلاَّ مِنْ عهدٍ جديدٍ .

وسلطانُ ٱلمَهْرةِ ٱليومَ[3] في نحوِ ٱلخمسينَ مِنْ عمرِهِ ، وٱسمُهُ : أَحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدٍ ، ومقرُّهُ سُقُطْرَىٰ ، ولٰكنَّ أَبناءَ عمِّه بسيحوت ٱستَقلُّوا ببعضِ ٱلأُمورِ معَ ٱعترافِهِم لهُ بِٱلسِّيادةِ ٱلعامَّةِ ورجوعِهِم إِليهِ في ٱلمهمَّاتِ وقد ذكرتُ في « **ٱلأَصلِ** » صاحبَ سقطرى ٱلسُّلطانَ عمرَ بمناسبةِ أَنَّ ٱلضَّابطَ ٱلإنكليزيَّ ٱلمسمَّىٰ : هينز زارَهُ في سقطرىٰ ، وحاولَ أَنْ يُرضيَهُ عنها ؛ لوفائِها بما تقصدُهُ حكومتُهُ لاستيداعِ ٱلفحمِ بِٱلبحرِ ٱلهنديِّ ، فقالَ : (إِنَّها هبةٌ مِنَ ٱللهِ لِلمَهْرِيِّين ، يتلقّاها ٱلأَحفادُ عنِ ٱلأَجدادِ ، ومعاذَ ٱللهِ أَنْ أَكونَ أَنا ٱلسَّببَ في تضييعِها عليهِم) .

ولٰكنَّهُم تمكَّنوا في (٢٣) أَبريل سَنة (١٨٨٦م) مِنْ إِدخالِها تحتَ ٱلحمايةِ بمعاهدةٍ ، جاءَ في **ٱلمادةِ ٱلأُولىٰ مِنها** : (إِنَّ ٱلحكومةَ البريطانية تتعهَّدُ بوضعِ جزيرةِ سقطرىٰ وملحقاتِها تحتَ سلطةِ ٱلسُّلطانِ عبدِ ٱللهِ بنِ سالمِ بنِ سعدِ بنِ عَفْرير وداخلَ حدودِهِ ، تحتَ حمايةِ جلالةِ ٱلملكةِ ٱلإمبراطورةِ) .

وفي ٱلمادةِ ٱلثّانيةِ مثلُ ما في أَخواتِها ، وهوَ : (يتعهَّدُ ٱلسُّلطانُ عن نَفْسهِ وعن أَقاربِهِ وورثائِهِ بِٱلامتناعِ مِنَ ٱلدُّخولِ في أَيَّةِ مراسَلةٍ أَوِ ٱتّفاقيَّةٍ معَ أَيِّ دولةٍ إِلاَّ بعدَ إِطلاعِ ٱلحكومةِ ٱلبريطانيَّةِ) .

وعليها إِمضاءُ ٱلسُّلطانِ عبدِ ٱللهِ بنِ سالمٍ ٱلمذكور .

وشهودُها : محمَّدُ بنُ صالح جعفر ، وسالمُ بنُ أَحمدَ بنِ سعدِ بنِ عَفْريرٍ ،

---

(١) البيت من الكامل ، وهو للمتنبِّي في « العُكبرَي » (٤/١٧٩) ، والمعنىٰ : أَنَّهم علىٰ كثرة ملكهم ، وعظيم قدرهم . . كالصَّعاليك ـ الفقراء الذين لا مال لهم ـ لكثرة غزواتهم ؛ فإِنَّهم لا يبقىٰ معهم مال ، بل كل ما يغنمونه يخرجونه ، وهم علىٰ عظيم قدرهم يتواضعون إِلى النَّاس .

(٢) **الشَّومىٰ** : أي المشؤومة .

(٣) وكان ذلك سنة (١٣٦٧هـ) .

وسعدُ بنُ آمبارك قاضي قِشِنْ ، ومحمَّدُ بنُ سعدٍ قاضي قِلَنْسِية[1] وسقطرىٰ .

والسُّلطانُ عبدُ ٱللهِ هـٰذا هوَ والدُ ٱلسُّلطانِ ٱلحاليِّ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ سالمِ بنِ سعدٍ .

ولِسلطانِ ٱلمَهْرةِ أَبناءُ عمٍّ ٱليومَ يجاذبونَهُ ٱلحبالَ بإغراءِ ٱلإنكليزِ ، فلَم يَجِدوا مغْمَزاً في قناتهِ[2] ، ولا مَكسراً في عُودهِ ، وأَبَىٰ أَن يجدِّدَ تلكَ ٱلمعاهدةَ بأَضرَّ مِنها عليهِ ، وأَصرَّ على ٱبتعادهِ عنهم ، بل بقيَ مصرّاً على ٱلتَّباعدِ عنهُم ، غيرَ أَنَّهُ ٱضطرَّ أَنْ يُعطيَهُم مطاراتٍ في سُقُطْرىٰ وقِشِن بَعْدَ أَخذِ ٱلتَّعهُّداتِ عليهِم بٱلجلاءِ بعدَ ٱنتهاءِ مدَّةِ ٱلحربِ .

ومِن سلاطينِ ٱلمَهْرَةِ : طوعريُّ بنُ عفرارٍ ، ثمَّ ولدُهُ سالمُ بنُ طوعريٍّ ، ثمَّ ولدُهُ سعيدُ بنُ سالمٍ ، ثمَّ أَحمدُ بنُ سعيدٍ ، ثمَّ ٱلحكمانِ بنُ أحمدَ ، ثمَّ ٱبنُهُ ٱلحكمُ بنُ ٱلحكمانِ ، ثمَّ ولدُهُ محمَّدُ بنُ ٱلحكمِ ، ثمَّ سالمُ بنُ محمَّدٍ ، ثمَّ ولدُهُ ناصرُ بنُ سالمٍ ، ولعلَّ ناصراً هـٰذا أَخ لعبدِ ٱللهِ بنِ سالمٍ ٱلمُوَقِّعِ على ٱلمعاهدةِ ٱلسَّابقِ ذِكْرُها ، وٱللهُ أَعلمُ .

وٱلضَّرائبُ لديهِم خفيفةٌ جدّاً ، معَ أَنَّهُم لا يأْخذونَ رسوماً إِلاَّ في سَيحُوت وقِشِنْ فقط ، ولا يأْخذونَ شيئاً في بقيَّةِ ٱلمرافىءِ ، ثمَّ لا يأْخذونَ إِلاَّ مِنَ ٱلغريبِ ، وأَمّا مِنَ ٱلأَهالي . . فلا ، وغايةُ ما يأْخذونَهُ مِنَ ٱلغرباءِ خمسةٌ في ٱلمئةِ ٱسماً ، وبٱلحقيقةِ أَقلُّ مِنْ ذلكَ ؛ لِفَرْطِ ٱلتَّسامحِ في ٱلتَّثمينِ ، وكثيراً ما يُعْفُونَ مَنِ ٱستعفاهُم جملةً .

وأَكثرُ تجارةِ آلِ سَيحوت وقِشِن وٱلغَيضَة في : ٱلعنبرِ ، وٱلصَّيفةِ ، وٱلصَّيدِ ، وٱلوزيفِ ، وٱلأَنعامِ ، وما أَشبهَ ذلكَ .

وقد بلغني أَنَّ ٱللهَ أَراحَ ٱلسُّلطانَ أَحمدَ بنَ عبدَ ٱللهِ مِنِ ٱبنِ أَخيهِ ٱلَّذي كانَ يُؤْذِيهِ ، وهوَ : حَبْريشُ بنُ سعدٍ ، فماتَ في سَنةِ (١٣٦٤هـ) ودفنوهُ بتربةِ سَيحُوت ، ٱلمسمّاةِ : تربةَ محمَّدِ بنِ سعيدٍ باكريت ، وهيَ تربةٌ جميلةٌ ، يُظلُّها كثيرٌ مِنْ شجرِ ٱلأَراكِ ، وهيَ في وَسَطِ ٱلبلادِ علىٰ مقربةٍ مِنَ ٱلجامعِ .

---

(١) **قلنسية** : وادٍ في جزيرة سقطرى ، وهو مركز إداري يشمل عدة قرى .

(٢) **المغمَز** : المطعن والثَّغرة . القناة : الرُّمح .

والشَّيخُ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱللهِ باكريت هـٰذا[1] مِنْ أخصِّ تلاميذِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ ٱلقديمِ عبّاد ، ولَهُ في مناقبهِ ذِكرٌ كثيرٌ ، مِنهُ : أنَّهُ قَدِمَ عليهِ بستَّةِ آلافِ دينارٍ ، وبمثلِها مِنَ ٱلبزِّ والطَّعامِ ، فأمَرَهُ بأنْ يدفعَ ذلكَ للخادمِ ، فوضعَ ٱلدَّنانيرَ بخزانةٍ تُحاذي مجلسَ ٱلشَّيخِ ، ولمّا أكثرَ مِنَ ٱلدُّخولِ والخروجِ للأخذِ مِنها في سبيلِ ٱلحاجاتِ . . تَشوَّشَ فِكرُ ٱلشَّيخِ ، فقالَ لَهُ : (ٱقلَعْ هـٰذا ٱلمالَ ـ قلعَهُ ٱللهُ ـ فقد شوَّشَ عليَّ)[2] . أو ما يقربُ مِنْ هـٰذا ٱلمعنىٰ ، وعُهْدَتُهُ على ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عبدِ ٱللهِ باشُمَيلهِ باعبّاد[3] ؛ فهوَ آخر مَن أخبرني بٱلقصَّةِ ، مع أنَّني كنتُ أحفظُها بدونِ هـٰذا ٱلقدر ٱلكثيرِ .

والَّذي يتحدَّثُ بهِ كثيرٌ مِن شيوخِ آل باعبَّادٍ : أنَّ محمَّدَ بنَ عبدِ ٱللهِ باكريت[4] هـٰذا

(١) ههنا نظر . . فأوّلاً ذكره بأسم : مُحَمَّد بن سعيد ، ثمَّ يقول : مُحَمَّد بن عبد الله ، ولا أدري فلعله سبق قلم منه ؟ وأمَّا مُحَمَّد بن عبد الله باكريت . . فوفاته سنة (٧٣٣هـ) ، وسنترجم له قريباً . وآل باكريت يقال إنَّهم عقيليُّون ، ذكر ذلك الحبيب أحمد بن حسن العطَّاس في « رسالته في الأنساب » .

(٢) في هـٰذا الكلام إشارة إلىٰ مبحث عظيم من مباحث الشَّريعة الإسلاميَّة ، ذكره مفصَّلاً مطوَّلاً الإمام محمَّد بن الحسن الواسطيّ في كتابه « مجمع الأحباب » ، ـ وهو من إصدارات دار المنهاج بجدة ـ وحاصل ما فيه باختصار :

أنَّ الإنسان لا يدَّخر طعاماً ولا مالاً إذا علم أنَّ هـٰذا المال أو الطَّعام سيشوِّش عليه توكُّله على الله تعالىٰ فيتَّكل على الطَّعام والمال الَّذي عنده وينسى الله تعالى ؛ فمن أجل ذلك نهى النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الادِّخار . وهناك حالة ثانية وهي أنَّ بعض النَّاس يصل في حالة مع الله عز وجل لا يرىٰ غيره في الوجود ، فلا يرى فاعلاً حقيقياً ولا متصرِّفاً ولا رازقاً غيرَ الله سبحانه وتعالىٰ ففي هـٰذه الحالة يجوز للإنسان أن يدَّخر ولا يضرُّه في إيمانه شيئاً ؛ فمن أجل ذلك ادّخر النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بعض المرَّات .

(٣) المتوفَّىٰ بالغرفة سنة (١٣٨٤هـ) تقريباً ، ترجمته في « الشعراء » (٥/ ٢٣٥) .

(٤) الشَّيخ مُحَمَّد بن عبد الله باكريت ، أحد أعيان السَّاحل الحضرميّ في القرن الثَّامن الهجريّ ، تربَّىٰ بأبيه الشَّيخ عبد الله بن أحمد ، المتوفَّىٰ سنة (٦٦٧هـ) ، وبالشَّيخ الجليل المرشد الصَّالح عبد الله القديم باعبَّاد (ت٦٨٧هـ) ، الآخذ عن الفقيه المقدّم محمد بن عليٍّ باعلويٍّ .

كان علىٰ قدم الصَّلاح والعبادة والزُّهد ، ذا مال وجاه ، وفي « تاريخ شنبل » في حوادث سنة (٧٧٦هـ) ذكر وفاة أحد أبنائه ، إلاَّ أنَّه لسقم النُّسخة لم يتبيَّن المحقق اسم ذلك الابن .

وله آثار علمية . للشَّيخ محمد باكريت هـٰذا . . راتبه المشهور ، وهو مجموعة أذكار وأدعية .

والملاحظ أنَّ كثيراً من أدعية وأذكار هـٰذا الرَّاتب تكرَّر وتتلىٰ في بعض مساجد تريم ، لاسيَّما مسجد آل أبي علويٍّ خصوصاً بعد صلاة العشاءِ . =

هو ٱلَّذي ٱختطَّ سَيحُوت بإشارةِ شيخهِ ٱلقديمِ ، وكانَ خَراجُها خالصاً لَهُ ، إلاَّ أَنَّهُ يُهدي لمطبخِ ٱلشَّيخِ ٱلقديمِ ما تسمحُ بهِ نَفْسُهُ .

وبعضهُم يكتبُ (باكريد) بٱلدّالِ ، وآخَرونَ يكتبونَهُ بالتّاءِ .

وفي حوادثِ سَنةِ (٦٦٧هـ) [ص٩٩] مِنْ « تاريخِ شنبل » : (توفِّي ٱلأديبُ ، ٱلصّالحُ ، ٱلفقيهُ ، عفيفُ ٱلدّينِ ، عبدُ ٱللهِ بنُ أَحمدَ باكريت ، والدُ ٱلشَّيخِ ٱلمقبورِ بسَيحُوت) اهـ

ولَم يذكرْ أَنَّهُ أَوّلُ مَنِ ٱختطَّها ، ولـٰكنَّ دَفْنَهُ في غيرِ ٱلمكانِ ٱلَّذي دُفنَ فيهِ أَبوهُ قد يُشيرُ إلىٰ ذلكَ .

ولا يزالُ آلُ باعبّادٍ يتقاضونَ رسوماً وأَوقافاً مِنْ بلادِ ٱلمَهْرةِ حوالي سَيحُوت ، ومنهُ تَعرفُ ٱمتدادَ جاهِ باعبّادٍ ، وما أَدري! أَهوَ ٱلَّذي تأَطَّدت[1] بهِ ٱلدَّولةُ ٱلكثيريَّةُ ٱلبائِدةُ ، أَم هوَ ٱلَّذي ٱتَّسعَ بها ؟ وٱلمظنونُ أَنَّ كلاً ٱستفادَ مِنَ ٱلآخَرِ .

وفي « بستانِ ٱلعجائِبِ » للسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ سقَّافِ بنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ ما يُصرِّحُ بأَنَّ ٱلسَّادةَ آلَ عمرَ بنِ أَحمدَ مِنَ آلِ ٱلحامدِ بنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ صاروا يُشاركونَ آلَ باكريتٍ في حاصلاتِ سيحوت . وٱللهُ أَعلمُ[2] .

ومِنْ وراءِ سَيحُوت : عَتَاب[3] ، فيها قبيلتانِ مِنَ ٱلمَهْرَةِ : آلُ ٱبنِ عقيدٍ ، وآلُ ٱبنِ محامدٍ .

= ومن هـٰذه الأذكار : (يا الله لنا بالسَّعادة ، والخاتمة بالشَّهادة . يا الله بدعوة مجابة ، والعرش مفتوح بابه . ربِّ اسقنا غيث الإيمان ، غيث المودَّة والإحسان . يا الله بنظرة من الله ، نظرة وفيها المسرَّة) . وغيرها ، وعدَّة جُمَل « راتب باكريت » : (٢٥) جملة .

(١) كذا في الأَصل ، ولعلها : توطَّدت ؛ أي : ثبتَتْ .

(٢) وبسيحوت معهد ورباط للعلم يسمَّىٰ رباط النُّور ، أسَّسه ودرَّس فيه السَّيِّد الفاضل عليُّ بن مُحَمَّد بن عليٍّ الحامد ، المولود بعينات سنة (١٣٢٣هـ) ، والمتوفَّىٰ سنة (١٣٨٤هـ) .

(٣) عَتَاب ـ بفتحتين مخففاً ـ : رأس جبلي في ساحل المهرة بالقرب من سيحوت ، وهو مركز إداري يشمل عدداً من القرىٰ ، منها : عوبر ، رخوت ، حِبقيت ، ضدِك ، جَزُول ، رغبون ، وغيرها .

ثمَّ **قِشن**[1] ، وهيَ مدينةٌ لابأسَ بها ، يَسكنُها آلُ عفرار[2] ، بيتُ سلطنةِ ٱلمَهرةِ ، وهيَ قاعدةُ ملكِهِم في ٱلبلادِ ٱلعَرَبيَّةِ ، ولا يزيدُ عَددهُم عن ثلاثينَ رجلاً .

وفي قِشن ناسٌ مِنْ آلِ باعبده منسوبونَ إلى ٱلعِلْمِ ، يُتوارثُ ٱلقضاءُ فيهِم ، وٱلقاضي فيهِم لهٰذا ٱلعهدِ[3] هوَ : ٱلشَّيخُ ٱمْبارَكُ بنُ سعيدٍ باعبده ، وهوَ كسَلَفِهِ لا يحتاجُ في تنفيذِ أَحكامهِ إِلىٰ أَوامرَ سلطانيَّةٍ ، بل يتلقّاها ٱلنّاسُ بٱلقَبولِ ، ويخضعونَ لها بهيبةِ ٱلدِّينِ وسلطانهِ على ٱلنُّفوسِ ، وأَكثرُ أَحكامِهِمُ ٱلإِصلاحُ . وبهٰذا ذكرتُ ما كانَ في أَيّامِ ٱلأَجدادِ ، وما كانَ يُمثِّلُهُ مِنْ أَحوالِهِم في ٱلقضاءِ شيخُنا ٱلوالدُ علويُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلسَّقّافُ ؛ فإِنَّهُ لَم يَكُنْ يَستمدُّ نفوذَهُ مِنَ ٱلسُّلطانِ ، وإِنَّما يَستمدُّهُ مِنْ صولةِ ٱلحقِّ ومهابةِ ٱلدِّيانةِ[4] .

ومِنْ وراءِ قشن : **صِقرٌ** . ثمَّ **حَصْويل** ، ثمَّ **رأْسُ ٱلفرتكِ** ، ثمَّ **خِيصِيت** ، ثمَّ **نَشْطُوت** ، ثمَّ **خَلَفُوت** ، ثمَّ **ضبوت** ، ثمَّ **هروت** . ثمَّ **محيفيف** ، وهيَ : مرسى **ٱلغيضةِ** ٱلَّذي كانَ بها مدفنُ ٱلمنصبِ ٱلسَّيِّدِ سالمِ بنِ أَحمدَ[5] ، وسيأْتي في عينات ذِكرُ سببِ نجوعهِ إِليها منها وما يتعلَّقُ بذلكَ ، ولا يزالُ بها جماعةٌ مِنْ أَعقابهِ .

منهُم : منصبُها ٱلآنَ : ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ أَحمدَ .

ومنهُم : ٱلمعمَّرُ ٱلسَّيِّدُ عيدروسُ بنُ محسنٍ ، توفِّيَ بشعبانَ من سَنةِ (١٣٦٦هـ) عن نحوِ مِنْ تسعينَ عاماً .

---

(١) مدينة ساحلية في بلاد المهرة ، تقع في شمال شرق سيحوت ، يتكون خليجها من رأسين بارزين إلى البحر ، هما : رأس شروين ، ورأس درجة ، بينهما حوالي (١٩ كم) . ويقع أحسن مكان لرسوّ السفن عند بندر لَسَك ، غربيَّ قشن ، حيث تحتمي السفن من الرياح الجنوبية الغربية .

(٢) وقد تُمال فيقال : عَفْرَير .

(٣) أي : عهد المصنِّف ، أواسط القرن الرّابع عشر الهجريّ .

(٤) **آل باعبدة** : أُسرة معروفة بالعلم كما ذكر المصنِّف ، ومنهم جماعة وفدوا على رباط تريم للأخذ عن الحبيب عبد الله الشّاطريّ ، ولا زال منهم قضاة ونوّاب عقود في قشن إلى اليوم .

(٥) سالم بن أحمد بن الحسين ابن الشَّيخ أبي بكر بن سالم ، كان سيِّداً فاضلاً ، ذا جاه وحشمة توفِّي بالغيضة سنة (١٠٨٧هـ) ، ويعرف عند النَّسّابة وأصحاب الطَّبقات العلويَّة بسالم المهاجر .

ومنهُم : ولدُهُ عمرُ ، شابٌ نشيطٌ ، يخوضُ غمراتِ ٱلبحورِ للمِلاحةِ ، وقد جَرتْ لَهُ فيهِ أُمورٌ هائِلةٌ في هـٰذهِ ٱلحربِ ٱلمشؤومةِ .

وفيها سادةٌ مِنْ آلِ باعَبُودِ .

منهُم : قاضيها ٱلآنَ : ٱلسَّيِّدُ سالمُ بنُ عليِّ بنِ زينٍ باعَبُود .

وفيها ناسٌ مِنْ بيتِ كلشات وبيتِ كُدِّه ، كلاهُما مِنَ ٱلمَهْرةِ .

ومِنْ وراءِ محَيفيف إِلى ٱلمشرقِ : **أيروب** ، ثمَّ **ٱلفيدميُّ** ، ثمَّ **ٱلحصنُ** ، ثمَّ مِنْ ورائِهِ متشاملاً : مكانُ ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلجوهريِّ ، وهوَ جبلٌ بساحلِ ٱلبحرِ . ثمَّ **ٱلفتك** ، ثمَّ **دمقوت** ، ثمَّ **جاذب** ، ثمَّ **حوف** . وهـٰذهِ كلُّها ٱبتداءً مِنْ درفات بلادُ ٱلمَهْرةِ .

ثمَّ تبتدىءُ أَعمالُ ظَفَار ، وأَوَّلُها : **رَخيوت** . ثمَّ **رَيسوت** ٱلسّابقُ ذِكرُها عندَ حصن ٱلغرابِ ، وكلاهما مراسٍ . ثمَّ **ظفار** .

وقد ذكرَ ٱبنُ ٱلحائِكِ بعضَ هـٰذهِ ٱلمراسي بأَسماءَ تغايرُ ما هيَ عليهِ ٱلآنَ ، فإِمّا أَنْ تكونَ تبدّلتِ ٱلأَسماءُ ، وإِمّا أَنْ تكونَ دُثِرَتْ تلكَ وتجدَّدَ غيرُها .

فقالَ : (وأَمَّا إِحاطة ٱلبحرِ بٱليَمنِ مِنْ ناحيةِ دما فطنونىٰ ، فٱلجمجمةُ ، فرأْسُ ٱلفَرْتَكِ ، فأَطراف جبالِ اليحمد وما سقطَ منها وٱنغارَ إِلىٰ ناحيةِ ٱلشِّحْر ، فٱلشِّحْرُ ، فغُبُّ ٱلقمرِ ، فغبُّ ٱلحِيسِ ، فغبُّ ٱلعُبَب بطنٌ مِنْ مَهْرَةَ ، فٱلحِريجُ ، فٱلأَشفارُ) اهـ[1]

وفي « ٱلقاموسِ » : (غُبُّ ٱلقمرِ : موضعٌ بينَ ٱلشِّحْرِ وظفار) .

قالَ بامخرمةَ : (وهوَ ٱلمعروفُ ٱليومَ بعثة ٱلقمرِ ، وهوَ موضعٌ خطرٌ ، إِذا سَقطتْ إِليهِ ٱلسُّفنُ . . قَلَّ أَنْ تسلمَ) اهـ

---

(١) ورد بعض هـٰذه الأسماء بغير هـٰذا التَّرتيب وبعضها بغير الاسم في « صفة جزيرة العرب » (٩٠ـ٩١) ، فقال : وأَوَّل إِحاطة البحر باليمن من ناحية دَما فطنوىٰ ، فالجُمْجَة ، فرأْس الفرتك ، فأَطراف جبال اليُحْمِد وما سقط وانقاد منها إِلىٰ ناحية الشِّحر ، فالشِّحر ، فغُبُّ الخيس ، فغُبُّ الغيث ـ بطن من مهرة ـ فغُبُّ القَمَر ـ زنة قمر السماء ـ فغُبُّ العُقار ـ بطن من مهرة ـ فالحيرج ، فالأَسعاءُ .

وقد سَبَقَ أكثرُ هٰذا في حصنِ ٱلغرابِ ، وفي (ص ٢٥٨) مجلد أول من « معجمِ ياقوت » [١/١٩٨] : (ٱلأشفارُ كأنَّهُ جَمْعُ شفرٍ ، وهوَ ٱلحدُّ ، بلدٌ بِٱلنَّجدِ مِنْ أرضِ مَهرةَ ، قريب حَضْرَمَوْتَ بأقصى ٱليَمنِ ، لَهُ ذِكرٌ في أخبارِ ٱلرِّدَّةِ) اهـ

وكثيراً ما تَشتبهُ ٱلأَشفارُ بِٱلأَشحارِ ٱلسّابقِ ذِكرُها عن بامخرمةَ في ٱلشِّحْرِ ، فليُتنبَّه لذلك .

ولظفار ذِكرٌ كثيرٌ بـ« ٱلأَصلِ » [٤٣/٣] ، وفيهِ : إمارةُ ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ عقيلٍ ٱلسَّقَّافِ[١] . ثمَّ إمارةُ ٱلسَّيِّدِ فضلِ بنِ علويٍّ مولىٰ خيله[٢] ، ونزيدُ هنا : أنَّ ٱلَّذي قامَ في توثيقِ ٱلأمرِ للسَّيِّدِ فضلٍ هوَ : عوضُ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلشّنفريُّ ، ٱلملقَّبُ بعَوَضِ ٱلمَوْتِ ، ثمَّ كانَ أكبرَ ٱلساعينَ لإبعادِهِ[٣] .

وسلطانُها ٱليومَ سعيدُ بنُ تيمورِ بنِ فيصلِ بنِ تركيٍّ ، وهوَ داخلٌ تحتَ ٱلحمايةِ

---

(١) هو السيد الشريف : محمد بن عقيل بن عبد الله بن عقيل بن عبد الله بن أبي بكر بن علي بن عقيل بن عبد الله بن أبي بكر بن علوي بن أحمد ابن الشيخ أبي بكر السكران بن عبد الرحمٰن السقاف . ولد بظفار ، وبها مات مقتولاً سنة (١٢٣٨هـ) ، قيل عنه في « الشجرة » : (كان ذا ثروة عظيمة ، وهمة علية ، تولّى جهة مرباط وظفار ، وأقام فيها سنتين ، يعزل ويولي ، ثم قتل ظلماً ، قتله عبده سنة ١٢٣٨هـ) اهـ

وكان للسيد محمد تجارة كبيرة ، وكانت له مراكب تسير إلى سواحل إفريقيا الشرقية وجاوة والهند ، وقد أسر مرة مركباً هولندياً من مرسى بتاوي في قصة غريبة . وأغرب صلاح البكري فزعم أن السيد محمداً حكم ظفار لمدة عشرين سنةً ، ولم يذكر هٰذا غيره . « التاريخ السياسي » (٢/ ٢٠٧) .

(٢) السيد فضل مولى خيله ، هو السيد العلامة الجليل أمير ظفار ، فضل بن علوي بن محمد بن سهل ، ولد بمليبار سنة (١٢٤٠هـ) ، وبها نشأ وتعلم ، وهاجر إلى مكة المكرمة ، وزار الآستانة العلية في عهد السلطان عبد العزيز خان . واختاره أهل ظفار أميراً عليهم سنة (١٢٩٢هـ) ، ودانت له القبائل ، وظل عليها إلى سنة (١٢٩٧هـ) ، فثارت عليه القبائل فعاونه الإنكليز على ردعهم .

وعاد إلى الآستانة ، وكانت له حظوة عند السلطان عبد الحميد ، وخلع عليه بعض النياشين السامية ، وأنعم عليه بلقب باشا . وتوفي بالأستانة سنة (١٣١٨هـ) . له ذرية في سورية وتركيا وغيرهما . وله مصنفات عديدة . ينظر : « الأعلام » (٥/ ١٥٠) ، « الأعلام الشرقية » (١/ ٢٣) ، « معجم المطبوعات » (١٤٢١) .

(٣) أما اليوم . . فإن ظفار ضمن الحدود السياسية لسلطنة عُمَان ، وبظفار قاضيان ، أحدهما للإباضية ، والآخر للشافعية ، وقد كان القاضي بها في زمن المؤلف هو السيد أحمد بن محمد الغزالي البيتي ، المترجم له سابقاً في حَجْر .

ٱلإنكليزيَّةِ مِن أَيامِ جدِّهِ ، إلاَّ أَنَّهُ متَمسِّكٌ بسائِرِ حقوقهِ ، ولم يظفروا منهُ بغيرِ مَطَارٍ في موضعٍ يُقالُ له : صَلاَله ، علىٰ مقربةٍ من ظَفَار ، وهوَ لا يُمَكِّن ٱلإفرنجَ مِن ٱلاختلاطِ برعاياهُ ، ولا بدَّ لِمن أَرادَ حاجةً من سوقِ ظفار أَن يأخذَ عسكريّاً معهُ ذهاباً وجيئةً ، ويأخذُ ٱلعشورَ في كلِّ ما يصلُهم في ٱلطَّيَّاراتِ وغيرها ، ولا يبيحُ لهم ٱلتَّداخلَ في شيءٍ ما مِن أَحوالِ بلادِهِ ، ورَفَضَ أَن يقبلَ عملتَهم بٱلورقِ ، ولا تزالُ عملةُ بلادِهِ بٱلرِّيالِ ٱلفرانصةِ إلى ٱليومِ ، إلاَّ أَنَّهُ لا يبيحُ لامرأةٍ مِن رعاياهُ أَن تتزوَّجَ بغيرِهم[1] ، وعندَهُ قاضيانِ : قاضٍ للإباضيَّةِ ؛ ومنهم : ٱلسُّلطانُ وٱلعائِلةُ ٱلمالكةُ ، وقاضٍ شافعيٌّ هوَ ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ محمَّدٍ ٱلبيتيُّ مِن آلِ محمدةَ بحجر .

وقد عَوَّد ٱللهُ أَهلَ ظفار هطولَ ٱلأمطارِ من نجمِ ٱلشَّولِ إلىٰ تمامِ ثلاثةِ أَشهرٍ بلياليها ، لا يتخلَّفُ عنهم هـٰذا ٱلموسمُ أَبداً ، وقد تأتيها ٱلأَمطارُ في غيرِ ذلكَ ٱلوقتِ ، وخيراتُها دارَّةٌ ، وبركاتها كثيرةٌ ، ويتحدَّثُ ٱلنَّاسُ أَنَّ بها عُودَ ٱلإكسيرِ .

وفي ظَفار ناسٌ مِنَ ٱلسّادةِ آلِ عمرَ باعمرٍ ، وآلِ ٱلحدّادِ ، وآلِ باعبُودٍ ، وبيتٌ واحدٌ مِنْ آلِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ ، وقبائِلُ ضواحيها مِنْ آلِ كثيرٍ ، فمنهُم : ٱلمراهينُ ، يبلغونَ ثلاثينَ رجلاً . وآلُ فاضلٍ ، يبلغونَ عشرينَ . وٱلشّنافرُ ، يَبلغونَ خمسينَ . وبيتُ راسٍ ، خمسونَ . وآلُ عليٍّ بنِ كثيرٍ ، نحو ستِّ مئَةِ رجلٍ .

وممّا يجبُ أَنْ يُلفَتَ ٱلنَّظرُ إِليهِ : أَنَّ ٱلشَّنافرَ بيتٌ مِنْ بيوتِ آلِ كثيرٍ لا يعمُّهُم فضلاً أَنْ يُطلَقَ علىٰ مَنْ سواهُم .

وقبائِلُ ٱلمَهْرةِ كثيرةٌ ، يبلغُ مجموعُها ٱثني عشرَ أَلفَ رجلٍ ، منهُم : آلُ ٱليزيديّ ، لا ينقُصُونَ عن ثمانِ مئَةِ رجلٍ ، وهُم بسيحوت . وآلُ بنِ كَلْشَات بٱلغيضةِ ، وحَصْويلُ نحوهُم . وآلُ ٱلجِذْحِيّ[2] بقِشِنْ ، كذلكَ نحو سبعِ مئَةٍ . وآل ٱبنِ عَبْنان كذلكَ ببادِيةِ ٱلغَيْضَةِ نحو سبعِ مئَةٍ . وآلُ عَفْرَار ـ بيتُ ٱلسَّلطنةِ ـ لا يزيدونَ ـ كما مرَّ ـ عن ثلاثينَ ،

---

(١) أي : بغير رعاياه .

(٢) ومن آل الجِذْحي هـٰؤلاء ، طلاب علم نجباء ، درسوا في رباط العلم بتريم ، ولا زال به إلى اليوم بعض منهم .

وهُم بقِشِنْ ، ويَتردَّدونَ إلىٰ سَيحُوت ، وأَبناءُ عمِّهِم في سُقُطْرىٰ .

ولا يوجدُ بسُقُطْرىٰ مِنَ ٱلمَهْرةِ إلاَّ ٱلقليلُ ؛ لأنَّهُم يَسْتَوبِئُونَها ، ولا يعيشُ مَن ذهبَ إليها مِن مهرة سيحوت وقشن وعتابِ أَكثرَ مِن سنةٍ ، ثمَّ يعافِسُهُ ٱلحِمامُ[1] ، ومتى أَراد أَهلُ سُقُطرىٰ مدداً لنائبةٍ . . أَتاهُم في أَسرعِ وقتٍ مِنْ سَيحُوتْ وأَعمالِها .

وفي « بستانِ ٱلعجائبِ » : (أَنَّ لِلمَهْرةِ محافظةً على ٱلصَّلواتِ ، ولَهم لغةٌ غيرُ ٱلعربيَّةِ ، يقالُ : إنَّها لغةُ عادٍ ، وأَرضهُم طيِّبةٌ ذاتُ زرعٍ ونخلٍ وغياضٍ ، وأَكثرهُم بَوَادي في ٱلجبالِ) اهـ

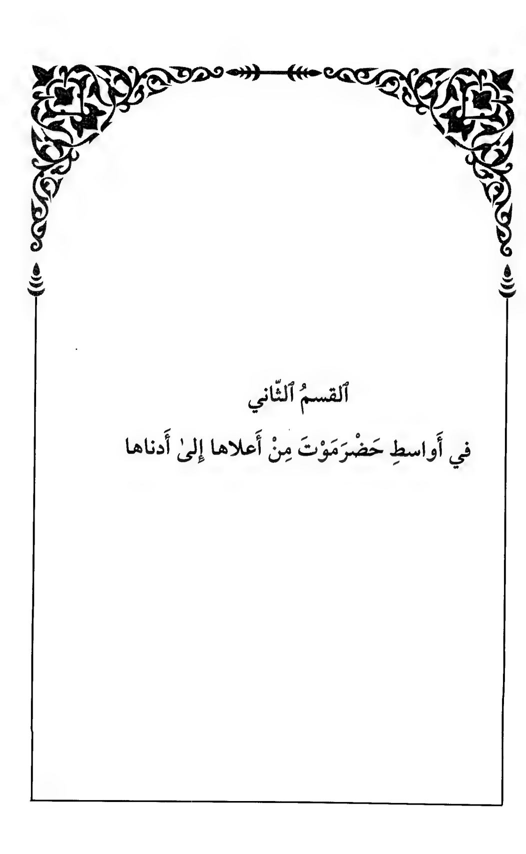
وفي « ٱلأَصلِ » ما يُصدِّقُ هـٰذا عنِ ٱلجَرْو[2] ، ممّا يدلُّ علىٰ أَنَّهُم كانوا منتشرينَ بجبالِ حَضْرَمَوْتَ ، ولـٰكنَّهم أَخلَوها بِٱلآخرةِ لِلمناهيلِ . . فهم منتشرونَ فيها ٱليومَ .

* * *

---

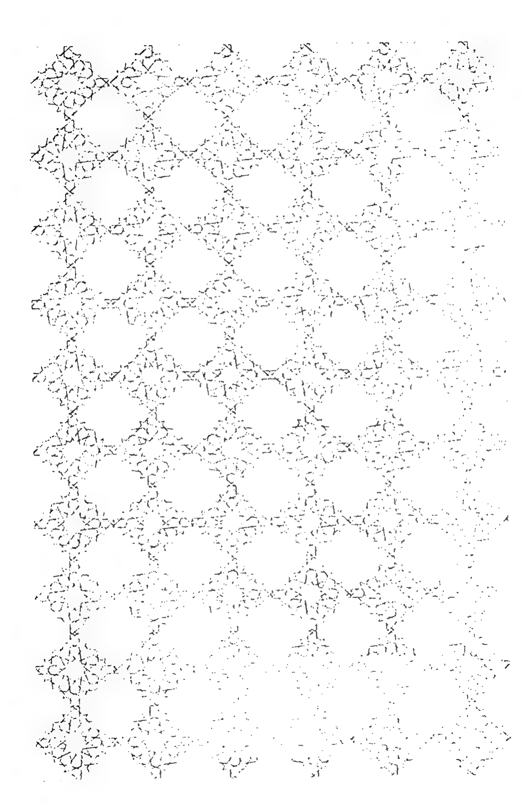
(١) يعافسُهُ الحِمام : يعاركُه الموت .

(٢) يعني به ما نقله عن المؤرِّخ عوض بن أَحمد الجرو الشّباميّ ، سبط الشيخ بحرق رحمهما الله . وهو مؤلِّف : « الفرج بعد الشدَّة في إثبات فروع كندة » .



ٱلقسمُ ٱلثّاني

في أَواسطِ حَضْرَمَوْتَ مِنْ أَعلاها إلىٰ أَدناها



ٱلقسمُ ٱلثّاني
في أَواسطِ حَضْرَمَوْتَ مِنْ أَعلاها إِلىٰ أَدناها

لمّا ٱنتهى ٱلكلامُ علىٰ شِقِّ حَضْرَمَوْتَ ٱلجنوبيِّ وما يَقربُ منهُ . . صِرنا إِلىٰ هـٰذا :

قد سَبَقَ أَنَّ حَدَّ حَضْرَمَوْتَ ٱلغربيَّ هوَ جَردان ، وعلىٰ إِزائِهِ بشيءٍ مِنَ ٱلتَّفاوتِ شبوة ، وهيَ في شِمالِهِ .

وكثيرٌ مِنَ ٱلمؤرِّخينَ يوسِّعونَ هـٰذا ٱلحدَّ إِلىٰ جبالِ مَأْرب ، بل منهُم مَنْ يُدخِلُها فيهِ كما بـ« **ٱلأَصلِ** » .

وتنشعبُ ٱلطُّرقُ مِنْ جَردان : فمِنَ ٱلجهةِ ٱلغربيَّةِ إِلىٰ **عَمَقِيْن**(١) . وبِتَشَامُلٍ إِلىٰ شُوحَط ، ثمَّ إِلىٰ **شَرْجِ باوهّال**(٢) ، ومنهُ تخرجُ طريقٌ إِلىٰ **ضِباب**(٣) وهوَ أَسفل جَردان .

وأُخرىٰ شرقِيَّةٌ تخرجُ علىٰ آلِ بايُوسُف(٤) ، وٱسمُ مكانِهِم : **ٱلشَّوفُ** ، وماؤُهُ يُدفَعُ إِلىٰ جَردان .

---

(١) وادي عَمَقين ـ بفتح العين والميم وكسر القاف ـ : وادٍ مشهور ، شرقيَّ عتق ، يصبُّ فيه وادي ميفعة النّازل إِلىٰ خليج عدن ، وتوجد به قرىً كثيرة ، منها : بلدة عمقين ، ومطرح بن عبيد ، وجول بن نشوان ، والوجر وغيرها . . وهي تتبع حالياً مركز الرَّوضة من مديريَّة ميفعة ، وأعمال محافظة شبوة . وللعلاَّمة علويِّ بن طاهر تحقيق وافٍ عن هـٰذا الوادي في « الشّامل » (٤٧) .

(٢) وهـٰذا الشرج يتبع مديريَّة عرما بمحافظة شبوة . وآل باوهّال من قبائل آل بلْعبيد .

(٣) ضباب : واد مشهور بجوار الضّالع ، ويقال له : الضِّبب ، وتسكنه قبيلة آل ضباب ، وهي تنحدر من قبيلة بني هلال من بطن يقال له : النمارة ، ومن ديارهم : البويردة ، والضّواحي ، والشِّق ، والسُّفال .

(٤) أي : موضعهم ، وآل بايوسف : من الأُسر العريقة من كندة ، ولهم تاريخ علميٌّ حافل ، لاسيَّما من سكن شباماً منهم ، وهم مفرَّقون في الأودية ، ولعلَّ هـٰذا الموضع من وادي جردان هو أصلهم ، ونزح منهم قوم إِلىٰ قرن ماجد بوادي دوعن .

وآلُ جَردان يقالُ لَهم : ٱلنّمَارةُ[1] ، وهُم وآلُ خليفةَ أَصحابُ ٱلحاضنةِ[2] .

وٱلنّسيّونَ[3] أَهلُ مَرْخَةَ مِنْ بني هلالٍ .

وتذهبُ طريقٌ أُخرىٰ إِلى ٱلشَّرقِ ٱلجنوبيِّ مِنْ جَردان إِلى ٱلسّوطِ[4] ، ومنهُ رَيْدةُ ٱلدِّيِّنِ[5] .

أَمّا جَردانُ : فقد جاءَ في « ٱلتّاجِ » و« أَصلهِ » أَنَّهُ : (وادٍ بينَ عَمَقَين ووادي حَبّان) . ولٰكنْ أَخبرني جماعةٌ مِنْ أَهلِ تلكَ ٱلنّواحي بأَنَّ ٱلأَمرَ ليسَ كذلكَ ، وإِنّما عَمَقَين في غربيِّ جَردان فهوَ ـ أَعني عَمَقَين ـ بينَ جَردان وحَبّان ، فكأَنَّ ٱلأَمرَ ٱنعكسَ عليهِما .

وجَردان مشهورٌ بحُسنِ عَسَلهِ ، فلَهُ شرفُ قولِ ٱلطّائيِّ [أَبي تمّام في « ديوانه » ٢/ ١٢٢ مِنَ الطّويل] :

يَـرَى ٱلْعَلْقَـمَ ٱلْمَـأْدُومَ بِـٱلْعِـزِّ أَرْيَـةً ... يَمَـانِيَّـةً وَٱلأَرْيَ بِـٱلضَّيْـمِ عَلْقَمَـا[6]

إِذْ عَسَلُ حَضْرَمَوْتَ خيرُ عسلِ ٱليمنِ ، وعسلُ جَردان خيرُ عسلِ حَضْرَمَوْتَ ، إِلاّ أَنَّ في بعضِ بلادِ ٱليمنِ كعُورَا . ما لا يقلُّ حُسناً عن عسلِ جَردان ؛ لأَنَّهُ يَجْرِسُ زهْرَ ٱلسِّدرِ[7] ، وهوَ ٱلسَّببُ ٱلَّذي يمتازُ بهِ عسلُ جَردان وحَضْرَمَوْتَ ؛ فإِنَّهُ لا يَطيبُ إِلاّ

---

(١) النّمارة : بطن من قبيلة بني هلال ، تقطن جردان ، وينقسمون إِلىٰ خمس قبائل كبيرة : آل بن حسن ، وآل بن عاطف ، وآل الأخضر ، وآل ضبّاب ، وآل سريع ، ويتفرّع منهم بيوت كثيرة .

(٢) الحاضنة : من قرىٰ بلاد الدكام في الضّالع ، وتمرُّ بها طريق تؤدّي إِلىٰ جبل جحاف عبر نقيل يَسْلَخْ .

(٣) النّسيُّون : فرع من قبائل بني هلال في وادي مرخة ، من أعمال محافظة شبوة ، وهم أُسر كثيرة . وتعرف جبالهم بجبال النّسيِّين ، وتمرُّ بها طريق جديدة ، تربط بين : قريب ، نقوب ، جبال النّسيِّين ، نصاب ، عتق .

(٤) السّوط : عبارة عن منطقة صحراويّة جبليّة ، تمتدُّ من أَجوال وادي جَردان إِلىٰ أجوال وادي عمد ورخية شمالاً ، ويسكنها : آل هميم ، والجهمة ، وآل عليٍّ ، والباتيس ، وآل بلعبيد .

(٥) ريدة الدِّيِّن : بتشديد الدّال مع فتحها والياءِ مع كسرها : سيأتي ذكرها وتفصيل قراها وبلدانها بعد يبعث ، عند الحديث عن الضليعة .

(٦) المأدوم : المخلوط . أَرْيَةً : عسلاً .

(٧) جَرَسَ النّحلُ الزّهرَ : أكله ، والسِّدْرُ : هو (العِلْب) المعروف بحضرموت .

متىٰ جَرَسَ نحلةُ ذلكَ ٱلزَّهرَ ، أمّا ٱلَّذي لا يَجرسُهُ ـ كالَّذي يعسلُ في أيّامِ ٱلصَّيفِ ـ فإنَّهُ لا يكونُ إلاَّ رَدِيئاً للغَايةِ ، ولو من جَردانَ ، ويسمُّونهُ : ٱلمريَّة ، فتحصَّلَ أنَّ ٱلعسلَ لا يتفاوتُ إلاَّ مِنْ هـٰذهِ ٱلنَّاحيةِ .

وبلادُ جَردانَ مِنْ أقدمِ بلادِ حَضْرَمَوْتَ ، ومِنها كانَ قيسُ بنُ سلمةَ ٱلمرَّانيّ ٱلجُعفيّ ، لَهُ صحبةٌ ووفادةٌ علىٰ رسولِ ٱللهِ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وقد ولاَّهُ علىٰ بني مَرَّانَ بنِ جُعفي بجَردان وأعمالِها ، وعلىٰ حُريمِ بنِ جُعفي ، وكَتَبَ لَهُ : « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ لِقَيْسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ شَرَاحِيلَ . إِنِّي ٱسْتَعْمَلْتُكَ عَلَىٰ مَرَّانَ وَمَوَالِيهَا ، وحُرَيْمَ وَمَوَالِيهَا ، مَنْ أَقَامَ ٱلصَّلاَةَ وَآتَى ٱلزَّكَاةَ وَصَدَّقَ مَالَهُ وَصَفَّاهُ »[1] .

ومَرَّانُ وحُرَيمُ أخوانِ ، أبوهُما جعفيّ ، ضاربينَ في جَردان ووادي عَمْد ، قالَ في « ٱلتّاجِ » : (وهُم مِنَ ٱلصّدِفِ ، وقد دخلَ حُريم في نسبِ حَضْرَمَوْتَ علىٰ ما صرَّحَ بهِ ٱلدّارقطنيُّ وغيرُهُ مِنْ أئمّةِ ٱلنَّسَبِ ، وذَكروا لِدخولِهم أسباباً ليسَ هـٰذا محلّ ذِكرِها) .

وفي ذِكرِ ٱلضُّلَيعَةِ عنِ ٱبنِ ٱلحائكِ أنَّ : (ريدةَ ٱلعِبادِ وريدة ٱلحَرَمِيَّةِ للأُحرومِ مِنْ بني ٱلصّدِفِ)[2] ، وٱلأُحرومُ هوَ حُرَيمُ ٱلصَّدفيُّ .

قالَ في « ٱلقاموسِ » : (وولدَ ٱلصّدِفُ حُريماً ، ويُدعىٰ بٱلأُحرومِ ، وجُذاماً ويُدعىٰ بٱلأُجذومِ) اهـ ، وهُما بٱلضَّمِّ .

ومِنْ ولدِ ٱلأُحرومِ بنِ جعفيٍّ هـٰذا محمَّدُ بنُ حمران ٱلجُعفيُّ ، أحدُ ٱلسَّبعةِ ٱلمحمَّدِينَ ٱلَّذينَ تَسمّوا في ٱلجاهليَّةِ بمحمَّدٍ[3] ، وكانَ بينَهُ وبينَ ٱمرىءِ ٱلقيسِ مهاجاةٌ ومنافساتٌ معروفةٌ[4] ٱقتضَتْها ٱلمزاحمةُ معَ قُربِ ٱلدّيارِ ؛ إذ هـٰذا في (عَمْد) وذاكَ

---

(١) ذكره ابن سعد في « الطّبقات الكبرىٰ » (١/ ٣٢٥) .

(٢) صفة جزيرة العرب (١٧٠) .

(٣) ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ أسماءَ من تَسَمَّوا في الجاهليّة بمحمَّد طمعاً في النبوّة فقال : (وقد جمعت أسماءَ من تسمَّىٰ بذلك في جزءٍ مفرد ، فبلغوا نحوَ العشرين ، لـٰكن مع تكرُّر في بعضهم ، ووهم في البعض) ، ثم عدَّ منهم ستة عشر رجلاً . انظر « فتح الباري » (٦/ ٥٥٦ـ٥٥٧) .

(٤) ومحمَّد بن حُمران هـٰذا يُلقَّب بالشُّويعر ، والَّذي لقَّبه بذلك امرؤُ القيس .

بِٱلكَسْرِ وٱلهَجْرينِ ، وكثيراً ما يَشهدانِ مجامعَ ٱلأَفراحِ وٱلحروبِ فيتساجلانِ ٱلقريضَ[1] .

ومِنْ أَهلِ جَردانَ : سَلَمةُ بنُ يزيدَ ٱلجعفيُّ ، مِنْ بني حريم بنِ جُعْفيٍّ أَيضاً ، ولَهُ صُحْبةٌ ووفادةٌ .

وكانَ بجَردان جماعةٌ مِنْ أَهلِ ٱلفضلِ وٱلصَّلاحِ ، ذَكَرَ ٱلشّليُّ في ص(٦٦)ج(٢) مِنْ « مشرعهِ » [١٤٥/٢] ٱلشَّيخَ عبدَ ٱلحقِّ ٱلَّذي كانَ موجوداً في أَوائِلِ ٱلقرنِ ٱلتّاسعِ ، وقالَ : (إِنَّهُ زارَ هوداً عليهِ ٱلسَّلامُ)[2] .

وجاءَ في ص(٣٠٢) مِنْ « شرحِ ٱلعينيَّةِ » ذِكرُ ولدِهِ عبدِ ٱلصَّمدِ .

وفي « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » : أَنَّ للسَّيِّدِ عمرَ بن ٱلحسينِ بنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ عَقِباً بجَردانَ[3] .

وقالَ ٱبنُ ٱلحائِكِ في « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » [١٥١] : (وأَمّا مياهُ ٱلسَّرْوِ[4] ٱلشَّرقيَّةِ فتصبُّ في جَردانَ ، ومَرْخَةُ قريبٌ مِنها ، وهيَ موضعُ ٱلأَيزون ، وينتهي جَردانُ إِلىٰ قريبٍ مِنْ حَضْرَمَوْتَ) اهـ

وقولُهُ : (إِلى قريبٍ مِنْ حَضْرَمَوْتَ) إِنْ أَرادَ بهِ أَواسِطَها . . فنعَمْ ، وإِلاَّ . . فهوَ

---

(١) القريض : الشِّعر .

(٢) والشَّيخ عبد الحقِّ هٰذا من بلدة يقال لها : العُجَيما ، وقبره في بلدة يقال لها : الباردة ، قال في « الشَّامل » : (آل عبد الحقِّ ، وهم مشايخ لهم جاه ومقام واحترام ، ويقال : إنَّ الشَّيخ عبد الحقِّ كان عَبْداً لقبيلة المعروفة الشَّهيرة بنجران ، ثمَّ أنعم الله عليه وجعلهُ من الصالحين) (١٢٥) .

(٣) المفهوم من « الشَّمس » أَنَّ بجردان عدداً من السَّادة آلِ الشَّيخ من عدَّة قبائل ؛ ففيه سادة من آل الحامد ، من ذريَّة أبي بكر بن الحامد أبن الشَّيخ أبي بكر ، ومن آل محسن بن عمر بن الحسين ـ كما ذكر المصنِّف ـ وغيرهم ، توفِّي والده السَّيِّد عمر بن الحسين المذكور هنا . . بعينات سنة (١١٢٦هـ) .

(٤) السَّرْو : من السَّراة ـ وسراة كلِّ شيءٍ أعلاه ، والجمع : سروات ، ويقصد بها : ما ارتفع من الأرض عن مجرى المياه .

وللفائدة : ففي اليمن سَرْوان : سرو حمير : وهو بلاد يافع وما جاورها من الأجعود ، وسرو مذحج : يعنون به المنطقة الواقعة في جنوب وشرق البيضاء . ويتَّضح أَنَّ السَّروين متجاوران ، كما أَنَّ سرو مذحج كان موطناً للحميريِّين من ذي رعين ، ثمَّ توطَّنته مذحج .

غلطٌ ؛ لأنَّ جَردانَ مِنْ حَضْرَمَوْتَ كما تقرَّرَ .

وبينَ جَردان ووادي عَمْد ثلاثةُ أيّامٍ بسَيْرِ ٱلأثقالِ ، ونحو ذلكَ ما بينها وبينَ سَهْوة رَخية .

ومِنْ علماءِ جَردانَ : ٱلشَّيخُ إسماعيلُ ٱلجَردانيُّ ، تخرَّجَ بٱلفقيهِ محمَّدِ بنِ أحمدَ بافضلٍ صاحبِ عدن ، ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (٩٠٣هـ) . . فهوَ مِن أقرانِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلقادرِ ٱلسَّابقِ ذكرهُ في كلامِ ٱلطَّيِّبِ .

وقالَ ٱلطَّيِّبُ بامخرمةَ : (جَردانُ بينَ عَمَقَينِ ووادي حَبّان ، يشتملُ علىٰ قرىً ، خرجَ مِنه جماعةٌ مِنَ ٱلعلماءِ ، منهُمُ : ٱلفقيهُ عبدُ ٱلقادرِ ٱلجَردانيُّ ، قرأ علىٰ مشايخنا ٱلفقيهِ محمَّدٍ بافضلٍ وٱلوالدِ ، وكانَ فقيهاً متأهِّلاً لِلفَتوىٰ ، وكثيراً ما يتولَّىٰ قَسْمَ ٱلصَّدقاتِ ٱلسُّلطانيَّةِ ٱلَّتي كانَ يتصدَّقُ بها ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ طاهرٍ .

وأَرسلَ ٱلسُّلطانُ عبدُ ٱلوهَّابِ بنُ داودَ معهُ مرَّةً بخَيلٍ مُعَدَّةٍ لِلمجاهدينَ بسعدِ[1] ٱلدِّينِ ، وصَحِبَهُ ٱلفقيهُ أحمدُ بلعس ، توفِّيَ ٱلمذكورُ بعدنَ) اهـ[2]

وقد فُهِمَ ممّا مرَّ أنَّ قولَهُ : (بينَ عَمَقَينِ ووادي حَبّانَ) مبنيٌّ علىٰ ما جاءَ في « ٱلتّاجِ » و« أصلهِ » مِنَ ٱلغلطِ ، وربَّما كانت رؤُوسُ جَردانَ ممتدَّةً في ٱلغربِ ، ورؤُوسُ عَمَقَينِ ممتدَّةً في ٱلشَّرقِ ، فيتيسَّرُ ٱلجَمْعُ إذنْ بينَ ٱلكلامَينِ ، ثمَّ رجعتُ إلى « ٱلأصلِ » فرأَيتُ ما نَقَلْتُهُ آخِرَ ٱلجزءِ ٱلثّاني قُبيلَ شرحِ بيتي غالبٍ[3] عنِ ٱلطَّيِّبِ بامخرمةَ نَفْسِهِ : أنَّ عَمقَين وادٍ بينَ جَردانَ وحَبّانَ ، وهوَ ٱلصَّوابُ .

---

(١) ويعرف بَرُّ سعد الدِّين ، في ناحية ظفار .

(٢) النسبة (٧٢) .

(٣) يعني بقوله : (بيتي غالب) . . البيتين : (٥٢) و(٥٣) من « بضائع التابوت » ، وهما قوله :

وَٱنْبَرَىٰ غَالِبٌ بِتَدْبِيرِ جَدِّي ... لِلأَبَاطِيلِ وَٱلْفَسَادِ بِنَكْسِ

فَٱسْتَتَبَّ الأَمَانُ حِيناً مِنَ ٱلدَّهْـ ... ـرِ وَطَابَ ٱلْوُرُودُ لِلْمُتَحَسِّي

ويبتدىءُ الجزءُ الثّالث من « بضائع التابوت » بشرح هٰذين البيتين . . فليعلم .

شبوةُ(١)

هيَ في غربيِّ عرما ، في منتهىٰ واديهِ ، والباقي منها دُوَيراتٌ لآلِ بريكٍ وعبيدِهم في قارة فاردة هيَ آخرُ الجبالِ الجنوبيَّةِ ، تشرفُ علىٰ رملةِ صيهدَ الواقعةِ في شمالِها ، وهيَ في مناعةِ الهجرينِ ، أو هيَ أمنعُ ، وفي وسطِ الجانب الغربيِّ مِنها مطرحُ رمادٍ ، لا يتخلَّصُ مَن يقعُ فيهِ ، ولا يُدرىٰ ما أَصلهُ ، ولفظُ شبوةَ يُطلَقُ على النَّاحيةِ بأَسرِها ، وقد قيلَ : إنَّها مِن حدودِ حضرموتَ الغربيَّةِ ، وبهِ قالَ صاحبُ « مفتاحِ السَّعادةِ والخيرِ » حَسَبَما يأتي في الكسرِ ، وقيلَ : ليسَتْ منها قالَ في « التّاجِ » و« أَصلهِ » : (هوَ وادٍ بينَ مأْربَ وحَضْرَمَوْتَ) .

وقالَ نصرٌ : (على الجادَّةِ مِنْ حَضْرَمَوْتَ إلىٰ مكَّةَ) .

وقالَ ابنُ الأثيرِ : (ناحيةٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ ، ومنهُ حديثُ وائِلِ بنِ حُجْرٍ أَنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ كَتَبَ لأَقوالِ(٢) شَبوةَ بما كانَ لَهُم فيها مِنْ مِلكٍ)(٣) .

وأَخطَأَ الفيروزأَبادي في قولهِ : (إنَّها قريبٌ مِنْ لحجٍ) .

---

(١) شبوة : مدينة تاريخيَّة هامَّة في شرق رملة السبعتين ، كانت قديماً عاصمة دولة حضرموت ، وفي الدَّولة السبئيَّة كانت من أهمِّ المدن التِّجاريَّة ، ومنها تنطلق القوافل التِّجاريَّة إلىٰ سائر أنحاء الجزيرة ، ويطلق اسم محافظة شبوة اليوم علىٰ خمس مديريات : عرما ، وبيحان ، ونصاب ، والصعيد ، وميفعة .

تبلغ مساحتها (٧٣٩٠٨كم) حوالي (١٤٪) من أرض اليمن . وموقعها الجغرافيُّ متميِّز ، وطول شريطها السَّاحلي يبلغ (١٥٠كم) ، وبها أهمُّ تراث حضاريٍّ ؛ فهي تجمع في حدودها مواقع ثلاث ممالك يمنيَّة قديمة ، هي قتبان وعاصمتها تمنع أوتمنه ، في بيحان كما تقدَّم ، وأوسان وعاصمتها مَسْوره ، وهي في وادي مرخة ، وحضرموت ، وعاصمتها شبوة القديمة .

ولا زالت البعثات الآثاريَّة تنقِّب في هٰذه المنطقة ، ولا زالت الأيَّام تتحف بظهور الجديد من الآثار . وإن أراد القارىء الكريم شيئاً من التفصيل لجغرافيَّة شبوة . . عليه بـ« الشَّامل » (١٢٨ـ١٣١) .

(٢) **الأقوال** ـ جمع قَيل ـ وهو : الملك الَّذي تحت الملك الأعظم من ملوك اليمن ، وله جمع آخر : (أقيال) والحديث تقدَّم تخريجه .

(٣) النهاية (٢/ ٤٤٢) .

أمَّا الطَّريقُ مِنْ حَضْرَمَوْتَ إِلىٰ صنعاءَ.. فسبعُ مراحلَ[1] : **ٱلأُولىٰ** : مِنْ هَينَنَ وعُرُوض آلِ عامرٍ إلىٰ دُهْرٍ . **ٱلثّانيةُ** : مِنْ دُهْرٍ إِلىٰ رَمْلة شَبوةَ ، موضعٌ معروفٌ . **ٱلثّالثةُ** : منهُ إِلىٰ صَافرٍ ، وهوَ موضعُ ٱلمِلْحِ ٱلمشهورِ . **ٱلرّابعةُ** : إِلىٰ مأربَ . **ٱلخامسةُ** : إِلىٰ صِرْوَاحٍ . **ٱلسّادسةُ** : إِلى ٱلحَمْرةِ ، قريةٌ مِنْ قرىٰ خَولان . **ٱلسّابعةُ** : إِلىٰ صَنْعاءَ .

وأَهلُ زماننا ومَنْ قبلَهم بردحٍ لاَ يستطيعونَ هـٰذا ٱلسَّيرَ ، وإِنَّما كانَ ٱلأَوَّلونَ أَهلَ نشاطٍ وعزمٍ ، ولذا كَثُرَت بينَهم ٱلمواصلاتُ ؛ لأَنَّ ٱلجزيرةَ قريبةٌ مِن بعضِها في أَنظارِهم .

وزَعَمَ قومٌ بأَنَّ شَبوةَ ليست بحدِّ حَضْرَمَوْتَ ٱلغربيِّ ، بل إِنَّهُ يتجاوزُها فيشملُ مأربَ كما في « **ٱلأَصلِ** » ، ويتأَكَّدُ ذلكَ بظهورِ أَثرِ دعائِهم بتباعُدِ ٱلأَسفارِ علىٰ أَهلِ حَضْرَمَوْتَ فتفرَّقوا عباديد[2] .

وقالَ ٱبنُ ٱلحائكِ في « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » [١٧١] : (وفيما بينَ بَيحانَ وحَضْرَمَوْتَ شَبوةُ ، مدينةٌ لِحِمْيَر ، بها أَحدُ جبلي ٱلملحِ ، وٱلجبلُ ٱلثّاني لأَهلِ مأرب ، فلمّا ٱحتربتْ حِمْيَرُ ومَذحجٌ.. خرجَ أَهلُ شَبوةَ مِنها وسَكنوا حَضْرَمَوْتَ ،

---

(١) وقد امتدَّت شبكة المواصلات الحديثة ، ووُصِلَت صنعاءُ بوادي حضرموت مباشرة ، عن طريق خطٌّ إسفلتيٌّ جديد ، مُهِّد وشُقَّ بعد قيام الوحدة اليمنيَّة ، وافتُتح رسميّاً نهاية عام (١٩٩٨م) تقريباً ، ويعرف باسم : (طريق صافر) يبلغ طوله نحو (١٠٠٠كم) ، فسهلت الحركة والتَّنقل بين اليمن وحضرموت ، أمَّا من صافر نفسها إلىٰ حضرموت.. فهي (٣٥٠كم) .

وقد كان المصنِّف عليه الرَّحمات يقطع هـٰذا الطَّريق بلا شكٍّ في سفراته المتعدِّدة إلى اليمن على المراكب والدَّوابِّ ، ومن هنا سهل عليه تحديد المراحل والقرىٰ ، أمَّا لو كان السَّفر قديماً كما هو عليه اليوم.. لما دوَّن أحد شيئاً من جغرافيَّة البلدان . وفي منطقة صافر هـٰذه توجد محطَّة توزيع الغاز الطَّبيعي الَّذي تنتجه آبار النفط اليمنيَّة ، ويبعد جبل صافر عن مأرب (٨٥كم) ، وكان قديماً يستخرج منه الملح ، فكان يسمَّىٰ جبل الملح ، أمَّا اليوم.. فيستخرج منه النِّفط ، وكان اكتشاف أوَّل بئر بترول سنة (١٩٨٤م) .

(٢) عباديد : فرقاً مختلفة ، ويعني بهـٰذا أَنَّ أهل حضرموت ـ على القول أَنَّ حضرموت من مأرب ـ قد أصابتهم دعوة : ﴿ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا ﴾ .

وبهم سُمّيت شبامَ ، وكانَ ٱلأصلُ في ذلكَ شِباهٌ ، فأُبدلتِ ٱلهاءُ ميماً) اهـ

وهوَ مخالفٌ لِما ٱشتهرَ أَنَّ تريماً وتريساً وشِباماً كانوا ثلاثةَ إِخوةٍ سُمِّيتْ هـٰذهِ ٱلبلادُ بأَسمائِهم .

وقد خَلَفَ علىٰ شَبوةَ بعدَ حِمْيَر كِندةُ ، وكانَ ٱلأعشىٰ ينتابُها لمدحِ قيسِ بنِ معدي كربِ ٱلكنديِّ ، وهوَ ٱلقائِلُ [مِنَ الطَّويل] :

أَلَـمْ تَـرَنِـي جَـوَّلْـتُ مَـا بَيْـنَ مَـارِبٍ ... إِلَـىٰ عَـدَنٍ فَـٱلشَّـامُ وَٱلشَّـامُ عَـانِـدُ
وَذَا فَـائِـشٍ قَـدْ زُرْتُ فِـي مُتَمَنَّـعٍ ... مِـنَ ٱلنِّيـقِ فِيـهِ لِلْـوُعُـولِ مَـوَارِدُ[1]
وَنَـادَمْـتُ فَهْـداً بِـٱلْمَعَـافِـرِ حِقْبَـةً ... وَفَهْـدٌ سَمَـاحٌ لَـمْ تَشِنْـهُ ٱلْمَـوَاعِـدُ
وَقَيْسـاً بِـأَعْلَـىٰ حَضْـرَمَـوْتَ ٱنْتَجَعْتُـهُ ... فَنِعْـمَ أَبُـو ٱلأَضْيَـافِ وَٱللَّيْـلُ رَاكِـدُ

وقولُهُ : (بأَعلىٰ حَضْرَمَوْتَ) يريدُ شَبوةَ ؛ لأَنَّها مِنْ أَعاليها ، وهيَ قاعدتُهم لذلكَ ٱلعهدِ .

ولا تزالُ بشبوةَ وما تاخَمها وما ٱرتفعَ إِلى ٱلغربِ عنها آثارُ صروحٍ ضخمةٍ وسدودٍ متقنةٍ ، تدلُّ علىٰ حضارةٍ واسعةٍ ، وهندسةٍ عجيبةٍ ، ومُلْكٍ واسعٍ وسلطانٍ نافذٍ .

وكثيراً ما تظهرُ ٱلآثارُ ٱلقديمةُ وقطعُ ٱلذَّهبِ وٱلخواتِمِ بإِثرِ ممرِّ ٱلسُّيولِ في رمالِها ، حتَّىٰ لقد وجدَ بعضُ ٱلفقراءِ ٱلصَّالحينَ كوزاً فيهِ سِكَّةٌ مِنَ ٱلذَّهبِ لاَ أَدري علىٰ مَن باعَها في مأربَ بنحوِ ثلاثة آلافِ ريالٍ .

وقد سَبَقَ في ميفعةَ ذِكرُ ٱلهَجَرِ ، ثاني مدينةٍ عمرانيَّةٍ كانت بحَضْرَمَوْتَ ، وفي موضعٍ مِنْ « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » [١٩٣] لابنِ ٱلحائِكِ : (أَنَّ مِخْلافَ شَبوةَ يسكنُهُ ٱلأَشباءُ ، وٱلأَيزُون ، ثمَّ صُداءُ ورُهاءُ) اهـ

وفي موضعٍ آخَرَ مِنها [١٥١] : (مَرْخةُ قريبٌ مِنْ جَردانَ، وهيَ موضعُ ٱلأَيزون) اهـ

وعندما عضَّتِ ٱلرّحا بثفالها في ٱلحربِ ٱلهائِلةِ ٱلأَخيرةِ[2] . . ٱنقضَّ ٱلشَّيخُ عليٌّ

---

(١) ذو فائِش : ملك من ملوك حميَر .

(٢) الرَّحا : ما يُطحن فيه الحَبُّ ، تكتب بالألف الممدودة والمقصورة ؛ إذ فِعلها واويٌّ ويائِيٌّ . الثِّفال : =

ناصرٌ القَرْدَعِيُّ فاحتلَّها[1] . قيلَ : بإشارةٍ مِنْ مولانا الإمامِ يحيىٰ حفظَهُ اللهُ . وقيلَ : مِنْ قِبَلِ نَفْسهِ .

والأوَّلُ بعيدٌ ؛ لأنَّ بينَ الإمامِ والحكومةِ الإنكليزيَّةِ معاهدةً تقتضي بإبقاءِ ما كانَ علىٰ ما كانَ إلىٰ أَن تنتهي أَربعونَ سنةً ، وهوَ مِن أوفى الخلقِ بالذِّمَمِ ، وأَرعاهم للعهودِ ، علىٰ أنَّ الإمامَ لم يُمضِ تلكَ المعاهدةَ مختاراً ، ولـٰكنْ تحتَ الضَّغطِ في ظروفٍ محرجةٍ وبعقبِ حوادثَ اضطرَّتهُ إلىٰ ذلكَ ، وإلاَّ فما كانَ يعترفُ لهم بحقٍّ في عدن ، فضلاً عمَّا سواها ، ثمَّ لم يكن ـ يحفظه اللهُ ـ ليعتمِدَ على القردعيِّ ، وهوَ منَ المفسدينَ في الأرضِ ، لا يخرجُ مِن غمدانَ إلاَّ عادَ إليه ، وبعدَ ذلكَ لم يمهلهُ الإنكليزُ أن استقالَها منهُ ، إمَّا عَنوة ، وإمَّا بقفَّةٍ مِنَ الدَّراهمِ ابتاعوا بها ضميرَهُ وذمَّتَهُ ، وقد يتأكَّدُ هـٰذا بأنهم أَركبوهُ علىٰ طائرةٍ في تكرمةٍ إلىٰ بيحانَ .

وكانَ القَرْدَعيُّ يتردَّدُ عليَّ معَ شيخِ قيفةَ[2] ـ واسمه الذَّهب ـ أيَّامَ كنتُ بصنعاءَ أَوائِلَ سَنةِ (١٣٤٩هـ) ، وكانَ شيخُ قيفةَ مِنْ أَجملِ خَلْقِ اللهِ ، والقردعيُّ مِنْ أَقبحِهم ، فأَتذكَّرُ ما رواهُ غيرُ واحدٍ مِنْ أَهلِ الأدبِ : أَنَّ رجلاً قامَ تجاهَ المِرآةِ ، فلمّا رأىٰ مُحيّاهُ

= الجلد الَّذي يُبسط تحت الرَّحىٰ ليقي الطَّحين من التُّراب . والمعنىٰ : أَنَّ الحرب تدقُّهم دقَّ الرَّحىٰ للحبِّ إذا كانت مثقَلَةً ، ولا تُثْقَل إلاَّ عند الطَّحن .

وعليه : فالباءُ هنا بمعنىٰ مع ؛ أي : طحنتهم الحرب طحن الرحىٰ للحب مع ثفالها .

(١) آل القَرْدَعي من زعماءِ قبيلة مراد المذحجيَّة ، ديارهم في وادي مضراه من مديريَّة رحبة ، أعمال محافظة مأرب . وأمَّا علي ناصر هـٰذا . . فكان ممَّن شارك في قتل الإمام يحيىٰ حميد الدِّين رحمه الله سنة (١٩٤٨م) ، وكان ذلك بعد تصنيف هـٰذا الكتاب ، وإلاَّ . . فالمصنف لن يغفل ذكر ذلك الحادث المرير . ولعليٍّ ناصر أخ يدعىٰ أحمد ناصر ، أيضاً شارك في حادثة مقتل الإمام ، ثمَّ أمسك به وسجن في حجَّة بعد فشل الحركة ، ثمَّ أمر الإمام أحمد بقتله ، ولمَّا لم يستطع الجنود إخراجه إلىٰ ساحة الإعدام . . فإنَّهم أعدموه رمياً بالرَّصاص في زنزانته ، وقد صدر مؤخَّراً كتاب يجمع أخباره .

(٢) **قيفة** : وهي الأُخرىٰ من بطون مُرَاد ، منازلهم شمال شرقيِّ رداع ، وهم عدَّة قبائل : آل مصعب بن أحمد ، وآل نهبل بن أحمد ، وآل ربيع بن أحمد ، وآل سليم بن أحمد . وآل الذَّهب الَّذين ذكرهم المصنِّف من آل ربيع بن أحمد ، وكانوا مشايخ قيفة ، وهم أيضاً عدَّة بيوت ، وأمَّا شيخهم حالياً . . فهو أحمد بن حسين بن علي جُرعون ، من آل أَسْلَم بن أحمد ، من أعضاءِ مجلس النواب (١٩٩٧م) .

ٱلجميلَ . . قالَ : ٱللَّهُمَّ كما حَسَّنتَ خَلْقي فحَسِّنْ خُلُقي ، فقامَ بإثرِهِ رجلٌ كريهُ ٱلمنظرِ ، فوقعَ في مأزقٍ حرجٍ ؛ لأنَّهُ إنْ قالَ كما قالَ ٱلأوَّلُ . . ضَحِكوا عليهِ ، وإنْ سكتَ . . وقعَ في ٱلذّامِ[1] ، فتخلَّصَ بأوضحِ حجَّةٍ حيثُ قالَ [مِنَ الطَّويلِ] :

فَإِنْ لَمْ تَكُ ٱلْمِرْآةُ أَبْدَتْ وَسَامَةً ... فَقَدْ أَبْدَتِ ٱلْمِرْآةُ جَبْهَةَ ضَيْغَمِ

ولا سيَّما وأَنَّ ٱلخموشَ ٱلَّتي شوَّهت وَجْهَ ٱلقردعيِّ كانت مِنْ غضنفرٍ أو نمرٍ أنشبَ بهِ براثنَهُ فقدَّهُ نصفينِ ، حَسَبَما أخبرني كثيرٌ مِنَ ٱلنّاسِ . وسيأتي في وادي ٱلذَّهبِ مِن أسافلِ حضرموتَ حديثٌ لامرأةٍ مِن بيتِ براهم يُصَغِّرُ خبرَ ٱلقردعيِّ معَ ٱلنَّمِرِ .

وكثيراً ما سرَّني تصاحبُ ٱلقيفيِّ وٱلقردعيِّ ، معَ أنَّ بينَهُما مِنَ ٱلأشلاءِ[2] ٱلممزَّقةِ وٱلدِّماءِ ٱلمائرةِ[3] ما لا يَضبطُهُ ٱلحدُّ ؛ لأنَّهُ يُذكِّرني بقولِ ٱلبحتريِّ [في « ديوانه » ١/ ١١ مِنَ الطَّويلِ] :

إِذَا ٱحْتَرَبَتْ يَوْماً فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا ... تَذَكَّرَتِ ٱلْقُرْبَىٰ فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا
تُقَتِّلُ مِنْ وِتْرٍ أَعَزَّ نُفُوسِهَا ... عَلَيْهَا بِأَيْدٍ مَا تَكَادُ تُطِيعُهَا

وهوَ معنىً ٱستبقتْ في مضمارِهِ جيادُ ٱلشُّعراءِ ، وقصبةُ ٱلسَّبْقِ للبحتريِّ في هٰذا ٱلبيتِ[4] ، وأصلُهُ لمهلهلٍ في قولِهِ [مِنَ الوافرِ] :

بِكُرْهِ قُلُوبِنَا يَا آلَ بَكْرٍ ... نُغَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةِ ٱلنِّصَالِ[5]
وَنَبْكِي حِينَ نَذْكُرُكُمْ عَلَيْكُمْ ... وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لاَ نُبَالِي[6]

وقد ذكرتُ منهُ في « ٱلعودِ ٱلهنديِّ » [٢/ ٤٩٣] ما يُشنِّفُ ٱلأسماعَ .

---

(١) **الذَّامُ** : العيب . وفي المثل : (لا تعدم الحسناءُ ذاماً) بتخفيف الميم .
(٢) **الأشلاءُ** : البقايا .
(٣) **المائرة** : السَّائلة .
(٤) **قصبة السَّبق** : كناية عن الفوز والتَّقدُّم ؛ حيث كان المتسابقون يوضع لهم عند نهاية السِّباق قصبة ، فمن سبق إليها . . حازها واستحقَّ الجائزة .
(٥) **نغاديكم** : نقاتلكم في الغُدُوِّ ؛ أي : الصَّباح الباكر .
(٦) البيتان في « ديوان الحماسة » (١/ ٦٢) ضمن قصيدة منسوبة لرجل من بني عُقَيل .

وفي شَبوةَ جماعةٌ مِنْ آلِ بريكٍ ، وهُم مشايخُ يحملونَ ٱلسِّلاحَ ، ولَهمُ ٱحترامٌ بينَ قبائلِ تلكَ ٱلجهاتِ ، وقد تفرَّقوا في وادي جَردانَ ، وفي وادي حَوْل ، وفي دُهْر ، وعَزْما ، وشبوةَ ، وهُم : آلُ عبدِ ٱلرَّحيمِ ، وآلُ سالمِ بنِ عمرَ ، وآلُ عبدِ ٱلقويِّ ، وآلُ باسَيفٍ[1] .

وقد أعطاني ٱلمنصبُ ٱلمرحومُ ٱلسَّيِّدُ حسنُ بنُ سالمٍ ٱلعطّاسُ ـ ٱلمتوفَّىٰ بِٱلمُكَلاَّ سَنَةَ (١٣٦٠هـ) ـ محاضرةً ذَكَرَ أَنَّهُ أَلقاها بِٱلسَّواحلِ ٱلإفريقيَّةِ ، جاءَ فيها : (إنَّ آلَ بُرَيكٍ ٱنهزَموا مِنْ إخوانِهِم آلِ ناعبٍ بجبلِ يافع ، فنزَلوا سواحلَ حَضْرَمَوْتَ ، ونزلَ بعضُهُم ٱلحَسَا وٱلقطيفَ وعمانَ ، ولمّا كثرَ عددُهُم . . نجعَ منهُم نحو خمسةٍ وثلاثينَ أَلفاً ، فنزَلوا شبوةَ وأَعتقوا بها عبدَهُمُ ٱلوليَّ ٱلصّالحَ محمَّدَ بنَ بريكٍ ، ٱلَّذي يَنتسبُ إليهِ ٱلمشايخُ آلُ بريكٍ ، ولَهُ قُبَّةٌ وزاويةٌ ومسجدٌ ومطبخٌ وخزينةُ كتبٍ) .

وكنتُ أَردتُ إيرادَ تلكَ ٱلمحاضرةِ بنصِّها في « **ٱلأَصلِ** » ؛ لِما لها مِنَ ٱلتَّعلُّقِ بدولةِ آلِ بُرَيكٍ ، غيرَ أَنَّ فيها تجازيفَ كثيرةً تُثني عنها ، فٱكتفيتُ بِٱلإشارةِ إليها .

وفي « فتحِ ٱلرَّحيمِ ٱلرَّحمـٰنِ » لصاحبِ ٱلحمراءِ : (أَنَّ سيِّدَنا ٱلحسينَ بنَ ٱلعيدروسِ سارَ معَ أُمِّهِ بنتِ آلِ بامُدْركٍ إلىٰ شبوةَ وعمرُهُ ثلاثُ سنواتٍ) ؛ أَي : سَنَةَ (٨٦٤هـ) قَبْلَ موتِ والدِهِ بسَنةٍ . وفيهِ : (أَنَّ آلَ بامُدْركٍ قومٌ صالحونَ ، زهّادٌ ، كرماءُ ، واضحونَ) .

وعلىٰ مقْرُبَةٍ مِنْ شبوةَ ومِنَ ٱلعَبْرِ : **مضاربُ ٱلكُرَبِ**[2] ، ومِن وُجهائِهم بشبوةَ رجلٌ

---

(١) ومنهم أيضاً : آل غيمسان بشبوة ، وآل أحمد بحنكة بادخن ، وآل سنديان في حصون سنديان بعرما ، وآل سبيان في العَبْر . ولكن هل آل بريك أهل شبوة من يافع ؟! كلام العطّاس الّذي أورده المصنِّف يوحي بذلك ، وتقدَّم معنا في الشِّحر ذكر آل ناجي بن عمر بن بريك ، وأنَّ أصولهم جاءَت من حريضة . ويوجد بتريم أيضاً جماعة من آل بريك ، فيهم صلاح وخير ، وبالمكلا والشِّحر أيضاً . . لكنَّ الّذين بتريم يقال لهم : آل بريك ، والّذين في السّاحل آل بن بريك . والعلم عند الله .

(٢) **الكُرَب** ـ بضمِّ الكاف وفتح الرّاءِ ، مفردهم كُربي ـ : هم قبيلة وأرض تقع شرق رملة السبعتين ، وهم الفرع الثاني من قبيلة بلعبيد ، أمَّا الفرع الأوَّل . . فهم آل سِلْم بكسر فسكون . والكرب في عداد مديريَّة عرما ، من أعمال شبوة ، وهم بطون عدَّة .

رحَّالةٌ يُقالُ لهُ : ناصرُ بنُ صالحِ بنِ حزيقٍ . ومرجعُهُم في ٱلنَّسَبِ إِلىٰ بلْعُبَيد ، وعددُهُم نحو ٱلمئتَينِ رامياً ، ولـٰكنَّهُم أُولو بأسٍ شديدٍ .

وعلىٰ مقربةٍ : منهم : **بلادُ يامٍ** ، وحدُّهم مِنَ ٱلجنوبِ : دهم وٱلصَّيعرُ ، ومِنَ ٱلشَّرقِ ٱلرُّبُعُ ٱلخالي ووداي ٱلدَّواسرِ ، ومِنَ ٱلشَّمالِ بلادُ قحطانَ وتثليثَ ، ومِنَ ٱلغربِ قحطانُ ووادعةُ وبنو جماعةَ . وسحارٌ ويامٌ أَخو مرادٍ كلاهما أبنا عنسِ بنِ مذحجٍ ، وهناكَ يامٌ أُخرىٰ مِن همدانَ مِن ولدِ مالكِ بنِ جشمِ بنِ حاشدِ بنِ جشمٍ .

عِرْمَا[١]

وادٍ واسعٌ في شرقيِّ شَبوةَ ، قيلَ لي : إِنَّ ماءَهُ يَنْهَرُ إِليها .

وفي أَعلىٰ عِرما : **حرَّةُ باعبْد ٱللهِ**[٢] ، فيها آلُ بادُخنٍ[٣] مِنْ آلِ بَلْعُبَيد[٤] ، وبينَهُم وبينَ آلِ عَمْرٍو سكّانِ ٱلكويرةِ وٱلمافودِ[٥] وحبيظِ حُرُوبٌ لا يَسكنُ أُوارُها[٦] .

وكلُّهُم مِنْ آلِ بَلْعُبَيدٍ ، وعندَهُم ثروةٌ ، وأَسلحتهُم مِنَ ٱلعتادِ ٱلأَلمانيِّ ، يَجلبونَها مِنْ صنعاءَ .

---

(١) **عِرْما** ـ بكسر فسكون ـ : وادٍ مشهور في الشَّرقيِّ الجنوبيِّ من شبوة ، ينتهي في مغارب وادي حضرموت . قال في « الشَّامل » : وهو سدٌّ يعترض به الوادي ، ويجمع على عَرِم ـ بفتح فكسر ـ قال الله تعالىٰ : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ﴾ ، وهـٰذا أوَّل ما يسبق إِلى الظَّنِّ ؛ لشهرة شبوة القديمة الشَّماليَّة ، أو هجر شبوة المشهور تاريخها. . فيكون واديها عرمة قد جعل له الأقدمون سدّاً يحفظ ماءَه لهم إِلىٰ وقت الحاجة ؛ حتَّىٰ لا يضيع . وكان وادي معشر المُقاسم لوادي مَخبَض ، مشهوراً باسم : معشر بن ضمعج ، أحد أجداد قبيلة حضرموت ، وقد ذكره النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في كتابه لأهل حضرموت . وفي « الشَّامل » : تفصيل واسع جداً لما أُجمل هنا. . ينظر : (١٢٧) .

(٢) ذكرها في « الشَّامل » باسم الحرّة فقط .

(٣) آل بادُخن من آل سلم من آل بلعُبَيد .

(٤) **آل بلْعُبَيد** : فخذ كبيرة ، تنتمي إِلىٰ ذُيَيب سَعْد ـ (تصغير ذِيب) ـ الحميريِّين . وذييب سعد يحترز بها عن إِخوانهم آل ذييب حِمْير . « الشَّامل » (١٢٥) ، وينظر ما يأتي في (القِسْم الثالث) من هـٰذا الكتاب .

(٥) **المافود** : جاءَ في « الشَّامل » بالتَّاء ، مافوت .

(٦) **الأُوار** : اللَّهيب .

وآلُ بادُخنٍ يبلغونَ متّينِ وخمسينَ رامياً ، وآلُ عَمْرو لا يبلغونَ ٱلخمسينَ ، ومعَ ذلكَ . . فٱلنَّصرُ حليفُهُم علىٰ آلِ بادُخنٍ في سائرِ ٱلمعاركِ .

وفي عِزْما جماعةٌ مِنْ آلِ باكثيرٍ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلشَّيخِ طاهرِ بنِ عيسىٰ بنِ سلمةَ بنِ عيسىٰ بنِ سلمةَ باكثيرٍ ، وناسٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلقادرِ بنِ إبراهيمَ باكثيرٍ .

ومنهُم : آلُ سُنْكر ، منهُمُ : ٱلشَّيخُ عوضُ بنُ سنكر[1] ، رجلٌ سليمُ ٱلصَّدرِ ، طيِّبُ ٱلنَّفْسِ ، محبٌّ للخيرِ ، ٱستقرَّ بٱلصولو مِنْ أرضِ جاوة ، وأثرىٰ بعدَ أَنْ كانَ فقيراً .

سارَ معي مِنَ ٱلصُّولو إلىٰ جُقْجقا تلبيةً لدعوةِ ٱلجَمْعيَّةِ ٱلمحمَّديَّةِ لاحتفالها ٱلسَّنويِّ في عام (١٣٤٦هـ) ، وحَملني معَهُ إلىٰ يمينهِ في سيّارةٍ لَهُ ، وهناكَ ساومَ في أُخرىٰ علىٰ أَنْ يزيدَ عشرةَ آلافِ ربيَّةٍ ، ثمَّ أطالَ في حَمْدِ اللهِ وشُكرِهِ ، فسأَلتُهُ ، فقالَ : أَوَّلُ ما قدرتُ عليهِ في عِزْما ناقةٌ ٱشتريتُها ، فَعَالَ نومي[2] مِنَ ٱلفرحِ عدَّةَ ليالٍ حتَّىٰ لا أَجدُ جزءاً مِنْ مئةٍ مِنْ ذلكَ ٱلسُّرورِ لشراءِ هـٰذهِ ٱلسَّيَّارةِ ٱلضَّخمةِ .

فقلتُ لَهُ : حَسْبُك منها أَنَّها تبعثُ لكَ تلكَ ٱلذِّكرياتِ ٱلجميلةِ .

ولِلشَّيخِ عوضِ بنِ سنكرٍ أَولادٌ أذكياءُ ، منهُمُ ٱلآنَ : عليٌّ وسالمٌ ، يُحبُّونَ معاليَ ٱلأُمورِ .

فَتَـىً تَـمَّ فِيـهِ مَـا يَسُـرُّ صَـدِيقَـهُ   عَلَـىٰ أَنَّ فِيـهِ مَـا يَسُـوءُ ٱلأَعَـادِيَـا

ولَهُمُ ٱبنُ عمٍّ يشركهُم في ٱلتِّجارةِ ، وهوَ والي عقودِ ٱلأنكحةِ بٱلصولو ، وعليهِ زيُّ ٱلصَّلاحِ .

وأَخوهُ سالمينُ هوَ ٱلَّذي قامَ لثروتِهم لمَّا كَبَتْ بها حوادثُ ٱليابانِ ، فنهضَ بها وأَعادَها سيرتَها ٱلأُولىٰ ، بل أحسن ، وعندَهُ ٱطِّلاعٌ ولهُ رحلاتٌ جوِّيَّةٌ إلىٰ أنحاءِ

---

(١) آل سُنْكر من أهل عزما ، هاجروا إلىٰ جاوة ـ أي إندونيسيا ـ لا زالوا إلى اليوم ، وفيهم وجهاءُ وأفاضل ، وكان لبعضهم أدوار اجتماعيَّة فعالة في تاريخ العرب الحضارمة بجاوة ، تستحقُّ البحث والتَّدوين .

(٢) عال : ارتفع ، وعال نومي طار من شدَّة الفرحِ أو الحزن .

العالم ، فيأتي فيهِ قولُ ٱلأعشىٰ لهوذة ٱلحنفيِّ [مِن « ديوانِهِ » ٢٤٢ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَتَىً يَحْمِلُ ٱلأَعْبَاءَ لَوْ كَانَ غَيْرُهُ ... مِنَ ٱلنَّاسِ لَمْ يَنْهَضْ بِهَا مُتَمَاسِكَا
وَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ رِحْلَةٍ ... تَشُدُّ لأَقْصَاهَا عَظِيمَ عَزَائِكَا
مُوَرِّثَةٍ مَالاً وَفِي ٱلْمَالِ رِفْعَةٌ ... لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

وفي عِزْما ـ أَيضاً ـ جماعةٌ مِنْ آلِ بُرَيكٍ ، كما سَبَقَ في شَبوةَ .

دُهْر[1]

هوَ مِنْ وراءِ عِزْما إِلىٰ جهةِ ٱلشَّرقِ . قالَ ياقوتُ [٢/٤٩١] : (وادٍ دونَ حَضْرَمَوْتَ) .

ولَم يَزِدْ عليهِ « ٱلقاموسُ »[2] ، وأَنشدَ شارحُهُ قولَ لبيدِ بنِ ربيعةَ [في « ديوانه » ١٦٦ مِنَ ٱلوافرِ] :

وَأَصْبَحَ رَاسِياً بِرِضَامِ دُهْرٍ ... وَسَالَ بِهِ ٱلْخَمَائِلُ فِي ٱلرِّهَامِ[3]

---

(١) دُهْر ـ بضمٍّ فسكون ـ : وادٍ مشهور في غربيِّ حضرموت ، تشكَّل بلدانه أحد المراكز الإداريَّة التَّابعة لمديريَّة عرما ، من أعمال محافظة شبوة ، وهو يسيل إلى الشِّمال الشَّرقيِّ ، وينتهي في الرَّملة . ويسكنه آل عمرو من آل بلعبيد في نَوْعَة والخشاوة ، وآل بريك آل عبد الرَّحيم في مطره ، وآل عليِّ بن أحمد بن بريك في الخرّ ، وآل محيميد في روضة الجديفرة . وممَّن نسب إلى الوادي : مُحَمَّد بن ناصر الدُّهري أحد وُلاة عينات أيَّام الدَّولة القعيطيَّة ، وحاكم وادي دوعن في مطلع القرن الرَّابع عشر : سالم بن علي الدُّهري . وفي « القاموس » أنَّه بفتح فسكون ، وهو علىٰ خلاف الجاري على الألسنة .

(٢) في « الشَّامل » (٣٢ـ ٣٣) : (أنَّ قول صاحب « القاموس » ـ ومثله ياقوت ـ : أنَّ وادي دهر دون حضرموت خطأ ، بل هو من حضرموت ، وإنَّما قال الهَمْدَانيُّ حين ذكر الطَّريق : وهو أوَّل حضرموت من ذلك الجانب ، ولم يقل دونها . وإذا كانت جَردان معدودة في حدود حضرموت.. فدهر أولىٰ) اهـ

وكلام صاحب « الشَّامل » هنا متوافق مع قول المصنِّف الآتي .

(٣) **أَصبح** : الضَّمير الَّذي فيه يعود على البريق في أبيات قبله ، وهو :

أَصَاحِ تَرَىٰ بَرِيقاً هَبَّ وَهْناً ... كَمِصْبَاحِ ٱلشَّعِيلَةِ فِي ٱلذُّبَالِ

راسياً : مستقرّاً . **الرِّضام** : الصُّخور العظيمة . **الخمائل** : الأَراضي السَّهلة الطيِّبة الكثيرة الشَّجر .=

وقالَ مزاحمُ بنُ ٱلحارثِ ٱلعُقيليُّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَنُنْعِمْ وَلاَ يُنْعَمْ عَلَيْنَا وَمَنْ يَقِسْ ... نَدَانَا بِأَنْدَىٰ مَنْ تَكَلَّمَ نَفْضُلِ
وَبِٱلْخَيْلِ مِنْ أَيَّامِهِنَّ وَشَبْوَةٍ ... وَدُهْرٍ وَمِنْ وَقْعِ ٱلصَّفِيحِ ٱلْمُصَقَّلِ

ومعناهُ : أَنَّنا نُفَضَّلُ بِٱلخيلِ وأَيَّامِها كمَا قالَ طُفيلٌ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَلِلْخَيْلِ أَيَّامٌ فَمَنْ يَصْطَبِرْ لَهَا ... وَيَعْرِفْ لَهَا أَيَّامَهَا ٱلْخَيْرَ تُعْقِبِ

وكانَ في دهرٍ وشبوةَ وقائعُ لبني عقيلٍ علىٰ بني تميمٍ ، وهما بينَ داريهما ، ذكرهُ ٱلبكريُّ في « معجم ما ٱستعجم » [٥٥٨/٢] وضبطه بالفتح وقال : إنَّهُ علىٰ لفظِ ٱسمِ ٱلزَّمانِ .

وقد سَبَقَ عنِ ٱبنِ ٱلأثيرِ أَنَّ شَبوةَ مِنْ حَضْرَمَوْتَ ، فدُهْرٌ مِنْ بابِ أَولىٰ ؛ لأَنَّهُ أَسفلُ عنها بكثيرٍ . ولَهُ ذِكرٌ في « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » [١٦٥] لابنِ ٱلحائكِ يأْتي في رخْية .

وفي دُهْرٍ أَكثَرُ مِنْ ثلاثِ مئَةِ رامٍ مِنْ آلِ بلْعُبَيدٍ[1] .

رَخْيَة[2]

وادٍ واسع ، في شِماله : ٱلمَخَارمُ ، وفي جنوبِه : سَهْوةُ .

قالَ ٱلهَمْدانيُّ : (مَنْ قَصَدَ حَضْرَمَوْتَ مِنْ بيحان وٱلسِّرو ودَثِينةَ . . فمخرجُهُ مِنْ بلدِ

= الرِّهام : المطر الضَّعيف الدَّائِم . وفي الرِّهام : أي بسبب هـٰذا المطر الدائِم ؛ حيث إنَّ (في) في اللُّغة العربيَّة لها عَشرة معانٍ ، منها : التعليل ؛ نحو : دخلت امرأةٌ النَّارَ في هرة حبستها . وهـٰذا البيت أنشدهُ في « اللِّسان » و« التَّاج » هـٰكذا بقافية ميميَّة . ولـٰكن البيت في « الدِّيوان » من قصيدة لاميَّة مؤلَّفة من ستِّين بيتاً ، مطلعها :

أَلَمْ تَلْمُمْ عَلَىٰ ٱلدِّمَنِ ٱلْخَوَالِي ... لِسَلْمَىٰ بِٱلْمَذَانِبِ فَٱلْقُفَالِ

وقافيتهُ في « الدِّيوان » : (في الرِّمال) . والمعنىٰ : إنَّ هـٰذا البرق الَّذي لمع في آخر اللَّيل جاءَ الصَّباح وقد استقرَّ علىٰ صخور هـٰذا البلد المسمَّىٰ : دُهراً . ومن شدَّة الخير الَّذي في هـٰذا البرق . . سالت الأراضي ذات الأشجار إلى الأراضي ذات الرِّمال . والله أعلم .

(١) وهم آل عمرو وغيرهم كما تقدَّم ، ومنهم جماعة يقال لهم : آل بادُهري . من آل هَمِيم .

(٢) وادي رخْيَة : يقع بين وادي عمد شرقاً ، ووادي دهر غرباً ، قال بامخرمة في « النِّسبة » : (الرَّخْيِيُّ نسبة إلىٰ رَخْية ـ بالفتح وسكون الخاء وفتح المثنَّاة من تحت ثمَّ هاء ـ قال القاضي مسعود : جهة عريضة =

. . . .

= ذات مزارع على المطر ، جبليّة ، وأشجارها عُلُوب ، وفيها بعض نخيل ، وسكّانها آل بلعبيد ، وآل شحبل وبعض من كندة) اهـ

وهٰذا الوادي يسيل من الجنوب إلى الشّمال ، ويفضي إلىٰ رمل الحزار الواقع جنوب ريدة الصّيعر ، وهو وادٍ مستطيل ، يساقي دهر وعرما ووادي عمد . وهٰذه أسماء أجزاءِ جبله الشّرقيّ المشرف عليه من أعلاه : ساني ، فعُمْقان ، فدمّت بن فريد ، فخُشْم متمّة ، فخُشْم قويرات ، فخشم الصُّدُوع بضمَّتين ، وهو خشم يمتدُّ إلى الغرب . وبالجانب الغربيّ من أسفل الوادي : الحسوة ، وبير عامر ، حيث الارتفاع : (٢٦٥٠) قدم ، وبالجانب الشّرقيّ : بئر حِدَيْجان حيث الارتفاع : (٢٦٠٠) قدم ، فبئر عاصم حيث الارتفاع : (٢٥٧٠) قدماً . وظهور جباله ـ أي سيطانه ـ فيها : الجَهَمَة ، بفتحات ـ من آل بلعبيد ، وآل سُمَيدع من آل عليٍّ . « الشّامل » (١٣٢) .

بلدان وادي رخية : أوّل بلد فيه من أعلاه : البُدَيعا : فيها آل لَحْوَل (الأحول) . ٢ـ الحُجَيل : فيها آل دُهر ، وآل زَوبَع بفتح الزّاي فسكون . ٣ـ دار الرُّقاب : فيها آل عليّ بن مُحَمَّد ، وآل باعِفَي ـ بكسر ففتح . ٤ـ لَعْمَق = الأعمق : لآل أحمد بن عمرو ، وكلُّ هٰؤلاءِ من الجهمة ، رئيسهم بامَزْعب . ٥ـ سَهْوة : أكبر قرية في وادي رخية ، سكّانها آل العموديّ ، وآل بفلح ، والمنصب في بيت الشّيخ عبد الله بن أفلح بفلح . ٦ـ مَرَاوِح : فيها آل بفلح . ٧ـ حصن آل عمر بن عليٍّ : الجهمة . ٨ـ حصون آل سعد : من آل سميدع . ٩ـ سلمون : فيها مقدَّم آل سميدع ، وحَرَث يقال لهم آل باقُسَيس . ١٠ـ حصن الشّرقي : لآل سميدع . ١١ـ حصن الجَيزة : بفتح الجيم ، لهم أيضاً . ١٢ـ قرية القرم : سكّانها آل الشّيخ بوبكر ، وفي مصنعتها : القراميش . ١٣ـ حصن الهجر : فيه القراميش . ١٤ـ لَنف = الأنف : في المصنعة . ١٥ـ بادِعام : سكّانه آل باعفي من آل هَمِيم ، وأخلاط من الحرّاثين . ١٦ـ الجدفرة : لآل بادعام من آل هميم . ١٧ـ لَعْمَق : فيه الكِسْران ، من آل بادعام ، وحرّاثون . ١٨ـ قرن طوع : سكّانه السّادة آل الشّيخ بوبكر . ١٩ـ نطَع : فيه آل الشّيخ بوبكر ، وحرّاثون . ٢٠ـ حصون آل عمرو : فيها آل عمرو . ٢١ـ روضاح : فيه آل بريك ، وآل غانم ، من آل حيدرة . ٢٢ـ عَلُوجة بفتح فضمٍّ ، فيها آل غانم ، وآل سالم ، وآل قُصَيِّر من آل حيدرة (قُصَيِّر : بضمٍّ ففتح فتشديد الياءِ) . ٢٣ـ صنا : فيها آل الشّيخ بوبكر ، وآل باعبّاد ، والمقدَّم بن سليم مقدَّم آل حيدرة ، وبيت الرِّئاسة لهم . ٢٤ـ القَرْقَر : فيها آل قَيران ، من آل حيدرة . ٢٥ـ حَنو : فيها آل طويل من آل حيدرة . ٢٦ـ الخرالب : أو الحجالب ، فيها آل غانم من آل حيدرة . ٢٧ـ النجدفرة : لآل حيدرة . ٢٨ـ عمقان : للسادة آل أحمد بن عيدروس آل الشّيخ أبو بكر ، وآل بَلَّيْث ، وحرّاثين . ٢٩ـ الخدود ، للبقّارة آل بلّيث . ٣٠ـ القبلي : لآل بلّيث ، وآل بليث عَزْوتهم وصريخهم هم وآل حيدرة والشّحابل . ٣١ـ منازل الشّحابل : آل حسين . ٣٢ـ نبَاع : فيها آل مساعد بن حسن ، منهم ، (أي : شحابل) ، وفيها مقدَّمهم مُحَمَّد بن جميل بن شَحْبل . ٣٣ـ شرج آل علي بن أحمد : شحابل . ٣٤ـ المخارم : فيها آل مظفر ، وآل عجيّان ـ بتشديد الياء ـ من آل شحبل . ٣٥ـ السِّيلة : =

مذحجٍ حتَّىٰ يصلَ إِلىٰ دُهرٍ ، وهوَ أَوَّلُ حَضْرَمَوْتَ مِنْ ذلكَ ٱلجانبِ ، وهوَ لِكندةَ ، وساكنُهُ تُجيبُ ، ثمَّ إِلىٰ وادي رَخْية ، وفيهِ قرىً ، مِنها : **صَمَعٌ** ، **وسور بني حارثة**)[1] .

وقالَ في موضعٍ آخَرَ : (وفي رَخْية دَرْبٌ يقالُ له : سُور بني نُعَيمٍ مِنْ تُجيب . ولَهم قرىً كثيرةٌ بوادٍ غيرِ ذلكَ ، وإِباضتُهُم قليلةٌ[2] ، وأَكثرُ ذلكَ في ٱلصَّدِفِ ؛ لأَنَّهُم دخلوا في حِمْيَرَ ، وتُجيبُ مِنْ ولدِ ٱلأَشرسِ ٱبنِ كِندةَ) اهـ[3] ولرَخْية ذِكرٌ كثيرٌ في أَخبارِ بدرِ بوطويرقٍ وغيرِهِ مِنَ « **ٱلأَصلِ** » .

ومِنْ أَكبرِ قُراها : صَنَا ، فيها جامعٌ .

وسُكّانُها : آلُ عيدروسِ بنِ عُمَرَ مِنْ آلِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ وآلُ باعبَّادٍ ، وآلُ حَيْدَرةَ ، يقالُ : إِنَّهُم مِنْ بني ظَنَّةَ[4] . يزيدُ عددُهُم عن أَربع مئَةِ رجلٍ . وقيلَ : لا يزيدونَ عن مئَتينِ .

وهُم فصيلتانِ : آلُ سالمٍ ، وآلُ غانمٍ ، يرجِعَانِ إِلىٰ رَوحٍ وهوَ جَدُّ آلِ تميمٍ ، فهُم وإِيّاهُم علىٰ رَجُلٍ واحدٍ .

وفي رَخْيةَ مِنْ آلِ بَلَّيث نحْوُ ثمانينَ رامياً .

وما أَظُنُّ ٱمرأَ ٱلقيسِ إِلاَّ جمعَ إِلىٰ رخيةَ وما حولها حيثُ يقولُ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

خَرَجْنَا نُرِيعُ ٱلْوَحْشَ بَيْنَ ثِفَالَةٍ وَبَيْنَ رَخِيَّاتٍ إِلَىٰ فَجِّ أَخْرَبِ

وقد وهمَ ٱلأَخفشُ في قولِهِ : إِنَّ جبيهاءَ ٱلأَشجعيَّ جَمَعَ رخَّةَ علىٰ رَخَيَاتٍ في قولِهِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

= لآل مُحَمَّد بن فارس بن شحبل . ٣٦ـ الخرشان : للشحابل ، أهل خيل وغارات . ٣٧ـ الغرفة : لابن مَرْبَش النَّهديّ . ٣٨ـ البوع : لآل حَذجان من نهد . اهـ من « الشَّامل » .

(١) صفة جزيرة العرب (١٦٥) .

(٢) قوله : (إباضتهم قليلة) أي : الَّذين من اعتنقوا مذهب الإباضيَّة الَّذي كان سائداً آنذاك قليل .

(٣) صفة جزيرة العرب (١٧٢) .

(٤) التحقيق كما في « الشَّامل » : أنَّهم من آل بلعبيد ، والله أعلم .

جَنُـوبَ رُخَيَّـاتٍ فَجِـزْعِ تُنَـاضُـبِ مَـزَاحِـفُ جَـرَّارٍ مِـنَ ٱلْغَيْـثِ بَـاكِـرِ

وقالَ ٱلبكريُّ : إِنَّما تستقيمُ لو كانَ ٱلواحدُ رخوةً أَو رخية .

ومنهُ يتبيَّنُ أَنَّهُ كامرىءِ ٱلقيسِ لا يريدونَ إِلاَّ رخيةَ هٰذهِ ، كما لا يريدُ بأخرب إِلاَّ خربةَ ٱلقمازين مِن نهدٍ ؛ فإِنَّ بينهَا وبينَ رخية بٱلتَّقريبِ مقدارَ أَربعِ ساعاتٍ .

ٱلمَخَارمُ[1]

هيَ في شِمالِ رَخْيةَ ، وكانت تحتَ فارسِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليِّ ٱلنَّهديِّ ، فأَخذَها منهُ ٱلسُّلطانُ بدرٌ بوطويرقٍ في سَنةِ (٩٤٥هـ)[2] ، وردَّها لأَهليها آلِ شَحْبلٍ ، وعدَدُهم نحوُ ٱلأَربعينَ .

وفي أَخبارِ سنةِ (٩٥٢هـ) : أنَّ ٱلسُّلطانَ بدرَ بُوطُويرقٍ تجهَّزَ لحربِ ٱلمشقاصِ في ستِّ خيلٍ إِلى ٱلرَّيدةِ ، ثمَّ تلاحقت بعدَهُ ٱلعساكرُ وٱلفرسانُ ؛ فمن آلِ شحبلٍ أربعةَ عشرَ فارساً . . . إلخ .

وآلُ شحبلٍ ثلاثُ فصائلَ ، وعددُهُم نحو ٱلأَربعينَ :

آلُ مظفّرٍ ، ومسكنُهُم ٱلمَخَارمُ . والمجَازِرَة ، ومسكنُهُم ٱلزِّبَارةُ . وآلُ عِجَيّان ، ومسكنُهُم حَسْوةُ . وٱلمخارمُ وآلُ مَطْعمٍ ـ ويقالُ لَهم : آلُ مساعدٍ ـ منهُم : آلُ حسينٍ ، غربيَّ نبَاع وغربيَّ ٱلمخارمِ . وآلُ عليِّ بنِ أَحمدَ ، حِصْنُهُم بينَ ٱلمخارمِ ونبَاع . وآلُ عبدِ ٱللهِ ، ومساكنُهُم بنبَاع ، وفيهِم كانت رئَاسةُ آلِ شحبل ٱلعامَّةُ . وآلُ شَحْبل مِنْ سَكُونِ كِندةَ[3] .

---

(١) المخارم : بلدة أَسفل وادي رخية ، كانت تمرُّ في حدودها القوافل الَّتي تأتي من شبوة . ومن العوالق إلىٰ قعوظة وشبام .

(٢) « تاريخ الشحر » لبافقيه (٢٥٥) .

(٣) ويقال : إِنَّهم من آل رَوْح من تميم ، من بني ظَنَّة . « الأدوار » : (٣٥٤) .

ومقدّمُ ٱلشّحابلةِ ٱلآن سالمُ بنُ يسلمَ . ومنهُمُ : ٱلشَّيخُ عوضُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ شحبل[1] .

نِعْـمَ ٱلْفَتَـىٰ فِـي سَـوَادِ ٱللَّيْـلِ نُصْـرَتُـهُ   لِبَـــائِـــسٍ أَو لِمَلْهُـــوفٍ وَمُحْتَـــاجِ

كانَ رئيسَ ٱلعربِ بالصُّولُو مِنْ بلادِ جاوة ، وكانَ مثالَ ٱلإنصافِ ، لَم يَشكُ حيفَهُ عدوٌّ ولا صديقٌ ، يُحبُّ ٱلإصلاحَ ، ويتمنَّىٰ رُقيَّ ٱلعربِ وتقدُّمَهُم ، ولَم يَزَلْ باذلَ ٱلجهدِ في ذلكَ بلا معينٍ ؛ لأنَّ جُلَّ ـ أو كُلَّ ـ ٱلعربِ ٱلحضرميّينَ نَفْعيّونَ مُغرضُونَ ، لا يتَّخِذُونَ ٱلجمعيّاتِ وأشباهَها ـ ممّا ظاهرهُ ٱلخيرُ ـ إلاَّ طريقاً إلى ٱلمَصالحِ وٱلأَغراضِ وٱلتَّشفّي ، وقد قالَ ٱلأَوّلُ [مِنَ ٱلطّويل] :

إِذَا أَلْـفُ بَـانٍ خَلْفَهُـمْ هَـادِمٌ كَفَـىٰ   فَكَيْـفَ بِبَـانٍ خَلْفَـهُ أَلْـفُ هَـادِمِ ؟!!

ومنهمُ ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ عبدِ ٱللهِ بن سالمِ بنِ شحبلٍ ، لهُ شهامةٌ ومحَبَّةٌ للخيرِ ، وهوَ ٱلآنَ في ممباسا مِنَ ٱلسَّواحلِ ٱلإفريقيَّةِ ، وبلغني أَنَّ جدَّ آلِ شحبلٍ كانَ بمريمة ، فضاقت بهِ لمَّا كَثُرت ثاغيتهُ[2] . . فَنَجَعَ إلىٰ وادي عمد ؛ لكثرةِ ما بها منَ ٱلمراعي ، وٱستقرَّ بالرَّحبِ مِنهُ .

ولا تزالُ بهِ بيرٌ تُدْعَىٰ : (شحبلة) إلى ٱليومِ .

ثمَّ نجعَ بعضُهم إلىٰ نباع ، وأَثْرَوا بها ، إلاَّ أَنَّهُ كانَ بها ثلاثةُ إخوةٍ ، وهم : مظفَّرٌ وجحدرٌ ومطعمٌ في حالةِ إملاقٍ ، وكانَ على ٱلمخارمِ وآلِ كثيري من يأخذُ منهم ٱلرُّبُعَ ويسومُهم فوقَ ذلكَ سوءَ ٱلعذابِ ، فجاءَ جماعةٌ منَ ٱلرَّعايا آلِ بافليعٍ وآلِ قنابٍ إلىٰ مظفَّرٍ وأَخويهِ ، وجعلوا لمن يقتل أَميرهم ما كانوا يعطونَهُ ، فكمَنوا لهُ ، وقتَله مظفَّرٌ ، فدفعوا لهُ ما كانَ يأخذُهُ منهم ذلكَ ٱلأَميرُ مدَّةً ، ثمَّ منعوه .

وفي أَعلىٰ رخيةَ مكانٌ يُقالُ لهُ : **لَعْمَق** ، فيهِ آلُ عفَي ، وهم منَ ٱلجَهَمَةِ ، يرجعونَ إلىٰ آلِ بلعبيدٍ ، لا يزيدُ رجالُهم عَن أَربعينَ .

---

(١) الشَّيخ عوض بن شحبل هـٰذا . . كان ـ كما ذكر المصنِّف ـ من الرِّجال المصلحين ، وكان مثقَّفاً ذكيّاً ، وله نشاطات كبيرة في المهجر ، ذكرها معاصره السيد سالم بن جندان رحمه الله .

(٢) أي : مواشيه .

ومكانٌ يُقالُ لهُ : **البديعة** ، علىٰ مقربةِ سهوة ، فيهِ آلُ لَحْوَلِ ، عدَدُ رجالِهم أربعونَ مِنَ ٱلجهمةِ آلِ بلعبيدٍ أيضاً .

وفي أعلىٰ وادي رخيةَ مكانٌ يقالُ لهُ : **قَرْنُ باشُرَيحٍ**[1] ، فيهِ عينُ ماءٍ ، وعليها نخلٌ وبساتينُ . وسُكّانُهُ ٱلقراميشُ[2] ، وفيهِ آلُ سميدعٍ .

وفي جنوبهِ : **سَلَمون** ، ٱلسّابقُ أَنَّها لآلِ سِمَيدع ، وعدَّةُ رجالِ ٱلمكانَيْنِ مِن آلِ سميدعٍ نحوُ ٱلخمسينَ .

سَهْوَةُ[3]

هيَ أَرضُ بلْعُبَيدٍ ، وفيها جامعٌ ، ومشايخُ مِنْ آلِ ٱلعموديِّ ، ومشايخُ مِنْ آلِ بَفْلَحْ[4] ، منهُم : ٱلشَّهمُ ٱلحرُّ ٱلكريمُ أحمدُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بفلح ، لَهُ رتبةٌ في ٱلعسكريَّةِ بحيدرآباد ، وشدَّةُ ٱختصاصٍ برئيسِ ٱلوزراءِ ٱلمذبذبِ بينَ ٱلبوذيَّةِ وٱلإسلامِ ، حتَّىٰ لقد زوَّجَ ذلكَ ٱلوزيرُ بعضَ بناتِهِ مِنَ ٱلبوذيِّينَ ، وبعضاً منَ ٱلمسلمين . ولما كنتُ بحيدر آباد في سنةِ (١٣٤٩هـ) . . خدمني ٱلشَّيخُ أَحمدُ بفلحٍ هـٰذا خدمة عن إخلاصٍ .

ولمّـا ٱشتـدَّ ٱلأذىٰ بـٱلعـموديّيـنَ مِـنْ عَسْكـرِ ٱلكسـاديِّ بـدَوْعَـنَ حـوالـي سَنـةِ (١٢٨٦هـ) . . ٱجتمعَ مَلؤُهُم بٱلشُّعبةِ عندَ ٱلشَّيخِ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ بدرٍ ، وحضرَ رؤساءُ ٱلمَشاجِرَةِ وأَتباعُهُم مِنْ مقادمةِ ٱلدَّيِّنِ وآلِ بلْعُبَيدٍ ، وأَصفَقوا[5] على ٱلقيادةِ ٱلعامَّةِ لِلشَّيخِ صالحِ بنِ عبدِ ٱللهِ صاحبِ بُضَهْ ، جدِّ ٱلمنصبِ ٱلحاليِّ ، فتحمّلَ

---

(١) وينطق بألف مُمَالة ، فيقال : باشْرَاح .

(٢) أي : آل القرموشي ، كانوا ضمن عساكر بدر بوطويرق ، منهم علي زايد القرموشي المتوفى بجدة سنة (١٤١٨هـ) تقريباً .

(٣) **سهوة** : قرية جنوب وادي رخية ، من مديريَّة القطن ، وهي أكبر قرية في وادي رخية .

(٤) ومن آل بفلح جماعة في سيئون نزحوا من سهوة المذكورة ، ولهم بيوت وعائلات في سيئون .

(٥) **أصفقوا** : أجمعوا .

ٱلكَلَفَ ، وباعَ أرضاً لَهُ واسعةً بسهوة هٰذهِ على ٱلشَّيخِ ٱبنِ عبدِ ٱلرَّبِّ ، وهوَ مِنْ آلِ صالحٍ ٱلعموديِّينَ بطريقِ ٱلعُهدةِ ٱلجاريةِ بحَضْرَمَوْتَ ، ولا يزالُ ٱلاختلافُ قائِماً بينَهُم مِنْ أَجلِ ٱلفكاكِ .

وكانَ عاقبةَ تلكَ ٱلحادثةِ : ٱنتصارُ آلِ ٱلعموديِّ على ٱلكساديِّ ، فطَرَدُوهُ مِنْ دوعنَ ، وأَخذوا مَدْفعَهُ ٱلَّذي لا يزالُ موجوداً بدارِ ٱلمنصبِ في بُضَهْ[1] .

ومِنْ بلادِ رخْيةَ : **عُلُوجَة**[2] ، فيها جامعٌ ومنزلٌ لِلضّيفانِ ، صدقاتُهُ مِنْ آثارِ ٱلحَبُوظيِّ[3] .

وفي رَخْيةَ جماعاتٌ مِنْ : آلِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ مِنْ أَعقابِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ . ومِنْ أَعقابِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ عمرَ ٱلمحضارِ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ . ومِنْ أَعقابِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ ٱلحامدِ . ومِنْ أَعقابِ أَخويهِ أَبي بكرٍ وعمرَ ٱبني ٱلحامدِ . وفيها مشايخُ كثيرونَ مِنْ آلِ ٱلعموديِّ ، وقد مرَّ في حَجْر أَنَّ بلادَ مَدُورَةَ ٱلواقعةَ بينَ لازِم وٱلسُّورِ كانت معمورةً ، إِلىٰ آخِرِ ما سُقناهُ هناكَ . وفيها بقيَّةٌ مِنْ آلِ أَبي نُعَيمٍ ، وجماعةٌ مِنْ آلِ حَيْدَرةَ يُقدَّرونَ بنحوِ مئَةِ رجلٍ .

وبينَ رَخْيةَ ووادي عَمْدٍ جبلٌ يقطعونَهُ صعوداً ونزولاً في نحوِ ستِّ ساعاتٍ .

سِدَّة باتَيْس[4]

بينَ رخْيةَ ووادي عَمْدٍ ، فيها خَمْسةَ عشرَ حِصْناً مبنيّاً مِنَ ٱلحجارةِ ، كلّ حِصْنٍ علىٰ سبعِ طبقاتٍ .

سُكّانُها : آلُ باتَيْسٍ ، وهُم فيها ، وفي نواحيها ، وفي وادي عَمْدٍ ، يُقدَّرونَ بأَكثرَ مِنْ ثلاثِ مئَةِ رامٍ ، يَخدمونَهُم مواليهِم ؛ لأَنَّ فيهِم كثرةً .

---

(١) ولا يزال هٰذا المدفع إلى اليوم قائماً جوار بيت منصب العمودي في بضة .

(٢) **عُلُوجة** : قرية في رَخْية ، بها آل غانم ، وآل سالم ، وآل قصيِّر من آل حيدرة .

(٣) قوله من آثار الحبوظيِّ . . أي من صدقاته الَّتي أوقفها على الأضياف في أكثر بلدان حضرموت .

(٤) آل باتيس من قبائل نعمان من حمير .

ورؤساؤُهم ٱليومَ : محمَّدُ بنُ خميسِ بنِ منصورِ بنِ أَحمدَ . وأَحمدُ بنُ سالمِ بنِ منصورِ بنِ أَحمدَ . وهُم أَهلُ نجدةٍ وضيافةٍ ودِينٍ ومروءَةٍ .

سَوْطُ آلِ سِمَيدَعْ[1]

هوَ في جنوبِ سِدَّةِ آلِ باتيس ، وهُم مِنْ آلِ نُعْمَانَ ، يَرجعونَ معَ آلِ باتيسِ إلىٰ رجلٍ واحدٍ .

يُقدَّرونَ بمئتَي رامٍ ، علىٰ ما كانتِ ٱلعربُ عليهِ مِنَ ٱلمروءَةِ ، وٱلشَّهامةِ ، وٱلوفاءِ ، وحُسنِ ٱلضِّيافةِ ، وأَمانِ ٱلجارِ .

وفي جنوبِهِم سوطُ آلِ بلْعُبَيدٍ ، يبلغونَ ٱلفَ رامٍ ، علىٰ رأْسِهِم : سالمُ بنُ ثابتٍ باهَيْصَمي .

وهُم قبائِلُ شتَّىٰ ، ولكلِّ قبيلةٍ منهُم رئيسٌ ، غيرَ أَنَّ سالمَ بنَ ثابتٍ هوَ ٱلشَّيخُ ٱلعامُّ لَهم[2] .

وادي عَمْدٍ[3]

قالَ ٱلشَّيخُ زمليُّ بنُ عمرِو بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلفهميُّ باحلوانَ في كتابهِ « رشيدةُ ٱلإِخوانِ » : (إِنَّ بني ٱلقينِ ٱلتَّغلبيِّينَ بطنٌ مِن قُضاعةَ ، سكنوا بوادي عمد مِن

---

(١) وآل سميدع في المهجر ، ومنهم جماعة بالسُّعوديَّة .

(٢) كان ذلك سنة (١٣٦٦ هـ) زمن تأليف الكتاب .

(٣) وادي عَمْد : غربيَّ دوعن ، منابعه من جبل شناع ومنطقة هينن ، ويمضي إلىٰ قرب حريضة ، ثمَّ خنفر ، والنُّعير ، وعَنَق ، والخميلة ، وينتهي في الصَّحراء غربيَّ كيدام بامسدوس .

وهو منطقة فقيرة وجافَّة عدا أجزاء منه في الجهة الجنوبيَّة ، حيث توجد أحراج النَّخيل ومزارع الذُّرة الَّتي تُسْقىٰ بماءِ السَّيل ؛ لأنَّ مياه الآبار لا يحصل عليها إلاَّ علىٰ عمق (٣٥٠) قدماً فأكثر . . وبهٰذه المنطقة آثار قديمة ، وعُثِر علىٰ معبد قرب حريضة في ريبون يسمَّىٰ معبد القمر ، وفيه دلالة علىٰ وجود عبادة وديانة قديمة في المنطقة . وأخذ من هٰذا المعبد رأس تمثال علىٰ شكل أسد يصدر زئيراً إذا دخلته الرِّيح ، أهداه السُّلطان عليُّ بن صلاح القعيطيُّ لبعثة أُوربيَّة ، وهو في أحد المتاحف في مدينة لندن بإنكلترا .

حضرموتَ ، فقيلَ لهُ : وادي قضاعةَ ، وعمد هوَ أَحدهم ، وهوَ أَوَّلُ مَن سكنَ ذلكَ ٱلوادي ، فَسُمِّي بٱسمهِ)اهـ

قد مرَّ في جَردانَ أَنَّ بينَهُ وبينَ وادي عَمْدٍ مسيرةَ ثلاثةِ أَيّامٍ ، وبعضهُم يقولُ : أَربعٌ ، وٱلأَمرُ يسيرٌ ؛ لأَنَّ ٱلسّيرَ وٱلمراحلَ على ٱختلافٍ .

ويُطلَقُ علىٰ وادي عَمْدٍ إِلى ٱليومِ وادي قُضاعةَ ، وهوَ لقبُ عَمرٍو[1] بنِ مالكِ بنِ مرّة بنِ زيدِ بنِ مالكِ بنِ حِمْيَر .

وتزعُمُ نُسَّابُ مُضرَ أَنَّ قضاعةَ هوَ ٱبنُ مَعَدِّ بنِ عدنانَ .

وقالَ ٱلهَمْدانيُّ في ٱلجزءِ ٱلأَوَّلِ مِنَ « الإِكليلِ » : (يمتنعُ ذلكَ لخصالٍ ؛ منها : أَنَّ حميرَ كانت أَعزَّ ٱلعربِ جميعِها ، وأَنَّهم كانوا ٱلملوك ٱلَّذينَ يدينونَ ٱلبلادَ ، ويقهرونَ ٱلعبادَ ، فلم يكونوا ليتركوا قضاعةَ بهٰذهِ ٱلحالةِ ـ وهم مِن غيرِ عبيدِهم ـ تسكنُ مأْربَ وصرواح وتَوَطَّنُها ، وهم بيضةُ ٱلعزِّ ، ودارُ ٱلمملكةِ ، وبقعةُ ٱلجنَّتينِ ، وذَكَرُ قحطانَ ، ووَسطُ ٱلإِقليمِ ، وكلُّ مَن ملكَ مِن حميرَ يَرى ٱلعالمَ عبيدَهُ ، وٱلعرَبَ جميعاً خَوَلَهُ . . . إِلىٰ آخرِ ما ذكر ، فتعيَّنَ أَنَّ ٱلصَّوابَ أَنَّهم مِن حِمْيَرَ) .

وفي حديثٍ أَخرجَهُ ٱلطَّبرانيُّ [طس ١/١١١] عن عقبةَ بنِ عامرٍ : « أَنْتُمْ مِنْ قُضَاعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِمْيَرَ » .

وفي آخَرَ أَخرجَهُ أَحمدُ عن عَمرِو بنِ مرَّةَ : « أَنْتُمْ مَعْشَرَ قُضَاعَةَ مِنْ حِمْيَر » .[2]

ويأْتي في ٱلضُّلَيعةِ أَنَّ سائِرَ قبائِلِ ٱلسَّوطِ مِن حِمْيَرَ ، وهوَ مناسبٌ لِما هنا ، وبهِ يتبيَّنُ كَذِبُ أَعشىٰ ثعلبةَ في قولهِ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

قَـالَـتْ قُضَـاعَـةُ إِنَّـا مِـنْ ذَوِي يَمَـنٍ ... وَٱللهُ يَعْلَـمُ مَـا بَـرُّوا وَلاَ صَـدَقُـوا[3]

ورأَيتُ في (ص ١١٠) مِنَ « ٱلشِّهابِ ٱلرَّاصدِ » أَنَّ : قُضاعةَ كانَ مالكاً لبلادِ

---

(١) وفي نسخة : (عمر) .

(٢) مجمع الزوائد (١/١٩٩) .

(٣) البيت في « البيان والتبيين » (١/٣٠٦) .

ٱلشِّحْرِ ، وأَنَّ قبرَهُ موجودٌ بجَبَلِها ، ومِنَ ٱلمعلومِ أَنَّ قُضاعةَ كانت بمأْرِبَ فتفرَّقتْ عنها بعدَ تفرُّقِ ٱلأَزْدِ ، فنجوعُها مِنها إِلىٰ هـٰذا ٱلوادي وما والاهُ مِنْ أَقربِ ٱلقريبِ .

وقالَ ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ : إِنَّما كانَ نُجوعُ قضاعةَ إِلىٰ وادي عمد أَواخرَ ٱلقرنِ ٱلسَّادسِ ، حينَما ماجَت حضرموتُ بٱلأَيُّوبيِّينَ ومواليهم ٱلغزِّ وٱلقبائلِ ٱلنَّاقلةِ إِليها ، ولا ٱختلاَفَ ؛ لاحتِمالِ تعدُّدِ ٱلنُّجوعِ كما ذُكِرَ عَن كِندةَ ، وٱلأَثبتُ ما سبقَ عَن باحلوانَ .

وذَكَرَ أَبو عليٍّ : (أَنَّ ثلاثةَ بطونٍ مِنْ قُضاعةَ ـ وهُم : بنو ناعبٍ ، وبنو داهنٍ ، وبنو رئَامٍ ـ كانوا متجاورينَ بٱلشِّحْرِ وحَضْرَمَوْتَ ، وكانَ ٱلشَّرُّ يَتَّقِدُ بينَ بني رئَامٍ وأَخويهِم ، فبيناً هُم غارّونَ في بعضِ أَفراحِهم . . إِذْ أَنذرتْهُم كاهنةٌ لهم ، يقالُ لَها : خويلةُ ٱلرِّئاميَّةُ[١] ، فحَذِرَ مِنْ كلامِها أَربعونَ فتحصَّنوا بشَعَفِ ٱلجبالِ[٢] ، وسَخِرَ بها ٱلباقونَ ، فصبَّحهُم بنو ناعبٍ وبنو داهنٍ فأَلقوا فيهِمُ ٱلسِّلاحَ حتَّىٰ أَبادوهُم ، وكانوا ثلاثينَ ـ كما يُعرفُ مِنْ شِعرِ خُوَيلةَ ٱلآتي ـ فلَم يَكُنْ مِنها إِلاَّ أَنْ قَطعتْ خناصرَهُم وٱنتظمَتْها قلادةً في جِيدِها ، وركبتْ إِلى ٱبنِ أُختِها مرضاوي بنِ سعوَةَ ٱلمهريِّ تستنجدُ بهِ ، وما كادت تصلُ بينَ يديهِ حتَّىٰ مثلتْ تنشدُ [مِنَ ٱلكامل] :

يَـا خَيْـرَ مُعْتَمَـدٍ وَأَمْنَـعَ مَلْجَـأٍ	وَأَعَـزَّ مُنْتَقِـمٍ وَأَدْرَكَ طَـالِـبِ
جَـاءَتْـكَ وَافِـدَةُ ٱلثَّكَـالَـىٰ تَغْتَلِـي	بِسَـوَادِهَـا فِـرْقَ ٱلْفَضَـاءِ ٱلنَّـاضِـبِ[٣]
هَـٰذِي خَنَـاصِـرُ أُسْـرَتِـي مَسْـرُودَةٌ	فِي ٱلْجِيدِ مِنِّي مِثْلَ سِمْطِ ٱلْكَاعِبِ[٤]

(١) ليس الأمر كذلك ؛ لأَنَّ خويلة الرِّئاميَّة من صميم بني رئَام ، وإِنَّما الكاهنة جارية لخُوَيلَة الرِّئاميَّة يقال لها : زَبْراءُ ، كما في « الأمالي » وانظر أيضاً تفصيل القصَّة في « جمهرة خطب العرب » (١/ ١١٠ـ١١٢) . والله أَعلم .

(٢) **شعف الجبال** : رؤُوسها .

(٣) **الوافدة** : رسولة القوم . **الثَّكالىٰ** : النِّساء اللاَّتي فقدن حبيباً أَو غالياً ، ابناً كان أَو غيره . **تغتلي** : تعلو . **الفِرْق** : الجبل . **الفضاءُ** : الأَرض الخالية . **النَّاضب** : البعيد . **والمعنىٰ** : جئتك نائبة عن هؤلاءِ النِّسوة اللاَّتي فقدن أَحبابهنَّ ، وقد علوت جبالاً في أَراضٍ خالية بعيدة . والله أعلم .

(٤) **مسرودة** : مجموعة واحد تلو الآخر . **سمط** : قلادة . **الكاعب** : الفتاة الَّتي كعب ـ بدا ـ نهدُها .

عِشْـرُونَ مُقْتَبَـلاً وَشَطْـرُ عَـدِيـدِهِـمْ ... صُيَّـابَـةٌ فِـي ٱلْقَـوْمِ غَيْـرُ أَشَـائِـبِ[١]
طَـرَقَتْهُـمُ أَمُّ ٱلـدُّهَيـم فَـأَصْبَحُـوا ... تَسْتَـنُّ فَـوْقَهُـمُ ذُيُـولُ حَـوَاصِـبِ[٢]
جَـزَراً لِعَـافِيَـةِ ٱلْخَـوَامِـعِ بَعْـدَمَـا ... كَانُوا ٱلْغِيَاثَ مِنَ ٱلزَّمَانِ ٱللاَّحِبِ[٣]
فَـأَبْـرِدْ غَلِيـلَ خُـوَيْلَـةَ ٱلثَّكْلَـى ٱلَّتِـي ... رُمِيَتْ بِأَثْقَلَ مِنْ صُخُورِ ٱلصَّاقِبِ[٤]

فحميَ أنفُهُ ، وقالَ :

أَخَـالَتَنَـا سِـرُّ ٱلنِّسَـاءِ مُحَـرَّمٌ ... عَلَيْنَا وَتَشْهَادُ ٱلنَّدَامَىٰ عَلَى ٱلْخَمْرِ[٥]
لَئِـنْ لَـمْ أُصَبِّـحْ دَاهِنـاً وَلَفِيفَهَـا ... وَنَـاعِبَهَـا جَهْـراً بِـرَاغِيَـةِ ٱلْبَكْـرِ[٦]

ثمَّ لَم يَزلْ يضربُ آباطَ ٱلإبلِ حتَّىٰ هَجَمَ برجالِهِ علىٰ بني ناعبٍ وبني داهنٍ ، ولَم يَنحجزْ[٧] عنهُم حتَّىٰ أَردىٰ ثلاثينَ) اهـ بٱختصار[٨]

وما حرصتُ علىٰ هـٰذهِ ٱلقصَّةِ إلاَّ لأنَّها تشمَلُ بقضاعة كثيراً مِنْ حَضْرَمَوْتَ ، ولا شكَّ أَنَّ ٱلمَهْرةَ منهُم .

---

(١) **المقتبل** : الشَّاب ، وكأنَّه استأنف شبابه . **شطر عديدهم** : نصف عددهم . **الصُّيَّابة** : الأَسياد في قومهم . **أشائب** : لعلَّها مقلوب شوائب ؛ أَي : اختلطوا بغيرهم . **ومعنى البيت** : هـٰذه خناصر ثلاثين شاباً من بني قومي ، وكلُّهم أَسياد من صميم النَّاس وليسوا من خلطائهم ؛ إذ ليس فيهم ما يعيبهم .

(٢) **أمُّ الدُّهيم** : المنيَّة . **تستنُّ** : تنشط . **ذيول حواصب** : ما تتركه الرِّيح الَّتي تحمل الحصباءَ من أثر يشبه الذَّيل في الرَّمل . **والمعنى** : أَتتهم المنيَّة فصيَّرتهم في حفرة تنشط فوقها الرِّياح .

(٣) **جَزَراً** : قطعاً سائغة للأكل . **العافي** : طالب الرِّزق . **الخوامع** : الضِّباع .

(٤) **الصَّاقب** : اسم جبل .

(٥) **سِرُّ النِّساء** : كناية عن إتيانهنَّ ، والمقصود أنَّه حرَّم علىٰ نفسه إتيان النِّساءِ ، والجلوس مع الندامىٰ في مجالس الخمر حتى يثأر لخالته .

(٦) **أُصبِّح** : أغزو في الصَّباح . **لفيفها** : جمعها . **ناعبها** : بنو ناعب . **جهراً** : عَلَناً . **الرَّاغية** : الرُّغاء وهو صوت الإبل وضجيجها . **البكر** : الفتيُّ من الإبل . **وراغية البكر** : مثل عربيٌّ يضرب في الشُّؤم يجلبه الإنسان علىٰ من سواه . **وأَصله** : أَنَّ قُدار بن سالف حينما عقر ناقة سيِّدنا صالح عليه الصلاة والسلام في قوم ثمود ، وكانت علىٰ وشك الولادة . . . خرج ابنها ـ بكرها ـ منها وصوَّت ورغا رُغاءً شديداً ، فأنزل الله عقابه عليهم .

(٧) **ينحجز** : يمتنع .

(٨) أمالي القالي (١/١٢٦) .

وقد مرَّ في ٱلدِّيسِ أَنَّ ٱلمناهيلَ وٱلحُمُومَ ويافعَ مِنْ حِمْيرَ بنِ سبأٍ . . فٱلأَمرُ متقاربٌ بعضُهُ مِنْ بعضٍ .

وفي « رشيدةِ ٱلإخوانِ » لباحلوانَ : (إنَّ عوبثَ وناعبَ ورِئاماً سكنوا بينَ حضرموتَ وٱلشِّحرِ ، وحالفوا قبائلَ ٱلمناهيل وصاهروهم) اهـ

وجاءَ في «صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ» لابنِ ٱلحائكِ : (أَنَّ لِبني رئَامٍ حِصْناً منيعاً لا يرامُ بعمانَ)[1] .

وقالَ ياقوتُ في « مُعْجَمِهِ » [٣/ ١١٠] : رِئَامُ موضعٌ يُنسجُ فيهِ ٱلوَشْيُ ، وقيلَ : رِئَامُ مدينةُ ٱلأَوْدِ[2] ، قالَ ٱلأفوَهُ ٱلأَوْديُّ [مِنَ ٱلكاملِ] :

إِنَّـا بَنُـو أَوْدِ ٱلَّـذِي بِلِـوَائِـهِ مُنِعَـتْ رِئَـامُ وَقَـدْ غَـزَاهَـا ٱلأَجْـدَعُ

وفي « ٱلقاموسِ » : (ورِئَامُ ككتاب ، بلدٌ لِحمْيَرَ) .

وقالَ ٱلهَمْدانيُّ في ٱلجزءِ ٱلثّامنِ [ص٦٦] مِنَ « ٱلإكليلِ » : (أَمّا رِئَامُ . . فإنَّهُ كانَ منسكاً[3] في رأسِ جبلٍ مِنْ بلدِ هَمْدان ، يُنسَبُ إلىٰ رِئَامِ بنِ نهفان بنِ تُبَّع بنِ زيدِ بنِ عَمرو بنِ همدانَ ، وحولَهُ مواضعُ كانتِ ٱلوفودُ تحلُّ بها ، مِنها : حرمةٌ) .

وبعدَ أَنْ أَطالَ في وصفِها قالَ : (ولا أَدري ، أَرِئَامَ هٰذهِ يعني ٱلأَفوهُ ٱلأَوديُّ بقولهِ ـ يعني ٱلبيتَ ٱلسّابقَ ـ أَم غيرَها مِنْ أَرضِ ٱليمنِ ؟ فإنْ يَكُنْ رِئَامُ لهمدان . . فٱلبيتُ لكهلان ، ورِئَام لهمدان ، وكانوا يَحجّونَهُ ، فسارَ لَهُ ٱلأَجدَعُ ـ ملكٌ مِنْ ملوكِ حِمْيَر ـ وهوَ تُبَّعُ ٱلأَخير ، وأَجدَعُ بنُ سودَان مِنْ ملوكِ هَمْدان أَيضاً ، وفيهِ يقولُ علقمةُ :

وَذا رِئَـامِ وَبَيْـنِـي فَـارِسٍ وَأَجْـدَعَ ٱلقَيْـلِ أَخَـا يَشْحُمَـا

ورِئَامُ قبيلةٌ مِنْ مَهرةَ مِنْ قُضاعةَ ، ويُمكنُ أَنْ يكونَ عناها) اهـ بلفظه ، وموضعُ ٱلشّاهدُ هوَ ٱلجزءُ ٱلأَخيرُ .

ووادي عَمْد بين جبلَينِ ، غربيٌّ وشرقيٌّ ، تتشعَّبُ منهُ طرقٌ تأخذُ واحدةٌ في ٱلغربِ

---

(١) « صفة جزيرة العرب » (٩٢) .

(٢) الأود : قبيلة مذحجيّة ، وهم بنو أود بن الصّعب بن سعد العشيرة بن مذحج ، اشتهر منهم الصّحابيُّ عمرو بن ميمون الأودي المتوفّى (٧٥ هـ) ، والشّاعر الأفوه الأوديُّ . ومساكنهم في دثينة من مديريّة لودر من أعمال أبين .

(٣) المنسك : الموضع الذي يعتاده الناس .

متشاملةٌ فتنتهي إلىٰ رَخْية ، وأُخرىٰ إلىٰ حَيْلَةِ باصُلَيبٍ ، ثمَّ تذهبُ إلىٰ جَردان .

وأَعلىٰ وادي عَمْدٍ وأَوّلُهُ :

ٱلخَمِيلةُ[١]

سكّانُها آلُ بايزيد ، وهُم مشايخُ ، كانَ منهُم علماءُ وصلحاءُ في سابقِ ٱلزَّمانِ .

وقالَ ٱلطَّيِّبُ بامخرمة : (هيَ قريةٌ علىٰ وادي عَمْدٍ ، بها فقراءُ صالحونَ ، يُطعِمونَ ٱلطَّعامَ ، يُعرفونَ بآلِ بايزيدَ ، تتَّصلُ خرقتُهُم إلىٰ أَبي مَدْينَ ٱلمغربيِّ . ذَكَرَ ذلكَ ٱلقاضي مسعودٌ) اهـ[٢]

وقولُهُ : (تتَّصلُ خرقتُهُم . . إلخ) لَن يكونَ ذلكَ ٱلاتِّصالُ إلاَّ بواسطةِ ٱلعلويِّينَ أَوِ ٱلعموديِّينَ . وفيها سُوقَةٌ ، وفيها جامعٌ ، وبيتٌ لِلضِّيفانِ مِنْ صَدَقاتِ ٱلحَبُوظيِّ . ثمَّ :

حَيْلَة باصُلَيبْ[٣]

وهُم قبائِلُ مَشَاجِرَة يحملونَ ٱلسِّلاحَ ، وما أَدري أَكانَ ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ سعيدٍ باصُلَيبٍ ، ٱلملقَّبُ بٱلرُّخَيلَةِ منهُم[٤] ، أَم لا ؟ فإنَّهُ تدَيَّر[٥] تريمَ ، ولِلشَّيخِ عبدِ

---

(١) يقال : إنَّ هـٰذه الخميلة تنسب للشَّيخ مُحَمَّد بايزيد ، لعلَّه من أَهل القرن التَّاسع ، أو العاشر ، ذكره الشَّوَّاف في « قصعة العسل » ، وحكىٰ أَنَّه من أَهل السِّرِّ والنُّور وكان من أهل الله البائعين نفوسهم وأموالهم في سبيل الله ؛ فقد تصدَّق بأعزِّ ماله ـ أَي ضياعه ـ علىٰ إطعام الضِّيفان القاصدين مكانه ، وكان له كرامات ؛ منها أَنَّ الفأر إذا أكل من طعامه . . مات حالاً ، وأَنَّ الحبوب في مخزنه لا تكاد تنفد ، ومخزنه دائماً مملوءٌ بالطَّعام ، كلَّما قصده ضيف . . وجد كفايته . « تاج الأعراس » (١/ ٦٤٠) .

(٢) « النسبة » (١٠٦ خ) .

(٣) وتنطق بألف فيقال : حالة باصْلَيب ، وآل باصُلَيب من قبائِل المشاجرة ـ واحدهم مشجري ـ من سيبان ، أحد بطون حمير الكبرىٰ . وهم أي المشاجرة أقسام وبيوت ، منهم : آل باعران ، بامَوْكَرَه ، بامَسْدُوس ، آل النقيب .

(٤) عليٌّ باصليب الرخيلة ، من كبار الصُّوفيَّة في زمنه ، له ذكر كثير في « الجوهر الشَّفَّاف » و« المشرع الرَّوِيّ » صحب الشيخ محمد بن علي مولى الدويلة ، وابنه السقاف ، وكان من أصحابه وإخوانه في الله : الشيخ العلامة محمد بن عبد الرحمـٰن باصهي الشبامي (ت٩٠٣هـ) ، الآتي ذكره في شبام . والرخيلة تصغير رَخْلة ، وهي صغار العنز .

(٥) تديَّر : سكن .

ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقّافِ أَخذٌ عنهُ ، ومعَ ذلكَ بقيَ لَهُ ٱتِّصالٌ أكيدٌ بٱلشَّيخِ ٱلإمامِ أَبي بكرِ بنِ عيسىٰ بايزيدَ ، ٱلسّاكنِ في وادي عَمْدٍ ، ٱلَّذي كانَ موجوداً بٱلقرنِ ٱلثّامنِ .

وكانَ هوَ وٱلمشايخُ ٱلأئِمَّةُ ـ : عمرُ بنُ سعيدٍ باجابرٍ ، ومزاحمُ بنُ أَحمدَ باجابرٍ ، وعبدُ ٱللهِ بنُ طاهرٍ ٱلدّوعنيُّ ، ٱلمتوفَّىٰ بٱلأَيسرِ ، علىٰ مقربةٍ مِنْ بلادِ ٱلدُّوفةِ ، كلُّ هـٰؤلاءِ ـ مِنْ أَقرانِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقّافِ .

وفي حَيْلَةِ باصُلَيبٍ جماعاتٌ مِنَ ٱلسُّوقةِ وٱلأَكَرَةِ .

ثمَّ **رِباطُ باكَوْبَل**[1] ، وسكّانُهُ مِنَ ٱلقرارِ ٱلمعروفِ شأْنُهُم بحَضْرَمَوْتَ ، وفيهِ جامعٌ .

ولَم أدرِ مَنْ هوَ باكوبل هـٰذا غيرَ أَنَّهُ جاءَ في ٱلحكايةِ (١٤٥) مِنَ « ٱلجوهرِ ٱلشَّفّافِ » ذِكرُ يحيىٰ بنِ أَبي كُربَل ، وهوَ مِنْ خدّامِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ باعلويٍّ . كما جاءَ في ٱلحكايةِ (١٥٤) منه أيضاً ذِكرُ باكُنْبل ، وهـٰذهِ ٱلأَلقابُ متقاربةٌ .

ثمَّ **قرنُ باظبي** . ثمَّ **مَخْية وٱلشَّرْقي** : لآلِ باتَيْسٍ ، نحو مئَةِ رامٍ ، وعندَهُم نحلٌ كثيرٌ جيِّدُ ٱلعسلِ ، وهُم على ٱتِّصالٍ بقبيلتِهم أَهلِ ٱلسِّدَّةِ ٱلسّابقِ ذِكرُها .

ثمَّ **خِرْبةُ باكَرْمَانَ** : فيها جامعٌ ، وسكّانُها مِنْ يافعٍ ٱلمتوالدينَ بها ، وسادةٌ مِنْ آلِ ٱلكافِ . منهُم بها أو بعمد : ٱلفاضلُ ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ سالمٍ[2] ، أَثنىٰ عليهِ شيخُنا ٱلمشهورُ في « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » بٱلفقهِ وٱلنَّباهةِ وٱلورعِ .

وقد زارَ سيِّدي ٱلوالدَ بمكانِنا ٱلمسمَّىٰ : (حوطةَ عَلَمِ بدرٍ) ، في يومِ ٱلإثنينِ (٢٠) شعبانَ سنةَ (١٣٠٨هـ) ، وحَصلَتْ منهُ ٱلإجازةُ وٱلإلباسُ لوالدي ولي

---

(١) كذا في الأصل ، وإنما هو باكوبن بالنون ، ولعل المؤلف لم يتحقق من ضبط الاسم واكتفى بالسماع ، فوقع في الاشتباه .

(٢) توفِّي الحبيب أحمد الكاف المذكور سنة (١٣١٤هـ) ، وكان مولده سنة (١٢٤٧هـ) ، طلب العلم ، وهاجر إلى الحرمين ، من شيوخه : الحبيب صالح العطَّاس ، والحبيب أحمد المحضار ، وكان ملازماً لشيخه العطَّاس حضراً وسفراً ، وتولَّىٰ إمامة جامع عَمْد ، ولقي في أسفاره عدداً من أهل العلم والصَّلاح ؛ منهم الشَّيخ العزب الدِّمياطي . وكان له أخ عالم من الصَّالحين اسمه مُحَمَّد ، توفِّي بمكَّة سنة (١٢٨١هـ) ، لهُمَا ذكر في « تاج الأعراس » .

وللشَّيخِ محمَّدِ بنِ شيخٍ ٱلدّثْنيِّ ، وكانت مذاكراتٌ علميَّةٌ شهيَّةٌ في ذلكَ ٱلمجلسِ ٱلشَّريفِ . هٰكذا وجدتُهُ بخطِّ ٱلدّثْنيِّ ٱلمذكورِ .

وفي « ٱلمواهبِ وٱلمِنَنِ » للسَّيِّدِ علويِّ بنِ أَحمدَ بنِ حسنٍ ٱلحدَّادِ : (أَنَّ ٱلسَّيِّدَ علويَّ بنَ محمَّدٍ ٱلكافِ ساكنَ وادي عمد وادي قُضاعةَ بحضرموتَ . . كانَ معَ سيِّدي ٱلوالدِ في ٱلمركبِ ٱلَّذي ٱنكسرَ بهم قريباً مِنَ ٱلقنفذةِ في سنة « ١١٥٧هـ ») .

وفي ٱلخِزْبةِ ٱلمذكورةِ جماعاتٌ مِنْ آلِ باكَرْمَانَ ، وهُم مشايخُ ، وعندَهُم أَوشابٌ[1] مِنَ ٱلرَّعايا[2] .

ثمَّ ٱلشُّعْبةُ[3] ، وهيَ بٱلوادي ٱلشَّرقيِّ ، وسُكّانُها آلُ ٱلعموديِّ ، مشهورونَ بكَرَمِ ٱلضِّيافةِ ، وفيها خِزانةُ كتبٍ للشَّيخِ ٱلعلاَّمةِ عمرَ بنِ أَحمدَ ٱلعموديِّ[4] ، ٱلمقبورِ

---

(١) الأَوشاب : هم الخليط من النَّاس .

(٢) ومن مشاهير رجال الخزْبة من السَّادة آل الشَّيخ أبي بكر : السيِّد الوليُّ الصَّالح ، الحبيب صالح بن محسن بن أحمد بن بوبكر بن عَبْد الله بن الحبيب صالح بن عبد الله الحامد ، ولد بالخِزْبة سنة (١٣١٣هـ) ، تلقَّى العلم في بلاده ، ثمَّ هاجر إلىٰ جاوة عام (١٣٣٤هـ) ، وسكن قرية تسمَّىٰ تانقول بجاوة الشَّرقيَّة ، واتَّصل بأكابر بني علويٍّ في جاوة ؛ كالحبيب عبد الله بن محسن العطَّاس ، ومن في طبقته ، وبنىٰ في التانقول مسجداً من كسب يديه ، ثمَّ بنىٰ مسجداً آخر سمَّاه : (رياض الصَّالحين) ، أهداه أرْضَه أحَدُ المواطنين . وكان منزلُه مفتوحاً على الدَّوام للأضياف ، وكان لا يخلو من أحد منهم ، ولا تخلو ساعة في يومه من زائر ، وكان يربي بعض اليتامىٰ عنده .
وكان مصلحاً ذا تأثير ونفوذ في عزائم المسؤولين .
توفِّي الحبيب صالح بن محسن بالتانقول سنة (١٣٩٦هـ) ، وله مواعظ ، جمعها تلميذه السيِّد مُحَمَّد بن عبد الله بن هود السَّقَّاف ، كما جمع بعض مناقبه .

(٣) وتُسمَّىٰ : شُعبة بامُحَمَّد ؛ لأنَّ آل العموديِّ الَّذين بها من نسل الشَّيخ مُحَمَّد بن عيسى العموديِّ . فيقال لهم : آل بامُحَمَّد . وفيها خزانة كتب الشَّيخ عمر بن أحمد العموديِّ . . الآتي ذكره .

(٤) هو الشَّيخ عمر بن أحمد بن مُحَمَّد بن عثمان بن أحمد بن مُحَمَّد بن عثمان بن عمر بن مُحَمَّد ابن الشَّيخ سعيد العموديُّ . . كان من أجلاَّءِ العلماءِ والفقهاء ، هاجر من بلده لطلب العلم ، واقتنىٰ كتباً كثيرة ، وكان عالماً ، وكذلك ابنه عبد الرَّحمـٰن ، ولد بقيدون هاجر إلىٰ مكَّة بعد أن ضاقت به بلاده ؛ لأنَّه ولي مشيخة قومه العموديِّين ، وألجؤوه إلى قضايا وأُمور فيها ظلم وسفك دماء ، فهرب منهم ، وتوفِّي في طريقه إلى القنفذة .

=

بِٱلقنفذةِ ، وفيها أَوشابٌ مِنَ ٱلرَّعايا .

ثمَّ **ٱلوَجْرُ** ، فيهِ نحو أَربعينَ رامياً مِنْ آلِ ماضي . ثمَّ **طَمْحَانُ**[1] ، فيها جامعٌ وبيتٌ لِلضِّيفانِ ، أَوقافُهُ منسوبةٌ لِلحبوظيِّ .

وفيهـا جمـاعـةٌ مِـنْ آلِ مـاضـي[2] ، ومِنهـا ـ حَسَبَمـا يقـالُ ـ أَبـو ٱلطَّمحـانِ

= * مكتبة آل العمودي بالشُّعبة : قال عنها السيِّد جعفر السَّقَّاف : (مكتبة آل العموديِّ في شعبة بامُحَمَّد ، بوادي عمد ، تنسب لعمر عثمان العموديِّ ، المتوفَّىٰ بالقنفذة عام (٩٤٧هـ) ، وكل كتبها مخطوطة ، ولمَّا كانت قبيلة آل العموديِّ مسلَّحة خلال الوجود الاستعماريِّ . . فقد منع رجالها المسلَّحون الضُّبَّاط والمستشرقين الإنكليز من زيارة هـٰذه المكتبة ، فتميَّزت عن غيرها من المكتبات ، وقد نقلت كتبها إِلىٰ عاصمة المديريَّة حريضة لتُضَمَّ إِلىٰ كتب مكتبات حريضة) اهـ

وقد زار السيِّد جعفر هـٰذه المكتبة مرَّتين ، الأُولىٰ بمصاحبة البعثة السُّوفيتيَّة من معهد الاستشراق بلينِنغراد ، في الفترة ما بين (١٧/ ٤ و١٢/ ٥/ ١٩٧٤م) . والثانية بمصاحبة لجنة المخطوطات من (١١/٢٧ إلى ٣/ ١٢/ ١٩٧٤م) .

ومن النفائِس الَّتي كانت بهـٰذه المكتبة علىٰ ما بلغني . . أَنَّ بها نسخة نفيسة من « تحفة المحتاج » لابن حجر ، إِمَّا بخطه ، أَوْ عليها خطُّه ، ومئات غيرها .

وفي « الشَّامل » : أَنَّ الشَّيخ عمر بن أحمد خرج أَوَّلاً من قيدون إِلى الشُّعبة ، ثمَّ هاجر من حضرموت بعد ذلك بالكلِّيَّة ، وكذلك ابنه الشَّيخ عبد الرَّحمـٰن .

ثمَّ قال : (وأَمَّا كتبهم . . فبقيت في الشُّعبة في موضع يقال له : الخزانة ، ولهم تنافس عليها ؛ حتَّىٰ لا يفتحها أحد إِلاَّ بحضور الجميع ، وليس تنافسهم حرصاً على العلم أو الكتب ، ولـٰكنَّه تنافس مبنيٌّ على التَّسامي بينهم ، وعلى اعتقاد غير صحيح ، وقد عاثت الأَرَضة في تلك الكتب حتَّىٰ أتلفتها .

ولمَّا جئت إِلى الشُّعبة سنة (١٣٢٦هـ) أو (١٣٢٧هـ) . . فتحوها لي ، وقام منهم ثلاثة متقاطرون ، يأخذ أحدهم الكتاب فيناوله الآخر ، ثمَّ يناولنيه الثَّالث ، وممَّا رأيته : « حسن النجوىٰ فيما لأهل اليمن من الفتوىٰ » جمعه الشَّيخ عبد الرَّحمـٰن ، وكتاب في « الأذكار » و« شرح البهجة » بخطٍّ جميل ، وعليه تقريرات الشَّيخ عبد الله بن الحاج بافضل ، و« شرح الدَّميري على المنهاج » ، ولعلَّ الأرضة قد أتلفت بعض أجزائه ، وهو الَّذي يقال إِنَّ الشيخة العالمة الفقيهة خديجة بنته ـ أي الشيخ عمر ـ قد نسخته ، وقالت في آخرها : ليعذرني من وجد فيه سقطاً أو غلطاً ؛ فإِنِّي نسخته وأنا مرضع أو كما قالت) اهـ

(١) **طَمْحَان** : بفتح فسكون ففتح .

(٢) آل ماضي من بني هلال من كندة ، وهم أصلاً من جردان علىٰ قول ، وعلىٰ قول آخر : إِنَّهم من الجعدة ، هاجر جدُّهم من البويرقات ، إِلى وادي عمد ، وبيوتهم : آل طيف ، آل بن سويدان ، آل مرْساف ، آل بن عقيل ، آل منيف ، آل مَرْعي ، آل مسلَّم . « البكري » (٢/ ٩٤ـ٩٥) .

ٱلقَيْنِيُّ[1] ، ويتأكَّدُ بما سبقَ أنَّ بني ٱلقينِ أوَّلُ مَن سكنَ وادي عمدٍ ، مِن قضاعةَ ، وقد ترجَمَ له في « رشيدةِ ٱلإخوانِ » ، وصرَّحَ بولادتِهِ في حضرموتَ بوادي قُضاعة مسكنِ بني ٱلقين ، وذَكَر أنَّهُ أصابَ دماً في قومِهِ فهربَ إلىٰ دِيار فزارة مستجيراً بمالك بن سعدٍ ٱلفزاريِّ . . فأجارَهُ وأكرمَ مثواهُ إلىٰ أن توفِّي .

وقد ذكرتُ ما أخرجَهُ صاحبُ « ٱلأغاني » مِنْ خبرهِ معَ قيسبةَ بنِ كلثومٍ ٱلسّكونيِّ في « **ٱلأصلِ** » .

وفيها ٱلآنَ شيخٌ شهمٌ مِنْ آلِ ٱلعموديِّ ، يقالُ لَهُ : أحمدُ ٱلأشرمُ ، تزوَّجَ بمخلَّفةِ ٱلسَّيِّدِ عيدروسِ بنِ حسنِ بنِ محمد بنِ إبراهيمَ بلفقيه ، وقد جَرَتْ لَها قصَّةٌ ، حاصلُها :

أنَّ ٱلسَّيِّدَ عيدروسَ هٰذا كانَ غائباً ، ففُقِدَ وٱنقطعَ خبرُهُ ، ففسخَتْ نكاحَها منهُ ؛ لِتعذُّرِ ٱلنَّفقةِ فسخاً صحيحاً ، أمضاهُ قاضيهِمُ ٱلسَّيِّدُ ٱلعلاَّمةُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدٍ ٱلمُسَاوَىٰ ، ٱلمتوفَّىٰ بشُقْرة ، وٱقترنَتْ بأحدِ آل عمرَ بنِ جعفرٍ ٱلكثيريِّينَ بقيَّةِ ٱلدّولةِ ٱلبائِدةِ ، ولمّا بنىٰ بها . . هجمَ عليهِم آلُ شملانَ وٱنتزعوها منهُ عَنوةً بغيرِ مبرِّرٍ شرعيٍّ ، سوىٰ أنَّهُم قالوا : إنَّ كثيراً مِنْ أبنائِنا غائبونَ ولا يُنفِقونَ علىٰ زوجاتِهِم ، وبٱنفتاحِ هٰذا ٱلبابِ ينجمُ شرٌّ كبيرٌ .

وأنا كثيراً ما أنْعَىٰ على ٱلمتعصِّبينَ مِنَ ٱلفُقَهاءِ تشدُّدَهُم في مَنْعِ ٱلفسخِ ؛ لأنَّ ٱلدِّينَ يُسرٌ لا حرجَ فيهِ ، ولَنْ يُشادَّهُ أحدٌ إلاَّ غَلَبَهُ ، وقد جاءَ في « ٱلغُنيةِ » لسيِّدي ٱلإمامِ ٱلعارفِ بٱللهِ ، شيخِ ٱلشُّيوخِ ، ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱلقادرِ ٱلجيلانيِّ أنَّ : (لِلمرأةِ ٱلفسخَ بعدَ مضيِّ ستَّةِ أشهُرٍ لغيبةِ زوجِها) وهو قريبٌ مِنْ مذهبِ سيِّدنا عمرَ بنِ ٱلخطّابِ رضي الله عنه .

---

(١) اسم أَبي الطَّمحان : حنظلة بن الشَّرقي ، أحد بني القين بن جسر بن شيع الله . مولده سنة (٧) من الميلاد النَّبويِّ ، وأسلم ، وكان كثير الأسفار إلى الحجاز ونجد ، وكان صديقه الزُّبير بن عبد المطَّلب . كان موصوفاً بلطف العشرة وخبث اللِّسان ، وكثرة الهجاء ، وغير ذلك . وجنىٰ جناية في أُخريات أيَّامه ، فهرب إلىٰ ديار فزارة مستجيراً بمالك بن سعد الفزاري ، أحد بني شمخ ، وظلَّ عنده حتَّىٰ مات سنة (٣٠هـ) . « تاريخ الشُّعراءِ » (١/ ٣٧ـ٤٠) ، وفيه نماذج لشعره .

وإلىٰ جانبِ طَمْحَان : ٱلمكانُ ٱلمسمَّىٰ جاحز[1] : وفيهِ يسكنُ آلُ عمرَ بنِ جعفرٍ[2] ٱلمذكورونَ ، وآلُ جنيدٍ مِنَ ٱلمشايخِ آلِ باوزيرٍ .

ثمَّ جِبْرِهْ : قريةٌ صغيرةٌ لآلِ ماضي ، لا مَسْجِدَ بها ![3]

ثمَّ بلدُ عَمْد[4] ، وفيها آلُ ٱلعطّاسِ ، منهُمُ : ٱلإمامُ ٱلكبيرُ صالحُ بنُ عبدِ ٱللهِ ، ٱلمتوفَّىٰ بها في سَنةِ (١٢٧٩هـ) ، وولداهُ ٱلكريمانِ ٱلصّالحانِ : عمرُ بنُ صالحٍ ، ومحمَّدُ بنُ صالحٍ[5] ، وٱبنُ أخيهِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ .

وفيها[6] جماعةٌ مِنْ آلِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ ؛ مِنهمُ ٱلسَّيِّدُ ٱلعظيمُ ٱلشأنِ صالحُ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلحامد ، ومنهمُ ٱلصَّالحُ ٱلسَّليمُ ٱلبالِ حسينُ بنُ محمَّدٍ ٱلمتوفَّىٰ بها

---

(١) جاحز ـ بجيم وحاءٍ مهملة .

(٢) وهم من آل عبد الله ، سلالة عيسىٰ بن بدر بوطويرق ، سكنوها بعد تقلُّص نفوذ آل كثير في حضرموت . وسيذكر بعضهم في حورة لاحقاً .

(٣) وقد صار بها مسجد بعد زمن المؤلف .

(٤) وبهٰذه البلدة سمِّي الوادي كلُّه بوادي عَمْد .

(٥) الحبيب صالح بن عبد الله ، كان من أكابر أعيان العلويِّين في القرن الثّالث عشر ، وتمام نسبه : هو صالح بن عبد الله بن أحمد بن عليِّ بن محسن بن حسين بن عمر العطّاس ، توفِّي سنة (١٢٧٩هـ) ، كما ذكر المصنِّف ، وقد كُتِبَت في سيرته ومناقبه الكتب ، منها ما كتبه ابن أخيه السيِّد أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله العطّاس ، ومنها ما كتبه وحبَّره وزاد فيه على السَّابق ، وجعله موسوعة تاريخيَّة هامَّة : السيِّدُ العلاَّمةُ الفقيه المسند عليُّ بن حسين العطّاس ، المتوفَّىٰ بجاكرتا سنة (١٣٩٦هـ) ، وهو الكتاب المسمَّىٰ « تاج الأعراس علىٰ مناقب الحبيب صالح بن عبد الله العطّاس » ، يقع في مجلَّدين قريب من (٢٠٠٠) ألفي صفحة ، مطبوع .

وتوفِّي ابنه مُحَمَّد بن صالح في (١٠) شعبان سنة (١٣١٨هـ) ، وتوفِّي عمر بن صالح في رجب سنة(١٣٣٦هـ) ، وهما من مشاهير رجالات القرن الرَّابع عشر ، ولهما سيرة عطرة ، وأخلاق مشتهرة ، رحمهم الله أجمعين .

(٦) السادة آل المساوى ينسبون للسيد الشريف : أحمد مساوى بن عبد الرحمـٰن بن عبد الله بن عبد الرحمـٰن بن الحسين ابن الشيخ عبد الرحمـٰن السقاف . ومنهم جماعة بجاوة ، من أبرز أعلامهم : السيد محسن بن علي مساوى ، المتوفى بمكة سنة (١٣٣٩هـ) ، مؤسس « المعهد الديني » بمكة ، وهم غير آل المساوى الموجودون بسيئون الذين منهم الأديب محمد بن شيخ (المساوى) ؛ فإن هـٰؤلاء ينسبون لأحمد بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرحمـٰن السقاف . اهـ

سنة (١٣٠١هـ) ، لهُ أخبارٌ عجيبةٌ ؛ منها : أَنَّهُ أعلمَ والي عدن في طريقِهِ إلى ٱلحجِّ بأَنَّهُ واصلٌ ، وطلبَ منهُ أن يلاقيَهُ . . فلاقاهُ إلىٰ أثناءِ ٱلطَّريقِ علىٰ عادةِ ٱلحضارمةِ معَ ٱلمناصبِ ، وأهدىٰ لهُ طُرْفاً وكمِّيَّةً مِنَ ٱلرُّبِّيَّاتِ .

وهُم مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ عيدروسِ بنِ سالمِ بنِ عمرَ بنِ ٱلحامدِ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ[1] .

وممَّنْ يسكنُ عَمداً ٱلسَّادةُ آلُ مساوىٰ ، ومنهم : ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدٍ ٱلسَّابقِ ذِكرُهُ ، ومنهُمُ ٱلسَّيِّدانِ عُمَرُ وأَحمدُ ٱبنا هاشمٍ ٱلمساوىٰ ، لطيفانِ ظريفانِ ، راويتان لأَشعارِ ٱلقبائلِ وزوامِلِهم ، توفِّي أَوَّلُهما بعمد في حدودِ سنةِ (١٣٤٨هـ) ، وٱلثَّاني بعدهُ بسنةٍ .

وعلىٰ مقربةٍ من عمد إلىٰ شمالِهِ قريةٌ يُقالُ لها : حِبَبْ ، يسكنُها آلُ شَمْلان[2] ، وٱلمقدَّمُ فيهِم : عوضُ بنُ سعيدِ بنِ شَمْلان .

وفيها لفيفٌ[3] مِنَ ٱلسُّوقةِ ، وبها جامعٌ ومنزلٌ لِلضِّيفانِ مِنْ آثارِ ٱلحَبُوظيِّ .

ثمَّ ٱلنُّعير[4] ، فيهِ سادةٌ مِنْ آلِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ وآلِ ٱلعطَّاسِ[5] ، ومشايخُ يقالُ لَهم : آلُ باحُسَينٍ[6] . وقبائِلُ يقالُ لَهم : آل لَجْذَمْ ، مِنَ ٱلجَعْدةِ . وفيها جامعٌ .

---

(١) المتوفَّىٰ بعينات سنة (١١٧٠هـ) ، وقبره في مشهد جدِّه عمر بن الحامد ، قال عنه في « الشجرة » : (كان فاضلاً وليّاً صالحاً ، ذا سيرة حسنة ، قائماً بمنصب جدِّه الحامد) اهـ

(٢) آل شملان سكان وادي عمد هـٰؤلاء ، هم من الجعدة .

(٣) لفيف : جمعٌ .

(٤) ويوجد بهـٰذا الاسم جبل في تريم ، يعرف بشعب النُّعير ، كان يتعبَّد فيه الإمام الفقيه المقدَّم . سيأتي ذكره .

(٥) من السَّادة آل العطَّاس من بلدة النُّعير : الحبيب عمر المثنَّىٰ بن عمر بن مُحَمَّد بن عمر بن مُحَمَّد بن عقيل بن عبد الرَّحمـٰن العطَّاس ، ولد بالنُّعير ، ودفن بها ، أخذ عن الحبيب صالح بن عبد الله العطاس بعمد ، توفِّي سنة (١٢٩٣هـ) ، وله أخ يسمَّىٰ أحمد ، من الآخذين عن الحبيب صالح العطاس .
ـ ومن آل الشَّيخ أَبي بكر : السيِّدان هادي ومحسن ابنا عليٍّ بن أبي بكر .

(٦) من آل باحسين هـٰؤلاء : الشَّيخ مُحَمَّد بن عبُود باعبَّاس باحسين ، كان مقيماً بأرض الهند .
ومنهم : حسن بن سالم باحسين ، **ومنهم** : أحمد بن سعيد بن عليٍّ باحسين ، **ومنهم** : الشَّيخ عُبُود بن مُحَمَّد باحسين ، **ومنهم** : عُبُود بن حسن باحسين ، **ومنهم** : الشَّيخ العارف عبَّاس بن عبد الله=

ثمَّ عَنَق ، فيها سادةٌ مِنْ آلِ العطّاسِ ، منهُمُ الآنَ : السَّيِّدُ محمَّدُ بنُ عبدِ الله الهادي ، لَهُ يدٌ في إصلاحِ ذاتِ البَيْنِ .

وفيها ناسٌ مِنْ آلِ الشَّيخِ أَبي بكرٍ ؛ منهُمُ : السَّيِّدُ الصّالحُ محمَّدُ بنُ محسنٍ[1] ، المتوفَّىٰ بها في سَنةِ (١٣٠٢هـ) ، وفيها حرّاثونَ ، ولها ذِكْرٌ في التَّاريخِ[2] .

ثمَّ مَنْخُوب : قريةٌ صغيرةٌ في فمِ الوادي ، وهيَ مرعىً خصيبٌ للبهائِمِ ، وإليهِ كانَ يرسلُ الحسينُ ابنُ الشَّيخِ أَبي بكرٍ بخيلهِ للرَّعيِ ، والقريةُ المذكورةُ لآلِ باسِبَيْت ، ونحو ثلاثين رامٍ مِنْ آلِ عامرِ بنِ عليٍّ الجعيديِّين .

ثمَّ الرِّحْبُ ـ بكسرِ الرَّاءِ ـ وسُكّانُهُ مِنَ القَرارِ ، وفيهِ جامعٌ ، وبيتٌ لِلضّيفانِ مِنْ أَوقافِ الحَبُوظيِّ ، وفيهِ مشايخُ مِنْ آلِ بامَسَق وآلِ حَاجب ، وسُوقةٌ .

ثمَّ خَنْفَر[3] ، وفيهِ سادةٌ مِنْ آلِ الحبشيِّ ؛ منهُمُ : الإمامُ العظيمُ العلاّمةُ عيسىٰ بنُ محمَّدِ بنِ أَحمدَ الحبشيُّ[4] ، المتوفَّىٰ بها في سَنةِ (١١٢٥) ، لَهُ عقبٌ منتشرٌ بالرِّحْبِ والرِّيدةِ وسَرْ وعَنَق والغُرْفة .

= باحفص باحسين وهناك غيرهم . هـٰذا ما أفاده صاحب « تاج الأعراس » (١/ ٦٨٦ـ٦٨٧) .

(١) هو الحبيب ، الصَّالح العارف : مُحَمَّد بن محسن بن أحمد بن عليٍّ بن عبد الله بن عليٍّ بن سالم بن عمر بن الحامد ابن الشَّيخ أبي بكر . قال عنه في « الشَّجرة » : كان سيِّداً فاضلاً ، عالماً متخلِّقاً بأخلاق حسنة ، عاملاً منيباً ، خاشعاً متواضعاً ، متقشِّفاً زاهداً ورعاً ، من أهل اليقين والمعرفة ، والأولياء الصَّالحين ، وكان دأبه تعليم الأطفال القرآن العظيم والعلم ، وله مقام باللَّيل دائماً من نحو نصف اللَّيل ، توفِّي بعنق سنة (١٣٠٢هـ) اهـ .

(٢) وممَّن سكن عنق ومات بها : السيِّد مُحَمَّد بن حسين بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحمـٰن بن عيسىٰ بن مُحَمَّد بن أحمد الحبشيُّ ، أخذ عن الحبيب صالح ، والحبيب محسن بن حسين ، وعمر بن هادون آل العطَّاس . كان من أهل الورع ، حُكِي أَنَّ بقرة له ندَّت عليه ، وأكلت من أرض بعض النَّاس ، فلم يشرب لبنها (٤٠) يوماً ، وكان يحلبه في تلك الأرض ، طرق يوماً باب الحبيب صالح . . فخرج يهرع إليه ، قال الحبيب صالح لبعض خواصِّه : سمعت هاتفاً يقول : تحت بابك صدِّيق ، فخرجت أفتح . . فإذا مُحَمَّد بن حسين واقفاً .

(٣) تبعد خنفر عن شبام مسافة (٩٩كم) في النَّاحية الغربيَّة الجنوبيَّة منها .

(٤) الحبيب عيسىٰ بن مُحَمَّد بن أحمد الحبشيُّ ، لعلَّ مولده بالغرفة أو سيئون ، وكانت وفاته بخنفر سنة =

وفي كلامِ ٱلحبيبِ أحمدَ بنِ عمرَ سميطٍ أَنَّ جلوسَهُ في وادي عمدٍ كانَ بإشارةِ شيخِهِ عمرَ بنِ عبد ٱلرَّحمٰنِ ٱلعطَّاسِ .

وفي « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » : (أَنَّ بِخنفرَ جماعةً مِنْ ذرّيَّةِ ٱلشَّيخِ عمرَ بنِ عليٍّ بنِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقّافِ) .

ومِنْ صلحاءِ خنفر : ٱلشَّيخُ ٱلفقيهُ ، ٱلأَجَلُّ ٱلورعُ ، ٱلفاضلُ ، محمَّدُ بنُ عبدِ ٱللهِ باحارثٍ ، توفِّيَ بها سَنَةَ (٨٨٤هـ) .

وذَكرَ ٱلطَّيِّبُ بامخرمةَ خنفراً[1] بٱليمنِ مِنْ أَرضِ أَبينَ : (وهيَ قاعدتُها ، وبها جامعٌ حَسَنُ ٱلبناءِ ، جيِّدُ ٱلعمارةِ . ومِئْذنتُهُ طويلةٌ ، وهيَ أُعجوبةٌ .

وكانَ بها فقهاءُ صالحونَ ؛ منهُمْ : ٱلشّحبليُّ .

وفيها متصوِّفةٌ يُسمَّونَ ٱلبَرْكانيِّينَ ، يَدُهُم للشَّيخِ مور بن عمَر بنِ ٱلزغبِ ، وكانوا يُسافرونَ بركبِ ٱليَمنِ مِنَ ٱلشِّحْرِ وأَحور وأَبين وٱلجبلِ جميعهِ وتهامةَ جميعِها ، ويزورونَ قَبْرَ ٱلنَّبيِّ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ وصحبةَ ٱلصّوفيِّ ٱلبركانيِّ[2] ، ويعودُ

= (١١٢٥هـ) ، كان كثير التنقُّلات ، أخذ عن الحبيب عمر بن عبد الرَّحمـٰن العطَّاس ، وكان أوَّل اجتماع له به في الرَّخْب سنة (١٠٥٨هـ) ، وذرِّيَّته كثيرة منتشرة .

(١) خنفر هـٰذه الَّتي تكلَّم عنها بامخرمة . . غير تلك الَّتي في وادي عمد ، وما دام أنَّ المصنِّف أورد عنها شيئاً من المعلومات هنا . . فلنكمل ما ابتدأه . خنفر : مدينة خاربة ، كانت قائمة في سفح جبل خنفر ، الواقع وسط سهل أبين ، بين وادي بنا ووادي حسان . وهي مدينة اكتسبت شهرة تاريخيَّة كبيرة ؛ فقد كانت قبل الإسلام مركزاً عسكريّاً ، وتعرَّضت للخراب مرات . وفي أواخر القرن الثَّالث الهجريِّ تمركز في خنفر الملك عليُّ بن الفضل الخنفريُّ ، ومنها شنَّ غاراته على الملك عليِّ بن أبي العلاءِ الأصبحيِّ الحميريِّ ، وسلبه مملكته الَّتي كانت تشمل مخاليف لحج وأَبين والسَّروين وحضرموت . أمَّا اليوم : فقد قامت مكانها مدينة جعار ، وأصبح اسم خنفر يطلق علىٰ مديريَّة من مديريَّات محافظة أَبين ، وتشمل عدَّة بلدان : المسيمير ، شقرة ، المخدومي ، أحور ، خمور ـ وهي غير الَّتي في حضرموت ـ حوطة المدارك ، حصن بلعيد ، المخزن .

(٢) هو الشَّيخ الصَّالح مُحَمَّد بن مبارك البركنيُّ أبو عبد الله ، كان من كبار المشايخ الصَّالحين ، أرباب المناصب ، كان يتولَّى السَّير بالقافلة إلىٰ مكَّة ، كما يفعل الشَّيخ أحمد بن موسىٰ بن عجيل ، ولم يكن يعترضه القطَّاع ، وله كرامات ، توفِّي بخنفر ، وله بها ذرِّيَّة . « الشَّرجي » (٣١٣ـ٣١٤) .

بٱلزّائرِ وٱلواقفِ قفولاً[1] كما يخرجُ عن بلدهِ . ذَكَرَ ذلكَ ٱلقاضي مسعودٌ علىٰ ما كانَ في زمنهِ ، أمّا ٱليومَ . . فإنَّها خرابٌ ، ٱستولىٰ عليها ٱلبدوُ مِنَ ٱلهياثمِ وٱلعوالقِ وآلِ أيُّوبَ وغيرهم مِنْ داعيةِ ٱلفسادِ ، وٱنتقلَ ٱلبركانيُّونَ ٱلَّذينَ كانوا بها إلىٰ وادي لحجٍ .

وفي عصرنا هـٰذا ـ وهوَ سنةُ (٩٢٨هـ) ـ تطرَّقَ فسادُ ٱلبدوِ إلىٰ وادي لحجٍ ، وخَرِبَ أكثرُها وغالبُ قُراها بسببِ ٱلتفاتِ ٱلدَّولةِ إلىٰ جَمْعِ ٱلحطامِ ٱلفاني ، وعَدَمِ ٱعتنائِهم بمصالحِ ٱلمسلمينَ ، فٱللهُ يختم بخيرٍ) اهـ[2]

ومِنْ موضعٍ آخَرَ منهُ يقولُ : (إنَّ ٱلهياثمَ[3] هُم سلاطينُ دَثِينةَ ، وٱلمقدّمُ فيهِم لِعهدهِ : حيدرةُ بنُ سعودٍ وولدُهُ محمَّدٌ ، لا أسعدَهُمُ ٱللهُ) اهـ

وأخبرني جماعةٌ مِنَ ٱليافعيِّينَ أنَّ خنفرَ هـٰذهِ كانت ملكاً للسُّلطان عيدروسٍ ٱليافعيِّ ، فٱستأجرَتْها حكومةُ عدن لمدَّةِ أربعِ سنينَ ، ولمَّا مَضت . . طَلَبَ ٱرتفاعَهُم ، فطلبوا ما أنفقوا ، وقَدَّروهُ بسبعينَ ألفَ ربيَّةٍ هنديَّةٍ فدفعها ، ثمَّ عادوا بعد سنتينِ محاربينَ ، وقُتِلَ ضابطٌ إنكليزيٌّ وأربعةٌ من يافعٍ ، وٱستولَوا على ٱلأرضِ إلى ٱليومِ .

الجدفره : فيها ناسٌ مِن آلِ ٱلعطَّاسِ ، وثلاثةُ بيوتٍ مِنَ ٱلجعدةِ .

ثمَّ **سراواه** : وفيها ناسٌ مِنَ ٱلجعدةِ يُقالُ لهم : آل عِلي ـ بكسرِ ٱلعينِ ـ وكانت لهم قَبْوَلَةٌ حارَّةٌ ، لا يزالونَ يتناشبونَ ٱلشَّرَّ معَ جيرانِهم آلِ ٱلجدفرةِ وآلِ هلابي ، وفي أشْهَر لقياتِهم قُتلَ مِنَ ٱلطَّرفينِ أكثرُ مِن ثمانيةٍ بمكانٍ يُقالُ لهُ : **باوردان** ، مِن ضواحي ٱلرَّحب ، فصارَ مضربَ ٱلمَثَلِ في ٱلتَّهلُكةِ ، فيقالُ : فلانٌ وقعَ في حفرةِ باوردان .

ثمَّ **لفحون**[4] ، وسُكَّانُها آلُ هِلاَبي وآلُ عفيفٍ مِنَ ٱلجَعْدةِ[5] ، وفيها جامعٌ ومنزلٌ

---

(١) **القفول** : الرُّجوع من السَّفر .

(٢) النسبة (١٠٦/خ) .

(٣) وهم محل الشّاهد في سوق هـٰذا الكلام .

(٤) والجاري على الألسن أنَّها : نفحون بالنُّون .

(٥) وهم كثرة ، ولهم موضع بوادي عمد ، يسمَّىٰ سيلة آل هلابي ، وهي في شمال شرق الجدفرة وقرن المال .

لِلضِّيفانِ مِنْ آثارِ ٱلحبوظيِّ[1] ، وفيها مصرعُ ٱلحبيبِ عمرَ بنِ حسينِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلعطَّاسِ .

ثمَّ **ٱلرَّحمُ** ، فيه آلُ حميدٍ مِنَ ٱلجعدةِ ، تُقَدَّرُ رُماتهمُ ٱليومَ بأَربعينَ ، فيهِ مسجدٌ ، وللضَّيفِ في بيوتِهم سعةٌ .

ثمَّ **زَاهِرْ بَاقَيْس**[2] ، وفيها جامعٌ ومنزلٌ لِلضِّيفانِ مِنْ آثارِٱلحَبُوظيِّ ، وفيهِ آلُ باقيسٍ ، منصبُهُم : ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ أَحمدَ باقيسٍ . وكانَ بناءُ زاهر هـٰذهِ في سَنةِ (٧٣٦هـ)[3] .

ثمَّ **قَرْنُ ٱبنِ عَدْوَان** ، فيهِ مشايخُ مِنْ آلِ باوزيرٍ ، منصبُهُم : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ سعيدٍ . وفيهِ جامعٌ ومنزلٌ لِلضِّيفانِ مِنْ جملةِ صدقاتِ ٱلحَبُوظيِّ .

---

(١) ومن أَعيان نفحون من السَّادة الأَشراف : السيِّد الحبيب : عمر بن عبد الله بن حسين بن عمر بن حسين بن عمر العطَّاس ، ولد بنفحون ، وتوفِّي بمكة في محرم سنة (١٣٣١هـ) . ينظر : « تاج الأعراس » (١/٧٠٧ـ٧٠٩) .

(٢) لعلَّ بلدة الزَّاهر هـٰذه هي أَصل منبت آل باقيس ، ومنهم جماعة في نفحون ، وجماعة آخرون في حلبون ، والقويرة ، وغيرها من البلدان ، وقد هاجروا مع من هاجر إِلى الحجاز ، ولهم في جدَّة مجتمع كبير ، وهم يعملون في التِّجارة ، ولاسيَّما تجارة القماش والبزِّ ، وفيهم أفاضل أخيار ، وسيأتي ذكرهم في حلبون .

(٣) كما في « تاريخ شنبل » (١١٩) ، وعبارته : (وفيها ـ أي سنة (٧٣٦هـ) ـ بنيت قرية زاهر بوادي عمد) اهـ ، ولا تعرف إِلاَّ بنسبتها إِلىٰ آل باقيس ، فيحتمل أن يكونوا هم الَّذين بنوها ، ويحتمل أَنَّها عرفت بهم لأنَّهم كثرة بها .

ومن أعلام آل باقيس سُكَّان الزَّاهر : الشَّيخان مُحَمَّد وعبد الكبير أبنا الشَّيخ عبد الكبير باقيس ، من أَهل القرن الحادي عشر . ومنهم : الشَّيخ الصَّالح ، المشارك في الخيرات والفضائل ، صالح بن أَحمد بن عبد الكبير باقيس ، وليد الزَّاهر ودفينها ، كان حافظاً لكتاب الله تعالىٰ ، فقيهاً في الدِّين ، كريماً مضيافاً ، محبّاً لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ومنهم : الشَّيخ الكريم ، العابد المستقيم ، مُحَمَّد بن عبد الكبير بن عبد الله بن أَحمد بن مُحَمَّد بن عبد الكبير باقيس ، ولد بالزَّاهر ، وهاجر إِلىٰ جاوة ، وتوطَّن بلدة عمفنان بجزيرة البالي ، ومارس التِّجارة .

وينسب آل باقيس إِلىٰ كندة ، ويقال : إِنَّهم من ذرِّيَّة الأشعث بن قيس ، وقد ناقش العلاَّمة علويُّ بن طاهر الحدَّاد هـٰذه المقولة ، وبيَّن أَنَّ ذرِّيَّة الأشعث ليس من المحقَّق كونها في حضرموت . ينظر : « الشَّامل » (١٥١ـ١٥٢) .

وفيهِ آلُ أَحمدَ بنِ عليٍّ مِنْ قبائِلِ ٱلجَعْدةِ[1] ، ويقالُ للجَعْدةِ : مُرَّةُ ، إمّا نسبة إِلىٰ مرَّةَ بنِ زيدِ بنِ مالكِ بنِ حميرَ ـ وهو كما سَبَقَ جدُّ قضاعةَ ـ وإمَّا إلىٰ أَحدٍ مِنْ ذرّيَّةِ قُضاعَةَ ، يقالُ له : مُرَّةُ .

وقيلَ : إنَّهم مِن مُرَّةَ بنِ أُددِ بنِ زيدِ بنِ يشجبَ بنِ عمرِو بنِ زيدِ بنِ كهلانَ ، ومُرَّةُ هـٰذا أَخو ٱلأَشعرِ وطيِّءٍ ومذحجٍ ، وهوَ جدُّ كِندةَ ٱلثَّالثُ ؛ لأَنَّ كِندةَ هوَ كندةُ بنُ عفيرِ بنِ عديِّ بنِ ٱلحارثِ بنِ مُرَّةَ بنِ أُددٍ .

وفي ٱلجزءِ ٱلأَوَّلِ مِنَ « ٱلإكليلِ » للهَمْدانيِّ [٢٠٣ـ ٢٠٤] : (أَنَّ مُرَّةَ بنَ حِمْيَرَ بطنٌ ؛ منهم : ربيعةُ ذو مَرحبِ بنِ معدي كَربَ بنِ ٱلنُّعمانِ ، القَيْلِ بحضرموتَ ، وهوَ ٱلَّذي أَنجدَ ٱلحارثَ بنَ معاويةَ بنِ مالكِ بنِ معاويةَ بن عوفِ بنِ حريمٍ ٱلجُعفيَّ ـ ٱلملقَّبَ بٱلأَسعرِ ـ علىٰ قتلهِ أَبيهِ ، وأَعطاهُ فرساً مِن رباطهِ يقالُ له : المعلَّىٰ ، وراشَهُ بٱلجند وٱلسِّلاحِ ، ولهُ خبرٌ طويلٌ .

قالَ أبو نصرٍ : فأَولد ربيعةُ ذُو مرحبِ بنُ معدي كربَ بنِ ٱلنَّضرِ حليلاً وذا ٱلمسوحِ .

وقالَ غيرُهُ مِن علماءِ ٱليمنِ : أَولد مُرَّةُ بنُ حميرٍ عمراً وربيعةَ ، فأَولدَ ربيعةُ ٱلأحولَ وذا ٱلمسوحِ . وٱلكليبيُّونَ وأَهلُ ٱلمسجلِ يقولونَ : إنَّهُ مسروحٌ .

وأَولدَ عمرُو بنُ مرَّةَ قبائِلَ بحضرموتَ ، مِنها دخلت في مهرةَ بنِ حيدانَ ، ومِنهُم ٱلعجلانُ ، وإليه تُنْسَبُ ٱلعجلانيَّةُ بحضرموتَ : ذو أصبح ، وذو ٱلنَّعرينِ)اهـ

وهُم[2] قَبَائِلُ كثيرةٌ ؛ منهُم : آلُ هِلاَبي ، وآلُ غَانِمٍ ، وٱلمَرَاضِيح[3] ، وآلُ شَمْلانَ ، وآلُ لَجْذَم ، وٱلرّوامضةُ ، وآلُ ٱلشَّيبةِ ، وآلُ عامرِ بنِ عليٍّ ، وآلُ سليمانَ بنِ عليٍّ ، وآلُ أَحمدَ بنِ عليٍّ .

---

(١) مفردهم : جعيدي ، وهم كثرة في حضرموت والمهاجر .

(٢) أي : الجعدة .

(٣) الواحد منهم يقال له : بن مرضاح .

والصّقرةُ[1] ، ومساكنُهُم : نَفْحُون ، والسَّيلةُ ، والجذفِرةُ ، وسِرَاواه ، وحَدّ عَنَق ، والبِطَيخ ، والنُعَير ، وتبْرِعة ، وعَمْد ونواحيها .

ومِنْ أعمالِ وادي عمد : حُرَيضة[2] .

قال الحبيبُ أحمدُ بنُ حسنٍ العطّاسُ في « سفينتهِ » : (قالَ الطَّيِّبُ بامخرمةَ في كتابهِ « نسبةُ البلدانِ » : سُمِّيتْ حُرَيضةُ باسمِ قبيلةٍ مِنْ حِمْيَرَ ، ويَسكنُها السَّكونُ مِنْ كندةَ) اهـ

ولعلَّ هـٰذا النقلَ عنِ الطَّيِّبِ من غيرِ مادةِ حريضة ؛ أمَّا فيها . . فلم يزد علىٰ قولِهِ : (حريضةُ بالكَسرِ ، كضدِّ الجبرِ ، أسفل مِنْ وادي عَمْدٍ ، مقابلةٌ لعندلٍ) اهـ[3]

وقولُهُ : (بالكَسْرِ) يعني الصِّقعَ الآتي ذِكرهُ ، وفيهِ تسامحٌ ؛ لأَنَّ الأَكثرَ عدَّ حريضةَ في عَمْدٍ لا في الكَسرِ .

وقد فَهِمَ بعضهُم مِنْ قولِهِ : (بالكَسرِ) أَنَّهُ يريدُ كسرَ الحاءِ مِنْ حُرَيضة ، وليسَ كذلكَ .

ومِنْ كتابِ باشُكَيل : (أَنَّ آلَ عليِّ بنِ سالمٍ آلَ حُرَيضةَ مِنْ بني يزيدَ بنِ معاويةَ بنِ كندةَ) .

وقالَ بعضهُم : إنَّ حُرَيضةَ مصحَّفةٌ عن قُرَيضةَ ، ودلَّلَ علىٰ ذلكَ بأَنَّها كانت مَسْكَنَ اليهودِ قَبْلَ البعثةِ بأَربعِ مئةِ سَنةٍ .

---

(١) ويقال لهم : آل باصقر ، ويقال : إنَّهم ليسوا من بني مرَّة ، وإنما هم من الشُّموح من سيبان ، والله أعلم .

(٢) حريضة : بضمٍّ ففتح ، مدينة ومركز إداري جنوب غرب شبام ، أسفل وادي عمد ، وهي عاصمة مديريَّة دوعن . ومن قرىٰ وادي حريضة : الهجرين ، عندل ، نفحون ، المنيظرة ، شرج آل علي بن سالم من كندة . وتوجد شمال حريضة خوَّة أسطوانيَّة الشَّكل ، يقال لها : بئر غمدان ، ينزل فيها بدرج طويلة ، كل درجة بقامة إنسان . وممَّن ينسب إلىٰ حريضة : الفقيه يعقوب بن صالح الحريضي ، كان من أعيان الشِّحر في القرن العاشر ، وهو أحد الشُّهداء السَّبعة الَّذين قتلوا في حادثة غزو البرتغال للشِّحر سنة (٩٢٩هـ) .

(٣) نسبة البلدان (خ ٨٩ـ٩٠) .

ومِنْ « دِشْتَة » وُجِدَتْ بزاهِرِ باقَيسٍ : (وحريضةُ كانت تُسمَّىٰ قُرَيضةَ ، تَرِدُ إليها ٱلقوافلُ مِن صَنعاءَ ومأْرِبَ ، وكانت بها أَسواقٌ ، وهيَ مِنْ بلادِ عادٍ ٱلقديمةِ) .

وفي بعضِ مذكَّراتِ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ : (أَنَّ حُرَيضةَ كانتْ ذاتَ جاهليَّةٍ صمَّاءَ ، وطاغوتيَّةٍ عَمْياءَ ، وكانت لليهودِ قَبْلَ ٱلنُّبوَّةِ ، فأَسلَموا بكتابه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، ثمَّ ٱرتدّوا إلى ٱليهوديَّةِ ، وبقوا عليها إلىٰ زمانِ ٱلمهاجرِ أَحمدَ بنِ عيسىٰ ، فأَسلَموا علىٰ يدهِ وحَسُنَ إسلامهُم ، وإنَّما بقيتْ لَهم نَزَغاتٌ يُحييها ٱلجهلُ ويُطفِئُها ٱلعِلْمُ)[١] . نقلَهُ ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ ، وٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ أَحمدَ بامشموسٍ ، مِنْ « مناقبِ ٱلحبيبِ عمرَ بنِ عَبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلعطَّاسِ » .

وجاءَ في كلامِ ٱلحبيبِ عمرَ بنِ حسنٍ ٱلحدّادِ : (أَنَّ ٱلحبيبَ عمرَ ٱلعطَّاسَ كانَ كآبائِهِ في ٱلنُّسكِ ، فأَشارَ عليهِ شيخُهُ ٱلحبيبُ حسينُ ٱبنُ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ أَنْ يرحلَ إلىٰ حُرَيضةَ ليُعلِّمَ أَهلَها[٢] ؛ علَّهُم يُفيقونَ ممَّا هُم عليهِ مِنَ ٱلجهلِ وٱلغِلْظةِ ، وقالَ له : لَو أَعلمُ أَحداً أَجْفىٰ منهُم . . لَبعَثْتُكَ إليهِم ، فسارَ إلىٰ هناكَ ، وأَلْفاهُم علىٰ جاهليَّةٍ جهلاءَ ، يَبيتونَ مختلِطينَ رجالاً ونساءً علىٰ ما يُسمُّونَهُ ٱلظَّاهري[٣] ، فلَم يَسَعْهُ إلاَّ أَنْ دخلَ فيهِم ، وجَعَلَ يُلقي عليهِمُ ٱلأَراجيزَ في أَلعابِهم ، ثمَّ أَشارَ عليهِم بعَزْلِ ٱلنِّساءِ عنِ ٱلرِّجالِ ، وما زالَ يتدرَّجُ في نُصحِهِم وإرشادِهم ـ كمؤْمنِ آلِ فرعونَ في ترتيبِ دعوتهِ لقومهِ ـ حتَّى ٱنكفُّوا عنِ ٱلعاداتِ ٱلسَّيِّئَةِ ، وأَقبَلوا على ٱلدِّينِ وٱلصَّلاةِ بفضلِ هـٰذهِ ٱلسِّياسةِ وٱلرِّفقِ) اهـ بمعناهُ

وقد تكرَّرَ هـٰذا في كلامِ ٱلحبيبِ عمرَ بنِ حسنٍ ٱلحدَّادِ ، ولاحظَ عليهِ سيِّدي أَحمدُ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ : أَنَّ ٱلحبيبَ عمرَ بنَ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ لا يقولُ ٱلشِّعْرَ . . فلعلَّهُ ٱلحبيبُ عليُّ بنُ حسنٍ ؛ لأَنَّهُ ٱلشّاعرُ ٱلَّذي لا يُدافَعُ ، ولـٰكنَّهُ لا يُمكنُ أَنْ يكونَ

---

(١) نزغات : وَسْوَسات وتحريك للإفساد بين النَّاس .

(٢) مولده باللسك سنة (٩٩٢هـ) ، سنة توفِّي الشَّيخ أبو بكر بن سالم ، وهي قرية من عينات . ولا زال بيته بها معلوماً .

(٣) الظَّاهريُّ : رقصة كان يفعلها البادية ، تضرب فيها الهواجر ـ جمع هاجر ـ وهي الطُّبول الكبيرة ، ويرقص علىٰ دقَّاتها الرِّجال والنِّساءُ ، وهي من الألعاب الَّتي يولع بها البدو ، ومثلها : الشرْح .

ٱلحبيبَ عليَّ بنَ حسنٍ ؛ لأنَّهُ لَم يوجَدْ بَعْدُ[1] ، ولَئِنْ لَم يَكُنِ ٱلحبيبُ عمرُ شاعراً . . فلعلَّهُ كانَ راويةً .

ولَم يَزَلْ ناشراً ٱلدَّعوةَ إلى ٱللهِ بحريضةَ ، صابراً على ٱلمشقَّاتِ ٱلهائِلةِ ، حتَّىٰ لقدِ ٱستقلَّ ٱلقطبُ ٱلحدَّادُ شأنَ نفسهِ لمَّا رأىٰ ما كانَ عليهِ ٱلحبيبُ عمرُ بنُ عَبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلعطَّاسُ مِنَ ٱلمجاهَداتِ وٱلكَلَفِ وٱلمشقَّاتِ[2] .

توفِّيَ ٱلحبيبُ عمرُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلعطَّاسُ بحُرَيضةَ ، سَنَةَ (١٠٧٢هـ) .

قالَ في « شَمْسِ ٱلظَّهيرةِ » [٢٤٩ـ٢٥٣] : (لَهُ تسعةُ بنون : مشيّخ[3] ، وشيخ ، وشيخ ، ومحسن ، وعليٌّ . . ٱنقرَضوا . وعبدُ ٱللهِ ، لَهُ عقبٌ بعَنَقْ ، والجِذْفِرةِ ، ولَحْرُومِ ، وجَاوة ، وبهَان . وعَبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ، عقبهُ بحُرَيضةَ ، وجاوةَ ، وٱلهندِ ، ولَحْرُوم ، وَسالم ، عقبهُ بٱلصَّيقِ قُرْبَ حريضةَ ، وسَدْبة ، وكَيرْعَان ، وٱلجُبَيل ، ومَوْشَح ، وٱلهند ، وباكُلْنقَان ، وكاتي دار ، وفُلْفُلان . وحسينُ بنُ عمرَ[4] ، ولَهُ ثمانيةُ بنون : منهُم : محسنٌ[5] ، عَقِبُهُ بحُرَيضةَ . ومنهُمُ : ٱلسَّيِّدُ ٱلفائِقُ علىٰ أَهلِ

---

(١) ولد الحبيب عليُّ بن حسن سنة (١١٢١هـ) ، بعد نحو خمسين سنة من وفاة جدِّه الحبيب عمر بن عبد الرَّحمـٰن .

(٢) الكَلَفُ : بمعنى الصبر والمعاناة في العرف الحضرمي ، وليس المقصود هنا المعنى اللغوي .
وممَّا يذكر من سعة أخلاق هـٰذا الإمام . . أنَّه رُزق بمولود ، فجاءَه أهل حريضة يهنِّئونه بالهادف الجديد ، وغاب منهم شخص لاحظ الحبيب عمر غيابه ، فسأل عنه ، فقيل : إنَّه قد ولدت له أتان . . ولم تبارك له علىٰ ولادتها فهو آخذ في خاطره عليكم لهـٰذا السبب ، فقال لأصحابه : هلموا بنا نبارك له في نتاجه الجديد ، وذهب ومعه بعضهم إلىٰ ذلك الرَّجل ، فما كان من الرجل إلا أن استحىٰ من نفسه لمَّا رأى الحبيب عمر يأتي إليه يبارك له في حماره ، وهو لا يبارك له في مولوده . . وبهـٰذه الأخلاق والنَّفسيَّات العالية . . ساد أُولئك الأقوام ذوو الحسب النَّبوي ، والخلق المصطفوي ، عليهم سلام الله .

(٣) في المطبوع من « شمس الظهيرة » (١/٢٤٩) : شيخ وشيخ وشيخ ، ثلاثتهم باسم واحد .

(٤) توفي عبد الله سنة (١١٥٠هـ) ، وعبد الرحمن سنة (١١١٦هـ) ، وسالم سنة (١٠٨٧هـ) ، وحسين سنة (١١٢٩هـ) ، ولجميعهم ترجمة في « القرطاس » إلا الأول .

(٥) توفِّي بحريضة سنة (١١٤٨هـ) ، ودفن بمشهد والده ، له ترجمة في « بهجة الفؤاد » .
ومن أَبناءِ الحسين أيضاً : عمر ، توفِّي بنفحون ، وأحمد توفِّي (١١١٠هـ) بأحور ، وحمزة=

زمانهِ في ٱلعلومِ، ٱلحريصُ علىٰ تقييدِ ٱلفوائِدِ وسيرةِ ٱلسّلفِ، أَحمدُ ٱلبصيرُ بنُ حسنٍ[1].

ومَنَاصِبُها الآن ـ أَي : في سَنَةِ (١٣٠٧هـ) ـ حسنُ بنُ عبدِ ٱللهِ[2] والدُ أَحمدَ ٱلمذكورِ ، وزينُ بنُ محمَّدٍ[3] ، شريفانِ كريمانِ قائمانِ بعاداتِ سلفهِم . ومنهُم : طالبٌ ، عَقِبهُ بحريضةَ ، ومنهُمُ : ٱلإمامُ ٱلخليفةُ أَبو بكرِ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ طالبٍ[4] ، ٱلمتوفَّىٰ بها سَنةَ (١٢٨١هـ) اهـ بٱختصارٍ .

وقد أَخذتُ أَنا عنِ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ بنِ حسنٍ ، وٱمتدحتُهُ ورثيتُهُ بقصيدتينِ توجدانِ بمحلِّهِما مِنَ « ٱلدِّيوانِ » [٣٨٨ و٣٩١] .

وكثيراً ما حدَّثَنا ٱلشَّيخُ ٱلجليلُ حسنُ بنُ زينِ بنِ عوضٍ مُخَدَّم ، عن شيخهِ ٱلعلاَّمةِ ٱلجليلِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ ٱللهِ بأُمورٍ عجيبةٍ عن مُشَاهدَةٍ ، ولٰكن أَخبرني جماعةٌ آخرُهُمُ ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ عوضٍ شيبانَ : أَنَّ ٱلسَّيِّدَ عليَّ بنَ سالمٍ ٱلآتي ذِكرُهُ في عينات حضرَ مجلسَ سيِّدي ٱلأَبرِّ في ٱلسَّومِ ـ ٱلواقعِ بينَ ٱلغرفةِ وسيئونَ ، أَوِ ٱلواقعِ في طريقِ نبيِّ ٱللهِ

= بالخريبة ، وعبد الله (١١٥٠هـ) ، وطالب (١٢١٠هـ) ، وحسن (١١٥١هـ) ، وعليٌّ توفِّي (١١٥٦هـ) بحريضة .

(١) الإمام العلامة : أحمد بن حسن بن عبد الله بن علي العطاس . مولده بحريضة في شهر رمضان من سنة (١٢٥٧هـ) ، وكُفَّ بصره وهو صغير ، فعوّضه الله بنور البصيرة ، طلب العلم صغيراً ، ولازم الحبيب صالح بن عبد الله العطاس ، وكان فتوحه على يديه ، وأخذ عن الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس . رحل لطلب العلم إلى الحرمين ، وأخذ عن أكابر شيوخ عصره .

ومن أراد المزيد . . فعليه بكتاب « إيناس الناس » للشيخ بافضل ، و« عقود الألماس » للحداد ، و« مناقبه » التي جمعها ابنه الحبيب علي بن أحمد ، و« تاج الأعراس » ، وغيرها . توفي الحبيب أحمد في (٦) رجب سنة (١٣٣٤هـ) .

(٢) توفِّي السيِّد حسن بن عبد الله بن عليِّ بن عبد الله بن مُحَمَّد بن محسن بن حسين بن عمر . . يوم الأحد (١٠) ربيع الثَّاني سنة (١٣٣٣هـ) ، وتوفِّي ابنه الحبيب أحمد بن حسن بعده بسنة وثلاثة أشهر تقريباً .

(٣) توفِّي بحريضة الأحد (٢١) جمادى الآخرة سنة (١٣٤٢هـ) ، ترجمته في « تاج الأعراس » (١/ ٧٣٠-٧٣٧) .

(٤) الحبيب أبو بكر بن عبد الله ، من مشاهير أولياء عصره ، أخذ عنه السيِّد العلاَّمة مفتي مكَّة أحمد زيني دحلان ، وغيره من أكابر عصرهم ، وجمع حفيده السيِّد سالم بن عبد الله بن أَبي بكر شيئاً من مناقب جدِّه المذكور وكلامه ، وبعضه جمعه والده عبد الله ، وسمَّاه : « حلاوة القرطاس » .

هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ ، لا أَدري أَيَّهما كانَ ، وٱلأَوَّلُ أَقربُ ـ فأَشارَ إلى تفضيلِ ٱلحبيبِ أَبي بكرٍ هٰذا علىٰ سيِّدِ ٱلوادي ٱلحسنِ بنِ صالحٍ ٱلبحرِ . . فغضبَ سيِّدي ٱلأُستاذُ ٱلأَبرُّ ، وخرجَ علىٰ عادتِهِ بإِظهارِ ذلكَ وقالَ لهُ : إِن أَبيتَ . . باهَلْنَاكَ ، وستعلمُ . فٱنكسرَ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ سالمٍ حينئذٍ وتضاءَلَ حتَّىٰ كادَ يذوبُ .

ولَم يَذكرْ شيخُنا ٱلمشهورُ صاحبَ ٱلجاهِ ٱلعظيمِ ، وٱلفضلِ ٱلجسيمِ ٱلسَّيِّدَ عبدَ ٱللهِ بنَ علويِّ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاس ، معَ أَنَّه لا يُجهَلُ قَدرُهُ ؛ لأَنَّ ظهورَهُ إِنَّما كانَ بعدَ ٱنتهاءِ « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » ، توفِّيَ بحريضةَ في سَنةِ (١٣٣٤هـ)[١] .

ولَم يَذكرِ ٱلصَّالحَ ٱلمشهورَ ٱلسَّيِّدَ عبدَ ٱللهِ بنَ محسنٍ ٱلعطَّاس ، ٱلمتوفَّىٰ ببوقور مِنْ أَرضِ جاوة في سَنةِ (١٣٥٢هـ) عن عُمُرٍ نيَّفَ على ٱلثَّمانينَ[٢] .

ولمَّا توفِّيَ ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ . . وقعَ لواؤُهُ علىٰ حفيدِهِ[٣]

---

(١) عبد الله بن علوي بن حسن بن عليِّ بن أحمد . . . ابن الإمام عمر العطَّاس ، المشهور بصاحب « سبيل المهتدين » . ولادته بشربون بجاوة الغربية ، وتلقَّىٰ معارفه في حريضة علىٰ يد الإمام أحمد بن حسن ، والحبيب حسين بن مُحَمَّد آل العطَّاس ، وغيرهما ، في حضرموت والهند . كان محسناً كريماً باذلاً يبذل في أمور الخير ، بنى مسجداً بحريضة يعرف بمسجد باعلوي ، وحفر بئراً لسقي النَّاس . توفِّي سنة (١٣٣٤هـ) ، وله ترجمة في « تاج الأعراس » ، وأعقب ولداً واحداً هو السيِّد عبد الرَّحمٰن ، وعقبه منه ، توفِّي سنة (١٣٨٦هـ) .

(٢) عبد الله بن محسن بن مُحَمَّد . . . ابن الحبيب الإمام عمر العطَّاس . مولده ببلدة حوره من قرى الكسر ، سنة (١٢٦٥هـ) ، قرأ القرآن في صغرهِ على المعلم عمر بن فرج بن سبَّاح ، وقرأ «الرسالة» على الحبيب عبد الله بن علويِّ العيدروس صاحب بور ، وأخذ عن الحبيب أحمد المحضار ، وأحمد البار ، وأقام بالخريبة مدَّة يطلب العلم عند الشَّيخ مُحَمَّد باسَوْدَان ، وحجَّ حجَّة الإسلام سنة (١٢٨١هـ) ، وأخرىٰ سنة (١٢٨٣هـ) . وبعد حجَّته الثَّانية دخل جاوة ، ولازم هناك شيخه الإمام أحمد بن مُحَمَّد بن حمزة العطَّاس ، ومارس التِّجارة في باكلنقان ، وسجن عدَّة سنوات امتحاناً وابتلاءً . فصبر ، وكان في سجنه داعية ، حتَّىٰ إنَّ السِّجن يغصُّ بزوَّاره من المسلمين وغيرهم ، وأسلم وناب علىٰ يديه أعداد غفيرة . وكانت وفاته سلخ ذي الحجَّة سنة (١٣٥٢هـ) ، ودفن ببلدة بوقور . ترجم له الحبيب مُحَمَّد بن حسن عيديد في « إتحاف المستفيد » ، وأورد نصَّ إجازته له .

(٣) لأنَّ ابنه سالماً توفِّي في حياته سنة (١٣٢٦هـ) ، وأعقب من الذُّكور : حسناً ، وعليّاً ، ومُحَمَّداً ، وأمَّا ابنه الآخر الحبيب عليُّ بن أحمد . . فقد كان صغيراً ؛ لأنَّ مولده سنة (١٣٢٧هـ) ، وسيأتي ذكرهُم .

حسنِ بنِ سالمِ بنِ أحمدَ ٱلعطَّاسِ[١] ، وكانَ شهماً كريماً ظريفاً ، توفِّيَ بٱلمُكَلا في سَنَةِ (١٣٦٠هـ) ، وخَلَفَهُ على ٱلمنصبةِ عمُّهُ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسُ[٢] ، وهوَ ولدٌ نبيهٌ ، مفتوحُ ٱلأبوابِ ، موطَّأُ ٱلأكنافِ .

ولمَّا توفِّيَ ٱلسَّيِّدُ زينُ بنُ محمَّدٍ . . خَلَفَهُ على ٱلمنصبةِ ولدُهُ عمرُ بنُ زينٍ[٣] ؛ لأنَّهُ لا يزالُ بحريضةَ منصبانِ .

ومِنْ أعيانِ حريضةَ ٱلآنَ : ٱلسَّيِّدُ أبو بكرِ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ أحمدَ ٱلعطَّاسُ ، رجلٌ شهمٌ ، يقومُ بتسهيلِ ٱلطَّريقِ لكلِّ مَنْ يَرِدُ جاوة مِنَ ٱلحضارمِ وغيرِهِم ، وهوَ كثيرُ ٱلتَّنقُّلاتِ في ٱلبلادِ .

ومنهم : ٱلسَّيِّد محمدُ بن سالمِ بنِ أبي بكرٍ . ومنهُمُ : ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ ٱلخَيِّل[٤] ، وٱلسَّيِّدُ سالمُ بنُ عمرَ . ومنهُمُ : ٱلسَّيِّدُ عَبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ علويٍّ ، وٱلسَّيِّدُ

---

(١) حسن بن سالم بن أحمد بن حسن ، ولد بحريضة سنة (١٣١٧هـ) ، وأدرك زماناً من حياة جدِّه الإمام ، وأجازه عامَّة ، وله إجازة من الحبيب عليِّ بن عبد الرَّحمـٰن المشهور بتريم ، ومن السيِّد مُحَمَّد بن عليٍّ الإدريسي صاحب صبيا . رحل إلى الحرمين ، وأقام بمكَّة مدَّةَ أيَّام الشَّريف حسين بن عليٍّ ، ورحل إلىٰ جاوة وغيرها ، ثمَّ سافر إلى المكلا ، وتوفِّي بها في (٥) ذي القعدة سنة (١٣٦٠هـ) . « الدَّليل المشير » (٨٥ـ٨٧) .

(٢) علي بن أحمد بن حسن العطاس ولد بحريضة سنة (١٣٢٧هـ) ، ووالدته من المشايخ آل بايزيد ، طلب العلم في حريضة وتريم وغيرها ، وأكثرهم من تلامذة والده والآخذين عنه ، وربَّاه بعد وفاة والده ابن أخيه الحسن بن سالم ، والحبيب زين بن مُحَمَّد ، وفي تريم رعاه واعتنىٰ به الشَّيخ مُحَمَّد بن عوض بافضل ، وألحقه بمدرسة الحقِّ . وشيوخه كُثُرٌ ، ورحل إلىٰ عدَّة بلدان ، منها سواحل إفريقيا الشَّرقيَّة ، والحرمين وأجازه بها الشَّيخ عبد القادر شلبي وغيره . وله إصلاحات جليلة ، وأعمال ومآثر في بلاده وخارجها . وافته المنيَّة في أبو ظبي ، سنة (١٤٠٧هـ) ، بعد توعك صحَّته واعتلالها .

(٣) توفِّي الحبيب عمر بن زين سنة (١٤٠٥هـ) تقريباً .

(٤) هو الحبيب مُحَمَّد بن محسن بن عمر ـ الخَيِّل ـ ابن سالم بن عبد الرَّحمـٰن بن سالم بن عبد الرَّحمـٰن بن عقيل العطَّاس . مولده في قرية قرسا من برور القنفذة ، ووفاته بالمدينة المنوَّرة سنة (١٣٥٨هـ) ، أخذ العلم الشَّريف وطلبه بمكَّة عند الشَّيخ عمر باجنيد ، وكان ملازماً له حضراً وسفراً ، وأخذ عن بابصيل ، والحبيب حسين الحبشي . وأخذ عنه جمٌّ ؛ منهم : صاحب « تاج الأعراس » ، والحبيب سالم بن حفيظ ، والحبيب أحمد مشهور الحدَّاد . ومعنىٰ (الخيِّل) : بفتح الخاءِ وتشديد الياء المكسورة : القيِّم أو النَّاظر علىٰ مجاري مياه السُّيول ، وهو لقب لجدِّ المترجم .

عليُّ بنُ سالمِ بنِ أَحمدَ ، لَهُ شِعرٌ وأَدَبٌ وحرصٌ على ٱلفوائدِ ، وهوَ علىٰ قضاءِ حريضةَ ٱلآنَ .

وفي غربيِّ حريضةَ كثيرٌ مِنَ ٱلآثارِ ٱلقديمةِ ، وقد أَسفرَ ٱلحفرُ في ٱلوقتِ ٱلأَخيرِ في آثار حريضة عن بيوتٍ مطمورةٍ تحتَ ٱلأرضِ ، فيها معابدُ للقمرِ ، لا تَخلو عن آثارٍ قيِّمةٍ ، ربَّما كانَ للحَافِرِ عنها غَرَضٌ في ٱلإِخفاءِ .

وحول معبد إِلـٰهِ ٱلقمرِ ٱلَّذي ظهرَ هناكَ كثيرٌ مِنَ ٱلمباخرِ[1] ، وعلىٰ بعضِ ٱلحجارةِ كتاباتٌ قديمةٌ ترجعُ إِلىٰ أَكثرَ مِن أَلفي سنةٍ ، وفي بعضِها ما ترجمتُهُ : (يا لبان.. يا كوكبان.. بلِّغ ٱلإلـٰه ٱلسَّلامَ) ، وٱلجزءُ ٱلأَوَّلُ مِنْ هـٰذهِ ٱلجملةِ مشهورٌ بكثرةٍ علىٰ أَلسنةِ ٱلعامَّةِ بحَضْرَمَوْتَ[2] ، ورجوعُ عهدِ ٱلكتابةِ إِلىٰ أَكثرَ مِنْ أَلفي سَنةٍ يُعرِّفُ أَنَّ لمثلِهِ ٱتِّصالاً بأَديانِ ٱلحضارمِ ٱلقديمةِ ، وكثيرٌ مِن آلِ حضرموتَ كانُوا يعبُدُونَ ٱلشَّمسَ ويسمُّونَها (ٱلإِلاهةَ) ، وفيها يقولُ ٱلأَعشىٰ [مِنَ ٱلمتقاربِ] :

فَلَمْ أَذْكُرِ ٱلرُّهْبَ حَتَّى ٱنْفَلَتْ   قُبَيْلَ ٱلإِلاَهَةِ مِنْهَا قَرِيبَا

ويريدُ بالإلاهة : الشمس .

---

(١) المباخر ـ جمع مِبخرة ـ وهي : الآلة الَّتي تستعمل للتَّبخير ، وقد تسمَّى : مجْمرَة .

(٢) المتردِّد علىٰ أَلسنة العامَّة اليوم في كثير من بلدان حضرموت عندما يضعون اللُّبان البذْويّ (الكوكباني) في المباخر أن يكرِّروا قولة : يا لبان يا كوكبان اطرد إبليس الشيطان . وهي عبارة قد تكون لها دلالتها التاريخية كما ذكر المصنف رحمه الله تعالىٰ .

تنبيه :

قد يسرح فكر البعض عند قراءَتهم لمثل هـٰذا الكلام ، فيعمدون إلىٰ منع النَّاس من هـٰذه العبارة ، ويشنُّون حملات وغارات على النَّاس ، بسبب أنَّ هـٰذه العبارة لها تعلُّق بشيء وثنيٍّ وغير ذلك ، وينسجون حول هـٰذا الكثير والكثير من القصص والتُّرَّهات .

والأولى أن يقال في معنى قولهم : يا لبان يا كوكبان.. إلخ أنه للتفاؤل والفرح بطرد الرَّوائح الكريهة من المنازل ؛ لأنَّ الجنَّ والشَّياطين يأنسون للرَّوائح الكريهة.. بينما الملائكة تتأذَّىٰ منها ، وقد ورد في الحديث : « إِنَّ الملائِكةَ تَتَأَذَّىٰ مِما يتأَذَّىٰ مِنْهُ بَنُو آدَمَ » .

فليس في هـٰذه الكلمات نداءٌ لغير الله ، ولا شرك به ، والتَّأويل في مثل هـٰذه المواضع واجب ، وإذا لم نؤوِّل للعامَّة.. أوقعناهم في الشِّرك والكفر ، ومن كفَّر مسلماً.. فقد كفر .

كـانَ بعـضُ ٱلقُـرَّاءِ يقـرأُ : (لتـذرَ مـوسىٰ وقـومَـهُ ليفسـدوا فـي ٱلأَرضِ ويـذرك وإلاهَتَكَ)[1] .

وفي شمالِ حريضةَ إِلى ٱلشَّرقِ : بئرٌ عميقةٌ ، يُنزلُ إِليها بِدَرَجٍ طويلةٍ ، كلُّ درجةٍ منها في طولِ قامةِ ٱلإِنسانِ ، مشهورةٌ ببيرِ **غمدانَ** ، يتعالمُ ٱلخلفُ عَنِ ٱلسَّلفِ بكثرةِ كنوزِها وذُهْبَانها ، ولهم عنها أَخبارٌ كثيرةٌ ، يقصدُها ٱلسُّيَّاحُ ، غيرَ أَنَّهم متىٰ نصفوها. . ٱنطفأَت عليهمُ ٱلنَّارُ ٱلَّتي يُجرِّبُونَ بها. . فينثنونَ ؛ لأَنَّ ما تنطفىءُ بهِ ٱلنَّارُ. . تفيضُ بهِ ٱلرُّوحُ ، ولـٰكنَّ بعضهم يفكِّر في تغطيةِ وجههِ بغطاءٍ سميكٍ يمكنُ معهُ ٱلتَّنَفُّسُ في أَنابيبَ تبقىٰ علىٰ رأْسهِ .

وتلكَ ٱلبئرُ في قارةٍ إِلىٰ جانِبِ ٱلجبلِ ٱلمُسمَّىٰ غمدانَ ، وهو في شرقيِّها إِلىٰ جهةِ ٱلشَّمالِ ، وفيهِ آثارُ حصنٍ باليةٌ .

ومِنْ أَعمالِ عمد : **لَحْرُوم** ، وقد مرَّ في جَردان عنِ « ٱلقاموسِ » : (أَنَّ ٱلصَّدِفَ ولدَ حَرِيماً ويُدعىٰ بِٱلأُحْرُومِ). . فلا شكَّ أَنَّ هـٰذهِ ٱلبلادَ على ٱسمهِ .

وفيها جامعٌ ، وسُكَّانُها مِنْ آلِ ٱلعطَّاسِ ، ومنهُمُ ٱلآنَ : صالحُ بنُ محمَّدٍ ٱلعطَّاسُ ، رجلٌ شهمٌ جزلُ ٱلرَّأْيِ ، كبيرُ ٱلهمَّةِ ، كثيرُ ٱلإِقدامِ وهوَ ٱلآنَ بجاوة . وفيها ناسٌ مِنْ آلِ باعْشَر وغيرِهم .

وبعدَها : **عندل**[2] ، قالَ ٱبنُ ٱلحائِكِ في « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » [١٦٧] : (هيَ مدينةٌ عظيمةٌ لِلصَّدِفِ ، وكانَ ٱمرؤُ ٱلقيسِ بنُ حجرٍ زارهُم فيها ، وفيها يقولُ : [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

كَأَنِّيَ لَمْ أَلْهُو بِدَمُّونَ لَيْلَةً ... وَلَمْ أَشْهَدِ ٱلْغَارَاتِ فِي بَطْنِ عَنْدَلِ) اهـ

وفيها جامِعٌ ومنزلٌ لِلضَّيفِ علىٰ صدقاتِ ٱلحَبُوظيِّ . وسكَّانُها آلُ باجابرٍ ، ومنصبهُمُ ٱلآنَ : ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ عمرَ باجابرٍ .

---

(١) أي : عبادتك ، لأن من معاني الإلاهة العبادة .

(٢) **عندل** : بلدة تاريخيَّة قديمة ، لا تزال عامرة إلى اليوم ، وبها سَدٌّ أثريٌّ قديم ، أُعيد بناؤه أخيراً ، وتنتج أرضها التُّمور والأعلاف .

ومِنْ كتابِ « نهايةِ ٱلأنسابِ » بخطِّ ٱلشَّيخِ عليٍّ باصَبْرين ، عنِ ٱلشَّيخِ عمرَ ٱلعموديِّ ، عنِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ ٱلعيدروسِ[1] : (أَنَّ آلَ باجابرٍ وٱلشَّيخَ مزاحمٍ صاحبَ بروم . . مِنْ ذرِّيَّةِ عقيلِ بنِ أَبي طالبٍ) . ومثلُهُ منقولٌ عنِ العلاَّمةِ ٱلقاضي عبدِ ٱللهِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلقَدْري باشُعَيب ٱلأنصاريِّ ، وعنِ ٱلعلاَّمةِ عبدِ ٱلرَّحيمِ بنِ قاضي باكثير ٱللَّذيْن تولَّيا ٱلقضاءَ بتريم .

وقالَ ٱلحبيبُ عليُّ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ في « سفينةِ ٱلبضائعِ » : (يقالُ : إِنَّ آلَ إِسحاقَ مِنْ نسلِ ٱلعبَّاسِ بنِ عبدِ ٱلمطَّلبِ ، وقد أَشارَ إِليهِ أَحدُ شعرائِهِم في شِعرِهِ . وما أَظنُّهُ يَصِحُّ ، وكذلكَ يقالُ : إِنَّ آلَ باجابرٍ مِنْ نسلِ عقيلِ بنِ أَبي طالبٍ ، وقد سُئِلَ ٱلحبيبُ عبدُ ٱللهِ بنُ علويٍّ ٱلحدّادُ . . فلَمْ يوافِقْ عليهِ) اهـ

ولـٰكنَّ ٱلسَّيِّدَ عبدَ ٱلرَّحمـٰنِ بنَ مصطفى ٱلعيدروس نزيل مصرَ أَكَّدَهُ[2] .

وفي ٱلنِّصفِ ٱلثَّاني مِنَ « ٱلمواهبِ وٱلمننِ » للحبيبِ علويِّ بنِ أَحمدَ ٱلحدَّادِ في ترجمةِ جدِّهِ ٱلحسن : أَنَّ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱلجبَّارِ بنَ مزاحمٍ قائمٌ بمنصبِ أَجدادهِ آلِ بَلْحفَّارِ بِأَحوَرَ ، وهوَ مِن تلاميذِ ٱلحسنِ ٱبنِ ٱلقطبِ ٱلحَدَّادِ ، وكذلكَ ٱبنُهُ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱلجبَّارِ ، وأَولادُ عمِّهِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ .

وفيهِ أَيضاً : أَنَّ ٱلشَّيخَ ٱلجلاليَّ ٱلحالِ بَلْحفَّارِ . . ٱنتفعَ بٱلقطبِ ٱلعيدروسِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَبي بكرٍ .

ومِنْ آلِ باجابرٍ : ٱلشَّيخُ ٱلصُّوفيُّ أَحمدُ بنُ عمرَ ، صاحبُ « جوهرةِ عقدِ ٱلعروسِ » ، ولَهُ أَماديحُ في ٱلسَّادةِ آلِ ٱلعيدروسِ ؛ مِنها قولُهُ في رثاءِ سيِّدنا عبدِ ٱلقادرِ بنِ شيخٍ [مِنَ ٱلمديدِ] :

لَمْ يَزَلْ مِنْهُمْ لَنَا عَلَمٌ	قَائِمٌ لِلْحَقِّ يَنْتَصِرُ
فَلَئِنْ وَلَّىٰ لَنَا خَلَفٌ	كُلُّهُمْ مِنْ بَعْدِهِ ٱشْتَهَرُوا

(١) هو الباهر ، عمُّ عبد الرَّحمـٰن بن مصطفىٰ صاحب مصر .

(٢) وصدر مؤخَّراً كتاب يجمع نسب آل باجابر وتراجمهم ، ومنهم : آل باجبَّار في بروم ، وآل زُحُوم ، وغيرهم .

ومنهُمُ : ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحيمِ باجابرٍ[1] ، كانَ علاَّمةً فقيهاً ، ولَهُ أَدبٌ غضٌّ ، تكرَّرَ ذِكرهُ في « ٱلنّورِ ٱلسّافرِ » ، وذكرَ لَهُ في (ص ٣٩٦) منهُ أَبياتاً يمدحُ بها ٱلعلاَّمةَ ٱبنَ حجرٍ ٱلثَّاني[2] ، وهيَ [مِنَ ٱلكاملِ] :

قَـدْ قِيـلَ مِـنْ حَجَـرٍ أَصَـمَّ تَفَجَّـرَتْ ... لِلْخَلْـقِ بِـٱلنَّـصِّ ٱلجَلِـيْ أَنْهَـارُ

وَتَفَجَّـرَتْ يَـا مَعْشَـرَ ٱلْعُلَمَـاءِ مِـنْ ... حَجَـرِ ٱلْعُلُـومِ فَبَحْـرُهَـا زَخَّـارُ

أَكْـرِمْ بِـهِ قُطْبـاً مُحِيطـاً بِـٱلْعُـلاَ ... وَرَحَـاؤُهُ حَقّـاً عَلَيْـهِ تُـدَارُ

وٱلمعنىٰ قويٌّ وإِنْ كانَ ٱللَّفظُ ضعيفاً مُتكلَّفاً .

ومِن آلِ باجابرٍ : ٱلشَّيخُ ٱلمتفنِّنُ ، أَحمدُ بنُ محمَّدٍ باجابرٍ ، ترجمهُ ٱلسَّيِّدُ باحسنٍ في « تاريخهِ للشِّحر » ؛ لأَنَّهُ سكنَها ، ومِن شعرِهِ لغزٌ في عثمانَ رفعَهُ للشَّيخِ عبدِ ٱلصَّمدِ باكثيرٍ فحلَّهُ .

يبْعِثُ[3]

قد سَبَقَ في أَوَّلِ ٱلكتابِ ذِكْرُ حوطةِ ٱلفقيهِ عليٍّ ، ومِنها شرقاً إِلىٰ محيدَ ـ وهيَ أَرضُ آلِ باقُطْمي شرقاً أَيضاً ـ نصف يومٍ ، ومنهُ إِلىٰ يبعث يومانِ .

---

(١) توفِّي الشَّيخ أحمد هـٰذا في لاهور بالهند في شوَّال (١٠٠١هـ) ، تربَّىٰ بوالده ، وأخذ عن غيره ، ورحل إلى الهند ، ولازم السيِّد عبد القادر بن شيخ العيدروس ، المتوفَّىٰ سنة (١٠٣٨هـ) ، قال السيِّد عبد القادر : وتأسَّفت علىٰ موته جدّاً ، وكنت كلَّما ذكرته.. استثار منِّي الحزن ، وانبعث الأسىٰ والنَّدم ؛ حتَّىٰ كأنَّ مصابي باعتبار ذلك جديداً في كل آن ، وصنفت في أخباره وماجرياته كتاباً سمَّيته : « صدق الوفاء بحق الإخاء » اهـ « خلاصة الأثر » (١/ ٢٧٤) .

(٢) هو الهيتميُّ صاحب « تحفة المحتاج » ، المتوفَّىٰ سنة (٩٧٤هـ) .

(٣) يبعث : مركز إداريٌّ من مديريَّة حجر بحضرموت ، وهو وادٍ بين جبلين ، تنتشر فيه مجموعة من القرىٰ ؛ منها : مشاط وفيها آل نعمان ، وبلد المشايخ ، وقرية الجنينة ، وقرية الشروج ، وقرن باربيد ، وقرية الحمام ، وحصن باشقير ، وحصن بامظفر ، وغيرها من القرىٰ ، وسكَّانها معظمهم من المشاجرة ـ واحدهم مشجري ـ ، وفيهم سادة من آل الشَّيخ أبي بكر بن سالم .

وعند منحدر هـٰذا الوادي تنمو الزُّروع وأشجار النَّخيل والسِّدر .

وقد عدد مؤلف « الشامل » القرى والبلدان المجاورة لهـٰذا المركز بتفصيل دقيق.. فليرجع إليه انظر « الشامل » (٧٣ـ٧٤) .

وهوَ وادٍ بينَ جبلَينِ ، فيهِ كثيرٌ مِنَ ٱلمشايخِ آلِ ٱلعموديِّ ، وناسٌ مِنَ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ .

وفيهِ بلدٌ يقالُ لها : **مِشَاط** ، يَسكنُها ناسٌ مِنْ آلِ نعمان . وبلدٌ يقالُ لها : **ٱلحمَام** ، فيها نحو مئةٍ مِنَ ٱلمشاجرة . وبلدٌ يقالُ لها : **قرنُ ٱلمشايخِ آلِ ٱلعموديِّ** . وبينَ هٰذهِ ٱلبلدانِ غَيلٌ يخرجُ منهُ ماءٌ كثيرٌ ، يسقي نخيلاً ومزارعَ كثيرةً .

ووادي يبْعِث أَضيقُ مِنْ وادي دوعن ، وقد هبطتُ عليهِ في سَنةِ (١٣٤٩هـ) فٱستغرقَ نزولُنا عليهِ مِنَ ٱلعَقَبةِ نحو ساعتينِ ، وبِتْنَا بجانبهِ ٱلجنوبيِّ ، ولمّا أَصبحنا . . لَمْ نمشِ إلاَّ غلوةَ سهمٍ[١] ، ثمَّ تسنَّمْنا ٱلجبلَ ٱلَّذي يُفضي إِلى ٱلسَّوطِ في جنوبهِ[٢] .

والنَّـاسُ يَنطقـونَ (يبعـث) بمـوحَّـدةٍ بعـدَ ٱليـاءِ ، وٱلَّـذي عنـدَ ٱلهَمْـدانـيِّ و« ٱلقاموسِ »[٣] و« معجمِ ياقوتٍ » [٥/ ٤٥٤] و« غريبِ ٱلحديثِ » إنَّما هُما ياءانِ .

ولأهلهِ كتابٌ مِنْ رسولِ ٱللهِ صلى الله عليه وآله وسلَّم هٰذهِ صورتُهُ : « بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ : مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ ، إِلَى ٱلْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَبْنَاءِ مَعْشَرٍ وَأَبْنَاءِ ضَمْعَجٍ بِمَا كَانَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ مِلْكٍ وَعُمْرَانٍ ، وَمَزَاهِرَ وعُرْمَانَ ، وَمَلَحٍ ومِحْجَرٍ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ مَالٍ أَتْرَنَاهُ بِيَبْعُثَ وَٱلأَنَابِيرِ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ مَالٍ بِحَضْرَمَوْتَ . . إلخ »[٤] .

---

(١) **غلوة سهم** : مقدار رمية به .

(٢) **تسنَّمنا الجبلَ** : صعدنا عليه .

(٣) ليس في « القاموس المحيط » ما أشار إليه الشَّيخ المؤلِّف رحمه الله ، بل في شرحه : « تاج العروس » ، قال الزَّبيديُّ صاحب « التَّاج » : (وممَّا يُستدرك عليه . . . يبعث : بياءَين ، والعين المهملة . . .) .

(٤) أخرجه الطَّبراني في « الكبير » (٢٢/ ٤٧) ، و « الصغير » (٢/ ٢٨٥) بنحوه ، وأَما الرِّواية الَّتي ذكرها المؤلِّف . . فقد ذكرها ياقوتٌ في « معجم البلدان » (٥/ ٤٥٤) .
وأَما ما ذكره المصنِّف متابعاً فيه ياقوتَ ، من أَن الكتاب للمهاجرين من أَبناء معشر . . فلعلَّ فيه وهماً ؛ لأن الكتاب للمهاجر بن أَبي أُميَّة ، كما في « المعجم الكبير » و« الصغير » و« الغريب » للخطابي (١/ ١٤٨) . مزاهر : رياض ، سمِّيت بذلك لأَنَّها تجمع أَصناف الزَّهر والنَّبات . **عُرمان** : مزارع وبساتين . **مَلَح** : اسم موضع . **مِحجر** : حظيرة حول النَّخل . **أترناه** : اخترناه . **الأَنابير** : ـ جمع أَنبار ـ وهو : بيت التَّاجر الَّذي يجمع فيه المتاع والغلال= (مستودع) .

وأنشدَ ياقوتُ [١/ ٣٩٣] في : (برقةِ حاربٍ) للتَّنوخيِّ قولَهُ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

لَعَمْـرِي لَنِعْـمَ ٱلحَـيُّ مِـنْ آلِ ضَعْجَـمٍ ... ثَـوَىٰ بَيْـنَ أَحْجَـارٍ بِبُـرْقَـةِ حَـارِبِ

وضعجم قريبٌ مِنْ ضمعج ، فإمَّا أَنْ يكونَ هوَ بتصحيفٍ ، وإمَّا أَنْ يكونَ غيرَهُ .

وفي « ٱلتّاجِ » و« أَصلِهِ » : (وضُجْعُم كقُنْفُذٍ وجَوْهَرٍ : أَبو بطنٍ مِنَ ٱلعربِ ، وهوَ ضجعمُ بنُ سعدٍ ٱلملقَّبُ بسَلِيحِ بنِ حلوان بنِ عمران ، وهُمُ ٱلضّجاعمُ وٱلضّجاعمةُ ، كانوا مُلُوكاً بٱلشَّامِ قَبْلَ غسَّان) .

فشدَّدَ رجلٌ منهم علىٰ أَحدِ بني غسَّانَ ـ وٱسمُهُ جِذعٌ ـ فٱشتملَ علىٰ سيفهِ وقتلَ ٱلضَّجعميَّ . . فقيل : (خُذ مِن جذعٍ ما أَعطاك) ، ثمَّ إِنَّ غسَّانَ رأَسَتْ أَحدَهم ، فٱنتزعَ بهمُ ٱلمُلكَ مِنَ ٱلضَّجاعِمِ ، وكانت لذلكَ ٱلرَّئيس بنتٌ تُدعىٰ : حليمة ، مِن أَجملِ ٱلنِّساءِ ، أَعطاها طيباً تضمِّخُ بهِ كلَّ مَن يمرُّ بها من قومِهِ ، فمرَّ بها شابٌّ ، فلمَّا طيَّبَتْهُ . . قبَّلَها ، فصاحتْ وٱشتكت إلىٰ أَبيها ، فقال لها : ٱسكتي ، فما ٱجترأ عليكِ إلاَّ مِن فضلِ شجاعةٍ ، وإِنْ عادَ . . فَهوَ زوجُكِ ، وإِن قُتِلَ . . فذاكَ أَشدُّ عليهِ ممَّا تريدينَ بهِ ؛ فٱستماتَ ٱلفتىٰ ، وأَبلىٰ ، ثمَّ عادَ ، فزوَّجَها أَبوها منهُ . وإِليها يُنْسَبُ أَشهرُ أَيَّامِ ٱلعربِ ، كذا ذكرهُ صاحبُ « خزانةِ ٱلأَدبِ » [٣/ ٣٣٣ـ٣٣٤] ، وقيل : إِنَّ يومَ حليمةَ ٱلمعروفَ غيرُ هـٰذا .

وقالَ في « سبائِكِ ٱلذَّهبِ » : (ضجعمُ هوَ ٱبنُ سعدِ بنِ سليحِ بنِ حُلْوان بنِ عمران ٱبنِ ٱلحافي بنِ قُضَاعةَ) اهـ

ويأْتي في تريم عن بامخرمةَ ما يُفهَمُ منهُ وجودُ ناسٍ مِنْ آلِ ضَمْعَجٍ بتريم ، وفي أَوَّلِ ٱلقسمِ ٱلثَّالثِ مِن هـٰذا ٱلكتابِ كلامٌ يتعلَّقُ بما هنا . . فَلْيُكشَفْ منهُ .

وما يزيدُ مِنْ سيولِ جبالِ يبعث عنهُ . . يفيضُ إِلىٰ وادي حَجْرٍ .

وفي غربيِّ وادي يبعث بٱلنّجدِ ٱلَّذي يعلوهُ . . مكانٌ يقالُ لَهُ : **حَول** ، فيهِ قبيلةٌ مِنَ ٱلمَشَاجرةِ ، يقالُ لَهم : آلُ باشُقَيرٍ ، ويَبلغونَ مئةَ رامٍ ، وهُم أَهلُ حماسٍ ونجدةٍ ، وبلادُهُم خِصْبةٌ ، وفيها عيونُ ماءٍ نضّاخةٌ .

وقالَ ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ صالحِ بنِ هرهرة ، يصفُ مخرجَهُ مِنْ جبلِ يافع إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ سنةَ (١١١٧هـ) : (وكانَ مرورُنا في وادي ٱلمَشَاجِرةِ ، وهوَ كثيرُ ٱلأَشجارِ وٱلأَنهارِ ، وحواليهِ ٱلحُصُونُ بٱليمينِ وٱليسارِ ، وقدِ ٱعترضونا وقالوا : لا نُمكِّنُ دولةً[1] مِنَ ٱلعبورِ في وادينا ، فطلَبنا عُقلاءَهُم ومشايخَهُم ، فأَرضيناهُم وخلَعنا عليهِم ، فأَذِنوا لَنا بٱلمرورِ ، وكانَ خروجُنا إِلى ٱلضّليعةِ) اهـ

ووادي ٱلمَشاجِرةِ هوَ وادي يبعث ، فإِيَّاهُ يعني ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ صالحِ ، وإِليهِ يشيرُ ، وقَد سلكَهُ سيِّدي ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ ، ٱلحسنُ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلحدَّادُ ، سنة (١١٤٨هـ) ، ونزلَ بهِ علىٰ محبِّيهِ آلِ بُحيث .

ٱلضِّلَيعةُ[2]

هيَ قاعدةُ رَيْدَةِ ٱلدِّيِّنِ ، بينها وبينَ يبعث ٱلواقعِ في غربيِّها مسيرةُ يومٍ ، وكانَ يقالُ لَها : ريدةُ أَرَضين ، ثمَّ قيلَ : ريدةُ ٱلدِّيِّنِ ، نسبةً إِلىٰ سكَّانِها ٱلمتأَخِّرينَ[3] .

---

(١) أي : حاكم ، باللَّهجة المحليَّة .

(٢) والضِّلَيعة اليوم مركز إداريٌّ من مديريَّة دوعن أعلى وادي حضرموت ، يشتمل علىٰ قرىً وضياع كثيرة ؛ منها : بريْرة ، براورة ، ضراك ، ضرّيكة ، الكريف ، سحك ، الثجر ، الوليجة ، عَتُود ، حصن باجعيم ، الخليف ، القويرة ، النجيدين .

(٣) رَيْدَة الدِّيِّن : منطقة في المرتفعات الواقعة ما بين وادي دوعن ووادي عمد ، وهي صحارىٰ جبليَّة ، تتخلَّلها شروج ومسيلات ماء صغيرة ، تنحدر منها مياه الأمطار إلى الجروب الَّتي يزرعونها . ومن قراها : شرج الأبيضين ، الوُلَيجات ، كيدام ، بامسدوس ، والدِّيِّن هم حلف يتألف من ثلاثة أُصول : كندة ، وحمير ، وأجاردة .

وفي ريدة الدِّيِّن كثير من المشايخ آل العموديِّ . قال صاحب « الشامل » عندما بدأ يتكلم عن جغرافيَّة وادي دوعن قال : وقد ذكرنا أودية الوادي الأيسر وأودية الأيمن الشَّرقيَّة ، والشَّرقيَّة الجنوبيَّة ، وبقيت أوديته الغربيَّة والغربيَّة الجنوبيَّة ، وهي الَّتي تسيل إلى الواديين العظيمين وادي حموضة ووادي النَّبي . وهما يصبَّان في الوادي الأكبر لـ(دوعن) من الجهة الغربيَّة .

فمن النَّاحية الجنوبيَّة : تبتدىء الوديان من جبل الحِسْو بكسر فسكون . ومن الغربيَّة : من الشراقي ، أي من شرقي ريدة الدِّيِّن . . فإن ما كان إلى الغرب ناحية حَجْر يصب إليها ، وما كان شماليّاً غربيّاً يسيل إلى الشُّعبة ، وما كان شرقيّاً يسيل إلىٰ دوعن . =

. . . .

= ثمَّ قال : ومن وادي يبعث الَّذي مضىٰ وصفه تصعد طريق من عقبة المدلاة ، وهي كأداءُ متعبة إلىٰ ريدة الدِّيِّن ـ وهي بفتح الرَّاءِ وسكون الياء ، والدِّيِّن بفتح الدَّال وتشديد الياء ـ صحارىٰ جبليَّة تتخلَّلها شروج ، وهي تُرَع أو مسايل ماءٍ صغيرة لا تبلغ أن تكون أودية ولا شعاباً ، يسيل فيها ماءُ المطر إلى الجروب الَّتي يزرعونها عليها . ويكون عند كلِّ شرج حصن كبير غالباً مبنيٌّ بحجارة صغار ، يوجد عندهم في غلظ إصبع ونحوها ، يقلع كأنَّه الألواح والسُّفر العريضة ويمكن تكسيره على هيئة يصلح للبناء ، ولا يجعلون لها ملاطاً (الملاط = الخلطة من الطين والنورة) بل يرصُّونها بعضها فوق بعض ، ويجعلونه لمخزن الحبوب ، ويجعلون لأنفسهم حوله بيوتاً صغاراً من المدر .

حدود الرِّيدة :

يحدُّها من الغرب سوط البلعبيد ، وشروج آل بايومين من شمالها ، وهم من آل بلعبيد أيضاً ، ومن الغرب حنكة وادي عمد ، ومن الشَّرق شعاب حموضة ، ووادي المدلاة .

ثمَّ قال بعد أن ذكر القرىٰ والضِّياع المنتشرة علىٰ خط العرض (٤٥ـ١٤) وخطِّ الطُّول (٣٠ـ٢ـ٤٨) : فإذا ارتقيت عقبة المدلاة من يبعث . . فبعد مسافة تأتي : نقبة النزوع ، فـ(وادي منتير) ، ثمَّ نقبة العلب ، ثمَّ موثاب وشعب العُقَيبة ، وشعب الخربة .

ويأتي من اليسار : شرج منتير ، وفيه : البامنيف من الباقازي ، وادعون بجانب الطَّريق ، فيه : البلْعِجَم ـ بكسر العين وفتح الجيم (أصله : آل أبي الأعجم ، وعلىٰ هـٰذا فقس ما شابهه) .

ويأتي بين هـٰذه الطَّريق والطَّريق الذَّاهبة من الرِّيدة إلىٰ حجْر الَّتي سبق وصفها : حصن باجعيم ـ بكسر ففتح فسكون ـ وعَجَز ـ بفتحتين ـ والغابة لهم .

ثمَّ شرج باضان للباضان .

صبابير ، وشرج بن تَبْر بفتح فضمٍّ ، فـ(مجرىٰ آل سويدان) وعَتُور ـ بفتح فضمٍّ ـ ولَقْحين = (الأقحلين) أحدهما : أَقْحَل بسكون القاف ، وفتح الحاءِ واللاَّم وسكون الياء : وهـٰذه منازل آل سويدان من الدِّيِّن .

والسَّلَق بفتحتين : فيه آل باغويز ـ مصغر غوز ـ من آل باسويدان . هـٰذا كلُّه شرقيَّ الطَّريق .

ويأتي في قبليها بعد ما مرَّ : رأس غاضَنان ـ بفتح الضَّاد ـ فـ(شرج شرين) ، فـ(غَمِيس باحوات) ـ بفتح ، فكسر الميم ، فـ(الغُباضَة) ، ـ بضمِّ الغين وفتح الضَّاد ـ ، فـ(الوُلَيْجات) بضمِّ الواو وفتح اللاَّم وسكون الياء ـ للباسالم .

فـ(الضليعة) ، وبها جامع ، وهي للبامسدوس وصبيانهم . البَاعَبَد بفتح العين والباء ، والمِكْراب بكسر فسكون الكاف ، والمكيريب ، وكلُّها للبامكراب من البامسدوس .

والنُّجْرة ـ بكسر فسكون ـ للمسادسة ، آل بامسدوس ، ثمَّ الحِنْو ـ بكسر فسكون ـ للمشايخ آل باعشن وآل بامجبور من آل سويدان .

ومن قريب الحِنْو يبتدىءُ حفر الوادي الَّذي يسيل إلى الشعبة ، وقريب الميراد يبتدىء الشِّعب =

. . . .

= الثّاني ، ثمَّ يجتمعان ، ويطلق عليهما : وادي الشعبة .

والنَّحي ـ بكسر ففتح ـ للباحِنْحِن ـ بكسر فسكون فكسر ـ وضِراك ـ بكسر الضَّاد ـ وضِرَيْكة ـ بكسر ففتح فتشديد الياء ـ فيها الباسواري .

وعن يمين الطَّريق : النجيدين ، فيها آل الشَّيخ عمر بن عبد القادر العموديّ ، وهناك يكون ذو منصبهم ، والباعِشَيْم ـ بكسر ففتح فسكون ـ صبيان .

ثمَّ القويرة ـ تصغير قارة ـ فيه الباخرية صبيان ، ثمَّ الخَلِيف ـ بفتح فكسر فسكون ـ وفيه : آل باسُوَّدة ـ بضمِّ السِّين وتشديد الواو وكسر الدَّال ـ وعندهم أُناس من آل بافلح .

ثمَّ الغَمِيس ـ بفتح فكسر فسكون ـ والغوير بضمٍّ ففتح فسكون ، ثمَّ الميراد : فيه الباطهيف ـ بكسر ففتح فسكون ، ثمَّ لُبَيْضَين = (الأبيضين) ـ على صيغة المثنىٰ ـ للباعمرو .

برَيِّرة ـ بكسر ففتح فتشديد الياء المكسورة ـ عَتُود ـ بفتح فضمٍّ ـ فيه إلْياس والبازِجّ ـ إلياس : بكسر فسكون ، والبازج : بكسر الزَّاي . والمسيل : فيه إلياس .

وسَمْع بافقْرة ـ بفتح السِّين فسكون ـ وفقرة : ـ بكسر فسكون ـ ومن آل بافقرة : عمر بن عبد الله بافقرة ، وهٰكذا اسمه علىٰ ما أتذكَّر ، وهو الَّذي أزعج حكومة حيدر آباد حوالي (٢٠) سنة ، وكان خرج عليها ، وله قصَّة مشهورة .

وهٰذه من الشّراقي : ومنها روضة باقطيَّان ـ بكسر القاف وفتح الطَّاء وتشديد الياء ، ومن آل باقطيَّان جماعة في نواحي عتق بشبوة يتوزَّعون علىٰ قراها ، ومن أهل الرّوضة هٰؤلاءِ جماعة شعراءُ لا تحضرني أسماؤُهم .

وعن يسار الطَّريق إلى الشّمال الشّرقي يأتي : ربض باسودة ـ رَبَض : بفتحتين ـ ثمَّ الوليجات لباسالم ، ثمَّ عَنَق بِلَشرف ـ عنق : بفتحتين ، وشرف : بكسر ففتح ، وأصله أبي الأشرف ـ باكبيرة فيه : باقحدوم .

ونعود إلىٰ شروج آل بايومين ، ويقال لهم : الباكَرْشوم ، وهي قسم من الرَّيدة ، تمتدُّ بناحية الشّمال والغرب حول رأس وادي الخميلة ، ورأس وادي الشعبة ، ويقال إنَّهم من كندة ، وصريخهم للدَّيِّن .

فمنها : باغِنَيم ـ بكسر ففتح فسكون ـ . الحِجَيْلَيْن ـ بكسر ففتح فسكون ففتح اللاَّم فسكون الياء ـ وبالَجْنَف ـ بسكون الجيم وفتح النُّون = الأجنف .

النُّخيلات ـ بضمٍّ ففتح فسكون ـ فـ(مَدْهون) ـ بفتح فسكون ـ فـ(دُفَيْقة) = بضمٍّ ففتح فسكون ـ كلُّها لباكرشوم .

ثمَّ زيد : بفتح فسكون للذبياني ، فـ(زيد الهابطي) ، فـ(دَثَله) ـ بفتحتين فسكون الثاء ـ كلاهما لباكَرْشوم ، فـ(الصَّلَل) ـ بفتحتين ـ للباقضاعة من الدَّيِّن .

فـ(الغبظه) ـ لابن الشَّيخ العموديّ ـ من أهل الشعبة، فـ(بِجَيِّده) ـ بكسر الباء ففتح فتشديد الياءِ ـ =

وفي « ٱلقاموسِ » : أَنَّ بحَضْرَمَوْتَ ريدتينِ ، يعني هـٰذه وريدةَ ٱلصَّيعَرِ .

وٱلواقعُ : أَنَّ بحَضْرَمَوْتَ رِيَداً كثيرةً للجُوهِيِّينَ وٱلمَعَارَّةِ وغيرِهم ، وإِنَّما خُصَّتِ ٱلأُوليانِ بٱلذِّكرِ لشُهرتهما وقِدَمِهما . وسيأْتي في ريدةِ ٱلصَّيعرِ عنِ ٱلهَمْدانيِّ : أَنَّ إِليها ٱلإِشارةَ بقول طَرَفةَ بنِ ٱلعبدِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

= لباقضاعة ، فـ(السويدا) ـ بضمٍّ ففتح فسكون ـ للبايَبْر ـ بفتح الباء وسكون الياء ـ من الدِّيْن .

ذي الحُمَر ـ بضمٍّ ففتح ـ للمشايخ آل العموديّ والبادُوَيْس ـ بضمٍّ ففتح فسكون ـ فـ(قدّه) ـ بكسر فتشديد الدّال ـ للبامِجَيْمِر ـ بكسر الميم ففتح الجيم فسكون الياء فكسر الميم ـ من المَشاجِر ، وصريخهم للدِّيْن .

الشَّعَبات ـ بفتحات ـ لآل همِّيم .

إِلْمَر ـ بكسر الهمزة وسكون اللاَّم وفتح الميم ـ فيه : الباخَرْبوش ، بفتح فسكون . انقضىٰ هـٰذا الطَّرف .

نعود إِلىٰ يمين الطَّريق :

بَرَاوِرة ـ بفتح الباءِ وكسر الواو ـ وفيها : آل الجيلانيِّ ، ينتسبون إِلىٰ سيِّدنا عبد القادر الجيلانيِّ .

لَخْشاب = (الأَخشاب) ، فيها آل العموديِّ .

ثمَّ يأْتي إِلىٰ ناحية الشَّمال يساراً عن الطَّريق الذَّاهبة من الرِّيدة إِلىٰ وادي عمد ، ويميناً عن الطَّريق الذَّاهبة من الرِّيدة إِلىٰ قيدون .

سوط لَبارقة = (الأبارقة) .

ثمَّ شرع العلاَّمة الحدَّاد في ذكر السيطان وقراها وسكَّانها ، وقد انقضى الكلام هـٰهنا علىٰ ريدة الدِّيْن . وكنَّا قدَّمنا في موضع سابق أَنَّ بحضرموت عدَّة رِيَد ـ جمع ريدة ـ وهـٰذه واحدة منها ، وتقدَّمت ريدة المشقاص ـ آل عبد الودود ـ ولنعدِّد هـٰهنا الأُخريات ، فثالثة الرِّيَد : ريدة الصيعر ، في الشَّمال الغربيِّ للوادي الرَّئيسيِّ ، تقع شرقيَّ حصن العَبْر . والرابعة : ريدة المعارّة ـ بتشديد الرَّاء ـ : تقع بين ريدة الجوهيِّين والحموم ، شمال شرقيِّ المكلاَّ بمسافة (١٠٠كم) . والخامسة : ريدة الجوهيِّين : في شمالي غيل بن يمين ، تبعد عن الشِّحر (٨٧كم) .

ومنها تشرع الطُّرق إِلىٰ عقبة الفِقْرة ، وعبد الله غريب ، وعقبة عثه ، وكلُّها تنزل إِلى السَّاحل ، وقد شقت في هـٰذا الجبل طريق حديثة ، وآل الجوهيِّ المنسوبة إِليهم هـٰذه الرِّيدة هم من سيبان . والسادسة : ريدة الشعيب : في وادي عرما جنوب شبوة . والسابعة : ريدة الرَّشيد : في شمال غرب ميفعة ، فيها ناس من آل الواحديِّ .

هـٰذه ريد حضرموت ، وفي شمال اليمن توجد ريدة البون ، أو ريدة شهير ، تقع في السَّفح الشَّرقيِّ الجنوبيِّ من حصن تلقم ، علىٰ بعد (٢٠كم) شمال شرق عمران . وبها قبر الإِمام الحسين بن قاسم العياني الزَّيدي العلويِّ الحسينيِّ ، وسكن بها لسان اليمن الهمدانيُّ صاحب « صفة جزيرة العرب » .

وَبِـالسَّفْـحِ آيَـاتٌ كَـأَنَّ رُسُـومَهَـا   يَمَـانٍ وَشَتْـهُ رَيْـدَةٌ وَسُحُـولُ[1]

وقالَ أبو طالبٍ ـ عمُّ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لأبي أُميَّةَ بنِ المغيرةِ [مِنَ الطَّويلِ] :

فَيُصْبِـحُ أَهْـلُ اللهِ بِيضـاً كَـأَنَّمَـا   كَسَتْهُـمْ حَبِيـراً رَيْـدَةٌ وَمَعَـافِـرُ[2]

والمعافرُ مِنْ أرضِ اليمنِ ، وأمَّا الرَّيدةُ . . فهـٰذهِ ، أو ريدةُ الصَّيعرِ ، وإن كانَ في اليمنِ ريَدٌ مشهورةٌ .

ولمَّا وصلَتْ جيوشُ المتوكِّلِ على اللهِ إسماعيلُ بقيادةِ الإمامِ أحمدَ بنِ الحسنِ إلىٰ هـٰذهِ الرَّيدةِ سَنةَ (١٠٦٩هـ)[3] . . لاقاهُ الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ العموديُّ ، وساعدَهُ بكلِّ مَنْ أطاعَهُ ، وكانَ الشَّيخُ إذْ ذاكَ والياً علىٰ أكثرِ بلادِ دوعن ، وبهِمُ انهزمَ بدرُ بنُ عبدِ اللهِ الكثيريُّ أشنعَ انهزامٍ ، حسبما فُصِّلَ بمواضعهِ مِنَ « الأصلِ » .

والشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ العموديُّ هـٰذا هوَ غيرُ سَمِيِّهِ العلاَّمةِ الشَّهيرِ المعمَّرِ ، وإنَّما هُما مِنْ قسمِ المتَّفقِ المفترقِ فيما أظنُّ[4] ؛ لأنَّ هـٰذا علاَّمةٌ صوفيٌّ ، وذاكَ أميرٌ يقودُ الجيوشَ ، ويُذْكي الحروبَ ، وإنَّما اتَّفقا في أسمائِهما وأسماءِ آبائِهما .

وقد جاءَ في « عقدِ » سيِّدي الأستاذِ الأبرِّ عندما ذكرَ مشايخَ الحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ

---

(١) صفة جزيرة العرب (١٦٦) ، يمانٍ : منسوبة إلى اليمن . وشته : طرَّزته . ريدة وسحول : اسما بلدين . والمقصود : أهل ريدة وأهل سحول .

(٢) الحبير : الثَّوب النَّاعم المُوشَّىٰ .

(٣) الَّذي في « عقد الجواهر والدُّرر » للشِّلِّيِّ أنَّ ذلك في سنة (١٠٧٠هـ) .

(٤) المتَّفِق والمفترِق ـ في علم (مصطلح الحديث) ـ : ما اتَّفق لفظه وخطُّه وافترق معناه ، بأن تعدَّد مسمَّاه . فهو من قبيل المشترك اللَّفظيِّ . وله أنواع ، منها :

١ـ أن تتَّفق أسماؤهم وأسماء آبائهم ؛ كالخليل بن أحمد ـ ستَّة رجال .

٢ـ أن تتَّفق أسماؤهم وأسماءُ آبائهم وأجدادهم ؛ نحو : أحمد بن جعفر بن حمدان ـ أربعة متعاصرون في طبقة واحدة . وله أنواع أُخرى . . فليراجعها من مظانها من أراد التوسُّع . وفائدة معرفة هـٰذا النَّوع : الأمن من اللَّبس ؛ إذ ربَّما يكون أحد المتَّفقين ثقة والآخر كذَّاباً ضعيفاً . والله أعلم .

أحمدَ بلفقيهِ : أنَّ ٱلعلاَّمةَ ٱلصّوفيَّ توفِّيَ يومَ ٱلسَّبتِ (٢٤) جمادى ٱلأُولىٰ سَنةَ (١٠٧٢هـ) .

وفي « ٱلأَصل » : أَنَّ ٱلشَّيخينِ حسينَ بنَ مطهَّرٍ ومحمَّدَ بنَ مطهَّرٍ آلَ ٱلعموديِّ لاقَوا ٱلشَّيخَ عمرَ بنَ صالحِ بنِ هرهرةَ ـ ٱلسَّابقِ ذكرهُ ـ في ٱلضِّلَيعةِ ، وحالفوهُ علىٰ سلطانِ حضرموتَ عمرَ بنِ جعفرٍ ، ثمَّ حالفوا عمرَ بنَ جعفرٍ على ٱلزَّيديَّةِ ، وكانَ لهم كلَّ حينٍ لونٌ .

وفي « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » لابنِ ٱلحائكِ ٱلهَمْدانيِّ [١٧٠] : (أَنَّ ريدةَ ٱلعِبَادِ وريدةَ ٱلحَرْميَّةِ للأُحرومِ مِنْ بني ٱلصَّدفِ ، وأَنَّ مسكنَ بني معاويةَ ٱلأكرمين كانَ بقَبْضَين ، ويَستشفي بدمائِهم ٱلكَلِبُ[١]) اهـ

وكلَّما ذكرَ ٱبنُ ٱلحائكِ ريدةَ أَرَضين أَو قبضينَ . . فٱلظَّاهرُ أَنَّهُ إِنَّما يعني ريدةَ ٱلدِّيِّنِ هـٰذهِ .

وقد قالَ فيها [١٦٨] : (ومِنَ ٱلهجرينِ إِلىٰ ريدة أَرَضين وادٍ فيهِ قرىً كثيرةٌ ونخيلٌ لِلعبادِ مِنْ كندةَ) اهـ

وهـٰذا ٱلوصفُ ينطبقُ علىٰ دوعنَ ووادي عَمْدٍ ، إِلاَّ أَنَّهُ يُشكلُ علىٰ إِرادةِ دوعنَ بأَنَّ ذِكرَ دوعنَ موجودٌ بٱلصَّريحِ في غيرِ موضعٍ مِنْ كتابِ ٱبنِ ٱلحائكِ ، فلَو عناهُ . . لذكرَ ٱسمَهُ بٱلصَّريحِ .

ويُشكلُ علىٰ إِرادةِ عَمْد قولُهُ : (لِلعبادِ مِنْ كندةَ) معَ ما تقرَّرَ أَنَّهُ لقضاعةَ مِنْ حِمْيَرَ .

وقد يجابُ عن هـٰذا : بأَنَّ كندةَ ٱختلطتْ بحِمْيَرَ وخَلَفَتْها علىٰ كثيرٍ مِنْ منازِلها ، ويتأَكَّدُ هـٰذا بأَنَّ وادي عَمْدٍ كانَ أَخصبَ مرعىً في حَضْرَمَوْتَ ، ولذا كانتِ ٱلأَعيانُ تُرسلُ مواشيَها مِنْ أَسفلِ حَضْرَمَوْتَ لِترعىٰ منهُ ، وقد ذكرَ غيرُ واحدٍ أَنَّ للحسينِ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ عدداً كثيراً مِنَ ٱلخيلِ يُرسلُها إِليهِ لِلرَّعي .

---

(١) الكلِب : الرَّجل الَّذي عضَّه كلب عقور ، فيصاب بداءٍ يُسمَّىٰ : الكَلَبَ .

ومِنْ خطِّ ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحيمِ بنِ قاضي ، عن خطِّ ٱلفقيهِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ ٱلعليمِ[1] بانافعٍ : (أَنَّ قبائِلَ ٱلسَّوطِ مِنْ حِمْيَرَ) اهـ

وقبائِلُ ٱلسَّوطِ كما سَبَقَ قُبيلَ ذِكرِ وادي عَمْدٍ هُم : آلُ باتَيْس ، وآلُ سِمَيدع ، وآلُ بلْعُبَيد ، وهُم : آلُ هَمِيم ، وآلُ باهَيْصَمي ـ وهوَ ٱلرَّأسُ ـ وباسَاع ، وباكِرِش ، وباحَيَّان ، وآلُ باغِس ، وآلُ باسُمَيرٍ ، وآلُ باوهَّاجٍ ، وغيرهُم . وقد سَبَقَ أَنَّهُم يناهزونَ ٱلفَ رامٍ .

ويأْتي آخِرَ ٱلكتابِ ما يشيرُ إِلىٰ أَنَّ آلَ بلْعُبَيد مِنْ قُضَاعةَ ، وهوَ موافقٌ لِما جاءَ عن بانافعٍ ؛ لأَنَّ قضاعةَ مِنْ حِمْيَرَ ، وهيَ تمتدُّ مِنْ رؤُوسِ وادي جَردان إِلىٰ رؤُوسِ وادي رَخْيةَ .

ومِنْ خطِّ ٱلشَّيخِ أَحمدَ بنِ محمَّدٍ مؤَذِّن باجمال ، عن كتابِ « ٱلفَرَجِ بعدَ ٱلشِّدَّة في أَنسابِ فروعِ كندَة » لِعوضِ بنِ أَحمدَ ٱلجَرُوِ : (أَنَّ ريدةَ ٱلحرميَّةَ للأَحرومِ مِنَ ٱلصَّدفِ ، ومِنْ آلِ لَخروم : آلُ مروانَ وآلُ أَبي سهل وبنو يمامةَ بنجران ، وٱلصَّدفُ ٱلَّذينَ بريدةِ ٱلدَّيِّنِ مِنْ ولدِهِ) اهـ

فيتحصَّلُ أَنَّ سكَّانَ ٱلرَّيدةِ ـ وهيَ مِنَ ٱلسَّوطِ ـ أخلاطٌ مِنْ حِمْيَرَ ومِنَ ٱلصَّدفِ وغيرِهم .

ومِنْ أَخبارِهمُ ٱلأَخيرةِ : أَنَّ آلَ باصُلَيب ٱلضَّاربينَ بٱلحَيْلةِ مِنْ وادي عَمْد كانَ لَهم ثأْرٌ عندَ آلِ بامَسْدُوس ، فلَم يَقدروا عليهِ لمناعةِ أَرضِهم ، حتَّىٰ صاروا ضُحْكَةً بينَ ٱلسَّماسرةِ يُؤْذونَهُم بٱلكلامِ .

وَٱلْعَـارُ مَضَّـاضٌ وَلَيْـسَ بِخَـائِـفٍ ... مِـنْ حَتْفِـهِ مَـنْ خَـافَ مِمَّـا قِيـلا[2]

فلَمْ يَكُنْ منهُم إِلاَّ أَنِ ٱنتخَبوا سبعةً مِنْ رجالِهِم ، فرَكبوا مَتْنَ ٱللَّيلِ حتَّىٰ وصلوا إِلىٰ

---

(١) وفي نسخ: : (عبد الرحيم) .

(٢) البيت من الكامل ، وهو للمتنبّي في « العكبريّ » (٣/ ٢٤٢) . مضّاض : مؤلم . الحتف : الهلاكُ . والمعنىٰ : العار محرق موجع ، ومن خاف العار . . لم يخف من الهلاك ، وفي المثل : (من أَنِفَ من الدنيّة . . لم يحجم عن المنيّة) .

حصنٍ لَهم بٱلضِّليعةِ ـ بَلَغَهُم خلوُّهُ مِنَ ٱلسُّكَّانِ ـ وكانوا ٱستعدُّوا بكثيرٍ مِنَ ٱلماءِ وٱلزّادِ وٱلعتادِ ، فتسوَّروا ٱلحصنَ ، ولمّا بَدَرَ لَهمُ ٱلمطلوبُ . . أطلَقوا عليهِ ٱلرّصاصَ ، فخرَّ صريعاً لليدينِ وللفمِ[1] ، ولٰكنَّهُم لَم يَقدروا على ٱلهربِ ، وتضرَّرَ كِلا ٱلطَّرفينِ : آلُ باصُلَيبٍ بٱلانحصارِ في ٱلحصنِ ، وٱلدِّيِّنِ بٱنكشافِ مواضعِ تَصَرُّفِهم لبنادقِ آلِ باصُلَيبٍ ، حتَّىٰ توسَّطَ بعضُ ٱلمناصبِ ، وبعدَ أَنْ طالتِ ٱلمراجعةُ في ٱلارتجازِ ـ ٱلَّذي لَم يَرْضَ ٱلخروجَ صُلحاً بدونهِ آلُ باصُلَيب ـ سمحوا لَهم بهِ ، فقالَ شاعرهُم :

سَبْعَهْ سَرَوْا مِنْ حِيلَةَ ٱحْمَدْ بِنْ عَلِيْ ... بَـارُوتُهُـمْ عِنْـدَ ٱلسَّمَـا مِتْحَلِّـقْ[2]

وَٱلـدِّيِّنْـي غَـافِـلْ وَلاَ ظَـنَّ ٱلْـوَفَـا ... جِتْـتْـهْ مِـنَ ٱلْجَـوْ وَٱلْفَنَـا مِتْغَلِّـقْ[3]

ومِنْ أَخبارِهم : أَنَّ ٱلسَّيِّدَ محمَّدَ بنَ عمرَ بنِ علويٍّ باعقيل ٱستجارَ بٱلدِّيِّنِ ، هارباً مِنَ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ ٱلمحضارِ ، فبذَلوا لَهُ ٱلأَمانَ ، وهُم : آلُ بامَسْدُوس ، وآلُ ٱلهَمِيم ، وٱلمَشَاجِرَةُ .

ولمَّا جدَّ ٱلجِدُّ . . قالَ لَهُ ٱلأخيرونَ : لا نُجيرُكَ مِنَ ٱلدَّولةِ ، وأَمَّا ممَّنْ دونَهُم . . فنَعَمْ .

وأَمَّا آلُ بامَسْدُوسٍ[4] ورئيسُهُم سالمُ بنُ عليٍّ باغُشْمي . . فثبتَ معَ باعقيلٍ ، فلَم يَكُنْ مِنَ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ إلاَّ أَنْ زحفَ عليهِم بعسكرٍ مِنْ جندِ ٱلقعيطيِّ يتألَّفُ مِنْ ٱلفينِ وأربعِ مئَةٍ ، علىٰ رأسهِم أخوهُ ٱلسَّيِّدُ عَبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ حامدٍ ومحمَّدُ بنُ عمرَ بنِ أَحمدَ باصرَّةَ ، فتقدَّمتِ ٱلعساكرُ إلىٰ مكانٍ يقالُ لَهُ : ٱلأَبيضينِ ، وإلىٰ مكانٍ آخرَ يقالُ لَهُ : وُلَيْجات ، ودامَ ٱلحربُ نحواً مِنْ شهرينِ ، حَمَلَتْ فيهِ ٱلعساكرُ ٱلقعيطيَّةُ علىٰ آلِ

---

(١) لليدين وللفم : كلمة تقال عند الشّماتة في إنسان . والأصل في هـٰذا المثل : أَنَّ سيِّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أُتي بسكران في شهر رمضان ، فتعثَّر بذيله ، فقال سيِّدنا عمر رضي الله عنه : لليدين وللفم ، أولادنا صيام ، وأنت مفطر!! ثم أمر به فحُدَّ . وأراد : على اليدين والفم ؛ أي : أسقطه الله عليهما .

(٢) باروتهم : بارودهم ؛ أي : علا في الجو دخانه متراكباً .

(٣) الوفا : استيفاء الثأر . والفنا متغلق : الهلاك محقق .

(٤) البامَسْدوس : مشايخ قبائِل الدِّيِّن ، ويقال لمنطقتهم ريدة بامسدوس ، وهي ضمن الدِّيِّن . وكانوا يتوارثون *الزّعامة على الدِّيِّن* . من فروعه : بلَحمر ، باغشمي ، بامكراب .

بامسدوسٍ مرَّتينِ ، في كلتيهما يُصْلُونَهُم ناراً حاميةً ، فيتراجعونَ بعدَ أَنْ قُتلَ منهُم في ٱلهجمتينِ أكثرُ مِن ٱلعشرينَ بدونِ أَنْ تُراقَ مِنْ آلِ بامَسْدُوسٍ مِحْجَمَةٌ مِنَ ٱلدَّمِ[١] .

فما زالوا بحاميةٍ ـ قارةٍ صغيرةٍ هناكَ[٢] ـ حتَّىٰ أَرضوهُم بما شاؤُوا مِنَ ٱلدَّراهمِ ، فسَلَّموها لَهم ، فٱنكشفت بِطاحُ آلِ بامَسْدُوس حينئذٍ لمدافعِ ٱلعسكرِ ٱلقعيطيِّ ، فطلَبوا مساعدةً ماليَّةً مِنْ محمَّدِ بنِ عمرَ باعقيل ؛ لشراءِ ٱلذَّخيرةِ حتَّىٰ يتمكَّنوا مِنْ مواصلةِ ٱلحربِ ، وكانَ مثرياً . . إلاَّ أَنَّهُ لئيمٌ ، فلَم يُعطِهِم قليلاً ولا كثيراً ، فتوسَّطَ ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ طاهرِ بنِ عمرَ ٱلحدَّادُ وٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ بوبكر باسَودانَ ، وذَمُّوا إِليهِم باعقيلٍ ، وزيَّنوا لَهم تسليمَهُ ، ومحالفةَ ٱلقعيطيِّ إِزاءَ ما يرضيهم مِنَ ٱلنُّقودِ ، ففَعلوا ، وعندها وصلوا بباعقيل مصفوداً في ٱلقيودِ إِلىٰ مصنعةِ عُوره .

قالَ ٱلسيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ ٱلمحضارُ :

سَلاَمْ مِنِّي عَٱلْمَنَاصِبْ وَٱلدُّوَلْ   خُصّْ ٱلْمُقَدَّمْ وَٱلْمُسَمَّىٰ بَاعَقِيلْ
يُومْ مُطَرَّدْ مِنْ جَبَلْ لَمَّا جَبَلْ   مَا قَايَسِ آنَّا بَا نْرُدُّهْ بِٱلصَّمِيلْ[٣]

فأَجابَهُ أَحدُ ٱلدَّيِّنِ بما لا أَذكرهُ . . ثمَّ قالَ ٱلسَّيِّدُ حسينٌ :

حَيَّا بِكُمْ يَالِّي قَضِيتُوا شَغْبُكُمْ   بِٱلسَّيْفْ وَٱلْقُوَّهْ وِصَرَّاتِ ٱلْخَزَيْنْ[٤]
مَا ٱلدَّيِّنِي شَلّْ ٱلْحُمُولَهْ مُثْقَلَهْ   كَنُّهْ طَرَحْهَا بَعْدْ ذَلِكْ يَا هَوَيْنْ[٥]

فأَجابَهُ أَحمدُ بنُ عبيدِ بنِ مسلَّمِ بنِ ماضي بقولِهِ :

لَوْلاَ قُرُوشَكْ لِي مَعَكْ قَدَّمْتَهَا   جِيشَكْ رَجَعْ مَكْسُورْ يَا سَيِّدْ حِسَيْنْ

---

(١) المِحجمة : القارورة الَّتي يُحتَجَم بها .

(٢) حامية : قرية صغيرة ، هي اليوم من أعمال محافظة شبوة في وادي ميفعة ، وتقع بقربها بلدة رضوم .

(٣) الصَّميل : العَصَا في لغة أَهل حضرموت ، ويقال لها عند العرب : هراوة .

(٤) شغبكم : شغلكم (عامية) . الخزَين : بإمالة الزاي ـ أي : نطقها بين الفتح والكسر ـ والمقصود بصرات الخزين : الصُّرر ـ جمع صرَّة ـ وهي ما يوكأُ من الدراهم ـ فصيحة ـ والخزين بمعنى الخزائن في الفصحى ـ جمع خزانة .
أي : قضيتم شغلكم بالسيف والمال .

(٥) ياهوَين : كلمة بمعنى : أَهْون بك ، تقال في لهجة حضرموت العامية ، وأصلها في الفصحى : يا هويناه ، الأمر المطلوب بسهولة ويسر . =

وَلاَ ٱلْــوُعُــولْ ٱلْمَــرْبَعِيَّــهْ شُفْتَهَــا عِيَــالْ يَــافِــعْ فِــي ٱلْمَقَــابِــرْ مِــنْ ثِنَيْــنْ

أَمَّا ٱلحِلْفُ.. فقد تمَّ بينَ ٱلدَّيِّنِ وٱلقعيطيِّ بواسطةِ ٱلدَّراهمِ وٱلسَّيِّدِ حسينٍ، وسَلَّمتْ لَهمُ ٱلدَّيِّنُ رهائِنَ ٱلرِّضاءِ، وما زالتْ رهائِنُهُم تحتَ ٱلمراقبةِ في مصنعةِ عُوره حتَّىٰ جاءَ نحو ستَّةِ نفرٍ مِنْ آلِ بامسدوسٍ ذاتَ يومٍ في حدودِ سَنةِ (١٣٥٨هـ) فأَخذوا رهائِنَهُم، وهَربوا ضَحْوةَ ٱلنَّهارِ، ولَم تَخْبِقْ في ذلك ضأْنة[١] .

وأَمَّا باعقيلٍ.. فبقيَ مقيَّداً بسجنِ ٱلمُكَلاَّ، وظَفروا بولدٍ لَهُ بعدَ ذلكَ أَوان ٱلبلوغِ، فزجُّوهُ معَهُ في ٱلسِّجنِ، وآلوا أَنْ لا يُطلقوهُ إِلاَّ بغرامةِ ٱلحربِ ٱلمقدَّرةِ بمئَتي أَلفِ ربيَّةٍ، حتَّىٰ وردتُ ٱلمُكَلاَّ في سَنةِ (١٣٤٦هـ) فتوسَّطتُ في إِطلاقهِ بخمسين أَلفَ ربيَّةٍ فقط، فتمَّ ذلكَ في قصصٍ طويلةٍ مستوفاةٍ في « **ٱلأَصلِ** » .

وكنتُ ٱجتمعتُ بٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ بعدَ إِلقائِهِ ٱلقبضَ علىٰ باعقيلٍ، فأَنشدني كثيراً مِنَ ٱلمساجلاتِ ٱلَّتي دارتْ بينَهُ وبينَ ٱلدَّيِّنِ، ولمَّا أَنشدني ٱلزَّاملَ ٱلأَوّلَ[٢].. ٱنتقدتُهُ، وقلتُ لَهُ: لا يليقُ زجُّ باعقيلٍ في ٱلسِّجنِ وٱلقيدِ، بعدَ أَن خصصتَهُ بٱلسّلامِ، ولَو أَنّكَ ٱستثنيتَهُ.. لكانَ لكَ بعضُ ٱلعذرِ، أَمَّا ٱلآنَ.. فلا .

فسُقطَ في يدهِ[٣]، وما أَحسَّ بها إِلاَّ تلكَ ٱلسَّاعةَ، وكانَ يَهابُ ٱلملامَ ويعرفُ مقاديرَ ٱلكلامِ، وكانت شهامتُهُ تقتضي إِطلاقَهُ، ولكنَّ ولدَهُ أَبا بكرٍ لَم يَكُنْ ليُساعدَهُ علىٰ ذلكَ، لأَنَّ ٱلعداوةَ إِنَّما تأَصَّلَتْ بينَ باعقيلٍ وبينَهُ .

ومِنَ ٱلضِّلَيعةِ إِلىٰ دوعن يومٌ واحدٌ، تنزلُ ٱلطُّرقُ مِنْ أَعلىٰ جبلِ ٱلسّوطِ[٤] ٱلشّاهقِ إِلىٰ أَكثرِ بلادِ دوعن؛ كٱلخريبةِ وٱلقويرةِ وبُضَهْ وقيدون . فمنهُ إِلىٰ كلِّ واحدةٍ منها

---

(١) **تحبق**: تضرط . **الضأْنة**: الشاة . وهو مثل يضرب للأَمر الَّذي لا يكون له تغيير، ولا يدرك به ثأْر .

(٢) **الزَّامل**: الشِّعر الَّذي يقال في مناسبات عند القبائل الحضرميَّة، ويرتجز به .

(٣) **سُقط في يده**: ندم، وهو من الأَفعال الَّتي تلازم صيغة المبنيِّ للمجهول ما دامت لازمةً .

(٤) السَّوط هـٰذا يسمَّىٰ: سوط لَبارقة = الأبارقة، وهم قبيلة من الدَّيِّن، ومن قراهم: النَّجر ـ بكسر ففتح ـ فيها: الباقارح ـ بكسر الرَّاء ـ الدِّيْيْمة ـ بكسر ففتح الياء فسكون الأُخرىٰ ـ لباصُرَّة . وغيرها . وتأْتي في طريق هـٰذه العقبة مع النُّزول عدَّة قرىً أُخرىٰ، لا نطيل بذكرها، ومن سكَّانها: الباعبدون، البانعمة، الباوقَّاش، الباسلطان، الباعطا، آل وتَّار، الباعضيدة . ينظر « الشَّامل » (٩٧ـ٩٨) .

طريقٌ كلُّها عِقابٌ كأداءُ ، إلاَّ أَنَّ أقلَّها وعورةً ـ بالنِّسبةِ فيما يقالُ ـ : طريقُ بُضَهْ .

وبالنُّجيدَينِ مِنْ ريدةِ الدِّيِّنِ كثيرٌ مِنَ المشايخِ آلِ العموديِّ ، منهُمْ : الشَّيخُ عثمانُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرَ العموديِّ ، ذهبَ ولدهُ هٰذا العام ـ أعني عامَ (١٣٦٦هـ) ـ تاجراً يحملُ أَلفَ ريالٍ إِلى الحاضنةِ ، وكانَ معَهُ أحدُ آلِ باقُطْمي ، وفي أَثناءِ الطَّريقِ صوَّبَ الرَّصاصَ إِلىٰ جوفهِ وهوَ يغطُّ في نومهِ ، فأرداهُ واستلبَ سلاحهُ ومالَهُ ، إلاَّ أَنَّ المشايخَ آلَ العموديِّ اجتمَعوا مِنْ كلِّ صوب ، واحتجُّوا علىٰ آلِ باقُطْمي القاطنينَ بمحَيد ، الواقعِ في شرقيِّ حوطةِ الفقيهِ ، بينَهُ وبينها كما مرَّ في يِنْبِعْث نصفُ يومٍ ، ولا ندري ماذا صارَ بَعْدُ[1] .

وفي شمالِ النُّجيدَينِ حوضٌ عاديٌّ بديعُ الإِصلاحِ والنَّقْبِ ؛ لحفظِ الماءِ طوالَ سنينِ الجَدبِ ، لا ينتهي أَحدٌ إِلىٰ قعرِهِ أبداً ، ولا يَذكُرُ أَحدٌ نفادَ مائِهِ بأَسرهِ قطُّ ، والشَّائعُ بينَهم : أَنَّهُ من عمارة عادٍ ، كذا أخبرني الشَّيخُ محمَّدُ بنُ سالمٍ باسودانَ ، خطيبُ جامعِ الخريبةِ ، والمكانُ الَّذي هوَ بهِ يُسَمَّىٰ : شويحطين .

وعلىٰ مقْرُبةٍ مِنَ الضُّلَيعَةِ آثارُ قريةٍ قديمةٍ ، علىٰ أَنقاضِها كتاباتٌ كثيرةٌ بالمسندِ ، يقالُ لها : عِكْرِمة[2] .

دَوْعَنُ

وأمَّا دَوْعَنُ[3] : فإِنَّهُ اسمٌ عجميٌّ فارسيٌّ كما يأتي في حُوفَة ـ ومنهُ تعرفُ انتجاعَ

---

(١) الذي صار بعدُ : أن العمودي اقتصَّ من قاتل ابنه ، واستلم تعويضاً مالياً من الباقطمي نحو مئة ريال (قرش فرانصه) أو يزيد .

(٢) عكرمة : لعلَّها نسبة إِلىٰ قبيلة من الصَّدِف بهٰذا الاسم ، وهي ضمن ريدة الدِّيِّن . وتوجد قرىً أُخرىٰ بهٰذا الاسم أيضاً في : بيحان ، وأُخرىٰ في مرخه ، وفي نواحي مأرب ثالثة لآل شبوان .

(٣) وادي دوعن من أودية حضرموت الرَّئيسيَّة ، ويشكِّل مديريَّة كبيرة ، ذات مساحة واسعة ، وعدد كبير من السُّكَّان ، وهو واد عريق وجميل ، وموقعه أعلىٰ وادي حضرموت الرَّئيسي شرقيَّه . تمتدُّ علىٰ جانبيه صفوف طويلة من القرىٰ ، تتربَّع وسطها وعلى امتداد الوادي غابات من النَّخيل وحقول القمح والذُّرة وأشجار السِّدر .
=

ٱلأعجامِ بكثرةٍ لبلادِ حضرموتَ مِن عهدِ ٱستيلاءِ ٱلفُرسِ على ٱليمنِ ، حَسبَمَا سبقَ في حصنِ ٱلغرابِ ، ولم يزل بها وبٱليمنِ من أعقابهم ٱلكثيرُ ، إلاَّ أَنَّهم ٱندمجوا فيهم مع مرورِ ٱلأيَّامِ ، ودوعنُ يُطلَقُ علىٰ واديَينِ بأَعلىٰ حَضْرَمَوْتَ ، يقالُ لأَحدِهما : ٱلأيمنُ[1] ، وهوَ مسيلٌ مغروسٌ بٱلنَّخيلِ ٱلمُثمِنةِ[2] ، وعلىٰ حِفافيهِ بلدانُهُ وقُراهُ[3] .

فأمّا شِقُّهُ ٱلغربيُّ :

فأَوّلُ بلادهِ من أَعلاهُ : **قُرْحَةُ آلِ باحَميشٍ** : وهيَ علىٰ رأسِ ٱلوادي ٱلأَيمنِ بينَ واديينِ ، يقالُ لأَحدِهما : **وادي ٱلنَّبيِّ**[4] ، وهوَ ٱلغربيُّ ، ويقالُ للآخَرِ : **وادي حَمُوضة**[5] ، في شرقيِّهِ وادٍ آخَرُ يقالُ لهُ : **مَنْوَهْ**[6] .

= وينفَّذ حالياً مشروع ضخم ؛ لربط قرىٰ وبلدان وادي دوعن بعضها ببعض عن طريق خطٍّ إسفلتيٍّ حديث ، وهو مشروع هامٌّ يقرِّب المسافات المتباعدة الَّتي كانت تقطع في اللَّيالي والأسابيع عبر الوديان والرِّمال والقفار والعقاب العالية . ويشتهر وادي دوعن بعسله العالي الجودة ، والفائق في فائدته الغذائيَّة علىٰ غيره .

(١) أي : والآخر : الأيسر ـ كما سيأتي ـ والمتعارف عليه عند أهل دوعن إلىٰ هـٰذا اليوم إطلاقهم اسم دوعن على الأيمن ، ولا يلفظون الأيمن ، ولـٰكنَّهم إذا أرادوا الأيسر عيَّنوه باسمه ، فصار اسم دوعن علماً على الأيمن فقط ، هـٰذا في العرف ، لـٰكنَّه تاريخيّاً وجغرافيّاً كما قرَّر المصنِّف وغيره .

(٢) **المسيل** : مجرى الماءِ .

(٣) **حفافا الشَّيءِ** : جانباه .

(٤) **وادي النَّبيِّ** : هو أحد ثلاثة وديان كبار تصبّ في وادي دوعن ، والآخران كما ذكرهما المصنِّف . ويعتبر وادي النَّبي أقصر الأودية الثَّلاثة ، ويجتمع مع وادي حَمُوضة ما بين قرحة باحميش ورباط باعشن ، ثمَّ تجتمع هـٰذه الأودية كلُّها تحت الرِّباط . ويسكن هـٰذا الوادي فخائذ من قبيلة القُثم ، الَّذين يجمعهم اسم : آل عليٍّ بامسلَّم ، وهم : باوقَّاش ، وبن جريد ، وباجبير ، وآل مبارك . والقُثَم : فرع من الحالكة من سيبان .

وسمِّي الوادي بوادي النَّبيِّ : لأنَّ فيه في موضع يقال له الصَّعيد ـ في أعلى الوادي ـ مشْهَدٌ يزار ، يقال : إنَّه قبر نبيٍّ من أهل القرون الأولىٰ .

(٥) **وادي حَمُوضة** : بفتح الحاءِ وضمِّ الميم ، واد كبير يصبُّ في دوعن ، مخرجه شرقيَّ القُرْحة ، وفروعه توازي رؤُوس حَجْر وصِيَق السُّموح ، وفي شعابه بادية نوَّح ، والسُّموح ، والمراشده . كلُّهم سَيْبان ، وفيه غياض وزروع وعيون ماءٍ عديدة .

(٦) **مَنْوَه** : بفتح فسكون ففتح ، واد عظيم في الشَّرق الجنوبيِّ لدوعن ، ويصبُّ شرقيَّ الرِّباط ، وفروعه توازي وادي عَقْرون من أودية الأيسر .

وآلُ باحَميشٍ[1] مِنْ حملةِ ٱلسِّلاحِ وأَهلِ ٱلنَّجدةِ .

ومِنْ متأَخِّري علمائِهِم : ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ أَحمدَ بنِ سعيد باصبرين[2] ، كانَ جبلاً مِنْ جبالِ ٱلعِلْمِ ، قالَ والدي : (زرتُ دوعنَ في شوَّالٍ مِنْ سَنةِ « ١٢٩٠هـ » ، فطُفْنا

---

(١) آل باحميش : من نوَّح ، سيبان ، ولم يذكر المصنِّف هنا أحداً من آل باحميش ، مع أَنَّ فيهم عدداً من أهل العلم والرَّأي والبأس ؛ فمنهم :

الشَّيخ العلاَّمة مُحَمَّد بن أحمد باحميش كان إماماً عالماً فقيهاً حبراً منوَّراً ، من علماءِ القرن التَّاسع الهجريِّ ومشاهيره ، مولده بغيل باوزير وقيل ببور سنة (٧٩٨هـ) ، نشأ بها ، ثمَّ هاجر إلىٰ عدن ، ومن شيوخه : العلاَّمة عليُّ بن عمر بن عفيف الحضرميُّ ، والعلاَّمة القاضي عمر بن مُحَمَّد اليافعي ، تقيُّ الدِّين ، وغيرهما . تولَّى القضاءَ من قبل السُّلطان عليِّ بن طاهر (الدولة الطاهريَّة) وتوفِّي وهو متقلِّده سنة (٨٦١هـ) . انتفع به جمٌّ غفير ، كالعلاَّمة عبد الله بن أحمد بامخرمة ، والعلاَّمة مُحَمَّد بن أحمد بافضل ، وعبد الله بن أحمد بافضل وغيرهم .

والشَّيخ عليُّ بن مُحَمَّد باحميش ولد بعدن ، وهو من أُسرة نزحت من الشِّحر ، وبها كانت نشأته ، وتلقَّى العلم علىٰ أيدي علمائها آنذاك ، ثمَّ رحل إلىٰ مصر والتحق بالأزهر الشَّريف وتخرَّج منه ، ثمَّ عاد إلىٰ عدن وتولَّى القضاءَ بها . وكان خطيباً مصقعاً ، تولَّىٰ خطابة مسجد العيدروس ، اغتيل في حادث مروري سنة (١٣٩١) أو (١٣٩٥هـ) ، رحمه الله تعالىٰ .

(٢) هو العلاَّمة الفقيه ، المحقِّق الشَّيخ عليُّ بن أحمد بن سعيد باصَبْرين ـ مثنَّىٰ صَبْر ـ النَّوَّحيُّ السَّيبانيُّ الدَّوعنيُّ الحضرميُّ . مولده بقرحة باحميش ، ووفاته بجدَّة سنة (١٣٠٥هـ) . تلقَّى العلم علىٰ أيدي علماءِ دوعن ، وكان انتفاعه واستفادته علىٰ يد الشَّيخ سعيد بن مُحَمَّد باعشن ، صاحب « بشرى الكريم » ، وعلىٰ يده كان تخرُّجه ، وأخذ عن غيره ، ويقال : إنَّه رحل إلىٰ مصر وأخذ عن الباجوريِّ وطبقته .

وقد استقرَّ الشَّيخ عليٌّ في جدَّة ، حتى إنه عرف عند علماءِ الحجاز بـ(عالم جدَّة) ، وانتفع به في علم الفلك الَّذي كان يجيده عدد من تلامذته ؛ منهم

العلاَّمة الشَّيخ عبد الحميد بخش الهنديُّ الحنفيُّ ، أحد علماءِ مكَّة في وقته .

وأخذ عنه الفقيه مُحَمَّد بن أبي بكر باذيب ، واستفتاه في مسألة معاملة الكافر الحربيِّ فأجابه عنها .

أَمَّا مصنَّفاته . . فمنها :

١ـ « إثمد العينين في اختلاف الشَّيخين » .

٢ـ « إعانة المستعين » حاشية علىٰ « فتح المعين » للمليباري ، في مجلَّدين كبيرين .

٣ـ « الجمل في المهمَّات الدِّينيَّة » .

٤ـ « سلامة الحجَّاج في كلِّ عام في رفض مختارات محمود الهمام » .

بلادَ دوعنَ ، ووجدنا أكثرَ أهلِها يقرؤُونَ ٱلقرآنَ لِروحِ والدي[1] ؛ لأنَّ ذلكَ كانَ حِدْثانَ وفاتِهِ من رمضانَ منها[2] ، ولمّا ٱنتهينا إلىٰ قرحةِ آلِ باحميشٍ أوانَ ٱلمغربِ . . أدركنا صلاتَها في مسجدِها خَلْفَ إمامٍ حسنِ ٱلأداءِ ، شجيِّ ٱلصَّوتِ ، محافظٍ على ٱلسُّننِ والهيئاتِ ، وبعدَ أنْ فرغَ مِنَ ٱلأدعيةِ والرّاتبةِ . . جلسَ لِلتَّدريسِ في « شرحِ ٱلمقدِّمةِ ٱلحضرميَّةِ » ، وكانَ يكتبُ عليهِ حاشيةً ، فسمعنا أحسنَ تدريسٍ ، وأتقنَ تحقيقٍ ، وأبلغَ إلقاءٍ ، وأوضحَ تفهيمٍ ، ثمَّ صلَّىٰ بنا ٱلعِشاءَ بسورتينِ مِنْ أوساطِ ٱلمفصَّلِ بصوتٍ عذبٍ أخذَ بقلوبِنا ، وبقيَ طنينُهُ بأسماعنا ، وخُيِّلَ لنا أنَّنا لَم نَسمعْ تلكَ ٱلسُّوَرَ ولَم تنزلْ إلاَّ تلكَ ٱلسّاعةَ ، وما كادَ يخرجُ مِنَ ٱلمسجدِ وبندقيَّتُهُ علىٰ كتده[3] إلاَّ وأشعلَ ٱلنّارَ في فتيلتِها ، فقُلنا لَهُ : ما شأنُكَ ؟ قالَ : بيننا وبينَ قومٍ قَتْلٌ ولَم نأخذ صُلحاً ، فتمثّلَتْ لنا رسومُ ٱلصَّحابةِ والسّلفِ ٱلطَّيِّبِ ، حيثُ ٱجتمعتِ ٱلعبادةُ والشَّجاعةُ والعِلْمُ في ذلكَ ٱلهيكلِ ٱلشَّريفِ ، وهوَ شخصُ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ أحمدَ باصبرين) .

جَمَعَ ٱلشَّجَاعَةَ وَٱلْعُلُومَ فَأَصْبَحَا ... كَٱلْحُسْنِ شِيبَ لِمُغْرَمٍ بِدَلاَلِ[4]

هٰذا ما يُحدِّثني بمعناهُ والدي ذاتَ ٱلمرَّاتِ ، فيبني في نَفْسي ٱلعلاليَّ والقصورَ مِنَ ٱلشَّغَفِ بالمجدِ والطّموحِ إلى ٱلشَّرفِ .

وقالَ ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ حسنٍ ٱلحدَّادُ : (قرأْتُ على ٱلشَّيخِ عليٍّ باصبرين ، وهوَ إمامٌ في كلِّ ٱلعلومِ ، حادُّ ٱلطَّبعِ مثلُ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ قاضي باكثيرٍ) اهـ

وفي « مجموعِ » كلامِ ٱلعلاَّمةِ ٱلسَّيِّدِ أحمدَ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ : (أنَّ بعضَ ٱلعلماءِ ٱلمصريّينَ قالَ لَهُ : نعرفُ مِنَ ٱلحضارمِ حدَّةَ ٱلطَّبعِ ، وأنتَ بعيدٌ عنها ، قالَ لَهُ : مَنْ عرفتَ مِنَ ٱلحضارمِ ؟ قالَ لَهُ : عرفتُ ٱلشَّيخَ عليّاً باصبرين ، وجلستُ معَهُ في

---

(١) يعني به الحبيب محسن بن علوي السقاف جد المُؤلِّف .

(٢) الحِدْثان : أوّل الشّيءِ ، وحِدْثان وفاته : علىٰ أثر وفاته .

(٣) الكَتِدُ : مجتمع الكتفين ، وهو الكاهل .

(٤) البيت من الكامل ، وهو لأبي تمّام في « ديوانه » (٢/ ٦٤) ، باختلاف بسيط . شيب : خلط . المُغرم : المولع بالشّيء الَّذي لا يقدر علىٰ مفارقته .

ٱلحرمينِ سنتيْنِ ، فرأيتُ مِنْ حدَّتهِ ما لا مزيدَ عليهِ . فقالَ ٱلسَّيِّدُ أحمدُ : ذاكَ رجلٌ مِنْ أهلِ ٱلباديةِ ، وتلقَّىٰ شيئاً مِنَ ٱلعِلْمِ ، وقد حَجَرَ سلفُنا وأشياخُنا على ٱلمتعلِّقينَ بهِم ٱلأخذ عنهُ ؛ لأنَّهُ ليسَ بأهلٍ للإلقاءِ ولا للتلقّي ، ولا يخفىٰ عليكُم ما في طباعِ ٱلباديةِ مِنَ ٱلغِلْظةِ وٱلجفاءِ) اهـ

وهـٰذا لا يخلو عن حيفٍ كثيرٍ على ٱلشَّيخِ باصبرين ، ويكفي لردِّهِ ما أخرجهُ ٱلطَّبرانيُّ عنِ ٱبنِ عبَّاسٍ : « تَعْتَرِي ٱلْحِدَّةُ خِيَارَ أُمَّتِي » ، وكانَ موسىٰ عليهِ ٱلسَّلامُ حَديداً ، وورد : « ٱلْمُؤْمِنُ سَرِيعُ ٱلْغَضَبِ سَرِيعُ ٱلْفَيْءِ » ، وضُمَّ إليهِ ما سبقَ مِن أخْذِ سيِّدِنا عمرَ بن حسنٍ ٱلحدَّادِ عنهُ ، وبإشارتِهِ كانَ تحويطُ ٱلجمرتينِ بِمِنىً ، فسَلِمَ ٱلنَّاسُ ، ولا سيَّما ٱلضُّعفاءُ مِن كثيرٍ مِن أضرارِ ٱلزِّحامِ ، فلقد كانَ رأيُهُ مُوَفَّقاً ، ولهـٰذا بادرَ ٱلشَّريفُ بتنفيذِهِ ، وطلبَ مِنهُ أن يُكثِرَ ٱلتَّردُّدَ عليه كما أخبرني وجيهُ جُدَّةَ ٱلنَّبيلُ محمَّدُ بنُ حسينِ بنِ عمرَ نَصيفٌ عَن جدِّهِ ، فأبَىٰ ؛ لأنَّهُ كانَ شريفَ ٱلنَّفسِ عَلِيَّ ٱلهِمَّةِ رحمةُ ٱللهِ عليهِ .

وحدَّثني ٱلوجيهُ محمَّدٌ نصيفٌ أيضاً أنَّ أحَدَ ٱلدَّلَّالينَ باعَ لهُ بُنّاً مِن يهوديٍّ ، فدلَّسَ عليهِ في مئتَي رطلٍ ، فأخبرَ ٱلشَّيخَ ممتناً عليهِ بهـٰذا ٱلصَّنيعِ ، فقالَ لهُ ٱلشَّيخُ : لا أرضىٰ ولا أُحبُّ أن يطلبني ٱليهوديُّ بحقِّهِ في ٱلدَّارِ ٱلآخرةِ ، وردَّ عليهِ ما ٱختانهُ ٱلدَّلَّالُ . ومنهُ تعرفُ أنَّ لهُ تجارةً بِجدَّةَ ، وكانت دارَ هجرتِهِ ونَشْرِ علمِهِ ، ولهُ بها تلاميذُ كثيرونَ .

وقد علمت أنَّ ٱلسَّيِّدَ عمرَ بنَ حسنٍ ٱلحدَّادَ قرأ عليهِ ، وهوَ مِنْ مراجيحِ ٱلعلويّينَ .

وحدَّثني ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ باحشوانَ ـ أحدُ قضاةِ ٱلمُكلَّا ٱلسَّابِقينَ ـ قالَ : (كنتُ معَ ٱلشَّيخِ عليٍّ باصبرين وأنا صغيرٌ ، فسمعَ مزماراً فسدَّ أُذنيهِ بأُصبعيهِ ، وجعلَ يقولُ لي : هل تسمعُ شيئاً ؟ فأقولُ : نَعَمْ ، حتَّىٰ قلتُ : لا ، فأبعدَهُما ، يَتَسَمَّتُ بذلكَ ما فعلَ عبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ معَ مولاهُ نافعٍ ، ينقلُ ما صنعَ رسولُ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ عندما سمعَ مزمارَ ٱلرَّاعي) [د ٤٩٢٤] ، وقد جوَّدتُ ٱلقولَ علىٰ هـٰذهِ ٱلمسألةِ في كتابي « بلابلِ ٱلتَّغريدِ » .

وجَرَتْ بينَهُ وبينَ علماءِ تريمَ منازعاتٌ في عدَّةِ مسائِلَ :

مِنها : ٱلتَّوسُّلُ وٱلاستغاثةُ . ومِنها : ثبوتُ ٱلنَّسبِ بمشجَّراتِ ٱلعلويِّينَ ٱلمحرَّرةِ ، وكانَ ٱلشَّيخُ يُبالغُ في إنكارِ ذلكَ ، وأُلِّفتْ رسائِلُ مِنَ ٱلطَّرفينِ .

ففي سَنةِ (١٢٩٨هـ) فرغَ ٱلشَّيخُ عليٌّ باصبرين مِنْ رسالتِهِ ٱلَّتي سمّاها : « حدائِقَ ٱلبواسقِ ٱلمثمرةِ في بيانِ صوابِ أَحكامِ ٱلشَّجرةِ » ، وقد علَّقَ عليها ٱلسَّيِّدُ سالمُ بنُ محمَّدٍ ٱلحَبْشيُّ بما يُشبهُ ٱلرَّدَّ ، وبعدَ ٱطِّلاعِ باصبرين عليهِ كتبَ : (أَمّا ٱلتهاميشُ : فأَمعنّا ٱلنَّظرَ في جميعِها . . فما وجدنا فيها زيادةَ فائِدةٍ عمّا في ٱلأَصلِ ، فما زادَ إلاَّ إتلافَ ورقٍ لَم يُؤذنْ لَهُ في إتلافهِ بتسويدِهِ بما لا يُجدي فائِدةً جديدةً) .

وللحبيبِ أَحمدَ بنِ محمَّدٍ ٱلمحضارِ شبهُ ردٍّ علىٰ باصبرين في « ٱلحدائقِ » ٱلمذكورةِ ، قالَ فيهِ : (وبعضُ ٱلنّاسِ قولُهُ وبولُهُ سواءٌ) .

ثمَّ إنَّ ٱلشَّيخَ باصبرين كَتَبَ رسالةً أُخرىٰ في نقضِ تعليقاتِ ٱلسَّيِّدِ سالمِ ٱلحبْشيِّ ، سمّاها : « إنسانُ ٱلعينِ » ، فكتبَ عليها ٱلإمامُ ٱلمحضارُ كتابةً طويلةً ، جاءَ فيها : (وما أَوضحَهُ ٱلشَّيخُ عليٌّ في هـٰذهِ ٱلجملةِ . . فذاكَ شفاء ٱلصُّدورِ ، تَبْرأُ بهِ ٱلعلَّةُ ، وهوَ مجرَّبٌ في تجرِبتهِ ، وحريصٌ في أَجوبتهِ ، وبٱللهِ ٱلَّذي فرضَ ٱلصَّلاةَ وٱلوضوءَ ما أَردتُهُ بسوءٍ) .

ثمَّ إنَّ ٱلشَّيخَ عليّاً سيَّرَ كتاباً للسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ عليٍّ ، وٱلسَّيِّدِ صافي بنِ شيخ آلِ ٱلسَّقّافِ ، وسيِّدي ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ ، وٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ محمَّدٍ ، وٱلسَّيِّدِ شيخانَ بنِ محمَّدٍ آلِ ٱلحَبْشيِّ .

فأَمّا ٱلأَوّلانِ : فصرّحا بمخالفةِ باصبرينَ ، وأَمّا ٱلآخَرونَ . . فلَم أَرَ لَهم كلاماً بخلافٍ ولا وفاقٍ . وكانَ كتابتُهُ إليهِم في سَنةِ (١٢٩٩هـ) .

وكثيراً ما ينشبُ ٱلخلافُ بينَ ٱلشَّيخِ عليٍّ باصبَرينِ وبينَ علماءِ ٱلعلويِّينَ كآلِ يحيىٰ بٱلمسيلةِ وغيرِهِم ، وتؤلَّفُ ٱلرَّسائلُ في ٱلجانبينِ وتُعرَضُ علىٰ سيِّدنا ٱلإمامِ أَحمدَ بنِ محمَّدٍ ٱلمحضارِ ـ صاحبِ ٱلقويرةِ ـ فيقرِّظُ عليهما ، إلاَّ أَنَّهُ بأُسلوبهِ ٱلعجيبِ وترسُّلهِ

ٱلعذبِ ، وعارضتهِ ٱلقويَّةِ ، وسَيرهِ بسوقِ ٱلطَّبيعةِ ، يتخلَّصُ مِنَ ٱلمآزقِ بما يذكِّرُني بما قالَهُ ٱبنُ ٱلجوزيِّ ، لمّا تواضعَ أَهلُ ٱلسُّنَّةِ وٱلشّيعةِ علىٰ ما يقولُهُ ، فسأَلوهُ وهوَ على ٱلمنبرِ عن عليٍّ وأَبي بكرٍ . أَيُّهما ٱلأَفضلُ ؟ فأَجابَ بما لو روَّىٰ فيهِ عالمٌ دهراً . . لَم يُوفَّقْ إِليهِ ؛ إِذ قالَ : (أَفضلُهما وأَحبُّهما إِلىٰ رسولِ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ مَنْ بنتُهُ في بيتهِ) أَو ما هـٰذا معناهُ ، فحملَها كلٌّ علىٰ ما يريدُ .

وقالَ ٱلإمامُ ٱلمحضارُ في بعضِ كتاباتهِ بتلكَ ٱلمناسبةِ : (وٱلاعتمادُ علىٰ ما قالَهُ ٱلجمهورُ ، لا ما قالَهُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ مشهورٌ) ؛ يعني مفتيَ حَضْرَمَوْتَ لذلكَ ٱلعهدِ ، صاحبَ « بغيةِ ٱلمسترشدينَ » ، وهوَ لا يقصدُ خلافَهُ ولا إِدخالَ ٱلمساءَةِ عليهِ ، ولـٰكنَّهُ قامَ في طريقِ ٱلفاصلةِ[1] وهوَ لا يُبالي بشيءٍ مِنْ أَجلِها ؛ لأَنَّهُ يمرُّ معَ خاطرهِ بلا تكلُّفٍ ولا تنطُّعٍ .

ولا غروَ ؛ فقد طلَّقَ بعضُهم آمرأَتَه مِن أَجلِها ، وتكلَّفَ ٱلصَّاحبُ بنُ عبَّادٍ ٱلسَّفرَ إِلىٰ قندهار ليقولَ :

صَـــدَرْتُ مِـــنْ قَنْـــدَهَـــارِ فِـــي ضَحْـــوَةِ ٱلنَّهَـــارِ

وعندَما زارَ ٱلمحضارُ حضرموتَ وذهبَ لزيارة هودٍ عليه السلام . . ٱتَّفقَ حلولُ ٱلجمعةِ بِفُغْمَةَ ، فجمَّعَ بها ٱلمحضارُ وتبعَهُ كثيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ ، ولـٰكنَّ ٱلسَّيِّدَ ٱلمشهورَ لم يوافِقْهُ ، بل ٱنعزلَ بآلِ تريمٍ وكثيرٍ مِن غيرِهِم ، لا أَدري ٱلشيءَ مِن أَمثالِ ذلكَ أَم للتَّشدُّدِ بما قالَ ٱلشَّافعيَّةُ مِن شروطِ ٱلجُمعةِ .

ومِنْ إِهداءِ ٱلسّلامِ في كتبِ ٱلشَّيخِ عليٍّ باصبرَين للإمامِ ٱلمحضارِ . . يُفهمُ أَنَّ لَهُ أَولاداً يهدي سلامَهم إِليهِ ، ومِنهم حسنُ بنُ عليٍّ باصبرينَ ، قتلَهُ أَحدُ آلِ ضروسٍ غيلةً بالقُرْحَةِ في رمضانَ ، ولا يزالُ بها أَحفادُهُ وعشائرُ آلِ باحميشٍ إِلى ٱلآنَ ، ومِن وجهائِهم أَحمدُ بنُ يسلمَ باحميشٍ وإِخوانُهُ .

---

(١) الفاصلة : في النّثر كالقافية في الشّعر ، وهي المقطع الصوتيُّ الّذي ينتهي عنده الكلام .

ٱلحسُوسة[١]

هيَ ٱلَّتي إِليها ٱلإشارةُ بقولِ ٱلشَّيخِ عمرَ بنِ عبدِ ٱللهِ بامخرمةَ ، يمدحُ ٱلشَّيخَ يوسفَ باناجة ٱلآتي ذِكرُهُ :

حَيٌّ واديْ النبي يا أحمدْ وطاهْ أو وُعُورَهْ ... حيِّ ما بينْ بادِرْ والحَسُوسهْ وَعُورَهْ[٢]

فيه يوسفْ كما يوسفْ في اطلال دُورَهْ ... رِيتَنَا حِلّ وسْطُهْ واختِلِفْ فِي ذُبُورَهْ

ولولا أَنَّ ٱلمشبَّهَ لا يكونُ مثلَ ٱلمشبَّهِ بهِ مِنْ سائرِ ٱلنَّواحي . . لاشتدَّتِ ٱلمؤاخذةُ على ٱلشَّيخِ عمرَ بامخرمةَ في تشبيههِ ٱلشَّيخَ يوسفَ باناجة بٱلعبدِ ٱلصَّالحِ يوسفَ بنِ يعقوبَ عليهما ٱلسَّلامُ ؛ فلقد كفَّروا ٱلمعريَّ بقولِهِ [في « سقط الزند » ١٤٢ مِنَ ٱلكامل] :

هُـوَ مِثْلُـهُ فِـي ٱلْفَضْـلِ إِلاَّ أَنَّـهُ ... لَـمْ يَـأْتِـهِ بِـرِسَـالَـةٍ جِبْـرِيـلُ

وقالوا : كفَرَ ٱلفرزدقُ ـ أَو كادَ ـ إِذ يقولُ في يزيدَ بنِ عبدِ ٱلملكِ [في « ديوانه » ١/ ٢٣٧ مِنَ البسيطِ] :

لَـوْ لَـمْ يُبَشِّـرْ بِـهِ عِيسَـىٰ وَبَيَّنَـهُ ... كُنْتَ ٱلنَّبِيَّ ٱلَّـذِي يَـدْعُـو إِلَـى ٱلنُّورِ

وكانَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عُبُودِ بنِ حسنِ بنِ عبدِ ٱلقادرِ (والي ٱلرِّباطِ) مِنْ سكّانِ ٱلحُسُوسةِ ، وبعقبِ ٱستيلاءِ ٱلقعيطيِّ على ٱلوادي ٱلأيمنِ في سَنةِ (١٣١٧هـ) . . أَسندَ ٱلعمالةَ إِلى ٱلمقدَّمِ عمرَ بنِ أَحمدَ باصرَّةَ ، وكانَ يحملُ ضَغَناً علىٰ هـٰذا ٱلشَّيخِ ، فصادرَ جميعَ أَموالهِ ، معَ أَنَّهُ لَم يَشتركْ في ٱلحربِ ، ولَم يَسْعَ فيها بخُفٍّ ولا قَدَمٍ ، ولولا أَنَّهُ أَقامَ سوراً حديدياً مِنَ ٱلحُجَّابِ يمنعونَهُ ٱلوصولَ إِلى ٱلسُّلطانِ غالبِ بنِ عوضٍ . . لأَدركَهُ عَفوُهُ ؛ فقد كانَ واسعاً شاملاً ، لا يضيقُ عمَّا هوَ أَكبرُ مِنْ هـٰذا ، فضلاً عنهُ .

---

(١) ومن باب المتشابهات أو المتَّفق وضْعاً المفترق صِعقاً : الحَسُوسة بفتح فضمٍّ ، جبل أحمر رمليٌّ في وادي حَبَّان بالصعيد من شبوة . وآل الحسوسة : أُسرة من أسر العلم والفقه ، ظهر منهم عدد من العلماءِ في القرن الحادي عشر ، ولهم ذرِّيَّة تسكن صنعاءَ .

(٢) وطاه : ما انخفض من الوادي ، وعوره : ما ارتفع منه .

قَرْنُ باحَكِيمٍ

فيهِ آلُ باحكيمٍ[1] ، وكانت لَهم ثروةٌ طائلةٌ ، وتجارةٌ راقيةٌ ، ولَهم عقاراتٌ بمصرَ وغيرِها ، وكانت إليهِم دولةٌ بلادِهم حتَّىٰ نَجمت بينَهُم وبينَ ٱلقعيطيِّ فتنةٌ في حدودِ سَنَةِ (١٣٢٦هـ) ، وكانَ رؤَساؤُهُم إذْ ذاكَ : سالمُ بنُ عمرَ وأحمدُ بنُ يسلم بحَضْرَمَوْتَ ، ورئيسُهُم ٱلأكبرُ ٱلَّذي يمدُّهم بٱلآراءِ وٱلأموالِ مِنْ مصرَ هوَ : سالمُ بنُ أحمدَ باحكيمٍ ، وٱنتهىٰ أمرُ تلكَ ٱلحربِ ـ ٱلَّتي أبلىٰ فيها آلُ باحكيمٍ أحسنَ ٱلبلاءِ ـ بمُعَاهدةٍ ، خلاصتُها : أَنَّ ٱلرِّئَاسةَ ٱلعامَّةَ لِلقعيطيِّ ، ولَهمُ ٱلاستقلالُ ٱلدّاخليُّ في بلادِهم ، وعليهِم أَنْ يُسلِّموا غرامةَ ٱلحربِ ٱلمقدَّرةَ بثلاثينَ ألفَ ريالٍ .

ثمَّ حَصَلَ ٱلتَّنازلُ مِنَ ٱلسُّلطانِ غالبٍ ؛ لما جَبَلَهُ ٱللهُ عليهِ مِنَ ٱلسَّماحِ ولِينِ ٱلعريكةِ[2] عن أكثرِها ، وكانَ عُرِضَ عليهِم صلحٌ أشرفُ مِنْ هـٰذا فأَبَوهُ ، ولـٰكنَّ عسكرَ ٱلقعيطيِّ ٱقتحموا حصناً لَهم بٱلجبلِ فلانت أعصابُهم ، وٱضطروا إلىٰ قَبولِهِ .

وفي « ٱلأصلِ » : أنَّ باحكيمٍ بنىٰ حصْنَ ٱلقِزةِ فُجاءَةً في سَنةِ (٩٣٩هـ) فنهضَ إليهِ آلُ عليِّ بنِ فارسٍ ٱلنَّهديُّونَ مِنَ ٱلسُّورِ ، وكَتبوا للسُّلطانِ بدرِ بوطويرق ، وٱتَّهموا ٱلشَّيخَ ٱلعموديَّ بمساعدةِ باحكيمٍ ، وجرىٰ بينَهُم كلامٌ وتهديدٌ .

ولا يزالُ باحكيم علىٰ جانبٍ مِنَ ٱلشَّرفِ وٱلمروءَةِ ومكارمِ ٱلأخلاقِ ، بٱلقرنِ وٱلمُكَلاَّ ومصرَ ، وأشهرُ مَنْ بمصرَ منهُمُ ٱلآنَ : ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرَ باحكيمٍ .

---

(١) آل باحكيم : من قبائل نَوَّح السَّيبانية . وفي القرن أيضاً : آل بركات ، وآل بامَعْدان ، وسيأتي في شبام التَّعريف بآل معدان وآل بركات وهم غير هـٰؤلاء .

(٢) ليِّن العريكة : سهل الطَّبائع .

ٱلخُرَيْبَةُ[١]

من كُبْرَياتِ بلادِ دوعنَ وقُداماه ، على ٱسمِ مكانٍ بٱلبصرةِ كانَت عندَهُ واقعةُ ٱلجملِ[٢] ، ولهٰذا قالَ بعضُهُم [السَّيِّد الحميري في « ديوانه » مِنَ ٱلبسيطِ] :

إِنِّـي أَدِيـنُ بِمَـا دَانَ ٱلْـوَصِـيُّ بِـهِ   يَـوْمَ ٱلْخُـرَيْبَـةِ مِـنْ قَتْـلِ ٱلْمُحِلِّينَـا

ذكرَهُ ياقوتُ في غيرِ موضعٍ مِنْ « معجمِهِ »[٣] .

وما زالتْ خريبةُ دوعنَ محطَّ رحالِ ٱلعِلْمِ مِنْ قديمِ ٱلزَّمانِ ، وكانَ بها ناسٌ مِنْ آلِ باحُوَيرِثٍ ٱلَّذينَ يجتمعونَ في ٱلنَّسَبِ معَ آلِ سيئون ٱلمشهورينَ بٱلعبادةِ وحبِّ ٱلصّلاةِ ، ومنهُم عالمُ ٱلخريبةِ وقاضيها في ٱلقرنِ ٱلحادي عشرَ ، وهوَ : ٱلشَّيخُ سليمانُ باحويرث ، لَهُ ولولدِهِ ٱلعلاَّمةِ محمَّدِ بنِ سليمانَ ذِكرٌ كثيرٌ في « مجموعِ ٱلجدَّينِ » طٰهَ بنِ عمرَ وعليِّ بنِ عمرَ ؛ فعنِ ٱلعلاَّمةِ ٱلجليلِ أَحمدَ مؤذِّن باجمَّالٍ قالَ : (أَخبرني ٱلسَّيِّدُ ٱلعارفُ ، بقيَّةُ ٱلمحقِّقينَ ، ٱلورعينَ ٱلمتضلِّعينَ ، أَبو بكرِ بنُ محمَّدٍ بافقيه عَلَويٌّ بقيدون قالَ : إِنَّ ٱلفقيهَ سليمانَ باحويرث زَوَّجَ ٱمرأَةً ـ وهوَ نائبُ ٱلخريبةِ ـ وليُّها غائبٌ برجلٍ ظَنَّهُ كفؤاً ، فلمَّا قَدِمَ وليُّهَا . . رفعَ ٱلأَمرَ إِلىٰ قاضي ٱلشِّحْرِ عبدِ ٱللهِ باعمرَ ، وظهرَ عدمُ ٱلكفاءَةِ ، ولٰكنَّ قاضي ٱلشِّحْرِ قرَّرَ ٱلنِّكاحَ عملاً بٱلمرجوحِ .

قالَ ٱلسَّيِّدُ : وحيثُ وقعَ عقدٌ قالَ بهِ إِمامٌ ـ ولَو مرجوحاً ـ فلا نَقْضَ في حقِّ ٱلعوامِّ ، وإِنَّما محلُّ ٱلمنعِ قَبْلَ ٱلعقدِ) هٰذا ما ذكرَهُ أَحمدُ مؤذِّن .

وزادَ : (إِنَّ مذهبَ مالكٍ : عدمُ ٱعتبارِ ٱلكفاءَةِ إِلاَّ بٱلدِّينِ ، وقد عملَ بهِ بعضُ مشايخِنا لمصلحةٍ ٱقتضتْ ذلكَ) اهـ

---

(١) تقع الخريبة علىٰ خطِّ طول : (١٨ـ٢٠ـ٤٨) ، وخطِّ عرض : (٣٠ـ٦ـ١٥) ، وتاريخها قديم ، وكانت من البلدان الَّتي سارع أهلها في الدُّخول في الإسلام ، وأقامت بها طائفة الإباضيَّة مدَّة من الزَّمان علىٰ يد عبد الله بن يحيى الكنديِّ .

(٢) وسمِّي المكان الَّذي بالبصرة بالخريبة ؛ لأنَّ المرزُبَّان كان قد ابتنىٰ به قصراً وخرب بعده .

(٣) أي : المكان الَّذي بالبصرة ، لا هٰذا الَّذي في حضرموت .

وهيَ مسألَةٌ نفيسةٌ مبنيَّةٌ علىٰ أَنَّ (ٱلعاميَّ لا مذهبَ لَهُ) ، وهُما قولانِ قريبانِ مِنَ ٱلتَّكافؤِ ، وقد حرَّرتُ ما في ذلكَ بموضعهِ مِنْ كتابي « صوبُ ٱلرُّكامِ » .

وإِنَّما سقتُ ٱلمسأَلةَ لمناسبةِ أَنَّهُ وردني بالأَمسِ سؤَالٌ ، حاصلُهُ : أَنَّ المكرَّمَ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱللهِ بنَ أَحمدَ ٱلزُّبيديَّ كانت لَهُ ٱبنةُ عمٍّ ، لَها أَخٌ شقيقٌ في ٱلسَّادسةَ عشرَةَ مِنْ عمرِهِ ، يتصرَّفُ عنهُ وصيُّهُ ، وهوَ أَخوهُ وأَخو ٱلبنتِ مِنَ ٱلأَبِ ، فأَشارَ عليهِ أَنْ يعقدَ بها ، فأَنكرَ عليهِ بعضُ ٱلعلويّينَ وقالوا لَهُ : ما دليلُكَ ؟

فقالَ : لا دليلَ إِلاَّ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ الآية ٱلخامسة مِنْ سورة ٱلنِّساءِ .

فلَم يَقتنعوا منهُ بذلكَ ، وقالوا : إِنَّ ٱلنِّكاحَ باطلٌ لا وجهَ لَهُ إِلاَّ مقابلُ ٱلأَظهرِ في قولِ « ٱلمنهاجِ » [٤٢٨/٢] : (ويُقدَّمُ أَخٌ لأَبوينِ علىٰ أَخٍ لأَبٍ في ٱلأَظهرِ) فأَعجبني ٱستدلالُهُ وقرَّرتُ ٱلنِّكاحَ ؛ لأَنَّهُ إِذا لَم يثبتْ رشدُ ٱلشَّقيقِ . . فٱلنِّكاحُ صحيحٌ على ٱلمعتمدِ في ٱلمذهبِ .

قالَ في « ٱلنِّهايةِ » : (وكذا محجورٌ عليهِ بسفهٍ ؛ بأَنْ بلغَ غيرَ رشيدٍ ، أَو بذَّرَ في مالهِ بعدَ رشدهِ ثمَّ حُجرَ عليهِ . . لا ولاية له على ٱلمذهبِ ؛ إِذْ لا يلي أَمرَ نَفْسهِ ، فغيرُهُ أَولىٰ . ويصحُّ توكيلُهُ في قَبولِ ٱلنِّكاحِ لا إِيجابِهِ) اهـ ، و« ٱلتُّحفةُ » قريبٌ منها .

وفي (ٱلحَجْرِ) مِنَ ٱلثّانيةِ : (تصديقُ ٱلوليِّ في دوامِ ٱلحَجْرِ ؛ لأَنَّهُ ٱلأَصلُ ، ما لَم يَظهرِ ٱلرُّشدُ أَو يثبتْ) اهـ ، و« ٱلنِّهايةُ » علىٰ مثالهِ .

ومتىٰ كانَ ٱلأَصْلُ فيمَنْ يتصرَّفُ عنهُ وصيه الحَجْر . . فٱلنِّكاحُ صحيحٌ علىٰ مُقرَّرِ ٱلمذهبِ .

وبفرضِ تسليمِ رُشدِ ٱلشَّقيقِ . . يأْتي ما نقلَهُ أَحمدُ مؤَذِّنُ عن باحويرث ، فٱلعقدُ صحيحٌ علىٰ كلِّ تقديرٍ ، إِلاَّ أَنَّ للشَّيخِ أَحمدَ مؤَذِّن كلاماً آخَرَ في « مجموعِ ٱلجدَّينِ » ، وحاصلُهُ : (أَنَّهُ وقعَ عقدٌ في قَيدُون بغيرِ كفؤٍ ، معَ غيبةِ ٱلوليِّ ، وفرَّقَ بينَهُم نائبُ ٱلهجرينِ ، وسأَلَ أَحمدَ مؤَذِّنَ ، فأَجابَهُ بصوابِ ما فعلَ) .

وقاضي الخُرَيبةِ الآنَ[١] هوَ الشَّيخُ عمرُ بنُ أبي بكر[٢]، مِنْ آلِ باحويرث المذكورينَ.

ومِنْ علماءِ الخُريبةِ: الشَّيخُ الجليلُ المقدارِ، عليُّ بنُ عبدِ اللهِ باراس الكنديُّ[٣]، المتوفَّىٰ في سَنةِ (١٠٩٤هـ) وأولادُهُ: أحمدُ، ومحمَّدٌ، وعبدُ الرَّحمٰنِ[٤]. وهٰؤلاءِ الثَّلاثةُ كلُّهم مِنْ مشايخِ السَّيِّد الشَّهيرِ عليِّ بنِ حسنِ بنِ حسينِ العطَّاسِ، ولَهم ذِكرٌ كثيرٌ في مؤلَّفاتِهِ و« ديوانِهِ ».

وكانَ الشَّيخُ عليُّ باراسٍ وَرَدَ حُريضةَ على الحبيبِ عمرَ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ العطَّاسِ، وهوَ علىٰ أَجْلَفِ ما يكونُ مِنْ أزياءِ الباديةِ وهيئتِهم، فتأدَّبَ بالحبيبِ عمرَ، وحصلَ لَهُ الفتوحُ في أسرعِ وقتٍ، معَ أنَّهُ كما قالَ العلاَّمةُ السَّيِّدُ أحمدُ بنُ حسنٍ العطَّاسُ: (لَم يَقرأ عليهِ إلاَّ بعضَ خُطبةِ « بدايةِ الهدايةِ » للغزاليِّ فقط)، ثمَّ إنَّهُ استأذنَهُ لِلحجِّ.. فلَمْ يأذنْ لَهُ، ثمَّ استأذنَهُ أُخرىٰ.. فأذِنَ لَهُ.

ولمَّا كانَ بمكَّةَ.. ذهبَ إلى السّوقِ لحاجةٍ، فألفاها معَ امرأةٍ مصريَّةٍ، فأعجبتْهُ، وأخذَ يتأمَّلُ في محاسِنها، فلم يشعُرْ إلاَّ بضربةِ عصاً علىٰ جنبِهِ فعرفَ أنَّ هٰذا تنبيهٌ لَهُ مِنَ اللهِ، فثبَّتَ قدمَهُ علىٰ طريقِ الحقِّ. ذكرَها غيرُ واحدٍ؛ منهُمُ: الحبيبُ عمرُ بنُ حسنٍ الحدّادُ في « مجموعِ كلامِهِ ».

---

(١) أي: سنة (١٣٦٦هـ).

(٢) الشَّيخ عمر باحويرث من مواليد الخريبة، وأخواله آل باجنيد، طلب العلم بمكَّة، ولازم الشَّيخ عمر بن أبي بكر باجنيد المكي، ولم يغادر مكَّة إلاَّ بعد وفاته سنة (١٣٥٤هـ)، وكان مقرئاً عنده في درسه، وأخذ عن غيره من علماءِ مكَّة ودوعن ومن أخص تلامذته: الشيخ الفاضل عمر بن علي بن جُوَيهر، المتوفىٰ بالخريبة عام (١٤٢١هـ)، وكان بقية من يزار بها من الصالحين.

(٣) ترجمته في « القرطاس » للحبيب عليِّ بن حسن، وفي « خلاصة الأثر » للمحبِّي، و« تاج الأعراس » للعطَّاس. وله مصنَّفات فائقة منها:

« شرح راتب العطَّاس » أدرجه العلاَّمة الحبيب عليُّ بن حسن العطَّاس في شرحه الكبير المسمَّىٰ « القرطاس ». و« الرَّوضة الخضراء والدُّرَّة الزَّهراء »، شرح علىٰ قصيدة الشَّيخ أبي مَدْين الَّتي مطلعها:

مَا لَذَّةُ ٱلْعَيْشِ إِلاَّ صُحْبَةُ ٱلْفُقَرَا ... هُمُ ٱلْمُلُوكُ هُمُ ٱلسَّادَاتُ وَٱلأُمَرَا

و« شرح الحِكَم العطائيَّة » ألَّفه بإشارة شيخه العطاس.

(٤) ومن أولاده أيضاً: عبد الله بن علي.

ومِنْ علماءِ ٱلخُريبةِ : ٱلشَّيخُ ٱلعظيمُ ٱلمقدارِ ، عبدُ ٱللهِ بنُ أَحمدَ باسَوْدان ، وهوَ ٱلشَّيخُ ٱلثّامنَ عشرَ مِنْ مشايخِ سيِّدي ٱلأَبرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ ـ حَسَبَما في ترجمتِهِ في « عقدِهِ » ـ ، وقد توفِّيَ بها في سَنةِ (١٢٦٦هـ) ، وكانَ مِنَ ٱلعِلْمِ بٱلمكانةِ ٱلعاليةِ :

تَنْمِيـهِ أَعْـرَاقُ صِـدْقٍ حِيـنَ تَنْسُبُـهُ ... ذِي نَجْـدَةٍ وَعَـنِ ٱلْمَكْـرُوبِ فَـرَّاجِ[1]

سَـاجِي ٱلنَّـوَاظِرِ مِـنْ قَـوْمٍ لَهُـمْ كَـرَمٌ ... تُضِـيءُ سُنَّتُـهُ فِـي ٱلْحَـالِكِ ٱلـدَّاجِي

وقد ذكرتُ في « ٱلأَصلِ » مِن مناقبِهِ وَمَنَاسِبِهِ ما يُغني عَنِ ٱلإعادَةِ هُنا ، ولقد قالَ ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ حسنٍ ٱلحدّادُ : (كنتُ أَقرأُ على ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ حسينٍ ٱلحَبْشيِّ أَيّامَ كانَ يُعلِّمُ بتَاريه تحتَ إشارةِ سيِّدنا عبدِ ٱللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ ، فلَم يَكُنْ مِنَ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ إلاَّ أَنْ قالَ لعمِّي محمَّدِ بنِ حسينٍ ذاتَ يومٍ : نُحبُّ أَنْ يَقرأَ عمرُ بنُ حسنٍ على ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ باسَوْدان ؛ لأَنَّهُ أَوسعُ عِلماً منكَ ، فٱنقبضَ عمِّي محمَّدٌ مِنْ قولِهِ هٰذا لَهُ أَمامي وأَمامَ أَولادِهِ ؛ إذْ كنتُ أَقرأُ عليهِ أَنا وإيّاهُم ، فلَم تمرَّ ٱلثّامنةُ إلاَّ وجاءَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱللهِ باسَوْدان لزيارةِ تريم ، فسرتُ معَهُ إلىٰ دَوْعن ، وقرأْتُ على ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ ، وعلىٰ ولدِهِ ٱلشَّيخِ محمَّدٍ ، وعلى ٱلشَّيخِ سعيدِ باعشنٍ ، وعلى ٱلشَّيخِ أَحمدَ بنِ سعيدٍ باحنشل وهوَ في سِنِّ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ وقد كُفَّ بصرُهُ ، وكانَ قرأَ في زبيد علىٰ سليمانَ ٱلأَهدلِ وولدِهِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ سليمانَ ، وأَدركَ ٱلشَّيخَ ٱلكرديَّ[2] ، ولَهُ حافظةٌ قويَّةٌ) اهـ كلامُ ٱلحدّادِ .

وفي قولِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينٍ للحبيبِ محمَّدِ بنِ حسينٍ : (إنَّ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱللهِ باسَوْدان أَوسعُ منكَ عِلماً) فوائدُ :

ٱلأُولىٰ : علوُّ مرتبةِ ٱلشَّيخِ باسَوْدان ؛ لأَنَّ ٱلسَّيِّدَ محمَّداً مِنْ أَكابرِ علماءِ ٱلحجازِ ، وهوَ مفتي مكَّةَ للشّافعيَّةِ ، وٱلشَّيخُ ٱلسّادسَ عشرَ للأُستاذِ ٱلأَبرِّ ، فٱنحطاطُهُ معَ هٰذا عن

---

(١) البيتان من البسيط .

(٢) هو مُحمَّد بن سليمان الكرديُّ المدنيُّ ، صاحب « الحواشي المدنيَّة » ، المتوفَّىٰ سنة (١٢٠٣هـ) .

درجةِ ٱلشَّيخِ باسَوْدان يَشهدُ لهٰذا بشأْنٍ جليلٍ ومقامٍ عظيمٍ .

ٱلثَّانيةُ : أَنَّ ٱلحبيبَ عبدَ ٱللهِ بنَ حسينٍ يقولُ ٱلحقَّ ، فلا يُحابي[1] ولا يواربُ[2] .

ٱلثَّالثةُ : أَنَّ ٱنقباضَ ٱلحبيبِ محمَّدِ بنِ حسينٍ جارٍ علىٰ ما يقتضيهِ ٱلطَّبعُ ٱلبشريُّ عندَ مِثلهِ ، فهوَ غيرُ ملومٍ في ذلك ، معَ ٱلاستكانةِ وٱلاعترافِ بٱلحقِّ وعدمِ ٱلمكابرةِ فيهِ .

ٱلرَّابعةُ : لولا تهذيبُ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينٍ لتلاميذهِ بهٰذا ٱلتَّهذيبِ .. لما ٱنتهى ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ حسينٍ وأَمثالُهُ إِلىٰ ما ٱنتهىٰ إِليهِ مِنَ ٱلعِلْمِ وٱلفضلِ .

ٱلخامسةُ : أَنَّ ٱلحقَّ رائِدُ ٱلقومِ ، وٱلإِنصافَ قطبُ رحاهُم ، ونقطةُ بيكارِهم ، رضوانُ ٱللهِ عليهِم .

وقد سمعتُ مِنْ والدي وغيرِهِ عن ٱلأَجلاَّءِ ٱلثِّقاتِ : أَنَّ ٱلشَّيخَ محمَّدَ باسَوْدان كانَ أَوسعَ مِنْ أَبيهِ في ٱلفقهِ ، وفتاويهِ شاهدُ عدلٍ علىٰ ذلكَ .

وأَخبرني ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ سالمٍ باسودانَ أَنَّ بعضَ ٱلعلويِّينَ وردوا على ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ وسأَلوهُ عَنِ ٱبنهِ محمَّدٍ .. فقال لهم : لا بَأْسَ بهِ ، فٱستثقَلَها ونذرَ ٱلاعتكافَ سبعَ سنينَ لدرسِ ٱلعلمِ في جامعِ ٱلخريبةِ ، ووفَّىٰ بذلكَ ، فبحقٍّ يجيءُ فيهِ ما قالَهُ ٱلشَّريفُ ٱلرَّضِيُّ في تَسَمُّتِهِ لأَبيهِ [في « ديوانه » ٢/ ٢١ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

جَرَىٰ مَا جَرَىٰ قَبْلِي وَهَا أَنَا خَلْفَهُ ... أُغِذُّ لإِدْرَاكِ ٱلْمَعَالِي وَأُوجِفُ
وَلَوْلاَ مُرَاعَاةُ ٱلأُبُوَّةِ .. جُزْتُهُ ... وَلَكِنْ لِغَيْرِ ٱلْعَجْزِ مَا أَتَوَقَّفُ

ولٰكنَّ هٰذا لَم يتوقَّف عنهُ بَل جازَه ، ولم يُبقِ لهُ مِن علمٍ إِلاَّ حَازَه ، توفِّيَ[3] بٱلخُريبةِ في سَنةِ (١٢٨١هـ) وبيتُهُم بيتُ عِلمٍ وشرفٍ ، وقد وَزَرَ ٱلشَّيخُ بو بكرِ بنُ

---

(١) حابىٰ فلانٌ فلاناً : مال إليه .

(٢) يوارب : يخاتل ويخادع .

(٣) أي : الشَّيخ مُحَمَّد ، وكان مولده سنة (١٢٠٦هـ) ، ترجمته في « تاريخ الشُّعراء » ، وذكره الحبيب عيدروس في « العقد » ضمن ترجمة والده .

عبدِ ٱللهِ باسودانَ ، وأَخوهُ ٱلشَّيخُ سالمُ بنُ عبدِ ٱللهِ لِلسُّلطانِ عوضِ بنِ عمرَ ٱلقعيطيِّ[١] .

ومِن آلِ باسودانَ الآن : ٱلفاضلُ ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ أَحمدَ بنِ عمرَ بنِ أَحمدَ بنِ ٱلعلاَّمةِ ٱلجليلِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ باسَوْدان ، يَسكنُ ٱلآنَ بِٱلحُدَيْدةِ ، وهوَ مِنْ أَعيانِها ومِنَ ٱلمعتبرينَ فيها[٢] .

ومنهم : ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ سالمِ بنِ بو بكرِ بنِ عبدِ ٱللهِ باسودانَ ، خطيبُ جامعِ ٱلخريبةِ ٱلآنَ[٣] .

وللشَّيخِ أَحمدَ باحنشل ـ ٱلسّابقِ ذِكرُهُ ـ ولدٌ ٱسمُهُ : محمَّدٌ ، مِنْ أَعيانِ ٱلعلماءِ ، ولَهُ ولدٌ عالمٌ ٱسمُهُ : محمَّدٌ ، ولَهُ حفيدٌ ٱسمُهُ : محمَّدٌ أَيضاً مِنْ أَهلِ ٱلعِلْمِ ، كانَ محمَّدٌ ٱلمثلَّثُ هـٰذا موجوداً بِٱلمُكَلاَّ سَنَةَ (١٣٣٣هـ) .

وبِٱلخريبةِ جماعةٌ مِن آلِ باعبيدٍ ، مِنهمُ ٱلشَّيخانِ : أَحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ باعبيدٍ ، وأَخوهُ سعيدُ بنُ عبدِ ٱللهِ باعبيدٍ ، كانوا أَهلَ علمٍ وصلاحٍ وتجارةٍ ، ولهم بوالدي ٱتِّصالٌ عظيمٌ وتعلُّقٌ تامٌّ ، توفِّيَ ٱلأَوَّلُ بِٱلمُكَلاَّ حوالَي سنةِ (١٣١٧هـ) ، وٱلثَّاني بِٱلمدينةِ في حدودِ سنةِ (١٣٢٣هـ) ، وللأَوَّلِ ولدٌ ٱسمُهُ عبدُ ٱللهِ ، كانَ على ٱلقضاءِ بِمِيدِي في أَيَّامِ ٱلأَتراكِ وٱلإِدريسيِّ ، ثمَّ هوَ ٱليومَ رئيسُ ٱلبلديَّةِ بها مِن جهةِ مولانا الإِمامِ .

وفي ٱلمكانِ ٱلمُسَمَّىٰ : ذي يجور في شمالِ ٱلخريبةِ منازلُ آلِ بصعرٍ ، وهم : عمرُ وأَبو بكرٍ وسعيدٌ ومحمدٌ ـ وهوَ أَكبرُهم ـ أَبناءُ عبدِ ٱللهِ بنِ سعيدِ بنِ عليٍّ بصعرٍ ، كانت

---

(١) وهما الشَّيخان الأخوان : سالم وعبد الله ابنا أبي بكر ابن الشَّيخ عبد الله باسودان . وقد جرىٰ ذكر لهما في عدَّة مواضع من « بضائع التابوت » ، وللشَّيخ سالم ذكر في « النَّفحة الشذية » للحبيب عمر بن أحمد بن سميط ، ولأخيه عبد الله ترجمة في « منحة الإلـٰه » للحبيب سالم بن حفيظ ولـٰكن الذي استوزر للقعيطي هو الشيخ عبد الله وليس الشيخ سالم .

(٢) وكان المصنِّف رحمه الله إذا قدم إلى الحديدة ـ في عهد الإمام يحيىٰ رحمه الله ـ ينزل عند المذكور أو في دار الضِّيافة التَّابع لحكومة الإمام ، وكان ممن يقوم بحاجاته وشؤونه إذا قدم. . الشَّيخ الفاضل عبد الرَّحمـٰن بن سالم باسَودان الَّذي توفِّي في الخريبة أواخر عام (١٤٢٢هـ) .

(٣) كانت وفاته سنة (١٤٠٥هـ) ، وكان ملازماً لمجالس السيد العلامة حامد بن عبد الهادي الجيلاني .

لهم تجارةٌ واسعةٌ بحضرموتَ وٱلشِّحرِ وظفارٍ وٱلحديدةِ وغيرِها ، وكانَت لَهُم مراكبُ شراعيّةٌ تُضْرَبُ بها ٱلأمثالُ بينَ ٱلعامَّةِ ، تمخرُ ٱلبحارَ ، وقد تفرَّقوا وتلاشَتْ ثروتُهمُ ٱلهائِلةُ ، ولم يبقَ لهم إلاّ بعضُ أَراضٍ بوادي سِهَامٍ وأَعمالِ ٱلمَراوِعةِ ؛ فإِنَّها لا تزالُ تدرُّ عليهم .

ومِن أَحفادِهم ناسٌ بٱلحُدَيْدَةِ ، ومنهمُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلقادِرِ بنُ سالمِ بن عليِّ بنِ سعيدٍ بصعرٍ ، رجلٌ صالحٌ بِالمُكَلاَّ ، قد ذرَّفَ على ٱلمئةِ ، زرتُهُ مِراراً وطلبتُ دعاءَهُ .

ومِنْ علماءِ ٱلخُريبةِ : ٱلقاضي عمرُ بنُ أبي بكرٍ باجنيدٍ .

أَخبرني ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلهادي بنُ محمَّدِ بنِ عمرَ ٱلجيلانيُّ ، عن أَبيهِ[١] ، عن جدِّهِ[٢] قالَ : (أَرسلَني ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ محمَّدٍ ٱلمحضارُ بنسخةٍ خطِّيَّةٍ مِنَ « ٱلتُّحفةِ » إِلىٰ عندِ قاضي ٱلخُريبةِ ٱلشَّيخِ عمرَ بنِ أبي بكرٍ باجُنيد ، مشفوعةً بقصيدةٍ ، منها :

إِنَّ ٱلْعِمَـــارَةَ بِـــٱلْعَشِيَّـــةِ وَٱلْبُكَــرْ	بِـٱلْعِلْـمِ وَٱلطَّـاعَـاتِ وَٱلْفِعْـلِ ٱلأَغَـرْ
أَمْسَـــىٰ بِهَـــا مُتَحَقِّقَـــاً مُتَخَلِّقَـــاً	قَـاضِـي ٱلأَنَـامِ ٱلْحَبْـرِ قَيْـدُومُ ٱلـزُّمَـرْ[٣]
أَعْنِـي بِـهِ ٱلأَسَـدَ ٱلْغَضَنْفَـرَ شَيْخَنَـا	حَـاوِيْ ٱلْمَـلاَحَـةِ وَٱلتَّسَلْسُـلِ مِـنْ مُضَـرْ
صَـدَرَ ٱلْكِتَـابُ إِلَيْـكَ يَـا ٱلشَّهْـمُ ٱلَّـذِي	يَقْضِـي ٱلـدُّيُـونَ إِذَا مُطَـالِبُهَـا زَجَـرْ[٤]

إِلىٰ أَنْ قالَ ٱلجيلانيُّ : (فسِرتُ بـ« ٱلتُّحفةِ » وٱلقصيدةِ . . فتقبَّلَهُما ٱلشَّيخُ بأَحسنِ ٱلقَبولِ ، ثمَّ أَرجعني بـ« ٱلتُّحفةِ » وقالَ : هوَ أَحرىٰ بها . وأَعطاني لَهُ مئَةَ ريالٍ ، ولمّا

---

(١) هو عبد الهادي بن عبد الله بن عمر وليس عبد الهادي بن محمد بن عمر ، فليعلم .

(٢) هو السيد عمر بن أحمد بن عمر بن حسين من ذرية الشيخ نصر الله بن الحافظ عبد الرزاق بن سيد الطوائف وتاج الأكابر الشيخ الإمام عبد القادر الجيلاني الحسني الشريف السني ، ونسبه معروف محفوظ . ولد السيد عمر ببراوره ـ بلدة في ريدة الدّين ـ ولما كبر وشبَّ . . قدم الخريبة ، ولازم دروس الشيخ عبد الله باسودان ، وصار أثيراً ومقرباً عنده لنباهته . . فزوجه إحدى بناته ، وأجازه إجازة حافلة مؤرخة في (١٢٦٤هـ) ، وتوفي بالخريبة في (٥) جمادى الآخرة سنة (١٣٢٩هـ) . وأخذ عنه عدد من العلماء وكان مشاراً إليه بالصلاح والتقوىٰ .

(٣) قيدوم : شجاع مُقَدَّم . الزُّمر : الجماعات .

(٤) الأبيات من الكامل .

دفعتُها إليهِ . . أعطاني مِنها عشرينَ ريالاً . . فٱستكثرتُها ، وٱمتنعتُ مِنْ قَبولها . . حتَّىٰ عَزمَ عليَّ بأخذِها ، فأَخذتُها) . وهـٰذا عطاءٌ غاب عنهُ ٱلحبيبُ حامدُ بنُ أَحمدَ ٱلمحضارُ ، ولَو شهدَهُ . . لَمْ يَكُنْ بهـٰذا ٱلمبلغِ ، بل لقد عاتبَ أَباهُ بعدَما أَعلمَهُ .

وأَخبرني عبدُ ٱلهادي ٱلمذكورُ أَيضاً : أَنَّ أَهلَ ٱلرِّباطِ تَرافعوا إِلى ٱلشَّيخِ عمرَ باجنيدٍ هـٰذا في قضيَّةٍ ، ولمّا صدرَ ٱلحُكمُ . . ٱمتنعَ ٱلمحكومُ عليهِم مِنَ ٱلامتثالِ ، فأُصيبوا بٱلعاهاتِ ، فأَقبلوا لترضيةِ ٱلشَّيخِ في جملةٍ مِنْ جيرانِهم ، فلاقاهُمُ ٱلإِمامُ ٱلمحضارُ وقالَ :

يـا بَخْـت مَـنْ عَـزَّ الشـريعـهْ واستمَـعْ	قـول الشـريعـهْ لِـيْ بِهَـا زَانَ الـوُجـودْ
قـاضيكُـمُ المشْهُـور مـا بيـنَ العَـرَبْ	مـن حَجْـر بِـنْ دَغّـارْ لَمَّـا قَبْـرْ هُـودْ

فٱرتجزوا بهِ بينَ دَويِّ ٱلبنادقِ ورَجْعِها[1] ٱلَّذي يَهزُّ ٱلجبالَ ، ولمّا قاربوا دارَ ٱلقاضي . . خرجَ للقائِهم ، فقالَ ٱلإِمامُ ٱلمحضارُ بٱلنِّيابةِ عنهُ :

حيَّـا بكـم يـاللـي وصلتـوا كلكـمْ	بـاسُنْـدُوَهْ والبـاعِشِـنْ زيـن الجُـدُودْ
يـا بـاجنيـد ابْشِـرْ فسَعْـدَكْ قـد بَـدَرْ	يـا بـومحمّـدْ فـالُكُـمْ فَـالُ السّعـودُ

توفِّي قبلَ ٱلثَّلاثِ مئةٍ ، وخلَفَهُ على ٱلقضاء ولدُهُ محمَّدٌ ، ويأْتي في جَحْي ٱلخنابشةِ بقيَّةُ كلام عَنْ آلِ باجنيدٍ ، كانَ هـٰذا ٱلمكانُ أَولىٰ بهِ ، لـٰكن تأَخَّرَ عن نسيانٍ ، وعن غيرِ واحدٍ أَنَّ آلَ باجنيدٍ يتحمَّلونَ ثلثَ نفقةِ عمارةِ ساقيةِ ٱلخريبةِ ، وهوَ آيةُ كثرةِ أَموالِهم بِها .

وعلىٰ قولِ ٱلمحضارِ : (من حَجرْ بنْ دغَّارْ لمَّا قبر هود) . . ذكرتُ أَنَّ ولدي ٱلبارَّ حسنَ ـ بلَّغَهُ ٱللهُ مناهُ ـ قالَ في رحلتهِ ٱلَّتي قدَّمَها لِلنّادي ٱلعلميِّ عن حضورهِ ـ بٱلنيابةِ عنهُ ـ تأْبينَ ٱلمرحومِ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ بنِ عمرَ ٱلشّاطريِّ[2] : ثمَّ أُنشدَتْ قصيدةُ أَديبٍ ، ولَم

---

(١) **رجعها** : صداها .

(٢) سنة (١٣٦١هـ) .

أذكرْ مِنها سوىٰ عَجُزِ بيتٍ هوَ :

مِنْ نَوَاحِي هُودٍ إِلَىٰ حَبَّانِ

وكانَ معنىٰ صدرهِ : فَقَدَتْ حَضْرَمَوْتُ منهُ أَرِيباً . فبقيَ بذهني لسببينِ :

أَحدُهُما : أَنَّ جماعةً تغامزوا عليهِ ٱستقلالاً للمدحِ وٱستصغاراً لِلبقعةِ ٱلَّتي حدَّدها .

وٱلثّاني : أَنَّهُ يكادُ أَنْ يكونَ نَفْسَ قولِ شوقي [في « الشوقيّات » ٢/ ١٩٢ مِنَ ٱلخفيفِ] :

يَـا عُكَـاظـاً تَـأَلَّـفَ ٱلشَّـرْقُ فِيـهِ ... مِـنْ فِلَسْطِينِـهِ إِلَـىٰ بَغْـدَانِـهْ

هـٰذا كلامٌ حسنٍ ، وشد ما لاحظتُ عليهِ : إكبارهُ لِشِعْرِ شوقي ، ولاسيّما بعدَ أَنْ تقدَّمَ إِليَّ بٱلسّؤالِ عن أَربعةِ أَبياتٍ منهُ وأَجبتُهُ عنها بٱلرِّسالةِ ٱلموسومةِ بـ « ٱلنَّقدِ ٱلعلميِّ ٱلذَّوقيِّ في ٱلجوابِ عن أَبياتِ شوقيّ »[1] .

وكثيراً ما أُثني علىٰ شِعرِ ٱلحضارمِ ٱلحُمَيْنِيِّ ، وهـٰذا مِنَ ٱلمواضعِ ٱلَّتي يتأَكَّدُ بها ما أَقولُ ؛ إذِ ٱلشَّطرانِ ٱللّذانِ ذَكَرَهُما حسنٌ لا يُعَدّانِ شيئاً في جَنْبِ قولِ ٱلمحضارِ : (مِنْ حَجرْ بنْ دغَّارْ لمَّا قبر هود) وكذلكَ يظهرُ هزالُهما ـ حتَّىٰ لا يَسومهما أَيُّ مفلسٍ ـ عندَ قولِ ٱلعاميِّ ٱلحضرميِّ في رثاءِ عائِض بنِ سالمين ٱلكثيريِّ : (جبال تِرْقِلْ من القِبْلهْ إلْمَّا هُودْ) .

وللإمام ٱلمحضارِ فضيلةُ ٱلتَّقدُّم ، ولا غروَ أَن يتفضَّلَ شعرُ ٱلحضارمِ ٱلعاميُّ ٱلخالي عَنِ ٱلتَّكلُّفِ ، ولا سيَّما في ٱلغزلِ ؛ إذ كانوا يرجعونَ في ذلكَ إِلىٰ أَصلٍ أَصيلٍ . . . إلاَّ من جهةِ أُمِّهِ ٱلحضرميَّةِ ٱلمسمَّاةِ : مجد[2] .

---

(١) طبعت في اليمن أيّام الإمام يحيىٰ سنة (١٣٦٤هـ) ، في (٣٢) صفحة . وكان قد أهداها لمقامه .

(٢) العبارة هكذا في المخطوط ، وفيها سقط ، ولعل التقدير : (. . . إلى أصلٍ أصيل وتاريخ تليد ، بل إن أكبر شعراء الغزل وهو عمر بن أبي ربيعة رضع لبان الغزل من جهة أمه الحضرمية المسمَّاة : مجد) . والسبب في اختيار اسم هـٰذا الشاعر دون غيره. . ما قاله صاحب « الأغاني » (١/ ٧٥) : (وأم عمر بن أبي ربيعة : أمُّ ولدٍ ، يقال لها : مجد ، سبيت من حضرموت. . . ومن هناك أتاه الغزل ، يقال : غزل يمانٍ ، ودلٌّ حجازي) .

وللسَّيِّدِ عبدِ الهادي الجيلانيِّ المذكورِ[1] ولدٌ يقالُ لَهُ: حامدٌ[2]، طلبَ العِلْمَ بتريمَ، ولَهُ نباهةٌ وذكاءٌ إلىٰ تواضعٍ وسيْما صلاحٍ ، وقدِ انتفعَ بهِ أهلُ الخُرَيبةِ انتفاعاً كثيراً.

وفي ترجمةِ السَّيِّدِ أَحمدَ بنِ حسنٍ بُرُوم مِنَ « المَشْرعِ » [٢/٥٥] : أَنَّهُ (وردَ الخريبةَ هوَ والسَّيِّدُ علي بن أحمدَ الخُونْ ، وجرت لَهما قصَّةٌ) . توفِّيَ السَّيِّدُ أحمدُ المذكورُ في سَنةِ (٩٥٧هـ)[3] .

وممَّنْ توفِّيَ بالخُرَيبةِ مِنَ العلويّينَ[4] : السَّيِّدُ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بن عليِّ بنِ أَحمدَ بنِ عبدِ اللهِ مولىٰ عيديد . ومِنْ عَقِبِهِ : السَّيِّدُ حسينُ بنُ أَحمدَ بنِ زينِ بنِ عليِّ بنِ زينِ بنِ عليِّ بنِ حسينِ بنِ عبدِ اللهِ المذكور ، كانَ إماماً فاضلاً ، مشهوراً بالفضلِ والولايةِ ، توفِّيَ بالقنفذةِ سَنةَ (١٢٦٥هـ)[5] .

---

(١) عبد الهادي بن عبد الله بن عمر بن أحمد الجيلاني ، ولد بالخريبة ، ويعرف بالطَّبيب ؛ لأنَّه كان حكيماً ماهراً ، درس الطِّبَّ في بلاد الهند ؛ إذ أرسله والده مع جماعة من الخريبة إبَّان مجاعة وقعت في حضرموت ، ونزلوا حيدر آباد ، ودرس السيِّد عبد الهادي في بعض مدارس الهند وترقّى حتى التحق بإحدى الجامعات وتخرج فيها مُجازاً في علم الطب . وكانت وفاته في براورة عام (١٣٧٠هـ) .

(٢) العلاَّمة حامد بن عبد الهادي ، مولده بالخريبة سنة (١٣٢٩هـ) ، قبيل وفاة جدِّه عمر ، وهو الَّذي سمَّاه وبشَّر والدته بأنَّه سيكون عالماً ، وحقَّق الله ذلك ، فكان عالم الخريبة ، بل من أجلاَّء علماءِ دوعن أجمع ، ولم يكن له نظير في ذكائه وعلمه وبديهته ، طلب العلم بتريم ، وتخرَّج بأُستاذ الجيل ، السيِّد الإمام عبد الله بن عمر الشَّاطري ، وكان يحبُّه ويودُّه ، ويكنُّ له احتراماً كبيراً ، وله أخبار كثيرة معه ، يرويها عنه ابنه ووارث علمه السيِّد عمر بن حامد . وقد نفع الله بالسيِّد حامد نفعاً عظيماً ، وصيته وسمعته الطَّيِّبة في دوعن لازالت ولازال النَّاس يترحَّمون عليه ، ويذكرونه بالخير ، وقد وافته منيَّته في عام (١٤١٢هـ) ، وعظم الأسف علىٰ فقده ، رحمه الله تعالىٰ .

(٣) وآل الخون هـٰؤلاءِ من ذرِّيَّة الشَّيخ عبد الله باعلويٍّ ، وأصل التَّسمية نسبة إلىٰ بلدة الخون ، قريبة من شعب النَّبيِّ هود عليه السَّلام .

(٤) ومن أعيانهم بها ، ممن لم يذكرهم المؤلف : السيد الشريف الصوفي : علي بن محمد بن عبد الله المكي بن عقيل باهارون جمل الليل ، توفي قبل سنة (١١٣٢هـ) . كان من أهل الخلوات والمجاهدات ، مكث في ذلك نحو (١٢) سنة . وفي مكاتبات الإمام الحداد تعزية في المذكور للشيخ محمد باقيس . وله مسجد بالخريبة معمور إلى اليوم ، يعرف بمسجد الحبيب علي .

(٥) السيِّد حسين بافقيه ، دفين القنفذة سنة (١٢٦٥هـ) ، هو أحد شيوخ السيِّد الشَّريف عبد الله الهدَّار بن طه الحدَّاد ، صاحب حاوي الحوطة ، المتوفَّىٰ سنة (١٢٩٤هـ) ، كما في « نور الأبصار » و« الخلاصة الشَّافية » .

ومنهُمْ : ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ[1] ، أخو عبدِ ٱللهِ ٱلمذكورِ ، ماتَ بٱلخُرَيبةِ أيضاً ، وعَقِبُهُ بها وبشبام وجاوة .

وفي ٱلخريبةِ ناسٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويِّ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدِ ٱلكافِ ، ٱلمتوفَّىٰ بها سَنَةَ (١٠٧٤هـ) .

وناسٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ علويٍّ ٱلخوّاصِ ٱلجفريِّ ٱلتّريسي : منهُمْ : ٱلسَّيِّدُ ٱلدّائِمُ ٱلذِّكرِ ، ٱلكثيرُ ٱلصَّمتِ ، عمر بنُ أبي بكرِ بنِ محمَّدٍ ٱلجفريُّ ، كانَ موجوداً بها في سَنةِ (١٣٢٠هـ) .

وفيها مِن آلِ ٱلجفريِّ : آلُ باصادقٍ ، مِنهمُ ٱلآنَ : عبدُ ٱللهِ وعبدُ ٱلرَّحمٰنِ ٱبنا حسنِ بنِ طالبِ بنِ محسنِ بنِ محمَّدِ بنِ صادقِ بن حسنِ بنِ صادقٍ ، نجعا إلىٰ مكَّةَ وجدَّةَ ، ولهم تجارةٌ واسعةٌ ، وثروةٌ لم ينسَوا حقَّ ٱللهِ فيها ، مع تواضعٍ وأخلاقٍ كريمةٍ ، ومحافظةٍ على ٱلعبادةِ ، ومواظبةٍ على ٱلصَّلواتِ في ٱلحرم ٱلشَّريفِ ، ولهمُ ٱبن عمٍّ يُقالُ له : عبدُ ٱللهِ بنُ محسنِ بن طالبِ بنِ محسنٍ نجعَ إلى ٱلحبشةِ . . فهو رأسُ ٱلعربِ ببعضِ بلادِها .

ومنهُم بها : ٱلسَّادةُ آلُ علويٍّ ٱلبارِّ[2] : محمّدٌ[3] وعبدُ ٱللهِ[4] وحامدٌ[5] ، وقد رأَيتُ محمَّداً هـٰذا بعدن في سَنةِ (١٣٢٢هـ) وهوَ صدرٌ مِنْ صدورِها ، وكانَ بها مكرعَ رِيٍّ ، ومشرعَ إحسانٍ ، ومستودعَ حُسنِ ظنٍّ بٱلأخيارِ ، مِن دونِ تعصُّبٍ ولا تفريقٍ بينهم .

ولَهم ذرِّيَّةٌ منتشرةٌ بٱلخُرَيْبَةِ وعدن وٱلحبشةِ وغيرِها ، وكانت لَهم هنالكَ أَموالٌ وعقاراتٌ فتلاشت ، أَو تحوَّلَتْ كلُّها إِلى ٱلسَّيِّدِ حامدِ بنِ علويٍّ . . فهو من أولاد الوجهاءِ ، وله أَولادٌ نبهاء .

---

(١) ومن ذرِّيَّته آل بافقيه ، سكَّان القرين ، الَّذين منهم السيِّد الإمام شيخ بن أحمد بافقيه ، المتوفَّىٰ بسورابايا سنة (١٢٨٩هـ) .

(٢) هم ذرِّيَّة الحبيب علويِّ بن عمر بن عبد الرَّحمـٰن البار ، توفي سنة (١٢٠٥هـ) .

(٣) ولد السيد محمد سنة (١٢٨١هـ) ، وتوفي بالخريبة سنة (١٣٤٤هـ) .

(٤) ولد السيد عبد الله سنة (١٢٨٧هـ) وتوفي أواخر سنة (١٣٤٥هـ) .

(٥) مولده بالخريبة سنة (١٢٩٧هـ) ووفاته بجدة سنة (١٣٨٠هـ) .

والخُرَيبةُ أكثرُ بلادِ دوعن عمارةً ورفاهةً ، حتَّىٰ لقد جاءَ في « مجموع كلام السَّيِّدِ عمرَ بنِ حسنٍ الحدّادِ » ـ المتوفَّىٰ في سَنةِ (١٣٠٨هـ) وكانَ أقامَ بها كثيراً ـ أنَّهُ : يُذبحُ في سوقِها كلَّ ليلةٍ عشرونَ رأساً مِنَ الغنمِ ، معَ أنَّهُ لا يُذبحُ لذلكَ العهدِ في سيئون وتريم أكثرُ مِنْ رأسينِ في كلِّ ليلةٍ ، فانظرْ إلىٰ هـٰذا التفاوتِ العظيمِ[1] .

ثمَّ رأيتُ الطَّيِّبَ بامخرمةَ يقولُ : (والخُرَيبةُ مدينةٌ بوادي دَوْعَان الأيمنِ ، ولمَّا استولى الفقيهُ الصَّالحُ ، الورعُ الزّاهدُ ، العالمُ العاملُ ، عفيفُ الدّينِ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عثمانَ بنِ محمَّدِ بنِ عثمانَ العموديُّ النَّوَّحيُّ علىٰ وادي دَوْعَان . . سكنَ رأسَ الخُرَيبةِ ، وأقامَ لَهمُ الشَّريعةَ ، وأحيا السُّنَّةَ ، وأطفأَ البدعةَ ، لـٰكنْ لَم يُوافقْ هواهُم . . فحاربوهُ وأخرجوهُ ، فانتقلَ إلىٰ ذَمَار ، وتوفِّيَ بها سَنةَ (٨٤٠هـ) ، كذا وجدَ بخطِّ بعضِ الفضلاءِ) هـٰذا آخِرُ كلامهِ ، وفيهِ جَزْمٌ بأنَّ آلَ العموديِّ مِنْ نَوَّحٍ ، وقد فصَّلتُ الخلافَ في نَسَبِهم بـ« الأصلِ » .

الرَّشيدُ

بلدةٌ صغيرةٌ فيها جامعٌ ، كانتْ تحتَ ولايةِ ابنِ دغَّارٍ الكنديِّ إلىٰ أواخرِ القرنِ الثامنِ كما سبق في حجر .

ولما جار وطغىٰ . . أصابتْهُ سهامُ اللَّيلِ[2] الَّتي لا تُبطيءُ ولا تُخطيءُ ، فزالَ عنها وخَلَفَهُ عليها وعلىٰ غيرِها آلُ بَالَحْمان ، ويَظهرُ أنَّهم مِنَ الإباضيَّةِ ، وبهم يتحقَّقُ قولُ ابنِ خلدون المتوفَّىٰ سَنةَ (٨٠٨هـ) في (ص ١٧٠ ج ٣) مِنْ « تاريخهِ » : (أنَّ لَهم دعوةً باقيةً بحَضْرَمَوْتَ إلى الآنَ) .

ثمَّ أهلكَ اللهُ آلَ بالحمان بعقبِ الظُّلمِ والجَورِ ، ولَمْ يَسلَمْ منهُم إلاَّ واحدٌ لُقِّبَ بـ :

---

(١) أما اليوم فالذي يذبح في رباط باعشن يفوق ما يذبح في الخريبة ؛ لتحول السوق إليها .

(٢) **سهام اللَّيل** : كناية عن الدُّعاء ، قال الشَّاعر :

أَتَهْـزَأُ بِـالـدُّعَـاءِ وَتَـزْدَرِيـهِ ... وَمَـا تَـدْرِي بِمَـا صَنَـعَ الـدُّعَـاءُ
سِهَـامُ اللَّيْـلِ نَـافِـذَةٌ وَلَـٰكِـنْ ... لَهَـا أَمَـدٌ وَلِـلأَمَـدِ انْقِضَـاءُ

حِفْظ ٱللهُ ، لا يزالُ جماعةٌ مِنْ ذرِّيَّتِهِ إلى ٱليوم بـ(جَحْيِ ٱلخنابشةِ)[1] ، وسيأْتي فيهِ : أَنَّ لِلشَّيخِ سعيدِ باحفظ ٱللهُ تاريخاً عن حَضْرَمَوْتَ ٱستعارَهُ باصُرَّة ولَم يَرُدَّهُ .

ومِنْ أَهلِ ٱلرَّشيدِ : ٱلشَّيخُ ٱلصّالحُ ٱلمشهورُ يوسفُ بنُ أَحمدَ باناجة ، ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (٧٨٣هـ) ، وقد سَبَقَ في ٱلحسوسةِ بعضُ ما كانَ مِنْ أَماديحِ ٱلشَّيخِ عمرَ بامخرمةَ فيهِ ، وقد ترجمَهُ سيِّدي ٱلإمامُ أَحمدُ بنُ محمَّدٍ ٱلمحضارُ ترجمةً مطوّلةً تدخلُ في كُرّاسَينِ ، سمّاها : « شرحُ ٱلصُّدورِ » ، ولَم أَطَّلِعْ علىٰ شيءٍ مِنها .

ومِن آلِ باناجةَ ٱلشَّيخانِ عبدُ ٱللهِ وعبدُ ٱلرَّحمٰنِ ، كانت لهم ثروةٌ وتجارةٌ واسعةٌ بٱلحجازِ وٱلهندِ ومصرَ ، وكانت لهم رُتبٌ شريفةٌ بمَكَّةَ أَيّامَ ٱلأَتراكِ ، إلاّ أَنَّ أَسبابَهُم ٱنقطعَت مِن حضرموتَ ، ولا تزالُ لهُم بقايا في أفريقيا وغيرِها .

وبٱلرَّشيدِ جماعةٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ طالبِ بنِ حسينِ بنِ عمرَ ٱلعطّاسِ . وهيَ موطنُ آلِ بازَرْعةَ[2] ، وفيهِم كثيرٌ مِنَ ٱلعلماءِ ؛ أَوَّلُهُمُ ٱلشَّيخُ أَبو بكرٍ بازرعةَ ، كانَ ظهورُهُ بدوعنَ ـ كما يُرْوَىٰ عنِ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ محمَّدٍ ٱلمحضارِ ـ قبلَ ٱلشَّيخِ سعيدٍ ٱلعموديِّ بمئةِ عامٍ ، ومَا كانَ ظهورُ ٱلشَّيخِ يوسفَ أحمدَ باناجةَ ـ ٱلسّابقِ ذكرُهُ ـ إلاّ بعدَ ٱلشَّيخِ سعيدٍ ٱلعموديِّ بمئةِ سنةٍ ، وعليه : فيكونُ ٱلشَّيخُ أَبو بكرٍ بازرعةَ مِمَّن عاصرَ ٱلشَّيخَ سالمَ بن فضلٍ ٱلَّذي أَحيا ٱلعلمَ بعدَ دروسِهِ ، ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (٥٨١هـ) .

ومِنْ مشهوريهِم في ٱلقرنِ ٱلحادي عشرَ : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَحمدَ بازَرْعَةَ ، لَهُ ذِكرٌ كثيرٌ في « مجموعِ ٱلأَجدادِ » ، ولَهُ فتاوىٰ مشهورةٌ يُرجَعُ إليها في ٱلاعتمادِ ، وكثيراً ما يختلفُ هوَ وباحُوَيرث وبابحَير فيترجَّحُ ما ذهبَ إليهِ ، وهوَ ٱلَّذي ٱختصرَ « فتاوى ٱلعلاَّمةِ ٱبنِ حَجرٍ ٱلهيتميِّ » .

ومِنْ وجهائِهِم في ٱلزَّمنِ ٱلأَخيرِ : ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عمرَ بازَرعةَ ، هاجرَ في بدءِ

---

(١) **الجحيُ** : مكان الإقامة . **الخنابشة** = آل الخنبشي سيأْتي ذكرهم في الجَحْي .

(٢) **آل بازرعة** : أُسرة عريقة ، من ذوي المجد والسِّيادة والرِّئاسة في القديم . ذكر في « الإكليل » (٢/ ٣٧) أَنَّ في هُدُون : بني زرعة بن جعشم من الصَّدِف . وفي « الشّامل » (ص٧١) أَنَّ آل بازرعة من آل بابحر ، ولعلَّهم غير هٰؤلاءِ ، ولعلَّ كونهم من الصَّدف ـ من كندة ـ أقرب .

أَمرِهِ إِلىٰ مُصوّع ، وأَسّسَ بها مركزَ تجارةٍ ، وأَقامَ برهةً بٱلْمُكَلاَّ ، ولَهُ فيها آثارٌ وعقارٌ ، وكانَ جمَّ ٱلثَّناء على ٱلإِيطاليِّينَ بٱلوفاءِ وبسطِ ٱلأَمنِ وٱلعدلِ ، ومساعدةِ ٱلرَّعايا ، وٱلصِّدقِ ، وذكرِ ٱلجميلِ لصاحبِهِ ولو بعدَ ٱلاستغناءِ عنهُ ، وٱتِّفاقِ ٱلسِّرِّ وٱلعلانيةِ ، وحفظِ ٱلذِّمامِ ، وقد عرفتُ صدقَ بعضِهِ عنهُم وقتَما كنتُ بٱلحديدة وفي سفري منها إِلىٰ مصوَّع سنةَ (١٣٥٤هـ) ، إِلاَّ أَنَّني معَ حنقنا عليهم ممَّا جرىٰ في طرابلسَ . . لم أَتأَثَّر بشيءٍ مِن ذلكَ ، وإِلاَّ . . فلهم أَكثرُ بشارةَ ٱلحديثُ ٱلَّذي أَخرجه مسلمٌ [٢٨٩٨] عن ٱلمستوردِ ٱلقُرشيِّ حَسبَمَا في « ٱلعودِ ٱلهنديِّ » . . فليسَ ٱلشَّيخُ بمتَّهمٍ فيما يقول ، ثمَّ ٱستوطنَ عدن ، ولَهُ خيراتٌ ومحاسنُ ، مِنها : مدرسةٌ كبيرةٌ بناها بعدنَ ، لا تزالُ معمورةً علىٰ نفقتهِ ٱلسَّابغةِ إِلى ٱليومِ ، وكانت عدنُ مزدانةً بهِ وبأَمثالِهِ مِن مراجيح ٱلحضارمِ ثمَّ صوَّحَ نباتُها ، علىٰ نحوِ ما أَسلفنا في ٱلمكلاَّ . توفِّيَ بعدنَ في سَنةِ (١٣٤٩هـ) ، وقد تركَ أَولاداً ؛ منهم : ٱلوجيهُ عليٌّ ، وهو ٱلنَّاظرُ علىٰ مدرستِهِ ، وٱلقائِمُ في محلِّهِ ، ومنهم عبدُ ٱلرَّحمٰنِ صالحٌ متواضعٌ ، عليهِ سيماءُ ٱلخيرِ ، بادٍ في جبهتِهِ أَثرُ ٱلسُّجودِ ، ضابطٌ لنفسهِ ولأَولادِهِ ، ومربيهم على ٱلاعتناءِ بشعائرِ ٱلدِّينِ وٱلمحافظةِ عليها ، معَ بذلِ ٱلمعروفِ ، وإِغاثةِ ٱلملهوفِ . . باركَ ٱللهُ فيهِ وفي بنيهِ .

ومِنْ أَهلِ ٱلرَّشيدِ : ٱلسَّيِّدُ شيخُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ شيخ ٱلحَبْشيُّ[1] ، تلميذُ ٱلسَّيِّدِ عمرَ بن عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلبارِّ .

وٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ سالمُ بنُ محمَّدٍ ٱلحَبْشيُّ[2] ٱلسَّابقُ ذكرُهُ إِلىٰ جنبِ ٱلشَّيخِ عليٍّ باصبرين ، وأَخوهُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدٍ ٱلحَبْشيُّ ، وقدِ ٱنتقلَ ولدُهُ عبدُ ٱللهِ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ إِلىٰ رحابٍ ، ولَهُ ولدانِ : علويُّ بنُ عبدِ ٱللهِ صاحبُنا ٱلمتكرِّرُ ذِكرُهُ ، وأَخوهُ أَحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ مِنْ أَهلِ ٱلصَّلاحِ .

---

(١) توفِّي السَّيِّد شيخ هـٰذا سنة (١١٧٢هـ) بالرَّشيد .

(٢) هو السَّيِّد العلاَّمة الفقيه سالم بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحمـٰن بن أبي بكر الحبشي ، ولد بالرَّشيد سنة (١٢٥١هـ) ، وتوفِّي بها في (٢١) ربيع الأوَّل (١٣٢٩هـ) ، كان فقيهاً عالماً محقِّقاً ، أخذ عن الشَّيخ عبد الله باسَودان ، وابنه مُحَمَّد ، وطبقتهما ، ترجم له الحبيب عبد الرَّحمـٰن المشهور في « الشَّجرة » .

وعندما عَزَمَ عبدُ ٱللهِ على ٱلانتقالِ مِنَ ٱلرَّشيدِ إلىٰ رحابٍ . . ذهبَ يَستشيرُ ٱلإمامَ ٱلجليلَ أَحمدَ بنَ محمَّدٍ ٱلمحضارَ ، فقالَ لَهُ [مِنَ ٱلرَّمَلِ] :

إنَّمَـــا أَنْـــتَ سَحَـــابٌ مُمْطِـــرٌ   حَيْثُمَـــا صَـــرَّفَـــهُ ٱللهُ ٱنْصَـــرَفْ[1]

ولا يزالُ ولدُهُ علويٌّ صاحبُ ٱلنَّوادِرِ في رحابٍ ، ولهُ ذِكرٌ متكرِّرٌ في هـٰذا .

ومِن أَهلِ ٱلرَّشيدِ : ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ حسينٍ ٱلحبشيُّ ، كانَ عالماً فاضلاً ، صادعاً بٱلحقِّ لا يخاف فيهِ ، قُتِلَ بمسجدِ بحرِ ٱلنُّورِ وهوَ في درسِهِ ، قتلَهُ ولدُ أَحمدَ بامحمَّدٍ ، وهوَ ٱبنُ أَخي ٱلمقدَّمِ عمرَ بنِ أَحمدَ باصرَّةٍ ، لخللٍ ـ قيلَ ـ في عقلِهِ .

ٱلقُوَيْرَةُ[2]

مِنْ قُدامىٰ بلدانِ دوعن ، وكانَ ٱلسَّيِّدُ ٱلجليلُ حامدُ بنُ أَحمدَ ٱلمحضارُ يذكرُ سبعينَ قبيلةً بها فبادَت ولم يبقَ إلاَّ ٱلقليلُ كآلِ باحسينٍ ؛ فقد كانَ فيهم قضاةٌ وعلماءُ ؛ منهم : ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ باحسينٍ ، وَلاَّهُ ٱلملكُ ٱلظَّافرُ قضاءَ لحجٍ سنةَ (٩٠٦هـ) .

وهيَ واقعةٌ في حضنِ ٱلجبلِ ٱلغربيِّ ، سكنَها ٱلسَّيِّدُ ٱلشَّريفُ محمَّدُ بنُ علويِّ بنِ محمَّدِ بنِ طالبِ بنِ عليِّ بنِ جعفرِ بنِ أَبي بكرِ بنِ عمرَ ٱلمحضارِ ، وٱنتهىٰ بهِ إليها ٱلقرارُ ، وٱبتنىٰ بها ٱلدَّارَ .

وبها وُجدَ سيِّدُنا ٱلإمامُ ٱلرّبانيُّ أَحمدُ بنُ محمَّدٍ ٱلمحضارُ[3] ، كانَ آيةً في ٱلعبادةِ وتلاوةِ ٱلقرآنِ ، وسلامةِ ٱلصَّدرِ ، وعدمِ ٱلمبالاةِ بٱلدُّنيا ، وصِدْقِ ٱلتَّوكُّلِ على ٱللهِ وكمالِ ٱلاعتمادِ عليهِ .

---

(١) ومن سكَّان الرَّشيد : آل الحبشي ، وآل باصُرَّة ، وآل بازَرْعة المذكورون ، وآل باغفَّار ، وهم بجدَّة وغيرها ، وآل باعَوم ، وباعفيف ، وآل باجبير .

(٢) **القويرة** : تصغير قارة ، وقد تنسب إلىٰ حَلَبون ـ القريةِ الَّتي بجانبها ـ فيُقال : قارة حلبون .

(٣) وكان مولده في عام (١٢١٧هـ) ، وكان له تردُّد إلى الحرمين ، وجاور بمكَّة سنوات ، وأحواله عظيمة ، وترجمته تطول ، يراجع « تاريخ الشُّعراء » (٤/ ٣٨ـ ٤٦) ، و« الشَّامل » (١٥٠ـ ١٥١) .

عَلَيْــهِ مِــنَ ٱلتَّقْــوَىٰ رِداءُ سَكِينَـــةٍ وَلِلْحَــقِّ نُــورٌ بَيْــنَ عَيْنَيْـهِ سَـاطِـعُ[1]

وفي مبحثِ ذرِّيَّةِ ٱلشَّيخِ عمرَ ٱلمحضارِ بنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ مِنْ « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » يقولُ : (ومنهُمُ : ٱلسَّيِّدُ ٱلوليُّ أَحمدُ بنُ محمَّدٍ ، بالقويرةِ ، ٱلمتوفَّىٰ بها سَنَةَ (١٣٠٤هـ) ، لَهُ ذرِّيَّةٌ مباركةٌ هناكَ ، منهُمُ ٱلآنَ : خليفتُهُ ٱبنُهُ حامدٌ ، لَهُ خُلُقٌ حسنٌ) اهـ

وحالُ ٱلمحضارِ عجيبٌ ، وأَمرُهُ غريبٌ ، وصِيتُهُ شهيرٌ ، وفَضْلُهُ غزيرٌ ، وقد ترجمَهُ سيِّدُنا ٱلأُستاذُ ٱلأَبرُّ عيدروسُ بنُ عمرَ ترجمةً مختصرةً ، ولَهُ كلامٌ أَعذبُ مِنَ ٱلسَّلسالِ[2] ، وأَشبَهُ بٱلماءِ في ٱلحَدورِ[3] إِذا سالَ ، ما بينَ نثرٍ ونظامٍ ، أَحلىٰ مِنَ ٱلمُدام ، وأَزكىٰ مِنَ ٱلمسكِ ٱلختام ، ينطبق عليه قولُ أَبي تمَّام [في « ديوانه » ١/ ١٤٤ مِنَ ٱلطَّويل] :

عَــذَارَىٰ قَــوَافٍ كَــانَ غَيْــرَ مُــدَافَــعٍ أَبَـا عُــذْرِهَـا لاَ ظُلْـمَ مِنْـهُ وَلاَ غَصْـبُ
مُفَصَّلَــةٌ بِــاللُّــؤْلُــؤِ ٱلْمُنْتَقَــىٰ لَهَــا مِـنَ ٱلشِّعْـرِ إِلاَّ أَنَّـهُ ٱللُّـؤْلُـؤُ ٱلـرَّطْـبُ

وذكرتُ في « **ٱلأَصلِ** » أَنَّهُ أَعدَّ لنفسِهِ قَبراً يخرجُ إِليهِ في كلِّ يومٍ يقرأُ فيهِ القرآنَ ، وأَشرتُ إِلىٰ مَن حضرني ساعتَئذٍ ممَّن أَعدَّ لنفسِه مثلَهُ ، ثم رأيتُ ٱلذَّهبيَّ يقولُ في ترجمةِ ٱلحافظِ ٱلمحدِّثِ ٱلخطيبِ : (عَن إِسماعيلَ بنِ أَبي سعدٍ ٱلصُّوفيِّ : كانَ أَبو بكرِ بنُ ٱلزَّهراءِ أَعدَّ لنفسِهِ قبراً إِلىٰ جنبِ بشرٍ ٱلحافيِّ ، يمضي إِليهِ في كلِّ أُسبوعٍ يقرأُ فيهِ ٱلقرآنَ كلَّهُ وينامُ ، فلمَّا ماتَ ٱلخطيبُ وكانَ أَوصىٰ أَن يُدفنَ إِلىٰ جانبِ بشرِ بنِ ٱلحارثِ ، فجاءَ ٱلمحدِّثونَ إِلى ٱبنِ زهراءَ يسألونَهُ أَن يؤثرَ بِهِ ٱلخطيبَ . . فٱمتنعَ ، فجاؤوا إِلىٰ أَبي ، فأَحضرهُ وقالَ لهُ : أَنا لا أَقولُ لكَ أَعطِهِ ٱلقبر ، ولـٰكن لو كنتَ في ٱلحياةِ إِلىٰ جانبِ بشرٍ فجاء ٱلخطيبُ ليقعدَ دونَكَ ، أَكان يحسنُ بكَ أَن تقعد أَعلىٰ منهُ؟

---

(١) البيت من الطَّويل ، وهو لمروان بن أَبي حفصة في « ديوانه » (٧٧) ، ولـٰكن بلفظ : (رِدَاءٌ يَكُنُّه) ، بدل (رداء سكينة) . يَكُنُّهُ : يغطِّيه ويجلِّله .

(٢) السَّلسال : الماءُ العذب ، الَّذي يسهل مروره في الحلق .

(٣) الحَدور : المنحَدَر ، شائعة في حضرموت .

قالَ : لا ، بل كنتُ أَقومُ لهُ وأُجلِسُهُ في مكاني ، قالَ : فهٰكذا ينبغي أن يكونَ ٱلسَّاعةَ ، فطابَ قلبُهُ ، وأَذِنَ لهُم)اهـ[1]

ولٰكنَّ فقهاءَنا مصرِّحونَ بكراهةِ ٱلإيثارِ في ٱلقُرَبِ كٱلإيثارِ بماءِ ٱلطَّهارةِ ، ولا بسترِ ٱلعورةِ ، ولا بٱلصَّفِّ ٱلأَوَّلِ ؛ فإنْ أَدَّىٰ إِلىٰ تركِ واجبٍ . . فحرامٌ ، أَو إِلىٰ تركِ سنَّةٍ أَوِ ٱرتكابِ مكروهٍ . . فمكروهٌ ، أَو خلافِ ٱلأَولىٰ . . فخلافُ ٱلأَولىٰ . قالهُ ٱلسُّيوطي .

ولسيِّدِنا ٱلعلاَّمةِ أَبي بكرِ بنِ شهابٍ قصيدةٌ غرَّاءُ في مديحهِ[2] ، وقد بلغني عنهُ أَنَّهُ يقولُ : (لولا أَنَّني رأَيتُ ثلاثةً ، وهُم : محسنُ بنُ علويٍّ ٱلسَّقَّافُ ، وأَحمدُ بنُ محمَّدٍ ٱلمحضارُ ، وعيدروسُ بنُ عمرَ ٱلحبشيُّ . . لَما صدَّقتُ ما يُروىٰ مِنْ مقاماتِ ٱلأَسلافِ ، وما لَهم مِنْ فَرْطِ ٱلمجاهَداتِ في صنوفِ ٱلعباداتِ) .

وكانَ ٱبنُهُ حامدٌ علىٰ طرفٍ مِنَ ٱلعِلْمِ ، ومعَ ذلكَ فهوَ صدرُ ٱلصُّدورِ ، وفحلُ ٱلفحولِ ، لا يخورُ في جوابٍ ، وليسَ لأَحدٍ معَهُ كلامٌ ، معَ بُعْدٍ عنِ ٱلتَّكلُّفِ وسَيْرٍ بسَوْقِ ٱلطَّبيعةِ ، وجُودٍ بٱلموجودِ ، وبياضِ سريرةٍ ، وصراحةٍ تامَّةٍ ، وشهامةٍ ظاهرةٍ ، وهوَ ٱلَّذي يقومُ بأُمورِ أَبيهِ ، توفِّيَ بٱلقويرةِ في سَنةِ (١٣١٨هـ) عن عدَّةِ أَولادٍ ، منهُمْ :

ٱلفاضلُ ٱلماجدُ حسينُ بنُ حامدٍ[3] ، وهوَ أَشهرُ مِنْ أَنْ يُذكرَ ، ولَهُ في « ٱلأَصلِ » ذِكرٌ كثيرٌ ، توفِّيَ بٱلمُكلاَّ آخِرَ سَنةِ (١٣٤٥هـ) ، وكانَ يعاونُهُ في أَيّامِ وزارتهِ : أَخوهُ عبدُ ٱلرَّحمٰنِ ، وهوَ رجلٌ متينُ ٱلدِّينِ ، شريفُ ٱلنَّفْسِ ، مأْمونُ ٱلغائلةِ ، مستوي ٱلسِّرِّ وٱلعلانيةِ ، مشكورُ ٱلسَّعي .

وكثيراً ما يعاونُهُ ٱبنُ أَخيهِ عليُّ بنُ حسنِ بنِ حامدٍ ٱلمحضارُ ، وهوَ فاضلٌ رقيقُ ٱلقلبِ ، غزيرُ ٱلدُّموعِ ، كثيرُ ٱلخشوعِ .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٨٧) .

(٢) امتدحه بها سنة (١٢٩٤هـ) ، ومطلعها :

خَلِيلَـيَّ رِفْقـاً فَـٱلْهَـوَادِي وُكُـورُهَـا ... أَضَـرَّ بِهَـا إِدْلاَجُهَـا وَبُكُـورُهَـا
رُوَيْـداً فَهَـٰذَا حَـيُّ سَلْمَـىٰ وَتِلْكُمَـا ... مَضَـارِبُهَـا ذَاتَ ٱلْيَمِيـنِ وَدُورُهَـا

(٣) افرده بالتّرجمة حفيده السَّيِّد العلاّمة حامد بن أبي بكر بن حسين وكتابه مطبوع .

ومِنْ أَولادِ سيِّدِنا ٱلمحضارِ : ٱلفاضلُ ٱلجليلُ ٱلحبيبُ محمَّدٌ[1] ، كانَ آيةً في علوِّ ٱلهمَّةِ ، وكِبَرِ ٱلنَّفْسِ ، وبسطةِ ٱلكفِّ ، وغزارةِ ٱلعِلْمِ ، وكثرةِ ٱلعبادةِ .

مُتَهَجِّـدٌ يُخْفِـي ٱلصَّـلاَةَ وَقَـدْ أَبَـىٰ ... إِخْفَـاءَهَـا أَثَـرُ ٱلسُّجُـودِ ٱلْبَـادِي[2]

سَمْحُ ٱلْيَـدَيْـنِ إِذَا ٱحْتَبَـىٰ فِـي مَجْلِـسٍ ... كَـانَ ٱلنَّـدَىٰ صِفَـةً لِـذَاكَ ٱلنَّـادِي

أَفْضَـىٰ إِلَيْـهِ ٱلطَّـالِبُـونَ فَصَـادَفُـوا ... أَدْنَـى ٱلْبَـرِيَّـةِ مِـنْ تُقـىً وَسَـدَادِ

بِفَضِيلَـةٍ بِـٱلنَّفْـسِ تُـوصَـلُ عِنْـدَهُ ... بِفَضَـائِـلِ ٱلآبَـاءِ وَٱلأَجْـدَادِ

توفِّيَ بجاوة في سَنةِ (١٣٤٤هـ) عن عدَّةِ أَولادٍ ، أَكبرُهُم : عبدُ ٱللهِ[3] ، وهوَ معدودٌ مِنَ ٱلفقهاءِ وأَهلِ ٱلعِلْمِ .

ثمَّ علويٌّ[4] ، وهوَ ٱلَّذي خَلَفَ أَباهُ فأَبقىٰ منارَهُ ، وتَسمَّتَ آثارَهُ .

لاَ يَحْتَـذِي خُلُـقَ ٱلْقَصِـيِّ وَلاَ يُـرَىٰ ... مُتَشَبِّهـاً فِـي سُـؤْدُدٍ بِغَـرِيـبِ[5]

شَـرَفٌ تَتَـابَـعَ كَـابِـراً عَـنْ كَـابِـرٍ ... كَـٱلـرُّمْـحِ أُنْبُـوبـاً عَلَـىٰ أُنْبُـوبِ

لَهُ خُلُقٌ كالنَّسيمِ ، وشمائِلُ أَحلىٰ مِنَ ٱلتَّسنيمِ .

صَفَـتْ مِثْلَمَـا تَصْفُـو ٱلْمُـدَامُ خِـلاَلُـهُ ... وَرَقَّـتْ كَمَـا رَقَّ ٱلنَّسِيـمُ شَمَـائِلُـهْ[6]

---

(١) السيد العالم الحبيب محمد بن أحمد المحضار (١٢٨٠ـ ١٣٤٤هـ) ، ولد بالجبيل بدوعن ، تربى في حجر والده الجليل ، وأخذ عن كبار شيوخ عصره أجلهم والده والحبيب أحمد بن حسن العطاس ، وهاجر إلى جاوة سنة (١٣٠٨هـ) ، ولازم بها شيخ فتحه الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي ، المتوفى سنة (١٣٣٧هـ) ، لزمه حتى وفاته . له تأثير في جماهير الناس بحسن دعوته وغيرته على الإسلام ، وله يد طولى في إقامة الجمعيات الخيرية والمدارس بسورابايا وجاكرتا ، منها : المدرسة الخيرية ، وجمعية ومدرسة الفلاح أنشأها سنة (١٣٣٢هـ) ببندواسة . من مصادر ترجمته : « شمس الظهيرة » (١/ ٢٨٢) ، « الشامل » (١٥١) ، « تاج الأعراس » (٢/ ٤٦٧) .

(٢) الأبيات من الكامل ، وهي للبحتريِّ في « ديوانه » (١/ ١٨٥ـ ١٨٦) .

(٣) ولد السَّيِّد عبد الله بن مُحَمَّد المحضار سنة (١٣٠٠هـ) ، وتوفِّي سنة (١٣٦٤) .

(٤) توفِّي السَّيِّد علويٌّ بدوعن سنة (١٣٧٩هـ) ، وكان قد استقر بها واستعاضها عن بندواسة وتركها كلية .

(٥) البيتان من الكامل ، وهما للبحتريِّ في « ديوانه » (١/ ٢٠٢) .

(٦) البيت من الطَّويل ، وهو للبحتريِّ أيضاً في « ديوانه » (١/ ٦٣) **الخلال** : الخصال .

إلىٰ جُودٍ في ٱلفاقةِ ، وسماحةٍ فوقَ ٱلطَّاقةِ ، وبرٍّ بوالديهِ عظيمٍ ، ومحاسنِ خلالٍ أغلىٰ مِنَ ٱلدُّرِّ ٱلنَّظيمِ ، ولهُ كلامٌ أزكىٰ مِن مسكِ ٱلختامِ ، وأندىٰ مِن ماءِ ٱلغمامِ :

أَنْـدَىٰ عَلَـى ٱلأَكْبَـادِ مِـنْ قَطْـرِ ٱلنَّـدَىٰ وَأَلَـذُّ فِـي ٱلأَجْفَـانِ مِـنْ سِنَـةِ ٱلْكَـرَىٰ

وبيني وبينَهُ وُدٌّ صميمٌ ، وطارفُ إخاءٍ مبنيٌّ علىٰ قديمٍ ، يأتي فيه قولُ ٱلخطَّابي للثَّعالبيِّ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

قَلْبِـي رَهِيــنٌ بِنَيْسَــابُــورَ عِنْــدَ أَخٍ مَــا مِثْلُــهُ حِيــنَ تَسْتَقْــرِي ٱلْبِــلاَدَ أَخُ
لَــهُ صَحَــائِــفُ أَخْــلاَقٍ مُهَــذَّبَــةٌ مِنْهَـا ٱلتُّقَـىٰ وَٱلنُّهَـىٰ وَٱلْحِلْـمُ يُنْتَسَـخُ

ومِنْ أَولادِ ٱلإمامِ ٱلمحضارِ : بقيَّةُ ٱلسَّلَفِ ، وزينةُ ٱلخَلَفِ ، كهفُ ٱليتامىٰ ، ومَوئِلُ ٱلأَيامَىٰ[1] ، ٱلَّذي ٱمتزجَ ٱلجودُ بلَحْمِهِ ودَمِهِ ، ولَم يَسْعَ أَحدٌ في ٱلزَّمنِ ٱلأَخيرِ بقَدَمِهِ . ٱلحبيبُ مصطفىٰ[2] ، فحدِّثْ عن سماحتِهِ ولا حَرَجَ ، وحَسْبُكَ بما كانَ منهُ في ٱلزَّمنِ ٱلَّذي هرجَ ومرجَ[3] ؛ فلقد مرَّتْ أَيَّامُ ٱلأَزمةِ ودارُهُ ملأَىٰ بٱلجِفانِ ٱلمحفوفةِ بٱلضِّيفانِ[4] .

فَمَــا جَــازَهُ جُــودٌ وَلاَ حَــلَّ دُونَــهُ وَلَـٰكِـنْ يَسِيـرُ ٱلْجُـودُ حَيْـثُ يَسِيـرُ[5]

لقد بلغني أَنَّهُ باعَ مِنْ صُلْبِ مالهِ بعشرةِ آلافِ ريالٍ ذهبتْ معَ ٱلأَكبادِ ٱلحرَّىٰ ، وٱلبطونِ ٱلغَرْثَىٰ[6] .

وَلِلْجُــودِ حُسْــنٌ أَيَّ وَقْــتٍ بَــذَلْتَــهُ وَأَحْسَنُــهُ مَــا كَــانَ فِــي زَمَــنِ ٱلْمَحْـلِ

---

(١) الأَيامىٰ : النِّساء اللاَّتي لا أَزواج لهنَّ .

(٢) الحبيب مصطفى المحضار ، مولده بالقويرة سنة (١٢٨٣هـ) ، تنظر ترجمته وأخباره في : « الشَّامل » (١٥١) ، « الدَّليل المشير » ، وغيرها .

(٣) هَرَج ومَرَج : اختلط .

(٤) الجِفان ـ جمع جفنة ـ وهي : القصعة .

(٥) البيت من الطَّويل ، وهو لأَبي نُوَاس في « ديوانه » (٤٨١) ، ولـٰكن بلفظ (يصير) بدل (يسير) في الموضعين .

(٦) *الأكباد الحرَّى* : الَّتي يبست من العطش . **الغرثىٰ** : الجائعة .

ٱنتهىٰ بهِ ٱلحالُ إلىٰ أنَّ رجلاً ٱستماحَهُ إزارَهُ[1] ، فقالَ لَهُ : سأضعُهُ على ٱلجدارِ عندَ دخولي ٱلميضأةَ ، فٱذهبْ بهِ ، ومتىٰ أحسستُ بُعْدَكَ . . زعمتُ لأولادي أنَّهُ سُرِقَ ؛ حتَّىٰ يُدبِّروا ليَ سواهُ مِنْ دونِ عتابٍ ولا تثريبٍ .

تَعَـوَّدَ بَسْـطَ ٱلْكَـفِّ حَتَّـىٰ لَـوَ ٱنَّـهُ ... ثَنَـاهَـا لِقَبْـضٍ لَـمْ تُطِعْـهُ أَنَـامِلُـهْ[2]

وما كانَ ولدهُ حامدٌ[3] ليُعاتبَهُ علىٰ مِثلِ ذلكَ ؛ إذْ لَمْ يَكُنْ إلاَّ قُرَّةَ عينٍ وسرورَ فؤادٍ .

ولَهُ شِعرٌ بديعٌ ، أحبّ مِنْ بسماتِ ٱلرَّضيعِ ، وتَرَسُّلٍ عذبٍ ، كأنَّما هوَ سقيطُ ٱلطَّلِّ وٱللُّؤلؤِ ٱلرَّطبِ ، وقد رثيتُهُ في حياتهِ سَنةَ (١٣٥٢هـ) ؛ لِيَسْمَعَ ما يقالُ عنهُ بعدَ ٱلموتِ ٱليومَ بإذنهِ ، بقصيدةٍ توجَدُ بمحلِّها مِنَ « ٱلدِّيوانِ » [خ١٥٠] ، ومستهلُّها هـٰذا [مِنَ ٱلكامِلِ] :

مَهْـلاً عَـدِمْتُـكَ مِـنْ نَعِـيٍّ جَـارِحِ ... فَلَقَـدْ مَـلأْتَ مَحَـاجِـرِي وَجَـوَانِحِـي

وهو ٱليومَ يخنقُ ٱلتِّسعينَ . . أطالَ ٱللهُ بقاهُ ، ورزقَنا في عافيةٍ لقاهُ .

ومِنْ ذرِّيَّتِهِ : ٱلقانتُ ٱلأوّابُ ٱلصَّادعُ بٱلحقِّ ، ٱلَّذي لا يخاف لومةَ لائمٍ عبدُ ٱللهِ بنُ هادونَ بنِ أحمدَ ٱلمحضارُ[4] ، طلبَ ٱلعِلْمَ بمصرَ ، وكانَ مِنْ أراكينِ ٱلتَّقوىٰ ، وإليهِ يَرجِعُ أهلُ ذلكَ ٱلطَّرَفِ في ٱلفتوىٰ ، توفِّيَ بٱلقويرةِ في سَنةِ (١٣٥٨ هـ) ، ولَهُ أولادٌ كرامٌ ، منهُم :

صالحٌ : يتَّفقُ مع ٱسمهِ مسمَّاهُ . ومحمَّدٌ ، رجلٌ شهمٌ يُصَدِّقُهُ نُبلٌ ، ملأَ ثوبَه ،

---

(١) استماحه : طلب منه ، وفعلُه : مَيَح .

(٢) البيت من الطَّويل ، وهو لأبي تمَّام في « ديوانه » (٢/ ١٤) ، باختلاف بسيط .

(٣) السَّيِّد حامد بن مصطفىٰ ، ولد بالقويرة سنة (١٣١٨هـ) ، وتوفِّي في حادث سيَّارة مروِّع في (٩) جمادى الأُولىٰ (١٣٩١هـ) .

(٤) الحبيب عبد الله باهادون (١٣٥٨هـ) ، ترجمه السَّيِّد أبو بكر الحبشي في « الدَّليل » ، توفِّي في ربيع الأوَّل سنة (١٣٥٨هـ) ، وأرَّخها الحدَّاد في (١٣٥٩هـ) ، وقال : (توفِّي عن سنٍّ عالية) ، وحدَّدها صاحب « الدَّليل » بـ(٨١) سنة ، وجعل مولده سنة (١٢٧٧هـ) .

يزيِّنُ حظَّهُ منَ ٱلإحسانِ حلاوةُ ٱللِّسانِ . وطـٰهَ ، وهوَ رجلٌ فاضلٌ ، مستوي ٱلسِّرِّ وٱلعَلَنِ ، كريمُ ٱلأخلاقِ ، خفيفُ ٱلرّوحِ ، عَظُمَتِ ٱلرَّزيَّةُ بموتهِ في حدودِ سَنةِ (١٣٦٤هـ) ؛ إذْ بقيَ موضعُهُ فراغاً ، لَمْ يَسُدَّهُ أحدٌ مِنْ إخوانهِ .

وعلى ٱلجملةِ : فحالةُ ٱلمحاضيرِ بٱلقويرةِ مشكورةٌ ، ومجالسُهُم معمورةٌ ، وعلَّهُم علىٰ وئَامٍ في ٱلمعنىٰ كما هُم في ٱلصّورةِ .

وأوّلُ مَنْ نجعَ مِنْ حَبّان إلىٰ دوعن : ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ طالبٍ[1] ، فتصوَّفَ علىٰ يدِ ٱلإمامِ عمرَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلبارِّ ، وسكنَ ٱلرَّشيدَ ، ثمَّ سارَ إلىٰ عينات ، وٱبتنىٰ بها داراً ومسجداً ، ثمَّ جاءَ أيضاً ولدُهُ علويٌّ[2] وتزوَّجَ بٱلرَّشيدِ .

وكانَ أهلُ ٱلقويرةِ في قرنِ ٱلحمارِ مِن قلَّةِ ٱلماءِ ، ولآلِ ٱلقُرَيْنِ من آل ٱلبَار وغيرِهم عيونُ ماءٍ في ٱلجبلِ ٱلَّذي بجنوب ٱلقويرةِ ، فساومَهم وأغلى ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ في بعضِها ، ولمَّا ٱمتنعوا . . أجراها إلى ٱلقويرةِ بقوَّةِ ٱلسُّلطانِ .

ثمَّ سارَ إلى عند آلِ ٱلبارِ بٱلقُرَيْنِ للتَّرضيةِ ، وأَرضَىٰ جُلَّ ٱلمُلاَّكِ بمثلِ ٱلقيمةِ أو بأكثرَ . . فرضيَ أغلبُهم وبقيَت خمسةٌ مِن أربعةٍ وعشرينَ أصرَّ أهلُها على ٱلامتناع إلى ٱليومِ .

وبلغني أنَّ ٱلسَّيِّدَ عبدَ ٱللهِ بنَ هادونَ بنِ أحمدَ ٱلمحضار كانَ يتنزَّهُ عن ذلكَ ٱلماءِ لقوَّةِ ورعهِ ، وإلاَّ . . فإنَّ للفاضل ٱلسَّيِّد حسينِ بنِ حامدٍ مندوحةً فيما صنعَ ؛ فلقد بَنى ٱبن ٱلخطّابِ ٱلمسجدَ ٱلحرامَ بمكَّةَ في سنة (١٧هـ) وهدَّم علىٰ قومٍ أبَوا أن يبيعوا ، ووضَع أثمانَ دُورهم في بيتِ ٱلمالِ حتَّىٰ أخذوها .

وزادَ عثمانُ في ٱلمسجدِ ٱلحرامِ نفسِهِ في سنةِ (٢٦هـ) وٱبتاعَ دُوراً مِن قوم ، وأبىٰ آخرونَ . . فَهدَّمَ بيوتَهم وأَدخلها في ٱلمسجدِ ، ووضعَ ٱلأثمانَ في بيت ٱلمالِ . . فصاحوا بعثمانَ ، فحبسَهُم وقالَ : قد فعلَ عُمَرُ بِكُم مثلَه . . فَلَم تصيحوا! فَكَلَّمَهُ فيهم عبدُ ٱللهِ بنُ خالدِ بنِ أُسيدٍ . . فأطلقهم .

---

(١) توفِّي السَّيِّد مُحَمَّد بن طالب بمسقط ، في طريقه إلىٰ مرباط لزيارة جدِّه الإمام مُحَمَّد صاحب مرباط ، فحمل إليها ودفن بها .

(٢) توفي السيد علوي هـٰذا في الطريق بين حبان وحضرموت ، حيث كان متوجهاً إلى حضرموت .

ومصلحةُ ٱلشُّربِ أَظْهَرُ مِن مصلحةِ ٱلمسجدِ ؛ إِذِ ٱلماءُ لا يُمنعُ ، ومهما أَوَّلوه . . فبعيدٌ أَن يكونَ شربُ بقيَّةِ ٱلسَّلفِ ٱلوالدِ مصطفىٰ بنِ أَحمدَ حراماً ، ولـٰكنَّ ٱلأَمرَ إِذا ضاقَ . . ٱتَّسعَ ، إِلاَّ أَنَّهُ قد يغبِّرُ عليه أَنَّ لابن ٱلخطَّابِ شأناً بٱلمدينةِ تخالِفُ ما جرىٰ عليهِ بمكَّةَ ، وذلكَ أَنَّهُ أَرادَ توسعةَ ٱلمسجدِ ٱلنَّبويِّ بدورٍ منها دارُ ٱلعبَّاسِ . . فلم يرضَ ، وحاكَمَ عمرَ . . فخصَمَهُ ، وللفرقِ مجالٌ بينَ ٱلحرمين كثيرٌ ؛ إِذ قيلَ : إِنَّ دورَ مكَّةَ لا تُباعُ ولا تُوهَبُ ، ولم يقُل أَحدٌ بمثلِ ذلكَ في ٱلمدينةِ . وَٱللهُ أَعلمُ .

وفي ٱلقويرةِ ناسٌ مِن آلِ شَويْهٍ ، يغلبُ على ٱلظَّنِّ أَنَّ جدَّهُمْ أَحدُ ٱلأربعةِ ٱلقادمينَ معَ ٱلمهاجرِ ، حَسبَمَا يأتي في سيئون .

حَلَبُونُ

هيَ قريةٌ في ٱلحضيضِ ٱلنَّازلِ عنِ ٱلقُوَيرةِ ، ويزعمُ بعضهُم أَنَّها كانت متَّصلةً بها ، وكثيراً ما يقالُ : قويرة حَلَبُون ، ولَو صحَّ ذلكَ . . لَم يَكُنْ إِلىٰ تعدُّدِ ٱلجمعةِ سبيلٌ حَسَبَما في فتوىٰ بامخرمةَ ٱلسَّابقةِ في قرى ٱلشِّحْرِ ، لـٰكنَّ ٱلجمعةَ متعدِّدةٌ في ٱلقريتينِ ، فدلَّ على ٱستقلالِ كلٍّ مِنَ ٱلأَصلِ[1] .

وسكَّانُ حَلَبُون : آلُ باقيسٍ وغيرُهم[2] ، ومنهُمْ : ٱلصَّالحُ ٱلشَّهيرُ ، وٱلرَّبَّانيُّ ٱلكبيرُ ، ٱلشَّيخُ فارسُ باقيسٍ ، ممدوحُ ٱلشَّيخِ عمرَ بنِ عبدِ ٱللهِ بامخرمة .

ومنهُم : خاتمةُ ٱلصُّوفيَّةِ ٱلمُسَلِّكينَ ، ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ ياسينَ باقيسٍ[3] ، ٱلمتوفَّىٰ

---

(١) أَي : من أَصل منشئهما ، وحلبون تقع شماليَّ القويرة .

(٢) وهم من كندة ، ويقال : إِنَّهم من ذرِّيَّة الأشعث بن قيس الكنديّ ، وينظر « الشَّامل » .

(٣) الشَّيخ مُحَمَّد بن ياسين باقيس ولد بحَلَبون ، ونشأ بها ، ولازم مجالس العلم من صغره ، فقرأ على الحبيب عبد الرَّحمـٰن بن مُحَمَّد البار ، وقرأ على الشَّيخ العارف بالله مُحَمَّد بن أحمد بامشموس ، والإمام الحبيب عبد الله الحدَّاد . وأخذ عنه جماعات من الأكابر ؛ منهم : الشَّيخ عبد الله بن أحمد بافارس باقيس ، والحبيب حسن بن عمر البار ، والحبيب عمر بن عبد الرَّحمـٰن مَوْلىٰ جلاجل ، والحبيب طه بن عمر البار ، والحبيب سقَّاف بن مُحَمَّد الصَّافي ـ المذكور هنا ـ والعلاَّمة أحمد بن حسن الموقري الزَّبيدي . . . وغيرهم توفِّي الشَّيخ مُحَمَّد يوم السبت(١٥) شوَّال (١١٨٣هـ) .

سَنَةَ (١١٨٣هـ) ، أَحدُ تلاميذِ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ، وشيخُ جدِّنا ٱلثَّالثِ سقَّافِ بنِ محمَّدِ بنِ عمرَ ٱلسَّقَّافِ ، ٱلمتوفَّىٰ بسيئونَ سَنَةَ (١١٩٥هـ) .

ومنهُمْ : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَحمدَ بافارسٍ باقيسٍ ، أَحدُ مشايخِ ٱلشَّيخ عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ باسَوْدان ، قالَ في ترجمتهِ : (ولَزِمَ بيتَهُ آخِرَ عمرِهِ ، معَ شغلِ ٱلوقتِ بنوافلِ ٱلطَّاعاتِ ، وقراءةِ ٱلكتبِ ٱلنّافعةِ مِنَ ٱلحديثِ وٱلفقهِ ، وٱلتَّفسيرِ وٱلرَّقائِقِ ، قرأْتُ عليهِ أُمَّهاتِ ٱلكتبِ ؛ كـ« ٱلإِحياءِ » و« ٱلرِّسالةِ » و« ٱلعوارفِ » وغيرها ولازمتُهُ إِلىٰ أَنْ توفِّيَ) اهـ

لَهُ ذِكرٌ كثيرٌ في « عقدِ » سيِّدنا ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ .

ومرجعُ آلِ باقيسٍ في النَّسبِ إِلى كِنْدة ، كما في « ٱلمواهب وٱلمنن » للسَّيِّد علويِّ بن أَحمدَ في ترجمةِ جدِّهِ ٱلحسنِ ، ومنها : أَنَّ ٱلشَّيخَ فارسَ بنَ محمَّدٍ باقيسٍ وٱلشَّيخَ محَمَّدَ بنَ عبدِ ٱللهِ باقيسٍ مِن تلاميذِ ٱلحسنِ بنِ ٱلقطبِ ٱلحدَّاد .

ٱلجُبَيلُ

بلدةٌ صغيرةٌ يُرْوَى أَنَّ ٱلمهاجرَ أَحمدَ بنَ عيسىٰ أَوَّلُ ما نزلَ بها ، وأَنَّهُ ماتَ لهُ ولدٌ صغيرٌ فيها ، فَدُفِنَ في أَعلاهَا ، وبذلكَ كانَ يجزمُ ٱلحبيبُ أحمدُ بنُ محمَّدٍ ٱلمحضار ، ولمَّا لم يطب لهُ بها ٱلمقامُ لكثرةِ إِباضيَّتِها إِذْ ذَاكَ . . نَقَلَ منها إِلى ٱلهَجْرَيْنِ .

وفي « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » [٢٤٨/١] : أَنَّ بها جماعةً مِن أَعقابِ ٱلسَّيِّدِ عقيلِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلعطَّاسِ أَخي السَّيِّد عمرَ بنِ عبدِ ٱلرحمـٰنِ ٱلعطَّاسِ ، وبها يسكنُ جماعَةٌ مِن آلِ باقيسٍ ، منهم : حسينُ بنُ محمَّدٍ وأَولادُهُ : سالمٌ وعبدُ ٱللهِ وأَحمدُ ومحمَّدٌ ، وإِخوانُهُ : عليٌّ وَأَبو بكرٍ ٱبنا محمَّدٍ باقيسٍ .

لهم محاسنُ ومبرَّاتٌ وأَخلاقٌ فاضلةٌ ، وفي رحلَتي ٱلأَخيرةِ إِلىٰ دوعنَ ـ سنة (١٣٦٠ هـ) بِتُّ عندَ الأَخيرِ علىٰ أَحسنِ حالٍ ، وحضرَ معي ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ وأَحمدُ بنُ حسينٍ آلِ ٱلعَطَّاسِ ، وكانت من أَسعد ٱلليالي . . أَعاد ٱلله أَمثالها في خيرٍ .

ومنهم : ٱبنُ عمِّهم وهوَ ٱلشيخُ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ باقيسٍ ، يسكنُ الآنَ برابغ ، ولهُ بها تجارةٌ ، وهوَ لا يُقصِّرُ في إيواءِ ٱلنَّزيلِ وكسبِ ٱلجميلِ .

بُضَهْ

هيَ مِنْ كبرياتِ بلادِ دوعن وقُداماها .

قالَ ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ أحمدُ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ : (إنَّها مأخوذةٌ مِنْ بضيضِ ٱلماءِ ، يقالُ : بضَّ ٱلماءُ ، إذا نزلَ قليلاً قليلاً . وعلىٰ مَقْرُبةٍ مِنْ حِصْنِ ٱلمَنْصِبِ بها عينُ ماءٍ قليلٍ ، لعلَّها سُمِّيتْ بذلكَ مِنْ أجْلهِ) اهـ

وهيَ مقرُّ مناصبِ آلِ مُطَهَّرٍ آلِ ٱلعموديِّ ، وحالُ ٱلشَّيْخِ سعيدِ بنِ عيسى ٱلعموديِّ أشهرُ مِنْ أنْ يُعرَّفَ بهِ ، وقد توفِّيَ سَنةَ (٦٧١ هـ) ، وخَلَفَهُ علىٰ منصبهِ ولدُهُ محمَّدُ بنُ سعيدٍ . ثمَّ لَم يَزَلْ منصبهُ يُتوارثُ بينَ أولادهِ حتَّىٰ تحوَّلَ بسعةِ ٱلجاهِ وكثرةِ ٱلأتباعِ ونفوذِ ٱلدَّعوةِ إلىٰ سَلْطنةٍ ، ثمَّ ٱختلفوا وٱنقسَموا ، فكانَ لآلِ محمدِ بن سعيدِ بنِ عبدِ اللهِ ٱلعموديِّ قيدونُ وما نزلَ منها إلى ٱلهجرينِ ، ولآلِ مُطَهَّرٍ بُضَهْ وما حاذاها وما ٱرتفعَ عنها .

وفيهِم عدَّةُ رؤَساءَ ، مِنهم : آلُ صالحِ بنِ عبدِ ٱللهِ[1] في بُضَهْ ، وكانتْ رئاسَتُهم للشَّيخِ ٱلجليلِ عبدِ ٱللهِ بنِ صالحٍ بعدَ أبيهِ ، وقد لاقيتُهُ مراراً ، ورأَيتُ لَهُ مِنْ محاسنِ ٱلأخلاقِ ولُطفِ ٱلشَّمائِلِ ما تقرُّ بهِ ٱلعينُ .

لَـهُ خُلُـقٌ سَهْـلٌ وَنَفْـسٌ طِبَـاعُهَـا   لَيـانٌ وَلَٰكِنْ عَزْمُهُ مِنْ صَفاً صَلْدِ[2]

---

(١) توفِّي الشَّيخ صالح بن عبد الله هٰذا بُعَيد سنة (١٣٤٠هـ) ، وتوفِّي والده المنصب السَّابق سنة (١٣٠٥هـ) ، وقد خلفه في مقامه منذ ذلك التَّاريخ ، ترجم له الحبيب سالم بن حفيظ في « منحة الإلٰه » ، وعدَّه من شيوخه ، رقم (٥٤) .

(٢) البيت من الطَّويل ، وهو لأبي تمَّام في « ديوانه » (١/ ٢٧٠) . صَفاً : حجارة . صلد : صمَّاء . وفي « الدِّيوان » (عرضه) بدل (عزمه) .

توفِّيَ سنةَ (١٣٦٤هـ) عن عُمرٍ ينيفُ على ٱلثَّمانينَ ، قضاهُ في إكرامِ ٱلضُّيوفِ ، وغوثِ ٱلملهوفِ ، ورقعِ ٱلخروقِ ، ورتقِ ٱلفتوقِ .

وخَلَفَهُ ولدُهُ ٱلنَّبيلُ حُسَينٌ ، فٱنتهجَ ذلكَ ٱلسَّبيلَ ، وتحمّلَ عبءَ والدِهِ ٱلثَّقيلَ ، حتَّىٰ يصحَّ أن نقولَ في التَّمثيلِ :

مَا مِثْلُهُ خَلَفٌ فِي ٱلنَّاسِ مُنْتَخَبُ[1] فَفِي ٱلْحُسَيْنِ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ خَلَفُ

حَمْدُ ٱلْفَعَالِ وَفَضْلُ ٱلْعِزِّ وَٱلْحَسَبُ بَاقٍ بِهِ لِبَنِي ٱلأَشْيَاخِ أُسْرَتِهِ

بِتَاجِ وَالِدِهِ فِي ٱلنَّاسِ مُعْتَصِبُ يَرْعَى ٱلْمَكَارِمَ مِنْهُ وَارِثٌ شَرَفاً

وفي بُضَهْ مثرىٰ[2] آلِ ٱلعموديِّ ، ولمَّا سأَلتُهُم عن عَددِهم بها.. أجابوا بأَنَّهم لا يَقِلّونَ عن خمس مئةِ رامٍ ، يَحملونَ ٱلموازرَ ٱلألمانيّةَ ، لم يُفرِّطوا فيها ، بخلافِ آل حضرموتَ ؛ فقد باعوا في أيّامِ ٱلمجاعةِ ما ٱشتروهُ بٱلألفِ ٱلرُّوبيّةِ منها بأقلَّ مِنَ ٱلمئةِ ، **أقرَّ ٱللهُ عيونَ ٱلعروبةِ بٱجتماعِهِم وٱتّحادِهِم** .

ولقد أَعجبني ما عليهِ أكثرهُم مِنَ ٱلوسامِ وبسطةِ ٱلأجسامِ ، حتَّىٰ قلتُ أَصفُ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱللهِ بنَ صالحٍ وإيّاهُم في رحلتي ٱلَّتي نظمتُها في سَنةِ (١٣٦٠هـ) [مِنَ الطَّويلِ] :

وَسَامـاً وَأَجْسَامـاً وَبُـوعـاً وَأَذْرُعَـا وَذَكَّرَنِـي فِـي قَـوْمِـهِ ٱلْعَـرَبَ ٱلأُلَـىٰ

ومِنْ مناصبِهم أَو سلاطينِهم في ٱلقرنِ ٱلتّاسعِ : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ عثمانَ بنِ سعيدٍ ٱلعموديُّ ؛ فلقدِ ٱستولىٰ سَنةَ (٨٣٧هـ) على ٱلوادي ٱلأيمنِ كلِّهِ[3] .

ومنهُم في ٱلقرنِ ٱلعاشرِ : ٱلشَّيخُ عثمانُ بنُ أَحمدَ ٱلعموديُّ[4] ، ممدوحُ ٱلشَّيخِ عمرَ بامخرمة ، بمثلِ قولِهِ :

قُلْ لِعُثْمَانْ وَافِي ٱلذَّرْعْ شَمْسِ ٱلْبَرَاهِينْ يَا عَوَضْ قُلْ لِمَنْ كَفُّهْ غِيَاثُ ٱلْمَسَاكِينْ

---

(١) الأبيات من البسيط .

(٢) مثرىٰ : مكان كثرة .

(٣) ثمَّ استعاده منهم آل فارس في السَّنة الَّتي تليها .

(٤) ترجم له باوزير في « الصَّفحات » (١٤٩-١٦٠) .

وَالَّـذِي فِـي جَبِينِـهْ سِـرّ طَـهَ ويـس   زَادَكَ اللهْ عَلَىٰ مَرِّ الْجَدِيدَيْنْ تَمْكِينْ
أُذْكُرِ الْعَهْدْ يَا ابْنَ اَحْمَدْ وَحَصِّنَهْ تَحْصِينْ

والشَّيخُ عثمانُ هـٰذا هوَ الَّذي تلقَّى الشَّيخَ معروفَ باجمالٍ بالصَّدرِ الرَّحبِ لمَّا هربَ مِنْ شبام في سَنةِ (٩٤٩هـ) ، وآواهُ علىٰ أَحسنِ تأهيلٍ إلىٰ أَنْ ماتَ .

ولآلِ العموديِّ أَخبارٌ طويلةٌ مع بدر بوطويرق ونهدٍ وغيرِهم مِنْ قبائلِ حَضْرَمَوْتَ ، يوجدُ مِنها بـ « الأَصلِ » ما يكفي لِلتَّعريفِ .

وعنِ الحبيبِ أَحمدَ بنِ حسنٍ العطَّاس : (أَنَّهُ كانَ بدَوْعَن جماعاتٌ مِنَ الأُمراءِ ، كلٌّ ينفردُ بناحيتِهِ : فباقتادةَ بالقرينِ ، وباعبد اللهِ برحَاب ، وابنُ حُمَيْرٍ[1] بصِيفٍ ، وباعُوَيْدَين كانَ متوليّاً على الأَغلبِ مِنَ الوادي الأَيسرِ ، وكانتِ القويرةُ ونواحيها لِلكثيريِّ ، وليسَ لِلعموديِّ إلاَّ الرِّباطُ وبُضَهْ والجَزْعُ والعَرْسَمَةُ وقَيْدُونُ) اهـ

وفي سَنةِ (٩٤٩هـ) نزلَ الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ أَحمدَ العموديُّ علىٰ قُوَّة ومعَهُ سَيْبَان وباهَبْري ، وأَقاموا ثلاثةَ أَيَّام ، وأَتلَفوا أَكثرَ مِنْ مئَةِ عودٍ مِنَ النَّخلِ ، ثمَّ صالحَهُم أَهلُ قُوَّة علىٰ مالٍ دفعوهُ لَهم ، فانصرَفوا إلىٰ دوعن بعدَ أَنْ مَلؤُوا قلوبَ أَهلِ الشِّحْرِ والغيلِ خوفاً ، وهـٰذا مِنَ الأَدلَّةِ علىٰ عدمِ وجودِ المُكَلاَّ شيئاً يستحقُّ الذِّكْرَ إذ ذاك .

ومنهم صاحبُ « المرعى الأَخضرِ » وهوَ أَجوبةٌ مِنَ العلاَّمة الجليل السَّيِّدِ محمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحمـٰن بنِ محمَّدٍ البكريِّ الصِّدِّيقيِّ ، ومِن تلاميذه : العلاَّمةُ الشَّهيرُ أَحمدُ بنُ حجرٍ الهيتميُّ .

وفي ذكرِ السَّيِّد الجليلِ عيسىٰ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ الحبشيِّ المتوفى في محرَّم سنةِ (١١٢٥ هـ) من « عقدِ شيخِنا الأَبرِّ » يقولُ : (وانتفعَ بهِ وأَخذَ عنهُ كثيرٌ مِنَ الأَعيانِ ؛ منهُم : السَّيِّدُ الإمامُ أَحمدُ بنُ زينٍ الحبشيُّ ، والشَّيخُ الكبيرُ عمرُ بنُ عبدِ القادرِ العموديُّ ، أشارَ علىٰ والده أَن يتركَهُ للهِ تعالىٰ ، وأَن يعذرَهُ مِن كدِّ الخلاءِ وتعبِ

---

(١) هو بلحمار ، أو بلحُمير كما ينطقه العامَّة ، الَّذي ذكره المصنِّف قريباً باسم (بالحمان) ، وهـٰذا التَّصويب مأخوذ من « الشَّامل » .

ٱلحرائقِ . . فَقَبِلَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلقادرِ رأيَهُ ، ثُمَّ إِنَّ ٱبنَهُ عمرَ سلكَ وجاهدَ وصحبَ بعدَ ذلكَ سيِّدَنا قطبَ ٱلإرشادِ عبدَ ٱللهِ ٱلحدَّادَ ، وكانَ مِن أَمرِهِ ما كانَ) اهـ

ومنهُمُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عمرَ ٱلعموديُّ أَحدُ تلاميذِ ٱبن حجرٍ ، وهوَ صاحبُ « حُسْنِ ٱلنَّجوىٰ فيما وقعَ لأَهلِ ٱليمنِ مِنَ ٱلفتوىٰ » .

ومنهُمُ ٱلشَّيْخُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدٍ ٱلعموديُّ ، قالَ في « ٱلمواهبِ وٱلمننِ » : إِنَّهُ كثيراً ما يقولُ : (الهِمَّةُ وٱلعزمُ يأتيانِ بُرُسلِ ٱلتَّوفيقِ خيرٌ مِن كثيرٍ مِنَ ٱلعقلِ) ، وهيَ حكمةٌ عاليةٌ ما كنتُ أَحسبُها إِلاَّ لبعضِ الفلاسفةِ أَو لأَحدِ رجالِ « ٱلرِّسالةِ ٱلقُشيريَّة » . . حتَّىٰ رأَيتُ هـٰذا ولم آمن معَهُ أَن يكونَ ٱلعموديُّ متمثِّلاً لا مُنشِئاً .

وفي (١١) محرَّمٍ مِنْ سَنةِ (٩٦٥هـ) توفِّيَ ٱلشَّيخُ ٱلكبيرُ أَحمدُ بنُ عثمانَ بنِ أَحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ عمرَ بنِ عثمانَ ٱلعموديُّ[1] ، ٱلمترجَمُ لَهُ أَصلاً ولأَبيهِ ضِمناً في « ٱلنُّورِ ٱلسّافرِ » [٣٥٢] .

وفي ترجمته منهُ يقولُ : (وبنو ٱلعَمُوديِّ أَهلُ صلاحٍ وولايةٍ ، ٱشتهرَ منهُم جماعةٌ بٱلعلومِ ٱلظّاهرةِ ومقاماتِ ٱلولايةِ ٱلفاخرةِ ، ويقالُ : إِنَّ نسبَهُم يرجعُ إِلىٰ أَبي بكرٍ ٱلصِّديقِ رضي الله عنه) اهـ

وقد أَطلتُ ٱلقولَ عن ذلكَ بـ« **ٱلأَصلِ** » .

وترجمَ في « ٱلنُّورِ ٱلسّافرِ » أَيضاً لِلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عمرَ بنِ أَحمدَ بنِ محمَّدٍ باعثمان ، ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (٩٦٧هـ) .

ومِنْ غرائبِ **ٱلصُّدَفِ** : أَنَّ بدرَ بوطويرق جهَّزَ على ٱلعموديِّ بجيشٍ يرأَسُهُ يوسفُ ٱلتّركيُّ ، فهزمهُمُ ٱلعموديُّ وأَخذَ مدفعاً معَهُم كانوا يُطلقونَهُ علىٰ عسكرِهِ ، وورِدَ بهِ إِلىٰ صِيفٍ في سَنةِ (٩٥٥هـ)[2] .

وفي حدودِ سَنةِ (١٢٨٦هـ) ٱستولى ٱلنَّقيبُ ٱلكساديُّ علىٰ أَكثرِ بلادِ دوعنَ ،

---

(١) في المطبوع من « النور السافر » (ص٣٥٠) في حوادث سنة (٩٦٥هـ) : أَحمد بن عثمان بن محمَّد بن أَحمد بن محمَّد بن عثمان بن عمر . . . العمودي .

(٢) من أراد المزيد من أخبار الشَّيخ عثمان . . فليراجع « صفحات باوزير » (١٥٤) .

وهَزَمَ ٱلعموديِّينَ ، ولٰكنَّهُم أَعادوا ٱلكرَّةَ عليهِ فهزموهُ وأَخذوا مدفعَهُ ، وٱنحدَروا بهِ إِلىٰ بُضَهْ حيثُ يوجدُ بها إِلى ٱليومِ .

وفي سَنةِ (٩٧٠هـ) كانت غارةُ ٱلجرادفِ مِنْ أَصحابِ ٱلعموديِّ ، ونَهبوا بيتَ ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ عيديد[1] . وقد مرَّ ذِكرُ ٱلجرادفِ في غياضِ ٱلشِّحْرِ . وأَخبارُ آلِ ٱلعموديِّ كثيرةٌ ، وقد سُقنا ما وجَدْنا بـ« **ٱلأَصلِ** » .

وفي بُضَهْ كَريفٌ[2] كبيرٌ يجتمعُ فيهِ ماءُ ٱلسَّيلِ فيكفيهم تسعةَ أَشهرٍ أَو أَكثرَ ، أَظنُّهُ مِنْ عمارةِ ٱلسُّلطانِ عامرِ بنِ عبدِ ٱلوهَّابِ صاحبِ ٱليَمنِ وعدنَ ، ولٰكنِّي لَم أَرَهُ في مآثرِهِ ، لٰكنَّ ٱلشّائعَ بينَ آلِ ٱلعموديِّ ـ مِنْ قديمِ ٱلزَّمانِ إِلى ٱلآنَ ـ أَنَّ أَوّلَ عمارةٍ لَهُ كانت علىٰ يدِ سيِّدٍ مِنْ تريم ، فتعيَّنَ أَنَّهُ باساكوته[3] ؛ لأَنَّهُ ٱلَّذي عمرَ جامعَ تريم ، وضمير ثبي ، وكريفَ قيدونَ ، علىٰ نفقةِ ٱلسُّلطانِ عامرِ بنِ عبدِ ٱلوهَّابِ صاحبِ ٱليمنِ وعدن ، وإِن لم يوجد ذِكرُهُ بينَ مآثرِهِ في « ٱلنُّورِ ٱلسّافرِ » وغيرِهِ مِنَ ٱلمظانِّ ٱلَّتي بينَ يديَّ .

ثمَّ حصلَ فيهِ خَلَلٌ فعمرَهُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ صالحٍ ٱلعموديُّ منصبُ بُضَهْ ، ثمَّ عمَّرَهُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلقادرِ باياسينَ ساكنُ بُضَهْ ، ثمَّ أَوصىٰ لهُ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ جعفر بنِ محمَّدٍ ٱلعطّاسُ بما يعمرهُ فعمرَهُ إِخوانُهُ ، ثمَّ عمرَهُ أَولادُ ٱلشَّيخينِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ وسعيدٍ ٱبني عبدِ ٱللهِ بنِ صالحٍ .

وكانَ سريعَ ٱلتَّغيُّرِ ؛ لأَنَّهُ قريبٌ مِنَ ٱلنَّخلِ ، فكانت عروقُهُ تنفذُ إِليهِ فتفسدُهُ .

وفي شرقيِّ بُضَهْ مقبرةُ ٱلشَّيخِ معروفٍ باجَمّال[4] ، ٱلمتوفَّىٰ بها في منفاهُ مِنْ بدر

---

(١) وكان ذلك ليلة السبت (١٦) ذي الحجَّة ، من تلك السَّنة .

(٢) **الكريف** : هو حوض كبير جدّاً ، تخزَّن فيه كميَّات من المياه لسقي أهل البلدة وانتفاعهم به ، وعليه يعتمدون في الشُّرب والطَّبخ وغير ذلك ، يجمع من مياه الأمطار والسُّيول .

(٣) **باساكوته** : هو السَّيِّد الشَّريف حسن بن أحمد مسرفة ابن مُحَمَّد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرَّحمـٰن بن علويٍّ عمِّ الفقيه .

والمقصود والمراد هنا : هو حفيده : مُحَمَّد بن أحمد بن حسن ، المتوفَّىٰ بعدن سنة(٩٥٣هـ) ، صاحب الهمَّة العليَّة ، والشِّيم الزَّكيَّة ، كان سخيّاً كريماً ، ترجمته في « المشرع » ، و« السَّناء » .

(٤) وتعرف هـٰذه المقبرة باسم : (ظَرْفُون) .

بوطويرق ـ حَسْبَما تكرَّرَ ذِكرُهُ ـ سَنة (٩٦٩هـ) .

وعندَ مقبرتهِ حوضٌ دونَ ٱلأوَّلِ جدَّدوا عمارتَه في ٱلوقتِ ٱلأخيرِ عمارةً أكيدةً ، تَصُبُّ فيهِ عيونُ ماءٍ ، فيكفي لِضروراتِ آلِ بُضَهْ عندَ نفادِ ٱلأوَّلِ .

ومِنْ علماءِ بُضَهْ في ٱلقرنِ ٱلحادي عشرَ : عمرُ بنُ محمَّدٍ خبيزانَ ، لَهُ ذِكرٌ في « مجموعِ ٱلأجدادِ » يأتي بعضُهُ في سيئونَ .

وفي بُضَهْ كثيرٌ مِنَ ٱلسّادةِ آلِ ٱلعطَّاس ، منهُمْ : ٱلصَّالحُ ٱلعظيمُ ٱلمقدارِ ، جعفرُ بنُ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ حسينٍ ٱلعطَّاسُ[١] ، وقدِ ٱجتمعتُ بهِ مراراً ، آخِرُها بٱلشِّحْرِ سَنةَ (١٣٢٢هـ) ، لمّا وردتُها في طريقي إلى ٱلحجازِ لأداءِ حجَّةِ ٱلإسلامِ ، وقد أحضرني عليهِ والدي بمكانِنا عَلَمِ بدرٍ سَنةَ (١٣٠٦هـ) ، فدعا ليْ وألبسني طاقيَّتَهُ ، وقالَ لوالدي : (هٰذا رأسُ ٱلعِلْمِ) فسُرَّ بذلكَ كثيراً ، وعلَّقَ كبرياتِ ٱلآمالِ علىٰ هٰذهِ ٱلكلمةِ ، نسألُ ٱللهَ قَبولَ ٱلدُّعاءِ وتحقيقَ ٱلرَّجاءِ .

ومِنْ فضلاءِ بُضَهْ ٱليومَ : ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدِ بنِ عمرَ ٱلعطَّاسُ[٢] ، كانَ صحيحَ ٱلتَّقوىٰ ، صادقَ ٱلإخلاصِ ، كثيرَ ٱلعبادةِ ، نقيَّ ٱلجيبِ ، وَقُورَ ٱلرُّكنِ ، جمَّ ٱلتَّواضعِ ، نُكبَ في حدودِ سَنةِ (١٣٣٧هـ) بِقُرَّتَي عينٍ مِنْ أولاده ، فٱحتسبَهُم عندَ ٱللهِ بجأشٍ ثابتٍ ورضاً تامٍّ ، وبالٍ صابرٍ[٣] .

---

(١) وقع المصنِّف رحمه الله في وهم في سياقه اسم المترجَم ؛ لبعد عهده به ، ولأنَّه إنَّما أدركه صغيراً ، فهو الحبيب : جعفر بن مُحمَّد بن حسين بن جعفر بن مُحمَّد بن عليِّ بن حسين بن عمر العطَّاس ، اشتبه عليه اسمه واسم جدِّ أبيه ، توفِّي الحبيب جعفر هٰذا في بُضَهْ في (٢٤) شوَّال (١٣٣٣هـ) ، وترجم له ابن أخيه في « تاج الأعراس » ، والحبيب مُحمَّد بن حسن عيديد في « إتحاف المستفيد » . . وأخذا عنه . أمَّا جدُّه جعفر الَّذي هو على اسمه . . فهو المقبور ببلدة صُبَيْخ ، وسيأتي ذكره فيها .

(٢) هو السَّيِّد الفاضل الحبيب حسين بن حامد بن عمر بن حامد بن محسن بن مُحمَّد بن عليِّ بن الحسين بن عمر العطَّاس ، ولد ببُضَهْ ، وتوفِّي بها في جمادى الأولىٰ سنة (١٣٦٧هـ) . وكان الحبيب مصطفى المحضار يطلق عليه لقب جبريل ؛ لأنَّه كان يرى الرُّؤيا فتقع مثل فلق الصُّبح ، وسرىٰ عليه هٰذا اللَّقب .

(٣) كان ذلك في عامي (١٣٣٤هـ) و(١٣٣٥هـ) ؛ إذ أصابت دوعن حمًّىٰ خبيثة مات من جرَّائها ناس كثيرون ، وقبلها كانت هٰذه الحمَّىٰ في أسفل الوادي ، فمات في شبام في سنة (١٣٣١هـ) عدد من=

ثافَنَ ٱلرِّجالَ[1] ، وصحبَ أَهلَ ٱلكمالِ ، وكانَ يتفتَّحُ عن ثَبَجِ بَحْرٍ إذا سُئِلَ عن بحرِ ٱلجودِ ٱلمرحومِ ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ طاهرٍ ٱلحدَّادِ ؛ إِذْ كانَ معَهُ في سفرِهِ إلى ٱلهندِ وفي كثيرٍ مِنْ أَحوالِهِ ، مدَّ ٱللهُ في عمرِهِ ونفعنا بهِ[2] .

= النّاس ، فيهم أكابر علمائها ورموز إرشادها .

(١) ثافن : لازم وصحب .

(٢) وقد اختصر المصنِّف هٰهنا جدّاً ، فمن سكّان بُضَهْ : آل العطّاس ، وقد ذكر المصنِّف عدداً منهم ، وهم المعروفون بآل بن جعفر ، وآل خرد ، وآل باعشن ، وآل العموديّ ، وهم فخائذ عدّة ، فمنهم : آل باطيران ، وآل مطهر ، وتقدّم ذكرهم ، وآل بلْعَسَم = (الأعسم) ، وآل باياسين ، وآل أحمد بن مُحَمَّد ، وآل مُحَمَّد بن سعيد جميعهم هٰؤُلاءِ من آل العموديّ .

ومن السُّكّان أيضاً : آل باعفيف ، وآل بانقيب ، وآل الحريبي ، (وهم غير الحريبي الذي بشمال اليمن) ، وآل باوهّاب وهم تجّار أيضاً ، وآل بوجبير ، وآل باعبدون ، وآل بن زقر ومنهم جماعة في الرّباط ، وآل باسحم ، وآل باعشرة ، وآل باطرفي ، وآل المقدّم ـ من القشم ـ وآل الذُّبياني ، وآل باشَويّة . . وسنعرض هنا لبعض أعلام هٰذه الأُسر .

أمّا السّادة آل خِرِد . . فهم من ذرّيّة السَّيِّد الإمام عبد الله باعلويّ حفيد الفقيه المقدّم ، وأصلهم من تريم ، وسمُّوا بآل خِرِد نسبة إلى وادٍ من أودية عقرون الّذي يصبُّ في الوادي الأيسر ، وبه ـ أي وادي خرد ـ موضع معروف به متعبد وخلوة لجدّ آل خرد السَّيِّد الشّريف علوي خرد بن مُحَمَّد حُميدان ، المتوفّىٰ سنة (٨٧٠هـ) بن عبد الرحمٰن بن محمد (٧٤٣هـ) بن عبد الله باعلوي ، وذرّيّته بتريم ، وأوّل من نزح إلىٰ دوعن من ذرّيّته : السَّيِّد زين بن أبي بكر بن زين . . إلخ هاجر منها بعد سنة (١١١٧هـ) ، ومنهم :

السَّيِّد علويّ بن سالم بن زين بن أبي بكر ، توفّي سنة (١٢٩٧هـ) ، وكان من أهل التّقشُّف ، حجَّ (٣٠) حجّة ماشياً علىٰ قدميه ، ولم ينم اللّيل خمسين سنة ، وأخباره في العبادة مشهورة ، عُمِّر نحواً من (١٥٠) سنة أو أقل ، وابنه مُحَمَّد بن علويّ أيضاً من المعمَّرين ، جاوز عمره (١٢٥) سنة .

وممّن ولد بها ، وتوفّي ببلاد الماءِ : السَّيِّد الشّريف الحبيب عبد الرَّحمٰن بن مُحَمَّد بن أحمد بن زين بن أبي بكر ، توفّي سنة (١٣٣٧هـ) ، أخذ عنه السَّيِّدان عبد الله وعلويّ ابنا طاهر الحدّاد ، وهو من الآخذين عن الحسن البحر ، والشّيخ مُحَمَّد باسودان ، والسَّيِّد علويّ بن سالم خرد وغيرهم .

ومنهم : السَّيِّد العلاّمة المعمَّر أحمد بن عبد الله خرد ، كان فقيهاً إماماً عالماً عاملاً مفتياً ، رؤيته تذكر بالرّعيل الأوّل ، توفّي ببُضَهْ أواخر سنة (١٤٠٧هـ) عن عمر يناهز (١٢٠) عاماً .

أدرك الإمام عيدروس بن عمر الحبشيّ وأخذ عنه وعن طبقة عالية من الشُّيوخ ، طبع له سنة (١٣٨٦هـ) مجموعٌ ضمَّ فتاوىٰ بعض معاصريه من علماءِ حضرموت ، قرّظ عليه السَّيِّد علويّ المالكيّ وأقرانه من المكيين ، أخذ عنه أعداد غفيرة شفاهاً ومكاتبة ، رحمه الله .

ومن آل العمودي سكّان بُضَهْ : =

بلادُ ٱلماءِ[1]

فيها ٱلسَّادةُ آلُ بُرُومٍ[2] ، مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ علويٍّ ، ٱلمشهورِ بِٱلشَّيبةِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويِّ بنِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ .

ومِنْ آخِرِهِمْ : ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بُرُوم ، طويلُ ٱلقامةِ ، عريضُ ٱلجسمِ ، كبيرُ ٱلعِمامةِ ، كثيراً ما يَستصحبُهُ ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدِ ٱلمحضارُ لِلمداعبةِ وٱلمباسطةِ .

ويقالُ : إنَّ لهُ معرفةً بِٱلطَّلاسمِ وٱلأوفاقِ . واللهُ أعلمُ .

= الشَّيخ عبد الله بن عبد الرَّحمـٰن بن عبد الله بن عثمان بن أحمد الأخير ، وهو ابن عمِّ الشَّيخ عبد الرَّحمـٰن بن عثمان .

يلقَّب الشَّيخ عبد الله بأبي ست لوجود أصبع زائدة في كلتا يديه ، وكانت وفاته سنة (١٠٧٢هـ) ، وتقدَّم ذكره قريباً عند المصنِّف ، وينظر أخباره في « الشَّامل » (١٦٦ـ١٦٧) .

ومنهم : الشَّيخ عبد الله بن حسن باطِيرَان العموديُّ ، كان عالماً فقيهاً معمَّراً ، توفِّي سنة (١٣٣٠هـ) تقريباً ، أخذ عنه السَّيِّد علويُّ بن طاهر لعلوِّ سنده ؛ فقد أخذ عن مفتي زبيد السَّيِّد عبد الرَّحمـٰن بن سليمان الأهدل .

ومنهم : الشَّيخ أحمد بن حسين ، من آل مُحَمَّد بن سعيد ، كان من أهل الصلاح والنُّور .

(١) بلاد الماءِ : قال عنها في « الشَّامل » (١٧٠) : ويقال لها : (بلاد الخَرْشَع) ، والخَرْشَع ـ بفتح فسكون ففتح ـ هو الحجر الرَّخو الَّذي يربو عند مخارج العيون من الجبال ، وهـٰذه كلمة حضرميَّة ، ولم يذكر صاحب « القاموس » هـٰذا المعنىٰ ، ولـٰكنَّه قال : الخرشعة : قنَّة صغيرة من الجبل ، جمعه خرشع وخراشع . اهـ

ويسيل إليها ـ أي إلىٰ بلاد الماءِ ـ شعب ذا مِلَّة ؛ فهو مصدَّر بذي ، كوادي (ذي عِبِه) بكسر العين والباء ، جنوبيَّ قارة المحضار ، به غيل .

وقد ساق السَّيِّد الشَّريف حسين بن حامد المحضار جانباً منه إلىٰ جانب القويرة ، فانتفع به أهلها انتفاعاً عظيماً ، وكانوا قبل ذلك في تعب ، يستقون الماءَ من داخل الوادي وهو علىٰ مسافة .

ثمَّ قال : وقد تديَّر هـٰذه القرية شيخنا الحبيب عبد الرَّحمـٰن بن مُحَمَّد خرد ، وقد سبق ذكره في بلد بُضَة مع عشيرته .

وبها السَّادة الأَشراف آل بروم ، وحاكمها من آل مُحَمَّد بن سعيد آل القحوم ، وبها من السُّكَّان : آل بن جحلان ، وبلّشرف ، والباحميد ، وبَلّزوف ـ بتشديد اللاَّم وفتح الباءِ ـ الثلاث أفخاذ من الحالكة . والباقازي ، والباربيع وغيرهم . اهـ

(٢) ينسب السَّادة آل بروم إلى السَّيِّد حسن الملقَّب (بروم) ؛ لسكناه بها مدَّة من الزَّمان ، وكانت وفاته بتريم سنة (٩٢٧هـ) ، وهو ابن مُحَمَّد بن علويٍّ المذكور إلىٰ آخر النَّسب .

وبها يسكنُ أَولادُ الشَّيخِ عبودِ بنِ محمَّدٍ ٱلقحومِ ، ورئيسُ عائلتِهم بها هوَ ٱلشَّيخُ سعيدُ بنُ عبودِ بنِ محمَّدٍ .

وفيها ناسٌ مِن آلِ كحلانَ يُقالُ : إنَّ مرجعَهم إلى ٱلعائلةِ ٱلقعيطيَّةِ .

وبلادُ الماء وخديشٌ وقرنُ ماجدٍ . . باقيةٌ تحتَ أَولادِ ٱلقحومِ إلى ٱليومِ ، لا يتعرَّضُ لهم ٱلقعيطيُّ بسوءٍ .

خِدَيْش (١)

في أَسفلِ وادي دَوْعَنَ ، علىٰ مسافةِ ساعةٍ ونصفٍ مِنْ قيدونَ ، وهيَ بحِذَاءِ ٱلعَرْسمةِ ، إلى ٱلجهةِ ٱلغربيَّةِ علىٰ يمينِ ٱلدّاخلِ إلىٰ بلادِ دوعن .

وفيها ناسٌ مِنْ آلِ ٱلعموديِّ ومِنْ آلِ بُرُومٍ ، وواحدٌ مِنْ آلِ خردٍ ، وقبائِلُ مِنْ سَيْبان ٱلحَالِكَة ، وهُم أَهلُ حرثٍ ، وفيها مزارعُ(٢) .

كُوكِه(٣)

هيَ بمفترقِ ٱلواديينِ ٱلأَيمنِ وٱلأَيسرِ في ٱلجبلِ ٱلغربيِّ ، تبعدُ عن صِيفٍ بنحوِ نصفِ ساعةٍ ، يَسكنُها ٱلحالكةُ مِنْ سيبان ، وناسٌ يُقالُ لهم : ٱلبلاغيث ، مِن شَرِّ قبائِلِ ٱلحالكةِ ، ولهم أَموالٌ في ٱلقرحِ ، يشتجرونَ بسببِها معَ أَهلِ ٱلعرسمةِ ، حتَّىٰ قالَ بعضُهم : لقد أَبغَضْنا ٱلغَيث . . بسببِ ٱلبلاَغيث .

---

(١) خديش : بكسر ففتح فسكون .

(٢) ومن سكَّانها : آل باعطيَّة ، وآل باحطَّاب . ومر في قرن باحكيم أَنَّ جماعة من آل باعطيَّة نزحوا إليه من خديش . وأمَّا آل باحطَّاب . . فمنهم : الشَّيخ الفقيه العالم : سالم بن صالح باحطَّاب ، كان عالماً فقيهاً ، سكن الهند ، ثمَّ انتقل إلى الحجاز .

(٣) وسرد في « الشَّامل » أسماء مناطق ومواضع تقع بين خديش وكوكه ، وهي : جدفرة خديش ، فمزارع بلاد الماء ، فساقية القرحة ، فقارة الصَّدف عند منتهى الجبل الفاصل بين الواديين في مستقبل الجهة الشَّماليَّة ، فالمصانع ، فالعَرقَة ، فشعب السَّيِّد ، والأوسط ، وشُواطه ، فتأتي كوكه . « الشَّامل » (١٧٠ـ١٧١) .

وبين كوكه وخديشٍ والعرسمةِ ـ في ٱلجانبِ ٱلشَّرقيِّ ـ بلدةٌ يُقالُ لها : **ٱلصَّدف** ، بٱسمِ سكَّانِها ٱلأقدمينَ مِنهم ، باقيةٌ آثارُ مبانيها وسواقيها .

وبٱلجانبِ ٱلشَّماليِّ بينَ ٱلعرسمةِ وفَيْل قارةٌ يُقال لها : **دخان** ، تدلُّ آثارُها علىٰ قوَّةِ أَهلِها ومنعتِهم ، وكانَ سكَّانُها أَشرسَ ٱلقبائِلِ فيما يُقالُ ، وحولها محارثُ كثيرةٌ .

وفي ٱلجانبِ ٱلشَّرقيِّ مِنها قريةٌ صغيرةٌ ، يقالُ لَها : **ٱلرَّيِّضةُ** ، علىٰ مسافةِ ثلثِ ساعةٍ مِنها .

قَبْرُ تُبَّع

وعلىٰ يسارِ ٱلدّاخلِ إلى ٱلوادي قبرٌ طويلٌ في سفحِ ٱلجبلِ ٱلَّذي يكونُ ٱلوادي ٱلأيسرُ في جنوبهِ ، يقالُ : إِنَّهُ لأَحدِ ٱلتَّبابعةِ[1] ، وهوَ غيرُ بعيدٍ ؛ لأَنَّ حَضْرَمَوْتَ مِنْ ممالِكهم ، ولا يقالُ لِلواحدِ تُبَّع إِلاَّ إِذا ٱستولىٰ علىٰ حَضْرَمَوْتَ كما هوَ في « **ٱلأصلِ** » بما فيهِ .

وقد جاءَ في ٱلجزءِ ٱلثّامنِ [ص ١٢٧ـ١٣٠] مِنَ « ٱلإكليلِ » لِلهَمْدانيِّ : أَنَّ قَبْرَ ذي أَكم ـ وهوَ مِنَ ٱلتَّبابعةِ ـ بحَضْرَمَوْتَ ، وقد ذكرَهُ علقمةُ في قولهِ [مِنَ ٱلسَّريع] :

وَذِي نُـــوَاسٍ قَـــدْ وَهَـــىٰ مُلْكُـــهُ   وَرَبُّ غَمْـــــدَانٍ وَذَا أَكَـــــمِ

ثمَّ ذكرَ خبراً طويلاً عن هشامِ بنِ محمَّدٍ ، عن أَبيهِ وأَبي يحيى ٱلسِّجستانيِّ ، عن يوسفَ بنِ سعيدٍ ٱلأَيليِّ قالَ : (ٱستثارتْ حِمْيَرُ مدفناً لملوكِها بحَضْرَمَوْتَ) وٱستاقَ خبراً طويلاً ، منهُ : (أَنَّ أَبا مالكٍ عَمْيَكَرب بن مَلِكيَكَرب مَدْفونٌ بذلك المدفن) ، وفيهِ من ٱلدِّلالةِ ما يُغني ويُقني .

---

(١) **التَّبابعة** : لقب ملوكي أُطلق علىٰ ملوك اليمن في الدّور الحميريِّ الثَّاني (٣٠٠ م) ، وهو كقيصر عند الرُّوم ، وكسرىٰ عند الفرس ، والنَّجاشيِّ عند الأَحباش . تلقَّبوا بذلك لأَنَّه يتبع بعضهم بعضاً ، كلَّما هلك ملك . . قام مقامه آخر تابعاً له علىٰ مثل سيرته . وملوك هٰذه الفترة لا يحملون هٰذا اللَّقب ما لم يكن حامله قد ملك حضرموت وسبأ وحمير . وقد ورد هٰذا اللَّقب في القرآن الكريم في أَكثر من مناسبة ، قال تعالىٰ : ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ .

أَمَّا جانبُ وادي ٱلأيمنِ ٱلشَّرقيُّ : فأَوَّلُهُ رِبَاطُ باعِشِنْ[١] .

وآلُ باعِشِن : بيتُ عِلمٍ ، ومغرِسُ فضلٍ ، ومنبتُ صلاحٍ منهُمُ : ٱلشَّيخُ ٱلكبيرُ أَحمدُ بنُ عبدِ ٱلقادرِ باعِشِن[٢] ، كانَ مِنْ أَقرانِ ٱلسَّيِّدِ عمرَ بن عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلعطَّاسِ ، أَخذَ هوَ وإِيَّاهُ عن جملةٍ مِنَ ٱلمشايخِ ، منهُمُ :

ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ عيسىٰ باركوة ، ٱلسَّمرقنديُّ ثمَّ ٱلمغربيُّ ، ٱلآتي ذِكرُهُ في بلدِ ٱلغرفةِ ؛ لأَنَّهُ ماتَ بها .

وقد أَخذَ عنِ ٱلشَّيخِ أَحمدَ بن عبدِ ٱلقادرِ هـٰذا جماعةٌ مِنَ ٱلأَكابرِ ، منهُمُ :

١ـ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ إِبراهيمَ بن عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلمعلِّمِ باعلويٍّ ، ٱلشَّهيرُ جدُّهُ عبدُ ٱللهِ بوطَب بن محمد ٱلمنفّرِ ، جاءَ في ترجمتهِ مِنَ « ٱلمشرعِ » (ج٢ ص١٢٦) : (رحلَ إِلى ٱلواديينِ ٱلمشهورَينِ : وادي دَوْعَن ووادي عَمْد ، وأَخذَ بهما عن علماءَ أَكابر وذوي محابر ومفاخر ، منهُمُ : ٱلشَّيخُ ٱلعارفُ أَحمدُ بنُ عبدِ ٱلقادرِ ٱلشَّهيرُ باعشن ، وجماعةٌ مِنَ ٱلعموديّينَ) . توفِّيَ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ إِبراهيمَ ٱلمذكورُ سَنَةَ (١٠٥٧هـ) .

٢ـ وقالَ في (ج٢ ص٢٣٣) في ترجمةِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ عمرَ بنِ عليِّ بنِ محمَّدِ

---

(١) يحسن أن نلخِّص هنا بعض ما ورد في « الشَّامل » من ذكر بعض المواضع الواقعة بين القرحة والرِّباط ممَّا لم يذكره المصنِّف هنا . فبالقرب من القرحة : قرية الباقحوم ، وآل القحوم أو باقحوم من آل العموديِّ ، يسكنون هـٰذه القرية فنسبت إِليهم ، وسيأْتي ذكرهم في قرن ماجد ؛ لإِمارتهم لها .

ثمَّ يأْتي في الجانب الشَّرقيِّ قبل الرِّباط : حصن الباصَمّ ، فيه البَاصمّ ـ بفتح الصَّاد وتشديد الميم ـ وهم من نوّح .

(٢) الشَّيخ أحمد بن عبد القادر باعشن ، ترجم له المحبِّي في « خلاصة الأثر » وقال فيه : (الشَّيخ أحمد بن عبد القادر بن عمر الدوعنيُّ الحضرميُّ ، خلاصة الخلاَّن ، مأْمن المخلصين ، وصفوة الصَّفوة من الصُّوفيَّة المحقِّقين ، وزبدة الزُّبدة من أهل التَّمكين ، إِمام أهل العرفان في عصره ، وشيخ الأَولياءِ في قطره ، كان له في علم التَّحقيق المشرب الصَّفيُّ ، والمقام الأكمل الوفيُّ ، ورزقه الله تعالىٰ حسن العبارة ، فكان يتكلَّم بالفتوحات الإِلـٰهيَّة ، وكانت السَّادة آل باعلويٍّ مع جلالتهم تخضع له ، وتأْخذ عنه ، وتتبرَّك به ، ولازمه منهم أَئمَّة عارفون ، وبه تخرَّجوا ، وببركة علومه انتفعوا) اهـ (١/ ٢٣٧ـ٢٣٨) .

فقيه بن عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ ٱلشَّيخِ عليٍّ ، ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (١٠٣٨هـ) : (ورحلَ إلىٰ وادي دوعن ووادي عمد ، ووجدَ بهـٰذينِ ٱلواديينِ مِنَ ٱلعلماءِ وٱلعارفينَ ما يعجزُ عنهُم وصفُ ٱلواصفينَ) .

ومِنْ آلِ باعشن : ٱلشَّيخُ سعيدُ بنُ عبدِ ٱللهِ باعِشِن ، أَحدُ مشايخِ ٱلسَّيِّدِ ٱلجليلِ عليِّ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ صاحبِ ٱلمَشْهدِ ، وقد أكثرَ مِنْ ذِكرِهِ في « ديوانهِ » ومُؤلَّفاتهِ .

ومِنْ أَواخرِهِمْ : ٱلشَّيخُ سعيدُ بنُ محمَّدٍ باعشنَ[1] ، وهوَ مِنْ مشايخِ سيِّدِنا ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ ، قالَ في « عِقْدِهِ » [٢/٤٧] : (وكذا أَجازني ٱلشَّيخُ ٱلمحقِّقُ ، ٱلمتفنِّنُ ٱلمدقِّقُ ، ٱلشَّيخُ سعيدُ بنُ محمَّدٍ باعشنَ في جميعِ مصنَّفاتهِ ومرويَّاتهِ) .

وقالَ ٱلشَّيخُ عليٌّ باصبرين في مقدِّمةِ كتابهِ « إثمدُ ٱلعينينِ » : (كانَ يختلجُ في صدري جَمْعُ ما تيسَّرَ مِنَ ٱلخلافِ بينَ ٱلرَّمليِّ وٱبنِ حجرٍ ، حتَّىٰ توجَّهتُ مِنَ ٱلحجازِ إلى ٱلدِّيارِ ٱلمصريَّةِ في سَنةِ (١٢٦٠هـ) . . فوجدتُ معَ بعضِ ٱلإخوانِ مؤلَّفَ شيخِنا ٱلعلاَّمةِ ٱلمحقِّقِ ، ٱلورعِ ٱلزَّاهدِ ، ٱلشَّيخِ سعيدِ بنِ محمَّدٍ باعشنَ ، ٱلمسمَّىٰ « بشرى ٱلكريمِ » ، فطالعتُهُ إلاَّ كُرَّاسَينِ ، وجرَّدتُ ما فيهِ مِنَ ٱلخلافِ) اهـ بٱختصارٍ .

ومنهم ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ ٱلقادرِ باطويل ، نجعَ مِنَ ٱلرِّباطِ إلىٰ جدَّةَ ، وتحمَّلَ بعائلتِهِ منها إليها ، ولهُ الآنَ أَعمالٌ بجدَّةَ ، تزيِّنُهَا ٱلشَّهامةُ ، وتحوطُها المروءَةُ ، وتخالِطُها ٱلدَّماثةُ ، ويكلِّلُها ٱلتَّواضعُ ، نزلتُ عليهِ في حَجِّي سنةَ (١٣٥٤ هـ) . . فأَحمدتُ أَثَرَهُ ، وٱستسنَيتُ خَبَرَهُ ، ولم تقع عيني ولا أُذُني منهُ إلاَّ علىٰ أَحسنَ ممَّا يُرْجَىٰ ، وأَفضلَ ممَّا يُرامُ ، باركَ ٱللهُ لهُ في نفسِهِ وآلِهِ ومالِهِ ، وعُمُرِهِ وإيّانا . آمينَ .

---

(١) الشَّيخ سعيد بن مُحَمَّد بن عليٍّ باعشن (٠٠٠ـ ١٢٧٠هـ) ، فقيه دوعن وعالمها في وقته ، ولد بالرِّباط ، وتوفِّي بها ، رحل إلىٰ مصر لطلب العلم ، وتفقَّه بشيخ الإسلام عبد الله الشَّرقاويِّ (ت١٢٢٧هـ) ، وأخذ عن الشَّيخ الباجوريِّ وغيرهما ، والآخذون عنه كثيرون .

له تصانيف قيمة طبع منها مؤخراً : « مواهب الديان شرح فتح الرحمن » ، وسيصدر قريباً ـ إن شاء الله تعالى ـ كتابه : « بشرى الكريم شرح مسائل التعليم » وهما من إصدارات دار المنهاج بجدة .

وفي ذِكرِ خَيْوانَ من « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » لِلهَمْدانيِّ أَنَّهُ : (كانَ يَسكنُها بنو نعيمٍ ، وآلُ باعشنَ ، وآلُ أبي حجرٍ مِنْ أَشرافِ حاشدٍ)[1] . فلعلَّ آل باعشنَ كانوا منهُم فنجعوا إلىٰ دوعن .

وبٱلرِّباطِ : آلُ ٱلصَّافي ٱلجفريِّ ، وهُم مِنْ أَقربِ ٱلنّاسِ لوحيدِ حَضْرَمَوْتَ ومجدِّدِ مجدِها وشرَفِها في ٱلقرنِ ٱلثَّالثَ عشرَ سيِّدي ٱلحبيبِ حسنِ بنِ صالحِ ٱلبحرِ ، يرجعونَ هُم وإِيَّاهُ إلى ٱلسَّيِّدِ شيخانَ بنِ علويِّ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلتَّريسيِّ .

وقد نَقَلَ منهم جماعةٌ إلىٰ عدن ، وهم ٱلسَّيِّدُ طـٰهَ وأَخواهُ : محسنٌ وحامدٌ ، ولهم ذُرِّيَّةٌ هناك .

وكانَ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ حامدٍ عينَ عدن ٱلباصرةَ في سنةِ (١٣٢٩ هـ) عِلْماً ، وجُوداً ، وشهامةً ، وجَمالَ شارةٍ ، وطِيبَ رائحةٍ ، ونَفَاسَةَ ملبسٍ .

ومنهم : ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ محسنٍ ، له ثروةٌ طائلةٌ .

ومنهم : عُمَرُ بنُ طـٰهَ ، كريمُ شمائلَ ، إلاَّ أَنَّهُ أُصيبَ في ٱلأخيرِ بعدَّةِ نوائبَ ، فَجَبَرَ ٱللهُ كسرَهُ ، وعَوَّضَ عليهِ ما فاتَهُ .

وبٱلرِّباطِ أَيضاً جماعةٌ منْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلجفريِّ ٱلتَّريسيِّ ، مولى ٱلعرشةِ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريس سَنةَ (١٠٣٧هـ) .

وناسٌ من آل ٱلبيتيِّ ؛ منهمُ ٱلسَّيِّدُ عبد الرحمـٰن صاحبُ القبَّة وناسٌ من آل بابقي وناسٌ مِن آلِ بَاسِنْدُوةَ ؛ منهم ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحيم ، ومنهمُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ عبدِ ٱللهِ باسندوة ، من أَهلِ ٱلعلمِ وٱلعبادةِ ، أَحدُ تلاميذِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ بنِ فارسٍ باقيسٍ ، لَهُ أَعقابٌ بها وبالحديدة وعَدَن .

وبها جماعةٌ مِنْ آلِ ٱلعطَّاسِ[2] ، منهُم : نزيلُ ٱلحديدةِ ٱلآنَ ٱلسَّيِّدُ أَبو بكرِ بنُ

---

(١) صفة جزيرة العرب (١١٥) ، وخيوان هـٰذه هي الحدُّ الفاصل بين حاشد وبكيل ، ولا تزال عامرة .

(٢) منهم : السَّيِّد الحبيب عليُّ بن حسين بن أبي بكر بنِ أحمد بن عليِّ بن حسين بن عمر العطَّاس ، من الآخذين عن الحبيب صالح بن عبد الله ، وكان من الذَّاكرين الله كثيراً .

حسنِ بنِ محمَّدٍ ـ صاحبِ ٱلغيلِ ـ ٱبنِ محمَّدِ بنِ جعفرٍ ـ صاحبِ صبيخ ـ ، تاجرُ صدقٍ ، وغزيرُ إحسانٍ ، وحليفُ وفاءٍ ، وأَبيضُ قلبٍ ، ونقيُّ جيبٍ ، يُكرمُ ٱلضَّيفَ ، ويَحملُ ٱلكَلَّ ، ويَكسِبُ المعدومَ ، ويُعينُ علىٰ نوائِبِ ٱلحقِّ ، ولَهُ جملةُ أَولادٍ ، منهُم : حسينٌ أَقامَ يطلبُ ٱلعلمَ عندنا مدَّةً ليست بٱلقصيرةِ ، له طبعٌ كريمٌ ، وخلقٌ دَمِثٌ ، وتواضعٌ كثيرٌ ، و : حسنٌ ، لَهُ أَدبٌ وظَرفٌ ، ونِيقةٌ[1] وشهامةٌ .

وبٱلرِّباطِ أَيضاً جماعةٌ مِنْ آلِ ٱلحامدِ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ ، منهُمُ : ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ أَحمدَ ٱلحامدُ ، لَهُ ولدٌ نَبيهٌ ، يقالُ لَهُ : سالمٌ ، طيِّبُ ٱلأَخلاقِ ، أَظنُّهُ بمكَّةَ ٱلمشرَّفةِ ٱلآنَ .

ومِن أَهلِ الرِّباطِ : آلُ بلأَذنِ ، نجعوا إِليها مِن مَرْخَةَ ؛ منهمُ ٱليَوم : محمَّدُ بنُ عوضٍ بلأَذنِ ، لَهُ أَعمالٌ كبيرةٌ بٱلحجازِ ، وتجارةٌ واسعةٌ ، ومساعٍ مشكورةٌ ، ومحاسنُ مشهورةٌ ؛ فكم كَشَفَ عَن منكوبي حضرموتَ من غَمَمٍ ، وَطَوَّقَ أَعناقَ ٱلكرامِ بٱلنِّعمِ ، وما أَحسنَ قولَ ٱلإِمامِ ٱلغالبِ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ : يا كميل ؛ مُر أَهلكَ بٱلمكارمِ ، ويغدوا في حاجةِ مَن هوَ نائمٌ ؛ فو ٱلَّذي وَسعَ سمعُهُ ٱلأَصواتَ . . ما من أَحَدٍ يودِعُ قلباً سروراً . . إِلاَّ خلقَ ٱللهُ مِن ذلكَ ٱلسُّرورِ لُطفاً ، حتَّىٰ إِذا نزلت بِهِ نازلةٌ ، أَو نابَتْهُ نائِبَةٌ . . كانَ ذلكَ ٱلسُّرورُ أَسرعَ إِليها مِنَ ٱلماءِ في ٱنحدارِهِ حَتَّىٰ يطردَها كما تُطرَدُ ٱلغريبةُ مِنَ ٱلإِبلِ عَنِ ٱلحوضِ . أَو ما يقربُ منهُ .

وإِنَّ هـٰذا ٱلمحسنَ ٱلنَّبيلَ ليجري بٱلخُطا ٱلواسعةِ في هـٰذا ٱلسَّبيلِ أَدامَهُ ٱللهُ عليهِ ؛ ليبقىٰ من ظلِّ ٱلإِحسانِ في حرزٍ حريزٍ ، ومِنْ ذرى ٱلمجدِ في مقامٍ عزيزٍ . ولهُ أَخٌ ٱسمهُ عبدُ ٱللهِ[2] ، يساعدُهُ علىٰ إِغاثةِ ٱلملهوفِ ، وٱصطناعِ ٱلمعروفِ ، وكَسبِ ٱلمعدومِ ، وإِعانةِ ٱلمنكوبِ ، فشكرَ ٱللهُ سعيَهُما ، وأَدامَ رَعيهما . آمين[3] .

---

(١) النِّيقة : المعرفة ، والمبالغة في تجويد الأُمور .

(٢) توفي بالمدينة المنورة سنة (١٤٢٢هـ) .

(٣) وآل بن لادن هـٰؤلاء رحلوا إلى الحجاز ، وصار لهم صيت ذائع ، والشيخ المكرم محمد بن عوض بن لادن توفي رحمه الله في حادث طائرة عام (١٣٨٦هـ) ، ولحذقه في فن البناء والعمارة فإن الحكومة السعودية أوعزت إليه القيام بمهام جليلة ، وأعظم منقبة وأجل عمل قام به هو خدمة الحرمين =

عُوره[1]

هيَ مصنعةُ[2] دوعن وقلعتُها ٱلحربيَّةُ ، ومسكنُ أُمرائِها . وقد مرَّ في ميفعةَ أَنَّ ٱلشَّيخَ ٱلصَّالحَ ٱلمغربيَّ ٱجتازَ بها ، وأَلبسَ صاحبَها ٱلخرقةَ .

وجاءَ في « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » [١٧٠-١٧١] لابنِ ٱلحائكِ ٱلهَمْدانيِّ ، ٱلَّذي كتَبَهُ أَوائِلَ ٱلقرنِ ٱلرّابعِ لِلهجرةِ : (أَنَّ موضعَ ٱلإمامِ ٱلَّذي يأْمرُ ٱلإباضيَّةَ وينهىٰ كانَ في مدينةِ دوعن) .

وبما أَنَّ عُوره حصنُ دوعنَ . . فٱلظَّاهرُ أَنَّها كانت هيَ موضعَ إِقامتهِ ، ويتأَكَّدُ بما سيأْتي في ٱلقرينِ .

ولمَّا زرتُ دوعنَ في سَنةِ (١٣٤٠هـ) . . أَلحَّ عليَّ أَميرُها ٱلمقدَّمُ عمرُ بنُ أَحمدَ باصرَّةَ في ٱلمجيءِ إِليها ، فٱعتذرتُ ، ولمَّا زرتُها زيارتي ٱلأَخيرة سَنة (١٣٦٠هـ) . . كَلَّفَ عليَّ ٱلفاضلُ ٱلأَخُ علويُّ بنُ محمَّدٍ ٱلمحضارُ إِجابةَ دعوةِ أَبنائِهِ ، ففعلتُ ، ولٰكنَّني ندمتُ ندامةً شديدةً ؛ إِذ لقيتُ فيها ما لا أَقدرُ علىٰ وصفهِ مِنَ ٱلمتاعبِ في طريقِها ، إِنْ ركبتُ . . خفتُ ٱلسُّقوطَ ، وإِنْ ترجَّلتُ . . لقيتُ ٱلجهدَ!

وكانَ بها مسكنُ ٱلمقدَّمِ عمرَ بنِ أَحمدَ باصرَّةَ ، وهوَ رجلٌ شهمٌ ، وهَّابٌ نهَّابٌ ،

= الشريفين ، والنهوض بمشروع التوسعة الضخمة التي تمت في هـٰذا العصر ، وهـٰذا مما يسطره التاريخ ويحفظه لهـٰذه الأسرة .

(١) قال في « الشَّامل » : (ثمَّ تأْتي عُوره ـ بعد الرَّشيد ـ وبأعلاها على صخورٍ أعلى القارة مصنعةُ عوره) اهـ

ومن مشاهير سكَّان عوره : آل باشنفر ، سيأْتي ذكرهم ، أمَّا المصنعة ففيها آل المقدَّم باصرة ، ومن هـٰذا يُعلم أَنَّ المصنعة غير البلدة ؛ لأنَّ المصنعة إِنَّما شيِّدت حديثاً ، بخلاف ما يوهمه كلام المصنِّف من أَنَّ عوره هي ذات المصنعة ، فليُعلم .

(٢) المصنعة : مفرد ، جمعه مصانع ، قال في « القاموس » : المصانع : المباني من القصور والحصون . اهـ وفي اليمن كثرة كاثرة من المصانع منتشرة في حضرموت وفي شمال اليمن أكثر ، وهي قلاع ومراكز حربيَّة هامَّة ومحصَّنة جيِّداً ، عدَّد منها المقحفي في معجمه أكثر من (٣٠) مصنعة ، ومصنعة عوره واحدة منها .

يجورُ على ٱلرَّعايا ، ويبسطُ جودَهُ لأَهلِ ٱلعِلْمِ وٱلفضلِ ، فيتغلَّبُ إطراؤُهُم لدى ٱلسُّلطانِ غالبِ بنِ عوضٍ ٱلقعيطيِّ فلا يُؤَثِّرُ عليهِ ما يصلُ إليهِ معَهُ مِنْ تظلُّمِ ٱلرَّعيَّةِ منهُ[1] ، فتأطَّد مركزُهُ ، ورسخَ قدمُهُ ، وتمَّ لهُ ما يريدُ بمساعدةِ ٱلسَّيِّد حسينِ بنِ حامدٍ ٱلمحضارِ ، وقد جرىٰ في أيَّامِهِ مِنَ ٱلظُّلمِ وٱلجورِ ولا سيَّما علىٰ أهلِ ٱلوادي ٱلأَيسرِ ما لا تبركُ عليهِ ٱلإبلُ ، حتَّىٰ لقد دخلَ أحدُ ٱلجنودِ في أيَّامِهِ إلىٰ منزلِ أحدِ ٱلأهالي وما فيهِ غيرُ ٱمرأتِهِ ، فجاءَ أحد أقاربِها ـ وٱسمُهُ صالحٌ بابقي ـ فقالَ لها : مَنْ عندَكِ؟ فقالت : لا أحد ؛ خوفاً مِن شرِّهِ ، وكانَ مختبئاً ، ثمَّ إنَّهُ ظهرَ وأطلقَ ٱلرَّصاصَ علىٰ بابقي ، وأرداهُ ، ولم تحبقْ في ذلك شاةٌ .

وأخبرني غيرُ واحدٍ ممَّنْ يوثقُ بهم : أنَّ أحدَ آلِ بارضوان ـ واسمُهُ سالمٌ ـ كانَ بٱلقويرةِ ، وكانَ منحرفاً عن شيخِنا ٱلشَّهيرِ أحمدَ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاس ؛ لأنَّهُ كانَ مِنْ أهلِ حُرَيضةَ ، فزالَ عنها إلى ٱلقويرةِ ، وكانَ يتحرَّجُ أنْ يذهبَ إلىٰ عندِ باصرَّةَ ، وفي إحدىٰ قدماتِ ٱلعلاَّمةِ ٱلسَّيِّد أحمدَ بنِ حسنٍ إلى ٱلقويرةِ . . دعاهُم باصرَّة كعادتهِ لِلضِّيافةِ ، فذهبوا ، وعَزَمَ ٱلفاضلُ ٱلجليلُ ٱلسَّيِّدُ مصطفىٰ بنُ أحمدَ ٱلمحضارُ علىٰ بارضوان أنْ يجيءَ معَهُم ، فٱمتنعَ أوَّلاً ، حتَّىٰ ألحَّ عليهِ ، فصحبَهُم ، ولمَّا ٱنتهوا إلىٰ باصرَّةَ . . قال لَهُ ٱلحبيبُ مصطفىٰ : حرِّكْ بارضوانَ ، ـ وكانَ جريئاً حاضرَ ٱلجوابِ ، ذَرِبَ ٱللِّسانِ ـ فقالَ باصرَّة : إنَّ برَّضوانَ لم يأتِني للتَّعزيةِ في عمرَ عبودٍ باصرَّةَ ، ولـٰكنَّهُ جاءَ ٱليومَ لمَّا سمعَ بٱلهريسِ .

فقالَ لَهُ : أمَّا هريسُكَ ٱلَّتي جاءَ لَها هـٰؤلاءِ . . فحرامٌ عليَّ كلحمِ أُمِّي .

ولمَّا قرَّبوا ٱلغداءَ . . وثَبَ إلىٰ مكانٍ مرتفعٍ عنِ ٱلنَّاسِ يوضعُ فيهِ فُضُولُ ٱلفراشِ

---

(١) قال صاحب « الشَّامل » : مصنعة عوره ؛ وهي ملك آل باصُرَّة ، وكانت قَبْلُ بيد المشايخ آل باجعيفر ، ثمَّ صارت للقثم ، ثمَّ بعد استيلاء القعيطيِّ على الوادي بلغنا أنَّه وهبها لولد باصرة ، قدَّمه إليه وقال : إنَّا سمَّيناه عوض بن عمر باسْمِك ياسلطان ، ومرادنا له هديَّة منك ، فقيل : إنَّه أهدىٰ له هـٰذه المصنعة . شاع هـٰذا الحديث وسمعناه في حينه ، والله أعلم بالواقع .

وقد بنىٰ فيها المقدَّم عمر وزاد وقوَّىٰ ، وصارت دار المُلْك ، فالنَّاس يختلفون إليها ما بين شاكٍ ومشكوٍّ منه ، ومسترفد ، وقد اشتهرت بعد الخمول ، وسبحان من يصرف اللَّيل والنَّهار . اهـ

والوسائدِ ـ ويسمونَهُ الطَّاق ـ فقالَ لَهُ ٱلسَّيِّدُ مصطفىٰ : ترتفعُ على ٱلنَّاسِ! أَما تخافُ مِنَ ٱلمقدَّمِ ؟

قالَ لَه : أَيُّ مُقدَّم ؟ إنَّ ٱلمقدَّمَ هوَ ٱلَّذي عَمَدْ بتربة تريم[1] ، أَمَّا هـٰذا . . فما هوَ إلاَّ مقدَّمُ ٱلظُّلمِ ، قدَّمتَهُ أَنتَ وأَحمدُ بنُ حسنٍ لأَجْلِ قروشهِ وهريسهِ . أَو ما هـٰذا معناهُ ، أَو قريبٌ منهُ .

وَعُوره في ٱلأَصلِ ملكُ آلِ باجعيفرٍ . . فكانَ في جملةِ ما صادرَهُ باصرَّةَ مِن أَمَوالِهم ، ولمّا ماتَ ٱلمقدَّمُ عمرُ بنُ أَحمدَ باصرَّةَ في سنةِ (١٣٥٠هـ) . . خافَ أَولادُهُ أَن تكثرَ عليهمُ ٱلدَّعاوي إِنِ ٱندفعوا عنِ ٱلعمالةِ وذهبت ٱلهيبةُ ، فبذلوا ـ علىٰ ما يقولُ مبغضوهُم ـ ٱلأُلوفَ ٱلمؤَلَّفةَ ؛ حتىٰ أَبقاهمُ ٱلسُّلطانُ عمرُ بنُ عوضٍ عليها ، وكانَ فيما بذلوهُ عشرونَ أَلف ربيَّةٍ للسُّلطانِ عمرَ نفسِهِ ، وخمسةُ آلافِ ربيَّةٍ للأَميرِ سالمِ بنِ أَحمدَ ٱلقعيطيِّ ، وأَبقاهمُ ٱلسُّلطانُ صالحُ بنُ غالبٍ عليها مُدَيدَةً .

وكانَ وزيرُهُ ٱلسَّيِّدُ حامدُ بنُ أَبي بكرٍ ٱلمحضارُ يحملُ عليهم ضغناً شديداً ، ولو طالت مدَّتُهُ . . لجرَّعهمُ ٱلأُجاجَ ، وأَسعطَهمُ ٱلخردَلَ ؛ إِذ كانَ كأَبيهِ وجدِّهِ لا يرجعونَ في أَحكامهم إِلىٰ قانونٍ قطُّ ، وإِنَّما يعملونَ بما تملي عليهم أَغراضُهم وأَهواؤُهم ، إلاَّ أَنَّ ٱلسَّيِّدَ حسيناً كانَ يعتصمُ بٱلحياءِ وٱلذِّممِ ، ولهُ مِنَ ٱلمروءةِ وٱلشَّهامةِ ٱلحظُّ ٱلوافرُ ، فهُنَّ ٱلمانعاتُهُ عن كثيرٍ مِنَ ٱلأُمورِ ، ومِن حسنِ حظِّ آلِ باصرَّةَ أَن لم تكن وزارةُ حامدٍ إلاَّ أقصَر مِن ظمء ٱلحمارِ .

ولمّا ماتَ في سَنةِ (١٣٥٠هـ) . . أَبقى ٱلقعيطيُّ ٱلعمالةَ في أَولادهِ ، فكثرتْ منهمُ ٱلشَّكاوىٰ ، فعزلَهمُ ٱلسُّلطانُ صالحُ بنُ غالبٍ ، ثمَّ ردَّ ٱلعمالةَ إِلىٰ عبودِ بنِ عوضِ بنِ عمرَ بنِ أَحمدَ باصرَّةَ وعمَّيْهِ أَحمدَ ومحمَّدٍ ، فيُقالُ : إِنَّهم ٱرعَوَوْا عمَّا كانوا عليهِ وٱستقامَ حالُهم ، ولَم يَجدِ ٱلسُّلطانُ مَنْ يَسدُّ مسدَّهُم سواهُم ، وقد بَنوا في عُوره قصوراً فخمةً أَجرَوا إِليها ٱلماءَ مِنْ عينٍ أنبطوها بأَعلى ٱلجبلِ[2] ، فأَرغدَ عيشهُم ،

(١) عَمَدْ ـ بالتخفيف محركة ـ : حلَّ وأقام (عامية) معروفة بلهجة أهل الكسر ودوعن وعَمْد .

(٢) أنبطوها : استخرجوها .

ونَعِمَ بالُهم ؛ إذ كانوا في حلقةِ ٱلميمِ مِنْ نَقْلِ ٱلماءِ إلىٰ تلكَ ٱلقارةِ ٱلَّتي قلتُ في وصفِها مِنْ « رحلةِ دوعن » [مِنَ ٱلطَّويل] :

وَسِرْتُ لِدَاعِي (عُورَةٍ) فِي وُعُورَةٍ   وَعُدْتُ كَأَنِّي جِئْتُ مِنْ سَاحَةِ ٱلْوَغَا

وفي عُورَه جماعةٌ مِنْ آلِ باشَنْفَر[1] ، لَهم تجارةٌ بدوعنَ وعدن ، ومصرَ ، وأَصلُهُم ـ فيما يُقالُ ـ مِنَ الشَّنافرِ ، نجعوا إلىٰ دوعنَ بإثرِ حروبٍ تواقعوا فيها معَ بعضِ أَصحابِهم ، وٱسمُهُم ناطقٌ بذلكَ ، وإنَّما دخلَ عليهِ ٱلتَّصحيفُ ٱلَّذي يدخلُ بٱلأَغلبِ بينَ ٱلحضارمةِ على ٱلأَسماءِ وٱلأَلقابِ ، ويأتي في قُرىٰ تاربه ٱشتقاقُ ٱلشَّنفريِّ[2] .

ٱلقُرَينُ[3]

بلدٌ دونَ ٱلخريبةِ وبُضَة ، ولٰكنَّها أَكبرُ مِنْ غيرِها ، وكانَ بها مثرى ٱلإِباضيَّةِ ـ كما يُعلَمُ مِنْ كلامِ ٱلإمامِ أَحمدَ بنِ محمَّدٍ المحضارِ وغيرِه ـ وهيَ ٱلآنَ مقرُّ ٱلسّادةِ ٱلأَبرارِ آلِ ٱلبارِ ، ومنهُمُ : ٱلفاضلُ ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ ٱلمقدارِ ، عمرُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ محمَّدِ بنِ حسينِ بنِ عليٍّ ٱلبارِّ بنِ علويٍّ شَرْويٍّ بنِ أَحمدَ باحِدَاق بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويٍّ بنِ أَحمدَ ٱبنِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ .

---

(١) آل باشنفر : أُسرة معروفة ، لها مكانة مرموقة في عدن وجدَّة ، وأفرادها يتعاطون التِّجارة ، ومن أَشهر رجالاتها : عبد القادر باشنفر من تجَّار عدن .

(٢) وفي جنوبيِّ عورة يقع قبر مولى الدَّلْق ، وهو الشَّيخ باعُمَر ، أحد كبار أصحاب الفقيه المقدَّم مُحَمَّد بن عليٍّ باعلويٍّ ، وهو من مشاهير رجال التَّصوُّف المبكِّر في حضرموت ، ويقال : إنَّه حسنيُّ النَّسب . والله أعلم .

(٣) القُرَين ـ تصغير قرْن ـ : تقع في الجانب الشَّرقيِّ بعد عوره علىٰ يمين الخارج من وادي دوعن المتَّجه شمالاً ، وبأعلاها شعب غُوالة ، به عين ماءٍ أو غيل يسقي بعض أو كلَّ السُّكَّان ، وقد أُقيم خزَّان ماءٍ أعلى الشِّعب قريباً من دار السَّيِّد الحبيب عبد الله بن حامد البار ، وركِّبت الأنابيب لجلب الماءِ إليه من تلك العين ، وكان ذلك بمساعي الحبيب المذكور ، كما أخبرني ابنه السَّيِّد عيدروس رحمهما الله .

وبها من السُّكَّان من السَّادة الأَشراف : آل البار ، وآل بافقيه ، وآل بن شيخان ، وآل الحبشي . ومن غيرهم : آل باقتادة ، وكانوا من ولاتها قديماً ، وآل باحمدون ، وآل باخريبة ، وآل باعامر ، وآل باكحيل ، وآل باشِنَيْني ، وآل باهَمِيم ، وآل باحَجْري ، وآل بامقابل ، وآل بامنيف ، وغيرهم .

أَخذَ عن والدهِ وعنِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويٍّ ٱلحدَّادِ ، وعنِ ٱلشَّيخِ ٱلعارفِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بامشموسٍ ، توفِّيَ سَنَةَ (١١٥٧هـ) عن ثمانيةَ عشرَ ٱبناً وستِّ بناتٍ ، ٱنقرضَ منهُم ستَّةٌ مِنْ غيرِ عَقِبٍ ، وأَعقبَ خمسةٌ عقباً قليلاً قدِ ٱنقرضَ ، ومن أَولادِهِ : طٰهَ وشيخٌ وعَبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ، عَقِبُهم بٱلقُرَينِ[1] .

ومنهُمُ : ٱلعلاَّمةُ عمرُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلثَّاني[2] ، ٱلمتوفَّىٰ بجَلاَجِل[3] مرسىٰ بٱلحجازِ ، علىٰ مَقْرُبةٍ مِنْ جدَّةَ ، وكانت وفاتُهُ في سَنَةِ (١٢١٢هـ) إِلاَّ أَنَّهُ جاءَ في موضعٍ مِنْ « عقدِ » سيِّدي ٱلأَبرِّ أَنَّ وفاتَهُ كانتْ في سَنَةِ (١٢١١هـ) ، وكانَ معَهُ يومَ توفِّيَ تلميذاهُ ٱلجليلانِ : ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ عليِّ بنِ شهابِ ٱلدِّينِ ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (١٢٦٥هـ) وٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَحمدَ باسَوْدانَ .

---

(١) هٰهنا أمور :
أولاً : حصل سقط في نسب الحبيب عمر البار ؛ فإنَّ جدَّه علياً البار هو ابن عليِّ بن علويٍّ . . فاسم عليٍّ مكرَّر مرَّتين .
الثَّاني : أنَّ لقب البار إنما أُطلق على السَّيِّد عليٍّ الثَّاني . . بن علي بن علويٍّ ، وليس علىٰ حسين بن عليٍّ كما في « الفرائد الجوهريَّة » للسيد عمر الكاف .
الثَّالث : والد الحبيب عمر البار قدم إلى القرين من الشِّحر ، وتوفِّي بها سنة (١١١٦هـ) .
الرَّابع : أبناءُ الحبيب عمر البار هم حسب ترتيب ذكرهم في « شمس الظَّهيرة » : صادق ، وطاهر ، وعبد الله ، وطالب ، وحامد ، وطه ، وشيخ . . هٰؤُلاءِ لهم عقب قليل ، وقد قرضوا جميعاً ، كما قال النسابون .
وعبد الرَّحمـٰن ، وعليٌّ ، وعلويٌّ ، وحسين ، وأبو بكر . . هٰؤُلاءِ لهم عقب .
وأمَّا الَّذين لم يعقبوا بتاتاً . . فهم ستَّة لم تذكر أسماؤُهم في « الشَّمس » .

(٢) أفرده بالتَّصنيف وترجم له ولشيوخه بتوسُّع تلميذه البار الشَّيخ عبد الله بن أحمد باسودان في كتابه العظيم « فيض الأسرار » الَّذي حشاه بالفوائد الجليلة ، والمعلومات التَّاريخيَّة الفريدة ، وله أيضاً ترجمة في « تاريخ الشُّعراء » وغيره ، ولم يذكر له المؤرِّخون عقباً .

(٣) جلاجل : بلدة علىٰ ساحل البحر الأحمر ، تُعدُّ ميناءَ ومَرْسىٰ وادي دوقة الواقع علىٰ طريق الحاجِّ اليمنيِّ ، بين القنفذة واللِّيث . وبين وادي دوقة ويلملم مسيرة ثلاثة أيَّام ، وهو لغامد . كذا في « معجم البلدان » لياقوت ، و« تاريخ الشُّعراء » للسَّقَّاف ، والَّذي في عدَّة مواضع من « الصِّفة » للهَمْدَانيِّ : أنَّ جلاجل وادٍ ضيِّق في ناحية نجران ، وهو لقبيلة وادعة .

ومِنْ آلِ ٱلبارِّ : ٱلسَّيِّدُ ٱلشَّريفُ ٱلعلاَّمةُ أَحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ عيدروسٍ[1] ، عالمٌ عاملٌ ، لطيفٌ عفيفٌ ، توفِّيَ بٱلقرينِ سَنةَ (١٣١١هـ) .

ومنهُم : أَحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدٍ[2] ، شريفٌ ناسكٌ . ذكرَهُما في « شمس ٱلظَّهيرة » ؛ لأَنَّهما كانا موجودَين في سَنةِ (١٣٠٧هـ) .

ومنهُمُ : ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ محمَّدٍ ٱلبارُّ[3] ، ٱلمتوفَّىٰ بٱلقرينِ في سَنةِ (١٣٣١هـ) .

أَخبرني ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ أَحمدَ باسودانَ ـ ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ في ٱلخريبةِ ، وكانَ ضابطاً متيقِّظاً ـ قالَ : عملوا خَتماً وطعاماً بإِثرِ وفاةِ ٱلحبيبِ حسينِ بنِ محمَّدٍ ٱلبارِّ ، وَبَيْنَا ٱلمجلسُ غاصٌّ بِأَعيانِ ٱلعلويِّينَ بدَوعنَ لذلكَ العهد ـ كَٱلسَّيِّدِ مصطفى بنِ أَحمدَ ٱلمحضارِ وأَصحابِهِ ، ومحمَّدٍ وعبدِ اللهِ وحامدٍ آلِ علويِّ ٱلبارِّ ـ وٱلمقدَّمُ عمرُ بنُ أَحمدَ

---

(١) ترجم له ابن أخيه الحبيب حسين بن مُحَمَّد ـ الآتي ذكرهُ بعده ـ في « نبذة » ، منها : أن الحبيب أحمد رحل إلىٰ زبيد ونواحيها ، وحَجَّ ولقي بالحرمين عدداً من علماءِ مصر والشَّام ، وأخذ عنهم ، وكان يعدُّ مُسنِد دوعن في وقته ، ومن شيوخه : الشيخ عبد الله باسودان وابنه مُحَمَّد ، والسَّيِّد مُحَمَّد بن عبد الرَّحمـٰن الأهدل ، والسَّيِّد طاهر الأنباريّ ، وإبراهيم المزجاجيُّ ، وبمكَّة : عثمان الدِّمياطيُّ ، وأحمد الدِّمياطيُّ ، وعليٌّ السُّروريُّ ، وعبد الله سراج ، والوجيه الكزبري محدِّث الشَّام ، وأخذ عن الشَّهيد مُحَمَّد العمرانيِّ تلميذ الشَّوكانيِّ ، وعن الإمام أحمد بن عمر بن سميط ، والحبيب حسن بن صالح ومن في طبقتهم . ينظر : « الشَّامل » (١٤٧ـ١٤٨) ، و« الخلاصة الشَّافية » ، و« مجموع وصايا آل البار » .

(٢) هو السَّيِّد أحمد بن عبد الله بن مُحَمَّد الأكبر ٱبن علويِّ ٱبن الحبيب عمر البار الكبير ، الملقَّب بالسَّاكت ، كان من أهل الفضل ، لقي الحبيب صالح بن عبد الله العطَّاس ، وأخذ عنه . « الشَّامل » ، و« تاج الأعراس » ، ولم تؤَرِّخ وفاته .

(٣) الحبيب حسين بن مُحَمَّد البار ، مولده بالقرين ، وبها وفاته ، ونشأ في كنف والده وعمِّه أحمد بن عبد الله ، وعلى الأخير كان تخرُّجه وفتحه ، وأخذ عن الشَّيخ سعيد باعشن ، والشَّيخ عبد الله باسودان ، وطبقتهم . ورحل إلىٰ تهامة ، وكانت له ولأخيه عبد الله تجارة في الحديدة ، ثمَّ تلاشت وتحوَّلوا إلىٰ عدن ، وبعد وفاة عمِّه أحمد كانت الصَّدارة له في المجالس والمدارس العلميَّة في القرين ، ورحل إليه الكثير وأخذ عنه الجمُّ الغفير ، وممن أدركه : حفيده الحبيب عبد الله بن حامد . ترجمتهُ في « منحة الإلـٰه » ، و« الشَّامل » و« تاج الأعراس » ، وغيرها .

باصرَّةَ يُكثر مِن شربِ ٱلدُّخَانِ ، وأَنا حاضرٌ . . إذ قيلَ : أَقْبَلَ ٱلسَّيِّدُ عمرُ بُن أَحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلبار ٱلعالمُ ٱلتَّقيُّ ، فتشمَّرَ ٱلمقدَّمُ وٱهتمَّ ، وجمعَ خاطِرَهُ ، وأَبعدَ مداعتَهُ[(١)] ، ومسحَ يدَهُ وفمَهُ بثوبِهِ ، وتأدَّبَ بينَ يديهِ ، لـٰكنَّهُ كانَ لا يدخلُ دارَهُ ، ولا يقبلُ هديَّتَهُ ٱلَّتي طالما حاولَهُ علىٰ قَبولِها ، فصحَّ قولُ ٱلجرجانيِّ [في « طبقات الشافعية » ٢/ ١٦٠ مِنَ الطويلِ] :

أَرَى ٱلنَّـاسَ مَنْ دَانَـاهُـمُ هَـانَ عِنْـدَهُـمْ   وَمَـنْ أَكْـرَمَتْـهُ عِـزَّةُ ٱلنَّفْـسِ أُكْـرِمَـا

توفِّي ٱلسَّيِّدُ عمرُ ٱلمذكورُ بِٱلقرينِ في رجب سنة (١٣٣٩ هـ) .

أَمَّا رداءُ ٱلحبيبِ حسينِ بنِ محمَّدٍ ٱلبارِّ . . فوقعَ علىٰ ولدِهِ محمَّدِ بنِ حسينٍ ، فقامَ في مقامِهِ أَحسنَ ٱلقيامِ ، حتَّىٰ توفي ، وخلَفَهُ ولدُهُ حامدٌ ، ذكيٌّ نبيهٌ مشكورُ ٱلخلائِقِ .

ومنهُم : أَخونا ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ ، بقيَّةُ أَراكينِ ٱلشَّرفِ ، ٱلسَّيِّدُ عيدروسُ بنُ سالمِ بنِ عيدروسِ بنِ سالمِ بنِ عيدروسِ ٱلبارُّ[(٢)] ، لقد كانَ عِدَّ جودٍ خسيفٍ ، وطَوْد عِلْمٍ مُنيفٍ .

فَمَـا دَبَّ إِلاَّ فِـي أَنَـامِلِـهِ ٱلنَّـدَىٰ   وَلَـمْ يَـرْبُ إِلاَّ فِـي مَجَـالِسِـهِ ٱلْعِلْـمُ[(٣)]

إِلىٰ خُلُقٍ كأَنَّهُ ٱلرَّوضُ طلَّهُ ٱلغمامُ ، أَوِ ٱلزَّهرُ بارحَ ٱلكمامَ[(٤)] .

لَـنْ تَلْـقَ مِثْـلَ مَسَـاعِيـهِ ٱلَّتِـي ٱتَّصَلَـتْ   بِـٱلصَّـالِحِيـنَ وَكَـانَـتْ عَـنْ أَبٍ فَـأَبِ[(٥)]

---

(١) مداعته : المداعة (عامية) وهي آلة التنباك المعروفة والمسماة بالجوزة .

(٢) مولده بمكَّة سنة (١٢٩٨هـ) ، أو (١٢٩٩هـ) ، وطلب العلم صغيراً ، وجدَّ واجتهد وحصَّل ، وأدرك الأكابر وأخذ عنهم ، وكانت له الصَّدارة بين علماءِ مكَّة آنذاك ، وأجلُّ شيوخه : الحبيب حسين الحبشيُّ ، والشَّيخ بابصيل ، وباجنيد ، وصالح بافضل ، وعبد الرَّحمـٰن وأسعد آل الدَّهَّان . ومن أراد التَّوسُّعَ في ترجمته . فلينظر « تاج الأعراس » ، و« الدَّليل المشير » ، و« سير وتراجم » .

(٣) البيت من الطَّويل .

(٤) **بارَح** : فارق . **الكمام** : الغطاءُ أَو البرعم الَّذي يكون فيه الزَّهر . **والمعنىٰ** : كأَنَّه الوردة المتفتِّحة الَّتي فارقت برعمها وصارت زهرة .

(٥) البيت من البسيط ، وهو للبحتريِّ في « ديوانه » (٢/ ٢٢) ، وفيه بعض التَّغيير في بعض الكلمات .

لَهُ ورعٌ حاجزٌ[1] وزهدٌ ناجزٌ[2] ، وخوفٌ مِنَ ٱللهِ يُحفيهِ[3] ، وجهدٌ في ٱلعبادةِ يُخفيهِ ، إلىٰ نفسٍ سليمةٍ ، وسِيَرٍ قويمةٍ ، وتواضعٍ يدلُّ لارتفاعِ ٱلقيمةِ ، معَ جاهٍ عظيمٍ ، يبذلُهُ لكلِّ كريمٍ ، فكم قُضِيَتْ بهِ مغارمُ ، وبُنِيَتْ منهُ مكارمُ .

وَإِذَا ٱمْــرُؤٌ أَسْــدَىٰ إِلَيْــكَ صَنِيعَــةً   مِــنْ جَــاهِــهِ فَكَــأَنَّهَــا مِــنْ مَــالِــهِ[4]

توفِّيَ بمكَّةَ ٱلمشرَّفةِ في ٱلمحرَّمِ مِنْ سَنةِ (١٣٦٧هـ) ، فٱشتدَّ ٱلرَّنينُ ، وٱنجدَعَ ٱلعِرْنينُ[5] ، وعَظُمَ ٱلمصابُ ، وأَظلمتِ ٱلحصابُ[6] .

ولهُ أَخَوَانِ علىٰ قدمِ ٱلصَّلاحِ وٱلعبادةِ وٱلتَّواضعِ ، وهما : أَبو بكرٍ وعبدُ ٱلقادرِ ، لم تَزَل مجالِسُهُ معمورةً بهم وبأولادِهِ ؛ وهم : حسنٌ وعليٌّ وفضلٌ وسالمٌ وعمرُ ومحمَّدٌ ، وأولادِ عمِّهم : حسين وهاشم ٱبنَي عبدِ ٱلقادرِ ، ومحمَّدِ بنِ أبي بكرٍ ، نسألُ ٱللهَ تحقيقَ ٱلآمالِ ، وإصلاَحَ ٱلأعمالِ ، وأَنْ لا يشغَلَنا ولا أَحداً منهم بحبِّ ٱلمالِ .

ومنهم ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ بنِ أَحمدَ ٱلبارُّ ، وولداه : عمرُ وعبدُ ٱللهِ ، يسكنونَ ٱلآنَ برابغ .

وفي ٱلقرينِ جماعاتٌ من آلِ بامشموسٍ ؛ ومنهم : ٱلشيخُ محمَّدُ بنُ أَحمدَ بامشموسٍ ، كانَ من رجالِ ٱلعلمِ وٱلفضلِ ، وٱلتَّقوىٰ وٱلعبادةِ وٱلنُّورِ ، وكانَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ يَاسين باقيسٍ يقولُ : إِنَّ ٱلشَّيخَ محمَّدَ بامشموسٍ نظيفُ ٱلظَّاهرِ وٱلباطنِ ، كأَنَّهُ ملَكٌ دُخانيٌّ .

---

(١) الورع : ترك الشُّبهات . حاجز : يحجزه عن الوقوع في المحرمات .

(٢) الزهد : ترك الشَّيء المقدور عليه لله . ناجز : تامٌّ حاضر .

(٣) يحفيه : يمنعه ، ولهٰذا الكلام في علم البلاغة نكتة لطيفة ؛ إذ عندما يحذفُ القائِل المفعولَ به . . فإنَّما يريد العموم ، والمراد هنا : أنَّه يمنعُه من كلِّ ما شأنه أن يُمتَنَع منه . والله أعلم .

(٤) البيت من الكامل ، وهو لأبي تمَّام في « ديوانه » (٢/ ٢٩) .

(٥) انجدع : قُطِعَ . العرنين : الأنف ، وهو كناية عن الذُّلِّ .

(٦) الحِصاب : موضع رمي الجمار ، وإظلام الحِصاب كناية علىٰ أنَّ المصائب تأتي خبط عشواءَ ؛ كما تُرمىٰ جمار العقبة إذا كانت مظلمة .

وجماعاتٌ مِنْ آلِ باعامرٍ ، وآلِ باجنيدٍ ، وآلِ ٱلعيدِ ، وآلِ بامقابلٍ ، وآلِ باحمدونَ ، وآلِ بامنيفٍ ، ولعلَّ هٰؤلاءِ من نَهْدٍ .

رِحَابُ(١)

أخبرني ٱلأخُ ٱلأديبُ علويُّ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلحَبْشيُّ ـ وهوَ مِنْ سكَّانِها ـ : أَنَّ ولايةَ رحابٍ كانت لآلِ عبدِ ٱللهِ ، ومنهُمُ ٱلأميرُ ٱلَّذي يُخاطبُهُ ٱلقطبُ ٱلحدَّادُ بقولهِ [في « ديوانه » ٣٨٣] :

يَا جَمِيل أنَّ سِتْرَ ٱللهْ عَلَى ٱلْخَلْقْ بَاقِي

ولمَّا ظهرَ بدر بنُ عبدِ ٱللهِ بُوطُوَيرِق . . صالحَهُ آلُ عبدِ ٱللهِ(٢) على ٱستقلالٍ داخليٍّ لَهم في بلادِهِم ، معَ ٱعترافِهِم بسلطنتهِ ورئاستهِ عليهِم ، وقد شخص جميلٌ هٰذا إلى ٱليَمنِ ، ومَثَلَ بين يديْ إمامِ ذلكَ ٱلعصرِ ، فأَقطعَهُ رِحَابَ وجبالَها وأَصقاعَها ، وجعلَ لَهم رسوماً علىٰ مصانعِ بُضَهْ وعُوره ، وبيدِهم وثيقتانِ مِنَ ٱلأئمَّةِ : إحداهُما مِنَ ٱلمهديِّ ، وٱلأُخرَىٰ ممَّنْ بعدَهُ .

قالَ ٱلسَّيِّدُ علويٌّ : (وقد أمروني بنقلِهما لمَّا ظهرتْ عليهِما آثارُ ٱلاندثارِ ، فنقلتهما بالحرف) ، قالَ : (وكانَ يركبُ منهُم أربعونَ فارساً ، ولمَّا ٱستولى ٱلقعيطيُّ على ٱلوادي ٱلأيمنِ في سَنةِ « ١٣١٧هـ » . . ياسَرَهُم وأعفاهُم مِنَ ٱلرُّسومِ ، وأبقىٰ لَهم بعضَ ٱلحقِّ في إقطاعِ ٱلسُّفوحِ لمن أرادوا ، ومنهُم : أبو عامرٍ(٣) ٱلمشهورُ) ، هٰذا

---

(١) رحاب : من قرى الجانب الشَّرقيِّ للوادي الأيمن ، فيها السَّادة آل الحَبْشيِّ ، وآل الجفريِّ ، وفيها : آل باعبد الله ، وآل باشمّاخ ، وآل باجنيد ، وآل بامشموس ، وآل باداوود ومنهم جماعة في حوفة ، وآل بابراهم . وفي رحاب : ضريح الشَّيخ ناجه ، ويقال له : ناجه بن أمتع ، ولعلَّه جدُّ الشَّيخ يوسف بن أحمد المارِّ ذكره في الحسوسة ، والله أعلم بحقيقة الحال .

(٢) آل عبد الله هٰؤلاءِ هم آل باعبد الله ، وسيأتي قول المصنِّف أنَّهم من بني هلال على الأغلب . وليسوا آل عبد الله الكثيريِّين ، فليعلم .

(٣) أبو عامر : شاعر شعبيٌّ له حِكَم وأمثال ، لا زال النَّاس يردِّدونها ويستشهدون بها . ويقال إنه =

ما يقولُهُ ٱلسَّيِّدُ علويٌّ ، وٱلعهدةُ عليهِ ، وقد بَسطناهُ معَ جملةٍ مِنْ أَشعارِ أَبي عامرٍ في « **ٱلأَصلِ** » .

ويَزعمُ آلُ عبدِ ٱللهِ أَنَّهُم مِنْ بني هِلالٍ ؛ فمرجعُهُم وآلِ خليفةَ وآلِ مَرْخةَ ـ ٱلسَّابقِ ذِكرُهُم قُبَيلَ جَردان ـ إِلىٰ قبيلةٍ واحدةٍ ، وقد أَنكرَ بعضهُم ما ٱشتهرَ على ٱلأَلسنةِ مِنْ هجرةِ بني هلالٍ[1] مِنْ حَضْرَمَوْتَ إِلى ٱلمغربِ ، وليسَ في محلِّهِ ، ولا سببَ لَهُ إِلاَّ عدمُ ٱلاطِّلاعِ ، وإِلاَّ . . فقد كانتْ خيامُهُم ضاربةً مِنَ ٱلكَسْرِ إِلى ٱلعَبْرِ إِلى ٱلدَّهناءِ إِلىٰ نجدٍ ، ويتأَكَّدُ ذلكَ بما بينَ أَشعارِهم وأَشعارِ ٱلحضرميِّينَ مِنَ ٱلتَّشابُهِ ، وكثيراً ما يوجدُ في شِعرِ ٱلعامَّةِ بحَضْرَمَوْتَ أَنَّهُم غزوا برقةَ وقابس ، وٱلشِّعرُ ديوانُ ٱلعربِ ، وكذلكَ يوجدُ تشابُهٌ في أَسماءِ ٱلأَشخاصِ ، ولاسيَّما ٱلنِّساءُ وٱلبلدانُ وٱلبقاعُ .

ومِنْ أَبطالِ بني هلالٍ ٱلمعروفينَ : حسَّانُ بنُ سرحانَ .

وسلامةُ بنُ رزقٍ ، وهوَ أَبو زيدٍ ٱلهلاليُّ بطلُ ٱلقصَّةِ ٱلَّتي يَزعمُ بعضهُم أَنَّها خرافةٌ ، وأَنَّهُ إِنما كانَ ٱلسَّببَ في تأليفِها ريبةٌ حصلَتْ في بيتِ ٱلخليفةِ ٱلعبيديِّ بمصرَ ، فأَرادوا أَنْ يَشغلوا عنها ٱلنَّاسَ ، وٱلحقُّ أَنَّ لَها أَصلاً صحيحاً حقَّقَهُ ٱلعلاَّمةُ ٱبنُ خلدون .

وقالَ لي بعضهُم : (إِنَّهُ ٱطَّلعَ علىٰ رحلةٍ كتبها مركبول ٱلإِيطاليُّ[2] ، ذكرَ فيها أَنَّهُ رأَىٰ سفنَ ٱلبرتغالِ راسيةً في ٱلخليجِ ٱلفارسيِّ تنتظرُ سكونَ هَيَجانِ ٱلبحرِ ، فخالطَ أَهلَها ـ وهُمْ لَفيفٌ مِنْ عربِ شبهِ ٱلجزيرةِ ـ فتفرَّسَ أَنَّ ٱلتَّشابُهَ بينَ أَشعارِ عَرَبِ ٱلجزيرةِ

= شخصيتان : الأول وهو القديم من قرية المخينيق ، والأخير لعله الذي عناه المصنف وهو في القرن الحادي عشر ، وهو الذي مدح الإمام الحداد . وللسيد جعفر السقاف « نبذة » في أخباره .

(١) **قبيلة بني هلال** : هناك خلاف طويل حول قبيلة بني هلال ، وهل هي من حضرموت أو ليست منها ، والمؤلف يرى الأول وللأخ عمر أبي بكر باذيب مقال بعنوان : « اختلاف الرُّواة حول مواطن قبيلة بني هلال لا ينفي هجرتهم من جزيرة العرب » جنح فيه إلى السبر التاريخي ومناقشة أقوال السابقين ، وله مقال آخر بعنوان : « حل الإشكال في أصول وموطن بني هلال » نشر في جريدة المدينة عدد يوم الأربعاء (٤) ذو الحجة (١٤١٥هـ) .

(٢) هو ماركو پولّلو ، الرحالة الإيطالي الشهير ، ولد بالبندقية بإيطاليا سنة (١٢٥٦م) ، ومات سنة (١٣٢٣م) . زار الهند والصين وغيرها ، ولم يصدقه معاصروه عندما نشر مشاهداته .

وأَهلِ ٱلمَغْرِبِ ٱلأَقصىٰ ناشىءٌ مِنْ تردُّدِ ٱلنُّوتيَّة[1] وٱلتُّجَّارِ مِنْ تلكَ ٱلجهاتِ) اهـ بمعناهُ .

ونحنُ نوافقهُ في ٱلتَّشابهِ ، ونقولُ : إِنَّ ٱلسَّبَبَ ٱلأَصليَّ ٱتِّحادُ ٱلعنصر ، وسيأْتي ما يتعلَّقُ بهِ في وَبَار آخِرَ هـٰذا ٱلكتابِ .

وفي « رسالةٍ » موجودةٍ بخزانةِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ باعفيف ـ ٱلسَّابق ذِكرُها في كنينةَ ـ أَنَّ آلَ باعويدينَ وآلَ باحكيمٍ وآلَ ماضي كلَّهم مِنْ بني هلالٍ ، وفيهِ تأْييدٌ لبعضِ ما أَخبرني بهِ ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلحَبْشيُّ .

هَدُون

قريةٌ كبيرةٌ لَها جامعٌ كبيرٌ ، في شرقيِّه قبرٌ طويلٌ ، يقالُ : إِنَّهُ قبرُ هادونَ بنِ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ ، ولا ذِكرَ لَهُ في ٱلسِّيَرِ وٱلتَّاريخِ ، ولـٰكنْ نقلَ صاحبُ « الإبريز » عنِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلعزيزِ ٱلدَّبَّاغِ أَنَّ نبيَّ ٱللهِ هُوَيداً مرسَلٌ لأَهلِ ٱلأَحقافِ ، فذكرَ ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ أَنَّهُ يعني هادونَ بنَ هودٍ .

وأَهلُ دوعنَ مصفقونَ علىٰ ذلكَ ، ولا غرابةَ فيهِ معَ كثرةِ ٱلأَنبياءِ بحَضْرَمَوْتَ ؛ إِذْ هيَ ـ كما قرَّرنا في مواضعهِ مِنَ **« ٱلأَصلِ »** ـ مقرُّ ٱلأُممِ ٱلكبيرةِ : عادٍ وثَمودَ ، وأُميمَ وعبيل ، ووَبار ، وطَسْم ، وجَدِيسٍ وغيرهم . . فلا مجالَ للإِنكارِ ، كما لا معوَّلَ إِلاَّ على ٱلنَّصِّ[2] .

وٱلَّذي عندَ ٱلهَمْدانيِّ [١٦٧] : (أَنَّ خَوْدُونَ ودَمُّونَ وهَدُونَ وعندلَ قُرىً للصَّدِفِ بحضرموتَ) . ذكرها ٱلبكريُّ ، وضبطُ هدُونَ عنده مثلُ دمُّونَ .

وفي هَدُون جماعةٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ عقيلِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلعطَّاسِ ، أَخي ٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلعطَّاسِ .

---

(١) **النُّوتيَّة** ـ جمع نوتيٍّ ـ وهو : الملاَّح الَّذي يدير السَّفينة في البحر .

(٢) تقام في هدون زيارة سنوية عقب الانتهاء من زيارة نبي الله هود أسفل حضرموت ، وبالتحديد في منتصف شهر شعبان .

وجماعةٌ مِنْ آلِ باعثمانَ ، منهُمْ : ٱلعلاَّمةُ ٱلشَّيخُ عمرُ باعثمانَ ٱلَّذي كانَ موجوداً في سَنةِ (١٣٢٠هـ) ، وقدِ ٱستقدمَهُ ٱلسُّلطانُ عوضٌ سنتَيْنِ محمولاً على ٱلأَعناقِ لشيخوختهِ ، وكانَ ٱلغرضُ مِن ٱستقدامهِ أَنْ تكونَ فتواهُ ٱلفاصلةَ فيما بينَ ٱلسُّلطانِ عوضٍ وَأَبناءِ أَخيهِ عبدِ ٱللهِ ، وكلُّ ذلكَ مفصَّلٌ بـ « ٱلأَصلِ »[1] .

وقد سبقَ في ٱلرَّشيدِ أَنَّ ٱلسَّيِّدَ عبدَ ٱللهِ بنَ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلحبشيَّ ٱنتقلَ مِنها إِلىٰ رحابٍ ، وبها توفِّي سنةَ (١٣٢٠هـ) ، وهوَ والدُ ٱلسَّيِّدِ علويٍّ صاحبِ ٱلنُّكاتِ وٱلنَّوادِرِ ، ومنها : أَنَّ رجلاً أَوصىٰ بثلاثِ مئَةِ دينارٍ في سبيلِ ٱلخيرِ ، فتأَثَّمَ ولدُهُ أَنْ يُفرِّقَها ، وأَشكلَ عليهِ ٱلأَمرُ ، فدفعَها إِلىٰ أَحدِ ٱلقضاةِ ، بشرطِ أَنْ يضعَها في موضعِها ، فلَم يَكنْ مِنَ ٱلقاضي إِلاَّ أَنْ أَعطىٰ بنتَهُ مئَةً ، وزوجتَهُ مئَةً ، وبقيتْ مئَةٌ ، فلمَّا حضرَ عشاؤُهُ . . أَدنىٰ وعاءَهُ لِلهرَّةِ ، فٱختطفتْ قطعةَ ٱللَّحمِ ، فأَمسكَها وقالَ لَها : أَمَّا لحمي . . فلا سبيلَ إِليهِ ، ولـٰكنْ عندي مئَةُ دينارٍ لِلصَّدقةِ وأَنتِ مِنْ مستحقِّيها ، فإِنْ أَردتِ أَنْ تشتري بها ٱللَّحمَ . . كانَ لكِ ذلكَ . ثمَّ ضغطَ علىٰ أُذنِها فماوَتْ[2] ، فقالَ لَها : وأَنا بِعتُ عليكِ ، فذهبت بٱللَّحمِ ، وذهبَ هوَ بٱلدَّنانيرِ .

ومِنْ سكَّانِ هَدُون : آلُ باشيخٍ ، ومنهُمْ : ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ ، ٱلتَّقيُّ ٱلورعُ ٱلشَّيخُ عَبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ أَحمدَ باشيخ ، تولَّى ٱلقضاءَ بِٱلمُكَلاَّ ودوعنَ ، وماتَ حوالَي سَنةِ (١٣٤٢هـ)[3] .

وفي حوادثِ سَنة (٦٠٥) مِنْ « تاريخِ باشراحيل » : (أَنَّ آلَ عَنْدَلٍ هَجموا علىٰ آلِ باشيخٍ ، فقَتلوا عبدَ ٱللهِ بنَ أَحمدَ ، وأَخرَجوا باقيَهُم إِلىٰ شِبامٍ ، وكانَ عبدُ ٱلملكِ بنُ أَحمدَ في شِبامٍ) .

---

(١) آل باعثمان هؤلاء الغالب أنهم من آل العمودي ، على عادة أهل دوعن في إطلاق (با) على الأب أو الجد ، وفيهم علماء أعلام .

(٢) ماوَتْ : أصدرت صوت المُواءِ .

(٣) الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن عمر باشيخ الدوعني الهدوني ، ترجم له صاحب « الشامل » (١٥٥ ـ ١٥٩) .

وسيأتي في سيئون عنِ ٱلشَّيخِ عليٍّ باصبرين أَنَّ آلَ باشيخٍ بسيئونَ يَرجعونَ في ٱلنَّسَبِ إِلىٰ بني ٱلعبَّاسِ ، وٱلعجبُ أَنَّهُ لَم يَذكرْ آلَ باشيخٍ بدوعنَ معَ قُربِهِم إِليهِ ، وٱلظَّاهرُ أَنَّهُم قبيلةٌ واحدةٌ . وٱللهُ أَعلمُ[1] .

غيلُ بَلْخَير

قريةٌ صغيرةٌ فيها عينٌ قليلةُ ٱلماءِ ، وفيها ٱلمشايخُ آلُ بلخيرٍ[2] ، ٱلمنسوبةُ إِليهِم تلكَ ٱلقريةُ وغيلُها ، ومرجعُهُم في ٱلنَّسبِ إِلىٰ أَبي ٱلخيرِ ـ أَحدِ ملوكِ بني عمرِو بنِ معاويةَ ٱلآتي ذِكرُه في تَرِيم ـ وقد نجعوا مِن تريم إِلى ٱلغرفةِ ، وبها منهم بقايا ، ثمَّ نجعَ هٰؤلاءِ إِلىٰ دوعنَ .

---

(١) تأتي بعد هدون في الجانب الشرقي : خُسُوفِر ـ بضمتين فسكون فكسر فاء ـ : بها آل بغلف ، وآل باتيّاه ، وآل بامانع ، وآل باسنبل .

ومن آل بغلف : التاجر الشهير ذو المبرات والصدقات محمد بن أحمد بغلف ، المتوفى بجدة ، كان من كبار أثرياء جدة ، وهو الذي أدخل شبكة المياه إلى دوعن ، وكثير من بلدان وقرى حضرموت ، ومد لها الأنابيب ، واهتم بإنشاء السقايات في الطرق ومواضع نزول الركاب والمسافرين ، وله أوقاف وأربطة متعددة في جدة وحضرموت وغيرها ، رحمه الله تعالى ، وقام بتوسيع عدد من كبريات المساجد .

ثم حصن الجبوب : وفيه القُثَم . ثم قارة الخَرْب : أي الخزف ، وفيها : آل باميلح ، والبامعوضة ، وآل باحمدين ، الذين منهم التاجر عبد الله بن محمد باحمدين ، المولود بمكة سنة (١٣٢٩هـ) ، والمتوفى بها ، سنة (١٣٦٩هـ) ، عن (٤٠) عاماً ، كان محظوظاً في التجارة ، أسس مصانع الثلج ، ومطبعة باحمدين بمكة وجدة ، ترجم له صديقه الأستاذ محمد علي مغربي في « أعلام الحجاز » وفاءً له ، (١/ ٨٩ـ ٩٨) .

(٢) آل بلخير : قدمنا ذكر أصلهم ونسبهم ، وظهر فيهم جماعة من أهل العلم والأدب والفضل ، سيذكر المؤلف هٰهنا أعيانهم . ونزيد هنا : ١ـ أن الجد الجامع لآل بلخير هو الشيخ الصالح حسن بلخير ، عاش في القرن السابع الهجري ، عاصر الشيخ سعيداً العمودي وأخذ عنه ، توفي بالقويرة . ٢ـ وابنه أحمد بن حسن بلخير ، توفي بالقرين ، أخذ عن الشيخ يوسف بن أحمد باناجه بحر النور . ٣ـ جمع الشيخ المعمر الصالح سالم بن حسن بن سالم بلخير المولود سنة (١٣٢٢هـ) ، والمتوفى بجدة سنة (١٤٠٩هـ) ، كتاباً سماه : « القصبة في مَعْرفة العَصَبة » وقرّظه العلامة الناخبيّ ، وفيه معلومات هامة عن هٰذه الأسرة .

ومنهُمُ : ٱلفاضلُ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ محمد بلخيرِ ، وردَ إِلىٰ سيئون مِنْ دوعنَ وهوَ في ٱلعاشرةِ مِنْ عمرِهِ ، فآواهُ والدي وتربَّىٰ في دارِنا ، وعنهُ تعلَّمَتْ والدتي ـ ٱلشَّريفةُ ، ٱلجليلةُ ٱلعفيفةُ ، نورُ بنتُ محمَّدِ بنِ سقَّافٍ مولى خيله ـ ٱلمتوفَّاةُ سَنةَ (١٣٤٠هـ) ـ ٱلكتابةَ ، وعليهِ قرأَتِ ٱلقرآنَ .

وقد لبثَ زمناً طويلاً يَتعلَّمُ ٱلفقهَ وٱلنَّحوَ وٱلعلومَ ٱلشَّرعيَّةِ علىٰ والدي ، وعلىٰ تلميذِهِ وخادِمِهِ ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ عليٍّ ٱلدِّثْنيِّ في دارِنا ، علىٰ نفقةِ والدِنا .

وكانَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بلخير كثيرَ ٱلتَّوجُّهِ وٱلإقبالِ على ٱلتَّعلُّمِ ، حتَّىٰ لقدِ ٱلتزمَ بطريقِ ٱلنَّذرِ ٱلشَّرعيِّ أن لا ينامَ في كلِّ ليلةٍ حتَّىٰ يحفظَ صفحةً مِنْ « تحفةِ ٱلعلاَّمةِ ٱبنِ حجرٍ » ، وكنّا نتعجَّبُ مِنْ هـٰذا ٱلنَّذرِ ٱلغريبِ في بابِهِ ، حتَّىٰ رأَينا ما جاءَ في (ص ٣٤ ج ٢) مِنَ « ٱلمشرعِ » عنِ ٱلسَّيِّدِ ٱلجليلِ أَبي بكرٍ ٱلعدنيِّ ٱبنِ سيِّدِنا عبدِ ٱللهِ ٱلعيدروسِ : مِنِ ٱلتزامِهِ بطريقِ ٱلنَّذرِ ٱلشَّرعيِّ مطالعةَ شيءٍ مِنَ « ٱلإحياءِ » لِلغزاليِّ في كلِّ يومٍ .

وما ذكرهُ ٱلثَّعالبيُّ في « ٱليتيمة » : أَنَّ ٱبن سكرةَ ٱلهاشميَّ حلفَ بطلاقِ ٱمرأتِهِ وهيَ ٱبنةُ عمِّهِ أَنْ لا يُخليَ بياضَ يومٍ مِن هجاءِ ٱلقينة ٱلسَّوداءِ ٱلمعروفَةِ بخمرةَ ، فكانتِ ٱمرأتُهُ تجيئهُ بٱلدَّواةِ وٱلقرطاسِ كلَّما ٱنفتلَ مِنْ صلاةِ ٱلصُّبحِ ، ثمَّ لا تُفارِقُ مصلاَّهُ حتَّىٰ يقرض في هجائِها ولو بيتاً .

وكانَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بلْخَير هـٰذا يتناوبُ ٱلسَّفرَ معَ إِخوانِهِ إِلىٰ سنغافورة ، ولَهم هناكَ سَدَانةُ[1] مَشهدِ ٱلسَّيِّدِ ٱلصَّالحِ نُوحِ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ ٱلحَبْشيِّ ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (١٢٨٧هـ) .

وعلى ٱلجملة : فآلُ بَلْخَير بيتُ علمٍ وعبادةٍ ، وتقوىٰ وصلاحٍ ، وضيافةٍ وشهامةٍ ، حَسَبَمَا يليقُ بنسبِهِمُ ٱلصميم .

ومِـنْ آلِ بلْخَيـرِ : ٱلشَّهـمُ ٱلنَّجيـبُ ، عبـدُ ٱللهِ بـنُ حسـنٍ بلخيـرٍ[2] ، ثَقِـفٌ

(١) السَّدانة : الخدمة .

(٢) صوابه : عبد الله بن عمر .

لقِف[1] ، شاعرٌ كاتبٌ أَمينٌ ، شريفُ ٱلنَّفسِ ، طاهرُ ٱلنحيزة[2] .

عَلَىٰ خَيْرِ مَا كَانَ ٱلرِّجَالُ خِلاَلُهُ   وَمَا ٱلخَيْرُ إِلاَّ قِسْمَةٌ وَنَصِيبُ

أَمَّا عودُهُ . . فأَدَبٌ وفضلٌ ، وأَمَّا عِرقُهُ . . فشرفٌ ونُبْلٌ ، وأَمَّا ثِمارُهُ . . فعلمٌ وعقلٌ ، وحسبكَ مِنْ نُبلهِ أَنَّ باكورةَ ثمارِ أَدَبِهِ ، ومخائلِ نَوءِ فضلِهِ : كتابُ « وحي ٱلصَّحراءِ » ٱلَّذي لا بدَّ أَنْ يرتفعَ عَنْ مستواهُ بعدَ ذلكَ إِذا بقيَ علىٰ ممارسةِ ٱلعلمِ وٱلأدب ، وهوَ ٱلَّذي ٱقترحَ عليَّ تأليفَ هـٰذا بإشارةِ وليِّ عهدِ ٱلحجازِ ونجدٍ ، ليضمَّهُ إِلىٰ ما ينويهِ مِن تقويمِ بلدانِ ٱلجزيرةِ بأَسْرِها .

قرنُ ماجدٍ[3]

قريةٌ صغيرةٌ ، كانتْ ولايتُها لِلشَّيخِ عبودٍ أو عبدِ ٱللهِ ، كلُّ ذلكَ يقالُ ـ ويلقَّبُ بالقُحُوم[4] مِنْ آلِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ سعيدٍ ٱلعموديِّ ، ولَهُ أَخبارٌ عجيبةٌ ، وأَشعارٌ علىٰ لسانِ ٱلعامَّةِ جزلةٌ طريفةٌ ، مِنها قولُهُ :

عينـي وجيعـهْ يـا أَهْـل لَيَّـاتِ الظَّـرَفْ   وانكِـزْ وَجَـعْ عينـي وَقِـعْ مِـنْ يَـدِّي

وِانَّ القبيلـي قِـرْش لمَّـا يضطِـرِفْ   إِذا اضْطَـرَفْ ضـاعـت عليـه العَـدِّي

وقد وازنتُ في « ٱلأَصلِ » بينَ هـٰذا وشعرِ لِسيِّدِ أَهلِ ٱلوَبَرِ قيسِ بنِ عاصمٍ المنقري[5] . . فرَجَحَ هـٰذا .

---

(١) ثقفٌ لقفٌ : ذو فطنة وذكاءٍ ، واللَّقِف : الَّذي يفهم الكلام بسرعة ويحفظه .

(٢) النَّحيزة : الطَّبيعة .

(٣) قرن ماجد : في الجانب الشرقي على مقربة من خديش ، ومن سكانها : آل القحوم العمودي ، وآل باريان ، وآل بانوير ، وآل بايوسف ، وآل باوجيه (عمودي) .

(٤) الشيخ عبود القحوم العمودي كان أميراً على قرن ماجد ، وكان شاعراً مجيداً ، فقيهاً عالماً ، طلب العلم في مكة المكرمة ، وصحبه الشيخ عبد الله بن أحمد باشميل ـ الآتي ذكره في العرسمة ـ والجمعدار عبد الله بن علي العولقي ، ذكر ذلك في « الشامل » (١٩١) ، توفي سنة (١٢٩٦هـ) .

(٥) هو قيس بن عاصم بن سنان المنقري السَّعدي التميمي ، أحد أمراء العرب وعقلائهم ، كان شاعراً ، اشتهر وساد في الجاهلية ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضمن وفد تميم ، ومات سنة=

ومِنْ محاسنِ شِعرِهِ ، وبعضُهُم يرويهِ لِغيرِهِ :

الهَــرْج لــه شــوكــةْ ولــه ميــزانْ قِــدَّام مــا يَخْــرُجْ مــن الحَلْقُــوم
وِ اَلِّـي خَـرَجْ شَـاهِـدْ علـى الإنسـانْ مثـل الظَـرَفْ لـي قَـابَـلَ التَّبْشُـوم

و(ٱلتبشومُ) : هوَ ٱلبارودُ ، يكونُ في أَسفلِ ٱلبندقِ . و(ٱلظَرَفُ) : نابُ ٱلفتيلةِ ٱلمشتعلةِ ، إذا لاقتِ ٱلبارودَ . . ٱندفعَ وصاحتِ ٱلبندقيَّةُ(١) .

ومنهُ قولُهُ في وصيَّتِهِ لابنه :

يَـا ٱللهُ يَـا رَبَّـاهُ يَـا جَـزْلَ ٱلْعَطَـا عَبْـدُكَ دَعَـاكْ
خَائِفْ رَهِينُ ٱلذَّنْبِ رَاجِي مِنْ قِبَلْ جُودِكْ فِكَاكْ

إلى أَن قال :

اَلشِّـدَّةَ ٱلشِّـدَّةْ بِهَـا طُـولَ ٱلْمَـدَىٰ عَـامِـلْ عِـدَاكْ
وَلاَ يِرُوعَكْ فَشَل فِي ٱلْوَقْتِ ٱلْعَصِبْ يَهْدِمْ بِنَاكْ
وِأَنْ بَاتِخُوضِ ٱلْمَاءْ تُوَحِّ ٱلْغُوْطِ قَدِّمْ لُهْ عَصَاكْ(٢)
وَٱدْفَـعْ بِمَيْسُـورَكْ وَلاَ تِكْـرَهْ إذا ٱلطَّـارِشْ ضَـوَاكْ(٣)

= (٢٠هـ) ، وفيه قال صلى الله عليه وآله وسلم : « هٰذا سيد أهل الوَبَر » .
« الأعلام » (٥/٢٠٦) .

(١) هٰهنا نذكر بعض القرى والمواضع التي لم يذكرها المصنف . . حسب ورودها في « الشامل » . . فذكر بين غيل بلخير ويضه :
ظاهر : فيه البابطين ، والبازيح ، والبانُوَير ، وهو بالجانب القبلي ، ، وهٰذه القبائل كلها من نوَّح .
عرض باسويد : فيه آل باسويد .
مطروح : فيه المشايخ آل باجمّال ، والقُثَم ، وآل عفيف ، وباسويد ، وباجنيد ، وبانبيلة ، وباوادي ، والحداد (آل الحداد . . وهم غير آل الحداد العلويين) .
الجبيل : تقدم ذكرها .
قارة بافنع فيها : آل بافَنَعْ ، ثم حصن باعبد الصمد : فيه آل خرد ، آل باشَوِيَّة .

(٢) **توَحَّ الغوط** : استكشف مدى عمقه بغرز العصا فيه .

(٣) **الطارش** : الضَّيف . ضواك : أتاك مساءً .

وأَهْلُ قرنِ ماجدٍ يغضبونَ إذا قيلَ : (ٱتقوا الله) ، وسببُ ذلكَ أَنَّهُ كانَ لواحدٍ عِلْب ـ وهوَ شجرةُ ٱلسِّدر ـ في جربةِ أَحدِهم ، فعرضَ عليهِ فيهِ أكثرَ مِن قيمتِهِ . . فٱمتنعَ ، فلم يكن إلاَّ أَنْ سرىٰ بأَهلِ قريتِهِ فٱجتثُّوهُ مِنْ أَصلِهِ وٱحتملوهُ ، ولم يتركوا لهُ أَثراً ـ لا ورقةً ولا غيرَها ـ ثمَّ أَثاروا ٱلأَرضَ مِنْ ليلتهم ، ولمَّا جاءَ صاحبُهُ . . تحيَّرَ في أَمرِهِ وٱندهشَ في نفسِهِ وٱختلجَ في عقلِهِ ، وظنَّ أَنَّ بصرَهُ كذَبَهُ ، ثمَّ صاحَ : (اِتَّقُوا ٱللهَ يا أهلَ قرن ماجدٍ ، أينَ علبي؟) ، فصاروا يغضبونَ مِن ذلك .

وأَمَّا ٱلوادي ٱلأَيسرُ : فأَوَّلُهُ علىٰ يمينِ ٱلدَّاخلِ إليهِ :

ٱلعَرْسَمَة[١]

وهيَ مِنْ كبرياتِ قُرى ٱلوادي ٱلأَيسرِ ، كانَ بها ناسٌ من آلِ مُقَيبِلٍ[٢] ، منهُمُ : ٱلإمامُ ٱلفاضلُ ٱلمجذوبُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَبي بكرٍ مُقَيبل[٣] ، ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (١١٩٥هـ) .

ومنها : آل باشِميل ، كانوا مشهورين بٱلعلمِ وٱلصَّلاحِ ؛ ومنهم : ٱلقاضي ٱلمشهورُ أَحمدُ بنُ محمَّدٍ شميلٍ ، له فتاوىٰ مفيدةٌ جامعةٌ ، يُقال : إنَّها عندَ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ سعيدٍ باجنيدٍ .

---

(١) بفتح العين وسكون الراء ، ثم فتحتين ، وهي في الجانب القبلي ، وحولها شعاب ؛ منها ذلّوت ، وشعب الغبرا ، وشعب كحيلا ، وشعب الأوسط .

(٢) آل مقيبل ـ تصغير مقبل ـ وهم : منسوبون للسيد الشريف أحمد مقيبل ابن علوي الأعين ابن عبد الله بن علوي بن محمد مولى الدويلة . . . إلىٰ آخر النسب ، وهو من أهل القرن العاشر ، توفي ابنه عمر شريف سنة (٩٩٦هـ) بتريم ، وعلوي سنة (٩٩٩هـ) ، ومن أبنائه أيضاً : عبد الله ، توفي كإخوته بتريم ، وزين ، توفي بالشحر ، وله بها عقب .

(٣) ترجم له في « الشجرة العلوية » : كان إماماً فاضلاً ، وشريفاً ناسكاً ، مجذوباً ولياً تقياً صالحاً صوفياً ، له هيبة عظيمة ، وكرامات جسيمة ، توفي بالعرسمة من وادي دوعن الأيسر ، يوم الجمعة (٢) رجب سنة (١١٩٥هـ) ، ذكره في « فيض الأسرار » اهـ

وقد أفرده بالترجمة الشيخ أحمد باشميل بكتاب سماه : « النفحات السرية البهلوانية والنفثات البلهية البليانية في ترجمة السلالة الهاشمية والبضعة النبوية » تقع في (١٢٨) صفحة (مخطوطة) ، صنفها سنة (١٢٢٢هـ) .

ومنهم : ٱبنُهُ عبدُ ٱللهِ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ شميلٍ ، لهُ رسالةٌ في ٱلحراثةِ ذاتُ فصولٍ ممتعةٍ ، توفِّيَ سنةَ (١٣٠١ هـ) .

ومنهم ـ ٱلآنَ ـ سعيدُ بنُ عبدِ ٱللهِ شميل ، طلبَ ٱلعلمَ بتريم ، وهوَ ٱلآنَ مُعَلِّمُ مسجدِ العرسمة والمُدَرِّسُ بها .

وفيها : آلُ باخَشَبٍ منهم : ٱلمكرَّمُ محمدُ بنُ بوبكرٍ باخشبٍ[١] ، لهُ تجارةٌ واسعةٌ ، بأفريقيا وأوروبا وأميركا ومصر والحجاز ، وتصرُّفٌ في فنونِ ٱلأعمالِ ، وٱتِّصالٌ بأعاظمِ الرِّجالِ ، ووجاهة ظاهرةٌ لدى ٱلملوكِ فمن دونَهم ، وشممٌ يبسطُ كفَّهُ في معالي ٱلأمورِ إلىٰ حسنِ طريقةٍ ، وصفاءِ طبيعةٍ ، وسعةِ صدرٍ ، وكرمِ نفسٍ ، وصلةِ أرحامٍ ، وإعانةٍ علىٰ نوائبِ ٱلحقِّ . إلاَّ أنَّني أخافُ عليهِ ٱندفاعَهُ في ٱلمروءةِ مَع ٱنتشارِ ٱللُّؤْمِ ، وتراذلِ ٱلزَّمانِ ، وٱلنَّاسُ ما ركبوا ظَهراً إلاَّ أدبروهُ ، ولا جواداً إلاَّ عقروهُ ، وأكبرُ مؤَرقيهِ وأعوانهِ علىٰ جلائِلِ أعمالِهِ بلديُّهُ الشَّيخُ سالمُ عُبُودٍ بَلَّعمشٍ[٢] ، وهوَ شابٌّ نشيطٌ لهُ يقظَةٌ حاضرةٌ ، وذكاءٌ غالبٌ ، وتبصُّرٌ في ٱلآراءِ ، ونسيمٌ خفيفٌ ، وكفايةٌ تامَّةٌ ، تزيِّنُها بسطةٌ في ٱلجسمِ ، وشِدَّةٌ في ٱلأَسرِ ، وحُسنٌ في ٱلبيانِ[٣] .

---

(١) محمد أبو بكر عبد الله باخشب ، ولد بالعرسمة ، وتوفي بجدة سنة (١٣٨٨هـ) أو (١٣٩٠هـ) . يعد من المساهمين الأساسيين في إنشاء جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، إذ إنه في عام (١٣٨٦هـ) قدم تبرعاً بمبلغ مليون ريال سعودي ، ويعد هـٰذا المبلغ كبيراً جداً بمقياس ذلك الوقت ، وتقديراً لهـٰذا فقد أطلقت الحكومة السعودية اسمه على أحد الشوارع الكبرىٰ بقرب الجامعة في مدينة جدة .

(٢) توفي الشيخ سالم عبود بالعَمَش بـ (جدة) سنة (١٣٩٦هـ) ، وهو كما ذكر المصنف من أهل الفضل والمعروف ، وفي « الشامل » : أن آل بالعَمَش كانوا في الأصل بـ (هينن) .

(٣) لم يذكر المصنف هنا سوى آل باخشب ، وآل بالعمش ، واختصر جداً كما فعل في بقية قرى الوادي الأيسر ، ربما لأنه لم يجد مسعفاً بالمعلومات . ومما يذكر في تاريخ العرسمة كما في « الشامل » : أن حلفاً قام بها بين خمس بيوت من بيوتاتها ، وهذه البيوت هي : آل باشميل ، وآل باجخيف ، وآل بالعمش ، وآل باحسن ، وآل بازعزوع . هؤلاء هم الأحلاف .

وتقدم ذكر آل بالعمش وباخشب ، وأما آل باجخيف فكانوا أهل زراعة وحرث ، ولهم عناية بزاوية شهيرة عندهم ، تسمى : زاوية الغزالي ، وقد قام بعمارتها منهم الفاضل الشيخ علي بن أحمد بن عبد الله باجخيف في سنة (١٣١٣هـ) ، ولا زالت معمورة إلى اليوم . =

. . . .

= وأما آل باشميل : فهم من الأسر الشهيرة ، العلمية ، والمآثر الدينية ، وظهر فيهم رجال كانوا مفخرة لـ(دوعن) ولـ(حضرموت) ؛ كالشيخ العلامة الفقيه : أحمد بن محمد باشميل الآتية ترجمته .

وفي « الشامل » : أن آل باشميل قدموا من العَبر ، وهم من قبيلة معضّة ـ بالضاد أو الظاء مشددة ـ من قبائل الأزد القحطانية ، والشيخ أحمد باشميل ـ القديم ـ كان ينسب نفسه إلى معضّة حيناً ، وإلى الأزد حيناً آخر كما صنع في بعض مصنفاته ، ولنذكر أعلامهم :

الشيخ أحمد بن محمد بن علي باشميل ، من أهل القرن الثالث عشر الهجري ، لم يؤرخ أحد لمولده ولا لوفاته ، ولكنه أدرك السيد عبد الله مقيبل صغيراً .

أخذ عن عدد من علماء دوعن وسيئون وتريم ومكة المكرمة ؛ منهم الحبيب عمر البار مولى جلاجل ، والحبيب عمر بن سقاف ، والحبيب عمر بن زين بن سميط شيخ شيوخه ، والحبيب جعفر بن محمد العطاس صاحب (صبيخ) .

وله ولدان : محمد وعبد الله . وكلاهما عالم فقيه ، وأشهرهما عبد الله ، الذي طلب العلم بـ(مكة المكرمة) بعد أن قرأ وتفقه على والده ، وتولى القضاء في الأيسر مدة ، وله أخبار وحكايات تروى ، وكان يرافقه في طلب العلم بـ(مكة) الجمعدار العولقي ، والشيخ القحوم المتقدم ذكره قريباً في قرن ماجد ، كما في « الشامل » ، توفي سنة (١٣٠١هـ) ، ومن الآخذين عنه : الحبيب طاهر بن عمر الحداد .

ومن آل باشميل : الشيخ محمد باعلي الفقيه باشميل ، المتوفى (١٣٨٦هـ) ، والشيخ سعيد بن عبد الله بن سعيد الفقيه باشميل ، المتوفى سنة (١٣٩٠هـ) تقريباً ، وكلاهما كان من أهل العلم ، درسا على يد السيدين العالمين عبد الله وعلوي ابني طاهر الحداد ، وتغربا في جاوة .

هذا وفي العرسمة مساجد ؛ منها : مسجد الذماري ، ينسب للشيخ العلامة عبد الله بن محمد الطيار ابن عثمان بن عمر مولى خِضَمّ ابن محمد ابن الشيخ سعيد العمودي ، المتقدم ذكره ووفاته في صيف ، وسمي بالذماري لموته بـ(ذمار) ، مدينة مشهورة بـ(اليمن) .

وفي العصر الحاضر بني مسجد جامع بها هو مسجد خالد بن الوليد بناه الشيخ حنتوش رحمه الله تعالىٰ .

تتميم :

ويأتي في الشق الشرقي تجاه العرسمة :

عقبة حليّه ـ بكسر اللام وتشديد الياء ـ ومنها تتفرع الطرق إلى المكلا ووادي العين .

وبعد العرسمه حصون متفرقة ، منها حصن الريضة للبابلغيث (حالكي) ، وهو تجاه قارة الدخان ، ولهم حصن فوق ساقية الطفله أسفل القارة المذكورة .

قارة الدخان : في الجانب الشرقي ، وهي قارة منفصلة عن الجبل الشرقي ، بجانب عقبة حلية =

جَحْيُ ٱلخَنَابِشةِ

وهوَ قريةٌ للخنابشةِ ٱلآتي ذروٌ مِن أَخبارِهم في آخرِ قيدونَ ؛ منهم ٱلآنَ : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ سعيدِ بنِ سالمٍ ٱلخنبشيُّ ، مضيافٌ ، وله مروءةٌ .

وفيها ناسٌ مِنَ ٱلسَّادةِ آلِ مقيبل ، منهم : ٱلسَّيِّدُ الغريبُ ٱلحالِ ، ٱلطَّاهرُ ٱلبالِ : عبدُ ٱللهِ بنُ أبي بكر ٱلملقَّبُ بٱلنوَّامِ ، لكثرة نومِهِ ، حتَّىٰ إنَّهُ لينامُ علىٰ حمارِهِ ويسقطُ ولا يشعرُ .

وله أَحوالٌ شريفةٌ ؛ منها : أَنَّهُ تُذُوكِرَ إِشراقُ ٱلنُّورِ عندَ تلاوةِ ٱلقرآنِ وٱلصَّلاةِ على ٱلنَّبيِّ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ . . فقالَ : هل ينكرُ ذلكَ أَحدٌ؟! فقالَ ٱلحاضرونَ : هل تقدرُ أن تُرِيَنا ذلك؟ قالَ : نعم ، فتوضَّأَ وصلَّى ركعتينِ ، ثمَّ أَمرَهم بإطفاءِ ٱلسُّرُجِ ـ وكانَ ٱلوقتُ ليلاً مظلماً ـ وشرَعَ يقرأُ : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ ، فأَشرقَ المنزلُ بمثلِ ضياءِ ٱلشَّمسِ ، فَبُهتَ ٱلحاضرونَ ، ولمَّا ٱنتهى ٱلخبرُ إِلى ٱلعلاَّمةِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ هادونَ بنِ أَحمدَ ٱلمحضارِ . . قال لآلِ مقيبلٍ : لا تلوموا صاحبَكم علىٰ شربِ الدُّخَانِ ؛ وإِلاَّ . . أَوشكَ أَن يطيرَ عنكم .

وله مراءٍ صادقةٌ ؛ منها : أَنَّهُ ٱنتبه مرَّةً منزعجاً يقولُ : قتلوه ، قتلوه . . فجاءَ ٱلخبرُ بمقتلِ سليمِ بنِ عيبانَ بٱلقوينصِ ٱلسَّابقِ ذكرُ خبرِهِ في ٱلكَسرِ في تلكَ ٱلسَّاعةِ .

ومن آلِ مقيبل بالجحيِ ٱلآنَ : ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ علويٍّ مقيبلٍ .

ومِنها : ٱلشَّيخُ سعيد باحِفْظ ٱللهِ ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ في ٱلرَّشيدِ ، وكانَ يُحبُّ ٱلخيرَ ، وهوَ ٱلَّذي بنىٰ جامعَ ٱلجَحْيِ ، ولَهُ في ٱلقراءات إِتقانٌ بديعٌ ، ومعرفةٌ جيِّدةٌ ، وهوَ صاحبُ

= شمالاً ، وفي جوانبها وأعلاها أساسات ديار تدل على أنها كانت بلداً كبيرة ، وفي أسفلها ، جوابِ عديدة لخزن الماء .

وفي الجانب القبلي بسفح الجبل : كُوكه ، وتقدم الكلام عنها .

وبعدها بقليل يلتقي مجرى الوادي الأيسر ومجرى وادي دوعن الأيمن .

ثم مخرج وادي فيل بالجانب الشرقي .

ٱلتَّاريخِ ٱلَّذي أَخذَهُ باصرَّة ولَم يردَّهُ ، توفِّيَ بعدَ ٱلثَّلاثِ مئةٍ وٱلفِ .

ومِنها : صاحبُنا ٱلفاضلُ ، ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ سعيدِ باجُنيدٍ ، طَلَبَ ٱلعِلْمَ بمكَّةَ ، وولِيَ قضاءَ دوعنَ وٱلمُكَلاَّ عدَّةَ مرَّاتٍ ، ودرَّسَ مدَّةً طويلةً بمسيلَةِ آلِ شيخٍ ، وكانَ في سنةِ (١٣٢٥هـ) بحوطةِ آلِ أَحمدَ بنِ زينِ ٱلحبشيِّ يُدَرِّس بها ، ولهُ باعٌ في ٱلفقه ، وبضاعتُهُ مُزجاةٌ في ٱلنَّحوِ ، ومعَ ذلكَ فقد دَرَّسَ فيهِ بٱلحوطةِ ، وكانَ ليِّنَ ٱلعريكةِ ، سهلَ الجانبِ ، عَذْبَ ٱلرُّوحِ ، دَمِثَ ٱلأخلاقِ ، واسعَ ٱلصَّدرِ ، توفِّيَ بٱلجحي سَنةَ (١٣٥٩هـ) ، ولَهُ ولدٌ ٱسمُهُ محمَّدٌ ، تولَّى ٱلقضاءَ بٱلمُكَلاَّ ، وكانَ طَلَبَ ٱلعِلْمَ بمصرَ ، ثمَّ فُصِلَ عن قضاءِ ٱلمُكَلاَّ وجُعِلَ مِنْ أَعضاءِ ٱلاستئنافِ بها .

وآلُ بَاجنيدٍ منتشرونَ في رحابٍ وهدُونَ وٱلجَحي وٱلمُكَلاَّ وعدن وٱلحجازِ ، ومثراهم بٱلخريبةِ ، حتَّىٰ لقد رُوِيَ عنِ ٱلحبيبِ حامدِ بنِ أَحمدَ ٱلمحضارِ أَنَّهُ قَالَ : دخلتُ ٱلخريبةَ . . فإذا عالِمُها : باجنيدٍ ، وقاضيها : باجنيدٍ ، وتَاجِرُها : باجنيدٍ ، ودلاَّلُها : باجنيدٍ ، وقصَّابها : باجنيدٍ ، ونجَّارُها : باجنيدٍ ، وسائرُ أَعمالِها بأيدي آلِ باجنيدٍ .

وكانتِ ٱلخريبةُ أَوْلَىٰ بأَخبارِهم ، ولـٰكنَّها تدحرَجَت علينا إلىٰ هنا ، ومنهم اليوم بعدن ٱلشَّابُّ ٱلغيورُ عبدُ ٱللهِ بنُ سعيدِ بن بوبكر بنِ عبدِ ٱلباسطِ ، لهُ دِينٌ متينٌ ، وٱهتمامٌ بأَمرِ ٱلمسلمينَ ، وأَخوهُ ٱلمُكَرَّمُ محمَّدٌ ، وٱبنُ عمِّهمُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلقادرِ ، وٱلشَّيخُ جنيدُ بنُ محمَّدٍ ، وكلُّهُم طيِّبونَ مشكورونَ .

ومنهمُ : ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ أَبي بكرٍ باجنيدٍ ، ٱلغني بٱسمه عن كلِّ تعريفٍ وهوَ أَحدُ أَكابرِ علماءِ مكَّةَ ٱلمُشرَّفةِ ، بل إليهِ ٱنتهت رئاسةُ ٱلشَّافعيَّةِ بها بعدَ شيخهِ ٱلعلاَّمةِ ٱلشَّيخِ محمَّدٍ سعيدِ بَابُصيل ـ وقد أَخذنا عن ٱلاثنينِ ـ توفِّيَ ٱلشَّيخُ عمرُ بمكَّةَ ٱلمكرَّمةِ سنة (١٣٥٤هـ) ، وقد سَبَقَ في ٱلخريبةِ عن ٱلحبيب أحمدَ بنِ محمَّدٍ ٱلمحضارِ ما يُصرِّحُ برجوعِ نسبهم إلىٰ مُضَرٍ .

ومن ٱلنَّوادِرِ : أَنَّ ٱلشَّيخَ سعيدَ بنَ بوبكر باجنيدٍ عملَ للفاضلِ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدِ ٱلمحضارِ ضيافةً بدارِهِ في ٱلخريبةِ سنةَ (١٣٣٧هـ) ، وما كادَ يستقرُّ بهِ ٱلمجلسُ

حتَّىٰ قالَ لهُ : خَبِّرونا عن نسبِكُم إلىٰ مَن يرجعُ يا آل باجنيدٍ ، إلى ٱلحبوشِ أَو ٱلسَّواحليَّةِ؟ فلم يزدِ ٱلشَّيخُ سعيدٌ علىٰ أَن قالَ لَهُ : هـٰذا جزاؤنا لمَّا زوَّجناكَ وضيَّفناك .

هـكذا أَخبرني ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ أَحمدَ باسَودانَ ـ وكان حاضراً ـ ولو أَنَّ ٱلشَّيخَ سعيدَ بنَ أَبي بكرٍ حفظَ شعرَ ٱلحبيبِ أَحمدَ ٱلمحضارِ ٱلسَّابقِ في ٱلخريبةِ. . لرماهُ بحجرِه .

ثمَّ يأتي من قرى الوادي الأيسر عَرْض بَاقَار[1] . ثمَّ عَرْض باهَيْثَم[2] . ثمَّ ٱلجَدِيدةُ[3] . ثمَّ جِرَيف[4] ، وهيَ قرىً صغيرةٌ كما يُعرَفُ مِنَ ٱلإِحصاءِ ٱلآتي .

ومِن جريفٍ : ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ شيخٍ وولدُهُ علويٌّ ، فاضلانِ جليلانِ .

ثمَّ صُبَيخ[5] ، وهيَ قريةٌ واسعةٌ ـ كما يُعرَفُ مِنَ ٱلكشفِ ـ وفيها ٱلسَّيِّدِ ٱلجليلُ

---

(١) ويسكنه آل باقار ، وهم من بني حسن السابق ذكرهم في المكلا ، وفيه أيضاً : عكابرة ، ويقال : إنه كان في هينن قبيلة من آل باقار .

(٢) وفيه : آل باهيثم وآل بَلَّعْجَم : نزحوا إليها من هينن .

(٣) وفيها : آل باحاذق ، وآل باسليمان ، وآل بايعشوت ، وآل باغزال ، ومنهم العالم الفقيه ، القاضي الشيخ : عمر باغزال ، من تلامذة السيد العلامة محسن بونمي ، يسكن الشحر الآن .

(٤) بكسر الجيم وفتح الراء ، فيها سادة من آل باصرة ، وفيها آل باهبري ، وآل بابقي ـ ومنهم جماعة في القرين ، وآل بَالَّحْمَر ، بتشديد اللام ـ وجماعة من الحالكة والخنابشة ، وجماعة من آل العمودي ، وباسويد . وبها سادة من آل باصرّة ؛ منهم : السيد محمد بن شيخ ، وابنه علوي ، فاضلان . وآل باهبري حالكة من سيبان ، وكانت لهم أحداث وحركات في التاريخ الحضرمي ، وفي « تاريخ شنبل » ذكر لبعض تلك الحركات ؛ منها إغارتهم سنة (٩٣٧هـ) على الشحر .

(٥) تقع صبيخ في الجانب الغربي للوادي الأيسر ، ويتصل بها من الشمال ساقية البلد وشروجها ونخلها ومالها . ولها تاريخ قديم .

ومن جملة سكانها من آل العمودي : آل باطويل ، وآل باصقر ، وآل المخشّب ، ومن أعيان هـٰؤلاء : الشيخ الفقيه أحمد بن محمد العمودي .

ومنهم : الشيخ محمد بن أحمد المخشّب العمودي . ومنهم : الشيخ الفقيه النجيب : سعيد بن أحمد باصقر العمودي .

ومن آل العمودي أيضاً بها : آل باعمر ، وآل بوبكر ، وبها من غيرهم : آل بايسر ، وآل باكوّاسه ، وآل مدهش ، وآل باحرزي ، وبابكور ، وباعويدين ، وباكُلْكَا .

ومن آل باكلكا : الشيخ الفقيه القاضي سعيد بن سالم بن سعيد باكُلْكَا ولد بصبيخ سنة =

جعفرُ بنُ محمَّدٍ ٱلعطَّاسُ ، أَحَدُ تلاميذِ ٱلعلاَّمةِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ وزوجُ إِحدىٰ بناتهِ[1] ، وقد سبقَ ذِكْرُ ولدِهِ محمَّدِ بنِ جعفرِ بغيلِ باوزيرٍ .

وكانت صبيخٌ مهدَ عِلْمٍ ومغرسَ معارفٍ حتَّىٰ لقدِ ٱجتمعَ فيها أَربعونَ عذراءَ يحفظنَ « إِرشادَ ٱبنِ ٱلمُقري » .

وأَكثرُ سكَّانِها مِن آلِ ٱلعموديِّ ، ومِنهمُ ٱلشَّيخُ ٱلوقورُ محمَّدُ بنُ أَحمدَ ٱلمخشّبِ ، لهُ مساعٍ مشكورةٌ في إِصلاحِ ذاتِ ٱلبينِ ، وقد تزعَّمَ حركةَ ٱلإِصلاحِ في وادي ٱلأَيسرِ لمّا ٱشتدَّ عليهمُ ٱلجورُ مِن أَيَّامِ ٱلوزارةِ ٱلمحضاريَّة ، وكانَ ٱلشَّيخُ سالمُ عبودٍ بلَّعمشٍ يساعدُهُ ، وهوَ لسانُهُ وقلمُهُ ، وصلاَ معاً إِلىٰ سيئونَ وأَقاما بها نحواً مِن (١٨) يوماً للمفاوضةِ معَ ٱلمستشارِ .

وكانت صبيخٌ تحتَ سلطةِ ٱبنِ خالدٍ ٱلعموديِّ ، وكانَ مضربَ ٱلمثلِ في ٱلجورِ وٱلظُّلمِ حَسَبَما في « ٱلأَصلِ » ، وفي ذلك يقولُ شاعرُهم :

يَـا نُـوْب زنحـي عـامِـدِ الحَيْـد البـرَقْ ... عـامِـدْ فِـي الغُـرفـهْ وهـيْ محميّـه

لا شـيْ عسـل مِنُّـهْ ولا هـو ذي فَـرَقْ ... يــرعــى علــوب النــاس بــالغصبيّــه

فأَجابَهُ بادحدحٍ بقولِهِ :

الـدِّبْـر والعِثَّـةْ يجيبـه بـالمـدىٰ ... والطيـرْ لَخْضَـرْ بـايجيبُـهْ بـالـدوامْ

البُطْـل مـا لُـهْ تَـالِيْـه خـاليـةْ ... لا عُـذر مـا تِمسـي جُبـوحُـهْ هُـوْ والحـرامْ

و(الدبر) : معروف[2] . و(العِثّة) و(الطير الأخضر) : آفات النُّوْب[3] .

= (١٣٠٨هـ) ، وتوفي بالطائف سنة (١٣٧٥هـ) . قدم إلى الحجاز سنة (١٣٢٠هـ) وهو دون البلوغ ، ودرس في الحرم المكي الشريف ، ثم سنة (١٣٥٢هـ) صدر أمر بتعيينه قاضياً بجدة ، ثم تنقل في الوظائف الحكومية حتى استقر في الطائف إلى وفاته . « تاريخ القضاء في العهد السعودي » عبد الله محمد الزهراني (٤/ ٣٠٢) ، « الطائف في عهد الملك عبد العزيز » محمد آل سرور .

(١) توفي الحبيب جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن عمر العطاس بصبيخ سنة (١٢٠٧هـ) ، أفرده بالترجمة تلميذه الفقيه أحمد بن محمد باشميل ، وله ترجمة في « تاج الأعراس » .

(٢) أي : الزنابير .

(٣) النُّوب : النَّحلُ .

ثمَّ قرىً صغيرةٌ[1] .

ثمَّ تَوْلَبَة[2] ، وهيَ قريةٌ متوسِّطةٌ ، بينها وبينَ ضريحِ ٱلشَّيخ عمرَ نحوُ ساعةٍ .

وفي رأسِ ٱلوادي قريةٌ علىٰ قُلَّةِ جبلٍ مقطوعِ ٱلرَّأْسِ مِنَ ٱلجهاتِ كلِّها ، لا طريقَ لَهُ إلاَّ مِنَ ٱلجهةِ ٱلغربيَّةِ في غايةِ ٱلوعورةِ ، تتراءَىٰ ديارُها ٱلغبراءُ ٱلقليلةُ كما تتراءَىٰ طيورُ ٱلقطا ، يقالُ لَها : حَيْدُ ٱلجَزِيل[3] ، مشهورةٌ بزيادةِ حُسنِ عسلِها وهيَ علىٰ مقربةٍ مِنْ ضريحِ ٱلشَّيخِ عمرَ مولىٰ خِضَمٍّ ٱبنِ ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ سعيدٍ ٱلعموديِّ ، ٱلَّذي يُنسَبُ إليهِ وادي ٱلأيسرِ كلُّه ، فيقالُ : وادي عمر ، يعنونَهُ[4] .

وأوّلُ ما يكونُ علىٰ يسارِ ٱلدّاخلِ إلىٰ وادي ٱلأيسرِ : حصنُ ٱلخنابشةِ .

ثمَّ ٱلدُّوفة[5] ، وفيها ٱلسّادةُ آلُ مقيبلٍ ، يرأَسُهُمُ ٱلآنَ : ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ بوبكرٍ وأخوهُ عبدُ ٱللهِ .

---

(1) ومن هـٰذه القرى : حصون باسعد : سكانها آل باسعد ، وبن العُمَر ، وهم حالكة . ودار بامِحْرِز : فيه آل بامحرز وشَرْج آل بَعْسَر : من الحالكة . وجَحي باخطيب : فيه آل باخطيب . والمشْقَعه : فيها آل باوزير . ثم حصون بقشان وخيلة ، سيأتي ذكرها .

(2) وهي في سفح جبل ، تستقبل الشمال والشرق ؛ وبجانبها شعب ، وفيه غيل ، يغرسون فيه بعض البقول . وفيها سادة أشراف من آل باعقيل السقاف ، وولاتها آل محمد بن سعيد العمودي ، ومن سكانها : آل باقادر العمودي ، وآل باقَرْوان ، وآل بايونس ، وآل بازيد ، وآل باحيدان ، وآل بادعم ، وآل بَلْحُمَر ـ بسكون اللام وفتح الميم ـ من الحالكة .

(3) حيد الجزيل : واسمه في « الشامل » : الحيد الجزيل ، قال : (وهو جبل مرتفع ، عليه قرية للمشايخ آل محمد بن سعيد ، وآل باموسى ، وعندهم : باصبان) .

ثم قال أثناء ذكره مجاري الأودية التي تصب في الأيسر : (وإذا انحدرت من قرية الحيد.. كان أمامك المسجد والدار والجابية التي أقيمت لزوار ضريح الشيخ عمر مولى خضم ، وخلف ذلك القبة المقامة على قبره ، وعن يمينك مال الجزيل ، ثم مجرى الوادي... إلخ) .

(4) ترتيب القرى من أعلى الوادي الأيسر هي هكذا : قبر الشيخ عمر مولى خضم ، فحيد الجزيل الذي بأعلاه قرية الجزيل ، فعرض البَلَّحمر ـ من سيبان ـ وهم رؤساء الحالكة ، وتقابله حوفة ، وبين العرض وبينها مسيل شعب الصيقة ، وفي العرض سادةٌ من آل العطاس ، وآلُ البلْحُمَر ، ثم حوفة ، وستأتي . وفي « الشامل » (١٧١ـ ١٧٢) ، تفصيل دقيق للأودية ومسايل الماء التي تنزل من أعلى الوادي الأيسر ، وهي : وادي مراه ، ووادي عقرون ، ووادي صبيخ .

(5) الدوفة : تقع في الجانب الشرقي ، وهي بضم الدال وسكون الواو ، قال صاحب « الشامل » : إن الدوفة الحالية العامرة إنما انتقل إليها سكانها من قرية أخرى قريبة كانت تسمى : المحوّقة ـ بتشديد=

وفيها آلُ ٱلعموديِّ ، ومنهُم : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ عثمانَ[1] ، كانَ ٱلحبيبُ عبدُ ٱللهِ بنُ علويٍّ ٱلحدَّادُ كثيرَ ٱلثَّناءِ عليهِ ، ويقولُ : ما نحنُ مستأمِنينَ بأهلِ ٱلوديانِ إلاّ على ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ عمرَ ٱلعطَّاسِ ، وٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ عثمانَ صاحب ٱلدُّوفةِ . وهوَ مِنْ مشايخِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ صاحبِ ٱلمشهدِ .

ومنهمُ : ٱلعلاَّمةُ ٱلشَّيخُ أحمدُ بنُ عبدِ ٱلرَّحيمِ ٱلعموديُّ[2] .

وفي حدودِ سَنةِ (١٣٦٢هـ) كانَ ٱلنِّزاعُ قائماً بينَ آلِ ٱلعموديِّ آلِ باظفاريٍّ وٱلخنابشةِ علىٰ جريبٍ[3] مِنَ ٱلأرضِ ، مُلكُهُ لآلِ باظفاريٍّ ، ونَشْره[4] للخنابشةِ ،

= الواو ـ وكان بعض سكانها أشراراً قاموا بإحراق بعض القرى ، فشرد الناس منها إلى الدوفة .

وأما سكان الدوفة الحاليين : فمنهم : السادة آل مقيبل ، وآل باصرة ، وقد كان أسلافهم بهينن ، ثم نزحوا إلى الدوفة ، وآل باحسن . وبالدوفة جماعة من المشايخ آل العمودي : آل سعيد ، وآل مشعب ، وآل بَحْمَد العمودي ، والباهمام ، وآل بامقعَيْن ، والباوَهَّاب ، وهم من آل بامقعين ، وآل بامقعين هـٰؤلاء كانوا بهينن ، ثم نقلوا عنها مع سبع قبائل أخرى تفرقوا في القرى ، وبقية الست القبائل : بالعَمْش ، وباحطّاب ، وبن جَحْلان ببلاد الماء ، وباجَعْمان بخديش . . وباريان بقرن ماجد ، وبَلّغْجَم بعَرْض باهيثم .

وبها أيضاً : آل باظفاري ، وباخضر ، وباعُبَاد ، وباحكم ، وباصهي ـ وسيأتي ذكر آل باصهي بشبام ، وآل البحيث من آل باجعيفر ، وآل باسُبْعَيْن ـ مثنى ـ والباطويل وهم غير باطويل العمودي . . وهـٰؤلاء حالكة ، كما أن من آل باعشن بيت يقال لهم : آل باطويل .

(١) تمام نسبه : عبد الله بن عثمان بن أبي بكر بن عمر بن عمر بن محمد بن علي بن أبي بكر بن عبد الرحيم بن أبي بكر بن عثمان بن عمر مولى خضم بن محمد ابن الشيخ سعيد العمودي .

ترجم له العلامة محمد بن زين بن سميط ضمن تلامذة الإمام الحداد ، وأفرده بالترجمة الشيخ أحمد باشميل صاحب العرسمة ، توفي سنة (١١٤٣هـ) ، وهو والد الفقيه العلامة سعيد بن عبد الله الآتي في قيدون ، تنظر ترجمتهما في « الشامل » (١٨٣ ـ ١٨٤) .

(٢) هو الشيخ أحمد بن عبد الرحيم العمودي ، كان من العلماء المتجردين للتعليم ، المشتغلين بالعبادة في مسجد منسوب لجده الأعلى الشيخ سعيد بن عيسى، وله ولع ونهمة بالكتب ونساختها. «الشامل» (١٨٢).

(٣) **الجريب** : وحدة لقياس المساحات ، أصله فارسيٌّ ، وهو عندهم مساحة من الأرض تعادل عشرة آلاف متر مربَّع ، اقتبسه العرب منذ بداية العصر الإسلاميِّ مع اختلاف في المساحة ، واستخدموه في تحديد مساحات الأرض ، وهو عندهم أرض مربَّعة ، طول أحد أضلاعها ستُّون ذراعاً بذراع الملك . وذراع الملك مقداره (٧٥,٧٧ سم) ، وعليه . . فالجريب عند العرب يعادل (١٢٠٠ م^2) . وقد يراد به المزرعة ، ويسمِّيها الحضارمة : الجَرْب ، بسكون الرَّاءِ وفتح الجيم .

(٤) وهو عمارة الأرض بالزراعة بعد إهمالها ؛ أي : إحياؤها ، سواء كانت مواتاً أم غيره . وهي من =

فخرجَ آلُ العموديِّ لحرثِهِ فمنعَهُم أَحدُ الخنابشةِ ، فلَم يُبالوا بهِ ، فأَقبلَ ثلاثةُ نفرٍ مِنَ الخنابشةِ . . لاقاهُمُ اثنانِ مِنْ آلِ العموديِّ ، فاجتلدوا بالعِصيِّ ساعةً ، ثمَّ لَم يَشعرِ النَّاسُ إلاَّ بواحدٍ يُمكِّنُ خنجرَهُ مِن خاصرةِ عُبُودِ بنِ محمَّدِ بنِ العسكرِ العموديِّ ، فكانتِ القاضيةَ .

واختلفتِ الرِّوايةُ ، فقيلَ : إنَّ عُبُوداً هـٰذا مِنَ المشتركينَ في المخاصمةِ على الجريبِ . وقيلَ : إنَّما كانَ مِنَ النَّظارةِ فقط .

وقد طَلَّ دمُهُ[1] ؛ إذ لَم يَتعيَّنِ القاتلُ بالحجَّةِ الشَّرعيَّةِ ، والتُّهمةُ تحومُ حولَ الخنابشةِ واللَّوثُ الشَّرعيُّ ظاهرٌ ، ولـٰكنَّهم إمَّا لا يعرفونَ القسامةَ ، وإمَّا لأَنَّهم لا يَرونَ الأَخذَ بها تشفياً ، وإمَّا لأنَّهم لا يرونَ لها منفذاً .

ثمَّ انحطَّتِ التُّهمةُ علىٰ سعيدِ بنِ سالمِ الخضر . . فأُودعَ السِّجنَ ثلاثةَ أعوامٍ ، ثمَّ أُطلِقَ سراحُهُ ، ولـٰكن! بعدما تغيَّرَ مِزاجُهُ ، وانحرفت صحَّتُهُ ، فلم يَعِشْ بعدَ تخليةِ سبيلهِ إلاَّ مدَّةً يسيرةً .

وكما اختلفتِ الرِّوايةُ في مقتلِ عُبُودٍ . . اختلفتْ في مبدئِهِ ، فقيلَ : إنَّهُ كمثلِ أَخيهِ عثمانَ ، علىٰ رأيِ الإرشاديِّينَ ، وإنَّ لذلكَ مدخلاً في قَتْلهِ .

وقيلَ : إنَّهُ إنَّما كانَ يجاملُ أَخاهُ بالتَّظاهرِ بالإرشادِ ؛ لأَنَّهُ وليُّ نعمتهِ[2] ، وليسَ بالجادِّ فيه .

= المسائل المعمول بها على غير معتمد مذهب الشافعي تقليداً لغيره ، انظر (ص١٦٤) « فتاوى مشهور » : المساقاة .

(١) طَلَّ دمُه : هُدِرَ ولم يُؤخذ بثأره .

(٢) ومن أعيان الدوفة وعلمائها المشهورين : الشيخ الصالح العالم الصوفي عمر بن زيد ، كان من أهل العلم والصلاح ، عاش في القرن العاشر ، قدم إلى تريم للأخذ عن السيد الشريف أحمد بن الحسين العيدروس المتوفى بها سنة (٩٦٨هـ) ، ولازمه وأخذ عنه ، كما ورد في « المشرع » (٢/ ١٢٥) .
الفقيه العارف بالله الشيخ عبد الله بن عمر باعُبَاد ـ بضم العين وتخفيف الباء ـ أخذ عن الحبيب عمر العطاس ، والشيخ علي باراس ، وله مصنف في مناقبهما .

ثمَّ خَيْله[1] ، وهيَ حصونٌ قليلةٌ لآلِ بُقْشانَ ، ومنهُم : أحمدُ وعبدُ ٱللهِ ٱبني سعيدِ بنِ سليمانَ بُقْشانَ ، مِنَ ٱلحالكةِ ، لَهم أشغالٌ مهمَّةٌ بٱلحجازِ ، وٱتِّصالٌ أكيدٌ بحكومةِ ٱلملكِ ٱلجليلِ ٱبنِ ٱلسُّعودِ ، وعليهِم يعتمدُ في كثيرٍ مِنَ ٱلأُمورِ ـ وهم عرضةُ ذلكَ أمانةً وكفايةً ـ وهُم لا يُقصِّرونَ في حملِ ٱلكَلِّ وإعانةِ ٱلمنقطِعِ ، ومساعدةِ ٱلمحتاجِ[2] .

ثمَّ حصنُ باخطيبٍ[3] .

ثمَّ ضَرْي ـ زِنَةُ (جَرْي) ، وهو مصدرُ (جرىٰ) ـ وهيَ مِنْ أكبرِ بلادِ ٱلوادي ٱلأيسرِ ، وفيها آلُ علويِّ بنِ ناصرٍ ، سادةٌ مِنْ آلِ شيخانَ .

وفيها ناسٌ مِنْ آلِ باوزيرٍ وآلِ بالبيدِ وآلِ باسلمٍ ، وناسٌ مِنَ ٱلسُّوقةِ[4] .

وقد بِتنا بها ليلةً في سَنةِ (١٣٦٠هـ) بمنزلِ ٱلمكرَّمِ ٱلشَّهمِ محمَّدِ بنِ عوضٍ ٱليافعيِّ ، في دارٍ جميلةٍ، مؤَثَّثةٍ بٱلأثاثِ ٱلطَّيِّبِ، في دارٍ قوراءَ، جديدةِ ٱلعمارةِ علىٰ أحسنِ طرازٍ[5] .

---

(١) خيله : تقع في الجانب الشرقي ، ويقابلها في الجانب الغربي : حصن بقشان ، وهـٰذه كلها ديارهم ، وهم من الحالكة ، ويعدون من كبار تجار جدّة .

(٢) ومن أكبر الأعمال التي يقومون بها اليوم : شق طريق للسيارات من أعلى العقبة التي على رأس خيله ، وربطها بطريق المكلا ـ رأس حويرة ـ ؛ تيسيراً على المسافرين والقادمين من وإلى دوعن ، وقد بدأ هـٰذا المشروع في مطلع هـٰذا العام الهجري (١٤٢٣هـ) . فجزاهم الله خيراً .

(٣) وهو حصن صغير ، يسكنه آل باخطيب .

(٤) وبها أيضاً : آل بافرج ، وآل باجبيل ، وآل بايماني ، وآل بايسر ، وباداوود ، وآل الرباكي ، وكانت إمارتها وإمارة تولبة لآل بايحيى أو آل بابقي على مافي « الشامل » .

(٥) ومن علماء ضري وأعيانها : العلامة الفقيه المعمر ، الشيخ أبو بكر بن أحمد باحميد ، من الآخذين عن الشيخ الفقيه سعيد بن عبد الله بن عثمان العمودي ، وعنه أخذ السيدان : عبد الله بن طه الهدار ، وطاهر بن عمر آل الحداد . « الشامل » (١٧٣) .

والشيخ الفقيه : حسن بايماني ، قال عنه صاحب « الشامل » : (كان فقيهاً عارفاً بعلم النحو ، وكان خَيِّراً ، حسن الخلق ، بيننا وبينه معرفة ومودة رحمه الله). اهـ وهو من الآخذين عن الشيخ محمد بن عبد الله باسودان ، وأخذ عنه الشيخ أحمد بن عبد الله باموسى العمودي ساكن حوفة .

ثمَّ حُوفةُ[1] ، فيها جماعةٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلجفريِّ[2] .

قالَ شيخُنا ٱلمشهورُ في « شمس ٱلظَّهيرة » [٢/٤٢٨] : (ومنهُمُ ٱلآنَ ـ يعني سَنَةَ (١٣٠٧هـ) ـ : أَحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ أَحمدَ[3] ، شريفٌ متواضعٌ) ، وهوَ جدُّ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ بنِ محمَّدِ ٱلجفريِّ ٱلَّذي يعملُ ٱلآنَ في بير ٱمباركٍ بسيئون لِلْمُكَرَّمِ سالمٍ باحبيشيٍّ ، وهوَ سيِّدٌ لطيفٌ نشيطٌ متواضعٌ ، مُطرِبُ ٱلحداءِ ، جميلُ ٱلصَّوتِ ، يحفَظُ كثيراً مِنَ ٱلقصائدِ ٱلنَّبويَّةِ وٱلصُّوفيَّةِ .

ومنهمُ : ٱلسَّيِّدُ صافي بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ صالحِ بنِ أَحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ صالحِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ مَولى العرشةِ ، ذكرهُ في « شمس ٱلظَّهيرة » وقالَ : (إِنَّهُ ذو جاهٍ وحِشمةٍ وثروةٍ) اهـ

وقد نجع مِن حوفةَ إلى ٱلمدينةِ ٱلمُشَرَّفةِ ، ولم يكن لهُ عملٌ إِلاَّ ٱلإنشادُ علىٰ ضربِ ٱلطَّارِ ، حتَّىٰ ضمَّهُ حفلٌ معَ شيخ ٱلسَّادةِ بها ، وهوَ ٱلسَّيِّدُ ٱلجليلُ عبدُ ٱلرَّحيمِ بنِ سالمٍ ـ ٱلآتي ذِكرُهُ في ٱلسِّلكِ ـ فلم يَرُقْهُ أَن يكونَ علويٌّ قَوَّالاً ، فأَخَذَهُ إلىٰ بيتِهِ وعاتَبَهُ . . فٱعتذرَ بٱلحاجةِ ، فقالَ لهُ : ٱلزم بيتي وأَنا أَكفيكَ ٱلمؤنةَ ، ففعلَ وخدَمَ بنشاطٍ ، فأَحَبَّهُ وزوَّجَهُ مِن بنتِهِ آمنةَ ، ولم يزل معَهُ في حالٍ طيِّبٍ حتَّىٰ جاءَ ٱلأَمرُ مِنَ ٱلسُّلطانِ عبدِ ٱلمجيدِ بٱستقدامِ شيخِ ٱلسَّادةِ هـٰذا ، أَوِ ٱلسَّيِّدِ ٱلمُجمَعِ علىٰ صلاحِهِ وولايتِهِ : عمرَ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلجفريِّ ، للتبرُّكِ بأَحدِهما وٱلصَّلاةِ خلفَهُ ، فلم يرغب في ذلكَ ، ولم يكُن بُدٌّ مِن إجابةِ ٱلطَّلَبِ . . فبعثَ شيخُ ٱلسَّادةِ بختنِه ٱلسَّيِّدِ صافي ، فكانَ لَهُ هناكَ جاهٌ

---

(١) حوفة : تقع في عرض الجبل ، تتجه إلى الجنوب والغرب . سكانها : آل صافي ، آل الجفري ، وآل باصرة ، وآل باموسى (عمودي) ، والباجيل ، والبابقي ، وآل بوزينة ، وآل باشاعر ، وبن سويد ، وباضريس ، وباحبيشي ، وبارويح ، وبامعلم ، وبلْخِرَم حالكة ، وباطرفي ، وباعوض ، وقديماً كان يحكمها بامسعود .

(٢) والسيد عبد الله هـٰذا له عقب بحوفة ، وبمكة ، والمدينة ، وبالهند ، وتريس ، والقنفذة ، وجاوة ، وجفل ، وتاربة ، وسيئون ، وسنغافورة .

(٣) ومنهم ابنه السيد محمد بن أحمد ، كان خطيب جامع حوفة ، فاضلاً متفقهاً ، وابن عمه السيد محمد بن عبد الله ، كان فاضلاً غيوراً ، توفي سنة (١٣٥٢ هـ) . ذكرهما صاحب « الشامل » .

واسعٌ حتَّىٰ إنَّ ٱلسُّلطانَ أَطلقَ يَدَهُ في تُحَفِ ٱلقصرِ ، فكانَ في جملةِ ما أَخَذَ : سِتَّةُ صحونٍ مِنَ ٱلذَّهبِ مرصَّعةٍ بالجواهرِ ، قُوِّمَت في تَركَتِهِ بٱثني عشرَ أَلفَ جنيهٍ .

وبإثرِ رجوعهِ إلى ٱلمدينةِ . . أَمَرَ ٱلسلطانُ عبدُ ٱلمجيدِ بزيادتِهِ ٱلمعروفةِ في ٱلحرمِ ٱلشَّريفِ ، فكانت ٱلنَّفقةُ علىٰ يدِ ٱلسَّيِّد صافي ، فٱبتَنىٰ لهُ عدَّةَ قصورٍ شاهقةٍ ، وتأثَّلَ أَموالاً طائلةً كانَ بها أَغنىٰ أَهلِ ٱلمدينةِ ، إلاَّ أَنَّ ٱلأَيَّامَ تُذَكِّرُهُ بما كَانَ فيهِ أَوَّلاً ، فلم تنبسط يدُهُ في معروفٍ ، ثمَّ لم يُحمَدِ المآلُ بينَهُ وبينَ وليِّ نعمتِهِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱلرَّحيمِ ، فأَبعدَهُ ٱلسُّلطانُ عبدُ ٱلمجيدِ عَنِ ٱلمدينةِ ، ثمَّ لم يقدر على ٱلرُّجوعِ إلاَّ بعدَ ٱنحلالِ دولةِ ٱلسُّلطانِ عبدِ ٱلمجيدِ بعدَ أَن خَرَّفَ وذهبَ أَكثرُ شعورِهِ ، وبها ماتَ عن مئةٍ وعشرينَ عاماً .

وفيها جماعةٌ مِنْ أَعقابِ ٱلسَّيِّدِ عقيلِ ٱبنِ سيِّدِنا عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ ، منهُم : عقيلُ بنُ أَبي بكرٍ .

ومن حوفةَ : آلُ باحُبيشي ، نجعوا إلىٰ أَسمرةَ ، ومن ذرِّيَّتِهم بها ٱلآنَ أَحمدُ وعمرُ وسعيدٌ وسالمٌ بنو عبيدٍ باحبيشي ، لهم تجارةٌ واسعةٌ ، وثروةٌ طائلةٌ ، ومآثرُ كريمةٌ ، منها : مكتبةٌ بنَوها إلىٰ جانبِ جامعِ أَسمرةَ ، جمعوا لها نفائِسَ ٱلكتبِ وأَعزَّ دواوينِ الإسلامِ ، ومِن محاسنِهم إجراءُ عينِ ماءٍ إِلَىٰ حوفةَ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ مِن مكارمِ ٱلأَخلاقِ وجلائِلِ ٱلأَعمالِ ، ولكبيرهم أَحمدَ شجاعةٌ وصرامةٌ وشهامةٌ ، وبُعدٌ عَنِ ٱلذُّلِّ وٱحتمالِ ٱلضَّيمِ ، ولسالمٍ تعلُّقٌ بٱلصُّحفِ وٱلأَخبارِ إلىٰ تواضعٍ عندَ ٱلجميعِ .

وفي حوفةَ جماعةٌ مِن آلِ باضريسٍ ، يتَّفقونَ بٱلنَّسَبِ معَ أَهلِ ٱلغرفةِ ؛ منهمُ ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ عمرَ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ باضريسٍ ، كريمُ ٱلخِيْمِ ، نقيُّ الأَديمِ ، طاهرُ ٱلسِّيرةِ ، أَبيضُ ٱلسَّريرةِ ، نجعَ إِلَىٰ مكَّةَ ٱلمُشرَّفةِ مِن نحوِ سبعٍ وأَربعينَ عاماً ، يحترفُ بٱلتِّجارةِ ، ومعَ ذلكَ . . فقلَّما فاتتهُ فريضةٌ في ٱلمسجدِ ٱلحرامِ ، وعليهِ كان نزولي في سنة (١٣٥٤هـ) ، فبالغَ في راحتي ، وسهرَ علىٰ خدمتي حتَّىٰ كأَنَّني في أَهلي ، فأَسأَلُ ٱللهَ ٱلعظيمَ ربَّ ٱلعرشِ ٱلكريمِ أَن يجازِيَهُ عنِّي بأفضلِ ٱلجزاءِ وأَن يتقبَّلَ ذلكَ منهُ بفضلِهِ وجودِهِ .

وفي حوفةَ كثيرٌ مِن آلِ باعيسى ٱلعموديِّينَ ، وهيَ مقرُّ آلِ بلَّحمرِ ، ومنهمُ : ٱلمقدَّمُ ٱلحاليُّ سعيدُ بنُ عمرَ بلَّحمرِ ، صاحبُ ٱلرِّئاسةِ العامَّةِ علىٰ جميعِ سَيْبَانَ ، وقد فصَّلنا

أخبارهُ في « **ٱلأصلِ** » ويأتي شيءٌ منها في قيدونَ .

وقد سبقَ في دوعنَ أَنْ أَحلنا علىٰ ما هنا في تسميةِ دوعنَ بهـٰذا ٱلاسمِ ، قالَ ٱلطَّيِّبُ بامخرمةَ : (ودوعان مركَّبٌ ؛ فـ (دو) بكلامِ فارس : عددُ ٱثنينِ ، و(عان) ٱلمعدُّ ٱلمرتفعُ مِنَ ٱلأَوديةِ ، وهـٰذانِ ٱلعانانِ أَحدُهُما يمنة وٱلآخَرُ يسرة ، فٱلأَيمنُ مدينةُ ٱلخريبةِ ـ وقد تقدَّمَ ذِكرُها في حرفِ ٱلخاءِ ـ وٱلأَيسرُ مدينةُ ٱلدّوفةِ ، وسيأْتي ذِكرُها في هـٰذا ٱلحرفِ) اهـ[1]

وأَهل وادي لَيْسَر يُنبَزُون معَ مأْثورِ شجاعتِهم بشيءٍ من اللُّيونة في الكلام كآلِ دمُّون الواقعةِ بأَسفلِ حضرموتَ ، قال أَحدُ شعراءِ الأَيسر :

يااللهْ على روس لَيْسرْ من قنيفْ ٱنبطح   تسمع رعوده كما ضفع ٱلبقرْ طَحْ طَحْ

وقد أَغفلنا كثيراً مِنَ ٱلقرى ٱلصَّغيرةِ في ٱلواديين[2] ؛ لقلَّةِ ٱلأَهميَّةِ ، ولـٰكنَّني كلَّفتُ ٱلولدَ ٱلفاضلَ محمَّدَ بنَ سالمِ بنِ حفيظِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ معَ زيارتهِ ٱلأَخيرةِ إِلىٰ دوعن أَنْ يسأَلَ أَهلَ ٱلخبرةِ ويكتبَ ليَ ما يتلقَّاهُ منهُم ، ففعلَ كما تراهُ في ٱلكشفِ ٱلَّذي يلي :

أَسمُ ٱلبلدِ	عَددُ ٱلسُّكانِ بٱلتَّقريبِ	ٱلقبائلُ ٱلسَّاكنةُ مِنْ سادةٍ ومشايخَ وغيرِهم
كُوكه	٣٠	قبائِلُ مِنَ ٱلحالكةِ ، يقالُ لَهم : ٱلبلاغيثُ
خِدَيش	٥٠٠	سادةُ آلِ بروم ، وآلِ ٱلعموديِّ ، وقبائِلُ مِنَ ٱلحالكةِ ، وسوقةٌ وغيرهم .
بلادُ ٱلماءِ	٧٠٠	آلُ بروم ، وآلُ خردٍ ، وآلُ ٱلعموديِّ ، وٱلحالكةُ ، وٱلسُّوقةُ

---

(١) نسبة البلدان (خ ١١٨).

(٢) منها : حصون الحالكة الواقعة حوالي صيف ؛ منها : حصن الشرقي ، وحصن بوحْسَن ، وفيه البوحسن ، فخيذة من الحالكة ، وحصن ابن الزنو ، كان فيه الشيخ سالم بن أحمد بن عبود بن الزنو ، شهم ، كان مرجع الحالكة في بعض شؤونهم .

ٱسمُ ٱلبلدِ	عَددُ ٱلسُّكانِ بٱلتَّقريبِ	ٱلقبائلُ ٱلسَّاكنةُ مِنْ سادةٍ ومشايخَ وغيرِهم
بضَهْ	٣٠٠٠	آلُ ٱلعطّاسِ ، وآلُ خردٍ ، وآلُ ٱلجفريِّ ، وآلُ ٱلعموديِّ ، وٱلسُّوقةُ
حصنُ باعبدِ ٱلصَّمدِ	١٥٠	آلُ خردٍ ، وآلُ ٱلعموديِّ ، وسوقةٌ
ٱلجبيلُ وقرنُ باجندوح	٥٠٠	آلُ ٱلشَّيخِ بوبكرٍ ، وآلُ باقيسٍ ، وقثمٌ ، ونوَّحٌ ، وسوقةٌ
مطروحٌ	٦٠٠	آلُ باجمَّالٍ ، وقثم ، ونوَّحٌ
عرضُ باسويدٍ	١٠٠	نوَّحٌ
ظاهرٌ	٢٠٠	نوَّحٌ
حزمُ آلِ خالدٍ	٢٠	آلُ ٱلعموديِّ
حويبةُ	٢٠	أَخدامُ آلِ ٱلمحضارِ
حَلَبونُ	٥٠٠	آلُ باقيس ، وآلُ باجبع ، وسوقةٌ ، وعبيدٌ
ٱلقويرةُ	٩٠٠	آلُ ٱلمحضارِ، وآلُ باحسينٍ، وآلُ باجبع، وسوقةٌ
ٱلرَّشيدُ	١٠٠٠	آلُ ٱلحَبْشيِّ، وآلُ باناجةَ ، وآلُ بازرعةَ، وٱلخامعةُ
باشعيبٍ	١٥	ٱلخامعةُ
حصنُ باعوم	٧	آلُ باعوم
ذي بحورٍ	١٠٠	مشايخُ يقالُ لَهم : آلُ محسنٍ
ٱلخريبةُ	٣٨٠٠	آلُ ٱلبار ، وآلُ ٱلعطّاسِ ، وآلُ ٱلجفريِّ ، وآلُ باهارون، وآلُ ٱلعيدروسِ ، وآلُ ٱلجيلانيِّ، وآلُ باسَوْدان ، وآلُ باراسٍ ، وآلُ حنشلٍ ، وآلُ باحويرث ، وآلُ باجنيدٍ ، وسوقةٌ

اسمُ البلدِ	عَددُ السُّكانِ بالتَّقريبِ	القبائلُ السَّاكنةُ مِنْ سادةٍ ومشايخَ وغيرِهم
عرْضُ آلِ منصّر	٦٠	آلُ العموديِّ ، وسوقةٌ
حِصْنُ خَشَامر	١	ليسَ فيهِ إلاَّ امرأةٌ واحدةٌ مِنْ آلِ العَمُوديِّ
قَرْنُ باحكيمٍ	٨٠٠	آلُ باحكيمٍ ، وآلُ باحَشْوانَ ، ودارٌ مِنْ آلِ العطَّاسِ ، وسُوقةٌ .
الحُسُوسَةُ	٤٠	آلُ باشَخبلٍ ، وآلُ بامُعَلّمٍ ، وسوقةٌ
حصنُ تنسبه	٠٠٠	فارغ
قُرْحَةُ آلِ باحميشٍ	٢٠٠	آلُ باحَمِيشٍ ، وسوقةٌ
غيلُ باحُكُومٍ	٦٠	آلُ باحكومٍ
قَرْنُ ماجدٍ	١٧٠	آلُ العموديِّ ، وسوقةٌ
غيلُ بلخيرٍ	٢٠٠	آلُ بلخيرٍ ، وآلُ باطرفيٍّ
قارةُ الخَزَبِ	٥٠	آلُ بافنع
خُسُوفَر	١٧٠	آلُ بَغْلف ، وسوقةٌ
حصنُ الجبوبِ	٣٠	قثم
هدُون	٦٠٠	آلُ باشيخٍ ، وآلُ باخشوين مِنْ سيبان ، وسوقةٌ
رحابٌ	١١٠٠	آلُ الجفريِّ ، وآلُ الحَبْشيِّ ، وآلُ باعبدِ اللهِ ، وآلُ شماخ ، وسوقةٌ
القرينُ	١٧٠٠	آلُ البارِ ، وآلُ بلفقيه ، وآلُ بامشموسٍ ، وسوقةٌ
عورةُ	٦٠٠	آلُ باصرَّةَ ، وآل باشنفر ، وسوقةٌ
الشِّقُّ الشَّرقيُّ	٧٠	الخامعةُ مِنْ سيبان
باجاس	٥	مِنْ سيبان

اسمُ البلدِ	عَددُ السُّكانِ بالتَّقريبِ	القبائلُ السَّاكنةُ مِنْ سادةٍ ومشايخَ وغيرِهم
شويطةُ	٥٠	مِنْ سيبان
شَرْقُ وحصْنُ باقعر	٣٥٠	آلُ باسَوْدان وذيابنة ، وآلُ بامقر ، وآلُ بن زيدٍ
حِصْنُ باحَكيمٍ	٠٠٠	فارغٌ
حصنُ المَكْعَمَةِ	١	جنديٌّ واحدٌ فقط
حِصْنُ باصمٍ	٢٠٠	آلُ باصم مِنْ نوَّحٍ
مَنْوَه	٤٠	سوقةٌ
رِبَاطُ باعِشن	٢٥٠٠	آلُ العطَّاسِ ، وآلُ الحامدِ ، وآلُ الصَّافي ، وآلُ باعشنَ ، وآلُ باسُنْدوة ، وسوقةٌ
ليسر العَرْسمة	٧٠٠	آلُ باشميلٍ ، والحالكةُ ، وسوقةٌ
جَحْيُ الخنابشةِ	٤٥٠	آلُ مقيبل سادةٌ ، وآلُ باجُنيدٍ، والخنابشةُ مِنْ سيبان
عَرْضُ بَاقَار	٦٠	آلُ باقار مِنْ قبائلِ بني حسنٍ
عرضُ باهَيْثمٍ	١٠٠	آلُ باهيثمٍ
الجدِيدةُ	٢٢٠	الخنابشةُ
جريفٌ	...	سادةٌ مِنْ آلِ باصرَّةَ ، وآلُ باهبريٍّ ، وسوقةٌ
صُبَيْخُ	١٠٠٠	آلُ العطَّاسِ ، وآلُ العموديِّ ، والحالكةُ ، والخنابشةُ ، وسوقةٌ
حصْنُ بُقْشَان	٧٠	آلُ بُقْشان مِنَ الحالكةِ
المشقعةُ	١٥٠	آلُ باوزيرٍ
حصنُ بَعْسرٍ	٤٠	آلُ بعسر مِنْ سيبان
حصنُ ابنِ العُمَر	٥٠	آلُ باسعدٍ مِنَ الحالكةِ

اسمُ البلدِ	عَددُ السُّكانِ بالتَّقريبِ	القبائلُ السَّاكنةُ مِنْ سادةٍ ومشايخَ وغيرِهم
تَولَبَة	٥٠٠	آلُ باعقيلٍ ، وآلُ العموديِّ ، وسوقةٌ
حَيدُ الجَزيلِ	١٥٠	آلُ العموديِّ
حصنُ الخنابشةِ	٦٠	الخنابشة مِنْ سيبان
الدُّوفةُ	٩٠٠	آلُ مُقَيبِلٍ ، وآلُ جَمَلِ اللَّيلِ ، وآلُ العموديِّ ، والخنابشةُ ، وحالكةٌ ، وسوقةٌ
خيله	١٥٠	الحالكةُ مِنْ سيبان
ضَرْي	٧٠٠	آلُ علويِّ بنِ ناصر ، وآلُ باوزيرٍ ، وغيرهُم
حُوفة وعَرْضُ الحُمْران	١٥٠٠	آلُ الجفريِّ ، وآلُ السَّقَّافِ ، وآلُ المحضارِ ، وآلُ باصرَّةَ ، وآلُ العطَّاسِ ، وآلُ العموديِّ ، وحالكةُ مِنْ سيبان ، وسوقةٌ
خِلَيفُ آلِ باعبُودٍ	٥٠	آلُ العموديِّ

* * *

صِيفْ

هيَ بلدةٌ عجيبةٌ ، يقالُ : إنَّها سُمِّيتْ باسمِ قبيلةٍ مِنْ حِمْيَرَ يقالُ لها : صيفٌ ، كانتْ تَسكنُها في سالفِ الزَّمانِ .

لَها جامعٌ لا يوجدُ مِثلُهُ ببوادي دوعن في حُسْنِ العمارةِ .

وقالَ العلاَّمَةُ السَّيِّدُ أَحمدُ بنُ حُسنِ العطَّاسُ : (إنَّ السَّيِّدَ شَيْخان جمل اللَّيلِ ـ المقبورَ بصيفٍ ـ يغلبُ عليهِ الجذبُ ، وإنَّهُ صلَّىٰ بالنَّاسِ الجمعةَ وسلَّمَ مِنْ ركعةٍ أطالَها ، فقالوا لَهُ : إنَّما صلَّيتَ بِنا ركعةً واحدةً! قالَ لَهم : إنَّما أَهلُ صيفٍ بقرٌ ، والرَّكعةُ عليهِم كثيرٌ) .

ولا إشكالَ في شيءٍ مِن هـٰذا ؛ لأنَّ ٱلحرجَ مرفوعٌ عنِ ٱلسَّيِّدِ شيخانَ بجذبهِ ، ولأنَّهُ لم يُذكَر أنَّ آلَ صيفٍ وافقوهُ على ٱلسَّلامِ مِنَ ٱلواحدةِ ، وٱلسِّياقُ ظاهرٌ في تقطُّعِ جنونِهِ ، وإلاَّ . . لما ٱنعقدت بِهِ مِنَ ٱلبدءِ .

ولِصيفٍ ذِكرٌ في كلامِ ٱلحَدادِ وثناءٌ عَليها ، حتَّىٰ إنَّه هَمَّ بالانتِقَالِ إليها .

ولَها ـ أعني صِيفاً ـ قلعةٌ صعبةُ ٱلمرتقَىٰ ، يَسكنُها ٱلشَّيخُ باعليٍّ ، وهوَ شيخٌ شهمٌ ، رحبُ ٱلجنابِ ، واسعُ ٱلصَّدرِ ، كريمُ ٱلشِّيمِ ، مِنْ ذرّيّةِ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ سعيدِ بنِ عيسى ٱلعموديِّ .

وفيها كثيرٌ مِنْ آلِ ٱلعموديِّ ، وناسٌ مِنْ آلِ جملِ ٱللَّيلِ[1] وجماعةٌ مِنَ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلبَلْخيِّ نجعَ جدُّهم ـ وهوَ ٱلسَّيدُ عمرُ بنُ حسينٍ ـ مِن بَلْخٍ إلىٰ حضرموتَ ، وأقامَ في وادي بن عليٍّ ، وبه توفِّيَ ، ثمَّ تفرَّق أولادُهُ ؛ فمنهم مَنْ سقطَ إلىٰ غرفةِ آل باعبَّادٍ ، ومنهم مَن ذهبَ إلىٰ صيفٍ ، ثمَّ تفرَّقوا في بلادِ اللهِ .

ومنهم ٱلآنَ جماعةٌ بمكَّةَ ٱلمُشرَّفةِ ، وفيها جماعةٌ مِن آلِ باناعمةَ أصلُهم من سيئونَ ، وأوَّلُ مَن سقطَ منهم إلىٰ صيفٍ : ٱلشَّيخُ سالمُ باناعمةَ ، نجعَ إليها بإشارةِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ٱلطَّيَّارِ ٱلعموديِّ .

ومِنَ ٱللَّطائِفِ : أنَّ أحكامَ ٱلعادةِ وٱلأعرافِ ترجعُ في سيئونَ إلىٰ آل باناعمةَ ، ومِن آخرهم بها ٱلشَّيخُ بوبكر بنُ أحمدَ باناعمة ، وقد ٱنتهت في صِيفٍ إلى ٱلشَّيخِ أحمدَ بنِ سالمٍ باناعمةَ . . فأُطلقَ عليهِ لفظُ ٱلعادةِ .

ومن أعقابِهِ ٱليومَ عبدُ ٱللهِ وسالمٌ ٱبنا أحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ أحمدَ بنِ سالمٍ ، يسكنونَ مكَّةَ ٱلمُشرَّفَةَ ، ولهم بها تجارةٌ ومَبرَّاتٌ وصِلاتٌ ، وحظُّ عبدِ ٱللهِ مِنَ ٱلصَّلاحِ أوفىٰ

---

(١) منهم : السيد الفقيه محمد بن علوي باحسن جمل الليل ، طلب العلم بمكة ، ثم صار قاضياً بالليث أو القنفذة .

ومنهم : السيد محمد بن أحمد بن علوي جمل الليل ، ابن أخي السابق ، طلب العلم خارج حضرموت ، ثم عاد إلى صيف ، ودرس على السيد عبد الله بن طاهر الحداد ، وتوفي بالليث سنة(١٣٥٩هـ) ، وهما من ذرية السيد عقيل المتوفى بروغة سنة (١٠٥٩هـ) وهو ابن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحبيب محمد بن حسن المعلم باحسن جمل الليل .

وهوَ مستوي ٱلسِّرِّ وٱلعلانيةِ ، وسالمٌ علىٰ جانبٍ مِنَ ٱلخيرِ ، إلاَّ أَنَّ فيه ما في ٱلنَّاسِ .

وآلُ باناعمةَ ينتسبون بٱلخدمةِ إلى السَّادةِ آلِ ٱلحدَّادِ ، وقد جاءَ في رحلةِ ٱلحبيبِ حسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلحدَّادِ إلى ٱلحجازِ قولُهُ : وقَدَّمنا قَبْلَنا مِنَ ٱلحسيِّسةِ ٱلخادمَ عوضَ بنَ شعيبٍ إلىٰ سيئونَ يُعْلِمُ الأَخدامَ ٱلمباركينَ آلَ باناعمةَ بأَنَّا واصلونَ إليهم .

وسُكَّانُ صيف لا يزيدونَ ٱلآنَ عن أَلفٍ وثمانِ مئةٍ ، وهيَ قُفْلُ دوعن .

ولها ذِكرٌ كثيرٌ في ٱلتَّاريخِ ، وقد رويَ عنِ ٱلشَّيخِ عمرَ بامخرمةَ أَنَّهُ قالَ لبدرِ بوطويرق : (حاذِرْ علىٰ صِيفْ ، شفْ مادوعن الأَ بصِيفْ) في حديثٍ طويلٍ مستوفىً بـ« **الأَصلِ** » ، عليهِ أَثَرُ ٱلانتحالِ .

وكانتْ في ٱلقرنِ ٱلعاشرِ كثيرٌ مِنْ بلادِ دوعن تحتَ حُكمِ ثابتِ بنِ عليٍّ ٱلنَّهديِّ ، وفي سَنةِ (٩٤٥هـ) خرجَ أَهلُ صيفٍ عن طاعتهِ وبذلوا صِيفاً لِلسُّلطانِ بدر بوطويرق ، فأَهداها بدرٌ لِلشَّيخِ عثمانَ ٱلعموديِّ ، ثمَّ ما زالتِ ٱلحربُ سجالاً بينَهُم حَسَبَما في « **ٱلأَصلِ** » .

ومِنْ وراءِ صيفٍ إلىٰ جهةِ الغربِ على نصفِ ساعةٍ . . **بلادُ قيدونَ**[١] .

وفي شرقيِّ صيفٍ مسيلُ ٱلواديَين ٱلأيمنِ وٱلأَيسرِ .

ثمَّ : **فَيْلٌ** ، وهيَ قريةٌ صغيرةٌ يسكنُها آلُ ٱلعموديِّ ، ومنهم ٱلعلاَّمةُ ٱلشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ ٱللهِ باجَمَّاحٍ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (١٣٥٤هـ) ، لهُ مؤَلَّفاتٌ كثيرةٌ ، وأَكثرُ أَخذِهِ في سربايا عنِ ٱلعلاَّمَةِ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ بنِ طه بنِ علويٍّ ٱلسَّقَّافِ ٱلمتوفَّىٰ بسيئون سنة (١٣٢٥هـ)[٢] .

---

(١) وفي جانب صيف الغربي يأتي : شعب الصيق ، وبه نخل وغيل يسقيها ، وتزرع به خضروات ، وأكثره لأهل صيف . وتحت صيف مال ونخل ، ثم الوادي ، وفي الجانب الشرقي مال ، ثم تأتي أموال أحجال ، وتوجد ثمة ثلاثة أسواق ، أكثرها لأهل قيدون .

(٢) وفي وادي فيل : قريةُ فيل ، فيها جملة من الأسر العمودية ، منهم آل فقيه ، والباصمد ، والباجُمَّاح ، آل باربود ، وجرت بين هؤلاء وبين آل بلْحُمَر وقائع ذكر بعضها صاحب « الشامل » .
ومن أعيان (فيل) : =

قَيْدُونُ[1]

هيَ من قُدامى ٱلبلادِ ، وهيَ موطنُ ٱلشَّيخِ ٱلكبيرِ سعيدِ بنِ عيسى ٱلعموديِّ[2] . وهوَ وٱلفقيهُ ٱلمقدَّمُ أَوَّلُ مَنْ سلكَ طريقَ ٱلتَّصوُّفِ بحَضْرَمَوْتَ ، وقد ترجمَهُ غيرُ

= الشيخ عبد الله بن عمر باجُمَّاح ـ بضم الجيم وتشديد الميم ـ المولود بها سنة (١٢٨٣هـ) ، تلقى علومه على يد الشيخ حسن بايماني المتقدم ذكره ، ثم هاجر إلى جاوة ولازم بها عدداً من العلماء ، وقرأ في الهند على الفقيه عمر بن سعيد بن أحمد الخطيب باراسين القيدوني في حيدر آباد ، ومن شيوخه بـ(جاوة) السيد أحمد بن طه السقاف ، وكانت وفاته بعد عودته من جاوة في بلدته سنة (١٣٥٥هـ) . له ذكر في « الشامل » (١٩٢ ـ ١٩٣) ، و« تاج الأعراس » ، ومن تلامذته الأكابر : السيد الجليل الحبيب أحمد بن محسن الهدار ، الملقب بالمحجوب ، المتوفى بـ(المكلا) سنة (١٣٥٧هـ) ، ترجمه في « العقد الفريد » وغيره .

الشيخ محمد بن عبد الله بافيل الدوعني ، ثم المكي ، ولد بقرية فيل سنة (١٢٨١هـ) ، وقدم الحجاز وعمره (٢٠) سنة ، فأخذ عن السيد أحمد زيني دحلان ، وتفقه على يد الشيخ محمد سعيد بابصيل ، وتلميذه العلامة عمر باجنيد ، وغيرهم وكانت له خلوة في جبل قعيقعان ـ جبل هندي ـ في الطريق المؤدي إلى باب العمرة ، وكان يأتي إلى الحرم في الثلث الأخير من الليل ، ويمكث بعد الصبح حيث يعقد حلقته في حصوة باب العمرة ، ولم يزل هكذا دأبه لمدة ثلاثين عاماً ، حتى توفي سنة (١٣٥١هـ) بـ(مكة) ، ولم يخلف أحداً ، وترك بعض الثياب وكتباً وجبة وسجادة وعمامة فقط ، ولم تكن الدنيا له على بال . « سير وتراجم » عمر عبد الجبار (٢٦٦ ـ ٢٦٧) .

وفي العصر الحاضر من أعيانهم الشيخ سعيد بن محمد معنوز بافيل ، نزيل الطائف صاحب أياد بيضاء ومكارم ومروءة وهو من السابقين إلى المكرمات متع الله بحياته .

(١) **قيدون** : من قدامى بلدان دوعن ، وحكمها عدة حكام في الأزمان المتقادمة ، وإنما اشتهر تاريخها وذكرها بعد ظهور الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ، وأول مايقابل الداخل إلى قيدون : الكريف الجديد ، الذي سعى السادة آل الحداد في بنائه وعمارته في سنة(١٣٤٦هـ) ، وجلبوا الماء إلى قيدون من غيل البويردة ، وتفصيل الكلام على ذلك في كتاب « الشامل » .

(٢) الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ، ولد بقيدون في مطلع الست مئة الهجرية تقريباً ، قال في حقه العلامة الشرجي الزبيدي (ت٨٩٣) في « طبقات الخواص » : أحد كبار مشايخ حضرموت ، كان مشهوراً بالولاية الكاملة ، والكرامات المتعددة ، يده في التصوف للشيخ أبي مدين المغربي بينه وبينه رجلان ، كان نفع الله به شيخاً كبيراً ، كاملاً مربياً ، تخرج به جماعة من كبار الصالحين ، وله في تلك الناحية ذرية مباركون ، وأتباع كثيرون ، يعرفون بآل أبا عيسىٰ ـ على عرف أهل حضرموت في التزام الكنية الألف بكل حال ، على لغة القصر ـ ولهم هناك زوايا مشهورة) اهـ (١٤٥ـ ١٤٦) . ينظر : « الصفحات » لباوزير (١٤٩) ، « الشامل » (٢٢٩) وما بعدها .

واحدٍ مِنْ أَهلِ ٱلعِلْمِ ؛ كٱلشَّرجيِّ في « طبقاتهِ » [١٤٥ـ١٤٦] ، وٱليافعيِّ في « تاريخهِ » ، وصاحبِ « ٱلمشرعِ »[١] ، وعبدِ ٱللهِ بازرعةَ .

وممَّنْ أَلَّفَ في مناقبهِ : ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ عبدِ ٱللهِ باعكابةَ ٱلهيْنَنِيّ ، وٱلشَّيخ عبدُ ٱللهِ باسَوْدانَ .

وكانَ صادعاً بٱلحقِّ ، لا يخافُ فيهِ لومةَ لائِمٍ ، وكانَ كثيرَ ٱلتَّردُّدِ علىٰ حَضْرَمَوْتَ ، حتَّىٰ لقد قالَ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ في كتابهِ « ٱلقرطاسُ » : (لا إِلـٰهَ إِلاَّ ٱللهُ ، عددَ خروجِ ٱلشَّيخِ سعيدِ بنِ عيسى ٱلعموديِّ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ) .

ولَم يَزَلْ يُسلِّكُ ٱلطَّالبينَ ، ويُوصلُ ٱلرَّاغبينَ ، إِلىٰ أَنْ توفِّيَ بقيدونَ سنةَ (٦٧١هـ) ، وقصَّتُهُ مَعَ ٱلشَّيخِ أَحمدَ بنِ ٱلجعدِ معَ وصولِهِ إِلىٰ حضرموتَ ، مشهورةٌ ، وقدِ ٱبتلي إِثرَها بٱلجذامِ إِلىٰ أَن وافاهُ ٱلحِمامُ .

وخَلَفَهُ علىٰ منصبهِ ولدُهُ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ سعيدٍ ، وما زالَ أَبناؤُهُ يتوارثونَ منصبَهُ حتَّى ٱنتهىٰ إِلىٰ دولةٍ ورئَاسةٍ دنيويَّةٍ ، فٱختلفوا وٱنقسَموا ؛ كما سبق في بُضَة .

وجرت بينَهُم وبينَ آلِ فارس ٱلنَّهديِّينَ ، وبينَهُم وبينَ ٱلسُّلطانِ بدر بوطويرق ٱلكثيريِّ . . حروبٌ[٢] .

وتقلَّبت بقيدونَ ٱلأَحوالُ ، حتَّىٰ لقد خَربتْ حوالَي سَنةِ (٩٤٨هـ) مِنْ كثرةِ ما أَخذَ بدر بوطويرق ٱلكثيريُّ مِنْ أَهلِها مِنَ ٱلضَّرائِبِ ، ولَم يَبْقَ فيها إِلاَّ ستَّةُ ديارٍ ، وهربَ ٱلباقونَ مِنْ أَهلِها إِلىٰ صِيفٍ . وهنا شاهدٌ علىٰ أَنَّ صيفاً لَمْ تَكُنْ إِذْ ذاكَ في حوزتهِ[٣] .

وجَرَتْ بينَ آلِ ٱلعموديِّ وأَعقابِ بدرٍ إِلىٰ أَيَّامِ ٱلسُّلطانِ عمرَ بنِ جعفر ٱلكثيريِّ ـ ٱلمتوفَّىٰ بعُمان أَوائِلَ ٱلقرنِ ٱلثَّاني عشرَ ـ أَحوالٌ كثيرةٌ ، ذكرنا بـ « ٱلأَصلِ » نتفاً مِنها كافيةً لِلتَّعريفِ[٤] .

---

(١) لم يترجم له في « المشرع » ، وإنما ذكره عرضاً في ترجمة الفقيه المقدم .

(٢) أخبار آل العمودي يمكن الرجوع إليها في « تاريخ شنبل » ، و« العدة المفيدة » وغيرهما .

(٣) ينظر هـٰذه الحوادث في « تاريخ بافقيه » : (٢٨٨ـ٢٨٩) .

(٤) وفي « تاريخ الدولة الكثيرية » و« الصفحات » لباوزير ، أخبار من ذلك القبيل .

وفي قيدون صِهْرِيجٌ واسعٌ يحفظُ لأَهلِها ٱلماءَ ، تنطقُ وثائِقُ أَوقافِهِ أَنَّهُ مِنْ عمارةِ ٱلسُّلطانِ عامرِ بنِ عبدِ ٱلوهَّابِ ٱلطَّاهريِّ ٱلسَّابقِ ذِكْرُهُ في بُضَهْ ، وٱلآتي ذِكرُهُ في ثبي وغيرِها[1] .

وقد أَنجبتْ قيدونُ كثيراً مِنَ ٱلعلماءِ وٱلفضلاءِ ، وكانَ ٱلسَّيِّدُ يوسفُ بنُ عابدٍ ٱلحسنيُّ أَحدُ تلاميذِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ يدرّسُ بها عِلْمَ ٱلتَّوحيدِ أَوائِلَ ٱلقرنِ ٱلحادي عشرَ .

ومِنْ عُلمائها في ٱلقرنِ ٱلعاشرِ : ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عمرَ مُعلِّم لَهُ ذِكرٌ في « مجموعِ ٱلأَجدادِ » .

وٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ سعيدٍ ٱلعموديُّ ، في أَيَّامِ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ، وقدِ ٱمتحنَهُ بشرحِ خُطبةٍ معقَّدةٍ ، فشرحَها شرحاً جميلاً قضىٰ لَهُ فيهِ ٱلقطبُ ٱلحدَّادُ بِٱلنَّجاحِ .

وفيها مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويٍّ ٱلحدَّادِ[2] : ٱلفاضلُ ٱلصَّالحُ ، ٱلحسنُ ٱلخطِّ عمرُ بنُ أَبي بكرٍ[3] ، ٱلمتوفَّىٰ بها .

وخَلَفَهُ ٱبنُهُ ٱلنَّاسكُ ٱلكريمُ طاهرُ بنُ عمرَ ٱلحدَّادُ[4] ، ٱلمتوفَّىٰ بها سَنةَ (١٣١٩هـ) كانَ آيةً في حفظِ ٱلقرآنِ ، وكانتْ في لِسانِهِ حَبْسَةٌ شديدةٌ ، حتَّىٰ لقد أَرادَ أَنْ يعقدَ بإحدىٰ بناتِهِ فلَمْ يَنطلِقْ لسانُهُ إلاَّ بعدَ ٱلفراغِ مِنَ ٱلطَّعامِ ، وكانتِ ٱلعادةُ وٱلسُّنَّةُ تقديمَ

---

(١) يقع الكريف القديم وهو الذي ذكره المصنف هنا في غربي قيدون ، ينظر وصفه في « الشامل » (١٩٦ ـ ١٩٧) .

(٢) توفي الحبيب محمد هٰذا بذمار ، وذريته إنما هم : بتريم ، وهرر بالحبشة ، والهند ، وبجاوة : بانقيل ، وقرسي . وليس له ذرية بقيدون ، والذين سيذكرهم المؤلف لاحقاً هم ذرية أخيه الحبيب علوي المتوفى بمكة سنة (١١٥٣هـ) ، ثم سيلحقهم بذرية عمه عمر بن علوي أخي الإمام الحداد .

(٣) هٰهنا وهم من المصنف ؛ فالسادة آل الحداد الذين بقيدون هم من ذرية السيد علوي بن عبد الله الحداد ، أو من ذرية عمِّه عمر بن علوي .

والحبيب عمر بن أبي بكر الذي ذكره المصنف هو : عمر بن أبي بكر بن علي بن علوي ابن الإمام عبد الله الحداد ولد بتريم سنة (١١٨٥هـ) ، وتوفي بقيدون سنة (١٢٨٧هـ) ينظر : « الشامل » (٢٥٠ـ٢٥١) .

(٤) السَّيِّد العلامة ، الصالح الفقيه المرشد ، مولده بقيدون سنة (١٢٤٩هـ) ، تفقه بوالده وبعلماء بلده . وتوفي بها يوم السبت (١٥) محرم سنة (١٣١٩هـ) . انظر « الشجرة العلوية » .

ٱلعَقْدِ فلَم يُؤَخِّروهُ إلاَّ ٱضطراراً ، ولٰكنْ متىٰ شرعَ في ٱلقراءَةِ في ٱلصَّلاةِ . . ٱندفعَ بسرعةِ ٱلسِّهامِ ٱلمُرْسَلةِ .

ولمَّا ماتَ ولدُهُ محمَّدٌ . . تحاشى ٱلنَّاسُ عن إخبارِهِ ؛ لأَنَّهُ ٱلأَمرُ ٱلعظيمُ ، لٰكنَّهُ لَم يَظهَرْ بعدَ ما أَخبروهُ إلاَّ بأَكملِ ما يكونُ مِنْ مظاهرِ ٱلرِّضاءِ ٱلتَّامِّ ، فلَم يَنزعِجْ ولَم يَتغيَّرْ ، ولَم يَحُلَّ حَبْوَتَهُ ، وما زادَ على ٱلاسترجاعِ وٱلاستغفارِ للفقيدِ وٱلتَّرحُّمِ عليهِ ، فذكرتُ ما رواهُ أَبو نعيمٍ وغيرُهُ : أَنَّهُ لمَّا ماتَ ذرُّ بنُ عمرَ بنِ ذرٍّ جاءَ أَهلُهُ يبكونَ إِلىٰ أَبيهِ ، فقالَ لهم : ما لكم؟! إنَّا وٱللهِ ما ظُلِمنا ، ولا قُهِرنا ، ولا ذُهبَ لنا بحقٍّ ، ولا أُخطِىءَ بنا ، ولا أُريدَ غيرُنا ، وما لنا على ٱللهِ معتبٌ ، فلمَّا وضعَهُ في قبره . . قال : رحمكَ ٱللهُ يا بنيَّ ؛ لقد كنتَ بي بارّاً ، وكنتُ عليكَ شفيقاً ، وما بيَ إِليكَ مِن وحشةٍ ، ولا إِلىٰ أَحدٍ بعدَ ٱللهِ فاقةٌ ، ولا ذَهبْتَ لنا بعزٍّ ، ولا أَبْقَيْتَ علينا من ذُلٍّ ، ولقد شغلني ٱلحزنُ لكَ عَنِ ٱلحزنِ عليكَ . . يا ذر ؛ لولا هولُ ٱلمطلعِ . . لتمنَّيتُ ما صِرتَ إِليهِ ، ليتَ شعري يا ذرُّ ماذا قيلَ لكَ وماذا قلت[1] .

وكذلكَ ٱلحبيبُ طاهرٌ لَم يَزِد على ٱلتَّرحُّمِ علىٰ ولدِهِ وٱلاستغفارِ لهُ .

أَمَّا ولدُهُ محمَّدُ بنُ طاهرٍ ٱلحدَّادُ[2] : فقد كانَ طَوْدَ ٱلمجدِ ٱلرَّاسخِ ، ورُكنَ ٱلشَّرفِ ٱلشَّامخِ ، تتحيَّرُ ٱلفصحاءُ في أَخبارِهِ ، وتندقُّ أَعناقُ ٱلجيادِ في مضمارِهِ .

مُتَنَقِّــلٌ فِــي سُــؤْدَدٍ مِــنْ سُــؤْدَدِ   مِثْلُ ٱلْهِـلاَلِ جَـرَىٰ إِلَـى ٱسْتِكْمَـالِـهِ[3]

لم يَزَلْ يتوقَّلُ[4] إلى ٱلعلا ، ويَتسوَّرُ إلى ٱلشرفِ .

---

(١) في « حلية الأولياء » (٥/١٠٨) .

(٢) السيد الشريف ذو القدر المنيف : محمد بن طاهر بن عمر الحداد ، ولد بقيدون سنة (١٢٧٣هـ) ، وتوفي بالتَّقل بجاوة سنة (١٣١٦هـ) ، صنف في مناقبه تلميذه ورفيقه في أسفاره السيد العلامة عبد الله بن طاهر الحداد كتاباً سماه : « قرة الناظر » يقع في (٣) مجلدات ، وكتب عنه ابن أخته السيد عمر بافقيه في كتابه « صلة الأخيار » ، وتلميذه العلامة علوي بن طاهر الحداد في « الشامل » ، وصاحب « تاريخ الشعراء » (٥/ ٤٣ ـ ٥٢) .

(٣) البيت من الكامل ، وهو للبحتريّ في « ديوانه » (٢/ ٣٥) .

(٤) يتوقَّل : يعلو .

وَبَيِّتُ يَحْلُمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلاَ حَتَّىٰ يَكُونَ ٱلْمَجْدُ جُلَّ مَنَامِهِ[1]

لا يَصعدُ قُلَّةً . . إلاَّ تسنَّمَ ذراها ، ثمَّ ٱندفعَ إلىٰ ما وراها .

مَا زَالَ يَسْبِقُ حَتَّىٰ قَالَ حَاسِدُهُ : لَهُ طَرِيقٌ إِلَى ٱلْعَلْيَاءِ مُخْتَصَرُ[2]

يَنقطعُ دونَهُ ٱلكلامُ ، وتتحيَّرُ في وصفِهِ ٱلأَقلامُ .

لَمْ أُجْرِ غَايَةَ فِكْرِي مِنْهُ فِي صِفَةٍ إلاَّ وَجَدْتُ مَدَاهَا غَايَةَ ٱلأَبَدِ[3]

لَهُ هِمَمٌ تَنفسخُ مِنها ٱلجبالُ ، فضلاً عن قوائِمِ ٱلرِّجال .

هِمَّةٌ تَنْطَحُ ٱلنُّجُومَ بِرَوْقَيْـ ـهَا وَعِزٌّ يُقَلْقِلُ ٱلأَجْبَالاَ[4]

وقد بلغَ مِنْ شهامتِهِ وكبرِ همَّتِهِ أَنَّهُ كانَ يحاولُ إغناءَ ٱلعلويِّينَ بحَضْرَمَوْتَ مِنْ أَدناها إلىٰ أَقصاها معَ تحمُّلِهِ مِنَ ٱلدُّيونِ ٱلَّتي أثقلت كاهلَه ولذاك ، أَشارَ عليهِ أَبوهُ ـ مِن أَجلها ـ أَن يتوجَّهَ إلىٰ حيدرآباد ، وكانَ لهُ بها قدرٌ عظيمٌ ، وشأنٌ فخيمٌ ، وأَسلم علىٰ يدِهِ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ ، إلاَّ أَنَّهُ كانَ بينَ جنبيهِ نفسٌ عظيمةٌ ، غالىٰ بها عنِ ٱلكرامِ حتَّىٰ لم يكنِ ٱلطُّغْرَائِيُّ إلاَّ كٱلسُّوقةِ في جنبِ ٱلملكِ حيثُ يقولُ :

غَالَىٰ بِنَفْسِيَ عِرْفَانِي بِقِيمَتِهَا فَصُنْتُهَا عَنْ رَخِيصِ ٱلْقَدْرِ مُبْتَذَلِ

فوقعَ بذلكَ وبموافقتِهِ للعلاَّمتينِ أبي بكرِ بنِ شهابٍ ومحمَّدِ بنِ عقيلٍ في ٱلإعراضِ عنِ ٱلسُّلطانِ عوضِ بنِ عمرَ أَن لاقاهُ ، وٱستعدَّ لإنزالِهِ في قصرِهِ ، وعملَ لقدومه ضيافةً عظيمةً ، فتركَها وكانَ في ذلكَ تمهيدُ ٱلسَّبيلِ لمن كانَ يحسدُهُ مِنَ ٱلعلويِّينَ ففتلوا في ٱلذُّرىٰ وٱلغواربِ لفشلِهِ . . فلم يقع لهُ ما يرومُ مِن أَملِهِ ولم يتيَّسر قضاءُ دَينهِ إلاَّ بعدَ ٱنقضاءِ أَجلِهِ ، ومنهم حسبما يتعالَمُ ٱلنَّاسُ : حسينٌ وحسينٌ وأَبو حسينٍ ـ ولا أَدري كم عددُهُم يومئذٍ ؛ فإنَّ ٱلمنايا تخطَّفتْهُم ، وٱلبلدانَ توزَّعتْهُم ؛ فهُم أَقلُّ بكثيرٍ ممَّا

---

(١) البيت من الكامل ، وهو للبحتريّ في « ديوانه » (٢/ ٤١) .

(٢) البيت من البسيط ، وهو للبحتريّ أيضاً في « ديوانه » (٢/ ٣٠٩) .

(٣) البيت من البسيط ، وهو للمتنبّي في « العكبريّ » (١/ ٣٥٢) .

(٤) البيت من الخفيف ، وهو للمتنبّي في « العكبريّ » (٣/ ١٣٤) باختلاف بسيط . **الرّوق** : القرن . **يقلقل** : يحرِّك . **الأجبالا** : جمع جبل .

ٱنتهوا إليهِ سَنةَ (١٢٠٢هـ) إذ بلغَ عَددُهُم[١] بِٱلتَّحقيقِ يومئذٍ عَشَرَةُ آلافِ نَفْسٍ .

في « تاريخ ٱبنِ حَمِيدٍ » : (أَنَّ ٱلقطبَ ٱلحدَّادَ أَشارَ بإحْصَاءِ ٱلعلويِّينَ في سَنةِ (١١١٨هـ) ؛ لدَرَاهمَ وصلَتْ مِنَ ٱلهندِ على ٱسمِهم ، فبلَغوا نحواً مِنْ أَلفينِ بعدِّ ٱلصِّغارِ وٱلكبارِ وٱلذُّكورِ وٱلإناثِ ، مِنَ ٱلسَّومِ شرقاً . . إلىٰ هَيْنَن غرباً)[٢] .

وٱلعجبُ أَنَّهُم لَم يُدخِلوا دوعن في حَضْرَمَوْتَ في هـٰذا ٱلعدِّ ، فلعلَّ ٱلدَّراهمَ مخصوصةٌ بأَهلِ هـٰذهِ ٱلنَّاحيةِ ، وإلاَّ . . أَشكلَ ٱلأَمرُ[٣] .

وأَمَّا في سنةِ (١٢٠٢هـ) . . فقد بلغَ عددُهم عشرةَ آلافٍ ؛ إذ جاءت صلةُ صاحبِ ٱلمغربِ ودفعوا لمن بدوعنَ ومن بٱلشِّحرِ ومَن بأَسفلِ حضرموتَ حَسَبَما فصَّلناهُ بٱلجزءِ ٱلأَوَّلِ مِنَ « **ٱلأَصلِ** » ولا إشكالَ ؛ لأَنَّ ٱلاعتبار إنَّما هو بما ٱنحطَّ عليهِ ٱعتمادُهم بإجماعهم آخراً ، وقد أُحضرتِ ٱلأَنفسُ ٱلشُّحَّ في صلةِ ٱلمغربيِّ ، وهيَ متأَخِّرةٌ عن تلكَ ، وٱلعلماءُ في أَيَّامِها أَكثرُ ، ولا شكَّ أَنَّهم مطَّلعونَ علىٰ ما كانَ أَيَّامَ ٱلقطبِ الحدَّادِ مِن مثلِ ذلكَ فلا مجالَ للشَّكِّ ، لا سيَّما وأَنَّ ٱلقطبَ ٱلحدَّادَ مِنْ أَهلِ ٱلاجتهادِ لا يتقيَّدُ بمنقولِ ٱلمذهبِ بخلافِهم .

ومن كتابِ سيَّرهُ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ شيخِ بنِ محمَّدِ بنِ شهابٍ للشَّريفِ سرورِ بن مساعدِ بنِ حسنٍ صاحبِ مكَّةَ بتاريخ (١١٩٩هـ) يقولُ : وصلَتِ ٱلدَّراهمُ وقدرُها ثمانونَ ألف ريالٍ وفُرِّقَتْ علىٰ جميعِ السادةِ القاطنينَ بحضرموتَ من ثمانيةِ ريالاتٍ إلاَّ ربعٍ ، وتحديد حضرموت من عين بامعبد إلىٰ ظفار .

وقد ٱتفق العلويون إذ ذاك علىٰ تفويضِ الأمرِ في قبضِ الدراهمِ وتحريرِ مشَجَّرٍ للعلويِّين ـ علىٰ حسابها ـ إلى ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ شيخِ بنِ شهاب .

وأمضىٰ في أَعلى ٱلمسطورِ ٱلسَّادةُ : سالمُ بنُ أَحمدَ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أبي بكرِ بنِ سالم

---

(١) أي : عدد آل باعلوي في جميع حضرموت .

(٢) « العدة المفيدة » (١/ ٢٧١) . وفيه : أن عددهم (نحو ألف) .

(٣) التحقيق أن دوعن بكافة أوديته الرئيسية والفرعية يدخل ضمن حدود حضرموت الكبرى ، لـٰكن جرى العرف حتى عند أهل دوعن أن يقولوا للنازل إلى الوادي الكبير أنه خرج قاصداً حضرموت ، ويعنون بها ماوراء الهجرين من وادي العين إلى الكسر ، فالقطن ، فشبام ، فسيئون ، فتريم .

وأَحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدِ بنِ عليٍّ ٱلعيدروسُ ، وصادقُ بنُ شيخٍ ٱلعيدروسُ ، وسالمُ بنُ صالحٍ ٱلعطَّاسُ ، وحسينُ بنُ علويٍّ ، وهاشمٌ ، وحسينٌ وعبدُ ٱللهِ ٱبنا أَحمدَ ، وحسينٌ وزينٌ وأَحمدُ بنو حسينِ بنِ أَبي بكرٍ ، وأَحمدُ وعليٌّ ابنَا محسنٍ ، وأَبو بكر بنُ عليٍّ ، وكافَّةُ آلِ حسينِ بنِ عليٍّ ٱلعيدروس .

وفي أَسفلِهِ : حسينُ بنُ أَحمدَ بنِ سهلٍ جملِ ٱللَّيلِ ، وأَحمدُ بنُ حسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ الحدَّادِ ، وعمرُ بنُ أَحمدَ بنِ حسنِ بنِ عبد ٱلله الحدَّادِ ، ومحمَّدُ بنُ حسنِ بنِ محمَّدٍ مولَى خيله ، ومحمَّدُ بنُ أَبي بكرٍ ٱلعيدروس ، وإسماعيلُ بنُ عيدروس بنِ عليِّ بنِ عمرَ بنِ حسينٍ ، وعليُّ بنُ شيخِ بنِ شهابٍ ، وطالبُ بنُ حسينِ بنِ عمرَ ٱلعطَّاسِ ، وعبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ابنُ حسينٍ ٱلعطَّاسُ ، وعمرُ بنُ سقَّافِ بنِ محمَّدِ بنِ عمرَ بنِ طـٰهَ ، وهادونُ بنُ عليٍّ ٱلجنيدِ ، وأَحمدُ بنُ جعفرِ بنِ أَحمدَ بنِ زين ٱلحبشيِّ ، وعبدُ القادرِ بنُ جعفرِ بنِ أَحمدَ بنِ زينٍ ٱلحبشيّ ، وخادمُ ٱلشَّرعِ بتريم عمرُ بنُ إبراهيمَ ٱلمؤَذِّنُ بافضلٍ ، وطالبُ بنُ عوضِ بن يحيىٰ ، والمكتوبُ إليهم مِن أَمينِ ٱلدَّراهمِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسين بنِ سهلٍ ، وسالمُ بنُ أَحمدَ بنِ عَليٍّ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ ، ومحمَّدُ بنُ أَبي بكرِ بنِ محمَّد بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلعيدروسِ ، ومحمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ ٱلعيدروسِ ، وأَحمدُ بنُ حسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلحدَّادِ ، وحامدُ بنُ عمرَ بنِ حَامدٍ ، وعليُّ بنُ شيخِ بنِ شهابٍ .

وفي حدودِ سَنةِ (١٣١١هـ) أَصفقَ[1] ٱلعلويُّونَ ـ ومنهُم سيِّدُنا ٱلأُستاذُ ٱلأَبرُّ فمَنْ دونَهُ ـ علىٰ تقديمِ صاحبِ ٱلتَّرجمةِ ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ طاهرٍ ٱلحدَّادِ ، فوضَعوا في كفِّهِ لواءَ نقابتِهم ، وعلىٰ رأسِهِ عصابةَ شرفِهم ، وعلىٰ مَنْكِبِهِ رداءَ زعامتِهم ، وأَسجلوا لَهُ بذلكَ علىٰ أَنفسِهم ، وكَتبوا لَهُ عهداً وثيقاً ، فكانَ كما قالَ ذو ٱلرُّمَّةِ [في « ديوانه » ١١٩ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَمَا زِلْتَ تَسْمُو لِلْمَعَالِي وَتَجْتَنِي ... جَنَى ٱلْمَجْدِ مُذْ شُدَّتْ عَلَيْكَ ٱلْمَآزِرُ[2]

إِلَىٰ أَنْ بَلَغْتَ ٱلأَرْبَعِينَ فَأَسْنَدَتْ ... إِلَيْكَ جَمَاهِيرَ ٱلأُمُورِ ٱلأَكَابِرُ

فَأَحْكَمْتَهَا لاَ أَنْتَ فِي ٱلْحُكْمِ عَاجِزٌ ... وَلاَ أَنْتَ فِيهَا عَنْ هُدَى ٱلْحَقِّ جَائِرُ

---

(١) أصفق : أَجمع .

(٢) مذ شُدَّت عليك المآزر : أَي من الحين الَّذي خرجتَ فيه من حدِّ الطُّفولة ، وأَصبحت تلبس المآزر .

وقد جرت بينَهُ وبينَ ٱلعلاَّمةِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بن محمَّدٍ ٱلحَبْشيِّ مناقضاتٌ ، مِنها : أَنَّ هـٰذا جَزَم في كتابٍ سيَّرهُ إِليهِ بدخولهِ تحت دائِرتِهِ وإِنْ لَم يَشْعُرْ ، فأَنكرَ ٱلأَوَّلُ ذلكَ ـ وكانَ يتواضعُ أَشدَّ ٱلتَّواضُعِ بينَ يدي أُستاذِنا وأُستاذِهِ ٱلأَبرِّ عيدروس بنِ عمرَ ـ وتقدَّم إِليهِ بأَسئِلةٍ جَزْلةٍ تَدلُّ علىٰ صدقِ حالٍ وغزارةِ مادَّةٍ ، فأَجابَهُ ٱلأُستاذُ بأَفضلِ جوابٍ .

وجَرَتْ بينَهُ وبينَ علاَّمةِ جاوةَ ٱلسَّيِّدِ عثمانَ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عقيلِ بنِ يحيىٰ[1] محاوراتٌ في ٱلأَوتارِ ؛ لأَنَّ ٱلأَوَّلَ يَحضرُها وٱلسَّيِّدَ عثمانَ يَشتدُّ في منعِها ، وقد بسطتُ ٱلقولَ عن هـٰذهِ ٱلمسأَلةِ في « بلابلِ ٱلتَّغريدِ » بما لا يوجدُ في سواهُ .

وقد كانَ ما ٱشتهرَ مِنْ محاسنِ هـٰذا ٱلإِمامِ ، وملأَ سَمْعَ ٱلأَرضِ وبصرَها . . يملأُ قلبيَ حسرةً ؛ إِذْ لَم يُقدَّرْ ليَ ٱلاجتماعُ بهِ ، معَ أَنَّهُ قَدِمَ ذاتَ ٱلمرَّاتِ إِلىٰ سيئونَ وأَنا موجودٌ ، وقَلَّ مَنْ زارَها مِنْ أَهلِ ٱلفضلِ إِلاَّ زارَ والدي في مكانهِ عَلَمِ بَدْرٍ ٱلَّذي ٱنْجَمَعَ فيهِ بالآخِرَةِ عنِ ٱلنَّاسِ[2] . بل لا يُوجَدُ مَن يتخلَّفُ عنهُ سوىٰ مَنْ كانَ يتودَّدُ إِلىٰ طائفةِ باطويح ٱلقاعدينَ بكلِّ مَرْصَدٍ يَصدُّونَ ٱلبسطاءَ عن سبيلهِ وعن سبيلِ سيِّدنا ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ ومَنْ علىٰ شاكلتِهم ، ومعاذَ ٱللهِ أَنْ يتأَثَّرَ بكلامِهمُ ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ طاهرٍ ، وهوَ ٱلَّذي لا يُقَعْقَعُ لَهُ بٱلشِّنانِ[3] ، ولـٰكنَّني لا أَحفظُ زيارتَهُ لوالدي معَ أَنِّي لَم أُفارقْهُ إِلاَّ لِلحجِّ في سَنةِ (١٣٢٢هـ) ، وما كنتُ لأَنسىٰ زيارتَهُ لوالدي لَو كانت ، وأَنا أَحفظُ كلَّ مَنْ زارَهُ مِنْ أَهلِ ٱلفضلِ منذُ ٱلرَّابعةِ مِن عُمري ؛ لأَنَّهُ يُقدِّمني إِليهِم ـ ليُبرِّكوا عليَّ ويُلبسوني ولأَقرأَ عليهم شيئاً مِنَ ٱلقرآنِ أَو حديثَ معاذٍ في ٱلعلمِ وعلَّ وصولَهُ حضرموتَ صادفَ مرضي ٱلشَّديدَ في سنة (١٣١٣هـ) ؛ فإِن كانَ كذلكَ . . فقدِ ٱنحلَّ ٱلإِشكالُ ـ إِلاَّ أَنَّهُ يَبُلُّ مِنْ غليلِ تلكَ ٱلحسرةِ ما كانَ يُمثِّلهُ لَنا ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ محمَّدٍ ٱلسَّقَّافُ ـ ٱلآتي ذِكرُهُ ـ مِنْ كلامهِ وقراءَتهِ ومِشْيَتِهِ .

---

(١) توفي السيد عثمان في بتاوي جاكرتا يوم الأحد (٢١) صفر سنة (١٣٣٢هـ) . وهو صاحب المصنفات الكثيرة الجمة .

(٢) أي : انقبض عنهم واعتزلهم .

(٣) القعقعة : صوت الشَّيءِ الصُّلب على مثله . الشِّنانُ : القِرَب والجلود اليابسة . ومعناه : أنَّه ليس ممَّن تفزعه القعقعة . وهو مثل عربيٌّ يُضرَب للرَّجل الشَّهم الشُّجاع لا يفزع بالوعيد .

ثمَّ ٱنحدرَ بعدَ ذلكَ إلىٰ جاوةَ ، وأَدركتْهُ ٱلمنيَّةُ بِٱلتَّقَل ـ إحدىٰ مدنِها ـ في سَنةِ (١٣١٦هـ) ، عنِ ٱثنينِ وأَربعينَ ربيعاً ، فكانَ أَكبرَ مِنْ قولِ حبيبٍ [أَبي تمَّام في « ديوانه » ٢/٢١٧ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَتـىً سِيـطَ حُـبُّ ٱلْمَكْـرُمَـاتِ بِلَحْمِـهِ ... وَخَـامَـرَهُ حَـقُّ ٱلسَّمَـاحِ وَبَـاطِلُـهْ[١]

فَتـىً جَـاءَهُ مِقْـدَارُهُ ، وَٱثْنَتَـا ٱلْعُـلاَ ... يَـدَاهُ ، وَعَشْـرُ ٱلْمَكْـرُمَـاتِ أَنَـامِلُـهْ[٢]

فَتـىً يَنْفَـحُ ٱلأَيَّـامَ مِـنْ طِيـبِ ذِكْـرِهِ ... ثَنَـاءً كَـأَنَّ ٱلْعَنْبَـرَ ٱلْـوَرْدَ شَـامِلُـهْ

وقد زرتُ قبرَهُ ، وأَلفيتُ عليهِ مِنَ ٱلمهابةِ وٱلجلالِ ما ذكَّرني بقولِ ٱلأَوَّلِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

عَلَـىٰ قَبْـرِهِ بَيْـنَ ٱلْقُبُـورِ مَهَـابَـةٌ ... كَمَـا قَبْلَـهُ كَـانَـتْ عَلَـىٰ سَـاكِـنِ ٱلْقَبْـرِ

وبإِثْرِهِ تقيَّضَ فريقَهُ ، وٱنتهجَ طريقَهُ ولدُهُ ٱلفاضلُ علويٌّ[٣] ؛ فلقد أَحْيا قِدَّتَهُ ، وأَظهرَ جِدَّتَهُ ، وأَطالَ مدَّتَهُ ، وأَعادَ جُودَهُ ونجدتَهُ ، فما زالَ طويلَ ٱلعمادِ ، كثيرَ ٱلرَّمادِ[٤] ، فَحَمادِ لَهُ حَمادِ .

تَنْمِيـهِ فِـي قُلَـلِ ٱلْمَكَـارِمِ وَٱلْعُـلاَ ... زُهْـرٌ لِـزُهْـرِ أُبُـوَّةٍ وَجُـدُودِ[٥]

فَـرْعٌ مِـنَ ٱلنَّبْـعِ ٱلشَّـرِيـفِ إِذَا هُـمُ ... نُسِبُـوا وَفِلْقَـةُ ذَلِـكَ ٱلْجُلْمُـودِ

---

(١) سيط : خُلِط . خامره : خالطه .

(٢) المقدار : الأَجَل .

(٣) ولد الحبيب علوي بن محمد بن طاهر الحداد بقيدون في رجب (١٢٩٩هـ) ، وتوفي بجاوة في سنة (١٣٧٣هـ) ، كان من أهل العلم وأهل الكرم والجود ، وله أعمال خيرية ، ومآثر تشهد له ، جمع شيئاً من كلامه ومواعظه تلميذه السيد محمد بن سقاف الهادي ، وتلامذته كثيرون . ترجمته في : « تاريخ الشعراء » (٥/٢٥٩) ، « تعليقات ابن شهاب على شمس الظهيرة » (٢/٥٦٣) ، و« قرة الناظر » لتلميذه العلامة عبد الله بن طاهر . . وغيرها .

(٤) كثير الرَّماد : كناية عن الكرم ؛ لأَنَّه يلزم من كثرة الرَّماد كثرة الحطب المحروق ، وهو دليل علىٰ كثرة الطَّبخ ، وكثرة الطَّبخ دليل على الكرم .

(٥) البيتان من الكامل ؛ وهما لأَبي تمَّام في « ديوانه » (١/٢٢١) تَنْمِيهِ : تنسبُه . قُلَل : قمم . زهرٌ الأُولىٰ : اسم قبيلته . زهرٌ الثَّانية : ـ جمع أَزهر ـ : وهو مشرق الوجه .

ويُذكَرُ أَخوهُ ٱلحسينُ[1] بجودٍ غزيرٍ ، وفضلٍ كبيرٍ ، يأتي فيهِ بحقٍّ قولُ ٱلشَّريفِ ٱلرَّضيِّ [في « ديوانهِ » ٨/٢ مِنَ ٱلبَسيطِ] :

لَــوْ أَنَّ عَيْــنَ أَبِيــهِ ٱلْيَــوْمَ نَــاظِــرَةٌ تَعَجَّـبَ ٱلأَصْـلُ مِمَّـا أَثْمَـرَ ٱلطَّـرَفُ

ومِنَ ٱلأَسفِ أَنْ تستأْثِرَ جاوةُ بأَمثالِهِم ، لـٰكنَّ ٱلأَمرَ كما قالَ حافظٌ [في « ديوانه » ٢٦٩/١ مِنَ ٱلبسيطِ] :

كَـمْ غَـادَةٍ فِـي ظَـلاَمِ ٱللَّيْـلِ بَـاكِيَـةٍ عَلَـىٰ أَلِيـفٍ لَهَـا يَهْـوِي بِـهِ ٱلطَّلَـبُ
لَـوْلاَ طِـلاَبُ ٱلْعُـلاَ لَـمْ يَبْتَغُـوا بَـدَلاً مِـنْ طِيـبِ رَيَّـاكِ لَـٰكِـنَّ ٱلْعُـلاَ تَعَـبُ

وفي قيدون جماعةٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ علويٍّ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ ٱلحدَّاد[2] ، أَخي ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ، منهُمْ :

ٱلصَّالحُ ٱلفاضلُ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ طـٰهَ بنِ عبدِ ٱللهِ[3] ، لَهُ أَحوالٌ غريبةٌ ، ودعاءٌ مستجابٌ ، يأْخذُهُ عندَ ذِكرِ ٱلموتِ حالٌ عظيمٌ يُخرجُهُ عن حِسِّهِ ويذهبُ بهِ هائماً علىٰ وجههِ .

وعلىٰ قريبٍ من حالهِ كانَ ولدُهُ ٱلدَّاعي إِلى ٱللهِ محمَّدٌ ، ٱلمتوفَّىٰ بسيئون في أَوائِلِ سَنةِ (١٣٢٤هـ) .

وكانَ عيشُهُ علىٰ قَدَمِ ٱلتَّوكُّلِ ، ولا تخلو عصمتُهُ عن أَربعِ زوجاتٍ ، ولَهُ نوادرُ ، مِنها :

أَنَّهُ تعشَّىٰ عندَ أُمِّهِ في حوطةِ آلِ أَحمدَ بنِ زينٍ ، فقالَ : أُريدُ ٱلسَّمَرَ عندَ بعضِ ٱلإِخوانِ .

فقالت : خُذْ مفتاحَ ٱلدَّارِ معكَ ؛ حتَّىٰ لا توقظني بقَرْعِ ٱلبابِ .

---

(١) ولد السيد الحسين بن محمد بقيدون ، وتوفي في جاوة ، كان شهماً أبياً محسناً اشتهر بالكرم وبذل الموجود ، على صفاء طوية وحسن نية .

(٢) توفي بتريم سنة (١١١٢هـ) ، وله ذرية كثيرة بسيئون والحوطة ودوعن والهند وجاوة ، وفي بَيْحَان وأرض الرّصّاص وغيرها .

(٣) ولد بحاوي الحوطة ، وتوفي بها سنة (١٢٩٤هـ) ، أفرده بالترجمة حفيده العلامة علوي بن طاهر ، وهي ترجمة مفيدة ، تسمى : « نور الأبصار » ، ويلقب الحبيب عبد الله هـٰذا بالهدار ؛ لكثرة هديره بالذكر .

فعَنَّ لَهُ أَنْ يذهبَ إِلى ٱلفجَيْرِ علىٰ نحوِ تسعةِ أَميالٍ مِنَ ٱلحَوطةِ ودونَ ٱلمِيلِ من سيئونَ ، وكرهَ أَنْ يُزعجَ أَهلَ ٱلفجَيْرِ بٱلقَرْعِ ، فعَمَدَ لجِذْعٍ طويلٍ أَلفاهُ هناكَ ، فتسلَّقَ عليهِ منزلَ زوجتهِ ٱبنةِ ٱلسَّيِّدِ شيخِ بنِ أَبي بكرٍ مولىٰ خيله ، ولمَّا قضىٰ وطرَهُ مِنها . . عَنَّ لَهُ أَنْ يذهبَ إِلىٰ سيئون ، فحملَ ٱلجذعَ وتسوَّرَ بهِ علىٰ بيتِ ٱمرأَتهِ ٱلأُخرىٰ بسيئون ـ وهيَ أُمُّ ٱلسَّيِّدَينِ : إِبراهيمَ وموسىٰ آلِ ٱلحَبْشيِّ ـ ولمَّا أَخذَ مأْربَهُ مِنها . . ردَّ ٱلجذْعَ إِلىٰ موضعهِ بٱلفجَيْرِ ، ثمَّ سرىٰ ، ولمَّا كانَ بٱلغرفةِ . . دخلَ جامعَها وتطهَّرَ وتهجَّدَ ما شاءَ ، ثمَّ سرىٰ إِلى ٱلحوطةِ ، فلمَّا وصلَها . . عَرَفَ أَنَّهُ نسيَ مفتاحَ ٱلدَّارِ بجامعِ ٱلغرفةِ ، فرجعَ أَدراجَهُ وأَخذَهُ مِنَ ٱلميضأَةِ ، وسارَ إِلى ٱلحوطةِ ، ولَم يَصِلْها إِلاَّ بعدَ مطلَعِ ٱلفجرِ .

ومِن نوادِرهِ : أَنَّ زوجَتَهُ ٱلَّتي بسيئون هيَ بنتُ عمِّهِ ، وٱسمها : شيخةُ بنتُ محمدٍ ٱلحدَّادِ ، وكانَ كلَّما زارَها . . وجدَ عندَها ٱبنيها إِبراهيمَ وموسى ٱبنَي عمرَ بنِ شيخِ بنِ هاشمِ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ ٱلحبشيِّ . . فلم يتمكَّن مِنَ ٱلخلوةِ بها ، حتَّىٰ جاشَت نَفْسُهُ ذاتَ يومٍ ، فقالَ :

خِيـرةْ فـي العشـق لـي	فيـه ٱلنَّكـدْ وٱلنَّغَـصْ
حلّيـتْ فـي حصـن لكـنْ	فيـه جملـة لَصَـصْ
خِلـيٌّ خِلـي لـيْ ولـ	ـكنَّـه شـرد وٱفتحـص
جِفِـلْ كمـا ٱلصيـد لا	قـد شـاف همـزةْ مقـص[1]
ولـو معـي قـرشْ بـأٱقْنُـصْ	مثـل مَـن قـد قَنَـصْ

وكانَ وجدَ منها فرصةً ، ولمَّا جلسَ بين شعبِها . . أَحَسَّت بقدومِهِما ، فنهضَت مِن تحتِهِ فقالَ ٱلأبياتَ . . فأَجابتْهُ مِن حينها بقولِها :

قـال ٱبـنْ هـاشـمْ مـن الـ	ـمـولـىٰ هِـيَ ٱلأَ حِصَـصْ
لَـوْ حَـدْ قَسَـمْ غيـر ربّـي	قُلـت قسْمِـي نَقَـصْ

(١) جفل : فر هارباً .

لــو كنــتَ عــاشــقْ دَهَنــت	ٱلسيــــر وأرميـــت خَـــــصْ
لا جِئْــتَ لــي شِــرك فـــي	قَـــادِمْ ولا جِبِـــتْ قَـــصْ
مـــن يُطعِـــم الخيـــل وَكَّـــبْ	بِـــــــهْ إذا شَـــــا وَرَصْ
كـــأنَّـــك بغيتُـــه علــــىٰ	ذا الشـــوْر وألاَّ خَلَـــــصْ

وذكَرَتْ عندَ هـٰذا أَنَّهُ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ كُلَّما دخلَ على أُمِّ سَلَمةَ بإثرِ بنائِهِ عليها . . بكت بنتُها ، فأَخَذَت تعلِّلُها بٱلرَّضاعةِ حتَّىٰ أَخَذَها عمَّارُ بنُ ياسرٍ ـ وكانَ لها مَحرَماً ـ وقالَ : لقد حَرَمَت هـٰذِهِ ٱلمقبوحةُ ٱلمشقوحة[1] رسولَ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ممَّا يريدُ[2] .

ومِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ طـٰهَ بقيدونَ : ٱلسَّيِّدانِ ٱلجليلانِ : ٱلواعظُ ٱلعابدُ ٱلصَّالحُ عبدُ ٱللهِ بنُ طاهر[3] . وٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ علويُّ بنُ طاهرٍ[4] ، عَلَمُ علومٍ ، ونبراسُ فهومٍ .

---

(١) المشقوحة : المبعدة .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (١٨/٤) .

(٣) العلامة الفقيه المرشد الصالح ، مولده بقيدون سنة (١٢٩٦هـ) ، من أعيان قيدون ، وكان يسافر إلى جهة الهند وجاوة ، ولم يزل قائماً بربـاط العلم بقيدون . . حتى توفي سنة (١٣٦٨هـ) ، وله عدد من المصنفات ، ينظر : « تاريخ الشعراء » (٥/٢٤٧ ـ ٢٥٦) ، « الدليل المشير » (١٩٦ ـ ٢٠٣) .

(٤) الإمام المحدث ، المفسر المسند ، الفقيه المؤرخ الجهبذ ، وحدث عن البحر ولا حرج ، وهو القائل فيه الشاعر صالح بن علي الحامد :

هـٰـذا الــذي إن سمــا شعــب يــاهلنــا بعبقــري بـــه جئنـــا نبـــاهلـــه

ولد سنة (١٣٠١هـ) بقيدون ، وتوفي بجوهور في ماليزيا سنة (١٣٨٢هـ) ، وصنف المصنفات الرائعة النافعة ، التي لم يُسبَق إليها ؛ وانظر : « الدليل المشير » (٢٣٥ ـ ٢٤٠) ، « تاج الأعراس » ، « شمس الظهيرة » .

ومن أعيان آل الحداد بها أيضاً : السيد السند الداعي إلى الله ، الإمام العلامة الأديب المهيب : أحمد المشهور بن طه بن علي بن عبد الله الهدار الحداد ، المولود بها حدود سنة (١٣٢٢هـ) ، والمتوفى بجدة في ١٦ رجب (١٤١٦هـ) . كان من كبار أدباء وعلماء عصره ، طلب العلم على عميه السيدين عبد الله وعلوي ابني طاهر الحداد ، واستقر في أفريقيا بكينيا ناشراً للدين الإسلامي ، ودخل على يديه إلى الإسلام ألوف مؤلفة ، له مصنفات ؛ من أجلها : كتاب « مفتاح الجنة » طبع مرّات وترجم إلى عدّة لغات ، وله « السبحة الثمينة في نظم مسائل السفينة » و« ديوان » احتوى على غرر القصائد ، وغير ذلك ، ولابنه السيد حامد ترجمة موسعة له طبعت مؤخراً .

وَيُكْنَىٰ بِٱسْمِهِ عَنْ فَضْلِ عِلْمٍ   وَكُلُّ ٱسْمٍ كِنَايَتُهُ فُلَانُ[1]

فهوَ الخطيبُ ٱلمِصْقَعُ[2] ، والفقيهُ المحقِّقُ ، والمحدِّثُ ٱلنَّقَّادُ ، ولهُ في ٱلتَّفسيرِ ٱلفهمُ ٱلوقَّادُ ، ومؤلَّفاتُهُ شاهدةٌ وآثارهُ ناطقةٌ[3] ، ولم أَعرفْ مبلغَ معرفتِهِ بٱلفقهِ ، إلاَّ أَنَّهُ ٱختلفَ مِن نحوِ ثلاثينَ عاماً هوَ وٱلقاضي ٱلشَّيخُ عبد ٱللهِ سعيدٌ باجنيدٍ في مسأَلةٍ في ٱلشُّفعةِ ، وكتبَ في ذلكَ رسالةً أَسهبَ فيها حتَّى ٱنتهى إِلى ٱلثَّناءِ على ٱلسَّيِّدِ ٱلفاضلِ حسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلكافِ ، ولمَّا رُفع إِليَّ كلامُ ٱلاثنينِ للنَّظرِ أَظنُّني ـ وٱلعهد بعيدٌ ـ رَجَّحتُ كلامَ ٱلقاضي ، فرأَيتُ منهُ جفوةً مِن حينئذٍ ما كانَ لهُ أَن يتحمَّلها ؛ إذ لم يزلِ ٱلعلماءُ بينَ رادٍّ ومردودٍ عليهِ ، لكنَّ ٱلإنصافَ عزيزٌ ، ولهٰذا لم أُعاملهُ بمثِلها كما يعرفُ ٱلنَّاسُ ، وإِنِ ٱنضمَّ إِلىٰ ذلكَ ٱختلافُ ٱلآراءِ بشأنِ ٱلرَّابطةِ حَسَبَمَا فُصِّلَ بـ« **ٱلأَصلِ** » .

وكانَ على ٱلإفتاءِ في بلادِ جهور مِن ناحيةِ ٱلملايا ، ثمَّ ٱنفصلَ في أَيَّامِ ٱلحربِ ٱلمشؤُومةِ ٱليابانيَّةِ .

وسببُ كونِهم بقيدون ما أَخبرني بهِ قاضي ٱلحوطةِ ٱلأَسبقُ ٱلفاضلُ ٱلسَّيِّدُ عبدُ اللهِ بنُ حسينِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلحبشيُّ : أَنَّ جدَّه لأُمِّهِ شِفاء وهوَ ٱلسَّيِّدُ عبدُ اللهِ بنُ طٰهَ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ طٰهَ بنِ عمرَ بنِ علويٍّ ٱلحدَّادِ ـ ٱلسَّابقُ ذِكرُ تردُّدِهِ إِلىٰ هناكَ ـ حملَ معَهُ ٱبنَهُ طاهراً ، فتزوَّجَ على ٱلشَّريفةِ شفاء بنتِ عيسىٰ أُختِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ عيسى ٱلحبشيِّ ، وأَولدَها عبدَ اللهِ في سنةِ (١٢٩٦ هـ) ، وعلوياً في سنةِ (١٣٠١هـ) ، وفي نفاسِها به مرَّ عليهِ في قيدونَ عمُّهُ جعفرُ بنُ طٰهَ ـ ٱلآتي ذِكرُهُ في ٱلحاوي ـ وقالَ لهُ : لماذا تجلِسُ بقيدونَ تضعُ ٱلأَولادَ ؟! فتعالَ معي إِلىٰ جاوة ، ففعلَ ، وماتَ بعدَ

---

(١) البيت مِنَ الوافر ، وهو لأَبي العلاءِ المعريِّ في « سقط الزَّند » (٧٠) ، باختلاف بسيط .

(٢) **الخطيب المِصْقَع** : البليغ الماهر .

(٣) ومن مؤلفاته رحمه الله : « عقود الألماس » و« المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى » ، مطبوع ، و« القول الفصل فيما لبني هاشم وقريش والعرب من الفضل » ، في مجلدين كبيرين ، و« الكلمات الجامعة في تفسير سورة الواقعة » ، و« دروس السيرة النبوية » ، و« إعانة الناهض في علم الفرائض » ، و« الفوائد اللؤلؤية في القواعد النحوية » ، ومؤلفاته تزيد على الستين .

وصولِهِ بشهرٍ ونصفِ شهرٍ ، فعاشا في كنفِ أُمِّهما وأَبيها ، وكانت أُمُّ أَعمامِهم محمَّدٍ وحسنٍ وعليٍّ ـ وهيَ سعديَّةُ بنتُ ٱلحبيبِ محمَّدِ بن أَحمدَ بنِ جعفرِ بنِ أَحمدَ بنِ زينٍ ٱلحبشيِّ ـ تبعثُ لهم بٱلمواساةِ ، ولمَّا يَفَعَ عبدُ ٱللهِ . . نجعَ إِليها بحوطةِ آلِ أحمدَ بنِ زينٍ ، فكفلَتْهُ ، وكانَ يتردَّدُ إِلى ٱلغرفةِ ؛ فلهُ أَخذٌ عَنِ ٱلأُستاذِ الأبرِّ ٱلحبيبِ عيدروسِ بنِ عمرَ ، ولمَّا ٱستغلظَ علويٌّ . . قَدِمَ عليها أَيضاً ، فآوته ؛ إِلاَّ أَنَّها شغلَتْهُ بٱلخدمةِ حتَّىٰ أَنَّها لا تُمَكِّنُهُ مِن حضورِ ٱلرَّوحةِ بٱلحوطةِ . هـٰذا آخرُ كلامِ ٱلقاضي عبدِ ٱللهِ بنِ حسينٍ .

وأَشهرُ أَولادِ عبدِ ٱللهِ بن طهَ حالاً ، وأَعلاهم كَعباً ، وأكثرهم جمالاً : هوَ شيخنا صاحبُ ٱلنَّفسِ ٱلأَبيَّةِ ، وٱلهِمَمِ ٱلعليَّةِ ، وٱلشَّهامةِ وٱلأَريحيَّةِ ، كثيرُ ٱلعبادةِ وٱلتِّلاوةِ وٱلأذكارِ ، ظاهرُ ٱلسِّيادةِ وٱلسَّعادةِ وٱلأنوارِ ، صالحُ بنُ عبدِ ٱللهِ ، زُرتُهُ بدارِهِ في نِصَابٍ آخرَ سنةِ (١٣٤٩هـ) فأَجلَّني وأَكرمني وأَلبسني وأَجازني وشابكني ودعا لي بدعواتٍ عظيمةٍ .

وممَّنْ بقيدونَ مِنَ ٱلسَّادةِ : **آلُ بافقيهٍ** ، وقد مرَّ في ٱلخُريبةِ ذِكرُ ٱلسَّيِّدِ أَبي بكرِ بنِ محمَّدٍ بافقيهٍ[1] ، وأَثنىٰ عليهِ شيخُنا ٱلمشهورُ في « شمس ٱلظَّهيرة » ، وقالَ : « إِنَّهُ توفِّيَ بقيدون في سنةِ (١٠٥٣هـ) » .

ثمَّ رأَيتُ ٱلشِّليَّ ترجمَ لَهُ في « مشرعهِ » وأَطنبَ في ٱلثناءِ عليهِ ، وذَكرَ لَهُ عِلماً جمّاً وفضلاً كثيراً[2] .

وبقيدون جماعةٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عقيلِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ[3] ، وهُم : آلُ باعقيلٍ :

منهُمُ : ٱلسَّيِّد ٱلصَّالحُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ، صاحبُ ٱلمشهدِ ٱلمعروفِ بصِيفٍ ، توفِّيَ ببُضَّةَ منقرضاً .

---

(١) انظر ترجمته في « الشامل » (٢٤٠ ـ ٢٤١) .

(٢) « المشرع الروي » (٢/ ٤٤ـ٤٥) .

(٣) توفي السيد عمر بن عبد الرحمـٰن سنة (٩٦٧) أو (٩٩٧هـ) ، وأما والده فتوفي بتريم سنة (٩١٠هـ) . وتقدم أن جده عقيل توفي بتريم سنة (٨٧١هـ) .

ومنهُم : ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ علويٍّ باعقيل ، جمعَ ثروةً طائلةً بسربايا مِنْ أرضِ جاوةَ ، ولَم يَنْسَ حقَّ ٱللهِ فيها ، مِنْ إعانةِ ٱلضَّعيفِ ، وإغاثةِ ٱللَّهيفِ ، وبقيَ معَ كثرةِ أموالهِ علىٰ حالهِ مِنَ ٱلتَّواضعِ ، توفِّيَ بسربايا ، لعلَّهُ في سَنةِ (١٣٢٨هـ) ، وخَلَّفَ أولاداً ، منهُمُ : محمَّدٌ ، ٱلسَّابقُ خبرُهُ في ٱلضُّلَيعةِ .

ومنهُمُ : أَحمدُ ، قتلَهُ ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ ٱلبارِّ ظُهرَ ٱلنَّهارِ عَلَناً ، وهوَ راكبٌ سيَّارته في ٱلطَّريقِ ٱلعامَّةِ بسربايا .

ومنهُم : محسنٌ وحسينٌ ، قامتْ بينَهُم منازعاتٌ تَلِفَتْ فيها أكثرُ أموالِهم . وقد سَبَقَ في خبرِ محمَّدٍ أَنَّ إخوانَه دَفعوا عنهُ بأَمرِهِ خمسينَ ألفَ روبيَّةٍ للقعيطيِّ ، وهيَ ٱلَّتي توقَّفَ إطلاقُهُ مِنَ ٱلسِّجنِ علىٰ دفعِها ، وقد تعهَّدَ محمَّدٌ بتسليمِ مقابلِها ، وأعطاهُم وثيقةً بذلكَ وهوَ مختارٌ ، وعلَّقَ طلاقَ نسائِهِ بٱلثَّلاثِ بتأَخُرِهِ عن دفعِها لَهم مدَّةً معيَّنةً بعدَ ٱلقُدرةِ ، مضتْ تلكَ ٱلمدَّةُ وهوَ رخيُّ ٱلخناقِ ، وبقيَ معَ نسائِهِ معَ عدمِ عُذرِهِ في ٱلمطلِ ، ولمَّا وصلتُ سربايا سَنة (١٣٤٩هـ) . . سَأَلَني أَصهارُهُ[١] مِنْ بني عمِّهِ . . فأَفتيتُهُم بنفوذِ ٱلطَّلاقِ .

ومنهُمُ : ٱلسَّيِّدُ ٱلنَّزيهُ ٱلنَّديمُ ، ٱلخفيف ٱلنَّسيمُ ، صاحبُ ٱلنَّوادرِ ٱللَّطيفةِ ، وٱلحالاتِ ٱلشَّريفةِ ، عبدُ ٱلقادرِ بنُ محمَّدٍ ٱلسَّقَّافُ[٢] ، وهوَ مِنَ ٱلمعمَّرينَ ، عاشَ في أَكنافِ ٱلأكابرِ ، وحظيَ بٱعتنائِهم وصحَّةِ ولائِهِم ، ولَهُ دالَّةٌ عظيمةٌ عليهِم ، وكثيراً ما يُمثِّلُ هيآتِهِم وأَصواتهم وقراءَاتِهِم ، وكيفيَّاتِ مشيهِم وحركاتهِم ، فيُخفِّفُ مِنْ حسرتِنا علىٰ عدمِ ٱلاجتماعِ بكثيرٍ منهُم ؛ كسيِّدي طاهرِ بنِ عمرَ ٱلحَدّادِ ، وٱبنهِ محمَّدٍ ، وسادتي : عمرَ بنِ هادونَ ، ومحمَّدِ بنِ صالحِ ، وعمرَ بنِ صالحِ ، وأَمثالِهم . وفي ذلكَ ٱلتَّمثيلِ نوعٌ مِنَ ٱلوصالِ ليسَ بٱلقليلِ ، وهوَ ٱلآنَ بمكَّةَ ٱلمشرَّفةِ علىٰ ضيافةِ صاحبِ ٱلمُرُوءَةِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ سرور ٱلصَّبَّانِ ، أَحسنَ ٱللهُ جزاءَهُ .

---

(١) **الأصهار** : أقارب الزَّوجة .

(٢) وهو من آل باعقيل ، واشتهر بالسقاف ، توفي حدود سنة (١٣٦٧هـ) بقيدون ، وله بها ذرية وبجاوة .

وفي قيدون جماعةٌ مِنَ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلحَبْشيِّ ، مِنْ آخِرِهِمْ : ٱلفاضلُ ٱلجليلُ ، ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عيسى ٱلحَبْشيُّ[1] ، كانَ علىٰ قضائِها في سَنةِ (١٣٢٩هـ) وعندَهُ عِلمٌ غزيرٌ ، وتواضعٌ كثيرٌ ، ونزاهةٌ تامَّةٌ ، وصدرٌ واسعٌ ، وجانبٌ سهلٌ .

وآلُ قيدونَ يتعالمونَ بأَخبارٍ كبيرةٍ عن نجاحِ ٱلشَّيخِ أَحمدَ بنِ سعيدٍ باداهيةَ[2] في علاجِ ٱلأَمراضِ بطبِّهِ ٱلعربيِّ ، لولا ٱنتهاؤُها إِلى ٱلتَّواترِ ٱلمعنويِّ . . لَكذَّبناها ؛ لأَنَّها ممَّا تُدهشُ ٱلعقولَ .

وفي قيدونَ عددٌ ليسَ بٱلقليلِ مِنْ حُفَّاظِ كتابِ ٱللهِ ، وبينما أَنا مرَّةً عندَ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ ٱلمحضارِ بٱلمُكَلاَّ . . وردَ شيخٌ مِنْ آلِ ٱلعموديِّ ، يقالُ لَهُ : بن حسن ، عليهِ زيُّ ٱلباديةِ ، فإِذا بهِ يحفظُ كتابَ ٱللهِ ويُجيدُ قراءَتَهُ! ولمَّا ٱشتدَّ إِعجابي بهِ . . قالَ ليَ ٱلعمُّ حسينٌ : لـٰكنَّهُ سارقٌ! فسأَلتُهُ ، فقالَ : نعَمْ إِنِّي لأَحدُ جماعةٍ مِنَ ٱلحفَّاظِ ، إِذا كانَ مِنْ أَوَّلِ ٱللَّيلِ . . سَرقنا رأسَ غنمٍ علىٰ أَحدِ أَهلِ قيدونَ وٱشتويناهُ ، ثمَّ إِذا كانَ مِنَ آخِرِ ٱللَّيلِ . . سِرنا إِلى ٱلجامعِ نتدارسُ آياتِ ٱلقرآنِ بظهرِ ٱلغيبِ .

وما أَدري أَقالَ ذلكَ مازحاً ، ليوافقَ هوى ٱلوالدِ حسينٍ ، أَمْ عن حقيقةٍ ؟ غيرَ أَنَّني عندَ هـٰذا تذكَّرتُ ثلاثةَ أُمورٍ :

ٱلأَوَّلُ : ما جاءَ في « مسندِ ٱلإِمامِ أَحمدَ » [٢/٢٤٧] ونصُّهُ : حدَّثني عبدُ ٱللهِ ، حدَّثني أَبي ، حدَّثنا وكيعٌ ، حدَّثنا ٱلأَعمشُ ، قالَ : أَنبأَنا أَبو صالحٍ ، عن أَبي هريرةَ قالَ : (جاءَ رجلٌ إِلى ٱلنَّبيِّ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ فقالَ : إِنَّ فلاناً يُصلِّي بٱللَّيلِ ، فإِذا أَصبحَ . . سرقَ! قالَ : « إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ ») وهـٰذا ٱلسَّندُ جيِّدٌ .

ٱلثَّاني : لمَّا كنتُ بسربايا في سَنةِ (١٣٤٩هـ) . . حضرَ مجلسَنا رجلٌ أَصلُهُ مِنْ مكَّةَ ، يقالُ لَهُ : محمودٌ ، فقرأَ لَنا حصَّةً مِنَ ٱلكتابِ ٱلعزيزِ بصوتٍ جميلٍ كادَ يَقتلعُ

---

(١) هو السيد الفقيه عبد الرحمن بن عيسى (١٢٩٦هـ) بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد ابن الحبيب عيسى بن محمد بن أحمد صاحب الشعب الحبشي ، توفي المترجم في حدود (١٣٥٠هـ) ، وترجم له ابن أخته العلامة علوي بن طاهر في « الشامل » .

(٢) آل باداهية من الأسر العمودية ، يسكنون قيدون .

قلبي مِنْ مكانهِ ، فطربتُ لذلكَ ، وأَمرتُهُم بالاكتتابِ لَهُ ، فقالوا : إِنَّهُ يَشربُ ٱلخمرَ!
فقلتُ لَهم : إِنَّ مَنْ أُدرجَ كتابُ ٱللهِ بينَ جنبيهِ ، وحبَّرَهُ هـٰذا ٱلتَّحبيرَ . . لجديرٌ أَنْ لا يموتَ إِلاَّ علىٰ حُسنِ ٱلختامِ ، وذكرتُ ٱلحديثَ ، فٱكتتبوا لَهُ علىٰ قدرِ هِمَمِهِم بنحوٍ مِنْ ثلاثِ مِئَةِ ربيَّةٍ .

والثّالثُ : قولُ ٱلنَّجاشيِّ ٱلحارثيِّ يَهجو أَهلَ ٱلكوفةِ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

إِذَا سَقَـى ٱللهُ قَـوْمـاً صَـوْبَ غَـادِيَـةٍ ... فَـلاَ سَقَـى ٱللهُ أَهْـلَ ٱلْكُـوفَـةِ ٱلْمَطَـرَا
اَلتَّـارِكِيـنَ عَلَـىٰ طُهْـرٍ نِسَـاءَهُـمُ ... وَٱلنَّـاكِحِيـنَ بِشَطَّـيْ دِجْلَـةَ ٱلْبَقَـرَا
وَٱلسَّـارِقِيـنَ إِذَا مَـا جَـنَّ لَيْلُهُـمُ ... وَٱلـدَّارِسِيـنَ إِذَا مَـا أَصْبَحُـوا ٱلسُّـوَرَا
أَلْـقِ ٱلْعَـدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَـاءَ بَيْنَهُـمُ ... حَتَّـىٰ يَكُـونُـوا لِمَـنْ عَـادَاهُـمُ جَـزَرَا

وما إِخالُهُ في ذلكَ بارّاً ولا راشداً ، وكيفَ يصدقُ وقد بلغَ بِهِ ٱلفسوقُ إِلى ٱنتهاكِ حرمةِ رمضانَ بٱلسُّكرِ في أَوَّلِ يومٍ منهُ ، فحدَّهُ مولانا عليُّ بنُ أَبي طالبٍ وزادَهُ عشرينَ فٱنسلَّ إِلىٰ معاويةَ معَ أَحدِ نهدٍ في خبرٍ طويلٍ ذكرهُ شارحُ « ٱلنَّهجِ » .

وقد قالَ سفيانُ بنُ عُيينةَ : (خذوا ٱلحلالَ وٱلحرامَ عن أَهلِ ٱلكوفةِ) .

ومنَ ٱلنَّوادرِ : ما أَخبرني به منصبُ ٱلمشهدِ ٱلسيِّدُ أَحمدُ بنُ حسينٍ : أَنَّ ٱلعبيدَ بدوعن ـ وفيهم كثرةٌ لذلكَ ٱلعهدِ ـ يجتمعونَ ويتبعُهم ٱلعتقاءُ لزيارةِ ٱلشَّيخِ سعيدِ بنِ عيسىٰ في آخرِ جُمُعةٍ من رجبٍ ، ويدخلونَ وٱلخطيبُ في خطبتِهِ بطبولِهم ومزاميرِهم ، فقام لهم مرَّةً أَحدُ آلِ ٱلعموديِّ فكسرَها عليهم ، وهمُّوا بقتلِهِ لـٰكنَّهم ٱحترموهُ لأَنَّ خالَهُ ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ عبدِ ٱلقادرِ ٱلعلاَّمةُ ٱلمشهورُ ٱلشَّبيهُ ٱلحالِ بٱلشَّيخِ بامخرمةَ ، ولـٰكنَّهم أَجمعوا على ٱلجلاءِ وٱجتمعوا بٱلسُّويدا ـ وهي نخيلُ قيدونَ ـ فقالَ بعضُهم : إِنَّ بٱلسُّويدا رجالاً .

وبينا هم معسكِرونَ هناكَ للرَّحيلِ بقضِّهم وقضيضهم ـ وقد عجزَ أَهلُ دوعنَ عن صدِّهم ، مع أَنَّ أَكثرَ أَعمالِهم وخدمِهم متوقِّفةٌ عليهم ـ . إِذ جاءَ ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ فسارَ إِليهمِ ـ ومعهُ ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ عبدِ ٱلقادرِ ٱلعموديُّ ـ وأَعطاهم ٱلبُنَّ

ليطبخوا ٱلقهوةَ ، وسألهم عن شأنِهم فأخبروهُ ، فقالَ لهم : لا تطيبُ لنا ٱلأرضُ مِن بعدِكم فسنرحلُ معاً ، وما زالَ يُلايِنُهم حتَّىٰ تمَّ ٱلأمرُ علىٰ أن تبقىٰ زيارتُهم بحالِها وعلىٰ أن تحبسوا ٱلشَّيخَ ٱلَّذِي كسرَ طبولَهم شهراً ، وسُوِّيتِ ٱلقضيَّةُ .

ثمَّ إنَّ ٱلشَّيخَ عمرَ بنَ عبدِ ٱلقادرِ ـ أحدَ تلاميذِ الأُستاذِ ٱلحدَّادِ ـ قد قيلَ لهُ : إنَّ ٱلشَّيخَ عمرَ بنَ عبدِ ٱلقادرِ يريدُ أن يكوْنَ مثلَ بامخرمةَ ، فقالَ ٱلأُستاذُ ٱلحدَّادُ : إنَّهُ لأعظمُ حالاً منهُ ، وكَانَ يستعملُ ٱلسَّماعَ إذا وصلَ كحلانَ ، أمَّا في تريم . . فلاَ ؛ أدباً . وقالَ مرَّة للحبيب عليِّ بنِ حسنِ ٱلعطَّاسِ : ما قصرن إلاَّ ٱلقحيبات ؛ يعني : البغايا .

وقد ترجمَهُ ٱلسَّيِّدُ عَليُّ بنُ حسنِ ٱلعطَّاسُ وبالغَ في ٱلثَّناءِ عليهِ ، وترجمَهُ أيضاً ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ ياسين باقيسٍ ، وكانت وفاتُهُ سنةَ (١١٤٧هـ) ، وهوَ من أهلِ ٱلتَّخريبِ ، وذكرَهُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ أحمدَ باسودانَ في مواضعَ من كتبِهِ كـ« جواهرِ ٱلأنفَاسِ » وغيرِهِ .

عَوْدٌ إلىٰ أخبارِ آلِ ٱلعموديِّ ورئَاستِهم بعدَ ٱنقسامِهم : قد مرَّ في بُضَة أنَّ ٱلكساديَّ ٱستولىٰ علىٰ أكثرِ دوعنَ في حدودِ سَنةِ (١٢٨٦هـ) ، غيرَ أنَّ ٱلعموديِّينَ ٱجتمَعوا إثرَ ٱغتيالِ ٱلكساديِّ أحدَ ٱلمشايخِ ، وهوَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ شيخِ ٱلعموديُّ ، في سَنةِ (١٢٨٨هـ)[١] ، ونَجعوا بالرِّئَاسةِ ٱلعامَّةِ للشَّيخِ صالحِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلعموديِّ ، فتحمَّلَ أثقالاً فادحةً ، عَهَّدَ[٢] مِنْ أجلِها أموالاً طائلةً بسهوةَ ٱلسَّابقِ ذِكرُها في مَرْخَة ، وساعدهُم جميعُ قبائِلِهم مِنَ ٱلقُثَمِ وسَيْبَانَ وٱلمراشدةِ وٱلجَعْدةِ وغيرِهم ، فأيَّدَهُمُ ٱللهُ علىٰ عدوِّهم ، فأصبحوا ظاهرينَ ، ولٰكنْ لَمْ تأْتِ سنةُ (١٣٠٠هـ) إلاَّ ووادي دوعنَ ، حَسَبَما قالَ ٱلإمامُ ٱلمحضارُ [مِنْ مجزوءِ ٱلرَّجَزِ] :

أُنظُــرْ إلَــى ٱلْــوَادِي فَقَــدْ	حَلَّــتْ بِــهِ ٱلسَّبْــعُ ٱلشِّـدَادْ
ٱلأَخْمَعِــــي وَٱلْمُــــرْشِـــدِي	هُــمْ وَٱلْقُثَــمْ بِئْــسَ ٱلمِهَــادْ

(١) ينظر : « العدة المفيدة » (٢/ ٣١٧) وما بعدها .

(٢) عَهَّد : باع عُهْدَةً .

وَٱلـــدَّيِّنِـــي وَٱلْمَشْجَـــرِي ... هُـــو وَٱلْعُبَيْـــدِي لاَ يُعَـــاْدْ
وَٱبْـــنُ مُطَهَّـــرْ سَـــابِـــعُ ٱلْـ ... ـغِلْمَـــهْ وَهُـــوْ رَأْسُ ٱلْفَسَـــاْدْ
ٱللهُ يَهْـــــدِيهِـــــمْ وَيَهْـ ... ـدِينَـا إِلَـىٰ طُـرقِ ٱلـرَّشَـاْدْ
وَٱلاَّ يُنَظِّفْهُـــمْ مِـــنَ ٱلْـ ... ـــوَادِي وَيَجْعَلْهُـــمْ بِعَـــاْدْ

وقد سبقَ في بُضَهْ أَنَّهُم منقسمونَ إلىٰ قسمينِ : آلُ محمَّدِ بنِ سعيدٍ ، ولهم قيدون وما نزلَ عنها إلى ٱلهَجْرين .

وآلُ مُطَهَّرٍ ، ولَهم بُضَهْ وما إليها . وكانَ فيهِم عدَّةُ مناصب :

آلُ صالحِ بنِ عبدِ ٱللهِ ، ببُضَهْ . وٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ ٱلكريمِ صاحب شَرْق ، علىٰ مَقْرُبَةٍ مِنَ ٱلخريبةِ . وٱلشَّيخُ سعيدُ بنُ محمَّدِ بنِ منصّر صاحبُ ٱلعَرْضِ ، بٱلخُريبةِ أَيضاً . وٱلشَّيخُ محمَّدُ باعُمَرَ صاحبُ ٱلبَرَاز ، قريباً مِنَ ٱلقرينِ .

وبينَهُم مِنَ ٱلمنافساتِ ما لا تبرُكُ عليهِ ٱلإبلُ ، وكلٌّ منهُم يُوضِعُ في سبيلِ ٱلجَوْرِ وٱلظُّلمِ ، فلَم يَكُنْ مِنْ أَحدِ آلِ باسَوْدانَ وأَحدِ آلِ باعبيدٍ . إلاَّ أَنْ رفعا شكوى إلى ٱلقعيطيِّ بٱلمُكَلاَّ على ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ ٱلكريمِ ، فٱستدعاهُ ٱلقعيطيُّ ، فركبَ إليهِ مجلَّلاً محترماً ، ولَم يَزَلْ في مفاوضةٍ معَهُ حتَّىٰ تمَّ ٱلكلامُ علىٰ أَنْ تكونَ ٱلرِّئاسةُ ٱلعامَّةُ لِلقعيطيِّ ، ولابنِ عبدِ ٱلكريمِ ٱستقلالٌ داخليٌّ في ٱلخريبةِ وأَعمالِها ضمن دائرةِ ٱلعدلِ ، وعلىٰ أَنْ ليسَ لهُ أَنْ يأخذَ شيئاً مِنَ ٱلرُّسومِ سوىٰ مئتي ريالٍ شهريّاً .

وقبضَ إزاءَ ذلكَ ٱلصُّلحِ مِنْ يدِ ٱلقعيطيِّ ما لا يُستهانُ بهِ مِنَ ٱلدَّراهمِ ، وما كادَ يصلُ إلى ٱلخريبةِ حتَّىٰ حبسَ باسَوْدانَ وباعبيدٍ ، فٱغتاظَ ٱلسُّلطانُ غالبُ بنُ عوضٍ ٱلقعيطيُّ ، ورأَىٰ أَنَّ شرفَهُ مُسَّ ، وأَنَّ ٱلمعاهدةَ ٱنخرمَتْ بحبسِ ذينكَ ، وكرهَ أَنْ يتعجَّلَ بعقوبةِ ٱبنِ عبدِ ٱلكريمِ ، فأَشارَ على ٱلشَّيخِ صالحِ بنِ عبدِ ٱللهِ أَنْ يُعْذِرَ إليهِ ، فأَرسلَ بأَخيهِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ، وبٱلسَّادةِ : حامدِ بنِ أَحمدَ ٱلمحضارِ ، وحسينِ بنِ محمَّدٍ ٱلبارِّ ، وحسينِ بنِ عمرَ بنِ هادونَ صاحبِ ٱلمَشْهدِ ، فلَم يَقبلِ ٱبنُ عبدِ ٱلكريمِ لَهم كلاماً .

واتّفقَ أنْ وصلَ ٱلشّيخُ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ مُنَصَّر إلى ٱلمُكلاَ يتذمَّرُ مِنْ مخالفةِ ٱلقعيطيِّ لابنِ عبدِ الكريمِ ، فصادفَ سَخْطةَ ٱلقعيطيِّ على ٱلثّاني ، فحالفَ ٱبنَ منصّر بشرطِ أنْ يُساعدَهُ على ٱبنِ عبدِ ٱلكريمِ ، وما كادَ يرجعُ إلىٰ مكانهِ ٱلعَرْض . . حتّىٰ أذكىٰ نارَ ٱلحربِ على ٱبنِ عبدِ الكريمِ ، وجاءَتْهُ نجدةُ ٱلقعيطيِّ بقيادةِ عبدِ ٱللهِ بنِ ٱمبارَكٍ ٱلقعيطيِّ ، فلَم يَثْبُتِ ٱبنُ عبدِ ٱلكريمِ إلاَّ نحواً مِنْ أربعينَ يوماً ، ثمَّ هربَ إلىٰ جهةِ ٱلقِبْلةِ ، فصادفَ أحدَ زعماءِ ٱلعموديِّينَ ، وهوَ : ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱلرَّبِّ ، فجمعَ لَهُ عسكراً كثيفاً هاجمَ بهِ ٱلخريبةَ فٱستولىٰ عليها ، ودارتِ ٱلمفاوضاتُ بينَهُ وبينَ ٱبنِ منصّر صاحبِ ٱلعَرْضِ فٱنضمَّ إليهِ ، وعندَ ذلكَ تراجعتْ عساكرُ ٱلقعيطيِّ إلى ٱلهجرينِ ، وغضبَ ٱلسُّلطانُ غالبٌ لذلكَ ، وأَرسلَ عسكراً مَجْراً[1] بقيادةِ عبدِ ٱلخالقِ ابنِ ٱلمَاسِ عُمَر مولاهم ، ولاقاهُ صلاحُ بنُ محمَّدٍ ٱلقعيطيُّ ـ مِنَ ٱلقَطْنِ ـ مدداً لَهُ بمَنْ كانَ معَهُ ، وبفُلُولِ ٱلعساكرِ ٱلَّتي بٱلهجرينِ ، وعندَ ذلكَ قالوا لآلِ ٱلعموديِّ : ٱهبطوا مِنها جميعاً ، فٱنهزموا ولَم يجدوا لَهم ملجأً ولا مدّخَراً إلاَّ ٱلشَّيخَ صالحَ بنَ عبدِ ٱللهِ ٱلعموديَّ ٱلمحافظَ علىٰ محايدتهِ ، فنزلوا عليهِ . . فآواهُم ، وكانَ ذلكَ في سَنةِ (١٣١٧هـ) .

وكانَ مِنْ رأيِ ٱلأميرِ صلاحِ بنِ محمَّدٍ وعبدِ ٱلخالقِ أنْ يُطاردوهُم ويَنتزعوهُم مِنْ بُضَهْ ، لٰكنَّ ٱلسُّلطانَ غالبَ بنَ عوضٍ كانَ كريماً ، يُجلُّ ٱلكرامَ ، فنهاهُم عن ذلكَ ٱحتراماً للشَّيخِ صالحِ بنِ عبدِ ٱللهِ ، وبإثرِ ذلكَ ٱنْتَحَرَ عبدُ ٱلخالقِ ٱلماسِ في ٱلقويرةِ ، ولَم تَطُلْ أيّامُ ٱلأميرِ صلاحٍ . . بل ماتَ وشيكاً في سَنةِ (١٣١٨هـ) . وبـ« ٱلأصلِ » تفصيلُ تلكَ ٱلحوادثِ .

وأَسندَ ٱلقعيطيُّ عَمَالةَ وادي ٱلأيمنِ لِلمقدَّم عمرَ بنِ أَحمدَ باصرَّةَ ، وكانَ ما قد أَسلَفْناه في عُوره ، وبعدَ أنِ ٱستولى ٱلقعيطيُّ على ٱلوادي ٱلأيمنِ . . حَمَلَ ٱلمقدَّمُ باصُرَّةَ كلَّ أَسلحةِ ٱلدَّهاءِ لحملِ ٱلقعيطيِّ على ٱلتهامِ ٱلوادي ٱلأيسرِ ، ولَم يَزَلْ يتحيَّنُ ٱلفرصَ للوثوبِ عليهِ ؛ لِما في قَلْبهِ مِنَ ٱلبِغْضةِ للحَالكةِ .

---

(١) عسكراً مَجْراً : جيشاً عظيماً .

وكانت رئَاسةُ ٱلوادي ٱلأيسرِ لآلِ ٱلشَّيخ محمَّدِ بنِ سعيدٍ ولقبائِلِهِمُ ٱلحَالكَة ، ومِنْ مناصبهم : ٱلشَّيخُ محمَّدُ عبود ٱلقحومُ ، ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ في قَرْنِ ماجدٍ ، ولَهُ بلادُ ٱلماءِ وخِدَيش وقرنُ ماجدٍ ، وهوَ مِنَ ٱلوادي ٱلأيمنِ ، ولَهُ ٱلعرسمةُ ونصفُ صبيخ ، وهيَ مِنْ ٱلأيسرِ .

ومنهُمُ : ٱلشَّيخُ حسنُ بنُ بدرٍ ، ولَهُ صِيفُ وفَيل .

ومنُهُم : ٱلشَّيخُ أحمدُ بنُ حسينِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدٍ ، ولَهُ حُوفَة وضَرْي وتولبة .

ومنهُمُ : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ قاسمِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدٍ[1] ، ولَهُ ٱلعَرْض ، ونصفُ صبيخ مثرى ٱلقُحُوم .

ومنهُمُ : ٱلشَّيخُ حسينُ بنُ محسنٍ ، وعمرُ بنُ عبدِ ٱللهِ ، ولَهم حَيدُ ٱلجزيلِ .

وأوَّلُ ما ٱنفتحَ ٱلبابُ لباصرَّةَ إلى ٱلوادي ٱلأيسرِ : شرٌّ حَدَثَ بينَ ٱلخنابشةِ وآلِ باهبري ، سببُهُ : أنَّ أحمدَ بنَ سالمٍ باشُجَيرة ٱلخنبشيَّ تزوَّجَ ٱمرأةً مِنْ آلِ باهَبْري ، يقالُ لَها : قمر ، بدونِ رضاً مِنْ بني عمِّها ، فبينما ٱمرأةٌ مِنَ ٱلخنابشةِ تستقي مِنْ غيلِ جرَيف . . إذْ عَمَدَ لَها بعضُ آل باهبريٍّ فأراقَ ماءَها ، فخَفَّتْ[2] إلىٰ أهلِها ، فكانت بينَهُم وقعتانِ ، قُتلَ في ٱلأولىٰ عمرُ بنُ سالمٍ ٱلخنبشيُّ ، وفي ٱلثَّانيةِ أخوهُ عبدُ ٱللهِ بنُ سالمٍ ٱلخنبشيُّ ، وكانَ ذلكَ أوائلَ سَنةِ (١٣٢٢هـ) ، فخافَ آلُ باهبريٍّ مِنَ ٱلخنابشةِ ، وكانَ شيخَ قبائلِ ٱلحالكةِ كلِّها ٱلمقدَّمُ عمرُ بنُ أحمدَ بلْحُمَر ، فلجأَ إليهِ آلُ باهبريٍّ ، فأعطاهُم بعضَ رجالهِ بصفةِ ٱلخفارةِ[3] ، فسُقِطَ في يدِ ٱلخنابشةِ ، وأيقنوا بتعذُّرِ ٱلثَّأرِ ، فٱستعانوا بٱلمقدَّمِ عمرَ بنِ أحمدَ باصرَّةَ ، وكانَ ينظرُ إلىٰ واديهِم نظرَ ٱلجزَّارِ إلى ٱلتَّيسِ ، وتحالَفوا معَهُ سرّاً حِلْفاً هجومياً دفاعياً ، آثَروا ٱلتَّكتُّمَ بهِ ؛ لئَلاَّ ينتبهَ آلُ باهبريٍّ فيأخذوا حِذْرَهُم ، ولمَّا ظهرَ لَهم قاتِلُ أحدِ إخوانِهم . . أطلقوا عليهِ ٱلرَّصاصَ فنضخَ دمُهُ في ثيابِ بلْحُمَر ، فٱستشاطَ ٱلمقدَّمُ عمرُ بنُ أحمدَ بلْحُمر ،

---

(١) وترجمته في « الشامل » (١٧٩) ، ووفاته سنة (١٣٣٤هـ) .

(٢) خفَّت : أسرعت .

(٣) الخِفارة : العهد والجوار .

وأَحاطَ بجَحْيِ ٱلخنابشةِ ، ولمَّا ٱشتدَّ ٱلأمرُ . . أَمدَّهُم باصرَّة بأَربعِ مئةِ مقاتِلٍ ، فأَبلعوهُمُ ٱلرِّيقَ .

وفي سَنةِ (١٣٢٥هـ) سارَ بلْحُمَر وأَهلُ لَيْسَر ـ ومنهُم : آلُ بُقْشان ، ورؤَساءُ ٱلحالكةِ ، وٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ حسينٍ ٱلعموديُّ ـ إِلى ٱلمُكلاَّ ، وحالَفوا ٱلقعيطيَّ وأَعطوهُ ٱلواديَ ، وأَعلَنوا ذلكَ بٱلأَسواقِ ، ففُتَّ بذلكَ في أَعْضادِ ٱلخنابشةِ ؛ إِذْ لا يستطيعونَ مقاومةَ بلْحُمر إِلاَّ بٱلقعيطيِّ ، ومتىٰ حالفَهُ . . ماذا يَفعلونَ ؟ فبقوا ساكتينَ حتَّىٰ نزغَ ٱلشَّيطانُ بينَهُم ، ونشبتِ ٱلحربُ مرَّةً أُخرىٰ ، وسرعانَ ما ٱنعقدَ ٱلصُّلحُ بينَ ٱلخنابشةِ وبلْحُمر علىٰ أَنْ لا تكونَ مساعدةٌ مِنَ ٱلقعيطيِّ للخنبشيِّ في مدَّةِ ٱلصُّلحِ ، ولمَّا ٱنتهىٰ . . حصلت مساعدةٌ قليلةٌ ٱستمرَّ بها ٱلخنبشيُّ على ٱلحربِ عشرةَ أَشهرٍ ، ولمَّا ٱشتدَّ ٱلحَصْرُ على ٱلخنابشةِ بِٱلجَحِي . . جاءَتْ نجدةُ ٱلمُكلاَّ ، وتقدَّمَ باصرَّةَ مِنَ ٱلوادي ٱلأَيمنِ ، وأَحاطَ بٱلعَرْسمةِ فسُلِّمَتْ في سَنةِ (١٣٢٨هـ) ، ثمَّ سُلِّمَتِ ٱلجَديدةُ ، ثمَّ صُبَيْخُ ، ثمَّ جرَيفُ ، ثمَّ ٱلدُّوفةُ .

ثمَّ ٱنعقدَ ٱلصُّلحُ بينَ ٱلقعيطيِّ وَٱلحالكةِ علىٰ بقائِهم بمساكنِهِم وأَموالِهم في ٱلوادي ٱلأَيسرِ مُجَلِّينَ محترمينَ ، إِلاَّ أَنَّ ٱلمقدَّمَ عمرَ بنَ أَحمدَ بلْحُمر لَم يَطِبْ لَهُ ٱلمقامُ مكتوفَ ٱليدِ ، فذهبَ إِلىٰ سيئون ثمَّ إِلىٰ وادي ٱلعينِ ثمَّ إِلىٰ ريدة ٱلجُوهيِّينَ ثمَّ إِلىٰ لِبْنةِ بازْشَيد عندَ نوَّحٍ ، فلَم يَعثرْ بطائِلٍ فعادَ إِلىٰ بلادهِ ، وأَجرىٰ لَهُ ٱلسُّلطانُ غالبُ بنُ عوضٍ ما يكفيهِ ، وتفصيلُ هـٰذهِ ٱلأَخبارِ بـ« **ٱلأَصلِ** »[1] .

ومِنْ وراءِ قَيدُون عدَّةُ قرىً وشِرَاجٍ[2] ، ومِنها :

مِسِه ، وهيَ قريةٌ صغيرةٌ علىٰ يسارِ ٱلذَّاهبِ إِلىٰ دوعنَ ، يسكنُها ناسٌ قليلٌ مِن آل

---

(١) وفي « الشامل » تفصيل أوسع مما هنا لحوادث الوادي الأيسر (ص ١٨٦ـ ١٨٨) ، وينظر « تاريخ البكري » (٢/ ٣١ـ٣٤) .

(٢) **الشِّراج** : مسايِلُ الماءِ ومن هـٰذه القرى الصغيرة : قرية مِسِه ، وهي على يسار الذاهب إلى دوعن ، يسكنها آل بامحرز ، وآل العمودي . وبها كانت وقعة مِسِه في عام (١١١٥هـ) ، وتفصيلها في « العدة المفيدة » (١/ ٢٥٤ـ٢٥٥) .

بامحرزٍ ، وفيها غيلٌ جارٍ ، عليهِ نخيلٌ لآلِ با محرزٍ ولآلِ ٱلعموديِّ ، وعليهِ تُزرعُ ٱلخضراواتُ ، وحواليها كانت وقعةُ مِسِه ، وحاصلها : أَنَّ ٱلسُّلطانَ عيسى بنَ بدرِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ بنِ بدرٍ بُوطُويرقٍ أغرىٰ ولدَهُ جعفراً على ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ مطهَّرٍ ٱلعَموديِّ في ٱلْفِ وثمانِ مئةٍ . . فلاقاهُ ٱلعموديُّ في عددٍ قليلٍ ، ولمَّا رأىٰ عسكر جعفرٍ . . ٱنهزَم ، فتبعَهُ عسكرُ جعفرٍ ، ثمَّ لم يشعروا إلا بِكَمينٍ منَ ٱلعموديِّ يركبُ أكتافهم ، ويفعلُ بهمُ ٱلأَفاعيلَ ، وفَرَّ ٱلأميرُ جعفرٌ بمن بقيَ معَهُ إلى ٱلهَجْرَين ، وفي ذلكَ يقولُ شاعرُهم :

سَبْعَةْ ومِتَيِنْ غَلَبَوا سَبْعَةَ عْشَرْ مِيةْ

وكانَ ذلكَ في حدودِ سنةِ (١١١٥هـ) كما فُصِّل بـ « ٱلأصلِ » .

ومنها : نَسْرَة ، فيها آثارُ ديارٍ قديمةٍ ، وقد بُنيَ فيها مسجدٌ ومدرسةٌ علىٰ نفقةِ ٱلشَّيخِ أحمدَ بنِ مساعدٍ[١] ـ أو مداعسٍ ـ ٱلموجود ٱلآنَ فيما يقالُ بٱلحُدَيدةِ .

وقد رجوتُ أَنْ يحصلَ مِنْ هـٰذهِ ٱلمدْرسةِ ما كنتُ أُؤَمِّلُهُ ؛ إذْ لا يُرجى ٱلخيرُ مِنْ مدْرسةٍ يختلطُ أبناؤها بٱلأوساطِ ٱلفاسدةِ ، وإنَّما يُرجىٰ مِنْ مدرسةٍ داخليَّةٍ يُنتخَبُ لَها معلِّمونَ صالحونَ ، علىٰ أبلغ ما يكونُ مِنَ ٱلنَّزاهةِ وٱلتَّقوىٰ ، حَسَبَما ٱقترحتُهُ على ٱلسُّلطانِ ٱلقعيطيِّ في أواخرِ ذِكرِ ٱلمُكلاَّ ؛ لأَنَّ ٱلخلطةَ ٱلدَّاءُ ، وإِنَّما ٱلتِّلميذُ هوَ ظِلُّ ٱلمعلِّمِ . . يَنحو نَحْوَهُ ، ويقتصُّ أَثرَهُ ، ولـٰكنْ بلغني ـ ويا للأسف ـ أَنَّ تلكَ ٱلمدرسةَ أُقفلَتْ ، وطاحت تلكَ ٱلعباراتُ ، وفَنِيَتْ تلكَ ٱلإشاراتُ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بٱللهِ ، وما شاءَ ٱللهُ . . كانَ ، وما لَم يَشأْ . . لَم يَكُنْ[٢] .

---

(١) ويقال إنما هو بن مُدَاعس ، والذي سمّاه وغيَّر اسمه إلى مساعد هو الحبيب أحمد بن حسن العطاس ، وكان هو من محبيه المؤتمرين بأمره .

(٢) ولا زالت هـٰذه المدرسة قائمة إلى اليوم ، وكان الطريق يمر من تحتها ، ثم لما شق الطريق الإسفلتي . . صار يمرُّ بعيداً عنها ، وقبيل نسرة يمر بخريخر وفيها يمر أيضاً تحت مدرسة بناها آل بن محفوظ باسم والدهم سالم بن محمد الشيبة بن محفوظ ، وفيها سكن داخلي .

ٱلهَجْرَين(١)

هيَ واقعةٌ في حضنِ جبلٍ فاردٍ جاثمٍ على ٱلأَرضِ كٱلجمَلِ ٱلباركِ مِنْ غيرِ عُنُقٍ ، تحفُّ بسفوحهِ ٱلنَّخيلُ مِنْ كلِّ جانبٍ ، مُتجانِفٌ طرفُهُ ٱلغربيُّ إِلىٰ جهةِ ٱلجنوبِ ، وطرفُهُ ٱلشَّرقيُّ إِلىٰ جهةِ ٱلشَّمالِ . وموقعُ ٱلهجرينِ في جَنْبهِ ٱلأَيسرِ ، تُشرفُ علىٰ سفوحهِ ٱلجنوبيَّةِ ديارُ آلِ مساعدِ ٱلكنديِّينَ ، وفي يسار سنامهِ ديارُ آلِ يزيدَ ٱليافعيِّينَ ، ومِنْ فوقِ ديارِ آلِ يزيدَ آثارُ حصنٍ ، يقالُ لَهُ : **حصنُ ٱبنِ ميمون** .

وفي ضواحي ٱلهجرينِ ثلاثُ حرار ، يقالُ لإحداهما : **حرَّةُ ٱبنِ ميمون** ، وللأُخرىٰ : **حرَّةُ بَدْرِ بنِ ميمونٍ** ، وللثَّالثةِ : **حرَّةُ مرشدِ بنِ ميمونٍ** .

وعلىٰ حارك ذلكَ ٱلجبلِ بُلَيدةٌ صغيرةٌ(٢) ، يقالُ لَها : **ٱلمُنَيظرةُ**(٣) ، قليلٌ مِنها يُشرفُ علىٰ جهةِ ٱلجنوبِ ، وٱلأَكثرُ إِنَّما يُشرفُ علىٰ جهتَي ٱلشَّرقِ وٱلشَّمالِ ، وفيها مسجدٌ قديمٌ كثيرُ ٱلأَوقافِ ؛ لأَنَّ مساجدَ ٱندثرتْ هناكَ فتحوَّلَتْ إِليهِ صدقاتُها ؛ لأَنَّهُ أَقربُ ما يكونُ إِليها .

وفي جنبِ ذلكَ ٱلجبلِ ٱلشَّبيهِ بٱلجملِ مِنْ جهةِ ٱلشَّمالِ آثارُ دمُّونَ ٱلمذكورةُ في قولِ ٱمرىءِ ٱلقيسِ [في « الأغاني » ٩/١٠٦] :

تَطَـاوَلَ ٱللَّيْـلُ عَلَينـا دَمُّـونْ ... دَمُّـونُ إِنَّـا مَعْشَـرٌ يَمَـانُـونْ

وَإِنَّنَـا لأَهْلِنَـا مُحِبُّـونْ

---

(١) الهجرين مدينة قديمة ، بها آثار ترجع إلى العصور الحميرية القديمة ، ويحيط بها وادٍ خصيب ، وسكانها : آل النعمان ، وآل بانافع ، وآل بن عفيف ، وآل بن محفوظ ، والسادة آل الكاف ، وجماعة من آل العطاس ، وآل الجيلاني ، وآل الحامد ، وآل السعدي ، وقديماً كان بها المشايخ آل بامخرمة .
وللسيد العالم الصالح الحبيب حسين بن أحمد بن عبد الله الكاف منظومة في عادات أهل الهجرين تسمّى : « مرآة الصُّوَر فيما لأم الهَجَر وأهلها من العادات والسِّيَر » ، مطبوعة .

(٢) **الحارك للبعير** : عَظْمٌ مشرف من جانبه ، ومنبت أدنى العرف إلى الظهر الذي يأخذ به من يركبه ، وهو بأعلى الكاهل .

(٣) لهذه المنيظرة ذكر في التاريخ وأحداث هامة ، تنظر في « تاريخ شنبل » .

وهي ٱلمذكورةُ أيضاً في قولهِ ٱلسَّابقِ بعندلٍ [مِنَ الطَّويلِ] :

كَـأَنِّـيَ لَـمْ أَلْـهُ بِـدَمُّـونَ لَيْلَـةً　　وَلَـمْ أَشْهَـدِ ٱلْغَـارَاتِ يَـوْمـاً بِعَنْـدَلِ

ومتىٰ عرفتَ هٰذا . . تقرب لكَ قولُ « ٱلقاموسِ » : (وٱلهجرانِ قريتانِ متقابلتانِ ، في رأسِ جبلٍ حصينٍ قُربَ حَضْرَمَوْتَ ، يقالُ لإحداهما : خيدونُ ، وللأُخرىٰ : دَمُّونُ) .

قالَ ٱبنُ ٱلحائكِ : (وساكِنُ خَودُونَ : ٱلصَّدِفُ ، وساكِنُ دَمُّونَ : بنو ٱلحارثِ بنِ عَمرو بنِ حجرٍ آكلِ ٱلمرارِ) اهـ[1]

وٱلظَّاهرُ أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ سُكْنىٰ بني ٱلحارثِ عن نصٍّ ، وإِنَّما ٱستنتجَهُ مِنْ شِعرِ ٱمرىءِ ٱلقيسِ ، ولا دليلَ فيهِ ؛ لأَنَّهُ إِنَّما لجأَ إِلىٰ دَمُّونَ بعد ما طردَهُ أَبوهُ مِنْ أَجلِ ٱلشِّعرِ ، كما في شرحِ (ٱليومَ خَمْرٌ وغداً أَمْرٌ) مِنْ « أَمثالِ ٱلميدانيِّ » [٢/٤١٧ـ٤١٨] ، ما لَم يَكُنِ ٱبنُ ٱلحائكِ يعني أَعقاباً لامرىءِ ٱلقيسِ في هٰذهِ ٱلبلادِ لَم يَنْتَهِ خَبَرُهُم إِلينا .

وقولُ « ٱلقاموسِ » : (قريتانِ متقابلتانِ) صحيحٌ ؛ لأَنَّ إِحداهُما في حُضْنِ ٱلجبلِ ٱلأَيمنِ وٱلأُخرىٰ في حُضْنهِ ٱلأَيسرِ ، فهما متقابلتانِ في ٱلموقعِ ، أَمَّا في ٱلنَّظرِ . . فيحولُ بينَهُما سنامُ ٱلجبلِ ، ومنهُ يتبيَّنُ لكَ وَهَمُهُ إِذْ قالَ : (في رأسِ ٱلجبلِ) وإِنَّما هُما في جنبيهِ ، هٰذهِ حالتُهُما ٱليومَ ، أَمَّا في ما مضىٰ . . فلا يَبعدُ ٱلتَّناظرُ ؛ لاحتمالِ ٱتِّصالِ ٱلعمارةِ إِذْ ذاكَ[2] .

أَمَّا قولُهُ : (قريبٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ) فمِنْ أَخطائهِ في حدودِها ، وقد ٱضطربَ كلامُهُ وكلامُ « شرحهِ » في ذلكَ ؛ ففي دوعن منهُ : (ودَوْعَنُ كجَوْهَرٍ وادٍ بحَضْرَمَوْتَ وهوَ أَبعدُ مِنَ ٱلهَجْرَينِ) .

وفي مادَّةِ (مأْرب) يُوسّعُ حَضْرَمَوْتَ جدّاً ، فيقولُ : (إِنَّ مأْربَ في آخرِ جبالِ حَضْرَمَوْتَ) . وفي (شبوةَ) يُضيِّقُ حدَّها ، ويقولُ : (إِنَّها بلدٌ بينَ مأْربَ وحَضْرَمَوْتَ) .

---

(١) صفة جزيرة العرب (١٦٧ـ١٦٨) .

(٢) ينظر ملاحظات بامطرف على « الصفة » للهمداني ، نشرت في مجلة العرب .

وجزمَ في وادي عَمْدٍ بأَنَّهُ مِنْ حَضْرَمَوْتَ .

وذَكَرَ في مِرباط[1] أَنَّها مِنْ أَعمالِ حَضْرَمَوْتَ ، وهوَ ٱلَّذي جزمَ بهِ صاحبُ « ٱلخريدةِ » ، وفي رحلةِ ٱلسَّيِّدِ يوسفَ بنِ عابدٍ ٱلفاسيِّ ٱلمغربيِّ ثمَّ ٱلحضرميِّ ما يُصرِّحُ بأَنَّ مأْربَ مِنْ حَضْرَمَوْتَ . . إذنْ فما مُنُوا بهِ مِنْ فَرْطِ ٱلهجرةِ ليسَ إلاَّ نتيجةَ قولِهم : ﴿ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ كما هو موضَّحٌ بـ« ٱلأَصلِ » .

وفي ٱلجزءِ ٱلثَّامنِ [ص٩٠] مِنَ « ٱلإكليلِ » : أَنَّ دَمُّون مِنْ حصونِ حِمْيَرَ بحَضْرَمَوْتَ .

وهنا فائدةٌ نفيسةٌ ، وهيَ : أَنَّ كلَّ مَن ذكرَ طَرْدَ حِجْرٍ لولدِه ٱمرىءِ ٱلقيسِ ممَّن رأيتُهُ يقولُ: إنَّ ٱلسَّببَ في ذلكَ هوَ قولُهُ ٱلشِّعرَ، وليسَ بِمعقولٍ ؛ لأَنَّ ٱلشِّعرَ عندَهم مِنَ ٱلفضائِلِ ٱلتي يتنافسونَ فيها سوقةً وملوكاً ، لكنَّ ٱلسَّببَ ٱلصَّحيح أَنَّهُ كانَ يُشَبِّبُ بِهِرٍّ ، وكنيتها أُمُّ ٱلحويرثِ ، وكانت زوجةَ والدِهِ ، فلذلكَ طردَهُ وهمَّ بقتلِهِ مِن أَجلِها كما في (ص ١٨١ ج ١) مِن « خزانة الأدب » ، و (ص ٥٣٩) من الجزء الأول منها .

وفي غربيِّ جبلِ ٱلهَجْرَينِ : ساقيةُ دَمُّونَ مِنْ أَوديةِ دوعنَ ، وفي غربيِّها مَسيلُ وادٍ عظيم ، يقالُ لَهُ : وادي ٱلغَبَرِ ، يَنْهَرُ إِلى ٱلكَسْرِ .

وفي غربيِّ ذلكَ ٱلمسيلِ بلدةُ : **نُحُولهْ** لآلِ عمرَ بنِ محفوظٍ ، وهيَ في سفحِ جبلٍ ، في حضنهِ إِلىٰ جهةِ ٱلجنوبِ :

قِزةُ آل ٱلبطاطيِّ ، وهم من بني قاصدٍ ، ورئيسُهم بيافعٍ بلعفيف ، وآل يزيدَ وهم قبيلةٌ واحدةٌ ، ولآلِ ٱلبطاطيِّ نجدةٌ وشجاعةٌ ، ومنهم : ناصرُ بنُ علَيٍّ ، كانَ يحترفُ بٱلرِّبا فأَثرىٰ ، وهو خالُ ٱلأَميرِ صلاحِ بنِ محمد بن عمرَ ٱلقعيطيِّ ، فزَيَّنت لهُ نفسُهُ أَن يستأْثرَ بٱلقِزة ونخيلها وعيونها فناشبَ آلَ ٱلبطاطيِّ ٱلحربَ ، وٱستعانَ عليهم بأَعدائِهم آلِ محفوظٍ ، وضمَّ إِليهم صعاليكاً وذوباناً من ٱلصَّيْعَرِ ونَهْدٍ. . فلم يقدر عليهم ، وٱجتمعوا علىٰ حصاره ، فزالَ مِنَ ٱلقزة إِلىٰ خريخرٍ عندَ صهورهِ آلِ عجرانَ ، ولمَّا

---

(١) ذكره في « التاج » في مادَّة (ربط) .

كثروهُ. . ٱستعانَ عليهم بٱبنِ أُختِهِ ٱلأَميرِ صَلاَح فأَعطاهُ جماعةً مِن عبيدِهِ يخفرونَهُ ، وقتلوا ولدَهُ قاسمَ بنَ ناصرِ بنِ عليٍّ في ثأرٍ لهم عندَهُ وعَبِيد صلاحٍ في دارِهِ ، فغضبَ صلاحٌ وجمعَ يافعَ لحربِهم ، فوافقوهُ علىٰ ذلك إلاَّ بني أَرضٍ ، وضيَّقَ عليهم ٱلحصارَ ، وفي ذلكَ يقولُ شاعرُهم ٱلشَّيخُ ناصرُ بنُ جبرانَ ٱلبطاطيُّ :

بـركـاتْ طَـرَّبْ مـن قتلنـي بـاٱقتلِـهْ	ومن لَقَىٰ في صَوْب ، بٱلقي فيه صَوْبْ
والله مـا بـأنسـىٰ شـروع ٱلقَبْـوَلِـهْ	لو بَا ثُمُنْ في ٱلدار هـٰذا مِيَةْ طُوبْ

ولمّا ٱشتدّ ٱلحصرُ عليهم. . تداخلَ ٱلحبيبُ حامدُ بنُ أَحمدَ ٱلمحضارُ في آخرِ حياةِ أَبيهِ ، فسارَ بهم إلى ٱلرِّيْضةِ عندَ ٱلأَميرِ صلاحٍ علىٰ أَن يحكمَ عليهم بما شاءَ بعد أن تواضع هو وإياه على أن يكوْن الحكم بمسامحة آل البطاطي في قتيل لهم عِندَ ناصرِ عليٍّ ، وعلىٰ أَن يدفعوا خمسَ مئةِ ريالٍ أيضاً ، ولمّا وصلوا فُرْطَ بني أرضٍ وٱلحبيبُ حامدٌ أَمامَهم. . قالَ شاعرُهم ٱبنُ جبرانَ :

يـاٱلفُـرْط مـا تستـاهـل التفـريـطْ	لأَنَّ حَبَّـكْ مـا دَخَلْـهُ ٱلسُّـوس
وأَمَّـا ٱلجمـاعَـهْ حَبَّـوا ٱلتخليـطْ	لـٰكنَّنَّـا بَـاكِيِّـس القنبـوس

ولمّا وصلوا ٱلريضةَ. . قال :

يـا راد يـاعـوّاد هـٰـذي الـرِّيْضَـهْ	قـد ذَكَّـرَتْنـي جُمْـلْ فـي وادي حنيـن
والـدرع والبيضـه مـع مـولـى بُضَـهْ	شَـلَّ الثقيلـهْ يـوم ضـاقـت بـو حسيـن

وأَبو حسين هو ٱلأميرُ عبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ ٱلقعيطيُّ ، يُشيرُ بذلكَ إلىٰ نجدتِهِ ٱلَّتي أَعانَ بها آلَ ٱلبطاطيِّ حتَّىٰ خلّصوهم مِن حصارِ آلِ كثيرٍ ، كما فصَّلناها بـ« **ٱلأَصلِ** » ، وأَشرنا إليها فيما يأتي .

وفيها كانَ مسكنُ ٱلشَّيخ يحيىٰ بنِ قاسمٍ ٱلجَهْوَريِّ ٱليافعيِّ ، رجلٌ شهمٌ ، لا يُقدَعُ أَنفُهُ[١] ، ولا يَتقنَّعُ مِنْ مسواةٍ[٢] ، ولَهُ مِنَ ٱلأعمالِ ما يُصدِّقُ قولَهُ :

---

(١) **يُقدَع** : يقطع .

(٢) **لا يتقنّع من مسواة** : ليس المقصود أنّه يعمل السيّآت ثمّ لا يستحيي منها. . بل المقصود : أنّه لا سيّآت=

بُـولِحِـمْ قَـالْ كَسَّـابْ الْجَمِيـلْ إِذَا النَّـوَائِـبْ فُتِـحْ لِـي بَـابْهَـا[1]
نُنْفِـقْ عَلَـى الْعِـزّ مِـنْ كُثْـرَ اوْ قَلِيـلْ وَمِحْنَـةُ الْـوَقْـتْ مَـا نِـدْرَىٰ بْهَـا
إِنَّ الْكَـرَمْ يِفْتَـحْ ابْـوَابِ السَّبِيـلْ وَيِمْحِـيَ اوْصَـالْ بَعْـدَ اكْتَـابْهَـا
وَالْبُخْـلْ قَـايِـدْ إِلَـى الـذِّلَّـهْ ذَلِيـلْ مَـوْلَـى الْكَـرَمْ هِمَّتُـهْ يِعْلَـىٰ بْهَـا
وَاللهْ مَـا قَـطْ يِتْجَمَّـلْ بَخِيـلْ وانْ قَـامْ فِـي حِجَّـهْ مَـا اوْشَـىٰ بْهَـا
قَـوْمِـي بَنِـي مَـالِـكِ الْحَـبّ النَّصِيـلْ جَهَـاوْرَهْ مِـنْ فُـرُوعْ أَنْسَـابْهَـا
يُسْمَـعْ لَهُـمْ فِـي عُـلاَ الْـوَادِي صَهِيـلْ كَـمْ مِـنْ بَلَـدْ زَوَّعُـوا بَـابْـوَابْهَـا
لِي يِحْكِمُوا عَلَى الرُّكَبْ طَيّ الْقَتِيلْ إِذَا النُّفُـوسْ أَكْثَـرَتْ جَـلاَّبْهَـا
قَـوْلِـي وَنَـا مَسْكَنِـي غُلْـبُ الـدَّوِيـلْ[2] فِـي قَـرْيَـةِ الْعِـزّ ذِي نِـزْهَـىٰ بْهَـا

وكأنَّما أخذَ قولَهُ : (لي يحكموا على الركب.. إلخ) مِنْ فعلِ العنابسِ يومَ الفِجَارِ ؛ إذْ قيدوا أنفسَهُم خَشْيةَ الهربِ ، أَو مِنْ قولِ البحتريِّ [في « ديوانه » ٢/ ٦٣ من الخفيف] :

وَكَـأَنَّ الإِلَـٰـهَ قَـالَ لَهُـمْ فِـي الْـ ـحَـرْبِ كُـونُـوا حِجَـارَةً أَوْ حَـدِيـدَا

وفي كلام الحبيبِ أحمدَ بنِ حسنٍ العطَّاس : أنَّ الحبيبَ أَبا بكرِ بنَ عبدِ اللهِ العطَّاس يُحبُّ الاستشهادَ بأبياتٍ مِنْ هـٰذهِ القصيدةِ .

وقالَ لي بعضُ الثِّقاتِ : إنَّ مسكنَ الشَّيخِ يحيىٰ بنِ قاسمِ الجهوريِّ ليسَ بالقِزةِ ، وإنَّما هوَ بحُصُونهم أعمالِ القطنِ ، وإنَّما كانَ يتردَّدُ إلى القزهِ لصِهْرٍ أَو صداقةٍ . أمَّا الدَّوِيلُ : فلعلَّهُ يعني بهِ حصنَ سيئون ، أَو شبام ؛ فكلٌّ منهُما يقالُ لَهُ ذلكَ .

= له أصلاً ، وذلك كالحديث الَّذي يصف مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنَّه (لا تُثنىٰ فلتاته) ؛ أي : لا تُحفظ فلتات مجلسه ، وليس هـٰذا هو المقصود ، بل المقصود : أنَّه لا زلَّات ولا فلتات في مجلسه أصلاً . والله أعلم .

(١) جاء في هامش المخطوط : (بولحم : بكسر الحاء واللاَّم وسكون الميم) .

(٢) الغُلْب ـ بضم الغين وسكون اللام ـ : الغرفة التي تكون في أعلى البيوت ، وهـٰذا الحصن (الدويل) لا زال قائماً إلى اليوم ، وهو من الآثار الهامة في المنطقة .

ومِنْ آلِ ٱلبطاطيِّ[1] : أَحمدُ بنُ ناصرٍ ، ٱلموجودُ بِٱلْمُكَلاَّ ٱلآنَ[2] ، وهُوَ أَدهىٰ يافع وأَرجحُها عقلاً فيما أَراهُ ٱليومَ ، إِلاَّ أَنَّهُ نَفْعيٌّ يُؤْثِرُ مصلحةَ نَفْسِهِ علىٰ منفعةِ حكومتهِ ، وربَّما كانَ لَهُ عذرٌ بإِعراضِ موظَّفي ٱلحكومةِ بِٱلآخرةِ عن إِشاراتهِ ، وعدمِ ٱعتبارِهم لنصائحهِ ، وهوَ مِن أَبطالِ بني مالكٍ وشجعانِها ، حتَّىٰ لقد أَغضبَهُ حالٌ مِن أَحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ ريِّسٍ ٱلعجرانيِّ ـ وهوَ خالُ ٱلأَميرِ عليِّ بنِ صلاحٍ ولهُ منهُ وجهٌ وكفالةٌ فقتلَهُ أَحمدُ بنُ ناصرٍ غيرَ حاسبٍ لذلك حِساباً ، فتميَّزَ ٱلأَميرُ عليُّ بنُ صلاحٍ مِنَ ٱلغيظِ ، ولم يكن إِلا أَن أَرسلَ ٱلسَّيِّدَ حسينَ بنَ حامدٍ بأَحمدَ بنِ ناصرٍ معَ ولدِهِ أَبي بكر بنِ حسينٍ إِلى ٱلريضةِ للتَّرضيةِ ، فَسُوِّيتِ ٱلمسأَلةُ .

وفي جنوبِ ٱلهجرينِ أَنفٌ ممتدٌّ مِنْ جبلٍ ، ذاهبٍ طولاً إِلىٰ دوعنَ ، وعليهِ بلدةٌ لأُناسٍ مِنْ آلِ أَحمدَ بنِ محفوظٍ ، يقالُ لَها : **صَيْلَعْ** ، وهيَ ٱلمذكورةُ في قولِ ٱمْرِىءِ ٱلقيسِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

أَتَـانِـي وَأَصْحَـابِـي عَلَـىٰ رَأْسِ صَيْلَـعٍ	حَـدِيـثٌ أَطَـارَ ٱلنَّـوْمَ عَنِّـي وَأَفْحَمَـا[3]
أَقُــولُ لِعِجْلِــيٍّ بُعَيْــدَ إِيَــابِــهِ	تَبَيَّـنْ وَبَيِّـنْ لِـي ٱلْحَـدِيـثَ ٱلْمُجَمْجَمَـا
فَقَـالَ : أَبَيْـتَ ٱللَّعْـنَ عَمْـرٌو وَكَـاهِـلٌ	أَبَـاحُـوا حِمَـىٰ حُجْـرٍ فَـأَصْبَـحَ مُسْلَمَـا

وقد ظفرتُ مِنها بضالَّةٍ منشودةٍ ؛ لأَنَّها مقطعُ ٱلنِّزاعِ في حضرميَّةِ ٱمرىءِ ٱلقيسِ ؛ ولذا كرَّرتُها بـ« **ٱلأَصلِ** » ٱغتباطاً وٱعتداداً بتدليلي بها ؛ إِذ لَم يَقُلْ أَحدٌ عند ذِكرِها ـ لا ياقوتُ ولا صاحبُ « ٱلتّاجِ » ولا شارحُ « ٱلأَمثالِ » ولا غيرُهُم ـ : إِنَّها تُحاذي ٱلهجرين بحَضْرَمَوْتَ غَيري ، فللّهِ ٱلحمدُ .

---

(١) آل البطاطي فخذ من آل اليزيدي أهل يزيد من بني قاصد في يافع ، وكانوا ثلاثة أقسام : بطاطي حمومة ، وبطاطي الخضراء ، وبطاطي الجبل ، وكانوا على رأس الطوائف التي حكمت وادي دوعن فيما مضى .

(٢) تحدث عنه المستر فلبي في كتابه « بنات سبأ » وقص بعض أخباره .

(٣) ذكر العلاّمة الميداني رحمه الله في « مجمع الأمثال » (٢/٤١٨) : أَنَّ امرأَ القيس كان يشرب هو وأَصدقاؤُه ، ثمَّ أَتاه خبر مقتل أَبيه ، فقال : ضيَّعني صغيراً ، وحمَّلني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ، ولا شرب غداً ، اليوم خمر ، وغداً أَمر ، ثمَّ قال الأَبيات .

وفي أخبارِ بدر بوطويرق ٱلكثيريِّ أَنَّهُ بنىٰ صَيْلعاً هـٰذي في سَنةِ (٩٤١هـ)[١] ، وأسكنَ فيها آلَ محفوظٍ وآلَ باداس ٱلمطرودينَ مِنَ ٱلهجرين[٢] .

ولا يحصىٰ مَنْ أَنبتَتْهُ ٱلهَجْرينُ مِنَ ٱلرِّجالِ ؛ إذ كانت فيهم ثالثةَ شبام وتريم .

ومِنها آلُ عَفِيفٍ الكنديُّونَ[٣] ؛ منهُمُ : ٱلصُّوفيُّ الجليلُ ، ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ سعيدِ بنِ عليٍّ بالوَعار[٤] ، وٱلشَّيخُ عمرُ بنُ ميمونٍ ٱلكنديُّ ، مِنْ معاصِري ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ ، وٱلشَّيخ فضلِ بنِ عبدِ ٱللهِ بافضل ، وٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عليٍّ ٱلعفيفُ ٱلهجرانيُّ ، كانَ مِنْ تلاميذِ الحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلعيدروسِ ، ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (٨٦٥هـ) ، وكانَ ٱلشَّيخُ محمَّدٌ هـٰذا يَعْرِفُ ٱلاسْمَ ٱلأَعظَمَ .

ومن كتابِ سيَّرهُ ٱلعلاَّمةُ عليُّ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ ما نصُّهُ : (إلىٰ حضرةِ سيِّدي ٱلولدِ ٱلأَمجدِ ٱلأَرشدِ ٱلصَّادقِ ٱلأَودِّ ٱلأَنْجَدِ ٱلشَّيخِ ٱلأَكرمِ ٱلفاضلِ ٱلمحترمِ عفيفِ ٱلدِّينِ وسلالةِ ٱلصَّالحينَ وبركةِ ٱلمسلمينَ عبدِ ٱللهِ ٱبنِ سيِّدي ٱلشَّيخِ ٱلعفيفِ ٱبنِ ٱلشَّيخِ عمرَ ٱبنِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلله ٱبنِ ٱلشَّيخِ ٱلعفيفِ ٱبنِ ٱلقطبِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلله بنِ أَحمدَ بنِ محمَّدٍ ٱلعفيفِ عفا ٱللهُ عنهُ) اهـ

---

(١) لصيلع ذكر في التاريخ قبل هـٰذا كما في « تاريخ شنبل » (١٤٧) ، و« العدة » (١/١٣٤) ، و« الحامد » (٢/٦٨١) . . فليتنبه .

(٢) « تاريخ الشحر » للطيب بافقيه (ص٢٢٨) .

(٣) آل بن عفيف : من كندة ، كما في « جواهر الأحقاف » لباحنان (٢/١١) . وهم أسر وبطون كثيرة ؛ منها : آل الشيبة ، وآل الحاج ، وآل بن وجيه ، وآل كديمة ، وآل السكوتي ، وآل باعلي ، وآل الصالب ، وآل بادحمان .

☆ تنبيه : آل بن عفيف هؤلاء هم غير آل العفيف سكان لَجْرات بدوعن ؛ فإن أولئك من الحالكة ، وقد يقال لسكان الهجرين : آل العفيف .

(٤) الشيخ أحمد بالَوعار : هو العارف بالله الشيخ الصالح أحمد بن سعيد بن علي بن محمد بن عفيف الكندي ، الملقب : (بالَوعار= أبا الأوعار) ، لقب بذلك لأنه كان يحمل نفسه على المجاهدات الثقيلة الشديدة على النفس ؛ تشبيهاً لسالك تلك الطريق بسالك الطرق الوعرة ، قال الحبيب أحمد بن حسن العطاس في « مجموع كلامه » : بلغنا أنه طلب العلم بظفار وأقام بها نحو ثمان سنين . وكانت وفاته بالهجرين سنة (٦٣٢هـ) كما نقل عن بعضهم .

وفي هٰذهِ ٱلمَدائحِ ما يدلُّ عَلىٰ أثيلِ مجدٍ وعظيمِ فضلٍ . وفي آلِ عفيفٍ كثيرٌ مِن حُفَّاظِ ٱلقرآنِ و« ٱلإرشادِ » .

ومِنهُمُ : ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ عمَر باعفيف ، جاءَ في « مجموعِ ٱلأجدادِ » أنَّهُ : (بعث بأسئلةٍ إلىٰ قاضي مكَّةَ محمَّدِ بن عبدِ ٱللهِ بنِ ظهيرةَ ، فأجابَهُ عنها) .

ومِنها : آلُ بابُصَيلٍ ، وفيهِم علماءُ أجلاَّءُ ؛ مِنْ آخِرِهم : مفتي ٱلشَّافعيَّةِ بمكَّةَ : ٱلشَّيخُ محمَّدُ سعيدِ بابصيل[1] .

ومِنها : آلُ بامخرمةَ[2] ، وإنَّما هاجروا مِنها إلىٰ عدن وإلىٰ غيرِها .

وأطالَ « ٱلنورُ ٱلسَّافرُ » في ترجمةِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ أحمدَ بامخرمةَ ، ثمَّ ٱستطردَ إلىٰ ترجمةِ ولدِهِ ٱلصُّوفيِّ عمرَ بنِ عبدِ ٱللهِ بامخرمةَ ، ولم يفردهُ بٱلتَّرجمةِ ؛ لأنَّهُ لم يعرف وقتَ وفاتِهِ ، وسيأتي في سيئونَ أنَّها سنةُ (٩٥٢هـ) ، وقد أفردَ ولدَهُ ٱلعلاَّمةَ

---

(١) **آل بابصيل** : أصلهم من الهجرين ، ومنها انتقلوا إلى مكة وجدة وغيرها .
ومن مشاهيرهم : الشيخ محمد بن سالم **بابصيل** ، وله شرح على « الرسالة الجامعة » منه نسخة بالحوطة .
والشيخ محمد سعيد بن محمد بن سالم **بابصيل** ، ومحمد سعيد اسم مركب ، فقد كان من العلم بمنزلة عالية ، وتولى إفتاء الشافعية بمكة المكرمة ، تتلمذ على السيد العلامة أحمد زيني دحلان ، وكانت وفاته بمكة سنة (١٣٣٠هـ) ، وله ابن عالم هو الشيخ بكر بن محمد سعيد ، توفي سنة (١٣٤٨هـ) ، كان من العلماء الأخيار .
وللشيخ محمد سعيد مصنفات ، منها : شرح « سلم التوفيق » في مجلدين ، ورسالة « الدُّرر النقية في فضائل الذرية » ، و« رسالة في أحوال القبور وأهلها » ، وغير ذلك .
ينظر : « سير وتراجم » لعمر عبد الجبار (٨٤ ، ٢٤٤) ، و« تاج الأعراس » (٢/ ٦٩٣ـ٧٠٠) ، و« المختصر من نشر النور والزهر » لمرداد . وغيرها .

(٢) **آل بامخرمة** : من سيبان ، وهي أسرة شهيرة معروفة بكثرة علمائها ، وأقدمهم شهرة وأجلهم : الشيخ الإمام عبد الله بن أحمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم بامخرمة السيباني الحميري ، وُلد الشيخ عبد الله بالهجرين سنة (٨٣٣هـ) ، وتوفي بعدن سنة (٩٠٣هـ) ، وله مصنفات عديدة . ينظر : « النور السافر » ، « السنا الباهر » ، « تاريخ بافقيه » كلها في حوادث سنة (٩٠٣هـ) . وابنه العلامة المؤرخ محمد الطيب مصنف « تاريخ ثغر عدن » مطبوع ، « قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر » في (٣) مجلدات مخطوطة ، توفي الطيب سنة (٩٤٧هـ) ، تنظر ترجمته في المراجع السابقة .

عبدَ ٱللهِ بنَ عمرَ ٱلمتوفىٰ سنةَ (٩٧٢هـ) بٱلتَّرجمةِ ، وذكرَ فيها عمَّهُ ٱلطيِّبَ ٱبنَ عبدِ ٱللهِ بامخرمةَ .

ومنَ ٱلهجرين : كانَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عمرَ باقُضَام بامخرمةَ يجتمعُ معَ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ أحمدَ في ٱلأَبِ ٱلسَّادسِ ، وُلِدَ ببلدةِ ٱلهجرينِ ، ثمَّ ٱرتحلَ إلىٰ عدن وأَخذَ عن إمامَيْها : عبدِ ٱللهِ بنِ أحمدَ بامخرمةَ ، ومحمَّدِ بنِ أحمدَ بافضلٍ ، ثمَّ سارَ إلىٰ زبيد ، ثمَّ عادَ إلىٰ عدن ولازمَ ٱلإمامَ عبدَ ٱللهِ بنَ أحمدَ بامخرمةَ ، وولدَهُ أحمدَ[1] .

وإليهِ ٱنتهتْ رئاسةُ ٱلعِلْمِ بعدن بعدَ ٱلشَّيخينِ : عبدِ ٱللهِ بنَ أحمد بامخرمةَ ، ومحمَّدِ بنِ أحمدَ بافَضْل ، إلاَّ أنَّهُ كانَ يتساهلُ آخِرَ عمرِهِ في ٱلفتاوىٰ ، ويراعي أغراضَ ٱلسُّلطانِ ، وذلكَ ممَّا عِيبَ عليهِ . توفِّيَ بعدنَ في سَنةِ (٩٥٢هـ) .

وفي « شمس ٱلظَّهيرة » [٤١٩/٢] : (أنَّ للسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ أحمدَ ٱلكافِ[2] عَقِباً بٱلهجرينِ ، مِنهُم : ٱلسَّيِّدُ ٱلفاضلُ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ علويٍّ[3] ، ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (١٢٦٧هـ) ، وٱبنا أخيهِ ٱلآنَ : عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ وعلويٌّ[4] ، فقيهانِ فاضلانِ . وٱبنُ ٱبنهِ أحمدُ بنُ حسنِ بنِ عليٍّ[5] ، ذكيٌّ نبيهٌ متفقِّهٌ) اهـ

ولقد كانَ سروري عظيماً ؛ إذْ بقيَ إلىٰ ساعتِنا هـٰذهِ مَنْ يُثني عليهِ شيخُنا ٱلمشهورُ

---

(١) كان عالماً فاضلاً فقيهاً ، تخرج بوالده وقرأ على علماء عدن ، وعليه قرأ باقضام المترجم ، وأخوه الفقيه عبد الله بن عبد الله المتوفى سنة (٩٠٤هـ) بجازان ، وتوفي الشيخ أحمد صغيراً .

(٢) هو السيد الشريف : محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الجفري ، توفي حفيده السيد أحمد بن علوي بن أحمد بالهجرين سنة (١١٢٠هـ) ، وإليه وإلى أخيه محمد بن علوي ينسب آل الكاف الذين بالهجرين ودوعن ومحمدة .

(٣) الصواب أن اسمه : علي بن محمد بن علي .

(٤) أما علوي فيلقب بالنُّوير ، قيل عنه في « الشجرة » : كان سيداً فاضلاً فقيهاً متواضعاً له خلق حسن ، وأما عبد الرحمـٰن . . فتوفي سنة (١٣١٩هـ) ، ولقّبه في « الشجرة » بالقاضي .

(٥) وهو السيد أحمد بن حسن بن علي بن محمد الكاف ، ولد سنة (١٢٨٣هـ) ، وقد توفي سنة (١٣٧٤هـ) ، وهو من الآخذين عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس . ومن أعيان السادة آل الكاف : السيد الجليل الحبيب عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله الكاف المولود سنة (١٣٢٠هـ) ، والمتوفى سنة (١٤٢٠هـ) ، عن مئة سنة وأَشْهُرٍ بجدة ، وقد كان نسخة من السلف الصالح في زهده وورعه وتقواه رحمه الله تعالى .

في سَنةِ (١٣٠٧هـ) ممتَّعاً بٱلحواسِّ وٱلقوَّةِ وٱلعِلْمِ ، ولَم يَبْقَ ممَّنْ ذُكرَ فيها سواهُ ، يخرجُ بمكتلهِ صباحَ كلِّ يومٍ إِلىٰ حقلهِ فيؤَدِّي ما تعهَّدَ بهِ مِنَ ٱلخدمةِ وٱلتَّنقيةِ وإِثارةِ ٱلأَرضِ على ٱلثِّيرانِ ، ثمَّ يرجعُ ويتنظَّفُ ويجلسُ في مجلسِ ٱلقضاءِ ؛ لأَنَّهُ عليهِ بٱلهَجْرَيْنِ وما قاربَها منذُ زمنٍ بعيدٍ .

وفيها جماعاتٌ مِنْ آلِ ٱلعطَّاسِ[1] ، وآلِ ٱلحامدِ ، وآلِ باسلامةَ[2] ، وكثيرٌ مِنَ ٱلسُّوقة .

ولا يزيدُ سكَّانها عن ٱلفينِ وخمسِ مئةٍ تقريباً ، وفي تُربتها مَن لا يُحصىٰ مِنَ ٱلصَّالحينَ وٱلعلماءِ .

وكانت ولايةُ ٱلهجرينِ لآلِ مَحْفُوظٍ ٱلكنديِّينَ ، وهُم مِنْ ذرِّيَّةِ آلِ جعفرٍ ٱلَّذينَ ٱمتدحَهُمُ ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ عقبةَ ٱلخولانيُّ[3] أثناءَ ٱلقرنِ ٱلسَّابعِ بقصيدتهِ ٱلسَّائرةِ ، ٱلَّتي تُعدُّ ـ ولا سيَّما أبياتُها ٱلسِّتَّةُ ـ غرَّةً في جبينِ ٱلشِّعرِ ٱلعربيِّ ، وهيَ [مِنَ ٱلكامل] :

أَصَبَرْتِ نَفْسَ ٱلسُّوءِ أَمْ لَمْ تَصْبِرِي	بِينِي وَمَنْ تَهْوَيْنَ يَوْمُ ٱلْمَحْشَرِ
إِنِّي ٱمْرُؤٌ عَفُّ ٱلإِزَارِ عَنِ ٱلْخَنَا	لَمْ أَغْشَ مُنْذُ نَشَأْتُ بَابَ ٱلْمُنْكَرِ

---

(١) ومن السادة آل العطاس بها : الحبيب أحمد بن عبد الله بن طالب العطاس من ذرية الحبيب علي بن حسن ، ولد بالهجرين سنة (١٢٥٥هـ) ، وتوفي بجاوة ببلدة فكالونقن ـ باكلنقان ـ سنة ١٣٤٧هـ ، كان من العلماء الدعاة ، مهاباً جليلاً ، له ذرية لا تزال بالهجرين .

(٢) منهم الأمير الحسين باسلامة ، الذي كان حاكماً على ذمار من قبل أئمة صنعاء ، توفي سنة (١٣٥٠هـ) ، أفرده المؤرخ محمد بن علي الأكوع بكتاب سماه : « حياة عالم وأمير » مطبوع .

ومن آل باسلامة جماعة في سيئون ، فيهم العلماء والصالحون ، ومن مشاهيرهم : العلامة المؤرخ حسين عبد الله باسلامة المكي صاحب « تاريخ الكعبة » ، و« تاريخ مكة » ، ولد بمكة سنة (١٢٩٩هـ) ، وبها توفي سنة (١٣٥٦هـ) . « الأعلام » (٢/ ٢٤٢) .

ومن فخائذهم : آل التُّوي باسلامة ـ والتوي على وزن قصي ـ يسكنون مدينة شبام ، ومنهم جماعة بالحوطة ، لهم مكارم أخلاق ، وبنى بعضهم مدرسة بشبام في مطلع القرن المنصرم .

(٣) هو الشيخ الشاعر علي بن عقبة بن أحمد بن محمد أبو الحسن الزيادي ثم الخولاني ، قال عنه بامخرمة : كان فقيهاً فاضلاً لاسيما في علم الأدب ، كان يقدم على المظفر الرسولي وله منه رزق يعتاده . اهـ وله ابن هو محمد ، توفي سنة (٧١٠هـ) ، « تاريخ الحامد » (٦٥٠ ، ٧٩٦) .

وَٱللهِ مَـا صَـافَحْـتُ كَـفَّ بَغِيَّـةٍ كَـلاَّ وَلاَ نَـادَمْـتُ شَـارِبَ مُسْكِـرِ
لَٰكِـنْ عَلَـىٰ كَسْـبِ ٱلْعُلُـوم مُخَيِّـمٌ وَبُكَـايَ فِـي طَلَـبِ ٱلْعُـلاَ وَتَحَسُّـرِي
وَقَسَمْـتُ حَـالاَتِـي ثَـلاَثـاً مِثْلَمَـا قَـدْ كَـانَ قَسَّمَهَـا أَبِي ٱلشَّهْـمُ ٱلسَّرِي
كَـرَمٌ تَـدِيـنُ لَـهُ ٱلأَنَـامُ وَحَـالَـةٌ ظَهْـرَ ٱلْحِصَـانِ وَحَـالَـةٌ لِلْمِنْبَـرِ
وَتَخِـذْتُ أَصْحَـابـاً إِذَا نَـادَمْتُهُـمْ لَـمْ أَخْـشَ مِنْهُـمْ مَـنْ يَنُـمُّ وَيَفْتَـرِي
عِلْمِـي وَحِلْمِـي وَٱلْحِصَـانُ وَصَـارِمِـي وَنَـدَى يَمِينِـي وَٱلْعِنَـانُ وَدَفْتَـرِي

كذا هيَ في حِفظي ، ولئِنْ خالَفْت بعضَ ما هيَ عليهِ . . فإلىٰ أحسنَ مِنهُ إنْ شاءَ ٱللهُ تعالىٰ .

وفيها ثلاثةُ أبياتٍ مأخوذةٌ مِنْ شعرِ ٱلرَّضيِّ ، وهيَ قولُهُ :

أَعْـدَدْتُكُـمْ عَـوْنـاً لِكُـلِّ مُكَسِّـرٍ عِـرْضِـي فَكُنْتُـمْ عَـوْنَ كُـلِّ مُكَسِّـرِ
وَتَخِـذْتُكُـمْ لِـي مَحْجَـراً فَكَـأَنَّمَـا خَتَلَ ٱلْعَدُوُّ مَخَاتِلِي مِنْ مَحْجَرِي(١)
فَـلأَنْفُضَـنَّ ٱلْكَـفَّ يَـأْسـاً مِنْكُـمُ نَفْـضَ ٱلأَنَـامِـلِ مِـنْ تُـرَابِ ٱلْمُقْبَـرِ

وهيَ في « ديوانِ ٱلرَّضيِّ » [٢/ ٢٢٠ـ٢٢١] هٰكذا :

أَعْـدَدْتُكُـمْ لِـدِفَـاعِ كُـلِّ مُلِمَّـةٍ عَنِّـي فَكُنْتُـمْ عَـوْنَ كُـلِّ مُلِمَّـةِ
وَتَخِـذْتُكُـمْ لِـي جُنَّـةً فَكَـأَنَّمَـا نَظَـرَ ٱلْعَـدُوُّ مَقَـاتِلِـي مِـنْ جُنَّتِـي
فَـلأَنْفُضَـنَّ يَـدَيَّ يَـأْسـاً مِنْكُـمُ نَفْـضَ ٱلأَنَـامِـلِ مِـنْ تُـرَابِ ٱلْمَيِّـتِ

وقد رأيتُ هٰذهِ ٱلأبياتَ ٱلثَّلاثةَ في « معاهدِ ٱلتَّنصيصِ » معزوَّةً لابنِ سناء ٱلمُلْكِ ، وما هوَ إلاَّ وَهَمٌ ظاهرٌ ؛ لأنَّ قصيدةَ ٱلرَّضيِّ ٱلَّتي منها ٱلأبياتُ مشهورةٌ ؛ ومنها [في « ديوانه » ١/ ٢٢٠ـ٢٢١ مِنَ ٱلكامل] :

قُـلْ لِلَّـذِيـنَ بَلَـوْتُهُـمْ . . فَـوَجَـدْتُهُـمْ آلاً وَغَيْـرُ ٱلآلِ يَنْقَـعُ غُلَّتِـي
تَـأْبَـىٰ ثِمَـارٌ أَنْ تَكُـونَ كَـرِيمَـةً وَفُـرُوعُ دَوْحَتِهَـا لِئَـامُ ٱلْمَنْبِـتِ

---

(١) **المحجَر** : الحرمة . **المخاتلة** : مشي الصيَّاد خفية ليرميَ الصَّيد .

لَمَّـا رَمَيْـتُ إِلَيْكُـمُ بِمَطَـامِعِـي　　كَثُـرَ ٱلْخِـلاَجُ مُقَلِّبـاً لِـرَوِيَّتِـي[1]
وَوَقَفْـتُ دُونَكُـمُ وُقُـوفَ مُقَسَّـمٍ　　حَـذِرَ ٱلْمَنِيَّـةِ رَاجِـيَ ٱلأُمْنِيَّـةِ
فَـلأَرْحَلَـنَّ رَحِيـلَ لاَ مُتَلَهِّـفٍ　　لِفِـرَاقِكُـمْ أَبَـداً وَلاَ مُتَلَفِّـتِ
يَـا ضيعَـةَ ٱلأَمَـلِ ٱلَّـذِي وَجَّهْتُـهُ　　طَمَعـاً إِلَـى ٱلأَقْـوَامِ بَـلْ يَـا ضَيعَتِـي

وللرَّضيِّ في معنىٰ هـٰذه ٱلقصيدة كثيرٌ كٱلَّتي منها قولُهُ [في « ديوانِهِ » ١/٦٦٦ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

سَـأَذْهَـبُ عَنْكُـمْ غَيْـرَ بَـاكٍ عَلَيْكُـمُ　　وَمَـا لِـيَ عُـذْرٌ أَنْ تَفِيـضَ ٱلمَـدَامِـعُ
وَلاَ عَـاطِفـاً جِيـداً إِلَيْكُـمْ بِلَهْفَـةٍ　　مِنَ ٱلشَّـوقِ مَـا سَـارَ ٱلنُّجُومُ ٱلطَـوَالِـعُ
نَبَـذْتُكُـمُ نَبْـذَ ٱلْمُخَفِّـفِ رَحْلَـهُ　　وَإِنِّـي لِحَبْـلٍ مِنْـهُ بِـٱلْعُـذْرِ قَـاطِـعُ

وكقولِهِ [في « ديوانِهِ » ١/٢٦١ مِنَ ٱلوافرِ] :

فَيَـا لَيْتـاً دَعَـوْتُ بِـهِ لِيَحْمِـي　　حِمَـايَ مِـنَ ٱلْعِـدَا فَـٱجْتَـاحَ سَـرْحِي
وَيَـا طِبّـاً رَجَـوْتُ صَـلاَحَ جِسْمِـي　　بِكَفَّيْـهِ فَـزَادَ فَسَـادَ جُـرْحِـي

ولإبراهيمَ بنِ ٱلعبَّاسِ ٱلصُّوليِّ في هـٰذا ٱلمعنىٰ عدَّةُ مقاطيعَ ، يعبث فيها بٱبنِ ٱلزَّيَّاتِ ؛ منها قولُهُ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَإِنِّـي وَإِعْـدَادِي لِـدَهْـرِي مُحَمَّـداً　　كَمُلْتَمِـسٍ إِطْفَـاءَ نَـارٍ بِنَـافِـخِ

وقولُهُ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَإِنِّـيَ إِذْ أَدْعُـوكَ عِنْـدَ مُلِمَّـةٍ　　كَـدَاعِيَـةٍ عِنْـدَ ٱلْقُبُـورِ نَصِيـرَهَـا

وفي ترجمةِ ٱبنِ ٱلزَّيَّاتِ مِن « تاريخِ ٱبنِ خلكانَ » [٥/٩٧] جملةٌ منها .

وقد جاءَ في قصيدةِ ٱبنِ عُقْبةَ ذِكرُ ٱلمراحلِ مِنَ ٱلجوفِ إلى ٱلهجرينِ ، وبينها ذِكرُ مَنْصَحٍ[2] ، ولعلَّها ٱلَّتي يقولُ ٱمرؤُ ٱلقيسِ بنُ عانسٍ ٱلسَّكونيُّ في ذكرِ روضتِها [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

---

(١) الخِلاجُ : ما ينازعُ ٱلقلبَ من أفكار .
(٢) انظر : « معجم البلدان » (٥/ ٢١٠) .

أَلاَ لَيتَ شِعْرِيْ هَلْ أَرَى ٱلْوَرْدَ مَرَّةً يُطَالِبُ سَرْباً مُوكَلاً بِغُرَارِ
أَمَامَ رَعِيلٍ أَوْ بِرَوْضَةِ مَنْصَحٍ أُبَادِرُ أَنْعَاماً وَأَجْلَ صِوَارِ
وَهَلْ أَشْرَبَنْ كَأْساً بِلَذَّةِ شَارِبٍ مُشَعْشَعَةً أَوْ مِنْ صَرِيحِ عُقَارِ
إِذَا مَا جَرَتْ فِي ٱلْعَظْمِ خِلْتَ دَبِيبَهَا دَبِيبَ صِغَارِ ٱلنَّمْلِ وَهْيَ سَوَارِي

وقد تكونُ هـٰذهِ ٱلرَّوضةُ في داخلِ حَضْرَمَوْتَ ، بأمارةِ أنَّها لبني وكيعة ٱلكنديِّينَ وهُم مِنْ وسطِ حَضْرَمَوْتَ ، وٱبنُ عَانسٍ مِنْ أسفلِها فتكون غير التي ذكرها ابن عقبة إذن .

وٱسمُ ملكِ آلِ محفوظٍ لذلكَ ٱلعهدِ : محفوظٌ ، عرفناهُ مِنْ قصَّتهِ معَ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ جدِّ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدٍ ٱلقديمِ عبَّاد ـ ٱلآتيةِ في ٱلغرفةِ إنْ شاءَ ٱللهُ ـ ومِن ٱسمهِ نفهَمُ أنَّ آلَ جعفرٍ ممدوحي ٱبنِ عقبةَ بتلكَ ٱلقصيدةِ هُم آلُ محفوظٍ .

ثمَّ خلفَهُم على ٱلهجرينِ آلُ فارسٍ ٱلنَّهديُّونَ ، وقد ذكرنا بـ« **ٱلأصلِ** » مِنْ أخبارِهم معَ آلِ كثيرٍ وآلِ يمانيٍّ وآلِ سعدٍ وغيرِهم ما شاءَ ٱللهُ أنْ نذكرَ .

ثمَّ تغلَّبَ عليها يافعٌ كسائرِ بلادِ حَضْرَمَوْتَ في سَنةِ (١١١٧هـ)[1] .

وفي آل عُقْبَةَ ٱلخولانيِّينَ كثيرٌ مِنَ ٱلعلماءِ وٱلشُّعراءِ ؛ منهمُ ٱلشَّيخُ أحمدُ بنُ عُقبة ٱلزِّياديُّ ٱلخولانيُّ ٱلهجرانيُّ ، أحدُ مشايخِ ٱلإمامِ محمَّدِ بنِ مسعودٍ باشكيلٍ .

وفي حدودِ سَنةِ (١٢٧٦هـ) قدمَ ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ سالمِ بنِ مساعدٍ مِنْ بقايا آلِ محفوظٍ ٱلكنديِّينَ ـ وقيلَ : إنَّهُ مِنْ آلِ بامَطْرفٍ ـ بدراهمَ كثيرةٍ ، فحدَّثتهُ نفسُهُ بمُلكِ آبائِهِ ، وتمنَّىٰ أنْ يُخضعَ آلَ يزيد ٱليافعيِّينَ ٱلسَّاكنينَ بأعلى ٱلهجرينِ ، حتَّىٰ لقد وردَهُ ٱلشَّيخُ صالحٌ باوزيرٍ في جملةِ ٱلوفودِ ٱلَّتي تتابعت لِتهنئتهِ ، فأكرمَ مثواهُ ، وأطالَ معَهُ ٱلسَّمَرَ ، ولَم يَزَلْ يَتسقَّطُهُ ٱلكلامَ ليرىٰ ما قَدْرُهُ معَ ثروتهِ في نَفْسِ ٱلشَّيخِ صالحٍ ، فقالَ لَهُ : (إنَّكَ لفوقَ ٱلقبيليِّ ودونَ ٱلسُّلطانِ) فلَم يَقتنعْ بذلكَ ، وجفاهُ ولَم يُقابلْهُ بعدَها ،

---

(١) ينظر : « العدة المفيدة » لابن حميد الكندي (١/ ٢٦٥) وما بعدها .

فمرَّ في خروجهِ علىٰ جماعةٍ يَتراجزونَ في شبوانيٍّ لَهم[1] ، فقالَ :

يَا ٱللهْ مَتَى ٱلْهَوَّاكْ فِي دَارَكْ يَهُوكْ[3]	يَا بِنْ مُسَاعِدْ قَالْ صَالِحْ نَعْنَبُوكْ[2]
بَاتِصْبِحِ ٱلاَّ عِنْدْ بَامَهْلِسْ تُحُوكْ	وَلْعَادْ بَاتِنْفَعْ مِيَاتَكْ وَٱللُّكُوكْ[4]

وَٱلاَّ بِعُورَهْ عَنْدِ صَالِحْ بَادْكُوكْ[5]

وذهبَ ٱلشَّيخُ صالحُ باوزيرِ لطَيَّته[6] ، وبقيَ ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ مساعدٍ يساورُ[7] ٱلأَحلامَ وٱلآمالَ ، حتَّىٰ لجأَ إلىٰ آل عبدِ الله ٱلكثيريِّينَ بسيئون فنَهضوا معَهُ ، ولَم يَزالوا يوالونَ ٱلتَّجهيزاتِ حتَّى ٱستولَوا على ٱلهجرينِ في سَنةِ (١٢٨٥هـ) ـ ومعلومٌ أَنَّ ٱلهجرين مفتاحُ دوعنَ بأَسرهِ ـ ثمَّ حَطُّوا علىٰ قرْةِ آلِ ٱلبطاطيِّ فٱنكسروا دونَها ؛ لنجدةٍ جاءَتْ لأَهلِها مِنَ ٱلأَميرِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ ٱلقعيطيِّ بٱلشِّحْرِ ، فطَردوا مَنْ حواليها مِنْ أَصحابِ ٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ ، وتراجعَتْ فلولُهم[8] إلى ٱلهجرينِ .

ثمَّ لَم يَحسُنِ ٱلمآلُ بينَ ٱلشَّيخِ عمرَ بنِ سالمِ بنِ مساعدٍ وٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ ؛ لأَنَّهُ ٱستنفدَ أَكثرَ ما في يدهِ وعرفَ أَنَّ ٱلدَّولةَ لَنْ تُعطيَهُ شَيئاً ممَّا يتمنَّاهُ ، وتَحقَّقَ ٱستبدادَهم عندَ رسوخِ أَقدامِهم ، فٱتَّفقَ معَ ٱلقعيطيِّ وفتَحَ لَهُ ٱلطَّريقَ فٱقتحموها ، وحَصروا بها

---

(١) الشبواني : رقصة شعبية حضرمية. . تنسب إلى شبوة ؛ لأنها جاءت منها . وفيها يحمل المرتجزون العصي ويهتزون على أصوات الطبول والدفوف ذات الجلاجل ويرددون الأراجيز الشعبية .

(٢) نَعْنَبُوكْ : كلمة توبيخ كثكلتك أمك في الفصحى ، ولعل أصلها : نعني بالذّم أباك .

(٣) الهوّاك : الصايح ، أو الناعي .

(٤) مياتك واللكوك : مئاتك ـ الدراهم ـ واللكوك : جمع لَكّ ، وهو عبارة عن رزمة من المال .

(٥) آل بادكوك : أسرة في دوعن يسكنون عُورة و القرين ، ظهر فيها أفاضل من الفقهاء ؛ منهم : الفقيه سعيد بن عبد الله بادكوك ، عاش في أواخر القرن الثالث عشر ، أخذ عن الشيخين سعيد باعشن وعبد الله باسودان ، وجمع فتاواهما في كتاب سماه : « فتح المنان بجَمْع فتاوى باعشن وباسودان » . منه نسخة خطية نفيسة بمكتبة الإمام أحمد بن حسن العطاس بحريضة ذكره السيد عبد الله الحبشي في « فهرس المكتبات الخاصّة باليمن » .

(٦) ذهب لطيّته : لوجهه الَّذي يريد .

(٧) يُساور : يواثب .

(٨) الفلول : بقايا الجيش المنهزم .

ٱلأَميرَ ٱلكثيريَّ ـ وهوَ صالحُ بنُ مطلقٍ ـ حتَّىٰ سلَّمَ بشرطِ أَنْ يتحمَّلَ بما معَهُ ممَّا تقدرُ عليهِ ٱلجمالُ ، ولهـٰذا بقيَ بها مدفعُ ٱلدَّولةِ إِلى ٱليوم ؛ لأَنَّهُ لَم يَدخلْ تحتَ ٱلشَّرطِ .

وقد وفَّى ٱلسُّلطانُ ٱلقعيطيُّ لِلشَّيخِ عمرَ بنِ سالمِ بنِ مساعدٍ بما ٱشترطَهُ عليهِ ، وٱلأَخبارُ في ذلكَ طويلةٌ شيِّقةٌ ، وهيَ مستوفاةٌ بـ« **ٱلأَصلِ** » .

وفيهِ : أَنَّ آلَ محفوظٍ عدَّةُ قبائلَ ؛ منهم آلُ عمرَ بنِ محفوظٍ أَهلُ نحولة ، وآلُ أَحمدَ بنِ محفوظٍ أَهلُ صيلعٍ ، وآلُ عجرانَ منهم آلُ مرشدٍ وآلُ ريِّسٍ وآلُ ٱلشَّيبةِ ، ومنهم : آلُ عبدِ ٱللهِ بنِ محفوظٍ رهطُ ٱلشَّيخِ عمرَ بنِ مساعدٍ ٱلسَّالفِ ٱلذِّكرِ .

ٱلمَشْهَدُ

قريةٌ صغيرةٌ ، تبعدُ عنِ ٱلهجرينِ في شَمَالِها مسافةَ ساعتينِ ، وكانَ موضعُهُ يسمَّىٰ (**ٱلغَيْوار**) ، يَكمنُ بهِ ٱللُّصوصُ فيُخيفونَ ٱلسّابلةَ[1] ويَقطعونَ ٱلسَّبيلَ ، ويأْتونَ في ذلكَ ٱلمكانِ ٱلمنكَرَ .

وكانَ ٱلحسدُ قد تكسَّرتْ نصالُهُ في ٱلحبيبِ عليِّ بنِ حسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلعطَّاسِ[2] ؛ لعلوِّ شأْنِهِ ، وغزارةِ عِلْمِهِ ، وقوَّةِ عارضتِهِ ، وكانَ يَتنقَّلُ في ٱلبلدانِ لنشرِ ٱلدَّعوةِ إِلى ٱللهِ ، وكانت أُمُّهُ مِنَ ٱلمشايخِ آلِ إِسحاقَ ٱلسَّاكنينَ بهينن ، فبدا لَهُ أَنْ يختطَّ بذلكَ ٱلمكانِ داراً ويَبني مسجداً ، ورغَّبَ ٱلنّاسَ في ٱلبناءِ بجوارِهِ ، وعندما رأَوا عمومَ ٱلأَمانِ . . بُنيتْ ديارٌ حواليهِ ، فكانَ بناؤُهُ هناكَ وٱختطاطُهُ ذلكَ ٱلمكانَ حصاةً صادتْ عصفورَينِ ؛ إِذِ ٱستراحَ هوَ مِنْ مناوأَةِ ٱلحُسَّادِ ، وأَمِنَ بهِ ٱلنَّاسُ ، وزالَ ٱلبأْسُ .

وكانَ يَحتفلُ بمولدِ ٱلنَّبيِّ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ في ٱليومِ ٱلثَّاني عَشَرَ مِنْ ربيعٍ ٱلأَوَّلِ في كلِّ عامٍ ، يتقاطرُ لَهُ ٱلوفودُ مِنْ كل ناحيةٍ حتَّىٰ مِنْ قريبِ صنعاءَ ، وهناكَ تكثرُ

(١) **السّابلة** : أَبناءُ السَّبيل والمارَّة في الطَّريق .

(٢) الحبيب علي بن حسن العطاس (١١٢١ـ ١١٧٢هـ) من أشهر مشاهير عصره ، تربى في حجر جده عبد الله ، وتفقه عليه ، وله مصنفات كثيرة وديوان كبير .

ٱلفوائدُ ، وتُبسَطُ ٱلموائِدُ ، وتهتزُّ ٱلأَبشارُ ، وتَحِنُّ ٱلعِشارُ ، وينظمُ ٱلانتشارُ ، وتقشعرُّ ٱلأَبدانُ ؛ لحضورِ ٱلأَرواحِ مِنْ بَشَّارٍ .

هُنَـالِـكَ يَهْتَـزُّ ٱلشُّعُـورُ إِذَا ٱلتَقَـىٰ ... مِـنَ ٱلْمَـلأِ ٱلأَعْلَـىٰ كِـرَامٌ وَطَيِّـبُ[1]

وَثَـمَّ يَطِيـبُ ٱلاتِّصَـالُ إِذَا ٱنْبَـرَىٰ ... نَسِيمُ ٱلـرِّضَا وَٱنْهَـلَّ بِـٱلْفَضْلِ صَيِّبُ

ولا تزالُ تلكَ ٱلعادةُ متَّبعةً إِلى ٱليومِ ، وهـٰذا ٱلمولدُ مِنْ أَقلِّ ٱلموالدِ بدعاً ومفاسدَ ، إِلاَّ ما قد يقعُ مِنِ ٱختلاطِ ٱلرِّجالِ بٱلنِّساءِ ، ولـٰكنْ لَم يشتهرْ عنهُ فسادٌ ، ولا مانعَ أَنْ يكونَ ذلكَ ببركةِ إِخلاصِ مؤسِّسهِ وحُسنِ نيَّتِهِ ، ولَو رأَيتَ ما يقعُ مِنْ فرحِ ٱلوفودِ ، وزجلِ ٱلأَراجيزِ ، ودَوِيِّ ٱلمدافعِ ، وزمجرةِ ٱلميازرِ .

وَٱلْخَيْـلُ تَصْهِـلُ وَٱلْفَـوَارِسُ تَـدَّعِـي ... وَٱلْبِيـضُ تَلْمَـعُ وَٱلأَسِنَّـةُ تُـزْهَـرُ[2]

وَٱلأَرْضُ خَـاشِعَـةٌ تَمِيـدُ بِثِقْلِهَـا ... وَٱلْجَـوُّ مُعْتَكِـرُ ٱلْجَـوَانِـبِ أَغْبَـرُ

وَٱلشَّمْسُ طَـالِعَـةٌ تَـوَقَّـدُ فِـي ٱلضُّحَـىٰ ... طَـوْراً وَيُطْفِئُهَـا ٱلْعَجَـاجُ ٱلأَكْـدَرُ

. . لرأَيتَ ما يَملأُ عينيكَ نوراً ، وقلبَكَ سروراً .

وتقومُ هناكَ سوقٌ مِنْ أَسواقِ ٱلعربِ تدومُ ثلاثةَ أَيّامٍ ، وتأْتيها ٱلقوافلُ حتَّى من نحوِ صنعاءَ .

وكانَ ٱلحبيبُ عليُّ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ ـ صاحبُ ٱلمشهدِ هـٰذا ـ صدراً مِنْ صدورِ ٱلرِّجالِ ، ولَهُ مُؤَلَّفاتٌ كثيرةٌ ، مِنها : « ٱلقِرْطاسُ » في ثلاث مجلَّداتٍ كبارٍ ، ومِنها : « سفينةُ ٱلْبضائِعِ » ، ولَهُ « ديوانٌ » عذبٌ[3] ، كأَنَّهُ ٱللُّؤْلُؤُ ٱلرَّطبُ ، وهوَ يمرُّ في منظومهِ ومنثورهِ معَ خاطرهِ ، لا يتكلَّفُ ولا يتنطَّعُ ، ولا يَدَعُ شيئاً ببالهِ إِلاَّ نفثَ بهِ لسانُهُ ، وعسلَ بهِ قلمُهُ ، مِنْ ذلكَ : أَنَّ جماعةً مِنْ قَرَارٍ[4] شبام باتوا عندَهُ ، فأَكرمَهُم وأَسبغَ قِراهُم ، ومعَهُم جمَّالٌ مِنْ آلِ مَهْري ، سأَلَ عنهُ ٱلحبيبُ عندَ حضورِ ٱلعشاءِ ،

---

(١) البيتان من الطَّويل .

(٢) الأَبيات من الكامل ، وهي للبحتريِّ في « ديوانه » (١/ ٢٤) .

(٣) واسمه : « قلائد الحسان وفرائد اللسان » .

(٤) القرار : أهل الحراثة والأرياف إذا اعتزلوها وسكنوا المدن .

فقالوا لَهُ : إنَّهُ عندَ ٱلمراكيبِ ، فأَخِّرْ عشاءَهُ حتَّىٰ نفرغَ ، قالَ : لا يمكن أَن نأْكل إلاَّ ويده مع أيدينا .

وٱتَّفقَ أَنَّ ٱلحبيبَ دخلَ شباماً بعدَ أُمَّة مِنَ ٱلزَّمانِ وٱجتمعَ بكلِّ أُولئكَ في ٱلجامعِ ، ولَم يَقُلْ لَهُ أَحدٌ تفضَّلْ إِلىٰ منزلي ، وأَبوا بلسانِ ٱلحالِ أَنْ يُضيِّفوهُ ، فٱضطرَّ إِلى ٱلخروجِ مِنْ شبام قريبَ ٱلمغربِ ، فلاقاهُ ٱبنُ مَهْريٍّ خارجاً مِن سدَّةِ شبام وعزمَ عليهِ وأَلَحَّ ، وذبحَ لَهُ منيحةَ ولدِهِ ، فأَنشأَ ٱلحبيبُ قصيدةً يقولُ فيها :

عَلِي بنْ حَسَنْ حَوَّطْ ٱلْغَيْوَارْ وَٱمْسَىٰ مَزَارْ   وَٱمْسَيتْ يٱلْجَحِي جَنَّهْ بَعدْ مَا كُنتْ نَارْ

يا ٱلْقَرْوِي ٱلْقَارْ يَا عِرْقَ ٱلْحدَجْ يَاقَرَارْ   حِـبّْ ٱلْقَبيلِـي وَقِيـرَاطْ ٱلْقَبيلِـي بْهَـارْ

وَٱنْ جِيتْ صُرّ ٱلْقَبيلِي مَا لَطَفْ فِي ٱلصِّرَارْ

وسيأَتي في شِبَام أَنَّ لأَهْلِها مكارِمَ غزيرةً ، ومحاسنَ كثيرةً ، إلاَّ أَنَّهُم لا يَقْرُونَ ٱلضَّيفَ ؛ لِضِيقِ منازِلهم وكَثْرةِ أَشغالِهم .

وكلامُ ٱلحبيبِ في « ديوانهِ » ، وإِنْ خرجَ عن قواعدِ ٱلإِعرابِ . . فإِنَّهُ عَذْبُ ٱللَّهجةِ ، حُلْو ٱلسِّياقِ ، خفيف ٱلرُّوحِ .

أَخذَ عن كثيرٍ مِنَ ٱلمشايخِ ، مرَّ ذِكرُ جملةٍ منهُم ، ومنهُم : جَدُّ أَبيهِ : ٱلحبيبُ حسينُ بنُ عمرَ ٱلعطَّاسُ ، وجدُّهُ عبدُ ٱللهِ بنُ جعفرٍ مُدْهِر ، وٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ زينٍ ٱلحَبْشيُّ ، وغيرُهُم .

وكانت وفاتُهُ بٱلمشهدِ سَنَةَ (١١٧٢هـ) ، ولا يزالُ أَولادُهُ يتوارثونَ مَنْصِبَهُ على ٱلبرِّ وٱلتَّقوىٰ ، وإِكرامِ ٱلضَّيفِ ، وإِعانةِ ٱلمنكوبِ ، وتأْمينِ ٱلخائِفِ ، وٱلإِصلاحِ بينَ ٱلنَّاسِ ، وٱلحجزِ ما بينَ ٱلمتحاربينَ .

وٱلقائِمُ بمنصبهِمُ ٱلآنَ هوَ : أَخونا ٱلمَنْصِبُ ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ حسينِ بنِ عمرَ بنِ هادونَ[1] ، سخيُّ ٱلكفِّ ، سليمُ ٱلصَّدرِ ، خفيفُ ٱلرُّوحِ ، قليلُ ٱلغضبِ ، لا يَشينهُ

---

(١) السيد الشريف أحمد بن حسين بن عمر بن هادون بن هود بن علي بن حسن العطاس ، ولد سنة (١٣٠١هـ) ، وتوفي سنة (١٣٧٨هـ) ، أخذ العلم عن عدد من الشيوخ ، وكان شهماً كريماً حكيماً حليماً .

عبوسٌ ، ولا يُبطِرُهُ غنىً ، ولا يُذلُّهُ بؤسٌ .

لاَ مُتْـرَفـاً إِنْ رَخَـاءُ ٱلْعَيْـشِ سَـاعَـدَهُ ... وَلَيْـسَ إِنْ عَـضَّ مَكْـرُوهٌ بِـهِ خَشَعَـا

وفيهِ أقولُ مِنَ « ٱلرِّحلةِ ٱلدَّوعنيةِ » [مِنَ الطَّويلِ] :

وَعُجْنَا إِلَـى ٱلْغَيْـوَارِ صُبْحـاً فَـأَطْلَقُـوا ... كَـذَا وَكَـذَا عِنْـدَ ٱلتَّحِيَّـةِ مَـدْفَعَـا

وَزُرْنَا ٱلْبَعِيدَ ٱلصِّيتِ حَامِي ٱلْحِمَى ٱلَّذِي ... بِـهِ صَـارَ مِـنْ عِـرِّيسَـةِ ٱللَّيْـثِ أَمْنَعَـا[1]

وَكَـانَ زَعِيـمُ ٱلْمَشْهَـدِ ٱلشَّهْـمُ غَـائِبـاً ... مَضَـىٰ هُـوَ وَٱلسُّلْطَـانُ فِـي رِحْلَـةٍ مَعَـا

وَكَـانَ مَكِينـاً عِنْـدَهُ حَيْـثُ إِنَّـهُ ... بِـأَخْـلاَقِـهِ لَـمْ يُبْـقِ لِلظَّـرْفِ مَـوْضِعَـا

سِـوَىٰ لِحْيَـةٍ فِيهَـا يَسِيـرُ زِيَـادَةٍ ... أُرِيـدَ عَلَـىٰ تَقْصِيـرِهَـا فَتَمَنَّعَـا

وَفِـي جِيـدِهِ بِـٱللَّيْـلِ أَبْصَـرْتُ سُبْحَـةً ... مِنَ ٱلرُّقْشِ خِفْنَا أَنْ تَدِبَّ وَتَلْسَعَا[2]

ولا يُشكلُ قولُنا : (أَبصرتُ) معَ أَنَّهُ كانَ غائباً ؛ لأنَّا ٱجتمعنا وإيَّاهُ بعدَ ذلكَ معَ ٱلسُّلطانِ ، فكانَ ما في ٱلبيتِ .

ولقد أخبرني أَنَّ ٱلسُّلطانَ صالحَ بنَ غالبٍ أَرادَهُ علىٰ حَلْقِ لحيتهِ أَيَّامَ كانَ معَهُ بمصرَ ؛ لأنَّ أَهلَ مصرَ لا يُحبُّونَ ٱللِّحىٰ ، وبذلَ لهُ مئةَ دينارٍ مصريٍّ فٱمتنعَ ، إلاَّ أَنَّهُ ندِمَ بعدَ ذلكَ ، ولاسيَّما إثرَ ما أخبرتُهُ بٱتِّفاقِ ٱلرَّافعيِّ وٱلنَّوويِّ علىٰ كراهةِ حَلْقِها لا حُرْمتِهِ ، وأَنَّ ٱلسَّخاويَّ ذَكرَ في « ٱلضَّوءِ ٱللاَّمعِ » أَنَّ عبدَ ٱلحقِّ بنَ هاشمٍ ٱلجربيَّ ٱلمغربيَّ كانَ يحلقُ لحيتَهُ وشاربَهُ ، وكانَ صالحاً معتَقَداً ، وأَصلُهُ مِنَ ٱلينبوعِ فيما يذكرُ ، وقد تولَّىٰ مشيخةَ رباط ٱلسَّيِّدِ حسنِ بنِ عجلانَ بمكَّةَ ، وبها توفِّيَ سَنةَ (٨٤٥هـ) فٱشتدَّ ندمُهُ حينئذٍ ، وأَنشدَ لسانُ حالهِ قولَ كثيِّرِ عَزَّةَ [في « ديوانهِ » ٢٤٤ مِنَ الطَّويلِ] :

لَئِـنْ عَـادَ لِـي عَبْـدُ ٱلْعَـزِيـزِ بِمِثْلِهـا ... وَأَمْكَنَنِـي مِنْهَـا إِذَنْ لاَ أُقِيلُهَـا

---

(١) عرِّيسة الليث : عرينه .

(٢) الرُّقش : الحيَّات الَّتي فيها سواد وبياض ، والمعنى : أن في جيده سبحة سوادها وبياضها يخيل للناظر أنه حية رقشاء .

وفي حَوالَي ٱلمَشْهدِ كثيرٌ مِنَ ٱلأَطْلالِ وٱلآثارِ العاديَّةِ[1] ، وأَكثرُها في مكانٍ يقربُ منهُ ، يقالُ لَهُ : **ريبون** ، يزعمونَ أَنَّ بهِ آثاراً مطمورةً بٱلتُّرابِ ، كمثلِ ٱلآثارِ ٱلَّتي ٱكتُشفَتْ بناحيةِ حُرَيضةَ ، أَو أَكثرُ[2] .

مِيْخ

وفي جنوبِ ٱلمشهدِ علىٰ نصفِ ساعةٍ منهُ بٱلأَقدامِ ، قريةٌ يُقالُ لها : **ميخ** ، فيها جماعةٌ من ذُرِّيَّةِ ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ ـ مَولَى ٱلغيلِ ـ ٱبنِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ ٱلمشهورِ بٱستجابةِ ٱلدُّعاءِ ، يرجعونَ إِلىٰ عفيفٍ ٱلكِنْديِّ .

ومنهمُ : ٱلشَّيخُ سعيدُ بنُ محمَّدٍ المُلَقَّبُ ٱلصُّوفيُّ ٱلكِنْديُّ وهو منصبُهم .

وفيها آلُ باسَمْحٍ ، ولهم مِنِ ٱسمِهم نصيبٌ ؛ منهم : سالمٌ وأَحمدُ وعمرُ وسعيدُ بنُ محمَّدٍ باعمرَ باسمحٍ ، لهم ثروةٌ وخيرٌ وسماحةٌ .

وفي غربيِّ ميخٍ غيلٌ أَجراهُ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلعفيفيُّ ٱلكنديُّ ، وأَعانَهُ عليهِ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدٍ ٱلقديمُ عبَّادٌ بخمس مئة ريالٍ .

ومنها ٱلشَّاعرُ ٱلمشهورُ غانمٌ ٱلحكيميُّ وهوَ ٱلقائلُ ينسبُ نفسَهُ :

مِـنْ نَسْـل عُـذْرَه بِـنْ سبـا بِـنْ سـامْ   ونُنْسَـــبْ لا نــوحْ بِـــنْ شيليْـــخْ

---

(١) العادية : نسبة إلى قوم عاد .

(٢) تقع ريبون غربي المشهد ، قال صلاح البكري : في هٰذه المنطقة أحجار كثيرة عليها كتابات حميرية ، وتوجد تلال تعلو إلى (٣٠) قدماً على سفوحها أنقاض جدران ، وعلى إحدى التلال بئر اتساعها (٣٠) قدماً وعمقها(٦٠) . وقد عثر على آثار قيمة في هٰذه المنطقة . اهـ

وقال الأستاذ جعفر السقاف : تقع ريبون غربي المشهد ، وهي منطقة تزيد مساحتها على (١٠) هكتار ، وعليها الآن آثار المعابد والقصور والمساكن ومنشآت الحرفيين التي اكتشفتها البعثة اليمنية السوفيتية العلمية في موسم عملها لعام (١٩٨٣م) ، وبها معبد الإلٰه عشترم ، وبناؤه يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد ، ثم أحرق في الفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعد الميلاد ، كما لاقت المدينة نفس المصير .

وكانت ريبون في الماضي مركزاً لمنطقة زراعية كبيرة تقدر مساحتها بنحو (١,٥٠٠) هكتار .

مـا نَكسَـب ٱلاَّ مِـن علـوقِ الشـامْ　　مِســرِخْ مِضِـوِّيْ والمحلَّــهْ ميْــخْ

ومن شعرِهِ في موسمِ ٱلمشهدِ :

اليـومْ صَبَّحنـاكْ يـا علـيْ بِـنْ حسـنْ　　يـا مُعطِـيِ ٱلـزوَّار كـلٍّ لِـيْ بَغـاهْ
مَـن ليـس لـه نِيّـهْ فـي السّـادهْ وظـنّْ　　لا ٱلـرِّزقْ قـدّامُـهْ رجـعْ لَمّـا قفـاه

وقالَ أَيضاً :

اليـومْ صبَّحنـاك يـا علـي بـن حسـن　　يـومَـك كمـا يـاسيـن سلطـان القُـرانْ
طـالِـبْ كـرامـهْ مـن بحـوركْ يـا علـي　　يا الطيْر لأخضر يا الشُّقُر يا الضِّيمْرانْ

وقال :

يـا ٱلـرَّعْـد حَنَّيتـي وحَـنْ دُقْـمُ الحِسِـيْ　　لا[1] قام وادي العين تِرْغِي من رِغاشْ
فــي شهــر لَــوَّلْ تلتقــي زوّارهـــا　　وبعــد فــي ٱلآراض تسعـىٰ للمعـاش

و(الرعد) : ٱسم للطبل الكبير الذي يضرب بالعيدان المسمىٰ بالطاسة وهي الخانة الكبيرة . و(الحسي) : جبل كبير في شمال المشهد بطرف وادي العين .

وقد ذَكَّرني قوله : (ترغي) بقول ناصر بن أَبي ٱلمكارمِ ٱلخوارزميِّ [مِنَ الطَّويلِ] :

فَـإِنْ تُنْكِـرُوا فَضْلِـي فَـإِنَّ رُغَـاءَهُ　　كَفَـىٰ لِـذَوِي ٱلأَسْمَـاعِ مِنْكُـمْ مُنَـادِيـا

وذكرني قولُهُ : (تسعىٰ للمعاش) أنَّ ٱلحبيبَ هادونَ بنَ هودِ بنِ عليٍّ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ كانَ متزوِّجاً بشريفةٍ مِن آلِ ٱلجفريِّ ، فأمرها أَن تعطي مساكين قدراً مِنَ ٱلحبوبِ . . فنقصتهم منهُ ، فقالَ : ما قصَّرتِ إلاَّ لأَنَّ أَهلكِ طَلَب . فقالت لهُ : أَمَّا أَهلي إذا سألوا أَحداً سأَلوهُ بسِرٍّ ، وأَمَّا أَنت وآباؤكَ . . فقد جعلوا للطَّلْبةِ مرافعَ وطُوَس فضحكَ ٱلحبيبُ مِن ذلكَ ٱلكلامِ ، وأُعجبَ بهِ ، ونشرَهُ ؛ لبعدِهِ عِنِ ٱلكبرِ وٱلتَّصنُّعِ ، ولسَيْرهم كلِّهم بسَوقِ ٱلطَّبيعةِ ، وٱبتناء أمرهم على ٱلإخلاصِ ولقد ذكرَ ذلكَ في مجلسٍ حافلٍ بعظماءِ العلويِّينَ ، ومنهم إمامُ ٱلدَّعوةِ وٱلإرشاد أحمدُ عمرَ بنِ سميطٍ ،

---

(١) عامية بمعنى إذا الشرطية .

وسيِّدُ ٱلوادي حسنُ بنُ صالحٍ ٱلبحرُ ٱلجفريُّ فٱنبسطوا ، وكلُّهم عنِ ٱلرِّياء بمعزلٍ ، ينطبقُ علىٰ كلٍّ منهم ما قالَهُ ٱبنُ ٱلخطَّابِ وقد رأىٰ صفوانَ متبذلاً : إِنَّهُ ليفرُّ مِنَ ٱلشَّرفِ ، وٱلشرفُ يتبعُهُ .

وقولُ حبيبٍ [في « ديوانِه » ٢/ ١٠١ مِنَ ٱلكاملِ] :

مُتَبَــذِّلٌ فِــي ٱلْقَــوْمِ وَهْــوَ مُبَجَّــلٌ   مُتَــوَاضِــعٌ فِــي ٱلحَــيِّ وَهْــوَ مُعَظَّــمُ

رضوانُ ٱللهِ عليهم أجمعينَ .

وادي ٱلعَيْن

هوَ وادٍ واسعٌ في شرقيِّ ٱلمشهدِ ووادي لَيْسر ، تفصلُ بينها وبينَهُ ٱلجبالُ ، فيهِ كثيرٌ مِنَ ٱلحصونِ وٱلقرىٰ ، ونحنُ نذكرُ ما يُجَمَّعُ فيها[1] .

وأكثرُ سكَّانهِ مِنَ ٱلمشايخِ آلِ باوزيرٍ وٱلعوابثةِ . وقد مرَّ في غيل باوزيرٍ ما يُفهَمُ منهُ أَنَّ ٱلرِّئاسةَ ٱلدِّينيَّةَ كانتْ لِلمشايخِ آلِ باوزيرٍ ، وأَنَّ ٱلعوابثةَ ٱلمذحجيِّينَ كانوا يَنتسبونَ إِليهِمْ بٱلخدمةِ وٱلموالاةِ ، كأكثرِ قبائلِ حَضْرَمَوْتَ معَ مناصِبها .

وكانَ شيخُ ٱلعوابثةِ حوالي سَنةِ (٨٥٨هـ) رجلٌ يقالُ لَهُ : عمرُ بنُ أَبي قديمٍ ، لَهُ ذِكرٌ في ٱلحكايةِ (٣٩٩) مِنَ « ٱلجوهرِ ٱلشَّفَّافِ » لِلخطيبِ [٢/ ١٦٢-١٦٣ (خ)] ، وفي وادي عمدٍ ذِكرُ عَوبَثَ وناعبَ وريامٍ .

وأَعلىٰ وادي ٱلعينِ قريةٌ يقالُ لَها : **شَرْجُ ٱلشَّرِيفِ** ، فيها قَرارٌ ـ أَعني : سُوقةَ ـ وعوابثة ، وبعدَهُ : **غَوْرَب** ، مكانُ آلِ باذياب ، وبعدَهُ : **ٱلهَشْمُ** ، فيهِ عوابثةٌ ، ومشايخُ مِنْ آلِ باوزيرٍ ، وبعدَهُ : **ٱلبَاطِنةُ** ، لِلمشايخِ آلِ باوزيرٍ ، منصبُهُم : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدِ بنِ أَحمدَ باوزيرٍ . وبعدَهُ : **ٱلبُوَيْرقاتُ** ، فيها مشايخُ مِنْ آلِ باوزيرٍ ، وقرارٌ وغيرُهم . وبعدَها : **ٱلسَّفِيلُ** ، فيها مشايخُ مِنْ آلِ باوزيرٍ وسُوقةٌ ، وٱلمَنْصِبُ بها : أَحمدُ بنُ صالحٍ باوزير .

---

(١) يقصد القرى التي تصلى فيها الجمعة .

وبينَ ٱلبُوَيرقاتِ وغَورَبَ مكانٌ لا جُمعةَ فيهِ ، يقالُ لَهُ : **ٱلرَّابيةُ** ، كانت تُقيمُ فيهِ ٱلعربُ سوقاً .

قالَ ٱليعقوبيُّ : (يقومُ سوقُ صحار[1] في أَوَّلِ يومٍ مِن رجب ، ثمَّ يرتحلونَ إِلىٰ دَمَا ، وهيَ مِنْ بلادِ عمان كما في (ص ٤٤٨) مِنْ آخِرِ أَجزاءِ « مُعجَمِ ٱلبلدانِ » وغيرِها .

ثمَّ : **سوقُ مهرةَ** ؛ وهوَ سوقُ ٱلشِّحْرِ ، يقومُ تحتَ ظلِّ ٱلجبلِ ٱلَّذي عليهِ قبرُ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ ، ولَم تَكُنْ بها خَفَارةٌ ، كانتِ ٱلمَهْرةُ تقومُ بحفظِها . ثمَّ : **سوقُ عدن** أَوَّلَ يومٍ مِنْ رمضانَ . ثمَّ : **سوقُ صَنْعاءَ** في ٱلنِّصفِ مِنْ رمضانَ . ثمَّ : **سوقُ ٱلرَّابيةِ** بحَضْرَمَوْتَ ، ولا وصولَ إِليها إِلاَّ بخِفارةٍ ؛ لأَنَّها لَم تَكُنْ أَرضاً مُمَلَّكة ، بل كان كُلُّ مَنْ عَزَّ بها . . بَزَّ ، وكانت كندةُ تخفرُ فيها ، ثمَّ يقومُ بعدَها سوقُ عكاظٍ) اهـ

وقد ذكرتُ ما يتعلَّقُ بهِ في « **ٱلأَصلِ** » ، وقولُهُ : (مَن عزَّ . . بَزَّ)[2] مِنَ ٱلأَمثالِ ٱلَّتي أَرسلَها عبيدُ بنُ ٱلأَبرصِ لمَّا قدَّمَهُ ٱلمنذرُ ٱللَّخميُّ في يومِ بؤسهِ للقتلِ .

وأَبسَطُ ما رأَيتُ ٱلكلامَ عن أَسواقِ حَضْرَمَوْتَ بكتابِ « ٱلأَمكنةِ وٱلأَزمنةِ » لأَبي عليٍّ ٱلمرزوقيِّ ، وهوَ مطبوعٌ بدائرةِ ٱلمعارفِ ٱلدَّكنيَّةِ ، وقد ذكرَ سوقَ ٱلرَّابيةِ هٰذا .

ثمَّ رأَيتُ قولَ صاحب « قبائِلِ ٱلعربِ » : (تقوم سوقُ دومةِ ٱلجندلِ أَوَّلَ يومٍ مِن ربيع ٱلأَوَّلِ إِلى ٱلنِّصفِ منهُ . وتقومُ سوقُ ٱلمشقرِ مِن أَوَّلِ يومٍ مِن جمادى ٱلآخرةِ . ثمَّ تقومُ سوقُ صَحَار خمسةَ أَيَّامٍ لعشرٍ يمضينَ من رجبٍ . ثمَّ سوقُ ٱلشِّحرِ في ٱلنِّصفِ من شعبانَ . ثمَّ سوقُ صنعاءَ في ٱلنِّصف مِن شهرِ رمضانَ إِلىٰ آخرِهِ . ثمَّ سوقُ حضرموتَ في ٱلنِّصفِ مِن ذي ٱلقَعدةِ .

وتقومُ سوقُ عكاظٍ بأَعلىٰ نَجْدٍ قريباً مِن عَرَفاتٍ في نصفِ ٱلقَعدةِ أَيضاً إِلىٰ آخرها ، وهو أَعظمُ أَسواقِ ٱلعربِ ، تأْتيها قريشٌ وهوازنُ وغطفانُ وسليمٌ وٱلأَحابيشُ وعقيلٌ

(١) صحار : بلدةٌ عامرة الآن بسلطنة عمان .
(٢) من عزَّ . . بزَّ ؛ أَي : منَ غَلب . . سَلب .

والمصطلقُ وطوائفُ مِنَ ٱلعربِ يبقونَ بها إلىٰ هلالِ ٱلحِجَّةِ فيأتونَ ذا ٱلمجازِ ـ وهو قريبٌ من عكاظٍ ـ فيقومُ سوقهُ إلى ٱلتَّرويةِ فيصيرونَ إلىٰ منىً .

وتقومُ سوقُ نطاه بخيبرَ ، وسوقُ حَجْرٍ ـ بفتح المهملة وسكون الجيم ـ يوم عاشوراءَ إلىٰ آخرِ ٱلمحرَّم) اهـ

وقريب منه في (ص٢٧٥ ج ٢) من « خزانةِ ٱلأدبِ » وفي ٱلَّتي قبلَها منها : أَنَّ أَوَّلَ ما تُرِكَ مِن أَسواقِ ٱلعربِ سوقُ عكاظٍ ، تُرِكَ في زمنِ الخوارجِ سنة (١٢٥هـ) ، وآخرَ ما تُرِكَ منها سوقُ جاشةَ في زمن عيسى بن موسى ٱلعبَّاسيِّ سنة (١٩٧هـ) .

وممَّا يتأكَّدُ بهِ عدمُ ٱلنَّصَفِ وٱلأمانِ في ذلكَ ٱلمكانِ : ما أخرجَهُ ٱلبخاريُّ ، وأحمدُ ، وٱلتِّرمذيُّ ، وأبو داودَ : عن خبَّابِ بنِ ٱلأرتِّ مرفوعاً : « لَيَتِمَّنَّ ٱللهُ هَـٰذَا ٱلأَمْرَ حَتَّىٰ يَسِيرَ ٱلرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ ٱللهَ وَٱلذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ »[1] ؛ لأنَّ ٱلقوافلَ كانت تجيءُ لسوقِ ٱلرَّابيةِ مِنْ صنعاءَ فتلاقي عناءً مِنَ ٱلخوفِ وخسارةً مِنَ ٱلخِفارةِ ، **ولَو لَم تَكُنْ أشدَّ ٱلطُّرقِ خوفاً . . لَما كانَ أَمْنُها إعجازاً .**

وحوالَي قُعُوضَة مكانٌ يقالُ لَهُ : ٱلرَّابيةُ أَيضاً ، قيلَ : إنَّ ٱلسُّوقَ إنَّما كانَ فيهِ ، وإنَّما بُنيتْ قُعُوضةُ مِنْ أَجْلِهِ . وٱللهُ أعلمُ .

ووادي ٱلعينِ مِن أَطولِ أَوديةِ حضرموتَ ، من أَعلاهُ ـ وهو شرجُ ٱلشَّريفِ ـ إلى ٱلسَّفيلِ مسافةُ يومٍ للماشي .

ومن شرجِ ٱلشَّريفِ إلىٰ أقصاهُ ٱلجنوبيِّ مسافةُ يومٍ كذلكَ للرَّاجلِ ، إلاَّ أَنَّهُ يضيقُ وتنتهي ٱلمحارثُ .

وفي أَعلاهُ عينُ ماءٍ نَضَّاخَةٌ ، عليها نخيلٌ تسقيها إلىٰ مسافةِ ستَّةِ أَميالٍ تقريباً ، ثمَّ تغورُ في ٱلأَرضِ ، ولـٰكن متىٰ جاءتِ ٱلسُّيولُ . . مدَّت بٱللَّيلِ إلىٰ مسافةٍ طويلةٍ ، وتَجزُرُ بٱلنَّهارِ ، ومن ٱنحطَّ عن مائِها ٱلدَّائمِ ٱلمعتادِ . . يحمي نخلَهُ عن مائِها ؛ لأنَّهُ

---

(١) الحديث أخرجه البخاريُّ (٦٥٤٤) ، وهو بنحوه عند الإمام أحمد (٥/١٠٩) ، وأبي داود (٢٦٤٩) .

يضرُّهُ فيما يقولون ، وإنَّما ينتفعُ بهِ ٱلَّذي يألفُهُ . وحيثُما يجري ذلكَ ٱلماءُ . . يكونُ ٱلجوُّ رديئاً موبوءاً ، يغلبُ علىٰ أهلِهِ الضعفُ وٱنتفاخُ البطونِ وقصرُ الأعمارِ ، وقلَّ مَنْ يبيتُ بهِ ليلتينِ مِنْ غَيْرِ أهلِهِ . . إلاَّ أصابتْهُ ٱلحُمَّىٰ ، ثمَّ منهم من يَسْلَمُ ، ومنهم من يذهبُ لِمَا به .

وأهلُ ٱلنَّخلِ بهِ مِن غيرِهِ يبادرونَ بجذِّ خريفِهم وتحميلِهِ ، تفادياً عن البياتِ ؛ خوفاً من أُمِّ مِلْدَمٍ .

ومِنْ أخبارِ ٱلعوابثةِ ٱلظَّريفةِ : أنَّ بعضَهُم أُخفِرتْ ذِمَّتُهُ ، فلَم يَقدرْ علىٰ جلاءِ ٱلعارِ وغَسْلهِ عن وجههِ ، وكانَ بينَهُم شاعرٌ مِنَ ٱلحاكةِ ، لا يَشهدُ زفافاً ولا غيرَهُ مِن ٱحتفالاتِ ٱلأفراحِ . . إلاَّ غمزَهُ بشيءٍ مِنَ ٱلكلامِ ، حتَّىٰ لقد توعَّدوهُ بقَطْعِ لسانهِ إنْ بقيَ يُعيِّرُهُ ، ولٰكنَّهُ لَم يَصبرْ ؛ ففي ٱحتفالٍ بفَرَحٍ عندَهُم قالَ :

لاَ ٱلْحَوْلْ حَوْلِي وَلاَ لِي مِنْ قِدَا ٱلْحَوْلْ حَوْلْ　　　لُو شُفْتْ غِرْبَانْ سَوْدَا قُلْتْ ذُولاَكْ عَوْلْ

ومعناها : إنَّني لا أقدرُ علىٰ تعييرِ صاحبِ ٱلوجهِ ٱلأسودِ ، بل أقولُ : إنَّهُ أبيضُ .

فأعادوا عليهِ ٱلوعيدَ وٱلتَّهديدَ ، وكادوا يَسطونَ بهِ ، ولٰكنَّهُ لَم يَصبرْ ، فعادَ مرَّةً أُخرىٰ يقولُ في ٱحتفالٍ :

وَٱللهْ لاَ تُـوِرِ ٱلنَّـائِـمْ إلـمَّـا ٱلْمَقِيـلْ　　　وِانْ لاَ كَفَتْ فَوْقَهْ ٱلشُّقَّهْ طَرَحْنَا ٱلْمَكِيلْ

وأهلُ بلادِنا يعرفونَ مَغزىٰ هٰذا ٱلكلامِ . . فلا حاجةَ إلى ٱلشَّرحِ .

فلَم يَكُنْ مِنَ ٱلعوابثةِ إلاَّ أَنْ عيَّروا صاحبَهُم وكانَ مُثْرِياً ، فحملَ ولدَهُ علىٰ ركوبِ ٱللَّيلِ ، وٱستأجرَ معَهُ جماعةً مِنْ أهلِ ٱلنَّجدةِ ، فذهبوا إلىٰ مكانِ ٱلمطلوبِ ، وكانَ آمِناً ؛ لبُعدهِم ، ولِمَا يَعرفُهُ مِنْ حالِ طالبهِ ، وأنه كما قالَ جريرٌ [في « ديوانِهِ » ٢٧٢ مِنَ ٱلكاملِ] :

زَعَـمَ ٱلْفَـرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُـلُ مِـرْبَعـاً　　　أَبْشِـرْ بِطُـولِ سَـلاَمَـةٍ يَـا مِـرْبَـعُ

فلَم يَكنْ مِنَ ٱلجماعةِ إلاَّ أَنْ أمسكوهُ وكلَّفوا ٱلولدَ أَنْ يَطعنَهُ ، فما كادَ يفعلُ إلاَّ بعدَ أمرٍ ما ، وعندما ٱنتهىٰ مِنَ ٱلعملِ . . خرقَ وعقرَ ، فٱحتملوهُ حتَّىٰ أوصلوهُ إلىٰ أبيهِ في

زفٌّ كبيرٍ ، حضرَهُ ذلكَ ٱلشَّاعرُ ، فألقىٰ عليهِم ما يَمحو بوادرَهُ ٱلسَّابقةَ .

ومِنْ أخبارِهم : أنَّهُ كانَ بينَ عبدِ ٱللهِ باذياب[1] ـ صاحبِ غَوْرَب ـ وبينَ عبدِ ٱللهِ بنِ عوضِ بنِ فاجعٍ ـ صاحبِ ٱلهَشْمِ ـ منافساتٌ ، فبينا أحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ باذياب يمشي ذاتَ يومٍ معَ ٱثنينِ مِنْ أصحابهِ علىٰ مقرُبةٍ مِنَ ٱلهَشْمِ . . إذْ خرجَ عليهِم عبدُ ٱللهِ عوض صاحبُ ٱلهشمِ في سبعةٍ مِنْ أصحابهِ ، فأطلقوا ٱلرَّصاصَ علىٰ أحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ فخرَّ صريعاً يَتشحَّطُ في دمِهِ ، وهربَ صاحباهُ ، فٱحترقَ لذلكَ فؤَادُ والدِهِ عبدِ ٱللهِ باذياب ، وأخذَهُ مِنَ ٱلأسفِ علىٰ ولدِهِ ما كادَ يفلقُ فؤَادَهُ ، لاسيَّما وقد أعياهُ ٱلثَّأرُ ؛ إذْ أخذَ عبدُ ٱللهِ بنُ عوضِ بنِ فاجعٍ بٱلحزمِ ٱلشَّديدِ ، فقلَّما خرجَ مِنْ دارِهِ إلاَّ بعدَ ٱلاستبراءِ .

ولمَّا ٱشتدَّ ٱلأسفُ بباذيابٍ . . خاطرَ ولدُهُ مانعٌ بنَفْسِهِ ، وٱقتعدَ ٱللَّيلَ وكمَنَ في خِزْبَةٍ بٱلهشمِ ، ولمَّا خرجَ أحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بافاجع . . قدرَ عليهِ ، ولـٰكنَّهُ تركَهُ رجاءَ أنْ يخرجَ أبوهُ ليَشفيَ غيظَهُ وغيظَ أبيهِ مِنْ نفسِ ٱلقاتلِ ٱلَّذي ٱقتطفَ ثمارَ قلوبهِم ، فلَم يَكُنْ مِنْ أحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ إلاَّ أنْ نادىٰ أباهُ وقالَ لَهُ : عارِضني بمِزْحاةٍ ومِكْتَلٍ[2] .

فقالَ لَهُ : سآمرُ أحدَ ٱلعبيدِ . . يأتيكَ بها . فلمَّا أيِسَ مِنَ ٱلأبِ . . أطلقَ بندقيَّتَهُ علىٰ أحمدَ . . فخرَّ صريعاً لليدينِ وللفمِ ، وٱنسابَ ٱبنُ ذيابٍ ٱنسيابَ أيْمِ ٱلرَّمْلِ[3] ، ولمَّا دنا مِنْ دارِ أبيهِ . . أطلقَ ٱلرَّصاصَ ؛ إشارةً إلى ٱلظَّفرِ ، فٱستقبلَهُ أبوهُ في حفلٍ كبيرٍ ، وذَبحَ ٱلذَّبائحَ وعَملَ ضيافةً للنَّاسِ .

وَسَاغَ لَهُ ٱلشَّرَابُ وَكَانَ قِدْماً ... يَكَادُ يَغَصُّ بِٱلْمَاءِ ٱلزُّلاَلِ[4]

وٱلنَّاسُ يعدُّونَ صنيعَ مانعِ بنِ ذيابٍ مِنَ ٱلمُعجزاتِ ، ولا بِدْعَ ؛ فإنَّهُ مِنْ سِرِّ قولهِ

---

(١) الباذياب من الباعنس ، فخيذة من العوابثة .

(٢) المزحاة : هي آلة تشبه القدوم عند الحضارمة . والمكتل : هي الوعاء الذي يحمل فيه أيُّ متاع من أكل وغيره .

(٣) الأيم : الحيَّة الذكر .

(٤) البيت من الوافر ، وأصله للنَّابغة الذُّبياني في « ديوانه » (١١٨) بلفظ :
وَسَاغَ لِيَ ٱلشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلاً ... أَكَادُ أَغَصُّ بِٱلْمَاءِ ٱلْحَمِيمِ

جلَّ ذِكرُهُ : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ .

ولم يعمَّر بعدَها عبدُ ٱللهِ بنُ عوضٍ بافاجعٍ ، بل ماتَ غبناً عندما أيسَ مِن آلِ باذياب .

وذلكَ أوَّلُ شرٍّ نَجَمَ بينَ ٱلعوابثةِ ، وإلاَّ . . فقد كانوا قبلَها يتناصَفون ويقتلونَ ٱلقاتل ، ولهم قوانينُ عادلةٌ ، يحرُسُها في كلِّ قرية رئيسُها ، ثمَّ يكونُ ٱلاستئنافُ لمن لم يقتنع عندَ ٱلمنصبِ العامِّ .

وكانَ لعبدِ ٱللهِ بنِ أحمدَ باذياب هـٰذا بنتٌ تسمَّىٰ : عُبُودة ، تَنافسَ عليها ٱلخُطَّابُ ، وكانَ مِنهم : محمَّدُ بنُ عمرَ باعقيل ـ ٱلسَّابقُ خبرُهُ في ٱلضُّلَيعةِ ـ وأعطاهُم ألفَ ريالٍ ، وشَرطوا عليهِ معَهُ هدايا طائلةً ، إن جاء بها علىٰ ميعادٍ عيَّنوه . . كانَ الإملاكُ وٱلبناء ، وإلاَّ . . ٱنفسخت وضاع ٱلألفُ ، فتأخَّرَ عن وعدِهِ فتركوهُ .

ويقالُ : إنَّهُم رَفعوا أمرَهُ إلى ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدِ ٱلمحضارِ فقضىٰ عليهِ ، وكلَّفَهُ معَ ذلكَ غرامةَ ٱلدَّعوىٰ ومقدارُها مِئَتا ريالٍ . وقيلَ : إنَّهُ بنىٰ بها ، وإنَّما كانَ ٱلنِّزاعُ بعدَ ٱلزَّواجِ . وٱللهُ أعلمُ .

ومن غرائبِ ٱلصُّدَفِ : أنَّ عُبُودةَ هـٰذهِ تزوَّجت مِنَ ٱلشَّيخِ حسنِ بنِ أحمدَ القحوم ٱلعموديِّ ، وَحملها إلىٰ خديشٍ ، وأولدَها بنتاً ، قضى الله أن تكونَ تلكَ ٱلبنتُ زوجةً لأحدِ أولادِ محمَّدِ بنِ عمرَ باعقيلٍ ، لا تزالُ تحتَهُ إلى ٱليومِ .

سَدْبه

أوَّلُ ضميرٍ مِن وادي ٱلعينِ ، هوَ ٱلَّذي يَسقي سَدْبه . وهيَ عدَّةُ قرىً ، مِنها : **كَيْرعَان**[1] ومنها : **عَرْضُ بُورَيد** .

وفيها شراجٌ[2] ونخيلٌ ، وهيَ مِنْ قُدامى ٱلبلدانِ ، ولها ذِكرٌ عندَ ٱبنِ ٱلحائكِ

(١) كيرعان : وتسمّىٰ : حوطة حميشة ، تنسب للسيد الحبيب سالم بن عمر العطاس ، وكان يلقب بمولى حميشة .

(٢) منها الشرج المسمىٰ : قَهْوَل .

ٱلهَمْدانيّ ، قالَ : (وهيَ قريةُ محمَّدِ بنِ يوسفَ ٱلتُّجَيْبِيّ) اهـ[1]

وفيها جماعةٌ مِنْ أَعقابِ ٱلسَّيِّدِ سالمِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلعطَّاسِ[2] .

وعلىٰ قارةٍ مِنها : حصنُ ٱلرّاكةِ[3] ، كانَ لمحسنِ بنِ عليٍّ ٱلمَلَكيِّ ، وقد قَتَلَهُ مذحج بفنائِهِ[4] .

وفي سَنةِ (٨٢١هـ) . . هَجَمَ آلُ ٱلمَلَكيِّ علىٰ صاحبِهِم في حَوره ، وأَعانَهُم عليهِ آلُ عامرٍ .

وفي سَدْبه كثيرٌ مِنْ آلِ رَبّاع يرجعونَ في نَسبِهِم إِلىٰ مذحج[5] .

ومِن خصائِصِ سدبه ـ فيما يُقالُ ـ : أَن لا تدخلَها ٱلغِربَانُ . كما أَنَّ مِن خصائِصِ قارَّةِ ٱلشّناهزِ : أَن لا يأكلَ مزارعَها ٱلطَّيرُ . وأَنَّ من خصائِص ٱللِّسكِ : أَن لا يُسلَّطَ عليها ٱلجرادُ .

ويُروىٰ أَنَّ ٱلأَفاعي لا تضرُّ في ثلاثةِ مواضعَ مِنَ ٱليمنِ ؛ وهي : صنعاءُ وناعطُ وظفارٌ ؛ لتحصينها من أَيّامِ حِمْيَرَ بِالطِّلاسمِ .

---

(١) صفة جزيرة العرب (١٧١) .

(٢) منهم السادة آل الشامي العطاس ، ومن علمائهم : السيد الشريف حسين بن محسن بن حسين بن عبد الله بن حسين بن أبي بكر بن سالم بن عمر . . إلخ ، وهو الذي لقب الشامي لهجرته من وطنه .
ومنهم : ابنه العالم الحبيب عبد الله بن الحسين . . طاف على بلدان حضرموت ، وأخذ عمن بها ، ثم استقر به المقام بجاكرتا ، وأقام بها بعض الأسباب ، وكان عالماً صالحاً تقياً . فاجأته منيته بجاكرتا في شعبان سنة (١٤٢١هـ) . وبسدبه جماعة من آل العطاس من ذرية السيد عبد الله بن علي بن الحسين بن عمر العطاس ، وآخرون .

(٣) اختلف المؤرخون في ضبط هٰذا الاسم . . ففي « شنبل » : الراكة ، وفي بعض النسخ : الدكة ، وكذا في « العدة » ، وغيرها .

(٤) جاء الخبر عند « شنبل » هكذا : وفيها في صفر قتلوا مذحج علي بن حسن الملكي تحت الراكة . اهـ (ص١٦٣) ، حوادث سنة (٨٢٠هـ) .

(٥) في « جواهر تاريخ الأحقاف » (٢/ ١١) ذكر آل باربّاع ، وقال : إنهم من كندة . وفيه أيضاً : (٢/ ١٥٨) ذكر آل ربّاع وأنهم من كندة ، وأنهم هم الذين بنوا حصن الراكة سنة (٨٢٢هـ) ، ومساكنهم : سدبة وبدره قريتان بقرب حوره .

حَوْرَه[1]

قالَ ٱبنُ ٱلحائِكِ في موضعٍ مِنْ « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » [١٦٨] : (هيَ مدينةٌ عظيمةٌ لبني حارثةَ مِنْ كندةَ) .

وقالَ في آخَرَ [١٧١] : (ولِبَدَّا[2] قريةٌ أُخرىٰ ، يقالُ لَها : حوره ، فيها بطنانِ يقالُ لَهما : بنو حارثةَ ، وبنو محريةَ مِنْ تُجيب ، ورأَسُهُمُ ٱليومَ : حارثةُ بنُ نعيمٍ ، ومحمَّدٌ ، ومُحَرية أبناءُ ٱلأعجمِ) اهـ

وقولُهُ : (قريةٌ) لا يُخالفُ قولَهُ : (مدينةٌ عظيمةٌ) ؛ لأنَّ ٱلقريةَ قد تُطلَقُ عليها ، وقد سمَّى ٱللهُ مكَّةَ قريةً ، بل هيَ أُمُّ ٱلقُرىٰ .

وفي ٱلجزءِ ٱلثَّامنِ [ص ٩٠] مِنَ « ٱلإكليلِ » : (أَنَّ حوره مِنْ حصونِ حِمْيَرَ بحَضْرَمَوْتَ ، فيها كندةُ ٱليومَ) اهـ

وكانت حَوْرَه في ٱلأزمنةِ ٱلمتأخِّرةِ تحتَ حُكمِ ٱلنَّقيبِ بَرَكات بن مُعُوضَة ٱليافعيِّ ، ولَهُ مكاتباتٌ مِنَ ٱلحبيبِ عليِّ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ ، ثمَّ ٱستولَتْ عليها عساكرُ ٱلسُّلطانِ عبدِ ٱلعزيزِ بنِ محمَّدِ بنِ سُعُودٍ ، أَو ولدهُ سعودٌ ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (١٢٢٩هـ) ـ حَسَبَما سَبَقَ في ٱلشِّحْرِ ـ وطَردوا ٱلنُّقباءَ ٱليافعيِّينَ .

وكانوا وصلوا إلىٰ حَضْرَمَوْتَ سَنَةَ (١٢١٩هـ) ، ولٰكنَّهُم كانوا قليلاً إِذْ ذاكَ فصدَّهُمُ ٱلسُّلطانُ جعفرُ بنُ عليٍّ ٱلكثيريُّ عن شبام :

فإِمَّا أَنْ يكونوا ٱنحازوا مِنْ عامِهم ذلكَ إلىٰ حوره ، وطَردوا ٱلنُّقباءَ ٱليافعيِّينَ مِنها .
أَو صالَحوهُم لاتِّفاقٍ في ٱلمبادىءِ ؛ فقد سمعتُ كلاًّ مِنْ أَفواهِ ٱلمعمَّرينَ .

---

(١) حَوره ـ بفتح يميل إلى الضم ـ : مدينة مشهورة بوادي العين ، وهي منطقة زراعية تكثر حواليها النخل والسدر ، وتشكل اليوم مركزاً إدارياً تابعاً لمديرية القطن ، ويشمل هٰذا المركز : النقعة ، المنبعث ، قعوضة ، سدبه ، عرض بوزيد ، الظاهرة ، كيرعان ، شريوف ، وفي حوره : آل باوزير ، وناس ترجع أصولهم إلى كندة .

(٢) بنو بَدّا : بطن من تُجيب .

وإمّا أَنْ يكونوا عادوا أَدراجَهُم واَستأْنفوا اَلتَّجهيزَ علىٰ حَضْرَمَوْتَ في سَنَةِ (١٢٢٣هـ) ، واَستولوا بهِ عليها ، وأَقاموا بها رَدْحاً[1] مِنَ اَلزَّمنِ ، يَبعثونَ اَلبعوثَ بقيادةِ اَلأَميرِ عليٍّ بنِ قملا وأَخيهِ ناجي .

ففي سَنةِ (١٢٢٤هـ) اَستولوا علىٰ حَضْرَمَوْتَ ، وهَدموا اَلقِبَابَ بها ، إِلاَّ قُبَّةَ اَلسَّيِّدِ أَحمدَ بنِ زينِ اَلحَبْشيِّ[2] ؛ فإِنَّهُم لَم يَعرِّجوا عليها مراعاةً لخواطرِ آلِ كثيرٍ اَلَّذينَ فتحوا لَهُمُ اَلطَّريقَ ولَم يُعارضوهُم في شيءٍ . وكذلكَ هاجموا حَضْرَمَوْتَ في سَنَةِ (١٢٢٦هـ) ، واَختلفَتِ اَلأَقوالُ :

فقيلَ : إِنَّهُمُ اَنكَسروا دونَ شبام بقيادةِ اَلحبيبِ حسنِ بنِ صالحِ اَلبحر . وقيلَ : إِنَّهُمُ اَستولَوا عليها ، كما اَكتسَحوها في سَنةِ (١٢٢٤هـ) .

ولَم يَكُنْ سيِّدُنا اَلحسنُ اَلبحرُ مِنَ اَلمتعصِّبينَ على اَلوهَّابيَّةِ ، ولا مِنَ اَلمتشدِّدينَ في إِنكارِ مذهبهِم كما يُعرفُ مِن مواضعَ مِنْ هٰذا اَلكتابِ ، مِنها : ما يأْتي في تَرِيس . . فلا يبعدُ أَن يقودَ اَلجيوشَ لمحاربتهم ؛ لأَنَّهُ ينكرُ علىٰ غُلاتهم تكفيرَ اَلمسلمينَ واَستحلالَ دمائهم وأَموالهم .

وفي « اَلأَصلِ » : أَنَّ اَلجدَّ علويَّ بنَ سقَّافٍ كتبَ للسَّيِّدِ عمرَ بنِ أَحمدَ اَلحدَّادِ جاءَ فيهِ : أَنَّ اَلمكرميَّ خرجَ إِلىٰ حضرموتَ سنةَ (١٢١٨هـ) ، ولا يمكنُ أَن يكونَ سيِّدُ اَلوادي اَلحبيبُ حسنُ بنُ صالحٍ تساندَ هو واَلسلطانُ جعفرُ بنُ عليٍّ في دحرِهم ؛ لأَنَّ ظهور جعفرٍ هٰذا إِنَّما كانَ في سنةِ (١٢١٩هـ) .

وفي أَشعارِ اَلحضارمةِ ومُكاتباتِهِم ـ اَلموجودُ شيءٌ مِنها بـ« اَلأَصلِ » ـ ما يدلُّ علىٰ طولِ زمانِ اَلوهابيَّةِ بحَوره ، وأَنَّهُم لَبثوا مدَّة ليست باَلقصيرةِ يتجاذبونَ اَلحبالَ معَ قبائِلِ حَضْرَمَوْتَ مصالحةً ومحاربةً ، وكانَ أَكثرَ مَنْ يتولاَّهُم يافعُ ، وأَكثرَ مَنْ ينازِعهُم ناسٌ مِنْ آلِ كثيرٍ ، وللحديثِ عنهُم بقيَّةٌ تأْتي في تريم وعينات إِن شاءَ اَللهُ تعالىٰ .

---

(١) الرَّدح : المدَّة من الزَّمن .

(٢) وأيضاً : قبة الشيخة سلطانة الزُّبيدية ، وعبد الله بن علوي العيدروس (صاحب بور) ، وقبة الشيخ عبد الله بن ياسين باحُمَيد صاحب مدودة .

وبعدَ ٱرتفاعِ أَصحابِ ٱبنِ قملا عن حَورَه.. ٱستولىٰ عليها عمرُ بنُ جعفرِ بنِ صالحِ بنِ مطلقٍ ، مِنْ آلِ عمرَ بنِ جعفرِ آلِ عَمْدٍ ، ثمَّ ولدُهُ جعفرٌ ، ثمَّ ولدهُ صالحٌ ، ثمَّ ولدهُ مقبلُ بنُ صالحٍ .

ثمَّ أَخذَ ٱلقعيطيُّ يُسايسهُم حتَّىٰ أَدخلوهُ إليها ، وبقيَ نائبُهُ هوَ وإِيَّاهُم بحِصنِها ، يديرونَ أَمْرها معاً ، حتَّى ٱستولى ٱلقعيطيُّ علىٰ شبام ، فعندئذٍ قالَ نائِبهُ بحوره لصالحِ بنِ مقبلٍ : لا مُقَامَ لكَ بعدَ ٱليومِ ، فإِنْ شئْتَ ٱلخروجَ بٱلأَمانِ ، وإلاَّ.. ناجزتُكَ . فخرجَ إِلى ٱلنَّقعةِ عندَ ٱلمشايخِ آلِ باوزيرٍ ، فأَوصلوهُ ومَنْ معَهُ إِلى ٱلعَجْلانيَّةِ حيثُ يُقيمُ بها أَعقابُهُ إِلى ٱليومِ .

وكانَ ٱستيلاءُ ٱلقعيطيِّ علىٰ حوره كلِّها في سَنةِ (١٢٧٢هـ)[1] ، وكانت هيَ وشبام أَحبَّ بلادهِ إِليهِ ، وقد خصَّهُما ٱلأَمير ٱلحاجُّ عمرُ بنُ عوضٍ ٱلقعيطيُّ ـ وكذلكَ ٱبنُهُ ٱلسُّلطانُ عوضُ بنُ عمرَ ـ بحصَّةٍ وافرةٍ مِنَ ٱلبرِّ وٱلإِحسانِ في وصيَّتِهما ، وقد أَوردنا وصيَّةَ ٱلأَوَّلِ بـ« ٱلأَصلِ » ، وأَمَّا وصيَّةُ ٱلثَّاني.. فإِنَّها مطبوعةٌ منشورةٌ ، وهيَ معَ ذلكَ لا تخرجُ عن معنىٰ وصيَّةِ أَبيهِ[2] .

ثمَّ رأيتُ معاهدةً بينَ ٱلسُّلطانِ أَحمدَ بنِ جعفرِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ جعفرِ بنِ عمرَ عنه وعن أَولادِهِ وٱلسُّلطان مقبل بن صالحِ بن مطلقِ بنِ جعفرِ بنِ عمرَ عنهُ وعن أَولادِهِ من جهةٍ ، ومنَ ٱلأُخرى ٱلجِمعدارُ محمَّدُ بنُ عمرَ بن عوضٍ ٱلقُعيطيُّ بتاريخِ صفرٍ من سنةِ (١٢٧٢هـ) .

وفيها : أَنَّهم تناصفوا في بلدِ حوره ومصنعتِها وجميعِ ما يتعلَّقُ بها.. فلأَحمدَ ومقبلٍ ناصفةٌ ، ولمحمَّدِ بنِ عمرَ ناصفةٌ في ٱلحصنِ وٱلبلادِ وٱلمراتبِ وكلُّ ما يعتادونَهُ في ٱلبلادِ وخليانِها وسدبة .

---

(١) « العدة المفيدة » (٢/١٥٩) ، وفيه : أن مقبل بن صالح وأحمد بن جعفر باعوا حوره بدراهم إلى نائب الجمعدار عمر بن عوض القعيطي مع الرضا من بعض نهد ، وذلك في (٢٦) رجب (١٢٧٢هـ) .

(٢) والوصيتان بعضهما في كتاب « حياة السيد الزعيم » للسيد حامد المحضار ، وكتاب « تأملات عن تاريخ حضرموت » للسلطان غالب الثاني (١٢٣ـ ١٢٩) .

وفيها : أَنَّ ٱلدَّولةَ يشلُّونَ أنفسَهم وحاشيتَهم عشرَ سنينَ ، وإن بدَت فتنةٌ في ٱلعشرِ ٱلسِّنينِ . . فعلىٰ محمَّدِ بنِ عمرَ ثقلُها ، وبعدَ ٱلعشرِ ٱلسِّنينِ هم إخوةٌ مُتَّحدونَ في فائدةٍ وخسارةٍ .

وٱلشُّهودُ علىٰ ذلكَ ٱلخطِّ : عليُّ بنُ سعيدِ بنِ عليٍّ ، وأحمدُ حسين بن عامرٍ آلُ عمرَ نقيبِ ٱلقَعْطَةِ ، وعبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ بنِ عوضٍ ٱلقعيطيُّ ، ومحمدُ بنُ سعيدِ بنِ محمَّد بنِ سالمِ بنِ جنيدٍ ، وعبدُ ٱللهِ بنُ عليِّ بنِ عبودِ بنِ طاهرٍ ، ومحمَّدُ بنُ سالمِ بنِ محمَّدِ بن سالمِ بنِ عليِّ بنِ جنيدٍ .

وفي ٱلقرنِ ٱلعاشرِ عمَّرَ ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرحمـٰن باوزيرٍ[1] ضميراً لِسَقْيِ أطيانِ حوره ونخيلِها ، فمانعَهُ بنو معاذٍ وأَهلُ غنيمةَ وٱلسَّحارىٰ وٱلخطَّة وٱلمخينيق وحريز وٱلعدان ، وقاموا عليهِ ، وساعدَهُم عليُّ بنُ ظفر والي ٱلمُخَينِيق ، وبنو ظنَّةَ أَهلُ ٱلسُّورِ ، وبنو قيسٍ ، وٱلمقاديمُ وٱلظُّلفانُ مِنْ نهدٍ ، وأَمدَّهُمُ ٱلتُّجَّارُ بٱلمالِ ، وهُم : أَبو منذرٍ ، وبو عيران ، وبو عسكر ، وحصلَ منهُم ضررٌ عظيمٌ علىٰ أَهلِ حوره ، وعلىٰ أَهلِ عَرْض مَخَاشِن .

وقامَ معَ ٱلشَّيخِ عمرَ باوزيرٍ آلُ عامرٍ وآلُ بدرٍ وآلُ بشرٍ وآلُ فارسٍ ٱلمجلـف ، وٱمـتدَّ أَمـدُ ٱلحـربِ ، وقُتِلَ خلقٌ كثيرٌ مِنْ مذحج ، وٱنتهى ٱلأمرُ بفوزِ ٱلشَّيخِ عمرَ وٱنهزام أَصحابِ ٱلمخينيقِ وٱلسُّورِ ، وجاءَ مِنَ ٱلسَّيلِ ما يكفي لحوره وٱلنّقعةِ ولعَرْضِ آلِ مَخَاشن ، معَ أَنَّ آلَ مخاشن لَم يَشتركوا في ٱلحربِ ، ولَم يُساعدوا بحارَّةٍ ولا باردةٍ ؛ ولهـٰذا ٱستحقُّوا ٱلهجاءَ ٱللاَّذعَ مِنَ ٱلشَّيخِ في قصيدتهِ ٱلمذكورةِ بـ« **ٱلأَصلِ** »[2] .

وبما أَنَّ واديَ ٱلعينِ هوَ وادي ٱلمشايخ آلِ باوزيرٍ وقبائلِهِمُ ٱلعوابثةِ . . فقد تدير كثيرٌ منهُم بحوره ، وأَظنُّ ٱلسَّابقَ منهُم إِليها هوَ : ٱلشَّيخُ أَبو بكرٍ[3] مولىٰ حوره ، بنِ محمَّدِ

---

(١) هو الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر مولى حوره باوزير . . تنظر ترجمته الواسعة في « الصفحات » : (١٠٤ـ١٠٨) .

(٢) انظر حوادث سنة (٩١٦هـ) من « تاريخ شنبل » (٢٤٤) ، و« تاريخ الشحر » .

(٣) ولد الشيخ أبو بكر بحوره ، ونشأ بها بين أخواله آل باجابر ، ودرس على أبيه محمد مولى عرف ، =

ـ مولىٰ عَزْف ـ ابن سالمِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ ٱبنِ ٱلشَّيخِ يعقوب بنِ يوسفَ .

وَأبو بكرٍ مقبورٌ بحوره ، وأخوهُ سعيدٌ صاحبُ ٱلجَحْش[1] مقبورٌ عندَ رِجلَيْهِ[2] .

قال البكري : (حَوْرَه : موضعٌ في ديارِ بني مُرَّةَ ، وقد شكَّ أبو عُبَيْدَةَ في هٰذا ٱلاسمِ ، وقالَ نُصيبٌ [مِنَ الطَّويلِ] :

عَفَا مَنْقَلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَنَقِيبُ فَسَرْحُ ٱللِّوَىٰ مِنْ سَاهِرٍ فَمُرِيبُ
فَذُو ٱلْمَرْخِ أَقْوَىٰ فَٱلْبِرَاقُ كَأَنَّهَا بِحَوْرَةَ لَمْ يَحْلُلْ بِهِنَّ عَرِيبُ

وقالَ في مادَّةِ « رَضْوَىٰ » مِن حديثِ واقدِ بنِ عبدِ ٱللهِ عن عمِّهِ عن جَدِّهِ قالَ : نزلَ طَلْحَةُ بنُ عُبيدِ ٱللهِ وسعيدُ بنُ زيدٍ عليَّ بالتَّجْبَارِ ـ وهوَ موضعٌ بينَ حَوْرَه ٱلسُّفْلَىٰ وبينَ مَنْخُوسٍ ، علىٰ طريقِ ٱلتُّجَّارِ إلى ٱلشَّامِ ـ حين بعثهما رسول ٱلله صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ يترقَّبانِ عِيرَ قُرَيْشٍ) .

وذكَرَ حديثاً طويلاً يؤكِّدُ أنَّها ليست بالَّتي نحنُ في سبيلِها .

ثمَّ رأيتُ ٱلطَّيِّبَ بامخرمةَ يقولُ : (قالَ ٱلقاضي مسعودُ باشكيل : حوره ٱسمٌ لقريتينِ بٱليمنِ :

إحداهُما : قريةٌ كبيرةٌ لها قلعةٌ حصينةٌ مِنْ أرضِ حَضْرَمَوْتَ ، تُسقىٰ مِنْ وادي ٱلعينِ ، وسُكَّانُ تلكَ ٱلقلعةِ آلُ ٱلملكيِّ ، وسُكَّانُ أسفلِ ٱلقلعةِ آلُ باوزيرٍ ٱلمتصوِّفةُ[3] ، وبها قبورُ جماعةٍ منهُم ، أشهرُهُم وأقدمُهُم : أبو بكرٍ وسعيدٌ ٱبنا محمَّدِ بنِ سالمٍ ، وٱلباقونَ أسباطُهُم ، نَفَعَ ٱللهُ بهِم أجمعينَ .

وٱلثَّانيةُ : قريةٌ كبيرةٌ شرقيَّ أَحْورَ ، سُكَّانُها قومٌ مِنْ حِمْيَرَ ـ وبها قومٌ صالحونَ

= وأخذ باليمن عن شيوخ كثيرين ؛ منهم : الشيخ محمد بن حسين البجلي ، وأوقف أوقافاً على طلاب العلم بحوره ، وبنى بها مسجده المعروف بها ، وخلف مكتبة حوت نوادر المخطوطات . « الصفحات » (ص١٠١ـ١٠٢) .

(١) كذا بالأصل ، ويقال له : مولى الجيش ، ومولى الجُوَيب كما في بعض المصادر .

(٢) وهم ثلاثة إخوة ؛ ثالثهم : الشيخ عمر والد الشيخ عبدالرحيم مؤسس غيل باوزير .

(٣) ومقبرتهم معروفة ويقال لهم آل الدِّرع ، وهي مطبخ الضيافة ومأوى للفقراء .

يُسمَّونَ ٱلشُّهداء ـ يُطعمونَ ٱلقادمَ عليهِم ، وهيَ علىٰ ساحلٍ بحرٍ يصطادونَ ٱلسَّمكَ ، ويَحرثونَ على ٱلبقرِ) اهـ ما ذكرَهُ ٱلقاضي مسعودٌ ، وهوَ آخِرُ كلامِ بامخرمةَ[1] .

وقولُهُ : تُسقَىٰ مِن وادي ٱلعينِ . . يدلُّ علىٰ أَنَّ ٱلشَّيخَ عمرَ باوزيرٍ لم يبتدي ذلكَ ٱلضَّميرَ ؛ لأَنَّ القاضيَ مسعوداً أَقدمُ منهُ .

وقالَ ٱلطَّيِّبُ في موضعٍ آخَرَ : (وآلُ ٱلمَلَكِيِّ ـ بفتحتينِ وكافٍ ـ جماعةٌ مِنْ مسلمي ٱلرُّومِ ٱلنَّصارىٰ) وقد ٱستَبْهَمَ عليَّ أَمرُهُم في « **ٱلأَصْلِ** »[2] ، ووقعتُ في إِشكالاتٍ لم تنحلَّ بهـٰذا ، ولـٰكنَّها تنكشف بما سيأْتي في مريمةَ ، ومنهُ يُعرفُ كثرةُ مَنْ نجعَ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ مِن ٱلعَجَمِ ، وقد سمعتُ بمؤَلَّفٍ في خصوصِ ذلكَ .

وفي حَضْرَمَوْتَ أَسماءٌ عجميَّةٌ لكثيرٍ مِنَ ٱلبلدانِ ، كما سَبَقَ أَنَّ دوعانَ مؤَلَّفٌ مِنْ (دو) وهوَ ٱلاثنانِ ، و(عان) وهوَ ٱلمكانُ ٱلمرتفعُ ؛ يعني واديينِ مرتفعَينِ .

وفي « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » للهَمْدانيِّ [ص٢٧٨] : (يَبْرِين في شرقيِّ ٱليمامةِ ، وهيَ علىٰ محجَّةِ عُمَان إِلىٰ مكَّةَ ، وبينها وبينَ حَضْرَمَوْتِ ٱلعَجَمِ بلدٌ واسعٌ) .

وبما أَنَّ ٱسمَ دوعنَ فارسيٌّ . . فٱلظَّاهرُ أَنَّ كثرةَ أَعاجِمِها منهم ؛ بأَمارَةِ : أَنَّ صعبةَ أُمَّ طلحةَ بنِ عُبيدِ ٱللهِ مِن بناتِ فارسٍ ، وهيَ حضرميَّةٌ أُختُ ٱلعلاءِ بنِ ٱلحضرميِّ ، وكانت تحتَ أَبي سُفيانَ بنِ حربٍ ، فلم تزل به هندٌ حتَّىٰ طلَّقها وتبعتها نفسُهُ ، فقالَ [مِنَ ٱلمتقارب] :

إِنَّــا وَصَعْبَـةُ فِيمَـا تَـرىٰ ... بَعِيـدَانِ وَٱلْـودُّ ودٌّ قَـرِيـبْ
فَـإِلاَّ يَكُـنْ نَسَـبٌ ثَـاقِـبٌ ... فَعِنْـدَ ٱلْفَتَـاةِ جَمَـالٌ وَطِيـبْ
لَهَـا عِنْـدَ سِـرِّي بِهَـا نَخْـرَةٌ ... يَـزُولُ بِهَـا يَـذْبُـلٌ أَوْ عَسِيـبْ

ذكرَهُ ٱبنُ قتيبةَ في « عيونِ ٱلأَخبارِ » ، وذكرَهُ أَيضاً غيرُهُ ، وٱلبيتُ ٱلأَوَّلُ مِنها

---

(١) نسبة البلدان (خ ٩٧) .

(٢) وبهـٰذا يزول الإشكال من كتب التاريخ الحضرمي ؛ إذ ورد في بعضها تسميتهم بالحالكي أو المليكي أو المالكي .

مخرومٌ ، وفي (ص ٣٨٨ ج ٢) مِنَ « ٱلخزانةِ » عنِ ٱلسُّهيليِّ : أنَّ ٱبنَ أَبي عمرٍو ماتَ في صعبةَ بنتِ ٱلحضرميِّ ، وعن « ٱلأغاني » : أَنَّهُ ماتَ في حبِّ هندِ بنتِ عُتبةَ ، ثمَّ بَسَطَ ٱلقصَّةَ .

وفي « غررِ ٱلبهاءِ ٱلضويِّ » للعلاَّمةِ ٱلمحدِّثِ محمَّدِ بنِ عليٍّ خردٍ ما يفيدُ أَنَّ حوره هيَ ٱلحوطةُ في عُرفِ أَهلِ ٱليمنِ ، وقد مَرَّ في ٱلنَّقعةِ أَنَّها مرادفةٌ للحوطةِ أيضاً عندَ أَهلِ ٱليمنِ .

ٱلنَّقْعَةُ

هيَ قريةٌ واسعةٌ لآلِ جُنَيدٍ[١] مِنَ ٱلمشايخِ آلِ باوزيرٍ . وظنِّي أَنَّ أَوَّلَ مَنْ سَكَنها منهُم هوَ : ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ عليِّ بنِ أَحمدَ بنِ سعيدٍ صاحبُ ٱلجحش ، ٱلمقبورُ بحوره .

وعمرُ بنُ عليٍّ هـٰذا هوَ جدُّ آلِ جنيدٍ ، وهُم مشايخُ كرامٌ يَغلبُ عليهِم بياضُ ٱلصَّدْرِ وصفاءُ ٱلسَّريرةِ ، ومنصبهمُ ٱلآنَ : ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ بوبكرٍ باوزير ، طويلُ ٱلنِّجادِ ، كثيرُ ٱلرَّمادِ ، قريبُ ٱلبيتِ مِنَ ٱلنَّادِ[٢] .

ولَهُ أَخٌ يُسمَّىٰ عليّاً توفِّيَ مِنْ قريبٍ ، كانَ باذلاً لِلطَّعامِ ، وَصُولاً للأَرحامِ ، كثيرَ ٱلخيراتِ ، مبسوطَ ٱليدينِ في ٱلمبرَّاتِ .

وقد صهرَ إِليهِم منصبُ ٱلمَشْهدِ ٱلسَّابقُ ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ عمرَ بنِ هادون[٣] ، فَهُم أَخوالُ ولدهِ ٱلمنصبِ ٱلحالي أَحمدَ بنِ حسينٍ .

وصهرَ إِليهِمُ ٱلشَّهمُ ٱلكريمُ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ حسنِ بنِ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ بلفقيه[٤] ،

---

(١) ومنهم الشيخ علي بن سالم بن جنيد باوزير ، له ذكر في كتاب « المقصد من شواهد المشْهَد » للحبيب علي بن حسن العطاس ، ويخاطبه في كثير من شعره في ديوانه « قلائد الحسان » وبينهما مساجلات .

(٢) أضيف في هامش المخطوط : (توفي المنصبُ من سنتنا ، ولـٰكن بعد الفراغ من هـٰذا الكتاب) .

(٣) توفي سنة (١٣٢٩هـ) .

(٤) ولد السيد علي بن حسن بتريم ، وتوفي بها في (٢٥) رمضان سنة (١٣٤٥هـ) ، وخلف ثلاثة ولد هم : عطاس وأحمد وعبدالرحمن المذكور هنا .

ٱلمنغَّصُ ٱلشَّباب ، ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (١٣٤٥هـ) ، فَهُم أَخوالُ ولدهِ ٱلنَّبيلِ ٱلوفيِّ ٱلوجيهِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عليٍّ بلفقيهِ .

عَرْضُ آلِ مَخَاشِن[١]

هوَ مِنْ وراءِ ٱلنَّقْعةِ في شرقيِّها ، وهُم مِنْ مَذْحِج ، مِنْ أَعقابِ عَمرِو بنِ معدِيكَرب ٱلزُّبيديِّ ، إلاَّ أَنَّهم قد ينطبقُ عليهم قولُ ٱلشَّاعر[٢] [مِنَ ٱلوافر] :

وَرِثْنَـا ٱلْمَجْـدَ عَـنْ آبَـاءِ صِـدْقٍ ... أَسَـأْنَـا فِـي دِيَـارِهِـمُ ٱلصَّنِيعَـا

إِذَا ٱلْحَسَـبُ ٱلصَّمِيـمُ تَـدَاوَلَتْـهُ ... بُنَـاةُ ٱلسُّـوءِ أَوْشَـكَ أَنْ يَضِيعَـا

ولهم شاراتٌ حسنةٌ ، وقاماتٌ مديدةٌ ؛ إلاَّ أَنَّهم لم يَسْلَموا ممَّا وصلَ إليه قبائلُ حضرموتَ عامَّةً مِنَ ٱلتَّراذُلِ وٱلتَّخاذُلِ ؛ لأَنَّ ٱلشَّرَّ عمّ ، وٱلبلاءَ قد طمّ ، وعلىٰ مَن كانَ جدُّهُ سعدُ ٱلعشيرةِ . . أَنْ ينتبهَ لنفسِهِ ، وأَن يعتبرَ بماضيهِ .

وفي « ٱلأَصلِ » : أَنَّ ٱلشَّيخَ عمرَ بنَ عبدِ ٱللهِ باوزيرٍ كاتبَ عليهم إذ لم يساعدوهُ بنقيرٍ ولا قِطميرٍ[٣] في بناءِ ضميرِ حوره ، معَ أَنَّهُ يَنفعُهُم ؛ إِذْ لَم يَحْرِمْهُمُ ٱلشَّيخُ مِنَ ٱلسُّقيا معَ عدمِ ٱستحقاقِهم لشيءٍ مِنها .

وقد كانَ أَصلُ ٱلحربِ ٱلأَخيرةِ ٱلَّتي ٱلتهمتِ ٱلأَخضرَ وٱليابسَ لِنَهْدٍ : أَنَّ خميسَ بنَ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ ـ أَحدَ آلِ ثابتٍ ـ قَتَلَ ٱثنينِ مِنْ آلِ ٱلبُقريِّ في بَحْران ، في حرماتٍ ثلاثٍ لمْ يُبالِ بشيءٍ مِنها ؛ ٱلأُولىٰ : أَنَّهُ في شهرِ ٱلمشهدِ ، وهوَ شهرُ ٱلميلادِ ٱلنَّبويِّ ،

---

(١) العَرْض عند أهل حضرموت هو المنطقة الواسعة والمنبسطة ، وآل بن مخاشن هؤلاء يرى المصنف أنهم من مذحج اعتماداً على ماورد في أنساب الأشرف الرسولي (ص١٣٦) ، بينما يرى صلاح البكري أنهم من الحموم ، « تاريخ حضرموت السياسي » (٢/ ١٠٧) ، وفي « معجم المقحفي » (٢/ ١٤٤٨) : نسبتهم إلى نهد .

(٢) البيتان في « الأغاني » (١٢/ ٧٥) ، وهما لمعن بن أَوس المزنيِّ .

(٣) النَّقير : النُّقرة الَّتي في ظهر النَّواةِ . القطمير : القشرة الرَّقيقة الَّتي في النَّواة . والمعنىٰ : أَنَّهم لم يساعدوه أبداً .

والثّانيةُ : أنّهما كانا إلىٰ جانبِ السَّيِّدِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ العيدروسِ ، والثّالثةُ : أنَّ معَهما واحداً مِنْ آلِ عَجّاج ، وواحداً مِنْ آلِ مَخَاشِن .

فأمّا آلُ عجّاج : فحَمِيَتْ أُنوفُهم ، وأذكوا نارَ الحربِ حتّىٰ غَسلوا العارَ بالدِّماءِ .

وأمّا آلُ مخاشن : فلم يشتركوا في الحربِ ؛ لأنَّ السَّعيدَ من كُفِيَ بغيرِهِ ، ولأنَّ أكبرَ العارِ في أعرافِهم إنَّما يتناولُ الأقربَ ـ كما سيأتي في القارةِ ـ وابنُ عجّاجٍ هوَ الأدنىٰ في النَّسبِ إلىٰ آلِ ثابتٍ .

وقد بقي منهم جماعةٌ على النَّخوةِ العربيّةِ ، والأنَفَةِ المذحجيّة ، منهُم اليومَ :

عبدُ اللهِ بنُ سعيدِ بنِ مخاشن ، ومحمَّدُ عمرو بنِ مخاشن ، وأظنُّهما الآنَ في مقدشوه .

ومِن أُولي نجدتِهمُ الشَّيخُ عمرُ بنُ عمرو، وهوَ شيخٌ شهمٌ ، نجذتْهُ الحروبُ ، وحنَّكتهُ التَّجاربُ ، وعركَ أُذُنَ الزَّمان ، وتعمَّرَ حتَّىٰ نيَّفَ على الثَّمانينَ ممتَّعاً بالقوَّةِ والحواسّ ، ولم يمت إلاّ في سنةِ (١٣٦١هـ) ، فكانَ كدُرَيْدِ بنِ الصِّمَّةِ ؛ إذْ ترَكَهُ قومُهُ وانصرَفوا عن رأيهِ إلىٰ رأيِ مالكِ بنِ عوفٍ النَّصْريِّ ، فكانتِ الدَّبرةُ عليهِم في يومِ حنينٍ[1] .

وإلاّ . . فقد كانتْ لعُمَرَ وأبيهِ عمرو قَبْوَلةٌ حارَّةٌ علىٰ عاداتِ الجاهليّةِ الجهلاءِ ، مِنها : أنَّ أحدَ آلِ مخاشن ـ واسمُهُ قعاص ـ جاءَ بأموالٍ طائلةٍ مِنَ الهندِ ، وما لَهُ إلاّ ولدٌ صغيرٌ ، فخافَ علىٰ نَفْسهِ أنْ يقتلَهُ قومُهُ لِيَستأثِروا بمالهِ . . فطلبَ مِنْ نهدٍ أنْ يُعطوهُ خَفيراً يأمنُ بهِ عاديةَ أصحابه ، فأعطوهُ واحداً مِنْ آلِ شِرَيْشِر ، ونادوا في الأسواقِ بأنَّهُ في جوارِهم ، فلَم يَكُنْ مِنْ عَمرو إلاّ أنِ اقتحمَ دارَهُ في جماعةٍ مِنْ أصحابهِ ، فقتَلَوا قعاصاً وولدَهُ وخفيرَهُ ، فهاجتْ نهدٌ وحاصرتْ عَمراً ، فثبتَ وانسلَّ عنهُ أكثرُ آلِ مَخَاشِن ، إذ كانت فعلته شنيعةً .

وما زالتْ نهدٌ مُجِدَّةً في حصارِ عَمرو . . حتّىٰ قُتِلَ أحدُ أُسرتهِ المرابطينَ معَهُ ، فرأَتْ نهدٌ أنَّ العارَ انمحىٰ عنها وانصرفتْ ، وفي ذلكَ يقولُ أحدُ نهدٍ :

---

(١) انظر « سيرة ابن هشام » (٥/ ١٠٥) ، و« جمهرة خطب العرب » (١/ ١٧٠) ، وغيرها .

يَـا ٱلْعَـرْضْ عَـزِبِـنْ لِـي ومُـدّ ٱلْقَـادِيَـهْ　　　وٱلاَّ دَخَلْنَـا لَـكْ بِـدَخْنَـاتِ ٱلـرِّجَـالْ
تِمْسِـي بِـكَ ٱلْفِتْنَـهْ وَتُصْبِـحْ غَـادِيَـهْ　　　مِثْـلِ ٱلْمسَقِّـي فِـي ٱلْمَطِيـرَهْ مَـا يَـزَالْ

فأجابَهُ عَمرو بقولهِ :

الْعَـرْضْ عَـاصِـي مَـا يُمِـدّ ٱلْقَـادِيَـهْ　　　قُـلْ لِلْحَكَـمْ نُعْطِيـكْ شَنْطُـوبِ ٱلْجِبَـالْ
مَـا أنْتِـهْ مِـنَ ٱلْقَـوْمِ ٱلْقُـرُومِ ٱلْعَـادِيَـهْ　　　إِبْلِيـسْ غَـوَّزْلَـكْ وِيفْحَـسْ لَـكْ حِبَـالْ

وفي عَرْضِ آلِ مَخَاشنَ كانت روضتُهُمُ ٱلَّتي يقولُ فيها ٱلأخطلُ [في « ديوانهِ » بنحوه ٢٨٣ مِنَ ٱلطويلِ] :

لَهَـا مَـرْبَـعٌ بِـٱلـرَّوْضِ رَوْضِ مُخَلَّـقٍ　　　وَمَنْـزِلَـةٌ لَـمْ يَبْـقَ إلاَّ طُلُـولُهَـا

وقد حصلَ بـ« ٱلأَصلِ » ٱنتقالُ فِكرٍ ، فذكرنا هـٰذهِ ٱلرَّوضةَ في مَنْوَب ، وإنَّما ٱلَّتي فيها روضةُ هطيفٍ . . فهيَ ممَّا يُستدرَكُ مِنْ رياضِ ٱلعربِ علىٰ ياقوت .

ومِنْ أَيَّامِ ٱلعربِ : يومُ مخاشن ، وفيهِ يقولُ جريرٌ [في « ديوانهِ » ٣٨١ مِنَ ٱلكاملِ] :

لَـوْ أَنَّ جَمْعَهُـمُ غَـدَاةَ مُخَـاشِـنٍ　　　يُـرْمَـىٰ بِـهِ جَبَـلٌ لَكَـادَ يَـزُولُ[1]

وكانَ عمرُو بنُ معدِيكربَ يُقيمُ بٱلكَسرِ كثيراً ، وذلكَ لا يُنافي قولَ ٱلهمدانيِّ في « ٱلصِّفةِ » : (إنَّ لهُ بتثليثَ حصناً ونخلاً) اهـ ؛ لأَنَّهُ كانَ كثيرَ ٱلتَّنقُّلِ وٱلغزوِ علىٰ عادةِ ٱلعربِ ، وكانتِ المواصلاتُ كثيرةً ـ وسيأتي قُبيلَ هينن قرب تثليث ـ ولا سيَّما بمراحلِ ٱلأقدمينَ .

وعمرُو بنُ معدِيكربَ فارسُ ٱليمنِ ، وهوَ ٱلقائلُ : (لو سرتُ بظعينةٍ وحدي علىٰ مياهِ معدٍّ كلِّها . . ما خفتُ أَن أُغلَبَ عليها ، ما لم يلقني حُرَّاها أَو عَبْدَاها) ؛ يعني بالحُرَّين : عامرَ بنَ ٱلطفيلِ وعُتيبةَ بنَ ٱلحارثِ بنِ شهابٍ ، وٱلعبدَينِ : ٱلسُّليكَ وأَسْوَدَ بني عبسٍ . وبهِ ضَربَ أَبو تَمَّامٍ ٱلمَثلَ في قولِهِ [في « ديوانه » ١/٣٦٨ مِنَ ٱلكاملِ] :

إِقْـدَامُ عَمْـرٍو فِـي سَمَـاحَـةِ حَـاتِـمٍ　　　فِـي حِلْـمِ أَحْنَـفَ فِـي ذَكَـاءِ إِيَـاسِ

---

(١) في « الديوان » : (حَضَنٌ) بدل (جبل) . والحضن : اسم جبل بالعالية .

وأبو عبادةَ في قولِهِ [في « ديوانه » ٢/ ٣١١ مِنَ ٱلكامل] :

يَهْـدِيهِـمُ ٱلأَسَـدُ ٱلْمُطَـاعُ كَـأَنَّـهُ يَـوْمَ ٱزْدِحَـامِ ٱلْجَحْفَـلِ ٱلْمُتَـأَلِّـفِ
عَمْـرُو ٱلْقَنَـا فِـي مَـذْحِـجٍ أَوْ حَـاتِـمٌ فِـي طَـيِّءٍ أَوْ عَـامِـرٌ فِـي خِنْـدِفِ

ومعَ ذلكَ فقد كانت لهُ هناتٌ ؛ منها : ما ذكرهُ ٱلهمدانيُّ في ٱلجزءِ ٱلعاشر [ص١٨٧] مِنَ « ٱلإكليلِ » : أَنَّ بني ٱلأصيَدِ ـ وهم قبيلةٌ قليلةٌ مِن سفيانِ بنِ أَرحبَ ـ لقُوهُ ، فسلبوهُ وأَخذوا فرسَهُ ، فلم يستحِ أَن كتبَ لهم يقولُ [مِنَ ٱلرَّمَل] :

يَـا بَنِـي ٱلأَصْيَـدِ رَدُّوا فَـرَسِـي إِنَّمَـا يُفْعَـلُ هَـٰذَا بِـٱلـذَّلِيـلْ
عَـوِّدُوهُ مِثْـلَ مَـا عَـوَّدْتُـهُ مَقْحَـمَ ٱلصَّـفِّ وَإِيطَـاءَ ٱلْقَتِيـلْ

وفي « مروج ٱلذَّهبِ » : أَنَّ عمرَ بنَ ٱلخطَّابِ آنسَ عَمراً ذاتَ يومٍ ، وذاكرَهُ ٱلحروبَ في ٱلجاهليَّةِ ، وقالَ لهُ : هلِ ٱنصرفتَ عن فارسٍ قطُّ في ٱلجاهليَّةِ؟ فذَكَرَ لهُ فرَّةً فرَّها عن ربيعةَ بنِ مكدمٍ في حديثٍ طويلٍ ، قالَ : ثمَّ إِنَّ عَمراً أَغارَ بعدَ ذلكَ بزمانٍ علىٰ كنانةَ في صناديد قومِهِ وأَخذَ ٱلغنائم ، ومنها ٱمرأَةُ ربيعةَ بنِ مكدمٍ ، فشعرَ بهم ـ وكانَ غيرَ بعيدٍ ـ فٱستردَّها وهزَمَهُم .

ولهُ وِفادةٌ علىٰ رسولِ ٱللهِ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، قيل : معَ ٱلأشعثِ كما في « ٱلأصلِ » ، وقيلَ : لنفسهِ ، ثمَّ رجعَ إِلىٰ قومِهِ .

ولمَّا مُصِّرتِ ٱلكوفةُ . . أَقامَ بها ، وكانَ لهُ نبأٌ مذكورٌ في حربِ ٱلقادسيَّةِ ، وأَخبارُهُ مشهورةٌ .

ٱلْكَسْر (١)

هوَ صقعٌ واسعٌ مِنْ أَحسنِ بلادِ حَضْرَمَوْتَ تُرْبَةً ، بل أَحسنُها على ٱلإطلاقِ ، بشهادةِ ما جاءَ بٱلأَصلِ مِنْ فُضُولِ صدقاتٍ تُجيب وكثرتِها . وسيأتي في قارَّةِ ٱلشَّناهِز

(١) عرف هٰذا الصقع بالكسر لوقوعه بين سلسلتي جبال من جانبيه الغربي والشرقي ، وقيل : لأنه يكسر السيول عن مدينة شبام ، وفي وسطه تسكن نهْد . ومن قرى الكسر : العجلانية ، هينن ، الباطنة ، قعوضة . . . وغيرها .

ما يُفهِمُ أَنَّ ناساً مِن قبيلةِ حضرموتَ يسكنونَهُ في سنةِ (٦٠٥هـ) .

قالَ ٱبنُ الحائِكِ : (ويسكنُ ٱلكَسْرَ في وسطِ حَضْرَمَوْت تُجِيبُ ، منهُم ٱليومَ بها أَربعُ مئةِ فارسٍ وإِحدىٰ عشرَ مئةِ راجلٍ ، ويُعرفُ ٱلكسرُ بِكَسرِ قُشَاقِش ، وفيهِ يقولُ أَبو سليمان بنُ يزيدَ بنِ أَبي ٱلحسنِ ٱلطَّائِيُّ [من الطويل] :

وَأَوْطَـنَ مِنَّـا فِـي قُصُـورِ بَـرَاقِـشٍ ... فَمَأْوَدِ وَادِي ٱلْكَسْرِ كَسْرِ قُشَاقِشٍ) اهـ[١]

وفي براقش[٢] يقولُ عَمرو بنُ معديكرب ٱلزُّبيديُّ ـ وكانَ ممَّنْ يسكنُ ٱلكَسْرَ ـ [في « شعر عمرو بن معدي كرب » ١٤٠ مِنَ ٱلوافرِ] :

يُنَـادِي مِـنْ بَـرَاقِـشَ أَوْ مَعِيـنٍ ... فَـأَسْمَـعَ فَـاتْـلأَبَّ بِنَـا مَلِيـعُ[٣]

وقالَ ٱلطَّائِيُّ أَيضاً [مِنَ ٱلمنسرحِ] :

تَسْتَـنُّ بِـٱلضَّـرْوِ مِـنْ بَـرَاقِـشَ أَوْ ... (هَيْـلاَنَ)[٤] أَوْ يَـانِـعٍ مِـنَ ٱلْعُتُـمِ[٥]

---

(١) وذكر الهَمْدَاني من قرى الكسر : هينن ، وحوره ، وقشاقش ، وصوران ، والعجلانية ، وسدبه ، ومنوب ، ورخيه ، ووادييها . انظر « صفة جزيرة العرب » (١٧١).

(٢) هـٰهنا استطرد المصنف رحمه الله إلى ذكر بلاد الجوف وما إليها . . فلنعرِّف هنا ببراقش : هي مدينة أثرية هامة في وادي الجوف ، واسمها القديم (ثيل) ، تقع بجانب خرائب معين التي تعرف باسم : البيضاء . وتشكل هـٰذه المدينة العاصمة الدينية لمملكة معين ، حيث كان يحج المعينيون معابدها العديدة ، وقد ظلت عامرة إلى القرن العاشر الميلادي ، ثم اندثرت ولم يبق منها اليوم سوى معالم سورها القديم ، وبقايا معابدها ، وبعض من النقوش . وهي في أصل جبل هيلان ، وفي عام (١٩٨٩م) بدأت الدولة في إنشاء طريق من صنعاء يمتد إلى وادي الجوف عبر منطقة نِهم ، وتمر بالقرب من خرائب هـٰذه المدينة . اهـ « المقحفي » (١/ ١٥٠) .

(٣) ينادي : الفاعل فيه عائد علىٰ كلمة (الدَّاعي) في البيت قبله ، وهو :
أَمِـنْ رَيْحَـانَـةَ ٱلـدَّاعِـي ٱلسَّمِيـعُ ... يُـؤَرِّقُنِـي وَأَصْحَـابِـي هُجُـوعُ
وريحانة : أُخت عمرو . اتلأَبَّ : استقام . مليع : اسم طريق .

(٤) هيلان : جبل عال منيف يمتد من جنوب نهم إلى غربي مأرب ، عداده من بني جبر خولان العالية ، ويقع شمال صرواح بمسافة (٦٠ كم) ، وهومنطقة أثرية .

(٥) البيت للنَّابغة الجعدي في « ديوانه » (١٥٨) تستنُّ : تستاك . الضَّرو : شجر طيِّب الرَّائحة يُستاك بعيدانه ، ويجعل ورقه في العطور . هيلان : اسم واد أو جبل . يانع : ناضج . العتم : شجر الزَّيتون البرِّيُّ .

يَصِفُ بَقَراً تستَنُّ بِٱلضَّرو ، وهوَ : شَجَرٌ يُستاكُ بهِ .

وقالَ فَرْوَةُ بنُ مُسَيكٍ ٱلمراديُّ [مِنَ ٱلوافرِ] :

أَحَــلَّ يُحَــابِــرٌ جَــدِّي غُطَيْفــاً ... مَعِيــنَ ٱلْمُلْــكِ مِــنْ بَيْــنِ ٱلْبَنِينَــا

وَمَلَّكَنَــا بَــرَاقِــشَ دُونَ أَعْلَــىٰ ... وَأَنْعُــمَ إِخْــوَتِــي وَبَنِــي أَبِينَــا

وقالَ علقمةُ [مِنَ ٱلوافرِ] :

وَهَــلْ أَسْــوَىٰ بَــرَاقِــشَ حِيــنَ أَسْــوَىٰ ... بِبَلْقَعَــــةٍ وَمُنْبَسِــــطٍ أَنِيــــقِ

وَحَلُّــوا مِــنْ مَعِيــنٍ يَــوْمَ حَلُّــوا ... لِعِــزِّهِــمُ لِــدَى ٱلْفَــجِّ ٱلْعَمِيــقِ

ومعينُ : بلدٌ بٱلجوفِ مِنْ بلادِ حِمْيَر ، باقيةٌ آثارُها ، وعلىٰ كثيرٍ مِنْ أَحجارِها ٱلمنجورةِ كتاباتٌ بٱلمُسنَدِ[1] ، وهوَ لسانٌ عربيٌّ يعرفُهُ كثيرٌ مِنْ أَهلِ صنعاءَ ، كٱلشَّيخِ ٱلفاضلِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ عليٍّ ٱلحَجْريِّ[2] ، منها ما وُجِدَ علىٰ مَرْدمٍ ضخمٍ جدّاً ، مستندٍ إِلىٰ أُسطوانتينِ عظيمتينِ ، في معبدٍ قريبٍ مِنْ مدينةِ معينٍ ، وفيهِ كلماتٌ لَم تُعْرَفْ مِنْ لغةِ حِمْيَر ، وأَكثرُهُ عربيٌّ مبينٌ ، وحاصلُهُ : (خالُ كَرْب ، صادق ٱبن أُبيدع[3] مَلِكُ معينٍ ، بنىٰ وأَحدث رصيفَ بيتِ عثترٍ ، ٱلَّذي قبضَ ورثَتُهُ بيوتَهم) .

(١) **المسند** : اسم لخطٌّ قديم ، كان شائعاً عند العرب في جنوب ، بل وحتى شمال الجزيرة قبل الإسلام . يتكون من (٢٩) رمزاً ـ أبجدياً ـ تمثل أحداث أصوات الحروف العربية الحديثة بزيادة صوت واحد ينطق قريباً من مخرج السين ، بينه وبين الشين على ما يبدو أمد . ويرجع أقدم النقوش اليمنية إلى أوائل القرن التاسع قبل الميلاد على أبعد تقدير . ينظر « تاريخ اليمن القديم » (١٩١ـ٢٠٧) .

(٢) هو الشيخ العالم الفقيه المؤرخ محمد بن أحمد الحجري الصنعاني ، ولد بذي يشرع من نواحي يريم ، وتفقه بذمار والأهنوم ويريم ، ولاه الإمام يحيى رئاسة ديوان المحاسبة العامة ، وكان ينتدبه هو وابنَه الإمامَ أحمد لحضور المؤتمرات خارج اليمن ، توفي في حادث الطائرة الروسية على مقربة من موسكو يوم الأربعاء (٢٦) صفر (١٣٨٠هـ) مع بقية أعضاء الوفد الذي كان في طريقه إلى بكين برئاسة القاضي محمد بن عبد الله العَمْري .كان عالماً متواضعاً نزيهاً ، ملمّاً بتاريخ اليمن وجغرافيته . وهو صاحب كتاب « معجم بلدان اليمن وقبائلها » ، الذي اتكأ عليه المقحفي وضمّنه معجمه وزاد عليه .

(٣) ورد اسمه عند بافقيه : (صدق إل) ملك حضرموت ، الذي حكم معين أيضاً ، وانقسمت المملكة بعد موته بين ولديه : (شهرعلن) الذي حكم حضرموت ، و(اليفع يثع) حاكم معين ، ثم جاء حفيده (اليفع ريام بن اليفع يثع) ليوحد المملكتين تحت حكمه .

وعثترٌ ـ بعينٍ ، ثمَّ ثاءٍ مثلَّثةٍ ، ثمَّ تاءٍ مثنَّاةٍ مِنْ فوق ـ : صنمٌ مشهورٌ .

وقد بقيَ مِنْ آثارِ ذلكَ ٱلمعبدِ عدَّةُ أُسطواناتٍ قائماتٍ إلى ٱرتفاعِ خمسةِ أذرعٍ ، وعلىٰ رأسِها مرادمُ ضخمةٌ ، لا يقدرُ ٱلنَّاسُ علىٰ رفعِها ، في غايةٍ مِنَ ٱلجمالِ ٱلهندسيِّ .

وبلغَني أَنَّ بعضَ ٱلأجانبِ ٱستخرجَ أسماءَ ٱثنينِ وثلاثينَ ملكاً مِنَ ٱلآثارِ ٱلَّتي بٱلجوفِ ، لٰكن بدون ترتيبٍ ، وٱلأجانبُ يخادعونَ أهلَ ٱليمنِ في مَفَادِ تلكَ ٱلنُّقوشِ ، ولٰكنْ . . قدِ ٱنكشفتْ خلابتُهُم بمعرفتِهم لِقواعدِه[1] .

وٱلإفرنجِ يزعمونَ أنَّ مملكةَ معينٍ ظهرتْ في ٱلألفِ ٱلثَّاني قَبْلَ ٱلإسلامِ ، وأَنَّها أقوىٰ وأغنىٰ مِنْ مملكةِ سبأٍ ، وأَنَّ مُلْكَها بلغَ إلىٰ غزَّةَ ، وأَنَّ سلطانَها ٱنتقلَ إلىٰ سبأ ٱلَّتي بدأَتْ قوَّتُها في ٱلظُّهورِ أَواخرَ أيَّامِ مملكةِ معينٍ ، وهوَ كلامٌ متناقضٌ ؛ لأَنَّ مملكةَ سبأٍ أقدمُ مِنْ ذلكَ بكثيرٍ ، وكلاهُما مِنْ فروعِ ٱلممالكِ ٱلقحطانيَّةِ[2] .

وقحطانُ : هوَ ٱبنُ هودٍ علىٰ ما يأتي في نسبِهِ عندَ ذكرِهِ ، وهودٌ عليهِ ٱلسَّلامُ نبيُّ عادٍ ، وقد نصَّ ٱلقرآنُ علىٰ أَنَّ ملكَ عادٍ عقبَ نوحٍ ، وذلكَ حيثُ يقولُ في سورةِ ٱلأعرافِ : ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ، فزَعْمُ أَنَّ عاداً وثمودَ تفرَّعوا عَنِ ٱلحمُّورابيِّينَ غلطٌ ؛ لأَنَّهم أقدمُ مِن ذلكَ ، وفي « ٱلتِّيجان » لابنِ هشامٍ : أَنَّ عمرَو بنَ ٱلقيسِ بنِ بابليونَ كانَ مَلكاً علىٰ مصرَ في أيَّامِ إبراهيمَ عليه السلام ، وعمرٌو هٰذا مِن أهلِ سبأ .

قالَ ٱلهمدانيُّ في « ٱلإكليل » : ما أعلمُ أحداً ٱستوفىٰ ما ذكرَهُ أبو عَلْكَم ٱلمُرَّاني ، أحدُ رجالِ هَمْدان [مِنَ ٱلبسيطِ] :

نَحْنُ ٱلْمَقَاوِلُ وَٱلأَمْلاَكُ قَدْ عَلِمَتْ ... أَهْلُ ٱلْمَوَاشِي بِأَنَّا أَهْلُ غَمْدَانَا
وَأَنَّنَا رَبُّ بَيْنُونَ وَأَضْرَعَةٍ ... وَٱلشَّيْدِ مِنْ هَكِرٍ نَاهِيكَ بُنْيَانَا

---

(1) خِلابتهم : خداعهم .

(2) ينظر للمزيد عن معين : « تاريخ اليمن القديم » (٢٥) . . وما بعدها .

بَـرَاقِـشٌ وَمَعِيـنٌ نَحْـنُ عَـامِـرُهَـا ... وَنَحْـنُ أَرْبَـابُ صِـرْوَاحٍ وَرَيْشَـانَـا

وَنَـاعِـطٌ نَحْـنُ شَيَّـدْنَـا مَعَـاقِلَهَـا ... وَمَـأْذِنـاً وَقُـرَىٰ نَشْـقٍ وَنَـوْفَـانَـا[1]

وَقَصْــرَ بَيْنُــونَ عَــلاَّهُ وَشَيَّــدَهُ ... ذُو ٱلْفَخْرِ عَمْرٌو وَسَوَّىٰ قَصْرَ غَمْدَانَا

وَقَصْـرَ أَحْـوَرَ رأسَ ٱلْقَيْـلِ ذِي يَـزَنٍ ... وَقَصْـرَ فَيَّـاشَ فِـي أَرْبَـابِ قَـدْ كَـانَـا

مِنْ قصيدةٍ طويلةٍ ، قالَ ٱلْهَمْدانيُّ في « ٱلإِكليلِ » [٨/١٠٨] : (ما أَعلمُ أَحداً مِنْ شعراءِ ٱليَمنِ ٱستوفىٰ ما ذكرَهُ منَ ٱلمواضعِ) .

وقد ساقَ مِنها جملةً فٱلتقطنا ما ذكرناهُ .

وٱلشِّعرُ في هـٰذهِ ٱلمواضعِ أَكثرُ ، ولـٰكن لا حاجةَ إِلى ٱلإِطالة ، وما أَكثرَ ما يأتي ذِكرُ بينونَ وغيرِهِ من هـٰذهِ ٱلحصونِ في أَشعارِ ٱلعربِ ، قالَ ٱلنَّابغةُ ٱلجعديُّ [في « ديوانه » ١٤٩ مِنَ ٱلمنسرح] :

يَـا أَيُّهَـا ٱلنَّـاسُ هَـلْ تَـرَوْنَ إِلَـىٰ ... فَـارِسَ بَـادَتْ وَخَـدُّهَـا رَغِمَـا

أَمْسَـوْا عَبِيـداً يَـرْعَـوْنَ شَـاءَكُـمُ ... كَـأَنَّمَـا كَـانَ مُلْكُهُـمْ حُلُمَـا

مِـنْ سَبَـإِ ٱلْحَـاضِـرِيـنَ مَـأْرِبَ إِذْ ... بَيْنُـونَ مِـنْ دُونِ سَيْلِـهِ ٱلْعَـرِمَـا

وفي ٱلجَوْفِ عدَّةُ مدنٍ خاربةٍ ، مِنها : معينُ هـٰذه .

ومِنها : **براقشُ** ، **ورغوانُ** ، **وٱلدَّخناءُ** ، **وٱلبيضاءُ** ، وهيَ غيرُ ٱلبيضاءِ ٱلواقعةِ بأَرضِ ٱلظَّاهرِ[2] ، وٱسمُ ٱلبيضاءِ ٱلقديمةِ نَشَق ، وغيرُ هـٰذهِ ٱلمدنِ .

ثمَّ إِنَّ معيناً معدودٌ في مَحَافِدِ ٱليَمنِ[3] ٱلمشهورةِ ؛ كغمدان ، وتلقم ، وناعِط ،

---

(١) تداخل البيت على المؤلِّف من بيتين وهما في « الإكليل » (٨/١٠٩) :

وَ(نَـاعِـطٌ) نَحْـنُ شَيَّـدْنَـا مَعَـاقِلَهَـا ... وَ(مَـأْذِنَـا) أَوْ عَـلاَ (نَشْقـاً) وَ(نَـوْفَـانَـا)

وَ(تَلْفُـمِ ٱلْبَـوْنِ) وَ(ٱلْقَصْـرَيْـنِ) مِـنْ خمـرٍ ... وَ(تَنْعُمَـا) وَ(قُـرَىٰ (شَـرْجٍ) وَ(دَعَّـانَـا)

(٢) واسم تلك : بيضاء الحسين ، تنسب للشيخ الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم تمييزاً لها عن غيرها .

(٣) المحافد بلغة اليمن القديمة هي عبارة عن قصور الملوك أو المدن التي تحيط بها الأسوار ، قال نشوان في « الشمس » : (المحفد أو المحافد ، هي قصور الملوك التي فيها الحفدة ، وهم الأعوان والخدم) اهـ

وصرواح ، وسلحين ، وظفار ، وهِكَر ، وظهر ، وشبام ، وغيمان ، وبينون ، وريام ، وبراقش ، وروثان ، وأريات ، وعمران ، والنجير[١] بحَضْرَمَوْتَ ، كما عند الهمدانيِّ ، وفي مواضعَ من « الصفة » : أنَّ من المحافدِ حوره . وتريم بحضرموتَ ، كما في مواضعِها .

وقالَ ياقوتُ في « معجمه » [٥/٤٤٢] : (كانت منازلُ العماليقِ صنعاءَ ، ثم خَرجوا فنَزلوا حولَ مكَّةَ ولحقتْ طائِفةٌ بالشَّام ومصرَ ، وتفرَّقت طائفةٌ بجزيرةِ العربِ إلى العراقِ والبحرَيْن وعُمانَ . وقيل : إن فراعِنةَ مصرَ كانوا منَ العماليقِ . . .) إلى آخرِ ما ذَكر .

وقد دلَّلتُ في « ٱلأَصلِ » علىٰ وصولِ سيِّدنا عليِّ بنِ أَبي طالبٍ ـ كرَّمَ ٱللهُ وجهَهُ ـ إلى ٱلكَسْرِ بقصَّةٍ أَصلُهَا في « ٱلصَّحيحِ » ، ولَها تتمةٌ مِنَ « ٱلسِّيرةِ ٱلحلبيَّةِ » ، وبسطُها في « شرحِ ٱبنِ أَبي ٱلحديدِ » علىٰ « ٱلنهجِ » .

قالَ ٱلهَمْدانيُّ : (وٱلكَسْرُ قرىً كثيرةٌ ، مِنها : قريةٌ يقالُ لَها : هَينَن ، فيها بطنانِ مِنْ تُجيب ، يقالُ لَهما : بنو سهلٍ وبنو بَدَّا ، فيهِم مِئَتا فارسٍ ، تخرجُ مِنْ دربٍ واحدٍ ، ورأْسُهُمُ ٱليومَ : محمَّدُ بنُ ٱلحصينِ ٱلتُّجَيبيُّ) اهـ[٢]

وعن أَحمدَ بنِ محمَّدٍ مؤذِّن باجمالٍ ، عن عوضِ بنِ أَحمدَ ٱلجروِ : (أَنَّ يونس[٣] بنَ عبدِ ٱلأَعلى ٱلصَّدَفيَّ توفِّيَ سَنةَ (٢٦٤هـ) وكانَ ممَّنْ يَسكنُ ٱلكَسْرَ) اهـ

وقد ترجمَهُ ٱبنُ خلِّكان [٧/٢٤٩] وأَطالَ ، وكذلكَ ٱلحافظُ ٱبنُ حجرٍ في « تهذيبِ ٱلتَّهذيبِ » [٤/٤٦٩] ، وٱلخزرجيُّ في « خلاصتهِ » ، وهوَ ركنٌ مِنْ أَركانِ ٱلإِسلام ، أَخرجَ لَهُ ٱلنَّسائيُّ ومسلمٌ وٱبنُ ماجَه .

كانتْ ولادتُهُ في سَنةِ (١٧٠هـ) وأَقامَ شاهداً بمصرَ ستِّينَ سنةً ، ومعَ ذلكَ فلا يُستبعدُ كونُهُ مِنْ حَضْرَمَوْتَ ؛ لاحتمالِ خروجهِ مِنها وسِنُّهُ فوقَ ٱلعشرينَ أَوِ ٱلثَّلاثينَ ؛ فٱلأَمرُ جِدُّ قريبٍ ؛ لأَنَّهُ كانَ مِنَ ٱلمعمَّرينَ .

---

(١) لن نطيل بالتعريف بهـٰذه المحافد كلها ، وليرجع المستزيد إلى معاجم البلدان اليمانية .

(٢) صفة جزيرة العرب (١٧١) .

(٣) في المخطوط (يوسف) ، والَّذي أُثبت من « وفيات الأَعيان » ، و« تهذيب التَّهذيب » .

إلاَّ أَنَّهُ يُشكلُ عليهِ ما قيلَ : إنَّ ولادَتَهُ بمصرَ ، ولا إشكالَ حتَّىٰ بفرضِ صحَّتِهِ ؛ لاحتمالِ مجيئِهِ إِلىٰ حضرموتَ وهوَ صغيرٌ كما هيَ ٱلعادةُ عندَ ٱلمهاجرينَ بإرسالِ أَولادِهم إِلىٰ مرابعِ أُناسهم صغاراً ، وسكناه بها مدَّةً ؛ لأَنَّ ٱلجروَ مِنَ ٱلثِّقاتِ .

وفي « مفتاحِ ٱلسَّعادةِ وٱلخيرِ » لصاحبِ « ٱلقلائِدِ » : (ومِنْ حَضْرَمَوْتَ : أَوديةُ دوعن ، ووادي عَمْدٍ وشبوة وما حواليها ، ومِنها ٱلكَسْرُ ، وهوَ ما يفيضُ إِليهِ ماءُ هـٰذهِ ٱلأَوديةِ إِذا زادَ وٱنكسرَ ما يَمنعُهُ) اهـ

وٱلواقعُ الآنَ أَنَّ سومَ ٱلأَوديةِ الواقعِ شرقيَّ قعوضه ٱلممتدَّ مِنَ ٱلشَّمالِ إِلى ٱلجنوبِ ـ يسمَّىٰ بٱلعشرقةِ ـ ترجعُ عنهُ سيولُ ٱلأَوديةِ إِلىٰ هينَنَ وعرضِ آلِ حويلٍ ومكانِ آلِ جذنانَ ورملةِ آلِ ٱلعيدروسِ ، ثمَّ إِلى ٱلفوهةِ وٱلخشعةِ .

وتخافُ نهدٌ مِن زيادةِ ٱلمياهِ علىٰ قعوضةَ وٱلظَّاهرةِ وشريوفَ ، ولـٰكنَّ ٱلغالبَ ٱنهيارُ ذلكَ ٱلسَّدِّ ؛ لأَنَّهُ لا يُبنىٰ إِلاَّ مِنَ ٱلطِّينِ ، وإِذا ٱنهار إِلىٰ جانبِ هينَنَ وما لفَّها . صارَتِ ٱلمياهُ إِلى ٱلباطنة وٱلقطنِ ثمَّ ٱلمسحرةِ وأَسفلِ حضرموتَ ، وكثيراً ما تُتَّهمُ نهدٌ بكسرهِ إِذا جاءَتِ ٱلسُّيولُ ليلاً . . فيقومُ ٱلنِّزاعُ بين الطائفتين .

وسمعتُ عن غيرِ واحدٍ مِنَ ٱلثِّقاتِ عنِ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ أَنَّهُ كانَ يقولُ : (إِنَّ ٱلمياهَ في أَيَّامِ سدٍّ سنا كانت تنكسرُ مِنهُ إِلى ٱلكَسْرِ ـ أَي : ترجعُ منهُ إِليهِ ـ ولذلكَ سمِّي بهـٰذا ٱلاسم) وكنتُ أَستشكلُهُ جدّاً ؛ لأَنَّ تريماً وغيرَها مِنَ ٱلبلدانِ كانت موجودةً لذلكَ ٱلعهدِ ، ولَو كانَ ماءُ سنا يرجعُ إِلى ٱلكَسْرِ . . لأَغرقَ شباماً فضلاً عمَّا وراءَها ، وما زالَ هـٰذا ٱلإِشكالُ أَثقلَ عليَّ مِنَ ٱلجبلِ حتَّى ٱنكشفَ بما سيأْتي في ٱلحسيّسةِ وفي سنا ، فليُكشَفْ ذلكَ ٱلجوابُ مِنْ هناكَ .

ثمَّ ٱعلَمْ أَنَّ ٱلعَبْرَ[1] علىٰ قريبٍ مِنْ محاذاةِ شبوةَ في ٱلجهةِ ٱلغربيَّةِ ، وهوَ في شَمالِ شبوةَ . ومِنْ ورائِهِ إِلى ٱلشَّرقِ : رُكْبان .

---

(١) العَبْر : منطقة في الشمال الغربي من شبوه على بعد نحو (٨٠ كم) منها . وهي المنفذ الطبيعي إلى حضرموت للمتوجه من مأرب وهي منطقة جبلية وسط رمال واسعة ، محيط بها من الغرب رملة =

وفي شمالِ ركبانَ إلى ٱلغربِ : **وادي ٱلجابيةِ**[1] . ومِنْ وراءِ ركبان إلىٰ شرقٍ : **عكبان**[2] . ثمَّ **ٱلسُّورُ** ، وسكَّانُهُ ٱليمنةُ من نهدٍ . وعن شمالِهِ : **واديه** .

وعن جنوبهِ أَرضٌ واسعةٌ ، يقالُ لَها : **ٱلفُوَّهة**[3] ، وفيها بيرُ حمدٍ ، تَرِدُها ٱلقوافلُ مِنَ ٱلقبلةِ ، وسكَّانُ ٱلفوهةِ آلُ بدرٍ مِن نَهدٍ ، وفي شرقيِّها ٱلأرضُ ٱلَّتي يصلحُ فيها زرعُ ٱلبُرِّ صلاحاً طيِّباً ، وهي ٱلمُسَمَّاةُ : **الخشعة** ، وهيَ أَرضٌ واسعةٌ ، طيِّبة ٱلتُّربةِ ، قريبةُ ٱلمياهِ ، لا يزيدُ عمقُ ٱلبير عن سبعِ قاماتٍ ، معَ أَنَّ ٱلآبارَ في قعوضةَ وحواليها يبلغُ سبعَ عشرةَ قامةً ، وإليها ينحدرُ ما يزيدُ مِن مياهِ ٱلأَوديةِ عن قعوضةَ ونواحيها ، ولو زادت مياهُ رَخْيَةَ . . لوصلتها ؛ لأنَّها منخفضةٌ عنها .

ومِنْ ورائِها إلى ٱلشرقِ : **رَهْطَان** . ومِنْ ورائِهِ متشاملةً : بلدُ **هَيْنَن** . وعن شمالها : **واديها** ، هٰكذا أَخبرني جماعة مِن ذلكَ ٱلطَّرفِ جاؤوا يستفتوني في قضيَّةٍ لهم . . فالعهدةُ عليهم .

وٱلمراحلُ بسيرِ ٱلأَثقالِ ٱلآنَ : مِنْ قُعُوضة إلى ٱلخشْعة خمسُ ساعاتٍ . ومِنَ ٱلخَشْعه إلىٰ صحراءَ واسعةٍ ٱثنتا عشرة ساعةً . ومِنْ تلكَ ٱلصَّحراءِ إلى ٱلسُّورِ أَربعُ ساعاتٍ . ومنهُ إلىٰ مرعىٰ ستُّ ساعاتٍ . ومِنَ ٱلمرعىٰ إلى ٱلصَّحراءِ ٱلَّتي وقعتْ فيها ٱلواقعةُ بينَ نَهْدٍ ودَهْمٍ ٱثنتا عشرةَ ساعةً . ومِنْ هٰذهِ ٱلصَّحراءِ إلىٰ قرنِ ٱلذِّئابِ ٱثنتا عشرةَ ساعةً . ومنهُ إلى ٱلعَبْرِ سبعُ ساعاتٍ .

= السبعتين ، ومن الشمال رمال الربع الخالي . وتشكل منطقة العبر ، في أعمالها مديرية من مديريات محافظة حضرموت ، ومن أعمالها : جبل العبر ، حجر الصيعر ، زَمَخ ، مَنْوَخ ، حصن آل دحيان ، وادي هينن ، حصن الوهد ، حصن الشاهد ، حصن آل كسلان ، حجر آل عياف ، وغيرها ، وهي مساكن الصيعر . وبها آثار قديمة ، وكان وادي العبر مصباً لعدة أودية قديمة ، وتكثر فيه الآبار ، ويقال : إن به (٢٥٠) بئراً طمرتها السيول « المقحفي » (٢/١٠٠٨) .

(١) هو واد شرقي حصن العبر ، وفي شماله الغربي بلدة الصيعر ؛ ريدة الصيعر .

(٢) واد شرقيّ العبر أيضاً ، تنزل منه مسيلات ريدة الصيعر ثم تذهب إلى رملة الخرار .

(٣) بضم فتشديد الواو ، هضبة متسعة في الأطراف الغربية لـ(حضرموت) ، كانت تمر بها القوافل الذاهبة إلى مأرب ، يسكنها آل بدر من نهْد .

وفي ٱلأعرافِ ٱلقديمةِ أَنَّ مبتدأَ ٱلعَبْرِ مِنَ ٱلجهةِ ٱلغربيَّةِ ٱلشَّماليَّةِ هيَ : رَمْلةُ وَبَار إلى ٱلفُوَّهةِ وٱلخَشْعة ، وفيهِ رملُ ٱلحَزارِ ٱلَّذي جاءَ ذِكرهُ في قولِ ٱبنِ عقبةَ في قصيدتهِ ٱلمشهورةِ [مِنَ ٱلكاملِ] :

مِـنْ شَـطِّ مِينَـاءِ ٱلـرَّدِيـفِ تَـرَحَّلَـتْ ... سَحَـراً وَكَـانَ ٱلْفَجْـرُ لَمَّـا يُسْفِـرِ
قَطَعَتْ ضُحَىً رَمْلَ ٱلْكَدِيفِ وَمَنْصَحاً ... وَٱلْقَـرْيَ جَـازَتْ فِيـهِ لَـمْ تَتَحَيَّـرِ
وبمــذنبَـي أنْصَـاص ثُـمَّ بِحَـرْوَةٍ ... نَفَـرَتْ نُفُـورَ ٱلْخَشْـفِ خَـوْفَ ٱلْمِنْسَـرِ
وَرَدَتْ قُبَيْـلَ ٱلظُّهْـرِ عَلْقَـمَ شَبْـوَةٍ ... وَٱلآلُ يَمْكُـرُ بِـٱلصـدِيِّ وَيَغْتَـرِي
وَتَـرَوَّحَـتْ عَصْـراً وَأَمْسَـتْ تَـرْتَعِـي ... وَسَطَـا وطَـارِ فِـي ٱلفَـلاَةِ وَتَجْتَـرِي
حَتَّـىٰ إِذَا مَـا ٱللَّيْـلُ أَدْبَـرَ شَطْـرُهُ ... وَسَـرَتْ عَلَـى ٱلْـوَجْنَـاءِ أُمُّ حَبَـوْكَـرِ(١)
بَـادَرْتُهَـا بِـٱلـرَّحْـلِ ثُـمَّ نَسَـأْتُهَـا ... فَجَـرَتْ كَجَـرْيِ ٱلأَجْـدَلِ ٱلْمُتَحَـدِّرِ
وَبِـدُهْـرَ جَـازَتْ ثُـمَّ رَخْيَـةَ بَعْـدَهَـا ... وَعَلَـى ٱلْحَـزَارِ كَمِثْـلِ بَـرْقٍ مُغْـوِرِ
وَمَـدُودَةً جَـازَتْ وَلَـمْ تَلْبَـثْ بِهَـا ... إلاَّ مَقَـــامَ مُسَلِّـــمٍ وَمُخَبِّـــرِ
وَبَـدَا ٱلصَّبَـاحُ فَصَبَّحَـتْ مِـنْ كِنْـدَةٍ ... بِقَـرَارِ عَـرْصَتِهَـا سُـلاَلَـةَ جَعْفَـرِ

وفي « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » لِلهَمْدانيِّ [٣٠٤ـ٣٠٥] : (أَنَّ محجَّةَ(٢) حَضْرَمَوْتَ مِنَ ٱلعَبْرِ إلى ٱلجوفِ ، ثمَّ صَعْدة ، ويدخلُ معَهُم في هٰذهِ ٱلطَّريقِ أَهلُ مأْربَ ، وبيحان ، وٱلسَّرْوَين(٣) ، ومَرْخَة ، فهٰذهِ محجَّةُ حَضْرَمَوْتَ ٱلعُليا .

وأَمَّا ٱلسُّفلىٰ : فمِنَ ٱلعبر في شيز صَهْيَد إلىٰ نجران شبهُ مِنْ ثمانيةِ أَيَّامٍ ، وهي ٱلَّتي وصفَها ٱلأَشعثُ ٱلجنبيُّ في شعرِه ٱلآتي آخرَ ٱلكتابِ .

---

(١) أمُّ حبوكر : الداهية ، ويقصد بها الشمس .

(٢) يقصد بالمحَجّة : الطريق التي يسلكها الحاج قاصداً نحو مكة المكرمة .

(٣) أهل السروين : أي سرو حمير ، وسرو مَذحِج . والسرو هو ما ارتفع من الأرض عن مجرى السيل . وسرو حمير : هو بلاد يافع وما جاورها من الأُجعود . وسرو مذحج : المنطقة الواقعة جنوب وشرق البيضاء التي تشمل لودر ومودية وثِرِه في أبين . وكان أولاً موطناً لحمير من ذي رعين ثم سكنته مذحج .

ثمَّ مِنْ نجران : حِبَونن[١] ـ وبأعلاهُ قُتِلَ عبدُ ٱللهِ بنُ ٱلصِّمَّةِ ، قتلَهُ بنو ٱلحارثِ بنِ كعبٍ ـ ثمَّ ٱلملحاتُ ، ثمَّ لوزةُ ، ثمَّ عبالم ، ثمَّ مربعُ ، ثمَّ ٱلهجيرةُ ، ثمَّ تثليثُ ، ثمَّ جاشُ ، ثمَّ ٱلمَصَامةُ ، ثمَّ مَجْمَعَة تَرْج مِن ديارِ تميمٍ بٱلدَّهناءِ) اهـ

وٱلعين : هوَ في غربيِّ علبانَ ، وسُكَّانُهُ ٱلكَرَبُ وآلُ عبدِ ٱللهِ بنِ عونٍ مِنَ ٱلصَّيْعَرِ ، وكانتِ ٱلعينُ مجتمعَ مياهِ ٱلأَوديةِ .

وفي غربيِّ ٱلعينِ ٱلأَرضُ ٱلمُسَمَّاةُ : **ٱلمنغلقةَ** ، وهيَ ذاتُ عيونٍ ونخيلٍ غيرِ مغروسةٍ ، وإنَّما تَنبتُ ممَّا تُلقيهِ ٱلرُّكبانُ مِنَ ٱلنَّوىٰ بحافَّاتِ ٱلعيونِ ، وقلَّ مَن ينتفعُ بها ؛ لأنَّها مَخُوفةٌ ؛ إذْ هيَ مأوَى ٱلغزاةِ ٱلباقينَ علىٰ عوائد ٱلجاهليَّةِ ، إلاَّ أَنَّها أُمِّنَتِ ٱلآنَ بعدَ تدخُّلِ ٱلحكومةِ ٱلإنكليزيَّةِ ، وهيَ تحتَ يدِ ٱلمَسادسةِ مِن ٱلصَّيعَرِ ، ولو وَفَّقَ ٱللهُ ٱلمهاجرينَ مِنَ ٱلحضارمِ لعمارتِها . . لكانَ لهم فيها ما يُغنيهم عمَّا سِوَاها ؛ لأَنَّها مِن أخصبِ بلادِ ٱللهِ .

وإذا صدقَ ما يتعالَمُ بهِ ٱلنَّاسُ مِن وجودِ منابعَ للبترولِ بِشَبْوَةَ ـ وهيَ علىٰ مقربةٍ منها ـ . . ستكونُ مِن جنَّاتِ ٱلدُّنيا .

أمّا وادي هَيْنَن : فيَسكنُهُ آلُ شرمانَ ، كبيرُهم فرجُ بنُ عليٍّ ، ولهُ ولأخيهِ عمرَ بنِ عليٍّ ، شممٌ وهِممٌ ، وهُما ٱلآنَ في ممباسةَ . وفيهِ : آلُ سعدونَ مِنَ ٱلصَّيْعَرِ ، ثمَّ دخلوا في نَهْدٍ . وفيه : آلُ عزونَ ، وآلُ تيربانَ ، كلُّهم مِن نهدٍ .

وأمَّا هَيْنَن[٢] : فتنقسمُ إلىٰ قسمينِ :

أَحَدُهما : **ٱلحَثْمُ** ٱلمتكرِّرُ ذِكرُهُ في « ديوانِ ٱلشَّيخِ عمرَ بنِ عبدِ ٱللهِ بامخرمةَ » ، وفيهِ آلُ إسحاقَ ، ومنصبُهُم ٱلآنَ : عبدُ ٱلرَّزَّاقِ .

---

(١) حِبونن ـ بكسر الحاء ـ : واد يغيب من بلد يام من ناحية سمنان ، وبه بئر زياد الحارثي جاهلية ، وهو من مناهل العرب المشهورة ، وكذلك بئر الربيع في عبد الله على مرحلة لمن قصدها من حضرموت ومأرب . « الصفة » .

(٢) تقع غربي القطن ، وتعد من أعمالها .

والثَّاني : الحزمُ ، وفيهِ آلُ إسحاقَ أيضاً ، ومنصبهُمُ الآنَ شيبانُ بنُ صالحٍ[1] .

وأوَّلُ منِ اختطَّهُ الشيخُ عبدُ الرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ مرتعٍ في القرنِ الحادي عشرَ ، ومرجعُ آلِ مرتَعٍ إلىٰ ثورِ بنِ مرتعِ بنِ عفيرٍ الكِنْديِّ ، ولا يزالُ بهِ ناسٌ مِنهم ، ويرأسهم يسلمُ بنُ سعيدٍ بجاوةَ ، ومحمَّدُ بنُ سعيدٍ في مقدشوه ، وهوَ الَّذي رَوَى لي عن سلسلةِ ذوي الأنسابِ : أنَّ آلَ مفتاحٍ والعنابرةَ الموجودينَ بِهَينَن هم عبيدٌ لعبدِ يلهمَ بنِ مرتعٍ الكِنْديِّ صاحبِ صوْمعةِ دَمُّونَ . اهـ

وقالَ : إنَّ أعقابَهم لا يزالوانَ مُستخدَمينَ لآلِ مرتعٍ إلى اليومِ .

وكانَ في هينَنَ كثيرٌ مِنَ الإباضيَّةِ ، كما يُعرَفُ مِنِ التجاءِ الإمامِ إبراهيمَ بنِ قيسٍ إلىٰ بني سَهْلٍ فيها ، بشهادةِ قولهِ [مِنَ الطَّويلِ] :

فَيَـالَ بَنِـي سَهْـلٍ أَضَعْتُـمْ جَمَـاعَتِـي ... وَآوَيْتُمُـونِـي يَـوْمَ خُـرِّبَ مَـوْطِنِـي
وَصِـرْتُ مَلِيكـاً فِيكُـمُ مُتَمَكِّنـاً ... كَنِينـاً حَصِينـاً مُكْـرَمـاً غَيْـرَ هَيِّـنِ
سِوَىٰ أَنَّنِي يَـا قَـوْمِ لَـمْ أَقْـضِ حَـاجَـةً ... لَـدَيْكُـمْ وَلاَ عَـايَنْـتُ أَمْـراً يَسُـرُّنِـي
فَـإِنْ تَنْصُـرُونِـي فَـالـرَّجِيَّـةُ مِنْكُـمُ ... وَإِنْ تَعْجِـزُوا قَـابَلْـتُ أَرْضـاً تُعِـزُّنِـي

وسيأتي في شبام ما يُصرِّحُ بكثرةِ علماءِ الإباضيَّةِ في هينن إذ ذاكَ .

ومِنْ آلِ إسحاقَ[2] بهينَن : العلاَّمةُ الشَّهيرُ شيبانُ بنُ أَحمدَ اليَتِيمِ ، تلميذُ الشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ .

والشَّيخُ أحمدُ اليَتِيمُ ، وهوَ ابنُ الشَّيخِ سَهْلِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ سهلِ بنِ عامرٍ[3] بنِ إسحاقَ .

---

(١) الشيخ شيبان بن صالح هـٰذا عمر طويلاً ، لأنه كان حياً سنة (١٣٦٦هـ) ، وكان في ذلك الوقت يقول الشعر ، وله مساجلات مع الحبيب أحمد المحضار صاحب القويرة ومدائح فيه ، فلعل مولده نحو (١٢٤٥هـ) ، والله أعلم .

(٢) آل إسحاق أو ابن إسحاق ، مشايخ لهم شهرة في القديم ، ويسكنون هينن منذ زمن بعيد ، ويقال : إنهم من كندة ، كما سُمع من بعض حُذّاقهم وكبار السن منهم .

(٣) في نسخة : (سهل بن أحمد بن عامر) .

وقد سَبَقَ في عندل عنِ ٱلحبيبِ عليِّ بنِ حسنِ ٱلعطَّاسِ ، أَنَّهُ يقالُ : إِنَّ آلَ إِسْحَاقَ مِنْ ولدِ ٱلعبَّاسِ بنِ عبدِ ٱلمطَّلبِ ، ولـٰكنَّهُ لَم يوافِقْ عليهِ ، معَ أَنَّهُم أخوالُهُ ؛ لأَنَّ أُمَّهُ هيَ فاطمةُ بنتُ ٱلشَّيخِ شيبانَ ٱلسَّابق ذِكرُهُ .

ومِنْ أَهلِ هَيْنَن : ٱلعلاَّمةُ ٱلكبيرُ ، صاحبُ ٱلأَحوالِ ٱلغريبةِ ، ٱلشَّيخُ عَبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلأَخضرُ بنُ عمرَ بنِ محمَّدٍ باهُرْمُزٍ[1] ، ٱلصّوفيُّ ٱلشِّباميُّ ، ولدَ بشبام وأَخذَ ٱلعِلْمَ عن مشايخِها ، ورحلَ إِلى ٱلشِّحْرِ ، وأَخذَ عمَّنْ فيها ، ثمَّ ٱرتحلَ إِلىٰ هَيْنن ، ولَم يَزَلْ بها إِلىٰ أَنْ ماتَ في سَنةِ (٩١٤هـ) .

وممَّنْ أَخذَ عنهُ : ٱلشَّيخُ معروفُ باجمال ، وكانَ يُكثرُ ٱلتَّردُّدَ عليهِ إِلىٰ هينن للأَخذِ ـ ماشياً معَ ٱلبعدِ ـ فأَحالَهُ على ٱبنِ أَخيهِ ٱلشَّيخِ إِبراهيمَ ؛ لأَنَّهُ هوَ وإِيَّاهُ في شبام .

وممَّنْ أَخذَ عنهُ : ٱلشَّيخُ عمرُ بامخرمةَ[2] ، جاءَ مِنَ ٱلهجرينِ للإِنكارِ عليهِ . . فعادَ أَخصَّ تلاميذِهِ! وجرىٰ لَهُ قريبٌ مِنْ ذلكَ معَ ٱلشَّيخِ باقيسٍ صاحبِ حلبونَ .

وذكرَ ٱلمؤرِّخونَ أَنَّ ٱلشَّيخَ عمرَ بامخرمةَ وصلَ إِلىٰ تريم في جَمْعٍ مِنْ أَتباعهِ وٱلسَّماعُ بينَ يديهِ ، فٱنتهىٰ خبرُ ذلكَ إِلى ٱلشَّيخِ ٱلفقيهِ حسينِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بلْحَاج ، ٱلمشْهُورِ ، فقامَ مِنْ مدرستهِ في جَمعٍ مِنْ تلاميذهِ للإِنكارِ عليهِ في ضربِ ٱلسَّماعِ وٱلشَّباباتِ ، فحينَ لاقاهُ . . طَرِبَ وغابَ عن حسِّهِ ، وصارَ يُصفِّقُ بيديه ، فأَنشأَ ٱلشَّيخُ عمرُ ـ على ٱلبديهةِ ـ قصيدةً يقولُ في أَوَّلها :

حسينْ هَبَّتْ نَسِيم ٱلْقُرْبْ بَعْد ٱلمَدَىٰ سَرَتْ مِنَ ٱلنَّجْد فَأَنَا لِلنَّجْدِ وَأَهْلُهْ فِدَا

ونظيرهُ ما يُحكىٰ : أَنَّ معاويةَ بنَ أَبي سفيانَ ذهبَ إِلىٰ منزلِ عبدِ ٱللهِ بنِ جعفر

---

(١) ولد الشيخ عبد الرحمن بشبام سنة (٨٤٠هـ) ، وتوفي بهينن ليلة الإثنين (١٤) محرم (٩١٤هـ) . انظر : « عقد اليواقيت الجوهرية » . و« النور السافر » ، و« تاريخ الشحر » ، و« تاريخ الشعراء » (١/ ٩٤ـ٩٦) .

(٢) كان أخذه وتحكّمه لشيخه الأخضر باهرمز في (٢) رجب سنة (٩١٣هـ) ، كما ورد في « تاريخ بافقيه » .

للإنكارِ عليهِ ، فلمَّا ٱستقرَّ بمنزلِهِ . . أَطْلَعَ له جواريَه يُغنِّينَ ، فطَرِبَ حتَّىٰ ضَربَ بِرِجْلِهِ ٱلأَرضَ ولَم يُتْرِبْ ، فلمَّا خرجَ ومعَهُ عَمرو بنُ ٱلعاصي . . قالَ لَهُ : إِنَّكَ لشَرٌّ مِمَّنْ جئتَ للإنكارِ عليهِ ، فقالَ لَهُ : إِنَّ ٱلكريمَ طروبٌ[1] . وتحقيقُ هٰذهِ ٱلمسألةِ في كتابي « بلابلُ ٱلتَّغريدِ » .

وممَّنْ أخذَ عنِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ باهُرْمُز : ٱبنُ أخيهِ ـ ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ ـ إبراهيمُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنُ عمرَ باهرمز .

وآلُ باهرمزٍ منتشرونَ بٱلكسر وشبامٍ وٱلقبلةِ وٱلمكلاَّ ؛ منهم ٱلآنَ بها : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عوضٍ باهرمزٍ ، تاجرٌ ، محبٌّ للخيرِ ، كثيرُ ٱلصَّلاحِ ، وٱبنُهُ عبدُ ٱللهِ مشاركٌ في طلبِ ٱلعلمِ ، ولهُ نباهةٌ وتقوىٰ وديانةٌ وورعٌ حاجزٌ .

ومِنْ أَهلِ هَينن : ٱلشَّيخُ سعيدُ بنُ سالمٍ ٱلشَّوَّافُ[2] ، صاحبُ ٱلقصيدةِ ٱلمشهورةِ بـ « قَصْعةِ ٱلعَسَلِ » ؛ لحلاوتِها وعذوبتِها ، وهوَ ـ كما في « ٱلمشرع » [٢/١٢٥] ـ (مِنْ تلاميذِ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ حسينِ بنِ عبدِ اللهِ ٱلعيدروسِ ، ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (٩٦٨هـ) ، نشأَ ٱبنُ ٱلشَّوَّافِ في بلادِهِ ، ثمَّ ٱرتحلَ إِلىٰ تريم للكسبِ وطَلَبِ ٱلعِلْمِ ، ثمَّ طوَّحتْ بهِ ٱلغربةُ إِلىٰ وَرْدةِ مصَبّح ـ قريةٌ في ٱلمشْقاصِ ، يُضربُ بها ٱلمَثَلُ في ٱلبُعْدِ ـ وكانَ مِنْ أَهلِ ٱلأَحوالِ ، وكانَ يقابلُ كلَّ مَنْ لَقِيَهُ مِنْ أَبناءِ ٱلعلماءِ وٱلصَّالحينَ بإجلالٍ عظيمٍ ، حتَّىٰ نهاهُ ٱلشَّيخُ إِبراهيمُ بنُ عبدِ ٱللهِ هُرْمُز ، وقالَ لَهُ : يا سالمُ ؛ إِنَّ كَتْمَ ٱلحرمةِ لمثلِ

---

(١) إنَّ الكريم طروب : قال في « المستقصىٰ في أمثال العرب » (١/ ٣٤١) : (يراد به أن الأريحيَّة تهزُّه ، وليس كاللَّئيم الَّذي تمكَّنت القساوة والجفاءُ من طبعه . . فهو من الممادح) .
والقصَّة كما في « تاريخ الطَّبريِّ » (٣/ ٢٦٨) ، و« الكامل » لابن الأثير (٣/ ٣٧٤) : (لام معاويةُ عبدَ الله بن جعفر رضي الله عنهم على الغناءِ ، فدخل عبد الله علىٰ معاوية ، وكان مع عبد الله بريح ، وكان معاوية قد وضع رجلاً على الأخرىٰ ، فقال عبد الله لبريح : إيه يا بريح ، فتغنَّىٰ . . فحرَّك معاوية رجله ، فقال عبد الله : مه يا أمير المؤمنين ، فقال معاوية : إنَّ الكريم طروب) .

(٢) الشيخ سعيد بن سالم الشوّاف ، ولد بهينن سنة (٩٢٥هـ) ، توفي بريدة المشقاص ببلدة يقال لها : (وردة مصبّح ـ أو مسبح) سنة (٩٩٠هـ) ، « الشعراء » (١/ ١٧٧ـ ١٧٩) .

هٰؤلاءِ أَصلحُ لَهم ، وأَسلمُ مِنَ ٱلفتنةِ وٱلاغترارِ ، وأَسلمُ لكَ مِنَ ٱلوقوعِ في ٱلنَّهي . .) اهـ

وقولُهُ : يا سالمُ موافقٌ لما في « مقالِ ٱلنَّاصحينَ » تأليفُ ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ عمرَ باجمال ، أَنَّ ٱسمَ ٱلشَّوَّافِ سالمٌ ، لٰكنَّ ٱلَّذي في (ص ٥٨ ج ٢) مِنَ « ٱلمشرعِ » أَنَّ ٱسمَهُ : سعيدُ بنُ سالمٍ ، كما قدمنا .

ويحتملُ أَنَّ باهُرْمُز قالَ لَهُ : يا بنَ سالمٍ ، فسقطت (ٱبنُ) .

وفي سَنةِ (٩٠٩هـ) حدثتْ معاركُ بينَ ٱلسُّلطانِ عبدِ ٱللهِ بنِ جعفرٍ والدِ بدر بوطويرق وبينَ والي هَيْنن[١] ، وهوَ مِنَ ٱلظُّلفانِ ٱلنَّهديِّينَ ، فتوسَّطَ ٱلشَّيخُ عَبدُ ٱلرَّحمٰنِ ٱلأَخضرُ للإِصلاحِ ، فلَم يَقْبَلْ لَهُ ٱلسُّلطانُ كلاماً ؛ لأَنَّ ذنبَ ٱلظُّلفانِ إِليهِ كبيرٌ ؛ إِذْ كانوا هُمُ ٱلَّذينَ قاموا علىٰ قتلِ أَبيهِ في بَور سَنةَ (٩٠٥هـ) ، ولَم تَطُلْ بعدَها مدَّةُ ٱلسُّلطانِ[٢] ، فعدَّها هواةُ ٱلكراماتِ مِنْ جملةِ ما كانَ مِنها للشَّيخِ ٱلأَخضرِ ، أَمَّا ٱلشيخ ٱلأَخضرُ . . فقد أَظهرَ ٱلمساءَةَ لمَّا ٱنتهىٰ إِليهِ موتُ ٱلسُّلطان وَقالَ يرثيهِ :

رَحْمَةَ ٱللهْ عَلَىٰ مَنْ مَاتْ فِي حِصِنْ سَمْعُونْ   رَحْمَةً وَاسِعَهْ فَٱلْعَفُو مَرْجُو ومَسْهُونْ[٣]

وسَمْعونُ هيَ : ٱلشِّحْرُ كما سَبَقَ فيها . وما أَدري ، أَرثاهُ عن صحيحِ محبَّةٍ ، أَم أَرادَ أَنْ يُبرِىءَ ٱلموقفَ عنِ ٱلشَّماتةِ ليحفظَ خطَّ ٱلرَّجعةِ معَ أُسرتِهِ ؟

وفي سَنةِ (٧٩٥هـ) بُنِيَ جامعُ هينن جميعُهُ[٤] ، ولاشكَّ أَنَّ هٰذهِ ٱلعمارةَ كانت تجديداً ، وإِلاَّ . . فهيَ ذاتُ جُمُعةٍ مِنْ قديمِ ٱلزَّمانِ[٥] .

وفي « سفينةِ ٱلبضائعِ » للحبيبِ عليِّ بنِ حسنِ ٱلعطَّاسِ ما يفيدُ أَنَّ آلَ طاهرِ بنِ راجحٍ خَلَفوا آلَ كثيرٍ علىٰ هَيْنن ، وأَنَّ يافعاً طردتهُم مِنْ مَصْنَعتِها لتسعٍ خَلَتْ مِنْ ربيع

---

(١) كان ذلك في سنه (٩٠٧هـ) ، كما في « شنبل » (ص٢٢٠) ، و« العدة » (١/١٥٧) ،

(٢) مات سنة (٩١٠هـ) ، كما في « شنبل » ، و« بافقيه » ، و« العدة » ، وغيرها .

(٣) والحصن المُومَأُ إليه . . هو حصن ابن عيّاش المعروف في الشحر ، وقد دفن السلطان عبد الله هٰذا في تربة الشيخ سعد الظفاري .

(٤) كذا في بعض نسخ « تاريخ شنبل » ، وفي بعضها : جامع تريم ، كما أشار المحقق لذلك : (ص١٥١) .

(٥) ولها ذكر في حوادث (سنة٦٢٥هـ) .

ثاني سَنةَ (١١٤٣هـ) ، وكانوا جاروا في هينن . . حتَّىٰ لقد نَهبوا بيتَ ٱلشَّيخِ سهلِ بنِ أَبي بكرِ بنِ إِسحاقَ فزالَ ، ولَم يَرجِعْ إِلاَّ بعدَ أَنْ طردتْهُم يافعُ ، وساروا بعدَ جلائِهِم مِنْ هينَنَ إِلىٰ صنعاءَ .

ولا يزالُ بهَيْنَنَ كثيرٌ مِنَ ٱلآثارِ وٱلكتابةِ بِٱلْمُسندِ على ٱلأَحجارِ .

وفيها **حصنُ كِنْدةَ** ٱلقديمُ ٱلَّذي كانَ يسكنُهُ ٱلأَشعثُ بنُ قيسٍ ، وكانَ يخرجُ منهُ أَلفٌ وخمس مئةِ فارسٍ بِشَكَّتِهِم ، ويُطلقُ عليهِ ٱليومَ : **حصنُ فرحة** .

ومِنْ قرى ٱلكَسْرِ : **شَرْيُوفُ**[1] ؛ لآلِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ .

وغَنِيمة آل عَبْري : منهم أحمد بن سالمين بن علي بن عامر . **وجُوَّة ٱلخِنَاقِ** ، وسُكَّانُها : آلُ صائلٍ مِنْ نهدٍ .

وفي جنوبِها : **باحسّانَ** ، سُكَّانُها : آلُ طاهرٍ ، منهُمُ ٱلشَّيخُ ٱلفاضلُ عامرُ بنُ طاهرِ بنِ نُهَيدٍ[2] في ممباسا ٱلآنَ يحبُّ ٱلعلماءَ وٱلمتعلِّمينَ ، ولا يُقَصِّر في إِعانةِ ٱلمنكوبينَ ، وإِكرامِ ٱلواردينَ ، ويساعدُهُ أَخوهُ عبدُ ٱللهِ بنُ نهيدٍ ، وصهرُهُ فرجُ بنُ محمَّدِ بنِ طاهرٍ وهوَ شابٌّ متحرِّكٌ .

ومنهم : رجلٌ يُقالُ لهُ : يسلمُ بنُ عديانَ ، لهُ أخبارٌ هائلةٌ منها : أَنَّ آلَ حُوَيلٍ بَنَوا كوتاً علىٰ مقربةٍ مِن أَموالِ آلِ طاهرٍ ، فلمَّا سُقِيَت مِنَ ٱلسَّيلِ . . أَرادوا حرثَها فمنعَهم آلُ حويلٍ ، وتوسَّطَ بعضُ ٱلمشايخِ آلُ إِسحاقَ ، فلم يقبَلوا لهُ كلاماً ، فلم يكُن مِن يسلمَ إِلاَّ أَن خرجَ في نحرِ ٱلظَّهيرةِ معتمِداً علىٰ معنقةِ بندقيتهِ ، حتَّىٰ وصلَ بابَ ٱلكوتِ ، فنادى ٱلَّذي يُرَتِّبُهُ ـ وٱسمُهُ كريد ـ فلمَّا أَشرفَ مِنَ ٱلنَّافذةِ . . أَطلقَ عليهِ ٱلرَّصاصَ ، فوقعَ ما بينَ عينيهِ ، فسقط يتشحَّطُ ، فكسرَ بابَ ٱلكوتِ وٱستولىٰ عليهِ ، وأَطلقَ ثلاثَ

---

(١) وهي غير (شريوف) الآتية التي في وادي عِدِم قرب تريم .

(٢) كان الشيخ عامر بن نهيد من أهل المروءة والكرم ، وله اتصال قوي ومتين بجناب السيد العلامة المعمر الحبيب عمر بن أحمد بن سميط مفتي جزر القمر ، المتوفىٰ سنة (١٣٩٦هـ) ، وأيضاً بالسيد العلامة الحبيب أحمد مشهورالحداد ، وكان يقيم المجالس الكبيرة الحافلة في عدد من المناسبات ، وكان المصنف قد تعرف به عندما ورد ممباسا إبان تصنيف هـٰذا الكتاب ، وقام به المذكور المقام التام .

طلقاتٍ إلىٰ نحوِ آلِ حويلٍ ، فظنُّوهُ صاحبَهم يريدُ ماءً ، فَسيَّروهُ لهُ معَ ثلاثٍ مِن نسائِهم ، فلمَّا اقتربنَ منهُ . . قالَ لهنَّ : قُلْنَ لأَصحابِكم : تعالَوا لميِّتكم ، وأمَّا الكوتُ . . فقدِ استولىٰ عليهِ عدوُّكم . ولو سَكَتَ . . لتمكَّنَ منهم .

ومنهُم رجلٌ يقالُ لَهُ : القوينص ، أصابَ دماً في آلِ سَعْدونَ . . فلَم يَقدروا على الثَّأرِ منهُ ؛ لأنَّهُ كانَ شجاعاً لا يطاقُ ، فلَم يَكُنْ منهُم إلاَّ أَنْ أَرضَوا بعضَ الخَوَنةِ مِنْ أَصحابِ النُّفوذِ بما شاءَ مِنَ المالِ فأَكْمَنَهم في دارٍ ، ثمَّ استدعاهُ مخفوراً بعَبْدَيهِ ، وبمجرَّدِ دخولهِ الدِّهليزَ . . أطلقوا الرَّصاصَ عليهِ ، فوقعَ ميتاً ، وكانَ ذلكَ في حدودِ سَنةِ (١٣٤٢هـ) .

وفي جنوبِ القارةِ : **القُفْلُ** ، لآلِ مُنيفٍ . ثمَّ : **شِرَاح** ، لَهم . ثمَّ : **لَخْمَاس** ، لَهم أَيضاً ، وقد مرَّتْ هٰذهِ في عَمْدٍ ، لأنَّها كما تُعَدُّ منهُ . . تُعَدُّ مِنَ الكَسْرِ أيضاً .

وفي جنوبِها : **حَوْطَةُ السَّيِّدِ شيخِ بنِ عبدِ اللهِ العيدروسِ** ، وهيَ مفرقُ الطُّرقِ إلىٰ عَمْدٍ ، ودوعنَ ، والكَسْرِ ، ووادي العينِ .

وفي جنوبِها : **بَحْرَانُ**[1] ، لآلِ ثابتٍ ، وهوَ فَلاَةٌ واسعةٌ لا حَجَرَ فيها ولا شَجَرَ . فيها كانَ انهزامُ السُّلطانِ بدرِ بنِ عبدِ اللهِ الكثيريِّ مِنْ جيشِ الصَّفيِّ أحمدَ بنِ الحسنِ ، سَنةَ (١٠٧٠هـ) .

وفيها كانَ انهزامُ السُّلطانِ عمرَ بنِ جعفرٍ الكثيريِّ مِنْ يافع ، آخِرَ سَنةِ (١١١٧هـ)[2] ، ولهٰذا كانَتْ مضربَ المثلِ . فقيلَ : (أَينَ بكَ يا شَارِد بَحْرانَ) .

وفي (الحِجَازِ) مكانٌ على اسمِها ، فيهِ معادنُ ، قالَ ابنُ هشامٍ : (قالَ ابنُ إسحاقَ : ثمَّ غزا حتَّىٰ بلغَ بَحْرانَ ـ معدناً بالحجازِ مِنْ ناحيةِ الفَرْعِ ـ فأَقامَ بها شهرينِ[3] ثمَّ رجعَ إلى المَدِينةِ ، ولَم يَلْقَ كيداً) اهـ[4] .

---

(١) بحران : موضع معروف بالكسر .

(٢) ينظر : « تاريخ الدولة الكثيرية » ، و« العدة المفيدة » .

(٣) وهما شهرَا : ربيع الآخر وجمادى الأولىٰ .

(٤) سيرة ابن هشام (٣/ ٣١٣) .

ونَقَلَهُ ياقوتُ في « معجمهِ » [١/٣٤١] وزادَ عليهِ ، ولهـٰذا ٱلمَعْدِنِ ذِكرٌ في « مجموعِ ٱلنَّوويِّ » و« أَصْلِهِ » .

وفي جنوبِ بَحْران إِلىٰ شَرْقٍ : دارُ ٱبنِ صِرَيْمَان ، مِنْ آلِ ثَابتٍ ، فوقَ ٱلمضْلَعةِ ٱلَّتي مِنْ وادي دَوْعَن إِلى ٱلكَسْرِ .

قُعُوضَه

هيَ في جنوبيِّ هينَن في حضنِ ٱلجبلِ ، وهيَ سوقٌ عظيمٌ ، تَرِدُها ٱلقوافلُ مِنْ صنعاءَ ، وٱلجوف ، وبيحانَ ، ومَرْخةَ ، ونصَاب ، ونجران ، وغيرِها .

وفيها آلُ عجّاجٍ[١] ، ورئيسهُمُ : ٱلشَّيخُ أمباركُ بنُ محمَّدٍ ، شيخٌ مجرَّبٌ خبيرٌ ، ثابتُ ٱلعقيدةِ في ٱلدِّينِ ، حلب ٱلدَّهر أَشْطُرَهُ[٢] ، لَهُ شهامةٌ ومروءَةٌ ، وشمائِلُ عربيَّةٌ ، ومحافظةٌ على ٱلشَّعائرِ ٱلدِّينيَّةِ .

وأَمَّا نَسبُهُم : فقد قالَ ٱلملكُ ٱلأَشرفُ عمرُ بنُ يوسفَ بنِ عمرَ بنِ عليٍّ بنِ رسولٍ ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (٦٩٦هـ) في كتابه « طرفةِ ٱلأَصحابِ في معرفةِ ٱلأَنسابِ » ـ وهوَ ٱلَّذي سمَّاهُ صاحبُ « ٱلتَّاجِ » في خُطبتِهِ [ص٩] : « تحفةَ ٱلأَحبابِ » ، أَو هُما كتابانِ ، أَحدُهُما مختصَرٌ مِنَ ٱلآخَرِ ـ : (مشايخُ حَضْرَمَوْتَ يرجعونَ إِلىٰ بَطنينِ ، هُما : نهد ومَذْحِجٌ)[٣] .

ثمَّ قسَّم نَهْداً بٱلإِطلاقِ ٱلأَوَّلِ إِلىٰ عدَّةِ قبائِلَ ، ولـٰكنْ لَم يبقَ ٱسمُ نهدٍ في ٱلأَخيرِ إِلاَّ خاصّاً بقبائِلِ ٱلكَسرِ .

---

(١) آل عجّاج : قبيلة من نهد إحدىٰ أكبر قبائل المنطقة ، اشتهروا بتولي القضاء القبلي بالمنطقة ، ويعملون على الإصلاح والوساطة بين العشائر ، ولذا يلقبون : (الحُكْمان) جمع(حَكَم) . ومن سكان قعوضة غير آل عجّاج : آل بامطرف ، وآل بن سنكر وغيرهم .

(٢) حلب الدّهر أشطره : مستعار من حلب أَشطر النَّاقة ، وذلك إذا حلب خلفين من أخلافها ، ثمَّ يحلبها الثَّانية خلفين أيضاً . والمعنىٰ : أنَّه اختبر الدَّهر ، شطري خيره وشرِّه ، فعرف ما فيه . يضرب : فيمن جرَّب الدَّهر .

(٣) « الطرفة » (١٣٥ ـ ١٣٦) .

وفي « ٱلتَّاجِ » و« أَصلِهِ » : (إِطلاقُ نهدٍ علىٰ قبيلةٍ مِنْ قضاعةَ ، وعلىٰ أُخرىٰ مِنْ هَمْدان) .

وقدِ ٱستقرَبنا أَنْ تكونَ هـٰذهِ هيَ مِنْ نهدِ قُضَاعةَ ؛ لاتِّصالها بوادي عَمْدٍ وهوَ وادي قضاعةَ ، ولولا أَنَّ ٱلملكَ ٱلأَشرفَ جَعَلَ نَهْدَ حَضْرَمَوْتَ مِنْ قبيلةٍ واحدةٍ . . لَقُلنا : إِنَّ نهدَ ٱلكَسرِ مِنْ قضاعةَ ، ونهدَ هَمْدان مِنْ هَمْدان ، وهـٰذا هو ٱلأَقربُ ، كما يُعرفُ ممَّا يأْتي في ٱلقارة وشبام .

وللأَشْرفِ أَغلاطٌ كثيرةٌ لم نتعقَّبها ، ومِنها هنا : إِغفالُهُ لِكندةَ وحَضْرَمَوْتَ وغيرِهما مِنَ ٱلقبائِلِ ٱلَّتي لا تزالُ بلادُ حَضْرَمَوْتَ مَلأَىٰ بأَعقابِهم ، وفيهمُ ٱلمشايخُ ٱلبارزونَ .

ومرجعُ نهدِ ٱلكَسْرِ إِلىٰ عمرَ بنِ عامرِ بنِ شمَّاخِ بنِ عبدِ ٱللهِ بن عمرَ ٱلرَّوضاني ٱلنَّهدي ، وإِلىٰ عامرِ بنِ فضالةَ بن شماخِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عُمَر ٱلرَّوضانيِّ ٱلنَّهديِّ ، وهوَ ٱلمُرادُ مِنَ ٱلمَثَلِ ٱلحضرميِّ ٱلسَّائِرِ : (ما كأَنَّ عامر تسوّق) ، وذلكَ أَنَّ ٱلجهمةَ قتلتْهُ سنةَ (٨٨٢هـ) وهوَ خارجٌ مِنَ ٱلسُّوقِ ، وقبرُهُ في شرقيِّ ٱلجامعِ ٱلقديمِ بحشم هينَن .

ورَوْضَانُ يجمعُ آلَ ثابتٍ ، وآلَ عَجَّاجٍ ، وآلَ مقيزحٍ ، وآلَ نفير ، وآلَ عبدِ ٱللهِ ، وآلَ بدرٍ .

وبقيَّةُ نهدٍ ينقسمونَ إِلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ : ٱلمقاريمُ ، وٱلظِّلفانُ ، وبنو يزيدِ مجلِّفٍ .

وقد مرَّ ذِكرُ سدبه وحوره وأَعمالِهما ، وكلُّها مِنَ ٱلكَسرِ ، وإِنَّما ذكرناهُما هنا لاتِّصالِهما بوادي ٱلعينِ وشُربِهما مِنْ مياههِ .

وسيأْتي في ٱلقارةِ عن نهدٍ ما لهُ ٱتِّصالٌ بما هُنا ، وقالَ باحلوانَ في « رشيدةِ ٱلإِخوانِ » : (بنو نهدِ بنِ زيدِ بنِ ربيعةَ بنِ مرادِ بنِ أَسلمَ بنِ ٱلحافِ بنِ قُضَاعةَ . . هاجروا مِنَ ٱليمنِ إِلىٰ حضرموتَ ، وسكنوا ٱلعروضَ ، ووالي حضرموتَ لذلكَ ٱلعهدِ : عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ راشدٍ ٱلحميريُّ ، وكانت بلادُهم مِنَ ٱلعجلانيَّةِ إِلى ٱلعروض، ومن لَخْمَاس إِلىٰ أَعلىٰ سدبةَ ، وكانت فيها حدائقُ وزروعٌ ونخلٌ وعنبٌ وسدرٌ .

وكانت ولايةُ حضرموتَ ٱلوسطىٰ ـ شِبَام وتَرِيم وما بينهما ـ لآلِ راشدٍ ٱلحميريِّينَ ،

ولمَّا ضعفَ سلطانُها . . ٱستنجدَ ٱلأهالي بنهدٍ ، وطردت بني راشدٍ ، وظَلَّتْ نهدٌ تحكمُ حضرموتَ إِلىٰ تريمَ .

ثمَّ جاءت سيولٌ هائلةٌ أضرَّت بٱلدِّيارِ وٱلأشجارِ ، وتَلِفَ ٱلكثيرُ مِنَ ٱلنَّاسِ في ٱلعروضِ ، فٱضطرَّت نهدٌ إِلىٰ مغادرةِ تريم وشبام وٱلعودةِ إِلىٰ بلادِها ، وتركوا أَمْرَ حضرموتَ ٱلوسطى لعليِّ بنِ عمرَ بنِ مسعودٍ ، فٱغتنَمتِ ٱلفرصةَ بنو راشدٍ ، وكانَ ٱبنُ مسعودٍ لا يقدرُ علىٰ مقاومةِ بني سعدٍ وبني راشدٍ ، فسلَّم شبام لبني سعدٍ وتوجَّهَ بعسكرِهِ إلى ٱلهجرين ، وتخلَّت نهدٌ عن تريم وشبام ـ ذاتِ ٱلثَّروةِ ـ وقنعت بقعوضةَ وما إليها) اهـ بنوعٍ مِنَ ٱختصارٍ ، وفي « ٱلأَصلِ » تفاصيلُ ما جرىٰ بينَ ٱلقبائِلِ ٱلمذكورةِ وٱلغزِّ وغيرِهم .

ٱلظَّاهره

هيَ في شرقيِّ قُعُوضه إِلىٰ جهةِ ٱلجنوبِ ، وفيها يقولُ ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ ٱلمِحْضارُ لمَّا زارَها في أيَّامِ ٱلحربِ للإِصلاحِ بينَ نهدٍ فلَم يَنجحْ :

يَـا ٱلظَّـاهِـرَهْ جِينَـاشْ لِلْمِقْـدَارْ ... وَٱلْبُعْـدْ قَـرَّبْنَـا مُيُـوحَـهْ[1]
وَٱلْقَبْـوَلَـهْ مَـا طَعْمَهَـا ٱلاَّ قَـارْ ... مَـاشِـي مْصَلَّـخْ مِـنْ جُبُـوحَـهْ[2]

وقد ذكرتُ في « ٱلنَّجْمِ ٱلمضي لِنَقْدِ عبقريَّةِ ٱلرَّضي » أَنَّ هـٰذا مِثْلُ قولِ حبيبٍ [أبي تمَّام في « ديوانه » ٢/ ٢١ مِنَ ٱلكامل] :

وَٱلْحَمْـدُ شَهْـدٌ لاَ تَـرَىٰ مُشْتَـارَهُ ... يَجْنِيـهِ إِلاَّ مِـنْ نَقِيـعِ ٱلْحَنْظَـلِ[3]

معَ يقيني أَنَّ ٱلعمَّ حسيناً لَم يَطَّلِعْ علىٰ بيتِ حبيبٍ قطُّ ، وإِنَّما هوَ دليلٌ لما أُقرِّرهُ مِنَ

---

(١) ٱلمُيُوح وٱلمَيْح (عاميّة) معناها : ٱلجهة وقطع ٱلمسافة ، وٱلمعنىٰ ظاهر .
(٢) ٱلجُبُوح ـ جمع جِبح ـ وهو : وعاء قُرْصِ ٱلعَسَل .
(٣) ٱلشهد : ٱلعسل . ٱلمشتار : ٱلَّذي يجني ٱلعسل .

فُحولَةِ ٱلشِّعرِ ٱلحضرميِّ ٱلعاميِّ ، وقوَّةِ مَتْنه وشدَّةِ أَسرِه[1] .

ولقد كانتِ ٱلقبائِلُ تضربُ آباطَ ٱلإبلِ مِنْ نواحي حَضْرَمَوْتَ المترامية إِلىٰ حُكَّامِ نهدٍ في قعوضة وٱلظَّاهره وٱلقارةِ ، ولا يدخلُ مَنْ كانَ كبيراً منهُم في نفسِهِ إلاَّ في حَفْلٍ وزفافٍ ، فتقابلُهُ نهدٌ بمثلِهِ للتَّرحيبِ ، ويتبادلونَ ٱلأشعارَ ٱلطَّبيعيَّةَ ، ويشرحونَ فيها ما يختلجُ بصدورِهم وما يهْجُسُ علىٰ خواطِرِهم بينَ طَلَقاتِ البنادقِ ٱلدَّاويةِ ، فمِنْ ذلكَ :

أَنَّ جماعةً مِنْ يافعٍ تَرافعوا إِلى ٱبنِ عَجّاجٍ في مهمَّةٍ كبرىٰ ، فقالَ شاعرهُم :

مَـا شِـي بقَـشْ مَـا شِـي بقَـشْ ... مِـنْ لِـي يِهِـزُّونَ ٱلنِّمَـشْ[2]

يَـافِـعْ كَمَـا نَـابِ ٱلْحَنَـشْ ... مَقْبُـوصُهُـمْ مَـا لُـهْ طَبِيـبْ[3]

فلَم يَبْلَعِ ٱلنَّهديُّ ريقَهُ حتَّىٰ قالَ :

مَـا فِـي قُعُـوضَـهْ شِـي وَخَـشْ ... أَوْعَـالْ فِـي رُوسِ ٱلْحَمَـشْ[4]

لَـوْ تِغْـدِي الأعْظَـامْ طَـشْ ... قَـوِّس عَلَـى ٱلْحُكْـمِ ٱلصَّلِيـبْ[5]

وربَّما نظمَ ٱلمدَّعي دعواهُ في تلكَ ٱلأَراجيزِ فيُجيبُ خصمُهُ علىٰ غِرارِ قولِهِ ، وأَتيا علىٰ أَطراف الجَرحِ وٱلتَّزكيةِ في أَشعارِهم . ثمَّ يَصبُّ حُكمُ ٱلحاكمِ ٱلنَّهديِّ في قَالَبِ ٱلبحرِ وٱلقافيةِ ، فلا ينتهونَ إِلىٰ دارِ ٱلحاكمِ حيثُ تُمدُّ ٱلأَنطاعُ وتُبسَطُ ٱلموائِدُ . . إلاَّ

---

(١) للسيد الأستاذ محمد بن هاشم ثلاث مقالات عن الشعر العامي الحضرمي نشرت في مجلة« الإخاء » لسان حال جمعية الأخوة والمعاونة بتريم في الأعداد الأولىٰ لعام (١٣٤٧هـ) ، وهي في « مجموع مقالات ابن هاشم » .

(٢) البقش : الفلوس = الدراهم = النقود = العَدِّي .

(٣) المقبوص : الملسوع .

(٤) وخَش : لعله يعني الظلم أو التعدي . وروس الحمش : أعالي الجبال .

(٥) تِغْدي : تصبح . قوّس : تمسك ؛ أي : حكمنا نافذ ولو أصبحت عظامنا مهشمة ، فتمسك به فهو الحكم الصائب .

وقد ٱنفصلَتِ ٱلقضيَّةُ بٱلقضاءِ ٱلمبْرَمِ ، ٱلَّذي لا ينْفُذُ إليهِ ٱستئْنافٌ ، ولا يَرقىٰ إليهِ طعنٌ ، ولا تعلَقُ بذيلهِ غميصةٌ[1] .

تلكَ هيَ حالُ نَهْدٍ فيما غبَرَ ، أمَّا ٱلآنَ . . فلا أَدري ما ٱلخَبرُ ! ! أَفليسَ أُولئِكَ علىٰ هـٰذا ٱلصَّنيعِ ٱلبديعِ أَحقُّ بقولِ ٱلبحتريِّ [في « ديوانه » ٢/ ٣١٢ مِنَ ٱلكاملِ] :

وَإِذَا خِطَابُ ٱلْقَوْمِ فِي ٱلْخَطْبِ ٱعْتَلَىٰ ... فَصَـلَ ٱلْقَضِيَّـةَ فِـي ثَـلاَثَـةِ أَحْـرُفِ

وقد ذَكَرْنَا في « ٱلعود ٱلهِنديِّ » بعضَ حديثِ هُدْبَةَ بنِ ٱلخشرمِ ، وأَنَّه لمَّا حُمِلَ إلىٰ معاويةَ . . قالَ لهُ : قُلْ يا هُدْبة . . قالَ : أَكلاماً أَم شعراً تريدُ؟ قالَ معاويةُ : بل شعراً ، فٱرتجل هدبةُ قصيدةً يقولُ منها :

رُمِينَـا فَـرَامَيْنَـا فَصَـادَفَ رَمْيُنَـا ... مَنَـايَا رِجَـالٍ فِـي كِتَـابٍ وَفِـي قَـدَرْ

فقالَ لهُ معاويةُ : أَراكَ أَقررتَ يا هدبةُ . . . إلىٰ آخرِ ٱلقصَّةِ ٱلمناسبةِ لِمَا نحنُ فيهِ ، بما جاءت به من وصفِ ٱلأَمرِ في ٱلشِّعرِ .

وقد ٱختصمَ حيَّانِ مِنَ ٱلعربِ في ماءٍ من مياهِهم إلىٰ والي ٱلمدينةِ من قِبل يزيدَ بنِ عبدِ ٱلملكِ ـ وهوَ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ ٱلضَّحَّاكِ ٱلفهريُّ ـ وكانَ مصاهراً لأَحدِ ٱلحَيَّينِ ، فبركَ بينَ يديهِ شيخٌ مِنَ ٱلحَيِّ ٱلآخرِ وهو سنانُ بنُ ٱلفحلِ ٱلطَّائيُّ فقالَ [من الوافر] :

إِلَـى ٱلـرَّحْمَـٰنِ ثُـمَّ إِلَـىٰ أَمِيـرِي ... تَعَسَّفْـتُ ٱلْمَفَـاوِزَ وَٱشْتَكَيْـتُ
رِجَـالاً طَـالَبُـونِـي ثُـمَّ لَجُّـوا ... وَلَـوْ أَنِّـي ظَلَمْتُهُـمُ ٱنْتَهَيْـتُ
رَجَـوْا فِـي صِهْـرِهِـمْ أَنْ يَغْلِبُـونِـي ... وَبِـٱلـرَّحْمَـٰنِ صِـدْقٌ مَـا ٱدَّعَيْـتُ
وَقَـالُـوا قَـدْ جُنِنْـتَ فَقُلْـتُ كَـلاَّ ... وَرَبِّـي مَـا جُنِنْـتُ وَلاَ ٱنْتَشَيْـتُ
وَلَـٰكِنِّـي ظُلِمْـتُ فَكِـدْتُ أَبْكِـي ... مِـنَ ٱلظُّلْـمِ ٱلْمُبَيَّـنِ أَوْ بَكَيْـتُ
فَـإِنَّ ٱلْمَـاءَ مَـاءُ أَبِـي وَجَـدِّي ... وَبِئْـرِي ذُو حَفَـرْتُ وَذُو طَـوَيْـتُ

وقد خرجَ بخضوعهِ عَن عادةِ ٱلعربِ مِنَ ٱلتَّمدُّحِ بٱلقَسْوةِ وٱلجلادةِ ، وهِيَ تُعَيِّر

(١) الغميصة : الاستحقار والنَّقص .

ٱلرِّجالَ بمثلِ ذلكَ ، أَمَّا ٱلنِّساءُ . . فَلا ، ولهٰذا ٱستحسنوا مِن فاطمةَ بنتِ ٱلأَحجمِ أَن قالت بعدَما لانَ جانبُها ، وغابَ ناصرُها :

قَـدْ كُنْـتَ لِـي جَبَـلاً أَلُـوذُ بِظِلِّـهِ ... فَتَـرَكْتَنِـي أَمْشِـي بِـأَجْـرَدَ ضَـاحِـي

قَـدْ كُنْـتُ ذَاتَ حَمِيَّـةٍ مَـا عِشْـتَ لِـي ... أَمْشِـي ٱلْبَـرَاحَ وَكُنْـتَ أَنْـتَ جَنَـاحِـي

فَـٱلْيَـوْمَ أَخْضَـعُ لِلـذَّلِيـلِ وَأَتَّقِـي ... مِنْـهُ وَأَدْفَـعُ ظَـالِمِـي بِـٱلـرَّاحِ

وبها تمثَّلت سيِّدتُنا فاطمةُ ـ رضوانُ ٱللهِ عليها ـ بعدَ وفاةِ أبيها صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ .

فميل بينَ ما يكونُ مِن أَحكام العصورِ الأُولىٰ ، وما سمعتَ عن نهدٍ ـ وما بٱلعهدِ مِن قِدَمٍ ـ وبينَ ما يكونُ من قضاةِ المحاكمِ اليومَ . . ينكسرْ ذرعكَ ويتبادرْ دمعُكَ ؛ إِذْ يكونُ غُدوُّ ٱلدَّعوىٰ شهراً ورواحُها مثلهُ ، بلا دليلٍ مِنْ فقهٍ ، ولا مبرِّرَ مِنْ شرعٍ ، ولـٰكنَّها ٱلأغراضُ ٱلمُخِلَّةُ ، وٱلجهالةُ ٱلمُضِلَّةُ ، ولا ينكرُ ٱندفاعُ ٱلنَّقضِ عن أَحكامِ نهدٍ لذلكَ ٱلعهدِ معَ عدمِ ٱلرَّوِيَّةِ ؛ لأَنَّ ٱلحقَّ مثلُ ٱلصِّدقِ أَبلجُ ؛ وٱلصَّادقُ لا يحتاجُ إِلىٰ تفكُّرٍ ولا إِلىٰ تذكُّرٍ ، وكذلكَ ٱلعادلُ لا يطيفُ بحُكمِهِ إِلاَّ ٱلتَّمحُّلُ ٱلَّذي لا يَنفُقُ عندَ أَهلِ ٱلإِنصافِ ، ولقد كانتِ ٱلأَحكامُ مثلَما قالَ ٱلأَعشىٰ [في « ديوانه » ٢٩١ مِنَ ٱلطَّويل] :

تَعَـالَـوْا فَـإِنَّ ٱلْحُكْـمَ عِنْـدَ ذَوِي ٱلنُّهَـىٰ ... مِـنَ ٱلنَّـاسِ كَـٱلْبَلْقَـاءِ بَـادٍ حُجُـولُهَـا[1]

ولقد شهدتُ ٱجتماعَ ٱلحُمُومِ بٱلشِّحْرِ في سَنةِ (١٣٣٣هـ) متنازعينَ في كثيرٍ مِنَ ٱلقضايا ٱلمهمَّةِ ٱلَّتي حارَ فيها ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ ، فقالَ لَهُ حَبْرَيْشُ : رُدَّها إِليَّ وأَنا أَحكمُ فيها علىٰ شَرْطينِ :

أَحدُهما : أَنْ تَجعلَ ليْ أَلفَ ريالٍ .

والثَّاني : أَنْ أَضعَ أَنا أَلفَ ريالٍ ، فإِنْ نَقَضَ حكميَ شَرْعٌ أَو عُرْفٌ . . كنْتَ في حِلٍّ مِنْ أَلفي .

فٱمتدَّ عُنقي لذلكَ ٱلبدويِّ ٱلَّذي لَم أَعرفْهُ مِنْ قَبْلُ ، وأَكبرتُ تحدِّيَهُ للشَّرعِ ، وقلتُ

---

(١) البلقاء : الفرس الَّتي في لونها بياض وسواد . الحجل : البياض في قوائم الفرس .

لَهُ : هَبْكَ أَمِنْتَ ٱلنَّقْضَ مِنْ جهةِ ٱلعُرفِ وٱلعادةِ ؛ لإتقانكَ لهما ، فمَنْ لكَ بٱلأَمانِ مِنْ جهةِ ٱلشَّرعِ ، أفتعرفُهُ ؟

فقالَ : لا ، ولـٰكنِّي سأَحكُمُ بٱلعدلِ ، وٱلعدلُ لا يتغيَّرُ ، ولا يُمكنُ نَقْضُهُ بحالٍ .

فأَكْبَرْتُ ما في طَيِّ تلكَ ٱلأَسمالِ ٱلباليةِ[1] وتحتَ تلكَ ٱللِّحيةِ ٱلشَّعثةِ مِنَ ٱلحِكْمةِ ٱلَّتي ٱبتعدتْ عن مجالسِ ٱلقضاةِ ٱليومَ ، وزادني ذلكَ تصديقاً لقولِ الإمامِ علي كرَّمَ ٱللهُ وجهَهُ : (ٱلعِلْمُ نقطةٌ ، وإِنَّما وسَّعتْهُ آراءُ ٱلجهَّالِ) أَو ما هـٰذا معناهُ .

وقد قالَ زهيرٌ في جاهليَّتِهِ [مِنَ ٱلوافرِ] :

فَـإِنَّ ٱلحَـقَّ مَقْطَعُـهُ ثَـلاَثٌ ... يَمِيـنٌ أَوْ نِفَـارٌ أَوْ جَـلاَءُ

فكانَ ٱبنُ ٱلخطَّابِ رضي ٱللهُ عنهُ يتعجَّبُ مِنْ معرفتِهِ بمقاطعِ ٱلحقوقِ مثلَما تعجَّبتُ مِنْ حَبْرِيش .

وروى ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ سهلٍ[2] ـ وكانَ جاراً لقاضي مصرَ بكَّارِ بنِ قتيبةَ[3] ـ أَنَّهُ مرَّ ببيتِ بكَّارٍ أَوَّلَ ٱللَّيلِ وهوَ يتلو هـٰذهِ ٱلآيةَ : ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ قالَ : ثمَّ ٱنتبهتُ مِنْ آخرِ ٱللَّيلِ فسمعتُهُ يُكرِّرُها .

وقد كانَ بكَّارٌ مِنْ أَعدلِ ٱلقضاةِ حُكماً ، وأَشرفِهم موقفاً ، ولمَّا حَبَسَهُ أَحمدُ بنُ طولون . . ٱستردَّ منهُ ما أَعطاهُ ـ وقَدْرُهُ عشرةُ آلافِ دينارٍ ـ فأَلفاها بخَتْمِها ، لَم يَمَسَّها زُهداً وورَعاً .

---

(١) الأَسمال : الثِّياب البالية .

(٢) هو أحمد بن سهل الهروي ، وهـٰذه القصة رواها أبو بكر ابن المقري في « فوائده » قال : سمعت محمد بن بكر الشعراني يقول : سمعت أحمد بن سهل الهروي يقول : . . إلخ .

(٣) هو بكار بن قتيبة ، من ذرية الصحابي أبي بكرة الثقفي ، البكراوي ، ولد سنة (١٨٢هـ) ، وتوفي سنة (٢٧٠هـ) ، حنفيٌّ ، تفقه بهلال بن يحيى وعيسى بن أبان ، وأخذ الحديث عن أبي داود الطيالسي قال أبو عمر الكندي : وسمعت علي بن أحمد بن سلامة يقول : تُعرَف الإجابة عند قبر بكار بن قتيبة .
ترجمته في : « الولاة والقضاة » لأبي عمر الكندي (٤٧٧) ، « رفع الإصر » للحافظ ابن حجر العسقلاني ، و« السير » للذهبي .

وما كانَ حَبْسُهُ ـ وإنْ كانَ لَهُ سببٌ معروفٌ ـ إلاَّ ناشئاً عنِ ٱلحسدِ ؛ بأَمارةِ أَنَّهُ قالَ لَهُ : غَرَّكَ قولُ ٱلنَّاسِ : ما في ٱلدُّنْيَا مِثلُ بكَّارٍ .

وقيلَ للقاضي إسماعيلَ بنِ إسحاقَ ٱلمالكيِّ[1] : أَلا تؤَلِّفُ كتاباً في آدابِ ٱلقضاءِ ؟

فقالَ : وهل للقضاءِ من أَدبٍ غيرِ ٱلعدلِ ؟ اعدلْ ومُدَّ رِجلَيْكَ في مجلسِ ٱلقضاءِ . أَو ما هـٰذا معناهُ . فمثِّلْ بينَ هـٰذا وبينَ ما أَسلفناهُ عنِ ٱلقضاءِ في ٱلمكلأ .

وقالَ سعيدُ بنُ شَريكٍ في خُطبتهِ : (أَيُّها ٱلنَّاسُ ، إنَّ ٱلإسلامَ حائِطٌ منيعٌ ، وبابٌ وثيقٌ ، فحائِطُهُ ٱلحقُّ ، وبابُهُ ٱلعدلُ . ولا يزالُ ٱلإسلامُ منيعاً ما ٱشتدَّ ٱلسُّلطانُ ، وليسَ شدَّتَهُ ٱلقتلُ بٱلسَّيفِ ، وٱلضَّربُ بٱلسَّوطِ ، لـٰكنْ قضاءٌ بٱلحقِّ وأَخذٌ بٱلعدلِ) .

وقولُهُ: (ٱعدلْ ومُدَّ رِجليكَ . . إلخ) شبيهٌ بما يُؤْثَرُ عن بعضِ ملوكِ ٱلهندِ في ٱلموضوعِ .

وفي عهدِ عليٍّ للأَشْتَرِ ما نصُّهُ : ثمَّ ٱختَرْ لِلحُكْمِ بينَ ٱلنَّاسِ أَفضلَ رعيَّتِكَ في نفسِكَ ممَّن لا تضيقُ به ٱلأُمورُ ، ولا تُمحِكُهُ ٱلخُصومُ[2] ، ولا يتمادَى في ٱلزَّلَّةِ ، ولا يُحصَرُ مِنَ ٱلفَيءِ إلى ٱلحقِّ إذا عرَفَهُ ، ولا تُشرِفُ نفسُهُ علىٰ طمعٍ ، ولا يكتفي بأَدنىٰ فَهمٍ دونَ أَقْصَاهُ ، وأَوقَفَهُم في ٱلشُّبهاتِ ، وآخذَهُم بٱلحُجَجِ ، وأَقلَّهم تبرُّماً بمراجعةِ ٱلخصمِ ، وأَصبرَهم علىٰ تَكَشُّفِ ٱلأُمورِ ، وأَصرَمَهم عندَ ٱتِّضاحِ ٱلحُكمِ .

ويُروىٰ أَنَّ معاويةَ كثيراً ما ينشدُ إذا ٱجتمعَ ٱلنَّاسُ قولَ سعيدِ بنِ غريضٍ أَخي ٱلسَّموءَلِ [مِنَ ٱلسَّريع] :

إنَّــا إذَا جَــارَتْ دَوَاعِــي ٱلْهَــوَىٰ ... وَأَنْصَــتَ ٱلسَّــامِــعُ لِلْقَــائِــلِ

وَٱعْتَلَــجَ ٱلْقَــوْمُ بِــأَلْبَــابِهِــمْ ... فِــي ٱلْمَنْطِــقِ ٱلْقَــائِــلِ وَٱلْفَــاصِــلِ

لاَ نَجْعَــلُ ٱلْبَــاطِــلَ حَقّــاً وَلا ... نَلُــطُّ دُونَ ٱلْحَــقِّ بِــٱلْبَــاطِــلِ

---

(١) هو القاضي إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي المالكي ، ولد سنة (٢٠٠هـ) ، وتوفي سنة (٢٨٢هـ) ، وبيت حماد بن زيد هم الذين نشروا مذهب مالك في العراق ، تردد العلم في بيوتهم (٣٠٠) عام ، وكان القاضي إسماعيل هو الباعث للمبرّد على تأليف كتابه « التعازي والمراثي » . ترجمته في « الديباج المذهب » (٩٢) ، « تاريخ بغداد » (٦/ ٢٨٤) .

(٢) **تمحكه الخصوم** : قال ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة » : تجعله ماحكاً ؛ أي : لجوجاً .

وكان عبد الملك يأمر وصيفاً ينشدها علىٰ رأسه عندما يجلس للقضاء .

ثمَّ ٱعلَم أنَّ في كلِّ ربعِ بني سعدٍ ؛ إذ لا يمكنُ لعدلٍ وجودٌ معَ ما مُنِيَتْ بهِ ٱلمحاكمُ مِنَ ٱلرَّيث ٱلَّذي ٱتَّخذَهُ ٱلحكَّامُ وٱلمحامونَ سبيلاً للعَيث .

وسُكَّانُ ٱلظَّاهرةِ : آلُ مُقَيزِح ٱلنَّهديُّونَ . وفي جنوبِها إلى ٱلمشرقِ :

ٱلقارَةُ

هيَ قريةُ آلِ ثابتٍ[1] ، وإلىٰ جانبِها قارةٌ كانَ عليها حِصْنٌ يقالُ لَهُ : حصنُ قَشَاقش .

وآلُ ثابتٍ ليوثٌ خفيَّةٌ ، وكانَ رئيسُهُم ٱلشَّيخَ عبدَ ٱللهِ بنَ ثابتٍ توفِّي سنةَ (١٣٢٨هـ) ، وخلفَهُ ولدُهُ ٱلشَّيخُ صالحُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ ثابتِ بنِ سلطانِ بن عبد الله بن ثابت بن علي بن فارس بن عقيل بن عيسى بن محمد بنِ عامرِ بنِ فضالةَ . أَحدُ فحولِ ٱلرِّجالِ ، وحُكَّامِ ٱلعربِ ، وأُولِي رأيِها ، قتل في ٱلحربِ ٱلَّتي جرَتْ بينَهُم وبينَ آلِ عَجّاجٍ ، في ليلةٍ مظلمةٍ ، فسمعَ فيها أصواتَ عبيدِ آلِ عَجّاجٍ . . فخرجَ عليهِم بنَفْسهِ ، فأَبصروهُ قَبْلَ أنْ يراهُم . . فأطلقوا عليهِ ٱلرَّصاصَ سنةَ (١٣٥١هـ) فجاءَ موضعَ قولِ بشَّارِ بنِ حزنٍ [مِنَ ٱلبسيط] :

إنَّـا لَنُـرْخِـصُ يَـوْمَ ٱلـرَّوْعِ أَنْفُسَنَـا ... وَلَـوْ نُسَـامُ بِهَـا فِـي ٱلأَمْـنِ أَغْلَيْنَـا

قالَ ٱلمبرِّدُ [في « الكامل » ١ / ١٥٠] : هوَ مِنَ ٱلأَجدعِ بنِ مسروقٍ [مِنَ ٱلطَّويل] :

وَأَبْـذُلُ فِـي ٱلْهَيْجَـاءِ وَجْهِـي وَإِنَّنِـي ... لَـهُ فِـي سِـوَى ٱلْهَيْجَـاءِ غَيْـرُ بَـذُولِ

أَو مِن قولِ ٱلقتَّالِ ٱلكلابيِّ [مِنَ ٱلوافر] :

نُعَـــرِّضُ لِلطِّعَـــانِ إِذَا ٱلْتَقَيْنَـــا ... وُجُـــوهـــاً لاَ تُعَـــرَّضُ لِلسِّبَـــابِ

وخَلَفَهُ ولدُهُ عليُّ بنُ صالحٍ ، شابٌّ نشيطٌ ظاهرُ ٱلشَّهامةِ ، جزلُ ٱلرَّأْيِ ، كثيرُ ٱلرَّمادِ .

---

(١) آل ثابت بطن من نهد ، تنسب إليهم هـٰذه القارة وقرية بحران الآتي ذكرها قريباً .

صَوْرَانُ

هيَ في شَرْقيِّ ٱلقَارَةِ وقُعُوضَةْ ، وعلىٰ بعضِ أحجارِهِ كتاباتٌ كثيرةٌ بٱلمسندِ ، ولَها ذِكْرٌ كثيرٌ في ٱلتَّاريخِ .

وقد جاءَ ذِكرُها في شعرِ أَبي تمَّامٍ ، حيثُ يقولُ في هجاءِ عيَّاشِ بنِ لهيعةَ [في « ديوانه » ٢/ ٢٦٣ مِنَ ٱلكامل] :

قُـلْ لِـي : لِمَـنْ أَهْنَـاسُ وَٱلْفَيُّـومُ ؟ ... وٱلْمُـدَّعِـي (صَـوْرَانَ) مَنْـزِلَ جَـدِّهِ

وكانت تظهرُ بها نارٌ يَعبُدُها كثيرٌ مِنَ ٱلحَضْرميِّينَ .

وقالَ ياقوتُ : (صَوْرَانُ قريةٌ لِلحضارمةِ بٱليمَنِ ، بينها وبينَ صنعاءَ ٱثنا عشرَ ميلاً ، خرجت منها نارٌ فثارتِ ٱلحجارةُ وحُرِقَ ٱلشَّجرُ ، حتَّى ٱحترقتِ ٱلجنَّةُ ٱلمذكورة في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ وإليها يُنسَبُ سليمانُ بنُ زيادِ بنِ ربيعةَ بنِ نعيمٍ ٱلحضرميُّ ٱلصَّوْرَانيُّ ، ماتَ سَنةَ (٢١٦هـ) ، وٱبنُهُ أبو يحيىٰ غوثُ بنُ سليمانَ ، وليَ قضاءَ مِصْرَ . وأبو زمعةَ ، عرابيُّ بنُ معاويةَ ، وٱبنُهُ زَمْعةُ روىٰ عن أَبيهِ وغيرِهِ) اهـ[1]

وقد ترجمَ ٱلحافظُ لسليمانَ بنِ زيادٍ في « تهذيبِ ٱلتَّهذيبِ » [١٦٨/٤] ، وأخرجَ لَهُ ٱبنُ ماجَهْ ، وٱلتِّرمذيُّ في « ٱلشَّمائِلِ » ، ووثَّقَهُ يحيىٰ بنُ معينٍ .

وقد أَخطأَ ياقوتُ في قولِهِ : (إنَّ بينَها وبينَ صنعاءَ ٱثنا عشرَ ميلاً) ؛ لأَنَّ ٱلمسافةَ أَكثرُ من ذلك، كما سَبَقَ في شبوةَ ، ولا يُمكنُ تأْويلُها بـ (يوماً) ؛ لأَنَّ ٱلمسافةَ أَقلُّ مِنْ ذلكَ ، إلاَّ أَنَّها تُقاربُ ذلكَ ، بل تزيدُ عليهِ بٱلمراحلِ ٱلقصيرةِ ٱلآنَ ٱلَّتي عليها ٱلعملُ .

وقد تَوَهَّمَ صاحبُ « ٱلتَّاجِ » أَنَّها مصحَّفةٌ عن ضوران ، وكأَنَّهُ لَم يَطَّلعْ علىٰ ما في « ٱلمعجمِ » .

وبعدَ هـٰذا كلِّهِ عرفتُ أَنَّ ياقوتَ وصاحبَ « ٱلتَّاجِ » وكثيراً مِنَ ٱلمفسرينَ خَبطوا في

(١) معجم البلدان (٣/ ٤٣٣)

ضروانَ خبطاً كثيراً ، والَّذي أَصابَ كَبِدَ الحقيقةِ فيهما إِنَّما هوَ ٱبنُ كثيرٍ ؛ إِذْ قالَ في تفسيرِ سورةِ (ن) : (إِنَّ أَهلَ ٱلجنَّتينِ كانوا مِنْ أَهلِ ٱليَمنِ ، قالَ سعيدُ بنُ جبيرٍ رضي الله عنه : كانوا مِنْ قريةٍ يقالُ لَها : ضَرَوان ، علىٰ ستَّةِ أَميالٍ مِنْ صنعاءَ . ثمَّ نقلَ عن مجاهدٍ أَنَّ حَرْثَهُم كانَ عنباً) اهـ[1]

فإِنَّهُ موافِقٌ لقولِ ٱلهمدانيِّ في ٱلجزءِ ٱلثَّامنِ [ص٦٧] مِنَ « ٱلإِكليلِ » : (ومخرجُ ٱلنَّارِ مِنْ آخِرِ ضَرَوان علىٰ ما يقولُ علماءُ ٱليَمنِ . والجنَّةُ ٱقتصَّ ٱللهُ تعالىٰ خبرَها في سورةِ « ن ») اهـ

وموافقٌ لما يحدِّثُ بهِ مَنْ شاهدَ أَنَّها علىٰ ثلاثِ ساعاتٍ ونصفٍ تقريباً مِنْ صنعاءَ .

ومِنْ أَثرِ ٱحتراقِها بالنَّارِ ٱلباقي إِلى ٱليومِ : خِفَّةُ حجارتِها ؛ لِمَا أَخذ مِنْ ثقالها ٱلاحتراقُ حتَّىٰ صارت قريباً مِنَ ٱلحجارةِ ٱلَّتي تُحرَقُ لِلنُّورةِ في خِفَّتِها[2] .

أَمَّا ٱلبغويُّ : فقد قاربَ ولَم يَبْعُد إِلاَّ في قولِهِ : (إِنَّها علىٰ فَرْسَخَينِ مِنْ صنعاءَ) وقولِهِ : (إِنَّ حَرْثَهُم كانَ نخلاً)[3] ، وليست بذاتِ نخلٍ .

وأَمَّا ضُوران : فغيرُ ضَرَوان ، وإِنَّما هوَ كما قالَ ٱلهمدانيُّ في ذلكَ ٱلجزءِ : (جبلُ أَنسَ بنِ ٱلهانِ بنِ مالكِ بنِ ربيعةَ أَخي هَمْدان ، وهوَ جبلٌ منيفٌ فوقَ بَكِيل) اهـ[4]

وأَمَّا ياقوتُ . . فقد خلط صُورانَ ٱلحضرميَّة بضروانَ ٱلصَّنعانيَّةِ .

ونارُ صورانَ علىٰ ما يقول الحضارمة : متكرِّرةٌ تُعبد ، بخلافِ نارِ ضَرَوان ٱلصَّنعانيَّةِ فإِنَّها ظهرت لإِحراق الجنَّتين ، فليعلم ذلك ، والله أعلم بحقيقةِ ٱلحالِ[5] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٠٧) .

(٢) ويقول بعض الباحثين : ما زالت حجارة ضروان بادية للعيان إلى اليوم على أنها بقايا أرض محترقة .

(٣) « تفسير البغوي » (٤/٣٧٩) .

(٤) الإكليل (٨/٥٨) .

(٥) وههنا ينبغي التفريق بين صَوران وضروان . . أما صوران ـ بالصاد المهملة . . فتقدم كلام المصنف عنها آنفاً .

وأما ضُوران ـ بالضاد المعجمة ـ : فجبل مشهور بآنس ، وهو المعروف بالدامغ ، كما سيأتي نقل المصنف ذلك عن الهمداني ، وفي سفحه الشمالي تقع بلدة ضوران التي كانت تحمل اسم الحصين ، =

ومن نيرانِ ٱلعرب : نارُ ٱلحرتينِ ، قالوا : كانت في بلادِ عبسٍ إذا كانَ ٱللّيلُ . . سطعَتْ ناراً ، ومتىٰ جاءَ ٱلنَّهارُ . . ٱرتفعت دخاناً ، وربَّما خرجَ منها عنقٌ فأحَرقَ مَن يمرُّ بها ، فحفرَ لها خالدُ بنُ سنانٍ ودفنَها ، فكانت معجزةً لهُ .

وقالَ ٱبنُ قتيبةَ : كانت نارٌ بأشوافِ ٱليمنِ ، لها سَدَنَةٌ ، إذا تفاقمَ ٱلأَمرُ بينَ ٱلقوم فحلفَ بها . . ٱنقطعَ بينَهم ، وكانَ ٱسمها ٱلهولةُ ، ويقالُ لها أَيضاً : هولةُ .

قالَ ٱلكميتُ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

هُـمُ خَـوَّفُـونَـا بِـٱلْعَمَـىٰ هُـوَّةَ ٱلـرَّدَىٰ ... كَمَـا شَـبَّ نَـارَ ٱلْحَـالِفِـينَ ٱلْمُهَـوِّلُ

وقال أوس بن حجر [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

إِذَا ٱسْتَقْبَلَتْـهُ ٱلشَّمْـسُ صَـدَّ بِـوَجْهِـهِ ... كَمَـا صَـدَّ عَـنْ نَـارِ ٱلْمُهَـوِّلِ حَـالِـفُ

وكانَ ٱلسَّادنُ عندما يأتي ٱلحالفُ . . يضعُ فيها ٱلكبريتَ وٱلملحَ فتتنغَّصُ ، فيقولُ : لقد تهدَّدَتْكَ ، فإن كانَ مريباً . . نكلَ ، وإن كانَ بريئاً . . حلفَ ومثلُهُ عَنِ ٱبنِ قتيبةَ أَيضاً في [٧/ ١٥٢] من « خزانة الأدب » .

ومن قرى ٱلكَسْر : (حَرَّةُ ٱلْعَينِ) لآلِ ٱلبُقْرِيِّ[1] ، أَهلُ شهامةٍ ومروءَةٍ ، لهم ثروةٌ بجاوةَ .

= ثم غلب عليها اسم جبلها . وهي مركز علمي مشهور ، اتخذها الإمام الحسن بن الإمام القاسم بن محمد مقراً لإمارته ، وتوفي بها سنة (١٠٤٨هـ) ، ثم اتخذها عمه الإمام المتوكل إسماعيل بن الإمام القاسم عاصمة ملكه ، وتوفي بها سنة (١٠٨٧هـ) ، والمدينة القديمة هـٰذه كانت قائمة على جبل بركاني ، ثم تعرضت لكثير من الزلازل والهزات الأرضية ، آخرها زلزال سنة (١٩٨٢م) الذي دمّرها بالكامل وجعلها أثراً بعد عين . ثم أقامت الحكومة بلدة أخرى تحمل نفس الاسم في منطقة بكيل بجوار بلدة البستان « المقحفي » (١/ ٩٥٠ـ٩٥١) .

وأما ضَرَوان ـ بضاد معجمة فراء محركتين ـ فهي قرية ووادٍ في بني مكرّم من مديرية هَمْدان صنعاء ، تقع بجوار جبل حنين إلى الشمال الغربي من صنعاء بمسافة (٢٥ كم) ، سميت نسبة إلى ضروان بن الرحبة بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي ، ويعرف واديها بوادي سليمان .

(١) آل البقري فخيذة من نهد ، ومن ديارهم : الحرة المذكورة ، وحوره .

ومِنْ شراجِ ٱلكَسْرِ : **ٱلرَّمْلَةُ**[١] ، للسَّادةِ آلِ ٱلعيدروسِ ، وآلِ جَذْنان ، وآلِ بَايَعْشُوتْ .

ومِنْ قُراهُ : **ٱلمنْبَعِثُ** ، وإليها ٱنتقلَ كثيرٌ ممَّن يسكنُ ٱلمِخَيْنِيق بعد خرابهِ ؛ كآلِ بوعَسْكرٍ ، وآلِ بوعيرانَ ، ومنهُمْ : ٱلشَّابُّ ٱلأديبُ ، عبدُ ٱللَّطيفِ بنُ منصورِ بنِ خميسِ بوعَيْران ، أَحدُ أُمناءِ ٱلقصرِ ٱلسُّلطانيِّ بِٱلمُكَلاَّ منذُ ثلاثٍ وعشرينَ سنةً ، ومِثْلُهُ في صدقِ إخلاصهِ للسُّلطانِ لا بدَّ أَن يكونَ عُرْضةً مرامي أَهلِ ٱلغشِّ ؛ ليَخلو لَهم وجهُهُ .

وفي غربيِّ ٱلعَجْلانيَّةِ إلى ٱلجنوبِ : **آثارُ قريةِ ٱلمِخَينيقِ**[٢] . ٱلباليةِ .

وٱلعَجْلانيَّةُ[٣] لآلِ عمرَ بنِ جعفرٍ ٱلكثيريِّينَ[٤] ، موصوفينَ بشدَّةِ ٱلبُخْلِ ، لا يَقرونَ ضيفاً ، ولا يؤوونَ طارقاً ، وهي بسفحِ ٱلجبلِ ٱلذَّاهبِ إلىٰ جهةِ ٱلجنوبِ ، وقد مَرَّ في قرنِ ٱبنِ عدوانَ من قُرىٰ وادي عمدٍ عنِ ٱلهمدانيِّ أَنَّهُ قالَ : إن عمرَو بنَ مرَّةَ أَوْلَدَ قبائلَ بحضرموتَ ؛ منهم ٱلعجلانُ ، وإليه تُنسبُ ٱلعجلانيَّةُ بحضرموتَ اهـ فلعل هـٰذهِ على ٱسمِهم .

وفي شرقيِّ قُعُوضَةَ وشمالِ ٱلطَّريقِ ٱلمارَّةِ في ٱلكَسْرِ : **حصنُ آلِ كُوَير**[٥] ، ورئيسُهُمُ ٱلآنَ بمقدشوه : محمَّدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ كُوَيرٍ ، وابناهُ ـ سعيدٌ وعليٌّ ـ يبذلونَ

---

(١) وهـٰذه الرملة غير رملة آل العيدروس التي بقرب تريم .

(٢) **المخينيق** : تقع في سفح الجبل للذاهب إلى الجنوب ، في جنوب غرب العجلانية . قال صلاح البكري : (وهي من المدن الأثرية الخاربة) اهـ وقد عادت هـٰذه المنطقة إلى الحياة في هـٰذه الأيام ، وعرفت باسم : بن عيفان ؛ نسبة إلى محطّة ومساكن لرجل من هـٰذه الأسرة التي تسكن العادية قرب القطن ، وانتشرت إلى جانبها أسواق ومواضع للنزلاء من المارة والمسافرين ، وعندها مفرق الطرق للذاهب إلى سيئون والمكلا ، والطريق الذاهب إلى صنعاء عبر الخط الإسفلتي الجديد ، المعروف بطريق صافر .

(٣) ويقال : إن منها الشاعر عبد الله ابن العجلان النهدي ، انظر « تاريخ الشعراء » (١/ ٢٧ـ٣١) .

(٤) المار ذكرهم في عمد وهم من آل عبد الله ، من سلالة بدر بوطويرق .

(٥) وهم بطن من آل كليب من نهد . ذكرهم عاتق بن غيث البلادي في كتابه : « بين مكة وحضرموت » (١٦٦) .

ٱلمعروفَ ، ويُكرمونَ ٱلضُّيوفَ ، ويَحملونَ ٱلكَلَّ ، ويُعينونَ علىٰ نوائِبِ ٱلحقِّ ، ولا يَنصرفُ عنهُمُ ٱلعفاةُ بمقدشوه إلاَّ رافعي عقائِرِ ٱلشُّكرِ وٱلثَّناءِ عليهم .

وعندَهم أَعمالٌ تجاريَّةٌ بمقدشوه ، ولهم مركزٌ في ٱلمُكَلاَّ إلاَّ أَنَّني نصحتُ سعيداً عمَّا يحاوِلُهُ منِ ٱحتكارِ ٱلأَسماكِ إذا كانَ فيهِ إضرارٌ بٱلصَّيَّادينَ ومضايقةٌ لأَهلِ ٱلسَّاحلِ في حضرموتَ ، فقالَ : ليسَ فيهِ إلاَّ خصبُهم ومصلحتُهم ، وٱللهُ أَعلمُ بحقيقةِ ٱلحالِ .

وفي حِصنِهم بحَضْرَمَوْتَ جماعةٌ ، يرأَسُهُم سعيدُ بنُ أَحمدَ بنِ كُوَيرٍ .

ثمَّ : **ٱلوَجِيبُ** ، وفيهِ ٱلشَّراشرةُ مِنْ نهدٍ . ثمَّ : **ٱلخديدُ** ، لآلِ محمَّدِ بنِ عامرٍ ، وهم مِنَ ٱلشَّراشرةِ .

وعلىٰ شمالِ ٱلخديدِ : **جُوةُ آلِ مُهَنَّا** ، مِنْ نَهْدٍ ، رئِيسُهُم : ٱمباركُ بنُ يسلم وعامرُ بنُ سالمٍ .

وفي شرقيِّ ٱلجُوَّةِ ٱلمذكورةِ : **شِعْبُ آلِ نُهَيدٍ** ، ومقدَّمُهُم : ٱمباركُ بنُ أَحمدَ .

ثمَّ : **عُنيبدة**[1] ، لآلِ محمَّدِ بنِ عامرٍ مِنْ نَهْدٍ ، مقدَّمهُم : سعيدُ بنُ عبدِ ٱللهِ مِنَ ٱلشَّراشرةِ .

ثمَّ : **ركيكةُ**[2] ، لِلشَّراشرةِ أَيضاً . ثمَّ : **غُصَيْص** ، لآلِ محمَّدِ بنِ عامرٍ ، وآلِ بني شبيبٍ[3] .

ٱلباطنةُ[4]

هيَ في وسطِ ٱلكَسْرِ ، وكانت للدَّولةِ ٱلمَراهينِ ، فٱشتراها ٱلحبيبُ عبدُ ٱلرَّحمٰنِ ابنُ عبدِ ٱللهِ بلفقيهِ[5] وأَحسنَ حَرْثَها ، وكانَ يتردَّدُ إليها مِنْ تريم ، وخَلَفَهُ ولدُهُ

---

(١) في نسخة : (عنيبذ) بالذال .

(٢) في نسخة : (زكيكة) بالزاي المعجمة .

(٣) آل شبيب من نهد أيضاً .

(٤) الباطنة : هي منطقة زراعية تقع بين العجلانية وقُرْط بني أرض الذين استوطنوا حضرموت ، وأصلهم من البيضاء ، وهي قريبة من القطن ، وتكتنفها أطيان واسعة ، وتكثر فيها أحراج النخيل وحقول الذرة .

(٥) علامة حضرموت وفقيهها ، مولده بتريم سنة (١١٠٥هـ) ، وبها وفاته سنة (١١٦٣هـ) ، كان عالماً=

عيدروسُ[1] قاضي تريم ، ثمَّ أَولادُهُ ، وهم خمسةٌ : أَحمدُ ، وحسينٌ ، وإِبراهيمُ ، وسالمٌ ، وعمرُ .

وخَلَفَهُمُ ٱلحبيبُ محمَّدُ بنُ إِبراهيمَ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريم سَنَةَ (١٣٠٧هـ) ، وهوَ رجلٌ عظيمُ ٱلشَّأْنِ ، وكثيراً ما يذكرُهُ شيخُنا ٱلعلاَّمةُ أَبو بكر بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ شهابٍ ويُثني عليهِ ثناءً جمّاً ، ولَهُ ذِكرٌ في بعضِ قصائِدِهِ ، وقد أَخذَ ليَ ٱلوالدُ عنهُ ٱلإِجازةَ في مؤَلَّفاتِ أَجدادِهِ .

وخَلَفَهُ ولدُهُ ٱلحسنُ بنُ محمَّدٍ[2] ، كانَ رجلاً صالحاً ، أَبيضَ ٱلقلبِ ، مشبوحَ ٱلذِّراعِ ، معمورَ ٱلفِناءِ[3] ، توفِّيَ بِٱلقعدةِ مِنْ سنةِ (١٣٤٥هـ) ، وكانَ لَهُ ولدُهُ ٱلشَّهمُ عليٌّ ، توفِّيَ قَبْلَهُ في رمضانَ مِنْ تلكَ ٱلسَّنةِ ، فأَوصىٰ بنصيبهِ لأَولادهِ ، ومنهُم : قرَّةُ ٱلعينِ ، ٱلولدُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عليٍّ بلفقيه . وما ٱشتدَّ حزني علىٰ أَحدٍ ماتَ بتريم ـ بعدَ مشايخي فيها ـ مِثلَهُ على ٱلسَّيِّدِ ٱلجليلِ عمرَ بنِ عيدروسٍ ، وٱلأَخِ ٱلفاضلِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمَرَ ٱلشَّاطريِّ ، وٱلشَّهمِ ٱلأَريحيِّ الحسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلكافِ ، ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (١٣٤٦هـ) .

فَقَـدْتُهُـمْ مِثْـلَ فَقْـدِ ٱلْعَيْـنِ نَـاظِـرَهَـا   يُبْكـىٰ عَلَيْهَـا بِهَـا يـا طُـولَ ذَاكَ بُكَـا[4]

ثمَّ تجدَّدتِ ٱلأَحزانُ لِفَقْدِ ٱلأَخِ عليِّ بنِ حسنٍ ٱلمذكورِ .

فَقَــدْنَــاهُ فُقْــدَانَ ٱلشَّبَــابِ وَلَيْتَنَــا   فَــدَيْنَــاهُ مِــنْ شُبَّــانِنَــا بِــأُلُــوفِ[5]

= متفنناً ، وله مصنفات عديدة . انظر ترجمته في : « شرح العينية » ، و« بهجة الفؤاد » ، « مناقب آل بلفقيه » .

(١) توفي بتريم سنة (١١٨٨هـ) .

(٢) له مناقب حسنة وسيرة مستحسنة ، ينظر للتوسع : « تاج الأعراس » ، « تحفة المستفيد » ، « شمس الظهيرة » ، وغيرها .

(٣) **الفِناءُ** : ساحة الدَّار ، والتعبير بعمار الفناء : كناية عن الكرم وكثرة الزُّوَّار .

(٤) البيت من البسيط ، وهو للشريف الرضي في « ديوانِهِ »(٢/١٠٦) .

(٥) البيت من الطَّويل .

إلاَّ أنه سلَّىٰ عن مصابه نجابة ولده عبد الرحمـٰن المذكور ، وقيامه بمثل ما قام أبوه .

وَإِنْ يَلْحَقْ أَبَاهُ عُلاً وَمَجْداً　　فَهَـٰذِي ٱلنَّارُ مِنْ تِلْكَ ٱلذُّبَالِ[1]

ومنهُمْ : ٱلأخُ زينُ بنُ حسنِ بنِ محمَّدٍ بلفقيه[2] ، حَسَنُ ٱلمحاضرةِ ، مليحُ ٱلمحاورةِ ، جميلُ ٱلشَّارةِ ، لطيفُ ٱلإشارةِ . وقد وردَ ٱلسَّواحلَ ٱلإفريقيَّةَ سَنَةَ (١٣٦٤هـ) وكانَ لَهُ بها جاهٌ أكبرُ ممَّا يُؤمَّلُ ، وٱنطلقتْ لسانُهُ فيها بٱلوعظِ وٱلتَّذكيرِ ، وكان له هناك جاهٌ كبيرٌ . ويقالُ : إنَّهُ ٱنتفعَ بهِ خلقٌ كثيرٌ .

ومن قرى الكِسر : ٱلعَدَانْ ، وهوَ في شرقيِّ قعوضةَ ، كانَ ٱلسَّكنَ ٱلعامَّ لآلِ عامرٍ ٱلروضانيِّينَ أجمعينَ ، ثمَّ تفرَّقوا في قُرَى ٱلكسرِ ، وٱختطَّ بعضُهمُ ٱلمنازلَ ، ويُحكىٰ أنَّ ٱلشَّيخَ سعداً ٱلسُّوينيَّ أشارَ بفراستِهِ إلىٰ بعضِ أحوالِهِم من قصيدةٍ يقولُ فيها :

بَيْنَ آلْ عَامِرْ كُلَّ يَوْمْ بَلْوَىٰ　　حَوْلَ ٱلْعَدَانِ مِنُّهْ وَعَلْوَىٰ

وقد جاءَ ذِكرُ ٱلعَدَانِ في شعرِ عِمران بنِ حِطَّان ، حيثُ يقولُ [من الوافر] :

نَزَلْنَا فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ　　وَفِي عَكٍّ وَعَامِرِ عَوْبَثَانِ

وَفِي لَخْمٍ وَفِي أُدَدِ بْنِ عَمْرٍو　　وَفِي بَكْرٍ وَحَيِّ ٱبْنِ ٱلْعَدَانِ

وما أدري ، أهو هـٰذا كما يُتوهَّمُ مِنْ ذِكرِ عوبثان ، أم غيرهُ ؟ كُلٌّ محتمِلٌ .

وكانَ عِمرانُ كثيرَ ٱلتَّنقُّلِ في ٱلقبائلِ بعد ما أطْرَدَهُ ٱلحجَّاجُ .

وقال يزيد بن الصعق [مِنَ ٱلوافرِ] :

جَلَبْنَا ٱلْخَيْلَ مِنْ تَثْلِيثَ حَتَّىٰ　　وَرَدْنَ عَلَىٰ أُوارَةَ فَٱلْعِدَانِ

ومنها ٱلعادية : لآلِ عَيْفَان .

---

(١) البيت من الوافر وهو للشريف الرضي في « ديوانه » (٢/ ١٧٧) .

(٢) ولد السيد زين بن حسن بتريم سنة (١٣٠٦هـ) ، وتوفي سنة (١٣٨٤هـ) ، كان عالماً فقيهاً ، أديباً شاعراً جوّالاً ، له مدائح في عدد من شيوخه ، ولا سيما الحبيب عمر بن سميط . ينظر : « رحلة تلبية الصوت » للحبيب عمر بن سميط .

ومنها ٱلسَّلهبي : لابنِ ٱلطُّيير ، عبدِ ٱللهِ بنِ أحمدَ بنِ عبودٍ ، رجلٌ شجاعٌ ، حتَّىٰ لقد خَطَبَ ٱمرأةً فمُنِعَها ، وفي ليلةِ ٱلبناءِ بها على ٱلخطيبِ ٱلآخَرِ . . حضرَ ٱلسَّمَرَ ، وفي أثنائه أثارَ ضجَّةً قَتَلَ في أثنائِها ٱلعريسَ وجماعةً معَهُ كانوا في حوشٍ مغلَقٍ ، ثمَّ تسوَّرَ جدارَهُ وهربَ ولَم يُصِبْهُ كَلْمٌ ، وهوَ حيٌّ يُرزقُ إلى ٱلآنَ .

ثمَّ : **عَرْضُ آلِ حُوَيل**[1] ، ومِن أخبارِ آلِ حويلٍ ٱلأخيرةِ : أنَّ أحدَ آلِ بحرقٍ من سيئونَ ٱدَّعى علىٰ أحدِهم بقطعةِ أرضٍ لوقفهم ، فلم يثبُتْ لهم بحجَّةٍ شرعيَّةٍ ، ولٰكنَّهُ أرضىٰ عاملَ ٱلقعيطيِّ هناكَ فأوقفَهُ عن أخذ شيءٍ منها ، فأشارَ إلى ٱمراتِهِ تأخذُ مِن زرعِها ، فضربَها ٱلنَّائبُ بعصاهُ ، فلم يكن منهُ إلاَّ أن خرجَ ببندقيَّتهِ في إثرِ ٱلنَّائبِ ، فأرداهُ وهربَ ، وهوَ ٱليومَ بجاوة باركَ ٱللهُ فيهِ .

ثمَّ : **فرَيشه** ، لصالحِ بنِ كُليب ، بٱلهفلا . ثمَّ : **فنْدِه** ، لآلِ حُوَيلٍ أيضاً . ثمَّ : **ٱلسُّفوله** ، كذلكَ لآلِ حُوَيلٍ أيضاً . ثمَّ : **ٱلمِتْنِه** ، لآلِ عَبْرِي ومنهم ٱلشَّيخُ عامر بنُ عبدِ ٱللهِ بن عبريِّ بنِ عامرِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عامرٍ .

وكلُّ هـٰذهِ ٱلقرىٰ ـ ٱلمِتْنِه فما قَبْلَها ـ واقعةٌ في غربيِّ ٱلباطنةِ فكانَ مِن حقِّها أن تقدَّمَ عليها في ٱلذِّكرِ .

وادي مَنْوَبْ

لَهُ ذِكرٌ في « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » لابنِ ٱلحائِكِ ٱلهَمْدانيِّ . وهوَ في جنوبِ ٱلباطنةِ ، وأدنىٰ قراهُ إلى ٱلطَّريقِ ٱلَّتي تمرُّ في وسطِ ٱلكَسْرِ : **ٱلمُذْهِر** .

وسُكَّانُهُ : آلُ نُهَيدٍ ، وهُم مِنَ ٱلمقاديمِ . ورئيسُ ٱلمقاديمِ جميعاً لهـٰذا ٱلعهدِ هوَ : ٱلشَّيخُ ٱمباركُ بنُ عامرِ بنِ نهيدٍ .

وفي جنوبِ ٱلمُذْهِرِ : **ظاهرةُ آلِ نُهَيدٍ** .

ثمَّ : **ظاهرةُ آلِ كُليبٍ** . ثمَّ : قريةٌ صغيرةٌ يقالُ لها : **ٱلخرابةُ** ، سُكَّانها أكَرَةٌ . ثمَّ :

---

(١) آل حويل من نهد .

بلادُ مَنوب ، وسُكَّانُها سادةٌ مِنْ آلِ ٱلسَّقَّافِ[1] ، وسُوقةٌ . ثمَّ : **طهَيْفٌ** ، وبهِ روضةٌ لَم يَذكُرْها ياقوتُ .

وقالَ ٱلبكريُّ في « معجم ما ٱستعجمَ » [٣١٧/١] : (**تَفِيش** ـ بفتح أَوَّلِهِ وكسر ثانيهِ ـ : قريةٌ من قُرىٰ حضرموتَ ، وهيَ ومَنْوَبُ ينزلهما بنو مَوْصِلٍ ـ بفتح الميم ـ ٱبن جمَّانَ بنِ غَسَّانَ بنِ جُذَامَ بنِ ٱلصَّدِفِ بنِ مرتعِ بنِ معاويةَ بنِ كِنْدة) اهـ

ولا يعرف الآن موضع بهٰذا الاسم بتلك النواحي وإنَّما هناكَ قريتانِ يُقالُ لكلٍّ منها : **ٱلفشلةَ** ، إحداهما في عرضِ آلِ مخاشنٍ ، وٱلثَّانيةُ في وادي منوبٍ ، شرقيَّ قريةِ منوبَ . فيظَهرُ أَنَّ إحداهما المُرادةُ ، ثمَّ سأَلتُ ٱلخبراءَ مِن أَهلِ ذلكَ ٱلطَّرَفِ فقالوا : ينهرُ إِلىٰ منوبٍ خمسةُ أَوديةٍ ؛ أَحدها ٱلرَّئيسيُّ وهوَ ٱلأَوسطُ : وادي منوبٍ ، وفي غربيِّهِ واديانِ يُقالُ لأَحدهما : ٱلعلبُ ، وٱلثَّاني : عيفر ، وفي شرقيِّه واديان ، يُقالُ لأَحدهما : تريم ، ولعله مُصحَّف عن تفيش ، فيكون هوَ ٱلمقصودَ ، وٱلثاني يُقال له : **ٱلدَّليكُ** .

ومِنْ وراءِ ٱلباطنةِ إِلىٰ شرقٍ : **ضَبْعانُ** .

ثمَّ : **ٱلقُرطُ** ، كلاهُما لبني أَرْضٍ ، يقالُ : إِنَّهُم مِنْ أَصحابِ ٱلرَّصَّاص صاحبِ مَسْوَرةَ[2] ٱلَّذينَ يقالُ لَهم : بَنْيَرْ ، فتَصحَّفَ ٱلاسمُ علىٰ أَهلِ حَضْرَمَوْتَ بعدَ ذلكَ ، فقالوا : بنو أَرْضٍ .

ثمَّ رأَيتُ ٱلشَّيخَ عمر بنَ صالحِ بنِ هرهرةَ سلطانَ يافعٍ ، ٱلَّذي ٱستولىٰ علىٰ حَضْرَمَوْتَ سنةَ (١١١٧هـ) . . يَذكرُ في بعضِ أَخبارِهِ معَ ٱلإِمامِ ما نصُّهُ : (وأَمَّا ٱلسُّلطانُ أَحمدُ بنُ عليٍّ ٱلرَّصَّاص . . فقد كانَ أَرسلَ ولدَهُ ناصرَ بنَ أَحمدَ ومعَهُ بني أَرْضٍ ، بقَدْرِ ستِّ مئةٍ مسلَّحِينَ بٱلبنادقِ) اهـ

---

(١) وبها أيضاً : سادة من آل الحامد ابن الشيخ أبي بكر .

(٢) مسورة : مدينة أثرية خاربة في وادي مرخه من أعمال شبوة ، كانت عاصمة للمملكة الأوسانية ، وهي مركز قبيلة آل الرصّاص ، السابق ذكرهم .

فدلَّ ذلكَ علىٰ أَنَّهُم يُسمَّونَ بني أَرْضٍ مِنْ يوم كانوا ، كما أَنَّ بعضَهُم يُسمِّيهِم : بَنْيَر ، وربَّما كانوا قبيلَتينِ .

ثمَّ : ديارُ بني بكرٍ[١] ، ويسمُّونَها : بابكرٍ ، ومنهُمُ : ٱلمؤرِّخُ ٱلأديبُ ، ٱلشَّيخُ صلاحُ ٱلبكريُّ[٢] ، ومعَ ٱلأسفِ لَم أَطَّلِعْ إلاَّ على ٱلجزءِ ٱلأوَّلِ مِنْ « تاريخهِ » ساعةً مِنْ نهارٍ ، فلَم أعرفْ ماذا لَهُ وماذا عليهِ[٣] ، وبلغني أَنَّهُ ٱلآنَ بٱلمُكَلاَّ ، وما أَظنُّهُ إلاَّ يحرِصُ علىٰ زيارتي، كما أَنِّي بٱلأشواقِ إلىٰ مثلِهِ، وبي شغفٌ لاستطلاعِ أخبـارِ ٱلنَّهضـةِ ٱلحضرميَّةِ ٱلَّتي تألَّفتْ آخراً بمصرَ ؛ فقد وردني مِنْ رئيسِها ٱلشَّيخِ ٱلأديبِ عليِّ بنِ أحمدَ باكثيرٍ كتابٌ بِدَرْجِه منشورٌ عن مقاصدِها ، فإذا هيَ ضخمةٌ جدّاً ، شبيهةٌ بمقاصدِ (ٱلرَّابطةِ ٱلعَلويَّةِ) ، ٱلَّتي عَسُرَ بها ٱلولاد ؛ لأَنَّها ثقيلةٌ ، لا يُرجىٰ مِنَ ٱلمهديِّ ٱلمنتظَرِ إلاَّ بعضُها!!

وقد جاوبتُ هـٰذهِ ٱلنَّهضةَ عن كتابِها لِيْ بما أَكثرُهُ ٱلتَّحذيرُ مِنْ عواقبِ (ٱلرَّابطةِ) ومآلِ (جمعيَّةِ ٱلدِّفاعِ عنِ ٱلعلويِّينَ) ٱلَّتي تألَّفتْ بمصرَ ، وأَمَّلَتْ أَنْ يُرفرفَ لواؤُها علىٰ جميعِ ٱلشُّرفاءِ بشَرْقِ ٱلأرضِ وغربِها ، ولمَّا سألْنا عنها بعضَ مَنْ وصلَ حَضْرَمَوْتَ مِنْ أَعضائِها. قالَ : إنَّها لا تزيدُ عن أَربعةِ نفرٍ ، رابعُهُم رئيسُهُم[٤] ، ثمَّ ٱنقسَموا بعدَ

---

(١) بنو بكر هؤلاء.. هم من يافع كما هو المعروف عنهم ، وقد سكنوا مريمه أولاً زمن بوطويرق ، ثم انتقلوا إلى سَدْبه ، ثم توطنوا في الكسر ، ويقال : إن ديار آل بكر الآتي ذكرها بين الغرفة والحوطة تنسب لهم . والله أعلم .

(٢) الأستاذ صلاح عبد القادر البكري اليافعي الحضرمي ، ولد بأندونيسيا سنة (١٣٣١هـ) (١٩١٢م) ، وكانت وفاته بمكة : سنة (١٤١٣هـ) (١٩٩٣م) .
له مؤلفات « تتمة الأعلام » (١/ ٢٤٦) ، « إتمام الأعلام » (١٣٤) .

(٣) الذي ظهر وبان للكافة بعدُ أن كتاب « تاريخ البكري » ، وبعد السبر والفحص.. تبين بالدليل أن صلاح البكري لم يكن يعتمد منهج الإنصاف في كتاباته التاريخية ، بل إنه قد يتلاعب بتغيير بعض النصوص ليصل إلى مآرب ونوازع نفسية ، بعيداً عن الأمانة العلمية ، ومن أراد المزيد.. فعليه بكتاب « تاريخ حضرموت » للسيد صالح بن علي الحامد ، صفحة (٣١٨ـ ٣٢٢) ، فقد أورد مثالاً لما ذكرنا بالرجوع إلى المصدر الذي نقل عنه البكري وكيف حرّفه وتلاعب به .

(٤) كان رئيسها السيد : عبد الله بن محمد بن حامد السقاف ، صاحب كتاب « تاريخ الشعراء =

ذلكَ ولَم يَبْقَ إلاَّ ٱلرَّئيسُ ومعَهُ واحدٌ فقط ، فذكرتُ بذلكَ : (أَنَّ عبدَ ٱلملكِ بنَ مروانَ سأَلَ ٱلنُّميريَّ عن ركبهِ ٱلَّذي يقولُ فيهِ ، وٱلضَّميرُ فيهِ عائدٌ إلىٰ زينبَ بنتِ يوسفَ أُختِ ٱلحجَّاجِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ ٱلنُّمَيْرِيِّ أَعْرَضَتْ ... وَكُنَّ مِنَ ٱنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ

وقالَ لهُ : ممَّ يتأَلَّفُ ركبُكَ ؟ قالَ : ما هوَ إلاَّ أَنا ودابَّتي)[1] .

وربَّما لَم تَكُنْ دابَّةً كاملةً، وإنَّما كانت ثلاثةَ أرباعِ أَتانٍ، إذ قيلَ: إنَّها تمشي علىٰ ثلاثٍ.

(وأَنَّ ليلىٰ بنت عروةَ بنِ زيدِ ٱلخيلِ قالت لأَبيها : أَرأَيتَ قولَ أَبيكَ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

بَنِي عَامِرٍ هَلْ تَعْرِفُونَ إِذَا غَدَا ... أَبُو مُكْنِفٍ قَدْ شَدَّ عَقْدَ ٱلدَّوَابِرِ

بِجَيْشٍ تَضِلُّ ٱلْبُلْقُ فِي حَجَرَاتِهِ ... تَرَى ٱلأُكْمَ منه مسحباً لِلْحَوَافِرِ[2]

وَجَمْعٍ كَمِثْلِ ٱللَّيْلِ مُرْتَجِسِ ٱلْوَغَىٰ ... كَثِيرٍ تَوَالِيهِ سَرِيعِ ٱلْبَوَادِرِ[3]

فهل حضرتَ هـٰذهِ ٱلواقعةَ ؟ قالَ : نعَمْ . قالَت : كم كانت خيلُكُم ؟ قالَ : ثلاثةٌ لا غيرُ ، ليْ ولعمِّكِ ولجدِّكِ)[4] .

وقالَ ٱلخثعميُّ : قَتلتْ خثعمُ رجلاً مِنْ بني سُليمِ بنِ منصورٍ ، فقالت أُختُهُ ترثيهِ [من الطويل] :

لَعَمْرِي! وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ ... لَنِعْمَ ٱلْفَتَىٰ غَادَرْتُمُ آلَ خَثْعَمَا

وَكَانَ إِذَا مَا أَوْرَدَ ٱلْخَيْلَ بَيْتَهُ ... إِلَىٰ جَنْبِ أَشْرَاجٍ أَنَاخَ فَأَلْجَمَا

فَأَرْسَلَهَا رَهْواً رِعَالاً كَأَنَّهَا ... جَرَادٌ زَهَتْهُ رِيحُ نَجْدٍ فَأَتْهَمَا

= الحضرميين » ، وكان من الأعضاء : السيد علي بن محمد بن يحيى ، والسيد محمد بن أحمد بن سميط ، والسيد علي بن محمد باعبود .

(١) القصَّة بنحوها في « الأغاني » (٦/ ٢٠٥ـ٢٠٦) .

(٢) البُلق : الأفراس الَّتي في لونها بياض وسواد ، والبَلَق للدَّوابِّ ، والبَقع للطُّيور . **حجراته** : نواحيه . **الأُكْمُ**ـ جمع أَكَمة ـ وهي : التَّلَّة .

(٣) **مرتجس** : يحدث صوتاً وجَلَبَة .

(٤) القصة بنحوها في « الأغاني » (١٧/ ٢٥٨) .

فقيلَ لَها : كم كانتْ خيلُ أَخيكِ ؟ فقالت : واْللهِ لا أَعرفُ إلا فرسَهُ!!

فعسىٰ أَنْ لا تكونَ نهضتُهُم مِنْ هـٰذا ٱلقبيلِ ، علىٰ أَنْ لا مناسبةَ بينَ ما يُكَبِّرونَهُ مِنْ مقاصِد تلكَ ٱلجمعيَّاتِ عن غيرِ حقيقةٍ ؛ إِذْ لا غشَّ في هـٰذهِ ، بخلافِ تلكَ ، فٱلتَّنويهُ بشأْنِها لا يكونُ إلاَّ غِشّاً في ٱستجلابِ ٱلمساعَداتِ بظنونٍ ضائعةٍ ، وآمالٍ خائبةٍ ، وهوَ ٱلوِزْرُ ٱلعظيمُ وٱلإِفكُ ٱلمبينُ ، ولقد جاويتُ ٱلنَّهضةَ بشيءٍ مِنْ هـٰذا .

وعندما يزورني ٱلأُستاذُ صلاحُ . . سأُخفيهِ ٱلسُّؤَالَ عنها ، وهل يُمكنُ أَنْ تُعلَّقَ عليها ٱلآمالُ ، أَم قدِ ٱختنقتْ مِثلَ أُختَيْها في ٱلمشيمةِ ؟

وكان بنو بَكْرٍ أُمراءَ مَرْيمه إِلىٰ أَنْ أَجلاهُم عنها ٱلسُّلطانُ ٱلكثيريُّ في سَنةِ (١٢٨٤هـ) ، وٱستولىٰ علىٰ أَموالِهم ، وفيها كثرةٌ ، وقد أَسكنهم ٱلقُعَيْطيُّ في عرضِ مسرورٍ ، وكأَنَّها لَمْ تَرُقْ لهم ، فٱبتَنَوا لهم دياراً في هـٰذا ٱلمكانِ بينَ ٱلخبَّةِ وٱلفرطِ .

وسمعتُ كثيراً مِنَ ٱلثِّقاتِ يقولونَ : إِنَّ بني بكرٍ وبني أَرضٍ ليسوا من يافع ، وإِنَّما هم مِن آلِ ٱلرَّصَّاصِ .

ٱلقَطْنُ[1]

هوَ صِقعٌ لا بأْسَ بهِ ، منهُ ديارُ بني بكرٍ ٱلسَّابقُ ذِكرُها ، وعاصمتُهُ : **ٱلرِّيِّضَةُ**[2] .

وهيَ ٱلمسمَّاةُ : **حَوْطةَ ٱلقُعَيْطِيِّ** ، وكانَ ٱلقُعيطيُّ ٱشترىٰ أَرضاً واسعةً هناكَ مِنَ ٱلسَّادةِ آلِ عبدِ ٱللهِ بنِ عَلَويٍّ ٱلعيْدَروسِ بواسطةِ أَحَدِهم ـ وأَظنُّهُ ٱلسَّيِّدَ علويَّ بنَ حسينٍ ٱلعيدروس ـ فكانَ ٱلثَّمنُ بَخْساً ، ولـٰكنَّ ٱلدِّلالةَ[3] كانت وافرةً جدّاً مِنَ ٱلقعيطيِّ ، فبَنىٰ

---

(١) القطن : في قلب الوادي ، تقع في ملتقى سيول الأودية الرئيسية كوادي عمد والعين ودوعن ، وتمتد من بَرْوَج غرباً إلى العَنِين شرقاً ، على شريط ضيق يقع على ضفاف مجرى الوادي ، وسكانها : نهد ويافع ، وبها كان مستقر السلطان الأمير علي بن صلاح القعيطي .

(٢) وهـٰذه غير الريضة التي بجوار السويري بقرب تريم .

(٣) **الدِّلالة** ـ بكسر الدال ـ أي : النقود التي دفعت للدلال (السمسار) لقاء تلك الصفقة .

حوطتَهُ هٰذهِ في جانبِها ٱلجنوبيِّ إِلىٰ بقايا قريةٍ كانت هناكَ قديمةٍ .

وهيَ طيِّبةُ ٱلهواءِ ، نقيَّةُ ٱلتُّربةِ ، يختلفُ هواؤُها عن شبامٍ بكثيرٍ في ٱلصِّحَّةِ وٱلصَّفاءِ .

ومررتُ فيها أَيَّامُ ٱلأَميرِ صلاحِ بنِ محمَّدٍ ٱلقعيطيِّ[1] ، وكانَ شَهْماً مُحَنَّكاً ، وَقُورَ ٱلرُّكنِ ، غزيرَ ٱلحِلْمِ ، مشاركاً في ٱلعِلْمِ وٱلتَّاريخِ ، مقصوداً ، رَحْبَ ٱلجانبِ ، يُنصفُ ٱلمظلومَ مِن ٱلظَّالمِ ، وكانَ لَهُ شغلٌ بٱلحرثِ ، يَحصلُ منهُ علىٰ إِيرادٍ عظيمٍ يُنفقُهُ بأَسرهِ في نَيْلِ ٱلمكارمِ وقِرى ٱلضِّيفانِ .

وهوَ ٱلَّذي فتل في ٱلغَوَاربِ وٱلذُّرىٰ حتَّىٰ حَمَّلَ ٱبنَ عمِّهِ منصَّرَ بنَ عبدِ ٱللهِ ـ لمَّا بدؤُوا يُنافسونَهُ ويُضايقونَهُ ـ ما حمَّلَهُم مِنَ ٱلحقدِ وٱلمنافسةِ علىٰ عمِّهِم ٱلسُّلطانِ عوضِ بنِ عمرَ ، وأَوقعَهُم في ٱلثَّورةِ ، ولٰكنَّهُ لَم يَجْنِ ثمرةَ سياسَتِهِ إِلاَّ خلوَّ حضرموتَ لهُ مِن وجهِ منصَّرِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلَّذي كانَ يضايقهُ ويتفضَّلُ عليهِ ، وإِلاَّ . . فقد ماتَ وشيكاً في سَنةِ (١٣١٨هـ) ـ كما سَبَقَ في قيدونَ ـ عن ولدينِ .

أَحدُهُما : ٱلأَميرُ محمَّدُ بنُ صلاحٍ ، مرَّتْ أَيَّامُهُ في خدمةِ ٱلجيشِ ٱلآصفيِّ بحيدر آباد ٱلدَّكَن ، إِلىٰ أَنْ ماتَ ، وهوَ رجلٌ مشكورٌ ؛ إِلاَّ أَنَّ للفرزدقِ شاعرِ ٱلهندِ ٱلمجهولِ أَهاجِ لاذعةٌ أَقذعَ لهُ فيها غايةَ ٱلإِقذاعِ .

وٱلثَّاني : عليُّ بنُ صلاحٍ[2] ، رجلٌ نبيهٌ ، تكرَّرتْ ولايتُهُ علىٰ شبامٍ وعَزْلُهُ عنها ؛

---

(١) هو الأمير صلاح بن محمد بن عمر بن عوض القعيطي ، توفي بالقطن سنة (١٣٣٦هـ) كما يقول حفيده عبد العزيز بن علي بن صلاح ، وليس كما ذكر المصنف هنا من أنه توفي سنة (١٣١٨هـ) ؛ لأن ابنه السلطان علي ولد سنة (١٣١٤هـ) وتوفي أبوه وعمره (١٦) سنة تقريباً ينظر كتاب « علي بن صلاح » (٣٦) .

(٢) الأمير ـ أو السلطان مجازاً ـ علي بن صلاح بن محمد بن عمر القعيطي ، ولد بقرية خريخر قرب الهجرين ، عند أخواله آل بن محفوظ الكنديين ، وتوفي بالريضة سنة (١٣٦٨هـ) . كتب عن أخباره السياسية وحوادث عصره ابنه الأصغر الأستاذ عبد العزيز بن علي ، وصدر الكتاب عن دار جامعة عدن في سنة (١٩٩٩م) ، ثم عن دار الساقي لعام (٢٠٠١م) .

لأَنَّ ٱلسَّيِّدَ حسينَ بنَ حامدٍ كانَ منحرفاً عنهُ في باطنِ ٱلأَمرِ ، كلَّما ولاَّهُ مُديدةً . . أبعدَهُ .

وصلُحَ حالُهُ أَوَّلاً معَ ٱلأَميرِ سالمِ بنِ محمَّدٍ ٱلقعيطيِّ نائبِ ٱلسُّلطانِ عمرَ بنِ عوضٍ ، ثمَّ تغيَّرَ ، وفي الأَخيرِ نابَ مُدَيدةً أَقصرَ مِن ظمءِ ٱلحمارِ بالمكلاَّ عنِ ٱلسُّلطانِ صالحِ بن غالبٍ ، ثمَّ أُقيلَ ، وٱشتركَ بعدَها معَ ٱلأَميرِ عُبيدِ صالحِ بنِ عبدات في حركاتِهِ ، ووجدوا عندَهُ كتباً لهُ منهُ تُصرِّحُ بٱلتَّمرُّدِ على ٱلدَّولةِ ٱلقعيطيَّةِ ، وٱلنَّاسُ يَعلمونَ أَنَّ ذلكَ لَم يَكُنْ عن عقدِ ضميرٍ وعزيمةٍ صادقةٍ ، وجِدٍّ في ٱلخلافِ ولٰكنْ ليقضيَ حاجةً في نَفْسهِ مِنَ ٱلأَميرِ عُبَيدٍ صَالحٍ ، فحُوكِمَ ونُفيَ إِلى ٱلمُكَلاَّ ، ولٰكنْ شفعَ لَهُ ٱلمرضُ فسُمِحَ لهُ بٱلرُّجوعِ إِلىٰ مسقطِ رأْسِهِ ، لٰكنْ لا إِلىٰ حصنِهِ ٱلَّذي ٱستولَت عليه حكومتُهُ ، بل إِلىٰ دارٍ آخرَ ؛ لأَنَّهم صادروهُ .

وكلُّ ذلكَ دونَ ما فعلَهُ بمربِّيهِ ٱلشَّيخِ عوضِ بنِ سعيدٍ بافضلٍ ، وقصَّةُ ذلكَ : أَنَّ عليَّ بنَ محمَّدٍ ٱلتُّوَيَّ أَرضَىٰ عليَّ بنَ صلاحٍ ، علىٰ أَن يخطبَ لهُ بنتَ ٱلشَّيخِ عوضٍ ، ولمَّا قالَ لهُ : إِنَّها مخطوبةٌ للسَّيِّدِ عليِّ بنِ حسنٍ بلفقيهِ . . ٱستعرَ غضباً وصادَرَ أَموالَ ٱلشَّيخِ عوضٍ ، صامِتَها وناطِقَها ، وأَمرَ عبيدَهُ بقتلِهِ ، فَكَبُرَ عليهم ، فأَنذروهُ ، فهربَ إِلىٰ سيئونَ ، وولدُهُ ٱلشَّيخُ سالمٌ إِلىٰ عدن ، ولم يرجعوا إِلى القَطنِ أَبداً .

ولأُمِّ عليِّ بنِ صلاحٍ حديثٌ طريفٌ : ذلك أَنَّ أَحَدَ أَقارِبِها مِن آل محفوظٍ خطبَها . . فَرَدُّوهُ ، ثمَّ تزوَّجت آخرَ فما زالَ ٱلأَوَّلُ يترقَّبُ ٱلفُرصَ حتَّىٰ هجمَ عليهِ ـ معَ ٱثنينِ مِن أَصحابِهِ ـ وأَطلقوا عليهِ ٱلرَّصاصَ ، وكانتِ ٱلمرأَةُ خارجَ ٱلدَّارِ . . فأَسرعت إِليهِ ، فلاقاها ٱلقتَلَةُ فقالوا : ٱبكي محمَّد ، فقالَت : سالف ٱلقبوله ، وكانَ معها خنجرٌ فَبَعجَت بهِ بطنَ ٱلأَوَّلِ ثمَّ ٱلثَّاني ثمَّ ٱلثَّالثِ ، ثمَّ خَفَّت إِلىٰ والدِها تخبرُهُ بٱلحالِ .

وهٰذا خبرٌ عظيمٌ لولا أَنَّ ٱلَّذي أَخبرني بهِ ثقةٌ ضابطٌ . . لَما كَتَبْتُهُ ، أَلاَ وهوَ ٱلشَّيخُ سالمُ بنُ عوضٍ بافضلٍ ، وذكَرَ أَنَّ هٰذا هوَ رغَّبَ ٱلأَميرَ صلاحَ بنَ محمَّدٍ فيها ، ولم تكن تصلُحُ إِلاَّ لهُ ، ولم يكن يصلُح إِلاّ لها ، غير أن ابنها لم يكن كما هناك .

وٱسمُ هـٰذهِ ٱلمرأةِ : شيخةٌ ، وقَارِنْ بينَها وبينَ فُطُومِ ٱلآتي خَبَرُها في وادي ٱلذَّهبِ ، وسأَلتُ بعضَ شيوخِ نهدٍ عن هـٰذا ٱلخبرِ فكذَّبَهُ وقالَ : إِنَّما قتلَ قتلةَ زوجِها إخوانُها . وٱللهُ أعلمُ .

وبٱلرَّيْضةِ مِنَ ٱلقَطْنِ جماعةٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ ٱلصَّالحِ أَحمدَ ٱلهدَّارِ بنِ هادي بنِ عليِّ بنِ محسنِ بنِ ٱلحسينِ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ[1] ، وناسٌ مِنْ آلِ باهُرْمُزْ[2] ، وناسٌ مِنْ آلِ بافَضْلٍ ، منهمُ ٱلرَّجلُ ٱلسِّياسيُّ ٱلمُحنَّكُ ٱلَّذي لهُ ٱلضِّلعُ ٱلأَقْوَىٰ في إِقامةِ ٱلدَّولةِ ٱلقعيطيَّةِ : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ سعيدِ بافضلٍ ، وكانَ ٱلسُّلطانُ عوضٌ يَعُدُّهُ أَحدَ أَولادِهِ ، بل يعتمِدُ عليهِ أَكثر منهم ، ولا يسمَعُ فيهِ لأَحدٍ كلاماً ، وهوَ أَهلٌ لذلكَ فحولةً وذكاءً وحُسْنَ رأْيٍ ، وصدقَ فراسةٍ ، إلىٰ حسنِ تواضعٍ ودمائةِ أَخلاقٍ ، فلم تُغَيِّر فخفخةُ ٱلدَّولةِ شيئاً مِن أَخلاقِهِ ، بل بقيَ علىٰ زيِّ أَهلِهِ وأَصحابِهِ وعاداتِهم ، ولهُ أَخبارٌ جزلةٌ كثيرةٌ .

ومنهم : متولِّي أَنكِحَتِها وأَهِلَّتِها ، ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ أَحمدَ بافضلٍ . وجماعةٌ مِنْ آلِ بامَطْرفٍ ٱلكنديِّينَ ، خَلعوا ٱلسِّلاحَ ـ كأَصحابِهمُ ٱلسَّابقِ ذِكرُهُم في غيلِ باوزيرٍ ـ ولَبسوا ثيابَ ٱلصَّلاحِ ، منهُم ٱليومَ : محمَّدُ عُبَيد وإِخوانُهُ ، مذكورونَ بجميلٍ ومعاملةٍ طيِّبةٍ ، حتَّىٰ لقد بقَوا ينفقونَ علىٰ عملائِهِمُ ٱلَّذينَ ٱنقطعتْ صِلاتُهُم مِنْ جاوة معَ تفارطِ ٱلأَيَّامِ وطولِ ٱلمدَّةِ بنصفِ ما كانوا يعتادونَ في أَيَّامِ ٱلسَّعةِ ، وهـٰذهِ حسنةٌ غرَّاءُ محجَّلةٌ ، لاسيَّما إِذا قرنتَها لِما عليهِ آلُ سيئونَ ، فأَنا أَعرفُ أَحدَ ٱلسَّادةِ بها ، لا يكونُ عندَهُ ٱثنانِ إِلاَّ كانَ ٱلثَّالثَ وكيلُهُ ، ٱلَّتي تصلُ دراهمُهُ مِنْ جاوةَ وسنغافورة عن طريقِهِ ، ويخصمُ عليهِ منها خدمةً وافرةً ، وينتفعُ بإِبقائها تحتَ يديهِ ؛ لأَنَّهُ لا يأْخذُ مِنها إِلاَّ للحاجةِ تدريجاً ، ولا يُحاسبُهُ في شيءٍ قطُّ ، بل يَدَعُ حَبْلَهُ علىٰ غاربِهِ ليفعلَ ما يريدُ ، وبمجرَّدِ

---

(١) ما ذكره المصنف من نسبتهم إلى أحمد الهدار بن هادي بن علي مخالفٌ لما في الشجرة العلوية . وهناك جماعة من آل الهدار بعينات ينسبون إلى الحبيب هادي بن علي بن محسن بن حسين .

(٢) تقدم ذكر آل باهرمز في هينن ، ومنهم جماعة سيأتون في شبام ، وهم ينتسبون إلى بني شيبة كما في مشجراتهم .

ما ٱنقطعتِ ٱلأَسبابُ . . تنكَّرَ لَهُ تنكُّراً فاحشاً ، حتَّىٰ لقد كادَ ينقطعُ ٱلسَّلامُ وٱلكلامُ ، فلعنةُ ٱللهِ تَترىٰ على ٱللِّئَام!

وبعضُهم يزعُمُ أَنَّ قَطْناً هوَ هـٰذا ٱلمذكورُ في قولِ ٱمرىءِ ٱلقيسِ [في معلَّقتِهِ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

أَصَاحِ تَـرَىٰ بَـرْقـاً أُريـكَ وَمِيضَـهُ ... كَلَمْـعِ ٱلْيَـدَيْـنِ فِـي حَبِـيٍّ مُكَلَّـلِ

يُضِـيءُ سَنَـاهُ أَوْ مَصَـابِيـحَ رَاهِـبٍ ... أَهَـانَ ٱلسَّلِيـطَ فـي ٱلـذُّبَـالِ ٱلْمُفَتَّـلِ

قَعَـدْتُ وَأَصْحَـابِـيْ لَـهُ بَيْـنَ ضَـارِجٍ ... وَبَيْـنَ ٱلْعُـذَيْـبِ بُعْـدَ مَـا مُتَـأَمَّـلِ

عَلَـىٰ قَطَـنٍ بـِٱلشَّيْـمِ أَيْمَـنُ صَـوْبِـهِ ... وَأَيْسَـرُهُ فَـوْقَ ٱلسِّتَـارِ وَيَـذْبُـلِ

وقولِ سُحيم بنِ وثيلِ ٱلرِّيَاحيِّ [مِن ٱلوافرِ] :

مَتَـىٰ أَحْلُـلْ إِلَـىٰ قَطَـنٍ وَزَيْـدٍ ... وَسَلْمَـىٰ تَكْثُـرُ ٱلأَصْـوَاتُ دُونِـي

وجاء في (ص٥٧ ج٥) من « صبح الأعشىٰ » في ترحيلِ ٱلطَّريقِ مِنَ ٱلبصرةِ إِلىٰ عمانَ[١] أنَّها : (تنتهي إِلىٰ ساحلِ هجرٍ ، ثمَّ إلى ٱلعقيرِ ، ثمَّ إِلى ٱلقطنِ ، ثمَّ إِلى ٱلسبخةِ ، ثمَّ إِلىٰ عمان) اهـ

وقطَنُ هـٰذا ، وفي ٱلشِّعر ٱلماضي بالتَّحريكِ ، وأَمَّا ٱلَّذي نحنُ فيهِ . . فساكِنُ ٱلوَسَطِ .

ومِـنْ قُـرى ٱلقطـنِ وحصـونـهِ : دارُ آلِ رشيـدٍ . ودارُ آلِ ٱلنَّقيـبِ . وسـاحـةُ ٱلحضارمةِ[٢] .

وحصْنُ آلِ ٱلزَّوعِ ، وهُم مِنْ نَهْدٍ ، ولَهم مروءَةٌ ، وهم مثلُ آلِ شبيبٍ ـ أصحابِ غُصَيصِ بنِ يزيدَ المجلِّف ـ من نهدٍ عرما ودُهْر حَسَبَما يُقال . إلاَّ أَنَّ منهُم واحداً يقالُ لَهُ : ناصرُ بنُ عبدِ ٱللهِ ، لوِ ٱمتزجَ لُؤْمُهُ بماءِ ٱلنِّيلِ وٱلفراتِ . . لعادَ مِلْحاً أُجاجاً .

---

(١) في « صبح الأعشىٰ » : (عبَّادان) .

(٢) نسبة إلى آل الحضرمي ، من بيوت يافع .

وساحةُ آلِ عليٍّ الحاجّ[1] .

وساحةُ الجَهَاوِرَةِ ، ومنهمُ الشَّيخُ يحيى بنُ قاسمٍ الجَهْوَرِيُّ اليافعيُّ ، رجلٌ شهمٌ جزلٌ لا يتقنَّعُ مِن سوءَةٍ ، ولهُ شعرٌ جميلٌ[2] . وكانَ يُكثرُ الكونَ في قزةِ آلِ البطاطيِّ ، أَخبرني المنصبُ أحمدُ بنُ حسينٍ العَطَّاسُ قالَ : إنَّ جماعةً مِنَ الصَّيعَرِ سرقوا عِجلاً للعبسِ مِن رعيَّةِ العوابثةِ في وادي العينِ وذبحوهُ وحملوا بهِ إلى عندِ آلِ باربّاع في سدبةَ ، وأخبروهم بالحالِ ، فقالوا لهم : لا ترضون علينا فإنَّنا نخافُ العوابثةَ ، فساروا إلى القزةِ ونزلوا علىٰ يحيى بن قاسمٍ هـٰذا ، وأَخبروهُ فآواهم ، ثمَّ إنَّ العوابثةَ قَدَّموا دَعْوَىٰ عندَ الحاكمِ النَّهديِّ علىٰ أُولئكَ الصَّيعرِ . . فأنكروا ، فقالَ لهمُ النَّهديُّ : شهودَكم؟

فأتَوا بآلِ ربّاعٍ ، فقالَ لهم : ما عندكم؟ قالوا : ما عندنا إلاَّ أنَّنا سمعنا الكلبَ ينبحُ ، ثمَّ جاءَ هؤلاءِ الصَّيعرُ ومعهم شيءٌ يحملونَهُ لا ندري ما هوَ ، فقالَ لهمُ النَّهديُّ : ليست هـٰذهِ بشهادةٍ ، فاستدعوا يحيى بنَ قاسمٍ وأرسلوا لهُ مطيَّةً ، فقالَ : مطيَّتي أَسرعُ ، وعندما وصلَ . . سألَهُ الحاكمُ عمّا عندَهُ بعدَ شرحِ الحالِ ، فقالَ لهُ : أَشهدُ باللهِ أَنَّ هـٰؤلاءِ أَقرُّوا بأَنَّهم سرقوا جحشَ العبسِ الأخضرَ وذبحوهُ ، وأَروني جلدَهُ ورأسَهُ ، وأَعطَوني ربعَهُ معَ الكبدِ ، ورجلي في القيدِ وبندقيَّتي عدالةٌ إن أَنكروا .

فاستجهرَ الصَّيْعَرُ هـٰذا الكلامَ الصَّريحَ ، وهالهم ، فقالوا لهُ : شهادتُكَ مقبولةٌ مِنَ الأَرضِ إلى السَّماءِ ، ودفعوا الثَّمنَ .

ولمَّا عزمَ الجهوريُّ على النُّهوضِ . . قالَ لهُ الحاكمُ : واللهِ لا تخرجُ إلاَّ بعدَ أَن تتغدَّىٰ ؛ فلقد ذبحتُ لكَ كبشاً أَنتَ بهِ في شهامتِكَ جديرٌ ، وقالَ لآلِ باربّاع : اخرجوا مِن داري يا مفخطةَ النَّخلِ ، كتمتوا شهادتكم خوفاً مِنَ الصَّيعرِ .

وأَخبرني بعضُ ثقاتِ يافعٍ : أَنَّ يحيى بنَ قاسمٍ المُكنَّىٰ بولِحِم ـ هـٰذا ـ كانَ في

---

(١) وهم من بيوت يافع العليا .

(٢) تقدم ذكر الشيخ ونموذج من شعره في (قزة آل البطاطي) .

سيئونَ ، ولمَّا زالوا . . سكنَ بنُخْرِ عَمرو ، قبلي شِبَام ، ثمَّ سارَ إِلىٰ هينَنَ وطرَدَ آلَ طاهرِ بن راجحٍ فلجؤوا إِلىٰ مَصْنَعةٍ خرْبَةٍ باكَرْمَانَ في وادي عمدٍ ، وهي مَصْنَعةٌ ، منيعةٌ لا تزالُ معهم إِلى ٱلآن .

ثم إِنَّ آلَ سدبةَ ٱشتكَوا إِليهِ مِن ظلمِ ٱلبكريِّ ، فحاربَهُ ، وٱستولىٰ علىٰ سدبةَ وذهبَ ٱلبَكريُّ إلىٰ عندلٍ ، ولا تزالُ مصنعتُها بأيديهم إلى ٱلآنَ ، ولـٰكنَّهم لا يسكنونَها ولا يأتونَ عَندَلَ إلاَ وقتَ حصادِ زروعِهم ، وثمارُ أَموالِهم بها ، وإِنَّما يسكنونَ بٱلقطنِ ، وقد مَرَّ قُبيلَ ٱلقطنِ أَنَّ آلَ ٱلبكريِّ وبني أَرضٍ ليسوا مِن يافعٍ ، وإِنَّما هم من قبائِلِ ٱلرَّصَّاصِ . اهـ

وقولُهُ : (إِنَّهُ طَرَدَ آلَ طاهرِ بنِ راجحٍ بعدَ جلائِهِ مِن سيئونَ) . . لا يتَّفقُ معَ ما سبقَ قبيلَ قعوضه : أَنَّ آلَ طاهرِ بنِ راجحٍ خَلَفُوا آلَ كثير علىٰ هَينَنَ ، وأَنَّ يافعاً طردَتْهم سنةَ (١١٤٣هـ) ؛ لأَنَّ جلاءَ يافعٍ عن سيئونَ إِنَّما كانَ سنةَ (١٢٦٤هـ) ، وٱلتَّعدُّدُ بعيدٌ ، وكلامُ ٱلحبيبِ عليِّ بنِ حسنٍ هوَ ٱلأَثبتُ ؛ لأَنَّ ما يُتلقَّىٰ مِنَ ٱلأَفواهِ يزيدُ وينقصُ .

ومِنَ ٱلجهاورةِ : جابرُ بنُ قاسمِ بنِ صالحِ ٱلجَهوريُّ ، كانَ مِن رُماةِ ٱلحدقِ ، متفوِّقاً في ٱلرِّمايةِ ، يُضرَبُ بهِ ٱلمثلُ فيها ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَضَعُ ٱلبيضةَ علىٰ رأْسِ عَبدِهِ ثمَّ يُطلِقُ ٱلرَّصاصَ عليها مِن بُعدٍ . . فلا يُخطِىءُ ٱلمكانَ ٱلَّذي يرسُمُهُ مِنها .

وسمعتُ سيِّدي ٱلعلاَّمةَ حسينَ بنَ محمَّدٍ ٱلحبشيَّ يُخبرُ والدي بنظيرِ ذلكَ عَن بعضِ ٱلعلويِّينَ بٱلمدينة ، حتَّىٰ لقد عزمَ أَحَد ٱلأَشرافِ علىٰ تأديبهم لأَمرٍ جرىٰ مِنهم ، فخيَّمَ بعسكرِهِ في ٱلعُريض ، ولمَّا تناولَ فنجانَ ٱلقهوةِ . . قالَ ٱلعلويُّ لأَصحابِهِ : سأَرميهِ ، قالوا : لا تُصيبُ ٱلشَّريفَ فتعرِّضَنا للبلاءِ ، فقالَ لهم : لا تخافوا ، ثمَّ التقطَ ٱلفنجانَ ببندقيَّتِهِ مِن بينِ أَصابعِ ٱلشَّريفِ مِن غيرِ أَن يمسَّها بسوءٍ ، فأَكبرَ ٱلشَّريفُ هـٰذهِ ٱلمروءَةَ وٱلمهارةَ ، فٱنصرفَ بٱلقومِ .

أَمَّا قولُ يحيىٰ : (مسكني حصنُ ٱلدَّوِيلِ) . . فمُحتَمِلٌ لأَنْ يكونَ ٱلمُرادُ حصنَ سيئونَ أَو حصنَ شِبَام ؛ إِذ كلٌّ منهما يُقالُ لهُ : حصنُ ٱلدَّوِيلِ .

ومن قرى القَطْن : **حصْنُ ٱلمَدَاشلةِ** .

وحَوْطةُ ٱلنُّورِ ، للسَّيِّدِ ٱلجليلِ محمَّدِ بنِ سقَّافِ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ[1] ، وهيَ عبارةٌ عن دارٍ ومسجدٍ ، وبساتينَ نخلٍ لَهُ هناكَ ، وقد أَلَّفَ بشأْنِها رسالةً سمَّاها : « جالبُ ٱلسُّرورِ في تاريخِ حوطةِ ٱلنُّورِ » ، وخَلَفَهُ عليها ولدُهُ عبدُ ٱللهِ ، وهوَ رجلٌ شهمٌ غيورٌ ، ولَهُ أَولادٌ مبارَكونَ .

وفي شرقيِّ حوطةِ ٱلنُّورِ بوادي ٱلحبظ دِيَارِ آلِ بَالحامضِ ، لا يزالُ بها منهم ٱليومَ نحوُ ٱلأَربعينَ رجلاً وهم من نهدٍ .

ومن قُرَى ٱلقطنِ **ديارُ آلِ أَحمدَ** ، ومنهُم : صاحبُنا ٱلشَّيخُ صلاحُ أَحمدُ ٱلأَحمديُّ ، رجلٌ كريمٌ ، شريفُ ٱلنَّفسِ ، طويلُ ٱلقامةِ ، جميلُ ٱلصُّورةِ ، فاضلُ ٱلأَخلاقِ ، قويُّ ٱلعارضةِ ، لهُ شِعرٌ جزلٌ بِٱلطَّريقةِ ٱلدَّارجةِ حتَّىٰ إنَّ بعضَهم ليتَّهمُ ـ كما سيأْتي في عرض مسرورٍ ـ أَنَّهُ هوَ ٱلفرزدقُ ٱلشَّاعرُ ٱلمجهولُ ٱلَّذي دوَّخَ ٱلهندَ بأَهاجيهِ ، وملأَ ٱلبلادَ دويّاً وضجيجاً ، وهوَ ٱلآنَ يخنقُ ٱلمئةَ ، مُمتَّعاً بِٱلعقلِ وٱلحواسِّ ، لا حرمنا ٱللهُ لقاءَهُ في خيرٍ ؛ فإِنِّي كثيرُ ٱلحنينِ إِلىٰ مثلِهِ مِن قدامى ٱلأَصحابِ وٱلمعارفِ ، كما قالَ أَبو ٱلطَّيِّبِ [في ٱلعُكبَريِّ ٤/ ٢٨٤ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

خُلِقْتُ أَلُوفاً لَو رُدِدْتُ إِلَى ٱلصِّبَا ... لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجَعَ ٱلْقَلْبِ بَاكِيَا

وهوَ مِنْ أَصحابِ شيخِنا ٱلعلاَّمةِ ٱبنِ شهابٍ ، ٱلمختصِّينَ بهِ[2] .

وٱلعَنِين[3] ، وهوَ مِنْ قُدامىٰ بلادِ ٱلقطنِ .

---

(١) هو الحبيب الفاضل الصالح المؤرخ محمد بن سقاف بن أبي بكر بن أحمد بن سالم بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين آبن الشيخ أبي بكر . مولده بعينات في حدود (١٢٧٧هـ) ، ووفاته بالمكلا في حدود (١٣٥٠هـ) ، له مؤلفات ممتعة عجيبة مفيدة .

(٢) توفي صلاح الأحمدي بالهند حيدر آباد سنة (١٣٧٤هـ) ، عن (١٠٦) سنوات ، وآل الأحمدي من بطون يافع ، ومقرهم جبل لبعوس ، كان الشيخ صلاح شاعراً كبيراً ، وكان له صوت في نقد الأوضاع السياسية والاجتماعية في حضرموت من مقر إقامته بحيدر آباد .
ينظر كتاب السيد حامد المحضار « حياة السيد الزعيم » .

(٣) ويسكن العنين جماعة من آل بامطرف ، وآل حسّان الذين نزح جماعة منهم إلى شبام وتوطنوها ، =

ثمَّ : **عُقدةُ آلِ ٱلمُصَلِّي وآلشَّاووش**[1] . ثمَّ : **ديارُ آلِ سَعْدٍ** .

ثمَّ : **عَرْضُ آلِ بَلْعَلا** ، وسمعتُ أَنَّهم مِن آلِ بالحارثِ أَهلِ بيحانَ ، وهُم مِنَ ٱلمتسببينَ ـ كآلِ ٱلزَّوعِ ـ بٱلخدمةِ وٱلولاءِ إِلى ٱلسَّادةِ آلِ خَيْله[2] ، وكانوا يأْتونَ إِليهِم في كلِّ سَنةٍ فيُكرمونَهُم ، ولـٰكنَّهُم جاؤُوا إِليهِم مرَّةً وفي ٱلعيشِ يبسٌ ، فأَرادوا مداعبتَهُم . . فتلقَّوهُم ، وبعدَ أَنْ صافحوهُم وٱتَّجهوا بهم إِلىٰ منازِلهم . . هَمُّوا بٱلارتجازِ ، فقالَ شاعرُهم :

حَيَّـا بِـذِي ٱلسَّـادَهْ وَمَـنْ جَـا سَغْفَهُـمْ ... يَـا دَاخِلِيـنْ ٱلْعَـرْضْ فِـي أَيَّـامِ ٱلصُّيُـوفْ
ٱلْعَـامْ قَـدْ جِيتُـوا ، وَجِيتُـوا ذِي ٱلسَّنَـهْ ... مَـاشِـي عَلَـى ٱلْعِـدَّانْ بَقْعَـا ٱلاَّ حُفُـوفْ

فغضبَ آلُ خَيْله ، وصَرفوا أَعِنَّةَ ٱلدَّوابِّ ، فأَقبلَ عليهِم آلُ بَلْعَلا يترضَّونَهُم ويَعتذرونَ إِليهِم . . حتَّىٰ رَضوا وساروا معَهُم إِلىٰ عَرْضِهِم وزادوا على العادة في إكرامهم . وآلُ بلْعَلا مِنْ كرامِ ٱلقبائلِ ، يتَّصلُ طارفُهُم بتليدهِم[3] ، وكانَ فيهِم علماءُ وشعراءُ ، أَمَّا ٱلعلمُ . . فقدِ ٱنقرضَ ، وأَمَّا ٱلشُّعراءُ . . ففيهِم إِلى ٱلآنَ ، وفي عرضِ آلِ بلْعلا ناسٌ من آلِ السَّقَّافِ ؛ منهم ٱلسَّيِّد صالحُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ .

ثمَّ : **نقق** ، فيهِ سادةٌ مِنْ آلِ ٱلحَبْشيِّ ، وناسٌ مِنْ آلِ جابرٍ ، ولقد مررتُ ذاتَ سَنةٍ ـ في طريقي إِلى ٱلمشهدِ ـ بتلكَ ٱلمنازلِ في طريقي إِلىٰ دوعنَ . . فإِذا أَكثرُ حصونِ يافع خاليةٌ عنِ ٱلرِّجالِ ، فتذكَّرتُ قولَ أَبي عليٍّ ٱلبصيرِ [في « ديوانهِ » مِنَ ٱلكاملِ] :

فَكَـأَنَّمَـا تِلْـكَ ٱلشَّـوَارِعُ بَعْـضَ مَـا ... أَخْلَـتْ إِيَـادُ مِـنَ ٱلْبِـلادِ وَجُـرْهُـمُ

= واشتهروا بصياغة الذهب . ومن سكان العنين : آل وحدين ، بطن من آل شراحيل ، ينسبون لجدهم الشيخ عبد الواحد شراحيل الملقب وحْدَين ، وقد نزحوا من العنين وتوطنت جماعة منهم بالمكلا ، وجماعة بشبام . ومنهم بيت بغيل أبي وزير ، صاحبه سالم أمبارك وحدين، كان نجاراً ماهراً متواضعاً حسن الخلق .

(1) **العُقَد** ـ جمع عُقْدة ـ والمراد : عقدة آل المصلي ، وعقدة آل الشاوش ، وكلاهما من ديار يافع ، وظهر من آل المصلي علماء وفقهاء أفاضل ، منهم الشيخ محفوظ بن سعيد المصلّي ، انظر « الفكر والثقافة » (١٨٤) . ومنهم جماعات في المهاجر لا سيما السعودية وبلاد الخليج .

(2) أخوال المؤلف رحمه الله ، وسيأتي ذكرهم في سيئون .

(3) **طارفهم بتليدهم** : حديثهم بقديمهم .

كَـانَـتْ مَعَـاداً لِلْعُيُـونِ فَـأَصْبَحَـتْ عِظَـةً وَمُعْتَبَـراً لِمَـنْ يَتَـوَسَّـمُ[1]
تَبْكِـي بِظَـاهِـرِ وَحْشَـةٍ وَكَـأَنَّهَـا إِنْ لَـمْ تَكُـنْ تَبْكِـي بِعَيْـنٍ تَسْجُـمُ
وَكَـأَنَّ مَسْجِـدَهَـا ٱلْمَشِيـدَ بِنَـاؤُهُ رَبْـعٌ أَحَـالَ وَمَنْـزِلٌ مُتَـرَسِّـمُ
وَتَـرَى ٱلـذَّرَارِيَ وَٱلنِّسَـاءَ بِضَيْعَـةٍ خَلْـفٌ أَقَـامَ وَغَـابَ عَنْـهُ ٱلْقَيِّـمُ

نسأَلُ ٱللهَ أَن يردَّ ٱلمياهَ إلىٰ مجاريها ، ويُسكنَ ٱلدِّيارَ ببانيها .

ٱلمَسْحَرَةُ

أَرضٌ واسعةٌ خِصْبةٌ ، يَحدُّها قِبليّاً : ذُبُورُ ٱلباطِنِه ، ونجديّاً : ٱلجبالُ ومَفْتَكُ وادي سرّ ، وجنوباً : ٱلقَطْنُ وقراهُ ، وشرقيّاً : ٱلمُوزعُ .

يندفعُ فيها ما يزيدُ مِنْ مياهِ عَمْدٍ ودوعن ووادي ٱلعينِ ، ومتى شَرِبتْ . . يُخْصِبُ ٱلنّاسُ ويرْغَدُ ٱلعيشُ .

وفي طرفِها ٱلجنوبيِّ : دارُ ٱلرَّاكِ ؛ وهيَ ديارٌ خَرِبَةٌ للحكومةِ ٱلقعيطيَّةِ .

ومِنْ وراءِ دارِ ٱلرَّاكِ إلىٰ جهةِ ٱلجنوبِ : **وادي عُفْرَان** .

وفي شرقيِّهِ : **ٱلمُوزِعُ**[2] ؛ وهوَ ضميرٌ في عُرْض مِسْيَال سَرْ ، يردعُ ٱلمياهَ إلىٰ شبام ومنهُ تُسقىٰ ، وكثيراً ما تضرُّهُ ٱلسُّيولُ ، فيتكبَّدُ آلُ شبام في إعادتِهِ خسائِرَ باهظةً ، إلاَّ أَنَّ عمارتَهُ ٱلأَخيرةَ كانت قويَّةً مُحكَمَةً فلَم يَجرِفْها تيَّارُ ٱلسُّيولِ ، وأَعانَ علىٰ ذلكَ أَنَّهُم لَم يُعلوها كثيراً ، فخفَّ عنها فَرْطُ ٱلصِّدامِ .

---

(١) **المعاد** : المرجع .

(٢) **المُوزع** ـ بضم الميم وسكون الواو وكسر الزاي ـ هو : بناء كما ذكر المؤلف في عُرض وادي سر ، شبيه بالسَّد ، إلا أنه لا يحفظ المياه خلفه وإنما يعمل على تصريفها ودفعها بطريقة هندسية محكمة إلى جُروب شبام ومزارعها ، وكانت آخر عمارة محكمة له في سنة (١٣٦٤هـ) تقريباً ، وكانت تشكلت في شبام لجان من كبار السن وعقال البلاد وحُذّاقها للنظر في شؤون هٰذا الموزع ، لأن عليه اعتمادهم في حفظ مياه الأمطار والسيول والاستفادة منها ، إذ بدونه يفقدون تلك الكميات الهائلة من المياه ، ويخسرون الموسم الزراعي .

ومِنْ وراءِ ٱلمُوزعِ : خَشَامِرُ ، وهيَ : قريةُ آلِ عليّ جابر ٱليافعيِّينَ ، وهُم قبيلةٌ خَشِنةٌ .

تَنْمِيهِـــمُ مِـــنْ ذِي رُعَيْـــنٍ أُسْـــرَةٌ بِيضُ ٱلْـوُجُـوهِ إِلَـى ٱلْمَكَـارِمِ تَنْتَمِي[1]
مِـــنْ كُـــلِّ أَغْلَـــبَ ودُّهُ أَنَّ ٱبْنَـــهُ يَـوْمَ ٱلْحِفَـاظِ يَمُـوتُ إِنْ لَـمْ يُكْـرَمِ

ولَو لَم يَكُنْ لَهم إلاَّ سالمُ بنُ يحيىٰ بن عبدِ ٱلحبيبِ بنِ عليٍّ جابرٍ ، ٱلسَّابقُ ذِكرُ أُكرومتهِ في غياضِ ٱلشِّحْرِ . . لأبقىٰ لَهُم مجداً مخلَّداً . ولَهُم معَ ٱلدَّولةِ ٱلقعيطيَّةِ حروبٌ ومواقفُ لَم تضْرَع فيها خدودُهُم[2] ، ولَم تَعثُرْ مِنها جدودُهُم[3] .

مِن ذلكَ : أَنَّ ٱلحدَّاديينَ أَفسدوا بعضَ نَخلِ آلِ عليٍّ جابرٍ بٱلقازِ ، ومِن عاداتِهم : أَنَّ مَن فعلَ هـٰذا ٱلفسادَ لا يَخفِرُه أَحدٌ ، ولـٰكنَّ ناصرَ محمدٍ ٱلدُّهريَّ ـ وقتَ ما كانَ علىٰ شِبَام مِن جهةِ ٱلقُعَيطيِّ ـ أَعطَىٰ ثلاثةً مِنَ ٱلحدَّاديينَ خِفَارَةً بِعَبدٍ ، فَتعرَّضهم آلُ عليٍّ جابرٍ وقتلوا ٱلثَّلاثةَ وهَرَبَ ٱلعَبدُ ، فَحطَّ عليهم ناصرٌ بٱلمدافعِ ، ولـٰكنَّ ٱلسَّيِّدَ أَبا بكرِ ٱبنَ عبد ٱللهِ ٱلمِحْضَارِ وأَخاه محمَّداً كانوا وِدّاً لآلِ عليٍّ جابرٍ ، فكلّموا ٱلسُّلطان غالبَ بنَ عوضٍ فيهم ، فأَمرَ برفعِ ٱلمحطَّةِ .

ومنها : أَنَّ لآلِ عليٍّ جابرٍ كُوتاً في أَرضٍ تُسَمَّى ٱلصباحَ ، شرقيَّ خمور وقِبَلَ خُمَيِّرٍ ، بعضُها عامرٌ وأكثرُها غامرٌ ، فٱدَّعاها عليُّ بنُ صلاحٍ في أَيَّامِهِ للقعيطيِّ ، ولمَّا جاءَ ٱلخريف . . قالَ لأكَرَاتِهِ : ٱذهبوا فَعَرِّشُوا فيها ، فطردَهم آلُ عليٍّ جابرٍ ، فأَرسلَ بجماعةٍ مِن آلِ ٱلدُّهريِّ وطائفةً مِنَ ٱلعبيدِ ليفعلوا ما قدروا عليهِ في آلِ عليٍّ جابرٍ ، ولـٰكنَّ آلَ عليٍّ جابرٍ أطلقوا عليهمُ ٱلرَّصاصَ بمجرَّدِ ما وصلوا ، فسقطَ خمسةٌ مِنَ ٱلعبيدِ معَ ٱلباروتِ وهربَ ٱلباقونَ ، فحطَّ عليهم عليُّ بنُ صلاحٍ بٱلمدافعِ ثلاثةَ أَشهرٍ بدونِ نتيجةٍ ، فأشارَ علىٰ بعضِ آلِ كثيرٍ بٱلتَّوسُّطِ ، فتواضعوا على ٱلهدنةِ وتفويضِ ٱلأمرِ للسُّلطانِ عمرَ بنِ عوضٍ ، فأَرضَىٰ آلَ عليٍّ جابرٍ عنِ ٱلأَرضِ بثلاثةِ آلافِ ريالٍ ،

---

(١) البيتان من الكامل ، وهما للبحتريّ في « ديوانه » (١/ ١٤٤) بتغيير بسيط .
(٢) ضَرَعُ الخدِّ : كناية عن الذُّلّ ، وعدمه كناية عن عدمه .
(٣) جدودهم : حظوظهم .

وتحمَّلَ عنهم ٱلنَّفقاتِ ٱلبالغةِ نحواً من ستَّةِ آلافِ ريالٍ ، وأَجْزَلَ لهمُ ٱلهدايا ، وَرَضِيَ عنهم وَرَضوا عنه ، وخرجَ هوَ وَإِيَّاهم خَرْجَتَهُ ٱلَّتي زارَ بها داخلَ حضرموت .

وشيخُ آلِ عليٍّ جابرٍ ٱلآنَ : يحيىٰ بنُ عبدِ ٱلحميدِ ، قد خنقَ مِنْ عمرِهِ ٱلتِّسعينَ ، وهوَ مِنْ بقايا ٱلكرامِ .

خَمُور

هيَ للسَّادةِ آلِ ٱلمحْضارِ[1] ، وآلِ ٱلحسنِ مِنْ آلِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ[2] ، وكانت لآلِ هِظَيلٍ مِنْ آلِ كثيرٍ ، فصَهَرَ إِليهم أَحدُ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلمحْضارِ . ورُزِقَ ولداً ثمَّ ماتَ ، وخلَفَهُ على ٱمرأَتِهِ أَحدُ آلِ ٱلحسنِ بنِ ٱلشَّيخِ ، ورُزِقَ ٱبناً فوهبَ لَهُم آلُ هِظَيلٍ خَمُوراً ، وقد مرَّ للسَّيِّدِ أبي بكرِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلمحضارِ وولدِهِ صالحٍ ذكرٌ في ٱلمكلاَّ .

وفي شمالِ خَمُورٍ مكانٌ يقالُ لَهُ : جُوجِه[3] ، مِنْ ديارِ بني سَعْدٍ ، كانَ يُصيِّفُ بهِ

---

(١) من ذرية السيد أبي بكر بن الشيخ عمر المحضار بن الشيخ أبي بكر بن سالم ، ومنهم : السيد أبو بكر بن عبد الله المحضار ، وابنه : صالح ، من معاصري المؤلف .

(٢) الذي في شجرة آل باعلوي كما نقل عنها شيخنا الأستاذ الشاطري ، أن السادة آل خمور ، هم من ذرية السيد صالح بن حسن بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم ، وعرفوا بآل خمور ، قال شيخنا العلامة الأستاذ الشاطري رحمه الله : (وإنما لقب كل منهم بخمور ـ بفتح الخاء المعجمة وضم الميم ـ اسم لموضع معروف غربي شبام بجنوبها لأن جدهم ساكن به ، فيقال لكل منهم : خمور كالمعتاد في أمثاله من الاكتفاء بالمضاف إليه ، فلا يقولون ساكن خمور ، بل يقولون خموراً اختصاراً) اهـ « المعجم اللطيف » (٨٦) .

(٣) جوجه : منطقة زراعية يسكن في أطرافها جماعة من آل السعدي كما ذكر المؤلف ، وبها أراض واسعة في ملك السادة آل سميط ، أهل شبام ، آل محمد بن زين ، وآل عمر بن زين ، وبها مسْجد بناه الإمام الكبير الحبيب محمد بن زين بن سميط ، وإلى جواره بئر عميقة ، وهو داثر الآن ، وإلى جوار المسجد بركة ماء جابية يقال لي : إن الذي بناها هو السيد طاهر بن حسين بن عمر بن محمد بن عمر بن زين بن سميط . أو والده . وفي منتصف الجبل المطل على جوجه يوجد كهف واسع ، قيل : إن السادة آل سميط كانوا يتعبدون فيه ، ولا سيما سيدنا الإمام العابد السجّاد الحبيب عبد الله بن عمر بن سميط . ويوجد بها الآن خزان ماء يسقي بيوت شبام من بئر ارتوازية حفرت في جوجه . وبها صخور كبار عليها كتابة قديمة ، وبها أشكال غريبة .

سيّدُنا ٱلحبيبُ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سُمَيط ، ويخترفُ في بستانِ نخلٍ لَهُ بهِ . وبها جماعةٌ مِنْ آلِ مَرْزَق[1] .

ثمَّ : ٱلسُّعَيْدِيَّةُ[2] ، عبارة عن كُوتٍ واحدٍ في طرفِ سِحِيلِ آلِ مَهْريٍّ ٱلغربيِّ .

وادي سَرْ وقبرُ نبيِّ ٱللهِ صالحٍ

في شمالِ ٱلكَسْرِ : وادي سَرْ[3] ، يفصلُ بينَهُما جَبَلٌ لا عَرْضَ لَهُ ، وٱلظَّاهرُ أَنَّهُ مُحَرَّفٌ عنِ ٱلرَّسِّ ، ومثلُ ذلكَ ٱلتَّحريفِ واقعٌ بكثرةٍ عندَ ٱلحضارمِ وغيرِهم . وهوَ وادٍ واسعٌ ، تصبُّ إليهِ أَوديةٌ وجبالٌ كثيرةٌ .

وفي سفحِ ٱلجبلِ ٱلَّذي بأَعلاهُ مكانٌ يقالُ لَهُ : (عَسْنَبْ) : قبرُ نبيِّ ٱللهِ صالحٍ عليهِ ٱلسَّلامُ ، وٱلأَدلَّةُ علىٰ وجودِهِ بحَضْرَمَوْتَ كثيرةٌ ، مِنها : قولُهُ جلَّ ذِكرُهُ : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ؛ إذِ ٱلخلافةُ صريحةٌ بوجودِهم بديارِ عادٍ ، وهيَ حَضْرَمَوْتُ غيرُ مدافَعةٍ .

---

(١) السادة آل مَرْزَقْ ـ بفتح الميم وسكون الراء وفتح الزاي ـ منتماهم إلى جدهم أحمد الملقب مَرْزَقْ بن عبد الله وَطَبْ بن محمد بن عبد الله المنفَّر بن محمد بن عبد الله باعلوي . . إلخ .

وقد سكنوا شباماً منذ القرن الحادي عشر أو العاشر . . وظهر فيهم أعلام أكابر ، من أشهرهم السيد العلامة الفقيه القاضي عمر بن حسين مرزق المتوفى بشبام سنة (١٢٦٥هـ) تقريباً .

(٢) حصن سِعَيديَّة : حصن حربي قديم ، لعل بناءَه يعود إلى أيام الدولة الكثيرية الأولىٰ ، وفي حوادث سنة (١٢٦١هـ) أخذ السلطان منصور بن عمر بن عيسى بن بدر حصن السعيدية على الشنافر آل عبد العزيز قهراً ، ثم أُخذ منهم في (١٢٦٤هـ) ، ثم استولت عليه عساكر يافع في سنة (١٢٧٣هـ) ، كما يُعلم من « العدة المفيدة » لابن حَميد . وسيأتي ذكر آل مَهْري في السحيل لاحقاً .

(٣) وادي سَرْ : مسيال ماء شمال القطن ، يسيل من رَيدة الصيعر ، وتذهب مياهه لتروي الأراضي والنخيل ، المحيطة بمدينة شبام .

وقالَ غيرُ واحدٍ مِنَ ٱلمؤرِّخينَ ، منهُمُ ٱليَعْقُوبيُّ : (إِنَّهُ لمّا هَلَكَتْ عادٌ . . صارَ في ديارِهم ثمودُ)[1] .

وفي (ص ٥٩٠ ج ٢) مِنْ « شرحِ ٱلنَّهجِ » : (قالَ ٱلمفسِّرونَ : إِنَّ عاداً لمَّا هَلَكَتْ . . عمَّرتْ ثمودُ بلادَها ، وخلَفوهُم في ٱلأَرضِ) .

وفي « ٱلتَّاجِ » : (أَنَّ ٱلعربَ ٱلعاربةَ ـ وهُم : عادٌ وثمودُ وأُمَيمٌ وعَبيلٌ . . . ووَبَارِ ـ كلُّهُم نزلوا ٱلأَحقافَ وما جاورَها) .

وقالَ ياقوتُ [٣/ ٤٣] : (رويَ أَنَّ ٱلرّسَّ ديارٌ لطائفةٍ مِنْ ثمود) .

وقالَ ٱلبغويُّ عندَ تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ : (رويَ عنِ ٱلضَّحَّاكِ أَنَّ هـٰذهِ ٱلبئرَ كانت بحَضْرَمَوْتَ)[2]

ويتأكَّدُ هـٰذا بما سيأْتي في بَوْرٍ وحنظلة بن صفوان عليهما ٱلسَّلامُ ، ولا يغبّر علىٰ شيءٍ ما صحَّ أَنَّ ثمودَ بالحِجْرِ ؛ لأَنَّ ٱلموجودينَ بحَضْرَمَوْتَ إِمَّا أَنْ يكونوا نَجعوا إِليها بعدَ نجاتِهم مِنَ ٱلعذابِ كما فُصِّلَ بـ« ٱلأَصلِ » ، وإِمَّا أَنْ يَكونوا ضاربينَ مِنْ هناكَ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ ؛ إِذْ لا يُستنكَرُ ذلكَ مِنْ أُمَّةٍ عظيمةٍ يملأُ خبرُها سَمْعَ ٱلأَرضِ وبصرَها وقد سبقَ في أَخبارِ حَجرٍ ٱلقولُ بأَنَّ فيها ٱلواديَ ٱلمشارَ إِليهِ في قولِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾ .

وأَخبرني غيرُ واحدٍ مِن أَهلِ تلكَ ٱلنَّاحيةِ أَنَّهم لا يقدرونَ أَن يقبُروا أَحداً في موضعٍ يُرَىٰ مِن مكانِ قبرِ نبيِّ ٱللهِ صالحٍ عليه السلام ؛ فإِن قَبَرُوا أَحداً مِنَ ٱلجهلَةِ أَو تَرَكَةِ ٱلصَّلاةِ بحيثُ يتراءىٰ مِن موضعِ قبرِهِ عليه السَّلام . . لَفَظتهُ ٱلأَرضُ .

وإِنَّما يقبُرون مِن وراءِ جبلٍ يستُرُهم مِن مكانِ ضريحِهِ صَّلى ٱللهُ عليهِ وعلىٰ نبيِّنا وآلهِ وسلَّمَ .

وأَكثرُ وادي سرٍّ لآلِ كثيرٍ ؛ فهم بغايةِ ٱلحاجةِ إِلى ٱلتَّردُّدِ إِليهِ .

---

(١) تاريخ اليعقوبي (١/ ٢٢) .

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٢٩١)

وفي حدودِ سنةِ (١٣٠٧هـ) بدَا لعبدِ ٱلحميدِ بن عليٍّ جابرٍ أَن يبنيَ كوتاً في موضعٍ يُقالُ لهُ : (قلات) علىٰ طريقِهم ، فٱشتدَّ عليهم ٱلأمرُ ، وجاءَ محمَّدُ بنُ بدرٍ إِلىٰ لحمانَ بن عبدِ ٱلعزيزِ فقالَ لهُ : سِر وأَخبر عائضَ بنَ سالْمينَ ، فسارَ إِلى بابكرٍ وأَخبرَ آلَ عبداتٍ ، فكاتبوا ٱلسُّلطانَ وآلَ كثيرٍ ، فلم يجبْهُم أَحدٌ ، فعادَ علىٰ غبيراءِ ٱلظَّهرِ فلاقاهُ لحمانُ إِلىٰ بعضِ ٱلطَّريق ولمَّا خبَّرَهُ بٱلجليَّةِ . . سبَّهُ وأَخذَ جَمَلَهُ وركبَ عليهِ وهَو أَرمدُ إِلىٰ عائضٍ ، فكتبَ للسُّلطانِ ولآلِ كثيرٍ مِنَ ٱللَّيلةِ ٱلثَّانيةِ : أَنْ وَافُوا إِلى ٱلقارَّةِ ، فجاؤوا بقضِّهم وقضيضِهم ، وشعرَ بهم عبدُ ٱلحميدِ ، فجاءَ إِلىٰ منصَّرٍ بن عبدِ ٱللهِ يطلبُ ٱلنَّجدةَ فلم يساعِدهُ ، وقالَ لهُ : نحنُ نحبُّ إِخمادَ ٱلشَّرِّ وأَنت تثيرُهُ ، وهجمَ عائضٌ بمن معَهُ على ٱلكوتِ وأَحرقوهُ ، وكانَ فيهِ تسعةٌ ؛ ٱثنانِ مِنَ ٱلطَّراشمةِ[1] رَمَىٰ بهمُ ٱلبارودُ إِلىٰ مكانٍ بعيدٍ فَسلِموا ؛ وسبعةٌ مِنَ ٱلعبيد سقطَ عليهمُ ٱلكوتُ فهلكوا .

هـٰذهِ روايةُ ٱمباركِ بنِ جعفرٍ ٱلقحومِ وٱلَّذي في « **ٱلأصلِ** » غيرُها ، وٱللهُ أَعلمُ .

وادي يَبْهُوض

هوَ وادٍ واسعٌ عن يمينِ ٱلدَّاخلِ مِنَ ٱلشَّرقِ إِلىٰ وادي سَرْ ، إِلاَّ أَنَّ ٱلجبالَ ٱلَّتي تدفعُ إِلىٰ وادي سَرْ أَكثرُ منهُ ، وفيهِ قرىً صغيرةٌ .

وبعد أَنْ تُسقى ٱلشِّراجُ ٱلَّتي فيهِ . . يفيضُ ماؤُهُ علىٰ : **شراجِ ٱلجَوَادِهْ** ، وهيَ قريةٌ يَسكنُها ناسٌ مِنْ آلِ حَريزٍ ، وهُم قبائِلُ مِنْ حملةِ ٱلسِّلاحِ ، يَنتسبونَ بٱلخدمةِ إِلى ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ، ولَهم فيهِ ٱعتقادٌ جميلٌ ، وظنٌّ حسنٌ .

ومِنَ ٱللَّطائفِ : أَنَّ أَحدَ متأَخِّريهم كانَ يتَّصلُ بواحدٍ مِنَ ٱلسَّادةِ آلِ سميطٍ ، وآخَرَ مِنَ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلعيدروسِ ، وكانَ يُحبُّهُما ويواسيهما ، فتنافساهُ ، وأَرادَ ٱلعيدروسيُّ أَنْ يَستأْثرَ بهِ ، فقالَ لَهُ : إِنَّ صاحبكَ ٱلسميطيَّ ليسَ بكاملِ ٱلسِّيادةِ ؛ لأَنَّهُ لَم يَكُنْ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ .

---

(١) **الطراشمة** : هم الذين وظيفتهم صيانة المدفع وضربه .

فعظُمتْ على ٱبنِ حريزٍ ، ورأىٰ أنَّها منقصةٌ عظيمةٌ ، فٱنقطعَ عنهُ ، فعرفَ دُخْلَةَ ٱلأمرِ . . فتصيَّدَهُ ، ولمَّا ٱجتمعَ بهِ . . قالَ لَهُ : ما أَخَّركَ عنِّي ؟

فقالَ لَهُ : ما أُحبُّكَ إلاَّ علىٰ ظنِّ كمالِ سيادتِكَ ، ثمَّ تبيَّنَ ليْ أنَّكَ لستَ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ .

فقالَ لَهُ : ٱسمعْ ، أمَّا أنا وٱلقطبُ ٱلحدَّادُ . . فعلىٰ رَجُلٍ واحدٍ ؛ وهوَ عمُّ ٱلفقيهِ ، وأمَّا ٱلعيدروسيُّ . . فإنَّما هوَ وٱلجفريُّ علىٰ رجلٍ واحدٍ .

وكانَ ٱلسَّادةُ آلُ ٱلجفريِّ منحطِّين في أنظارِ ٱلعامَّةِ ؛ لاحترافِهم بجَلْبِ ٱلأبقارِ وٱلحميرِ ، فٱنعكسَتْ نتيجةُ ٱلتَّدبيرِ ، وكانتِ ٱلفيصُولةُ بينَ ٱلحريزيِّ وٱلعيدروسِ .

ولآلِ شبام وغيرِهم أَموالٌ كثيرةٌ بيَبْهُوض ، وما يزيدُ من سيلهِ عنِ ٱلجوادِهْ وما إليها . . يجتمعُ معَ مياهِ سَرْ .

وفي حوادثِ سَنةِ (٧٩٤هـ) : أنَّ آلَ سُوَيدِ بنِ عسَّالٍ بنَوا قَرْنَ بالميصِ بوادي يبهوض .

عرضُ مَسْرُورٍ

هوَ أَرضٌ واسعةٌ في جنوبِ ٱلجبلِ ٱلشَّماليِّ عن شبامٍ ، في غربيِّها مَفْتَكُ[1] وادي سر ، وكانت لآلِ سالمِ بنِ زيمةَ ٱلكثيريِّينَ .

ولمَّا ٱستولى ٱلسُّلطانُ ٱلكثيريُّ علىٰ أَموالِ بني بكرٍ بمَرْيمه ، بعدَ إبعادِهم عنها في سَنةِ (١٢٨٤هـ) حَسَبَما تقدَّمَ في ذِكرِهم . . حصلَ مِنَ ٱلسُّلطانِ ٱلقعيطيِّ رَدُّ فعلٍ ، فطردَ آلَ سالمِ بنِ زيمةَ مِنْ عَرَضِ مسرورٍ[2] .

وفي جانبهِ ٱلغربيِّ : **حُويلة آلِ ٱلشَّيخِ عليٍّ** ، وفيها آلُ نهيمٍ ، مِنَ ٱلمشايخِ آلِ باوزيرٍ ، لا يزيدُ رجالُهم بها ٱليومَ عن خمسةَ عشرَ ، وآلُ حويلٍ مِن آلِ كثيرٍ ، ومن بقاياهم بها ٱلآنَ نحوُ خمسةِ رجالٍ بعائلاتِهم .

---

(١) أي : مسيل وادي سر .

(٢) كان ذلك في سلخ ذي القعدة (١٢٨٤هـ) « العدة » : (٢/ ٢٧١) والحاصل : أنه أسكن كلاً منهم في محل الآخر . وجرت حوادث قبل ذلك في سنة (١٢٧٠هـ) « العدة » (٢/ ١٢٣) .

وفي شرقيِّ حويلةَ : مَصنَعةُ آلِ سالم بن عليٍّ وآلِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ . وفي جانبهِ ٱلشَّرقيِّ : حصونُ آلِ ٱلشَّيخ أحمدَ بنِ عليٍّ أيضاً ، ولا تزالُ بينَهم خماشاتٌ ؛ وأمَّا آلُ سالمِ بنِ حسينِ بنِ يحيىٰ بنِ هَرْهَرَةَ . . فكانت ديارُهُم في وَسَطِ سيئون ، وكانت لَهُم رئَاسةُ شهارةٍ بسيئون وٱلسُّوقِ ، وكانَ سكنُ رئيسِهم ـ بل رئيسِ آلِ ٱلظّبي بسيئونَ : ٱلشَّيخ صالح بنِ سالمِ ٱلشَّرفيِّ ـ : حصنَ ٱلدَّوِيلِ بسيئونَ ، ولمَّا زالوا عنها . . ٱنتقلوا أوّلاً ، ثمَّ ٱبتنوا لَهُم حصوناً[1] بٱلقَطنِ ، بينَ آلِ ٱلفضليِّ وآلِ ٱلمصلِّي ، وما بها منهم ٱلآنَ غيرُ ٱلأطفالِ وٱلنساء ، وأمَّا ٱلرِّجالُ فـ(بِجَاوةَ) .

وآلُ ٱلشَّيخِ عليٍّ كلُّهم مساعيرُ حربٍ[2] ، وأُباةُ ذلٍّ ، وحُماةُ حقائِقَ ، ينطبقُ علىٰ جدِّهم قولُ أبي تمَّام [في « ديوانهِ » : ١/ ٢٢٩ مِنَ ٱلكاملِ] :

أَكْفَاءَهُمْ تَلِدُ ٱلرِّجَالُ وَإِنَّمَا ... وَلَدَ ٱلْحُتُوفُ أَسَاوِداً وَأُسُودَا

وهـٰذا البيت مِنَ ٱلبدائعِ ، وقد تحرّشَ بهِ ٱلرَّضيُّ فيما يأتي عنهُ في حصنِ ٱلعزِّ ولَهُم أخبارٌ كثيرةٌ في « ٱلأصلِ » .

وكانَ بينَهُم وبينَ جدِّنا ٱلعلاَّمةِ ٱلإمامِ محسنٍ عِداءٌ وسوءُ تفاهمٍ[3] ، أرادَ ٱلماسُ عمرُ مولى ٱلقعيطيِّ بدهائِهِ ـ ٱلَّذي تتمزَّقُ بِهِ سحبُ ٱلمشكلاتِ ـ أَنْ يُزيلَهُ . . فلَم يَقدرْ ، ولَو نَجَحَ . . لَما قامت لآلِ كثيرٍ قائِمةٌ قطُّ .

وعَددُ آلِ ٱلشَّيخِ عليٍّ هـٰؤلاءِ لا يزالُ قليلاً ، لـٰكنَّهُم كما قالَ أبو تمَّامٍ مِنَ ٱلقصيدةِ ٱلأخرىٰ [في « ديوانهِ » : ١/ ٢٤٤ مِنَ ٱلبسيطِ] :

فَلُّوا وَلَـٰكِنَّهُمْ طَابُوا فَأَنْجَدَهُمْ ... جَيْشٌ مِنَ ٱلصَّبْرِ لاَ يُحْصَىٰ لَهُ عَدَدُ[4]

---

(١) كان زوالهم من سيئون ونواحيها في ربيع الأول عام (١٢٦٩هـ) « العدة » (٢/ ١٠٣) .

(٢) مساعير ـ جمع مِسْعَر ـ وهو : الَّذي تُحرَّك به النَّار . ومسعار حرب : كناية عن الشُّجاع الَّذي يؤجِّج نار الحرب .

(٣) بدأ الخلاف من سنة (١٢٦٤هـ) « العدة » (١/ ٤٣٩ـ٤٤٢ـ٤٥١) .

(٤) فلُّوا : هربوا ، وليس المقصود هنا هروبهم حقيقة ، بل المقصود أنَّهم انهزموا قليلاً بحيث لو كان هـٰذا الانهزام بغيرهم فلَّ وهرب ، ولـٰكنهم طابت أنفسهم بالموت ، وصبَّروا أنفسهم . . فربحوا .

إِذَا رَأَوْا لِلْمَنَايَا عَارِضاً . . لَبِسُوا مِنَ ٱلْيَقِينِ دُرُوعاً مَا لَهَا زَرَدُ[١]

نَأَوْا عَنِ ٱلْمُصْرِخِ ٱلأَدْنَىٰ فَلَيْسَ لَهُمْ إِلاَّ ٱلسُّيُوفُ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ مَدَدُ[٢]

ومِن أَخبارِ آلِ سالمِ بنِ عليٍّ ـ وهم صالحُ بنُ سالمٍ وحسينُ بنُ سالمٍ ، وعليُّ بنُ سالمٍ ـ أَنَّ أَحدَ آلِ جوفان في حدودِ سَنةِ (١٣٣٠هـ) كانَ يَمشي بحِمْلٍ مِنَ ٱلحطبِ ، ومعَهُ عبدٌ صغيرٌ لآلِ ٱلشَّيخِ ٱلمشارِ إِليهِم ، فلقيَهُ بعضُ ٱلغرباءِ مِنْ يافع ، وكانَ يَطلبُهُ بثأرٍ . . فأَرداهُ ، فسارَ ٱلعبدُ يقودُ بعيرَ ٱلجوفانيِّ ، وأَخبرَ مولاهُ ٱلشَّيخَ حسينَ بنَ سالمِ بنِ عليٍّ ، فجمعَ أَولادهُ وقالَ لَهُم : أُمُّكم طالقٌ بِٱلثَّلاثِ إن لَم تُبيِّضوا وجهيَ ٱليومَ ولَم أَقتلْ أَحداً منكُم غداً .

فخَفُّوا إِلىٰ شبام ـ وعليها ٱلشَّيخُ يحيىٰ بنُ عبدِ ٱلحميدِ بنِ عليٍّ جابرٍ نائباً مِنْ جهةِ ٱلسُّلطانِ غالبِ بنِ عوضٍ ـ وحالاً طلعوا إِلى ٱلحصْنِ ، وأَغلقوا ٱلأَبوابَ ، وقالوا للشَّيخِ : إِمَّا أَنْ تُسلِّمَ لَنا ٱلقاتلَ ، وإِلاَّ . . تقاسَمنا ٱلموتَ في هـٰذا ٱلمنزلِ حتَّىٰ لا يَسلمَ إِلاَّ مَنْ عصمَهُ ٱلأَجلُ .

ولمَّا عرفَ أَنَّ ٱلأَمرَ جِدٌّ . . تخلَّصَ مِنْ فَناءِ ٱلنُّفوسِ ٱلكثيرةِ بتسليمِهِ ، وما كادوا يَنفصلونَ بِهِ عن شبام حتَّىٰ ذبحوهُ ، غيرَ أَنَّ ٱلسُّلطانَ غالباً تميَّزَ مِنَ ٱلغيظِ علىٰ يحيىٰ ولَم يُولِّهِ عملاً بعدَها ، وقد تمكَّنَ منهُ ، ولولا أَنَّهُ جُبِلَ على ٱلعفوِ وكلَّمَهُ ٱلنَّاسُ . . لَقطَّعَهُ إِرباً إِرباً ؛ لأَنَّهُ كانَ قدرَ عليهِ ؛ لأَنَّهُ لو لم يرضَ . . لم يقدِرِ آلُ ٱلشَّيخِ علىٰ ما فعلوا ، ففي ٱلقضيَّةِ ضميرٌ تقديرُهُ : أَنَّ آل ٱلشَّيخ عليٍّ أرضوا آلَ عليٍّ جابرٍ ، وإِلاَّ . . فما كانوا ليؤخذوا ضغطةً ، وإِنَّما أَشاعوا ما سبقَ للتَّغطيةِ ، وإِلىٰ ذلكَ يشيرُ شاعرُ ٱلهندِ ٱلمجهولُ ٱلملقَّبُ بِٱلفرزدق :

يَا بـن علـيْ جـابـر تَحَيَّـلْ مَـا ٱلجمـاعـةُ للنقـودْ

---

(١) **العارض** : السَّحاب المعترض في السَّماء وكأَنَّه يبشِّر بهطول المطر ، وهو هنا على الاستعارة ؛ أَي : إِذا رأَوا بوادر وعوارض الموت . . فرحوا بذلك وثبتوا بشكل غريب ، وهو أَنَّهم يثبتون ويقاتلون بدروع ليس لها زرد ؛ أَي : حِلَقٌ . والله أَعلم .

(٢) **المُصرخُ** : المغيث .

ضحكْ عليهم قد حشمتوهُمْ   وسـرحـوا بـالبـرودْ

وقد اختُلفَ في هٰذا الشّاعرِ ؛ فقيلَ : إنَّهُ العلاَّمةُ ابنُ شهابٍ ، وقيلَ : إنَّهُ الأميرُ حسينُ بنُ عبدِ اللهِ القعيطيُّ ، وقيلَ : إنَّهُ الشَّيخُ صلاحُ أحمدَ لحمديُّ ، وقيلَ : إنَّهُ عبدُ القويِّ بنُ سعيدِ بنِ عليٍّ الحاجِ .

وأمّا آلُ أحمدَ بنِ عليٍّ[1] : فيرَأسُهُمُ الشَّيخُ عليُّ بنُ أحمدَ ، صاحبُ الدَّارِ الَّتي بجانبِ سِدَّةِ سيئون القِبْليَّةِ ، وكانَ موجوداً في سنةِ (١٣٢٨هـ) ، ثمَّ أصابتْهُ رصاصةٌ غربٌ مِن آلِ سالمِ بنِ عليٍّ ، كانَ فيها حتفُهُ .

واتَّفقَ أن كانَ عندَهم يومَ قتلِهِ رجلٌ شِرِّيرٌ مِن آلِ عليٍّ جابرٍ يثيرُ لأصحابِهِ الفتنَ ، فزعمَ أنَّ قتلَهُ وهوَ عندَهم يخفرُ ذمَّتَهُ ؛ فأشارَ الشَّيخُ يحيى بنُ عبدِ الحميدِ بقتلِهِ ، وكانَ لهُ ابنٌ غائبٌ ، فَقَدِمَ حتَّىٰ ختلَ يوماً عبدَ اللهِ بنَ عبدِ الحميدِ فأطلقَ عليهِ الرَّصاصَ معَ خروجِهِ لصلاةِ الصُّبحِ ، ولٰكنَّ آلَ عليٍّ جابرٍ قتلوهُ في الحالِ ، وما شيَّعوهما إلاَّ معاً .

ولعبدِ اللهِ بنِ عبدِ الحميدِ هٰذا شذوذٌ ، حتَّىٰ إنَّهُ نزلَ مرةً على الشَّيخِ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ عبودٍ في باندومَ ، ولمَّا شرعوا في راتبِ الحدَّادِ.. قال الشيخُ عبدُ اللهُ بنُ عبدِ الحميدِ : هٰذا بدعة . فقالَ الشَّيخُ محمَّدُ بنُ عليٍّ : لا إلٰه إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ.. إلخ.. بدعة!! وطردَهُ .

والشَّيخُ عليُّ بنُ أحمدَ هوَ والد الشَّيخِ عبدِ القادرِ بنِ عليٍّ ، الَّذي أقامَ دهراً طويلاً علىٰ إمارةِ شبام بالنِّيابةِ عنِ السُّلطانِ غالبِ بنِ عوضٍ ، وكانَ حَسَنَ الأخلاقِ مُوَطَّأَ الأكنافِ ، محبوباً عندَ النَّاسِ[2] .

---

(١) وهم أصحاب المصنعة المقدم ذكرها .

(٢) آل الشيخ علي هرهرة ، من قبائل يافع العليا ، ينسبون لجدهم الأعلى الشيخ علي هرهرة ، الذي نصب سنة (٩٩٢هـ) ليكون مرشداً دينياً على بلاد يافع ، وخلفه ابنه أحمد ، فصالح ابنُ أحمدَ الذي تسلم زمام قيادة قبائل يافع ، وأعلن تغيير اللقب من شيخ إلى سلطان ، واستمر إلى سنة (١١١٧هـ) ، وخلفه ابنه ناصر الذي امتد حكمه إلى الشحر وخلفه أخوه السلطان عمر بن صالح الذي مر ذكر بعض أخباره ورحلته سابقاً . ولما مات السلطان عمر.. انقسمت يافع ، ولم تزل زعامة آل هرهرة قائمة إلى عام (١٩٦٧م) ، وكان آخر السلاطين هو الشيخ فضل بن محمد هرهرة . « المقحفي » .

نُخْر عَمْرو[1]

هوَ مكانٌ في غربيِّ شبام علىٰ ساعةٍ ، يَسكنُهُ ٱلجَهَاورةُ مِنْ يافعٍ أَصحابُ ٱلشَّيخِ يحيى بنِ قاسم السابق ذكرُه ، وهُم خَوَّاضُو غمراتٍ ، وحتوف أَقرانٍ . وكانَ علىٰ رئاستهِم عليُّ بنُ عبدِ ٱلكريمِ ٱلجَهْوريُّ .

وكانت لآلِ ٱلنَّقيبِ[2] دولةٌ بشبام ، فضربَ أَحَدُهُم مسكيناً مِنْ مساكينِ نُخْرِ عَمْرٍو فٱشتكىٰ إِلىٰ عليِّ عبدِ ٱلكريمِ ، فأَكنَّها في نَفْسِهِ ، حتَّىٰ سمعَ بعضَ ٱلتَّعييرِ مِنَ ٱلشُّعراءِ وٱلسَّماسرةِ ، فحملَ أَصحابَهُ علىٰ أَنْ يَتسوَّروا سورَ شبامٍ بٱللَّيلِ ، فكمنوا تحتَ ٱلجامعِ حتَّىٰ أَقبلَ عليهم ٱثنانِ مِنْ آلِ ٱلنَّقيبِ فقتلوهُما ، ثمَّ ٱلتحمَ ٱلحربُ ، وقُتلَ ٱثنانِ مِنَ ٱلجَهَاورةِ وآخرانِ مِنْ آلِ ٱلنَّقيبِ ، ثمَّ خَفَّ ٱلجيرانُ[3] لإِيقافِ ٱلحربِ ، وأَوَّلُ مَنْ وصلَ : صالحُ بنُ عبدِ ٱلحبيبِ بنِ عليِّ جابرٍ في حشدٍ مِنْ أَصحابهِ ، فحجزَ بينَ ٱلفريقينِ ، وعقدَ بينَهُم هُدْنةً لمدَّةٍ ما يُجهِّزونَ قتلاَهُم ، وفي أَثنائِها . . وصلَتْهُمُ ٱلذَّبائحُ مِنَ ٱلنَّقيبِ للجهاورةِ إِلى ٱلدَّارِ ٱلَّذي هُم فيهِ بشبام ، وهٰكذا كانت بنو مالكٍ .

إِذَا ٱفْتَـرَقُـوا عَـنْ وَقْعَـةٍ جَمَعَتْهُـمُ ... لأُخْـرَىٰ دِمَـاءٌ مَـا يُطَـلُّ نَجِيعُهَـا[4]

تَـذُمُّ ٱلْفَتَـاةُ ٱلـرَّوْدُ شِيمَـةَ بَعْلِهَـا ... إِذَا بَـاتَ دُونَ ٱلثَّـأْرِ وَهْـوَ ضَجِيعُهَـا[5]

تُقَتِّـلُ مِـنْ وِتْـرٍ أَعَـزَّ نُفُـوسِهَـا ... عَلَيْهَـا بِـأَيْـدٍ مَـا تَكَـادُ تُطِيعُهَـا

إِذَا ٱحْتَـرَبَتْ يَـوْمـاً فَفَـاضَتْ دِمَـاؤُهَا ... تَـذَكَّـرَتِ ٱلْقُـرْبَـىٰ فَفَـاضَـتْ دُمُـوعُهَـا

وَلاَ عَيْـبَ إِلاَّ أَنَّ حِلْـمَ حَلِيمِهـا ... يُسَفِّـهُ فِـي شَـرٍّ جَنَـاهُ خَلِيعُهَـا

(١) لفظة (النُّخر) بضم فسكون ، تكررت في بعض مناطق حضرموت . . فهناك : نخر عيقون . في غيل بن يمين ، ونخر كعدة قرب تريم ، وهٰذا ، ونخر عينات وغيرها ويطلق على المحلة المقامة جوار الأرض التي نخرتها السيول .

(٢) آل النقيب من بطون يافع ، وكانت سيطرتهم في السابق على تريس ، ثم سكن منهم جماعة شباماً ، ثم جلوا عنها ، وتقدم ذكر عُقْدتهم في القطن .

(٣) **خفَّ الجيرانُ** : أسرعوا .

(٤) الأبيات من الطَّويل ، وهي للبحتريِّ في « ديوانه » (١/ ٩ـ١١) . **يطلُّ** : يهدر . **نجيعها** : دمها .

(٥) **الرَّود** : الفتاة الجميلة الحسنة الشَّابة ، وهي مسهَّلة من : الرَّؤُود .

والبيتُ الأوَّلُ شبيهٌ بقولِ عبدِ اللهِ بنِ الحرِّ [مِنَ الطَّويلِ] :

إذا خَـرَجُـوا مِـن غَمْـرَةٍ رَجَعُـوا لَهـا　　بِـأَسْيَـافِهِـمْ وَالطَّعْـنِ حَتَّـىٰ تَفَـرَّجـا

وهوَ مِن قصيدةٍ قالَها وهوَ في حبسِ مصعبَ بنِ الزُّبيرِ .

لقد كانت يافعٌ علىٰ أحسنِ ما كانتِ العربُ عليهِ مِنَ الوفاءِ بالذِّمَمِ ، وصِدْقِ الكَلِمِ ، وبُعدِ الهِمَمِ ، إلاَّ أنَّهم بالآخرةِ بَغَوا وتكبَّروا ، وكثرَ مِنْ سفهائِهِمُ الظُّلمُ ، والجورُ والفسادُ ، وما أحسنَ قولَ أَبي تمَّامٍ [في « ديوانه » : ٢/ ٩٨ مِنَ البسيطِ] :

لاَ تَجْعَلُـوا الْبَغْـيَ ظَهْـراً إِنَّـهُ جَمَـلٌ　　مِـنَ الْقَطِيعَـةِ يَـرْعَـىٰ وَادِيَ النِّقَـمِ[1]

نَظَرْتُ فِي السِّيَرِ اللاَّتِي خَلَتْ فَـإِذَا　　أَيَّـامُـهُ أَكَلَـتْ بَـاكُـورَةَ الأُمَـمِ

أَفْنَـىٰ جَـدِيسـاً وَطَسْمـاً كُلَّهَـا وَسَطَـا　　بِـالأَنْجُـمِ الـزُّهْـرِ مِـنْ عَـادٍ وَمِـنْ إِرَمِ

أَرْدَىٰ كُلَيْبـاً وَهَمَّـامـاً وَهَـاجَ بِـهِ　　يَـوْمَ الـذَّنَـائِـبِ وَالتَّحْـلاَقِ لِلِّمَـمِ[2]

يَـا عَشْـرَةً مَـا وُقِيتُـمْ شَـرَّ مَصْـرَعِهَـا　　وَزَلَّـةُ الـرَّأْيِ تُنْسِـي زَلَّـةَ الْقَـدَمِ

---

(١) **الظَّهر** : ما يُركب فوقه ويحمَّل عليه الأمتعة من الحيوانات . والمعنىٰ : لا تبغوا وتجعلوا البغي كالجمل الَّذي تحمِّلون عليه متاعكم ؛ لأنَّه كالجمل غير الذَّلول ، وربَّما أكل صاحبه .

(٢) **كُليب** : هو كليب وائلٍ ، أخو المهلهل (الزِّير سالم) ، وهو الَّذي كانت تُضرب الأمثال بعزَّته .
همَّام : هو ابن مرَّة من بكر ، وهو الَّذي طلب التغلبيُّون أن يقتلوه بكُليب الَّذي قتله جسَّاس بن مرَّة .
يوم الذَّنائب : يومٌ ظفر فيه بنو تغلب علىٰ بني بكر . **تَحلاق اللِّمم** : هو اليوم الَّذي ظفر فيه الحارث بن عُباد علىٰ بني تغلب ؛ من أجل أنَّ الزِّير سالم (المهلهل) قتل بُجير بن الحارث هٰذا .
مع العلم أنَّ الحارث بن عُباد كان من حكماءِ العرب ، وقد اعتزل حرب البسوس من أوَّلها ، وقال : (لا ناقة لي فيها ولا جمل) فغدا كلامه مثلاً .
ثمَّ لمَّا أكثر المهلهل وأسرف في القتل . . جاءَت وفود العرب إلى الحارث هٰذا ، وطلبوا منه أن يكلِّم المهلهل في ذلك . . فأرسل ابنه رسولاً للمهلهل في كتاب ، وقال في آخر الكتاب : (وإن لم يكن قلبك قد اشتفىٰ بقتلك من قتلت . . فاقتل ابني بُجيراً بكُليب ، وأنهِ الحرب ، وتكون قد قتلت ملكاً بملك) . . فثار عند ذلك غضب المهلهل ، وطعن بجيراً في بطنه وقال : (بُؤْ . . بِشِسع نعل كُليب) .
ولمَّا بلغ الحارث بن عُباد هٰذا الكلام . . طار لبُّه ، وفقد رشده ، وثار ونادىٰ بالحرب ، وارتجل قصيدته المشهورة ، الَّتي كرَّر فيها قوله : (قرِّبا مربط النَّعامة منِّي) أكثر من خمسين مرَّة ، والنَّعامة : اسم فرسه ، فجاؤوه بها ، فجزَّ ناصيتها ، وقطع ذنبها ـ وهو أوَّل من فعل ذلك من العرب فاتُّخذ سُنَّة عند إرادة الأخذ بالثَّأر ـ وأمر جميع من معه بأن يحلقوا لِمَمَهم ـ ومن هنا سُمِّيت المعركة هٰذه باسم : =

شِبَامُ[(١)]

قالَ ياقوتُ : (وشِبَامُ حَضْرَمَوْتَ[(٢)] : إحدىٰ مدينتَيْها ، والأُخرىٰ تريمُ .

قالَ عمارةُ اليمنيُّ : وكانَ حسينُ بنُ سلامةَ ـ وهوَ عبدٌ نوبيٌّ[(٣)] وزَرَ لأَبي الجيشِ بنِ زيادٍ صاحبِ اليمَنِ ـ أنشأَ الجوامعَ الكبارَ ، والمنائرَ الطِّوالَ مِنْ حَضْرَمَوْتَ إلىٰ مكَّةَ ،

= تحلاق اللِّمم ـ وثار علىٰ قوم المهلهل بني تغلب ، وقتل منهم الكثير ، وانتصر عليهم ، وأَسر المهلهل ، فجزَّ ناصيته وأَطلقه ، وأَقسم أَن لا يكفَّ عن تغلب حتَّىٰ تكلِّمه الأَرض فيهم ، فأَدخلوا رجلاً في سِرب تحت الأَرض ، ومرَّ به الحارث ، فأَنشد الرَّجل :

أَبَـا مُنْـذِرٍ أَفْنَيْـتَ فَـاسْتَبْـقِ بَعْضَنَـا ... حَنَـانَيْـكَ بَعْـضُ الشَّـرِّ أَهْـوَنُ مِـنْ بَعْـضِ

فقيل : برَّ القسم ، واصطلحت بكر وتغلب . والله أَعلم .

(١) شبام : درة وادي حضرموت ، وتاج سريره ، ولم يزل يزهو بها وبرجالها ، وكما قيل كثرة الأسماء تدل على شرف المسمّى فإن لشبام أسماء عديدة تعرف بها في الجهة ، وبعضها قديم ، فمنها : شبام ، العالية ، الصفراء ، أم الجهة ، الزُّرَافة ـ لعلوّها ـ ، يبّحم ، الدمنة .

وهي الآن مصنفةٌ ضمن أقدم بلدان العالم ، وتقوم منظمة اليونسكو العالمية برعايتها وترميمها ، وتصرف أموالاً ضخمة لحماية مبانيها ، وللمنظمة المذكورة مكتب دائم بالحصن الشرقي بشبام . وطالما كتب الرحالون العرب ، بل والأجانب عنها ، وسموها ناطحات السحاب ، بل هي أقدم ناطحات سحاب في العالم ؛ لعلو مبانيها ، ويسميها بعضُ الرحَّالة الغربيين : مانهاتن الصحراء ، على اسم مدينة أمريكية معروفة بعلو مبانيها ، ولٰكن مباني شبام علَتْ برجالها وقومها الصالحين ، أما تلك فعُلُوُّها بأمْوَال الربا ، وشتَّان ما بينهما .

(٢) شِبام حضرموت : أي الموجودة في حضرموت وليس المقصود أن اسمها كذلك والإضافة هنا للتبيين ؛ أي : لتبيينها عن غيرها ؛ إذ قال ياقوت قبل ذلك : (وحدثني بعض من يوثق بروايته من أهل شبام : أن في اليمن أربعة مواضع اسمها شبام :

شِبام كوكبان : غربي صنعاء ، وبينهما يوم . . . ومنها كان هٰذا المُخْبِر .

شِبام سُخَيم : بالخاء المعجمة والتصغير ، قبلي صنعاء بشرق ، بينه وبين صَنعاء نحو ثلاثة فراسخ .

شِبام حَرَاز : بتقديم الراء على الزاي وحاء مهملة ، وهو غربي صنعاء نحو الجنوب ، وبينهما مسيرة يومين .

شِبام حضرموت : . . . .) وهي التي ذكرها المؤلف رحمه الله ؛ وقد تسَمّىٰ شبام سخيم بشبام الغراس ؛ لقربها من مدينة الغراس .

(٣) النُّوبة : جيل من السُّودان ، الواحد منهم : نُوبي .

وطولُ ٱلمسافةِ ٱلَّتي بنى فيها ستُّونَ يوماً ، وحفرَ ٱلآبارَ ٱلمُروِيَةَ ، وٱلْقُلُبَ[١] ٱلعاديَّةَ ، فأَوَّلُها شِبامُ وتريمُ مدينتا حَضْرَمَوْتَ ، وٱتَّصلَتْ عمارةُ ٱلجوامعِ مِنها إِلىٰ عدنَ عشرونَ مرحلةً[٢] ، في كلِّ مرحلةٍ جامعٌ ومئذنةٌ وبئرٌ) اهـ[٣]

وقد سَبَقَ في شبوةَ ما لاحظناهُ على ٱبنِ ٱلحائِكِ في تسميتِها[٤] ، وفي « روضةِ ٱلألبابِ » للشَّريفِ أَبي علامةَ ٱليمانيِّ : أَنَّ تريماً وشباماً وسَنَا . . هم بنو ٱلسَّكونِ بنِ ٱلأَشرسِ بنِ كِنْدَةَ . وفيها ـ أيضاً ـ : أَنَّ تَريماً وٱلأَسنىٰ بحضرموتَ .

وأَكثرُ ٱلنَّاسِ علىٰ أَنَّ شباماً لَقَبُ عبدِ ٱللهِ بنِ أَسعدَ بنِ جُشَمِ بنِ حاشدِ بنِ جشمِ بنِ حَيْرانَ[٥] بنِ نوفِ بنِ هَمْدانَ ، وبهـٰذهِ ٱلقبيلةِ سُمِّيتِ ٱلمدينةُ ٱليمانيَّةُ ٱلواقعةُ في قضاءِ كوكبان ، وبها أَيضاً سُمِّيتِ ٱلقلعةُ ٱلواقعةُ بقمَّةِ ٱلجبلِ ٱلخِشَام ، ٱلمسمَّىٰ بٱسمِها أَيضاً ، وهو واقعٌ في قضاءِ حَرَازٍ ما بينَ ٱلحُديدةِ وصنعاءَ ، وقد نزلَ بعضُ تلكَ ٱلقبيلةِ بحَضْرَمَوْتَ ، وسكنوا شباماً فسُمِّيَتْ بِهم أَيضاً[٦] ، وبهِ يتأَكَّدُ أَنَّ أَهلَ شبامٍ وأَهْلَ قارةِ آلِ عبدِ ٱلعزيزِ مِنْ نَهْدِ هَمْدانَ ، لا مِنْ نهدِ قُضَاعةَ .

أَمَّا حنظلةُ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلشِّباميُّ ٱلَّذي قُتلَ معَ ٱلحسينِ عليهِ ٱلسَّلامُ . . فيحتملُ أَنَّهُ مِنْ شِبَامِ حَضْرَمَوْتَ ، ويَحتملُ أَنَّهُ مِنْ شبامِ ٱليَمنِ[٧] .

ومِنَ ٱلعجبِ أَنَّ صاحبَ « ٱلتّاجِ » قالَ في مادَّةِ (كثر) : (وآلُ باكثيرٍ ـ كأَميرٍ ـ : قبيلةٌ بحَضْرَمَوْتَ ، فيهِم مُحدِّثونَ ، منهُمْ : ٱلإمامُ ٱلمحدِّثُ ٱلمعمَّرُ عبدُ ٱلمعطي بنُ

---

(١) القُلُب : الآبار ، جمع قليب . والعادية نسبة إلى قوم عاد ، فلعلها كانت هناك قلب قديمة طمرتها السيول والرمال فأعادها واستخرجها الحسين بن سلامة .

(٢) المرحلة : المسافة الَّتي يقطعها السَّائر في نحو يوم وليلة .

(٣) معجم البلدان (٣/٣١٨) .

(٤) من قوله : إن الأصل في شبام : شباه ؛ لأن أهل شبوة هم أول من سكنوها ، ثم أبدلت الهاء ميماً ! ! .

(٥) في نسخة : (خيران) بالخاء المعجمة .

(٦) وهناك قول آخر وهو : إنما سميت باسم بانيها الحميري شبام بن الحارث بن حضرموت الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل بن زيد الجمهور المنتهي إلى سبأ الأكبر بن قحطان . ينظر : « معجم البلدان والقبائل » (١/٨٤٥) ، « تعريفات تاريخية » (ص٢٣) .

(٧) هو من شبام كوكبان لا شبام حضرموت ، كما يعلم من عبارة ياقوت في « البلدان » (٣/٣١٨) .

حسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ باكثيرٍ ٱلحضرميُّ[1] ، ٱلمتوفَّىٰ بـ(أحمد آباد) ، وٰلدَ سَنةَ (٩٠٥هـ) وتوفِّيَ سَنة (٩٨٩هـ) ، أجازَهُ شيخُ ٱلإسلامِ زكريَّا ، وعنهُ أَخذَ عبدُ ٱلقادرِ بنُ شيخٍ بٱلإجازةِ .

ومنهُم : عبدُ ٱللهِ بنُ أَحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ عمرَ باكثيرٍ ٱلشِّباميُّ[2] ، ممَّنْ أَخذَ عنِ ٱلبخاريِّ) اهـ

ووجودُ ٱسمِ عمرَ في عمودِ هـٰذا ٱلنَّسَبِ ممَّا يتأَكَّدُ بهِ ما قرَّرتُهُ في قولِ شيخِنا ٱلمشهورِ ، وشيخهِ أَحمدَ ٱلجنيدِ ـ : إِنَّ ٱلعلويِّينَ كانوا يَجتنبونَ ٱسمَ أَبي بكرٍ وعمرَ ؛ لأَنَّ أَهلَ حَضْرَمَوْتَ شيعةٌ ـ مِنْ تخصيصِ ٱلتَّشيُّعِ بٱلعلويِّينَ ومَن علىٰ شاكِلتِهم .

وإِنِّي بتمعُّني ٱلعُمُومَ ، وأَكثرُ أَهلِ حَضْرَمَوْتَ إِذْ ذاكَ إِباضيَّةٌ ، وقد راجعتُ « تهذيبَ ٱلتَّهذيبِ » للحافظِ ٱبنِ حجرٍ فلَم أَرَ لعبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ هـٰذا ذِكراً ، ولـٰكنْ . . مَن حفظَ حجَّةٌ علىٰ مَن لَم يحفَظْ .

ولـٰكنِّي تبيَّنتُ بعدُ ـ كما يأتي في تريس ـ أَنَّ ٱلبخاريَّ في « ٱلتَّاجِ » ليسَ إِلاَّ مُحرَّفاً تحريفاً مطبعياً عَنِ ٱلسَّخاوي ، فقد جاءَ في « ٱلضَّوءِ ٱللاَّمعِ » لَهُ ذِكْرُ : عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ هـٰذا وأَنَّهُ أَخذَ عنهُ ، ويتأَكَّدُ بتأخيرِ « ٱلتَّاجِ » لهُ عن عبدِ ٱلمعطي ، ولو كانَ قديماً . . لقدَّمهُ عليهِ .

أَمَّا عبدُ ٱلجبَّارِ بنُ ٱلعبَّاسِ ٱلهَمْدانيُّ ٱلشِّباميُّ[3] ، ٱلمحتملُ ٱلنِّسبةِ إِلىٰ شِبام هـٰذهِ وإِلىٰ غيرِها . . فقد أَخرجَ لَهُ ٱلتِّرمذيُّ وأَبو داودَ في (ٱلقَدَرِ) ، وٱلبخاريُّ في « ٱلأَدبِ ٱلمفردِ » .

وفي شِبام جماعةٌ كثيرةٌ مِنْ آلِ باكثيرٍ ، منهُمُ : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ صالحِ بنِ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ سلمةَ باكثيرٍ ، ترجمَ لَهُ ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ زينِ بنِ سميطٍ في كتابهِ : « غايةُ ٱلقصدِ وٱلمرادِ » ، وكانَ مِنْ خواصِّ ٱلقطبِ

---

(١) ترجمته في « النور السافر » حوادث سنة (٩٨٩هـ) ، و« البنان المشير » (٣٥ـ٣٩) .

(٢) توفي الشيخ عبد الله هـٰذا سنة (٩٢٥هـ) بمكة ، وكان مولده سنة (٨٤٦هـ) .

(٣) إنما هو من شبام كوكبان ، كمافي « التهذيب » في ترجمته : وشبام جبل باليمن اهـ

ٱلحدَّادِ ، ولَهُ منهُ مكاتباتٌ كثيرةٌ ، توجدُ في « مَجْمُوعِها » ، توفِّيَ بشبامٍ .

ومِنْ « تاريخ باشراحيل » أَنَّهُ : (وقعَ وباءٌ شديدٌ في سَنَةِ « ٧٨٤هـ » ، ماتَ منهُ خَلْقٌ كثيرٌ بشبامٍ ، كانَ منهُمْ : ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱللهِ باجمّالٍ ، وٱلشَّيخ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ابنُ عبدِ ٱللهِ باعبَّادٍ ، وٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ ٱبنُ ٱلفقيهِ محمَّدِ بنِ أَبي بكرٍ عبَّادٍ ، وٱلفقيهُ عمرُ بنُ عبدِ ٱللهِ بامُهْرةَ[1] ، وٱلفقيهُ أَحمدُ بنُ أَبي بكرٍ حَفْص ، وٱلفقيهُ ٱبنُ مَزْرُوعٍ ، ودامَ ذلكَ ٱلوباءُ نحواً مِنْ أَربعةِ أَشهُرٍ . . ثمَّ زالَ) اهـ

ومِن هـٰذهِ ٱلسِّياقةِ . . تعرفُ ما كانت عليهِ شبامٌ مِنَ ٱلثَّروةِ ٱلعلميَّةِ .

ومِنْ فقهاءِ شبامٍ وعلمائها[2] : ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ أَبي بكرٍ عبَّادٍ[3] ، كانَ ٱلشَّيخ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافُ يقصدُهُ مِنْ تريم إِلىٰ شبامٍ للقراءةِ عليهِ .

وفي ٱلحكايةِ (٣٠٨) مِنَ « ٱلجوهرِ » [٥٨/٢] : عن محمَّدِ بنِ أَبي سلمةَ باكثيرٍ قالَ : (صعدتُ معَ بعضِ آلِ باوزيرٍ إِلىٰ شبامٍ ، فبينَما نحنُ عندَ ٱلعارفِ بٱللهِ محمَّدِ بنِ أَبي بكرٍ عبَّادٍ ـ وهوَ في آخِرِ عمرهِ ـ إِذْ جاءَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافُ ، فأَجلَّهُ وٱحترمَهُ ، وأَخذا يتذاكرانِ مِنَ ٱلضُّحىٰ إِلى ٱلاصفرارِ ، لا يرفعانِ مجلسَهُما إِلاَّ لِلضَّروريَّاتِ ، وكانَ ٱلفقيهُ باعبَّادٍ شيخَ ٱلسَّقَّافِ ، ولـٰكنَّهُ يحترمُهُ) اهـ بمعناهُ .

وفي سنةِ (٧٥٢هـ) قَدِمَ ٱلشَّيخُ يحيى بنُ أَبي بكرِ بنِ عبدِ ٱلقويِّ ٱلتُّونسيُّ إِلىٰ شِبَامٍ في رجبٍ ، وسافرَ في رمضانَ مِن تلكَ ٱلسَّنةِ ، وقد ترجَمَهُ ٱلطَّيِّبُ بامخرمةَ ، وذَكَرتُ في « ٱلأَصلِ » أَنَّ قدومَهُ إِلىٰ حضرموتَ كانَ في سنةِ (٧٧٢هـ) بناءً علىٰ ما وُجدَ بخطِّ سيِّدِنا ٱلأُستاذِ ٱلأَبَرِّ ، لـٰكنَّ ٱلَّذي في « سفينةِ ٱلبضائعِ » للحبيبِ عليِّ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ

---

(١) كان من كبار فقهاء عصره ، وله ذكر في « مجموع بن طه الفقهي » وغيره .

(٢) ومن أجل علماء شبام الحافظ المحدث الرحالة المسند الإمام أبو نزار ربيعة بن الحسن الشبامي ثم الصنعاني ، مولده بشبام حضرموت سنة (٥٢٥هـ) ، ووفاته بمصر القاهرة سنة (٦٠٩هـ) ، أخذ عن كبار حفاظ عصره ، ورحل إلى أصبهان وهمذان والعراق والشام والحرمين ومصر . له ترجمة في : « تذكرة الحفاظ » ، و« سير النبلاء » للذهبي ، و« التكملة لوفيات النقلة » للمنذري .

(٣) الشيخ الإمام الكبير ، وفاته بشبام سنة (٨٠١هـ) ، وتمام نسبه محمد بن أبي بكر بن عمر بن محمد باعباد ، وعم أبيه هو الشيخ الكبير عبد الله بن محمد الملقب بالقديم باعباد .

و« عقودِ ٱللآلِ » لسيِّدي ٱلأُستاذِ ٱلأبرِ : أَنَّ قدومَهُ لم يكن إلاَّ سنةَ (٧٥٢هـ) ، وتكرَّر عنهُ أَخذُ ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ أَبي بكرٍ عبَّادٍ .

ونقلَ ٱلطَّيِّبُ أَنَّهُ وقعَ موتٌ كثيرٌ بحضرموتَ أَوائلَ سنةِ (٩٣٠هـ) ، وفيها توفِّي ٱلفقيهُ شجاعُ ٱلدِّينِ عمرُ بنُ عقيلٍ بَلْرَبيعةَ ، وعبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ باعُقْبَةَ ، وأَخوهُ أَحمدُ بنُ عمرَ بَاعُقْبَةَ ، وعمرُ بنُ أَبي بكرٍ بَاذِيبٍ في نحوِ أَربع مئةِ جنازةٍ مِن شبامٍ وحدَها .

وكانَ ٱلشَّيخُ أَبو بكرِ بنُ سالمٍ يتردَّدُ إِلىٰ شبامٍ للأَخذِ عنِ ٱلشَّيخِ معروف باجَمّال ، وكذلك ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ حسينِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلعيدروسِ ٱلمتوفَّىٰ سَنة (٩٦٨هـ) يتردَّدُ على ٱلشَّيخِ معروفٍ ، وٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ حسينٍ هٰذا مِنْ كُمَّلِ ٱلرِّجالِ ، قالَ ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ زيدٍ ٱلدَّوعنيُّ : (خرجتُ مِنْ بلدي أَطلبُ مربِّياً ، فلمَّا دخلتُ إِلىٰ تريم . . دلُّوني على ٱلشَّيخِ أَحمدَ بنِ حسينٍ ، فخدمتُهُ ولازمتُهُ ، وفُتِحَ عليَّ مِنَ ٱلفضلِ وٱلخيرِ ما لَم يُبْقِ فيَّ ٱتِّساعاً للغيرِ) .

وٱلشَّيخُ معروفٌ[1] أَوحدُ صوفيَّةِ شبامٍ في زمانِهِ ، ولَقِيَتْهُ مِحَنٌ شديدةٌ . . فزالَ عن شبامٍ ثلاثَ مرَّاتٍ :

ـ ٱلأُولىٰ : سَنةَ (٩٤٤هـ) إِلى ٱلسُّورِ ، وكانَ معَهُ في هٰذهِ ٱلمرَّةِ عشرةٌ مِنْ تلاميذهِ وفقرائِهِ ؛ منهُم : محمَّدُ بنُ عمرَ جمّال[2] ، وعمرُ بنُ محمَّدٍ جمّال ، ومحمَّدُ بنُ

(١) هو الشيخ الكبير معروف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد مؤذن بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن إبراهيم باجمال الكندي الشبامي الحضرمي ، مولده بشبام ليلة (١١) رمضان سنة (٨٩٣هـ) ، ووفاته ببضه بدوعن ليلة السبت (١٥) صفر (٩٦٩هـ) . تربّى ونشأ في حجر والده ، وتخرج بشيخه الكبير الشيخ عبد الرحمن الأخضر باهرمز ، وكان صاحب دعوة وهمّة عظيمة . ينظر ترجمته في : « مواهب الرب الرؤوف » الذي أفرده لترجمته تلميذه الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن سراج باجمّال ، و« النور السافر » ، و« السناء الباهر » ، و« تاريخ الشعراء » (١/ ١٤٧) .

(٢) الشيخ محمد بن عمر باجمّال : من أجل تلامذة الشيخ معروف وأكثرهم ملازمة له ، ولد بشبام سنة (٩٠٥هـ) ، كان عالماً إماماً محققاً ، له مجاهدات عظيمة ، مكث (٤٠) سنة يصوم ولا يفطر إلا في العيدين وأيام التشريق . له مؤلفات عظيمة منها : « مقال الناصحين » وهو أشهر كتبه ، وقد طبع بدار الحاوي ببيروت في طبعة فاخرة مجلدة . و« الكفاية الوفية في إيضاح كلمات الصوفية » . وغير ذلك ، توفي ببضه سنة (٩٦٤هـ) . « المجتمع الشبامي » (خ) .

شعيب ، وأحمدُ مَعْدَانَ ، وأحمدُ مُصَفِّر ، وحيدرةُ بنُ عمرَ ، ومحمَّدُ باكحَيل ، وعمرُ قُعَيْطِيّ ، وأمبارك بازياد . وأقامَ بالسُّورِ نحوَ سَنةٍ ، ثمَّ عادَ إلىٰ شبامِ سَنةَ (٩٤٥هـ) .

ـ ثمَّ خَرجَ إلىٰ عندل بالكَسْرِ أَواخرَ عَمْدٍ سَنةَ (٩٤٥هـ) ، وعادَ بعدَ سَنةٍ .

ـ ولمَّا استولىٰ بدر بوطويرق علىٰ شبام . . أهانَهُ إهانةً بالغةً ، حتَّىٰ لقد طافوا بهِ في شوارعِ شبام وفي جِيدِهِ حبلٌ مِنْ مَسَدٍ[1] ، فخرجَ إلىٰ بُضَهْ في سَنةِ (٩٥٧هـ) ، وبقيَ بها في ضيافةِ أَميرِ دوعنَ الشَّيخِ الجليلِ عثمانَ بنِ أحمدَ العموديِّ إلىٰ أَنْ توفِّيَ بها سَنةَ (٩٦٩هـ) عن ستٍّ وسبعينَ عاماً .

وكانَ محلُّ دعوةِ الشَّيخِ معروفٍ بشبامٍ . . هو مسجدَ الخَوْقَةِ[2] .

ثمَّ في سَنةِ (٩٣٢هـ) أَمرَ بعمارةِ مسجدِ المَقْدِشيِّ[3] ، وكانَ بناؤُهُ في سَنةِ (٩٣٦هـ) ، ولـٰكنَّهُ اندثرَ ، ولَم يَبْقَ لَهُ أَثرٌ ، حتَّىٰ جدَّدَهُ الشَّيخُ معروفٌ .

وكانَ الحبيبُ أَحمدُ بنُ زينٍ الحَبْشيُّ يذهبُ إلىٰ شبامٍ كلَّ خميسٍ وكلَّ إثنين ماشياً ؛ للقراءةِ على الشَّيخِ الأنورِ : أَحمدَ بنِ عبدِ اللهِ باشراحيل ، وكانَ يُثني عليهِ ، ويُسندُ كثيراً مِنْ مرويَّاتهِ إليهِ ، والشَّيخُ أَحمدُ هـٰذا مِنَ الآخِذينَ عنِ الحبيبِ عمرَ بنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ العطَّاسِ ، ثمَّ عن تلميذهِ القطبِ الحدَّادِ ، ولَهُ أَخذٌ أَيضاً عنِ الحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ أَحمدَ بلفقيهِ .

ومِنَ الصَّالحينَ المشارِ إليهم بالولايةِ في شبامٍ : الشَّيخُ أَبو بكرِ بنُ عبدِ اللهِ باصَهي . والشَّيخُ المجذوبُ أَحمدُ بنُ جُبَيرٍ شَراحيل .

---

(١) المسد : هو الليف .

(٢) مسجد الخوقة من مساجد شبام القديمة ، وكان في العهود السالفة مقراً للإباضية ، ورد ذكره في حوادث سنة (٥٩١هـ) عند شنبل ، فقال : (وفي سنة « ٥٩١هـ » أزيلت الإباضية من مسجد شبام المعروف بمسجد الخوقة) اهـ

(٣) بُني مسجد المقدشي سنة (٦٣٦هـ) . وأعيد تعميره سنة : (٧٩٩هـ) كما في « شنبل » . وهـٰذا المسجد صار يعرف بمسجد الشيخ معروف الطّالعي = (الفوقاني) ، تمييزاً عن مسجد الشيخ معروف الواقع خارج سور بلد شبام من الجهة القبلية .

ومِنْ أكابرِ علماءِ شبام : ٱلعلاّمةُ ٱلفقيهُ عمرُ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلشِّباميُّ[1] ، مؤلِّفُ كتابِ « قوارعِ ٱلقلوبِ » ، وهوَ إمامٌ جليلٌ ، مِنْ أكابرِ أعيانِ ٱلقرنِ ٱلعاشرِ ، معاصرٌ للفقيهِ عبدِ ٱللهِ بلحاج وٱبن مزروع . قالَهُ أحمدُ مؤذن ، ونقلَهُ عنهُ جدُّنا طـٰه بنُ عمرَ في « مجموعهِ » .

ومِنْ علماءِ شبامٍ :

ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ سالمٍ باذيب[2] . وٱلشَّيخُ سالمُ بنُ عليٍّ عَبّاد . وٱلشَّيخُ عمرُ باشراحيل ، لَهُ ذِكرٌ في « مجموعِ ٱلأجدادِ »[3] .

ونقلَ ٱلمُناويُّ في « طبقاتهِ » عنِ ٱلشَّيخِ أحمدَ بنِ عقبةَ ٱلشِّباميِّ[4] ٱلحضرميِّ أنَّهُ قالَ : (ٱرتفعتِ ٱلتَّربيةُ بٱلاصطلاحِ مِنْ سَنةِ (٨٢٤هـ) ولَم يَبْقَ إلاَّ ٱلإفادةُ) .

وآلُ عقبةَ ٱلشِّباميُّونَ مِنْ كِندةَ ، وهُم غيرُ آلِ عُقْبةَ ٱلخولانيِّينَ ٱلسَّابقِ ذِكرُ شاعرِهم بٱلهَجْرينِ[5] .

ومنهمُ : ٱلعلاَّمةُ ٱلفقيهُ عليُّ بنُ عمرَ عُقبة تلميذُ ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ أبي بكرٍ عبادٍ .

ومِنْ « رحلةِ ٱلسَّيِّدِ يوسفَ بن عابد الحَسَني » [ص١٠٥ـ ١٠٦] أنَّ ٱلشَّيخَ أحمدَ بنَ

---

(١) هو من آل باجمّال ، ولعل السابقين لم يذكروا لقبه لشهرته عندهم . ولد بشبام سنة (٨٥٧هـ) ، وبها توفي سنة (٩١٦هـ) ، وهو أخو الشيخ محمد بن عمر .

(٢) الشيخ عمر بن سالم بن أبي بكر باذيب ، من كبار أصحاب الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس ، وبعد وفاته سنة (١٠٧٢هـ) صحب الإمام الحداد . وكان من المشهود لهم بالصلاح ، ترجم له الحبيب محمد بن زين بن سميط في « بهجة الزمان » .

(٣) الشيخ عمر بن عبد الله شراحيل ، من كبار فقهاء عصره ، عاش أواخر القرن العاشر .

(٤) الشيخ أحمد بن عبد القادر بن عقبة الشبامي ، المولود بشبام ، والمتوفى بصحراء مصر غريباً وحيداً سنة (٨٩٥هـ) ، ترجم له السخاوي في « الضوء » ، والمناوي في « الكواكب الدرية » (٢/٢) ، ضمن الطبقة التاسعة .

(٥) من آل عقبة هؤلاء ـ سكان شبام ـ المشايخ آل سُدَيس ـ مصغر سُدُس ـ لقب أطلق على جدهم الشيخ عوض بن أحمد عقبة لأنه كان يقسم التركات . . فإذا وجد في القسمة سدساً . . قال : وهـٰذا السديس نصيب فلان ، فأطلق عليه : (سديس) . توفي المعلم عوض بشبام سنة (١٢٩٩هـ) . وله رسالة عن وظيفة جامع شبام سمّاها : « تقريب الشاسع في ترتيب وظيفة الجامع » مفيدة وهامة .

عبدِ ٱلقادرِ بنِ عقبةَ ٱنتفعَ بٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلعيدروسِ ، وهوَ ٱلَّذي أَشارَ عليهِ بٱلسَّفرِ مِنْ شبامٍ إِلى ٱلحجازِ ، ثمَّ جاءَ إِلىٰ مصرَ وٱستوطنَها ، وفيها ٱتَّفقَ بٱلشَّيخ زرّوقٍ ، وكانَ مِنْ أَمرِهما ما ٱشتهرَ في رسائِلِ زرّوقٍ و« مناقبِ ٱلشَّيخِ أَحمدَ عُقْبة »[1] .

وممَّنْ سكنَ شباماً : ٱلسَّادةُ آلُ سُميطٍ ، **وأَوَّلُهمْ**[2] : ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ محمَّدُ بنُ زينِ بنِ علويِّ بنِ سميطٍ ، وصلَها لغرضِ ٱلسَّفرِ منها إِلى ٱلقبلةِ ، فأَبطأَت عليهِ ٱلقوافلُ ، فأَشارَ عليهِ ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ زينِ ٱلحبشيُّ أَن يتديَّرها للإِرشادِ وٱلتَّعليمِ ، وقالَ لهُ : إِنَّ آلَ شبامٍ أَهلُ ٱعتقادٍ وٱنتقادٍ ، فٱمتثلَ وبقيَ بها إِلىٰ أَنْ تُوفِّيَ بها سَنَةَ (١١٧٢هـ) ، ترجمَهُ ٱلشَّيخُ معروفُ بنُ محمَّدٍ باجمال بكتابٍ كاملٍ سمَّاهُ : « مجمعُ ٱلبحرينِ »[3] .

وكانَ ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ محمَّدٍ لَعجَمْ يسيرُ إِلىٰ حِذْيةَ عندَ ٱلشَّيخِ عمرَ باهرمزٍ ، فإِذا أَنشدَ قولَ ٱلقائِلِ [مِنَ ٱلوافرِ] :

سَأَلْتُ ٱلنَّاسَ عَنْ خِلٍّ وَفِيٍّ ... فَقَالُوا مَا إِلَىٰ هَـٰذَا سَبِيلُ[4]
تَمَسَّكْ إِنْ ظَفِرْتَ بِوُدِّ حُرٍّ ... فَإِنَّ ٱلْحُرَّ فِي ٱلدُّنْيَا قَلِيلُ

---

(١) « مناقب الشيخ أحمد عقبة » هو الكتاب الذي ألفه الشيخ زروق في شيخه المذكور ، وضمَّنه المكاتبات والرسائل المشار إليها .

(٢) كان قدوم السادة آل سميط إلى شبام في سنة (١١٣٥هـ) ؛ إذ قدم السيد الفاضل زين بن علوي بن عبد الرحمن بن سميط ومعه أولاده السادة محمد وعمر وعلي ، وكان السبب في قدومهم هو ابنه الحبيب محمد بن زين الذي كان ملازماً للإمام الحداد ، ولما توفي الإمام سنة (١١٣٢هـ) . . ضاقت تريم على الحبيب محمد ، وسار إلى الحوطة عند شيخه الثاني الحبيب أحمد بن زين الحبشي ، وبعد مداولات . . استقر عزمه على الجلوس في شبام بإشارة الحبيب أحمد وترغيبه له في ذلك ، ولما تهيأت الأمور ووضحت الرؤية . . قدم بكافة أفراد أسرته ، فقدموا في ذلك العام . وتوفي السيد زين بن علوي وابنه علي في سنة واحدة كليهما في عام (١١٤٠هـ) . ترجم لهما الحبيب محمد في « بهجة الفؤاد » .

(٣) يقع في مجلد ، والشيخ معروف هـٰذا توفي سنة (١٢٦٤هـ) ، كان من صالحي شبام وعلمائها ، متواضعاً خمولاً .

(٤) البيتان لأبي إسحاق الشيرازي ، كما في « معجم السفر » (١١٣) .

.. يقول باهرمزٍ : تدري مَنِ ٱلحُرُّ ٱليوم يا عليّ؟ فيقولُ باهرمزٍ : إِنَّهُ محمَّدُ بنُ زينِ بنِ سميطٍ . وخَلَّفَ ولدَين : أحدُهما : عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ، وقد تزوَّجَ بابنةِ سيِّدِنا عليِّ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلسَّقَّافِ ، وأَخذَ عنهُ ، وٱنتفعَ بهِ . وٱلثَّاني : زَيْنٌ ، وكانَ مِنَ ٱلصَّالحينَ . وأَعقبَهُ بها أَخوهُ ٱلفاضلُ ٱلبَدَلُ عمرُ بنُ زينٍ[1] ، ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (١٢٠٧هـ) عن تسعينَ عاماً قضاها في ٱلخيرِ و نشرِ ٱلدَّعوةِ إِلى ٱللهِ ، وكانَت سكناهُ بشبام لمَّا توفِّي أَخوهُ محمَّدٌ ، وتركَ ـ أَعني ٱلحبيبَ عمرَ ـ ستَّةَ أَولادٍ ذكوراً ، وهم : عليٌّ وعبد ٱلرَّحمـٰنِ وحسينٌ وأَبو بكرٍ وأَحمدُ ومحمَّد ، ومن كلامهِ ـ كما يرويهِ ٱبنُهُ ٱلعلاَّمةُ أَحمدُ بنُ عمر ـ : أن تسعةَ أَعشارِ أَهلِ حضرموتَ كانوا لا يُصلُّون ، وٱلعُشرُ ٱلَّذي يُصلِّي لا أَدري ما صَلاتُه .

قال سيِّدي ٱلأُستاذُ ٱلأَبرُّ عيدروسُ بنُ عمرَ : إِنَّ ٱلحبيبَ عمرَ بنَ زينٍ مكثَ سبعةَ عشرَ عاماً لا يضعُ جنبَهُ على ٱلأَرضِ ؛ ٱجتهاداً في ٱلعلمِ والعبادة ، وكانَ ولدُهُ أَحمدُ بنُ عمرَ أَكثرَ مَن يقرأُ عليهِ ٱلكتبَ ، وإِذا غلبَهُ ٱلنَّومُ.. أَعطاهُ شيئاً مِنَ ٱللَّوزِ وٱلزَّبيبِ ؛ ليطردَ بهِ ٱلنُّعاسَ ويَنشطَ للقراءَةِ .

وممَّنَ أَثنىٰ عليه ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ حسينِ بنِ طاهرٍ مِن آلِ سميطٍ : ٱلفاضلُ ٱلجليلُ عبْدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدِ بنِ سميطٍ ، وٱبنُهُ ٱلعبَّاد ٱلإِمامُ عليُّ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ .

ومنهُم : ٱلقطبُ ٱلمجدِّدُ ٱلدَّاعي إِلى ٱللهِ ٱبنُهُ أَحمدُ بنُ عمرَ بنِ زين بنِ سميطٍ[2] ، لقد كانَ عَلَمَ هدىً ، ونبراسَ دُجىً ، ونورَ إِسلامٍ ، وفردَ أَعلامٍ ، أَردتُ أَن أَتمثَّلَ لهُ

---

(١) ولد بتريم سنة (١١٢٠هـ) ، حضر عند الإمام الحداد ، ثم انتقل إلى شبام بصحبة أخيه الأكبر الحبيب محمد ، كتب بعض مواعظه ومنثور كلامه الشيخ عبد الله بن عوض باذيب .

(٢) ولد الحبيب أحمد بن عمر بشبام سنة (١١٧٨هـ) ، كان صاحب بصيرة عظيمة ، توفي سنة (١٢٥٧هـ) ، وقد كان القائم بالدعوة في شبام بعد وفاة الحبيب عمر بن زين : الحبيب عبد الرحمن بن محمد بن زين ، المتوفىٰ سنة (١٢٢٣هـ) ، وقد لازمه الحبيب أحمد بن عمر بعد وفاة والده إلى وفاته ، ثم خلفه هو في مقامه .

بما يناسبُ ، ولـٰكن رأيتُ مقاماً عظيمَ ٱلشَّأْنِ حيَّرني ، فلم يحضُرني إلاَّ قول ٱلشَّريفِ ٱلرَّضيِّ [في « ديوانه » ٢/٢٩٨ـ٢٩٩ مِنَ ٱلرَّمل] :

إرْثُ آبَـاءِ عَلَـوْا ، فَـاقْتَعَـدُوا عَجُـزَ ٱلْمَجْـدِ ، وَأَعْطَـوْهُ ٱلسَّنَـامَـا
شَغَلُـوا قِـدْمـاً عَـنِ ٱلنَّـاسِ ٱلْعُـلاَ وَرَمَـوْا عَـنْ ثُغَـرِ ٱلْمَجْـدِ ٱلأَنَـامَـا
لَـمْ يَعِـشْ مَـنْ عَـاشَ مَـذْمُـوماً وَلاَ مَـاتَ أَقْـوَامٌ إذا مَـاتُـوا كِـرَامَـا
كُنْتُـمُ ٱلـرَّاعِيـنَ ، فَـإِنْ جِئْنَـا بِكُـمْ يَعْظُـمُ ٱلنَّـاسُ ، وَٱلنَّـاسُ ٱلسَّـوَامَـا

وهوَ ٱلَّذي ٱهتمَّ بإقامةِ دولةٍ لـ(حَضْرَمَوْتَ) ، وٱشتدَّ لذلكَ أَسفُهُ ، وتوالىٰ لَهَفُهُ ، ولئِنْ ماتَ بحسرةٍ علىٰ ذلكَ . . فقد كلَّلَ ٱللهُ أَعمالَهُ بٱلنَّجاحِ في نشرِ ٱلدَّعوةِ إلى ٱللهِ ، حتَّى ٱنقشعتِ ٱلجهالةُ ، وٱندفعتِ ٱلضَّلالةُ ، وانتبه ٱلجمَّاءُ منَ ٱلنَّومِ ، وتقيَّلَ آثارَهُ أَراكينُ ٱلقومِ ؛ كسادتي : حسنِ بنِ صالحٍ ٱلبحرِ ، وجدِّي ٱلمحسنِ ، وٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ وغيرِهم ، حتَّىٰ لقد مَرَّ بعضُهُم وإحدىٰ بناتِ آلِ همَّامٍ بحصْنِ تريم تقولُ : جاءَ جبريلُ إلى ٱلنَّبيِّ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وتُكرِّرُ حديثَ ٱلدِّينِ[1] ، فقالَ : (ما كانَ جبريلُ ليدخلَ دارَ آلِ همَّامٍ لولا أَحمدُ بنُ عمرَ) . توفِّيَ بشبامٍ سَنةَ (١٢٥٧هـ) .

وخَلَفَهُ علىٰ منهاجِهِ ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ ، ٱلصَّادعُ بٱلحقِّ ، ٱلنَّاطقُ بٱلصِّدقِ ، عمرُ بنُ محمَّدٍ[2] ابنِ سميطٍ .

ٱلْقَـائِـلُ ٱلْحَـقَّ فِيـهِ مَـا يَضُـرُّ بِـهِ وَٱلْـوَاحِـدُ ٱلْحَـالَتَيْـنِ ٱلسِّـرَّ وَٱلْعَلَـنِ[3]

فكانَ يُغلِظُ ٱلقولَ للسُّلطانِ عوضِ بنِ عمرَ وهوَ إلىٰ جانبِ منبرِ شبامٍ في جامِعِها ،

---

(١) هو الحديث الَّذي أخرجه مسلم (٨) عن سيِّدنا عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ، الَّذي يأتي فيه جبريل إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والسَّاعة .

(٢) الحبيب عمر بن محمد بن عمر بن زين ، ولد بشبام حدود سنة (١٢٠٨هـ) ، تخرج بعمه الإمام أحمد بن عمر ، وخلفه في مقام الدعوة إلى الله والقيام بوظيفة الوعظ والإرشاد ، له مصنفات ورسائل وعدد من المختصرات .

(٣) البيت من البسيط ، وهو لأبي الطيِّب المتنبي في « العكبري » (٤/٢١٦) .

ويقولُ : إنَّ ٱلعدنيَّ يقولُ من قصيدةٍ [في « ديوانِهِ » ١٨٨] :

نَــرْمِيــهْ بِــٱسْهُمْنَــا وَلاَ يَــرَانَــا . . . .

ونحنُ نَرميهِ بأَسهُمِنَا وهو يرانا ، وٱلسُّلطانُ عوضٌ يحتمل ذاكَ ؛ لأَنَّهُ يُعَظِّمُ أَهلَ ٱلدِّينِ ، وٱلعلماءُ إِذْ ذاكَ يُكَرِّمونَ أَنفُسَهم ، ويصونونَ ٱلعلمَ ، ومقامُهُ كبيرٌ في ٱلعيونِ ، جليلٌ في ٱلصُّدورِ ، ولم يزل ناشرَ ٱلدَّعوةِ ، آمراً بٱلمعروفِ ، ناهياً عن ٱلمنكرِ ، حتَّىٰ توفِّي بشبامٍ سنة (١٢٨٥هـ) ، ووقعَ رداؤهُ على ابنِهِ ـ ٱلخليفةِ القانتِ ٱلأَوَّابِ ، ٱلَّذي لاَ يداهنُ ولا يهابُ ـ : عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ[1] ، ٱلمتوفَّىٰ بها سنةَ (١٣١٢هـ) .

ومنهُمُ : ٱلسَّمحُ ٱلكريمُ ، ٱلرَّاويةُ لأَخبارِ ٱلسَّلَفِ ٱلطَّيِّبِ : حسنُ بنُ أَحمدَ بنِ زين بنِ سميطٍ[2] ، ٱلمتوفَّىٰ بها سَنةَ (١٣٢٣هـ) ، وقد رثيتُهُ بقصيدةٍ توجَدُ بمحلِّها مِنَ « ٱلدِّيوانِ » .

ومنهم : ٱلسَّيِّدُ ٱلواعظُ ٱلفقيهُ : طاهرُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ، ٱلمتوفَّىٰ بها سَنةَ (١٣٣١هـ) .

ومنهُمُ : ٱلسَّيِّدُ ٱلجليلُ ٱلمقدارِ : أَحمدُ بنُ حامدِ بنِ عمرَ بنِ زينٍ ، ٱلمتوفَّىٰ بها سَنةَ (١٣٣١هـ) .

ومنهُم :

عَــلاَّمَــةُ ٱلْعُلَمَــاءِ وٱللُّــجُّ ٱلَّــذِي لاَ يَنْتَهِــي وَلِكُــلِّ لُــجٍّ سَــاحِــلُ[3]

ٱلفاضلُ ٱلجليلُ ٱلعلاَّمةُ ٱلمحقِّقُ ٱلمتفنِّنُ : أَحمدُ بنُ أَبي بكرِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ

---

(١) هو الحبيب عبد الله بن عمر ، كان من كبار عباد الله الصالحين ، زاهداً متواضعاً ، لايخاف في الله لومة لائم ، وكان يقيم أكثر وقته في جوجة وكان يأكل من عمل يده ، وله رسائل وعظية لطيفة . ترجم له باحسن في « تاريخ الشحر » .

(٢) الحبيب حسن بن أحمد بن زين بن محمد بن زين : توفي والده الحبيب أحمد سنة (١٢٨٠هـ) ، وولد هو بسيئون سنة (١٢٥٠هـ) تقريباً ، وكان يتردد على الشحر ونواحيها متاجراً .

(٣) البيت من الكامل .

عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ محمَّدِ بنِ زينٍ ، ولدَ بأنزيجةَ مِنَ ٱلسَّواحلِ ٱلأفريقيَّةِ[1] ، وبها تعلَّمَ ، وأَخذَ العلومَ عن أَبيهِ[2] وعن غيرِهِ ، وقَدِمَ حَضْرَمَوْتَ عدَّةَ مرَّاتٍ ، مِنها : سَنَةَ (١٢٩٨هـ) ، ومنها : سَنَةَ (١٣١٦هـ) ، وآخِرَ مرَّةٍ قَدِمَها سَنَةَ (١٣٢٥هـ) وشهدَ زيارةَ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ ، وكانَ لَهُ بوالدي ٱتِّصالٌ عظيمٌ ، وٱرتباطٌ وثيقٌ ، وأَخْذٌ تامٌّ ، ولَهُ مؤلَّفاتٌ كثيرةٌ ، وأَشعارٌ جزلةٌ :

مِـنْ كُـلِّ قَـافِيَـةٍ فِيهَـا إِذَا ٱجْتُنِيَـتْ ... مِنْ كُلِّ مَا يَشْتَهِيهِ ٱلْمُذْنَفُ ٱلْوَصِبُ
حَسِيبَـةٌ فِـي صَمِيـمِ ٱلْمَـدْحِ مَنْصِبُهَـا ... إِذْ أَكْثَرُ ٱلشِّعْرِ مُلْقَـىً مَـا لَـهُ حَسَـبُ

توفِّيَ في زنجبارَ سَنَةَ (١٣٤٣هـ)[3] .

ومِنَ ٱللَّطائفِ : أَنَّني عملتُ ٱحتفالاً لتأبينِهِ وٱلتَّعزيةِ بِهِ في مسجدِ طٰه ، وأَعددتُ كلمةً في نفسي ، وإذا بمؤبِّرٍ نخلي يكرِّرُ ويتغنَّىٰ بقولِهِ : (لا حِلّ للموتِ) فقط ، فبقيتُ علىٰ أَحرَّ مِنَ ٱلجمرِ في ٱنتظارِ ٱلباقي ، حتَّىٰ قالَ :

لاَ حِـــلَّ لِلْمَـــوْتِ مَــــا ... خَلَّـــىٰ كَبِـــدْ سَـــالِيَـــهْ[4]
شَـــلّ ٱلْــوُجِيــهِ ٱلْــرضِيــ ... ــيَـــهْ وَٱللِّحَـــى ٱلْغَـــالِيَـــهْ

فذهبَ ما في نفسي ، وأَخذَني شأنٌ عظيمٌ درَّ بِهِ كلامٌ أَحسنُ وأَبلغُ وأَنجعُ ممَّا كنتُ أَعددتُهُ ؛ لأَنَّ ذلكَ الوصفَ منطبقٌ عليهِ .

وَلَـمْ يَنْسَ سَعْيَ ٱلْعِلْمِ خَلْفَ سَرِيرِهِ ... بِـأَكْسَـفِ بَـالٍ يَسْتَقِيـمُ وَيَظْلَـعُ[5]
وَتَكْبِيـرَهُ خَمْسـاً عَلَيْـهِ مُعَـالِنـاً ... عَلَـىٰ أَنَّ تَكْبِيـرَ ٱلْمُصَلِّيـنَ أَرْبَـعُ

---

(١) مولده سنة (١٢٧٧هـ) .

(٢) والده الحبيب أبو بكر ، ولد بشبام ، وهاجر إلى أفريقيا ، وبها توفي سنة (١٢٩٠هـ) ، كان من أكابر تلامذة الإمام أحمد بن عمر بن سميط ، وصار له ولأولاده جاه كبير في شرق أفريقيا ، لا سيما بجزر القمر .

(٣) ترجمته في : مقدمة « منهل الوراد » بقلم الحبيب أحمد مشهور الحداد ، وفي مقدمة « الابتهاج » بقلم ابنه الحبيب عمر ، و« لوامع النور » (١/ ٣٢٥) و« رحلة باكثير » (١٥٦) .

(٤) لا حِلّ : عامّية بمعنىٰ لا أحلّه ؛ أي لا أسامحه ، يقال عند القبر بعد الدفن : فلان يطلب الحِلّ من الكُلّ .

(٥) البيتان من الطَّويل ، وهما لأبي تمّام في « ديوانه » (٢/ ٣٠٩) ، بتغيير بسيط . أكسف : أسوأ . **يظلع** : يعرج في مشيه .

فعظمت بموتهِ ٱلرَّزِيَّةُ ، ولـٰكنْ كانَ ولدُهُ عمرُ بقيّةً[1] .

فَـإِنَّـهُ نَحْـوُهُ فِـي حُسْـنِ سِيـرَتِـهِ ... مُنْـذُ ٱلشَّبِيبَـةِ وَهْـوَ ٱلآنَ مُكْتَهِـلُ[2]
أَضْحَـىٰ لَنـا بَـدَلاً عَـنْ فَقْـدِ وَالِـدِهِ ... وَٱلشِّبْـلُ مِـنْ لَيْثِـهِ إِمَّـا مَضَـىٰ بَـدَلُ

فخلاهُ ٱللَّوم ؛ إذْ سدَّ مسدَّ ٱلقومِ ، لَم يَنقطعْ رِشاهُ ، ولا قالوا : فلانٌ رَشاهُ[3] .

وما رأيتُ أحداً بعد أُستاذي ٱلأبرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ ، وسيِّدي عبدِ ٱللهِ بنِ حسنٍ ٱلبحرِ يَستجْهِرُ ٱلنَّاسَ بفرْطِ ٱلوسامِ ، وبَسْطةِ ٱلأجسامِ ؛ كآلسَّادةِ آلِ سُمَيطٍ ، لا يراهُمُ ٱلنَّاظرُ . . إلاَّ تذكَّرَ قولَ جرير [في « ديوانه » : ٤٥٦ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

تَعَـالَـوْا فَفَـاتُـونَـا فَفِـي ٱلْحَـقِّ مَقْنَـعٌ ... إِلَـى ٱلْغُـرِّ مِـنْ أَهْـلِ ٱلْبِطَـاحِ ٱلأَكَـارِمِ
فَـإِنِّـيَ أَرْضِـي عَبْـدَ شَمْـسٍ وَمَـا قَضَـتْ ... وَأُرْضِـي ٱلطِّـوَالَ ٱلْبِيـضَ مِـنْ آلِ هَـاشِـمِ

فأُولئِكَ ٱلْبِيضُ ٱلطِّوال ، وَثمَّةَ ٱلهِممُ ٱلعوال .

آرَاؤُهُـــمْ وَوُجُـــوهُهُـــمْ وَعُلُـــومُهُـــمْ ... فِـي ٱلْحَـادِثَـاتِ إِذَا دَجَـوْنَ نُجُـومُ[4]
فِيهَـا مَعَـالِـمُ لِلْهُـدَىٰ وَمَصَـابِـحٌ ... تَجْلُـو ٱلـدُّجَـىٰ وَٱلأُخْـرَيَـاتُ رُجُـومُ

فأَحوالُهم جليلةٌ ، وأَخلاقُهُم جميلةٌ ، وأَخبارهُم عريضةٌ طويلةٌ[5] ، ينطبقُ عليهِم

---

(١) الحبيب العلامة المعمّر عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط ، ولد بزنجبار سنة (١٣٠٣هـ) ، وبها توفي سنة (١٣٩٦هـ) ، ودفن إلى جوار والده ، كان كثير التردد إلى شبام ، ومكث فيها عند أهله وأعمامه سنوات ، ودَوّنَ رحلاته وفترات جلوسه بها بما صار مرجعاً عن أهل شبام وحضرموت عموماً ، في رحلتيه : « تلبية الصوت » ، و« النفحة الشذية » وكلاهما مطبوعتان ، وتلامذة الحبيب عمر كثير . وقد تقلد وظيفة الإفتاء بجزر القُمُر ، وكان له جاه عظيم ، وأصدرت الحكومة القُمُرية طوابع بريد تحمل صورته .

(٢) البيتان من البسيط ، والبيت الثّاني منهما فقط في « ديوان أَبي تمّام » (٢/٣٢٦) .

(٣) رِشاه : الأُولىٰ مسهّلة من رِشاءٍ ، وهو الحبل . والثّانية : فعلٌ ماضٍ من الرَّشوة .

(٤) البيتان من الكامل ، وهما لابن الرومي في « ديوانه » .

(٥) وممن ينبغي أن يُذكَر من أعيان السادة آل سميط : الحبيب محسن بن حسن بن أحمد ، المتوفى بشبام سنة (١٣٤٤هـ) ، وأخوه الحبيب محمد بن حسن بن أحمد ، المتوفى سنة (١٣٨٧هـ) ، وتوفي ابنه الحبيب علي بسيئون سنة (١٤١٠هـ) . ومنهم : الحبيب مصطفى بن عبد الله بن طاهر ، المتوفى سنة=

قولُ ٱلمسيَّبِ بنِ علسٍ [مِنَ ٱلمتقارِبِ] :

وَكَـٱلشَّهْـدِ بِـٱلـرَّاحِ أَخْـلاَقُهُـمْ وَأَحْـلاَمُهُـمْ مِنْهُمَـا أَعْـذَبُ
وَكَـٱلْمِسْـكِ تُـرْبُ مَقَـامَـاتِهِـمْ وَتُـرْبُ قُبُـورِهِـمُ أَطْيَـبُ

ومِنْ متأخِّري علماءِ شبام : ٱلشَّيخُ سالمُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ باصهي[1] ، أَحدُ تلاميذِ والدي ، وشيخُ ٱلعلاَّمةِ ٱلجليلِ ٱلأَميرِ محمَّدِ بنِ عليٍّ ٱلإدريسيِّ[2] ، وكانَ هوَ هَمْزَةَ ٱلوصلِ بيني وبينَهُ في ٱلمعرفةِ ٱلَّتي كانَ أَوَّلُها تعزيةً منهُ ليْ بواسطتهِ في والدي ، ثمَّ ٱستمرَّتِ ٱلمواصلاتُ وٱلمراسلاتُ بما آثارُها مِنَ ٱلقصائِدِ موجودةٌ بمواضِعِها مِنَ « ٱلدِّيوانِ » [٣٧١ و٣٨٤] .

ومِن علماءِ شبامٍ ـ فيما رأَينا بأَبصارِنا ـ أَربعةُ إِخوانٍ ، كلُّهُم علماءُ ؛ وهُم : أَحمدُ ، ومحمَّدٌ ، وعمرُ ، وعبدُ ٱلرَّحمـٰنِ أَبناءُ أَبي بكرٍ باذيب[3] .

ومِنْ كبارِ علمائِهِم ومصاقعِ شعرائِهِمْ : ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ محمَّدٍ باذيب ، ٱلمتوفَّىٰ بسنغافورة في حدودِ سَنةِ (١٢٧٩هـ)[4] .

= (١٣٧١هـ) ، وأخوه الحبيب محمد المتوفىٰ سنة (١٣٧٤هـ) ، وآخرهم وخاتمة عقدهم : السيد الفقيه مربّي الأجيال عبد الله بن مصطفى ، المتوفى سنة (١٣٩١هـ) وممن لا زال منهم بشبام : الحبيب عبد الله بن عمر بن عبد الله بن سميط رحمه الله .

(١) ولد الشيخ سالم بن عبد الرحمن بن عوض بن أحمد باصهي بشبام سنة (١٢٨٠هـ) ، وتوفي بها سنة (١٣٣٦هـ) ، كان عالماً جليلاً ، فقيهاً نحوياً ، داعياً إلى الله ، له سيرة عطرة وأخبار زكية ، جاوزت مصنفاته العشرين ، في الفقه والعقيدة والسلوك .

(٢) مؤسس الدولة الإدريسية بجنوب الجزيرة العربية ، المتوفى بصبيا سنة (١٣٤٥هـ) ، ينظر : « ملوك العرب » للريحاني ، و« تاريخ المخلاف السليماني » للعقيلي .

(٣) وهم أبناء الفقيه الصالح الشيخ أبي بكر بن محمد بن عبود بن عمر بن عبد الرحمن باذيب ، المتوفىٰ بشبام سنة (١٣١٢هـ) ، أحد علماء شبام وفقهائها واعتنى بتربية أولاده وتعليمهم فكانوا جميعهم فقهاء علماء صالحين . **أكبرهم** : الشيخ عمر ، توفي بشبام سنة (١٣٣٥هـ) ، **والثاني** : الشيخ محمد ، المولود سنة (١٢٧٠هـ) ، والمتوفى سنة (١٣٢٤هـ) ، **والثالث** : الشيخ أحمد ، **الرابع** : الشيخ عبد الرحمن ، توفي سنة (١٣١٩هـ) ، وبقية إخوانه لهم عقب ، وأما هو . . فلم يعقب .

(٤) إنما هو أحمد بن عمر باذيب ، كان عالماً جليلاً رحالاً ، صادعاً بالحق ، كان نادرة في الزمان ، وغرة=

وعنِ ٱلشَّيخِ سالمِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ باسويدانَ وغيرِهِ : أَنَّ سببَ سفرِهِ مِن شبامٍ هوَ أَنَّ خطيبَ ٱلجمعةِ تَأَخَّرَ مرَّةً ، فأَشارَ عليهِ ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ عمرَ بنِ سميطٍ أَن يقومَ بأَداءِ ٱلواجبِ مِن أَركانِ ٱلخطبةِ ، فٱرتجلَ ما ملأَ ٱلأَسماعَ إِعجاباً ، وٱلنُّفوسَ إِطراباً ، فخشيَ عليهِ ٱلعينَ ، فأَمرَهُ بمغادرةِ ٱلبلادِ وكانَ آخرَ ٱلعهدِ بهِ وكانَ أَهلُ شبامٍ معروفينَ بٱلإِصابةِ بٱلعين . ومِن أَواخِرِهمُ ٱلمتَّهمينَ بذلك : ٱلشَّيخُ معروفُ باذيب ، وٱلشَّيخُ سالمُ بنُ هادي ٱلتُّويُّ .

ومِن عيونِ صُلَحائِها وأَفاضِلِها ٱلشَّيخُ عوضُ بنُ محمَّدٍ باذيب ، وأَولادُهُ عليٌّ وأَحمدُ ومحمَّدٌ ، لهم مروءةٌ حيَّةٌ ، وٱعتبارٌ تامٌّ ، ودينٌ ثابتٌ ، وكانتِ ٱلأَعيانُ تزورُ ٱلشَّيخَ عوضَ وتتبَرَّكُ برؤيتِهِ ودعائِهِ .

ومن متأَخِّري علمائِها : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ حُمَيْدٍ ، وولدُهُ عبدُ ٱللهِ .

ومِن آلِ شبامٍ : آلُ جبرٍ ، وآلُ ٱلتُّويِّ ، وآلُ باعبيدٍ ، وهم أَربعةُ إِخوةٍ : محمَّدٌ وعمرُ وعوضٌ وأَحمدُ بنو سالمٍ باعبيدٍ ، إِليهمُ ٱلآنَ أَزِمَّةُ ٱلتِّجارة بشبامٍ ، ولهم مراكزُ في عدن وغيرِها ، وقد مات عَمَّا قريبٍ أَحبُّهم إِليَّ ، وهوَ أَحمدُ ، فرحمهُ ٱللهُ وأَخلفَهُ بِخَلَفٍ صالحٍ .

وممَّن تديَّر شباماً ٱلحبيبُ علويُّ بنُ أَحمدَ بنِ زينٍ ٱلحبشيُّ ، وبها توفي .

وفي « كلامِ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ عمرَ بنِ سميطٍ » : أَنَّ والدَهُ لمَّا ماتَ . . قال : ماتَ مَن يُستَحيا منهُ ، وإِنَّ آل شبامٍ كانوا يهابونَهُ ، وكانَ آلُ أَحمدَ بنِ زين يزورونَهُ في محرَّمٍ مِن كلِّ سنةٍ ، ومتىٰ قاربوا شبام . . تنابز غوغاؤهم معَ آلِ شبام بٱلأَلقابِ ، وقالوا : (ٱلهر لعل ٱلقعيطي يفر) فأَوقفَهم منصَّرُ بنُ عبدِ ٱللهِ طائفةً مِنَ ٱلنَّهارِ في ٱلشَّمسِ ، فتركوا الزِّيارةَ ، ولمَّا زالَ منصَّرٌ وشيكاً . . كتبَ لهم صلاحُ بنُ محمَّدٍ بٱلاعتذارِ ، فأَعادوها .

= في جبين الدهر ، ترجمته في « تاريخ الشعراء الحضرميين » (٤/ ٢٢) .

ومِنْ أُدبائِهم وأكابرِ أُولي المروءَةِ منهُمْ : ٱلشَّيخُ سالمُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ باسويدان[1] .

وفي مبحثِ صلاةِ ٱلجمعةِ مِنْ « مجموعِ ٱلأجدادِ » : (أَنَّ شباماً مِنْ كراسي حَضْرَمَوْتَ ، بل لا مدينةَ في حَضْرَمَوْتَ إلاَّ هيَ وتريمُ ، هاتانِ ٱلمدينتانِ ٱلمذكورتانِ في ٱلتَّواريخِ فقط ، ويكادُ أَنْ يكونَ ما يتعلَّقُ بشبامٍ ومَنْ سكنَها مِنَ ٱلمشايخِ وٱلعلماءِ ، ومَنْ لَهُ فيها أثرٌ مِنْ مسجدٍ وغيرِهِ مِنْ دائِمِ ٱلنَّفعِ ، يكوِّنُ نبذةً صالحةً) اهـ

ولأَهلِها مناقبُ كثيرةٌ ، ومحاسنُ شهيرةٌ ، ولاسيَّما في ٱلورَعِ وصِدْقِ ٱلمعاملةِ معَ ٱللهِ ، وحمل ٱلكَلِّ ، وفِعلِ ٱلمعروفِ ، وٱلإعانةِ علىٰ نوائِبِ ٱلحقِّ ، أخبرني ٱلمُكَرَّمُ ٱلشَّيخُ كرامةُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ بركاتٍ قالَ : كنتُ بمقدشوه في سنةِ (١٣٣٤هـ) فأَرسلتُ بثلاث مئةٍ وخمسينَ رُبِّيَّةً برعماً ـ وهو نوَى ٱلقطنِ ـ إلىٰ عدن عندَ ٱلشَّيخِ أَحمدَ بنِ عمرَ بلفقيهٍ ، فباعهُ لي وأَربحني ٱلنِّصفَ ، وأَبرقَ إليَّ : أَن خُذ كلَّ ما تقدرُ عليهِ منهُ وحوَّلَ لي بٱلثَّمنِ ، فٱشتريتُ أَوَّلاً بنحوِ مِن أَلفِ رُبِّيَةٍ ، وثانياً بمثلِهِ ، وقَدّمتُ لهُ حساباً في ثمنهِ وسائرِ مصاريفهِ ، وخدمتُهُ ولم يبقَ لي عندَهُ بحسبِ ما قرَّرتُهُ في دفتري إلاَّ أَربعونَ رُبِّيَةً فقط ، ولمَّا وصلتُ عدن بعدَ خمسِ سنواتٍ . . أَعطاني كاتبُهُ ـ وهوَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ سالمٍ باعبيدٍ ـ تحويلاً إلى شبامٍ في أَلفينِ ونحوَ خمس مئةِ رُبِّيَةٍ ، فَشَككتُ فيها ، وتوهَّمتُهُ غالطاً ، ولمَّا قَدِمتُ شِبَاماً . . أخبرتُ ٱلوالدَ أَحمدَ بنَ عمرَ بلفقيهِ ، فأَخذَ بأُذني وقالَ : إذا لم نربِّكَ نحنُ . . فمن يربِّيكم؟ وقد ربَّانا ناسٌ علىٰ مثل هـٰذا ، فنحنُ مدينونَ بهِ .

وإذا بهِ قَيَّدَ لي أَرباحَ ٱلبرعمِ بأسرِها ، فرحمةُ ٱللهِ علىٰ هـٰذا ٱلإنسانِ وعلىٰ جميعِ أَهلِ ٱلإحسانِ .

وبلغَني أَنَّ ٱلشَّيخَ عوضَ بنَ عبدِ ٱللهِ باذيبٍ ٱشترىٰ خَرَابةً مِنَ ٱلأَميرِ عليِّ بنِ صلاحٍ ، قيل : إنَّ بعضَ أَهلِها معروفٌ في غيبتِهِ ٱلطَّويلةِ ، وأَنفقَ علىٰ بنائِها سبعةَ آلافِ

---

(١) ولد الشيخ سالم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله باسويدان بشبام سنة (١٢٥٨هـ) ، وتوفي بها في (٢٦) رجب (١٣٣٦هـ) .

ريالٍ ، ولمَّا ٱحتاجَ ورثتُهُ لبيعِها . . لم تَنْفُقْ إلاَّ علىٰ واحدٍ مِن آلِ باهرمزٍ بألفينِ مِنَ ٱلرِّيالاتِ فقط ؛ لأَنَّ آلَ شِبَامٍ ـ بما بقي في قلوبهم من هَيبةِ ٱلدِّين وٱلوَرَعِ ـ تحامَوها ، وإلى ٱلآنَ وهم يتحامَون عَن شراءِ ٱلتَّمرِ ٱلَّذي يجمَعُهُ مِنَ ٱلمكسِ صاحبُ ٱلسُّدَّةِ ؛ معَ أَنَّهُ أَرخصُ مِن غيرهِ بثلثِ ٱلقيمةِ .

وبلغني أَنَّ لبعضِهم رسائلَ في سِيَرِ آلِ شِبَامٍ وأَخبارِهم ٱلشَّاهدةِ بٱلتَّقوىٰ وٱلورع ، وهيَ مِن أنفع ما يكونُ لهم لو تَدارسوها علىٰ عادتِهم في درسِ يوم ٱلثُّلاثاءِ ٱلَّذي رَتَّبَهُ ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ عمرَ بنِ سميطٍ ، ـ متنقلاً في ديارِهم ؛ سياسةً في حضورِهم ـ ؛ إذ هيَ خيرُ حافزٍ للأَحفادِ علىٰ تَرَسُّمِ آثارِ ٱلأَجدادِ ، ومِن كلامِهِ ٱلمنثورِ : إنَّ شباماً كانت بلادَ ٱلمنقودِ[1] ، وأَنَّ أَحدَ أَهلِ شبام أخذَ دراهمَ مِن أَحمدَ ناصرٍ ٱليافعيِّ ، فهجروهُ حتَّى رَدَّها .

وأَنَّ ثمانينَ حملاً من ٱلحويرِ وَرَدَت شباماً ، وفيها حِمْلٌ لأَحدِ آلِ كثيرِ بنِ سلامةَ ، فٱشتروها بأَسرِها إلاَّ ذلكَ ٱلحِملَ لم يأخذْهُ أَحدٌ وعادَ بهِ صاحبُهُ .

وفي كلامه ثناءٌ كثيرٌ علىٰ محمَّد بنِ عوضٍ بَاذِيبٍ ، وعلىٰ أَخيهِ عبودٍ ، وأَنَّهُ حصلَ عليهما خللٌ فشاورَا ٱلحبيبَ عبدَ ٱللهِ ٱلحدَّادَ فقالَ لهما : بِيعَا جميعَ ما معكما ولو لم يَخلُف لكم إلاَّ حُلِيُّ نسائِكم ، فباعاه وقضيا ما عليهما مِنَ ٱلدُّيونِ ، وبقيَت ثلاث مئة ريالٍ ، فذهبا إلى ٱلحاوي ، ولمَّا وصلاَ . . قال محمد لعبودٍ : إنْ وافقتَني . . أَعطَينا ٱلحبيبَ عبدَ ٱللهِ مئةً وٱقتَنعنا بٱلمئتينِ ، فوافقَهُ ، فقبلَها ٱلحبيبُ وأَشارَ علىٰ محمَّدٍ بٱلسَّفرِ إلى ٱلشِّحرِ ، وبقيَ يتردَّدُ إليها ، ويُقيمُ بها شهرين أَيَّامَ ٱلموسم ، ويمرُّ في ذهابهِ وإيابهِ بٱلحاوي .

ولمَّا عَلِمَ ٱلحبيبُ عمرُ ٱلبارُّ بقصَّةِ ٱلمئةِ . . قالَ لمن حضرَهُ : أَيصحُّ أَنَّ أَحداً يتصدَّقُ بثلثِ مالِهِ؟! وكانَ عندَهُ دَلاَّلٌ مِن آلِ باخيضرٍ . فقالَ : إن كانَ مِنْ آلِ شبامٍ . . فنَعَمْ .

---

(١) أي : أن أهلها ينتقدون ما خالف الشرع والأدب .

ومنهُ[1] : أَنَّ محمَّدَ لَعجَم مِنَ ٱلسَّابقينَ ؛ لأَنَّهُ سَبَقَ سَلَفَهُ .

ومنهُ : أَنْهُ لمَّا توفِّي أَحمدُ بكارِ لَعجم . . قالَ والدي : تُوفِّي وهوَ خَيرُ مَن بأَلبلدِ .

ولمَّا تُوفِّي عبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ لَعجَمُ . . قالَ ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ عمرَ بنِ سميطٍ : إِنَّهُ مِنَ ٱلأَخيَارِ ٱلَّذينَ يدفعُ ٱللهُ بهمُ ٱلبلاءَ ، ومنَ ٱلَّذين يُحييهم ويُميتُهمُ ٱللهُ في عافيةٍ ، وكانت وفاتُهُ بسببِ ٱلوباء ٱلَّذي وقعَ بشبامٍ وسيئونَ وبُورٍ في سنةِ (١٢٥٠هـ) .

ومنهُ : أَنَّ ٱلحبيبَ محمَّدَ بنَ زينِ بنِ سميطٍ قالَ : ما تَحقَّقتُ أَنَّ أَحداً يحبُّ للمسلمينَ ما يحبُّ لنفسِهِ إِلاَّ عبدَ ٱللهِ بنَ زينِ ٱلحبشيَّ صاحبَ ثبيٍّ ، وبَكَّارَ بنَ عوضٍ لَعجَم ؛ فإِنَّ هـٰذا يقومُ إِليَّ في الدَّرسِ ويقولُ : تكلَّم في كذا ؛ فإِنَّ ٱلنَّاسَ واقعونَ فيهِ .

ومنهُ : أَنَّ ٱلشَّيخَ أَحمدَ صلعانَ ممَّن ترجمَ لهُ ٱلحبيبُ محمَّدُ بنُ سميطٍ ، وأَن محمَّد صلعانَ كثيراً ما يستشهدُ بِحكَمِ ٱبنِ عطاءِ ٱللهِ يكادُ يحفظُها ، وأَنَّ ٱلقرآن معجونٌ بمحمَّدِ بنِ عُقبةَ سُدَيسٍ .

ومنهُ : أَنَّ ٱلمرحومَ محمَّدَ بنَ أَحمدَ بايوسفَ ـ جَدَّ آلِ بايوسفَ ـ مِنَ ٱلصَّالحينَ ، وكذلكَ ولدُهُ أَحمدُ .

ومنهُ : أخبرني عبدُ ٱللهِ باسعودٍ عنِ ٱلحبيبِ جعفرِ بنِ أَحمدَ بنِ زينٍ قالَ : أَدركنا أَهلَ شبامٍ ثلاثَ طبقاتٍ : أَوَّلُ طبقةٍ لباسُهم كوافي بيضٌ وأَرديةٌ شمالٌ ، وثاني طبقةٍ كوافي سوسي ومَلاَحِفُ بيضٌ ، وثالثُ طبقةٍ كوافي صنعانيات مِن نصفِ ريال وملاحفُ سودٌ .

قالَ : ومِن بعدُ توسَّعوا مصانف وكوافي صنعانيَّاتٍ مِن ريالين .

ومنه : أَنَّهُ لمَّا توفِّي عمرُ بنُ أَحمدَ معاشرٌ . . قالَ : إِنَّهُ مِنَ ٱلَّذين يمشونَ على ٱلأَرضِ هَوناً ، وقالَ مثلَ ذلكَ لمَّا ماتَ أَحمدُ بنُ محمَّدٍ جبرٍ .

ونقلَ ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحيمِ بنِ قاضي في ترجمتِهِ لنفسِهِ : أَنَّ والدَهُ تولَّى

---

(١) أي : من كلام ابن سميط .

ٱلقضاءَ بشبامٍ أكثرَ مِن سنتينِ ، وأنَّهُ يثني علىٰ أهلِها بالتَّناصفِ والتَّعاونِ على ٱلحقِّ ، وأنَّهُ كانَ يزورُهم ويأتي إليهم من تريم لِحُسنِ حالهم . اهـ

ولَو أرسلْنا ٱلقلمَ مِلءَ فُرُوجِهِ في مكارمِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ باصهي ، ٱلملقَّبِ بالطَّويلِ[1] . . لاندقَّتْ عنقُهُ قَبْلَ أَنْ نبلغَ منهُ ما نريدُ ، وهيَ مشهورةٌ ، وآخرُها : وصيَّتُهُ بأَن تَبْقىٰ يدُهُ مكشوفةً معَ تشييعهِ في ٱلجنازَةِ ؛ لاستخراجِ ٱلاعتبارِ بأنَّهُ معَ ما كانَ مِن ثروتِهِ ٱلطَّائلةِ لم يخرج مِنَ ٱلدُّنيا إلاَّ صفرَ ٱليدِ وقد نَفَّذوها علىٰ ما فيها من ٱلاختلافِ بينَ ٱلرَّمليِّ وٱبنِ حجرٍ ؛ لِمَا في ذلكَ مِنَ ٱلمصلحةِ وٱلعِظَةِ ٱلبالغةِ .

وكانَ سيِّدي حسنُ بنُ أَحمدَ بنِ سميطٍ يتفتَّحُ عن ثَبجِ بَحْرٍ عندما يفيضُ فيها ، إلاَّ أَنَّ تلكَ ٱلمكارمَ ٱنطوىٰ نشرُها ، ولَم يَبْقَ إلاَّ ذِكرُها .

وَنَــذْكُــرُ تِلْــكَ ٱلْمَكْــرُمَــاتِ وَحُسْنَهَــا ... وَآخِرُ مَا يَبْقَىٰ مِنَ ٱلذَّاهِبِ ٱلذِّكْرُ[2]

ولآلِ شبامٍ عامَّةً وآلِ باصهي خاصَّةً ، نجوعٌ إلىٰ صنعاءَ وإلى ٱلبيضاءِ من أَرضِ ٱلظَّاهرِ ، وقد وقفتُ علىٰ وثيقةٍ مِنَ ٱلإمامِ ٱلمهديِّ لدين ٱللهِ ، هـٰذا نصُّها :

الخطُّ ٱلكريمُ وٱلرَّسمُ ٱلعالي ٱلفخيمُ ٱلإماميُّ ٱلمَهْدَويُّ أعزَّهُ ٱللهُ ، وأقرَّ عينَ ٱلمتمسِّكينَ بهِ وأَرضاهُ ، وأنْفَذَهُ في جميعِ ٱلأَقطارِ ٱلإماميَّةِ وأَسْمَاهُ ، إن شاءَ ٱللهُ ، بيدِ ٱلحاجِّ ٱلأكرمِ جمالِ ٱلدينِ سالمِ بنِ عبدِ ٱللهِ باصهي وكافَّةِ إخوتِهِ وبني عمِّه ، قاضٍ لهم بالإجلالِ وٱلإكرامِ ، وٱلرِّعايةِ وٱلاحترامِ ، وٱلإعزازِ وٱلإعظامِ ، فَيجرونَ علىٰ أَجملِ ٱلعوائدِ وأَتمِّ ٱلقواعدِ ، ليسَ عليهم حالٌ يخشونَهُ ، ولا أَمرٌ يتوقَّونَهُ ، وأَنَّهم مِنَّا وإلينا ، وممَّن تحوطُهُ شفقتُنا ، وأَنَّ واجباتِهمُ ٱلشَّرعيَّةَ يسلِّمونَها بالأَمانةِ ، ليسَ علىٰ أَموالِهم حيثُ كانت حرصٌ ولا ٱعتراضٌ بمحروسِ ٱلبيضاءِ وحضرموتَ .

---

(١) الشيخ عبد الرحمن الطويل باصهي ، لُقِّب الطَّويل لطول يده في الخير والإحسان ، وله مناقب ومكارم أخلاق كثيرة ، وكانت له تجارة وأراض في عتق ، وصاحبه ورفيقه هو السيد زين بن علوي بن سميط جد السادة آل سميط سكان شبام ، وكانا يمكثان معاً في عتق مدة من الزمان ، ثم يعودان بالخير إلى شبام .

(٢) البيت من الطَّويل ، وهو للبحتريِّ في « ديوانه » (٢/ ٧٤) ، بتغيير بسيط .

وأنَّهم يُخرجونَ ما دخلَ فيهِ غيرُهم مِنَ ٱلفِرقِ وٱلمطالبِ وٱلسَّوائبِ وٱلنَّوائبِ .

وليسَ عليهم إلاَّ ٱلحقُّ ٱلواجبُ وزكاةُ ٱلأموالِ وزكاةُ ٱلتِّجارةِ وٱلفِطرةِ ، يسلِّمونَها إلى العمَّالِ بٱلأمانةِ مِن غيرِ واسطةٍ .

وليسَ عليهم مجبىً أينما توجَّهوا في ٱلبلادِ ٱلإماميَّةِ ، في جميعِ ٱلأسواقِ وٱلمراسي وٱلطُّرقاتِ وٱلبنادرِ ، فلا يُعترَضوا بشيءٍ مِن ذلك ، وذلكَ لِمَا هم عليهِ مِنَ ٱلمحبَّةِ وٱلنَّصيحةِ لهم ولسلفِهم ، فيجرونَ علىٰ ذلك وتقرُّ أعينهم بما هنالكَ ، وعليهمُ ٱلتَّوقُّفُ علىٰ أمرِنا ، وٱلكونُ عندَ رأينا ، وموالاةُ ٱلمُوالي ، ومعاداةُ ٱلمُعادي ، فليتّقوا بذلكَ ، وبٱللهِ ٱلثِّقةُ ، وبهِ ٱلحولُ وٱلقوَّةُ ، وهوَ حسبُنا وكفىٰ ، ونعمَ ٱلوكيلُ ، نِعمَ ٱلمَولىٰ ونِعمَ ٱلنَّصيرُ .

حُرِّرَ في محرَّمٍ ٱلحرامِ عامَ سبعةٍ وثمانينَ وألفٍ (١٠٨٧هـ) ، وكانَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ باصهي معاصراً للحبيبِ أحمدَ بنِ زينٍ ٱلحبشيِّ ، وعرضَ عليه أن يحجَّ هوَ ومَن معَهُ علىٰ نفقتِهِ، فلم يقبَل ، كما في « كلامِ ٱلحبيبِ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ سميطٍ » .

ولَم يَبْقَ بأيدي آلِ شبام ٱليومَ مِنَ ٱلمناقبِ ٱلشَّريفةِ ٱلسَّابقةِ لأهلِهم . . إلاَّ حسنُ ٱلتَّأسِّي فيما بينَهم ، ومساعدةُ ٱلضَّعيفِ ، وقضاءُ ٱلحاجةِ ، وجَبْرُ ٱلمنكوبِ ، حتَّىٰ لقلَّما تُرفعُ من أولي مروءتِهم دعوى إلى ٱلقاضي ، وإنَّما يُسوُّونَ أمورَهم فيما بينَهُم بٱلإصلاحِ ، وهـٰذا ليسَ بٱلقليلِ معَ تراذُلِ ٱلزَّمانِ .

وذكرَ ٱبنُ ٱلحائكِ : (أنَّ مصبَّ مياهِ ٱلأوديةِ ٱلغربيَّةِ كلِّها كانَ في شمالِ شِبَام ، بينها وبينَ ٱلقَارَةِ)[1] .

وهوَ صادقٌ في ذلكَ ؛ لأنَّهُ ٱلواقعُ فيما قبلُ . . حتَّىٰ كانَ ٱلسَّيلُ ٱلعظيمُ ٱلهائِلُ في سَنةِ (٦٩٩هـ) فأخربَ ٱلأحجَاز ، وأخذَ كثيراً مِنَ ٱلبشرِ ومِنَ ٱلمواشي[2] ، وانتقل

---

(١) صفة جزيرة العرب (١٦٩) .

(٢) في « تاريخ شنبل » : أن ذلك كان سنة (٦٩٨هـ) ، وزيادة على ماذكر المؤلف . . فإن ذلك السيل أخذ قطعة من جنوبي شبام فيها ثلاثة مساجد ، وماوالاها من الدّيار ، وأخذ بني سعد وبني حارثة ، وأخرب حبوظة الراك ، وذلك في رمضان من تلك السنة .

بقوَّتهِ مِنْ شمالِ شبامٍ وٱتَّخذَ لَهُ أُخدوداً بجنوبِها ؛ إِذْ قدِ ٱجتاحَ كثيراً مِنَ ٱلخِبَّةِ[1] ٱلَّتي كانت متَّصلةً بشبام ، ثمَّ عُمِّرت شيئاً فشيئاً ، وما زالت معمورةً حتَّى ٱجتاحَها سيلُ ٱلإِكليلِ ٱلجارفُ في سَنةِ (١٠٤٩هـ)[2] .

ثمَّ أَحبَّ آلُ شبام ٱلتَّنزُّهَ . . فعمَّروها واحداً واحداً ، حتَّىٰ صارت قَرْيةً ، وعند ذلكَ ٱبتنى ٱلسَّيِّدُ عقيلُ بنُ عليٍّ ٱلسَّقَّافُ مسجداً في حدودِ سَنةِ (١٠٦٣هـ) ، وأَحبَّ أَنْ يُجَمِّعَ فيهِ ، فٱختلفَ عليهِ ٱلعلماءُ ـ حَسَبَما فصَّلناهُ بـ« ٱلأَصلِ » ـ فٱمتنعتِ ٱلجمُعةُ[3] .

وما يُفهمُهُ قولُ ياقوت ٱلسَّابقُ : (إِنَّ ٱلحسينَ بنَ سلامةَ[4] ابتنىٰ جامعَ شِبام) محمولٌ على ٱلتَّجديدِ أَوِ ٱلتَّرميمِ ، وإِلاَّ . . فقد كانَ جامِعُها مبنيّاً قَبْلَ ذلكَ بزمانٍ ؛ ففي تاريخِ ٱلقاضي محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ باشراحيل أَنَّهُ (بُنِيَ في سَنةِ « ٢١٥هـ » ، وأَنَّهُ كٱلقُطْبِ ٱلَّذي تدورُ عليهِ غالبُ شعائرِ ٱلدِّينِ بشبام) .

ولَهُ أَوقافٌ تُنسَبُ إِلىٰ هارونَ ٱلرَّشيدِ ، وهوَ شاهدٌ بأَنَّ بناءَهُ كان متقدِّماً علىٰ هـٰذا ٱلتَّاريخِ ٱلَّذي ذكرَهُ باشراحيل ؛ لأَنَّ وفاةَ ٱلرَّشيدِ كانت في سَنةِ (١٩٣هـ) .

وممَّا يدلُّ لتقدُّمهِ : ما نقلَهُ ٱلشَّيخُ ٱلعلاَّمةُ عبدُ ٱللهِ بَلْحَاج ، عنِ ٱلعلاَّمةِ ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ سعيدٍ باشُكَيل : (أَنَّ آلَ باذيب مِنَ ٱلأَزدِ ، وأَصلهم منَ ٱلبصرةِ ، ثمَّ ٱستوطنوا شباماً .

---

(١) الخِبَّة ـ بتثليث الخاء ـ : هي الطريق الرملية ، كما في « القاموس » . ويطلق هـٰذا الاسم على البقعة التي يعلوها جبل الخبّة جنوب مدينة شبام ، وهي القرية المسمّاة : (السَّحيل= سحيل ابن مهري) .

(٢) « عقد الجواهر والدرر » ، و« العدة المفيدة » (١/ ٢٣٦ـ٢٣٧) ، وكان سيلانه في صفر . وهناك سيل آخر يسمى : الإكليل ، سال سنة (١٣٣٥هـ) ، ويعرف بسيل بن ربيدان .

(٣) المسألة في « مجموع » الحبيب طـٰه بن عمر الصافي (١٠٨ـ١١٢) ، وهو جواب صدر من العلامة الكبير الشيخ أحمد صفي الدين القشاشي المدني ، وذَيَّل على الجواب بكلام نفيس محرر الإمام الفقيه أحمد محمد مؤذن الصبحي باجمال ، وحاصل الفتوى : أن مباني الخبة وهي حدود (٢٠٠) دار والثلاثة المساجد التي بها لا تعد قرية مستقلة ، بل هي من أعمال شبام . . فلا يصح فيها إقامة الجمعة .

(٤) هو الحسين بن سلامة النوبي ، أمير تهامة اليمن ، كان نوبياً من موالي بني زياد ولاة اليمن ، ولما تضعضع حكم آل زياد . . نهض الحسين وتسلم مقاليد الإمارة في حدود سنة (٣٧٥هـ) ، وكان رجلاً عادلاً ، واختط عدة مدن ، وأنشأ الجوامع وحفر الآبار . . أقام في الحكم(٣٠) سنة ومات بزبيد سنة (٤٠٢هـ) .

قال : وذكرَ عمرُ بنُ عبدِ ٱللهِ باجَمّالٍ ٱلشّباميُّ : أَنَّ آلَ باذيبٍ خرجوا مِنَ ٱلبصرةِ إلىٰ حَضْرَمَوْتَ في أيّامِ ٱلحجّاجِ ، وبقيتْ طائفةٌ مِنهُم بٱلبصرةِ ، ولَهم حافَّةٌ عظيمةٌ بٱلبصرةِ ، يقالُ لها : حافَّةُ ٱلأسْدِ ـ بٱلسّينِ ، لغةٌ في ٱلأزدِ ، بٱلزّاي ـ ولمّا وَصلوا حَضْرَمَوْتَ . . آواهُم أميرُ شبامٍ وأَجلَّهُم ، وكانَ فيهِم قضاةُ ٱلدِّينِ وقضاةُ ٱلدَّولةِ بشبام ، وقدِ ٱجتمعَ منهم في زمنٍ واحدٍ سبعةٌ مفتونَ ، وقاضيانِ : شافعيٌّ وحنفيٌّ) اهـ

وهـٰذهِ فائدةٌ نفيسةٌ ، ونقلٌ عزيزٌ نحتاجُهُ في كثيرٍ مِنَ ٱلمواضعِ ، ونضربُ عليها بنغماتٍ متعدِّدةٍ ، وبعيدٌ أَنْ ينتشرَ فيها ٱلإسلامُ وٱلمسْلِمونَ ثمَّ لا يُبنىٰ بها جامعٌ إلاّ في آخرِ ٱلقرنِ ٱلثّاني ، هـٰذا ما لا يَتمَغنىٰ بحَالٍ ، لاسيَّما وأَنَّها كانت دارَ إقامةِ زيادِ بنِ لبيدٍ ٱلصَّحابيِّ ٱلمشهورِ ، كما في « مفتاحِ ٱلسَّعادةِ وٱلخيرِ » لِمؤلِّفِ « ٱلقلائدِ » ، وغيرِه[1] .

وفي سَنةِ (٥٣٢هـ) عُمِّرَ مقدَّمُ جامعِ شبام[2] ، وجُدِّدَ منبرُهُ بأَمرِ ٱلملكِ ٱلمنصورِ ٱلرَّسوليِّ ، وذلكَ ٱلمنبرُ هوَ ٱلَّذي يُخطَبُ عليهِ إلى ٱليوم . وكانت هـٰذهِ ٱلعمارةُ علىٰ يدِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ راشدٍ في ولايةِ نصّارِ بنِ جميلٍ ٱلسعديِّ[3] .

وفي موضعٍ مِنْ « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » لابنِ ٱلحائكِ [ص ١٦٩] يقولُ : (وأَمّا شبامٌ : فهيَ مدينةُ ٱلجميعِ ٱلكبيرةُ ، ويَسكنُها حَضْرَمَوْتُ ، وبها ثلاثونَ مسجداً ، ونصفُها خرابٌ ، أَخربتْهُ كندةُ ، وهيَ أَوَّلُ بلدِ حِمْيَرَ ثَمَّ . وساكنُ شبامٍ : بنو فهدٍ مِنْ حِمْيَرَ) اهـ

وأَقولُ : أَمّا فهدُ . . فهو ٱبنُ ٱلقيلِ بنِ يعفرَ بنِ مرَّةَ بنِ حَضْرَمَوْتَ بنِ أَحمدَ بنِ قحطانَ بنِ ٱلعومِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدِ بنِ فهدِ بنِ ٱلقَيلِ . . إلىٰ آخرِ ٱلنَّسَبِ .

وسيأْتي بيتُ نَشْوانَ معَ ما يتعلَّقُ بهِ عمَّا قليلٍ .

أَمّا مسجدُهمُ ٱلباقي بينَ منازلِهمُ ٱلخاصَّةِ في جانبِ خبَّةِ شبامٍ ٱلغربيُّ ٱلمسمّى

---

(١) وينظر : « أدوار التاريخ الحضرمي » (٨٧) نقلاً عن « البرد النعيم » للخطيب .

(٢) هـٰذه العمارة الأولى القديمة والتي بعدها كانت سنة (٥٣٩هـ) ، كما في « شنبل » (ص٣٥) .

(٣) كانت عمارة الجامع وتجديد المنبر سنة (٦٤٣هـ) ، كما في « شنبل » (ص٩٢) .

ٱلآنَ : مسجدَ ٱلطَّيِّبِ . . فقد بقيَ بأَيديهم ، وٱلظَّاهرُ أَنَّهُ وقعَ فيما ٱجتاحَهُ سيلُ سنة (٦٩٩هـ) ٱلآتي ذِكرُهُ ، وإلاَّ . . لما طمعَ ٱلسَّيِّدُ عقيلٌ ـ حَسَبَما يأتي ـ في ٱلتَّجميعِ بمسجدِهِ ٱلَّذي بناهُ بجانبِ خبَّةِ شبام ٱلشَّرقيِّ ، إلاَّ أَن يكونَ ٱختلافُ ٱلمذهبِ داخلاً تحتَ عُسرِ ٱلاجتماعِ ، ٱلمسوِّغِ للتَّعدُّدِ . . فللبحثِ مجالٌ ، وبينَ ٱلعلماءِ ٱختلافٌ حتَّىٰ بينَ ٱلمتأَخِّرينَ مِنَ ٱلحضارمِ ؛ كٱبنِ يحيىٰ ، وبلفقيهِ ، وٱلسَّيِّدِ عثمانَ بنِ يحيىٰ ، وبعضِ علماءِ ٱلحجازِ ، وهوَ معمورٌ إلى ٱلآنَ .

وأَمَّا كثرةُ ٱلمساجدِ بها . . فإنَّما كانت قَبْلَ أَنْ تجتاحَ أَطرافَها ٱلسُّيولُ[1] ، ويكونَ مجراها في جنوبِها . وكانَ مسجدُ ٱلخَوْقةِ بشبامٍ هوَ مسجدُ ٱلإباضيَّةِ إلىٰ أَنْ غلبَهُمُ ٱلأَشاعرةُ عليهِ في سَنةِ (٥٩١هـ) .

ومِنْ أَشعارِ إمامِ ٱلإباضيَّةِ بحَضْرَمَوْتَ في ٱلقرنِ ٱلخامسِ إبراهيمَ بنِ قيسٍ[2] قولُهُ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَقُلْتُ : وَمَا يُبْكِيكِ يَا خَوْدُ ؟ لاَ بَكَتْ ... لَـكِ ٱلْعَيْـنُ مَـا هَبَّـتْ رِيَـاحٌ زَعَـازِعُ

فَقَـالَـتْ : بَكَيْـتُ ٱلـدِّيـنَ إِذْ رَثَّ حَبْلُـهُ ... وَلِلْعُلَمَـا لَمَّـا حَـوَتْهُـمْ بَـلاَقِـعُ

فَـأَيْـنَ ٱلأُلَـىٰ إِنْ خُـوطِبُـوا عَـنْ دَقَـائِـقٍ ... مِنَ ٱلْعِلْمِ . . أَفْتَوْا سَائِلِيهِمْ وَسَارَعُوا ؟!

فَقُلْـتُ لَهَـا : هُـمْ فِـي شِبَـامٍ وَمِنْهُـمُ ... بِمَنِْفَعَـةٍ قَـوْمٌ حَـوَتْهُـمْ مَيَـافِـعُ

وَفِــي هَيْنَــنٍ مِنْهُــمْ أُنَــاسٌ وَمِنْهُــمْ ... بِـذِي أَصْبَـحٍ حَيْـثُ ٱلـرِّضَـا وَٱلصَّمَـادِعُ

وَمِنْهُـمْ بِـوَادِي حَضْـرَمَـوْتَ جَمَـاعَـةٌ ... وَأَرْضِ عُمَـانٍ سَيْلُهُـمْ ثَـمَّ دَافِـعُ

---

(١) كان بشبام (٣٠) مسجداً ، كما في التواريخ القديمة ، وأما اليوم فالذي بداخلها ستة مساجد فقط : المسجد الجامع ، ومسجدالخوقة ، ومسجد الشيخ معروف ـ المقدشي سابقاً ـ ومسجد باذيب ، ومسجد باجَرْش ومسجد بن أحمد ، ومسجد مدرسة الحارة القبلية . وخارج السور : مسجد معروف الهابطي . وفي السحيل : مسجد عقيل ، ومسجد بامكا ، ومسجد طيب ، ومسجد باعشرة . ويوجد قرب المقبرة مسجد السبع .

(٢) إبراهيم بن قيس بن سليمان الهمداني الحضرمي ، ولد (بحضرموت) ، ومات نحو سنة (٤٧٥هـ) ، استعان بالخليل بن شاذان الإمام الإباضي بعمان ، واستولى على حضرموت باسم الخليل ، وأقامه عليها عاملاً . . وكان شجاعاً جلداً ، وله غزوات إلى الهند ، له مصنفات . « الأعلام » (١/ ٥٨) .

وفي أَوائِلِ ٱلقرنِ ٱلتَّاسعِ كان قضاء شبامٍ للشَّيخ عبد ٱلرَّحمـٰنِ باصُهي[1] ، ولَهُ قصَّةٌ معَ عليِّ بنِ سعيدٍ باصُلَيب ، ٱلملقَّبِ بٱلرُّخَيلةِ ، مذكورةٌ في ٱلحكايةِ (٤٥٧)[2] مِنَ « ٱلجوهرِ ٱلشَّفَّافِ » .

ومِنْ قضاةِ شبامٍ في ٱلقرنِ ٱلثَّاني عشر : ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ علويٍّ عيديد[3] .

وكانَ بشبام جماعةٌ مِنْ آلِ بامُهْرةَ فيهِمُ ٱلعلماءُ وٱلقُضاةُ ، وجماعةٌ مِنْ آلِ شعيبٍ مشهورونَ بٱلعِلْمِ ؛ منهُمْ :

ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عبدِ ٱللهِ شُعَيب . وٱلشَّيخُ أَبو بكرِ بنِ شُعَيبٍ ، لَهُ شَرْحٌ على « ٱلمنهاجِ » . ولا ٱتِّصالَ لهـٰؤلاءِ بآلِ باشُعَيبٍ ٱلآتي ذِكرُهُم في ٱلواسطِ[4] .

وذكرَ ٱلطَّيِّبُ بامخرمةَ في « تاريخ عدن » : (أَنَّ ٱلعلماءَ آلَ ٱلشَّمَّاخِ[5] أَصلُ جدِّهِم مِنْ حَضْرَمَوْتَ ، تفقَّهَ بزبيدٍ ، ولمَّا أَرادَ ٱلرُّجوعَ . . رغَّبَهُ ٱلسُّلطانُ عمرُ بنُ ٱلمظفَّرِ فأَقامَ هناكَ إِلىٰ أَنْ ماتَ ، فآلُ ٱلشَّمَّاخِ مِنْ ذرِّيَّتِهِ) اهـ

وقريبٌ جدّاً أَنْ يكونَ آلُ شَمَّاخِ ٱلموجودون بشبامٍ إِلى ٱليوم متفرِّعينَ عن ذلكَ ٱلأَصلِ ٱلَّذي نَجَعَ منهُ جَدُّ آلِ ٱلشَّمَّاخِ إِلىٰ زبيدٍ .

ولمَّا ذَكَرَ علاَّمةُ ٱليمنِ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ سليمانَ ٱلأَهدلُ عادةَ آلِ زبيدَ في قراءةِ « ٱلبخاريِّ » بشهرِ رجبٍ . . قالَ : إِنَّها ـ فيما أَحسبُ ـ مِن أَيَّامِ ٱلشَّيخين : أَحمدَ بنِ أَبي ٱلخيرِ منصورٍ ٱلشَّمَّاخيِّ ، ووالدِهِ ٱلفقيهِ أَبي ٱلخيرِ منصورٍ ٱلشَّمَّاخيِّ

---

(١) الشيخ الفقيه الإمام عبد الرحمن بن محمد باصهي ، توفي بشبام سنة (٨٧٠هـ) ، وهو والد الشيخ محمد بن عبد الرحمن الآخذ عن الحافظ السخاوي والشيخ علي بن أبي بكر السكران . والمترجم هنا هو غير الشيخ عبد الرحمن باصهي صاحب الصدقة ، وناظر أوقاف جامع شبام ؛ فإن هـٰذا الناظر من أهل القرن العاشر الهجري .

(٢) في نسخة : (٤٩٧) .

(٣) السيد علي بن علوي بن عمر بن عبد الرحمن عيديد ، توفي بتريم سنة (١١٠٩هـ) .

(٤) وكان بعض آل شعيب سكان شبام يقول : إن أصلهم من الجوف . « مجموع الحبيد » .

(٥) آل الشماخ بطون كثيرة باليمن ، وأما آل الشماخي سكان زبيد . . فمن بطون آل سعد . وفي « تاريخ شنبل » ذكر لكثير منهم .

السَّعديُّ نسباً ، ٱلحضرميُّ أَصْلاً ، ٱلزَّبيديُّ مهاجراً ، ٱلآخذ عن جماعةٍ مِن أَصْحَابِ ٱلحافظِ ٱلسِّلَفيِّ ، توفِّي بمدينة زبيدَ سنةَ (٦٨٠هـ) .

ولآلِ شبام نوادرُ ، لَو لَم يَكُنْ إِلاَّ ما يُروىٰ عنِ ٱلسَّيِّدِ زينِ بنِ أَحمدَ بنِ سميطٍ[1] . . لكفىٰ ، فمِنْ ذٰلكَ :

أَنَّ لآلِ ٱلشِّحْرِ ٱعتقاداً فيهِ ، حتَّىٰ إِنَّهُم ببساطتهم يُمكِّنونَ نساءَهُم مِنْ مصافحتهِ ، معَ أَنَّه لا يتورَّعُ بعضَ ٱلأَحيانِ من غمزِ إحداهنَّ ، فدخلَ عليهِ ٱلشَّيخُ أَبو بكرِ بنُ سعيدٍ ٱلزُّبَيديُّ وعندَهُ فتاةٌ جميلةٌ ، فعلقَتْها نَفْسُهُ ، وتَبِعَها هواهُ ، فتوسَّلَ إِليهِ أَنْ يخطبَها لَهُ ، فقالَ لَهُ : يَمنعُكَ عنها بخلُكَ . فقالَ لَهُ : ٱطلبْ لها ما تريدُ . فخرجَ ، ثمَّ عادَ ، وقالَ : إِنَّ أَهلَها يطلبونَ ثلاثَ مئَةِ ريالٍ . فنجعَ بها طيِّبةً نَفْسُهُ ، فواعدَهُ أَنْ يَجيءَ إِلىٰ ذٰلكَ ٱلمكانِ مِنْ آخرِ ليلتهِ ، وعقدَ لَهُ بعجوزٍ قد تغضَّنَ[2] وجهُها ، وٱنتثرتْ أَسنانُها ، وٱنطبقَ عليها قولُ ٱلبحتريِّ [في « ديوانهِ » : ٢/ ٢٧٢ مِنَ ٱلمنسرحِ] :

وَٱلسِّـــنُّ قَـــدْ بَيَّنَـــتْ فَنَـــاءَكِ فِـــي شِـــدْقٍ عَلَـــى ٱلْمَـــاضِغَيْـــنِ مُنْخَسِـــفِ

ودفعَ لتلكَ ٱلعجوزِ عَشْرة ريالاتٍ ، وهربَ هوَ بِٱلباقي إِلىٰ شبامِ حضرموتَ ، وكانت سفرةً طيِّبةً ، ووقعَ ٱلشَّيخُ في ٱلشَّبكةِ .

ومِنها : أَنَّ ٱلجَمْعدَار عبدَ ٱللهِ[3] كانَ يأنسُ بهِ ، ويَتسلَّىٰ بأَحاديثهِ عن أَنكادِ حوادثِ صُدَاعٍ ، ومعَهُ ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ ٱلمحضارُ ، وكانَ لا يَصبرُ لَهم إِلاَّ إِذا سلَّموا لَهُ إِمامةَ ٱلصَّلاةِ ، فأَذعنوا لَهُ بها ، حتَّىٰ جاءَهُم أَحدُ ٱلعلماءِ . . فٱستحيَوا أَنْ يُقدِّموا عليهِ زَيْناً ؛ مع ما عُرفَ بهِ مِنَ ٱلتَّهاونِ في ٱلطَّهارةِ ونواقضِ ٱلوضوءِ ، فصلَّىٰ بهِمُ ٱلشَّيخُ ٱلعِشاءَ ، وقرأَ في ٱلأُولىٰ (ٱلضُّحىٰ) فلَم يَجِدْ إِليهِ زينٌ سبيلاً ، ولمَّا قرأَ في ٱلثَّانيةِ

---

(١) هو السيد زين بن أحمد بن زين بن محمد بن زين بن سميط ، ولد بشبام ، وتوفي بزنجبار سنة (١٣٠٨هـ) وله ذرية بجاوة .

(٢) أي : ظهرت فيه التجاعيد .

(٣) هو الجمعدار عبد الله بن عمر القعيطي ، أخو السلطان عوض بن عمر ، مر ذكر الخلاف بين أبنائه وعمهم السلطان عوض في القطن .

بـ(ٱلزّلزلة) . . سَنحَتْ لَهُ ٱلفرصةُ ، فقطعَ ٱلصَّلاةَ ، وقالَ لَهُ : زلزلَ ٱللهُ بوالديكَ يا شرَّ ٱلمشايخِ! وهل لِلزَّلزلةِ مكانٌ بعد ما نحنُ فيهِ ؟ الجمعدار مزَلْزَل ، وٱلمحضارُ مُبَهْذَلٌ ، وأَنا مسفّلٌ ، ثمَّ تأْتي لَنا فوقَ ذلكَ بٱلزَّلْزَلةِ .

وهكذا سمعتُها ، ولـٰكنَّ وجودَ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ لذلكَ ٱلعهدِ بصفةِ ٱلنَّديمِ أَو نحوهِ للجِمِعْدَارِ عبدِ ٱللهِ . . لا يَخلو مِنَ ٱلبُعدِ . . فلعلَّ ٱلنَّظرَ ٱنتقلَ عن أَبيهِ أَو غيرهِ إليهِ .

ومِنها : أَنَّهُ مرَّ بشباميٌّ ويهوديٌّ يتلاطمانِ في عدن ، فلمَّا أَرادَ أَنْ يَبطشَ بٱلَّذي هوَ عدوٌّ لَهُما . . ٱنسلَّ ٱلشّباميُّ ، وتركَ زيناً معَ ٱليهوديِّ ، حتَّىٰ حجزَ بينَهُما ٱلشُّرَطُ ، وساقوهما إلى ٱلسِّجنِ ، فسأَلَ زينٌ عنِ ٱلمقرَّبينَ لدى ٱلحكومةِ ، فقيلَ لَهُ : صالحُ جعفرٍ ، فأَرسلَ إليهِ . . فوصلَ ، فٱستخفَّ روحَهُ ، فضمنَ عليهِ وأَخذَهُ إلىٰ دارهِ وأَكرمَ مثواهُ ، فرأَىٰ عندَهُ مِنَ ٱلنِّعمةِ ما لا يَعرفُ شيئاً منهُ في بيوتِ آلِ شبامٍ بعدن ، فٱنقطعَ عنهُم ، وما زالوا يَبحثونَ عنهُ حتَّىٰ ظَفروا بهِ ، فسبَّهم وقالَ : لقد خرجتُ مِنَ ٱلنَّارِ إلى ٱلجنَّةِ . قالوا : لـٰكنَّكَ لا تدري ما حالُ صالحِ جعفرٍ . قالَ : وما حالُهُ ؟ قالوا : يُبغضُ ٱلشَّيخينِ أَبا بكرٍ وعمرَ . فٱستعظمَها ، وقالَ : إذا كانَ يُبغضُ هـٰذين . . فأَيُّ دينٍ لَهُ ، ومَنْ يُحبُّ ؟ قالوا : لا يُحبُّ إلاَّ فاطمةَ وزوجَها وأَولادَها رضي ٱللهُ عنهم . فٱزدهرَ وجهُهُ بعدَ ٱلعبوسِ ، وقالَ : أَمَّا إذا كانَ يحبُّ أَهلي . . فليُبغض مَن شاءَ ، وأَنا كبدي محترقةٌ مِنْ بو بكر لعَجْم وعمر بن بو بكر باذيب ، فسأَلعنهُما جَبْراً لخاطرهِ .

ثمَّ نهضَ مِنْ فورهِ ودخلَ علىٰ صالح جعفر فأَوْهَمَ أَنَّهُ عثرَ . . فقالَ : لعنةُ ٱللهِ علىٰ أَبي بكرٍ وعمرَ[1] .

---

(١) وفي فعله هـٰذا تورية عن سب الشيخين رضي الله عنهما بسب معاصريه ، ولفعله شواهد كثيرة كقصة الإمام مع المأمون في مسألة خلق القرآن وغيرها ، ولـٰكن رغم ذلك لم يخرج عن الإعذار ؛ فإنه لا يجوز لعن المعيّن ، بل هو حرام ، وكان على المؤلف رحمه الله أن لا يذكر الأشخاص كما فعل السيد صالح الحامد في « رحلته » ؛ فإنه ذكر الحكاية بدون ذكر الأشخاص .

وللشَّيخِ أَحمدَ بَرَكات[1] مِنْ هـٰذا ٱلقَبيلِ ما ليسَ بٱلقليلِ ، إلا أَنَّهُ لم يكن كٱلسَّيِّدِ زينٍ في خفَّةِ ٱلظِّلِّ ؛ لأَنَّ عندَه شيئاً مِنَ ٱلكُلفةِ ؛ مِن نوادرِهِ :

أَنَّ شيخَنا ٱلشَّهيرَ أَحمد بنَ حسنٍ ٱلعطَّاس مرَّ بدارِهِ فناداهُ : أَعندكَ رطوبةٌ نطلعُ لَها؟ قالَ لَهُ : ٱحذفِ ٱلطَّاءَ وٱطلعْ . يعني أَنَّ عندَهُ رُوبةً[2] .

وبها ذكرتُ أَنَّ ٱبنَ عمَّارٍ قالَ للدَّاني : ٱجلس يا داني بلا (أَلِف) ، فقال : نعم يا ابن عمار بلا (ميم) .

وكان سنة (١٣١٨هـ) بدوعن في منزلٍ ٱستأجرهُ ، فٱتَّفقَ أَنَّ بنتاً لأَهل ٱلمنزل ٱستعارت ثوباً مِن أُمها لتلبسَهُ في وليمة زواجٍ ، ففُقِدَ لهم عِقدٌ مِنَ ٱلفضَّةِ يسمُّونَهُ (مريّة) ، فٱتَّهموا بها ٱلشَّيخَ أَحمدَ ، فقالَ لهم : كم ثمنُها؟ فقالوا : ستَّة ريالٍ . فدفعَها لهم ، ولمَّا عادتِ ٱلبنتُ بٱلثَّوبِ . أَلفَوا ٱلمريَّةَ معَها ؛ لأَنها كانت بينَ طيَّات ٱلثَّوبِ ، فردُّوا ريالاتِ ٱلشَّيخِ أَحمدَ وٱعتذروا لهُ ، ولمَّا ٱنتهى ٱلخبرُ إِلىٰ باصرَّةَ . . عاتَب ٱلشَّيخَ أَحمدَ وقالَ : لو رضيتَ برفعِهم أَمركَ إِليَّ . . لما أَلزمتُكَ بشيءٍ ، فقالَ : مَن يدفعُ ٱلتُّهَمَةَ بعدَ ٱلرَّفع ؛ إِذ لا بدَّ مِن علوقِها علىٰ أَيِّ حالٍ ، فٱخترتُ ٱلسَّترَ ٱحتفاظاً بٱلمروءةِ ، لا سيَّما والمبلغُ زهيدٌ .

ودخلَ أَحدُ أَهلِ شبامٍ علىٰ صديقٍ لَهُ بها وهوَ يتغدَّىٰ ، فقالَ لَهُ : أَما عندكَ ثمانيةٌ وسبعونَ ؟ يعني لحمَ .

قالَ : لا ، ولـٰكن عندي مئةٌ وخمسونَ . وأَحضرَ لَهُ عكَّةَ ٱلسَّمنِ ، وكلُّ ذلكَ على ٱلرَّوِيَّةِ مِنْ دونِ تفكيرٍ[3] .

---

(١) أحمد عبد الله بركات ، توفي بشبام سنة (١٣٤٦هـ) ، وله أشعار ونوادر ، جمع بعضها المستشرق سارجنت في كتابه : « الأدب العامي في حضرموت » ، وله مقامات أدبية نشرت ضمن « مجموع المقامات اليمنية » التي جمعها الأستاذ عبد الله محمد الحبشي ، وجمع بعض نكاته السيد الفاضل حسن بن سالم السقاف (السوم) ، المتوفىٰ بجدة سنة (١٤١٨هـ) ، وسماها : « النوادر المضحكات من أخبار أحمد بركات » .

(٢) **الروبة** : اللبن الرائب الحامض .

(٣) يعني بالثمانية والسبعين : مجموع حروف كلمة (لحم) ؛ فاللام= ٣٠ ، والحاء=٨ ، والميم=٤٠ . =

وكانَ لَهم ـ كما سبقَ عنِ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ عمرَ ـ في نقْدِ ٱلرِّجالِ ٱلفهمُ ٱلوقَّادُ ، وعندَهُم مِنَ ٱلإِزكانِ[1] وٱلتَّخمينِ[2] ما لا يحصرُهُ ٱلتَّعدادُ . مِنْ ذلكَ :

أَنَّ ٱمرأَةً لأَحدِهم كثيراً ما تأْكلُ ٱللَّحمَ وتعتذرُ بٱلهِرّةِ ، فلَم يَكنْ منهُ إِلاَّ أَنْ وَزَنَ ٱلهِرَّةَ عندَ ٱلسَّاعةِ ٱلَّتي يتَّهمُها فيها بأَكْلِ ٱللَّحمِ ، وخرجَ مِنَ ٱلدَّارِ ، ثمَّ عادَ وقالَ لَها : أَينَ ٱللَّحمُ ؟ فقالت : أَكلَتْهُ ٱلهِرَّةُ . فوزنَها ثانياً ، فلَم يَزِدْ فيها شيءٌ ، فٱنكشفَ ٱلخيمُ ، وٱنهتكَ ٱلحريمُ .

وآلُ شبامٍ يَغضَبُونَ مِنْ وزنِ ٱلهِرَّةِ إِلى ٱليومِ لذلكَ ٱلسَّببِ ، بل يَكرهونَ مِن غيرِهم لفظَ ٱلوَزْنِ وإِنْ لَم يُذكَرْ معَهُ ٱلهِرُّ .

حدَّثني ٱلمرحومُ ٱلوالدُ أَحمدُ بنُ عمرَ بنِ يحيىٰ قالَ : كتبَ إِليَّ بعضُ أَهلِ ٱلتَّيمورِ يطلبُ كميَّةً مِنَ ٱلبقرِ فأَخذْتُها ، وفي ٱلعشيِّ كنتُ أَنا وٱلشَّيخُ ٱلفاضلُ سالمُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ باسُويدان بمنزلِ أَميرِ ٱلإِحسانِ ، ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ ٱلسَّقَّافِ بسنغافورةَ ، فذكرتُ شراءَ ٱلبقرِ ، فقالوا : كيفَ كانَ شراؤُكَ لَها ؟

فقلتُ لهم : بٱلوَزْنِ . فغضبَ ٱلشَّيخُ سالمٌ ، وظنَّ أَنَّ فيهِ تنكيتاً عليهِ ، وأَنا لَم أَتعمَّدْ شيئاً مِنْ ذلكَ ، وإِنَّما أرسلتها بحسبِ ٱلسَّجيَّةِ ، وبقيَ علىٰ غضبه مدَّةً ليستْ بٱليسيرةِ .

ولِسَماسرةِ شِبامٍ ٱليدُ ٱلطُّولَىٰ في سَنِّ ٱلفاترِ ، وتعييرِ ٱلعائبِ ، إِلاَّ أَنَّهم لا يَسلمونَ مِنَ ٱلتَّحريشِ بينَ ٱلنَّاسِ ؛ بينَما أَحدُ شعرائِهم بٱلسُّوقِ ـ وٱسمُهُ عليٌّ ـ . . إِذ ظهرَ قرنُهُ ٱلَّذي يهاجيهِ ـ وهو بازيادٍ ـ فأَشلوهُ عليهِ ، فتفطَّنَ لها بازيادٍ وقالَ :

يَـا عَلِـي خُـذْ لَـكْ نَصِيحَـهْ ... مِـــنْ رَفِيقَـــكْ بَـــازِيَـــادْ
ٱلشَّتَـــمْ بَيْنِـــي وَبَيْنَـــكْ ... وَٱلضَّحِـــكْ لاهْـــلِ ٱلْبِـــلاَدْ

= وبالمئة والخمسين : مجموع حروف كلمة (سمن) ؛ فالسين=٦٠ ، والميم=٤٠ ، والنون=٥٠ .

(١) **الإزكان** : الفراسة والفطانة .

(٢) **التَّخمين** : ظنُّ الشَّيءِ بالحَدْسِ .

فٱرعوىٰ عليٌّ ، وكانَ ذلك سببَ ٱلصُّلحِ بينَهما .

ولشبامٍ ذِكرٌ عندَ ٱلطَّيِّبِ بامخرمةَ ولٰكنَّه قليلٌ ؛ إذ لَم يَزِدْ علىٰ قولِهِ : (شبام مدينةٌ عظيمةٌ بحَضْرَمَوْتَ ، بينها وبينَ تريم سبعةُ فراسخَ ، إليها يُنسبُ جمعٌ كثيرٌ ، وخرجَ مِنها جماعةٌ مِنَ ٱلفضلاءِ وٱلعلماءِ وٱلصَّالحينَ ، مِنهمُ : ٱلفقهاءُ بنو شراحيل ، وٱلفقيهُ أَبو بكرٍ بامُهْرةَ ، وٱلفقيهُ ٱلإمامُ محمَّدُ بنُ أَبي بكرٍ عَبّاد ، وٱلفقيهُ ٱلصَّالحُ برهانُ ٱلدِّينِ إبراهيمُ بنُ محمَّدٍ ٱلشِّباميُّونَ . ومنهُمْ : ٱلفقيهُ وجيهُ ٱلدِّينِ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ مزروعٍ[1] ، وٱلفقيهُ ٱلصَّالحُ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ باصهي) اهـ[2]

---

(١) هو العلامة الفقيه مفتي حضرموت ، له « فتاوى » جمعها تلميذه السيد القاضي أحمد شريف بن علي خِرِد توفي أوائل القرن العاشر ، وينقل عنها العلامة طه بن عمر الصافي في « المجموع الفقهي » .

(٢) نسبة البلدان (خ١٦٠) ، توفي سنة (٩٠٣هـ) ، أخذ عن الحافظ السخاوي وطبقته . ذكره في « الضوء اللامع » .

تتمة : مدارس شبام : أقدم مدرسة قامت بشبام هي (مدرسة ومسجد الحارة القبلية) ، تبرع بأرضها المقامة عليها أحد السلاطين في مطلع القرن الثالث عشر الهجري ، وكانت هـٰذه الحارة مصْدر إشعاع علميٍّ وثقافي عمّ حضرموت بأسرها ؛ إذ كان إمام الدعوة الحبيب أحمد بن عمر بن سميط (١٢٥٧هـ) متولياً للإشراف عليها ، وأُوقفَتْ عليها وعلى طلبتها الأوقاف ، واستمرت هـٰذه المدرسة تقوم بدورها حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري إلى حدود سنة (١٣٦٠هـ) ، وبعدها أغلقت لاحتياجها للترميم .

المدرسة الشرقية : تقع في الجهة الشرقية من شبام ، أسسها وبناها المشايخ آل التوي ، وكان كبيرهم المتولي لذلك العمل هو الشيخ أبو بكر بن محمد التوي ، وتاريخ وقفيتها يعود إلى سنة (١٣٣٥هـ) ، وقام بالتدريس بها محمد وعمر ابنا أبي بكر التوي ، وتولى إدارتها أولاً الشيخ القاضي محفوظ المصلي ، ثم تعاقب على الإدارة شخصيات أخرى ؛ كالسيدين علي بن محمد بن سميط وعبد الله بن مصطفى بن سميط . ومَرّت على المدرسة مدة توقفت خلالها ، لاسيما بعد وفاة الشيخ أبي بكر التوي وانقطاع الموارد المالية ، فقام الشيخ أحمد جُبران بن عوض جبران بترميمها ، وجلب بعض مدرسين من تريم ؛ منهم الشيخ : عبد القوي الدويلة بافضل . ثم توقفت بعد مجيء الحزب الشيوعي ، وأخذت أرضها ظلماً وبني عليها منزل لأحد الأهالي ، ولاحول ولا قوة إلا بالله .

ثم في سنة (١٣٧٢هـ) فتحت المدرسة الحكومية في عهد السلطان صالح القعيطي ، وكان مديرها السيد عبد الله بن مصطفى بن سميط ، ثم ضُمت بعد الثورة إلى مدارس الحكومة ، وسميت بعد ذلك بمدرسة الشهيد غسان ، وحالياً تسمّى : مدرسة الرشيد .

أمّا أحوالُ شِبَام السِّياسيّةُ : فقد تقلّبتْ كسائرِ بلادِ حَضْرَمَوْتَ ؛ إذْ كانت أوّلاً لحِمْيَر ، ثمَّ تَجاذبتْ فيها ٱلحبالَ قبيلتا كِنْدَةَ وحَضْرَمَوْتَ ، وقد ذكرنا مِنْ ملوكهِم ما ٱنتهىٰ إليهِ ٱلعِلْمُ في « **ٱلأصلِ** » ، علىٰ ما في تلكَ **ٱلأَخْبَارِ** مِنَ ٱلاضطرابِ وٱلتّناقضِ .

ونزيدُ هنا ما جاءَ في « ٱلنَّفحةِ ٱلمُلوكيّةِ » (ص ٨٤)(١) : (أنَّ مدَّةَ ملوكِ كندةَ بٱلحجازِ كانت مِنْ سَنةِ (٤٥٠) إلىٰ سَنةِ (٥٣٠) ميلاديَّةٍ ، وأوَّلُ مَنْ مَلكَ منهُم : حُجْرُ بنُ عَمرٍو آكلُ ٱلمرَارِ .

وكانت كندةُ ـ قَبْلَ أنْ يُمَلَّكَ عليهِم ـ فوضىٰ ، يأكلُ قويُّهُم ضعيفَهُم ، فلمّا تملَّكَ حُجْرٌ عليهِم . . سدَّدَ أُمورَهُم ، وٱنتزعَ ما كانَ بأيدي ٱللَّخميِّينَ مِنْ أرضِ بكْرِ بنِ وائِلٍ .

وكانَ ٱبتداءُ مُلكهِ ـ حَسَبَما مرَّ ـ مِنْ سَنةِ (٤٥٠) ميلاديَّةٍ ، ولمّا ماتَ . . تَملَّكَ بعدَهُ ٱبنُهُ عَمرو بنُ حجرٍ ، ٱلملقَّبُ بٱلمقصورِ ؛ لأنَّهُ ٱقتصرَ علىٰ مُلكِ أبيهِ فلَم يَتجاوزْهُ .

وأقامَ ما شاءَ ٱللهُ في ٱلمُلكِ ، إلىٰ أنْ قُتِلَ ، ثمَّ خَلَفَهُ ٱبنُهُ ٱلحارثُ بنُ عَمرٍو ، وكانَ شديدَ ٱلبأسِ ، كثيرَ ٱلمغازي وٱلغاراتِ ، فملَّكَ ٱبنَهُ حُجْراً علىٰ بني أَسدٍ وغطفانَ ، وٱبنَهُ شرحبيل علىٰ بكرِ بنِ وائِلٍ ، وٱبنَهُ مَعْدِيكَرِب علىٰ بني تغلبَ ، وٱلنَّمرِ بنِ قاسطٍ ، وسَعْدِ بنِ زيدِ مناة(٢) ، وطوائِفَ أُخرىٰ مِنْ بني دارمَ وٱلصَّنائعِ . وٱبنَهُ سلمةَ علىٰ بني قيسٍ .

ثمَّ إنَّ ٱلحارثَ بنَ عَمْرٍو كانَ قد سارَ إلىٰ وادي سحلانَ فقتلَهُ بنو كلبٍ ، وكانَ حُجْرُ بنُ ٱلحارثِ أَساءَ معاملةَ بني أَسدٍ ، وأَهانَ سراتَهُم وقهرَهُم ، فهَجَموا عليهِ بغتةً وٱغتالوهُ) اهـ

---

(١) اسمه بالكامل : « النفحة الملوكية في أحوال الأمة العربية الجاهلية » لمؤلفه الشيخ عمر نور الدين القاضي الأزهري الحنفي ، انظر : « معجم المطبوعات » لسركيس ص(١٥٢٤) .

(٢) في « الكامل » لابن الأثير (١/ ٤٠٠) : أنَّ معد يكرب مَلَكَ : قيس عيلان وطوائف غيرهم . وسلمة مَلَكَ : تغلب ، والنَّمر بن قاسط ، وبني سعد بن زيد مناة من تميم . والله أعلم .

وزعمَ ٱلعينيُّ في « شرحهِ لشواهدِ ٱلألفيَّةِ » : أنَّ حُجرَ بنَ ٱلحارثِ هـٰذا هوَ والدُ ٱمرىءِ ٱلقيسِ أَولُ ملوكِ كِندةَ ، وأَخطأَ في ذلكَ أَوِ ٱنتقلَ عندَهُ ٱلفكرُ من حُجرِ بنِ عَمرٍو إلىٰ هـٰذا .

علىٰ أَنَّ ما سبقَ مِن بدءِ مُلكِ حُجْرِ بنِ عَمرٍو إنَّما هوَ بٱلنِّسبةِ إلى ٱلحجازِ ، أَمَّا في حضرموتَ . . فقد كانَ لهم مُلكٌ قديمٌ قامَ علىٰ أَنقاضِ مُلكِ حِميَرَ حَسبَمَا أسلفنا .

وسببُ تمليكِ ٱلحارثِ أولادَهُ على ٱلعربِ أَنَّهُ ـ كما في « ٱلكاملِ » [١/٤٠٠] ـ : (لمَّا كانَ ٱلحارثُ بٱلحِيرةِ . . أَتاهُ رُؤَساءُ ٱلقبائِلِ مِنْ نزارٍ ، وقالوا لَهُ : قد وقعَ بيننا مِنَ ٱلشَّرِّ ما تَعلمُ ، فنحنُ في طاعتكَ ، فوَجِّهْ معنا بنيكَ ينزلونَ فينا . ففرَّقَ أَولادَهُ في قبائِلِ ٱلعربِ ملوكاً عليهِم) .

وهـٰذا ، وإنْ ذُكِرَ أَكثرُهُ بـ« ٱلأَصلِ » ، وكانَ ممَّا يَتعلَّقُ بٱلحجازِ لا بحَضْرَمَوْتَ . . فإنَّ فيهِ زيادةً ؛ ولكـٰن كِندةَ كانت تسكنُ ٱلبحرينِ ، ثمَّ ٱنتقلَت إلىٰ حضرموتَ وزَهَت بها دولتُها ، وإنَّما نجعت إلىٰ أَرضِ مَعَدٍّ حينَ كَرِهتْ محاربةَ حَضْرَمَوْتَ ، ولانَتْ لَها بسببِ ٱختلافِها على ٱلرِّياسةِ بعضَ ٱللِّينِ ، حَسَبَما بيَّنَّاهُ في « ٱلأَصلِ » .

وقد أَقمْتُ ٱلحجَّةَ فيهِ علىٰ مَنْ يريدُ أَنْ يُباعدَ ما بينَ ٱمرىءِ ٱلقيسِ وٱلأَشعثِ بنِ قيسٍ في ٱلمناسبِ بما لا يحتاجُ إلى ٱلإعادةِ .

وفي « سبائِكِ ٱلذَّهبِ » : أَنَّ معديكَرِبَ جَدَّ ٱلأَشعثِ مِنْ ولدِ حُجْرِ ٱلقِرْدِ ٱبنِ ٱلحارثِ بنِ عَمرِو بنِ معاويةَ بنِ ٱلحارثِ بنِ معاويةَ بنِ ثورِ بنِ مَرْتعٍ ، وٱلحارثُ بنُ عَمرِو بنِ معاويةَ هوَ ٱلجدُّ ٱلثَّالثُ فيها لامرىءِ ٱلقيسِ .

وٱلمُلكُ في قبائِلِ ٱلعربِ لآلِ ٱلحارثِ بنِ عمرٍو ، إلاَّ أَنَّ ٱلنُّعمانَ بنَ ٱلمُنذرِ ـ نائبَ أَنوشروانَ ـ كانَ يُبغضُ ٱلحارثَ بنَ عمرٍو ، فلهُ يدٌ في قتلهِ ثمَّ في قتلِ ثلاثةٍ مِن أَولادِهِ ، وإضعافِ مُلكِهم حتَّىٰ لم تبقَ لهم إلاَّ مناطقُ محدودةٌ بينَ ٱلحجازِ وٱلشَّامِ وٱلبحرينِ ونجرانِ ٱليمنِ وغَمرِ ذِي كِندةَ . وأَمَّا مُلْكُ كِنْدةَ بحضرموتَ . . فللمتوَّجينَ مِن بني معاويةَ ٱلأَكرمينَ ، وآخرُهُم ٱلأَشعثُ بنُ قيسٍ .

وجاءَ ٱلإسلامُ وكِنْدَةُ علىٰ مُلكِها في بلادِ حَضْرَمَوْتَ ، وكانَ ما كانَ مِنْ أَخبارِ ٱلرِّدَّةِ .

وفي سَنَةِ (١١٩هـ) نجمتِ ٱلخوارجُ ، وتفرَّعتْ عنها ٱلإباضيَّةُ ٱلَّتي بقيتْ منها ـ كما سبق في ٱلرَّشيدِ ـ بقيَّةٌ مذكورةٌ في حضرموتَ حتىٰ أَواخرِ ٱلقرنِ ٱلثَّامنِ ، كما ذكرَهُ ٱبنُ خلدون في (ص١٧٠ ج ٣) مِنْ « تاريخهِ » : (وأَمَّا مسجدُهم ٱلَّذي بخبَّةِ شبامٍ فقد بقيَ بأَيديهم إلىٰ ما بعدَ ذلكَ بزمانٍ طويلٍ ، وما زالت نقاطٌ محدودةٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ ـ معَ ٱلاضطرابِ ٱلهائلِ بٱلخوارجِ وٱلإباضيَّةِ ـ وكانت تلكَ ٱلنُّقاطُ ٱلَّتي بأَيدي ٱلخلفاءِ ـ مع هـٰذا ٱلزِّحامِ ـ تنبسطُ تارةً ، وتنقبضُ أُخرىٰ ، حتَّىٰ كانت أَيَّامُ ٱلمأمونِ فخرجتْ عنهُ تماماً ، فٱستعانَ ببني يزيدَ ٱلأُمويِّينَ ، فأَخضعوها سَنَةَ « ٢٠٦هـ » ، وٱستمرَّتْ بها دولتُهُم إلىٰ سَنَةِ « ٤١٢هـ » .

إلاَّ أَنَّهُ جاءَ في « ٱلتَّاريخِ » : أَنَّ ٱلمعتمِدَ ٱبنَ ٱلمتوكِّلِ أَسندَ ولايةَ ٱليَمنِ لمحمَّدِ بنِ يعْفرَ[1] ، ففتحَ حَضْرَمَوْتَ في حدودِ سَنَةِ « ٢٧٠هـ » ، وولَّى ٱلهزيليَّ شباماً .

فأَشكلَ ذلكَ عليَّ بما ٱتَّفقوا عليهِ مِن دوامِ مُلْكِ ٱليزيديِّينَ ٱلأُمويِّينَ إلىٰ سنةِ « ٤١٢هـ » بٱلنِّيابةِ عن بني ٱلعبَّاسِ ، حتَّىٰ رأَيتُ في بعضِ تواريخِ ٱليَمنِ للكبسيِّ : أَنَّ محمَّدَ بنَ يعفر كانَ لا يَرىٰ مقاومةَ ٱبنِ زيادٍ ، بل يُهدي لَهُ ، ويوهمُهُ ٱلاعترافَ لَهُ ، وربَّما ذكرَهُ في ٱلخُطبةِ ، وكانَ مستقلاً بأَمْرِ ٱلتِّهائِمِ) اهـ

وكانَ محمَّدُ بنُ يعْفرَ بنِ عبدِ ٱلرَّحيمِ أَخذَ ٱلبَيْعةَ في حياةِ أَبيهِ مِنْ أَهلِ ٱليَمنِ للمعتمدِ بٱللهِ فولاَّهُ ، فغلبَ علىٰ مخاليفِ ٱليَمنِ ، إلاَّ ٱلتِّهائِمَ ، فبقيَتْ تحتَ آلِ زيادٍ كما تقدَّمَ .

وفي سَنَةِ (٢٦٧هـ) حجَّ محمَّدُ بنُ يعفر ثمَّ عادَ وبنىٰ جامع صنعاء . وفي سنة

---

(١) آل يعفر من ولد يعفر بن عبد الرحمن بن كريب الحوالي ، ومؤسسُ دولة آل يعفر هو يعفر بن عبد الرحيم الحوالي ، استمرت دولتهم من عام (٢٢٥هـ) إلى عام (٣٩٧هـ) . كانوا أمراء على بلاد شبام كوكبان ، وامتد نفوذهم إلى صنعاء والجَنَد وحضرموت . وهم غير آل يعفر الكهلانيين ، بنو يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد الكهلاني . قتل محمد بن يعفر سنة (٢٦٩هـ) على يد ابنه إبراهيم ، بإيعاز من أبيه يعفر بن عبد الرحيم . « بلوغ المرام » (١٨) .

(٢٦٩هـ) أمرَ يعفرُ بنُ عبدِ ٱلرَّحيمِ حفيدَهُ إبراهيمَ بنَ محمَّدِ بنِ يعفرَ بقتلِ أبيهِ محمَّدِ بنِ يعفرَ ، فقتلَهُ فٱنتقضتْ عليهِ وعلىٰ جدِّهِ ٱلأُمورُ ، ثمَّ وصلَ ٱلعَهْدُ مِنَ ٱلمعتمدِ ليعْفرَ بنِ إبراهيمَ بنِ محمَّدِ بنِ يعفرَ ، فقُتلَ بشبام سَنَةَ (٢٧٩هـ) وقامَ بعدَهُ يعفر[١] بنُ عبدِ ٱلقاهرِ بنِ أحمدَ يعفرَ ، ثمَّ عادَ ٱلمُلْكُ لإبراهيمَ بنِ محمَّدِ بنِ يعفرَ في سَنَةِ (٢٩٠هـ) ، وقامَ بعدَهُ ٱبنُهُ أَسعدُ بنُ إبراهيمَ ، وفي أَيَّامِهِ ظهرَ عليُّ بنُ ٱلفضلِ ٱلقرمطيُّ ، فٱستعملَ أَسعدَ هـٰذا علىٰ صنعاءَ ، ولمَّا قُتلَ ٱلقرمطيُّ . استولىٰ أَسعدُ علىٰ مُلكهِ وعلىٰ بناتهِ ، وقَتَلَ ولدَهُ ، ثمَّ توفِّيَ أَسعدُ سَنَةَ (٣٣٢هـ) ، وقام بعدَهُ ٱبنُهُ يعفر ، غيرَ أَنَّهُ ماتَ بعدَ سبعةِ أَشهرٍ .

وأَمَّا ٱلهزيليُّ ٱلَّذي أُسنِدت إليهِ ولايةُ شبامٍ . . فمِن بني فَهْدٍ ، فٱلكلامُ متَّفِقٌ معَ ما مرَّ عنِ ٱبنِ ٱلحائِكِ ٱلهَمْدانيِّ .

قالَ نشوانُ بنُ سعيدٍ ٱلحميريُّ [مِنَ ٱلكاملِ] :

وَبَنُو ٱلْهَزِيلِ وَآلُ فَهْدٍ مِنْهُمُ مِنْ كُلِّ هَشٍّ لِلنَّدَىٰ مُرْتَاحِ[٢]

وآلُ يعْفر بطنٌ مِنْ حِمْيَر ، ويقالُ لَهمُ : ٱلأَوزاعُ ، وقد رفعَ نسبَهُم صاحبُ « سبائِكِ ٱلذَّهبِ » إلىٰ زيدِ ٱلجمهورِ بنِ عمرِو بنِ قيسِ بنِ معاويةَ بنِ جشمِ بنِ عبدِ شمسِ بنِ وائِلِ بنِ ٱلغوثِ بنِ قطنِ بنِ عريبِ بنِ زهيرِ بنِ أَبيرِ بنِ حميرَ بنِ سبأٍ[٣] ،

(١) في تلك الأثناء قدم إلى اليمن وال من قبل الخليفة العباسي ، وهو علي بن الحسين الملقب (حفتم) ، وهو آخر ولاة بني العباس باليمن ، ودخل صنعاء الإمام الهمداني ، ثم هرب منها ورجع الأمر للحواليين .

(٢) بنو الهَزيل ـ بالزاي ـ وليس بالذال ، وكذا في « شرح قصيدة نشوان » . قال في « شرحها » (ص ٢١٦) : من آل الهزيل : السلطان راشد بن أحمد بن الدغار بن أحمد بن أبي العلاء بن أبي الهزيل بن أبي النعمان بن هزيل بن فهد بن محمد بن عبد الله . . إلخ النسب المتصل بحضرموت من سبأ الأصغر . ولهم بقية إلى اليوم ؛ منهم جماعة في قرية باهزيل الواقعة في وادي بن علي .

(٣) مر أن آل يعفر من الحواليين ، والحواليّون بطن من حمير ، فيه فخائذ عدة ؛ منها : ١ـ بنو يعفر هؤلاء . ٢ـ الأوزاع والأصابح بالحجرية . ٣ـ العواسج في حيدان من خولان صعدة . ٤ـ آل الأكوع . ٥ـ آل الزواحي ، مؤسس الدولة الصليحية .

وكانوا يَسكنونَ بجبلِ شبام[1] ، ولَهم فيهِ حصونٌ هائِلةٌ ، وهوَ جبلٌ أَشمُّ ، صعبُ ٱلمرتقىٰ ، ليسَ لَهُ طريقٌ إلاَّ من جهةٍ واحدةٍ علىٰ خمسٍ وعشرينَ ساعةً مِنْ صنعاءَ .

وقالَ في « ٱلإكليلِ » [٨/٨٥] : (وشبام مملكةُ آلِ يعْفر ٱلحِواليِّينَ ، وهيَ إحدىٰ جنانِ ٱليَمنِ) اهـ

ثمَّ ٱستولىٰ مِنْ بعدِ آلِ يزيدَ أو زيادٍ ـ ٱلأمويِّينَ نَسباً ، ٱلعبَّاسيِّينَ دولةً ـ بنو مَعْنٍ[2] علىٰ عدن ولحجٍ وأَبينَ وحَضْرَمَوْتَ ، ثمَّ جاءَتْ دولةُ ٱلصُّليحيِّ[3] في سَنةِ (٤٥٥هـ) وكانت شيعيَّةً تدعو وتخطبُ للأَئِمَّةِ ٱلفاطميِّينَ بمصرَ وٱلمغربِ ، إلاَّ أَنَّ إمامَ ٱلإباضيَّةِ إبراهيمَ بنَ قيسٍ كانَ يراوغُ أَئِمَّةَ عُمَان ، ويستدرُّ منهُمُ ٱلمعونةَ وٱلمؤُونةَ بزعمِ أَنَّهُ يزاحفُ ٱلصُّليحيَّ ، وهوَ غيرُ بارٍّ في قولهِ [مِنَ الطَّويلِ] :

وَأَمَّـا نَـوَاحِـي حَضْـرَمَـوْتَ فَـإِنَّهَـا ... بِحَـوْلِ إِلَـٰهِـي طَـوْعُ أَمْـرِي وَخَـاتَمِـي
وَلَـمْ يَبْـقَ لِـي إِلاَّ ٱلصُّلَيْحِـيُّ قَـائِمـاً ... وَهَـا هُـوَّ أَيْضـاً سَعْـدُهُ غَيْـرُ قَـائِـمِ
وَقَـدْ نَـزَعَـتْ عَنْـهُ ٱلْقَبَـائِـلُ نَحْـوَنَـا ... لِمَـا نَظَـرَتْ مِـنْ رَغْمِهَـا فِـي ٱلْمَـآتِـمِ

وإنَّما كانَ ٱلأَمرُ بِٱلعكسِ ، وما نَجَّاهُ مِنْ براثنِ ٱلصُّليحيِّ إلاَّ هربُهُ ولياذُهُ بتُجيب ، وخضوعُهُ لَهم ، وتملُّقُهُ إليهِم ، بشهادةِ ما سَبَقَ في هينِنَ وغيرِهِ مِنْ أَشعارِهِ ٱلمذكورةِ في « ٱلأَصلِ » ؛ فلقد جاءَهُم بجُريعة الذقنِ فأَجاروهُ ، وأَجازَ ٱلصُّليحيُّ جوارَهُم إيَّاهُ .

وبإثْرِ مقْتَلِ ٱلصُّليحيِّ . . تقوَّضتْ دعائِمُ مُلكهِ وشيكاً عن حَضْرَمَوْتَ ، وبقيتِ ٱلدَّولةُ بها لآلِ قَحْطانَ ٱلحميريِّينَ بنفوذٍ محدود في نقاطٍ لا تتجاوزها ؛ لانطباعِ حَضْرَمَوْتَ على ٱلفوضويَّةِ ، ولَهم مشاغَبَاتٌ كثيرةٌ معَ بعضِهِم ومعَ ٱلإباضيَّةِ وقبائِلِ

---

(١) المراد شبام كوكبان ، وكان يسمّى شبام اقيان .

(٢) كان ابتداء ملكهم سنة (٤١٢هـ) ، ينظر ما كتبه عن بني معن السيد أبو بكر المشهور في « تاريخ أحور » .

(٣) وهم الباطنية ، أو الإسماعيلية ، ومنهم فرقة تسمّى : (البهرة) بعدن ، وسلطانهم بالهند ، إلى اليوم ، وفرقهم وجماعاتهم كثيرة .

ٱلبلادِ ، حتَّىٰ جاءَ ٱلأيُّوبيُّونَ ومواليهم ٱلغُزّ[1] في سَنَةِ (٥٧٥هـ) فعاثوا في ٱلبلادِ ، وفَعلوا ٱلأفاعيلَ ، وماجَتْ حَضْرَمَوْتُ بٱلقبائِلِ ٱلنَّاقلةِ إليها كما يموجُ ٱلبحرُ .

وسبقَ في آخرِ مادَّةِ قعوضه أَنَّ نَهْداً لم تجىءْ مِنَ ٱليمنِ إلاَّ لأَنَّ حضرموتَ ٱستنجدت بها . وٱللهُ أَعلمُ .

وفي سَنَةِ (٥٩٠هـ) وردَ طغْتكِين بنُ أَيوبَ إلىٰ تريم وأَخذَ شباماً[2] ، وعادَ إلى ٱليَمنِ وماتَ بهِ ، وطالتْ مدَّةُ ٱلغُزِّ بحَضْرَمَوْتَ ، وٱلدَّولةُ ٱلاسميَّةُ في خلالِ ذلكَ لبني قحطانَ ، تُنازعهُم شقَّ ٱلأُبلمةِ[3] فيها أُمراءُ ٱلطَّوائفِ ورؤَساءُ ٱلقبائِلِ ، مِنْ بني حارثةَ ٱلكنديِّينَ ، وبني سعدٍ ، وبني حرامٍ ، وبني ظنَّةَ ، وغيرِهم .

وسياسةُ ٱلغُزِّ تتقلَّبُ ، تارةً معَ هـٰؤلاءِ ، وتارةً معَ هـٰؤلاءِ ، حَسَبَما فُصِّلَ بـ« ٱلأَصلِ » . وجرتْ بينَهُم حروبٌ وخطوبٌ .

وآلُ يماني بن ٱلأَعلَمِ وآلُ سَعْدٍ يتناوبونَ علىٰ شبامٍ وعلىٰ غيرِها مِنْ بلادِ حَضْرَمَوْتَ ؛ لأَنَّ ٱلحربَ سِجالٌ بينَهُم ، وجرتْ معَ ٱلحَبُوظيِّ في تلكَ ٱلأَثناءِ أَحوالٌ مفصَّلةٌ بـ« ٱلأَصلِ » .

وفي سَنَةِ (٦٧٨هـ) تمَّ ٱستيلاءُ ٱلملكِ ٱلمظفَّرِ ٱلرَّسوليِّ علىٰ حَضْرَمَوْتَ[4] .

وفي سَنَةِ (٦٨٧هـ) توفِّيَ ٱلسُّلطانُ محمَّدُ ٱبنُ ٱلسُّلطانِ عبدِ ٱللهِ بنِ راشدٍ وكانَ مشهوراً بٱلفقهِ[5] .

وبعقبِ ٱنقضاءِ مُلكِ آلِ قحطانَ ، وتلاشي أَمرِ ٱلرَّسوليِّينَ بحَضْرَمَوْتَ . آلَ مُلكُها إلىٰ آلِ أَحمدَ بنِ يمانيٍّ وٱلصَّبراتِ .

---

(١) الغزُّ : قبائِل بدائيَّة ، أَصلها من الأَتراك غير المسلمين ، اكتسحت إيران قبل انسياح التَّتار بمناطق الشَّرق الإسلاميِّ .

(٢) تقدم سابقاً ذكر بعض الغز في الشحر ، وكانت بداية دخولهم اليمن سنة (٥٦٩هـ) بقيادة توران شاه .

(٣) الأُبلُمَة : بقلة لها قرون كالباقلاَّءِ ، إذا شققتها طولاً . انشقَّت نصفين سواءً من أَوَّلها إلىٰ آخرها . وشقُّ الأُبلمة : مَثَلٌ يُضْرَب في المساواة والمشاركة في الأَمر .

(٤) « شنبل » (١٠٣) .

(٥) « شنبل » (١٠٧) ، وفيه سنة (٦٨٩هـ) .

ثمَّ إِلىٰ آلِ كثيرٍ[1] .

ثمَّ إِلى ٱلإِمامِ ٱلمتوكِّلِ على ٱللهِ إِسماعيل ، ثمَّ ليافعٍ ، إِلاَّ أَنَّ يافعاً لَم تَدَّعِ سلطنةً ، بل متى ٱنتصبَ لَهم سلطانٌ . . بخعوا لَهُ بٱلاسمِ معَ ٱلاستبدادِ عليهِ بٱلعملِ ، وقد يَستغنونَ عنِ ٱلسُّلطانِ بٱلكلِّيَّةِ ، إِمَّا برؤَسائهم وإِمَّا بمنصبِ سيِّدِنا ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ .

وفي أَيَّامِ يافعٍ كانتِ ٱلدَّولةُ ٱلكثيريَّةُ لآلِ عيسىٰ بنِ بَدْرٍ بشبامٍ ، أَوَّلُهم : عمرُ بنُ جعفرِ بنِ عيسىٰ بنِ بدرٍ .

ثمَّ أَخوهُ عبدُ ٱللهِ ، وهوَ ٱلَّذي باعَ ليافعٍ ناصفةَ شبامٍ .

ثمَّ منصورُ بنُ عمرَ بنِ جعفرِ بنِ عيسىٰ بنِ بدرٍ ، وكانَ شهماً شجاعاً حَميَّ ٱلأَنفِ ، أَبيَّ ٱلضَّيمِ ، ولهُ تعلُّقٌ بجبلِ ٱلمجدِ ونَجمِ ٱلشَّرفِ : ٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ محمَّدِ بنِ سميطٍ ، فكانت لهُ عبادةٌ ؛ منها : أَنَّ وِردَهُ في ٱليومِ وٱللَّيلةِ مئةُ ركعةٍ .

ومن أَخبارِهِ : أَنَّ ٱلسَّيِّدَ سالمَ بنَ صالحٍ ٱلحبشيَّ كانَ من أَثرياءِ شبامٍ ، فطلبَ منهُ منصورٌ إِعانةً ، فشكا إِلى ٱلحبيبِ عمرَ بنِ محمَّدٍ ، فعاتبهُ ، فقالَ : أَنا لا أُحبُّ ٱلظُّلمَ وأَكرهُ أَن أُسيءَ أَحداً مِن أَهلِ ٱلبيتِ ، ولَـٰكنَّ ٱلسَّيِّدَ سالماً عندَهُ مِن جِيَفِ ٱلدُّنيا ، لو وُضِعت جيفةٌ عندَ ٱلمنبَرِ في ٱلجامعِ . . لأَسرَعَت إِليها ٱلكلابُ وٱلضَّرورةُ تُحوِجُ ، فقالَ ٱلحبيبُ عمرُ للسَّيِّدِ سالمٍ : أَعطِهِ .

وحجَّ ٱلسُّلطانُ منصورٌ معَ ٱلحبيبِ عمرَ بنِ محمَّدٍ وأُشيعَ موتُهما كذباً ، ثمَّ عادا بٱلسَّلامةِ ، أخبرني بجميعِ هـٰذا الأَخُ ٱلصَّالحُ ٱلمنصبُ عليُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلحبشيُّ .

ثم إِن منصوراً بقيَ كما كانَ عمُّهُ معَ يافعٍ على ٱلمناصفةِ بشبامٍ ، وجَرت بينَ كلٍّ منهم وبينَ يافعٍ وبينَ أَصحابِهم آل كثيرٍ مشاغباتٌ ومحارباتٌ مِن أَشهرِها : أَنَّ منصورَ بنَ عمرَ سمعَ حمودَ بنَ سعيدِ بن عبدِ ٱلعزيزِ يتهدَّدُ رجلاً مِن أَهلِ شبامٍ

---

(١) لمعرفة أخبار هـٰذه الدويلات ينظر : « أدوار التاريخ الحضرمي » ، و« تاريخ حضرموت » و« تاريخ الدولة الكثيرية » ، و« الصفحات » .

بالجامعِ ، فأمر عبيدَهُ أن يقتلوه بعدَ انفصالِهِ عن حريمِ شبامٍ ، ففعلوا ، فشقَّ علىٰ آلِ كثيرٍ ؛ لأنَّ حموداً عظيمُ المكانةِ بينَهم ، فحصَروا شباماً وأخربوا موزعها ، حتَّىٰ جمَعَهم سيِّدُ الوادي الإمامُ حسنُ بنُ صالحٍ وأصلحَ بينَهم وبينَ منصورِ بنِ عمرَ ، إلاَّ أنَّهم بقَوا في نفرةٍ عنهم ؛ لأنَّهُ لا يقرُّ علىٰ ظُلمِ أحدٍ منهم ، ولاَ علىٰ تعدِّيهِ ، حتَّىٰ وقعت (حادثة تَريسَ) في حدودِ سنةِ (١٢٥١هـ) .

وحاصلُها : أنَّ آلَ كثيرٍ وحلفاءَهم هجَموا علىٰ تَريسَ واستولَوا علىٰ جانبِها الشَّرقيِّ ، فاستغاثَ صاحبُها ابنُ النَّقيبِ بيافعٍ ، فأسرعوا ، وكانوا :

لاَ يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ إِلَى الْقِتَالِ عَلَىٰ مَا قَالَ بُرْهَانَا

فحصَروا آلَ كثيرٍ ، ولمَّا خرجوا . . لاقتهُم شرقيَّ البلدِ ، وأثخنَت فيهم قتلاً ، وسلبَت قتلاهم ، فعادوا يتودَّدونَ إلىٰ منصورِ بنِ عمرَ ، وهيَّجوهُ علىٰ يافعٍ ، وكانَ يحرقُ عليهم الأُرَّم مِنَ الغيظِ[1] .

ولمَّا كانت ليلةُ الفطرِ مِنْ سَنةِ (١٢٦٠هـ) فَعَلَ منصورُ بنُ عمرَ فعلتَهُ الَّتي فَعَلَ ، وانتهزَ فرصةَ خروجِ أكثرِ مَنْ بشبامٍ مِنْ يافعٍ إلىٰ منازلِهم خارجها للعيدِ . . فأعلنَ ثورتَهُ ، وقتَلَ مَن بقيَ منهم بشبامٍ وهُم غارُّونَ في المساجدِ ، واستقلَّ بملكِ شبامٍ[2] .

وقد أنكرَ العلويُّونَ صنيعَهُ ذلكَ ، إلاَّ الحبيبَ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ بنِ يحيىٰ ؛ فإنَّهُ هنَّأَهُ بهِ في كتابهِ المُطوَّلِ الَّذي سيرَّهُ إليهِ بتاريخِ عشرِ شوالٍ مِن نفسِ السَّنَةِ ، وقد نشرتُ ذلكَ الكتابَ في « الأصلِ » معَ ما تعاظمني مِن إشكالِ صنيعِ الحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ .

وفي آخرِ القعدةِ سَنةَ (١٢٦٤هـ) باعَ منصورُ بن عمرَ ناصفةَ[3] شبام علىٰ غالبِ بنِ محسنٍ الكثيريِّ صاحبِ سيئونَ وتَريم بدراهمَ معيَّنَةٍ ، بواسطةِ عبودِ بنِ سالمٍ ، أعطَوه قليلاً ، ولَوَوهُ بالباقي ، وعقدوا بينهم حلفاً ؛ من شروطِهِ : أنْ يتولَّى الماليَّةَ ، وينفقَ

---

(١) يحرق عليهم الأُرَّم مِنَ الغيظ : مثل يضرب عند شدَّة غيظ الإنسان . والأُرَّم : الأسنان . وحرَق : مأخوذ من قول العرب : حرق ناب البعير . . إذا صوَّت .

(٢) « العدة المفيدة » (١/ ٣٣٤) ، « تاريخ الدولة الكثيرية » .

(٣) ينظر : « العدة المفيدة » نهاية الجزء الأول وبداية الثاني .

علىٰ حربهم معَ ٱلقعيطيِّ ويافعٍ مناصفةً ، وعلىٰ أَن يبقى ٱلحُكمُ في شبامٍ لمنصورِ بنِ عمرَ ، وعلىٰ أَن يدفعَ لهُ من جبايةِ ناصفتِهِ ٱلباقيةِ كلَّ يومٍ سبعةَ ريالٍ ، وبقيَ ٱلأَمرُ بينَهم علىٰ وفقٍ ، ولَم يُسَلِّموا لَهُ ما بقيَ مِنْ ثمنِ ٱلنَّاصفةِ حتَّىٰ سَفرَ بينهم ٱلنَّاسُ ، ففسحوا له ٱلصَّفقة ، وردُّوا لَهُ خطَّ ٱلبيعِ ، وبقيتِ ٱلمنازعاتُ بينَهُ وبينَ آلِ كثيرٍ علىٰ أَشدِّ ما يكونُ مِن قيامِها على ٱلسَّاقِ وٱلقَدمِ ، ومثلُها كانَ بينَهُ وبينَ يافعٍ . . فهو كما قالَ حبيبٌ [في « ديوانِهِ » ٢/٣٤٦ـ٣٤٧ مِنَ ٱلكامل] :

مَا كَفَّ عَنْ حَرْبِ ٱلزَّمَانِ وَرَمْيِهِ ... بِٱلصَّبْرِ إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يُنْصَرِ
مَا إِنْ يَزَالُ بِجِدِّ حَزْمٍ مُقْبِلٍ ... مُتَوَطِّئاً أَعْقَابَ مُلْكٍ مُدْبِرِ

حتَّىٰ ضاقت نَفْسُهُ ، فباعَ ناصفةَ شبامِ ٱلغربيَّةَ للسُّلطانِ ٱلقعيطيِّ بعدَ أَن حذَّرهُ ٱلحبيبُ عمرُ بنُ محمَّدٍ وقالَ لهُ : إِنَّ في هٰذا هلاكَكَ ، قالَ لهُ : لقد ضاقَ ٱلنَّاسُ ، وواحِدٌ وَلاَ جَماعَة .

وبقيَ هوَ وعوضٌ ٱلقعيطيُّ على ٱلمصافاةِ في ٱلعلانيةِ وٱلمكايدةِ في ٱلسِّرِّ ، ولٰكن . . ما كل مرَّة تسلم ٱلجرَّة ، وفي ٱلأثرِ : « بشِّر القاتلينَ بالقتل » . فدعوه في (٣) شعبانَ مِنْ سَنةِ (١٢٧٤هـ) ـ وهيَ سَنةُ ٱلشُّراءِ بنفْسِها ـ للمشاورةِ في أَمرٍ فَضَحّوا بهِ وتغدَّوهُ قبلَ أَن يتعشَّاهم ، وتمَّ ملكُ شبامٍ لِلقعيطيِّ مِنْ ذلكَ ٱليومِ إِلى ٱلآنَ ، وٱللهُ وارثُ ٱلأَرضِ ومَنْ عليها[1] .

وأَزياءُ آلِ شِبَامٍ شبيهةٌ بأَزياءِ آلِ صنعاءَ ، إِلاَّ في تطويلِ أَكمامِ ٱلقمصانِ ، غيرَ أَنَّ ٱلمتأَخِّرينَ مِن آلِ شبامٍ غَيَّروا تلكَ ٱلأَزياءَ سَيراً معَ ٱلظُّروفِ .

وبيوتُ شبام كذلكَ علىٰ شبهٍ بديارِ صنعاءَ ؛ فهيَ متضايقةٌ ، ومنازلُها وأَزقَّتُها

---

(١) ولا زال أهل شبام يتناقلون أخبار المناصفة وكيف كانت الأحوال آنذاك في شبام ، من انتشار العساكر والجنود في الأزقة ، مع أن القعيطي بنى لجنوده مراكز عند كل مدخل . ويذكرون أن إحدى نساء شبام رأت جندياً يسير في الشوارع فخافت أن يداهم منزلها ، فلما قارب سدة بيتها . . أرسلت عليه حجر الرحى فرضّت رأسه فمات لتوه ، فلم يعد الجنود يسيرون بين البيوت ، بل اكتفوا بأماكنهم في الأطراف والأركان .

ضيّقةٌ ، وجوُّها ليسَ بٱلنّقيِّ ؛ لِكثرةِ مياهِ ٱلمراحيضِ[1] ، معَ أَنَّ ٱلشَّمسَ لا تتخلّلُها لطولِ ديارِها ، فلا تقصرُ ما بها مِنَ ٱلجراثيمِ .

وقد بلغني أنَّ ٱلمتوَفَّاةَ بٱلسّلِّ مِن نسائِها كثيرٌ ، ومِن كلام ٱلحبيبِ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ سميطٍ عنِ ٱلحبيبِ جعفرِ بنِ أَحمدَ ٱلحبشيِّ : أَنَّ جوَّ شبامٍ كانَ طيِّباً يُشبهُ جوَّ قارَةِ الصَّناهجةِ ، وإِنَّما عَرَضَ لها ٱلوَخَمُ مِنَ ٱلبواليعِ ومجاري ٱلقاذوراتِ .

وكانَ لهم تَشدُّدٌ بليغٌ في ٱلحجابِ ، حتَّىٰ إنَّ أكثرهنَّ لا تخرجُ إلاَّ جنازتُها مِن سدةِ ٱلبلادِ .

وقدِ ٱتّفقَ أَنْ دخلتُ ساعةً مِنْ نهارٍ دارَ ٱلشَّيخِ أَحمدَ كُوَيرَان ، فحدثَ ليَ ٱتّعاظٌ عظيمٌ ، وٱقشعرَّ جِلدي ، وترطَّبَ خدِّي ، وذكرتُ ضِيقَ ٱلقبورِ ، نسأَلُ ٱللهَ ٱلعافيةَ وٱلسَّلامةَ .

وكانت بنتُ ٱلشَّيخِ أحمدَ كويرانَ هـٰذا تحتَ ٱلشَّيخِ جُمْعَان بشير ، وقدِ ٱبتنىٰ لَهُ ولعمِّهِ داراً في جنوبِنا ، حيثُ ٱلفضاءُ ٱلرَّحبُ وٱلهواءُ ٱلطلقُ ، وٱلنَّسيمُ ٱلنَّقيُّ ، ومعَ ذلكَ فلا يبعدُ أَنْ تَحِنَّ إلىٰ دارِ أَبيها ، ومسقطِ رأْسِها ؛ فقد قالَ ٱلأَوَّلُ [مِنَ الطَّويلِ] :

وَقَـدْ تُعْشَـقُ ٱلأَرْضُ ٱلَّتِي لاَ هَـوَىٰ بِهَـا   وَلاَ مَـاؤُهَـا عَـذْبٌ وَلَـٰكِنَّهَـا ٱلْـوَطَـنْ

وكنتُ حريصاً على سؤَالِ ٱلشَّيخِ جُمْعان عن ذلكَ ، ولـٰكنَّهُ كلّما جاءَني في ٱلأَعيادِ . . نسيتُ .

أَمَّا ديارُ شبامٍ ٱلَّتي تُشرفُ على ٱلفضاءِ مِنْ أَطرافِها . . فمِنْ أَجملِ ما يكونُ ؛ لأَنَّ ٱلمناظرَ ٱلَّتي حوالَيها جميلةٌ ، وٱلفضاءَ واسعٌ ، ولا سيَّما في أَيَّامِ ٱلخصبِ ، وأَثاث ٱلزُّروعِ ، وٱنتعاشِ ٱلنَّخيلِ ، إلاَّ أَنَّ ٱلفضاءَ يقلُّ في ٱلجهةِ ٱلجنوبيّةِ[2] لقربِ ٱلجبلِ ، وأَمَّا في ٱلثّلاثِ . . فإِلىٰ أَبعدَ مِنْ مدِّ ٱلنَّظرِ .

---

(١) كان ذلك في السابق ، أما بعد زمن المؤلف . . فقد أدخلت المواسير والأنابيب ولم تعد المجاري مكشوفة .

(٢) وهي المشرفة على جبل الخبّة والسحيل والبطحاء .

وقد رأيتُ في صحيفةٍ تُسمىٰ « ٱلمستمع » ـ تصدرُ من عاصمةِ ٱلجزائرِ ٱلبريطانيّةِ ـ رسماً شائقاً لـ(شبام) ، كُتبَ تحتَهُ : ناطحاتُ ٱلسَّحابِ بحَضْرَمَوْتَ!

ولا بِدعَ ؛ فقدَ عَرَفَ ملوكُ حضرموتَ مِنَ ٱلأُممِ ٱلعاربةِ كيفَ يبنونَ نواطحَ ٱلسَّحابِ قبلَ أن يسمعَ ٱلنَّاسُ بٱسم أمريكا بأُلوفِ ٱلسِّنين ، وإنَّما سُمِع ٱسمها في ٱلأَخيرِ ، وأَوَّلُ مَن ذكرَها ٱلصُّوفيُّ ٱلكبيرُ ٱبنُ عربيٍّ ، كما ذكرَها بيرمُ في « تاريخِهِ » ، ولـٰكنَّ ٱلإفرنجَ يريدونَ أنَ يستأثِروا بٱكتشافِها دونَهُ ؛ غمطاً للحقِّ ومعاذَ ٱلله ، أَن يتلثَّمَ .

نَعَام

هوَ وادٍ في شمالِ شبامٍ ، يفصلُ بينَهُما جبلٌ ، تكونُ قارَّةُ آلِ عبدِ ٱلعزيزِ في سفحهِ ٱلشَّرقيِّ ٱلجنوبيِّ يذهبُ ذلكَ ٱلوادي طولاً مِنَ ٱلشَّرقِ إلى ٱلغربِ ، وٱلجبالُ ٱلَّتي تَنْهرُ إليهِ متَّصلةٌ بٱلجبالِ ٱلَّتي تدفعُ إلىٰ وادي سَرْ ويبهوض ، بينَهُ وبينَ جِعَيمَةْ جُبَيلٌ يُسايرُها غرباً إلىٰ مفتكِ ٱلدَّائرةِ ، وفي نعام قرىً صغيرةٌ ، وهوَ ممتدٌّ مِنَ ٱلشَّرقِ إلى ٱلغربِ ، وأَوَّلُ تلكَ ٱلقرىٰ مِنَ ٱلشَّرقِ : **بامشْجَع** ، لآلِ ٱبنِ سبعينَ .

ثمَّ : **ٱلمَحْجَر** ، وهوَ ٱلآنَ لآلِ مَرْعيٍّ ، طائفةٌ مِنَ ٱلسَّاكنينَ في بلَّيلِ .

وفيهِ أَطلالٌ قديمةٌ ، ترجِّحُ أَنَّهُ مَحْجَرُ ٱلزُّرقانِ ٱلَّذي فَتَكَ فيهِ ٱلمهاجرُ بنُ أَبي أُميَّةَ ٱلمخزوميُّ وزيادُ بنُ لبيدٍ بكندةَ .

وقدِ ٱقتصرَ « ٱلتَّاجُ » و« أَصلُهُ » علىٰ قولِهِما : (ومَحْجَرُ ٱلزُّرقانِ موضعٌ بحَضْرَمَوْتَ ، أَوقعَ فيهِ ٱلمهاجرُ بن أَبي أُميَّةَ بنِ ٱلمغيرةِ بأَهلِ ٱلرِّدَّةِ) .

وزادَ ياقوتُ [٣/ ١٣٧] علىٰ هـٰذا قولَ ٱلمهاجرِ [مِنَ ٱلمنسرحِ] :

كُنَّا بِزُرْقَانَ إِذْ يُشَرِّدُكُمْ ... بَحْرٌ يُزَجِّي مَوْجُهُ ٱلْحَطَبَا
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمُ بِمَحْجَرِكُمْ ... حَتَّىٰ رَكِبْتُمْ مِنْ خَوْفِنَا ٱلسَّبَبَا
إِلَىٰ حِصَارٍ يَكُونُ أَهْوَنَهُ ... سَبْيُ ٱلذَّرَارِي وَسَوْقُهَا جَنَبَا

وفي « ٱلأَصلِ » : أَنَّ كِنْدَةَ ٱنهزمَتْ مِنْ واقعةِ مَحْجَرِ ٱلزُّرقانِ ، ثمَّ ٱنحازتْ إِلى ٱلنُّجَيرِ ؛ فإِمَّا أَنْ يكونَ في ٱلجهةِ ٱلغربيَّةِ حصنٌ يقالُ لَهُ : ٱلنُّجَيرُ .

وإِمَّا أَنْ تكونَ كندةُ ذهبتْ بٱلهزيمةِ عريضةً ، وهـٰذا هوَ ٱلأَقربُ . أَمَّا مَحْجَرُ ٱلزُّرقانِ . . فما إِخالُهُ إِلاَّ هـٰذا . ثمَّ : **صِهَيبة** ، للصقعانِ مِنْ آلِ عبدِ ٱلعزيزِ . ثمَّ : **مريخ** ، لآلِ عبدِ ٱلعزيزِ أَيضاً . ثمَّ : **ٱلحَرْبَة** ، لَهُم وللمساميرِ . ثم : **شَرْج نِعَام** .

جِعَيمَهْ

هي واديانِ ، يقالُ لأَحدِهما : ٱلخطُّ ، وللثَّاني : ٱلدَّائِرةُ .

فوادي ٱلدَّائِرةِ يذهبُ إِلى ٱلغربِ طولاً إِلىٰ جبالِ وادي سر ، وشمالاً إِلىٰ نَجْدِ آلِ كثيرٍ .

وٱلخطُّ يذهبُ إِلىٰ جهةِ ٱلشَّرقِ حتَّىٰ ينتهي إِلى ٱلجبالِ ٱلَّتي تَنْهَر إِلىٰ وادي ٱلذَّهبِ .

وفي جِعَيمه قُرىً كثيرةٌ ، غيرَ أَنَّها صغيرةٌ جدّاً ، أَوَّلُها مِنَ ٱلجهةِ ٱلغربيَّةِ :

ٱلشَّاغي ، لآلِ بدرِ بنِ عبدِ ٱللهِ ، وآلِ ٱلشَّرعيِّ مِنْ آلِ سعيدٍ . ثمَّ : **ٱلعقيقه** ، لآلِ عوضِ بنِ عليٍّ مِنْ آلِ عبودِ بنِ عمرَ آلِ عبدات . ثمَّ : **هشيمهْ** ، لآلِ سعيدٍ ، ويقالُ : إِنَّ مرجعَ آلِ سعيدٍ في ٱلنَّسبِ إِلىٰ سعيدِ بنِ عليِّ بنِ عمرَ ، وٱسم جدِّهم : بدرُ بنُ سعيدٍ ، ولهُ أَخَوَانِ ، وهما : مرعيٌّ جدُّ آلِ بلَّيلٍ ، وجعفرٌ جدُّ ٱلدَّحادحةِ . ولسعيدِ بنِ عليٍّ أَخَوَانِ ، وهما : يَمانيٌّ جدُّ آلِ يمانيٍّ ، وفلهومٌ جدُّ آلِ فلهومٍ ، هـٰكذا يُقالُ .

ولآلِ سعيدٍ شهرةٌ بٱلفطنةِ ، ومن حكَّامِهم عبودُ بنُ بدرِ بنِ سلامةَ بنِ سعيدٍ ، بلغَ من ذكائهِ أَنَّ رجلاً مِن آلِ شبامٍ أَكلَ تمراً هوَ وٱمرأَتُهُ ، ثمَّ قالَ لها : إِن لم تُميِّزي نَوايَ مِن نواكِ . . فأَنتِ طالقٌ ثلاثاً ، فأَعيت علىٰ كثيرٍ مِنَ ٱلعلماءِ ، فَسُئِلَ عنها ، فقالَ : تُجعَل كُلُّ نواةٍ وحدَها ، وتَنْحلُّ ٱليمينُ .

وهـٰذهِ ٱلفتوىٰ هي عينُ ما يقولُهُ ٱلفقهاءُ في ٱلمسأَلةِ ، قالَ في « ٱلمنهاج » [٢/ ٥٦٢ـ٥٦٣] : (ولو أَكلا تَمراً وخلطا نواهُما ، فقالَ : إِن لم تُمَيِّزي نواكِ . . فأَنتِ

طالقٌ ، فَجَعلَتْ كُلَّ نواةٍ وحدَها . . لم يَقَع) اهـ وذَكَر شُرَّاحُهُ تفصيلاً لا حاجةَ بِنا إِليهِ .

ومن آلِ سعيدٍ : الشَّيخُ أمبارِكُ بنُ جعفرِ بنِ عمرَ بنِ عامرِ بنِ بدرِ بنِ سعيدِ بنِ عليِّ بنِ عمرَ ، أَبيضُ ٱلقلبِ ، مستوي ٱلسِّرِّ وٱلعلانيةِ .

ومنهم صالحُ بنُ محمَّدِ بنِ بدرٍ ، رجلٌ لهُ فكرٌ ثاقبٌ ، ورأيٌ صائبٌ ، توفِّي ببتاوي ، ويأتي في حصنِ ٱلحوارثِ ذِكرُ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ عبودٍ ، ولا يزالُ في آلِ سعيدٍ بقيَّةٌ صالحةٌ .

وهناكَ هشيمةٌ أُخرىٰ لآلِ باوزيرٍ ٱلمشايخِ ، ومنصبهُمْ : ٱلشَّيخُ كرامةُ بنُ سعيدٍ .

ثمَّ : **ٱلخَنْدق** ، لآلِ سعيدٍ وٱلخبارين . ثمَّ : **تُوَخَّري** ، مساكنُ لآلِ زِيمةَ . ثمَّ : **لصف** ، لآلِ منيباري . ثمَّ : **مكانُ آلِ حُصْن** .

ثمَّ : **مطارح** ، لآلِ جعفرِ بنِ بدرٍ ٱلعوينيِّينَ ، ومقدَّمهُم : بقيَّةُ ٱلعربِ ٱلصَّميمُ ، محمَّدُ بنُ سالمين .

ثمَّ : **جحورب** ، لآلِ عامرِ بنِ محمَّدٍ من آلِ سعيدٍ . ثمَّ : **الحَوْطة** ، لآلِ باوزير ، ومنصبهُم : ٱلشَّيخُ سعيدُ بنُ عليٍّ باوزير . ثمَّ : **ٱلجَحْي** ، لآلِ جعفرِ بنِ بدرٍ وآلِ سعيدِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلوزيريِّينَ ، مِن أَواخرِهم : ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ سعيدٍ باوزيرٍ ، ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (١٣٢٤هـ) ، كانَ رجلاً صالحاً ، سليمَ ٱلصَّدرِ ، مُجابَ ٱلدَّعوةِ ، ولهُ نوادرُ ؛ منها : أَنَّهُ كانَ راكباً مرجعَهُ مِن عندِ ٱلصَّيعَرِ ، ومعَهُ ولدُهُ صالحٌ ، ورجلٌ مِن آلِ جوفانَ يشتكي مِن أَلَمِ ٱلعروقِ ، فقالَ يخاطِبُ صالحَ بنَ عليٍّ :

يا شيخْ صالح ؛ عسَىٰ عندك دَوا للعروق؟ فأَجابه ٱلشَّيخُ عليٌّ بقولِهِ : يخرجنَ مِنَّك ويلحقنَ ٱلولَد لي يسوق ـ لولدٍ يسوقُ معَهمُ ٱلأَغنامَ ٱلَّتي أُهديَت لهم ـ فمنَّ ٱللهُ علىٰ ٱبنِ جوفانَ بٱلعافيةِ ، وأُصيبَ ذلكَ ٱلولدُ بٱلعروقِ في ٱلحالِ .

وكانَ مرةً بدارِ أَحدِ آلِ فِحَيْثا ، فقالَ : (الحمدُ للهِ ، يا ساترْ علىٰ كلِّ حالْ) ، فصادف خروجَ ٱلسَّيِّدِ حسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلحدَّادِ خارجاً من بيتِ ٱلخلا ، فقالَ :

(لا صِدتْ نَجْوَهْ ولا حصَّلت ماء في ٱلجِحالْ[1]) . فقالَ ٱلشَّيخُ عليٌّ : (اللّوم وٱلله عليهن ما نلوم ٱلرِّجالْ) .

ثمَّ : **رضَيمة** ، لآلِ عليِّ بنِ سعيدٍ . ثمَّ : **شرجُ مُدْرك** ، لآلِ جعفرِ بنِ بدرٍ ٱلعوينيِّين . ثمَّ : **حصنُ ٱلرَّكيَّةِ** ، للشَّيخِ محمَّدِ بنِ سالمين ٱلسَّابقِ ذِكرُهُ . ثمَّ : **ٱلقطّار** ، لآلِ زيمةَ . ثمَّ : **شَرْجُ آلِ ٱلقُحوم** .

ثمَّ : **ٱلعَرْقُوب** ، لآلِ عبودِ بنِ عمرَ آلِ عِبْدَات . ثمَّ : **ٱلجدفره** ، فيها ٱلمساميرُ وآلُ ٱلشَّرعيِّ . ثمَّ : **ٱلحُتُّ** ، مكانُ آلِ دَحْدُوحٍ . ثمَّ : **بالسان** ، مكانُ عوضِ بنِ سالمٍ مِنْ آلِ عليِّ آلِ سعيدٍ . ثمَّ : **رَوْضةُ آلِ مهري** ، **وروضةُ آلِ باهِدَيله** . ثمَّ : **صنعنون** ، **وباخُبْره** ، **وٱلسِّحِيل** : مكانُ آلِ سعيدٍ .

سِحِيلُ آلِ مَهْري[2]

هوَ واقعٌ في جنوبِ شبامٍ ، بسَفْحِ جبلِ ٱلخِبِّةِ .

وفي أوَّلِ سَنةِ (١٢٨٢هـ) ٱتَّفقَ رأيُ ٱلسُّلطانِ غالبِ بنِ محسنٍ وآلِ كثيرٍ علىٰ غزوِ شبامٍ ، وجَعلوا سِحِيلَ آلِ مَهْري مخزنَ ٱلتَّموينِ ، وبعقبِ ذلكَ . . ٱشتعلَ ٱلحَرْبُ ، وبقيت سِجَالاً ، إلاَّ أَنَّ جانبَ ٱلقعيطيِّ يَقْوىٰ ، فٱنعقدَ ٱلصُّلحُ في ٱلقعدةِ مِنْ نَفْسِ ٱلسَّنةِ ، وسُلِّمَ ٱلمعيقابُ[3] وحصونُ آلِ مهري لِلقعيطيّ علىٰ عشرةِ آلافِ ريالٍ ،

---

(١) **الجحال** ـ مفرده جَحلة ـ : زير الماء .

(٢) آل مهري ، أو بن مهري : أسرة تنحدر من سلالة عيسى بن بدر بوطويرق ، من آل كثير . ديارهم بوادي سَرّ قرب شبام إلى الجنوب . وإليهم ينسب هٰذا السحيل الواقع في سفح جبل الخبَّة . « المقحفي » (١٦٧٦/٢) .

(٣) **المعيقاب** : اسم حصن كان يقع قريباً من الحزم ، وكان يمثل الحدَّ بين سلطنتي آل كثير والقعيطي ، وبه جماعة من السادة آل العيدروس من ذرية السيد محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الشيخ الحسين بن عبد الله العيدروس ، ومن ذرية أخيه حسين بن علي ؛ منهم الحبيب العلامة الفقيه حسن بن عبد الله بن حسين العيدروس ؛ المتوفىٰ بمكة سنة (١٢٩٨هـ) ، ومنهم حفيده السيد حامد بن محمد بن حسن العيدروس أحد أصدقاء المؤلف ، ذكره في « بضائع التابوت » . وبالمعيقاب أيضاً آل العيدروس ، =

تسلَّمَها ٱلسُّلطانُ غالبٌ ، وتكدَّرَ لذلكَ رؤَساءُ آلِ كثيرٍ . وكانت هـٰذهِ ٱلعشرةُ ٱلآلافِ نفقةَ ٱلجيشِ ٱلَّذي فتحَ ٱلشِّحْرَ في جمادى ٱلأُولىٰ مِنْ سَنة (١٢٨٣هـ) .

وفي (٢٨) ٱلقعدةِ مِنَ ٱلسَّنةِ ٱلمذكورةِ كانَ ٱنهزامُ ٱلسُّلطانِ غالبٍ مِنَ ٱلشِّحْرِ ، وٱستيلاءُ ٱلقعيطيِّ عليها ، حَسَبَما تقدَّمَ في أَخبارها .

ٱلحَزْمُ

هوَ قريةٌ بسفحِ جبلِ ٱلخبّةِ ٱلشَّرقيِّ ٱلشَّماليِّ ، وأَصلُها : أَنَّ ٱلشَّيخَ عونَ بنَ سعيدٍ مِنْ آلِ رَوّاسٍ بنىٰ مسجداً في جانبهِ ٱلشَّرقيِّ ٱلجنوبيِّ ، وبنىٰ عندَهُ سقايةً وسقيفةً إِلىٰ جانبهِ ؛ ليقيلَ فيها مَنْ ينحدرُ مِنْ شبامٍ بعدَ قضاءِ حاجتهِ ؛ لأَنَّ أَهلَ تلكَ ٱلأَطرافِ يمتارُونَ من شبام ، وأَهلُها لا يَعرفونَ قِراءَ ٱلضَّيفِ ، فلا يجد هـٰؤلاءِ مَنْ يفتحُ لَهم بها دارَهُ .

وكانَ أَوَّلُ مَنْ سكنَ ٱلحَزْمَ وبنىٰ بهِ داراً هوَ : ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ حسينِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلعيدروسِ ، وكانَ ذلكَ في سَنةِ (١١٢٧هـ) وبقيَ ـ معَ إِيثارهِ ٱلخمولَ ـ يدعو إِلى ٱللهِ ، ويُرشدُ ٱلحائرَ ، ويُعلِّمُ ٱلجاهلَ ، ثمَّ ظهرَ ولدُهُ عمرُ بمظاهرِ ٱلمناصبِ فنُسبَ إِليهِ ٱلحزْمُ ، وقيلَ : حَزْمُ عمرَ بنِ أَحمدَ[1] .

ومِنْ ذرِّيَّتهِ : شيخُنا ٱلفاضلُ ٱلجليلُ عيدروسُ بنُ حسينٍ[2] ، وصَفَهُ شيخُنا

= يقال لهم : آل شريم ، جدهم السيد محمد بن حسين بن علي بن محمد . . إلخ ، وقد انتشروا في شبام ودوعن وجاوة ومليبار بالهند .

ومن ذرية أخيه السيد أبي بكر بن حسين ، وقد انقرضوا من حضرموت ، وكان منهم السيد عباس بن عبد الله العيدروس بجاوة ، ذكرهم السيد المشهور في « الشمس » (١/١١٦) .

(١) توفي الحبيب عمر بالحزم سنة (١١٩٩هـ) ، ودفن بشبام .

(٢) الحبيب المعمر عيدروس بن حسين بن أحمد بن عمر بن أحمد العيدروس ، ولد بالحزم سنة (١٢٤٤هـ) ، وتوفي سنة (١٣٤٦هـ) بالهند ، طلب العلم على والده وعمه وعلى علماء شبام ودوعن ، كان من كبار أهل عصره ، صاحب جاه وحشمة . ينظر « صلة الأخيار » .

ٱلمشهورُ في « شمس ٱلظَّهيرة » بٱلشَّرفِ وٱلفضلِ وٱلصَّدارةِ ، وهوَ من أَعظمِ ٱلمناصبِ شأناً ، وأَثبتِهم جناناً ، وأَبعدِهم مسافةَ غَورِ عَقلٍ ، وكانت لَهُ هيئةٌ وهيبةٌ تملآنِ ٱلصُّدورَ ، وتستلفتانِ ٱلأنظارَ ، وكانَ عاليَ ٱلهمَّةِ ، أَبيَّ ٱلنَّفْسِ ، حَمِيَّ ٱلأنفِ ، يتحمَّلُ ٱلكلفَ ٱلكثيرةَ في ٱلإِصلاحِ ، حتَّىٰ لَزِمَتْهُ بذلكَ ديونٌ كثيرةٌ ، سافرَ مِنْ أَجْلِها إِلى ٱلهندِ ، وٱتَّصلَ بهِ كثيرٌ مِنَ ٱلمريدينَ ، فبقيَ يتردَّدُ إِليها .

وفي إِحدىٰ قدماته إِلىٰ حضرموتَ وصلَ بأَنابيبِ ٱلحديدِ وٱلآلاتِ ٱلارتوازيَّةِ ، وشرعَ في حفرِ بئرٍ لذلكَ ، تكبَّدَ فيها ٱلخسائرَ ٱلباهظةَ ، وٱنتهى ٱلأَمرُ فيها إِلى ٱلفشلِ .

وقد وردَ سيئونَ في سَنةِ (١٣٢٦هـ) لزيارةِ جدِّهِ ٱلمهاجرِ أَحمدَ بنِ عيسىٰ فنزلَ عندي ، وأَقامَ يومينِ لَم يَزُرْ فيها شريفاً ولا مشروفاً ، كنتُ فيها أَنا وأَولادُهُ نُجري ٱلخيولَ مِنَ ٱلعشيِّ وهوَ يتفرَّجُ .

وبعقبِ ذلكَ أَبحرَ إِلى ٱلهندِ ، ولَم يَزَلْ ناشر ٱلدَّعوةِ فيها إِلىٰ أَنْ توفِّيَ سَنةَ (١٣٤٦هـ) ، ولَهُ أَولادٌ منهم : حسينٌ ، ومحمَّدٌ ، وأَحمدُ ، وأَبو بكرٍ ، وزينٌ .

ومِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ أَحمدَ : ٱلفاضلُ ٱلفقيهُ ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عليٍّ ٱلعيدروسُ ، لَهُ نكاتٌ ونوادرُ ، وتعلُّقٌ بسيِّدي ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ عيدروس ، توفِّيَ بٱلحزمِ سَنةَ (١٣٤٧هـ)[1] .

ٱلدَّحْقَه

هيَ في جنوبِ ٱلحَزْمِ ، وفيها آلُ سَنَد ، كانَ منهُمُ ٱلشَّيخُ محمَّدُ عامرِ بنِ سَنَد ، حرٌّ كريمٌ ، وعربيٌّ صميمٌ .

فَتـىً يَتَّقِـي أَنْ يَخْـدِشَ ٱلـذَّمُّ عِـرْضَـهُ ۞ وَلاَ يَتَّقِـي حَـدَّ ٱلسُّيُـوفِ ٱلبَـوَاتِـرِ

(١) ولد بالحزم في (٢) رجب سنة (١٢٧٩هـ) ، وشيخ تخرجه هو الحبيب عيدروس بن حسين السابق الذكر ، والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي ، وكان يقيم بالغرفة مدداً متطاولة للأخذ عنه ، كما طلب العلم بشبام . ترجم له في « تاريخ الشعراء » (٥/٧١ـ٧٩) ، وكانت وفاته (٥) شوال من السنة المذكورة .

ولـٰكنَّهُ بإصرارِهِ علىٰ مبدئِهِ ٱلكثيريِّ لم يجنِ إلاَّ خيبةَ ٱلأملِ ؛ إذْ ترفَّع عن مواساةِ ٱلقعيطيِّ ، ولم يظفر بشيءٍ مِنَ ٱلكثيريِّ ، حتىٰ إنَّ خَلَفَهُ جاءَ مرَّةً وافداً مِنَ ٱلدَّحقه فلم يجد مَن يسقيهِ ٱلماءَ بسيئونَ ، فعادَ أَدراجَهُ ينفضُ مذرويهِ مِن ساعتِهِ .

ومرجعُ آلِ سندٍ في ٱلنَّسبِ إلىٰ بني أُميَّةَ ، ولـٰكنَّهُ دخلَ في عدادِ ٱلفخائذِ آلِ كثيرٍ .

وجرت بينَهم وبينَ آلِ مرعيِّ بنِ طالبٍ حروبٌ لم يزلَّ فيها نعلُهم ، ولم يَمِلْ رُكنُهم .

ٱلسَّليلُ أَو ٱلسَّريرُ[1]

لكلٍّ منهُما ذِكرٌ لا يُهِمُّنا عندَ ياقوت ، ونَقَلَ ٱلبكريُّ عنِ ٱبنِ إسحاقَ أَنَّ واديَي خَيْبَرَ : **خَلْصٌ وَٱلسَّريرُ** .

وٱلَّذي نحنُ بسبيلهِ على ٱسمِ موضعٍ بٱليمنِ ، لا أَذكرُ محلَّهُ ٱلآنَ مِنَ « **ٱلأَصلِ** » .

وقالَ ٱبنُ خلدونَ : (ٱلسَّريرُ آخرُ أَعمالِ تهامةَ مِنَ ٱليمنِ ، وهيَ على ٱلبحرِ دونَ سورٍ ، وبيوتُها أَخصاصٌ) اهـ

و(ٱلسَّليلُ) أَوِ (ٱلسَّريرُ) : فضاءٌ واسعٌ ، في غربيِّهِ شبامٌ ، وٱلجبلُ ٱلَّذي يكونُ ٱلحزمُ بسفحِهِ ، فٱلدَّحقه داخلةٌ فيهِ ، ويمتدُّ إلىٰ أسفلِ حضرموتَ ، ثمَّ إلىٰ سيحوتَ وبلادِ ٱلمَهْرَةِ .

وفي شمالِهِ ٱلجبلُ ٱلنَّجديُّ ٱلَّذي أَوَّلُهُ : **قُرْطُ قُبُوسه** ، وحدُّهُ مِنَ ٱلجنوبِ ٱلطَّريقُ ٱلسُّلطانيَّةُ .

ومِن ورائِها : **وادي بِنْ علي** ، وأَوَّلُهُ فيما يلي ٱلطَّريقَ ٱلَّتي إلىٰ جنوبِها : حُوطَةُ آلِ أَحمدَ بن زينٍ ، فليست مِن ٱلسَّليلِ ، ولـٰكنَّها قاعدةُ بلادِ بني سعدٍ مِن وادي بِنْ عليٍّ .

---

(١) وهو عند بامطرف : المنطقة المزروعة ذات النخيل ، الواقعة بين مصب وادي بن علي غرباً ، وبين مصب وادي شحوح شرقاً .

ويدخلُ في ٱلسَّليلِ كلُّ ما كانَ مِن قُرَىٰ آلِ كثيرٍ وحصونهم ، مِنَ ٱلحَزْمِ إِلَىٰ محاذاةِ سيئونَ في عروضِها ٱلشَّماليَّةِ ، بل إِلىٰ ما وراءَ ذلكَ .

ومِن أَوائلِ السليل : قُرْطُ قُبُوسة[1] ، وهوَ مكانٌ مشهور بكثرةِ ٱلكنوزِ ٱلحِميريَّةِ ٱلمدفونةِ فيهِ ، وكانَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ معروف باجمال[2] يجزمُ بها وبكثرتِها جدّاً ، وله شعرٌ في ذلكَ أوردناه في « ٱلأَصلِ » ، وذكرَها أيضاً غيرُهُ .

وقالَ ٱلهَمْدانيُّ في ٱلجزءِ ٱلثَّامنِ [ص ١١٨ـ١٢١] مِنَ « ٱلإكليلِ » : (ذَكرَ بعضُ حِمْيَرَ عن أَسلافهِ ، عن كعبِ ٱلأَحبارِ : أَنَّهُ أَدركَ مَنْ لقيَ مِنْ عشيرتهِ سُطيحاً وخَبَّرهُ أَعقابُ مَنْ لقيَ شِقّاً : أَنَّهُما سُئِلا عن كثيرٍ مِنْ أَخبارِ ٱليمنِ ، فخبَّرا بأَحداثٍ كثيرةٍ ، مِنها : أَنَّهُما قالا : بٱليَمنِ أَربعُ بقاعٍ مقدسةٍ أَو مرحومةٍ ، وأَربعٌ محرومةٌ أَو مشؤُومةٌ ، وثمانيةُ كنوزٍ) . ثمَّ عدَّدَ جميعَ ذلكَ ، وذكرَ أَنَّ ٱلثَّامنَ مِنَ ٱلكنوزِ : بٱلحمراءِ مِنْ حَضْرَمَوْتَ ، وساقَ خبراً طويلاً قالَ في آخِرِهِ : (وهـٰذا حديثٌ مرسَلٌ ، لَم يَقعْ لَنا بإِسنادٍ ، فذكرناهُ علىٰ حالهِ) اهـ

وأَهلُ حَضْرَمَوْتَ يُسمُّونَ ذلكَ ٱلمكانَ : قُرْط ٱلحُمَيرا ، كما جاءَ في شعرِ ٱلشَّيخِ بَاجَمّال ، فهوَ هوَ .

ومِنْ وراءِ قبوسة جنوباً : ٱلقَارَةُ[3]

وهيَ كما قالَ ٱبنُ ٱلحائكِ ٱلهمدانيُّ : (هيَ قريةٌ عظيمةٌ لهَمْدَان ، وفيها حِصْنٌ) اهـ[4]

---

(١) قبوسه : تقع شمالي شبام إلى الغرب ، وفيها بئر قبوسه التي يقال : إنها تعود إلى عهد عاد ، فيقال لها : البئر العادية . وآل قبوس أو بن قبوس : أسرة معروفة ؛ منهم جماعة يسكنون الحوطة ، وجماعة في جعيمه . ولعل هـٰذه المنطقة نسبت إليهم .

(٢) هو ابن الشيخ معروف بن محمد باجَمّال السابق ذكره في شبام توفي الشيخ عبد الله بشبام سنة (١٢٩٢هـ) أو بعدها ، وهو شاعر شعبي وأديب بليغ ، له مقامات وأدبيات جميلة . ينظر : « تاريخ الشعراء » .

(٣) وتعرف بقارة آل عبد العزيز .

(٤) صفة جزيرة العرب (١٦٩) .

وسُكّانُها مِنْ زمانٍ قديمٍ : آلُ عبدِ ٱلعزيزِ ، في عدادِ آلِ كثيرٍ مِنْ قبيلةِ آلِ عامِرٍ .

وٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ شنبل لا يُطلقُ لفظَ ٱلشَّنافر إلاَّ علىٰ آلِ عبدِ ٱلعزيزِ ، لٰكنَّ ٱلأَمرَ يتردَّدُ بينَ هٰؤلاءِ وٱلعوامرِ ، فإنَّهُ كما يقالُ لأَهلِ ٱلقارةِ : آلُ عبدِ ٱلعزيزِ ، كذلكَ يقالُ للعوامرِ : آلُ عبدِ ٱلعزيزِ .

وقد ذَكرَ لَهُم في حوادثِ سَنَةِ (٩١٦هـ) أُموراً جرتْ بينهم وبينَ آلِ محمَّدٍ ٱلكثيريِّ في مَدُودةْ ، وٱلعوامرُ أَقربُ إِلىٰ مَدُودةْ مِنْ أَهلِ ٱلقارةِ ، ويتأَكَّدُ ذلكَ بما سيأْتي في تَارِبهْ .

ثمَّ إِنَّ قُربَ ٱلقارةِ مِنْ شبامٍ ـ وهُما كما مرَّ لهَمْدان ـ يرجِّحُ أَنَّ سُكَّانَها ٱلآنَ مِنْ آلِ عبدِ ٱلعزيزِ هُم مِنْ أَعقابِ ٱلهَمْدانيِّينَ ، كما أَنَّ آلَ كثيرٍ مُصْفِقُون علىٰ أَنَّهُم بأَسرِهم مِنْ هَمْدان ، وٱلمؤرِّخونَ متَّفقونَ علىٰ أَنَّهُم ـ أَعني آلَ كثيرٍ ـ مِنْ بني حِرامٍ ، وبنو حِرامٍ كما قرَّرهُ ٱلملكُ ٱلأَشرفُ مِنْ نهدٍ ، فتأَكَّدَ أَنَّ نهدَ شبامٍ وٱلقارةِ ومَنْ لَفَّهُم يرجعونَ إِلىٰ نَهْدِ همدانَ ، وأَنَّ أَهلَ ٱلكَسْرِ ومَنْ لَفَّهُم يَرجعونَ إِلىٰ نَهْدِ قُضَاعةَ ، كما يظهرُ أَنَّ نهدَ قضاعةَ ناقلونَ إِلىٰ حضرموتَ ، ونهدَ همدانَ مِن أَتلادِ ٱلبلادِ .

هٰذا ما تَنصبُّ عليهِ ٱلقرائِنُ وتلتئِمُ بهِ أَطرافُ ٱلكلامِ ويؤَكِّدُهُ ٱلاستصحابُ المقلوبُ[1] .

وسيأْتي في ريدةِ ٱلصَّيعَرِ ـ آخِرَ ٱلكتابِ ـ عنِ ٱبنِ ٱلحائِكِ أَنَّ فِرْقةً مِنْ هَمْدان ، يقالُ لَهُم : ٱلمحائِلُ ، كانت مِنْ كندةَ ، فلعلَّهُم أُصولُ آلِ كثيرٍ .

أَمَّا ٱلمَهْرةُ وٱلحُمُومُ وٱلمَنَاهِيلُ . . فإِنَّهُم وإِنْ كانوا مِنْ قُضَاعةَ ٱلحميريِّينَ . . فلا يُمكننا ٱلجَزْمُ بأَنَّهُم مِنْ قضاعةَ دونَ نصٍّ صريحٍ ، أَو قرائِنَ تتأَكَّدُ بها ٱلظُّنونُ .

---

(١) الخلاف في نسب آل كثير ، وحاصله :

من يرى أنهم من بني ظنّة ؛ فهم من نسل سبأ بن حمير . ومنهم : الحبيب أحمد بن حسن العطاس ، والأستاذ الشاطري .

ومن يرى أنهم من نهد قضاعة ؛ فمرجعهم في النسب إلى همدان . وهو ما حكاه الهَمْداني ، والأشرف الرسولي ، والمؤلف .

ينظر : « الأدوار » (٢٣٤) « تاريخ الدولة الكثيرية » ، « المقحفي » .

وآلُ عبدِ ٱلعزيزِ ثلاثُ فرقٍ :

آلُ سويدٍ ، وٱلصُّقعانِ . وآلُ جعفرِ بنِ سويدٍ . وآلُ عمرَ بنِ عليٍّ .

يبلغُ عددُ رجالِهم بٱلقارةِ سبعينَ رجلاً ، وكانَ مِنْ أواخرِ رؤسائِهم : ٱلشَّيخُ لحمانُ بنُ عليٍّ ، وكانَ آلُ عمرَ بنِ عليٍّ قتلوا أباهُ في حربٍ بينَهم ، ولمَّا تراخَتْ وكَثُرَ دونَها عدَدُ ٱلأيَّامِ . . جَرت بينَهم ٱلإصلاحاتُ علىٰ عاداتِهم ، ونهنهتِ ٱلأحقاد حتَّىٰ جاءَ في ٱليومِ ٱلثامنِ وٱلعشرينَ مِن شعبانَ أحدُ آلِ عمرَ بنِ عليٍّ إلىٰ عندِ ٱلشَّيخِ لحمانَ في طلبِ ٱلصُّلحِ لرمضانَ وما بعدَهُ فلم يُسْعِفْهُ ، ولمَّا خرجَ مِن عندِهِ وكادَ يصلُ إلىٰ دارِهِ صَوَّبَ إليهِ بندقيَّتَهُ فأَرداهُ ، وأشاعَ مِن عشيَّةِ يومِهِ أنَّ رمضانَ قد دخلَ ، وٱلعربُ قد يتسامح بعضُهم بٱلقتلِ في ٱليومِ ٱلتَّاسعِ وٱلعشرينَ مِنَ ٱلشَّهرِ ويُسَمُّونهُ ٱلفلتةَ ، كما بسطتُ ٱلكلامَ عليهِ في « **ٱلأصلِ** » .

أمَّا ٱلثَّامنُ وٱلعشرونَ . . فلا يستحِلُّهُ أحدٌ منهم ، وفي حينَ دُفنَ ٱلمقتولُ مِنَ ٱليومِ ٱلتَّاسعِ وٱلعشرين . . ٱستَسْقىٰ أحدُ آلِ مرعيٍّ ماءً ، فشربَهُ أمامَ ٱلنَّاسِ ؛ ليحرِّشَ بهِ على ٱلشَّيخِ لحمانَ ، وما زالَ رئيساً علىٰ قومِهِ إلىٰ أن ماتَ فَخَلَفَهُ ولدُهُ عبدُ ٱللهِ بنُ لحمانَ .

ومِن آلِ عبدِ ٱلعزيزِ الآنَ : ٱلشَّيخُ ناصرُ بنُ عبدِ ٱللهِ ، رجلٌ شهمٌ يسكنُ ٱلسَّواحِلَ ٱلأفريقيَّةَ .

وفي حضرموتَ : ٱلشَّيخُ سعيدُ بنُ محمَّدٍ ، شاعرٌ جزلٌ بلسانِهم ، وهوَ ٱلَّذي أشارَ إلىٰ تعييرِ ٱلشَّيخِ عبيدِ صالحِ بنِ سالمين بنِ طالب ، لمَّا توارىٰ عن غسلِ ٱلعارِ ٱلَّذي جرَّهُ ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ سالمِ بنِ طالبِ بنِ يماني عليهِ وعلى ٱلدَّولةِ وعلىٰ آل عبدات وجماعاتٍ مِنَ ٱلقبائِلِ بقتلهِ ٱلماس وهُم يخفرُونَهُ جنباً بجنبٍ في سَنَةِ (١٣١٩هـ) ـ بقولِهِ :

الْهَيْـجْ لِـي بَيْـنِ ٱلْعِـدَلْ مَـا ثَـارْ ... سَمِيـنْ وَٱلْـذِّرْوَهْ كَبِيـرَهْ
يَـا رَيْـتْ لُـهْ بَيْعَـهْ عَلَـىٰ جَـزَّارْ ... وَٱلاَّ عَلَـىٰ مِنْصِـبْ عَقِيـرَهْ

وإنَّما لصقَ ٱلعارُ بعبيدِ صالحٍ أكثرَ مِن لصوقِهِ بمَن سواهُ وفيهم ٱلدَّولةُ ٱلكثيريَّةُ ؛

لأنَّهُ أقربُهم إلىٰ عليِّ بنِ سالمٍ ، ولأنَّهُ شيخُ آلِ كثيرٍ إذ ذاكَ ، فشأْنُهُ فيهم أقوىٰ مِن شأْنِ ٱلسُّلطانِ .

ومِن أخبارِ سعيدِ بن مُحَمَّدٍ هـٰذا أَنَّهُ كمَن في أحدِ مساجدِ ٱلغرفَةِ مع عبدَينِ لهم ، فأردىٰ حمودَ بنَ عزَّانَ ٱلفاس في قتيلٍ لهم عندَ آلِ ٱلفاسِ ، وكانَ حمود هـٰذا خرجَ من حصنِهم مُتَّعِداً معَ أحدِ آلِ خالدِ بنِ عمرَ في حاجةٍ إلى ٱلغرفةِ ، وكُلٌّ منهما خفيرُ ٱلثَّانِي ، إلاَّ أَنَّ سعيداً أرداهُ قبلَ أن يتلاقيا ، ولـٰكنَّهُما متخافرانِ وما بينَهما إلاَّ قيسُ ٱلسَّهمِ ، فزعمَ ٱلشَّيخُ صالحُ بنُ مُحَمَّدٍ بلفاس أَنَّها مكيدةٌ مِن آلِ خالدٍ ليمهِّدوا لصاحبهم ٱلثَّأرَ إذ هم كلُّهم مِن آلِ عامرٍ وبإِثرِ ذلكَ ٱتَّقدَ ٱلشَّرُّ بينَهم ، وهجمَ آلُ فاسٍ علىٰ بافيّوحٍ وجرىٰ ما هوَ مفصَّلٌ بـ« **ٱلأَصلِ** » .

وآلُ كثيرٍ ثلاثُ فصائِلَ :

ـ آلُ عامرٍ : ومنهُم آلُ عبدِ ٱلعزيزِ هـٰؤلاءِ وآلُ عبدات وغيرُهم .

ـ وآلُ عُمَرَ : ومنهُم آلُ طالبٍ وآل ٱلعاسِ وآلُ ٱلفاسِ وآلُ فلهومَ وغيرُهم .

ـ وٱلفرقةُ ٱلثَّالثةُ فخائِذُ ، وهُم : آلُ عونٍ ، وآلُ منيباري ، وآلُ زِيمةَ ، وآل ٱلصُّقير ، ومَنْ لفَّهُم ، ولهم مشجَّرٌ يحفظُ أنسابَهم ، موجودٌ عندَ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ سالمينَ بنِ مرعيٍّ ٱلآتي ذِكرُهُ في بَلِّيل .

وفي شرحِ ٱلبيتِ (٣٧) مِنَ « **ٱلأَصلِ** » ما يتعلَّقُ بآلِ كثيرٍ ، وأَنَّهُم مِنْ بني ظَنَّةَ ، وأَنَّ بني ظَنَّةَ مِنْ بني حِرامٍ ، ولـٰكنْ ممَّا يُستدرَكُ عليهِ : أَنَّ بالسَّلَمات[1] مِنْ بلادِ ٱلجوف ناساً مِنْ آلِ كثيرٍ ، يرجعونَ في ٱلنَّسَبِ إلىٰ هَمْدانَ ، يقالُ لسلطانهم ٱلموجود ٱليومَ : منصّر قوزان .

وقالَ ٱلهَمْدانيُّ في « ٱلصِّفةِ » [٢٣٢] : (وبلدُ حِرامٍ مِنْ كنانةَ ، وهيَ : وادي إِثمدَ ، وضنكان ، فالحَرَّة حَرَّةُ كنانةَ ، وٱلعقدُ ، وحَلْي ، وهوَ مخلافٌ ، وقصبتُها ٱلصَّحاريَّةُ موضعُ رؤَساءِ بني حِرامٍ) اهـ

---

(١) منطقة في جنوب مدينة الحزم من بلاد الجوف ، فيها قبائل بني نوف ، وهي واقعة على أكمة مرتفعة .

وفي موضعٍ آخرَ « مِنها » [٢٢٨] ـ بعدَ أَنْ عدَّدَ مواضعَ ـ قالَ : (يسْكُنُ هٰذهِ ٱلبلادَ مِنْ قبائلِ نَهْدٍ : مُعرَّف ، وحِرام ـ وهيَ أَكثرُ نَهْدٍ ـ وبنو زهيرٍ ، وبنو دُريدٍ[١] ، وبنو حزيمةَ ، وبنو مُرَمَّصٍ[٢] ، وبنو صخرٍ ، وبنو ظَنَّةَ ـ وظَنَّةُ مِنْ عذرةَ ـ وبنو يربوعٍ ، وبنو قيسٍ ، وبنو ظبيانٍ) اهـ

وبٱلقارةِ ناسٌ مِنْ آلِ ٱلحامدِ بنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ .

وكانَ فيها ٱلشَّيخُ عليٌّ قَيْرَانُ[٣] ، سائِلٌ مدفوعٌ عنِ ٱلأَبوابِ ، ولٰكنَّهُ مِنْ أَهلِ ٱلسِّرِّ وٱلخُصُوصيَّةِ ، يسأَلُهُ أَربابُ ٱلقلوبِ عن مشكلاتٍ صوفيَّةٍ ، فيجيبُهُم عنها بما لا يخطر لأَحدٍ علىٰ بالٍ ، نازلَهُ حال وهوَ يُلقِّمُ بقرةً بٱلأُجرةِ فٱندهشَ عقلُهُ ، وأُلقِيَ علىٰ لسانِهِ ٱسمَ ٱلبقرةِ ٱلمصفرَّةِ ، فبقيَ يلهجُ ويوشحُ بها كلامَهُ .

وفي كتاب « ٱلمعمَّرينَ » لأبي حاتمٍ ٱلسِّجستانيِّ : (أَنَّ ٱلنَّمرَ بنَ تولبَ رضيَ ٱللهُ عنهُ تعمَّرَ مئتي سنةٍ وخرفَ وأُلقي علىٰ لسانِهِ : ٱنحروا للضَّيفِ ، أَعطوا ٱلسَّائِلَ) اهـ

ولِعَلِيٍّ قَيرَانَ غرائبُ وعجائبُ ولمَّا ماتَ . . لم يشعُر أحدٌ بموتِهِ ؛ إلاَّ بعدَ ما شَرَعَتِ ٱلوحوشُ تأكُلُهُ ؛ لأنَّهُ أَشعثُ أغبرُ ، ساقطٌ عَنِ ٱلعيونِ ولٰكنَّهُ داخلٌ تحتَ قولِهِ : « رُبَّ أَشعثَ أَغْبَرَ مَدْفُوعٍ بِٱلأَبوابِ . . لو أَقسَمَ عَلَى ٱللهِ لأَبَرَّهُ » . وكانَ والدي رضوانُ ٱللهِ عليهِ يبرُّهُ ويطلبُ دعاءَهُ .

ومِن وراءِ ٱلقارةِ إِلىٰ جهةِ ٱلجنوبِ **حصنُ ٱلهاجريِّ** : وهوَ أَوَّلُ حصونِ آلِ كثيرٍ في شرقيِّ شِبامٍ .

وفي شرقيِّهِ : **حصنُ قَسْبَلٍ** ، لآلِ سويدٍ ، ولهُ ذِكْرٌ في ٱلتَّاريخِ .

وفي شرقيِّهِ : **مسيال وادي بن عليٍّ** .

وعلىٰ ملتقاهُ بمسيالِ سَرْ يكونُ : **ٱلقَرَوقَرُ** هوَ حِصْنٌ لآلِ خالدِ بنِ عمرَ في شرقيِّ

---

(١) في « صفة جزيرة العرب » : (دويد) .

(٢) في « صفة جزيرة العرب » : (مرمّض) ؛ بالضاد المعجمة .

(٣) الشيخ علي قيران ، مدفون في سفح جبل يقع خلف القارة ، على مسيرة نصف ساعة بالسيارة لوعورة الطريق المؤدية . وهو من أهل القرن الرابع عشر .

ٱلقارَّةِ إِلىٰ جهةِ ٱلجنوبِ ، ٱبتنوهُ في ٱلوقتِ ٱلأخيرِ علىٰ أَنقاضِ أَطلالٍ باليةٍ ، يحيطُ بهِ فضاءٌ واسعٌ ؛ لأَنَّ ٱلنَّظرَ يمتدُّ منهُ جنوباً إِلىٰ أن ينقطعَ أَمدُهُ دونَ أَقصىٰ وادي بنِ عليٍّ ، وغرباً إِلىٰ أقصىٰ وادي نِعامٍ ، وشرقاً إِلىٰ أقصىٰ حضرموتَ ، وشمالاً إِلىٰ فُرْطِ قبوسه .

وتحفُّ بهِ تربةٌ طيِّبةٌ ، تدلُّ علىٰ سابقِ عمرانٍ ، وخصوبةِ جنابٍ ، فلهوَ جديرٌ أَنْ يكونَ محرَّفاً عن قُراقرَ ٱلَّذي يقولُ عَمرو بنُ شاشٍ ٱلأَسديُّ في روضتهِ [من الطويل] :

وَأَنْتَ تَحُلُّ (ٱلرَّوْضَ) (رَوْضَ قُرَاقِرٍ) كَعَيْنَـاءَ مِـرْبَـاعٍ عَلَـىٰ جُـؤْذُرٍ طِفْـلِ[1]

ٱلمحْتَرِقَةْ

هيَ واقعةٌ في شرقيِّ هدَّامه إِلىٰ شمالهِ ، وهيَ ٱلمسمَّاةُ في سابقِ ٱلزَّمانِ : أَنْفُ خَطْم .

وفيها صدرَ ٱلحُكمُ مِنْ رسولِ ٱللهِ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ بينَ ٱلمتنازِعَينَ في أَرضٍ مِنها ، حَسَبَما هوَ مفصَّلٌ بـ« **ٱلأصلِ** » .

وفيها كانَ غدرُ آلُ وَبْرٍ بولاةِ ٱلحَوْلِ آلِ ٱلجَرْوِ ؛ فلقدِ ٱستأْصلوهُم قتلاً في سَنةِ (٦٠٤هـ) ، وما أَفلتَ منهُم إِلاَّ عشرةٌ .

وآلُ وَبْرٍ مِنْ هَمْدانَ ، كانت مساكنُهُم بٱلجوفِ خَلْفَ صنعاءَ ، فنجعَ هٰؤلاءِ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ ، وبهِ يتأَكَّدُ ما تقرَّر مِنَ ٱلفرقِ بينَ نَهْدِ قُضَاعةَ ونَهْدِ هَمْدانَ ، ووجودُ ٱلفرقتينِ بحَضْرَمَوْتَ .

وكانَ آلُ ٱلجَرْوِ[2] أُمراءَ على ٱلحولِ ، ولَهم خيلٌ وحولٌ وقوَّةٌ وشوكةٌ ، غيرَ أَنَّ آلَ وَبْرٍ أَخذوهُم بٱلحيلةِ .

---

(١) **العيناءُ** : البقرة الوحشيَّة . **جؤْذُر** ـ بفتح الذَّال وضمِّها ـ : البقرة الوحشيَّة أَيضاً . **الطِّفل** : المولود .

(٢) ومن أعلام آل الجرو المتقدمين : الشيخ عوض بن أحمد الجرو ، سبط الفقيه الإمام محمد بن عمر بحرق ، عاش في القرن العاشر ، وله كتاب هام في التاريخ والأنساب يسمّى : « الفرج بعد الشدة في إثبات فروع كندة » . ومن آل الجرو جماعة بشبام ؛ منهم : الشيخ الفاضل عبد الرحمن بن عبد الله بن سالم الجرو ، الملقب أبو البلاد ، توفي بشبام سنة (١٤٠٧هـ) ، ومنهم جماعة بالحوطة ونواحيها .

وآلُ ٱلجروِ وآلُ باحُلْوَان إِخوةٌ مِنْ أُمٍّ وأَبٍ ، ونسبهُم في كِنْدَةَ ، ولا يزالُ منهُم جماعةٌ ، بحوطةِ آلِ أَحمدَ بن زينٍ من حضرموتَ ؛ منهُم :

صديقُنا ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ عمرَ ٱلجَرُو ، كانَ تاجراً ، ولٰكنْ عليهِ آثارُ ٱلشَّهامةِ ٱلتي يَظهرُ بها سرُّ ٱنتسابهِ إِلى ٱلملوكِ حتَّىٰ في صوتهِ ٱلأَجشِّ ، وكلامهِ ٱلجزلِ ، توفِّيَ بحوطةِ آلِ أَحمدَ بنِ زينٍ في حدودِ سَنةِ (١٣٦٠هـ) .

وكانَ أَبوهُ مِن أَهلِ ٱلصِّدقِ ٱلصَّالحِينَ ، وكذلكَ كانَ أَخوهُ عبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ ٱلجروِ ، ولعبدِ ٱللهِ هٰذا ولدٌ ٱسمُهُ : صالحٌ ، ذكيٌّ أديبٌ ، وَفِيُّ ٱلذِّمامِ ، صادقُ ٱلكلامِ ، مرضيُّ ٱلخلائقِ ، محمودُ ٱلشِّيمِ ، لهُ تجارةٌ بعدن .

وعلىٰ مقْرُبةٍ مِنْ هٰذا ٱلمكانِ كانتِ ٱلواقعةُ ٱلهائلةُ ، ٱلمسمَّاةُ : (حادثة ٱلمحائل) بينَ ٱلقعيطيِّ وٱلكساديِّ مِنْ جهةٍ ، وآلِ كثيرٍ وسلطانِهم مِنَ ٱلأُخرىٰ في سَنةِ (١٢٨٥هـ) .

بِحَيْره

هيَ في شرقيِّ ٱلقروقر ، وهيَ قسمانِ :

جانبُها ٱلقِبليُّ لآلِ محمَّدِ بنِ عمرَ ، من فصيلةِ آلِ عامرٍ تغلبُ عليهِمُ ٱلبساطةُ وٱلسَّلامةُ ؛ فهُم أَسلمُ آلِ كثيرٍ ٱليومَ جانباً ؛ لأَنَّهُم يَمْشُونَ بسَوْقِ ٱلطَّبيعةِ ، ولا يزيدُ عددُ رجالِهِمُ ٱليومَ عن عشرينَ .

وجانبُها ٱلشَّرقيُّ : لآلِ كُدِّه من آلِ عامرٍ أَيضاً ، ولا يزيدُ عددُ رجالِهم عن عشرةٍ .

وكانَ فيها جماعةٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ عيدروسِ بنِ سالمِ بن سالمِ بنِ عمرَ بنِ ٱلحامدِ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ ، ولٰكنِ ٱستأْثرتْ بهِمُ ٱلغُرَب وٱلمنايا ، ولَم يَبْقَ منهم باقيةٌ إِلاَّ ٱلنِّساءُ[1] .

وكانَ ينتابُها ٱلشَّيخُ عتيقُ باجُبَير ، وهو رجلٌ تقيٌّ نقيٌّ ، صادعٌ بٱلحقِّ ، آمرٌ

---

(١) بل لا زال منهم جماعة بها .

بِٱلمعروفِ ، ناهٍ عنِ ٱلمنكَرِ ، كثيراً ما يُجابهُ ٱلجائِرينَ بقولِ ٱلحقِّ ، لا يهابُ ولا يداهِنُ ، وكانَ معَ ذلكَ مضحاكاً مَزَّاحاً ، ولهُ دالة عظمىٰ على ٱلأكابِرِ .

وأَصلُهُ مِنَ ٱلحوطةِ ، ولهُ بها مسكنٌ صغيرٌ ؛ مرَّ ٱلحبيبُ حسنُ بنُ صالحٍ ٱلبحرُ تحتَهُ مرَّةً فناداهُ : يا حسن ؛ أَلا تحبُّ أَن تزورَ ٱلمَلِكَ ـ يعني نفسَهُ ـ في قصرِهِ ؟ فقالَ لهُ : بلَىٰ .

ولمَّا عزمَ على ٱلدُّخولِ ـ وكانَ ٱلبابُ قصيراً ـ . قالَ لهُ : طأطِىءِ رأسَكَ كما هيَ ٱلعادةُ في ٱلدُّخولِ على ٱلملوكِ ، ففعلَ ، ثمَّ قدَّمَ لهُ طاسةً مِنَ ٱلفخَّارِ تفهقُ[1] بِٱلماءِ ، وقالَ لهُ : ٱشرب ؛ فإِنَّ هـٰذا كأسُ ٱلمَلِكِ ، وسيِّدُ ٱلوادي يمتثلُ كلَّ ما يقولُ بصدرٍ مشروحٍ وخاطرٍ مبسوطٍ .

ولعتيقٍ هـٰذا نوادرُ :

مِنها : أَنَّهُ أَرادَ أَنْ يَختبرَ أَهلَ بلادِهِ بحيره ، وكانَ إِمامَهُم وخطيبَهُم ومعلم أَولادِهم ، فقالَ لَهُم : إِنَّ لي شغلاً يومَ ٱلجمعةِ بشبامٍ ، وأَنتم بِٱلخيارِ :

إِمَّا أَنْ تكفوا أَنفسَكُم بغيري يقومُ بِٱلواجبِ .

وإِمَّا أَنْ تتركوها .

وإِمَّا أَنْ نُقدِّمَها يومَ ٱلخميسِ ؟ فٱختاروا هـٰذهِ ، فجَمَّعَ لَهم يومَ ٱلخميسِ .

وقالَ في ٱلدُّعاءِ : لَكُمُ ٱلهجُّ وٱلرَّجُّ وٱلحصا ٱلمدحْرَجُ ، فقالوا : آمينَ!

وقد رأَيتُ في بعضِ ٱلتَّواريخِ أَنَّ عَمرو بنَ ٱلعاصي أَشارَ علىٰ معاويةَ أَنْ يختبرَ طواعيةَ أَهلِ ٱلشَّامِ بتقديمِ ٱلجمعةِ ، فرضوا ، وصلاَّها بهِم يومَ ٱلثُّلاثاءِ .

وكانَ ذلكَ أَيَّامَ خروجِهِم إِلىٰ صِفِّين ، ففي ذلكَ أُسوةٌ ليست بِٱلحسنةِ .

ومِنها : أَنَّ أَحدَ أَعيانِ ٱلسَّادةِ آلِ أَحمدَ بن زينٍ ٱلحبشيِّ طلبَ إِليهِ أَنْ يذهبَ معَهُ إِلىٰ هينن ، فرضيَ علىٰ شرطِ أَنْ يعقبهُ على ٱلفرسِ إِذا تعبَ ، وأَنْ لا يأْكلَ إِلا ويدُهُ معَهُ .

---

(١) تفهق : تمتلىءُ .

فلَم يَفِ ٱلسَّيِّدُ بٱلشَّرطِ ، فركبَ فرسَهُ علىٰ غفلةٍ منهُ ، وأقبلَ على ٱلحوطةِ يصيحُ بنعيهِ ، فصلُّوا عليهِ ، وٱقتسَموا تركتَهُ ، ولبست ثيابَ ٱلحِدادِ ٱمرأتُهُ!

ولمَّا أقبلَ ٱلسَّيِّدُ يقضم الإرمّ عليهِ مِنَ ٱلغيظِ ، عازماً علىٰ قتلهِ لأخذِه ٱلفرسَ . . وجدَ أنَّ ٱلأمرَ أدهىٰ وأمرُّ ، ولٰكنَّ عتيقاً لاذَ بٱلمنصبِ فأدخلَهُ بينَ عيالهِ حتَّىٰ سُوِّيتِ ٱلمسألةُ .

ومرَّةً : دعا آلَ أحمدَ بنِ زينٍ مِنَ ٱلحوطةِ إلىٰ سيئون في رمضانَ للإفطارِ وٱلعَشاءِ عندَهُ في أيَّامِ الخريفِ ، ولمَّا تتامُّوا في ٱلبيتِ بعدَ أن نفخَ ٱلقربَ وأشعلَ ٱلنَّارَ في ٱلمطبخِ . . أغلقَ ٱلدَّارَ عليهِم ، وركبَ أحدَ خيلهِم إلى ٱلحوطةِ حيثُ ٱستجارَ بٱلمنصبِ ـ وكانَ أحدُهُم يتظاهرُ بٱلشَّجاعةِ ـ فتصورَ لهُ بصورةٍ منكَرةٍ ، يوهمُ أنَّهُ جِنِّيٌّ ، وتسوَّرَ عليهِ ٱلجابيةَ وصاحَ في وجهِهِ ، فخرجَ ٱلسَّيِّدُ عرياناً ، فلاقاهُ معَ جماعةٍ أعدَّهُم لهُ ، وقالَ لهُ : أينَ ٱلشَّجاعةُ ٱلَّتي تدَّعيها ؟

ومرَّةً : نادىٰ سيِّدُ ٱلوادِي ٱلحبيبُ حسنُ بنُ صالحٍ ٱلبحرِ بصلحٍ ما بينَ قبائلِ آلِ كثيرٍ بأسرِها ، ولمَّا فرغَ ٱلمنادي مِن ذلكَ . . قامَ عتيقٌ ينادي ويقولُ : حسنُ بنُ صالحٍ عقدَ صلح بينَ ٱلقبائلِ على ٱلمساكينِ ؛ ليتفرَّغوا لهم ويفعلوا فيهم ما يشاؤونَ مِنَ ٱلتَّعَدِّي وٱلجورِ ، فأمرَ ٱلبحرُ ٱلمناديَ أوَّلاً بأن يقولَ : ومَن تعرَّضَ لمسكينٍ . . فهوَ خارجٌ عَنِ ٱلصُّلحِ .

وكانَ ٱلنَّاسُ إذ ذاكَ يوفونَ ٱلكلامَ ويبلغونَ ٱلذِّمامَ ، فمرَّتِ ٱلأيَّامُ بسلامٍ .

ولَهُ مِنَ ٱلجرأَةِ على ٱلعلماءِ وٱلكبراءِ في ٱلممازحِ ما لا يُحصىٰ .

فَلِلّٰـــهِ مِنْـــهُ جَـــانِـــبٌ لاَ يُضِيعُـــهُ   وَلِلَّهْـــوِ مِنْـــهُ وَٱلْبَطَـــالَـــةِ جَـــانِـــبُ[1]

وأخبارُهُ في ٱلمعنىٰ لا يرقىٰ إليها ٱلحصرُ ، ولا تنالُها ٱلأعدادُ .

---

(١) البيت من الطَّويل .

في شرقيِّ بِحَيره وغربيِّ ٱلمحترقه ، لآلِ كُدِّه ، لا يزيدُ عددُ رجالِهم بها ٱلآنَ عن ثمانيةٍ .

حواليها كانتِ ٱلحادثةُ ٱلكبرىٰ بينَ آلِ جعفرِ بنِ طالبٍ من جهةٍ وآلِ كدِّه ، وآلِ محمَّدِ بنِ عمرَ مِنَ ٱلجهةِ ٱلأُخرىٰ ، وفيها كانَ قتلُ عائِظ بن سالمين بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ سعيدٍ ، فِي جماعةٍ من أصحابِهِ ، وأشارَ إِلىٰ ذلكَ باعطوة بقولِهِ في رثائِهِ :

جَبَلْ عَرَضْ لُهْ جَبَلْ مِنْ دُونْ هَدَّامَهْ وُتْعَاطَبُوا بِٱلْجَنَابِي وَٱلرُّصَاصِ ٱلسُّودْ

وسببُ تلكَ ٱلحادثةِ أَنَّ أَحدَ آلِ كدِّه أخذَ عِذْقَ خريفٍ مِن نخلِ آلِ جعفرِ بنِ طالبٍ ، فقتلوا واحداً أَو ٱثنينِ مِن آلِ كدِّه ، فغضبَ مِن قتلِ رجالِهم في عِذْقٍ ، وأصبحَ برجالِهِ علىٰ شعبِ آلِ جعفرِ بنِ طالبٍ ، فخرجوا عليهم ، فٱنسحبَ آلُ كدِّه بٱنتظامٍ ، وسقطَ منهم ٱثنانِ ، ولمَّا بلغوا ٱلمِسيالَ . . أرادَ عائضٌ ٱلرُّجوعَ ؛ لأنَّهُ قد ملكَ ، فما أرادَ أن يسحجَ ، لاسيَّما وقد أصابَ ٱلغرضَ ، فأرادَ أن يطفىء ، ولـٰكن عَيَّرَهُ بعضُ أصحابِهِ وقالَ لهُ : تريدُ ٱلقهوةَ عندَ غصون ؟ وهيَ ٱمرأتُهُ ، وكانت مِن آلِ عبداتٍ ، فتقدَّم بهم وكانَ آلُ كدِّه تمنَّعوا بكوتٍ لهم وبأكوامٍ مِنَ ٱلرَّملِ ، فحملَ آلُ طالبٍ بِٱلسِّلاحِ ٱلأَبيضِ .

وأرادَ سيِّدي عبدُ ٱللهِ بنُ حسنِ بنِ صالحٍ ٱلبحر أن يخرجَ بلوائِهِ وطبولِهِ ليحجزَ بينَهم ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ حسنٍ ٱلبحر ، فدعا عائضٌ وما خرجَ . . إلا وقد جاءتِ ٱلطَّامَّةُ وٱلخرائبُ أَنَّ أحدَ آلِ كدِّه ـ وٱسمُهُ هويديٌّ تماسكَ هو وعائض بن صالح بن سالمين ، وأثخن كلٌّ صاحبه ، وحُمِل هويديٌّ إلى ٱلقارَةِ بآخرِ رَمقٍ ، ولمَّا دخلَ عليهِ ٱلنَّاسُ . . سألَ عن عائضٍ ، فقالوا : نحنُ نسأَلُكَ عن نفسكَ وأنتَ تسألُ عن عدوِّكَ ؟! قالَ : أمَّا أَنا . . فكم من بدويَّة ستأتي بمثلي وأفضلَ ، أَمَّا عائضٌ . . فقد عقمتِ ٱلنِّساءُ أَن تلدَ مثلَهُ ، فقالوا لَهُ : هَلَكَ .

قالَ : طابَ ٱلموتُ ؛ لأَنَّ آلَ كثيرٍ سيموتونَ مِن بعدِهِ ، ثمَّ لم يلبَثْ أَن فاضت روحُهُ . . فرحمةُ ٱللهِ علىٰ أهلِ ٱلإنصافِ ؛ فإِنَّهُ عندي أكبرُ مِن قبولةِ عائضٍ ، ولجديرٌ بٱلنِّساءِ أَن لا يعقُمنَ مِن مثلِ هويديٍّ ٱلمذكورِ .

مَسِيلَةَ آلِ كُدَّهْ[1]

هيَ واقعةٌ في شرقيِّ ٱلقروقرِ إلى ٱلجنوبِ ، فيها حصنٌ للشَّيخ سعيدِ بنِ عوضِ بنِ كدَّة وهو حصنٌ رفيعٌ منيعٌ ، إذا أُنيرَ أعلاهُ بٱلكهرباءِ . . ذكَّركَ بقولِ ٱلبحتريِّ [في « ديوانه » ١/ ٤١ مِنَ ٱلكاملِ] :

عَـالٍ عَلَـىٰ لَحْـظِ ٱلْعُيُـونِ كَـأَنَّمَـا ... يَنْظُـرْنَ مِنْـهُ إِلَـىٰ بَيَـاضِ ٱلْمُشْتَـرِي

وبما أنَّ هـٰذا مِن عيونِ ٱلأشعارِ وفرائدِها . فقد تولَّعَ ٱلشَّريفُ ٱلرَّضيُّ بٱختلاسِهِ ، فقالَ [في « ديوانه » ٢/ ٢١٦ من ٱلبسيط] :

عَـالٍ عَلَـىٰ نَظَـرِ ٱلأَعْـداءِ يَلْحَظُهُـمْ ... لَـوَاحِـظَ ٱلصَّقْـرِ فَـوْقَ ٱلْمَـرْبَـأِ ٱلْعَـالِـي

وقالَ من أُخرىٰ[2] [من البسيط] :

عَـالٍ عَلَـىٰ نَظَـرِ ٱلأَعْـداءِ يَلْحَظُهُـمْ ... لَـوَاحِـظَ ٱلصَّقْـرِ فَـوْقَ ٱلْمَـرْبَـأِ ٱلْعَلَـلِ

ثمَّ كانَ ٱلشَّيخُ سعيدٌ ليِّنَ ٱلجانبِ ، سهلَ ٱلأخلاقِ ، بعيداً مِنَ ٱلشَّرِّ ، يحبُّ قضاءَ ٱلحاجاتِ ، وتفريجَ ٱلكُرُباتِ ، لا يردُّ مقترضاً قطُّ ، ثمَّ إن أعادَ لهُ ما ٱقترضَهُ . . وَثِقَ بهِ ، وٱستمرَّ علىٰ قضاءِ حاجتِهِ عندَ كلِّ طلبٍ ، وإن لم يَرُدَّ . . كانت ٱلفيصولةُ بدونِ مطالبةٍ فيما عندَهُ .

ماتَ آخرَ سنةِ (١٣٦٠هـ) .

وقد خلَّفَ عدَّةَ أولادٍ غائبينَ ، وما كانَ حاضراً عندَهُ يومَ توفِّيَ إلاَّ ولدانِ ، أَحدُهُما صغيرٌ ، وٱلآخَرُ هوَ : محمَّدُ بنُ سعيدٍ ، وكانَ مِنْ أَوفى ٱلخلْقِ ذمَّةً ، وأَصدقِهم لهجةً ، وأَوفاهُم عهداً ، ولـٰكنَّها لَم تَطُلْ مدَّتُهُ ، بل ماتَ وشيكاً بعدَ والدِهِ في سَنَةِ (١٣٦٢هـ) ، فٱستولىٰ علىٰ أموالِهِم رجلٌ تواطأَ معَ قاضي سيئونَ ووزيرِها ، وأَرضاهم حتَّىٰ أَثبتوا رُشْدَ ولدِ ٱلشَّيخِ سعيدٍ ٱلَّذِي ذكرنا أَنَّهُ صغيرٌ ، وٱلحالُ أَنَّ بينَهُ وبينَ

---

(١) آل كُدَّه ـ بضم الكاف فتشديد الدال المكسورة ـ : فخيذة من آل عامر من بطون آل كثير ، ومنهم جماعة بالمهرة يسكنون محيفيف .

(٢) لم نعثر في « الديوان » المطبوع علىٰ هـٰذا البيت في قصيدة غير التي ذكرناها .

ٱلرُّشدِ مسافاتٌ فيح ، تلغُبُ بينَهُنَّ ٱلرِّيح ، فنابَ ذلكَ ٱلرَّجُلُ عنهُ ، وأَساءَ ٱلصَّنيعَ ، وعملَ فيهِم بوصيَّةِ ٱلحطيئةِ[1] ، فتزوَّجَ مخلَّفةَ ٱلشَّيخِ سعيدِ عوض ، وخضمَ[2] أَموالَهُم خَضْمَةَ ٱلإِبلِ نَبْتَةَ ٱلرَّبيعِ ، وليتَهُ وقفَ عندَ ذلكَ ٱلحدِّ ، بل ما كفاهُ ذلكَ حتَّىٰ طردَ ولدَ محمَّدِ بنِ سعيدِ عن حصنِ أَبيهِ وجدِّهِ ، فأَيُّ محبٌّ لا يَشتكي مِنَ ٱلأَلَمِ ؟ وقديماً كانَ يقالُ : مِنِ ٱسترعى ٱلذِّئبَ . . ظلمَ ، وجاء في تلك الديار موضع قول القائل [مِنَ ٱلكاملِ] :

عَـرَصَـاتُ عِـزٍّ كَـانَ يُـذْكَـرُ أَهْلُهَـا بِـٱلْخَيْـرِ خَيَّـمَ فِـي رُبَـاهَـا ٱللُّـؤَّمُ

وقدِ ٱتُّهِمَ هٰذا ٱلرَّجلُ بٱلمشاركةِ في قضيَّةِ عُبيدِ صالحِ بنِ عبداتٍ ، فأَصابَهُ شُؤْبوبٌ مِنَ ٱلبلاءِ ٱلَّذي نزلَ بهِ ، فكسبوا حصنَ ٱلشَّيخِ سعيدِ مِن أَجلِهِ ، وأَخذوا شيئاً ممَّا فيهِ ، إِلاَّ أَنَّهُ ٱستغلَّ ذلكَ فٱتَّهَمَهُم بأَكثرَ ممَّا أَخذوا ؛ ليبرِّرَ خيانتَهُ بذلكَ ، ولٰكنَّ ٱلحقائقَ لا تخفَىٰ عندَ ٱلبريءِ مِنَ ٱلغرضِ . وما في مسيلة آلِ كُدَّهْ ٱلآنَ أَكثرُ مِنْ خمسةَ عشرَ رجلاً .

ومنها كانَ عامرُ بنُ كدِّه قاتلُ عائظ بنِ سالمينَ ، وولدُهُ بشرُ بنُ عامرٍ ، كانَ معمورَ ٱلفِناءِ ، مفتوحَ ٱلبابِ ، ولذا تراكمت عليهِ ٱلدُّيونُ ، وكانَ يُعطي لغرمائِهِ عُهدةً فوقَ عُهدةٍ مِن حيثُ لا يشعرُ أَحدهم بٱلآخرِ ، ومرَّ ذلكَ في سترِ جُودِهِ وكَنَفِ سياستِهِ حتَّىٰ توفِّيَ في حدودِ سنةِ (١٣٦٢هـ) ، فٱنكشفَ ٱلأمرُ .

وفي جنوبِها مائِلاً إِلىٰ جهةِ ٱلغربِ مكانٌ يقالُ لَهُ : **بارَفْعَهْ** ، فيهِ شخصٌ واحدٌ مِنْ آلِ ٱلسَّقَّافِ يحترفُ بٱلرِّبا .

وجماعة من آل هَدْبُول ، ونحو عشرينَ رَجلاً مِنْ آلِ عمرَ بنِ طالبٍ .

وإِلىٰ جنوبِهِ مكانٌ يقالُ لَهُ : **ٱلعَادِي** ، فيهِ نحو عشرةِ رجالٍ مِنْ آلِ كُدَّهْ ، رئِيسُهُم : بدرُ بنُ محمَّدِ بنِ كُدَّهْ .

---

(١) روىٰ أَبو الفرج الأَصفهانيُّ في « الأَغاني » (٢/ ١٨٨ـ١٩٠) وصية الحطيئة مطولة . . فلتنظر هناك .
(٢) خضم : قطع .

وفي جنوبهِ إلى ٱلشَّرقِ : مَكَانُ آلِ الوعْل[1] ، فيهِ منهُم نحو عشرةِ رجالٍ .

ثمَّ : مكانُ آلِ فحيثا ، فيهِ منهُم نحو عشرينَ رجلاً .

ٱلحاوي[2]

فيهِ جماعةٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ علويٍّ ٱلحدَّادِ ، أَخي ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ، مِنْ أَواخرِهمْ : ٱلسَّيِّدُ جعفرُ بنُ طٰه ٱلحدَّادُ ، وكانَ مضربَ ٱلمثلِ في ٱلقوَّةِ وٱلأَيدِ ، حتَّىٰ لقدِ ٱجتمعَ عليهِ أَربعونَ مِنَ ٱلصِّينيِّينَ في بتاوِي فهزمَهُم ، وأَثخنَ فيهِم ضرباً ولَكْماً ، ولمَّا رُفعَتْ عليهِ ٱلدَّعوىٰ . . قضىٰ له ٱلحاكمُ ٱلهولنديُّ بٱلبراءَةِ .

وأَنشدَ بلسانِ حالِهِ قولَ ٱلمرأَةِ [من الطَّويل] :

تَجَمَّعْتُـمُ مِـنْ كُـلِّ صَـوْبٍ وَوِجْهَـةٍ ... عَلَـىٰ وَاحِـدٍ لاَزِلْتُـمْ قِـرْنَ وَاحِـدِ

وكانَ يخرجُ باثني عشرَ جملاً مُوقَرَةً مِنْ عدن إلىٰ مكانِهِ ٱلحاوي وحْدَهُ ، لا يُعينُهُ أَحدٌ ـ في حطِّها وترحالِها ـ مِنْ خَلْقِ ٱللهِ ، ولَهُ أَولادٌ كثيرٌ[3] :

منهُمْ : ٱلسَّيِّدُ طٰه بنُ جعفرٍ ، يُكرِمُ ٱلضُّيوفَ ، ويفعلُ ٱلمعروفَ ، ويصِلُ ٱلأَرحامَ ، ويواسي ٱلمنقطعينَ مِنَ ٱلأَنامِ ، ولَهُ محبَّةٌ في ٱلخيلِ ، ومهارةٌ في ركوبِها عليها كسائرِ أُسرتِهِ وأَولادِهِ ، وهوَ ٱلآنَ بجاوةَ في قريةٍ تقربُ مِنْ بتاوي .

---

(١) آل الوعل ، منهم الشاعر الشعبي المعروف عايض الوعل ، وهم من بطون كندة .

(٢) ويقال له : حاوي الحوطة ؛ تمييزاً له عن الحاوي الشهير الذي بقرب تريم ، وسيأتي ذكره ، وأول من سكنه من السادة آل الحداد هو الحبيب العلامة طٰه بن عمر بن علوي الذي أصهر على ابنة الحبيب أحمد بن زين وهي الشريفة (الحبابة) سلمى بنت أحمد ومنه تسلسلت ذرية آل طٰه بن عمر ، وأما آل محمد بن عمر . . فلهم وجود بسيئون ونواحيها ، ومنهم جماعة بشبام .

(٣) لم يذكر سنة وفاته بالأصل ، ولم يترجَمْ له في « نور الأبصار في مناقب الهدار » ، ومن ذريته : السيد الفاضل عباس بن عبد الله بن جعفر الحداد ، ولد بالجهة الجاوية حدود عام (١٣٣٧هـ) ، وأخرجه والده إلى حضرموت للدراسة في رباط تريم ، وانقطعت أخباره عن والده بسبب الحرب العالمية ، وعاش زمناً بين شبام والغرفة والحوطة ، ثم استقر به الأمر في الشحر ، وهو بها الآن .

ومنهُم : ٱلسَّيِّدُ طـٰهَ بنُ عليٍّ[1] ، وصلَ ٱلحاوي عمَّا قريب ، وهوَ رجلٌ صالحٌ مشاركٌ في طرفٍ مِنَ ٱلعِلْمِ ، وقد سرَّني لقاؤهُ في ربيعٍ ٱلأَوَّل مِنْ عامِنا هـٰذا بٱلحوطةِ ؛ لأَنَّهُ يناهزُ ٱلثَّمانينَ ، وقد أَدركَ ٱلرِّجالَ وأَخذَ عنهم ، فأَطربني بأَحاديثهِ ٱلشَّهيَّةِ عنهُم ، في أخبارهم حتىٰ تذكَّرتُ قولَ ٱلعباسِ بنِ ٱلأَحنفِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَحَـدَّثْتَنِـي يَـا سَعْـدُ عَنْهُـمْ فَـزِدْتَنِـي شُجُوناً فَزِدْنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَا سَعْدُ

وممَّا أَفادني في ذلكَ ٱليومِ أَنَّهُ قالَ : حضرتُ مجلساً ببتاوي شهدَهُ كثيرٌ مِنْ أَعيانِ ٱلعلويِّينَ ؛ منهمُ ٱلحبيبانِ مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ ٱلمِحْضَارُ ومُحَمَّدُ بنُ عيدروسٍ ٱلحبشيُّ فأَنشدَ ولدي مشهورٌ قصيدةً بصوتٍ شجيٍّ ، أَثلجتْ خواطرَهُم ، ومَلَكتْ سرائِرَهُم ، وٱستَجْلَبَتْ خشوعَهم ، وٱستمطرَتْ دموعَهم ، ولمَّا سألوا عنها . . قال ولدي مشهورٌ : إنَّها لكَ ـ يَعنيني ـ قالَ : فأَطنبَ ٱلحبيبُ محمَّدٌ ٱلمحضارُ في تفضيلكَ وفي ٱلثَّناءِ عليها وعليكَ ، حتَّى ٱستغرقَ ذلكَ ٱلمجلسَ ٱلَّذي حضرَهُ جماعةٌ مِنْ أَصحابكَ ؛ منهُمُ : ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَحمدَ بنِ طـٰه ٱلسَّقَّافُ ، وما أَظن ذلك إلاَّ قد بلغكَ من أَحدِهم .

فقلتُ لَهُ : كلاَّ وإنَّ تَوَكُّنَ[2] غربانِ ٱلأَحسادِ في صدورهم ليَمنعُهُم عن مثلِ ذلكَ ؛ إذ هم كما قالَ طريحُ بنُ إسماعيلَ ٱلثَّقفيُّ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

إِنْ يَسْمَعُـوا ٱلْخَيْـرَ أَخْفَـوْهُ وَإِنْ سَمِعُـوا شَـرّاً أَذَاعُـوا وَإِنْ لَـمْ يَسْمَعُـوا كَـذَبُـوا

وكما قالَ ٱلشَّريفُ ٱلرَّضِيُّ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

إِنْ عَـايَنُـوا نِعْمَـةً مَـاتُـوا بِهَـا كَمَـدا وَإِنْ رَأَوْا غَمَّـةً طَـارُوا بِهَـا فَـرَحَـا

وللسَّيِّدِ طـٰهَ هـٰذا ولدٌ يقالُ لهُ : أَحمدُ مشهورٍ ، أَديبٌ ذكيٌّ ، وهوَ ٱلآنَ في ممباسا مِنَ ٱلسَّواحلِ ٱلأَفريقيَّةِ ، وقاضي ٱلحاوي ٱلآنَ هوَ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ طـٰهَ ٱلحدَّادُ ، حسنُ ٱلسَّمْتِ ، كثيرُ ٱلتَّواضُعِ[3] .

---

(١) السيد طـٰه بن علي بن عبد الله الهدار الحداد ، ولد (بجاوة) ، وتوفي بالحاوي سنة (١٣٦٨هـ) .
(٢) توكُّن : عشعش ، والوكن : عش الطائر .
(٣) أضيف في هامش المخطوط : (توفي السيد عبد الله هـٰذا في عامنا بعد إنجاز هـٰذا) .

وادي بِنْ علي(١)

بما أنّنا ذكرنا بعضَ حُصُونِ وقرى ٱلسَّليلِ ، وكانت ٱلحَوْطَةُ في جنوبِهِ ، وهيَ آخِرُ بلادِ وادي ٱبنِ عليٍّ . ٱقتضى ٱلحالُ أَنْ ننتقلَ إِليهِ ، ثمَّ نعود لما نزلَ عنهُ مِن باقي ٱلسَّليلِ .

فوادي ٱبنِ عليٍّ داخلٌ في ٱلنَّجدِ ٱلجنوبيِّ كدَوْعَنَ ووادي ٱلعينِ وسَاه وما لفَّها ، وهو أكبرُ أوديةِ حَضْرَمَوْتَ ، حتَّىٰ إنَّهُم ليقولونَ : لا يضرُّ بحَضْرَمَوْتَ جذبٌ متىٰ أَخْصَبَ ، ولا ينفعُ خِصْبُها متىٰ أَجدبَ .

وهوَ واسعُ ٱلأطيانِ وٱلشِّراجِ ، كثيرُ ٱلقرىٰ ، ونحنُ نذكرها علىٰ حسبِ مواقعِها ، مبتدئينَ مِنْ أَعلاهُ ٱلجنوبيِّ .

فأَوَّلُ قراهُ : **ٱلقَيْرَحُ**(٢) ، وديارُ **ٱلزَّمالكه وآلِ مُنِيفٍ** . ثمَّ : **عُقْدَةُ ٱلوهالِينَ** . ثمَّ : **ٱلبِرَيكه** لآلِ ثَابِتٍ . ثمَّ : **جُروب ٱلبِرَيكَه** .

وهاتهِ ٱلقرىٰ وٱلشِّراجُ بينَ مَسِيلَينِ للماءِ ، أوسعُها ٱلغربيُّ ، وأمَّا ٱلشَّرقيُّ . فإنَّهُ ساقيتانِ بينَهُما **ٱلعَقْبَةُ** ، ثمَّ **ٱلظَّاهِرَه** ، ثمَّ تلتقيانِ .

وأمَّا ٱلغربيُّ : فمِنْ ورائِهِ قرىً كثيرةٌ ، مِنْ جنوبهِ إِلىٰ شمالهِ ، أَوَّلُها : **ٱلخنمُ** .

ثمَّ : **خموسة** . ثمَّ : **ٱلظَّاهرُ** . ثمَّ : **ديارُ آلِ مبارك** . ثمَّ : **عَرْضُ ٱلرَّبيخة** . ثمَّ : **زَهْرُ ٱلجِنَان** للسَّادةِ آلِ ٱلحامدِ ؛ **ومنهُم** : **ٱلسَّيِّدُ ٱلصَّالحُ ٱلجليلُ** ، صاحبُ ٱلمناقبِ

---

(١) ينسب وادي بن علي إلى قبيلة آل علي جابر من الشنافر ، والشنافر يطلق كما سبق على : آل كثير ، وآل علي جابر ، والعوامر ، وآل باجري ينظر « أدوار التاريخ الحضرمي » (٣٧٦) وما بعدها .
ومن فخائذ آل علي جابر : آل يماني ، وآل حسن وهم سكان الوادي ، وآل عامر .

(٢) القيرح هـٰذه لا تعْدو كونها بيتين ، فيها السيد المعمر الصالح حسن بن صالح بن حسن الحامد ، المتوفى سنة (١٤٢٠هـ) عن نحو (١٣٠) سنة ، وهو ممن أدرك مسند حضرموت الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي ورآه عياناً ، وحصلت له منه الإجازة العامة ، حيث دخل في إجازته لأهل عصره .

الكثيرة ، والكرامات الشهيرةِ حامدُ بنُ حسنٍ[1] . ومنهُم : ولدُهُ محمَّدٌ ، شهمٌ نافذٌ في الأُمورِ ، فيصلٌ في الأحكامِ .

ثمَّ : **باهَزيل** . ثمَّ : **رُكْبة محيصِنْ** . ثمَّ : **جروب آلِ جعفرٍ المسيطيّ** . ثمَّ : **مَوْشَحْ**[2] . ثمَّ : **جِذفِرة الصَّيْعَرِ** . ثمَّ : **السَّفُوله لآلِ سيفٍ** . ثمَّ : **بامَعْد** . ثمَّ : **بامَعْدان** لآلِ عبدِ اللهِ محمَّدٍ مِنْ آلِ مرعيِّ بنِ طالبٍ ، كانَ منهُم صديقي الوفيُّ ، الشَّيخ طالبُ بنُ مرعيٍّ ، رجلٌ شهمٌ ، مستوي السَّريرةِ والعلانيَةِ ، إذا وَعَدَ . . صَدَقَ ، وإذا قالَ . . وفَّىٰ ، ذهبَ معَ ظُلمِ اليابانيِّينَ ، وكانَ آخِرَ العهدِ بهِ ـ رحمةُ اللهِ عليهِ ـ ولَهُ عدَّةُ أَولادٍ نجباءُ ؛ منهُم : محمَّدٌ وعوضٌ ، إلاَّ أَنَّ الأَوَّلَ يتشدَّدُ في مبادىءِ الإرشاديِّينَ ، والثَّاني يتقبَّلُه .

---

(١) الحبيب حامد بن حسن الحامد من آل الشيخ أبي بكر بن سالم ، وكان يلقب : (بيّاع السيول) لظهور كراماته وانتشارها بين الناس ، توفي أواسط القرن الرابع عشر .

(٢) موشح هـٰذه كانت بلاداً وبيئة مشهورة بكثرة الجن ، وكانوا في زمن الإمام الحداد يتخطّفون الصغار ، فوضع الإمام الحداد راتبه الشهير لما اشتكى أهلُها عنده .

وبها سادة من آل العطاس ، منهم السيد الفاضل الحبيب أحمد بن حسين بن محمد بن شيخ بن أحمد بن حسين بن محسن بن حسين بن الحبيب عمر العطاس ، المتوفى نحو سنة (١٣٩٢هـ) ، وكان مولده بسدبة ، ثم انتقل إلى موشح وتديرها ، وبها ولد ابنه السيد حسين بن أحمد الموجود بها الآن .

ومن موشح هـٰذه نجع بعض من آل باقلاقل وسكنوا شبام ، وهو الفاضل هادي باقلاقل ، والد سعيد ومبارك ابني هادي ، وكان الشيخ مبارك هـٰذا من الفضلاء الصالحين ، شديد الملازمة للسادة آل سميط ، لا سيما الحبيب مصطفى بن عبد الله ، وكان ابنه الشيخ الفاضل محفوظ بن مبارك من طلاب العلم النابهين ، تخرج من المدرسة الشرقية عند الشيخ محفوظ المصلي ، ولازم السيد عبد الله بن مصطفى إلى وفاته ، وهو مقيم بالخبر شرقي السعودية .

وابن عمه الشيخ الفقيه الدكتور صالح بن سعيد بن هادي ـ المولود بشبام حدود (١٣٦٥هـ) ، والمتوفىٰ بالمدينة المنورة في (١٤١٧هـ) ـ كان عالماً فاضلاً ، ذكياً ألمعياً ، خفيف الظل ، درس بشبام على يد السيد عبد الله بن مصطفى ، وبتريم على السيد محمد بن سالم بن حفيظ وشيوخ الرباط ، ثم واصل دراسته الجامعية في الجامعة الإسلامية المدينة المنورة ، وتخرج منها بدرجة الدكتوراه عام (١٤٠٧هـ) تقريباً ، وظل مقيماً بها حتى توفي في التاريخ المذكور آنفاً ، رحمه الله وخلفه بخلف صالح .

ثمَّ : **مَسْجِدُ ٱلنُّورِ** . ومِنْ وراءِ ٱلسَّاقيةِ الشَّرقيَّةِ : **ٱلمَصْنَعَه** . ثمَّ : **ظَلُومُ** . ثمَّ : **حبره** . ثمَّ : **ٱلنَّخْش** . ثمَّ : **ٱلرَّوْضَه** . ثمَّ : **ديارُ ٱلصُّوَيل** .

ثمَّ : بلادُ ٱلغُرَيب[1] وقد كانتْ معمورةً ، وفيها جامعٌ وصدقاتٌ واسعةٌ .

وفيها : ٱلشَّيخُ حارثُ باشراحيل ، جَدُّ آلِ باشراحيلَ ، وٱلشَّيخُ عبدُ ٱلقادرِ باشراحيلَ ، وهوَ ٱلَّذِي بَشَّرَ بالحبيب أحمد بن زينٍ ، وهو في بطن أمه ، ولموته قصة توجد في « مجموع » كلام ٱلحبيب أحمدَ بنِ عمرَ بنِ سميطٍ .

وفيهِ : أَنَّهُ كانَ في شبابهِ علىٰ زيِّ ٱلجندِ ، حتَّىٰ لقيَهُ بعضُ ٱلسَّادةِ بتريم فقالَ لهُ : ابنُ مَنْ أنتَ ؟ فقالَ : ابنُ ٱلشَّيخِ مُحَمَّدٍ باشراحيلَ ، فقالَ لهُ ٱلسَّيِّدُ : حاشا مُحَمَّدٍ باشراحيلَ منكَ ، فوقَعت من قلبهِ ، وجاءَ إلىٰ مسجدِ حارثٍ ، وآلىٰ علىٰ نفسهِ أن لا يخرجَ منهُ إلاَّ بعدَ أن يختمَ ٱلقرآنَ ، ثمَّ كانَ مِن أمرهِ ما كانَ .

ومن بلادِ ٱلغُرَيبِ أيضاً : ٱلفقيهُ أَحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ باشراحيلَ ، مِنْ مشايخِ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ زينٍ ٱلحَبْشيِّ .

وقد ذكرتُ في ٱلشِّحْرِ أَنَّ آلَ باشراحيلَ يرْجِعُونَ إلىٰ عباهلةِ حضرموتَ ، وٱلدَّليلُ علىٰ ذلكَ : قولُ ٱلعلاَّمةِ ٱلمحقِّقِ ٱلشَّيخ عمرَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ، صاحبِ ٱلحمرا ، في مناقبِ شيخهِ ٱلعيدروسِ : (وجدتُ بخطِّ ٱلشَّيخِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ باشَرَاحيل ٱلعَبْهَليِّ ٱلحَضْرميِّ . .) إلىٰ آخرِ ٱلقصَّةِ ٱلَّتي رواها عن شيخهِ فَضْلِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ فضلٍ ٱلَّتي لا يعنينا منها إلاَّ قولُهُ : (ٱلعَبْهَلي) ، وٱلظَّاهرُ أَنَّ ٱلشَّيخَ أَحمدَ ليسَ إلاَّ مِنْ آلِ باشراحيلَ ٱلمذكورينَ .

وٱلعباهلةُ همُ ٱلمشارُ إليهِم بقولِ نَشْوان بنِ سعيدٍ ٱلحميريِّ [من الكامل] :

وَعَبَاهِلٌ مِن حَضْرَمَوْتٍ مِنْ بَنِي ... حَمَّادَ وَٱلأَشْبَا وَآلِ صَبَاحِ

قالَ في شرحِها : (ٱلعباهلةُ : ٱلَّذينَ أُقِرُّوا علىٰ مُلْكِهِم لا يُزالونَ عنهُ ، ومِنْ ذلكَ : كتابُ رسولِ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ إلى ٱلأَقْيَالِ وٱلعَبَاهِلَةِ مِنْ آلِ حَضْرَمَوْتَ .

---

(1) بلاد الغُريب هـٰذه اندثرت الآن ولم يبق لها أثر .

وذو حمّادٍ وذو جَدَنَ بطنانِ مِنْ ولدِ ٱلحارثِ بنِ حَضْرَمَوْتَ بنِ سبأٍ ٱلأصغرِ ، وكذلك سبأُ بنُ ٱلحارثِ ، وهُمُ ٱلأشباءُ ؛ منهُم : محمَّدُ بنُ عمرَ بنِ عبدِ ٱللهِ ، قاتلُ مَعْنِ بنِ زَائِدةَ بِبُسْت) اهـ[1] ، وقد فصَّلتُ مقتلَ مَعْنٍ بـ« **ٱلأَصلِ** » .

وفي سَنةِ (٥٨٣هـ) بُنيَ مسجدُ ٱلغُرَيبِ ، وهوَ أَوّلُ ما بُنيَ في ٱلقريةِ .

ومِنْ وراءِ بلادِ ٱلغريبِ إِلى ٱلشّمالِ : **ديارُ آلِ عُبُودٍ** . ثمَّ : **بَلْعَقْبَة** . ثمَّ : **زَبِيد** ؛ وهيَ : ديارٌ وشِرَاجٌ كانت لآلِ عِبْدَات ، ثمّ غلبَهم عليها آلُ مَرْعِيِّ بنِ طالبٍ وأخذوها منهم عَنْوةً عليهِم بعَقِبِ قتالٍ ، مفصَّلٍ خبرُهُ بـ« **ٱلأَصلِ** » . ثمَّ : **مَحَلُّ ٱلصُّقْعَانِ** . ثمَّ : **جِفِل**[2] ؛ وهوَ مكانٌ واسعٌ ، فيهِ جملةُ قرىً ، أَوَّلُها مِنْ جهةِ ٱلجنوبِ : **ٱلجِذْفِرةُ** : لآلِ سلامةَ بنِ مرعيٍّ . ثمَّ : **ٱلجُوَةُ** : وهيَ حوطةُ ٱلشَّريفةِ سُلُوم بنتِ زينِ بنِ علويِّ بنِ أَحمدَ بنِ هاشمِ ٱلمقبورِ بِٱلحُسيِّسةِ . ثمَّ : **سِحِيل ٱلفُقَرَا** : فيهِ آلُ باشَرَاحيل وغيرُهُم .

ومِنَ ٱلاصطلاحِ أَنَّ مَنْ وضعَ ٱلسِّلاحَ يقالُ لَهُ : تفقَّرَ ، وكانَ آلُ باشراحيل وضعوا ٱلسِّلاحَ ودَخلوا في طريقِ ٱلتَّصوُّفِ ، فقيلَ لَهم : فقراءُ ، ونُسبتْ إِليهِم هٰذهِ ٱلقريةُ .

وفيها أَيضاً آلُ ٱلسَّقَّافِ ؛ منهُمُ :

ٱلمرحومُ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَحمدَ بن سالم سَبُول ٱلسَّقَّافُ ، ٱلسَّابق ذكره في الشحر ، وعبد الله هٰذا أَحدُ صدورِ ٱلعلويِّينَ ووجهائِهم ، توفِّيَ بسنغافورة في أَيَّامِ ٱليابانِ ، ولهُ ولدٌ نشيطٌ يُسمَّىٰ عبدَ ٱلرَّحمٰنِ .

وأكبرُ ما يُطلقُ **جفلٌ** علىٰ هٰذهِ ٱلقريةِ وَٱلنَّاسُ يَلفظونَ بها بِٱلجيمِ ويكتبونَها كذلك ، ولٰكنَّ ٱلحبيبَ مُحَمَّدَ بنَ زينِ بنِ سميطٍ ضبطها في « قُرَّةِ ٱلعينِ » بِٱلياءِ ٱلمثنَّاةِ مِن تحتُ ، معَ أَنَّها تُطلَقُ أَيضاً على ٱلجهةِ عامَّةً ، وفي « تاريخِ ٱلطَّيِّبِ بافقيهِ » أَنَّ ٱلفقيهَ ٱلصَّالحَ أَبَا بكر بنَ مُحَمَّدٍ بلحاجٍّ وَٱلوليَّ ٱلصَّالحَ عبدَ ٱللهِ بنَ عمرَ باهرمزٍ توفِّيا فجاءة بيفلَ في سنةِ (٩٠٤هـ) .

---

(١) « خلاصة السيرة » (٢١٣) .

(٢) وتنطق (يِفِل) ، بكسر الياء والفاء ، وفيها مسجد ينسب لبعض المشايخ آل باصهي فقهاء شبام ، ولعله الفقيه سالم بن عبد الرحمن باصهي القديم .

وقد بناها آلُ جميلٍ ٱلسَّعديُّونَ بمساعدةِ آلِ يمانيٍّ وآلِ أحمدَ والصَّبراتِ ، وآلِ ثعلبَ ، وصاحبِ مريمه ، وبعضِ آل كثيرٍ ، وكان هٰؤُلاءِ ٱتَّفقوا في سَنةِ (٨٤٥هـ) للقضاءِ على ٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ ، وحاصروا ٱلحصنَ ٱلَّذي بَنَتْهُ في ٱلغرفةِ شهرينِ ، فٱنتهزَ تلكَ ٱلفرصةَ آلُ جميل وٱبتنوا قريةَ جفل بمساعدةِ أُولئكَ[1] ، وكانَ ذلكَ في أيَّامِ ٱلسُّلطانِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ ٱلكثيريِّ[2] ، ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (٨٥٠هـ) .

وقالَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عمرَ باجمال في كتابهِ « مقالِ ٱلنَّاصحِينَ » : (حُكيَ أَنَّ ٱلسُّلطانَ عبدَ ٱللهِ بنَ عليٍّ حاصرَ بني سعدٍ بقريةِ جِفِل في رمضانَ ، فناداهُ أَحدُهُم وقالَ لَهُ : أهٰذهِ صدقتُكَ؟! ، فٱرتحلَ عنهُم .

ويُحكىٰ : أَنَّهُ أَهدىٰ فرساً لفاضل بالكَرُوس ٱلسَّعْدِي ، ولما أَرادَ ٱللُّحوقَ بأَصحابهِ وهُم حربٌ للسُّلطانِ . . ردَّ فرسَهُ ، وقالَ : حاشا للهِ أَنْ أَستعينَ عليهِ بفرسهِ) .

وقد ذكرتُ لهٰذهِ أَمثالاً كثيرةً في « بلابلِ ٱلتَّغريدِ » تَستخرجُ ٱلتَّرحُّمَ علىٰ أَهلِ ٱلوفاءِ مِنْ أَعماقِ ٱلقلوبِ ، وصوادقِ ٱلأَلسنةِ .

وعلىٰ ضدِّها ما جاءَ في ٱلثَّورةِ ٱلعربيَّةِ : أَنَّ ٱلشَّريفَ فيصلَ بنَ ٱلحسينِ تسلَّمَ عشراتِ أُلوفِ ٱلدَّنانيرِ مِنَ ٱلأَتراكِ في ٱللَّيلةِ ٱلَّتي أَعلنَ حربَهُ عليهِم مِنْ صبيحتِها .

وإِنِّي لأَعجبُ ممَّنْ يُسمَّىٰ : ٱلحسينَ ٱلمنقذَ . . بعد ما شاعَ أَنَّهُ أَخذَ ٱلمُسْلِمَاتِ من نساءِ ٱلأَتراكِ وهُنَّ متعلِّقاتٌ بأَستارِ ٱلكعبةِ ، وسلَّمَهُنَّ في جملةِ ٱلأَسرىٰ للإِنكليزِ مجرَّداتٍ[3] ، معَ أَنَّ ٱلدَّولةَ ٱلعثمانيَّةَ هيَ ٱلَّتي ربَّتْ شَحْمَ كُلاه .

أَقولُ هٰذا لا عن تعصُّبٍ ، بلْ لَو كانت بيَ محاباةٌ . . لَحابيتُهُ ؛ إِذ لَم يكتبْ لأَحدٍ بحضرموتَ غيري بنبأ تلكَ ٱلنَّهضةِ ٱلمشؤُومةِ ، ولٰكنَّ ٱلدِّينَ فوقَ كلِّ عاطفةٍ ، ولئِنْ

---

(١) « تاريخ شنبل » (١٧٧) .

(٢) السلطان عبد الله بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر الكثيري ، تولى حكم حضرموت من سنة (٨٢٥هـ) تقريباً إلى وفاته بُعَيد سنة (٨٥٠هـ) ، « تاريخ الدولة الكثيرية » : (٢٠-٢٢) .

(٣) ولقد كوفيء على فعله هذا بأن سجنته حكومة الإنكليز بجزيرة قبرص، ومات فقيراً جائعاً شريداً طريداً؛ مصداقية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أعان ظالماً على ظلمه . . سلطه الله عليه» .

صحَّتِ ٱلأخبارُ بأخذهِ نساءَ ٱلأتراكِ ٱلقانتاتِ ٱلمؤمناتِ علىٰ تلكَ ٱلحالِ . . فما هوَ إلاَّ أمرٌ عظيمٌ ، فإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ .

وٱنظرْ فرقَ ما بينَ هـٰذا وما فعلَهُ ٱلإمامُ يحيىٰ ؛ فلقد أحسنَ وأفضلَ ، وأعانَ وأجملَ ، ولَم يخذلِ ٱلدَّولةَ ٱلعثمانيَّةَ عندما تقاصرتْ خُطاها ، بل ساعدَ بما أشرنا إلىٰ قليلٍ منهُ في « ٱلأصلِ » ، معَ ما بينَهُما مِنَ ٱلأشلاءِ ٱلممزَّقةِ ، وٱلأرواحِ ٱلذَّاهبةِ .

فلقد أخبرني ٱلعلاَّمةُ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ طه ٱلهتاريُّ[1] قالَ : (أخبرني خليلُ أفندي ، أمينُ صندوقِ ٱلحديدةِ للأتراكِ في أيَّامهم : أنَّ ٱلَّذينَ قُتلوا في حروبِ ٱليَمنِ مِنْ عساكرِ ٱلدَّولةِ ٱلعثمانيَّةِ يبلغونَ بٱلإحصاءِ ٱلرَّسميِّ سبعَ مئةٍ وخمسينَ ألفَ قتيلٍ) ولابدَّ بٱلطَّبعِ أنْ يُقتلَ مِنَ ٱليمانيِّينَ ما يُناسبُهُم ، ولـٰكنَّ ٱلإمامَ يحيىٰ أظأَرتهُ ٱلرَّحِمُ ٱلإسلاميَّةُ ، فحيَّاهُ ٱللهُ وبيَّاهُ ، لقد ٱقتنىٰ بذلكَ كمالاً وجمالاً ، وتأثَّلَ بهِ ٱلشَّرفَ ٱلخالدَ ، وٱلأجرَ ٱلتَّالدَ ، وكانت لَهُ ٱلعاقبةُ ٱلحسنةُ .

وبلغَني : أنَّهُ كانَ يثني على ٱلشَّريفِ مُحمَّدِ بنِ عليٍّ ٱلإدريسيِّ بأنَّهُ لم يُسلِّم أسيراً ولا شبراً من بِلادِهِ للأجانبِ ، علىٰ كثرةِ ما ٱبتزَّ من خزائِنِهم من أموالٍ .

ومِن وراء جفل إلى ٱلشَّمال :

حصنُ آلِ ٱلرِّباكيِّ

وهوَ أطلالُ حصنٍ داثرٍ ، بقُلَّةِ قارةٍ شاهقةٍ ، فيها بئرٌ عميقةٌ ، وفي جانبِ تلكَ ٱلقارةِ غارٌ يصلُ إلى ٱلبئرِ ، كأنَّ أحداً حاصرَ ٱلحصنَ ، ولمَّا أعياهُ . . حفرَ بجانبِ ٱلقارَةِ حتَّى ٱنتهىٰ إلى ٱلبئرِ فقطعَ علىٰ أهلهِ ٱلماءَ .

وقدِ ٱنتصبتِ ٱلقرائنُ علىٰ أنَّ هـٰذهِ ٱلقارةَ هيَ قارةُ ٱلأشْباءِ ، ومنها بيت نشوانَ بنِ سعيدٍ ٱلآنفِ ٱلذِّكرِ ، وقد جاءَ في « تاريخِ شنبلٍ » : أنَّ قارةَ ٱلأشْباءِ عندَ آلِ حسنٍ ،

---

(١) كان إمام وخطيب مسجد الهتاري بعدن ، في التواهي ، كان فاضلاً مشاركاً في العلم ، وله اتصال بالعلامة علوي بن طاهر الحداد ، وبينهما مكاتبات .

وهم من بني سعدٍ كما سيأتي في ٱلحوطةِ[1] .

وفي أَخبارِ سَنةِ (٨٠٨هـ) : (أَنَّ آلَ جميلٍ بنوا قارةَ ٱلأَشباءِ) ، وكأَنَّها خربتْ سريعاً ؛ ففي « تاريخِ شنبلٍ » : (أَنَّ محمَّدَ بنَ عليٍّ بنىٰ قارةَ ٱلأَشباءِ في سَنةِ ٨٢٧هـ)[2] .

وفي أَخبارِ سَنةِ (٨٤٠هـ) أَنَّ ٱلكثيريَّ أَخربَ باهَزِيل بجِهَةِ ٱلغُرَيبِ وٱلأَشْباءِ ، وكانتا تحتَ يدِهِ يومئِذٍ .

فكلُّ هـٰذهِ ٱلأَخبارِ تُرجِّحُ أَنَّها هي هـٰذهِ ٱلقارَّةُ ، ولا يُغبِّرُ عليهِ قولُ ٱبنِ ٱلحائِكِ ٱلهَمْدانيِّ : (ثمَّ حَوْرَه ، وهيَ مدينةٌ عظيمةٌ لبني حارثةَ مِنْ كندةَ ، ثمَّ قارةُ ٱلأَشباء ، وهيَ لكندةَ) اهـ[3] .

فإِنَّهُ قد يُفهَمُ مِنْ هـٰذا أَنَّ قارةَ ٱلأَشْباءِ قريباً مِنْ حوره ، ولـٰكنْ يُجابُ عنهُ بشيئَينِ :

أَحدُهُما : أَنَّ ٱلهَمْدانيَّ في « ٱلصِّفةِ » كثيراً ما يُخطِىءُ في مواضعِ قرىٰ حَضْرَمَوْتَ وترتيبِها ؛ كما فعلَ في ٱلنُّجيرِ .

وٱلثَّاني : أَنَّ ٱلأَشباءَ[4] منتشرونَ في وسطِ وادي حَضْرَمَوْتَ وأَسفلِها ، وقد قالَ ٱلهَمْدانيُّ نفسه في ٱلعجزِ ـ وهو أَسفل حضرموت ـ : (إِنَّهُ مقسومٌ بينَ ٱلأَشبا وحِمْيَر)[5] .

وأُخرىٰ وهيَ ٱلظَّاهرُ : أَنَّ قريةَ ٱلأَشباءِ في أَيَّامِهِ كانت في أَيدي أَهلِها ٱلحضرميِّينَ نسباً ، لا في أَيدي كِنْدَةَ .

---

(١) في حوادث سنة (٧٧١هـ) ، (ص١٣٤) .

(٢) « شنبل » (ص١٦٨) ، ومحمد بن علي هو أخو السلطان عبد الله بن علي الآنف الذكر ، تولى بعده ، وكان معواناً لأخيه في فترة حكمه ، وقد أرسله في عام (٨٢٥هـ) إلى الكسر لإخضاع أهلها ، ثم جعله حاكماً عليها .

(٣) صفة جزيرة العرب (١٦٨) .

(٤) **الأشباء والأيزون** : كانوا سكان شبوه من بطون حمير ، وقيل ينسبون لـ(حضرموت) القبيلة . وتقدم التعريف بالأيزون . والأول هو ما اعتمده الهمداني في الجزء الثاني من « الإكليل » ، ومن فروع الأشباء : آل هزيل ، وآل فهد ، وآل الحارث . « معجم البلدان والقبائل » للحجري ، والمقحفي .

(٥) صفة جزيرة العرب (١٦٩) ، وفي ص(١٩٣) قال : (مخلاف شبوة ، يسكنه الأشباء والأيزون) اهـ

ثمَّ **رحابةُ** : وهي لآلِ عبيدِ بنِ مرعيٍّ . ثمَّ : **سحيلُ غانمٍ** . ثمَّ : **ٱلتِّبِّيقُول** ، وفيهِ حصنُ ٱلشَّيخِ سالمِ بنِ محمَّدِ بنِ يمانيٍّ ٱلمثري ٱلشهيرِ ، وقد أخبرني بسببِ سفرهِ من حَضْرَمَوْتَ وبما كانَ يُؤَمِّلُهُ يومئذٍ .

أمَّا سبب سفرهِ . . فقال : مرَّ ذاتَ يومٍ جابريٌّ في ردائِهِ قيدُ بعيرٍ يُقعقعُ ، فظنَّهُ والدي ريالاتٍ ، وكانَ يهوى ٱلشَّرَّ لقومهِ آلِ مرعيٍّ بنِ طالبٍ ٱلأقربينَ دياراً مِن آلِ جابرٍ ، فأطلقَ عليهِ ٱلرَّصاصَ ، ثمَّ خفَّ هوَ وعمِّي عبدُ ٱللهِ ، فلمَّا أكبَّ ٱلثَّاني عليهِ ليطعنَهُ وفيهِ رمقٌ . . ٱستلَّ خنجرَهُ ومكَّنَهُ من ثغرةِ عمي ، وفاضتْ روحاهما معاً ، ولمّا عرفَ أبي أنَّ ٱلَّذي طمعَ فيهِ إنَّما هوَ قيدُ بعيرٍ لم يحصل عليه إلاَّ بثمنٍ غالٍ وهوَ أخوهُ . . ندِمَ ، فضاقتْ بيَ ٱلدُّنيَا ، وسافرتُ وأنَا أتمنَّىٰ مِنَ ٱللهِ أَنْ أحصلَ في كلِّ شهرٍ علىٰ ثلاثينَ ريالاً ، فانثالت عليهِ ٱلأموالُ ونمت كما ينمو ٱلدُّودُ حتَّىٰ لقد بلغَ إيرادُهُ ٱلشَّهريُّ مِنْ أُجورِ عقارهِ بجاوة وسنغافورة ومصرَ ما يقاربُ ستِّينَ ألفَ ريالٍ .

وقد أخرجَ أبو نُعيمٍ في « ٱلحليةِ » [١٨٨/٣] : (أَنْ قلَّ يومٌ إلاَّ كانَ عمرُ بنُ ٱلخطَّابِ يتمثَّلُ بهـٰذا [من الطويل] :

وَبَـالِـغِ أَمْـرٍ كَـانَ يَـأْمُـلُ دُونَـهُ ... وَمُخْتَلِجٍ مِنْ دُونِ مَا كَانَ يَأْمُلُ) اهـ

وهـٰذا ٱلبيتُ منطبقٌ برمَّتِهِ على ٱلشَّيخِ سالمٍ ، أمَّا صدرُهُ . . فممَّا تقدَّم ، وأمَّا عجُزُهُ . . فقد عاشَ بحسرةٍ ؛ لقلَّةِ ٱلأمنِ بحضرموتَ ، وعندما بدأَ ينبسطُ فيها . . ماتَ .

وحديثُهُ معي عمَّا ذُكِرَ كانَ أوائلَ سنةِ (١٣٣٠هـ) ببتاوي . . فربَّما يزيدُ أو ينقصُ ؛ لأنَّ ٱلحفظَ يخونُ ولـٰكنَّهُ لا يخرجُ عَن ذلكَ ٱلمعنىٰ .

وقالَ ٱلشَّيخُ حسنُ بنُ ربيعٍ : لم يكنِ ٱلمقتولُ جابرياً ، وإنَّما هوَ ٱبنُ جوفانَ وٱلصَّفوانيُّ من ٱلجوادةِ ، أطلقَ ٱلرَّصاصَ عليهِمَا مُحَمَّدُ بنُ سالمٍ وأخوهُ عبدُ ٱللهِ فخرَّ ٱلصَّفوانيُّ قتيلاً ، ثمَّ إنَّ ٱبنَ جوفانَ قتلَ عبدَ ٱللهِ بنَ سالمٍ ، ثمَّ إنَّ مُحَمَّدَ بنَ سالمٍ قتلَ ٱبنَ جوفانَ .

وكانَ للشَّيخِ سالمٍ ولدٌ شهمٌ شجاعٌ ، هوَ : ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ سالمِ بنِ محمَّدِ بنِ يمانيٍّ ، لَهُ همَّةٌ عاليةٌ ، ورأيٌ جزلٌ ، وعندَه مشاركةٌ في بعضِ ٱلفنونِ ٱلعلميَّةِ ؛ لأنَّهُ أطالَ ٱلإقامةَ بٱلحجازِ ، وثافنَ ٱلعلماءَ بمكَّةَ وٱلمدينةِ ، وقليلُ ما يحصلُ منهُ في تينكَ ٱلبلدتينِ . . خيرٌ مِن كثيرِ ما يحصلُ في غيرِهما ، وٱلنَّصُّ ثابتٌ في مضاعفةِ ٱلصَّلاةِ[1] ، وغيرُها لا يخرجُ عنها .

وكانتْ بيني وبينَ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ سالمٍ هٰذا صداقةٌ متينةٌ ، ولمَّا ماتَ سَنَةَ (١٣٣٧هـ) . . ٱشتدَّ بيَ ٱلحزنُ عليهِ ، وكانَ مِنْ كتابي لوالدهِ في ٱلتَّعزيةِ بهِ :

إنَّنا كنَّا نُؤَمِّلُ أَنْ نموتَ ويعيشَ عليٌّ ؛ ليبنيَ قصورَ ٱلمجدِ بما تأثَّلتهُ مِنَ ٱلأموالِ .

فأجابَ بما معناهُ : إنَّ ٱلَّذي تتمنَّاهُ كانَ نَفْسَ ما أتمناهُ ، ولٰكنْ . . لا خيرةَ لأحدٍ معَ ٱللهِ .

ولمَّا كانتْ ثروةُ ٱلشَّيخِ سالمٍ لا تريدُ ٱلشَّرَّ ، وكانَ هو لا يتمنَّاهُ حتَّىٰ ولو أُركبَ عليهِ ولَم يَكُنْ لأقفالِ صناديقهِ مفتاحٌ غيرُ ٱلحربِ . . أَحبَّ أخوهُ عبدُ ٱللهِ أَنْ يوقعَهُ في ٱلشَّبكةِ ، وكانَ ٱلشيخُ عليُّ بنُ سالمٍ أرادَ أَنْ يعودَ لمُطلَّقتهِ بنتِ ريسِ بنِ سعيدٍ ، فأَبوا أَنْ يَقْبَلُوهُ ، فحملهُ عمُّهُ عبدُ ٱللهِ أَنْ يقتلَ ٱلَّذي تزوَّجَها في ليلةِ زفافهِ سنة (١٣٢٠هـ) ، فأخطأَهُ وأَصابَ عبدَ ٱللهِ بنَ عامرٍ ٱلعَاس ، وكانَ في ٱلقومِ جماعةٌ مِنْ عبيدِ ٱلدَّولةِ وٱلقبائلِ ٱلكثيريَّةِ ، وجماعةٌ من أصحاب عبيدِ صالحِ بنِ طالبٍ وغيرُهم من ٱلقبائلِ ، نَضَخَ رشاشُ دمهِ في ثيابِهم ، فظنَّ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدٍ وٱلنَّاسُ معَهُ أَنَّ ٱلقيامةَ ستقومُ ، وأَنَّ حرباً ستنشبُ بينَ سالمِ بنِ محمَّدٍ وٱلقبائلِ ٱلَّتي أخفرَ ولدُهُ ذمامَهُم ، فلا تنغلقُ صناديقُهُ أبداً ـ وكانَ سالمُ بنُ محمَّدٍ يومئذٍ في طريقهِ إلىٰ حضرموتَ فما هوَ إلاَّ أَنْ وصلَ ٱلشَّيخُ سالمٌ إلىٰ حَضْرَمَوْتَ ، وٱجتمعَ بٱلشَّيخِ عبيدِ صالحِ بنِ طالبٍ في دارِ

---

(١) روى البخاريُّ (١١٣٣) ، ومسلم (١٣٩٤) : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَـٰذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ . . إلاَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ » .

مَشْعَبِي بِٱلحوطةِ ، فسوِّيتِ ٱلمسأَلةُ ، ولَم تَنتطحْ شاتانِ ، حَسَبَما سبق طرف من ذلك في ٱلقارَّةِ .

ولمَّا خابَ أَملُ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّد من هٰذه ٱلناحيةِ . . جاءَ ذاتَ ليلةٍ إلىٰ بيتِ أَخيهِ سالمٍ ، وقالَ لهُ :

إِنَّني مِنْ جملةِ مَنْ لحقَهُ ٱلعارُ بقتلِ ٱلعَاسِ ، فإِمَّا أَنْ تُرضِيَني ، وإِلاَّ . . كانَ ما لا تُحمَدُ عقباهُ .

فلايَنَهُ ٱلشَّيخُ سالمٌ ، ثمَّ تركَ ٱلأَرضَ لَهُ مِنَ ٱليومِ ٱلثَّاني ، وكانَ آخِرَ ٱلعهدِ بهِ ، إِذْ توفِّيَ بعدن حوالي سَنة (١٣٥٨هـ) ، بعد أن ذرف على ٱلتِّسعينَ .

وللشَّيخِ عليِّ بنِ سالمٍ ذِكرٌ جميلٌ بـ« **ٱلأَصلِ** » .

وبحاجةِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ سالمٍ إلىٰ طعنِ ٱلجابريِّ . . ذَكرتُ أَنَّ ٱبنَ ٱلمستوفي ٱنتقدَ قولَ ٱلشَّاعرِ [مِنَ الطَّويل] :

وَنَطْعَنُهُـمْ حَيْـثُ ٱلْكُلَـىٰ بَعْـدَ ضَـرْبِهِـمْ ... بِبِيضِ ٱلْمَـواضِي حَيْـثُ لَـيُّ ٱلْعَمَـائِـمِ

وقالَ : إِنَّهُ ممَّا لا يحسنُ ٱلافتخارُ بمثلِهِ ؛ لأَنَّهم إذا لم يموتا بٱلضَّربِ حيثُ ليُّ ٱلعمائمِ ، وٱحتاجوا إِلى ٱلضَّربِ حيثُ ٱلكلىٰ ، أو حيثُ ٱلحبا . . دَلَّ ذلكَ على ٱلضَّعفِ وٱلخوفِ وعدمِ ٱلتَّمكُّنِ ، وإِنَّما ٱلجيِّدُ قولُ بلعاءَ بنِ قيسٍ من بني ليثِ بنِ كنانةَ [في « ديوانِ الحماسةِ » ١/ ١٣ مِنَ ٱلبسيطِ] :

وَفَـارِسٍ فِـي غِمَـارِ ٱلْمَـوْتِ مُنْغَمِـسٍ ... إِذَا تَـأَلَّـىٰ عَلَـىٰ مَكْـرُوهَـةٍ صَـدَقَـا

غَشَّيْتُـهُ وَهْـوَ فِـي جَـأْوَاءَ بَـاسِلَـةٍ ... عَضْبـاً أَصَـابَ سَـوَاءَ ٱلـرَّأْسِ فَـٱنْفَلَقَـا

بِضَـرْبَـةٍ لَـمْ تَكُـنْ مِنِّـي مُخَـالِسَـةً ... وَلاَ تَعَجَّلْتُهَـا جُبْنـاً وَلاَ فَـرَقَـا

وما أَشبهَ ضربةَ بلعاءَ بقولِ قيسِ بنِ ٱلخطيمِ ٱلأَوسيِّ [في « ديوانه » ٤٦ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

طَعَنْـتُ ٱبْـنَ عَبْـدِ ٱلْقَيْـسِ طَعْنَـةَ ثَـائِـرٍ ... لَهَـا نَفَـذٌ لَـوْلاَ ٱلشُّعَـاعُ أَضَـاءَهَـا[1]

---

(١) الشُّعاع : الدم ، والمعنىٰ : لولا الدم . . أضاءت حتىٰ تستبين .

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا يَرَىٰ قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا[1]

وتدبَّر أيُّها ٱلنَّاظرُ هل ينحطُّ شيءٌ مِن نقدِ ٱبنِ ٱلمستوفي علىٰ قولِ ٱلفرزدقِ [في « ديوانه » ٢/ ٧٩ مِنَ ٱلطويلِ] :

قَرَيْنَاهُمُ ٱلْمَأْثُورَةَ ٱلْبِيضَ قَبْلَهَا يُثِجُّ ٱلْعُرُوقَ ٱلأَزْأَنِيُّ ٱلْمُثَقَّفُ

أم لا ؟ وٱلفرقُ أقربُ .

ومِنْ وراءِ ٱلبريكةِ ٱلواقعةِ بينَ ٱلمَسِيلَينِ إلىٰ جهةِ ٱلشِّمالِ : **ٱلحَذْبه** . ثمَّ : **ٱلقَوْزُ** . **ثمَّ** : **ٱلعُقْده** ، وهيَ مسكنُ ٱلشَّيخِ جعفرِ بنِ سالمِ بنِ مرعيِّ بنِ طالبٍ ، ولَهُ أشعارٌ وأخبارٌ في « **ٱلأَصلِ** » ، وقد ماتَ عن جماعةٍ مِنَ ٱلأولادِ ، وهُم : عمرُ ، وطالبٌ ، ومرعيٌّ ، وسالمٌ ، وصالحٌ .

أَسَنُّهُم : عمرُ ، وكانَ معَ ٱلسُّلطانِ عبودِ بنِ سالمٍ لمَّا قُتِلَ في صيق ٱلعجزِ ، وهوَ مكانٌ في غربيِّ يبعث ، ينهرُ إلىٰ حجرِ ابنِ دغَّارٍ ، ولهُ محاسنُ .

ومِنَ ٱلنَّوادرِ : أَنَّني وصلتُ واديَ بنْ عَلِي مرَّةً في شراءِ أخشابٍ ، فأبردتُ عندَهُ ، فقالَ ليْ : لقد رأيتُ ٱلبارحةَ جدَّكَ محسناً جاءَ إلىٰ بيتي ، وجلسَ في مكانكَ ، وسألتُهُ عن عدَّةِ مسائلَ تتعلَّقُ بٱلطَّهارةِ وٱلصَّلاةِ ـ وأنا ذاكرها لكَ ـ فأجابني عنها ، ولمَّا أرادَ ٱلانصرافَ . . دفعتُ لَهُ خمسةً وعشرينَ ريالاً .

ثمَّ إنَّهُ ذكرَ ليَ ٱلأسئلةَ فأجبتُهُ عنها ، فقالَ ليْ : هٰكذا ـ وٱللهِ ـ كانَ جوابُ جدِّكَ . وعلى ٱلجُمْلةِ فقد كانَ معيَ في ٱليقظةِ ـ حَسَبَما يقولُ ـ كلُّ ما كانَ معَ جدِّي في ٱلنَّومِ ، ما عدا ٱلخمسةَ وٱلعشرينَ ٱلرِّيال . . فإنَّهُ لَم يَكُنْ لَها أثرٌ في ٱليقظةِ .

أمَّا ٱلشَّيخُ طالبٌ : فقد كانَ أَصدقَهُم لساناً ، وأبسطَهُم بناناً ، وأبيضَهُم جناناً ، وأملأَهُم جفاناً .

عَشِقَ ٱلْمَكَارِمَ فَهْوَ مُعْتَمِدٌ لَهَا وَٱلْمَكْرُمَاتُ قَلِيلَةُ ٱلْعُشَّاقِ[2]

---

(١) **ملكتُ** : شددت . **أنهرت** : أجريت الدم كالنهر .

(٢) البيت من الكامل ، وهو في « جمهرة خطب العرب » (٣/ ٢٩٠) ، ضمن أبيات بتغيير بسيط ، والأبيات هي : =

كلمٌ غاليةٌ ، وهِممٌ عاليةٌ ، ووجهٌ أبيضُ ، وبنانٌ مبسوطٌ .

مَجْدٌ رَعَىٰ تَلَعَاتِ ٱلدَّهْرِ وَهْوَ فَتَىً ... حَتَّىٰ غَدَا ٱلدَّهْرُ يَمْشِي مِشْيَةَ ٱلْهَرِمِ[1]
بَنَاهُ بَأْسٌ وَجُودٌ صَادِقٌ وَمَتَىٰ ... تُبْنَى ٱلْعُلا مِنْ سِوَىٰ هَـٰذَيْنِ تَنْهَدِمِ

لم يَزَلْ معمورَ ٱلفِناءِ ، مفتوحَ ٱلبابِ ، مهزولَ ٱلفصيلِ[2] ، يُقصدُ بٱلآمالِ ، وتُشدُّ إليهِ ٱلرِّحالُ ، وقورَ ٱلرُّكنِ ، أَصيلَ ٱلرَّأْيِ .

مَا تَمَلَّيْتُ مِثْلَ ذاكَ ٱلْحِجَا ٱلْمُعْـ ... ـرِقِ فِي ٱلْحِلْمِ وَٱلسَّجَايَا ٱلْعِتَاقِ[3]
خَالِصُ ٱلْوُدِّ وَٱلتُّقَىٰ فِي زَمَانٍ ... فَرَّخَتْ فِيهِ أُمَّهَاتُ ٱلنِّفَاقِ

لقد كانَ لآلِ كثيرٍ رُكْناً ركيناً ، وحصْناً حصيناً ، ولمَّا ماتَ في سَنةِ (١٣٤١هـ) . . ٱفترقَ مَلَؤُهم ، وٱضطربَ حبلُهُم ، فجاءَ موضع قولِ عبدةَ بنِ ٱلطَّيِّبِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ ... وَلَـٰكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

وكانَ هوَ صاحبَ ٱلضِّلعِ ٱلأقوىٰ في حربِ قَسْبَلْ ٱلمفصَّلِ خبرُها بـ« **ٱلأصلِ** » .

وفي ٱلعُقْدةِ ٱلآنَ ديارٌ شاهقةٌ ، ومنازلُ ضخمةٌ ، كلُّها لآلِ جعفرِ بنِ سالمٍ . ولَم يَضنَّ ٱلشَّيخُ أحمدُ بنُ طالبٍ بميراثِ أبيهِ ، بل بقيَ يبذلُ حقوقَ ٱلعزِّ وٱلدِّينِ فيهِ ، فٱنطبقَ علىٰ كاسبِ ذلكَ ما قالَ ٱبنُ مُطَيرٍ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَتَىً عِيشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ... كَمَا كَانَ بَعْدَ ٱلسَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعَا

وبما أنَّ ٱلكرامَ عُرْضةُ ٱلبلاءِ وٱلامتحانِ . . فقد أُصيبَ أحمدُ هـٰذا بريحٍ لا يزالُ منهُ أسيرَ ٱلفراشِ ، ولـٰكنَّهُ ممتَّعٌ بٱلعقلِ وٱلإحساسِ ، وكلُّ أمرٍ أهْوَنُ مِنْ غيرِهِ ، وٱللهُ معَ ٱلصَّابرينَ .

= مَا لِي أَرَىٰ أَبْوَابَهُمْ مَهْجُورَةً ... وَكَأَنَّ بَابَكَ مَجْمَعُ ٱلأَسْوَاقِ
حَابَوْكَ أَمْ هَابُوكَ أَمْ شَامُوا ٱلنَّدَىٰ ... بِيَدَيْكَ فَٱجْتَمَعُوا مِنَ ٱلآفَاقِ
إِنِّي رَأَيْتُكَ لِلْمَكَارِمِ عَاشِقاً ... وَٱلْمَكْرُمَاتُ قَلِيلَةُ ٱلْعُشَّاقِ

(١) البيتان من البسيط ، وهما لأبي تمّام في « ديوانه » (٢/ ٩٥) .

(٢) **مهزول الفيصل** : يضرب مثلاً لمن كثرت ضيوفه ، وكثر منه نحر الفصائل ، فلم تتوفر عنده حتى تسمن .

(٣) البيتان من الخفيف ، وهما أيضاً لأبي تمّام في « ديوانه » (١/ ٤٥٤ـ٤٥٥) .

حِصْنُ ٱلشَّاووش

هوَ رجلٌ[1] مِنْ آلِ مرعيِّ بنِ طالبٍ ٱلكثيريِّينَ ، أقامَ زماناً طويلاً بحيدَرْ آباد الدَّكَن مِنَ ٱلهندِ في خدمةِ ٱلنِّظامِ الآصفي ، وترقَّىٰ في ٱلمراتبِ ٱلعسكريَّةِ حتَّى ٱنتهىٰ إلىٰ رتبةِ شاووش ، فأفادَ بها مالاً طائِلاً ، وأكثرُ ما يُفيضُ ٱلأموالَ علىٰ مِثلهِ هناكَ ؛ كٱلقعيطيِّ ، وٱلعولقيِّ ، وغالبِ بنِ محسنٍ ، علىٰ حسابِ مَنْ تحتَ رئاستِهم مِنَ ٱلعساكرِ حتَّىٰ جاءَ صرارُ جنك فضبطَ ٱلأُمورَ ، وفي ذلكَ يقولُ شاعرُ ٱلحضارمِ :

مـا ٱليوم جـاء صَرَّار صَرَّ المُلْك صَرْ ... وٱلقـىٰ سيـاسـهْ مِـن سيـاسـهْ لِنْقليـزْ
إن عـاد شـيْ تَـرْكُـوب وإلا شِـيْ بَصَـرْ ... وإلا مـع اللهْ يـا طيـور الطِّيْـز وِيـزْ

ولمَّا وصلَ حَضْرَمَوْتَ . . كانت همَّتُهُ متوجِّهةً إلى ٱلإصلاحِ بينَ آلِ كثيرٍ ، وتوحيدِ كلمتهم ، وتأطيدِ ٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ بهم ، فبذلَ فيها أموالاً كثيرةً ، بسخاءٍ عظيمٍ ، ولَم يَتمَّ لَهُ شيءٌ ، إلاَّ أنَّهُ وقعَ علىٰ شهرةٍ عظيمةٍ ، حتَّىٰ إنَّهُ لمَّا دخلَ إلىٰ سيئون . . ٱستقبلَهُ سلطانُها ٱلمنصورُ بنُ غالبٍ ٱستقبالاً شائِقاً ، حتَّىٰ كادَ ٱلأُمراءُ يتساورونَ على ٱلإمساكِ بيدِهِ في معرضِ ٱستقبالهِ . . حتَّى ٱقتسموها ، فكانت لأحدِهما ٱليمينُ ، وللآخرِ ٱلشِّمالُ ، إلاَّ أنَّ صاحبَ ٱليَمينِ ندمَ ؛ إذْ مرَّ أكثرُ ٱلوقتِ وهيَ مُنتزَعةٌ منهُ لكثرةِ ٱلمصافحينَ !

وسمعتُ أنَّ ٱلشَّيخَ جعفرَ بنَ سالمٍ ـ والدَ ٱلشَّيخِ طالبِ بنِ جعفرٍ وإخوانِهِ ـ كانَ وكيلاً لَهُ ، فأمرَهُ ذاتَ يومٍ أنْ يُعطيَ أحداً ممَّنْ لا يُؤْبَهُ بهِ مِنْ آلِ كثيرٍ كمِّيَّةً وافرةً مِنَ ٱلرِّيالاتِ ، لِيستعينَ بهِ على ٱلإصلاحِ ، فقالَ لَهُ : إنَّ هـٰذا لا يُنِيخ ولا يُثَوِّرُ ، ولا يملك شيئاً من أمرِ ٱلإصلاحِ فعزلَهُ ، وأضعفَ لذلكَ ٱلصُّعلوكِ ٱلعطاءَ .

وما زالَ كذلكَ حتَّىٰ ضحكَ عليهِ آلُ كثيرٍ ، وأتلفوا مالَهُ بدونِ فائدةٍ .

وفي أخبارِ ٱلكساديِّ وٱلعموديِّ مِنَ « ٱلأصلِ » : أنَّ آلَ عبدِ ٱللهِ أمروا بنفوذِ أربعِ مئةِ

---

(١) اسمه بدر بن علي بن جعفر بن مرعي بن طالب . « العدة » (٢/ ٢٩٣) .

مقاتلٍ في (٢٤) صفر سَنَةَ (١٢٨٨هـ) لمساعدةِ ٱلعموديِّ ، وأَكثرُ خَرْجِهِم مِنَ ٱلشَّاووشِ بَدْرٍ صاحبِ جفل .

وفي أَخبارِ ٱلهَجْرينِ منه : أَنَّ ٱلشَّاووشَ بَدْراً وصلَ مِنَ ٱلهندِ إِلىٰ عدن سَنَةَ (١٢٨٥هـ) ، وأَنَّهُ متوجِّهٌ إِلىٰ مكَّةَ بداعٍ مِنَ ٱلشَّريفِ محمَّدِ بنِ عونٍ وٱلسَّيِّدِ فضلٍ ، وذلكَ لتدبيرِ ٱلحملةِ ٱلتُّركيَّةِ ٱلَّتي سعى ٱلقعيطيُّ في فَشَلِها ، بواسطةِ بعضِ ٱلعلماءِ مِنْ آلِ ٱلعطَّاسِ ، فتمَّ لَهُ ما يريدُ .

ٱلحَوْطَةُ[1]

هيَ مدينةُ وادي بِنْ عَلِي ، وهيَ مِنْ قدامى ٱلبلدانِ ، وكانت قاعدةَ مُلْكِ بني سعدٍ .

قالَ ٱلملكُ ٱلأَشرفُ ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (٦٩٦هـ) : (وآلُ جميلٍ ، ويقالُ لَهم : بنو سعدٍ ، وليسوا مِنْ بني ظَنَّةَ ، ومشايخُهُم : عيسىٰ بنُ جميلِ بنِ فاضلٍ ، وٱبنُ أَخيهِ محمَّدُ بنُ نصَّارِ بنِ جميلِ بنِ فاضلٍ .

---

(١) الحوطة وقديماً كانت تسمّى : خَلْعْ راشد ؛ لأنها كانت منطقة زراعية وبها نخل ومال كثير خَلَعَهُ ـ أي زَرَعه ـ السلطان راشد بن شجعنه بن فهد بن أحمد بن قحطان ، وهو من سلاطين العهد الراشدي بحضرموت ، ولد سنة (٥١٧هـ) ، وتوفي سنة (٥٩٣هـ) ، وهو والد السلطان عبد الله بن راشد الذي ينسب وادي حضرموت له فيقال : وادي ابن راشد ، وهو يمتد من العقاد غرباً إلى قبر هود شرقاً كما مَرّ في التعريف بحضرموت أول الكتاب.. ينظر لمعرفة أخبار آل راشد « أدوار التاريخ » (١٦٩ـ٢١٤) .

أما إطلاق اسم الحوطة.. فهو من التحويط أو الإحاطة ، فهٰذا مصطلح عند المتقدمين من الحضارمة ، ويقصد به المنطقة أو البلدة التي يسكنها أحد العلماء أو المرشدين الكبار ويسكنها تلامذته فتكون في حمايته وحراسته من أي اعتداء على أحد من الناس ، محميّة بجاه ذلك الشيخ . ويقابل هٰذا المصطلح لفظ : (هِجْرة) عند علماء المناطق الشمالية ، وقد جمع تواريخ الهجر وتراجم علمائها شيخنا العلامة إسماعيل الأكوع ، وتعريف الحوطة بما ذكرته هو التعريف الذي أورده العلامة الفقيه محمد بن عمر باجمّال في « مقال الناصحين » . وأما هٰذه الحوطة ـ وهي حوطة أحمد بن زين ـ.. فإنها حُوّطت بعد سكنى مولانا الإمام الحبيب أحمد بن زين واستقراره بها ، وقد كانت معقلاً من معاقل العلم والدعوة إلى الله ، وتبعد الحوطة عن سيئون مسافة (١٠ كم) تقريباً .

ومِنْ بني سعدٍ : آلُ حَسَنٍ . ومشايخُهم : عليُّ بنُ جبلِ بنِ حسنٍ ، وفاضلٌ ، وٱبنُ عمِّهِ عبدُ ٱللهِ بنُ جميلِ بنِ حسنِ بنِ فاضلٍ) اهـ

وكانَ نصَّارُ بنُ جميلِ بنِ فاضلٍ[1] ـ وهوَ أبو محمَّدٍ ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ في كلامِ ٱلأشرفِ ـ أَحدَ كبارِ أُمراءِ ٱلطَّوائفِ بحَضْرَمَوْتَ ، وكانت تحتَهُ شبامُ ، ولَهُ غَزَواتٌ إلىٰ دوعنَ وإلىٰ تريم وغيرِها[2] ، وكانَ ظالماً ، إلاَّ أنَّهُ تابَ علىٰ يدِ ٱلشَّيخِ سعيدِ بنِ عيسى ٱلعموديِّ ، وحَجَّ ولَم يتمكنْ مِنَ ٱلزِّيارةِ ، ولمَّا وصلَ إلىٰ مأربَ مرجعهُ مِنَ ٱلحجِّ . . لاقاهُ أَحدُ معارفهِ فلامه ، فعادَ ليزورَ فماتَ في أثناءِ ٱلطَّريقِ .

ولبني سعدٍ أَخبارٌ كثيرةٌ ممتزجةٌ بـ« **ٱلأصلِ** » بأَخبارِ ٱلغزِّ ونَهْدٍ وآلِ يَماني ، وآلِ أَحمدَ وٱلصَّبراتِ وآلِ كَثيرٍ .

ولَم يَزَلْ أَمرُ آلِ كثيرٍ يقوىٰ ، وأَمرُ بني سَعْدٍ يضْعُفُ حتَّىٰ صاروا سُوقةً .

وكانَ ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ زينِ ٱلحَبْشيُّ[3] داعياً إلى ٱللهِ ، وجبلاً مِنْ جبالِ ٱلعِلْمِ ، وركناً مِنْ أَركانِ ٱلإسلامِ .

عَلَيْـهِ مِـنَ ٱلنُّـورِ ٱلإلٰهِـيِّ مِسْحَـةٌ تَكَـادُ عَلَـىٰ أَرْجَـائِـهِ تَتَـدَفَّـقُ

وكانَ بٱلغرفة يُصلِّي جماعةً في مسجدٍ يُنسَبُ لبعضِ ٱلفقراءِ مِنْ أَهلِ ٱلغرفةِ ، ويُدرِّسُ لَهُمُ ٱلعِلْمَ ، فحصلَ مِنْ أُولئكَ ٱلفقراءِ ـ ٱلمنسوبِ إليهم ذلكَ ٱلمسجدُ ٱلمسمَّىٰ بٱلحَمّام ـ أذىً ، فتحمَّلَهُ ، وما زالوا به حتَّىٰ أَخرجوهُ مِنَ ٱلمسجدِ ، وأَخرجوا كتبَهُ ، وآذوا مَنْ يتردَّدُ عليهِ ، فلَم يَنزعجْ ولَم يَظهرْ منهُ إلاَّ ٱلصَّبرُ وٱلثَّباتُ .

وٱنتقلَ إلى ٱلحوطةِ ٱلغَرْبيَّةِ ـ وهوَ ٱلمكانُ ٱلمسمَّىٰ **بٱلبهاءِ** في غربيِّ خلع راشدٍ ـ

---

(١) في ولايته عُمِّر مُقَدَّم جامع شبام سنة (٦٤٣هـ) بأمر الملك المنصور الرسولي .

(٢) كما جاء في حوادث (٦٤٤هـ) عند « شنبل » ، وبنى قارة العزّ تحت تريم سنة (٦٥٥هـ) .

(٣) ولد الحبيب أحمد بن زين في الغرفة سنة (١٠٦٩هـ) ، وتوفي سنة (١١٤٥هـ) ، كان إماماً عالماً ، عاملاً فقيهاً ورعاً ، أخذ عن كثير من علماء عصره ، وفي مقدمتهم العلامة الحبيب عبد الله بن أحمد بلفقيه ، والحبيب الإمام عبد الله بن علوي الحداد الذي هو شيخ فتحه وتخريجه ، أفرده بالترجمة تلميذه العلامة محمد بن زين بن سميط بكتاب سماه : « قرة العين » .

وبنىٰ بها مسجِدَهُ ودارَهُ ، ولَم يَزَلْ يتردَّدُ إلىٰ خلعِ راشدٍ للتَّدريسِ في مسجدِ جدِّهِ أَحمدَ بنِ محمَّدٍ صاحبِ ٱلحُسَيِّسةِ ـ وهوَ أَصلُ ٱلجامعِ ٱلموجودِ ٱليومَ[1] ـ وإلىٰ شبامٍ للأَخذِ عن علمائِها .

قالَ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ في « سفينةِ ٱلبضائعِ » : (جئتُ إلىٰ شبامٍ وأَنا في نحو (١٤) سنةً ، وقصدتُ عندَ ٱلخالِ بكَّارِ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ عقبةَ ، وسِرْتُ أَنا وهوَ إلىٰ مسجدِ ٱبنِ أَحمدَ[2] ، وفيهِ سيِّدي ٱلعلاَّمةُ محمَّدُ بنُ زينِ بن سميطٍ ، فبينما نحنُ جلوسٌ ، وأَنا بغايةِ ٱلشَّوقِ للحبيبِ أَحمدَ بنِ زينٍ . . إذ دخلَ علينا كأَنَّهُ ٱلبدرُ في تمامِهِ ، وعليهِ كساءٌ فاخرٌ أَبيضُ ؛ قميصانِ وعمامةٌ ، وشالٌ أَبيضُ مشجَّرٌ بأَسودَ) اهـ

توفِّيَ ٱلحبيبُ أَحمدُ بٱلحوطةِ فجأَةً في سَنةِ (١١٤٤هـ) ، ودُفِنَ بشرقيِّ ٱلحوطةِ ، وعُملَتْ عليهِ قُبَّةٌ ، ولَم يَتمكَّنِ ٱلوهَّابيَّةُ مِنْ هدمِها ؛ لاستعْجَالِهِم مَعَ نوعٍ مِنَ ٱلمجاملةِ لآلِ كثيرٍ ؛ لأَنَّ بعضَهم كانَ عَوْناً لهم علىٰ تنفيذِ كثيرٍ مِنَ ٱلأُمورِ .

ولهُ عدَّةُ أولادٍ ؛ منهم : علويٌّ ، وقد توفِّيَ بشِبَام ، وكان أهلُها يهابونَهُ هيبةً عظيمةً ، حتَّىٰ لقد قالَ ٱلحبيبُ عمرُ بنُ زينِ بنِ سُمَيطٍ : لقد ماتَ ٱليومَ مَن يُسْتَحيا منهُ ، وآلُ شبامٍ لا يُسمُّونَ إلى ٱليومِ بعلويٍّ ؛ إجلالاً لهُ .

ومنهم : جعفرٌ[3] ، وهوَ ٱلَّذي خَلَفَ أَباهُ ، لَهُ مظهرٌ عظيمٌ ، إلاَّ أَنَّهُ مِنْ أَهلِ ٱلأَحوالِ ٱلَّتي يتطرَّقُ إليها ٱنتقادُ ٱلفقهاءِ بحقٍّ ، وفي « ٱلمواهبِ وٱلمننِ » : أَنَّ ٱلقطبَ ٱلحدَّادَ ٱلبسَهُ وأَلبسَ إخوانَهُ مِراراً عديدةً ، وكانَ ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ زينٍ يزورُ ٱلقطبَ

---

(١) يعني به الإمام أحمد صاحب الشعب ، المتوفى سنة (١٠٣٨هـ) ، وهٰذه فائدة عزيزة .

(٢) مر ذكر مسجد بن أحمد في شبام ، وهو مسجد قديم يعود بناؤه إلى القرن العاشر تقريباً ، وفي بعض المصادر أنه ينسب إلى الشيخ أحمد جبير شراحيل ، وقد قام الحبيب أحمد بن زين بعمارته وترميمه لشغفه الكبير بعمارة بيوت الله ؛ إذ بلغ عدد المساجد التي عمرها أو بناها أو جددها (١٧) مسجداً ، فكان شيخه الإمام الحداد يسميه : (أبا المساجد) .

(٣) توفي الحبيب جعفر بن أحمد سنة (١١٩٠هـ) تقريباً ، وكان يسمّى : جعفر السلطان ؛ لعظم جاهه ، ترجم له باسودان في « الفيض » ، وأفرده بالترجمة السيد الفاضل عبد القادر (قدري) ٱبن حسين الحبشي ، وسمّاها : « ذخيرة الأوطان » .

ٱلحدَّادَ آخرَ عمرِهِ في كلِّ سنةٍ فَيُلبسُهُ ويُلْبِسُ أولادَهُ ، وكانوا كلُّهم أَئِمَّةً فحولاً علماءَ ، سادةَ وقتِهم ومكانِهم .

وفيها يقولُ ٱلحبيبُ حسنُ ٱبْنُ ٱلقُطْبِ ٱلحدَّادِ : كنتُ أَقرأُ أنا وَٱلسَّيِّد أَحمدُ بنُ زينٍ في بعضِ ٱلكُتُبِ ـ وأَظنُّهُ « ٱلمُستطرف » ـ فٱنتهت بنا ٱلقراءةُ إِلىٰ ذكرِ ٱلممتَّعِ ، وكانَ ٱلحبيبُ جعفرٌ أُصيبَت إِحدىٰ عينيهِ وهو صغيرٌ ، ولم ننتبه لحضورِ جعفرٍ إِلاَّ بعدَ ٱلقراءةِ ، فحصلَ معنا ٱلأَسَفُ .

توفِّي ٱلحبيبُ جعفرٌ بخَلْعِ راشدٍ ، وخَلَفَهُ ٱبْنُهُ ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ أَحمدُ بنُ جعفرٍ[1] ، فٱنتقلَ إِلىٰ خلعِ راشدٍ ، وكانَ لَهُ ٱثنا عشرَ ٱبناً .

بَنُـو أَغَـرَّ مِـنَ ٱلأَقْـوَامِ شَـادَ لَهُـم ... مَجْـدَ ٱلْحَيَـاةِ وَأَقْنَـاهُـمْ إِلَـى ٱلأَبَـدِ[2]

يَقْفُـونَ مِنْـهُ خِـلاَلاً كُلُّهَـا حَسَـنٌ ... إِنْ عُـدِّدَتْ غَـادَرَتْ فَضْـلاً عَلَـى ٱلْعَـدَدِ

فٱبتنىٰ لَهم دياراً في خَلْعِ راشدٍ بعدَدِهِم ، فتديَّروها . كانَ بِناءُ ٱلدِّيارِ لا يكلِّفُ كثيراً حسبمَا يُعرفُ ممَّا يأتي في حاوي تريم ، عن بناءِ ٱلقُطبِ ٱلحدَّادِ لأَولادِهِ ، ولَمْ يَبْقَ مِنْ أَعقابِ ٱلحبيب أَحمدَ بنِ زينٍ بٱلحوطةِ ٱلغربيَّةِ ٱلمسمَّاةِ بٱلبهاءِ إِلاَّ ٱلقليلُ .

ولمَّا ماتَ ٱلإمامُ أَحمدُ بنُ جعفرٍ . . خَلَفَهُ ولدُهُ ٱلفاضلُ محمَّدُ بنُ أَحمدَ ، ٱلمتوفَّىٰ بخلعِ راشدٍ سَنةَ (١٢٥٣هـ) ، وهوَ ٱلشَّيخُ ٱلرَّابعُ من مشايخِ سيِّدي ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ عيدروسِ بنِ عمَر .

وخَلَفَهُ ٱبنُهُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدِ بنِ أَحمدَ ، وكانَ فقيهاً نبيهاً على ٱلقيامِ بمنصبهِ .

ثمَّ نزلَ عنهُ لأَخيهِ صالحِ بنِ محمَّدٍ[3] ، وكانَ كٱسمهِ صالحاً ، وكانَ لا يتكلَّمُ إِلاَّ بٱلعربيَّةِ ٱلفصحىٰ ، ولذلكَ سببٌ ، وهوَ :

أَنَّهُ وصلَ إِلىٰ بيتِ مفتي ٱلشَّافعيَّةِ بمكَّةَ ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ حسينٍ [الحبشي] أَيَّامَ كانَ

---

(١) توفي سنة (١٢٢٠هـ) .

(٢) البيتان من البسيط ، وهما للبحتريِّ في « ديوانهِ »(١/ ١٣١) . أقناهم : أعطاهم ما يُقتنىٰ ـ يجمع ـ فأغناهم .

(٣) توفي سنة (١٣٠٣هـ) .

بٱلقنفذةِ ، فسألَ عنهُ بٱللُّغةِ ٱلدَّارجةِ ، فضحكت منهُ وٱستهزأَت بهِ بنتُهُ آمنةُ[1] ـ ٱلَّتي تزوَّجَها بعدُ ٱلسَّيِّدُ علويٌّ ٱلسَّقَّافُ[2] صاحبُ ٱلحاشيةِ علىٰ « فتح ٱلمعينِ » ـ وٱستهزأَتْ بكلامهِ ، فآلىٰ علىٰ نفسهِ أَنْ يتعلَّمَ ٱلنَّحوَ ، وأَنْ لا يتكلَّمَ إلاَّ بٱلإعرابِ ، ولَم يَحنثْ .

وكانَ أبيضَ ٱلقلبِ لا يعرفُ حِيلَ آلِ كثيرٍ ، حتَّىٰ لقد ذهبَ مرَّةً للإصلاحِ بينَ آلِ عبداتٍ وجيرانِهم مِن آلِ عمرَ ، فأجابوا علىٰ شرطِ أن لا يخرجَ أحدٌ مِن دارِهِ إلاَّ بخفيرٍ ، فٱقتنعَ بذلكَ ، ولمَّا ٱجتمعَ بأَخيهِ عبدِ ٱللهِ . . قالَ لهُ : أيُّ معنىً للصُّلحِ إذاً .

وٱنتهىٰ بهِ ٱلصَّلاحُ إلىٰ أَنْ تجوهرَ قَلْبُهُ فتفرَّسَ قُرْبَ أَجلهِ ، فسيَّرَ كتباً للأعيانِ ، منهُم : سيِّدُنا ٱلأبرُّ عيدروسُ بنُ عمرَ بيومِ وفاتهِ ، وباتَ ليلتَها يعظُ ٱلنَّاسَ ويَذكرُ أَعيانَ زمانهِ بما فيهِم ، وممَّن فازَ ببالغِ ثنائهِ ليلتئذٍ : ٱلأُستاذُ ٱلأبرُّ ، وسيِّدي عبدُ ٱللهِ بنُ حسنٍ ٱلبحرُ ، معَ أَنَّ آلَ أحمدَ بنِ زينٍ ينفسونَهما ، ولاسيَّما ٱلثَّاني ، ثمَّ ماتَ مِن آخرِ تلكَ ٱللَّيلةِ .

وعادَ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدٍ[3] إلى ٱلمنصبةِ ، وكانَ طَلَبَ ٱلعِلْمَ بمكَّةَ ٱلمشَرَّفةِ وغيرِها ، وكان يجعلُ ٱلطَّلاقَ ٱلثَّلاثَ بٱللَّفظِ ٱلواحدِ واحدةً فقط ، وكنتُ أَستشكلُ ذلكَ ؛ لإجماعِ ٱلفقهاءِ ٱلأربعةِ علىٰ خلافه ، حتَّىٰ أَمعنتُ ٱلنَّظَر فيما قرَّرَهُ ٱلعلاَّمتانِ ٱبنُ تيميةَ وتلميذُهُ ٱبنُ ٱلقيِّمِ ، فرأَيتُ حججاً تنقطعُ دونَها أَلسنةُ ٱلاعتراضِ ، ومعَ ذلكَ بقيتُ على ٱلتَّوقُّفِ ؛ لأَنَّ ٱلسَّادةَ ٱلحنابلةَ معَ إعظامهِم لهـٰذينِ ٱلشَّيخينِ لَم يوافقوهُما علىٰ هـٰذا ٱلقولِ ، حتَّىٰ رأَيتُ ما ذكرَهُ ٱلشَّوكانيُّ في « نيلِ ٱلأَوطارِ »[4] وقولَ ٱلإمامِ ٱلرَّازيِّ في تفسيرِ آيةِ ٱلطَّلاقِ مِنْ سورةِ ٱلبقرةِ : (إِنَّهُ ٱلأَقيسُ)[5] . . فٱنشرحَ صدري لذكْري إيَّاهُ لمَنْ يَسأَلني مِنَ ٱلعامَّةِ .

---

(١) توفيت بمكة سنة (١٣٤٢هـ) ، ترجمتها في « الدليل المشير » لسبطها القاضي أبي بكر الحبشي (ص٦٤ـ٦٨) .

(٢) العلامة الفقيه ، توفي بمكة سنة (١٣٢٩هـ) ، ترجمته في « الأعلام » ، و« سير وتراجم » (١٣٧) .

(٣) كان الحبيب عبد الله هـٰذا متولياً القضاء في شبام ، ومن الآخذين عنه العلامة الحبيب عيدروس بن حسين عيدروس المقدم ذكره في الحزم .

(٤) انظر « نيل الأوطار » (٧/ ١١ـ٢٠) ؛ فهو البحث المراد .

(٥) انظر « التَّفسير الكبير » للرَّازي(٦/ ٩٦) . وآية الطَّلاق هي قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ . . . ﴾ =

وكذلكَ بلغني عن ٱلسَّيِّد عبدِ ٱللهِ بن محمَّدٍ أَنَّهُ يمنعُ نفوذ طلاقِ ٱلغضبانِ! فقفَّ شعري أوَّلاً ، ثمَّ رأيتُ ما ذكرَهُ ٱبنُ ٱلقيِّمِ في « ٱلزَّادِ » . وفي رسالةٍ أُخرىٰ مطبوعةٍ إلىٰ جانبِها قصيدةُ ٱنقَتْني[1] لشاعرِ ٱلعراقِ معروفٍ ٱلرُّصافيِّ .

ومعَ ذلكَ فلَم أجسرْ علىٰ تصويبِهِ في ذلكَ ، حتَّىٰ صوَّبتُ ٱلنَّظرَ في قولهِ جلَّ ذِكرُهُ : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

وقد رويَ : (أَنَّ ٱلتَّوراةَ كانت سبعةَ ألواحٍ ، فلمَّا ألقاها موسىٰ . . تكسَّرتْ إلاَّ واحداً ، فرُفِعَتْ ستَّةُ أسباعِها ، وفيها تفصيلُ كلِّ شيءٍ ، وبقيَ مِنها سُبعٌ واحدٌ فيهِ ٱلرَّحمةُ وٱلهدىٰ) ، إلاَّ أَنَّهُ قد يغبِّرُ علىٰ هٰذهِ ٱلرِّوايةِ إمكان تقريرها حتَّىٰ من رضاضها وقد قال تعالىٰ : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ معَ ما يوجدُ مِنَ ٱلأحكام[2] وٱلقصصِ بكثرةٍ في « ٱلتَّوراةِ » .

ومهما يكن : فلو كانَ ٱلغضبانُ مؤاخذاً . . لوقعَ موسىٰ عليهِ ٱلسَّلامُ مِنْ ذلكَ في أمرٍ عظيمٍ لا يكفي للجوابِ عنهُ أَنْ يقالَ : إنَّ شَرْعَ مَنْ قَبْلَنا ليسَ بشرعٍ لنا ؛ لأَنَّهُ لا يقالُ ذلكَ إلاَّ فيما لا يتعلَّقُ بأُصولِ ٱلإيمانِ وٱلدِّينِ ، أمَّا هٰذا . . فإنَّهُ ممَّا يدخلُ تحتَها .

فٱلقائِلُ بمؤاخذةِ ٱلغضبانِ يَلزمُهُ مِنْ إساءةِ ٱلأدبِ علىٰ موسىٰ عليهِ ٱلسَّلامُ ما لا يَنطلقُ بهِ لساني ، ولا يُخلِّصهُ منهُ قولُهُم : إنَّ لازمَ ٱلمذهبِ ليسَ بمذهبٍ .

وٱلَّذي ينبغي أَنْ يُقالَ بهِ في طلاقِ ٱلغضبانِ : إجراؤُهُ مجرى ٱلمسكرِ : فإنْ كانَ سببُهُ مباحاً ، وٱنتهىٰ بصاحبهِ إلى ٱلحدِّ ٱلَّذي يُغطِّي علىٰ عقلهِ أَو يحولُ بينهُ وبينَ نيَّتهِ . . لَمْ يُؤَاخَذْ . وإلاَّ . . أُوخِذَ .

= ولمعرفة مزيد تفصيل في هٰذا الموضوع ينظر كتاب : « الإشفاق في أحكام الطلاق » للعلامة المحقق محمد زاهر الكوثري ، مطبوع . وللعلامة الشيخ الفقيه عبد الله باجمَّاح العمودي رسالة أيضاً في هٰذه المسألة ، وللعلامة محمد الخضر الشنقيطي مثلها ، وكلها مطبوعة .

(١) آنقتني : أعجبتني .

(٢) الرضاض : الفتات .

وأَمَّا ٱلقولُ بٱلمؤَاخَذةِ على ٱلإطلاقِ . . فجرأَةٌ علىٰ نبيِّ ٱللهِ موسىٰ ، وعثرةٌ لا ينبغي أَنْ يقالَ لصاحبِها : لعاً[١] .

أَقولُ قولي هـٰذا ببادىءِ ٱلرَّأْيِ معَ وجوبِ إِعادةِ ٱلنَّظرِ وٱستئنافِ ٱلعنايةِ ؛ لأَنَّ ٱلمسأَلَةَ ـ كما قرَّرنا ـ أُصوليَّةٌ لا فروعيَّةٌ ، فلا ينبغي فيها ٱلاختلافُ ، وٱللهُ أَعلمُ .

ولا يزالُ في نفسي شيءٌ مِنْ قولِ فقهائِنا : إِنَّ شرعَ مَنْ قبلَنا ليسَ لَنا بشرعٍ وما كفاهم ذلكَ حتَّىٰ زادوا في ٱلطُّنبورِ نغمةً بقولهم : وإِنْ وردَ في شرعِنا ما يُقرِّرُهُ ؛ لأَنَّهُ معَ تقليلِهِ لكثيرٍ مِنْ فوائِدِ قَصَصِ ٱلتَّنزيلِ وأَخبارِهِ . . لا يتَّفقُ معَ قولِ ٱللهِ تعالىٰ في (ٱلأنعامِ) : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ .

ومخالفٌ لقولِ ٱلنَّبيِّ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ في كسرِ رَباعيَةِ ٱلرُّبيِّعِ بنتِ معوذ : « كِتَابُ ٱللهِ ٱلْقِصَاصُ »[٢] ووجهُ ٱلمخالفةِ أَنَّهُ لَم يَرِدِ ٱلقِصاصُ بٱلسِّنِّ إِلاَّ في ٱلكلامِ عن غيرِ هـٰذهِ ٱلأُمَّةِ ؛ حيثُ يقولُ جلَّ وعزَّ : ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ ﴾[٣] .

وكانَ ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ جعفرِ بنِ أَحمدَ بنِ جعفرِ بنِ أَحمدَ بنِ زينٍ ٱلحَبْشيُّ[٤] أَحدَ ٱلعلماءِ ٱلمحقِّقينَ ، وكانَ علىٰ رأْيِ ٱبنِ تيميةَ يجعلُ ٱلثَّلاثَ بٱللَّفظِ ٱلواحدِ طلقةً واحدةً ، وكانَ لَهُ ٱتِّصالٌ وثيقٌ بسيِّدنا ٱلحسنِ بنِ صالحٍ ٱلبحرِ ، وقد أَفتىٰ مرَّةً بتوحيدِ ٱلطَّلاقِ ممَّنْ نطقَ بٱلثَّلاثِ في لفظٍ واحدٍ ، فٱشتدَّ ٱلنَّكيرُ عليهِ ، حتَّى ٱنعقدَ لذلكَ مجلسٌ بدارِ ٱلحبيبِ ٱلبحرِ تقاطرَ لَهُ ٱلعلماءُ مِنْ دوعنَ ومِنْ تريمٍ وما بينَهُما ، ولَم

---

(١) لعاً : كلمة يُدعىٰ بها للعاثر ، معناها الارتفاع .

(٢) الحديث أخرجه البخاريُّ (٤٣٣٥) .

(٣) الجواب على هـٰذا الإشكال ما قرره الحافظ تقي الدين السبكي في « الإبتهاج » بقوله : ليس الكلام فيما لم نعلمه إلا من كتبهم ونقل أحبارهم الكفار ؛ فإنه لا خلاف أن التكليف لا يقع به علينا ؛ ولا فيما علمنا بشرعنا أنه كان شرعاً لهم ، وأمرنا في شرعنا بمثله ، كقوله : ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ ﴾ ، وقد قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾ ؛ فإن الإجماع منعقد على التكليف به ، وإنما الخلاف فيما ثبت أنه من شرعهم بطريقٍ صحيح نقبله ولم نؤمر به في شريعتنا . اهـ من تقريرات الشربيني على شرح « الجمع » (٢/ ٣٥٢) .

(٤) توفي ليلة الجمعة (٢٦) محرّم سنة (١٢٨٩هـ) ، « العدة المفيدة » (٢/ ٣٢٦) .

يَنفصلِ ٱلأمرُ بأثرِ المناظرةِ معَ ٱلسَّيِّدِ أحمدَ بنِ جعفرٍ إلاَّ بتسليمِ ما قالَ ، وكانَ ذلكَ حِدْثانَ وصولِ « نيلِ ٱلأوطارِ » للشَّوكانيِّ إلىٰ حَضْرَمَوْتَ .

ومعَ ذلكَ . . فلا أجزمُ بأنَّ ٱلاقتناعَ كانَ لذلكَ ؛ إذ يحتمِلُ أن يكونَ في صيغةِ ٱلطَّلاقِ ما يعودُ عليهِ بٱلإبطالِ على ٱلمذهبِ ٱلشَّافعيِّ ، وٱللهُ أعلمُ .

وفي ٱلنَّفسِ شيءٌ ممَّا نقلَهُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ باسودانَ عنِ ٱلسَّيِّدِ يوسفَ ٱلبطَّاحِ ٱلأهدلِ ، مِن حصولِ ٱلتَّثليثِ مثلاً بقولِ ٱلمصلِّي في ٱلرُّكوعِ : (سبحانَ ربِّيَ ٱلعظيمِ وبحمدِهِ ثلاثاً) ، وفي ٱلسُّجودِ مِثلَهُ ؛ أخذاً من حديثِ « سُبْحَانَ ٱللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ » [م (٢٧٢٦) (٧٩)] .

وٱلَّذي لاَ أشكُّ فيهِ : أنَّهُ كلامٌ أجنبيٌّ تبطلُ بهِ ٱلصَّلاةُ ، فضلاً عن أنْ تحصلَ بهِ ٱلسُّنَّةُ .

ثمَّ رأيتُ العلاَّمةَ ٱلسَّيِّدَ مُحمَّدَ بنَ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلأهدل نقلَ عن شيخهِ مُحمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ ٱلباري ٱلأهدلِ عنِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ يحيى بنِ عمرَ ٱلأهدلِ مثلَ ما ذكرتُهُ مِن بُطلانِ ٱلصَّلاةِ بذلكَ ، وكفَىٰ بهـٰؤلاءِ حُجَّةً ، فللَّهِ ٱلحمدُ على ٱلتَّوافقِ .

وكانَ ٱلسَّيِّدُ أحمدُ بنُ جعفرٍ يقومُ مِنْ مجالسِ أصحابهِ ومدارسِهِم إذا سَمِعَ بما لا يوافقُ مشاربَ ٱلوهَّابيَّةِ ، ثمَّ صارَ يُنكرُ عليهِم أحياناً بلسانهِ ، ولـٰكنَّهُ لَم يَصبرْ حينَ أنشدوا ٱلأذكارَ في ٱلمسجدِ علىٰ نغماتِ ٱلدُّفوفِ ، ولَم يَتمالك أنْ نهضَ لتكسيرِها ، فلبَجُوهُ لَبَجاً[1] شديداً ذهبَ منهُ مغاضباً إلىٰ خَشَامِرِ عندَ آلِ ٱلشَّيخِ عليِّ جابرِ ٱلوهَّابيِّينَ ولـٰكنَّهُ غَيظُ ٱلأسيرِ على ٱلقدِّ[2] ، وما أدري أبَقيَ بخَشَامِرِ إلىٰ أنْ ماتَ ، أم راجعه قومُهُ؟

وما كانَ ذلكَ ليكونَ في عهدِ سيِّدِنا ٱلبحرِ ، وإلاَّ . . لأدَّى ٱلواجبَ مِنْ نُصرتهِ .

ورأيتُ كتاباً سيَّرهُ لَهُ أحدُ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلسَّقَّافِ مِنْ قَسَم ، يقولُ له فيهِ : (أمَّا أهلُ

---

(١) **لبجوه لبجاً** : ضربوه ضرباً .

(٢) **القدُّ** : حَبْل يشدُّ به الأسير . قال أبو الطَّيِّب المتنبِّي :

وَغَيْظٌ عَلَى ٱلأَيَّامِ كَـٱلنَّارِ فِـي ٱلْحَشَـا ... وَلَـٰكِنَّـهُ غَيْـظُ ٱلأَسِيـرِ عَلَـى ٱلْقَـدِّ

والمعنىٰ : لي غيظ علىٰ الأيَّام يلتهب في الحشا التهاب النَّار ، ولـٰكنَّه غيظ علىٰ من لا يكترث ولا يبالي بغيظي ، فهو كغيظ الأسير علىٰ ما يشدُّ به من القدِّ .

حَضْرَمَوْتَ . . فلا يجادلونَ بحقٍّ ، إنّما يقولونَ : ٱلوهَّابيَّةُ أَهلُ ٱلبدعةِ ٱلرديةِ .

فقُلْنا : وما بدعتُهُم ؟ قالوا : يُكفِّرونَ ٱلمسلمينَ ، ويَسْتَحِلُّونَ أَموالَهُم ، ولَم يَنظروا إلىٰ نواقضِ : لا إلـٰهَ إلاَّ ٱللهُ ، وقواطعُ ٱلإسلامِ بكلمةٍ أهونُ مِنْ أَفعالِ أَهلِ هـٰذا ٱلزَّمانِ .

وأَمَّا « ٱلدَّلائِلُ ٱلواضحةُ »[1] . . فلَسنا برادِّيهِ إلاَّ بعدَ نَقْلِهِ ، حيثُ هوَ أُعجوبةُ ٱلزَّمانِ ؛ أَذعنَ لمُصنِّفِهِ مَنْ لا يُحبُّهُ ، لاسيَّما ترجمتُهُ لِشيخِ ٱلإسلامِ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱلحليمِ بنِ عبدِ ٱلسَّلامِ ـ رحمَهُ ٱللهُ ـ وٱلذَّبُّ عن عرضه وعرض ٱبنِ ٱلقيِّمِ وٱبنِ عبدِ ٱلوهَّابِ ، ٱلَّذينَ عَمِيَ عن نورِهم ٱلخفَّاشُ ٱلَّذي يَضرُّهُ نورُ ٱلشَّمسِ ، وٱلجُعَلُ[2] ٱلَّذي يَضرُّهُ رِيحُ ٱلمِسْكِ .

وٱلسَّلامُ عليكَ وعلىٰ أَصنائكَ[3] سالمٍ ومحسنٍ ، وٱلولدِ علويِّ بنِ سقَّافٍ ٱلجفريِّ ، وٱلخطُّ لكَ ولَهُ واحدٌ) اهـ

وسيأْتي لبعضِ ما في هـٰذهِ ٱلقطعةِ شرحٌ في تريس إن شاءَ ٱللهُ تعالىٰ .

توفِّيَ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدٍ ٱلحَبْشيُّ في محرَّم سَنَة (١٣١٤هـ) ، وخَلَفَهُ على ٱلمنصبة ٱلسَّيِّدُ صالحُ بنُ أَبي بكرِ بنِ محمَّدٍ ٱلحَبْشيُّ خَلفاً صالحاً ، وكان شهماً شجاعاً ، إلاَّ أَنَّها لم تطُل مدَّتُهُ كثيراً ، بل توفِّي في حدودِ سنةِ (١٣١٨هـ) ، ولهُ أَخٌ ٱسمُهُ عليٌّ ، توفِّيَ بٱلصَّرعِ علىٰ إثرِهِ في منتصفِ رمضانَ من تلكَ ٱلسَّنةِ ، وأَخٌ آخرُ ٱسمُهُ مُحَمَّدٌ ، توفِّيَ سنةَ (١٣٢٩هـ) ، وٱنقرضَ كلُّهم مِنَ ٱلذُّكورِ ، وبعدَ وفاةِ ٱلسَّيِّدِ صالحٍ . . خلفَهُ ٱلسَّيِّدُ سالمُ بنُ طـٰهَ ٱلحبشيُّ ، وكانَ فاضلاً مضيافاً إلاَّ أَنَّهُ كانَ لَيِّنَ ٱلعريكةِ ، دَمِثَ ٱلأخلاقِ ، وفي أصحابهِ شراسةٌ فتهضَّموهُ ، وبقيَ على ٱلمنصبةِ إلىٰ أَنْ تُوُفِّيَ سَنةَ (١٣٣٤هـ) .

ثمَّ خَلَفَهُ عليها ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ حَسَنِ بنِ شيخٍ إلىٰ أَنْ تُوفِّيَ سَنةَ

---

(١) هو كتاب « الدلائل الواضحة في الرد على رسالة الفاتحة » ، للعلامة علوي بن سقاف الجفري ، يرد فيه على رسالة للعلامة طاهر بن حسين بن طاهر ، انظر كلام المصنف عنها في تريس لاحقاً .

(٢) **الجُعَلُ** : حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع النَّديَّة .

(٣) **أَصناءُ** ـ جمع صنو ـ وهو : الأخ الشَّقيق والعمُّ والابن .

(١٣٣٦هـ) ، ووقعَ ٱختيارُ آلِ أحمدَ بنِ زينٍ ومنصبِ ٱلحدَّادِ على ٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أحمدَ ٱلحبشيِّ ، وكانَ فَكِهاً أديباً ، له نوادرُ وولعٌ كثيرٌ بٱلأغاني وٱلأوتارِ ، ولهُ تهجُّدٌ وٱتِّصالٌ بٱلسَّادةِ ٱلأخيارِ ، ولهـٰذا ذَكَرتُ في تأبينِهِ ما جرىٰ بين معاويةَ وإحدىٰ نسائِهِ في عبدِ ٱللهِ بنِ جعفرٍ ؛ فلقد سمعته في أغانيهِ بينَ جوارِهِ وأصحابِهِ ، فقالت لمعاوية : تعالَ ، فهـٰذا ٱلَّذي أنزلتَهُ بينَ جِلدِكَ ولحمِكَ كيفَ يفعلُ ؟! فسكتَ ، ولمَّا كانَ مِن آخرِ ٱللَّيلِ . . سمعَهُ يرتِّلُ آياتِ ٱلقرآنِ فأنبهَها وقالَ لها : تعالَي فٱسمعي مكانَ ما أسمعتيني .

علىٰ أنَّ لي في ٱلأوتارِ كلاماً لم أُسبَق إليهِ ، فصَّلتُهُ في ٱلفائدةِ (٢٤) من « بلابل ٱلتَّغريد » ، وكانت وفاةُ ٱلسَّيِّدِ عمرَ بن عبدِ ٱللهِ في آخرِ جمادى ٱلآخرةِ مِن سَنة (١٣٦١هـ) ، وخَلَفَهُ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلحَبْشيُّ ، وهوَ رجلٌ لطيفٌ شديد ٱلتَّواضعِ ، جميلُ ٱلأخلاقِ[1] ، وقد زادَهُ نُبلاً في عيني ، ومحبَّةً في صدري : أنَّ ٱلنَّجمَ ٱلهادي عبدَ ٱللهِ بنَ عمرَ بنِ سميطٍ ربَّاهُ في شبام ؛ إذ كانَ خالَ أُمِّهِ ، وماتت وهوَ في ٱلسَّابعةِ وقد فقدَ أباهُ مِن قبلِ ذلكَ ، أطالَ ٱللهُ عمرَهُ وإيَّانا في خيرٍ وعافيةٍ ، وكانت منصبتُهم ولاسيَّما في أيَّامِ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ أحمدَ وولدِهِ عبدِ ٱللهِ ، عبارةً عن دولةٍ قاهرةٍ ، وسلطانٍ نافذٍ ، إلاَّ أنَّها لم تخلُ مِن شيءٍ مِنَ ٱلاستطالةِ ، أمَّا ٱلآنَ . . فقد تلاشىٰ نفوذُها بما كانَ مِن تداخلِ ٱلأجَانبِ بحضرموتَ .

وفي ٱلحوطةِ بقايا مِنْ بني سَعْدٍ ، ومِنْ آلِ وَبْرٍ ، ومِن آلِ ٱلجَرْوِ ، ومِنْ آلِ مَشْعَبِي ، وآلِ باشراحيلَ ، وآلِ بَاطَاهِرٍ ، وآلِ سُمَيرٍ ، وآلِ ٱلنُّوَي ، وآلِ بَشِيرٍ ، وآلِ غَانِمٍ ، وآلِ باسَيفٍ[2] ، وآل جويح ، وآل مربش ، وآل الجريديِّ وغيرِهم .

---

(١) توفي السيد علي بالحوطة سنة (١٣٨٦هـ) ، والقائم بمنصب آل أحمد بن زين اليوم هو السيد الفاضل شيخ بن عبد الله بن سالم بن طٰه الحبشي .

(٢) وبها أيضاً آل باقلاقل ، وآل جُويَح ، وآل مَرْبش ، وسادة من آل بلْفَقيه ، وأما آل مشْعَبَي . . فشهرتهم في سيئون ؛ لأنهم كانوا تجاراً بها ، حتى إن الشاي كان ينسب لهم فيقال : شاهي مشعبي ، وآل باطاهر كثير منهم في الحاوي .

أَرباضُ ٱلحوطةِ :

قد عُلِم ممَّا سبقَ أَنَّ ٱلحوطةَ في آخرِ حدٍّ وادي بنِ عليٍّ ٱلشَّماليِّ ، فأَرباضُها مِن مثاوي آلِ كثيرٍ داخلةٌ في حدودِ ٱلسَّليلِ .

أمَّا حاوي آلِ ٱلحدَّادِ . . فبإزائها إلى ٱلجنوبِ .

وفي شرقيِّها إلى ٱلشَّمالِ : ديارٌ لآلِ عمرَ بنِ سعيدٍ ، تتلوها دِيارٌ لأُناسٍ مِن آلِ عمرَ بنِ سعيدٍ أخرىٰ إلىٰ شمالِها .

وفي شرقيِّ هٰذهِ : قريةٌ تُسمَّىٰ **بالفغوةِ** ، للمشايخِ آلِ باوزيرٍ ، إلَىٰ جانبِها ضريحُ ٱلسَّيِّدِ صالحِ بنِ عيدروسٍ ٱلبحرِ والدِ سيِّدِ ٱلوادي ٱلإمامِ حسنِ بنِ صالحٍ .

وحوالي ٱلفغوةِ مِنَ ٱلجهاتِ : حصونٌ لآلِ كثيرٍ ونخيلٌ منتشرٌ .

وفي جنوبِها حصونُ آلِ سلامةَ بنِ جعفرِ بنِ طالبٍ ، كانت لهم قَبْوَلةٌ حادَّةٌ ، مشوبةٌ بكثيرٍ مِنَ ٱلتَّعدِّي وٱلبغيِ ، حتَّىٰ لقد كانَ جعفرُ بنُ عبودِ بنِ عونٍ ـ وهوَ مِن أواخرِهم ـ يتخطَّفُ صبيانَ ٱلمساكينِ ويبيعُهم علىٰ بني أَرضٍ ، وهم يبيعونَهم علىٰ مَن يذهبُ إلى ٱلقبلةِ وٱلحجازِ ، وقد حاقَ بهِ بغيُهُ حتَّىٰ ماتَ في سجنِ ٱلحكومةِ ٱلكثيريَّةِ .

وحصلَت بينَهم في ٱلأخيرِ مشاغباتٌ وفِتَنٌ داخليَّةٌ ، أَثخنَتهم ، فقلُّوا وذَلُّوا ، وما كادَ أمرُ ٱلإنكليزِ يستفحلُ إلاَّ وقدِ ٱنتهَوا مِن ٱلانحطاطِ إلىٰ قرارِهِ .

ذي أَصبح[1]

هيَ مِنْ قُدامىٰ بلدانِ حَضْرَمَوْتَ ، لها ذِكرٌ عندَ ٱلهَمْدانيِّ وغيرِهِ . وكانَ بها كثيرٌ مِنَ ٱلإِباضيةِ كما ينطقُ بذلكَ ما سبقَ في شبامٍ مِن شعرِ إمامِهم إبراهيمَ بنِ قَيسٍ .

---

(١) **ذو أصبح** : هو اسم لأحد أقيال حمير ، واسمه الحارث بن مالك بن زيد بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر ، سمّي ذا أصبح لأنه غزا عدوّاً وأراد أن يبيته ثم نام دونه حتى أصبح الصباح ثم قال لجيشه أصبح ، فسمّي ذا أصبح . وهو الذي أحدث السياط الأصبحية . . فنسبت إليه . هٰذا ما قاله نشوان في شرح قوله :

أم أيـــن ذو قيفـــان أو ذو أصبـــحِ ‏ ‏ ‏ ‏ لـــم ينـــج بـــالإمســـاء والإصبـــاح

« خلاصة السيرة الجامعة » : (ص١٩٣) . وهناك أقوال أخرىٰ .

واقتصرَ الطَّيِّبُ بامخرمةَ في كتابه « نسبة البلدان » [خ/١٢٤] علىٰ قولهِ : (وذي أصبح قريةٌ بحضرموتَ لآلِ باعبَّادٍ) اهـ

وصدقَ في قولهِ : (لآلِ باعبَّادٍ) ؛ فكلُّ مَن أرادَ أن يبنيَ بها. . لابدَّ وأن يأخذَ إجازةً منهم ؛ لأنَّ أراضيَها مِن جملةِ أوقافِهم ، ولـٰكنَّها قدِ اندثرَت وجُهِلت مقاديرُها ، وكثيرٌ مِن بقاعِها .

وجامعُها الموجودُ الآنَ هوَ مِنْ بناءِ المكرَّمِ عونِ بن سعيدِ بنِ روَّاسٍ السَّابق ذِكرُهُ بالحزمِ .

ومِنها كانَ العلاَّمةُ الجليلُ الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ سعدِ بنِ سميرٍ ، وهوَ الشَّيخُ (١٩) مِن مشايخ سيِّدي الأُستاذِ الأبرِّ ، توفِّي سنةَ (١٢٦٢هـ) ، وخَلَفَهُ عِلماً وصلاحاً ولدُهُ العلاَّمةُ سالمُ بنُ عبدِ اللهِ ، وكانَ السَّيِّدُ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ يحيىٰ جعلَهُ وزيراً للسُّلطانِ عبدِ اللهِ بنِ محسنِ بنِ أحمدَ حينَما كان نائباً عن أخيهِ غالبٍ في أوائلِ دولتِهم ، واشترَط عليهِ أن لا يخرجَ عن رأيهِ ، وأن لا يخلوَ بأحدٍ إلاَّ وهوَ معَهُ ، فبقيَ علىٰ ذلكَ مدَّةً يطالعُ السَّيِّدَ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ فيها بكلِّ ما يجري ، ويُنَفِّذُ كلَّ ما يُشيرُ بهِ عليهِ ، ولـٰكنَّ السُّلطانَ عبدَ اللهِ لم يقدِر علىٰ ذلكَ. . فنقضَهُ ، وكانَ السَّيِّدُ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ يرشحهُ لقضاءِ تريم ليكونَ تحتَ إشارتهِ في كلِّ كبيرٍ وصغيرٍ ، ولـٰكن كانَ أَهلُ تريم وفي مقدِّمتِهمُ الجليلُ عبدُ اللهِ بنُ حسينٍ بلفقيهِ ـ الشَّيخُ (١٢) للأُستاذِ الأبرِّ ـ مخالفاً للسَّيِّدِ عبدِ اللهِ بنِ يحيىٰ على خطٍّ مستقيمٍ ؛ حتَّىٰ لو قالَ أَحدُهما : (تمرة). . لقالَ الآخرُ : (جمرة) ، وما نظنُّ بهما إلاَّ الحقَّ ، غيرَ أَنَّ الهوىٰ يصوِّرُ الشَّيءَ في عينِ صاحبهِ بغيرِ ما هوَ عليهِ ، وكلٌّ يُؤخَذُ مِن كلامِهِ ويُترَكُ .

وكانَ الشَّيخُ عبدُ اللهِ أَحمدَ باسودانَ يفضِّلُ بلفقيهِ في سعةِ العلمِ وغزارةِ المادَّةِ .

ثمَّ إنَّ الشَّيخَ سالمَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ سميرٍ توجَّهَ إلىٰ جاوة وماتَ ببتاوي في سنةِ (١٢٧٠هـ) .

وبذي أَصبح سَكَنَ قطبُ الجودِ ، وكعبةُ الوفودِ ، سيِّدُنا الإمامُ حسنُ بنُ صالحٍ

ٱلبحرُ[1] ، لقد كانَ عَلَمَ هدىً ، ومصباحَ دُجىً ، ومناطَ آمالٍ ، وحمَّالَ أثقالٍ ، وغرَّةَ زمانٍ ، وحِرزَ أمانٍ ، ومعقلَ إيمانٍ ، عَقَلَ ٱلدِّينَ عَقْلَ وِعَايةٍ ورعايةٍ ، لا عَقْلَ تدريسٍ وروايةٍ ، أمَّا ٱلعبادةُ . . فيبيتُ صافّاً قدميهِ إذا ٱستثقلت بٱلمؤمنينَ الوسادةُ .

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا ٱسْتَثْقَلَتْ بِٱلْمُخْلِصِينَ ٱلْمَضَاجِعُ

فلَو زُلزلتِ ٱلأرضُ زِلزالَها . . لَم يَشعرْ بشيءٍ معَ ٱستغراقهِ بٱلتَّهجُّدِ ، ولقد جَرَتْ لَهُ في ذلكَ أخبارٌ لا نُطيلُ بها ، مِنْ جنسِ ما وقعَ لابنِ ٱلزُّبيرِ ؛ إذ صَبُّوا علىٰ رأسهِ ٱلماءَ ٱلشَّديدَ ٱلحرارةِ لمَّا ٱتَّهموهُ بٱلرِّياءِ وهوَ ساجدٌ فما أحسَّ بهِ .

ولقد كانَ يُصلِّي مرَّةً ومِنْ ورائِهِ ٱلحبيبُ محمَّدُ بنُ أحمدَ ٱلحَبْشيُّ وأخوهُ صالحٌ وعتيقٌ ـ ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ ، ٱلَّذي كانَ لا يجازفُ قِيدَ شعرةٍ في تصويرِ ٱلرِّجالِ ـ ولمَّا فَرغوا . . قالَ عتيقٌ : لقد تَمثَّلتُ واحداً نثرَ أمامنا صُرَّةً مِنَ ٱلرِّيالاتِ ونحنُ نُصلِّي ، فقلتُ في نَفْسي : أمَّا حسنٌ . . فلَن يَشعرَ بها أصلاً ، وأمَّا صالحٌ . . فسيُطاعِنُ عليها ، وأمَّا محمدٌ . . فسيجمعُ بيديهِ ويقولُ : سبحانَ ٱللهِ ، سبحانَ ٱللهِ ، فبكىٰ محمَّدٌ وقالَ : لقد جعلتَني شرَّهُم ؛ إذْ تلكَ سِمةُ ٱلمنافقينَ .

وما تفرَّسَهُ عتيقٌ هوَ عينُ ٱلحقيقةِ ؛ أمَّا ٱلإمامُ ٱلبحرُ . . فقد زمَّتِ ٱلتَّقوىٰ أُمورَه ، وٱمتلكَ ٱلإحسانُ شعورَه ، فما هوَ إلاَّ مَلَكٌ في ٱلمعنىٰ وإن بقيَ إنساناً في ٱلصورة .

فَمَا دَهْرُهُ إلاَّ جِهَادٌ يَقُودُهُ لإِحْقَاقِ حَقٍّ أَوْ صَلاَةٍ يُقِيمُهَا[2]

كلّما حَزَبَهُ أمرٌ . . فَزِعَ إلى ٱلصَّلاةِ ، فيَصيرُ عندها ٱلجبلُ ٱلخشامُ[3] كرَمْلِ ٱلفلاةِ .

وأمَّا ٱلشَّجاعةُ : فقد رادىٰ جبالَ ٱلجورِ فأزالَها ، وكانَ لهاشمٍ في ٱلنَّجدةِ مثالَها :

رَسَا جَبَلاً فِي ٱلدِّينِ فَهْوَ بِنَصْرِهِ إِذَا مَا تَرَاخَى ٱلصَّادِقُونَ مُكَلَّفُ

---

(١) أفرده بالترجمة أستاذه ومعلمه الفقيه الشيخ عبد الله بن سَعْد بن سُمَير في كتاب سمّاه : « قلادة النحر في مناقب الحسن بن صالح البحر » .

(٢) البيت من الطَّويل .

(٣) الخشام : العظيم .

تَـرَىٰ مَلَكـاً فِـي بُـرْدَتَيْـهِ وَتَـارَةً ... تَرَى ٱللَّيْثَ مِنْ أَعْطَافِهِ ٱلْمَوْتُ يَنْطف
إِذَا سَـارَ هَـزَّ ٱلأَرض بَـأْسـاً وَقَلْبُـهُ ... إِذَا قَامَ فِي ٱلمِحْرَابِ بِٱلذِّكْرِ يَرْجُفُ
يَلُـوحُ ٱلتُّقَـىٰ فِـي وَجْهِـهِ فَكَـأَنَّـهُ ... سَنَـا قَمَـرٍ أَوْ بَـارِقٌ يَتَكَشَّـفُ

فكثيراً ما قادَ ٱلكتائبَ للطِّعانِ ، ونصبَ صدرَهُ للأَقْرانِ ، فلقد صدَّ عادِيَةَ قومٍ في غربيِّ شِبَام جاؤوا ليجتاحوا حضرموت ، وأوقعَ بهم شرَّ هزيمةٍ ، وقد أشكلَ عليَّ أَمرُ أُولئكَ أوَّلاً ، يمكنُ أَن يكونَ ٱلمكارمَةُ ٱلَّذينَ جاؤوا في سنةِ (١٢١٨هـ) ، وٱلنَّاسُ يقولونَ : إِنَّهم ٱلوهَّابيَّةُ ، ولٰكنَّ بعضَ أهلِ حضرموتَ يُطلقونَ على ٱلمكارمَةِ ٱلباطنيَّةِ لقبَ : ٱلوهَّابيَّة ؛ لأنَّهم لا يفرِّقونَ بينَهم ـ علىٰ ما بينَهم مِنَ ٱلبونِ ـ فٱلصَّوابُ ـ كما يُعرفُ من بعضِ ٱلمسوَّداتِ ـ : أَنَّهُم ٱلمكارمةُ ، جاؤوا هاجمينَ مرَّةً أُخرىٰ غيرَ ٱلأُولىٰ فَكَسرَهُم ، ولٰكنَّ ٱلَّذي نقلَهُ والدي عَنِ ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ : أَنَّ بعضَ آلِ كثيرٍ قاوَموا ٱلوهابيَّةَ ، وساعدَهم بعضُ ٱلسَّادةِ ، وحملوا ٱلسِّلاحَ ، وجُرحَ ٱلسَّيِّدُ شيخُ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلحبشيُّ جُرحاً خطيراً ، فشفاهُ ٱللهُ بدعاءِ سيِّدِنا ٱلحسنِ ٱلبحرِ ، ولم يفصِح سيِّدي ٱلوالدُ فيما كتبَهُ بأَنَّ أَميرَ ٱلقومِ إِذ ذاكَ هوَ سيِّدُ ٱلوادي مولاَنا ٱلحسنُ ٱلبحرُ ، ولٰكنَّني سمعتُ مِن لسانهِ ذاتَ ٱلمرَّاتِ أَنَّهُ هوَ ، وقد مرَّتِ ٱلإِشارةُ إِليهِ في حوره .

وكانَ سيِّدُنا ٱلحسنُ ٱلبحرُ لا يقرُّ علىٰ كَظَّة ظالمٍ ، ولا علىٰ سَغَبِ مظلوم[1] ، ولقد جَمَعَ كلمةَ ٱلشَّنافرِ بعدَ جُهْدٍ جهيدٍ علىٰ ردِّ ٱلحقوقِ وإِقامةِ ٱلحدودِ ، وأَخذَ منهُمُ ٱلعهودَ وٱلرَّهائنَ ، حتَّىٰ توجَّهَ علىٰ رئيسٍ منهُم قصاصٌ في قتلٍ ، ولمَّا صمَّمَ على ٱستيفائِهِ . . ٱحتالَ بعضُهُم على ٱمرأةِ ٱلمقتولِ ـ وكانت أجنبيَّةً ـ فعفَتْ ، فدخلَ ٱلوَهَنُ علىٰ تلكَ ٱلجمعيَّةِ ؛ لأَنَّ أَكثرَهُم بسطاءُ لا يفهمونَ ، ولو أَنَّهُ ٱطَّلعَ علىٰ قولِ بعضِهم بِتَحَتُّمِ ٱلقِصاصِ إِذا ٱلتزمَ ٱلكاملونَ مِنَ ٱلورثةِ بنصيبِ ٱلقاصرينَ ، أَوِ ٱلَّذينَ يَعفونَ مِنَ ٱلدِّيَةِ . . لأَخذَ بهِ ؛ لأَنَّهُ معَ قوَّةِ عزيمتِهِ كانَ مِن أهلِ ٱلاجتهادِ وٱلتَّرجيحِ .

وكانَ لا يقومُ أَحدٌ لِغَضَبِهِ إِذا ٱنتُهِكَتْ حرمةُ ٱللهِ أَوِ ٱعْتُدِيَ علىٰ من لا ناصرَ لهُ

---

(١) **الكظَّةُ** : امتلاء البطن حتى لا يستطيع معه التنفُّسَ . السغب : الجوع . **والمعنىٰ** : لا يترك الظالمَ ظالماً ، ولا المظلومَ مظلوماً . . بل سرعان ما يأخذ الحق من الظالم ويرده للمظلوم .

سواهُ ، وكانَ لا يخاطبُ عبدَ ٱللهِ عوض غرامة فمَنْ دونَهُ مِنَ ٱلرُّؤساءِ في ٱلمَعْتَبَةِ إلاَّ بٱسمهِ ، مجرَّداً عن كلِّ صفةٍ ، يَسكتُ لغرامَةَ علىٰ آرائِهِ ٱلوهَّابيَّةِ ؛ لأَنَّ بعضَها يوافقُ ما عندَهُ من تجريدِ ٱلتَّوحيدِ ، ولـٰكنْ لا هوادةَ لَهُ عندَهُ متى ٱنبسطتْ يدُهُ في ظُلمِ مَنْ لا ناصرَ لَهُ إلاَّ ٱللهُ ، فهوَ ركنُ ٱلإِسلامِ ، وموئلُ ٱلأَنامِ .

تَـرَى ٱلنَّـاسَ أَفْـوَاجـاً إِلَـىٰ بَـابِ دَارِهِ ... كَـأَنَّهُـمُ رِجْـلاَ دَبـىً وَجَـرَادِ[1]

قلَّما تجدُ جِذعاً مِنَ ٱلنَّخيلِ ٱلحافَّةِ بدارهِ إلاَّ مربوطاً بها ـ في أَيَّامِهِ ـ حصانٌ أو حمارٌ .

ولقد رأَىٰ كثرَةَ ٱلوفودِ مرَّةً ببابهِ . . فخرجَ بمنجلِهِ يحتطبُ ، ثمَّ جاءَ أَمامَهم بحزمةٍ علىٰ رأسهِ ، وقالَ لبعضِ خاصَّتِهِ : لقد أَعجبَتني نفسي فعمَدتُ إلىٰ وقذِها ، ومازالَ بها حتَّىٰ أماتَها كما فعلَ ٱبنُ ٱلخطَّابِ رضي الله عنه .

وإِنْ كانَ ليقومُ بٱلمصحفِ في ٱلجامعِ ، فقالَ لهُ ٱلسَّيِّدُ عقيلُ ٱلجفري ـ وكانَ آيةً في ٱلإِخلاصِ وٱلنُّصحِ ـ : نِعمَ هـٰذا لو كانَ في بيتِكَ ، فما أجابَهُ إلاَّ بقولِ ٱبنِ ٱلفارضِ [في « ديوانه » ٤٦ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَـأَبْثَثْتُهَـا مَـا بِـي وَلَـمْ يَـكُ حَـاضِـرِي ... رَقِيـبٌ لَهَـا حَـاظٍ بِخَلْـوَةِ جَلْـوَتِـي

فَٱقتَنَعَ ؛ إذ كانَ لا يختلجُهُ أَدنىٰ رَيبٍ في صِدقِهِ .

وبحقٍّ يقولُ فيهِ ٱلإِمامُ ٱلمحضارُ :

وَمَـنْ فِـي (ذِي صَبَـخْ)[2] أَصْبَـخْ ... وَذَبَّـاحٌ بِهَـا يِـذْبَـخْ
وَطَبَّـاخٌ بِهَـا يِطْبَـخْ ... وَبُـو صَـالِـحْ بِهَـا يِنْضَـخْ[3]

بِـلاَ عُجْـبٍ وَلاَ كِبْـرِ

---

(١) البيت من الطَّويل ، وهو لأَبي نواس في « ديوانه » (٤٧٢) . الرِّجْلُ : القطيع من الجراد ونحوه من الخلق . الدَّبىٰ ـ جمع دباة ـ وهي : أَصغر ما يكون من الجراد والنَّمل .

(٢) ذي صَبَخْ : هكذا ينطق اسم البلدة عند العامة .

(٣) إما بالحاء المهملة من النضح ، أو (ينذخ) بذال وخاء ؛ أي : يعطي ويقسّم .

وكانَ في ٱلجودِ آية ، وفي ٱلشَّفقةِ بالأيامَىٰ واليتامَىٰ والضِّعافِ غاية ، وإنْ كانَ جاهُهُ ٱلضَّخمُ في آخرِ أيَّامهِ ليدرُّ عليهِ بالأموالِ ٱلطَّائلةِ مِنْ شرقِ ٱلأرضِ وغربِها ، ثُمَّ لا يَبيتُ عندهُ دِينارٌ ولا درهمٌ ، ولقد أرادَ جماعةٌ مِنْ مُحبِّيهِ أنْ يَشتروا لَهُ عقاراً . . فغضبَ عليهم .

ووَرَدَهُ مرَّةً ألفُ ريالٍ[1] فلَم يُمْسِ منهُ شيءٌ .

جُــودٌ يُحَــرِّكُ مِنْــهُ كُــلَّ عَــاطِفَــةٍ   وَرَحْمَـةٌ رَفْـرَفَـتْ مِنْـهُ عَلَـى ٱلأُمَـمِ[2]

ولقد كادَ معَ وقارِ ركنهِ يطيرُ طرباً عندما تمثَّل لَهُ جدِّي في مناسبةٍ بقولِ جوبةَ بنِ ٱلنَّضرِ [مِنَ البسيطِ] :

إنَّــا إذا ٱجْتَمَعَــتْ يَــوْمــاً دَرَاهِمُنَــا   ظَلَّــتْ إِلَــىٰ طُــرُقِ ٱلْمَعْــرُوفِ تَسْتَبِــقُ

لا يَعْـرِفُ ٱلـدِّرْهَـمُ ٱلْمَضْـرُوبُ صُـرَّتَنَـا   لَكِــنْ يَمُــرُّ عَلَيْهَــا وَهْــوَ مُنْطَلِــقُ

لأنَّ ذلكَ حالُهُ رضوانُ ٱللهِ عليهِ ، لا ينزلُ موضعاً إلاَّ عمَّهُ نوراً ، وملأهُ سروراً .

إنْ ضَــنَّ غَيْــثٌ أَوْ خَبَــا قَمَــرٌ   فَجَبِينُـــــهُ وَيَمِينُـــــهُ ٱلْبَـــــدَلُ[3]

ولَهُ مِنَ ٱلتَّحنُّنِ على ٱلفقراءِ ما مِنْ أمثلتهِ : أنَّ جدِّيَ ٱلمحسنَ طلبَ يدَ بنتهِ بهيَّةَ ، فعملَ لَهُم ضيافةً حسبَ ٱلعادةِ ، وبينما هوَ في ٱنتظارهم . . أطلَّ مِنَ ٱلنَّافذةِ ، فإذا ٱلدَّارُ محفوفٌ بالنَّظَّارةِ مِنَ ٱلمساكينِ ، فأمرَ بإدخالِهم وتقديمِ ٱلطَّعامِ لَهم ، ثمَّ لمَّا أقبلَ جدِّي بخيولِهِ ومركبِهِ وطبولِهِ . . ٱستأنفَ لَهمُ ٱلذَّبائحَ والطَّبخَ . ولهُ مِن هٰذا ٱلنَّوعِ أمثالٌ كثيرةٌ ، يُعظِّمُ أهلَ ٱلدِّينِ ، ويُكرمُ ٱلفقراءَ والمساكينَ ، وإنْ كانَ ٱلأغنياءُ والرُّؤساءُ في مجلسهِ لأذلَّ منهُم في مجلسِ سفيانَ ٱلثَّوريِّ ، وأخرجَ أبو نعيم [٦/ ٣٦٥] بسندهِ إلىٰ عيسى بنِ يونسَ قال : (ما رأينا ٱلأغنياءَ والسَّلاطينَ في مجلسٍ قطُّ أحقرَ مِنهم في

---

(١) من الريالات الفرانصة (ماريا تريزا) المتداولة آنذاك .

(٢) البيت من البسيط ، وهو لأبي تمّام في « ديوانه » (٢/ ٩٧) . باختلاف بسيط .

(٣) البيت من الكامل وهو للطُّغرَائِيِّ في « ديوانه » ، وفيه لفٌّ ونشر مشوَّش ، إذ ذكر في الشطر الأوَّل الغيث والقمر ، ثمَّ ذكر في الشَّطر الثَّاني الوجه واليمين ، ويناسب الغيث . . اليمين ، ويناسب القمر . . الوجه ، والله أعلم .

مجلسِ ٱلأعمشِ ، وهوَ محتاجٌ إلىٰ درهمٍ) ، ولئن صَحَّ هـٰذا أو لا . . فقد جاءَ ٱلعِيانُ بسيِّدِ ٱلوادي فألوَىٰ بالأسانيدِ .

مَنَـاقِـبُ يُبْـدِيهَـا ٱلْعِيَـانُ كَمَـا تَـرَىٰ   وَإِنْ نَحْـنُ حَـدَّثْنَـا بِهَـا دَفَـعَ ٱلْعَقْـلُ[1]

وقدِ ٱعترفَ ٱلسَّيِّدُ أحمدُ بنُ عليٍّ ٱلجنيدُ ـ وهوَ مِنْ أقرانِهِ ـ بٱلعيِّ عن وصفِ ما شاهدَهُ مِنْ أعمالِهِ وٱجتهادِهِ في سفرِهِ . . فكيفَ بمِثلي ؟

وهوَ بذلكَ جديرٌ ؛ إذِ ٱلإمامُ ٱلبحرُ أكبرُ مِن قولِ أَبي ٱلطَّيِّبِ [في « العكبريّ » ١/ ٣٥٢ مِنَ ٱلبسيطِ] :

لَـمْ أُجْرِ غَـايَـةَ فِكْـرِي مِنْـهُ فِـي صِفَـةٍ   إِلاَّ وَجَـدْتُ مَـدَاهَـا غَـايَـةَ ٱلأَبَـدِ

علىٰ أنَّني لا أُريدُ مِنْ عدمِ ٱلنَّفادِ إلاَّ ضيقَ العبارةِ عن سعةِ ٱلمعاني ، وإلاَّ . . فكلُّ شيءٍ في ٱلحياةِ نافدٌ ما عداهُ جلَّ جلالُهُ .

وكانَ جدِّي ٱلمحسنُ كثيراً ما يقولُ : إنَّنا لا نعني ٱلجوارحَ إلاَّ بطريقِ ٱلمجازِ عندما نقولُ : ٱللَّهُمَّ متِّعنا بأسماعِنا وأبصارِنا ، وأمَّا على ٱلحقيقةِ . . فلا نقصدُ إلاَّ حسنَ بنَ صالحٍ ، وأحمدَ بنَ عمرَ بنِ سميطٍ ، وعبدَ ٱللهِ بنَ حسينِ بنِ طاهرٍ ، فهـٰؤلاءِ ٱلثَّلاثة هُم أركانُ ٱلإسلامِ وٱلشَّرفُ لذلكَ ٱلعهدِ ، فللهِ درُّ ٱلبحتريِّ في قولِهِ [في « ديوانِهِ » ٢/ ٧٧ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَأَرْكَانُهُمْ أَرْكَانُ (رَضْوَىٰ) (وَيَذْبُلٍ)   وَأَيْـدِيهِـمُ بَـأْسُ ٱللَّيَـالِـي وَجُـودُهَـا

وقد كانَ بينَهُم مِنَ ٱلتَّصافي وٱلاتِّحادِ ما يُشبهُ ٱمتزاجَ ٱلماءِ بٱلرَّاحِ ، وٱلأجسامَ بٱلأرواحِ ، وكلُّ واحدٍ منهم أُمَّةٌ تنكشفُ بِهِ ٱلغُمَّةُ .

لَعَمْـرُكَ مَـا كَـانُـوا ثَـلاَثَـةَ إِخْـوَةٍ   وَلَـكِنَّهُـمْ كَـانُـوا ثَـلاَثَ قَبَـائِـلِ[2]

وٱلمفاضَلةُ بينَهُم لا تليقُ بمِثلي ، ومِنْ دونِ ذلكَ ٱلفلواتُ ٱلفيحُ وٱلعقباتُ

---

(١) البيت من الطَّويل ، وهو لأَبي الفتح البستيِّ في « ديوانه » .

(٢) البيت من الطويل ، وهو من قطعة لأَبي تمّام في « ديوانه » (٢/ ٣٢٢) ، وما أجمل توافق الاستشهاد بهـٰذا البيت مع من ذكرهم من الأعلام وكانوا ثلاثة! .

ٱلكأداءُ ، غيرَ أَنَّ ما يتفضَّلُ بهِ علينا ٱلتَّاريخُ مِنْ يومٍ إِلىٰ آخَرَ يَجعلُنا لا نعدلُ بٱلحبيبِ حسنٍ أَحداً ، لا في شهامتهِ ، ولا في شدَّتهِ في ٱللهِ ، ولا في قوَّةِ ثقتهِ بهِ وفرطِ توكُّلهِ عليهِ وتفانيهِ في مواقعِ رضاهُ .

وبهـٰذهِ ٱلمناسبةِ ذكرتُ شيئين :

أَحدهما : ما رواهُ غيرُ واحدٍ أَنَّ ٱلإمامَ أَبا حنيفةَ سُئِلَ عَنِ ٱلأسودِ وعلقمةَ وعطاءَ أَيُّهم أَفضلُ ؟ فقالَ : وٱللهِ ما قدري أن أَذْكُرَهم إلاَّ بٱلدُّعَاءِ وٱلاستغفارِ ؛ إِجلالاً لهم ، فكيفَ أُفاضِلُ بينَهم ؟

هـٰذا ما يقولهُ أبو حنيفةَ عن هضمٍ للنَّفسِ فيما نخالُ ، وإذا نحنُ قلنا نحوَهُ في أَمثالِ هـٰؤلاءِ . . فإنَّما نتحدَّثُ بٱلواقعِ ، ونُخبرُ عنِ ٱلحقيقةِ ؛ لأنَّ ٱلحُكمَ بٱلشَّيءِ فرعُ تصوُّرِهِ ، وٱلأمرُ كما قالَ ٱلبوصيريُّ [مِنَ ٱلخفيفِ] :

فَـوَرَى ٱلسَّـائِـرِيـنَ وَهُـوَ أَمَـامِـي   سُبُـــلٌ وَعْـــرَةٌ وَأَرْضٌ عـــرَاءُ

وٱلثَّاني : ما ذكرَهُ ٱبنُ ٱلسُّبكيِّ في « طبقاتِهِ » [٥/٣٥٣] وياقوتُ في مادَّةِ (ٱلمَقْدِسِ) من « معجمهِ » [٥٤/١٧٢] وغيرُهما ـ عن بعضِ أَهلِ ٱلعِلْمِ قالَ : (صحبتُ أَبا ٱلمعالي ٱلجوينيَّ بخراسانَ ، ثمَّ قدمتُ ٱلعراقَ ، فصحبتُ ٱلشَّيخَ أَبا إِسحاقَ ٱلشِّيرازيَّ ، فكانت طريقتُهُ عندي أَفضلَ مِنْ طريقةِ ٱلجوينيِّ ، ثمَّ قدمتُ ٱلشَّامَ فرأَيتُ ٱلفقيهَ أَبا ٱلفتحِ نصرَ بنَ إبراهيمَ ٱلمقدسيَّ ، فكانت طريقتُهُ أَحسنَ مِنْ طريقتهما جميعاً) .

وقد ميَّلتُ بينَ ٱلجوينيِّ وٱلشِّيرازيِّ في « ٱلعودِ ٱلهنديِّ » قبلَ ٱطِّلاعي علىٰ هـٰذا بزمانٍ طويلٍ بما لا يبعدُ عنهُ ، وماظنِّي بٱلرَّاوي لَو ٱطَّلع على ثلاثتنا . . إِلاَّ تفضيلهم في ٱلتَّقوىٰ وٱلدِّينِ ، وإِنْ كانَ أُولئكَ أَغزرَ في ٱلعِلْمِ .

فَمَـا كَـانَ بَيْـنَ ٱلْهُضْـبِ فَـرْقٌ وَبَيْنَهُـمْ   سِوَىٰ أَنَّهُـمْ زَالُـوا وَمَـا زَالَـتِ ٱلْهُضْـبُ

وكلاَّ وٱللهِ لم يزولوا ولـٰكنَّهُمْ ٱنتقلوا فعولوا ، وقد جاءَ فيما يقولوا [مِنَ ٱلكامل] :

وَإِذَا ٱلْكَـرِيـمُ مَضَـىٰ وَوَلَّـىٰ عُمْـرُهُ   كَفِـلَ ٱلثَّنَـاءُ لَـهُ بِعُمْـرٍ ثَـانِـي

وما أَحسنَ قولَ أَبي ٱلقاسمِ ٱبن ناقياء في رثائِهِ لأَبي إِسحاقَ ٱلشِّيرازيِّ [مِنَ ٱلكامل] :

إِنْ قِيـلَ مَـاتَ فَلَـمْ يَمُـتْ مَـنْ ذِكْـرُهُ   حَـيٌّ عَلَـىٰ مَـرِّ ٱللَّيَـالِـي بَـاقِـي

والله أعلم بحقائق الأمور والمطّلع على خفيّ ما في الصدور .

ولمّا توفّي في سنة (١٢٧٣هـ) بقرية ذي أصبح عن عدّة أولاد . . لم يرث حالَهُ منهم إلاّ ولدهُ عبد الله[١] ، وكان يسمّيه : قرّة العين ، بسبب أنّه وصل لَهُ مالٌ دثرٌ فقال لأولاده : خذوا ما شئتم ، فكلٌّ أخذ من الرّيالات ما يقدرُ على حمله . . إلاّ عبد الله[٢] فإنّه اقتصر على طلب الدّعاء بالثّبات على الإيمان ، فقال لَهُ : قرّتْ بك عيني يا ولدي ، فأطلق عليه ذلك اللقب من يومئذٍ ، فكان هو خليفتَهُ ووارث سرّه .

أَبْقَى لَنَا الْعَبَّاسُ غُرَّتَكَ ابْنَهُ ... مَرْأًى لَنَا وَإِلَى الْقِيَامَةِ مَسْمَعَا[٣]

لقد كانَ رُكْنَ إسلامٍ ، وطودَ تقوىً ، وعمودَ محرابٍ ، وثمال أيامى ، وموئل يتامى ، ومعاذ مظلومٍ . . وحامي حمىً ، وحارسَ حدودٍ .

مُزَايِدُ نَفْسٍ فِي تُقَى اللهِ لَمْ تَدَعْ ... لَهُ غَايَةً فِي جِدِّهَا وَاجْتِهَادِهَا[٤]
فَمَا مَالَتِ الدُّنْيَا بِهِ حِينَ أَشْرَقَتْ ... لَهُ فِي تَنَاهِي حُسْنِهَا وَاحْتِشَادِهَا
لَسَجَّادَةُ السَّجَّادِ أَحْسَنُ مَنْظَراً ... مِنَ التَّاجِ فِي أَحْجَارِهِ وَاتِّقَادِهَا

لقد كانَ يستجهرُ النّاسَ بوسامته وما على جبينه من آثار القبول وارتسامه ، ولاسيّما إذا قامَ في محفلٍ يُذكّرُهم بالجلالة ، بوجهٍ جميلٍ ، عاليه جلالةٌ ، وتغشاهُ من الأنوار هالةٌ .

مِنَ الْبِيضِ الْوُجُوهِ بَنِي عَلِيٍّ ... لَوَ انَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاؤُوا[٥]
هُمُ حَلُّوا مِنَ الشَّرَفِ الْمُعَلَّى ... وَمِنْ كَرَمِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاؤُوا

---

(١) ينطق بكسر الدال وترقيق اللام الأولى ؛ (عبدِ اللاّه) .
(٢) ينطق بكسر الدال وترقيق اللام الأولى ؛ (عبدِ اللاّه) .
(٣) البيت من الطّويل ، وهو لأبي الطّيّب المتنبّي في « العكبريّ »(٢/ ٢٦٨) ، والمعنى : قد خلّف ـ أبوك ـ العبّاس طلعتك ، يا ابنه ؛ فهو على حذف حرف النّداء ؛ أي : قد خلّف طلعتك لنشاهد فضلك وكرمك ، وليبقى ذكرها إلى يوم القيامة .
(٤) الأبيات من الطّويل ، وهي للبحتريّ في « ديوانه » (١/ ١٢٧ـ١٢٨) .
(٥) البيتان من الوافر .

تزيدُهُ تلكَ ٱلسَّجَّادةُ نوراً ، فتمتلىءُ بمرآهُ ٱلقلوبُ سروراً ، وما زالَ كأَبيهِ عَلَمَ ٱلمهتدينَ ، وأُسوةَ ٱلمقتدينَ ، ومنهلَ ٱلشَّاربينَ ، ومأمَنَ ٱلخائفينَ إِلىٰ أَنْ دعاهُ ٱلحِمامُ[1] ، وهوَ يُردِّدُ كلمةَ ٱلإِسلامِ بقريتهِ ذي أَصْبَح ، في سَنَةِ (١٣١٩هـ) عن غيرِ أولادٍ ذكورٍ .

وكانت صغرىٰ بناتهِ ، وموضعَ رعايتهِ ، وأَحبهنَّ إِليهِ.. هيَ زوجتي ٱلمُعِمَّةُ ٱلمُخْوِلةُ ؛ إِذْ كانت أُمُّها هيَ ٱلبرَّةُ ٱلتَّقيَّةُ رقوانُ بنتُ سيِّدِنا ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ ، ٱلمتوفَّاةُ علىٰ أَبلغِ ما يكونُ مِنَ ٱلثَّباتِ على ٱلإيمانِ في ٱلحجَّةِ مِن سَنةِ (١٣٦٢هـ) .

تَخَيَّـرْتُهَـا مِـنْ بَنَـاتِ ٱلْكِـرَامْ وَمِـنْ أَشْـرَفِ ٱلنَّـاسِ عَمّـاً وَخَـالاَ[2]

وهيَ أُمُّ أَولادي : حسنٍ ، ومحمَّدٍ ، وعيدروسٍ ، وأَحمدَ ، وعلويٍّ ، وشقائِقِهم ٱلموجودينَ ٱليومَ ، وقد ماتَ لي منها : بَصْريٌّ ، وٱشتدَّ حزني عليهِ ، ورثيتُهُ بعدَّةِ مراثٍ توجدُ بمواضِعِها مِنَ « ٱلدِّيوانِ » ، وعليٌّ ، ورثيتُهُ بمرثاةٍ واحدةٍ ، وأكبرُ وَجْدِي عليهِ ؛ لأَنَّهُ جدَّدَ ٱلجروحَ ٱلَّتِي لم تكن لتندَمِلَ علىٰ بصريٍّ [مِنَ الطَّويلِ] :

فَمَـا سَرَّ قَلْبِـي مُنْذُ شَطَّـتْ بِـهِ ٱلنَّـوَىٰ نَعِيـمٌ وَلاَ كَـأْسٌ وَلاَ مُتَصَـرَّفُ
وَمَـا ذُقْـتُ طَعْـمَ ٱلْمَـاءِ إِلاَّ وَجَـدْتُـهُ سِوَىٰ ذَلِـكَ ٱلْمَـاءِ ٱلَّـذِي كُنْـتُ أَعْـرِفُ
وَلَـمْ أَشْهَـدِ ٱللَّـذَّاتِ إِلاَّ تَكَلُّفَـاً وَأَيُّ نَعِيـمٍ يَقْتَضِيـهِ ٱلتَّكَلُّـفُ

وقد أشرتُ في بعضِ مراثيهِ إِلىٰ تكذيبِ زهيرِ بنِ جنابٍ في قولِهِ [في « ديوان الحماسة » ٢/ ١٠٢ مِنَ ٱلوافرِ] :

إِذَا مَـا شِئْـتَ أَنْ تَنْسَـىٰ حَبِيبـاً فَـأَكْثِـرْ دُونَـهُ عَـدَّ ٱللَّيَـالِـي

وممَّا صغَّرَ ٱلمعرِّيَّ في نفسي قولُهُ [في « سقط ٱلزَّند » ٢٠ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَـإِنِّـي رَأَيْـتُ ٱلْحُـزْنَ لِلْحُـزْنِ مَـاحِيـاً كَمَا خُطَّ فِي ٱلْقِرْطَاسِ رَسْمٌ عَلَىٰ رَسْمِ

---

(١) **الحِمام** : الموت .
(٢) البيت من المتقارب .

فَلَهُ ٱليومَ مُنذُ قضىٰ سبعٌ وعشرونَ عاماً ، وٱلجرحُ عانِد ، وٱلصَّبرُ يُعانِد ، ولا أزالُ أتمثَّلُ بقولِ ٱلبهاءِ زُهيرٍ [مِنَ ٱلوافرِ] :

فيـا مَـنْ غَـابَ عَنِّـي وَهْـوَ رُوحِـي ... وَكَيْـفَ أُطِيـقُ مِـنْ رُوحِـي ٱنْفِكَـاكَـا
يَعِـزُّ عَلَـيَّ حِيـنَ أُدِيـرُ عَيْنِـي ... أُفَتِّـشُ فِـي مَكَـانِـكَ لاَ أَرَاكَـا
خَتَمْـتُ عَلَـىٰ وِدَادِكَ فِـي ضَمِيـرِي ... وَلَيْـسَ يَـزَالُ مَخْتُـومـاً هُنَـاكَـا
فَـوَا أَسَفِـي لِجِسْمِـكَ كَيْـفَ يَبْلَـىٰ ... وَيَـذْهَـبُ بَعْـدَ بَهْجَتِـهِ سَنَـاكَـا

ويعجبني قولُ ٱبنِ ٱلرُّوميِّ في رثائِهِ ليحيى بنِ عمرَ بنِ حسينِ بنِ زيدِ بنِ عليٍّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

مَضَـىٰ وَمَضَـى ٱلْفُرَّاطُ مِـنْ أَهْـلِ بَيْتِـهِ ... يَـؤُمُّ بِهِـمْ وِرْدَ ٱلْمَنِيَّـةِ مَنْهَـجُ
فَـلاَ هُـوَ أَنْسَـانِـي أَسَـايَ عَلَيْهِـمُ ... بَلَـىٰ هَـاجَـهُ وَٱلشَّجْـوُ لِلشَّجْـوِ أَهْيَـجُ

وقولُ ٱلمرارِ ٱلعدويِّ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

لَـمْ يُنْسِنِـي ذِكْـرُكُـمْ مُـذْ لَـمْ أُلاَقِكُـمُ ... عَيْـشٌ سَلَـوْتُ بِـهِ عَنْكُـمْ وَلاَ قِـدَمُ

وقد ماتَ لي منها أيضاً غيرُ هـٰذينِ ، ومعَ فرطِ ٱلحزنِ . . فلم نتدرَّع إلاَّ بٱلصَّبرِ ، ولم نستشعر إلاَّ ٱلرِّضا ، ونحتسبُهم عندَ ٱللهِ فرطاً وذخراً ، ونرجو بهم مثلَ ما رآهُ مالكُ بنُ دينارٍ عن بنتِهِ في ٱلدَّارِ ٱلأُخرىٰ :

وَهَـوَّنَ بَعْـضَ ٱلْـوَجْـدِ عَنِّـيَ أَنَّنِـي ... أُجَـاوِرُهُ فِـي دَارِهِ ٱلْيَـوْمَ أَوْ غَـدَا

ويعجبُني قولُ شبيبِ بن شبَّةَ للمهديِّ في ٱلتَّعزيةِ عن بنتٍ : ثوابُ ٱللهِ خيرٌ لك منها ، ورحمةُ ٱللهِ خيرٌ لها منكَ ، وأحقُّ ما صُبِرَ عليهِ . . ما لا سبيلَ إلىٰ ردِّهِ ، وهوَ مثلُ قولِ ٱلآخرِ [مِنَ ٱلكاملِ] :

اِصْبِـرْ نَكُـنْ بِـكَ صَـابِـرِيـنَ فَـإِنَّمَـا ... صَبْـرُ ٱلـرَّعِيَّـةِ بَعْـدَ صَبْـرِ ٱلـرَّاسِ
خَيْـرٌ مِـنَ ٱلْعَبَّـاسِ رَبُّـكَ بَعْـدَهُ ... وَٱللهُ خَيْـرٌ مِنْـكَ لِلْعَبَّـاسِ

وخيرٌ منهُ ما عزَّى ٱلأشعثُ بهِ ٱبنَ أَبي طالبٍ ، وأَشارَ إِليهِ أبو تمَّامٍ بما لا حاجةَ إلى

ٱلإملالِ بهِ ، وقد أشرتُ في بعضِ ٱلمراثي إِلىٰ أَنَّ نصيبي مِنَ ٱلرَّحمةِ كانَ أوفرَ ، وأَنَّ حظَّها مِنَ ٱلرِّضا بقضاءِ ٱللهِ كانَ أكثرَ ، وهيَ كما قالَ حسَّانُ [في « ديوانهِ » ٣٧٧ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

حَصَــانٌ رَزَانٌ مَــا تُــزَنُّ بِــرِيبَــةٍ ... وَتُصْبِحُ غَرْثَىٰ مِنْ لُحُومِ ٱلْغَوَافِلِ[1]

راضيةٌ بعيشِها ، قانعةٌ برزقِها ، مصونةٌ في قَصْرِها ، مِنَ ٱللاَّءِ يقولُ في مِثلِهِنَّ ٱلفرزدقُ [في « ديوانهِ » ١/٤٠٧ مِنَ الكاملِ] :

رُجُحٌ وَلَسْنَ مِنَ ٱللَّوَاتِي بِٱلضُّحَىٰ ... لِذُيُولِهِنَّ عَلَى ٱلطَّرِيقِ غُبَارُ[2]

وكما يقولُ قيسُ بنُ ٱلأسلتِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَيُكْـرِمُنَهَـا جَـارَاتُهَـا فَيَـزُرْنَهَـا ... وَتَعْتَـلُّ عَـنْ إِتْيَـانِهِـنَّ فَتُعْـذَرُ
وَلَيْـسَ بِهَـا أَنْ تَسْتَهِيـنَ بِجَـارَةٍ ... وَلَٰكِنَّهَـا مِـنْ ذَاكَ تَحْيَـا وَتَخْفَـرُ

وقولُ عليَّةَ بنتِ ٱلمهديِّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَمَا خَرَّقَتْ خُفّاً وَلَمْ تُبْلِ جَوْرَباً ... وَأَمَّـا سَـرَاوِيـلاَتُهَـا فَتَمَـزَّقُ

أي : لشدَّةِ لزامِها ؛ مِن فرطِ ٱلصَّونِ وٱلعفافِ .

قائمةٌ بحقِّ ربِّها ، صالحةٌ في دينِها علىٰ جانبٍ واسعٍ مِنَ ٱلمعرفةِ وٱلأدبِ ، لا يَعرِضُ لَها حالٌ إلاَّ تمثَّلَتْ ببعضِ بيتٍ ؛ إِذْ كانَ عندَها مئاتٌ ٱلأطرافِ مِنَ ٱلأبياتِ ،

---

(١) **الحصان** : العفيفة . **الرَّزان** : المرأة الَّتي عليها الثَّبات والوقار . **ما تُزَنُّ** : لا تتَّهم . **غرثىٰ** : جائعة . **الغوافل** : النِّساء الغافلات . والمعنىٰ : لا تأكل لحوم النَّاس لأنَّها لا تتكلَّم في أعراضهم .

(٢) **رجحٌ** : صاحبات عقول راجحة . وظاهر معنى البيت ـ كما في « المثل السائر » (٢/ ٦٢ـ٦٣) ـ أن هؤلاء النساء يمشين هوناً لحيائهن . . فلا يظهر لذيولهن غبار على الطريق . وليس المراد ذلك ، بل المراد أنهن لا يمشين على الطريق أصلاً ؛ أي : إنهن مخبآت لا يخرجن من بيوتهن ، فلا يكون إذاً لذيولهن على الطريق غبار . اهـ بلفظه من « المثل السائر » . وهٰذا من المبحث البلاغي (نفي الشيء بإيجابه) ؛ كقولهم عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تُنثَى فلتاته) وظاهر هٰذا الكلام أنه تكون في مجلس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هفوات . . لٰكنها لا تُنثى ـ أي : تذاع ـ وليس ذلك مراداً البتة ، بل المراد : أنه لا هفوات فيه أصلاً . ومثله بيتنا هٰذا كما في نفس المرجع والله أعلم .

ولـٰكنَّها بالأكثرِ لا تستوفي ٱلبيتَ حفظاً ولا تُقيمُهُ لحناً ، غيرَ أَنَّها متىٰ أَنشدتْ بجملةٍ منهُ . . ذكَّرتني بباقيهِ فأَنشدْتُهُ إِنْ حَضَرْتُ .

وكانَت إِحدىٰ بناتِها ـ وعندَها شيءٌ مِنَ ٱلعلمِ ـ لا تقتدي بها[1] ؛ تزعمُ أَنَّها لا تُحسنُ ٱلضَّادَ ، بل تُبدِلُها ظاءً ، ولـٰكنَّ أكثرَ أهلِ ٱلعلمِ كما ذكرَهُ ٱبنُ كثيرٍ في « تفسيرِهِ » [١/ ٣١] على ٱغتفارِهِ .

وأَنا وإِيَّاها ـ وللهِ ٱلحمدُ ـ في عَيشٍ طيِّبٍ ، وبالٍ رخيٍّ ، وسكونٍ تامٍّ ، ومودَّةٍ ورحمةٍ ، واسترسالٍ ومؤازرةٍ ، لا نختلفُ في شيءٍ قطُّ مِنْ أَمرِ ٱلدُّنْيَا ، وإِليها ـ مع أَنَّها أُمِّيَّةٌ لا تكتبُ ولا تحسبُ ـ أَمرُ ٱلبيتِ كما قضىٰ رسولُ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ بينَ عليٍّ وفاطمةَ ، إِلاَّ أَنَّ مِن شأْنِها :

١ـ بُطءُ ٱلحركةِ ، ومِنْ طبيعتي ٱلاستعجالُ .

٢ـ وهيَ مبتلاةٌ بضياعِ ٱلمفاتيحِ ـ وكلُّها في يدِها ـ فكثيراً ما أَعدمُ حاجتي عندَ طَلبِها .

٣ـ وقد تَقْصُرُ عن فهمِ إِشارتي ولا تستوضحُها ؛ ٱعتماداً علىٰ فهمِها ، أَو خشيةَ أَنْ تقطعَ عليَّ فكراً أَو كتابةً أَو مطالعةً ، مِنْ أَمثلةِ ذلكَ : أَنَّهُ وردني ضيفٌ وهوَ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ عمرَ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ ٱلحبشيُّ بعد ما ترجَّلَ ٱلنَّهارُ[2] ، فأَشرتُ بذَبْحِ جَدْيٍ لا تزيدُ قيمتُهُ عن أَربعِ روبيَّاتٍ ، فذهبَ وَهْمُها إِلىٰ شاةٍ تزيدُ عن ثلاثينَ ، وأَدخلوا ٱللَّحمَ علىٰ حالِهِ لَم تُؤَثِّرْ فيهِ ٱلنَّارُ .

٤ـ وأَنَّها لا تلومُ أحداً مِن أَولادِها . . إِلاَّ كنتُ معَها عليهِ ، ومتى ٱنعكستِ ٱلقضيَّةُ . . كانت معه إِلباً عليَّ ، معَ ٱعتقادِي أَنِّي مصيبٌ في ٱلحالينِ .

أَمَّا مِنْ هـٰذهِ ٱلمواضعِ . . فإِنَّ ٱلشَّيطانَ يجدُ ٱلسَّبيلَ ٱلمَهْيَعَ[3] ، فيُذكي جَمَراتِ ٱلغضبِ ، ويُثيرُ معركةَ ٱلنِّزاعِ ، ويقفُ معَ ٱلنَّظَّارةِ ، ولا تَسَلْ عمَّا يجري حينئذٍ .

وربَّما يكونُ أَوَّلَ ٱلمعركةِ ٱلعتبُ ٱلجميلُ لشيءٍ صغيرٍ من أنواعِ ما تقدَّمَ ، فيحصلُ في

---

(١) أي : في الصلاة .

(٢) ترجَّل النَّهار : ارتفع .

(٣) السبيل المَهْيَع : الطَّريق الواسع .

ٱلاعتذارِ لونٌ مِنَ ٱلتَّلبيسِ ، فعندَ ذلكَ يشتعلُ ٱلوطيسُ ، ويبلغُ ما يريدُهُ ٱلشَّيخُ إبليس .

ومِن سَيِّئَاتِها : أَنَّها لم تغرِس لنفسِها هيبةً في صدورِ أولادِها تعينُها علىٰ ما يجبُ على ٱلأُمِّ مِنَ ٱلتَّأديبِ وٱلتَّثقيفِ وٱلتَّعليمِ وٱلتَّهذيبِ . . بل تُلقي لهُم ٱلحِبَالَ على ٱلغوارِبِ ، فلا تعاتِبُ أحداً علىٰ تقصيرٍ ، ولا تزجُرُهُ عن إساءةِ أدبٍ ، ولا تكلِّفُ أحداً بعملٍ ينفعُهُ عندَ ٱلحاجةِ ، فهيَ تسيءُ إليهم مِن حيثُ تريدُ ٱلإحسانَ .

غيرَ أَنَّهُ يكفُّ مِن ثورتي عليها لذلكَ قولُ ٱلإمامِ مالكٍ : (الأَدبُ أَدبُ ٱللهِ لاَ أدبُ ٱلآبـاءِ وٱلأُمَّهَـاتِ) ، وقـولُ ٱلشَّعـرانـيِّ : (لقـد كنـتُ فـي عنـاءٍ مـن تـأديـبِ ولـدي عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ، حتَّىٰ وكَلتُ أَمرَهُ إلى ٱللهِ . . فصلُحَ) أَو ما يقربُ مِن هـٰذا .

ومن جرَّاءِ ذلكَ : ٱستهانَ ٱلخدمُ بِأَوَامِرِها ؛ ولطالما أشرتُ عليها أَنْ تعزمَ عليهِم بقشرِ ٱلباذنجانِ ٱلأحمرِ ـ لأنِّي أكرهُ قشرَهُ وبذرَهُ ـ . . فلم يفعلوا يوماً ما ، وإِنَّهُ ليأتيني في كلِّ وجبةٍ بقشرِهِ وبِذرِهِ علىٰ ما لا أحبُّ ، فإما أن تكونَ مستخفَّةً بعَتْبي ـ علىٰ شدَّتِهِ في بعضِ الأحيانِ ـ وإِمَّا أن يكونَ ٱلطُّهاةُ غيرَ مبالينَ بأمرِها وإرشادِها ، ومهما يكن مِن ٱلأمرِ . . فإنَّ إفراطَها في ٱلمياسرَةِ معَ رعيَّتِها . . قد أَتعبَنا وإِيَّاها ، وأدىٰ إلىٰ خسائرَ جسيمةٍ وَإِلىٰ خَلَلٍ لا يُحْتَمَلُ ، ولاسيَّما في تدبيرِ أمرِ ٱلبيتِ ؛ لأنَّني أجعلُ تبعةَ تقصيرِهم عليها ؛ بحكمِ قولهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : « وَٱلمرأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا ، ومَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا »[1] .

ومتىٰ عاتبتُها وأجابت بما لم ترعوِ عنهُ مِنَ ٱلأجوبةِ ٱلباردةِ . . أصعبتُ لها ٱلقولَ ، وناشبتُها ٱلشَّرَّ ، فزادَ ٱلنَّكَدُ ، وٱشتدَّ ٱلتَّعبُ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بِٱللهِ .

ومِنَ ٱلنَّوادرِ : أَنَّني لمَّا ذاكرتُها مَرَّةً بمسأَلَةِ ٱلشَّاةِ . . تنصَّلَتْ مِنَ ٱلذَّنبِ ، وأَحالتْهُ علىٰ شؤمِ ناصيةِ ٱلضَّيفِ ، وقالت : إِنَّهُ قد جاءَكَ مرَّةً ، وأَرسلت في شراءِ لحمٍ لَهُ فأُنسيَ ٱلرَّسولُ ، ثمَّ ٱستأنفت رسولاً فجاءَ بهِ متأَخِّراً ، وٱقتضى ٱلوقتُ إدخالَهُ عليهِ في مثلِ حالِ لحمِ ٱلشَّاةِ .

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣) .

وأُخرىٰ ، وهيَ : أَنَّ سرواتِ ٱلنِّساءِ[1] يَقْصِدْنَها لِلمشاورةِ في أُمورهنَّ ، فيَحمدنَ عاقبةَ رأيها لهُنَّ ، ولٰكنِّي لستُ كذلكَ ؛ ولئِن وُجدَ عندي ضعفٌ في مشاورةِ ٱلنِّساءِ عندما تكلَّمتُ على ٱنطلاقِ خديجةَ برسولِ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ إِلىٰ ورقةَ بنِ نوفل فِي كتابي « بلابلُ ٱلتغريدِ » . . فما هو إلاَّ من هٰذه ٱلبابةِ ، وأَسأَلُ ٱللهَ أَنْ يُيسِّرني وإِيَّاها وأَولادَنا لليُسرىٰ ، وأَن يجنِّبَنا وإِيَّاها ٱلعسرىٰ ، وأَن يجمعَ لنا ولهمْ بينَ خيراتِ ٱلدُّنيا وٱلأُخرىٰ ، وأَن يحسنَ عاقبتَنا وعاقبتَهم في ٱلأُمورِ كلِّها ، ويجيرَنا وإِيَّاهم مِن خزيِ ٱلدُّنيا وعذابِ ٱلآخرةِ ، وأَنْ يُبارِكَ لي فيها وفي أَولادِها ، ولا يَضرَّهُم ، وأَنْ يُجنِّبنا وإِيَّاهُمُ ٱلشَّيطانَ ، ويرزقنا بِرَّهُم ، وأَنْ يُطيلَ لَنا ولَهمُ ٱلأَعمارَ في خيرٍ وَلُطفٍ وعافيةٍ وثباتٍ على ٱلإِيمانِ ، بمَنِّهِ وجُودِهِ .

ومِنْ آلِ ذي أَصْبَح : ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ ، ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ سعدِ بنِ سُمَيرٍ[2] ، وهوَ ٱلشَّيخُ ٱلتَّاسعَ عشرَ مِنْ أَشياخِ أُستاذِنا ٱلأَبرِّ ، توفِّيَ سنةَ (١٢٦٢هـ) .

وكانت وفاةُ ٱبنهِ ٱلعلاَّمةِ سالمٍ[3] بنِ عبدِ ٱللهِ في بتاوي[4] سَنةَ (١٢٧٠هـ) ، وكانَ

---

(١) سروات النِّساءِ : ساداتهن وأشرافهن .

(٢) كان مولده بذي أصبح عام (١١٨٥هـ) ، وتوفي في الحوطة في (٢٨) ذي القعدة (١٢٦٢هـ) ، أخذ عن كثير من شيوخ عصره ؛ كالحبيب عمر بن سميط ، والحبيب أحمد بن جعفر الحبشي والحبيب عمر بن سقاف ، وغيرهم ، وكان هو مقرىء الحبيب عمر المذكور ، ثم لما ظهر نبوغ الحبيب الحسن وعلو قدمه في العبادة . . صار ملازماً له ومستفيداً منه كمثال ونموذج للتواضع والاعتراف بالفضل . وللشيخ عبد الله عدد من المصنفات . ينظر : « عقد اليواقيت الجوهرية » ، و« تاريخ الشعراء » (١٢٢/٣ـ١٣٥) .

(٣) ولد الشيخ سالم بن عبد الله بذي أصبح ، وتربى في حجر والده وقرأ عليه مبادىء العلوم ، كان من الأذكياء ، وله معرفة بعتاد الحروب ، سار إلى الهند ليختار للدولة الكثيرية خبيراً عسكرياً في شؤون المدافع ؛ إذ كان مستشاراً للسلطان عبد الله بن محسن كما ذكر المصنف . دخل مكة المكرمة ، وكان كثير العبادة والإفادة ، يقول عنه معاصره الشيخ أحمد الحضراوي : إنه كان يختم القرآن الكريم وهو يطوف بالبيت الحرام . ثم سار إلى جاوة وتديرها ، وبها مات سنة (١٢٧٠هـ) ، وتردد علىٰ سنغافورة . ينظر : « مقدمة الدرة اليتيمة » بقلم السيد عمر الجيلاني ، « الجامع » لبامطرف ، وقد أخطأ في اسم المترجم فجعله : سالم بن سعد ، وهٰذا وهم فليتنبه له . والله أعلم .

(٤) بتاوي هي (بتافيا = BTAVIA) عاصمة إندونيسيا إبّان احتلالها من قبل هولندا ، وهي المسمَّاة=

ٱلعلويُّونَ جَعلوهُ وزيراً لِلسُّلطانِ عبدِ ٱللهِ بنِ محسنٍ حينما كانَ نائباً من أَخيهِ أَوائِلَ دولتِهِم ، وٱشترطوا عليهِ أَنْ لا يَخرجَ عن رأْيِهِ ، وأَنْ لا يخلوَ بأَحدٍ إِلاَّ وهوَ معَهُ ، فنقضَ ذلكَ ، وسار ٱلشَّيخُ إِلىٰ جاوة[1] .

وفي « مجموعِ ٱلجدِّ طٰه بنِ عمرَ » ذِكرٌ للشَّيخِ عبدِ ٱلوهَّابِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ أَحمدَ بنِ سُمَيرٍ ، ولكتابهِ « ٱلرَّوضةِ ٱلأَنيقةِ »[2] .

وأَكثرُ سكَّانِ ذي أَصبح مِنَ ٱلحاكَةِ وٱلأَكَرَةِ ، وكانوا يَبلغونَ أَربعَ مئَةِ نَفْسٍ ، لٰكنَّ ٱلأَزمةَ ٱجتاحتْهُم ، فلن يَبلغوا ٱليومَ ٱلأَربعينَ ، فهيَ خاويةٌ علَىٰ عُرُوشِهَا بعدَ تلكَ ٱلعهودِ ، وٱزدحامِ ٱلوفودِ .

أَقْـوَتْ فَلَـمْ أَذْكُـرْ بِهَـا لَمَّـا خَلَـتْ ... إِلاَّ مِنـىً لَمَّـا تَقَضَّـى ٱلْمَـوْسِـمُ[3]

وَلَقَـدْ أَرَاهَـا وَهْـيَ عِـرْسٌ حِقْبَـةً ... فَـٱلْيَـوْمَ أَضْحَـتْ وَهْـيَ ثَكْلَىٰ أَيِّـمُ[4]

نسأَلُ ٱللهَ أَنْ يَعمُرَ ٱلدِّيارَ بأَهلِها ، وأَنْ يديلَ حَزَنَ ٱلأَيَّامِ بسَهْلِها[5] .

ٱلشِّعبُ[6]

هِيَ قريةٌ تُحاذي ذي أَصْبَح في جنوبِها بسفحِ ٱلجبلِ ٱلواقعِ عن يسارِ ٱلذَّاهبِ غَرْباً في ٱلطَّريقِ ٱلسُّلطانيَّةِ ، فيهِ جماعةٌ مِنْ آلِ كثيرٍ ، يقالُ لَهم : آلُ جعفرِ بنِ طالبٍ ، تنتهي إِليهم زعامةُ آلِ كثيرٍ ، منهُم : عبدُ ٱللهِ بنُ سعيدٍ ، ثمَّ ولدُهُ سَالِمين بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلَّذي

= اليوم : جاكرتا ، وإنما الحضارمة حرّفوا بتافيا إلى بتاوي .

(١) إذا أطلقت جاوة . . فالمراد بها جهتها ؛ أي : دولة إندونيسيا .

(٢) اسمه كاملاً : « الروضة الأنيقة والعروة الوثيقة في الرد على من لا يعرف المسائل الدقيقة » .

(٣) البيتان من الكامل ، وهما لأبي تمّام في « ديوانه » (٢/ ١٠٠) . **أقوت** : خلت .

(٤) **العرس** : العروس . **الثكلىٰ** : من أفجعتها المصائب . **الأيّم** : الّتي لا زوج لها .

(٥) **يديل** : يأخذ الدّولة والغلبة من شيء ويضعها في الآخر . **والمعنىٰ** : نسأل الله تعالىٰ أن يأخذ الغلبة من أيّامنا الصّعبة ، ويضعها في أيّامنا السّهلة الحلوة ؛ فيكون بذلك قد أدال حَزَن الأيّام بسهلها ، ونكون بذلك من السُّعداء .

(٦) وقد خططت منطقة الشعب مؤخراً ، وبنيت فيها بيوت كثيرة ، وأصبحت آهلة بالسكان .

يُضربُ بهِ ٱلمَثلُ ، فيقالُ : (سالمين في ٱلخرابةِ) وشرحُهُ : أنَّ آلَ كثيرٍ ٱنهزَموا في حربٍ بينَهُم وبينَ يافع ، وركبتْ يافع أكتافَهُم ، ولـٰكنَّهُم لَم يَقدروا علىٰ خرابةٍ كانَ فيها سَالِمين بنُ عبدِ ٱللهِ هـٰذا ، وكلَّما هَمُّوا بٱلهجومِ عليها وقيلَ لَهُم : سالِمين في ٱلخرابةِ . . تراجَعوا .

وخَلَفَهُ ولدُهُ صالحُ بنُ سالمين ، ثمَّ أخوهُ عائِظ بنُ سالِمين ، وكانَ جَمْرَةَ حربٍ ، شجاعاً ، وهَّاباً نهَّاباً لا يزالُ منه آل شبام علىٰ وجلٍ ؛ إذ كانت غاراتُهُ تترىٰ على ضواحيها ، وهوَ كما قالَ ٱلأعشى [ٱلباهليُّ مِنَ ٱلبسيطِ] :

لاَ يَـأْمَـنُ ٱلنَّـاسُ مُمْسَـاهُ وَمُصْبَحَـهُ ... إنْ يَغْـزُ . . يُـؤْذِ وَإِنْ لَـمْ يَغْـزُ يُنْتَظَـرُ

قالَ ٱلشَّريفُ ٱلرَّضيُّ [في « ديوانه » ١/٣٦٩ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَقُـلْ لِلْعِـدَا أَمْنـاً عَلَـىٰ كُـلِّ جَـانِـبٍ ... مِـنَ ٱلأَرْضِ أَوْ نَـوْمـاً عَلَـىٰ كُـلِّ مَـرْقَـدِ
فَقَـدْ زَالَ مَـنْ كَـانَـتْ طَـلاَئِـعُ خَـوْفِـهِ ... تُعَـارِضُكُـمْ فِـي كُـلِّ مَـرْعَـىً وَمَـوْرِدِ

وبهِ تأطَّدتْ دولةُ آلِ كثيرٍ .

وكانَ ذِكرُ ٱلصُّلحِ بينَ ٱلقعيطيِّ وآلِ كثيرٍ أكبرَ ٱلعارِ وٱلغدرِ في أيَّامهِ ، وهـٰكذا تفعلُ ٱلدِّعاياتُ في تكبيرِ ٱلأمرِ وتفخيمهِ ، ونظيرُ ذلكَ : ما ٱنتشرتْ بهِ ٱلدِّعاياتُ ٱليومَ لِفلَسطينَ ، معَ أنَّ غيرَها مِنْ بلادِ ٱلمسلمينَ لاَ يَقِلُّ عَنْها أهميَّةً وَخَطَراً ، ولَم يَكُنْ لَها ولا معشارُ صدىٰ فِلَسطين ؛ كحيدر أباد ، وٱلمسلِمينَ في ٱلحَبَشةِ ، وجَاوَة وَ لِيبيَا وَ غَيْرِها .

معَ أنِّي لا آمَنُ أنْ يكونَ في ٱلفِلَسطينيِّينَ مَنْ يوطِّىء مناكبَ قومهِ لليهودِ ، بل رأيتُ في ٱلعددِ ٱلصَّادرِ (١٣) رجب مِنْ هـٰذا ٱلعام ـ أعني سَنةَ (١٣٦٧هـ) مِنْ « أخبارِ ٱليومِ » : أنَّ عمدةَ سمخ ورئيسَ ٱللَّجنةِ ٱلقوميَّةِ فيها حَضَرَ لدى ٱلمسؤُولينَ ، وقالَ : أعطونا مالاً وذخيرةً وبنادقَ ، وإلاَّ . . فسنضطرُّ إلى ٱلتَّسليمِ . ولمّا أعطوهُ . . باع ٱلذَّخيرةَ وٱلبنادقَ لليهودِ ! !

ومِنْ ذلكَ ٱلعددِ أيْضاً أنَّ سمخَ ـ وَهِيَ قَرْيَةٌ عَرَبِيَّةٌ ـ باعَتْها ٱللَّجنةُ ٱلقوميَّةُ . . فحرَّرَتْها

ٱلجيوشُ ٱلسُّوريَّةُ ، علىٰ حينِ لَم يَبْقَ مِنها إلاَّ أَطلالٌ ، ولهـٰذا فإنِّي لا أَخلو عن ظنٍّ سَيِّءٍ بمن تقدَّمَت في تاريخِهِ معَ ٱلمسلمينَ نقاطٌ سوداءُ ، وأَرىٰ أَنْ لا أَمَلَ فيمن لا يستمدُّ نفوذَهُ أَو إمارَتَهُ إلاَّ مِنَ ٱلأَجانِبِ ؛ لأنَّهم من أعرفِ ٱلخَلقِ بشراءِ ٱلضَّمائِرِ ، فلن يُنَصِّبُوا ولن يُرَشِّحُوا إلاَّ مَنْ يملأُ هواهم ، ويتابعُ رضاهم ، ويتفيَّأُ حيثُما مالَ ريحُهم ، ويدورُ حيثُما دارت زجاجاتُهم ، حتَّىٰ لقد عَزَمْتُ أَنْ أُبرقَ إلىٰ عزَّام باشا ـ لنوعِ تعارفٍ بينَنا ـ بما هـٰذهِ صورتُه : إنِّي لأُحذِّرُكُم أن يكونَ جيشُكم تمامَ ٱلعشرينَ ، ولـٰكِن :

تَكَنَّفَنِـــي ٱلْـــوُشَـــاةُ فَـــأَزْعَجُـــونِـــي ... فَيَـــا للهِ لِلْـــوَاشِـــي ٱلْمُطَـــاعِ

ولاسيَّما بعدَ أَن فسَّرتُ لهم معناهُ ، وما أُشيرُ بهِ إليهِ .

ومهما يكن مِنَ ٱلأمرِ . . فٱلمستقبلُ كشَّافُ ٱلحقائِقِ ، وٱلفشلُ مأمونٌ ، وٱلنَّصرُ بشَرطِهِ مضمونٌ ، ولـٰكنَّهُ بيَدِ ٱللهِ يؤتيهِ مَن يشاءُ ، وإنَّما ٱلواجبُ على ٱلزُّعماءِ وٱلصَّحفيِّينَ وغيرِهم أَن يشرحوا ٱلوقائعَ ناصعةً ، ويُلزِموا كلَّ طائرٍ عنقَهُ ، ويذكروا ٱلمُحسنَ بإحسانِهِ ، وٱلمسيءَ بإِسَاءَتِه ، وإلاَّ ساءَ ٱلظَّنُّ بهم أجمعينَ .

ومِنَ ٱللَّطائِفِ : أنَّا كنَّا يوماً نتذاكرُ مساعدةَ فِلَسطين ، فقالَ لَنا بدويٌّ مِنْ آلِ كثيرٍ ، وٱسمُهُ محمَّدُ بنُ سالمين : ولِمَ هـٰذهِ ٱلمساعدةُ ؟ قلنا لَهُ : إنَّ ٱليهودَ يريدونَ ٱلاستيلاءَ علىٰ بلادِ ٱلعربِ .

فقالَ : أَوليسَ ٱلنَّصارىٰ مِثلَ ٱليهودِ ؟ وقد سعىٰ بعضكُم ـ أيُّها ٱلسَّادةُ ـ في بيعِ حَضرَمَوْتَ عليهِم ، وٱلثَّمنُ معَ ذلكَ مِنهُم لا مِنَ ٱلنَّصارىٰ . فكانَ جواباً مسكتاً .

وكانَ ٱلقعيطيُّ حريصاً علىٰ مُخَالفتهِ بما شاءَ فلَم يَفعلْ وكيفَ يفعلُ وللدِّعايةِ ذلكَ ٱلتأثيرُ ٱلعظيمُ يومئِذٍ .

وكانَ علىٰ سُنَّةِ ٱلعربِ في إكرامِ ٱلضِّيفانِ ، ونقلِ ٱلجفانِ ، وإغلاءِ ٱلكلامِ ، وتوفيةِ ٱلذمامِ . وبهِ كانَ صدعُ آلِ كثيرٍ منشعباً ، ووهيهُم منجبراً ، وشتُّهُم مجتمِعاً ، يسعىٰ بذمَّتِهِم أَدناهُم ، ولا تزالُ مَطِيَّتُه مرحولةً لرتقِ فتوقِهِم ، وإصلاحِ شؤُونِهِم ، وهُم أَتبعُ لَهُ مِنَ ٱلظِّلِّ ، وأَطوعُ مِنَ ٱلخاتمِ .

ولمَّا كانَ ٱلهاجريُّ أدناهُم إِلىٰ شبام معَ قلَّةِ ٱلمالِ وٱلرِّجالِ . . جَعَلَ إِليهِ ٱلخفارةَ ، فكلُّ مَن أَخذَ منهُ شفرةً أَو نحوها . . أَمِنَ بها ومرَّ علىٰ رؤوسِ ٱلعفاريتِ . قُتلَ في سَنةِ (١٣٠٨هـ) بعدَ أَنْ :

مَـلأَ ٱلـزَّمَـانَ جَـرَائِحـاً وَمَنَـائِحـاً خَبَطـاً بِبُـؤْسَـىٰ فِـي ٱلـرِّجَـالِ وَأَنْعُـمِ[1]
فَغَـدَتْ عَـرَانِيـنُ ٱلْعُـلاَ وَأَكُفُّهَـا مِـنْ بَيْـنِ أَجْـدَعَ بَعْـدَهُ أَوْ أَجْـذَمِ

وسببُ قَتْلِهِ[2] : أَنَّ أَحدَ آلِ كُدَّه أَخذَ عِذْقَ خريفٍ[3] مِنْ نخيلِهِم فقتلوهُ ، فكبرَ عليهِم قَتْلُ ولدِهِم في عِذْقِ خريفٍ وَلا سِيَّما بَعدَما عَيَّرَهم سَمَاسِرَةُ شِبَام ، فكمنوا مِنَ ٱللَّيلِ علىٰ مقربةٍ مِنَ ٱلشِّعبِ ، وفي ٱلصَّباحِ أَطلَقوا عليهِ ٱلبنادقَ ، فخرجَ عليهِم عائِظ بأَصحابهِ وأَردىٰ منهُمُ ٱثنينِ وٱستلبوهُما ، ولمَّا كادوا يَصِلونَ مِسْيَالَ سَرْ الفارقِ بينَ ذي أَصبحٍ وبِحَيرة . . كفَّ عنهُم ، وكان الصواب فيما فعل ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لسلمة بن الأكوعِ : « ملكت فأسجح »[4] .

ولـٰكن أحد أصحابه كان شريراً مع منافسته له ، فقال له : تريدُ ٱلقَهْوةَ عندَ غُصُونٍ ؟ وهيَ ٱمرَأَةُ عَائِظ مِنْ آلِ عامرٍ أَصحابِ آلِ كُدِّه ، فحميَ ، وتقدَّمَ بهِم ، وقد تستَّرَ آلُ كُدَّهْ بأَشجارِ ٱلأَراكِ وأَكوامِ ٱلرَّملِ ، وجاءَتْهُم نجدةُ آلِ محمَّدِ بنِ عمرَ ، فأَصلَوهُم ناراً حاميةً ، فعمدَ عائِظ وأَصحابُهُ إِلى ٱلسِّلاحِ ٱلأَبيضِ .

وما زالوا يتناحرونَ حتَّىٰ حجزَ بينَهُم ٱلسَّيِّدانِ عبدُ ٱللهِ بنُ حسن بنِ صالحِ ٱلبحرُ ، وعيدروسُ بنُ حسينٍ ٱلعيدروسُ ، ولـٰكنْ بعد ما قُتلَ مِنْ آلِ كُدِّه وآلِ محمَّدِ بنِ عمرَ سبعةٌ ، ومِنْ آلِ جَعْفَرِ بنِ طالبٍ ثلاثةَ عشرَ قتيلاً وثلاثونَ جريحاً .

وكانتِ ٱلحادثةُ ٱلمذكورةُ علىٰ مقربةٍ مِنْ هَدّامِهْ ، كما مرَّ فيها .

وعَظُمَ ٱلمصابُ علىٰ آلِ كثيرٍ بمقتلِ عائِظ وَٱصطكَّتْ بَعْدَه رُكَبُهم ، وتخاذلَتْ

---

(١) البيت من الكامل وهو للشَّريف الرَّضيِّ في « ديوانه » (٢/ ٢٩٠) بتحريف بسيط .

(٢) أي : عائظ بن سالمين .

(٣) **العذق** : العنقود . **الخريف** : هو الرُّطَب من النخلة ؛ في عُرف الحضارمة .

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٤١) ، ومعنى **فأسجح** : أَحسِنْ وأَرفق .

أَيْدِيهم ، بل وعلىٰ يافعٍ ؛ لأَنَّهُم شَعروا بٱستغناءِ ٱلقعيطيِّ عنهُم مِنْ بعدهِ .

ولمَّا قُتلَ عائِظ بنُ سالمينَ . . وقعَ رداؤُهُ علىٰ عبيدِ صالحِ بنِ سالمين بن عبدِ ٱللهِ بنِ سعيدٍ ، وهوَ ٱبنُ أَخيهِ ، وكانَ مديدَ ٱلقامةِ ، كبيرَ ٱلهامةِ .

سَبْطَ ٱلْبَنَانِ إِذَا ٱحْتَبَىٰ فِي مَجْلِسٍ فَرَعَ ٱلْجَمَاجِمَ وَٱلرِّجَالُ قِيَامُ[1]

ومعنىٰ سباطةِ ٱلبنانِ هُنا : طولُها لا سماحُها ، وكانَ قويَّ ٱلعارضةِ ، يخلطُ ٱلجدَّ بٱلهَزْلِ ، فيتَّقي ٱلرُّؤَساءُ لسانَهُ ، ولا يبقىٰ لأَحدٍ معَهُ كلامٌ ؛ لأَنَّه لاَ يتَّقي العَوْراءَ فيهِ ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ همٌّ بعدَ عمِّهِ إِلاَّ تغييرُ تلكَ ٱلسياسةِ ، ومصالحةُ ٱلقعيطيِّ ، فغزا شبامَ بآلِ كثيرٍ ، فأَنذرَ بهِم ريِّسُ بنُ محمَّدٍ ٱلملقَّب عَبَلَّه عن أَمرِهِ ـ فيما يُقالُ ـ لتتمهَّدَ له ٱلوساطةُ في ذلكَ ، وكانتِ ٱلنِّهايةُ : ٱنبرامَ ٱلصُّلحِ .

وٱلأَخبارُ في ذلكَ وٱلماجَرَياتُ بينَ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ ٱلمِحْضَارِ وعبيدِ صالحٍ وبيْنِي وبيْنَهُم طويلةٌ ، وفي « **ٱلأَصلِ** » مِنهَا ٱلشَّيءُ ٱلكثيرُ .

وهوَ أَقوىٰ مِنْ عمِّهِ عائِظ في ٱلحُجَّةِ ، وأَهْيَبُ في ٱلمنظرِ ، وأَرجحُ في ٱلحجا ، ولٰكنَّهُ أَقلُّ منهُ في ٱلنَّجدةِ وٱلجوْدِ ، وقد قَصُرَ كلامُهُ في آخِرِ وقتهِ ، وقلَّتْ هيبتُهُ ، وضعفتْ زعامتُهُ وعجز عن أخذ ما لهُ من ثار عند آلِ عامرٍ ، وعندَ آلِ بَلَّيْل ٱلَّذي يلي هٰذا ، ومن بقايا حظِّهِ أَنْ ماتَ في سَترِ ٱللهِ في حدودِ سَنةِ (١٣٥٣هـ) قَبْلَ أَنْ يصلَ آلُ كثيرٍ إِلى ٱلحدِّ ٱلنِّهائِيِّ مِنَ ٱلتَّخاذلِ وٱلسُّقوطِ ، وإِلاَّ . . لحَلَّ بهِ ما حلَّ بهِم .

ومعَ ٱنتهائِهِم إِلى ٱلقرارِ مِنَ ٱلمهانةِ بحَضْرَمَوْتَ . . فإِنَّ لَهم جمعيةٌ تُذْكَرُ ببتاوي[2]

---

(١) البيت من الكامل ، وهو لأبي نواس في « ديوانه » (٤٠٩) .

(٢) هي الجمعية الشنفرية الكثيرية ، ولها نظام ودستور وتنظيم ، مثلها مثل غيرها من الجمعيات التي قامت في جاوة . ومن أعلام آل طالب ممن امتهن الصحافة : فرج بن طالب الكثيري ، الذي كان له نشاط صحفي بارز في المهجر الحضرمي سنغافورة ، وقام بإصدار (٤) صحف خلال أربعة أعوام وهي :

« القصاص » : جريدة نصف شهرية ، أصدرها باللغة العامية الحضرمية في فبراير (١٩٣٢م) ، وتوقفت في جولاي (١٩٣٣م) .

« الشعب الحضرمي » : أيضاً بالعامية الحضرمية ، بدأت بالصدور في فبراير (١٩٣٤م) ، ولم تستمر طويلاً . =

مِنْ أَرضِ جاوة ، يرأَسُها ٱلشَّيخُ سالمينَ بنُ عليٍّ ٱلكثيريُّ وَأَحرىٰ أَن يُناطَ بها الأَملُ ، ويُربط بها ٱلرَّجاءُ إذا سَلِمُوا مِنَ التَّحاسُدِ .

أَمَّا ٱلمطامعُ . . فمَا أَظُنُّها تَصِلُ بهِم كما وَصَلَتْ بِالجَمْعِيَّتَيْن ٱلسَّابقِ ذِكرُها قُبيلَ ٱلقَطْنِ . . لِمَا لَدَىٰ أَكْثَرِهِم مِنَ الثَّرْوَةِ .

بَلِّيْل

هوَ مِنْ وراءِ ذي أَصبح وٱلشِّعْبِ إِلى ٱلجهةِ ٱلشَّرقيَّةِ ، يَسكنُهُ آلُ مَرْعيٍّ بن سعيدٍ ، ومرجعُهم إِلى ٱلفخائذِ ، وهم وآلُ بدرِ بنِ سعيدٍ وآلُ جعفرِ بنِ سعيدٍ ـ أصحابِ جعيمه ـ علىٰ رجلٍ واحدٍ ، وهوَ سعيدُ بنُ عليِّ بنِ عمر ، وقيلَ : إِنَّ عليَّ بنَ عمرَ هٰذا أخُ لِيَمَانِيِّ بن عمرَ ، وعامرِ بنِ عمرَ ، وفلهومِ بنِ عمرَ ، وإِنَّما دخلَ في ٱلفخائذِ مِن آلِ عونٍ بٱلخؤولةِ .

وكانَ في آلِ مرعيٍّ ٱلمذكورينَ حُكَّامٌ مبرزونَ ؛ مِن أَواخرهم : عوضُ بنُ ريِّسِ بنِ جعفرِ بنِ عبودِ بنِ بدرٍ ، وكلُّ آبائِهِ ٱلمذكورينَ مِن حكّامِ حضرموتَ ، حتَّىٰ لقد ذكروا أَنَّ آلَ عَجَّاجٍ وآلَ ثابتٍ مِن نَهدٍ ، وهم أَراكينُ ٱلأَحكامِ في حضرموتَ ، وردوا علىٰ جعفرِ بنِ عبودٍ فقدَّموا دعاوِيَهم إِليهِ ، وكانَ في أثناءِ حوارِهم يكثرُ ٱلالتفاتَ مِنَ ٱلنَّافِذةِ إِلىٰ فخٍّ لهُ بٱلأَرضِ منصوبٍ لليمامِ ، فعاتَبوه ، فقالَ : إِنِّي لا أَسمعُ ٱلكلامَ بعيني ، ولٰكن بأُذني ، وهيَ إِليكم ، وفي ٱلأثناءِ وقعت يمامةٌ في ٱلفخِّ ، فخرجَ وذبحَها ، ونصبَهُ ثانياً ، وأَصاخَ إِلىٰ حوارِهم حتَّى ٱنتَهَوا مِنَ ٱلدَّعاوىٰ إِلى ٱلأجوبةِ وإِقامةِ ٱلحججِ وعَرْضِ ٱلوثائقِ .

قَدَّمَ لهُمُ ٱلغداءَ وقالَ لهم : استريحوا . وبعدَ أنِ ٱنتَبَهُوا وأَدَّوا فريضةَ ٱلظُّهرِ

= « الجزاء » : نصف شهرية ، باللغة الفصحى ، أصدرها في إبريل (١٩٣٤م) ، استمرت إلى مايو (١٩٣٤م) .

« المجد العربي » : نصف شهرية ، أصدرها في مارس (١٩٣٥م) ، استمرت إلى سبتمبر (١٩٣٦م) .

وأبردوا . . ٱستأذَنوهُ في ٱلانصرافِ ، وطلبوا موعداً يعودونَ فيهِ لِلفَصائِلِ ، وكانَ كتبَها في أثناءِ ٱستراحتِهم ، فأعطاهم إيَّاها ، فتعجَّبوا مِن قوَّةِ حفظِهِ وحدَّةِ فهمِهِ وحسنِ توفيقِهِ ، فٱقتنعوا ؛ لأنَّ ٱلعدلَ مقْنِعٌ . فَلْتُضمَّ هـٰذهِ إلىٰ ما سبقَ فِي ٱلظَّاهرةِ وجعيمه .

ومن متأخِّريهم : ٱلعلاَّمةُ ٱلفاضلُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ سالمينَ بن مرعيٍّ ، كانَ يكتبُ لي مِنَ ٱلهندِ ويرفعُ لي منها ٱلأسئِلَةَ ٱلعلميَّةَ ، توفِّيَ رحمةُ ٱللهِ عليهِ بحيدر آباد ٱلدَّكَن ، وتركَ ولدينِ فاضلينِ : سليمانَ ومحمداً .

ومِن آلِ مرعيٍّ أيضاً : ٱلشَّيخُ عوضُ بنُ جعفرِ بنِ مَرْعيٍّ ، جَمَعَ ثروةً لابأسَ بها ، ولـٰكنَّهُ لمَّا وصلَ إلىٰ حَضْرَمَوْتَ في حدودِ سَنةِ (١٣٣١هـ) . . أسرفَ فيها بٱلجودِ حتَّىٰ فَنِيَتْ ، فَسَافَرَ ، وتغيَّرَ عقلُهُ ، وٱنطبقَ عليهِ قولُ ٱلعنبريِّ [مِنَ ٱلكامل] :

مَـا كَـانَ يُعْطِـي مِثْلَهَـا فِـي مِثْلِـهِ إلاَّ كَـرِيـمُ ٱلْخِيـمِ أَوْ مَجْنُـونُ[1]

وقولُ حبيبٍ [في « ديوانه » ١/٣١٦ مِنَ ٱلوافرِ] :

لَـهُ خُلُـقٌ نَهَـى ٱلْقُـرآنُ عَنْـهُ وَذَاكَ عَطَـاؤُهُ ٱلسَّـرَفُ ٱلْبِـدَارُ

ومِنْ وراءِ بَلَّيْل شرقاً : مكانُ آلِ ٱلبَرْقيِّ[2] . ثمَّ : مكانُ آلِ كحيلٍ .

ثمَّ : ٱلغُبَيلُ ، لآلِ عمرَ بنِ بدرٍ ، وكانوا قبيلةً خَشِنةً ، ولَهم قَبولَةٌ حارَة ، حتَّىٰ لقد كانتْ بينَهُم وبينَ آلِ بابكرٍ حروبٌ أَردَوا في عشيَّةٍ واحدةٍ سبعةً مِن آلِ بابكرٍ .

ثمَّ ما زالَ بهمُ ٱلظُّلمُ وٱلاعتداءُ علىٰ ضعفاءِ ٱلسُّوقةِ وٱلقبائِلِ ، وعلىٰ أوقافٍ لَهُم أَهليَّةٍ ، حتَّىٰ قَلَّ عددُهُم ، وٱفترقَ مَلَؤُهم ، ولَم يَبْقَ منهُمْ بحضرموت ٱليومَ إلاَّ نحوُ ٱلعشرينَ رجلاً ، أَسنُّهُم رجلٌ لئيمٌ نيَّفَ على ٱلتِّسعينَ ، جَمَعَ ثروةً لابأسَ بها ، إلاَّ أَنَّها بجُلِّها أو كلِّها من ٱلرِّبا ، ولا يزال مع هـٰذا ٱلسِّنِّ مصرّاً علىٰ ذلك ٱلصَّنيع ٱلمَقْبُوحِ .

ويتعالَمُ ٱلنَّاسُ بأنَّ ٱلنَّخيلَ ٱلَّتِي تحتَ يدهِ مشتركٌ بينَهُ وبينَ أخيهِ عبدِ ٱللهِ ، وأنَّ هـٰذا هُوَ ٱلَّذي ٱشتراهُ ، وٱلوثائقُ ناطقةٌ ، ولـٰكنَّ عبدَ ٱللهِ جُنَّ ، ثمَّ ماتَ ولم يترُكْ إلاَّ ولداً

---

(١) الخِيم : الأصل .

(٢) آل البرقي : من قبائل آل مرعي بن سعيد الكثيري .

صغيراً منعتهُ أُمُّهُ ٱلمنازعةَ ؛ لخوفها عليهِ أَن يقتلَهُ عمُّهُ ، فآثرت روحَهُ علىٰ مالِهِ ؛ لأنَّهُ لو نازعَ . . لذهبَ ٱلاثنانِ .

بابكْر

هوَ في جنوبِ ٱلغُنَيْلِ إِلىٰ شرقٍ ، فيهِ فرقتانِ مِنْ آلِ عِبْدات ، وهم : آلُ ٱلطَّمل في جانبهِ ٱلقِبليِّ . وآلُ عليٍّ بنِ عمرَ في جانبهِ ٱلشَّرقيِّ ؛ منهُمُ : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ عوضِ بنِ ناصرٍ ، صَليبُ رأسٍ ، وحميُّ أَنفٍ ، وغالي كلامٍ ، وأَصيلُ رأيٍ ، ورجيحُ عقلٍ .

وهوَ ٱلَّذي عمَّرَ ٱلرَّوضةَ بشُحُوحِ ٱبنِ يمانيٍّ ، تزيدُ مساحتُها علىٰ ثلاثينَ أَلفِ مَطيرة ، بٱعتبارِ ٱلمَطيرةِ ستَّةَ أَذرعٍ في مِثلِها .

وكانَ ممَّنْ أَمضىٰ على ٱلوثيقةِ ٱلَّتي تتضمَّنُ ٱعترافَ ٱلموقِّعينَ عليها بٱلتَّبعيَّةِ لِلدَّولةِ ٱلعثمانيَّةِ ٱلآتي خَبَرُها في سيئون ، وإِنَّما ذكرتُهُ بٱلخصوصِ معَ أَنَّ ٱلموقِّعينَ عليها كثيرٌ ؛ لأَنَّ كلَّهُم لَمْ يُمْضِ عليها إِلاَّ رغبةً ، وأَمَّا هوَ . . فقد أَمضىٰ عليها بدافعِ ٱلدِّينِ ؛ وذلكَ أَنَّني ٱجتمعتُ بهِ في غَرَضٍ ، فسأَلَني عنها ـ بعد ما غضبتْ مِنها ٱلحكومةُ ٱلإِنكليزيَّةُ فطلبَهَا لِيُمضيَ عليها ـ فقلتُ لَهُ : ربَّما يلومكَ عمرُ عبيدِ بنِ خالدِ بنِ عمرَ ، أَو حفيدُكَ عوضُ بنُ عَزَّانَ بنِ عبدِ ٱللهِ عوض ، أَو تنالُ أَولادَكَ مشقَّةٌ مِنَ ٱلإِنكليزِ بسنغافورة أَو عدنَ . فأَخذَهُ زمعٌ[1] وقالَ : أَوَفي دِينِ ٱللهِ وسُلطانِ ٱلمسلمينَ ٱلَّذي ندعو لَهُ على ٱلمنابرِ محاباةٌ أَو وليجةٌ ؟ وٱللهِ لَو أَنَّ ٱلإِنكليزَ يذبحُ أَولادي أَماميَ . . ما ٱنحجزتُ عنِ ٱلتَّوقيعِ عليها ، فأَمضىٰ عليها ، وبَعثنا بنُسْخَتِها إِلىٰ قائِدِ ٱلجيوشِ ٱلعثمانيَّةِ بلَحْجٍ علي سعيد باشا ، فلَم تَصِلْهُ إِلاَّ بعدَ إِعلانِ ٱلهُدْنةِ .

توفِّيَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ عوضُ في حدودِ سنةِ (١٣٤٢هـ) عن عمرٍ قاربَ فيهِ ٱلمئةَ ، ولَهُ أَعقابٌ كثيرةٌ بحَضْرَمَوْتَ وجَاوة ؛ منهُم : ولدُهُ ٱلشَّهمُ ٱلكريمُ ، وٱلعربيُّ

---

(١) الزمع : رعدة تعتري الشجاع عند الغضب .

ٱلصَّميمُ ، عزَّانُ بنُ عبدِ ٱللهِ ، أَحدُ تجَّارِ بوقور[1] ٱلواقعةِ بجوارِ بتاوي مِنْ أَرضِ جاوة ، لَهُ محاسنُ ومكارمُ ، وصلاتُ أرحامٍ ، باركَ ٱللهُ فيهِ .

وقد جَرَتْ بينَ آلِ بابكرٍ وآلِ خالدِ بنِ عمرَ حروبٌ ، بسببِ أَنَّ مُحْسِنَ قاسم ٱشترىٰ بئْراً يقالُ لَها : (بنْ بُقَيل) ، فقالَ عمرُ عبيدٍ : نحنُ أَولىٰ بها ، وحمَلَ أخاهُ صالحاً علىٰ أن يشتدَّ في ذلكَ ؛ ليسوغهُ ما شاءَ مِنَ ٱلأموالِ ، فطالبوا بها بحكمِ ٱلعادةِ ٱلقَبليَّةِ لا الطَّريقةِ ٱلشَّرعيَّةِ ، وكانَ بينَهُم ما هوَ مُفصَّلٌ بـ« **ٱلأَصلِ** » .

وكانَ إِيرادُ محسن قاسم وقتما كنتُ بجاوة سَنةَ (١٣٤٦هـ) لا يقلُّ عن خمسةَ عشرَ أَلف رُبيَّةٍ هولنديَّةٍ شهرياً، وقد ذهبتْ أَدراجَ ٱلرِّياحِ ، وصارَ أَبناؤُهُ تحتَ رحمةِ ٱلمُحْسِنينَ .

ٱلحَوْلُ[2]

قد عُلِمَ ممَّا مرَّ في ٱلمِختِرْقةِ أَنَّ إِمارتَهُ كانتْ لآلِ ٱلجَرُوِ إِلىٰ أَنْ غَدَرَ بِهِم آلُ وَبْر[3] ، ثمَّ سَكَنَهُ آلُ باعبَّادٍ ، وكانَ في ٱلأَخيرِ لآلِ ٱلفَاسِ ، وفي ٱلصُّلحِ ٱلأَخيرِ ما بينَهُم وبينَ آلِ خالدِ بنِ عمرَ تحوَّلَ للأَخِيرينِ ، في قَصصٍ منشورةٍ بـ« **ٱلأَصلِ** » ، وأَخبارُهُ ممزوجةٌ بأَخبارِ ٱلغرفةِ وهوَ ٱلآنَ بِخُلُوِّهِ عنِ ٱلسُّكَّانِ عبرةٌ لِلمُعْتَبِرينَ .

ٱلغُرْفَة

هي علىٰ مقربةٍ مِنْ بابَكْر . وكانَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدِ بن عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ عبَّاد[4]

---

(١) بوقور : مدينة إندونيسية كبيرة ، لها تاريخ عريق ، وسكنها كثير من الحضارمة ، ووصفها وصفاً جميلاً السيد الأديب صالح الحامد في رحلته : « جاوة الجميلة » .

(٢) لها ذكر عند شنبل في حوادث سنة (٦٠١هـ) و(٧٢٣هـ) و(٧٣٠هـ) . فلتنظر هناك .

(٣) وذلك أن آل وبر وآل باصهي كانوا متحالفين ومحلتهم تريس ، ثم كان من آل وبر أن أخذوا آل الجرو بالخداع وغدروا بهم في (أنف خطم) . . وهزموهم هزيمة منكرة ، وقتلوا عدداً من رجالهم حتى لم يبق منهم إلا عشرة رجال فقط ، وذلك في القرن السابع الهجري . ينظر : « جواهر الأحقاف » ، و« نبذة الأنساب » للعطاس ، وغيرها .

(٤) آل عَبّاد هؤلاء هم آل باعَبّاد ، المشايخ ذوي الصيت الذائع بحضرموت ، أما عن تحقيق نسبتهم . . =

ـ ٱلمشهورُ بِٱلقَدِيمِ ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (٦٨٧هـ)[1] عن إِحدىٰ وسبعينَ سَنةً ـ أَوَّلَ مَنْ بَنَىٰ غرفةً بسفحِ ٱلجبلِ ٱلَّذي يُطلُّ عليها ، وحَفَرَ عندها بئراً سمَّاها : غُرْفيَّة ، لا تزالُ تُملأُ منها جوابي مسجدِ عليِّ بنِ عبدِ ٱللهِ إِلى ٱلآنَ .

ثمَّ زادَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عمرَ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ[2] سَنَةَ (٧٠١هـ) في بناءِ تلكَ ٱلغُرْفةِ حتَّىٰ صارت داراً ، ثمَّ ٱنتقلَ إِليها ولدُهُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عمرَ من شبامٍ بعائلتهِ وتلاميذهِ ، وٱبتنوا بها جامعاً .

وكانَ لآلِ باعبَّادٍ مَنْصِبٌ عظيمٌ عليهِ بإِشارةِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ ـ عَلَىٰ مَا يُرْوَىٰ ـ كان ٱنبناءُ دولةِ آلِ كثيرٍ ، حَسَبَما فُصِّلَ بـ« ٱلأَصلِ » .

وقالَ ٱلطَّيِّبُ بامخرمةَ : (ٱلغرفةُ : قريةٌ معروفةٌ بأَعلىٰ حَضْرَمَوْتَ ، ذاتُ نخيلٍ ومزارعَ ، بها فقراءُ صالحونَ ، يُعْرَفونَ بآلِ أَبي عَبَّادٍ .

ومِنْ مشايخهِمُ ٱلكبارِ ومشاهيرِهم : ٱلشَّيخُ الكبيرُ ، ٱلعارفُ بٱللهِ : عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ باعبَّاد ، وهوَ أَوَّلُ مَنِ ٱشتهرَ بٱلتَّصوُّفِ بحَضْرَمَوْتَ ، لَهُ ذرِّيَّةٌ

= فينظر كلام المؤلف الآتي . ولإزالة الوَهم . . فإن هناك أربع أُسَر تسكن ما بين شبام والغرفة متشابهة في رسمها ـ أي : كتابتها ـ . . وهي :

١ـ آل باعَبّاد ، وهم هؤلاء أهل الغرفة ، بتشديد الباء .

٢ـ وآل عَبّاد أيضاً بتشديد الباء ، وهم من آل باذيب سكان شبام ، ويقال لهم : عَبّاد باذيب ، ومنهم جماعة في عدن ، سماهم الناس : باعبّاد ، وليسوا منهم .

٣ـ وآل باعَبَاد ـ بتخفيف الباء ـ وهم من سكان شبام ، ولعلهم من كندة .

٤ـ آل عَبَاد ، وهم من سكان دوعن ليسر ، سبق ذكرهم في حوفة ، وينطقونها بضم العين ، ومنهم جماعة في بعض مناطق حَذْرى . والله أعلم .

(١) « تاريخ شنبل » (ص١٠٦) ، وجاء في حوادث (٦٨٦هـ) : خرج الشيخ أبو عباد من شبام إلى الغريب . وقد توفي والد الشيخ القديم بالشحر سنة (٦٢٢هـ) كما تقدم فيها . وللشيخ عبد الله القديم ضريح في مقبرة شبام جرب هيصم ، ولعله من أقدم القبور المعروفة بالجرب إن لم يكن أقدمها . وله مناقب تسَمّى : « المنهاج القويم في مناقب الشيخ القديم » ، تأليف الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد .

(٢) توفي الشيخ محمد بن عمر سنة (٧٢١هـ) في حياة والده ودفن بشبام ، أما والده . . فتوفي سنة (٧٢٧هـ) عن (١٠٥) من السنين . والشيخ عمر هـٰذا ثاني ثلاثة إخوة ، ثانيهم : القديم ، وثالثهم : عبد الرحمـٰن ، توفي سنة (٧١١هـ) عن نيف وتسعين سنة .

وفقراءُ أخيارٌ صالحونَ ، دُفنَ بشبامٍ ، وتربتُهُ مِنَ ٱلتُّربِ ٱلمشهورةِ ، ٱلمقصودةِ بِٱلزِّيارةِ مِنَ ٱلأماكنِ ٱلشَّاسعةِ ، ومنصبهُم مِنْ أعلى مناصبِ حَضْرَمَوْتَ) اهـ[1]

وقولُهُ : (إنَّ ٱلغُرفةَ بأعلىٰ حضرموتَ) . . مِنَ ٱلأوهامِ ، وكذلك قولُه : (إنَّ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱللهِ أوَّلُ مَنِ ٱشتهرَ بٱلتَّصوُّف) . وأمَّا قولُهُ : (إنَّ مَنصبَهم مِن أعلىٰ مناصبِ حضرموتَ) . . فنعم كما سَيأْتي .

ومِنْ أكبرِ مناصبِهم : ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدِ بنِ عمرَ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ عبَّاد[2] ، ٱلَّذي يقالُ لَهُ : صاحبُ ٱلجابيةِ ؛ لأنَّهُ بنىٰ جابيةً للواردينَ عليهِ مِنَ ٱلحنفيَّةِ ، ولا يزالُ في ضيافتِهِ خمسُ مئةِ نفرٍ غيرُ ٱلطَّارئينَ . وكانَ حمَّالاً للأثقالِ ، يتحمَّلُ ٱلمغارمَ ، ويدفعُ ٱلمظالمَ .

وفي مناقبِهِ : أنَّ أحدَ أهلِ ٱليَمنِ ساءَتْ حالُهُ ، ولزمَهُ دَينٌ يُقدَّرُ بمئةِ دينارٍ ، وٱنقطعتْ بهِ ٱلحِيَلُ ، وٱنسدَّتْ في وجهِهِ ٱلأبوابُ ، فطوى ٱلبلادَ سائِراً إلى ٱلغرفةِ ، فٱستجهرَهُ ما رأىٰ مِنْ عظيمِ حالِ ٱلشَّيخِ وكثرةِ وفودِهِ ، فهابَهُ ولَم يَقدِرْ علىٰ مكالمتِهِ ، إلىٰ أن سنحَتْ لَهُ ٱلفرصةُ ، فذكرَ لَهُ حالَهُ ، فأعطاهُ ٱلفَ دينارٍ ، ولمَّا كانَ في أثناءِ ٱلطَّريقِ . . ٱنتهبَهُ ٱللُّصوصُ ، فعادَ أدراجَهُ إلى ٱلغرفةِ حرَّانَ[3] آسِفاً[4] ، فعوَّضَهُ ٱلشَّيخُ بألفٍ آخَرَ أعطاهُ بهِ تحويلاً إلى ٱلشِّحْرِ كيلا يأخذَهُ ٱللُّصوصُ مرَّةً أُخرىٰ . وبٱلثَّمرةِ ٱلواحدةِ تُعرفُ ٱلشَّجَرةُ .

وكانَ للشَّيخِ عبدِ ٱللهِ ٱلقديمِ ولذرِّيَّتِهِ مِنْ بَعدِهِ تعلُّقٌ عظيمٌ بٱلعلويِّينَ ، وسمعتُ مِنْ بعضِ ٱلمشايخِ أنَّهُم أوَّلُ مَنْ سَنَّ تقبيلَ أيدي ٱلعلويِّينَ بحَضْرَمَوْتَ ، إلاَّ أنَّهُ حصلَ بعدَ ذلكَ ما يقتضي ٱلتَّنافُرَ ، وأوَّلُهُ ـ فيما أظنُّ ـ ما وقعَ في زمانِ ٱلشَّيخِ عمرَ ٱلمحضارِ

---

(١) نسبة البلدان (خ/ ١٨٩) .

(٢) توفي الشيخ محمد هـٰذا سنة (٨٠٥هـ) ، كما في « شنبل » (١٥٦) ، و« الحامد » (٢/ ٢٨٤) .
أما والده الشيخ عبد الله بن محمد . . فيلقب بعبد الله الأخير ؛ تمييزاً له عن الشيخ عبد الله بن محمد القديم المتقدم الذكر ، توفي هـٰذا الأخير في (٢٥) رجب سنة (٧٦٣هـ) « شنبل » (١٣٠) .

(٣) حرَّان : عطشان .

(٤) آسفاً : شديد الحزن .

والشَّيخِ عقيلٍ باعبَّادٍ[1] ، حتَّىٰ أَصلحَ بينَهُما ٱلفقيهُ محمَّدُ بنُ حكمٍ باقُشَير ، حَسَبَما ذكرناهُ بـ« **ٱلأَصلِ** » عن « مفتاحِ ٱلسَّعادةِ وٱلخيرِ في مناقبِ ٱلسَّادةِ آلِ باقشير » لمؤلِّفِ « ٱلقلائِدِ » .

وعنِ ٱلفاضلِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلمشهورِ عن والدِهِ مُفتي ٱلدِّيارِ ٱلحضرميَّةِ أَنَّهُ يقولُ : (سمعتُ كثيراً مِنْ مشايخي يقولُون : كانتِ ٱلمشيخةُ بتريم للخُطباءِ وآلِ بافضلٍ ، فلمَّا سكنَها ٱلعلويُّونَ . . تنازَلوا لَهم عن تقبيلِ ٱليدِ ولبسِ ٱلعمامةِ ، وٱلنِّداءِ بلفظِ ٱلحبيبِ ، فمَحوهُ عن أَنفسِهِم وخصَّصوهُ بٱلأَشرافِ ، وجعلوهُ علامةً لَهم) اهـ

وهو في حاجةٍ إِلى ٱلبحث وٱلنَّظرِ وٱلرُّجوعِ إِلىٰ ما يأْتي في ٱلمبحثِ ٱلثَّالثِ مِنَ ٱلحسيِّسةِ .

وقالَ لي بعضُهم : إِنَّ آلَ باعبَّاد همُ ٱلذينَ حَملوا ٱلنَّاسَ علىٰ دعائِهم بٱلحبيبِ ، وعلىٰ تقبيلِ أَيديهِم ، لا علىٰ تقبيلِ أَيدي ٱلعلويِّينَ .

وآيَةُ هـٰذَا أَنَّهم لا يزالونَ علىٰ ذلكَ بينَ أَتباعِهِم إِلى ٱليومِ ، وٱلمسأَلةُ لا تعدو دائرةَ ٱلظَّنِّ وٱلاحتمالِ ، لا سيَّما وأَنَّ ٱلخطباءَ وآلَ بافضلٍ لا يزالونَ مُعَمَّمينَ ، وإِنَّما كانَ جُلُّ آل سيئونَ لا يلبسون ٱلعمامةَ ، إِمَّا ٱقتصاداً ، أَو أَدباً معَ ٱلأَشرافِ وٱلفقراءِ مِن آل بارجاء تلاميذِ آل باعبَّادٍ ، وٱلأَقربُ ٱلثَّاني ؛ بِأَمَارَةِ وجودِ ٱلكثيرِ مِمَّن أَدْرَكْنا مِن آلِ حسَّانَ يلبسونَ ٱلقلنسوَةَ ٱلمخصوصةَ بٱلعِمامةِ ـ وهيَ ٱلمسمَّاةُ بٱلأَلفيَّة ـ مِن دونِ عمامةٍ ، ومهما يكن مِنَ ٱلأَمر . . فتركُ ٱلعمامةِ مِنَ ٱلبدءِ أَخفُّ إِشكالاً مِن تركِ أَهلِ ٱلعلمِ لها بعدَ ٱستعمالِها .

وللحضارمةِ أوليَّاتٌ مِن هـٰذا ٱلقبيل ؛ منها : ما أَظُنُّني ذَكَرْتُه في ٱلجزءِ ٱلأَوَّلِ مِنَ « **ٱلبضائِعِ** » : (أَنَّ ٱلأَشعثَ بنَ قيسٍ ٱلكِنديَّ أَوَّلُ مَن ركبَ وٱلرِّجالُ تمشي بينَ يديهِ) .

---

[1] الشيخ عقيل هـٰذا هو عقيل بن عبد الله باعباد ، توفي سنة (٩١١هـ) ، وهو غير الشيخ عقيل بن أحمد باني جامع الغرفة ، وسيأتي ذكره لاحقاً .

وكَانَ ٱلسَّلفُ إذا نظروا إِلىٰ راكبٍ ورجلٍ يحضرُ مَعَهُ . . قالوا : قاتلهُ ٱللهُ مِن جبَّارٍ .

وكانَ ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ محمَّدٍ ٱلحَبْشيُّ ـ ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (١٠٣٨هـ) ـ كثيراً ما يَشكو إِلىٰ شيخِهِ ٱلشَّيخ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ ما يلقاهُ مِنْ أَذيَّةِ آلِ باعبَّادٍ إِذا جاءَ يدعو إِلى ٱللهِ بٱلغُرْفةِ ، فقالَ لَهُ : (لعلَّ ٱللهَ يُخرجُ مِنْ ذرِّيَّتِكَ مَنْ يَتبرَّكونَ بهِ) فلَم يَظهرْ أَثرُ هـٰذا ٱلدُّعاءِ إِلاَّ في سيِّدِنا ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ عيدروس بنِ عمرَ .

وفي آلِ باعبَّادٍ كثيرٌ مِنَ ٱلعلماءِ ، ومِنْ أَكابرِهم ـ كما في « جَوْهَر ٱلخطيبِ » ـ : إِمامُ ٱلطَّريقينِ ومفتي ٱلفريقينِ ، ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ أَبي بكرٍ عبَّاد ، ترجمَ لَهُ ٱلأُستاذُ ٱلأَبرُّ في « ٱلعقدِ » وقالَ : (إِنَّهُ وُلدَ سَنةَ « ٧١٢هـ » ، وتوفِّيَ أَوَّلَ ٱلقرنِ ٱلتَّاسعِ) وقد مرَّ ذِكرُهُ في شبام .

ورأَيتُ في رسالةٍ كتبَها ٱلسَّيِّدُ شيخُ بنُ عمرَ في « ٱلعُهْدةِ » : (أَنَّ ٱلشَّيخَ محمَّدَ بنَ أَبي بكرٍ هـٰذا دعا علىٰ آلِ باعبَّادٍ أَنْ لا يَجعلَ ٱللهُ منهُم عالماً ؛ لقضيَّةٍ منكَرةٍ أَوجبت ذلكَ جهلاً ، فٱستجابَ ٱللهُ دعوتَهُ) اهـ

وفي « مجموعِ ٱلجدِّ طـٰه بنِ عمرَ » [ص١٣١] عن أَحمدَ مؤذِّنٍ ما حاصلُهُ : (كانَ في ٱلغُرْفةِ قَبْلَ أَنْ تُقامَ فيها ٱلجمعةُ مسجدانِ متجاورانِ : أَحدُهُما : لآلِ باعبَّادٍ ، وٱلثَّاني : لآلِ باجمَّال ، فأَرادَ ٱلشَّيخُ ٱلجليلُ باني ٱلجامعِ جعْلَهُما مسجداً واحداً ، وٱستفتى ٱلعلماءَ فتوقَّفوا عنِ ٱلجوابِ ، فلَم يَكُنْ منه إِلاَّ أَنْ خلطَهُما بدونِ فتوىً مِنْ أَحدٍ ، وسُرَّ ٱلعلماءُ بتوقُّفِهم عنِ ٱلجوابِ) اهـ

وفي « مواهبِ ٱلبَرِّ ٱلرَّؤُوفِ » لابنِ سِرَاجِ ٱلتَّصريحُ بأَنَّ ٱلَّذي جَعَلَ ٱلمسْجِدَينِ واحداً هوَ ٱلشَّيخُ عقيلٌ ، وهوَ ٱبنُ أَحمدَ بنِ عمرَ بنِ محمَّدِ بنِ عمرَ عبَّادٍ[1] ، وقد سَبَقَ أَنَّ محمَّدَ بنَ عمرَ هـٰذا هوَ ٱلَّذي زادَ في سَنةِ (٧٠١هـ) في غرفةِ عَمِّهِ حتَّىٰ صارت داراً .

وٱلعملُ بخلطِ ٱلمساجدِ واقعٌ بكثرةٍ في ترِيم ، حتَّىٰ لقد سمعتُ أَنَّ ٱلجامعَ كانَ

---

(١) الشيخ عقيل بن أحمد توفي سنة (٨٤١هـ) .

سبعةَ مساجدَ ، ومسجدَ ٱلشَّيخِ عليٍّ كانَ خمسةً ، وهلمَّ جرّاً .

وقدِ ٱختلفَ ٱلعلماءُ في نظيرِ ٱلمسألة : فأَفتىٰ أَحمدُ بنُ موسى بنِ عجيلٍ ٱلمتوفَّىٰ سنة (٦٩٠هـ) بجواز نقض ٱلمسجدِ لتوسعتِهِ وإن لم يكن خراباً ، ومنعَهُ أَبو ٱلحسنِ ٱلأَصبحيُّ ٱليمنيُّ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (٧٠٠هـ) .

وقالَ بعضُ شُرَّاحِ « ٱلوسيطِ » : يجوزُ بشرطِ أَن تدعوَ ٱلحَاجَةُ إِليهِ ويراهُ ٱلإِمامُ أَو مَن يقومُ مقامَهُ ؛ فقد فُعِلَ بٱلحرمينِ مراراً ، معَ وجودِ ٱلمجتهدينَ من غيرِ نكيرٍ .

وقالَ ٱلأَشخَرُ في « فتاويهِ » : (قالَ ٱبنُ ٱلرِّفعةِ : كانَ شيخُنا ٱلشَّريفُ ٱلعبَّاسيُّ يقولُ : بتغيير بناءِ ٱلوقفِ في صورتِهِ عندَ ٱقتضاءِ ٱلمصلحةِ . قالَ : وقلتُ ذلكَ لشيخِ ٱلإِسلامِ ٱبنِ دقيقِ ٱلعيد فٱرتضاهُ .

وقالَ ٱلسُّبكيُّ : ٱلَّذي أَراهُ : ٱلجوازُ بثلاثةِ شروطٍ : أَن يكونَ ٱلتَّغييرُ يسيراً لا يُزيلُ ٱسمَ ٱلواقفِ . وأَن لا يزيلَ شيئاً مِن عينهِ ، بل يُنقَلُ نقضُهُ مِن جانبٍ إِلىٰ آخرَ ، فإذا ٱقتضىٰ زوالَ شيءٍ من عينِهِ لم يَجُزْ ، فتجبُ ٱلمحافظةُ علىٰ صورتِهِ مِن حمَّام ونحوه كما تجبُ على ٱلمادَّةِ وإن وقعَ ٱلنَّسخُ في بعضِ ٱلصِّفاتِ . وأَن تكونَ فيهِ مصلحةٌ للوقفِ) اهـ كلامُ ٱلأَشخرِ بٱختصارٍ وزيادةٍ من « تيسير الوقوف » .

وأَمَّا هدمُ ٱلمسجدِ ٱلخَرابِ وإعادتُهُ . . فجائز بلا خلافٍ . ولا يعدم ٱلشَّيخُ توسعةً لما صنعَ مِن بعضِ هـٰذهِ ٱلنُّقولِ . وٱللهُ أَعلمُ .

وكانَ آلُ باجمَّال ولاةَ بَورٍ ، فأَخذَها منهُم آلُ بانجَّارٍ ، فٱنتقلوا إِلىٰ شبام ، ثمَّ ٱنتقلَ بعضُهُم إِلىٰ باثورٍ مِنْ أَعمالِ ٱلغرفةِ ، ثمَّ ٱنتقلوا إِلى ٱلغرفةِ .

وكانَ ٱلشَّيخُ إبراهيمُ بنُ محمَّدٍ باهرمزٍ يُهنِّىءُ آلَ شبام بمجاورةِ ٱلفقيهِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ جمَّال ، ويُهنِّىءُ أَهلَ ٱلغُرْفةِ بمجاورةِ ٱلفقيهِ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّد جمَّال .

وقالَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ سراجٍ[1] : (لَم يَخْلُ زمنٌ مِنَ ٱلأَزمانِ مِنْ عصرٍ قديمٍ عن

---

(١) هو العلامة الفقيه النحرير ، مؤرخ آل باجَمّال وعالمهم المبرّز في عصره ، ولد سنة (٩٤٤هـ) ، وتوفي سنة (١٠١٩هـ) ، ترجمته في : « الجواهر والدرر » للشلي ، و« خلاصة الأثر » للمحبّي .

كثيرٍ فيهم مِنَ ٱلعلماءِ إِلىٰ وقتِنا هـٰذا ، وقلَّما نَقصوا فيما مضىٰ عن أَربعينَ عالماً ، وبقيَّةُ عامَّتِهم أَخيارٌ وصلحاءُ) اهـ

ونُقِلَ عنِ ٱلشَّيخِ صالحِ بنِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ عبَّادٍ أَنَّهُ قالَ : (يَكفينا فخراً مجاورتُنا لِلفقيهِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ سراجٍ ، وخالهِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عبدِ ٱللهِ جمَّالٍ) .

وكانت صلاتُهُم في ٱلمسجدِ ٱلَّذي يقالُ لَهُ : باجُرَيدَان في ٱلغرفةِ ، وقد سبقَ في ٱلشِّحْرِ ذِكرُ تَخرُّجِ ٱلشَّيخ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ سراجٍ مِنْ مدرستِها ، وقَبْلَ ذلكَ وبعدهُ كانَ أَخذُهُ عن علماءِ بلادِهِ ـ وفي مقدِّمتهم : أَبوهُ ـ كثيراً أثيراً .

وقدِ ٱضطربَ ٱلكلامُ في نَسبِ آلِ باعبَّادٍ بما هوَ مفصَّلٌ بـ« **ٱلأَصلِ** » ، وٱلأَكثرُ علىٰ أَنَّهُم مِنْ بني أُميَّةَ ، ولـٰكنْ نَقَلَ بعضُهُم ـ أَعني آلَ باعبَّادٍ ـ عن « تاريخِ ٱبنِ حسَّانٍ » : (أَنَّ جدَّ ٱلشَّيخِ ٱلقديمِ ، وهوَ ٱلشَّيخُ عَبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ، خرجَ وثلاثةٌ معَهُ مِنَ ٱلحجازِ للسِّياحةِ ، فنزلوا بٱلهجرينِ على ٱلأَميرِ محفوظٍ ، فأَحبَّهُ وزوَّجَهُ بنتَهُ ، فأَولدَها محمَّداً والدَ ٱلقديمِ ، فلمَّا شبَّ ـ أَعني محمَّداً ـ . جاءَ إِلىٰ باثورٍ فأَلفىٰ فيهِ باجمَّال ، فخَطبَ إِليهِ بنتَهُ . فقالَ لهُ : ما نَسَبُكَ ؟ فقالَ : ٱلتَّقوىٰ . فزوَّجَهُ ٱبنَتَهُ ، فأَولدَها عبدَ ٱللهِ ، وعَبدَ ٱلرَّحمـٰنِ ، وعمرَ) اهـ

وهوَ صريحٌ في كونهِم طارئينَ علىٰ حضرموتَ لا مِنْ صميمِها ، ولماذا يعدلُ ٱلشَّيخُ عن ذِكرِ نَسَبهِ وهوَ مِنْ أَشْرفِ ٱلأَنسابِ؟! وعَلَّ لَهُ عذراً ونحنُ نلومُ ؛ فلربَّما كانَ ٱلمانعُ عنِ ٱلتَّصريحِ بنَسَبهِ ٱلخلافاتِ ٱلمذهبيَّةَ ؛ فإِنَّها كثيرةٌ إِذْ ذاكَ ، وهيَ عرضةُ ٱلمُوارَبةِ وٱلتَّقيَّةِ .

أَمّا بنو أُميَّةَ ٱليزيديُّونَ : فقد مرَّ في شبام أَنَّ دَوْلتَهُمُ ٱستمرَّتْ بحَضْرَمَوْتَ مِنْ سَنةِ (٢٠٦هـ) إِلىٰ سَنةِ (٤١٢هـ) ، وكونُ هـٰؤلاءِ مِنَ ٱلحجازِ يَمنعُ كونهم منهُم ، ولـٰكنَّ آلَ باعبَّادٍ لَم يَدَّعوا إِلىٰ يَزيدَ ، وإِنَّما ٱدَّعوا في آلِ عثمانَ ، وهُم موجودونَ إِذْ ذاكَ بٱلحجازِ ، وٱلبحثُ مستوفىً بـ« **ٱلأَصلِ** » .

وفي « ذيل رشيدةِ ٱلإِخوانِ » لعبدِ ٱللهِ بكرانَ : (أن آلَ باحلوانَ وآل باعبَّادٍ في

ٱلغرفةِ لهم مآثِرُ وصدقاتٌ جاريةٌ ، وأوقافٌ ورثوها عن آبائِهم وأَجدادِهم ، قال ٱبن خلدونَ في « مقدِّمة تاريخهِ » : بنو عامرٍ وبنو عبَّادٍ مِن موالي بني أُميَّةَ ، وكانَ أَهلُهم قضاةَ بني أُميَّةَ) اهـ

ونقل بعدَهُ عن ٱبنِ خلدونَ : أَنَّ بني عبَّادٍ أَصحابَ إشبيليةَ من لخمٍ ، من قحطان وهو منافٍ لكونِهم موالي بني أُميَّةَ ، إلاَّ أَنَّهُ أَشارَ إِلىٰ أَن ٱلموالاة كانت بٱلحلفِ ، وبعيدٌ أَن يرجعَ نسبُ آل با عبَّادٍ إِلىٰ أَصحابِ إشبيليةَ ؛ لما عرفَ ممَّا سبقَ .

ومِنَ ٱلمقبورينَ بٱلغرفةِ : ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ عيسىٰ بارَكْوَهْ ٱلسَّمرقنديُّ ، أَطالَ سيِّدي ٱلأُستاذُ ٱلأَبرُّ في ذِكرِهِ ، وأَثنىٰ عليهِ ثناءً جمّاً ، وهوَ مِنْ تلاميذِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ .

وممَّنْ أَخذَ عنهُ : ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلعطَّاسُ ، وٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ عبدِ ٱلقادرِ باعِشْنٍ ، صاحبُ ٱلرِّباطِ . وغيرُهُما . ولَهُ ذِكرٌ كثيرٌ في « ٱلقرطاسِ » و« شرحِ ٱلعينيَّةِ » وغيرِهما .

ومِنْ أَهلِ ٱلغرفةِ : ٱلشَّيخُ ٱلصَّالحُ ٱلشَّهيرُ سالمُ بنُ عبدِ ٱللهِ باعامرٍ ، لَهُ مسجدٌ صغيرٌ في طرفها ٱلشَّرقيِّ ، ٱتَّخذَهُ آلُ ٱلفاسِ مخفراً بٱلآخِرَة . ولَهُ أَيضاً مسجدٌ آخَرُ في جنوبِ ٱلبلادِ ، بسفحِ ٱلجبلِ ٱلَّذي يُطلُّ عليها .

ومِنَ ٱللَّطائفِ : أَنَّ ٱلشَّيخَ عوضَ بامختارٍ[1] ـ وكانَ مشهوراً بٱلولايةِ وٱلصَّلاحِ ـ ماتت لَهُ ٱمرأَةٌ ، فٱشتدَّ وَجْدُهُ عليها ، وبينا هوَ واضعٌ كَفَّ حائرٍ علىٰ ذقنٍ نادمٍ ـ مِنْ فَرْطِ ٱللَّوعةِ ـ علىٰ دكَّةِ دارٍ بٱلغرفةِ . إِذْ مرَّ بهِ ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ عبدِ ٱللهِ بامخرمةَ ، فقالَ لَهُ :

يا عمرْ ؛ (آه) طبْ أَهْلِ ٱلقلوبِ ٱلمِراضِ ؟

فأَجابَهُ ٱلشَّيخُ عمرُ قَبْلَ أَنْ يبلعَ ٱلرِّيقَ :

طِبُّه العَذْب لي يِنْزَحْ علىٰ بِير رَاضِي

---

(١) هو الشيخ عوض بن عبد الله بامختار ، ولد بالغرفة سنة (٩١٣هـ) ، وتوفي بها سنة (٩٧٨هـ) ، كان أمياً من الصالحين العارفين . « السناء الباهر » ، « تاريخ الشعراء » : (١/ ١٦٦) .

وهيَ بئرٌ يُستقىٰ مِنها بٱلغرفةِ ـ فذهبَ إليها فألفى ٱمرأةً تنزحُ مِنها فتزوَّجَها ، وكانَ وإيَّاها كما قالَ قيسٌ [ٱلمجنونُ في « ديوانه » ١٦٦ مِنَ ٱلطَّويل] :

مَحَا حُبُّهَا حُبَّ ٱلأُلَىٰ كُنَّ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ مَحَلاً لَمْ يَكُنْ حُلَّ مِنْ قَبْلُ

وبٱلغرفةِ جماعةٌ مِنْ أعقابِ ٱلسَّيِّدِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ٱلحَبْشيِّ ، ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (١٠٣٨هـ) .

منهُمُ : ٱلسَّيِّدُ زينُ بنُ علويِّ بنِ أحمدَ ، ٱلمتوفَّىٰ بها سَنةَ (١١٠٠هـ) .

ومنهُمُ : ٱلإمامُ ٱلجليلُ ، صاحبُ ٱلفراسةِ ٱلصَّادقةِ وٱلكشفِ ٱلخارقِ ، ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ محمَّدِ بنِ حسينِ بنِ زينِ بنِ علويِّ بنِ أحمدَ ، ٱلمتوفَّىٰ بها سَنةَ (١٢٥٠هـ)[1] ، فلقد كانَ جليلَ ٱلشَّأنِ ، عظيمَ ٱلمقدارِ ، حتَّىٰ إنَّ سيِّدَ ٱلوادي ٱلحسنَ بنَ صالحٍ ٱلبحرَ لا يزورهُ إلاَّ بعدَ أن يغتسلَ ويتطيَّبَ ، ويبالغُ في ٱحترامِه ، وبما غرسَ ٱللهُ لهُ مِنَ ٱلمحبَّةِ في القلوبِ . أقبلَت عليهِ ٱلنَّاسُ ، فقامت عليه بعضُ نفوسِ ٱلسَّادةِ آلِ أحمدَ بنِ زينٍ وعقروا فرسَهُ ، وأُصيب عاقرُها ، وتكلَّموا عليهِ بما لا يليقُ ، كما يُعرفُ بعضُ ذلكَ مِن كتابٍ بخطِّ يدهِ سيَّرهُ إليهم ، وهوَ هٰذا :

بسمِ ٱللهِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلرَّحيمِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ ﴾ . . . الآية .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ ﴾ الآية .

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ . . . إلخ .

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ .

---

(١) كان الحبيب عبد القادر من أهل الصلاح ، ولم يكن مشهوراً في زمانه ، وقد ذكره في « العقد » ، وجمع بعض أحفاده مكاتباته مع معاصريه .

ٱلحمدُ لله حَمدَ من رَدَّ أمرَه إليه ، وَلَجأ في مهماتِه عَليه ، وٱلصَّلاةُ وٱلسَّلامُ علىٰ سيِّدنا محمَّد أفضل ٱلخَلق لديه ، وعلىٰ آلِه وصحبِه وسائر ذويه .

مِن عبدٍ خائف مِن مولاه ، الحقير عبد القادر بن محمَّد الحبشي إلىٰ إخوانِه وأصحابِه في الله السَّادَة الأشراف آلِ جعفرِ بنِ أحمدَ بن زين الحبشي ، وكذلكَ مُحِب أهل البيت عبدُ الله بن سعيد بن سُمير . . سلكَ الله بِهِم إلى الطَّريق السَّديدة ، ودلَّهم على الأفعال الحميدة وإيَّانا آمينَ .

السَّلام عليكم ورحمةُ الله وبركاتهُ ، صدَرَت الأحرفُ مِنَ الغرفةِ والمُوجب ـ يا سَادتِي وأنت يا مُحب عبد اللهِ ـ أنَّ هٰذا أمرٌ جرىٰ في جَنابنا وردَّينا أَمرنا إلىٰ مَولاَنا إخماداً للشرورِ وتقييداً للمحتري من الأشرارِ ، ومعاملةً معَ عالمِ خفياتِ الأَسرارِ ، الَّذي لا تضيعُ المعاملةُ لديهِ ، والَّذي كلُّ شيءٍ تحتَ حكمِهِ وبينَ يديهِ ، وبعد :

إنَّ السادة يا محب عبد اللهِ يتكلَّمون بكلامٍ قبيحٍ ما يقالُ في البلدانِ ، ويَقولونَ : عاد نحن مرادنا منه الشَّريعة ، وكَسَر الشريعةَ وسارَ إلىٰ سيئون خوف من طلاَّب الشَّريعة ، ونَحنُ سِرنَا إلىٰ سَيئون مِن القِيل والقَال عَلى أنفُسنا وَقلُوبنَا ممَّا جَرىٰ فينَا منَ الأُمورِ الشَّنيعةِ ، وَجاؤُوا لَنا وسائط اللهُ أعلم هَل هُم مِن طَرفِ السَّادةِ؟ أَو هُم حق فُضول مِنهُم؟ وَقلنَا نَحنُ قد عفينا في الحقِّ الَّذي لَنَا ولا نحنُ طالبينَ حق من السَّادة ، وطَرَّبنا في السُّوق أنَّ كلاً معذورٌ من القبائلِ ووَجهه أَبيَض مِن الَّذي حَضروا والَّذي هُم شَالِّين عنَّا علىٰ أنفسهم ، وَفي وَجيههم اعذرناهم وَمُرادنا السّكون لَنا وَدحر للسَّادة حَسَبما حضر الوَلدُ جَعفرُ بنُ هاشم ، وَما قد بلغكُم ، وبعد أن السادة بقي يَصدُر منهم كَلامٌ فينا وَيزعُمونَ أنَّهم طالبين نحن الحقّ ، وبعد جاء لَنا وَاحدٌ من أهلِ ٱلفضل وَقالَ : ما يُمكن ما تعطي الحَقّ السَّادة في هٰذا الكَلام الشَّنيع ، إن كان السَّادة مطالبين . . نحن فِيمَا يَقولُونَ ٱلوعد مِنهم ، وَحيثُ أرادُوا قَريب أَو بَعيد وَموفين لَهم ٱلحقّ في هَـٰذا ٱلأَمر وَربَّما وَفَّينا شَيء مِن هَـٰذا ٱلكَلام وَلا حَد عَالِم به ، وَنحن مُصرِّين عَلىٰ فَاحِشة وَإن لَم يَكن عِندنَا حَق لِلسَّادة وَلا فِينَا شيء مِن هَـٰذا ٱلكَلام ، وَهـٰذَا إلاَّ بُهتان وَلغوٌ وافتراءٌ علَى الله ؛ فَالأُمور كلُّها إلى الله ، ﴿ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ

﴿أَعۡمَـٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ﴾ وَلا نَقول إلاّ مَا قَاله الصَّابرُون : : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ و﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ ، وَهو حَسْبنا ونعمَ ٱلوَكيل ، وَلا حَولَ وَلاَ قوّة إلاّ بالله ٱلعَليِّ ٱلعظيمِ ، وَلنا أُسوةٌ بمن مَضى مِن سَادتِنا ٱلعلويّين كَما قالَ سيدُنا عبدُ الله ٱلحدادُ [في « ديوانه » ١٢٧ مِنَ ٱلرَّمَلِ] :

بَهَتُونَا بِمَقَالٍ سَيِّءٍ كَانَتِ ٱلأَحْرَىٰ بِهِ لَوْ أَبْصَرَتْ
قَدَ حَلُمْنَا وَصَفَحْنَا عَنْهُمُ وَبِذَا أَسْلاَفُنَا قَدْ أَخْبَرَتْ

و﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا﴾ .

ومن أجل الأمور الذي دخل في خواطر السادة من طرفها ، يشهد الله علينا وملائكته : أنا ما طلبناها ولا دَوَّرنا لها غير جاءت نحن من غير طلب . انتهى الموجود من الكتاب .

وقد حذفتُ منهُ آيات وحديثاً لا تكثرُ فيها مناسبةُ ٱلموضوع ، وفي ٱلكتابِ أغلاطٌ حتىٰ في ٱلآياتِ تعرفُ بٱلفهمِ وٱلذَّوقِ[1] ، وٱللهُ أعلمُ .

قالَ سيِّدي ٱلأُستاذُ ٱلأبرُّ عيدورسُ بنُ عمرَ : وكانت للحبيبِ عبدِ ٱلقادرِ ٱلمذكورِ أُمورٌ غريبةٌ من ٱلرِّياضاتِ وٱلخلواتِ ، وله أربعينيَّاتٌ متعدِّدةٌ .

وربَّما تخلَّفَ عن شهودِ ٱلجمعةِ ؛ لأنَّ ٱللهَ كشفَ لهُ عن أحوالِ ٱلنَّاسِ الباطنةِ ، فيراهم في صورِ معانيهم . حتَّىٰ دعا لهُ ٱلحبيبُ حسنُ بنُ صالحِ ٱلبحرِ فسترَ ٱللهُ ذلكَ عنهُ .

ومنهمُ ٱلسَّادةُ ٱلأجلاَّءُ : عيدروسُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عيسى ٱلحبشيُّ . وولداه : ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ محمَّدُ بنُ عيدروسٍ ، ٱلمتوفَّىٰ بها سَنَةَ (١٢٤٧هـ) . وأخوهُ ٱلعلاَّمةُ ٱلإمامُ عمرُ بنُ عيدروسٍ ، ٱلمتوفَّىٰ بها سَنَةَ (١٢٥٠هـ) . . مناهلُ علوم ، ومفاتحُ فُهوم ، وقُرَّاتُ عيون ، وآحادٌ هي ٱلمئون ، وصفاءٌ كأنَّما أخلصتْهُ ٱلقيون :

لَهُمْ سُرَّةُ ٱلْمَجْدِ ٱلتَّلِيدِ وَسِرُّهُ وَمَحْضُ ٱلْمَعَالِي فِيهِمُ وَٱلْمَنَاقِبِ[2]

---

(١) وقد أصلحنا الآيات القرآنية .
(٢) البيت من الطويل ، وهو للشريف الرضي في « ديوانه » (١ / ٩٠) .

ومنهم مُسنِدُ حَضْرَمَوْتَ بل مُسنِدُ ٱلدُّنيَا كلِّها في عصرِهِ إذ زلَّت عن مرقَاتِهِ ٱلأُصول ، ولم يتَّفق لأحدٍ إلىٰ مثلِ علوِّهِ ٱلوصول : أُستاذُنا ٱلأبرُّ عيدروسُ بن عمرَ ؛ فإنَّهُ مَجْمَعُ ٱلمفاخرِ ، وبحرُ ٱلعلمِ ٱلزَّاخر ، وزينةُ ٱلزَّمنِ ٱلآخر :

أَزَالَـتْ بِـهِ ٱلأَيَّـامُ عَتْبِـي كَـأَنَّمَـا ... بَنُـوهَـا لَهَـا ذَنْـبٌ وَهَـٰذَا لَهَـا عُـذْرُ[1]

وهوَ ٱلإمامُ بحقِّهِ ، وٱلكمالُ بصدقِهِ ، وعلى ٱلجملة : فإنِّي لا أجِدُ عبارةً تُرضيني في وصفِ ما شاهدتُهُ مِنْ محاسنِهِ ، فضلاً عمَّا لَم أُشاهِدْهُ ، ولم ينتهِ إلىٰ تصوُّرِهِ إذ ذاكَ سنِّي ؛ إذِ ٱلأمرُ كما قالَ أبو ٱلطَّيِّبِ [في « العكبريِّ » ٢/ ٢٨٧ مِنَ ٱلطَّويل] :

وَمَـا حَـارَتِ ٱلأَفْهَـامُ فِـي عُظْـمِ شَـأْنِـهِ ... بِـأَكْثَـرَ مِمَّـا حَـارَ فِـي حُسْنِـهِ ٱلطَّـرْفُ

جمالٌ يحسرُ ٱلأنظار ، وكمالٌ يدهشُ ٱلحُضَّار ، وجلالٌ يملأُ ٱلبصائر ، ومقامٌ يملكُ ٱلضَّمائر ، ووقارٌ يأخذُ ٱلنُّفوس ، فلا يَبْقىٰ لديهِ رئيسٌ ولا مرؤُوس . . إلاّ وهم خاضعو ٱلأذقانِ ، نَاكِسو ٱلرُّؤُوس .

كَـأَنَّ شُعَـاعَ عَيْـنِ ٱلشَّمْـسِ فِيـهِ ... فَفِـي أَبْصَـارِنَـا عَنْـهُ ٱنْكِسَـارُ[2]

وحديثٌ يَهزُّ ٱلشُّعورَ ، ويجلبُ ٱلسُّرورَ ، كأنَّما هوَ ٱللُّؤلؤُ المنثورُ ، وتهتزُّ لهُ ٱلجبالُ ٱلرَّكينة ، وكأنَّما تنزلُ عندَهُ ٱلسَّكينة .

أَنْـدَىٰ عَلَـى ٱلأَكْبَـادِ مِـنْ قطـرِ ٱلنَّـدَىٰ ... وَأَلَذُّ فِي ٱلأَجْفَانِ مِنْ سِنَةِ ٱلكَرَىٰ[3]

وممَّا أَستخرجُ بهِ ٱلعجبَ مِنَ ٱلقومِ ، ولا أزالُ ممتلِئاً بهِ في نفسي إلى ٱليومِ . . أنَّني وأترابي مِنَ ٱلصِّغار ـ معَ ٱلانطباع على الحركة ـ نبقىٰ في مجلسِهِ ٱلشَّريفِ ٱلساعاتِ ٱلعديدةَ ، وكأنَّما على ٱلرُّؤُوسِ ٱلطَّيرُ .

فَبَقَـايَـا وَقَـارِهِ عَـافَـتِ ٱلنَّـا ... سَ وَصَـارَتْ رَكَـانَـةً فِـي ٱلْجِبَـالِ[4]

---

(١) البيت من الطويل .

(٢) البيت من الوافر ، وهو لأبي الطَّيِّب المتنبِّي في « العُكبريِّ » (٢/ ١١٠) .

(٣) البيت من الكامل ، وهو من قصيدة رائيَّة مشهورة لابن عمَّار يمدح بها المعتضد عبَّاد ، والد المعتمد ، تجدها في « نفح الطيب » (١/ ٩٥) . السِّنة : النُّعاس . الكرىٰ : النَّوم .

(٤) البيت من الخفيف ، وهو لأَبي الطَّيِّب المتنبِّي في « العكبريِّ » (٣/ ١٩٩) . عافت : كرهت . =

وكيفَ لا أعجبُ مِن شمولِ ٱلسكونِ ، معَ أنَّنا لا نعرفُ كلَّ ما يكون ، وإنَّما نلتذُّ بريَّاه ، وننعم بمُحَيَّاه ، وحيَّاه ٱللهُ وبيَّاه ، فمعَ قصورِنا عن فهمِ ٱلكثيرِ مما يسرح فيه منَ ٱلمعاني ٱلرَّائقة ، وٱلعباراتِ ٱلفائقة . . نحسُّ كأنَّما تبسطُ لهُ ٱلملائكةُ أجنحتَها ، وتُلقي ـ وما تدري ـ لهُ ٱلأكُفُّ أسلحتَها ، لا سيَّما إذا ٱزدَحَم ٱلجمعُ يَسْتَجْلونَ هلالَه ، ويسمعونَ منه كلمةَ ٱلجلالَه .

فَتُلْقِـي وَمَـا تَـدْرِي ٱلأكُـفُّ سِـلاَحَهَـا   وَيُخْرَقُ مِنْ زَحْمٍ عَلَى ٱلرَّجُلِ ٱلْبُرْدُ[1]

وقد سبقَ في ٱلقُوَيرةِ : أنَّ شيخَنا ٱلعلاَّمةَ ٱبنَ شهابٍ يقولُ : (لولا أنِّي رأيتُ ثلاثةً ؛ وهم : محسنُ بنُ علويٍّ ٱلسَّقَّافُ ، وأحمدُ بنُ محمَّدٍ ٱلمحضارُ ، وعيدروسُ بنُ عمرَ ٱلحبشيُّ . . لما صدَّقتُ بما يُروىٰ عنِ ٱلرِّجالِ مِنْ مقاماتِ ٱلكمالِ) ولٰكن جاءَ ٱلعيانُ فألوىٰ بٱلرِّواياتِ ، وقد قالَ أبو عبادةَ [البحتريُّ في « ديوانه » ٢/ ٣١٠ من ٱلبسيط] :

رَأَيْـتُ مَجْـداً عِيَـانـاً فِـي بَنِـي أُدَدٍ   إِذْ مَجْـدُ كُـلِّ قَبِيـلٍ غَيْـرِهِـمْ خَبَـرُ

ولا جرَمَ فقد كانَ ٱلأُستاذُ نسخةَ ٱلسِّيرةِ ٱلنَّبويَّةِ ، لا يَحِيدُ عنها شعرةً ، ولا يَلتفتُ يمنةً ولا يسرةً .

فَمَـا هُـو إلاَّ نَبْعَـةٌ مِـنْ غُصُـونِـهِ   وَطَلْعَـةُ نُـورٍ مِـنْ شَـرِيـفِ خِـلاَلِـهِ[2]

ولقد زرتُ هوداً عليهِ ٱلسَّلامُ معَهُ في سَنةِ (١٣١١هـ) ، ورأيتُ ٱلنَّاسَ حافِّينَ بهِ .

كَـأَنَّهُـمْ عِنْـدَ ٱسْتِـلاَمِ رِكَـابِـهِ   عَصَائِبُ حَوْلَ ٱلْبَيْتِ حَانَ قُفُولُهَا[3]

= الرَّكانة : الرُّسوخ . والمعنىٰ ـ كما في العكبريِّ ـ : وما بقي من حلمه الَّذي أعطاه اللهُ . كره النَّاسَ ، فلم يحلَّ بهم ، فحلَّ في الجبال ، فصار ركانة فيها وثبوتاً .

(١) البيت من الطويل ، وهو متداخل من بيتين للمتنبي في « العكبري » (٢/ ٥) ، والبيتان هما :

بِمَـنْ تَشْخَـصُ ٱلأَبْصَـارُ يَـوْمَ رُكُـوبِـهِ   وَيُخْـرَقُ مِـنْ زَحْـمٍ عَلَـى ٱلـرَّجُـلِ ٱلْبُـرْدُ
وَتُلْقِـي وَمَـا تَـدْرِي ٱلْبَنَـانُ سِـلاَحَهَـا   لِكَثْـرَةِ إِيْمَـاءٍ إِلَيْـهِ إِذَا يَبْـدُو

(٢) البيت من الطَّويل .

(٣) البيت من الطَّويل ، وهو للبحتريِّ في « ديوانه » (١/ ٤٠٠) .

وهوَ يسيرُ بسيرِ ضعيفِهم ، وكلَّما مشىٰ مِيلاً . . عَرَضَ ٱلعُقْبَةَ[1] علىٰ مولىً لَهُ ـ يقالُ لهُ : فرج ـ يسيرُ أَمامَ دابَّتِهِ ، ينبو عن جَنْبِهِ ٱلرُّمحُ ، كأَنَّهُ ٱلمُهْرُ ٱلأَرِنُ[2] من فرطِ ٱلقوَّةِ وٱلنَّشاطِ ، ولـٰكن هـٰكذا كانَ رسولُ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ .

وما قَدْرُ ثَنائي عليه بعدما كانَ ثناءُ مشايخهِ عليهِ ٱلبابَ ٱلواسعَ؟! ومن قَيَّل بينَ ما يأتي آخرَ هـٰذا ٱلكتابِ منِ ٱحتياطِ سيِّدنا عبدِ ٱللهِ بنِ حسينٍ بلفقيهِ في توثيقِ ٱلرِّجالِ . . وبينَ مَمادحِهِ ٱلضَّخمةِ للأُستاذِ ٱلأَبرِّ في أَيّامِ شبابه . . عَرَفَ صدقَ ما أَقولُ .

وصحَّ أَنَّ أَبناءَ ٱلإمامِ ٱلشَّهيرِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ عادوا من زيارةِ دَوْعَنَ ، ولمَّا سأَلهم أَبوهُم : هل عَرَّجتُم على ٱلولدِ عيدرَوس بنِ عمرَ؟ قالوا : لا . قالَ : لا تحلُّوا ٱلرِّحالَ حتَّىٰ ترجعوا فتزوروهُ ؛ لأَنَّ ٱلأَمرَ كما قالَ ذو ٱلرُّمَّةِ [في « ديوانهِ » ٢٧٠ مِنَ ٱلوافر] :

تَمَـــامُ ٱلْحَـــجِّ أَنْ تَقِــفَ ٱلْمَطَــايَــا ... عَلَــىٰ خَــرْقَــاءَ واضِعَــةَ ٱللِّثَــامِ

ومعَ إجماعِ ٱلنَّاسِ علىٰ تفضيلهِ ، وإِصْفَاقِهِم بتفرُّدِهِ ؛ لأَنَّ أَمرَهُ كما قال ٱلشَّريفُ ٱلرَّضيُّ [في « ديوانِهِ » ٢/٤٠٣ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَلَــوْ لَــمْ يُقِــرَّ ٱلْحَــاسِــدُونَ بِمَجْــدِهِ ... أَقَــرُّوا عَلَــىٰ رُغْــمٍ بِفَضْــلِ ٱلتَّقَــدُّمِ

. . فإنه لم يَسْلَم من أَذى ٱلحُسَّادِ ، بل كانَ لهُ منهُ ٱلنَّصيبُ ٱلكاثرُ ، إِلاَّ أَنَّهُ لمَّا أَبَرَّ عليهم . . سَقَطت همَمُهم عن منافستِهِ ، وكانوا مَعهُ كما قالَ مروانُ [في « ديوانهِ » ٧٤ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَمَــا أَحْجَــمَ ٱلأَعْــدَاءُ عَنْــكَ بَقِيَّــةً ... عَلَيْــكَ وَلَـٰكِــنْ مَــا رَأَوْا فِيــكَ مَطْمَعَــا

ولمَّا لم يجدوا وسيلةً لما يشفي ضَبابَ ضغنِهم عليه . . أَرضوا ٱلمعلِّم عليَّ بنَ سعيدِ حميدِ ٱبنِ عبدِ هُودٍ علىٰ أَن يسحرَهُ ـ وكانَ متمكِّناً في ذلكَ ٱلفنِّ ـ ففعل .

ولمَّا عُرِف خبرُهُ وٱنكشفَ أَمرُهُ . . جاؤوا بهِ إِلىٰ حضرةِ ٱلأُستاذِ ، فٱعترفَ وقالَ :

---

(١) العُقْبَةُ : النَّوبة .
(٢) الأَرِنُ : النَّشيطُ .

إنَّهُ بإغراءٍ مِن بعضِ ٱلعلويِّينَ وأَحدِ آلِ باجَمَّالٍ ، وٱعتزمَ ٱلشَّيخُ صالحُ بنُ محمَّدٍ بلفاسٍ قَتْلَهُ ، ولٰكِن ٱلأُستاذُ حالَ بينَهُ وبينَ ذلكَ ، وٱقتنعَ منهُ بٱلتَّوبةِ .

ثمَّ إنَّهُ خانَ وعاودَ ٱلعملَ برشوةٍ كبرىٰ مِن أُولئكَ ، وهربَ عن حضرموتَ ، وٱشتهرَ أَمرهُ فَقُتِلَ ، وٱلأَمرُ أَجلَىٰ مِن ٱبن جَلا .

وما عَسىٰ أَن أَقولَ فيمن حَفَّهُ ٱلتَّوفيق . . فٱلمجالُ رحبٌ ولٰكن في ٱلكلامِ ضِيق ، وما يزالُ بعيني ذلكَ ٱلوجهُ ٱلرَّضِي كأَنَّما هوَ فلقةُ ٱلقمرِ ٱلمُضي ، لا يَكسفُ نورهُ بُوس ، ولا يُغيِّرُهُ عُبُوس ، بل كانَ جبلَ رضاً لا يتحَلحَلُ ولا يتكَدَّرُ ما عليهِ مِن ٱلوَسَام ، وقد تعوَّدَ أَن يطردَ ٱلبكاءَ كلَّما عَرَض لهُ بٱلابتسام ، كأنما عناهُ تَميمُ بنُ ٱلمُعِزّ بقولِهِ [مِنَ الطَّويل] :

وَبِـي كُـلُّ مَـا يُبْكِـي ٱلْعُيُـونَ أَقَلُّـهُ ... وَإِنْ كُنْـتُ مِنْـهُ دَائِمـاً أَتَبَسَّـمُ

ولقد ماتَ له حفيدٌ يسمىٰ أَحمدَ ، كَأَنَّهُ زهرةُ شرفٍ في روضةِ ترف .

زَهْـرَةٌ غَضَّـةٌ تَفَتَّـحَ عَنْهَـا ٱلْـ ... ـمَجْـدُ فِـي مَنْبِـتٍ أَنِيـقِ ٱلْجَنَـابِ[1]

قَصَـدَتْ نَحْـوَهَـا ٱلْمَنِيَّـةُ حَتَّـىٰ ... وَهَبَـتْ حُسْـنَ وَجْهِهَـا لِلتُّـرَابِ

تعنو لهُ ٱلبدور ، كأَنَّما خُلِق مِن نُور ، وتلوحُ عليهِ شواهدُ ٱلفتوح ، ويضمُّ إِلى ٱلشَّرفِ وٱلجمالِ خفَّةَ ٱلرُّوح .

رَأَتْـهُ فِـي ٱلْمَهْـدِ عَتَّـابٌ فَقَـالَ لَهَـا ... ذَوُو ٱلْفِـرَاسَـةِ هَـٰذَا صَفْـوَةُ ٱلْكَـرَمِ[2]

ولا عبارةَ تفي وقد بَذَّ جَمالُهُ ٱلمكتفي ، ومعَ ٱلكمالِ ٱلنَّاجِم . . لم يأخذ بقولِ كُشاجم [في « ديوانه » ٦١ مِنَ ٱلكامل] :

شَخَـصَ ٱلأَنَـامُ إِلَـىٰ كَمَـالِـكَ فَـٱسْتَعِـذْ ... مِـنْ شَـرِّ أَعْيُنِهِـمْ بِعَيْـبٍ وَاحِـدِ

وكانت وفاتُهُ في جمادى ٱلآخرةِ سنةَ (١٣١٣هـ) ، فٱشتدَّ عليهِ وَجْدُهُ ، وغلبتهُ

---

(١) البيتان من الخفيف ، وهما لأبي تمام في « ديوانه » (٢/ ٢٨٣) .

(٢) البيت مِنَ البسيط ، وهو لأبي تمام في « ديوانه » (٢/ ٩٤) . عتَّاب : هم آل عتاب بن سعد بن زهير ، يتصل نسبه بربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، من بني تغلب .

عينُه ؛ لأنَّهُ وإن كانَ من ساداتِ ٱلعارفينَ ٱلَّذينَ لا تَبقى لهم معَ ٱللهِ إرادة . . لم يَنْسَ مقامَ ٱلرَّحمة ، بل وفَّىٰ كُلاً حقَّه ، كما قُلتُ عنهُ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ من مطوَّلةٍ نبويَّةٍ [في « ديوانِ ٱلمؤلِّفِ » ١٤٤ـ١٤٥ مِنَ ٱلكاملِ] :

وَٱذْكُـرْ مَصَـارِعَ آلِـهِ فَهُـمُ ٱلأُلَـىٰ ... يَتَقَـدَّمُـونَ إِذَا ٱلْفَـوَارِسُ أَحْجَمُـوا

فَلَطَـالَمَـا حَـزِنَ ٱلنَّبِـيُّ لِجَعْفَـرٍ ... وَلِعَمِّـهِ وَهُـوَ ٱلْكَمِـيُّ ٱلْمُسْلِـمُ[1]

وَبَكَـىٰ عُبَيْـدَةَ يَـوْمَ بَـدْرٍ قَبْلَهُـمْ ... عَيْنَـاهُ تَـدْمَـعُ وَٱلْفُـؤَادُ مُسَلِّـمُ[2]

وقُلتُ فِي رثائي لثمرةِ ٱلفؤادِ ولدي بصريٌّ ٱلسَّابقِ ذكرهُ في ذي أصبح [مِنَ ٱلكاملِ] :

هَـٰذَا ٱلْكَمَـالُ فَلَـوْ أَخَـلَّ بِمَظْهَـرٍ ... لأَتَـىٰ إِلَـىٰ أَخْـلاَقِـهِ يَتَـذَمَّـمُ

وقلتُ مِن أُخرىٰ :

وَمَـا زَالَ حَـرْبٌ بَيْـنَ صَبْرِي وَرَحْمَتِي ... وَإِنِّـي لَـرَاجٍ فِيهِمَـا كَـامِـلَ ٱلأَجْـرِ[3]

وَقَـدْ أَنْكَـرُوا فِعْـلَ ٱلْفُضَيْـلِ وَمَشْيَـهُ ... لِدَفْنِ ٱبْنِهِ فِي حَبْرَةٍ ضَاحِكَ ٱلثَّغْرِ[4]

وَخَيْرُ ٱلْوَرَىٰ فِي غَيْرِ مَا مَوْقِفٍ ذَرَىٰ ... وَبَـلَّ ٱلثَّـرَىٰ دَمْعـاً يَفُـوقُ عَلَـى ٱلـدُّرِّ

أَمَّا سيِّدُنا ٱلأُستاذُ ٱلأبرُّ . . فلو رآهُ أكبرُ أديب بذلك ٱليومِ ٱلرَّهيب . . لما خرجَ عن قولِ حبيب [في « ديوانِهِ » ١/ ١٢٣ مِنَ ٱلكاملِ] :

وَرَأَيْـتُ غُـرَّتَـهُ صَبِيحَـةَ نَكْبَـةٍ ... جَلَـلٍ فَقُلْـتُ : أَبَـارِقٌ أَمْ كَـوْكَـبُ؟!

ومعَ ذلكَ فقد وفَّىٰ حقَّ ٱلمَقامَيْنِ يومئذٍ فَأَذالَ ٱلدَّمعَ بادياً ، ثمَّ لجأَ إِلى ٱلتَّبسُّمِ

---

(١) جعفر : هو سيِّدنا جعفر الطَّيَّار بن أَبي طالب ، استشهد في غزوة مؤتة . لعمِّه : هو سيِّدنا حمزة بن عبد المطَّلب ، استشهد في غزوة أُحد . الكميُّ : الشُّجاع . المعلَم : المشهور .

(٢) عبيدة : هو عبيدة بن الحارث الصَّحابي ، من آل بيت النُّبوَّة ، استشهد في يوم بدر ، عليه رحمات الله .

(٣) الأبيات من الطويل ، وهي في « ديوان المؤلف » ق (٩٦) .

(٤) فِعلَ الفُضيل : هو ما رواه غير واحد ؛ منهم الحافظ أَبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٠) قال : عن أَبي عليٍّ الرَّازيِّ قال : (صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة ، ما رأَيته ضاحكاً ولا متبسماً إلاَّ يوم مات ابنه عليٌّ ، فقلت له في ذلك! فقال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ أَحبَّ أَمراً . . فأَحببت ما أَحبَّ ٱللهُ) .

ثانياً ، علىٰ حدِّ قولِ ٱلرَّضيِّ [في « ديوانه » ٢/ ٢١١ مِنَ ٱلكاملِ] :

وَلَـرُبَّمَـا ٱبْتَسَـمَ ٱلْفَتَـىٰ وَفُـؤَادُهُ ... شَـرِقُ ٱلْجَنَـانِ بِـرَنَّـةٍ وَعَـوِيـلِ

وذِكْر ٱلجنانِ بعدَ ٱلفؤادِ منَ ٱلحشوِ ٱلقبيح .

وقولِ ٱلآخرِ [مَن ٱلطَّويلِ] :

ضَحِكْـتُ وَكَـانَ ٱلصَّبْـرُ مِنِّـي سَجِيَّـةً ... وَقَـدْ يَضْحَـكُ ٱلإِنْسَـانُ وَهْـوَ حَـزِيـنُ

وقالَ ٱلأَوَّلُ [مِنَ ٱلكاملِ] :

وَلَـرُبَّمَـا ٱبْتَسَـمَ ٱلْكَـرِيـمُ مِـنَ ٱلأَذَىٰ ... وَفُـؤَادُهُ مِـنْ حَـرِّهِ يَتَـأَوَّهُ

ثمَّ إنَّ ٱبتسامةَ ٱلأُستاذِ لم تكن إلاَّ عن بردِ ٱلرِّضا ، ولـٰكنّها وقعت علىٰ والدي وأَمثالِهِ مِن محبِّيهِ وعارفيهِ أَمثالَ ٱلصَّاعقةِ ، فانقبضَ رَجاهم ، وٱطلخمَّ دُجاهم ، وفاضت مِنهمُ ٱلعبراتُ وتصاعدت منهم ٱلزَّفراتُ ، وكانَ لهُ أمرٌ غريب ، ومشهدٌ مَهيب ، وزادَ ٱلطِّينَ بِلَّةً أَنَّ سيِّدي علويَّ بنَ عمرَ شقيقَ ٱلأُستاذِ ـ وكانَ جبلاً من ٱلحِلْمِ وٱلعبادة ، وركناً من أَركانِ ٱلشَّرفِ وٱلسِّيادة ـ توفِّي قبلَهُ في جمادى ٱلأُولىٰ من تلكَ ٱلسَّنةِ .

وٱلشَّابُّ ٱلمنغَّصُ ٱلشَّبابِ أَحمدُ ، قالَ ٱلشَّيخُ عمرُ شيبانَ ـ وقد أَظهرَ ٱلشَّماتةَ لهُ بعضُ أَهلِ ٱلظاهرِ ـ فقالَ أَبياتاً في يومِ الإِثنين (٢٩) جمادى ٱلآخرِ سنةَ (١٣١٣هـ) [مِن مجزوءِ ٱلخفيفِ] :

نَحْـنُ بِـاللهِ عَـوْذُنَـا ... وَٱلْحَبِيـبِ ٱلْمُقَـرَّبِ
كُـلُّ مَـنْ رَامَ ضُـرَّنَـا ... مِـنْ قَـرِيـبٍ وَٱجْنَبِـي
سَهْمُنَـا فِيـهِ قَـوْلُنَـا ... حَسْبُنَـا ٱللهُ وَٱلنَّبِـي

في أَبياتٍ ضعيفةِ ٱلتَّركيبِ ؛ لأَنَّ ٱللهَ لم يعلِّمْهُ ٱلشِّعرَ لعظيمِ نصيبهِ مِنَ ٱلوراثةِ ٱلنَّبويَّةِ فيما أَظنُّ ، وقد دعا فيها على ٱلشَّامتِ فٱستجابَ ٱللهُ دعاءَهُ إِنْ كانَ ٱلَّذي عرفتُهُ في لحنِ ٱلقولِ برغم تكتُّمِ والدي ورفاقهِ بذلكَ لبعدهم عنِ ٱلمنافساتِ رضوانُ ٱللهِ عليهم .

وقد قرأتُ علىٰ سيِّدِنا ٱلأُستاذ ٱلأبَرِّ ، وسمعتُ منهُ ، وحضرتُ لديهِ ، وتكرَّرت لي ٱلإجازة وٱلمصافحةُ وٱلتَّلقيمُ وٱلإلباسُ منهُ ، وتلقَّيتُ عنهُ ٱلمسلسلاتِ بِٱلفعلِ بعضاً ، وٱلإجازةِ في ٱلباقي ، وأخلصني بدعائهِ ، وشَمَلني باعتنائهِ ، وما أَلَذَّ علىٰ لساني وقلمي من ثنائِهِ ، ولله درُّ ٱلمُتنبِّي في قولِهِ [في « العكبري » ٣/ ٢٦١ مِنَ ٱلكامِل] :

مَـا دَارَ فِـي ٱلْحَنَـكِ ٱللِّسَـانُ وَقَلَّبَـتْ ... قَلَمـاً بِـأَحْسَـنَ مِـنْ نَثَـاكَ أَنَـامِـلُ[١]

وقد ذكرتُه في « ٱلأَصلِ » و« ٱلدِّيوانِ » بأكثرَ ممَّا هنا ، وكلُّهُ قليل ، لا يشتفي بهِ ٱلغليل ؛ لأَنَّ محاسنَهُ ٱلفضاء لا يقطعهُ نَشر ، وٱلكثيرُ لا يشملُهُ حَصْر .

وَتَحَيَّـــرَتْ فِيــهِ ٱلصِّفَــاتُ لأَنَّهَــا ... أَلِفَــتْ طَـرَائِقَــهُ عَلَيْهَــا تَبْعُــدُ[٢]

وقد أنتهت مناقبُ ٱلسَّلفِ ٱلصَّالحِ إليهِ ، وما رأَى ٱلنَّاسُ إجماعاً علىٰ فَضْلِ أَحدٍ مِثْل إجماعهم عليه .

مَــا زَالَ مُنْقَطِـعَ ٱلْقَـرِيـنِ وَقَـدْ أَرَىٰ ... مَــنْ لاَ يَــزَالُ مُشَــاكِـلٌ يَلْقَــاهُ[٣]

لَيْــسَ ٱلتَّفَــرُّدُ بِــٱلسِّيَــادَةِ عِنْـدَنَــا ... أَنْ تُــوجَــدَ ٱلضُّــرَبَــاءُ وَٱلأَشْبَــاهُ

ثمَّ إنَّهُ لم يزل يعاني ٱلآلام ، في ثباتِ ٱلأَعْلام ، حتَّىٰ نزلَ بهِ ٱلحِمَام ، فٱستدعىٰ أَهلَهُ وأَولادَه ، وشربَ مِن ماءٍ سقاهم فضلَه ، وودَّعَهم وأَوصاهم ودعا لهم ، ثمَّ أَخذَ ٱلموتُ يلتاطُ بهِ ، حتَّىٰ بردَت أَطرافهُ ، ونزلَ بهِ قومٌ من آل أحمدَ بن زَيْنٍ ٱلحبْشِيِّ فأَمرَ بتسخينِ يدهِ كيلا ينكروا بردَها ، وأَذِنَ لهم وقرأَ ٱلفاتحةَ ، ولمَّا نهضوا . . عَزَمَ على ٱلصَّلاةِ ، فأُريدَ على ٱلتَّرخُّصِ في ٱلطَّهارةِ لضعفهِ وموتِ أَطرافه . . فقالَ : كيفَ آخُذُ بِٱلتَّوسعةِ وهٰذِه آخرُ صلاتي في ٱلدُّنيا وقد قالَ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : « صَلِّ صلاةَ مُوَدِّعٍ »[٤] .

---

(١) نثاك : خبرك ، وهو هٰكذا بتقديم النُّون . والمعنىٰ ـ كما في « العُكبريِّ » ـ : ماتُكُلِّم ولا كُتب بأَحسن من أخبارك .

(٢) البيت من الكامل ، وهو للمتنبي في « العكبري » (١/ ٣٣٣) .

(٣) البيتان من الكامل ، وهما للبحتري في « ديوانه » (١/ ٣٣٧) .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤١٧١) ، والطَّبرانيُّ في « الأوسط » (٤/ ٣٥٨) .

فَمَا تِلْكُمُ ٱلأَخْلاَقُ إِلاَّ مَوَاهِبٌ   وَإِلاَّ حُظُوظٌ فِي ٱلرِّجَالِ تُقَسَّمُ[1]

وبعدَ أَن فرغَ مِن صلاةِ ٱلعصرِ علىٰ أَتمِّ حالٍ. . أَمَرَ بأَن يُوجَّهَ إِلى ٱلقبلةِ علىٰ شِقِّهِ ٱلأيمنِ ، وما كادَ ينتهي مِنَ ٱلجلالةِ حتَّىٰ فاضت روحُهُ في ٱلتَّاسعِ مِن رجبٍ سنةَ (١٣١٤هـ) ، ولم يَزَل حيّاً بآثارِهِ ٱلمُشاهدة ، ومناقبِهِ ٱلخالدة ، ونشرِهِ ٱلفائح ، وٱبنِهِ ٱلصَّالح ، غزيرِ ٱلحلم ، ومَن لَه مِنَ ٱلمكارِمِ أَفضلُ سَهم ، وٱلصَّادِقِ عليهِ قولُ عليِّ بنِ ٱلجَهْم [مِن الطَّويل] :

فَمَا مَاتَ مَنْ كَانَ ٱبْنَهُ لاَ وَلاَ ٱلَّذِي   لَهُ مِثْلُ مَا سَدَّىٰ أَبُوهُ وَمَا سَعَىٰ

فلقد خَلَفَهُ ولدُهُ جمالُ ٱلدِّينِ محمَّدٌ علىٰ مزايا فاضِلَة ، وأَخلاقٍ كاملَة ، وخيراتٍ شاملَة ، ولٰكنَّهُ لم يطل عمرُهُ ، بل ماتَ وشيكاً في سنةِ (١٣١٩هـ) ، وٱتَّفقَ أَن توارَدَ كثيرٌ مِن أَهلِ هٰذا ٱلبيتِ ٱلطَّيِّبِ ـ نساءً ورجالاً ـ علىٰ حياضِ ٱلمَنيَّةِ ، قبيلَ وفاةِ ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ وعقيبَها ، فكانوا كما قيلَ [مِنَ ٱلخفيفِ] :

أَهْلُ بَيْتٍ تَتَابَعُوا لِلْمَنَايَا   مَا عَلَى ٱلْمَوْتِ بَعْدَهُمْ مِنْ عِتَابِ

وكما قالَ ٱلرَّضيُّ [في « ديوانهِ » ١/ ١٨٢ مِنَ ٱلكاملِ] :

هَتَفَ ٱلرَّدَىٰ لِجَمِيعِهِمْ فَتَتَابَعُوا   طَلْقَ ٱلْعُطَاسِ بَنِي أَبٍ وَبَنِي أَبِ

وٱلقائمُ في مقامهِ ٱليومَ ، وترتيبِ مجالِسِهِ ومدارسِهِ : حفيدُهُ ٱلفاضلُ ٱلمكرَّمُ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ عيدروسٍ أخو أَحمدَ ٱلسَّابقِ ذِكرُهُ ، نسأَلُ ٱللهَ أَن يسلكَ بنا وبهِ ٱلطَّريق ، ويُلحِقَنا وإِيَّاه بأُولئكَ ٱلفريق ، ويعمِّرَ بنا وبه ٱلدِّيار ويُحييَ بنا وبهِ ٱلآثار ، وللهِ دُرُّ أَبي عبادةَ في قولهِ [في « ديوانهِ » ١/ ٣٣٦ مِنَ ٱلكاملِ] :

لاَ عُذْرَ لِلشَّجَرِ ٱلَّذِي طَابَتْ لَهُ   أَعْرَاقُهُ أَنْ لاَ يَطِيبَ جَنَاهُ

ونسيتُ ـ ما أَنسانيِ إِلاَّ ٱلشَّيطانُ ـ ذِكْرَ أَن لا مناسبةَ بينَ كلامِ سيِّدِنا ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ في مجالسِهِ وبينَ قلمِه ؛ إِذ كانَ لا يريدُ مِن قلمِهِ إِلاَّ تقييدَ ٱلشَّوارِدِ وتحصيلَ ٱلفوائد ، وكذلكَ كانَ شِعرُهُ ضعيفاً .

---

(١) البيت من الطويل ، وهو للبحتري في « ديوانه » (١/ ١١٢) .

أَمَّا مجالِسُهُ . . فقد كانت بساتينَ نافحةَ ٱلأزهارِ يانعةَ ٱلأثمارِ ، كما يُعرفُ بعضُ ذلك بما حصَّلَهُ والدي رضوانُ ٱللهِ عليهِ بٱستذكارِهِ بعدَ وفاتِهِ مِن كلامِهِ .

ومِنْ فضلاءِ ٱلغرفةِ : شيخُنا ٱلإمامُ ، ٱلسَّيِّدُ : شيخانُ بنُ محمَّدٍ ٱلحَبْشيُّ[1] ، كانَ بحراً مِنْ بحورِ ٱلعِلْمِ ، وجبلاً مِنْ جبالِ ٱلعبادةِ ، ونجماً من نجومِ الإرشاد ، ورجماً من رجوم الإلحاد .

إِمَـامٌ رَسَـتْ لِلعِلْـمِ فِـي أَرْضِ صَـدْرِهِ ... جِبَالٌ جِبَالُ ٱلأَرْضِ فِي جَنْبِهَا قُفُّ[2]

أَقامَ في طلبهِ زماناً بمكَّةَ ٱلمشرَّفةِ ، وأَخذَ عن أَراكينها ، وكانَ سريعَ ٱلمطالعةِ ، طَالَعَ تفسيرَ « ٱلخازنَ » في أَربعةِ أَيَّامٍ مطالعةَ بحثٍ وتحقيقٍ ، وكتبَ عليهِ تعليقاتٍ ، ولهُ شِعرٌ يرتفعُ عَن أَشعارِ ٱلعلماءِ ، منهُ ٱلقصيدةُ ٱلطُّولى ٱلَّتي ٱستهلَّها بقولِهِ [مِن ٱلرَّمَلِ] :

لَمَـعَ ٱلبَـرْقُ عَلَـىٰ أَطْـلَالِ مَـيّ ... وَسَقَـى ٱلْـوَدْقُ هُضَيْبَـاتِ لُـؤَيّ

ووردَ مرَّةً إِلىٰ سيئونَ سؤالٌ مِن آلِ يحيىٰ ، يتعلَّقُ بسجودِ ٱلتِّلاوة في ٱلصَّلاةِ ، فكتبَ عليهِ ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ حامدِ بنِ عمرَ ٱلسَّقَّافُ جَواباً ، صَادقَ عليهِ ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ محمَّدٍ ٱلحبشيُّ وجماعةٌ من طلبةِ ٱلعلمِ بسيئونَ ، فوافقَ وصولَ ٱلعلاَّمةِ ٱلسَّيِّدِ شيخانَ ، فعرضوهُ عليهِ ، وطلبوا منهُ ٱلمصادقةَ ، فأَبَىٰ إلاَّ بعدَ ٱلمراجعةِ ، فأعطَوهُ « حاشيةَ ٱلإقناعِ » فاستند في ردِّ ذلك الجواب إلىٰ عبارة عن المدابغي ، فقال له السيد محمد بن حامد : دَعنا مِنَ ٱلمدابغيِّ ، فغضبَ ٱلسَّيِّدُ شيخانُ وقالَ للسَّيِّدِ محمَّدٍ : لا صوابَ في جوابكم إِلاَّ ٱلبسملةُ وما والاها ، فحالاً أَخذَ ٱلسَّيِّدُ ٱلعلاَّمةُ عليُّ بنُ

---

(١) هو الحبيب شيخان بن محمد بن شيخان بن محمد بن شيخان بن حسين بن محمد بن حسين بن أحمد الحبشي ، ولد بالغرفة سنة (١٢٥٩هـ) ، وتوفي بسيئون سنة (١٣١٣هـ) . نشأ يتيماً في حجر والدته وجده لأمه العلامة عبد الله بن حسن الحداد ، وأدرك جملة من الأكابر ؛ كالحبيب الحسن بن صالح البحر ، رحل إلى مكة لطلب العلم عام (١٢٨٣هـ) ، وأقام بها (٤) سنوات ، ثم عاد وحصل به نفع عظيم . وله بسيئون ذرية مباركة ، ومن أعلام ذريته : الفقيه حسن بن عمر بن شيخان .

(٢) البيت من الطَّويل ، وهو لأبي الطَّيِّب المتنبِّي في « العُكبريِّ » (٢/ ٢٨٥) ، بتغيير بسيط . القُفُّ : الغليظ من الأرض ، ولـٰكنه لا يبلغ أن يكون جبلاً . والمعنىٰ : ـ كما في « العُكبريِّ » ـ : أنَّ جبال الأرض ، تصغر في جنب الجبال الَّتي في صدره من العلم .

محمَّدِ ٱلحبشيُّ ٱلجوابَ ، وسحبَ مصادقَتَهُ ، وشطبَ ٱسمَهُ .

وقد نَوَّهتُ بهـٰذا في إحدىٰ خُطبي بٱلمحافلِ ٱلعامَّةِ ، وأَشهدُ لَتبقىٰ أَقدامُهُ وسُوقُهُ متورِّمةً مدَّةً مِنْ شوَّالٍ ؛ لكثرةِ قيامهِ برمضانَ ؛ إِذْ كانَ يتلو ختمةً بٱللَّيلِ وختمةً بٱلنَّهارِ ، كلُّها مِنْ قيامٍ .

وكانَ شديداً علىٰ أَهلِ ٱلمنكَراتِ ، متجافياً عن أَبناءِ ٱلدُّنْيَا منحرفاً عنهُم ، يُغلظُ ٱلقولَ لَهم ، ولا يُحابي ولا يداهِنُ . وطائفة بني طويح يبغضونه ، ويزعمون أن الحال خرج به عن حدِّ الاعتدال ، ولذا لم يجرِ ٱلأَمرُ بينَهُ وبينَ ٱلعلاَّمةِ ٱلشَّهيرِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ محمَّدٍ ٱلحبشيِّ علىٰ ما تقتضيهِ ٱلقرابةُ ؛ إِذ كانا مستويَينِ في تعدُّدِ ٱلنَّسبِ ، يجتمعانِ في ٱلجدِّ ٱلخامسِ لكلٍّ منهُما وهوَ ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ حسينِ بنِ أَحمدَ ٱلحبشيُّ صاحبُ ٱلحسيَّسةِ .

وقد بدا لَهُ أَنْ ينتقلَ في آخِرِ أَيَّامهِ مِنَ ٱلغرفةِ إِلىٰ سيئونَ ، فٱشترىٰ أَرضاً[1] ـ في شرقيِّ حوطتِنا عَلَم بَدْرٍ ـ واسعةً بثمنٍ يسيرٍ لائقٍ بذلكَ ٱلزَّمانِ ؛ لأَنَّها كانت غامرةً[2] ، فٱبتنىٰ لَهُ بها داراً واسعةً علىٰ طبقةٍ واحدةٍ ، لم يقدر علىٰ إِكمالِها ؛ لضيقِ يدِهِ ، وشدَّةِ يبوسةِ عيشهِ ، وصارَ يتردَّدُ بينها وبينَ ٱلغرفةِ إِلىٰ أَنْ أَلقىٰ بها ٱلعصا وحطَّ ٱلرَّحلَ .

وكانَ يتردَّدُ علىٰ والدي كثيراً ، وكانَ والدي يُجِلُّهُ ويُكرمُهُ ، ويَجعلُهُ في مقامِ أَشياخهِ . قرأْتُ عليهِ وأَخذتُ عنهُ وسمعتُ منهُ ، معَ أَنَّهُ لم يأخذ عنهُ إِلاَّ ٱلقليلُ ؛ كٱلشيخينِ عوضٍ بكرانَ ٱلصَّبَّانِ وأَخيه أَحمدَ ، وٱلأَخوينِ محمَّدِ بنِ هادي بنِ حسنٍ ، وشيخِ بنِ أَحمدَ بنِ طٰهَ .

ولا يخلو ٱلجوُّ بينَهُ وبينَ سيِّدي ٱلأُستاذِ ٱلأَبَرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ مِن تكديرٍ نشأَ عَن وجودِ بنتِ ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ في بيتِهِ عندَ ولدِهِ محمَّدِ بنِ شيخانَ ، فلم يُحسنوا عشرتَها ، ولم يؤَدُّوا حقَّها ، ومعَ ذلكَ فكانت تأتيهِ منهم قوارصُ بِظهرِ ٱلغيبِ .

---

(١) عُرفَتْ هـٰذه الأرضُ إلى يومنا هـٰذا باسم صاحب الترجمة. . فيقال : فلان في شيخان ، وذهب إلى شيخان ، وجاء من شيخان. . .

(٢) غامرة : مهجورة .

ويرىٰ بعضُهم أَنَّ ذلكَ هوَ ٱلسببُ في قلَّةِ ٱلانتفاعِ بهِ ، ولا غروَ ؛ فقد أَشارَ ٱلقشيريُّ أَنَّ ما وقعَ للحلاَّجِ سببُهُ ٱلاعتراضُ على ٱلمشايخِ ، وذكرَ ٱليافعيُّ في « تاريخه » [٣/٤٧٧] أَنَّ ما جرىٰ على ٱبن ٱلجوزيِّ سَببُهُ ٱلكلامُ على ٱلإمامِ ٱلرَّبَّانيِّ سيِّدِنا عبدِ ٱلقادرِ ٱلجيلانيِّ ، توفِّي ٱلمُترجَم في رجبٍ مِن سَنةِ (١٣١٣هـ) وٱنطبقَ علىٰ ذلكَ ٱلعامِ قولُ حافظِ إِبراهيم [في « ديوانه » مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَيَا سَنَةً مَرَّتْ بِأَعْوَادِ نَعْشِهِ ... لأَنْتِ عَلَيْنَا أَشْأَمُ ٱلسَّنَوَاتِ

إِذْ ماتَ بإِثرِهِ جماعاتٌ مِنْ أَراكينِ حَضْرَمَوْتَ ، كانَ صاحبُنا ٱلشَّيخُ محمَّدُ ٱلدِّثِنيُّ يوصلُهُم إِلىٰ خمسةٍ وعشرينَ ، كلُّهُم أَعيانٌ ، ومعَ ٱلأَسفِ لَم تَكُنْ أَسماؤُهُم مجموعةً ، وإِلاَّ . . فقد كانَ تقييدُها مِنَ ٱلفوائدِ ، علىٰ أَنَّ كثيراً منهُم يُعرَفُ ممّا في غيرِ هٰذا ٱلمكانِ[١] .

لَقَدْ أُولِعَ ٱلْمَوْتُ ٱلزُّؤَامُ بِجَمْعِهِمْ ... كَأَنَّ ٱلرَّدَىٰ فِيهِمْ تَحَلَّلَ مِنْ نَذْرِ[٢]
مَضَوْا فَكَأَنَّ ٱلْحَيَّ فَرْعُ أَرَاكَةٍ ... عَلَىٰ إِثْرِهِمْ عَرْيٌ مِنَ ٱلْوَرَقِ ٱلنَّضْرِ

وصلَّىٰ عليهِ ٱلأُستاذُ ٱلأَبرُّ ، وحصلَ ساعتَئِذٍ نزاعٌ بينَ ٱلسَّادةِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلحدَّادِ ـ ٱلسَّابقِ ذِكرُهُ في قيدونَ ـ وبينَ رجلٍ آخرَ مِن آلِ ٱلحدَّادِ بٱلغرفةِ ، ٱرتفعَ فيهِ ٱلصَّوتُ ، حتَّىٰ أَسكتَهم ٱلأُستاذُ ٱلأَبرُّ بإِشارتِهِ ، وسببُ ذلكَ ٱختلافُ ٱلرَّجلينِ في ٱلمكانِ ٱلَّذي يُصلَّىٰ فيهِ على ٱلجنازةِ .

وبإِثرِ ٱنتقالِ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ زينٍ ٱلحَبْشيِّ مِنَ ٱلغرفةِ ـ حَسَبَما تقدَّمَ بٱلحوطةِ ـ بقيَ بها ولدُهُ محمَّدُ بنُ أَحمدَ إِلىٰ أَنْ ماتَ ، ولا يزالُ بها أَعقابُهُ[٣] .

وبٱلغرفةِ جماعةٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ علويٍّ ٱلحدَّادِ .

---

(١) ممن مات في تلك السنة : الحبيب عبد اللاه بن عمر بن سميط بشبام ، والحبيب شيخان بن علي بن هاشم السقاف بالمكلا ، والعلامة عبد الله بن محسن السقاف ـ عم المؤلف ـ والسيد المنصب عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمٰن الحداد بالحوطة ، وجماعة غيرهم .

(٢) البيتان من الطويل ، وهما للشريف الرضي في « ديوانه » (١/٥٠٦) .

(٣) ومن عقبه : السيد الجليل الحبيب هاشم بن شيخ بن هاشم بن محمد بن الحبيب أحمد بن زين الحبشي ، عداده في أهل المدينة المنورة ، توفي بها سنة (١٢٩٥هـ) .

منهُمْ : ٱلشَّيخُ ٱلرَّابعُ مِنْ مشايخِ سيِّدِنا ٱلأُستاذِ ٱلأبرِّ ، وهوَ : ٱلسَّيِّدُ ٱلإمامُ عبدُ ٱللهِ بنُ حسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ طه بنِ عمرَ ٱلمذكورُ ، ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (١٢٨٥هـ)[١] .

ومنهُمْ : ٱلفاضلُ ٱلجليلُ ، أَحدُ تلاميذِ والدي ٱلسَّيِّدُ حسنُ بنُ أَحمدَ ٱلحدَّادُ[٢] ، توفِّيَ بٱلحَرْشيّاتِ مرجعَهُ مِنَ ٱلحجِّ سَنَةَ (١٣٤٩هـ) ودُفِنَ بٱلمُكلاَّ[٣] ، وقد سارَ ولدُهُ ٱلمباركُ أَحمدُ[٤] ٱلموجودُ ٱلآنَ بٱلغرفةِ في طريقِهِ .

ومِنْ صلحاءِ ٱلغرفةِ : ٱلشَّيخُ عمرُ عُبُود بَلْخَير ، كانَ قطعةً مِنَ ٱلنُّورِ ، كأَنَّما هوَ مِنْ فَرْطِ ٱلعبادةِ وصفاءِ ٱلسَّريرةِ وصدقِ ٱلفراسةِ ، مَلَكٌ مِنَ ٱلملائكةِ ، أَخذتُ عنهُ ، ولبستُ منهُ ، توفِّيَ بٱلغرفةِ في حدودِ سَنَةِ (١٣١٦هـ) .

وكانَ بٱلغُرْفةِ كثيرٌ مِنْ آلِ باحِفين ، وآلِ فَضْلٍ ، وآلِ عُطُوفه ، وآلِ مُسَلَّمٍ ، ومنهُم : آيةُ ٱلورعِ ، ومثالُ ٱلنَّزاهةِ ، صاحبُ ٱلقصَّةِ ٱلمذكورةِ بـ« **ٱلأَصلِ** » ، أَحمدُ بنُ سالمِ بنِ عمرَ بنِ مسَلَّم ، ٱلمتوفَّىٰ بها في سَنَةِ (١٣٥٢هـ) .

ومن أَهلِ ٱلغرفةِ : آلُ شيبانَ ؛ منهُمْ : ٱلرَّجلُ ٱلصَّالحُ ، حليفُ ٱلمكارمِ ، وحمَّالُ ٱلمغارمِ ، عوضُ بنُ عمرَ شيبان[٥] .

لاَ يُتْبِـعُ ٱلْمَـالَ أَنْفَـاسـاً مُصَعَّـدَةً ... وَلاَ يُعِيـرُ ٱلْعَطَـايَـا زَفْـرَةَ ٱلنَّـدَمِ[٦]

توفِّيَ بٱلغرفةِ سَنَةَ (١٣٢٩هـ) .

ومنهم : ٱبنُهُ ـ ٱلَّذي حظيَ بخدمةِ سيِّدِنا ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ ، وكانَ يَدَهُ ولسانَهُ وموضعَ

---

(١) هو العالم الصالح ، الزاهد المتبتل ، عبد الله بن حسن بن عبد الله بن طه بن عمر بن علوي الحداد ، ولد الحبيب المترجم بالغرفة سنة (١٢٠٨هـ) ، ونشأ بها ، وسكنها حتى توفي يوم الإثنين في رجب (١٢٨٥هـ) .

(٢) هو السيد حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الله ، حفيد السابق ، ولد بالغرفة سنة (١٢٨٧هـ) ، وتولى القضاء بها ، وتوفي سنة (١٣٤٩هـ) .

(٣) في قبة الحبيب شيخان بن هاشم السقاف .

(٤) ولد بالغرفة سنة (١٣١٤هـ) ، وتوفي بها في رجب سنة (١٤٠٣هـ) ، أخذ عن جمع غفير من الأكابر . « نور الأبصار » (١٣٩ـ١٤٠) .

(٥) ترجم له السيد محمد بن حسن عيديد في « الإتحاف » ، وهو مجاز منه .

(٦) البيت من ٱلبسيط ، وهو للشريف الرضي في « ديوانه » (٢/ ٣٠٦) .

ثقتهِ ، ونَجِيِّ روحهِ ، وأَنيسَهُ في خلواتهِ ، وكاتبَهُ وجامعَ بعضِ مناقبهِ ـ عمرُ بنُ عوضِ بنِ عمرَ شيبانُ[1] ، ٱلمتوفَّىٰ بٱلغرفةِ في سَنةِ (١٣٥٦هـ) .

ومنهُم : آل بَلْخَير ، أُسرةُ ٱلشَّيخِ عمرَ ٱلسَّابقِ ذِكرُهُ . يقال : إنهم من ذرية أبي الخير الكندي الآتي ذكره أوائل تريم .

ومن آل الغرفةِ : آلُ ٱبنِ ثَعْلَبٍ[2] ؛ فإنَّهُم لمَّا تفرَّقوا بعدَ زوالِ دولتِهِم بتريس . . توطَّنَ بقاياهُم بٱلغرفةِ .

ومن أَهلِها : آلُ بنِ ذيابٍ ، وآلُ بلجونَ ، وآلُ طرمومَ ، و آلُ باحارثةَ ، وآلُ عمرانَ ، وآلُ منقوشٍ ، وآلُ باحلوانَ ، وأَصلُهم مِنَ ٱليمنِ مِن بلدةٍ يُقالُ لها : بَرط مِن أَعمالِ صعدةَ ، ولـٰكنَّ جدَّهم قيسَ بنَ زمليِّ بنِ عمرَ عبدِ ٱللهِ بنِ قاسمِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ فضلِ بنِ ناصرِ ٱلدِّينِ عبدِ ٱللهِ باحلوانَ . . جاء هوَ وأَولادُهُ أَحمدُ وبوبكرٍ وزمليٌّ وعبدُ ٱللهِ في جيشِ ٱلصَّفيِّ أَحمدَ بنِ حسنٍ فاتحِ حضرموتَ للمتوكِّلِ على ٱللهِ إسماعيلَ ، وبقيَ أَميراً على ٱلهجرينِ مِن جهةِ ٱلإمامِ إلىٰ أَن توفِّي بها سنةَ (١٠٦٨هـ) ، ثمَّ ٱنتقلَ أَولادُهُ ٱلسَّابقُ ذِكرُهم إِلى ٱلغرفةِ ، وٱنتشروا ، وهاجرَ ناسٌ منهم إلىٰ جاوة ، وأَعقبوا هناك .

وزمليٌّ والدُ قيسٍ هوَ مؤَلِّفُ كتابِ « رشيدةِ ٱلإخوان » ٱلَّذي نقلنا عنهُ في وادي عَمْدٍ ، وغيرِهِ .

وناصرُ ٱلدِّينِ باحلوانَ هوَ أَميرُ زيلعَ ، وهوَ صاحبُ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ ٱلعدنيِّ .

---

(١) ترجم له السيد محمد بن حسن عيديد في « الإتحاف » .

(٢) آل بن ثعلب ، يعود أصلهم إلى حضرموت القبيلة كما ذكر العلامة الناخبي في كتابه « حضرموت » ، وأخبر أن هـٰذه القبيلة هي الوحيدة التي بقيت معروفة بحضرموت كونها من قبيلة حضرموت . ونذكر استطراداً هنا : أن من بقايا قبيلة حضرموت الأم المشايخ آل الحضرمي ذرية الشيخ الولي الكبير إسماعيل الحضرمي صاحب بلدة الضحي بتهامة اليمن ، ومنهم العلامة الفقيه الشيخ إسماعيل بن زين الحضرمي الضحوي ، المتوفىٰ بمكة المكرمة سنة (١٤١٥هـ) ، وهو من العلماء المبرزين ، وله طلاب كثيرون ، ومصنفات فقهية . وآل الحضرمي هؤلاء غير آل الحضرمي الذين هم من يافع العليا ، وأما آل بن ثعلب هؤلاء . . فقد كان أسلافهم يحكمون بلدة تريس ، وسيأتي ذكرهم فيها .

أَمّا حالاتُ ٱلغرفةِ ٱلسِّياسيَّةُ : فقد كانَ آلُ كثيرٍ ينتسبونَ لِلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ ٱلقديمِ عبّاد بٱلخدمةِ ؛ لأَنَّ جدَّهُم تربَّىٰ بهِ .

وكانوا يزورونَ ٱلشَّيخَ محمَّدَ بنَ عمرَ فيها ، ويتردَّدونَ عليهِ بها ، ويتبرَّكونَ بدعائهِ ، كما كانوا عليهِ معَ عمِّهِ ، حتَّىٰ لقد كادَ مِنِ ٱعتقادِهم فيهِ يكونُ هوَ ٱلأَميرَ لا على ٱلغرفةِ فقط . . بل علىٰ كلِّ ما تحت نفوذهم من بلاد حضرموت .

وفي ٱلحكايةِ (٣٤٩) مِنَ « ٱلجوهرِ ٱلشَّفَّافِ » ما يُعرفُ منهُ أَنَّ جاهَ آلِ باعبّادٍ كانَ أَضخمَ مِنْ جاهِ ٱلعلويِّينَ ـ وسيأْتي ما يؤَكِّدهُ في مَدُودهْ ـ غيرَ أَنَّ ٱلسُّلطانَ عبدَ ٱللهِ بنَ عليِّ بنِ عمرَ ٱلكثيريَّ المتوفَّىٰ سَنةَ (٨٩٤هـ)[١] هوَ ٱلَّذي ٱبتدأَ بإِساءَةِ ٱلأَدبِ علىٰ آلِ باعبّادٍ ، فٱبتنىٰ حصنَ ٱلغُرْفةِ على ٱلقارةِ ٱلَّتي بها حصونُ آلِ عُبُودِ بنِ عمرَ ٱلآنَ ، فعظمتِ ٱلرَّزيَّةُ على ٱلمشايخِ بضغطهِ عليهم ، وعَزموا على ٱلتَّحوُّلِ مِنَ ٱلغرفةِ .

أَمّا بدر بوطويرق : فقد دلَّتِ ٱلأَخبارُ علىٰ أَنَّ وَطْأَتَهُ عليهم كانت أَشدَّ ؛ إِذ تدَخّلَ في كلِّ شيءٍ مِنْ أَمرِهم ، ونزعَ عنهم نظارةَ أَوقافِهم ، وصارَ يولِّي ويَعزلُ ، وبعثَ مرَّةً مِنَ ٱلشِّحْرِ بعزلِ ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ عقيلٍ عبّاد ، وإِبدالهِ بٱلشَّيخِ حسينِ بنِ عليٍّ عبّاد .

ولمَّا ضعفتْ دولةُ آلِ عبدِ ٱللهِ ٱلكثيريِّينَ[٢] . . ٱستبدَّ عليهِم آلُ كثيرٍ بأَمرِ ٱلغرفةِ ، وجَعلوا لآلِ باعبَّادٍ ٱلاستقلالَ ٱلاسميَّ ، وهُم يفعلونَ ما شاؤُوا بدونِ أَنْ يتناهَوا عن منكَرٍ يفعلونَهُ بها قطُّ ؛ إِذ لا وازعَ إِلاَّ منصبةُ باعبَّادٍ ، وما سلاحُها إِلاَّ أَمثالُ ٱلتَّمائِمِ ، وقد قالَ أَبو ٱلطَّيِّبِ [في « العُكبَريِّ » ٤/ ١١١ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

دِيَارُ ٱللَّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ   بِطُولِ ٱلْقَنَا يُحْفَظْنَ لاَ بِٱلتَّمَائِمِ

---

(١) عبد الله بن علي ، تقدم ذكره قريباً ، وكانت وفاته سنة (٨٥٠هـ) ، وهٰذه الحادثة إنما جرت لابنه بدر بن عبدالله المتوفى في ذلك التاريخ . وإزالة للوهم والإشكال . . فهناك عبد الله بن علي الكثيري مات سنة (٨٩٨هـ) ، وعبد الله بن علي الكثيري الأسقع قتل سنة (٨٧٥هـ) على يد السلطان جعفر بن عبد الله . . وهٰذان غير السلطان الآنف الذكر ، وخبرهما عند « شنبل » وغيره .

(٢) آل عبد الله هم السلاطين نسل بدر بوطويرق ، من ذرية حفيده عبد الله بن عمر بن بدر ، وهم سلاطين حضرموت إلى ما قبل الثورة ، فيقال لهم : آل عبد الله ، ولغيرهم : آل كثير ؛ تمييزاً لبيت السلطنة عن غيره .

وفي سَنةِ (١٣٤٤هـ) نشبتِ ٱلحربُ بينَ آلِ خالدِ بن عمرَ[١] ، ٱلَّذينَ يرأَسُهم صالحُ عبيدٍ وعمرُ عبيدٍ ، وبينَ آلِ بابكر ٱلَّذينَ يرأَسُهُم عوضُ بنُ عَزّانَ بن عبدِ ٱللهِ بنِ عوضِ بنِ ناصرِ بنِ عبدات ، بٱلسَّببِ ٱلَّذي سبقتِ ٱلإشارةُ إليهِ في بَابَكْرٍ ، فلَم يَكُنْ مِنْ آلِ بابَكْر إلاَّ أَنْ وَضعوا بعضَ عسكرِهم بٱلغُرْفةِ بإشارةٍ مِنْ عبيد صالح بنِ سالمين بنِ طالبٍ ؛ لأنَّ عبدَ ٱللهِ بنَ محسن بنِ قاسمٍ ـ ٱلَّذي كانت عامَّةُ كلفِ ٱلحربِ علىٰ كيسِ أَبيهِ ـ كانَ يَستنصحُهُ ويأْخذُ بإشارتهِ ـ وهو له غاشٌّ ـ فلَم يَسَعْ عوضَ بنَ عَزّانَ إلاَّ ٱلموافقةُ ، فتضرَّرَ أَهلُ ٱلغرفةِ .

ونَصَحْتُ أَنا عبيدَ صالحِ بنَ سالمينَ ، فوعدَني أَنْ يُشيرَ عليهِم برفع عسكرهم عنها ، ولَم يَفعلْ ؛ لأَنَّهُ كانَ يُبغضُهُم في ٱلسِّرِّ ـ وإنْ تظاهرَ بمساعدتِهم فيما يرى ٱلنَّاسُ ـ فلَم يَكُنْ مِنْ صالح عبيدِ بنِ خالدِ بنِ عمرَ إلاَّ أَنْ هجمَ على ٱلغرفةِ وأَخذَ أَكثرَها عَنْوةً ، ثمَّ أَخَذَ ٱلبقيَّةَ ٱلباقيةَ عن رضىً من عوضِ بنِ عَزّانَ بن عبدِ ٱللهِ بن عوضِ بنِ ناصرٍ ، إزاءَ ثمانِ مئةِ ريالٍ قبضَها مِنْ آلِ خالدٍ ، حَسَبَما يُخبرني هوَ بنَفْسهِ .

ولمَّا وضعتِ ٱلحربُ أَوزارَها بينَ آلِ عبدات بعضهم بعضاً ، ورسَخَتْ قَدَمُ صالحِ عبيدٍ بٱلغرفةِ . . سيَّرَ ٱلكتبَ لقبائلِ آلِ كثيرٍ ، وللسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ[٢] ، ولدولةِ آلِ عبدِ ٱللهِ بسيئونَ وتريم يُخبرهُم بأَنْ لا قَصْدَ لَهُ إلاَّ إصلاحُ ٱلغرفةِ وحفظُها وتأْمينُها ، ويَدْعُو إلى ٱلمشاركةِ في ٱلرَّأْيِ ، فعادتْ أَجوبتُهُم عليهِ بما يُبرِّرُ صنيعَهُ ، ثمَّ جاشت جوائِشُهُم ، وٱلَّذي تولَّىٰ كبرَ أَمرِهم هوَ : ٱلشَّيخُ سالمُ بنُ جعفرِ بنِ سالمِ بنِ مرعيِّ بنِ طالبٍ ، وٱلشَّيخ عامرُ بنُ جعفرٍ بَلْفَاس ، وساعدَهُما ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ ، ودولةُ آلِ عبدِ ٱللهِ ، وحاصروا ٱلغرفةَ وآلَ خالدٍ بٱلحوْلِ ، وٱحتلُّوا ٱلجبلَ ٱلَّذي يُطلُّ على ٱلغرفةِ مِن جنوبِها ، وأَذْكَوا نارَ ٱلحربِ ، وصوَّبوا ٱلمدافعَ ، ولَم يَظفروا بطائِلٍ .

ثمَّ تدخَّلَتْ حكومةُ عدن ، وطَلَبتْ إيقافَ ٱلحربِ ووصولَ ٱلمتحاربينَ ، فذهبَ

---

(١) من آل كثير ، وهم المسمّون : آل عِبْدَات .

(٢) كان السيد حسين بن حامد آنذاك مقيماً بشبام لأمور سياسية ونفسية اقتضته أن يبعد عن المكلا ؛ لوجود السلطان عمر بها ، كما يعلم من كلام المؤرخ البطاطي في كتابه « إثبات ماليس مثبوت » .

ٱلشَّيخُ صالحُ عبيدٍ عن طريقِ ٱلبَرِّ ، وذهبَ ٱلآخَرونَ عن طريقِ ٱلشِّحْرِ ، وأَكثروا مِنَ ٱلعرائضِ هناكَ ، ولَم يَحصلْ لِلقضيَّةِ حلٌّ نهائيٌّ ، ونشرَ ٱلشَّيخُ صالحُ عبيدٍ كتاباً في ذلكَ فرَّقَهُ بينَ ٱلنَّاسِ مِنْ إنشاءِ ٱلفاضلِ ٱلنَّاقدِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلقادرِ بنِ عبدِ ٱللهِ باحميدٍ. . فلم يردَّ عليه أَحدٌ .

وأُريقَ في تلكَ ٱلفتنةِ دماءٌ غزيرةٌ مِنْ أَبرياءِ أَهلِ ٱلغرفةِ ، يَغضبُ لِقتلِهم جبَّارُ ٱلسَّماءِ .

وبقيَ علىٰ إمارةِ ٱلغرفةِ عمرُ عُبَيدٍ بٱلنِّيابةِ عن أَخيهِ صالحٍ[1] ، وكانوا متساندينَ في أَمورِهم ، وكانَ ٱلشَّيخُ عمرُ عبيدٍ مِنَ ٱلموقِّعينَ علىٰ « هُدْنةِ ٱلثَّلاثِ سِنينَ »[2] ٱلَّتي ٱقترحَها ٱلضَّابطُ ٱلسِّياسيُّ (انجرامس) ، وأَوَّلها ـ فيما أظن ـ سنة (١٣٥٦هـ) .

ولمَّا ماتَ صالحُ عُبَيدٍ بجاوة . . وصلَ ولدُهُ عبيدُ صالحٍ مِنْ سنغافورة إلى ٱلمكلاَّ ، ومنها بطريق السيارات المستحدثة إلىٰ تريم ، ومنها إلىٰ مكانهِ ٱلحولِ ، ولَم يَجلسْ معَ عمِّهِ عمرَ إلاَّ يوماً واحداً بإثْرِهِ ماتَ ٱلشَّيخُ عمرُ في سَنةِ (١٣٥٧هـ) فٱستقلَّ ولدُهُ عُبَيدُ صالحٍ بٱلغرفةِ .

ولمَّا ٱنتهتْ هُدْنةُ ٱلثَّلاثِ سِنينَ . . لَم يَشعرِ ٱلنَّاسُ إلاَّ بمنْشُوراتٍ توزَّعُ بينَ ٱلنَّاسِ

---

(١) لأن الشيخ صالح هـٰذا كان صاحب تجارة وثروة في جاوة ، يصرف منها على أخيه عمر عبيد وعلى ثورته .

(٢) هدنة الثلاث سنين هـٰذه . . كتبت سنة (١٩٣٢م) ، فقد نجح المستر انجرامس في توقيعها بين مجموعتين من فخائذ آل كثير هما : آل الفاس ، وآل مرعي بن طالب ، ومن بنودها : تعيين حدود مدينة الغرفة . والكف عن تبادل إطلاق النار بين الغرفة والمناطق الكثيرية المجاورة لها . وحرية الخروج والدخول من وإلى الغرفة . وحق أهل البلاد بالتمتع بحرية النفس . وعدم فرض رسوم وضرائب على السكان . وإرجاع العبيد والجواري اللاجئين في الغرفة إلى ملاكهم ، والحفاظ على الملكية الشرعية .

قال بعض الباحثين : وتعتبر هـٰذه الاتفاقية بحق شهادة لإثبات أفضلية الأوضاع الاجتماعية في الغرفة عنها في المناطق الكثيرية الأخرى حينئذ ؛ بدليل لجوء العبيد والجواري إلى الغرفة هروباً من الاستغلال والاضطهاد الكثيري لهم ، ورغبتهم في التمتع بالعدل والمساواة تحت رعاية الحكم الإرشادي الجديد في الغرفة . اهـ « بحوث المقاومة الشعبية » (٥٤) .

بهُدْنةٍ لمدَّةِ عشرِ سنواتٍ ، وفيها وعدٌ بتحسينِ ٱلقضاءِ ؛ لأَنَّ ٱلجَوْرَ تفشَّىٰ عن مجلسهِ بسيئون المُؤَلَّفِ مِن ٱلسَّادةِ : محمَّدِ بنِ أَحمدَ كريسانَ ، وعيدورسِ بنِ سالمِ ٱلسَّومِ ، وعبدِ ٱلقادرِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلحامدِ ، وٱلشَّيخِ محمَّدٍ مسعودٍ بارجا ، في مدَّة ٱلثَّلاثِ ٱلسِّنينَ تفشياً هائلاً . . فكانَ ٱلوعدُ بإصلاحِهِ مِن بينِ سائرِ ٱلأُمورِ شاهدَ عدلٍ ودليلَ صدقٍ علىٰ ما تقرَّرَ مِن فرطِ فسادِهِ وجَوْرِهِ .

ولَم يَطلبوا توقيعاً مِنْ أَحدٍ علىٰ تلكَ ٱلهدنةِ بخلافِ ٱلأُولىٰ ـ فإنَّها لَم تَكُنْ إلاَّ بٱلرِّضا ـ فلَم يَرْضَ عُبَيدُ صَالحِ بنِ عِبْداتٍ بٱلإذعان لهـٰذهِ ٱلهدنةِ بٱلضغطِ وٱلإكراهِ .

وحَدَثَ أَنَّ عبيدَهُ ضَربوا مولىً لابنِ عمِّهِ حَسَنِ بنِ عوضِ بنِ عِبْداتٍ ، وكانَ مطروداً في أَيَّامِ عمِّهِ عمرَ مِنَ ٱلغرفةِ ؛ لتعدِّيهِ على ٱلمساكينِ مِنَ ٱلرَّعايا .

فرُفِعَ ٱلأَمرُ إِلىٰ سيئون ـ وكانَ يحْسُدُ صالحَ عبيدٍ ٱبنُ عمِّهِ ويبتغي لَهُ ٱلغوائلَ ، ويَتطلَّبُ لهُ ٱلعثراتِ طمعاً في أَنْ تُسنِدَ ٱلحكومةُ إليهِ إمارةَ ٱلغُرْفةِ ـ فطلَبَتْ حكومةُ سيئون بقوَّةِ ٱلضَّابطِ (انْجرَامِسْ) إرسالَ ٱلضَّاربينَ إِلىٰ سيئون للمحاكمةِ . . فٱمتنعَ عبيد صالحٍ عن إرسالهم ؛ لأَنَّهُ لا يعترفُ لصاحبِ سيئون بولايةٍ علىٰ بلدِهِ ٱلغرفةِ فليست المحاكمة من اختصاصهِ ، وحَدثتْ أُمورٌ أُخرىٰ نشبَ بها ٱلحربُ بينَ سلطانِ سيئون وعُبَيدِ صالحٍ .

وفي ربيعٍ ٱلأَوَّلِ مِنْ سَنةِ (١٣٥٩هـ) أَلقتِ ٱلطَّائرةُ كتاباً علىٰ عُبَيدِ صالحٍ يعزمُ عليهِ بٱلحضورِ إِلىٰ سيئونَ للمحاكمةِ ، فردَّ عليهِ بأَنَّهُ مستعدٌّ للمحاكمةِ إلى ٱلشَّريعةِ في ٱلموضعِ ٱلَّذي لا تأْثيرَ لدولةِ ٱلكثيريِّ ولا لدَولةِ ٱلقعيطيِّ عليهِ .

ثمَّ طُلِبَ مِنَ ٱلضَّابطِ ٱلسِّياسيِّ أَنْ يقومَ بتأْديبِهِ ، فٱمتنعَ إلاَّ بمبرِّرٍ لرميهِ عليهِ ، فأَمضىٰ نحوُ ستِّينَ مِنَ ٱلعلويِّينَ ومن لفَّهم بسيئونَ علىٰ مذكَّرةٍ تُبرِّرُ حربَهُ .

وَكَـانَ ٱلغَبْـنُ لَـوْ ذَلُّـوا وَنَـالُـوا　　　فَكَيْـفَ إِذاً وَقَـدْ ذَلُّـوا وَخَـابُـوا؟![1]

فجَهَّزوا عليهِ جيشاً يُقدَّرُ بنحوِ أَربعِ مئةِ مقاتلٍ بسائرِ ٱلمعدَّاتِ مِنَ ٱلمدافعِ

---

(١) البيت من الوافر ، وهو للشريف الرضي في « ديوانه » (١/ ١٢٥) .

والرَّشَّاشاتِ وغيرِها ، وشرعتِ ٱلطَّيَّاراتُ ترمي بقنابلِها علىٰ ضواحي ٱلغرفةِ ثمَّ عليها ، وتكرَّرَ ٱلهجومُ مِنَ ٱلجيشِ ٱلبرِّيِّ ، إلاَّ أَنَّهُ يتراجعُ في كلِّ مرَّةٍ .

وقد وصفتُ ٱلحالةَ وما جرىٰ على ٱلغرفةِ مِنَ ٱلأنكادِ بقصيدةٍ مؤثِّرةٍ توجَدُ بموضِعها مِن ثالثِ أجزاءِ « ٱلدِّيوانِ » .

ودامَ ٱلرَّميُ مِنَ ٱلطَّائراتِ ومرابطةُ ٱلجيشِ حولَ ٱلغرفةِ تسعةً وعشرينَ يوماً[1] ، ولـٰكن لمَّا ٱنضمَّت إيطاليا إلىٰ ألمانيا في ٱلحربِ ٱلأخيرةِ . . ٱهتمَّ ٱلإنكليزُ لذلكَ ، وسعىٰ لإيقافِ حربِ ٱلغرفةِ ، ونُشِرت إعلاناتٌ بأَنَّ ٱلشَّيخَ عُبَيدَ صالحٍ أذعَنَ لما حُكِم به عليهِ ؛ وهوَ : مغادرةُ ٱلغرفةِ في ظرفِ ستَّةِ أشهرٍ . ودفعُ غرامةٍ مقدَّرةٍ بنحوِ ثلاثةٍ وثلاثينَ ألفَ ربيَّةٍ .

وهـٰذا نصُّ ٱلإعلانِ : (ليكُن معلوماً لدى ٱلعمومِ أَنَّ عُبيدَ صالح بنِ عِبْداتٍ ، أمضى ٱليومَ علىٰ وثيقةٍ ، مطيعاً لأوامرِ ٱلحكومةِ ، أي دَفَعَ « ٢٥٠٠٠ » ربيَّةٍ ،

---

(١) كان السبب الأول في إشعال فتيل هـٰذه الحرب غير العادلة هو حقد المستر إنجرامس .

وأما البداية . . فقد كانت في مكتب المستشارية البريطانية في سيئون ؛ إذ أصيب جهاز اللاسلكي فيها بخلل ، فأراد انجرامس أن يستخدم الجهاز المماثل الموجود في شبام ، ولما أراد اختراق الغرفة . . اعترضه الحراس ، ولما أذن له بالدخول . . وجد باب الخروج مغلقاً ، وأخذه الجنود إلى ابن عبدات بعد تمنع ، ولما قابله . . أخذ ابن عبدات يوبخه على تصرفاته المشينة ، مؤكداً له أن الغرفة هي أرض مستقلة عن التبعية لـ(بريطانيا) ، ثم خرج انجرامس ذليلاً ، وقد أضمر الشر في نفسه .

بعد هـٰذا . . قامت طائرات سلاح الجو الملكي البريطاني بالقصف الجوي على الغرفة بالقنابل لمدة (٣) أيام دون جدوى ؛ إذ كان الجنود من الحموم متمركزين في أعالي الجبال وأرغموا الطائرات على المغادرة وعدم الاقتراب من سماء الغرفة ، وكان هـٰذا القصف متزامناً مع المساعي البريطانية لتمديد الهدنة إلى (١٠) سنوات قادمة .

ولما أنَّ ابن عبدات كان صعْبَ المراس ورجُلَ موقف . . فلم يتقبل هـٰذا التمديد ، فقامت القوات البريطانية بضَرْبِهِ للمرة الثانية ، ولـٰكنها استمرت هـٰذه المرة لمدة (٢٩) يوماً ، فضربت الغرفة من الجو (٩) طائرات قاذفة قنابل (فنْسنْت) بدءاً من يوم الأربعاء (٢٤) أبريل (١٩٤٠م) ، وقدمت من المكلا فرق من الجيش النظامي وشنت هجوماً عسكرياً ، لـٰكنها باءت بالفشل في اقتحام الغرفة ، وأضطرت للانسحاب تحت ضربات رجال المقاومة التابعين لابن عبدات . والغريب أن عدداً من القنابل التي رميت بها الغرفة لم تنفجر ، بل كانت تسقط دون أن تحدث أي أضرار تذكر ، وكان الجنود يجمعونها ويعرضونها أمام أسوار الغرفة!! .

و« ٨٠٠٠ » ربيَّةٍ ، قيمةَ « ٤٠٠٠٠ » حبَّةَ رَصَاصٍ ، وأَن يُغادرَ حضرموتَ وهوَ دافعٌ ستَّةَ آلافِ ربيَّةٍ ، وقد سُمِحَ لهُ بأَن يدفعَ ٱلباقي ويُغَادرَ حضرموتَ في ضمنِ ستَّةِ أَشهر ، وقد تعهَّدَ أن لا يعملَ أَيَّ ٱضطراباتٍ أُخرىٰ) اهـ

غيرَ أَنَّهُ لَم ينفِّذْ شيءٌ مِنْ ذلكَ ، ولَم يَظهرْ له أَثرٌ[1] .

وبقيَ ٱلشَّيخُ عبيدُ صالحٍ علىٰ حالهِ متملِّكاً بٱلغرفةِ يأمرُ وينهىٰ ، ويَحكمُ ويرسمُ ، غيرَ أَنَّهُ بدأَ في سَنةِ (١٣٦١هـ) يجورُ علىٰ رعاياهُ ويأْخذُ حبوبَ ٱلفلاَّحينَ بثمنٍ بخسٍ ، يَنسَؤُهُم[2] بٱلثَّمنِ لا إِلىٰ غايةٍ محدودةٍ ، ثمَّ يَردُّ عليهم بعضَهُ للاقتياتِ ٱلضَّروريِّ بأَغلىٰ ممَّا أَخذَهُ منهُم ، فٱشتدَّ ٱلبلاءُ ، وضجَّتِ ٱلأَرضُ وٱلسَّماءُ ، وأَحدثَ جُمْرُكاً على ٱلطَّريق ، يأْخذُ مِنْ كلِّ ما يمرُّ بها مِنَ ٱلبضائعِ نحوَ ٱلعشُورِ ، وٱستهانَ بٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ ، وتخطَّمَ أُنوفُ ٱلشَّنافرِ ، وأَبقىٰ عليهِم بٱلعجزِ عنِ ٱلنَّصَفَةِ عاراً لا يفنىٰ ، كما قالَ إِياسُ بنُ ٱلوليدِ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

تَبْقَى ٱلْمَعَايِرُ بَعْدَ ٱلْقَوْمِ بَاقِيَةً ... وَيَذْهَبُ ٱلْمَالُ فِيمَا كَانَ قَدْ ذَهَبَا

وتعالَمَ ٱلنَّاسُ حينئذٍ بأَخبارٍ شنيعةٍ عن جَوْرِه بحقٍّ وبباطلٍ ، فتأَلَّمتُ مِنْ ذلكَ ، وأَنشأْتُ قصيدةً فصَّلتُ ٱلأُمورَ فيها ، كانَ إِنشاؤُها لخمسٍ مِنْ شوَّال سَنةَ (١٣٦٣هـ) ، وأَنشدتُها حينئذٍ لكثيرٍ من رَادَتي[3] ، ومنهُمْ : ٱلسُّلطانُ عبدُ ٱللهِ بنُ محسنِ بنِ غالبٍ ؛ لأَنَّهُ كانَ مِنْ مُحبِّيهِ وتَربطُهُ بهِ قرابةٌ دُنْيا ؛ إِذ كانت جدَّتاهما أُختينِ ، وتناولتُهُ بكثيرٍ مِنَ ٱلمعتبةِ وٱلمذمَّةِ ، وأَقذعتُ لَهُ ، ولٰكنْ ذكرَ ليْ بعضُ أَعدائِهِ أَنَّهُ ٱطَّلعَ علىٰ وصيَّتِهِ بينَ أَوراقِهِ ٱلَّتي أَعجلوهُ عن أَخذِها يومَ جلائهِ ، وفيها ٱلأَمرُ بردِّ كلِّ مظلمةٍ إِلىٰ صاحبِها ، وٱلفضلُ ما شَهِدَتْ بهِ ٱلأَعداءُ ، فعدتُ لبعضِ ما كنتُ عليهِ مِنْ ظنِّ أَمثليَّتِهِ .

---

(١) إن هٰذه مزاعم تفتقر إلى دليل مادي ، فهي في واقع الأمر محض افتراء استعماري أرادت به بريطانيا إبراز قوتها في المنطقة وإضعاف حركة المقاومة الوطنية في الغرفة . « بحوث المقاومة » (٦٩) .

(٢) ينسؤُهم : يؤَخِّرهم .

(٣) أي : الذين يرتادون مجلس المؤلف .

وبالحقيقةِ : أَنَّهُ أعانَ علىٰ نَفْسهِ بترفُّعهِ عن أَبناءِ جِنْسهِ بعدَ سلامتِهِ مِنْ تلكَ الحربِ الضَّروسِ الَّتي فرَّجَ اللهُ عنهُ منها بالطِّليانِ ، وخرجَ مِنها وقلوبُ النَّاسِ معَهُ ، وبعضُ أهلِ الخبرةِ لا يَعيبُهُ إلاَّ بسلامةِ صَدْرٍ انطلىٰ عليهِ بسببها غشُّ جليسٍ لَهُ لا يَهمُّهُ إلاَّ حمايتُهُ عن نصحِ العقلاءِ كيلا يُشيروا عليهِ بإبعادهِ ، وقد ضاقتْ بهِ الأرضُ ولَم يَجِدْ ملجأً بحضرموتَ إلاَّ إليهِ .

واتَّفقَ أنَّ أحدَ السُّيَّاحِ الإنكليزِ أرادَ أنْ يمرَّ بالطَّريقِ الَّتي تلي بحَيْرةْ ، وهو قد حماها بعسكرِهِ كيلا تُهرَّبَ البضائعُ مِنْ ناحيتِها بعدما جعلَ العشورَ ضربةَ لازبٍ علىٰ كلِّ واردٍ ، فمَنعوا السَّائحَ المرورَ ، ولمَّا أظهرَ العنادَ . . أطلقوا عليهِ الرَّصاصَ بقصدِ التَّخويفِ ، ولٰكنَّ الحكومةَ الإنكليزيَّةَ رأَتْ أنَّ شرفَها مُسَّ بذلكَ الإطلاقِ ، فأنذرَتْهُ ، ثمَّ جهَّزتْ إليهِ جيشاً عَرَمْرَماً لَم تَعرفِ البلادُ مِثْلَهُ ، يقودُهُ الجنرالُ السَّيِّدُ أحمدُ بنُ محضارٍ العيدروسُ[1] الآتي ذكرُه في بور ، فيهِ مِنَ المدافعِ الضَّخمةِ ، والدَّبَّاباتِ الهائلةِ ، والسَّيَّاراتِ المصفَّحةِ بالفولاذِ ما تتفسخُ لَهُ العقولُ ، ومعَ ذلكَ . . فقد ثبتَ وبقيَ يدافعُ ويُطلقُ الرَّصاصَ بدونِ جدوىٰ ؛ لأنَّهُ لا يُؤثِّرُ في تلكَ السَّيَّاراتِ ، وانسلَّ عنهُ لِواذاً[2] كلُّ مَنْ كانَ معَهُ ، ما عدا قاضيهِ الشَّيخ محفوظ المصلِّي اليافعيُّ[3] ، وحينئذٍ بخعَ بتسليمِ نفسِهِ ، فأركبوهُ على السَّيَّارةِ العسكريَّةِ إلىٰ مطارِ القَطْنِ ، حيثُ أخذوهُ بالطَّائِرةِ إلىٰ عدن ، ولَم يُشمِتوا بهِ عدوّاً ، ولَم يُؤلِموا بهِ صديقاً ، ولَم يُمكِّنوا أحداً مِنْ منافسيهِ ومبغضيهِ حتَّىٰ مِنَ النَّظرِ إليهِ ، فشكرَ العقلاءُ مِنَ النَّاسِ للدَّولةِ الإنكليزيَّةِ تقديرها لشهامتهِ وأنَفَتهِ .

---

(١) في بعض المصادر أن اسمه : الميجر جنرال أحمد عبد القادر العيدروس ، القائد العام لقوات ولاية حيدر آباد ، جاء مرافقاً للكولونيل دي .جي ـ ايجرتون ، كمستشار عسكري لجميع القوات التي ستقتحم الغرفة . « بحوث المقاومة » (٩١) .

(٢) لواذاً : عائذاً .

(٣) الشيخ محفوظ بن سعيد بن ثابت المصلّي ، وكان قدومه إلى الغرفة بعد سنة (١٩٣٧م) إثر عَزْل الأمير علي بن صلاح من ولاية شبام على يد انجرامس ، وتلا ذلك تدخل الحكومة وأصحاب الجاه والنفوذ في شؤون القضاء بالدولة .

وقد قلتُ بمناسبةِ ذلكَ قصيدةً توجدُ بمحلِّها في ٱلجزءِ ٱلثَّالثِ مِنَ « ٱلدِّيوانِ » ، ومنها [مِنَ ٱلكامل] :

لاَ شَـامِـتٌ قَـرَّتْ لَـهُ عَيْـنٌ وَلاَ ... تَـرَكَتْـهُ يَسْمَعُ فِـي ٱلطَّـرِيـقِ مُـوَبِّخَـا

ومنها ما قلتُهُ في وصفِ ذلكَ ٱلجيشِ ومعدَّاتهِ ٱلهائلةِ :

جَيْـشٌ تَمِيـدُ بِـهِ ٱلْفَـلاَةُ وَمَنْظَـرٌ ... مِنْـهُ ٱلـرِّعَـانُ تَكَـادُ أَنْ تَتَفَسَّخَـا[١]

هَضَبَـاتُ فُـولاَذٍ تُقِـلُّ مَـدَافِعـاً ... مُلِئَـتْ وَقَـدْ سَـارَتْ قِطَـاراً فَـرْسَخَـا

وَقَـذَائِـفٌ لاَ يَسْتَقِـلُّ لِـرَمْيِهَـا ... حِصْـنٌ وَطِيـدُ ٱلـرُّكْـنِ حَتَّـىٰ يُنْفَخَـا

سُـلَّ ٱلأَمِيـرُ وَمَـا بِمِخجَمَـةٍ دَمٌ ... يَـوْمَ ٱلْهُجُـومِ مِـنَ ٱلْبَـرِيءِ تَـوَسَّخَـا

يَـوْمٌ أَجَـرَّ مِـنَ ٱلْمَـذَلَّـةِ ٱلسُّنـاً ... وَأَمَـدَّ أُخْـرَىٰ بِـٱلتَّطَـوُّلِ بُـذَّخَـا

فِيـهِ ٱلشَّنَـافِـرُ يَضْحَكُـونَ شَمَـاتَـةً ... وَسَيَجْهَشُـونَ إِذَا ٱلظَّـلاَمُ تَـدَخْـدَخَـا[٢]

كَـمْ مِـنْ طَـوِيـلٍ شَـامِـخٍ عِـرْنِينُـهُ ... لاَ بُـدَّ بَعْـدَ ٱلْيَـوْمِ أَنْ يَتَنَخْنَخَـا[٣]

وكذلكَ كانَ ٱلأَمرُ ، فقد صارَ ٱلشَّنافرُ بعدَهُ أَذلَّ مِنْ أَبناءِ ٱلسَّبيلِ ، حتَّىٰ لقد مُنِعوا حَمْلَ ٱلسِّلاحِ ، بل مُنِعوا مِنْ إِطلاقِ ٱلبنادقِ في أَفراحِهم .

ومِنَ ٱلغرائبِ : أَنَّ ضَبُعاً وقعَ في شبكةِ أَحدِهم ، فما جسرَ أَنْ يُطلقَ بندقيَّتَهُ عليها ، فبقيَت تناوصُ وهوَ ينظرُ إِليها حتَّىٰ هربَت .

وما أَظنُّ ٱلأَمرَ يَبلغُ إِلىٰ ذلكَ ، ولـٰكنَّهُ من خَوَرِ ٱلعزائمِ وٱستيلاءِ ٱلذُّلِّ ، وما أَجدُ لصاحبِ ٱلضَّبعِ مثلاً إِلاَّ عُليَّةَ بنتَ ٱلمهديِّ ، فلقد منعَها ٱلرَّشيدُ أَنْ تذكرَ غلاماً كانت تُتَّهمُ بهواهُ ، وٱسمُهُ طَلٌّ ، فبينما هيَ تتلو كتابَ ٱللهِ إِذ ٱنتهتْ إِلىٰ قولهِ تعالىٰ : ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ ﴾ فلَم تجسرْ أَنْ تقولَ ﴿ فَطَلٌّ ﴾ وإِنَّما قالتْ : (فإِنْ لَم يُصبها وابلٌ . . فما

(١) الرعان : الجبال الطويلة ، تميد : تميل .

(٢) جهش للبكاءِ : استعدَّ له واستعبر . تدخدخ : اختلط ظلامه .

(٣) يتنخنخا : مأخوذ من النَّخِّ ، وهو بروك الإبل ، وهو هنا كناية عن الذُّلِّ ، علىٰ حدِّ قول الشَّاعر :

مَـا طَـارَ طَيْـرٌ وَٱرْتَفَـعْ ... إِلاَّ كَمَـا طَـارَ وَقَـعْ

نهىٰ عنهُ أَميرُ ٱلمؤمنينَ) . فظهر عليها وكانَ ذلكَ بمَسْمَعٍ مِنَ ٱلرَّشيدِ بحيثُ لا تشعرُ وقالَ لَها : ولا كلُّ ذلكَ يا أُخَيَّه[1] .

أَمَّا نفقاتُ ذلكَ ٱلجيشِ فلا يزالُ أَمرُها مجهولاً ، وقد أَخبرني مَنْ لا يُتَّهمُ أَنَّ أَحدَ رؤَساءِ ٱلإنكليزِ خَطَبَ بٱلمُكلاَّ مع سفرِه عنها ، وقالَ في خُطبتِهِ : إنَّ ٱلبتَّ في نفقاتِ ذلكَ ٱلجيشِ مؤَخَّرٌ إلى ٱلفرصةِ ٱلمناسبةِ ، ولا شكَّ أَنَّها ستكونُ باهظةً جدّاً[2] .

أَمَّا عُبَيدُ صالحٍ . . فقد بقيَ بعدن موفورَ ٱلكرامةِ مدَّةً مِنَ ٱلزَّمانِ ، ثمَّ أُذِنَ لهُ في ٱلسَّفرِ إلى سنغافورةَ ، وبقيَ يتردَّدُ بينَها وبينَ بتاوي ، معتمداً علىٰ أَموالِهِ ، رخيَّ ٱلبالِ ، مشروحَ ٱلصَّدرِ ، قد أَراحتهُ ٱلحكومةُ مِنَ ٱلحالةِ ٱلَّتي توغرُ ٱلصَّدرَ ، وتقبضُ ٱلنَّفسَ ، وتطيلُ ٱلتَّعبَ وٱلعنا في مسايسةِ مَن لا بدَّ لهُ منهمُ في ٱلدِّفاعِ عنِ ٱلغرفةِ ، مِن أَمثالِ ٱلحمُومِ ٱلَّذينَ يتجنَّونَ عليهِ ويملؤونَ قلبَهُ كلَّ يومٍ قيحاً وغَيْظاً ، ويأتي فيهم قولُ ٱلمتنبِّي [في « ٱلعُكبَريِّ » ١/ ٣٧٥ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَمِنْ نَكَدِ ٱلدُّنْيا عَلَى ٱلْحُرِّ أَن يَرَىٰ ... عَدُوّاً لَـهُ مَـا مِـنْ صَـدَاقَتِـهِ بُـدُّ

حصونُ آلِ كثيرٍ

وٱلغرفةُ محاطةٌ بحصونِ آلِ كثيرٍ :

ففي شرقيِّها : **حصونُ آلِ خالدِ بنِ عمر** ، وفي ٱلرِّسالةِ ٱلَّتي طبعَها ٱلشَّيخُ عُبيدُ بنُ عِبْداتٍ ووزَّعَها بينَ ٱلنَّاسِ ، ما يُصَرِّحُ بأَنَّ آلَ خالدِ بنِ عمرَ لم يبنوا ديارَهم بذلكَ ٱلمكانِ إلاَّ بمخابرةٍ مِن آلِ ٱلفاسِ .

وفيها أَيضاً : أن دِيار آلِ ٱلفاسِ كانت بٱلجانبِ ٱلغربيِّ منَ ٱلسَّليلِ ، في شمالِ ديارِ آلِ فحيثا .

---

(١) القصَّة في « المستطرف » (١/ ١٠٠) .

(٢) لمعرفةِ نهاية أمر ابن عبدات . . ينظر : « حركة ابن عبدات في الغرفة بحضرموت ١٩٢٤ـ١٩٤٥م » بحث أعده الأستاذ المساعد الدكتور محمد سعيد داود بكلية التربية بالمكلا ، ضمن فعاليات الندوة التاريخية حول « المقاومة الشعبية في حضرموت » المنعقدة في كلية التربية (٢٥ـ٢٦) فبراير (١٩٨٩م) .

وفيها أيضاً : أَنَّ لآلِ ٱلفاسِ ذِكرٌ في كلامِ ٱلشَّيخِ سعدِ ٱلسَّوينيِّ حيثُ يقولُ : (باسِيْر أرض لَنْفاس من ظلم بلفاس) وهـٰذا يدلُّ علىٰ تقادمِ عهدهم .

وفي ٱلصُّلحِ ٱلواقعِ بينَ آلِ خالدٍ وآلِ ٱلفاسِ سنةَ (١٣٣٦هـ) . . كانَ مِنَ ٱلشُّروطِ لآلِ خالدٍ : أَنْ يَستقلُّوا بولايةِ ٱلحولَ .

ومِنَ ٱلشُّروطِ عليهم : أَنْ تُهدَّمَ حصونُهم تلكَ ، فهُدِّمتْ ، ولـٰكنَّ آلَ ٱلفاسِ ٱبتنوا بها مخفراً وسمَّوهُ (خيبر) تشبيهاً لآلِ خالدٍ بٱليهودِ ، فكانت حزازةً في نَفْسِ ٱلشَّيخِ صالحِ عُبَيدٍ ، يتحيَّنُ ٱلفُرصَ لأَنْ يثأَرَ بها فماتَ بحسرته ، ولـٰكنَّ ولدَهُ عُبيداً أَثلجَ خاطرَهُ وبلَّ غليلَهُ ، فتمكَّنَ مِنِ ٱستمالةِ عَزَّان بنِ محمَّدٍ أَحدِ بلفاسٍ ، حتَّىٰ مكَّنه من ديارِهِ ومن دارِ محمَّدِ بنِ شعبانَ في مثوىٰ آلِ ٱلفاس ومن ذلكَ ٱلمخْفَرِ فهَدمَهُ ، ولـٰكنَّها لَم تَطُلْ مدَّتُهُ من بعدِ ذلكَ .

وبينَما عَزَّانُ بنُ محمَّدٍ راجعٌ مِنَ ٱلغرفةِ ذاتَ يومٍ ، بعدَ تسليمِهِ ديارَهُ لِعُبَيْدِ صالحٍ . . بَصَر بهِ آلُ ٱلفاسِ ، فأَطلقوا عليهِ ٱلرَّصاصَ حتَّىٰ قتلوهُ ، ورفعوا محمَّدَ بنَ شعبانَ إلى ٱلحكومـةِ ، فأَخـذَتهُ إلى ٱلمُكَلاَّ ، ثمَّ ردَّتهُ إلىٰ سجنِ سيئونَ ، وبهِ كانَ هلاكُهُ .

ومِنَ ٱللَّطائفِ : أَنَّني زُرتُ سيِّدي ٱلشَّهمَ ٱلفاضلَ محمَّد ٱبنَ سيِّدِنا وشيخِنا ٱلأُستاذِ ٱلأَبَرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ في سنةِ (١٣١٨هـ) . . فأَلفَيتُ منزلَهُ ملآناً برجالِ آلِ ٱلفاسِ ، للتَّرضيةِ عن حالٍ صَدَرَ عن بعضِ سفهائهم إزاءَ بعضِ أَتباعِهِ وخدمِهِ ، وإذا رِجَالٌ عليهم وسام ، ولهم بسطةٌ في ٱلأَجسام ، وغررٌ باهرة ، ووجوهٌ زاهرة ، ولحىً غالية ، وهممٌ عالية .

إِذَا لَبِسُـــوا عَمَـــائِمَهُـــمْ طَـــوَوْهَــــا عَلَـــىٰ كَـــرَمٍ وإِنْ سَفَـــرُوا أَنَـــارُوا[١]

ورئيسُهم لذلكَ ٱلعهدِ ٱلشَّيخُ صالحُ بنُ محمَّدٍ بلفاسٍ ، قدَّموه عليهم عندَما بَقَل عَارِضاهُ ، وما زالَ علىٰ رئاستِهِم إِلىٰ أَن ماتَ عَن عُمُرٍ طويلٍ ، وكانَ جميلاً طويلاً ، يأتي فيه قولُ ٱلرَّضيِّ[٢] :

---

(١) البيت من الوافر ، وهو لأبي الطمحان القيني .

(٢) البيت من الطويل ، وهو ليس للشريف الرضي ، بل للبحتري في « ديوانه » (١/ ٧٤) ، من قصيدته=

مَضَىٰ مِثْلَ مَا يَمْضِي ٱلسِّنَانُ وَأَشْرَقَتْ ... بِـهِ بَسْطَـةٌ زَادَتْ عَلَـىٰ بَسْطَـةِ ٱلـرُّمْـحِ

وقولُ ليلى ٱلأخيليَّة [مِنَ الطَّويل] :

فَنِعْـمَ فَتَـى ٱلـدُّنْيَـا وَإِنْ كَـانَ فَـاجِـراً ... وَفَـوْقَ ٱلْفَتَـىٰ لَـوْ أَنَّـهُ غَيْـرُ فَـاجِـرِ

بعدَ إبدالِ (فاجر) بـ(ظالم) ، وقد ذكرنا هـٰذا ٱلبيتَ لمحسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ ٱلعولقيِّ ولغيرِهِ ، وصالحُ محمَّدٍ هوَ ٱلأحقُّ به .

وقبيلَ أن يهلكَ محمَّدُ بنُ شعبانَ وردني في جماعةٍ مِن آلِ ٱلفاسِ ـ لا يَقِلُّ عددُهم عَن عشرةٍ ـ في مسألةٍ ، فتَعجَّبتُ مِن قصر قاماتِهم وصغرِ هامتِهم ، ولم أُصدِّق ـ إلاّ بعدَ ٱلإلحاحِ في ٱلسُّؤالِ ـ أنَّهم من سلالةِ أُولئكَ ، وهـٰكذا يهرمُ ٱلزَّمانُ ، وتتراذلُ ٱلأَيَّامُ .

وكانت لآلِ ٱلفاسِ قَبولةٌ حارَّةٌ ونجْدةٌ قويَّةٌ ، ولهم معَ آلِ خالدِ بنِ عمرَ خاصَّةً ، ومعَ آلِ عِبداتٍ عامَّةً حروبٌ لم تضرَع فيها خدودُهم ، ولا زَلَّت فيها نعالُهم .

وقد بلغَ مِن جراءَتِهم أَنَّهم أخفروا آلَ جعفرِ بنِ طالبٍ ، وقتلوا واحداً مِن آلِ عِبْداتٍ في غربيِّ تريسَ ، ومعَهُ أَحدُ آلِ جعفرِ بنِ طالبٍ ، فنضخَ رشاشُ دمِهِ في ثيابِهِ ، ولم ينتصفوا منهم .

ولَم يبْقَ بحصونِهم منهُمُ ٱليومَ إلاَّ نحو ٱلثَّلاثينَ رجلاً ؛ إذ صار مثوى ٱلعلويِّينِ وآل كثيرٍ اليوم بجاوةَ .

وحصونُ آلِ ٱلفاسِ : واقعةٌ في شمالِ حصونِ آلِ خالدِ بنِ عمرَ ٱلمهدومةِ . وفي شرقيِّ ٱلغرفةِ متشاملةً : **حصونُ آلِ ٱلعاسِ** ، لا يزيدونَ عنِ ٱثني عشرَ رجلاً . ثمَّ : **حصونُ آلِ عونٍ** ، وهم نحوُهم في ٱلعدد . ثمَّ : **حصونُ آلِ مَهْرِيٍّ** ، ٱلَّتي سَكنوا بها بعدَ جلائِهم عن سحيلِ شبام ، وعددهم بحضرموتَ نحو ٱلعشرينَ رجلاً .

= التي يمدح فيها الفتح بن خاقان ، والتي مطلعُها :

هَـلِ ٱلْفَتْـحُ إِلاَّ ٱلْبَـدْرُ فِـي ٱلأُفُـقِ ٱلْمُضْحِـي ... تَجَلَّـىٰ فَـأَجْلَـى ٱللَّيْـلَ جُنْحـاً عَلَـىٰ جُنْـحِ

يَرْقَق

هوَ وادي ٱلغرفةِ في شرقيِّها ، وهوَ وادٍ أنيسٌ ، في أعلاهُ قُلُوتٌ كثيرةٌ يتنزَّهُ ٱلنَّاسُ فيها بعَقِبِ ٱلسُّيولِ ، ينهرُ إليهِ ٱلماءُ مِنَ ٱلنَّجدِ ٱلمنبسطِ مِن حضرموتَ إلىٰ ما شاءَ ٱللهُ .

وهوَ نَجدٌ واسعٌ تتفرَّقُ مياهُ ٱلأمطارِ منه علىٰ وادي ٱلعَيْنِ ، ووادي بن عليٍّ ، ووادي يرقق ـ هـٰذا ـ ووادي شحوحٍ ، ووادي يَثْمةَ ، ووادي يُثيمْةَ ، ووادي مَرْيَمه ، ووادي تَاربه .

وليرققَ ذِكرٌ كثيرٌ في « ديوانِ ٱلشَّيخِ عمرَ بنِ عبد ٱللهِ بامخرمةَ » .

وكانَ سيِّدي ٱلأُستاذُ ٱلأبرُّ كثيرَ ٱلتَّحنُّثِ فيهِ ، وربَّما أقامَ بهِ ٱللَّياليَ ٱلعديدةَ في أوائِلِ أمرِهِ يَتعبَّدُ ٱللهَ .

وفي منتصفِ ٱلجبلِ ٱلَّذي بجنوبِ ٱلغرفةِ بقايا مَخْفرٍ يقالُ لهُ : كُوتْ ٱبنِ قَمْلا[1] ، وقدِ ٱختلفَ عليَّ ٱلمعمَّرونَ في ٱلجوابِ عنهُ :

فبعضُهُم قالَ : ٱبنُ قملا ٱستولىٰ على ٱلغرفةِ وٱبتنىٰ ذلكَ ٱلكُوتَ ليأمنَ بهِ عاديةَ آلِ كثيرٍ . وقالَ آخَرونَ : إنَّما بناهُ آلُ كثيرٍ ليكونَ حامياً لَهُم مِنْ شرِّهِ .

وٱلحقُّ أنْ لا تخالُفَ ؛ لأنَّ ٱبنَ قملا إنَّما يصوْلُ في جهةِ آلِ كثيرٍ بهم . . فهوَ وإيَّاهُم ومَن تابعَهُ مِن غيرِهم يَد واحدةٌ . وٱللهُ أعلمُ .

حصونُ ٱلعَوَانِزَه

هي واقعةٌ في شرقيِّ حصونِ آلِ ٱلفاسِ . وٱلعوانزه مِنَ ٱلعوامرِ ، وهم قومٌ كرامٌ ، وفيهِم صالحونَ فضلاءُ .

منهُمُ : ٱلشَّيخُ عوضُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ عانُوزْ ، لَهُ مناقبُ شهيرةٌ ، ومحاسنُ كثيرةٌ ،

---

(١) **الكوت** : هو كما قال عنه المؤلف يشبه المخفر ، أو مركز مراقبة ، يبنى بأعلى الجبال المطلة على المدن الشهيرة بحضرموت ، ويوجد لهـٰذا الكوت نظائر كثيرة ، منها كوت الخِبَّة المطل على شبام ، الذي بني سنة (١٣٣٣هـ) كما في « مذكرات » الشيخ سالم باسويدان .

كانَ سيِّدي ٱلأُستاذُ ٱلأَبَرُّ يزورهُ ، ويَطلبُ دعاءَهُ ، ويَتبرَّكُ بِٱلنَّظرِ إِليهِ .

وكانَ لهُ ٱلضِّلَعُ ٱلأقوىٰ في حادثةِ ٱلمحايلِ ، ولمَّا ٱنتهت بٱنهزامِ يافعٍ . . خرجَ ٱلسُّلطانُ غالبُ بنُ محسنٍ إِلىٰ عندِ ٱلشَّيخِ عوضِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عانوزٍ ، بكثيرٍ مِنَ ٱلرَّصاص وٱلباروتِ ، مكافأةً لهُ علىٰ ما أَبلىٰ وأنفقَ ، فردَّهُ وقالَ : إِنَّما أَردتُ بمعونتي وجهَ ٱللهِ تعالىٰ ، فعرضَ عليهِ ولايةَ تَريسَ . . فلم يَقْبَل ، وقالَ لهُ : لا أُريدُ منكم إِلاّ ٱلشَّفقةَ بٱلَّذينَ يحرثون آبارَنا بأَعمالِ تَريسَ .

ومنهُمْ : ٱلشَّيخُ جعفرُ بنُ عليِّ بنِ عانوز ، كانَ كسابقهِ ، كثيرَ ٱلعبادةِ ، شديدَ ٱلورَعِ ، طويلَ ٱلصَّلاةِ . وكانَ سيِّدُ ٱلوادي ٱلحسنُ بنُ صالحٍ ٱلبَحْرُ إذا كتبَ إِليهِ . . يقولُ لَهُ : (ٱلولدُ جعفرُ بنُ عليٍّ) .

وكنتُ أَقولُ له : هل قتلتَ أَحداً بيدكَ في واقعة ٱلمحايلِ؟ . . فيقولُ : إِنَّهم بغاةٌ .

ولأَبيهِ ذِكرٌ كثيرٌ في ٱلحروبِ ٱلواقعةِ بينَ يافعٍ وآلِ كثيرٍ ، يدلُّ علىٰ أَنَّهُ صدرٌ مِنْ صدورِ ٱلقبائلِ وأُولي رأيها وزعامتِها .

وكان ٱلعوانزه يَسكنونَ ٱلمِختِرْقه ، فتنكَّدوا مِنْ ملوحةِ مائِها ، ولَحِقَهُم مِنْ ذلكَ عناءٌ شديدٌ ، فٱنتقَلوا عنها إِلىٰ تلكَ ٱلحُصُونِ ٱلَّتي لَم يَتمكَّنوا مِنْ بنائِها إِلاَّ بٱجتماعِ خَرْقَ ٱلعادَةَ مِنْ آلِ كثيرٍ وٱلعوامرِ ، ورابَطوا حواليَها إِلىٰ أَنِ ٱنتهىٰ بناؤُها بِٱلرَّغمِ مِنْ معاطسِ يافعٍ بتريسَ وغيرِها ، وجَرَتْ بينَهُم في ذلكَ معاركُ ، وأُريقَتْ فيهِ دماءٌ .

ومعَ صلاحِ ٱلعَوانِزَه وفضلِهِم . . فقد كانوا مِنْ أَشجعِ ٱلنَّاسِ وَأَلَدِّهِم على ٱلأَعداءِ ، ولَهم في واقعةِ ٱلمحايلِ ٱلمشهورةِ ٱليدُ ٱلبيضاءُ ، وٱلنَّصيبُ ٱلأَوفىٰ .

أُولَـٰئِـكَ قَـوْمٌ إِنْ بَنَـوْا أَحْسَنُـوا ٱلْبِنَـا ... وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا[1]

وإِنْ قَـالَ مَـوْلاَهُـمْ عَلَـىٰ جُـلِّ حَـادِثٍ ... مِنَ ٱلأَمْرِ : رُدُّوا فَضْلَ أَحْلاَمِكُمْ رَدُّوا

ومنهم قَوْمٌ منتشرونَ بوبارٍ وعُمَان ، ولا يزالونَ معَهم على ٱتِّصالٍ ، وفي ٱلوقتِ ٱلأخيرِ ـ أَي منذُ نحوٍ مِن خمسِ سنواتٍ ـ زارَهم شيخٌ مِنَ ٱلعوانزه بعُمان ، يظهرُ علىٰ

---

(١) البيتان من الطَّويل ، وهما للحطيئة في « ديوانه » (٤١) .

وجههِ وعينيهِ أَثرُ ٱلشَّهامةِ وٱلنَّجدةِ ، وقد قضىٰ عندي سحابةَ يومٍ حدَّثني عن أَخبارهم وكثرتِهم وعن وَبار وخصوبتِها . . بٱلتَّعاجيبِ ، ولـٰكنِّي نسيتُ ٱسمَهُ حالَ رَقْم هـٰذا .

ورجالُ ٱلعوانزه بحصنهم ٱليومَ ، لا يزيدُون عنِ ٱثني عشرَ رَجُلاً .

حصونُ آلِ جَعْفرِ بنِ بدرٍ

مِنَ ٱلفخائذِ

هيَ واقعةٌ بِإزاءِ ٱلغرفةِ مِنَ ٱلجبلِ ٱلنَّجديِّ في شرقيِّ ٱلمحترقه ، وهُم أَهلُ بساطةٍ وحُسنِ ظنٍّ وسلامةِ صدورٍ ، ينتسبونَ بٱلخِدْمةِ إِلى ٱلسَّادةِ آلِ خيله ، ورئيسُهُمُ ٱليومَ : محمَّدُ بنُ سالمينَ ، علىٰ غرارِ ٱلسَّابقينَ في ٱستواءِ ٱلعلانيةِ وٱلسَّريرةِ ، وٱلسَّيرِ بِسَوْقِ ٱلطَّبيعةِ ، وٱلبُعدِ عنِ ٱلخداعِ وٱلاحتيالِ .

وعددُ رجالِهمُ ٱليومَ بٱلتَّقريبِ أَربعونَ .

وأَقربُ ٱلنَّاسِ إِليهم : آلُ مِنِيبَاري ، ولـٰكن نَزَغَ بينَهمُ ٱلشَّيطانُ في ٱلأَخيرِ ، وجَرَىٰ بينَهم مِنَ ٱلشَّرِّ ما أَشرنا إِلىٰ بعضِهِ في « **ٱلأَصلِ** » .

حصونُ آلِ منيباري(١)

وهيَ مِنْ وراءِ حصونِ آلِ جعفرِ بنِ بدرٍ . ويقالُ لِمجموعهما : حصْنُ خُزَام .

وقد ذَكرنا في « **ٱلأَصلِ** » أَنَّ أَوَّلَ مَن بناهُ : ٱلشَّيخُ سعيدُ بنُ عامرِ بنِ منيباري ، وذَكرنا جملةً مِن أَخبارهِ ، وأَنَّهُ كانَ بسحيلِ سيئونَ فٱنتقلَ إِلى ٱلحصنِ لمَّا أَثْرَىٰ ، وكانَ فقيراً مملِقاً لا يملكُ غيرَ ٱثني عشرَ ريالاً ، ٱشترىٰ بها ثوراً في حلقةٍ ، فشكا إِلى ٱلحبيب عبدِ ٱللهِ بنِ علويِّ ٱلعيدروسِ . . فدعا لهُ ، فٱبتاعَ ٱلثَّورَ في يومِهِ بأَربعةٍ وعشرينَ ريالاً ، فباركَ ٱللهُ فيها ونَمَت تجارتُه كما ينمو ٱلدُّودُ ، فتأَثَّل ٱلأَموالَ ٱلكثيرةَ .

---

(١) آل منيباري : فخيذة من آل عون من آل كثير الشنافر .

وكانَ آلُ منيباري أَهلَ نجدةٍ ، حتَّىٰ إِنَّهُ لا يقومُ ليافعٍ أَحدٌ مِنْ آلِ كثيرٍ سواهُم ، فكانوا يحسبونَ لَهم أَلْفَ حسابٍ .

وإِليهم وإِلىٰ آلِ عبدِ ٱللهِ بنِ سعيدِ بنِ جعفرِ بن طالبٍ كانَ مرجعُ آلِ كثيرٍ في عظيماتِ ٱلأُمورِ ، وكانوا كما قالَ ٱلشَّريفُ ٱلرَّضِيُّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

مَلِيُّونَ فِي يَوْمِ ٱلْقَضَاءِ إِذَا ٱنْتَدَوْا   بِجَدْعِ ٱلْقَضَايَا مِنْ أُنُوفِ ٱلْمَظَالِمِ
وَإِنْ مُنِعُوا ٱلنِّصْفَ. . ٱقْتَضَوْهُ وَأَفْضَلُوا   عَلَى ٱلنِّصْفِ بِٱلأَيْدِي ٱلطِّوَالِ ٱلْغَوَاشِمِ

وكانَ لَهم حصنٌ في نخيلِ سيئون في شمالِها ، بنَوهُ في أَيَّامِ يافعٍ بعَكرِ ٱلبارودِ[1] ، في ٱلوقتِ ٱلَّذي نَهضوا فيهِ ببناءِ حصنِ ٱلعوانزه ، فآلُ كثيرٍ ساعَدوا ٱلعوامرَ علىٰ بناءِ حصنِ ٱلعوانزه ، وٱلعوامرُ ساعَدوا آلَ كثيرٍ في بناءِ حصنِ آل منيباري ٱلمُسَمَّىٰ حصنَ ٱلعجوزِ ، وكانت يافعٌ تمنعُهم عَن بنائِهِ ، حتَّىٰ لقد أَصلَحوا ٱللَّبِنَ لبنائِهِ ، فمرَّ عليهِ أَحدُ آلِ باعطوه وقالَ :

يا ٱلْمَدَرْ يا ٱلْمَدَرْ با تِبْتَني وَيْن عادَكْ
تِبْتَنِي تبتَني مالين إلاّ سرادك
عادَنا ٱنْفَعَكْ في مَضواك ولاّ برادَك

فهيّج آلَ كثيرٍ بذلكَ ، فحالفوا ٱلعوامر ، وتمَّ ما أَرادوا .

وكانَ هٰذا ٱلحصنُ بلاءً على ٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ ؛ إِذْ لا ينجمُ بينَهُم أَدنىٰ حادثٍ إِلاَّ رابطوا فيه ، وأَطلَقوا ٱلرَّصاصَ منهُ علىٰ ضواحي سيئون وجانبِها ٱلغربيِّ ، فٱنقطعتِ ٱلأَسبابُ ، وتعطَّلتِ ٱلمعايشُ .

وكانَ ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ حريصاً علىٰ محالفتِهم ؛ لقبضِهم بٱلمِخْنَقِ في سيئون ، وما زالَ يُكاتبُهُم ويُخاطبُهُم في ذلكَ حتَّى ٱستقدمَهم هم وآلَ جعفرِ بنِ بدرٍ إِلى ٱلمكلاَّ ، وهناكَ تمَّ ٱلحلفُ بينَهُم ، وفي وثيقته ٱلمحرَّرةِ بتاريخِ (١٢) محرَّم سَنةَ (١٣٣٣هـ) ، عاهدَ آلُ منيباري وآلُ جعفرِ بن بدرٍ علىٰ أَنَّهُم عيالُ ٱلدَّولةِ وأَولادُهُ ،

---

(١) هي كلمة تقال لغرض الأمر بالقوة ؛ أي : ابتنوه على الرغم من يافع . . فهو مدح لهم بالشجاعة .

ومنهُ وإليهِ ، وأَرضُهُم ومثاويهم أَرضُ ٱلدَّولةِ ومثاويهِ ، وأَرضُ ٱلدَّولةِ كذلكَ لَهمُ ٱلمنافعُ مثلَ أَرضِهم ، وهُم تبعةٌ وسمعةٌ للدَّولةِ ٱلقعيطيَّةِ مثلَ أَمثالِهم مِنَ ٱلحلفاءِ ، ولا يعتذرونَ عن داعي ٱلدَّولةِ عندَ ٱلحاجةِ ، وٱلدَّولةُ كذلكَ لَهم منهُ ٱلمنفعةُ ؛ بحيثُ يصلُ نفعُهُ قريبٌ أَو بعيد .

وعليهِم للدَّولةِ أَنْ يقوموا حَسْبَ طاقتهِم وقُدرتهِم ، بكلِّ ما يَجلبُ للدَّولةِ ٱلصَّلاحَ ويُبعدُ عنهُ ٱلضَّررَ ، وكذلكَ ٱلدَّولةُ مِنْ جانبهِ .

وشلُّوا وبدُّوا بوجوههِم[1] أَنَّ كلَّ ما يشومُ ويلومُ ٱلدَّولةَ ويعلقُ بوجههِ . . فهوَ بوجههِم ، مِنْ حالٍ ومالٍ ، وطارِقةٍ عسكريٍّ أَو رعويٍّ ، أَو غيرِهما . . يتعلَّقُ بٱلدَّولةِ فعليهِم إذا عَلموا بخلافٍ على ٱلدَّولةِ أَنْ يَقوموا فيهِ حسبَ طاقتهِم .

وقد كُتبَ بينَهُم وثرٌ بتاريخِ هٰذا ٱلحلفِ علىٰ شروطٍ عليهِم للدَّولةِ ، وشروطٍ لَهُم مِنَ ٱلدَّولةِ ، وأَقرَّ ٱلمذكورونَ بٱلسِّيادةِ للدَّولةِ ٱلقعيطيَّةِ في ٱلجهةِ ٱلحضرميَّةِ ٱلجميعُ ، وبٱللهِ ٱلاعتمادُ .

وعليهِ إمضاءُ ٱلسُّلطانِ غالبِ بنِ عوضٍ ، وشهادةُ ٱلسَّيِّد محمَّدِ بنِ سقَّافٍ ، وٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ وغيرِهم .

ولٰكنَّهُ لَم يَنَّفذْ منهُ شيءٌ ؛ لأَنَّ ٱلسَّيِّدَ حسينَ رغبَ فيما بعدَ ذلكَ إلىٰ مصالحةِ ٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ ، ولمَّا تمَّتْ . . ٱستغنىٰ بها عن حِلْفهِم وحِلْفِ آلِ جعفرِ بنِ بدرٍ ـ ٱلَّذي لم يجعلهُ إلاَّ تمهيداً لحملِ ٱلدَّولةِ على ٱلمصالحةِ ـ ولٰكنَّ حلْفَ ٱلدَّولتينِ لا يزالُ علىٰ دَخَنٍ إلى ٱليومِ .

وبإِثرِ جلاءِ عُبَيدِ صالحِ بنِ عبداتٍ وَهَنَ جانبُ آلِ كثيرٍ ، وٱستنهرَ فتقُهُم[2] ، وٱنهارَ ركنُهُم ، فتوسَّعتْ مملكةُ ٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ علىٰ حسابِ ٱلنُّفوذِ ٱلإنكليزي ، وجاءَها ٱلقوسُ بلا ثمنٍ ، وٱستولت علىٰ حصن بئر العجوز صَفْواً عفواً ، وجرىٰ أخيراً علىٰ

---

(١) هٰذه من عبارات تلك المعاهدة ، وشلّ فلان بوجهه وبدّى ، أي : التزم بالعهد .

(٢) **استنهر النَّهر** : حفر لمجراه موضعاً مكيناً ، **واستنهر الفتق** : كناية عن تأَصُّله وتمكُّنه وتوسعه .

رئيسِ آلِ منيباري ـ وهوَ ٱلشَّابُّ ٱلشَّهمُ ٱلنَّشيطُ محمَّد عامر بنِ محمَّدِ بن منيباري ـ نوعٌ مِنَ ٱلضَّغطِ بسيئون ، ثمَّ سُوِّيتِ ٱلمسائلُ بٱلحسنىٰ .

وعددُ آلِ منيباري ٱليومَ لا يزيدُ معَ عبيدِهم عن خمسةٍ وأَربعينَ رَجُلاً .

تَرِيس[1]

هيَ مِنْ قدامى ٱلبلدانِ ، وَلَم يَذكرها ياقوتُ ، ولم يَزِد ٱلطيِّبُ بامخرمةَ علىٰ قولِهِ : (تريس : قريةٌ مِنْ قرىٰ حَضْرَمَوْتَ ، شرقيَّ محلَّةِ ٱلمشايخِ آلِ باعبَّادٍ ٱلمعروفة بٱلغُرْفةِ ، ذكرَها ٱلقاضي مسعودٌ) اهـ[2]

وفي موضعٍ مِنْ « صِفةِ حزيرةِ ٱلعربِ » للهَمْدانيِّ [ص٢٩٣] : (تريمُ مِنْ ديارِ تميمٍ ، وتريسُ بحَضْرَمَوْتَ) اهـ

ولعلَّ تريساً فيهِ محرَّفةٌ عن تريم ؛ لأَنَّهُ ٱلأَليقُ بٱلسِّياقِ .

وفي « ٱلأَصلِ » عن صاحبِ « معجمِ ٱلبلدانِ » عن « معجمِ ٱلبكريِّ » أَنَّها : (سُمِّيتْ بٱسمِ تريسِ بنِ خوالي بنِ ٱلصَّدف بنِ مرتعِ ٱلكنديِّ) اهـ

ثمَّ رأَيتُ « معجمَ ٱلبَكْريِّ » فإذا ٱلنَّقلُ صحيحٌ ، وفيهِ : أَنَّ لتريس أَخاً ٱسمُهُ مَدِيس ، وما ذكرَهُ مِن سببِ ٱلتَّسميةِ معقولٌ ؛ فإن أَغلبَ سُكَّانِها مِنْ أَعقابِ ٱلصَّدفِ ، ففيها مثرى ٱلمشايخِ آلِ باكثيرٍ ، وقد سبقَ في شبام أَنَّ منهُمُ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱللهِ بنَ أَحمدَ بنِ محمَّدٍ ، أَحدَ أَصحابِ ٱلإِمامِ ٱلبخاريِّ .

ولـٰكنَّهُ جاءَ في « ٱلضَّوءِ ٱللاَّمعِ » [١١/٥] للسخاوي ذِكْر : عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ باكثير هـٰذا ، وقالَ : إِنَّهُ أَخذَ عنهُ ، فتبيَّنَ بهِ أَنَّ ٱلبخاريَّ في « ٱلتَّاجِ » [٢١/١٤] مصحَّفٌ تصحيفاً مطبعيّاً عنِ ٱلسَّخاويِّ ، وقد تَرجمَ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ ٱلعيدروسُ في « ٱلنُّورِ ٱلسَّافرِ » [١٧٨] للشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ باكثير هـٰذا ، وذكَرَ أَنَّ وفاتَهُ سنةَ (٩٢٥هـ) ،

---

(١) تبعد عن سيئون (٣) أميال إلى جهة الغرب .

(٢) نسبة البلدان (ق٦٠) .

وولادته بحضرموتَ ، وطلبَهُ للعلمِ بغيل باوزيرِ . وكانت وفاةُ ٱلسَّخاويِّ بٱلمدينةِ ٱلمشرَّفةِ سنةَ (٩٠٢هـ) .

ولا بأسَ بعلامةِ ٱلدَّركِ بعدَ ٱلفوتِ أن نتمثَّلَ بقولِهم : (إن ذهبَ عيرٌ . . فعيرٌ في ٱلرِّباطِ) ؛ لأنَّهُ إن فاتنا ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ أحمدَ باكثير . . ففي أيدينا مَن هوَ أقدمُ وأولىٰ بٱلذِّكرِ منهُ وهوَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ ٱلحضرميُّ ٱلَّذي كانَ يخطِّىءُ ٱلفرزدقَ في أشعارِهِ ، فهجاهُ فخطَّأَهُ في نفسِ هجائِهِ . . جاءَ في « خزانةِ ٱلأدب » [٢٣٧/١] بعدَ ذكرِهِ لذلكَ ما نصُّه : (وعبدُ ٱللهِ هـٰذا هوَ عبدُ ٱللهِ بنُ أبي إسحاق ٱلزِّياديُّ ٱلحضرميُّ ، قالَ ٱلواحديُّ في كتابِ « ٱلإغراب في علمِ ٱلإعراب » كانَ عبدُ ٱللهِ مِن تلامذةِ عتبةَ بنِ سفيانَ ، وهوَ من تلامذةِ أبي ٱلأسودِ ٱلدؤليِّ واضعِ ٱلنَّحوِ ، وليسَ في أصحابِ عتبةَ مثلُ عبدِ ٱللهِ . . . إلىٰ أن قالَ : وكانَ يُقالُ : عبدُ ٱللهِ أعلمُ أهلِ ٱلبصرةِ وأعقلُهم ، وفرَّعَ ٱلنَّحو وقاسَهُ ، وكانَ أبو عمرِو بنُ ٱلعلاءِ قد أخذَ عنهُ ٱلنَّحوَ ، ومِن أصحابِهِ ٱلَّذينَ أخذوا عنهُ ٱلنَّحوَ : عيسى بنُ عمرَ ٱلثَّقفيُّ ، ويونسُ بنُ حبيبٍ ، وأبو ٱلخطَّابِ ٱلأخفشُ) اهـ

توفي سنة (١١٧هـ) ، وهو ٱبنُ ثمانٍ وثمانينَ سنةً ، وصلَّىٰ عليهِ بلالُ بنُ أبي بردةَ ، وقد ذكرناهُ هنا عن غيرِ كبيرِ مناسبةٍ ؛ لأنَّ فيهِ تعزيةً عن باكثيرٍ . قالَ شنبلٌ : وفي سنةِ (٩١٢هـ) توفِّي ٱلفقيهُ ٱلقاضي شجاعُ ٱلدِّينِ محمَّدُ بنُ أحمدَ باكثيرٍ في سيئونَ ، ودُفنَ بها .

وفي سنةِ (٩١٣هـ) : توفِّي ٱلرَّجلُ ٱلصَّالحُ عتيقُ بنُ أحمدَ باكثيرٍ ، وهـٰذا هوَ جدُّ آلِ بن عتيقٍ أصحابِ مَدُوده .

وقد ألَّفَ ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ ، شيخُنا ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ محمَّدٍ باكثير كتاباً سمَّاهُ « ٱلبنان ٱلمشير إلىٰ علماء وفضلاءِ آلِ باكثير »[1] .

وممَّنْ بتريسَ منْهُم : ٱلشَّيخُ أبو بكرِ بنُ عمرَ ، عندَهُ حظٌّ وافرٌ مِنَ ٱلفقهِ ، قالَ ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحيمِ : (ولَم أعلمْ لَهُ مشاركةً في غيرِهِ ، وَلِيَ قضاءَ شبام بعدَ والدي ،

---

(١) طبع هـٰذا « البنان » في حياة ابن المؤلف الشيخ عمر المتوفى سنة (١٤٠٥هـ) ، وقام بتحقيق الكتاب السيد عبد الله الحبشي .

ووليَ قضاءَ ٱلغرفةِ وقضاءَ هينَن ، وإليهِ ٱلمرجعُ عندَ ٱلمنازعاتِ بينَ ٱلدَّرسةِ) اهـ

قالَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ باكثير : (وكانتْ وفاتُهُ في حدودِ سَنةِ ١٠٨٣هـ)[1] .

ومنهُمْ : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحيمِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلمعلِّمِ بنِ عمرَ بن قاضي باكثيرٍ[2] ، وإنَّما قيلَ لجدِّهم : (قاضي) ، ولم يكن به ؛ لأنَّهُ حضرَ نِزاعاً في مُشكِلٍ فحلَّهُ بفهمِهِ ، فقيلَ لهُ : إنَّكَ لقاضي ، فلزمَهُ ، تولَّى ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحيمِ ٱلقضاءَ ببور نحواً مِنْ سنتينِ ، ثمَّ حصلَتْ عليهِ شدَّةٌ مِنْ بعضِ ٱلظَّلَمةِ فعزلَ نَفْسَهُ وعادَ إلىٰ بلدهِ تريس ، ثمَّ طلبَهُ ٱلسُّلطانُ لقضاءِ شبام ، ففعلَ وأقامَ سنتينِ وخمسةَ أشهُرٍ ، ثمَّ تعصَّبَ عليهِ ٱلحُسَّادُ فعُزلَ ، وعادَ إلىٰ تريس ، وٱشتغلَ بٱلمطالَعةِ ، ثمَّ تولَّىٰ قضاءَ تريم في سَنةِ (١٠٩٤هـ) .

وفي سَنةِ (١٠٩٦هـ) تنازعَ هوَ وآلُ تريم في قضيَّةِ ٱلهلالِ ، وردَّ علىٰ جوابٍ في ٱلقضيَّةِ لِلشَّيخ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ باعليٍّ برسالةٍ سمَّاها : « ٱلمنهلُ ٱلزُّلال في مسألةِ ٱلهلال » ، فوافقَهُ ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ عبدِ ٱللهِ باحسنٍ ـ معَ أنَّهُ كانَ مِنْ مُنابذيهِ ـ ، وٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدِ بن قُطْنةَ[3] ، وٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ قدريٌّ باشُعَيب .

وفيهِ يقولُ عبدُ ٱللهِ قدريٌّ [مِنَ ٱلسَّريع] :

فتَـريـمُ قَـاضِيهَـا ٱلتَّـريسـيْ غَـدَا ... يقَـوِّمُ ٱلـدِّيـنَ لِتَهْنَـا تَـرِي

فَبِـٱلْحَـرِي مِـنْ بَعِـدْ عُـرْيٍ أَتَـتْ ... تَـريـمُ تَـزْهُـو فِـي ثِيَـابِ ٱلْحَـرِي

وفي ٱلبيتينِ ٱلاكتفاءُ[4] ، وأمَّا حذفُ ٱلهمزةِ مِنْ (تهنا) للجَزْمِ . . فكما جاءَ في

---

(١) « البنان » (٧٤) .

(٢) كان طلبه للعلم على يد والده ؛ إذ علمه القرآن العظيم ورباه ، وتفقه بالشيخ الفقيه النحوي عامر بن أحمد بن طاهر الخولاني ، والشيخ علي بن حسين بامهير . ورحل إلى مكة المكرمة وطلب العلم على الشيخ عبد الله بن أبي بكر القدري باشعيب وغيره .

(٣) هو الشيخ الفقيه عبد الله بن محمد بن عوض بن قطنة الشبامي . كان عالماً فقيهاً ، له مصنفات ، عاصر الإمام الحداد ، وله ذكرٌ في « مناقبه » ، وكان معدوداً من أصحابه ، وله آثار علمية .

(٤) الاكتفاء من أبواب البديع ، وهو في قوله في البيتين : (تري) أي تريم ، و(الحري) أي (الحرير) ، وتعريف الاكتفاء وما إلى ذلك يؤخذ من كتب البلاغة .

حديثِ توبةِ كعبِ بنِ مالكٍ : « لِتُهْنِكَ تَوْبَةُ ٱللهِ عَلَيْكَ »[1] . ولَم يُعلَمْ بموتهِ ولا قبرِه[2] .

ومنهُمُ : ٱلشَّيخُ أَبو بكرِ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ باكثيرٍ[3] ، ولَم يُعلَمْ وقتُ وفاتِهِ ، ولـٰكنَّهُ مِنْ تلاميذِ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ بنِ محمَّدٍ ٱلحَبْشيِّ ، ٱلمتوفَّىٰ بٱلحسيَّسةِ سَنةَ (١٠٣٨هـ) ، وٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلجفريِّ مولى ٱلعَرْشةِ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريس سَنةَ (١٠٣٧هـ) .

ومنهُمُ : ٱلشَّيخُ أَبو بكرِ بنُ عثمانَ باكثيرٍ ، لَهُ ذِكرٌ في « مجموعِ ٱلأَجدادِ » .

ومنهُمُ : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ ٱلقادرِ باكثيرٍ ، توفِّيَ بتريس[4] .

ومنهُمُ : ٱلشَّيخُ إبراهيمُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ إبراهيمَ باكثيرٍ[5] ، توفِّيَ بتريس .

ومنهُمُ : ٱلشَّيخُ أَبو بكر بنُ أَحمدَ بنِ محمَّدٍ باكثيرٍ[6] ، لَهُ مسجدٌ بتريس .

ومنهُمُ : ٱلفاضلُ ٱلجليلُ عليُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحيمِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدِ بنِ قاضي ، ولدَ بتريس سَنةَ (١٠٨١هـ) ، لَهُ ترجمةٌ طويلةٌ بلا ذِكرِ وقت ٱلوفاةِ[7] وقد ترجمَ لنفسِهِ ، وذكرَ جماعةً من آلِ باكثيرٍ ، ومنهمُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلصَّمدِ باكثيرٍ ، بينَهُ وبينَ ٱلعلاَّمةِ أَحمدَ بنِ حسنٍ ٱلحدَّاد مساجلاتٌ شعريَّةٌ ؛ منها أَنَّ عبدَ ٱلصَّمدِ أَرَّخَ ميلادَ ٱلسَّيِّدِ حامدِ بنِ أَحمدَ بنِ حسنٍ بأَبياتٍ جاءَ فيها قولُهُ :

---

(١) الحديث أخرجه البخاريُّ (٤١٥٦) ، ومسلم (٢٧٦٩) بلفظ : (لِتُهْنِئْكَ تَوْبَةُ ٱللهِ عَلَيْكَ) في حديث طويل وشيّق . . فليراجع منهما . وٱلله أعلم .

(٢) ترجمته في « البنان » : (٧٦ـ٨٠) ، ومن الآخذين عنه : السيد علوي باحسن ، والحبيب أحمد بن زين الحبشي .

(٣) « البنان » (ص ٨٠) .

(٤) ترجمته في « البنان » (٣٣ـ٣٥) .

(٥) ترجمته في « البنان » (٨٢) .

(٦) « البنان » (٨٥) .

(٧) في « البنان » (٩١ـ١١١) ، وفي النسخة المطبوعة التي نعزو إليها أن وفاته سنة (١١٤٥هـ) ، فلعل المؤلف اطلع على نسخة خطية لم تكمل . وللشيخ علي مصنفات كثيرة ، تفوق العشرين مصنفاً .

وَقَـدْ أَرَّخْـتُ مَـوْلِـدَهُ بِقَـوْلِـي : (شَـرِيـفٌ عَـارِفٌ حَبْـرٌ أَدِيـبُ)
= (١٧)+(٢١٠)+(٣٥١)+(٥٩٠)

سنة (١١٦٨هـ)

فأَجابَهُ ٱلحبيبُ أَحمدُ بقصيدةٍ مِن بحرِهِ وقافيتِهِ .

ومنهُم : صاحبُ ٱلتَّصانيفِ ٱلكثيرةِ ، ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ عمرَ بنِ قاضي[١] ، توفِّيَ حوالَي سَنةِ (١٢٣٠هـ) .

ومنهُمُ : ٱلخطَّاطُ ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ عمرَ بنِ محمَّدِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ ٱلرَّحيمِ[٢] ، توفِّيَ بتريس سَنةَ (١٢٤٧هـ) . وغيرُهُم .

ومرجعُ أَكثرِ آلِ باكثيرٍ في ٱلنَّسَبِ إِلى ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ سلمةَ بنِ عيسىٰ بنِ سلمةَ ٱلكنديِّ[٣] ، تلميذِ ٱلشَّيخِ سعيدِ بنِ عيسى ٱلعموديِّ ٱلمتوفَّىٰ بقيدون سَنةَ (٦٧١هـ) .

وقالَ ٱلملكُ ٱلأَشرفُ ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (٦٩٦هـ) : (وجَدُّ بني شهابٍ ٱلَّذينَ يُنسبونَ إِليهِ هوَ : محمَّدُ بنُ سلمةَ ٱلكنديُّ ، وهوَ ٱلَّذي ٱنتجعَ مِنْ حَضْرَمَوْتَ ، وسكنَ بٱلبلادِ ٱلشُّهابيَّةِ مِنْ أَعمالِ صنعاءَ ، ولَهُ ثلاثةُ أَولادٍ : حاجبٌ وعطوةُ ودغفانُ ، ولكلٍّ منهُم أَولادٌ) اهـ[٤]

ولٰكنْ لا يُمكنُ أَنْ يكونَ هٰذا هوَ ٱلمرادُ ؛ لأَنَّ قولَهُ : (وجَدُّ بني شهابٍ . . إلخ) يدلُّ علىٰ تقدُّمِ زمانِهِ ، ولَم يَذكرْ مِنْ أَولادِهِ مَنِ ٱسمُهُ أَحمدُ ، ولٰكنَّهُ لا يَبعدُ أَنْ يكونَ محمَّدُ بنُ سلمةَ ٱلمذكورُ في كلامِ ٱلأَشرفِ هو جدَّ محمَّدِ بنِ سلمةَ ٱلمذكورِ في نسبِ آلِ باكثيرٍ ، وٱلمدارُ في ذلكَ على ٱلنَّقلِ ، فعسىٰ أَنْ يوجدَ ما يوافقُ هٰذا .

---

(١) « البنان » (١٢٨ـ١٣٤) ، وتأريخ وفاته بسنة (١٢٣٠هـ) يحل إشكالاً سببه ما ذكره صاحب « تاريخ الشعراء » من كون وفاته سنة (١٢١٠هـ) ؛ لأن أحد أولاده وهو الشيخ عمر بن علي ولد سنة (١٢١٢هـ) . له مصنفاتٌ كثيرة .

(٢) « البنان » (١٣٤ـ١٣٦) .

(٣) ترجمته في « البنان » (١٣ـ١٤) .

(٤) « الطرفة » (١٢٥) ، وقد فصّل فخائذهم فيما تلاها من الصفحات .

وفي تريس خاصَّةً وحَضْرَمَوْتَ عامَّةً كثيرٌ مِنْ آلِ باعَطْوةَ ، فيهِمُ ٱلشُّعراءُ وٱلشَّحَّاذونَ ، فلا يَبعدُ أَنْ يَكونوا مِنْ ذرِّيَّةِ عطوةَ بنِ محمَّدِ بنِ سلمةَ جدِّ بني شهابٍ[1] ، بل إِنَّ ٱلأَمرَ قريبٌ من بعضِهِ جدّاً .

ومِنْ أَهلِ تريس : آلُ ٱبنِ حُمَيدٍ ٱلصَّدفيُّونَ ، منهُمْ : ٱلقاضي ٱلفاضلُ ، ٱلفقيهُ ٱلصَّالحُ ٱلمؤرِّخُ الشيخُ : سالمُ بنُ محمَّدِ بنِ سالمِ بنِ حُمَيدٍ[2] ، توفِّيَ بتريس في حدودِ سَنةِ (١٣١٤هـ) عن عُمُرٍ ناهزَ ٱلمئةَ ، قضاهُ في أَعمالِ ٱلبرِّ . وقد أَحضرني والدي إِليهِ ، فأَلبسني ، وأَجازني ، وباركَ عليَّ .

أَمَّا ٱلسَّادةُ ٱلعلويُّونَ ٱلَّذينَ بتريس . . فقد سَبَقَ مِنهُم ذِكرُ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلجفريِّ ، وهو المعروف بصاحب ٱلعَرْشةِ[3] ، ومن خطِّ سيِّدي عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عليٍّ ٱلسَّقَّافِ : أَنَّ ٱلأُستاذَ ٱلحدَّادَ ذكرَ من أَمَرَ ونهىٰ في ٱلقرونِ ٱلماضيةِ حتَّىٰ وصلَ إِلىٰ ذِكرِ ٱلقرنِ ٱلعاشرِ فذكرَ عَنِ ٱلشيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ محمَّدٍ ٱلجفريِّ صاحب تريسَ فقالَ : إِنَّهُ كانَ قد طلبَ ٱلعلمَ وعملَ وسلَكَ ولقيَ ٱلمشايخَ ، وكانَ إِذا أَمرَ ونهىٰ . . لا يبالي بمن يأْمرُهُ كائناً مَن كانَ ، وإِنَّهُ رأَىٰ رجلاً في ٱلمسجدِ يقرأُ ٱلقرآنَ وهوَ لا يحسنُ ٱلقراءَةَ ، فبعدَ ٱلصَّلاةِ سأَلَ عنهُ؟ قالَ لهُ رجلٌ مِن أَصحابِ ٱلدَّولةِ : إِنَّهُ أَلثغُ ، وهـٰذا مقدورُهُ . . فقالَ لهُ : وأَنت يومَ تصلِّي ولاتطمئنُّ يا فاعل يا تارك ، وبقيَ يصيحُ عليهِ حتَّى ٱنهزموا مِنَ ٱلمسجدِ ، وكانَ يكتبُ إِلىٰ بعضِ سلاطينِ ٱلجهة : (إِلىٰ فُلَيِّن ، مَرْدَم جهنَّم) اهـ

وقولُه : فُلَيِّن : تصغيرُ فلان .

---

(١) « الطرفة » (١٢٨) .

(٢) ولد بتريس سنة (١٢١٧هـ) ، وهو مؤلف كتاب « العدة المفيدة من تواريخ قديمة وحديثة » في مجلدين وقد طبع بتحقيق السيد عبد الله الحبشي عام (١٤١١هـ) عن مكتبة الإرشاد بصنعاء ، وقد استقى المؤلف منه كثيراً . ينظر المقدمة التي كتبها السيد عبد الله الحبشي (١/ ٥ـ ١٩) .
وللفائدة . . فآل بن حميد هؤلاء من كندة ، وهم غير آل حميد شراحيل سكان شبام والشحر . وغير آل باحُمَيد سكان مدوده وسيئون ، وكلهم بضم الحاء وفتح الميم ـ تصغير حمد .

(٣) المتوفى سنة (١٠٣٧هـ) ، ترجمته في « المشرع » (٢/ ٣٢٠ـ٣٢١) .

وقد كانَ جدُّهُ عبدُ ٱللهِ مِنْ أَهلِ تريس[١] ، ومِنْ ذرِّيَّتهِ ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ عمرَ بنِ سالمٍ[٢] ، تولَّى ٱلقضاءَ بشبام .

وعيدروسُ وعبدُ ٱللهِ ٱبنا أَحمدَ أَخيارٌ فقهاءُ ، توفِّيَ ٱلأَخيرُ منهما بتريس سَنَةَ (١٢٦٤هـ) .

ومِنْ ذرِّيَّةِ شيخانَ بنِ علويِّ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلتَّريسيِّ[٣] : ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ علويُّ بنُ سقَّافِ بنِ محمَّدِ بنِ عيدروسِ بنِ سالمِ بنِ حسينِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخانَ ٱلمذكورِ ، وهوَ ٱلشَّيخُ ٱلخامسَ عشرَ مِنْ مشايخِ سيِّدِنا ٱلأُستاذِ ٱلأَبَرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ[٤] ، كانَ واسعَ ٱلعِلْمِ وٱلرِّوايةِ ، متفنِّناً ، ولَهُ رحلاتٌ إِلى ٱليَمنِ وغيرِها .

وكانَ هوَ وسيِّدي ٱلجَدُّ محسنُ بنُ علويٍّ أَخصَّ تلاميذِ سيِّدِنا ٱلحسنِ بنِ صالحٍ ٱلبحرِ ، وكانَ ٱلحقُّ عندَهُ فوقَ كلِّ عاطفةٍ ، مِنْ ذلكَ :

أَنَّ بعضَ ٱلوهَّابيَّةِ أَنكرَ علىٰ آلِ حَضْرَمَوْتَ جَعْلَهُم خَتْمَ ٱلمجالسِ بٱلفاتحةِ على ٱلكيفيَّةِ ٱلمعلومةِ سُنَّةً مطَّردةً ، معَ أَنَّهُ لا دليلَ علىٰ ذلكَ ، فردَّ عليهِ سيِّدُنا طاهرُ بنُ حسينٍ بردٍّ خرجَ مخْرَجَ ٱلخَطابةِ وٱلوعظِ[٥] ، فنقضَهُ ٱلحبيبُ علويُّ بنُ سقَّافٍ ٱلجفريُّ هٰذا برسالةٍ سمَّاها « ٱلدَّلائِلِ ٱلواضحة في ٱلرَّدِّ علىٰ رسالةِ ٱلفاتحة » ، ترجمَ فيها لابنِ تيميةَ ، وتلميذِهِ ٱبنِ ٱلقيِّمِ ، وللشَّيخِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلوهَّابِ صاحبِ ٱلدَّعوةِ ٱلمشهورةِ ، وأَطنبَ في ٱلثَّناءِ عليهِم .

---

(١) وهو الملقب بالتريسي ، وأخواله هم آل بادبّاه من قوم الشيخ عمر المتقدم ذكره في صداع .

(٢) ذكره الحبيب عيدروس في « العقد » ، عاش في القرن الثالث عشر ، وهو من شيوخ العلامة علوي بن سقاف الجفري .

(٣) قال في « شمس الظهيرة » (٢/٤٢٤) : (وأما شيخان بن علوي بن عبد الله التريسي.. فعقبه آل الجفري بجاوة بسورابايا ، وقدح ، وبهان ، والمدينة ، وتريس) اهـ ومنهم : آل الصافي الجفري بدوعن ومصوّع وسواكن وعدن ، وغيرها .

وقوله : قدح وبهان ينطقان الآن (كدَه) و (فاهانغ) وهما في جمهورية ماليزيا حالياً .

(٤) ترجمته في « عقد اليواقيت » : (٢/١٩ـ٢٤) .

(٥) وهو المسمّى : « المقالة الواضحة » .

ولمَّا اَطَّلَعَ عليها الحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ حسينٍ.. كتبَ عليها بخَطِّهِ : (علويُّ بنُ سقَّافٍ يقولُ الحقَّ ولَو كانَ مُرّاً)!!

غيرَ أنَّني تحيَّرتُ زماناً في الحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ حسينٍ هـٰذا المُقرِّضِ ، أهوَ بلفقيه أَمِ ابنُ طاهرٍ ؟ حتَّىٰ تذكَّرتُ ما جاءَ في خطِّ السَّقَّافِ الَّذي سَيَّرَهُ للسَّيِّدِ أحمدَ بنِ جعفرٍ الحَبْشيِّ ـ حَسَبَما سَبَقَ في الحوطةِ ـ مِنْ قولهِ : (وأَذعنَ لمصنِّفهِ مَنْ لا يُحبُّهُ) ، فعرفتُ أنَّ المرادَ بلفقيهِ ؛ لأنَّهُ هوَ الَّذي لا يُحبُّ مؤلِّفَ « الدَّلائلِ الواضحةِ » ؛ لاتِّساعِ شُقَّةِ الخلافِ بينَهُما في عدَّةِ مسائِلَ فُرُوعيَّةٍ ، تُبودلَتْ بينهما في بعضها الرُّدودُ اللاَّذعةُ مِنَ الطَّرفينِ .

وكانتِ « الدَّلائلُ الواضحةُ » عندي.. فاستعارَها منِّي الفاضلُ الأديبُ السَّيِّدُ حسنُ بنُ عبدِ اللهِ الكافُ ، ثمَّ لَم يَرُدَّها وأَحالني إلىٰ عدن بعدَّةِ كتبٍ قياضاً عنها ، فلم تُدفَعِ الحوالةُ ، وأَخافُ أنْ يكونَ أعدمَها ؛ فإنَّهُ بخوفٍ شديدٍ مِنْ أنْ يَطَّلعَ عليها الإرشاديُّونَ فيَجمعوا مِنها أيديهم علىٰ حجَّةٍ ضدَّ العلويِّينَ فيما هُم فيهِ مختلفونَ .

ومِنْ هـٰذا ومِنْ أَخذِ الجماعةِ كلِّهم عنِ السَّيِّدِ أبي بكرِ بنِ عبدِ اللهِ الهندوان[1] ـ وهوَ وهَّابيٌّ قحٌّ ـ تبيَّنْتُ أنَّ عندَ مولانا شيخِ الوادي الحسنِ بنِ صالحٍ مسْحةً مِنْ تلكَ الآراءِ بغايةِ الاعتدالِ ؛ لموافقتِها لما هوَ فيهِ مِنَ الاستغراقِ في تجريدِ التَّوحيدِ ، وعدمِ التفاتهِ إلىٰ غيرِ الحميدِ المجيدِ .

ولا يشكلُ ـ علىٰ هـٰذا ما في « بغيةِ المسترشدينَ » عَن فتاوى الحبيبِ علويِّ بنِ سقَّافٍ الجفريِّ هـٰذا.. من جوازِ التَّوسُّلِ ؛ لأنَّهُ إنَّما يبيحُ منهُ ما لا يُوهمُ القَدحَ في التَّوحيدِ ، كما لا يُشكلُ ما يوجدُ في بعضِ مكاتباتِ الحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ حسينٍ بَلْفقيهِ ـ مع توهيبِهِ ـ مِنَ الإنكارِ علىٰ بعضِ المتشدِّدينَ في ذلكَ ؛ لأنَّ ذلكَ الإنكارَ إنَّما كانَ للتَّهوُّرِ وفرطِ الغُلوِّ اللَّذينِ اشتطَّ فيهما الرَّجلُ ، وظنِّي أنَّهُ السَّيِّدُ جعفرٌ السَّالفُ الذِّكرِ عمَّا قريبٍ .

---

(١) المتوفى بتريم سنة (١٢٤٨هـ) ، وهو حفيد العلامة أحمد بن عمر الهندوان ، وله ذكر في « عقد اليواقيت » .

وقد قالَ أبو سليمانَ ٱلخطَّابيُّ ـ وهوَ أحمدُ بنُ محمَّدِ بن إبراهيمَ ـ [مِنَ الطَّويل] :

وَلاَ تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ ٱلأَمْرِ وَٱقْتَصِدْ   كِـلاَ طَـرَفَـيْ كُـلِّ ٱلأُمُـورِ ذَمِيـمُ

ومعاذَ ٱللهِ أَنْ يخرجَ مولانا ٱلبَحْرُ ومَنْ علىٰ طريقهِ عن حدِّ ٱلاعتدالِ ، ويقولَ بتكفيرِ أَحدٍ مِنَ المسلمينَ ، إلاَّ بعدَ ثبوتِ ٱلمكفِّرِ وٱلإصرارِ عليهِ بعدَ ٱلاستتابةِ ، وقد قالَ ٱلعلاَّمةُ ٱبن تيميَّةَ في (ص ٢٥٨) من ردِّه على ٱلبَكريِّ : (فلهـٰذا كانَ أَهلُ ٱلعلمِ والسُّنَّةِ لا يُكفِّرونَ مَن خالفَهم) اهـ

معَ أَنَّ هـٰؤلاءِ ينكرونَ إنكاراً شديداً على ٱلقُبوريِّينَ وجُهَّالِهم ـ حَسَبَما قالَهُ لسانُ حالِهم ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَحمدَ باسَوْدان في غيرِ موضعٍ مِنْ كتبهِ ـ ولَم يَكونوا في ذلكَ بمقلِّدينَ ، بل كما قالَ سيِّدي عبدُ ٱللهِ بنُ حسينٍ بلفقيه حينَ رمىٰ كتابَ غرامةَ :(نحنُ وهَّابيُّونَ مِنْ أَيَّامِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ٱلَّذي جاءَ بتكسيرِ ٱلأوثانِ ، وٱلحنيفيَّةِ ٱلبيضاءِ) .

ورأَيتُ للسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ ٱلأَهدلِ سِياقةً توافقُ ما هُم عليهِ ؛ مِنها : أَنَّ طَلبَ ٱلتَّوجُّهِ إلى ٱللهِ في ٱلمهمَّاتِ مِنَ ٱلأَولياءِ ـ معَ ٱعتقادِ براءَتِهم مِنَ ٱلحولِ وٱلقوَّةِ وٱلاتِّصافِ بٱلعبوديَّةِ ٱلمحضةِ ـ جائزٌ ، وهوَ معنَى ٱلتَّوسُّل . ولـٰكنَّهُ لا يكونُ إلاَّ عندَ ضعفِ ٱليقينِ ، وٱلأَولىٰ للمؤمنِ ٱلقويِّ ٱلإيمانِ أَن لاَ يجعلَ بينَهُ وبينَ ٱللهِ واسطةً ؛ فقد قالَ تعالىٰ : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ .

وقد كانَ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ لا يستعينُ إلاَّ بٱلصَّبرِ وٱلصَّلاةِ ، ومتىٰ حَزبَهُ أَمرٌ . . فَزعَ إلى ٱلصَّلاةِ .

أَمَّا ٱلأولياءُ . . فإنَّهم ـ معَ وجاهتِهم وقربِ دعائِهم مِنَ ٱلقبولِ ـ ضُعفاءُ فُقراءُ لا يملكـونَ لأَنفسِهـم ـ فضـلاً عـن غيـرهـم ـ نَفْعـاً ولا ضُـرّاً ، ولا مـوتـاً ولا حيـاةً ولا نشوراً . وٱلمكفِّراتُ مقرَّرةٌ حتَّىٰ في ٱلمتونِ ، وٱلاستتابةُ واجبةٌ ، وٱلكلامُ في ٱلعللِ وٱلأَسبابِ معروفٌ ، وٱلتَّوسُّلاتُ مِن جملةِ ذلكَ . . فلا حاجةَ إلى ٱلشَّغْبِ فيما ٱلاتِّفاقُ علىٰ أَصلهِ حاصلٌ .

وذكرَ ٱلبرزالي وغيرُهُ أَنَّ شيخَ ٱلصُّوفيَّةِ كريمَ ٱلأُبليَّ وٱبنَ عطاءٍ جاءا ومعَهم جماعةٌ نحوٌ مِن خمس مئةٍ يشتكونَ إلى ٱلدَّولةِ مِن تقيِّ ٱلدِّينِ ٱبن تيميَّةَ . . فعُقدَ لهُ مجلسٌ قالَ فيهِ أن لا يُستغاثَ إلاَّ بٱللهِ ، حتَّىٰ لا يُستغاثُ بٱلنَّبيِّ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ـ الاستغاثة بمعنى ٱلعبادةِ ـ ولـٰكنَّهُ يُتوسَّلُ ويُتشفَّعُ بهِ إلى ٱللهِ . . فبعضُ ٱلحاضرينَ قالَ : ليسَ في هـٰذا شيءٌ ، ورأىٰ قاضي ٱلقضاةِ أَنَّ فيهِ قلَّةَ أدبٍ ؛ فٱلأمرُ لولا ٱلحسدُ وٱلمنافساتُ ٱلحزبيَّةُ . . أدنىٰ إلى ٱلوفاقِ .

وما أكثرَ ما يوجدُ ٱلتَّوسُّلُ في شعري بٱلنَّبيِّ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ أصلاً وببقيَّةِ ٱلخمسةِ ٱلأرواح تبعاً ، معَ فرطِ تكيُّفي بما في ٱلسِّياقِ ٱلسَّابقِ من أَنَّ ٱلتَّوسُّلَ بهِ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ليسَ كغيرهِ ، كما نقلَهُ ٱبنُ ٱلقيِّمِ وغيرُهُ عنِ ٱبنِ عبدِ ٱلسَّلامِ ؛ لحديثِ ٱلأعمىٰ ، وهوَ مرويٌّ عندَ أحمدَ [١٣٨/٤] وٱلبيهقيِّ ، وٱلتِّرمذيِّ [٣٥٧٨] ، وٱلنَّسائِيِّ [في « الكبرى » ٦/١٦٩] ، وٱبن ماجه [١٣٨٥] ، وٱلحاكم [٧٠٧/١] ، وغيرِهم .

وذكرَهُ ٱبنُ تيميَّةَ في « ٱلقاعدةِ ٱلجليلةِ في ٱلتَّوسُّلِ وٱلوسيلةِ » ، ولم يقدر علىٰ تضعيفهِ بحالٍ ، بل ولا علىٰ إنكارِ ٱلزِّيادةِ ٱلمشهورةِ فيهِ عندِ ٱلطَّبرانيِّ [طب ٩/٣٠] وٱلبيهقيِّ ، وقالَ في تلكَ ٱلرِّسالةِ : (إذا كانَ ٱلتَّوسُّلُ بٱلإيمانِ بٱلنَّبيِّ عليهِ ٱلسَّلامُ ومحبَّتِهِ جائزاً بلا نزاعٍ . . فلمَ لا يحملُ ٱلتَّوسُّلُ به علىٰ ذلكَ ، قيلَ : مَن أراد هـٰذا ٱلمعنىٰ . . فهوَ مصيبٌ في ذلكَ بلا نزاعٍ) اهـ

ومن هنا يكثرُ ٱلتَّوسُّلُ في أشعاري ، ويشتدُّ على ٱلقبوريِّينَ إنكاري ؛ لأنَّهم لا يقصدونَ ما أقصدُهُ ، وإنَّما يأتونَ بصريحِ ٱلإشراكِ وٱلجهل ، فٱلقرائنُ محكمةٌ ، وٱلعلاقاتُ معتبرةٌ ، وٱلفروقُ بينَ ٱلحقيقةِ وٱلمجازِ مرعيَّةٌ ، وكلا جانبي ٱلإفراطِ وٱلتَّفريطِ مردودٌ .

ورأيتُ ٱلعلاَّمةَ ٱبنَ تيميَّة في (ص٢٥١) من ردِّهِ على ٱلبكريِّ يعذرُ ٱلشَّيخَ يحيى ٱلصَّرصريَّ ٱلشَّاعرَ ٱلمشهورَ في سؤَالِ رسولِ ٱلله صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ بعدَ وفاتِهِ ما كانَ يُسأَلُ فيهِ أيَّامَ حياتِهِ ؛ حيثُ يقولُ : (وهـٰذا ـ مشيراً إلى ٱلتَّسويةِ ما بينَ ٱلمحيا وٱلمماتِ ـ ما علمته ينقَلُ عن أَحدٍ مِنَ ٱلعلماءِ ، لـٰكنَّهُ موجودٌ في كلامِ بعضِ ٱلنَّاسِ

مثلِ ٱلشَّيخِ يحيى ٱلصَّرصريِّ ؛ ففي شعرِهِ قطعةٌ منهُ ، وٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ ٱلنُّعمانِ كانَ لهُ كتابُ « ٱلمستغيثينَ بٱلنَّبيِّ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ في ٱليقظةِ وٱلمنام » ، وهٰذا ٱلرَّجلُ قد نَقَلَ منهُ فيما يغلبُ علىٰ ظنِّي ، وهٰؤلاءِ لهم صلاحٌ ودينٌ ، ولٰكنَّهم ليسوا مِن أَهلِ ٱلعلمِ) اهـ

وحسبُنا منهُ عذرُهم ، وبهِ يتبيَّنُ أَنَّ ٱبنَ تيميَّةَ لم يثبت في إنكارِهِ ٱلاستغاثةَ وٱلتَّوسُّلَ علىٰ حالٍ واحدٍ ، بل يقولُ تارةً : إنَّهُ شِركٌ ، وأُخرىٰ : إنَّهُ بدعةٌ ، وٱلثَّالثةُ : إنَّهُ يعذر مَن يفعلُهُ مِن أَهلِ ٱلدِّينِ وٱلصَّلاحِ ، وكلامُهُ ٱلَّذي يوافقُ ٱلجمهورَ أَحبُّ إلينا مِن كلامهِ ٱلَّذي ينفردُ بهِ ، وقد قالَ ٱلإمامُ عليُّ بنُ أَبي طالبٍ في أُمَّهاتِ ٱلأَولادِ قولاً غير ٱلَّذي قالَهُ بموافقةِ عمرَ ، فقالَ لهُ قاضيهِ : رأيُكَ معَ عمرَ أَحبُّ إلينا مِن رأيكَ في ٱلفُرقةِ . وحسبُ ٱبنِ تيميَّةَ مِن منصفيهِ أن يقولوا هٰكذا . وٱللهُ أَعلمُ .

رأَيتُ في « مجلَّةِ ٱلفتحِ » أَنَّ أَشدَّ ما يتألَّمُ منهُ ملكُ ٱلحجازِ ونجدٍ : أن يُشيعَ ٱلمُرجفونَ عنهُ أَو عن قومِهِ أَنَّهم يكفِّرونَ ٱلمسلمينَ أَو يخرجونَهم عَن دائرةِ ٱلدِّينِ . . إذن فنحنُ وإيَّاهم مِنَ ٱلمتَّفقينَ ، وما ذكرهُ ٱلعلاَّمةُ ٱبنُ تيميَّةَ عَنِ ٱلصَّرصريِّ موجودٌ بكثرةٍ عندَ أَهلِ ٱلعلمِ ؛ كٱلحافظِ ٱبنِ حجرٍ ، وٱبنِ ٱلزَّملكانيِّ ، وٱبنِ دقيقِ ٱلعيدِ . . . وغيرِهم ، وحسبنا بهم أُسوةً .

ورأَيْتُ ٱبنَ ٱلقيِّمِ في « ٱلزَّادِ » يَعتبرُ كلامَ ٱلصَّرصريِّ في زمنِ وِلادةِ ٱلنَّبيِّ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، ويعدُّ قولَهُ في شعرِه عنها مِنَ ٱلأَقوالِ ٱلَّتي تُذكر ، ومعاذَ ٱللهِ أَن يُثنيَ ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ سَقَّافٍ ٱلجفريُّ على ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلوهَّابِ وهوَ يعلمُ أَنَّهُ يكفِّرُ أَحداً مِنَ ٱلمسلمينَ بمجرَّدِ ٱلتَّوسُّلِ وٱلاستغاثةِ ٱلقابلَينِ ٱلاحتمالَ ، وكانَ ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ إسماعيلَ ٱلأَميرُ ٱمتدحَ ٱلشَّيخَ محمَّدَ بنَ عبدِ ٱلوهَّابِ بقصيدةٍ تستهلُّ بقولِهِ :

سَـلامٌ عَلَىٰ نَجْـدٍ وَمَـنْ حَـلَّ فِـي نَجْـدِ

ولمَّا بلغَهُ عَن قومِهِ ما لا يَرضاهُ مِن ٱلغلوِّ . . أنشأَ قصيدتَهُ ٱلمستهلَّةَ بقولِهِ :

رَجَعْتُ عَنِ ٱلْقَولِ ٱلَّذِي قُلْتُ فِي ٱلنَّجْدِي

وقد مرَّ في ذي أَصبح ما يعرفُ منهُ تعصُّبُ عبدِ ٱللهِ عوضٍ غرامةَ لآراءِ ٱلوهَّابيَّةِ ، وأَنَّ ٱلإمامَ ٱلبحرَ ينكرُ عليهِ جورَهُ بعباراتٍ قاسيةٍ تكادُ تشقَّقُ منها ٱلحجارةُ ، حتَّىٰ إِنَّهُ لا يقولُ في كتبهِ إِليهِ عندما يثورُ عليهِ إِلاَّ : مِن حسنِ بنِ صالحِ ٱلبحرِ إِلىٰ عبدِ ٱللهِ عوضٍ غرامةَ ، السَّلامُ علىٰ مَنِ ٱتَّبعَ ٱلهدىٰ . . . ثمَّ يُصعِبُ لهُ ٱلقولَ ، ويطيلُ في وعظهِ ٱلجولَ ، ولو كانَ مِن رأيهِ إِنكارُ توهيبهِ . . لما سكتَ لهُ في ذلكَ ، وهوَ لسانُ ٱلدِّينِ ٱلنَّاطقُ ، وبرهانُ ٱلحقِّ ٱلصَّادقُ .

توفِّيَ ٱلحبيبُ علويُّ بنُ سقَّافٍ ٱلجفريُّ ٱلمذكورُ بتريس ، سَنَةَ (١٢٧٣هـ)[١] قُبيلَ وفاةِ شيخهِ ٱلبَحْرِ بمدَّةٍ يسيرةٍ[٢] .

وخَلَفَهُ ولدُهُ ٱلعلاَّمةُ ٱلفقيهُ سالمُ بنُ علويٍّ[٣] ، وكانَ علىٰ قضاءِ تريس ، وجَرَتْ بيننا وبينَهُ محاوراتٌ ومناقضاتٌ ورسائِلُ ؛ وخبرُ ذلكَ أَنَّني لمَّا عدتُ من جاوة مشبَّعاً بالآمالِ في ٱلإصلاحِ . . خَطبتُ في ٱلجامعِ في سَنةِ (١٣٣٠هـ) إِثرَ ٱلصَّلاةِ ودعوتُ إِلى ٱلتَّسامحِ وٱلتَّصالحِ وٱلتَّآلفِ وٱلاجتماعِ ، فٱستاءَتْ لذلكَ طائِفةٌ باطويح ، وٱشتدَّ عليهِم أَنْ أَتكلَّمَ بمرأَىً ومسمعٍ مِنْ حضرةِ ٱلسَّيِّدِ ٱلعلاَّمةِ عليِّ بن محمَّدٍ ٱلحَبْشيِّ ، وربَّما فهِموا مِنَ ٱلسِّياقِ تعريضاً بٱنحرافِ ٱلسَّيِّدِ عليٍّ عن سِيَرِ ٱلسَّلَفِ ٱلطَّيِّبينَ ، فلَم أَشعرْ بعدَ مدَّةٍ إِلاَّ بورقةٍ فيها ما يُشبهُ ٱلرَّدَّ علىٰ بعضِ نقاطٍ مِنْ تلكَ ٱلخُطبةِ ٱلَّتي ٱختزلَها بعضُ ٱلطَّلَبةِ[٤] ووزَّع نسخاً مِنها بينَ ٱلنَّاسِ ، معزوَّةً تلكَ ٱلورقةُ إِلى ٱلفاضلِ ٱلأَديبِ ـ ٱلَّذي أَخلصَ صداقتي فيما بعدُ ـ ٱلسَّيِّدِ عيدروسِ بنِ سالمِ بنِ علويٍّ ٱلجفريِّ ، فكتبتُ ردّاً عليها مِنْ لسانِ ٱلقلمِ عَزَوْتُهُ إِلىٰ غيري .

وبعدَ شهرٍ تقريباً وصلَتني عدَّةُ أَوراقٍ ـ نحو ٱلعشرِ ـ يُرادُ مِنها دفعُ ذلكَ ٱلرَّدِّ ،

---

(١) كانت وفاته عصر يوم الخميس (١٦) ربيع الأول ، ودفن بكرة الجمعة ، وله ذكر في مواضع من « العدة » لابن حميد .

(٢) إذ وفاة الإمام البحر في ذي القعدة .

(٣) ولد السيد سالم بتريس سنة (١٢٦٥هـ) ، ذكره السيد ضياء في « تعليقاته على شمس الظهيرة » (٤١١/٢) .

(٤) الذي كان يختزل خطب ابن عبيد الله هو تلميذه النجيب السيد محمد بن أحمد بن عمر بن يحيىٰ فلعله هو .

فنقضتُها في بضعةِ أيَّامٍ برسالةٍ ضافيةِ ٱلذُّيولِ ، سمَّيتُها بـ : « ٱلنَّجمِ ٱلدُّرِّيِّ في ٱلرَّدِّ على ٱلسَّيِّدِ سالمٍ ٱلجفريِّ » فكانتِ ٱلقاضيةَ ـ في أخبارٍ طويلةٍ مستوفاةٍ بـ« ٱلأَصلِ » ـ فلَم يَكُنْ منهُ ـ أعني ٱلسَّيِّدَ سالمَ بنَ علويٍّ رحمَهُ ٱللهُ ـ إلاَّ أَنْ جاءَني بعدَ ذلكَ علىٰ شيخُوختهِ ، وصارَحني بأَنَّهُ لَم يُراجعني ٱلقولَ إلاَّ عن إيعازٍ قويٍّ ممَّنْ يَذبُّ عنهُم ، وأَنَّهُ مُكرَهٌ لا بَطَلٌ ، وأَنَّ ٱلصَّوابَ تبيَّنَ لَهُ مِنَ « ٱلنَّجمِ ٱلدُّرِّيِّ » فرجعَ إليهِ ، فأَكبَرْتُهُ وأَعظمْتُ طِيبَ نِيَّتِهِ ، وسلامةَ صَدْرِهِ ، إلىٰ ذلكَ ٱلحدِّ ٱلَّذي يَصعبُ مثلُهُ إلاَّ علىٰ أَهلِ ٱلإخلاصِ ، وقليلٌ ما هُم .

ومِنَ ٱلعَجَبِ ٱلعجيبِ أَنَّ كلامَ ٱلعلاَّمةِ ٱلسَّيِّدِ سالمِ بنِ علويٍّ رحمهُ ٱللهُ في دفاعهِ عن صاحبِهِ كانَ مخالفاً علىٰ طولِ ٱلخطِّ لِما قرَّرهُ أَبوهُ في « ٱلدَّلائلِ ٱلواضحةِ » وهيَ موجودةٌ عندَهُ ، وٱلحقُّ فيها أَعظمُ وأَوضحُ ممَّا هوَ في « ٱلنَّجمِ » ، وما وقَعْتُ عليها إلاَّ بعدَ ذلكَ مِنْ يدِ ولدهِ ٱلفاضلِ ٱلسَّيِّدِ عيدروس ، ولَو كانتْ عندي مِنْ قَبْلُ . . لكانتِ ٱلحجَّةُ أَدمغَ وٱلعبارةُ أَبلغَ ، ويقيني أَنَّهُ لَم يَكُنْ علىٰ ذِكرٍ مِنها حينَ كتبَ ما كتبَ ، توفِّيَ رحمَهُ ٱللهُ في حدودِ سَنةِ (١٣٣٦هـ) .

وخَلَفَهُ على ٱلقضاءِ وٱلتَّدريسِ بتريسَ ولدُهُ ٱلعالمُ ٱلجليلُ ، وٱلفاضلُ ٱلنَّبيلُ عيدروسُ[1] ، وكانَ أَديباً شاعراً ، جميلَ ٱلوجهِ ، نظيفَ ٱلثَّوبِ ، حَسَنَ ٱلشَّارةِ ، كبيرَ ٱلهمَّةِ ، لَم تَضعِ ٱلأَعادي قَدْرَ شأْنهِ وقتما كانَ على ٱلقضاءِ ، ولٰكنَّهُ أَرادَ ما أَرادَهُ ٱلطُّغرائيُّ في قولهِ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

---

(١) السيد العلامة الرحالة عيدروس بن سالم ، ولد بتريس في (١٥) شعبان (١٣٠٩هـ) ، وتوفي ببلدة فالو بجزيرة سُولاويسي بجاوة يوم الإثنين (١٢) شوال (١٣٨٩هـ) .

وهو مؤسس مدارس الخيرات منذ عام (١٣٣٩هـ) ، ولهٰذه المدارس فروع بلغت إلى (٧٠٠) فرع في أنحاء إندونيسيا ، بها ألوف الطلبة ، تشمل : مدارس رياض الأطفال ، ومدارس المعلمين ، ومدارس تربية المعلمين . . بنيت بمجهودات الأهالي وإرشادات السيد عيدروس ، وقد جعلت لها أوقاف ، وتأتيها تبرعات من أهل الخير . ثم أقامت في (١٣٨٤هـ) مؤسسة الخيرات جامعة إسلامية تشمل (٣) كليات : الآداب ، والتربية ، والشريعة .

ترجم له عارف قدره ومعاصره السيد ضياء شهاب في « التعليقات » : (٢/ ٤١٢ـ٤١٣) ، ونشرت خبر موته الصحف الإندونيسية وكُتِبت فيه المقالات .

أُرِيـدُ بَسْطَـةَ كَـفٍّ أَسْتَعِيـنُ بِهَـا عَلَـىٰ قَضَـاءِ حُقُـوقٍ لِلْعُـلا قِبَلِـي

فطوَّحتْ بهِ ٱلأَسفارُ إلىٰ جاوة من حدودِ سَنةِ (١٣٤٢هـ) إلى ٱليوم[1] ، نسأَلُ ٱللهَ أَنْ يقضيَ لنا ولَهُ ٱلحاجاتِ ، ويُفرِّجَ ٱلكرباتِ ، ويَجْمَعنا بهِ في ٱلأَوطانِ علىٰ أَرغدِ عيشٍ وأَنعمِ بالٍ .

أَمَّا دولةُ تريس : فقد كانتْ لآلِ ثَعْلَبٍ ، ومِنْ صلحائِهِمُ : ٱلسُّلطانُ عمرُ بنُ سليمانَ بنِ ثعلبٍ أَثنىٰ عليهِ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عمرَ باجمال في كتابهِ « مقالُ ٱلنَّاصحينَ » [ص ١٩٦] وقالَ : (كانت لَهُ أَحوالٌ محمودةٌ ، وشفقةٌ على ٱلرَّعيَّةِ صالحةٌ ، وتفقُّدٌ لَهم تامٌّ ، وكانَ يقتني مِنَ ٱلبهائمِ وآلاتِ ٱلحَرْثِ لرعاياهُ مثل ما يعدُّهُ لِنَفْسهِ ، ويَبذلُ ذلكَ لَهُم ، وكانَ يَتفقَّدُ أَهلَ ٱلفقرِ وٱلحاجةِ منهُم ، فيواسيهِم ويُحسنُ إِليهِم ، ويُصلحُ بينَ ٱلمتخاصِمينَ ، ويتحَمَّلُ في ذلكَ ٱلأَثقالَ ٱلكثيرةَ) اهـ

ومعَ هـٰذا . . فقد كانَ ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ عبدِ ٱللهِ بامخرمةَ يُغْري بهِ سلاطينَ آلِ كثيرٍ ويهيِّجُهُم عليهِ ، إلاَّ أَنَّ ٱلشَّيخَ مِنْ أَهلِ ٱلأَحوالِ ٱلَّذينَ لا يُقتدىٰ بهِم .

ولمَّا تلاشىٰ ملكُ آلِ ثَعْلبٍ . . صاروا سُوقةً وتجَّاراً بٱلغرفةِ وغيرِها ، حَسَبَما مرَّتِ ٱلإِشارةُ فيها إِليهِ .

ثمَّ ٱستولتْ يافعٌ علىٰ تريس ، وكانَ عليها منهُمُ : ٱلأَميرُ صالحُ بنُ ناصرِ بنِ نقيبٍ ، يُعَشِّرها وما حواليها إلىٰ مكانِ آلِ مَهْري ، لا يقدرُ أَحدٌ مِنْ آلِ كثيرٍ أَنْ يَعترضَهُ في شيءٍ ، معَ أَنَّ عسكرَهُ قليلٌ جدّاً ، غيرَ أَنَّهُ كانَ شجاعاً مُهاباً ، وكانَ ولدُهُ عبدُ ٱللهِ جَمْرةَ حَرْبٍ ، متورِّداً علىٰ حياضِ ٱلقتلِ وٱلضَّربِ .

وفي جمادى ٱلآخرةِ مِنْ سَنةِ (١٢٦٤هـ) : نازلَهُم آلُ عبدِ ٱللهِ ٱلكثيريُّونَ بأَشرافِ ٱلقِبْلةِ[2] وغيرِهم بعدَ أَنْ فَرغوا مِنْ آلِ ٱلظَّبي بسيئون .

وبعدَ حصارٍ دامَ سبعينَ يوماً . . سُلِّمتْ تريسُ ، وتمَّ ٱلصُّلحُ ، وكانَ جلاءُ آلِ ٱبنِ

---

(١) لعل سفره كان حدود (١٣٣٧هـ) بُعَيد وفاة والده . . كما ذكر السيد ضياء .

(٢) ولكن في العرف الخاص بالحضارمة : يراد بأرض القبلة بلاد الجوف وبيحان ، وهي من بعد شبام والقطن كما تقدم ذكرها في الكتاب .

نقيبِ إلى ٱلقطْنِ حَسَبَما هوَ مفصَّلٌ بـ« ٱلأصلِ » ، وتلكَ ٱلأيَّامُ نداولُها بينَ النَّاسِ[١] .

وعلىٰ ذِكرِ بيتِ ٱلطُّغرائيِّ ٱلسَّابقِ : بلغني أنَّ بعضَ بني شيبةَ اعتزمَ ٱلسَّفرَ فجاءَ لموادعةِ ٱلشَّريفِ ، فقالَ لَهُ : فيمَ ؟ قالَ : أريدُ .

فلم يصل دارَهُ إلا وقد سبقَهُ ألف دينارٍ له إليه مِنَ ٱلشَّريف ، أرادَ ٱلشَّريفُ قولَ ٱلطُّغْرَّائِيِّ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

فِيمَ ٱقْتِحَامُكَ لُجَّ ٱلْبَحْرِ تَرْكَبُهُ   وَأَنْتَ تَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ ٱلْوَشَلِ ؟[٢]

وأرادَ ٱلرَّجلُ ذلكَ ٱلبيتَ ٱلسَّابقَ ذكرُهُ مِنْ نفسِ ٱلقصيدةِ .

رحمةُ ٱللهِ علىٰ أهلِ ٱلجودِ ، ووا أسَفا إذْ قد تضمَّنتْهُمُ ٱللُّحودُ ، ولله درُّ ٱلرَّضيِّ في قولِهِ [في « ديوانهِ » ١/ ٦٦٥ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَهَلْ تَدَّعِي حِفْظَ ٱلْمَكَارِمِ عُصْبَةٌ   لِئَامٌ وَمِثْلِي بَيْنَهَا ٱلْيَوْمَ ضَائِعُ
نَعَمْ لَسْتُمُ ٱلأَيْدِي ٱلطِّوَالَ فَعَاوِنُوا   عَلَىٰ قَدْرِكُمْ قَدْ تُسْتَعَانُ ٱلأَصَابِعُ

وللشُّعراءِ في معنى ٱلأوَّلِ مجالٌ واسعٌ ، ذكَرنا منهُ في « ٱلعُودِ ٱلهنديِّ » ما شاءَ ٱللهُ أَن نَذْكُرَ .

ٱلسَّوْم[٣]

موضعٌ في شرقيِّ تريس ، فيهِ نخيلٌ كثيرٌ ، وكانَ بهِ مسجدٌ صغيرٌ للسَّيِّدِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ محمَّدٍ ٱلجفريِّ ، مولى ٱلعَرْشةِ ٱلسَّابقِ ذِكرُهُ في تريس وغيرِها .

وكانَ مَكْمَناً لقطَّاعِ ٱلطَّريقِ ، ثمَّ أحبَّهُ ٱلسَّيِّدُ ٱلإمامُ عمرُ بنُ سقَّافِ بنِ محمَّدِ بنِ عمرَ

---

(١) تنظر أخبار آل النقيب وحصارهم لـ(تريس) مفصلةً تفصيلاً دقيقاً في « العدة » (١/ ٣٧٤) وما بعدها .

(٢) ٱلوَشَلُ : الماءُ القليل الَّذي يخرج من الصَّخر قليلاً قليلاً .

(٣) أصل إطلاق كلمة السوم على الفواصل الطينية الواقعة بين الجروب ـ المزارع ـ وهي مرتفعة نوعاً ما ، يصعد عليها صعوداً . . وأطلق فيما بعد على هـٰذا الموضع ، وعلى مواضع أخرى بحضرموت .

ٱلسَّقَّافُ[1] وأكثرَ مِنَ ٱلتَّردُّدِ إليهِ ، ثمَّ ٱبتنىٰ بهِ داراً وعمَّرَ ذلكَ ٱلمسجدَ ، وزادَ فيه زاويةً ، فعادَ موئِلاً لكلِّ شاردٍ ، وكيفَ لا وقد حلَّ بهِ بِكرُ عطاردٍ[2] ؟

أَغَـرُّ أَبْلَـجُ تَـأْتَـمُّ ٱلْهُـدَاةُ بِـهِ ... كَـأَنَّـهُ عَلَـمٌ فِـي رَأْسِـهِ نَـارُ[3]

لَهُ مناقبُ كثيرةٌ ، وفضائلُ شهيرةٌ ، وقد ترجمَهُ ٱلعلاَّمةُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ سَعْد بنِ سُمَيرٍ ـ ٱلسَّابقِ ذِكرُهُ في ذي أَصْبَح ـ بكتابٍ سمَّاهُ : « ٱلمنهل ٱلعذب ٱلصَّاف »[4] ، جَمَعَ فيهِ وأَوعىٰ ، ومعَ ذلكَ فسيِّدُنا عمرُ بنُ سقَّافٍ حقيقٌ بقولِ شاعرِ « ٱلخريدةِ » [مِنَ ٱلبسيطِ] :

قَـدْ حَـلَّ فِـي مَـدْرَجِ ٱلْعَلْيَـاءِ مَـرْتَبَـةً ... مَطَـامِـحُ ٱلشُّهْـبِ عَـنْ غَـايَـاتِهَـا تَقِـفُ

أَغْـرَىٰ بِـوَصْـفِ مَعَـالِيـهِ ٱلْـوَرَىٰ شَغَفـاً ... لَكِنَّـهُ وَٱلْمَعَـالِـي فَـوْقَ مَـا وَصَفُـوا

وفي كلامِ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ عمرَ بنِ سميطٍ : (أَنَّهُ ـ أَعني ٱلحبيبَ عمرَ بنَ سقَّافٍ ـ يقولُ كلَّما قامَ أَوَ قَعَد : « الله ، لا شريكَ معَ ٱلله » ؛ لأَنَّ ٱلأكابرَ يعبدونَ ٱللهَ بخالصِ ٱلتَّوحيدِ) اهـ

وفيهِ تأكيدٌ لما أَسلفناهُ عمَّا قريبٍ .

توفِّيَ سَنَةَ (١٢١٦هـ) ولَهُ عدَّةُ تآليف ، وأَشعارٌ بعضُها جيِّدٌ إلاَّ أَنَّه كان لدينا حادٍ ثقيلُ رُوحٍ أَملَّني بتكريرِ قصيدةٍ مِنْ أَدائِهِ يتواجدُ عليها حتَّىٰ أَضْجَرني وصرفني عنهُ جملةً ، وكنتُ في ذلكَ كما قالَ مَعنُ بنُ أَوس [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

إِذَا ٱنْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ ٱلشَّيءِ لَمْ تَكُنْ ... إِلَيْـهِ بِـوَجْـهٍ آخِـرَ ٱلـدَّهْـرِ تُقْبِـلُ

---

(١) الحبيب عمر بن سقاف (١١٥٤ـ١٢١٦ هـ) : ولد بسيئون ، وتربى على يد أبيه الإمام ، وجده لأمه الحبيب علي بن عبد الله السقاف ، قرأ القرآن وهو ابن أربع سنوات ، وحفظه وهو ابن ست ، ومناقبه فخيمة ، وأحواله جسيمة . ينظر : « التلخيص الشافي » (٥٨ـ٦٢) .

(٢) **البكر** : أوّل أولاد المرأة . **عطارد** : نجم من النُّجوم السَّيَّارة . وهٰذا كناية عن التَّفرُّد .

(٣) البيت مِنَ البسيط ، وهو للخنساء في « ديوانها » (٢٣٠) . **الأغرُّ** : المشهور . **الأبلج** : الأبيض الوجه . **تأتمُّ** : تقتدي . **الهداة** : الأدلاَّء ، الَّذين يُهتدىٰ بهم في الأمور والشَّرف . **العَلَم** : الجبل المرتفع .

(٤) واسمه كاملاً : « المنهل العذب الصاف في مناقب الحبيب عمر بن سقاف » .

وخَلَفَهُ علىٰ عِمَارةِ مسجدِهِ وٱلتَّرَدُّدِ إلىٰ مكانهِ بِٱلسَّوم ٱلَّذي سمَّاهُ ٱلطَّائِف . . ولدُهُ ٱلجليلُ ٱلمقدارِ نورُ ٱلدِّين حَسَنُ بنُ عمرَ[1] ، وٱبتنىٰ بهِ دارين زائِدين على ٱلدَّارِ ٱلَّذي بناهُ والدُهُ ، توفِّيَ سَنَةَ (١٢٣٥هـ) ، وخَلَفَهُ ولدُهُ ٱلعالمُ ٱلعابدُ عبدُ ٱلقادر[2] ، ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (١٢٩٦هـ) ، ثمَّ ولدُهُ ٱلعلاَّمةُ ٱلنَّاسكُ محمَّدٌ ، ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (١٣٠٥هـ)[3] ، ثمَّ ولدُهُ ٱلقانتُ ٱلمتواضعُ سالمٌ[4] ، وقد عمَّرَ بهِ داراً واسعةً في سَنةِ (١٣١١هـ) ، إلاَّ أَنَّها ٱلآنَ تريدُ أَنْ تَنقضَّ ، فنسأَلُ ٱللهَ أَنْ يُقيمَها ، وأَنْ يُديمَ منازلَنا عامرةً بِٱلعلومِ ويُديمَها ، توفِّي في سنةِ (١٣٥٧هـ) ، عن جملةِ أَولادٍ ؛ منهم : عيدروسٌ ، شاعرٌ فقيهٌ ، ومنهم عبدُ ٱلله ، أَبيٌّ غيورٌ .

ٱلقِرَين[5]

هي حوطةُ ٱلعلاَّمةِ ٱلجليلِ ٱلشَّريفِ ، ٱلغاني عنِ ٱلوصفِ وٱلتَّعريفِ ، ٱلحسنِ بنِ عليٍّ ٱلصَّادقِ ٱلجفريِّ[6] ، أَحدِ مشايخِ ٱلحبيبِ عمرَ بنِ سقَّافٍ ، لَهُ في ٱلتقوىٰ وٱلعبادةِ وٱلتَّواضعِ أَحوالٌ عجيبةٌ .

قالَ سيِّدي حسنُ بنُ سقّافِ بنِ محمَّدٍ في مناقبِهِ لوالدِهِ لمَّا ذَكَرَ سيِّدي حسنَ بنَ عليٍّ ٱلجفريَّ المذكور : وٱستوطنَ مكاناً نجدِيَّ تَريسَ يُسمَّىٰ : ٱلقرَيْنَ ، ضعيفَ ٱلبقعة وٱلنَّخلةِ ، ولـٰكنَّ ٱلحبيبَ كان قانعاً ، وقد أَخذَهُ معَ خُلوِّ يدِهِ بقيمةٍ حقيرةٍ وبَنىٰ فيهِ ـ بِٱلتَّدريجِ ـ بيتاً ، ولم يزل بهِ حتَّىٰ توفِّيَ سَنةَ (١١٧١هـ) ، ودُفنَ بهِ ؛ لأَنَّهُ قالَ لأَخٍ لهُ

---

(١) المولود سنة (١١٧٥هـ) ، والمتوفى سنة (١٢٣٥هـ) .

(٢) وكان مولده سنة (١٢٢٥هـ) ، ترجم له الحبيب أحمد بن عبد الرحمـٰن في « الأمالي » ، والسيد علوي في « التلخيص » (٧٣ـ٧٤) .

(٣) وكان مولده سنة (١٢٥١هـ) . « التلخيص » (٧٤) .

(٤) ولد بسيئون سنة (١٢٨٣هـ) ، وتوفي سنة (١٣٥٧هـ) ، ترجمته في « التلخيص » (٧٥) .

(٥) القرين هـٰذا . . هو غير بلدة القرين المارة في دوعن .

(٦) هو الحسن بن علي الصادق بن الهادي بن عبد الرحمـٰن مولى العرشة ، أخباره في « العدة » (١/ ٣٠٤) ، ومواضع أخرى .

مجذوبٍ : ما ترىٰ في ٱلقرَيْنِ؟ فقالَ : هوَ قرينٌ ما زالَ حسنٌ فيهِ ، فأَحبَّ أَن لا يزالَ فيهِ ؛ لكلامِ أَخيهِ .

ولا يزالُ أَعقابُهُ بها يَعمرونَ مسجدَهُ ويُكْرِمُونَ واردَهُ ، إِلاَّ أَنَّهم قَلُّوا ، فليسَ منهم بٱلقرينِ ٱلآنَ سوىٰ أَربعةِ رجالٍ ، وهيَ في شمالِ ٱلسَّومِ إِلىٰ جهةِ ٱلغربِ قليلاً ، وحواليها نخيلٌ كثيرٌ .

وفي شَمَالِها إِلىٰ شرقٍ : حصون آلِ حُصْنٍ مِنْ آلِ كثيرٍ ، لا يوجدُ بها ٱلآنَ مِنَ ٱلرِّجالِ إِلاَّ ٱلقليلُ .

شُحُوحٌ

هو وادٍ واسعٌ عن يسارِ ٱلذَّاهبِ مِنْ سيئون غرباً إِلىٰ تريس ، آخذٌ في ٱلجنوبِ ، يدفعُ فيهِ واديانِ عظيمانِ :

يقالُ لغربيِّهما : **شحوحُ ابنِ ثعلبَ** ، نسبةً إِلىٰ أُمراءِ تريس ٱلسَّابقِ ذكرهم .

ولشرقيِّهما : **شحوحُ ٱبنِ يمانيٍّ** ، نسبةً إِلىٰ مسعودِ بنِ يماني[1] ؛ لأَنَّ نَهْداً ثارت وحلفاؤُها علىٰ عمرَ بنِ مهديٍّ أَحدِ أُمراءِ ٱلرَّسوليِّينَ موالي ٱلأَيوبيِّينَ في سَنةِ (٦٢١هـ)[2] ، فقتَلوهُ في وادي شحوحٍ هٰذا ، ثمَّ ٱندفَعوا في ثورتِهم إِلىٰ تريم ، وٱستولَوا علىٰ جميعِ بلدانِ حَضْرَمَوْتَ ، غيرَ أَنَّ مسعودَ بنَ يمانيٍّ هٰذا أَخرجَهُم مِنها صاغِرينَ ، وٱستقالَ منهُم في نفسِ ٱلعامِ جميعَ بلدانِ حَضْرَمَوْتَ ، كما قالَ كُثَيِّرٌ [في « ديوانهِ » ٢٠٥ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَمَـا تَـرَكُـوهَـا عَنْـوَةً عَـنْ مَـوَدَّةٍ   وَلَٰكِـنْ بِحَـدِّ ٱلْمَشْـرِفِـيِّ ٱسْتَقَـالَهَـا[3]

---

(١) توفي مسعود بن يماني سنة (٦٤٨هـ) . « شنبل » (٩٤) .

(٢) « شنبل » (٨١) .

(٣) **العَنوة** : من الأَضداد فيكون بمعنىٰ : القهر والغصب . أو الطَّواعية والمودَّة . والمقصود هنا الثَّاني . **المشرفيُّ** : السَّيف . استقال : استعاض أو استبدل .

وقد ذكرتُ هٰذا ٱلبيتَ بـ« ٱلأَصلِ » ، ووازنتُ بينَهُ وبينَ نظرائهِ في ٱلمعنىٰ ، فلتُكْشَفْ منهُ .

وكانَ ذلكَ بدءَ أَمرِ مسعودٍ ، وقد أَبقىٰ على ٱبنِ ثعلبَ فلَم يَتعرَّضْ لَهُ بسوءٍ ـ وكأَنَّهُ ساعدهُ علىٰ نهدٍ ـ فبقيَتْ في يدهِ تريسُ ، ثمَّ في أَعقابِهِ مِن بعدِهِ ، وكذلكَ بقيَ لهم وادي شحوحِ ٱلغربيُّ ، وأَمَّا وادي شحوحِ ٱلشَّرقيُّ . . فصارَ إِلى ٱبنِ يمانيٍّ ، فأُطلقَ عليهِ : شحوحُ ٱبنِ يماني ، كذا سمعتُهُ مِنْ بعضِ ٱلمعمَّرينَ .

مَدُودهْ[1]

هيَ في سفحِ ٱلجبلِ ٱلشَّماليِّ عن سيئون . وهيَ مِنَ ٱلبلادِ ٱلقديمةِ ، ذكرها ٱبنُ ٱلحائكِ ٱلهمدانيُّ ، إِلاَّ أَنَّهُ أَخطأَ في ترتيبِ موقعِها كما هوَ شأْنُهُ في كثيرٍ مِنَ ٱلبلدانِ[2] .

وفي « ٱلأَصلِ » عنِ ٱلشَّيخِ سالمِ بنِ أَحمدَ باحميدٍ : أَنَّ ٱلشَّيخَ أَحمدَ بنَ ٱلجعدِ ٱجتمعَ فيها هوَ وٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ ٱلقديمُ عبَّاد ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (٦٨٧هـ) .

وفي « ٱلمشرعِ »[3] (ص ٤٣٥ ج ٢) : أن برهانَ ٱلدِّينِ بنَ عبدِ ٱلكبيرِ بنِ عبدِ ٱللهِ باحُمَيدٍ ٱشترىٰ مدوده ـ وهيَ قريةٌ خربةٌ ـ مِنَ ٱلسُّلطانِ بدرِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ ٱلكثيريِّ ، ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (٨٩٤هـ) ، وأَنَّهُ بناها وحفرَ بها بئْراً فمنعَهُ آلُ كثيرٍ ، فقامتِ ٱلحربُ بينَهُم ، وحملَ آلُ باحميدٍ ٱلسِّلاحَ ودَخلوا في حربِ آلِ يَمَانيٍّ بأَسفلِ حَضْرَمَوْتَ .

ولَم يَذكُرْ صاحبُ « ٱلمَشْرعِ » تاريخَ ٱلشِّراءِ ، ولٰكنَّهُ كانَ قَبْلَ سَنَةِ (٨٨٦هـ) قطعاً .

ثمَّ إِنَّ ٱلشَّيخَ برهانَ ٱلدِّين وهبَها لوالدِهِ عبدِ ٱلكبيرِ[4] ٱلمقبورِ في ٱلشُّبيكةِ مِنْ مكَّةَ

---

(١) وهي مسقط رأس آل باحميد ، وهي غير مدورة بالراء موضع بالكسر ، سبق ذكره .

(٢) صفة جزيرة العرب (١٦٩) .

(٣) في ترجمة السيد عبد الله بن محمد صاحب الشبيكة القديم ، المتوفى سنة (٨٨٦هـ) بمكة . (٢/ ٤٣٥ـ٤٣٦) .

(٤) الشيخ عبد الكبير هٰذا كان من أكابر أهل القرن التاسع ، له ترجمة في « الضوء اللامع » ، و« الدر=

ٱلمشرَّفةِ ، فوقَفَها ، وقد أَشكلَ شراؤُها معَ أَنَّها كانت معمورةً في أَيَّامِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ ٱلقديمِ ، وما بٱلعهدِ مِن قِدَمٍ حتَّىٰ يُقالُ : إنَّها خَرِبَتْ وجُهِلَ مُلاَّكُها فعادَت مِنَ ٱلأَموالِ ٱلضَّائعةِ فَسَاغَ للسُّلطانِ بيعُها ، ولِبُرهانِ ٱلدِّينِ شراؤها . . فٱلإِشكالُ قويٌّ .

لٰكنَّ ٱلجوابَ حاصلٌ بأَنَّ ٱلخرابَ كثيراً ما يتكرَّرُ علىٰ قُرىٰ حضرموتَ كما وقعَ في ٱلحسيِّسةِ وٱلعر وغيرِهما .

ومتىٰ حصَلَ ٱلخرابُ . . تَبِعَهُ ٱلجَهْلُ بٱلمُلاَّكِ سريعاً في ٱلغالبِ ؛ لأَنَّ شملَهم يتفرَّقُ وأُمورَهم تتمزَّقُ ، فلا تَبْقى لهم بقايا معروفةٌ ، بل يشملُهم ٱلاندثارُ وٱلخمولُ .

وليس في ٱجتماعِ ٱبنِ ٱلجعدِ وٱلقديمِ ما يدلُّ علىٰ سلامتِها مِنَ ٱلخرابِ إذ ذاكَ ؛ أَلا تَرىٰ إلىٰ مريمه ٱلشَّرقيَّة فإنَّها خاويةٌ علىٰ عروشِها منذُ زمانٍ طويلٍ؟

وليسَ بٱلمُستنكَرِ أَن يتَّعِدَ جماعةٌ للاجتماعِ في أَطلالِ أَحدِ مساجدِها لشأنٍ مِنَ ٱلشُّؤونِ . ومثلُ هٰذا كافٍ لدفعِ ٱلإِشكالِ .

وجاءَ في حوادثِ سَنةِ (٩١٦هـ) مِنْ « تاريخ شنبل » وغيرِهِ : أَنَّ عمرَ بنَ عامرٍ ٱلشَّنفريَّ سلطانَ آلِ عبدِ ٱلعزيزِ ٱلشَّنافرِ أَخذَ مدوده مِنْ أَحمدَ بن بدرٍ بخيانةٍ مِنْ راميها .

= المكين ذيل العقد الثمين للفاسي » للبدر ابن فهد المكي (خ) ، و« خبايا الزوايا » للعجيمي (٤٥) (خ) ، و« الجامع » لبامطرف باختصار .

وملخَّصُ ترجمته : أنه الشيخ عبد الكبير بن عبد الكبير بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله باحميد ، المنتهي نسبه إلى أبي حميد الأنصاري الصحابي ، ولد بحضرموت حوالي سنة (٧٩٤هـ) ، وتوفي بمكة سنة (٨٦٩هـ) ، أخذ عن الإمام الشيخ عبد الرحمٰن السقاف ـ ت (٨١٩هـ) ـ وصحب أولاده : عمر المحضار ، والشيخ أبا بكر السكران ، وحسن ، وصحب الشيخ عبد الرحيم باوزير وابنه أحمد ، وساح في البلدان ، واجتمع بعدد من الصالحين كالشيخ الصديق بن إسماعيل الجبرتي بزبيد . حج سنة (٨٢١هـ) ، وزار سنة (٨٢٧هـ) ، ثم عاد إلى بلده ، ثم عاد إلى مكة ، وخرج إلى حضرموت مرة أخرى حدود سنة (٨٥٠هـ) ، وعاد إلى مكة سنة (٨٥٢هـ) ، ثم انقطع بها إلى وفاته .

أخذ عنه عدد من الأكابر ؛ كالحافظين السيوطي والسخاوي ، ولبسا منه خرقة آل باعلوي ، وأيضاً لقيه الشيخ أحمد بن عبد القادر بن عقبة الشبامي وأخذ عنه ، وجمع ابن ظهيرة القرشي في مناقبه كتاباً سماه : « نشر العبير في ترجمة الشيخ عبد الكبير » ، وتوفي بمكة ودفن بالشبيكة .

وأَنَّ تبيعَ ٱبنَ عبدِ ٱللهِ بنِ جعفرٍ هجمَ علىٰ مدوده ، وحصرها شهرينِ حتَّىٰ صالحَهُ ٱبنُ عبدِ ٱلعزيزِ .

وأَنَّ آلَ كثيرٍ أَثاروا ٱلحربَ علىٰ مدوده وهيَ في أَيدي ٱلشَّنافرِ آلِ عبدِ ٱلعزيزِ ، وأَضرُّوا بنخيلِها .

وأَنَّ محمَّدَ بنَ أَحمدَ بنِ سلطانٍ سارَ مِنْ تريم هاجماً علىٰ آلِ عبدِ ٱلعزيزِ بمدوده ، وأَحرقَ بها نخلاً كثيراً[1] .

وذكرَ في حوادثِ سَنةِ (٩١٨هـ) أَنَّ أَحمدَ بنَ بدرٍ أَخذَ مدوده مِنْ عبُودِ بنِ عامرٍ ٱلشَّنْفَريِّ[2] . هـٰذا آخِرُ كلامِ شنبل ، وفي هـٰذا تصريحٌ بأَنَّ آلَ كثيرٍ ليسوا مِنَ ٱلشَّنافرِ ، وقد مرَّ في ٱلقَارَةِ ما يتعلَّقُ بهِ .

وسَبَقَ قُبَيلَ القسمِ ٱلثَّاني من هـٰذا ٱلكتابِ : أَنَّ ٱلشَّنافرَ لقبُ فرقةٍ مِنْ آلِ كثيرٍ بظفار فقط ، فليَكُنْ مِنَ ٱلنَّاظرِ علىٰ بالٍ .

وآلُ باحُمَيدٍ ثلاثُ فرقٍ : آلُ نادرٍ ، وآلُ فرجٍ ، وآلُ عوضٍ ، ولا يزالونَ مختلفينَ ، وأَوفرهُم حظّاً مِنَ ٱلشَّيطنةِ ، وٱلاعتمادِ علىٰ حَمَلةِ ٱلسِّلاحِ مِنَ ٱلقبائلِ : آلُ عوضٍ ، ولذا ٱحتالَ جدُّنا علويُّ بنُ سقَّافٍ في إِصلاحِهِم بمداولةِ ٱلمنصبةِ مُسَانهةً[3] فيما بينَهُم .

وفي « مجموعِ ٱلجدِّ طه بنِ عمر » : أن لا أَكبرَ بحَضْرَمَوْتَ مِنْ منصبِ آلِ باحميدٍ ومنصبِ باعبَّادٍ .

ومَثْرىٰ آلِ باحُمَيدٍ في مَدُوده ، وفيهِم كثيرٌ مِنَ ٱلصَّالحينَ[4] ؛ منهُمُ : ٱلشَّيخُ ٱلصَّالحُ ٱلكبيرُ ٱلشَّهيرُ عبدُ ٱللهِ بنُ ياسين ، ٱلمتوفَّىٰ بمدوده في سَنةِ (٩٦٨هـ) .

---

(١) « شنبل » (٢٤٢ـ٢٤٦) . وهـٰذا الخبر الأخير أورده شنبل في حوادث سنة (٩١٧هـ) .

(٢) « شنبل » (٢٤٩) ، في حوادث (٩١٧هـ) .

(٣) أي : سنةً بسنةٍ ، وهـٰذا معروف عندهم .

(٤) ومن قدماء آل باحميد : الشيخ محمد بن عمر باحميد ، كان معاصراً للشيخ عبد الله باعلوي . ذكره في « المشرع » وأورد له قصة فيه ، ووفاة الشيخ باعلوي سنة (٧٣١هـ) .

ومِنْ متأخِّريهِمُ : ٱلصَّالحُ ٱلكبيرُ ، صاحبُ ٱلفراسةِ ٱلصَّادقةِ ، ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ طه باحميدٍ ، كانَ ضريراً ، ولٰكنَّهُ يَخيطُ ويُدخلُ ٱلخيطَ في ٱلإِبْرةِ عن مشاهدةٍ بعيني! وكانَ والدي يُحبُّهُ كثيراً ، وكانَ كثيرَ ٱلدُّعاءِ لي وٱلاعتناءِ بي ، توفِّيَ بمدوده بعْدَ ٱلثَّلاثينَ وٱلثَّلاثِ مئةٍ وأَلفٍ .

ومنهُمُ : ٱلشَّيخُ سالمُ بنُ أَحمدَ باحميدٍ ، لَهُ مؤلَّفاتٌ كثيرةٌ ، وكانَ عابداً متبتِّلاً ، حصوراً تقيّاً ورعاً ، توفِّيَ بمُدودَه سَنةَ (١٣٤٥هـ)[١] ، وكانَ مولعاً بمحبَّةِ ٱلفاضلِ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ عبدِ ٱللهِ عيديد ، كثيرَ ٱلثَّناءِ عليهِ ، حتَّىٰ لقد أَوصىٰ بأَنْ يُقبرَ إِلىٰ قريبٍ مِنْ دارهِ ومسجدهِ ٱللَّذينِ ٱبتناهُما بمدوده ، فٱختارَ جوارَهُ علىٰ مجاورةِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ ياسين .

وكانَ ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ عبدِ ٱللهِ عيديد[٢] هٰذا ٱنتقلَ مِنْ سيئون بعدَ وفاةِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ محمَّدٍ ٱلحَبْشيِّ ، وٱلنَّاسُ يتعالمونَ بأَنَّهُ ورثَ حالَهُ ، ولَم تَطِبْ لَهُ سيئون فبارحَها وسكنَ مدوده وٱبتنىٰ بها داراً ومسجداً ـ حَسْبَما قدَّمنا ـ ولَم يَزَلْ موئِلَ ٱلضِّيفانِ وٱلوافدينَ ، وأَمرُهُ غريبٌ ، وحالُهُ عجيبٌ ، ونفقاتُهُ طائِلةٌ ، ولَهُ كلامٌ مِنْ جنسِ ما يتكلَّمُ بهِ مورِّثُهُ في ٱلحالِ : ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ عليٌّ ٱلحَبْشيُّ ، إِلاَّ أَنَّ شِعرَهُ أَحطُّ مِنْ شِعرِ ذلكَ ؛ لأَنَّ بضاعتَهُ في عِلْمِ ٱلعربيَّةِ مُزْجاةٌ ،[٣] بخلافِ ٱلسَّيِّدِ عليٍّ ، ولَهُ رحلاتٌ إِلىٰ عدن وإِلى ٱلحجازِ ، ولَهُ وجاهةٌ ، ولاسيَّما لدى أَهلِ دوعنَ وبعضِ حضارمةِ عدن وٱلحبشةِ وغيرِهم ، وإِنَّهم لمشكورونَ علىٰ معرفتِهم بقَدْرِهِ وقيامهم بحقِّهِ ، وإِعانتهم لَهُ على ٱلمروءَةِ وٱلضِّيافةِ .

ولمَّا كثرتِ ٱلفتنُ بمدوده ، ولاسيَّما بينَ آلِ منيباري وآلِ جعفرِ بنِ بدرٍ ، بسببِ أَنَّ

---

(١) ترجم له السيد محمد بن حسن عيديد في « ثبته » ، ووفاته في (٢٨) جمادى الآخرة من العام المذكور .

(٢) ولد بمدودة ، وأخواله من آل باحميد ، تربى عندهم يتيماً ، ثم لما كبر . . أتت به والدته إلى الحبيب علي الحبشي ، ومكث عنده في بيته طويلاً . . وقد كان مشهوراً ببناء المساجد ، رمم وبنى الكثير منها ، توفي بمدودة سنة (١٣٨٨هـ) ، وابنه السيد علي مقيم بمكة المكرمة .

(٣) مزجاة : قليلة .

ٱلأوّلينَ أخفروا ذمَّةَ ٱلآخَرينَ ، فلَم يتقنعوا ولم يَناموا عن ثأرٍ ، بل غسلوا بٱلنَّجيعِ ما كانَ مِن ذلكَ ٱلعارِ . . فتكدّر مِن جرّاءِ ذلكَ ، وٱبتنىٰ داراً واسعةً بسفحِ جبلِ عِفَاك غربيَّ مدينةِ سيئونَ ، قريباً مِنَ ٱلقارةِ ٱلّتي كانت عليها حصونُ آلِ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ حسينِ بنِ هرهرةَ ٱلسَّابقِ ذِكرُهُم في عَرَضِ مسرورٍ ، وهيَ معمورةُ ٱلفناءِ بٱلقاصدينَ ، مملوءَةُ ٱلجفانِ للواردينَ .

وفي مدوده جماعةٌ مِنْ آلِ باسَلاَمَه . وجماعةٌ مِنْ آلِ ٱبنِ عتيقٍ ، جدُّهُمُ : ٱلشَّيخُ عيسىٰ بنُ سلمةَ بنِ عيسىٰ بنِ سلمةَ ، أخي ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ سلمةَ جدِّ آلِ كثيرٍ . فيهِم كثيرٌ مِنَ ٱلصَّالحينَ .

ولو لم يكن لهم من ٱلفسَّاقِ إلاَّ عدوُّ ٱللهِ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ عَتيقٍ ، وزيرُ ٱلشَّريفِ حسنِ بنِ أَبي نميٍّ بنِ بركاتٍ . . لكفىٰ ؛ فلقد ذكرَ عنهُ ٱلمحبيُّ وٱلعصاميُّ وغيرُهُما ما تكادُ تنشقُّ لَهُ ٱلأَرضُ ، وتَخِرُّ ٱلجبالُ هدّاً[1] .

وفي مدوده جماعةٌ مِنْ آلِ بامَطْرفٍ يحترفونَ بشَطْفِ ٱلحُصُرِ وزَنَابيلِ ٱلخريفِ ٱلمسمَّاةِ ـ في عُرفِ ٱلحضارمِ ـ بٱلخُبَر ، وأَصلُهُم ـ كآلِ ٱلغَيلِ وآلِ ٱلقَطْنِ ـ مِنَ ٱلصَّيعرِ .

وفيها جماعةٌ مِنْ آلِ حاتمٍ يرجع نسبُهم إِلى ٱلصَّيعرِ ، لا إِلى ٱلعلماءِ ٱلّذينَ كانوا في تريم[2] .

---

(١) ولد ابن عتيق هـٰذا بمكة ، وأمه بنت المشايخ آل ظهيرة ، وخاله هو العلامة الشيخ علي بن جار الله بن ظهيرة الحنفي ، تولى الوزارة بعد سنة (١٠٠٣هـ) ، وعاث في مكة فساداً ؛ إِذ تسلط على الشريف حسن أمير مكة ، وصار هو الذي يصدر الأوامر ، وأكل أموال الناس ظلماً ، وكان إِذا مات أحد من الحُجَّاج . . أخذ ماله وحجبه عن الورثة ، وهرب من مكة بعض سكانها خوفاً من ظلمه ، ولما ولي أبو طالب بن الحسن سنة (١٠١٠هـ) . . استدعاه فأقر بكل ما عمله فحبسه ، فقتل نفسه بجنبية ، فأخذه الشريف ورمى به في حفرة في طريق جدة ، ولم يغسل ولم يكفن ، ورموا عليه الحجارة وقيل فيه :

أشقـــى النفـــوس البـــاغيَـــهْ ... ابـــن عتيـــق الطـــاغيَـــهْ
نـــار الجحيـــم استعـــوذَتْ ... منـــه وقـــالـــت مـــا ليَـــهْ
لمـــا أتـــى تـــاريخُـــهُ ... (أجِـــبْ لَظَـــىَ والهـــاويَـــهْ)

ذكره القطبي في « وقائع مكة » ، والمحبي في « الخلاصة » (٢/ ٣٦١ـ٣٦٢) ، وقد ذكر أنه كان يصرح بقوله : الشرع ما نريده ، فباع أمهات الأولاد وألغى الوصايا والأحكام .

(٢) وكان منهم جماعة في شبام ثم عادوا أدراجهم إِلى مدوده .

وفي غربيِّ مدوده : **حِصْنُ خُزَامٍ** ـ كما سبق ـ لآلِ مِنِيباري ، وقد كانَ بينَهُ وبينَ مدوده فضاءٌ رحبٌ لٰكن عُمِّرَ بٱلبيوتِ فٱتصلَ بمدوده .

وفي جنوبِها : **ديارُ آلِ شَمْلان** ، لا يزيدُ ٱلموجودونَ مِنْ رجالِهم بحَضْرَمَوْتَ عن ستَّةِ نفرٍ .

وفي شرقيِّها : **مكانُ آلِ ٱلصُّقَير**[1] ، وهُم قبائِلُ تغلبُ عليهِمُ ٱلبساطةُ وسلامةُ ٱلصَّدرِ ، فهم من أَبعدِ آلِ كثيرٍ عنِ ٱلتَّنَطُّعِ وٱلتَّحذلقِ ، وأَقربِهم إِلىٰ سَوقِ ٱلطَّبيعةِ كانَ منهُم : ٱلشَّيخُ سعيدُ عامرٍ ، رجلٌ طيِّبٌ . وخَلَفَهُ ولدُهُ عامرُ بنُ سعيدٍ علىٰ مثلِ حالهِ ، وكانت لَهم شِدَّةٌ تحلَّبَ مِنها آلُ سيئونَ ٱلمُرَّ في سَنةِ (١٣١٨هـ) ، ولا يزيدُ عددُ ٱلموجودينَ بديارهم هناكَ ٱلآنَ عن أَربعينَ رَجلاً .

ولهم باديةٌ بنجدِ آلِ كثيرٍ لا يزيدُ عددُهم عن ثلاثينَ رامياً ، وكانَ علىٰ رئاستِهم رجلٌ لهُ مروءَةٌ وشجاعةٌ ، يقالُ لهُ : ٱلوريقة ، مِن مروءتِهِ أَنَّ أَحدَ عبيدِ آلِ منيباري حَشَم[2] آلَ ٱلصُّقيرِ ، فأَصبحوا علىٰ آلِ منيباري ، وقُتِلَ عبدُ ٱللهِ بنُ سلامةَ مِن آل ٱلصُّقيرِ ، وكانت أَعرافُهُم تقضي بٱنغسالِ ٱلعارِ بهِ ، ولٰكنَّ آلَ ٱلصُّقيرِ جدُّوا في طلبِ ثأْرِهِ ، وبينا هم كامنونَ في ٱلحيمراتِ . . أَقبلَ عائظُ بنُ صالحِ بنِ منيباري في عَبيدٍ لهُ ، فأَرادَ آلُ ٱلصُّقيرِ إِطلاقَ ٱلرَّصاص عليهِ . . فكفَّهمُ ٱلوريقةُ وقالَ : مِثلُ عائظِ بنِ صالحٍ لا يُقتلُ ، فتعمىٰ بقتلِهِ جهة حتَّىٰ قَتلوا بعدَ مدَّةٍ واحداً آخرَ مِن آلِ منيباري يُقالُ لهُ سعيدُ بنُ محمَّدِ بنِ سالمينَ ، فأَدركوا بهِ ثأْرَهم .

وفي شرقيِّ مدوده أَيضاً : **ديارُ آلِ عليِّ بنِ سعيدٍ** ، وكلُّهُم مِنْ آلِ كثيرٍ ، إِلاَّ أَنَّ ٱلأَخيرَين مِنْ قبيلةِ آلِ عامرٍ ، وعددُ ٱلموجودينَ منهُمُ ٱليومَ بديارِهم قليلٌ .

---

(١) من فخائذ آل كثير ، ويوجد آل الصقير أيضاً في وادي جردان ، ولٰكنهم من قبيلة النمارة من بني هلال « المقحفي » .

(٢) حشم : عامية بمعنى : خفر ذمتهم .

سَيْئُون[1]

زنةُ : زيدون ، بعضهُم يكتبُها بواوٍ واحدةٍ ، وبعضُهُم بواوينِ ، وٱلقاعدةُ : أَنَّ ما كثرَ ٱستعمالُهُ وٱشتهرَ وفيهِ واوانِ . . يكتبُ بواحدةٍ فقط ، كداود .

وقد قلتُ في « منظومةٍ » أَنشأْتُها في « عِلْمِ ٱلخطِّ » [مِنَ ٱلرَّجز] :

مَـــا كَثُـــرَ ٱسْتِعْمَـــالُـــهُ وَفِيـــهِ ‏ ‏ ‏ وَاوَانِ . . وَاوٌ وَاحِــــدٌ يَكْفِيـــــهِ

وهيَ مِنَ ٱلبلدانِ ٱلقديمةِ ، نقلَ ٱلشَّيخُ ٱلمؤرِّخُ سالمُ بنُ حميدٍ : أَنَّ سيئون ، وتريم ، وشبام ، وتريس أَبناءُ حَضْرَمَوْتَ ، وأَنَّ هـٰذهِ ٱلبلادَ سمِّيتْ بأَسمائِهم .

وقد ذكرَها ٱلهمدانيُّ في « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » [١٧٠] إِلاَّ أَنَّهُ لم يُسمِّها بأَسمِها ، بل قالَ : (وَشَزَنٌ وذو أَصبح مدينتانِ في دوعن) اهـ

وقد ٱستشكلتُ هـٰذا رَدْحاً مِنَ ٱلزَّمنِ[2] حتَّىٰ فرَّجَ ٱللهُ عنِّي بما رأَيتُهُ منقولاً عن أَبي شكيلٍ ، عن أَبي ٱلحسنِ أَحمدَ بنِ إِبراهيمَ ٱلأَشعريِّ[3] مِنْ قولهِ : (وذي أَصبحَ وسيئون مدينتانِ عظيمتانِ لبني معاويةَ ٱلأَكرمينَ) ، فدلَّ ذلكَ علىٰ قِدَمِهما .

فقولُ ٱلهَمْدانيِّ : (شزن) . . إِمَّا غلطٌ منهُ وإِمَّا أَن يكونَ عرضَ بعدَهُ ٱلتَّبديلُ ، لـٰكن مِنَ ٱلمعلومِ أَنَّ سيئونَ منعطفةٌ على ٱلجبلِ ٱلَّذي هيَ بحضيضِهِ ٱنعطافَ ٱللام . وٱلانعطافُ مِنَ ٱلانحرافِ هوَ ٱلشَّزَنُ بنفسِهِ ، قالَ ٱبنُ أَحمرَ [مِنَ ٱلوافر] :

أَلاَ لَيْـــتَ ٱلْمَنَـــازِلَ قَـــدْ بَلِينَـــا ‏ ‏ ‏ فَـــلاَ يَـــرْمِيـــنَ عَـــنْ شَـــزَنٍ حَـــزِينَـــا

---

(١) أكبر بلدان وادي حضرموت ، وهي الآن عاصمة المحافظة ، تبعد عن شبام شرقاً نحو (١٨كم) ، وعن تريم غرباً نحو (٣٤كم) .

(٢) **الرَّدح من الزَّمن** : المدة الطويلة منه .

(٣) تقدم ذكره في مواضع من الكتاب ، وهو : العلامة الفقيه النحوي اللغوي أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري ، من أعلام المئة السادسة . أخذ عن الفقيه عمارة اليمني المؤرّخ ، وسكن بلدة القرتُب ، ولم تعلم وفاته ، له مؤلفات مفيدة . ينظر : « مصادر الفكر الإسلامي » (٤٥٣) ، « هجر العلم » (١٦٨٤) ، « طبقات فقهاء اليمن » (١٨٤) ، « السلوك » (٢/ ٣٨٠) ، « بغية الوعاة » (١/٣٥٦) ، « تاريخ عمارة » (٣٨) .

ولعلَّ سيئونَ في ٱلقديمِ كانت كحالِها ٱليومَ في ٱلانعطافِ علىٰ جبلِها .

وأمّا قولُهُ : (بدوعن) . . فخطأٌ ظاهرٌ لا يحتملُ ٱلتّأويلَ ، ولهـٰذا تركَهُ أبو شُكيلٍ .

وقد يُعَبِّرُ علىٰ قِدَمِ سيئونَ شيئانِ :

أحدُهُما : أنَّهُ لا ذِكرَ لَها في ٱلحوادثِ ٱلقديمةِ ، وأوَّلُ ما يَحضرني مِنْ ذِكرِها فيها أنَّ نهداً ٱقتسمتِ ٱلسَّريرَ في (سَنةِ ٦٠١هـ) فصارتْ سيئون وحبوظةُ لبني سعدٍ وظبيانَ .

وثانيهما : أنَّ ٱلجامعَ ٱلأوَّلَ بسيئون كانَ صغيراً لا يتَّسعُ لمئَتي نَفْسٍ تقريباً ، ومعَ ذلكَ فٱلَّذي بناهُ هوَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ سلمةَ باكثيرٍ ، وهوَ متأخِّرُ ٱلزَّمانِ ، لَم يَمُتْ كما في « ٱلبنانِ ٱلمشيرِ » [ص٢٥] إلاَّ في حدودِ سَنةِ (٩٢٠هـ) ولهُ قصَّةٌ مع سيِّدنا ٱلشَّيخِ أبي بكرٍ العدنيِّ ٱبنِ سيِّدنا عبدِ ٱللهِ ٱلعيدروسِ لمَّا ٱجتازَ بسيئونَ ، وقد كانت وفاةُ ٱلعدنيِّ في سنةِ (٩١٤هـ) .

ولـٰكنَّ ٱلجوابَ يَحصلُ عن ذينكَ ٱلأمرينِ ، ممَّا أجمعَ عليهِ ٱلمؤرِّخونَ ؛ كشنبل وباشراحيل وغيرِهما : أنَّ سيئون خَربتْ في سَنةِ (٥٩٥هـ) فتحصل أنَّها كانتْ مدينةً عظيمةً لِبني معاويةَ ٱلأكرمينَ مِنْ كندةَ ، ثمَّ خَربتْ حتَّىٰ لَم تَكُنْ شيئاً مذكوراً ، ثمَّ عادت شيئاً مذكوراً حتَّىٰ دخلت في قِسمةِ نَهدٍ سنةَ (٦٠١هـ) ، إن لم تؤل بأرباضِها .

ثمَّ كانتْ في أيَّامِ ٱلعيدروسِ[1] ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (٨٦٥هـ) قريةً ، كما يُعرفُ مِنْ قولِ ٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ صاحبِ ٱلحمراء في ترجمتهِ للعيدروسِ عن عبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ باسلامةَ ، وكانَ مِنَ ٱلثِّقاتِ : (إنَّ ٱلعيدروسَ جاءَ إلىٰ عندِهِ بمَرْيمه ، فكلَّفَ عليهِ أنْ يذهبَ إلىٰ سيئونَ ـ وهيَ قريةٌ مِنْ قُرىٰ حَضْرَمَوْتَ ـ ليشفعَ إلىٰ جعفرِ بنِ محمَّدٍ ٱلجعفريِّ نائبِ بدرِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ جعفرٍ عليها في إطلاقِ عليٍّ باحارثةَ ، فلَم يَقبلْ شفاعتَهُ) اهـ

(١) أي : الأكبر ، والد العدني المتقدم .

بل سبقَ في شِبَام عنِ ٱلجدِّ طـٰهَ ما يُفهَمُ منهُ أنَّها لم تكن في أيّامِهِ إلاَّ قريةً ، معَ أنّه متأخِّرُ ٱلتّاريخِ .

وأخبرني ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عليٍّ بنِ عمرَ بنِ سقَّافٍ عن والدِهِ : (أنَّ سيئونَ ٱسمُ ٱمرأةٍ كان لَها عريشٌ في جانبِ سيئونَ ٱلغربيِّ ، ٱلمسمَّى ٱليومَ بٱلسَّحيلِ ، يمرُّ عليها أبناءُ ٱلسَّبيلِ ٱلمنقطعونَ ، فسُمِّيتْ بٱسمِها ٱلبلادُ) .

وقد يجمعُ بينَهُ وبينَ بعضِ ما تقدَّمَ بأنَّ ٱسمَ سيئونَ ٱلأوَّلَ إنَّما هوَ شَزَن ـ حَسَبَما مرَّ عنِ ٱلهَمْدانيِّ ـ ثمَّ خربتْ ، وكانتِ ٱلمرأةُ ٱلمسمَّاةُ سيئون أوَّلَ مَنِ ٱتَّخذتْ عريشاً في أطلالِها ٱلدَّاثرةِ . . فغلبَ عليها ٱسمُها .

وحدَّثني ٱلسَّيِّدُ ٱلمؤرِّخُ ٱلرَّاويةُ محمَّدُ بنُ عقيلِ بنِ يحيىٰ : أنَّ سيئون ٱسمُ يهوديٍّ محرَّف عن صِهيون ، وقد كانَ مثرى ٱليهودِ بسيئونَ . وصِهيونُ كنيسةُ بيتِ ٱلمقدسِ ، وإليها يُشيرُ ٱلأعشىٰ في مديحهِ لأساقفةِ نجرانَ بقولِهِ [في « ديوانه » ٢٤٣ مِنَ ٱلطَّويل] :

وَإِنْ أَجْلَبَـتْ صِهْيَـونُ يَـومـاً عَلَيْكُمَـا فَإِنَّ رَحَا ٱلْحَرْبِ ٱلدَّكُوكِ رَحَاكُمَا[1]

وفي (ص ٣٠٩ ج ٥) مِنْ « صبحِ ٱلأعشىٰ » : (إنَّ صهيونَ بِيعةٌ[2] قديمةُ ٱلبناء بٱلإسكندريَّةِ ، معظَّمةٌ عندَ ٱلنَّصارىٰ) .

وقبلَهُ مِنْ تلكَ ٱلصَّفحةِ ـ في ٱلكلامِ علىٰ بطارقةِ ٱلإسكندريَّةِ ٱلَّذينَ تنَشَّأ عن ولايتِهم مملكةُ ٱلحبشةِ ـ : (إنَّ ٱلملكَ ٱلأكبرَ ٱلحاكمَ علىٰ جميعِ أقطارِهم يُسمَّىٰ بلغتِهم : (ٱلحَطيّ) ومعناهُ : ٱلسُّلطانُ ، وهوَ لقبٌ لكلِّ مَنْ قامَ عليهِم مَلِكاً كبيراً . ويقالُ : إنَّ تحتَ يدِهِ تسعةً وتسعينَ ملكاً ، وهوَ تمامُ ٱلمئةِ . وإنَّ ٱلملكَ ٱلكبيرَ في زمنِ صاحبِ « مسالكِ ٱلأبصارِ » يقالُ لَهُ : عمدُ سيئونَ ، ومعناهُ : ركنُ صهيون) اهـ

وهوَ كٱلصَّريحِ في أنَّ سيئونَ وصهيونَ شيءٌ واحدٌ .

ورأيتُ في بعضِ ٱلصُّحفِ أنَّ ٱليهودَ قدَّموا عريضةً علىٰ يدِ أحدِ زعمائِهم للسُّلطانِ

---

(١) « معجم البلدان » (٣/٤٣٦) . الحرب الدَّكوك : المدمِّرة .

(٢) البيعة : متعبد النصارى ، جمعها : بِيَعٌ ، ذكرت في القرآن الكريم .

عبدِ ٱلحميدِ رحمَهُ ٱللهُ يَسترحمونَهُ في أَنْ يُعيِّنَ قطعةً مِنْ فِلسطينَ لِسُكنى ٱليهودِ ٱلَّذينَ قتلَهُمُ ٱلضَّغطُ في روسيا وإسبانيا ، وفيها ما صورتُهُ : إنَّ جمعيَّةَ سيئونَ ٱلَّتي تشكَّلَتْ في صهيونَ بعدَ ٱلميلادِ بمئَةٍ وخمسةٍ وثلاثينَ سنةً قد ٱختارتني للمثولِ بينَ يديكُم ؛ لأُقدِّمَ لكُم هـٰذهِ ٱلعريضةَ . وتسترحمُ ٱلجمعيَّةُ ٱليهوديَّةُ مِنْ صاحبِ ٱلجلالةِ ٱلتَّكرُّمَ بتخصيصِ ٱلقطعةِ ٱلفلانيَّةِ ـ وحدَّدها ـ لإسكانِ ٱليهودِ .

ونظراً لما ٱنتابَ خزينةَ ٱلدَّولةِ مِنَ ٱلضَّائقةِ ٱلماليَّةِ مِنْ جرَّاءِ ٱلحربِ ٱليونانيَّةِ . . فإنَّ ٱلجمعيَّةَ تُقدِّمُ بواسطتي عشرينَ مليونَ ليرةٍ ذهباً لصندوقِ ٱلخزينةِ علىٰ سبيلِ ٱلقرضِ لمدَّةٍ غير معيَّنةٍ بدونِ فائدةٍ ، وخمسةَ ملايينِ ليرةٍ ذهباً إلىٰ خزينتكُمُ ٱلخاصَّةِ ، لقاءَ ما تكرَّمتُم بهِ مِنَ ٱلبرِّ وٱلإحسانِ ، وأَسترحمُ قَبولَ هـٰذا ٱلعرضِ .

فلَم يَكُنْ مِنَ ٱلسُّلطانِ إلاَّ أَنِ ٱستشاطَ غضباً وطردَهُ ، ولـٰكنَّ جمعيَّةَ ٱلاتحادِ وٱلتَّرقِّي جعلَتْ ذلكَ ٱلزَّعيمَ ٱليهوديَّ علىٰ رأسِ ٱلهيئَةِ ٱلَّتي جاءَتْ لِتبليغِ ٱلسُّلطانِ خَلْعَهُ عنِ ٱلعرشِ ؛ لأنَّ ذلكَ ٱليهوديَّ كانَ مِنْ مؤسِّسي تلكَ ٱلجمعيَّةِ!! وكانَ نائباً عن سبلانيك في مجلسِ ٱلمبعوثانِ . اهـ

ومنهُ تعرفُ أَنَّ سيئون ٱسمٌ للجمعيَّةِ ٱلَّتي أُلِّفَتْ ، أَو للَّذينَ أَلَّفوها ، أو للمكانِ ٱلَّذي أُلِّفت فيهِ .

وقد ملأَ ٱلعربُ ٱليومَ ٱلدُّنيا ضجيجاً بشأْنِ فلسطينَ ، وسننظر ـ كما في ٱلمثلِ ٱلحضرميِّ ـ أَسيادَنا آلَ باعبَّادٍ على ٱلصِّراطِ ، فإمَّا سبقناهم على ٱلظَّفرِ ، وإلاَّ . . كانَ للنَّاسِ ٱلحقُّ أَن ينشدوهم ما نكرِّرُهُ مِن قولِ ٱلحُطيئَةِ [في « ديوانه » ٤٠ مِنَ ٱلطَّويل] :

أَقِلُّـــوا عَلَيْهِـــمْ لاَ أَبَـــا لأَبِيكُـــمُ ... مِنَ ٱللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا ٱلْمَكَانَ ٱلَّذِي سَدُّوا

وفي معناه ما أنشده الحجَّاج [مِنَ ٱلطَّويل] :

أُلامُ عَلَـىٰ عَمْـرٍو وَلَـوْ مَـاتَ أَوْ نَـأَىٰ ... لَقَـلَّ ٱلَّـذِي يُغْنِـي غَنَـاءَكَ يَـا عَمْـرُو

إذ كانَ ٱليهودُ لا يطمعونَ في شِبْرٍ مِن فلسطينَ أَيَّامَ ٱلأَتراكِ ، وعمَّا قليلٍ ينكشفُ ٱلغُبارُ عمَّا في ٱلمضمارِ ، وٱلبيتُ ٱلَّذي يتمثَّلُ بهِ ٱلحجَّاجُ شبيهٌ بقولِ ٱبنِ عرادةَ ٱلسَّعدي

وكانَ بخراسانَ معَ سلمةَ بنِ زيادٍ يكرمُه وهو يتجنَّىٰ عليهِ ، ثمَّ فارقَهُ وصحبَ غيرَهُ فلمْ يحمد . . فعادَ إليهِ وقالَ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

عَتِبْتُ عَلَىٰ سَلْمٍ فَلَمَّا فَقَدْتُهُ ... وَصَاحَبْتُ أَقْوَاماً . . بَكَيْتُ عَلَىٰ سَلْمِ
رَجَعْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ تَجْرِيبِ غَيْرِهِ ... فَكَانَ كَبُرْءٍ بَعْدَ طُولٍ مِنَ ٱلسُّقْمِ

وقال زيادُ ابن منقذ العدوي التميمي من قصيدةٍ جزلة أنشأها بصنعاء يتشوق فيها إلىٰ وطنه ببطن الرُّمَّة ـ وهو وادٍ بنجد [في « ديوان الحماسة » ٢/ ١٥٣ مِنَ ٱلبسيطِ] :

لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمُ حَيّاً فَأُخْبِرَهُمْ ... إِلاَّ يَزِيدُهُمُ حُبّاً إِلَيَّ هُمُ

وقالَ أَبو ٱلعتاهيةِ [في « ديوانهِ » ١٨ مِن ٱلطَّويلِ] :

جَزَى ٱللهُ عنِّي جَعْفَراً بِوَفَائِهِ ... وَأَضْعَفَ إِضْعَافاً لَهُ بِوَفَائِهِ
بَلَوْتُ رِجَالاً بَعْدَهُ فِي إِخَائِهِمْ ... فَمَا ٱزْدَدْتُ إِلاَّ رَغْبَةً فِي إِخَائِهِ

وقالَ أَحمدُ بنُ أَبي طاهرٍ [مِنَ ٱلوافرِ] :

بَلَوْتُ ٱلنَّاسَ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ ... وَمَيَّزْتُ ٱلْكِرَامَ مِنَ ٱللِّئَامِ
فَرَدَّنِيَ ٱلزَّمَانُ إِلَى ٱبْنِ يَحْيَىٰ ... عَلِيٍّ بَعْدَ تَجْرِيبِ ٱلأَنَامِ

فإن نجحَ ٱلعربُ حَسَبَما يتبجَّحونَ في هٰذهِ ٱلأَيَّامِ . . فبها ونِعمَتْ ؛ لأَنَّها أُمنيَّةُ كلِّ مؤمنٍ ، وإلاَّ . . فما أُخذوا إلاَّ يومَ ٱلثَّورِ ٱلأَبيضِ[1] ؛ أي يومَ نهضَ ٱلمنقذُ ، وكانت نهضتُهُ فاتحةَ هزائمِ ٱلأَتراكِ ٱلَّتي ٱهتزَّت لها منابرُ ٱلدُّنيا بٱلدُّعاءِ لهم عدَّةَ قرونٍ .

---

(١) يوم الثور الأبيض ؛ مأخوذ من المثل : (إنما أُكلتُ يومَ أُكِلَ الثور الأبيض) قال الميداني في « مجمع الأمثال » (١/ ٢٥) : (يروىٰ أن أمير المؤمنين علياً رضي الله تعالىٰ عنه قال : إنما مَثَلي ومَثَل عثمان كمَثَل أثوار ثلاثة كن في أجمة ؛ أبيض وأسود وأحمر ، ومعهنَّ فيها أسد ، فكان لا يقدر منهن علىٰ شيء ؛ لاجتماعهنَّ عليه ، فقال للثور الأسود والأحمر : لا يدلُّ علينا في أَجَمتِنا . . إلا الثور الأبيض ؛ فإن لونه مشهور ، ولوني علىٰ لونكما . . فلو تركتماني آكله . . صفت لنا الأجمة ، فقالا : دونك فكله ، فأكله ، ثم قال للأحمر : لوني علىٰ لونك . . فدعني آكل الأسود لتصفو لنا الأجمة ، فقال : دونك فكله ، فأكله ، ثم قال للأحمر : إني آكلك لا محالة ، فقال : دعني أنادي ثلاثاً ، فقال : افعل ، فنادىٰ : **ألا إني أُكلت يوم أُكل الثور الأبيض** .

ثم قال علي رضي الله عنه : « ألا إني وهنت يوم قتل عثمان » يرفع بها صوته) .

ولئِنْ لَم تَكُنْ زنةَ سيئونَ في ٱللَّفظِ . . فقد كانتْ علىٰ رسمِها في ٱلخَطِّ كما تقدَّمَ أَوَّلَ ٱلمسوَّدةِ ، وما أَكثرَ ٱلتَّصحيفَ في مثلِ ذلكَ ، فمهما يَكُنْ . . فالأَمرُ قريبٌ مِنْ بعضهِ ، ولا مانعَ أَنْ تكونَ ٱلمرأَةُ ٱلمذكورةُ في كلامِ سيِّدي عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عليٍّ يهوديَّةً ، وبذلكَ تلتئمُ أَطرافُ ٱلكلامِ[1] .

ثمَّ إِنَّ سيئونَ نهضتْ نهضةً سريعةً ، ونبتتْ كما ينبتُ ٱلحبُّ في حميلِ ٱلسَّيلِ ، وٱلدَّليلُ علىٰ ذلكَ : أَنَّ بانيَ ٱلجامعِ ٱلكبيرِ ٱلَّذي يسعُ ٱلأُلوفَ إِلى ٱليومِ . . هوَ ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ مسعودِ بنِ محمَّدِ بنِ مسعودِ بنِ عليِّ بنِ سعدٍ بارَجَاء بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ ٱلظَّفاريُّ ٱلعبهليُّ ٱلمذحجيُّ ـ كما مرَّ في ٱلشِّحرِ ـ ، كانَ موجوداً في أَواخِرِ ٱلقرنِ ٱلتَّاسعِ ، بشهادةِ ما سقناهُ بـ« **ٱلأَصلِ** » مِنْ خَبرِهِ معَ ٱلسُّلطانِ بدرِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ علي بنِ عمرَ ٱلكثيريِّ ، ٱلَّذي كانت ولايتُهُ في سَنةِ (٨٥٠هـ) ، ووفاتُهُ في سَنةِ (٨٩٤هـ) ، فباكثير باني ٱلجامعِ ٱلأَوَّلُ ، وبارجاء باني ٱلجامعِ ٱلثَّاني متعاصرانِ ، فغايةُ ما يَحتمِلُ : تقدُّمُ ٱلجامعِ ٱلأَوَّلِ بسنواتٍ معدودةٍ ، ومتىٰ عرفتَ تعاصرَهُما . . تقرَّرَ لديكَ أَنَّ عمارةَ ٱلبلادِ حديثةٌ ، وأَنَّ ٱتِّساعَها كانَ دفعةً واحدةً في أَيَّامِ بدر بوطويرق .

وممَّا يؤَكِّدُ ذلكَ : ٱتِّفاقُهُم علىٰ أَنَّ مقبرةَ سيئون في شرقيِّها . أَمَّا نسبتُهُم تلكَ ٱلمقبرَةَ إِلى ٱلشَّيخِ عمرَ بامخرمةَ :

فإِمَّا أَنْ يكونَ ٱلمرادُ جانبها ٱلشَّرقيَّ مِنها فقط . وإِمَّا أَنْ يكونَ للشُّهرةِ ، وإِلاَّ . . فآلُ بارجاء كانوا متقدِّمينَ عليهِ .

وكانَ ٱلشَّيخُ سعدُ بارجاء موجوداً بسيئونَ مِنْ أَوائِلِ ٱلقرنِ ٱلسَّابعِ ، وكانت وفاةُ عمِّهِ تاجِ ٱلعارفينَ سعدِ ٱلظَّفاريِّ بٱلشِّحْرِ سَنةَ (٦٠٩هـ) .

---

(١) قال بعض الباحثين : إن أسماء بلدان حضرموت استوقفت بعض الباحثين أو المستشرقين عندها ، لأنها في اعتقادهم تمثل حقباً زمنية متفاوتة مرت على حضرموت .

فمن هـٰذه الأسماء : سَيئون ، وريبون ، ودمّون ، وخودون ، وسمعون ، ونفحون ، ونظيراتها . ومنها : سيحوت ، ريسوت ، يعشوت ، خيصوت ، دمقوت ، خرفوت ، ومثيلاتها . وخلص الباحثون أولئك إلى أن الواو والنون ، والواو والتاء . . إنما هي بمثابة (أل) التعريفية ، وأنها اختلفت باختلاف الزمان والمكان ، والله أعلم بحقيقة الأمر .

وكانَ ٱلشَّيخُ سعدُ بارَجَاء مِنَ ٱلمشهورينَ بِٱلفضلِ ، نجعَ هوَ وعمُّهُ ٱلشَّيخُ سعدُ بنُ عليٍّ ٱلظَّفَاريُّ مِن ظَفَارٍ إلى ٱلشِّحْرِ ، وٱستوطنَهَا أيَّامَ كانت خِصَاصاً[1] قَبْلَ أَنْ تكونَ مدينةً ، وأَشارَ على ٱبنِ أَخيهِ سعدٍ هـٰذا أَنْ يذهبَ إِلىٰ أَرضٍ لا يكونُ لَهُ بها شأْنٌ ، فكانتْ سيئون ؛ لأَنَّها لَم تَكُنْ إِذْ ذاكَ إِلاَّ صغيرةً جدّاً .

ولا يشوِّش علىٰ قولنا : (أَنَّ سيئونَ ٱتَّسعَت دفعةً) . ما سبَقَ عنِ ٱلجدِّ طـٰهَ ، ممَّا يُفهِمُ ٱستصحابَ ٱسمِ ٱلقريةِ عليها ؛ لاحتمالِ أَنَّهُ بٱعتبارِ ما كانَ .

وكانَ ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ مسعود ـ باني جامعِ سيئونَ ٱلثَّاني ـ أَحدَ مشايخِ سيئون ٱلمشهورينَ ، ولَهُ بها آثارٌ ، مِنها : ٱلجامعُ ٱلمذكورُ ، وقد زادَ فيهِ ٱلشَّيخُ عليّ بارجاء صَفَّينِ في جهتهِ ٱلغربيَّةِ أَيَّامَ ٱلسُّلطانِ عمرَ بنِ بدرٍ ـ أَي : في ٱلقرنِ ٱلحادي عشرَ ـ في أَرضٍ ٱشتراها مِنْ صُلْبِ مالهِ ، ثمَّ زادَ فيهِ ٱلسَّيِّدانِ محمَّدُ بنُ سقَّافٍ بنِ محمَّدٍ وعبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عليِّ بنِ عبدِ ٱللهِ آلِ ٱلسَّقَّافِ زياداتٍ قليلةً ، ثمَّ زادَ فيهِ ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ عليٍّ سميطة ثلاثةَ صفوفٍ في جانبهِ ٱلشَّرقيِّ ، ثمَّ جُدِّدتْ عمارتُهُ علىٰ عهدِ جدِّنا محسنِ بنِ علويِّ بنِ سقَّافٍ ، وهيَ ٱلموجودةُ إِلى ٱلآنَ ، وكانتِ ٱلنَّفقةُ مِنَ ٱلأَميرِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ ٱلعولقيِّ ٱلسَّابقِ ذِكرُهُ في ٱلحَزْمِ وصداعٍ ، يُرسلُها مِنْ حيدر آباد ٱلدَّكَنِ إِلىٰ يدِ ٱلجدِّ رضوانُ ٱللهِ عليهِ .

ثمَّ زادَ فيهِ ٱلسَّيِّدُ ٱلجليلُ أَحمدُ بنُ جعفرِ بنِ أَحمدَ بنِ عليِّ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلسَّقَّافُ ٱلمتوفَّىٰ بسيئون سَنةَ (١٣٢٠هـ) رواقاً في جانبهِ ٱلغربيِّ ٱلجنوبيِّ .

وفي آلِ بارجاءٍ كثيرٌ مِنَ ٱلعلماءِ وٱلصُّلحاءِ .

منهُمُ : ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ عبدِ ٱلرَّحيمِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بارجاء ، مؤَلِّفُ « تشييدِ ٱلبنيانِ » ، وهوَ كتابٌ حافلٌ في ربعِ ٱلعباداتِ ، نقلَ فيهِ نقولاً كثيرةَ ٱلفائدةِ ، فرغَ منهُ في سَنةِ(١٠٣٦هـ) .

---

(١) **الخِصاص** : البيوت المصنوعة من القصب ، سمِّيت بذلك لما فيها من الخِصاص وهي الفُرَج والأنقاب .

ومنهُمْ : ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ عبدِ ٱلرَّحيمِ ، ٱلمشهورُ بقاضي ظَفَار[1] .

ومنهُمْ : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلجامعِ بنُ أَبي بكرٍ بارجاء ، ذَكرَهُ ٱلشِّلِّيُّ وأَثنىٰ عليهِ ، توفِّيَ بمكَّةَ سَنةَ (١٠٨٢هـ) وترجمَ لَهُ ٱلمُحبيُّ في « ٱلخلاصةِ » [٢/٢٩٨] .

ومنهُمْ : ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ محمَّدٍ ، خطيبُ جامعِ سيئون ، كانَ شهماً صلباً ، عارفاً بٱلقراءاتِ وٱلتَّجويدِ ، إلاَّ أَنَّهُ كانَ يأْكلُ طعامَ ٱلدَّولةِ فأَنكَروا عليهِ ؛ إِذْ كانَ أَكلُ طعامِهِم مِنْ أَكبرِ ٱلمنكَراتِ لذلكَ ٱلعهدِ ٱلصَّالحِ ، توفِّيَ سَنةَ (١٣٢٨هـ) .

ومنهُمْ : ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ محمَّدٍ بارجاءٍ ، تولَّى ٱلقضاءَ مرَّاتٍ بسيئون ، وكانت لَهُ بها خَطابةُ ٱلجامعِ . وكانَ سخيّاً ، دَمثَ ٱلأَخلاقِ ، لَيِّنَ ٱلجانبِ ، خفيفَ ٱلرُّوحِ ، فقيهاً مشارِكاً في بعضِ ٱلفنونِ ، وكانَ ممَّن يحضرُ عليَّ ولَهُ مكارمُ ومبرَّاتٌ كثيرةٌ . توفِّيَ برمضانَ من سَنةِ (١٣٣٤هـ) ، ولَهُ أَولادٌ كثيرونَ ، كانَ أَحبَّهُم إِليهِ سالمٌ ومحمَّدٌ . وكانت لَهُ ثروةٌ بجاوة فأَتلفوها عليهِ ، وقد أَدركَهُ ٱبنُهُ ٱلصَّالحُ سعيدٌ بجميلِ ٱلمواصلةِ وغزيرِ ٱلمواساةِ .

وكانَ سعيدٌ هٰذا مِنَ ٱلمُثْرينَ بٱلصُّولُو مِنْ أَرضِ جاوة ، فأَنفقَ مالَهُ في بذلِ ٱلمعروفِ ، ولاسيَّما لِلسَّادةِ آلِ ٱلحَبْشيِّ وآلِ ٱلعطَّاسِ ، حتَّىٰ لقد كانَ يشتري مِنْ بعضِهِم عسلاً بأَغلىٰ ثَمنٍ ، ثمَّ يُقدِّمُهُ لَهُ كلَّ يومٍ معَ ٱللَّحمِ ٱلحنيذِ[2] إِلىٰ أَنْ ينفدَ ، وقد أَملقَ بعدَ ذلكَ فلَم يَشِنْهُ ٱلفقرُ ؛ لِغناهُ بٱللهِ ، ولأَنَّهُ لا أَهْلَ لَهُ ولا عيالٌ . وقد كُمَّتِ ٱلأَفواهُ عنِ ٱلمصارَحةِ بٱلحقِّ ، ولٰكنَّهُ رافعُ ٱلعقيرةِ بإِنكارِ ٱلمنكَرِ حسبَ جهدِهِ ومعرفتِهِ ، لا يُحابي ولا يُداهنُ ، جزاهُ ٱللهُ خيراً .

وأَمّا آلُ باكثيرٍ : فأَكثرُ أَعقابِهم بتريس ، حَسَبَما سَبَقَ فيها ، ومنهُم جماعةٌ بمكَّةَ ٱلمشرَّفةِ ، ولا يزالُ بعضهُم بسيئون ، ولَهم بها مآثرُ ومساجدُ .

ومِنْ آخِرِهم بها : ٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ باكثير[3] ، كانَ عيبةَ علومٍ ، ودائِرةَ

---

(١) وهو من شيوخ العلامة الشلي ، ذكره في « المشرع » عَرَضاً ، وترجم له في « عقد الجواهر » .

(٢) **اللَّحم الحنيذ** : المشويُّ .

(٣) ولد بسيئون سنة (١٢٨٣هـ) ، وبها توفي في (١٣) محرم (١٣٥٥هـ) ، ترجمته حافلة في كتابه : =

معارفٍ ، وعنهُ أَخذتُ عِلْمَ ٱلنَّحوِ وٱلصَّرفِ ، وكانَ يؤثرني ويُقدِّمُني على ٱلنَّاسِ ، حتَّىٰ لقد قالَ ليَ مرَّةً ـ عن تدبيرِ والدي ـ : (إِنْ حفظتَ لاميَّةَ ٱلأفعالِ . . فلكَ ريالٌ) فقرأْتُها عليهِ في ٱلصَّباحِ ، ثمَّ قلتُ لَهُ مِنَ ٱلعشيِّ : ٱسمَعْها . وسردتُها عن ظَهْرِ قلبٍ وتسلَّمتُ ٱلرِّيالَ ، غيرَ أَنَّ هِمَّتي كانت ضعيفةً في ٱلصَّرفِ ولا سيَّما ٱلقلبُ وٱلإِبدالُ فتفلَّت عنِّي أَكثرُهُ .

وكانَ ٱلشَّيخُ ـ رحمَهُ ٱللهُ ـ متخصِّصاً في هـٰذينِ ٱلعِلْمينِ ، كثيرَ ٱلإِكبابِ عليهِما ، وٱلولوعِ بهِما وٱلبحثِ فيهما ، ولَهُ مؤلَّفاتٌ عديدةٌ وأَشعارٌ كثيرةٌ[1] .

وكانَ شديدَ ٱلتَّعلُّقِ بوالدي[2] ، جمَّ ٱلقراءةِ عليهِ . ثمَّ كانَ يحضرُ دروسي في ٱلتَّفسيرِ وٱلفقهِ وٱلحديثِ ، ولقد زارني مرَّةً في سَنةِ (١٣٥٢هـ) فقالَ : (لقد عدَدنا ستِّينَ ماتوا ممَّنْ كانوا يحضرونَ دروسكَ ٱلشَّيِّقةَ) . توفِّيَ علىٰ أَبلغِ ما يكونُ مِنَ ٱلثَّباتِ بسيئونَ أَوائلَ سنةِ (١٣٥٥هـ)[3] .

ومنهُمْ : أَخوهُ أَحمدُ بنُ مُحَمَّدٍ باكثير ، كانت لَهُ خيراتٌ ومبرَّاتٌ ، وصلةُ أَرحامٍ ، وكفالةُ أَيتامٍ ، وقضاءُ حاجاتٍ ، وتفريجُ كُرُباتٍ ، توفِّيَ بسيئونَ سَنةَ (١٣٤٣هـ)[4] .

ومنهُمْ : ولدُهُ عبدُ ٱلقادرِ ، كانَ تقيّاً ، متشدِّداً في ٱلعبادةِ ، متحرِّياً في ٱلطَّهارةِ ، آخذاً بالعزيمةِ ، سريعَ ٱلحفظِ ، يكادُ يحفظُ مِنْ مرَّةٍ واحدةٍ ، وهوَ ٱلَّذي جَمَعَ بعضَ ما كنتُ أَرتجلُهُ في ٱلمحافلِ ٱلمشهودةِ مِنَ ٱلخُطبِ ٱلطَّويلةِ ، وكنتُ أَظنُّهُ ٱلشَّيخَ مُحَمَّداً ، لأَنَّهُ هو ٱلَّذي دفعها إِليَّ حتَّىٰ أَخبرني ولدُهُ ٱلأَديبُ عمرُ بنُ مُحَمَّدٍ بأَنَّ ٱلجامعَ

= « البنان المشير » ، و« تاريخ الشعراء » (٥/ ١٠٤ـ١٢١) .

(١) عدد تلميذه السيد عبد الله السقاف (٢٣) مؤلفاً من مؤلفاته . ينظر « الشعراء » (٥/ ١٠٩ـ١١٠) .

(٢) ومن ثمرات هـٰذا التعلق : تلك الوصية العظيمة التي كتبها الحبيب عبيد الله ـ والد المؤلف ـ للمترجَم ، بلغت مجلداً كبيراً ، عدد صفحاته (٣٩٧) صفحة بالخط العادي ، مؤرخةٌ في محرم (١٣١٨هـ) .

(٣) وقصة وفاته : أنه كان جالساً في مجلس الدرس ، يقرأ عليه القارىء في « الجامع الصغير » للسيوطي ، فلما بلغ حديث : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » . . نطق بها ومات لتوه .

(٤) ترجمته في « البنان » (١٥٢ـ١٧٥) .

إنَّما هو عبدُ ٱلقادرِ بنُ أَحمدَ ، بمساعدةٍ من ٱلشَّيخِ محمدٍ في تحريرِ ٱلآياتِ وٱلأَبياتِ وٱلأَحاديثِ فقط . توفِّيَ بجاوة في حدودِ سنةِ (١٣٤٤هـ)[١] .

وآلُ باكثيرٍ كلُّهُم علىٰ جانبٍ عظيمٍ مِنَ ٱلذَّكاءِ وقرضِ ٱلشِّعْرِ ، ولِعُمرَ بنِ محمَّدٍ[٢] شِعرٌ جيِّدٌ ، وحاملُ لواءِ شِعرِهِمُ ٱليومَ هوَ : ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ أَحمدَ باكثيرٍ[٣] ، نزيلُ مصرَ ، وأَنا معَ حُبِّي لَهُ عاتبٌ عليهِ ؛ لأَنَّني أَرسلتُ إِليهِ مسوَّدةَ « ٱلعُودِ ٱلهنديِّ »[٤] فلَم يَرُدَّها ، وطبعَ لِيْ محاضرةَ مسلَّمةَ ٱلنَّفقةِ ولَم يَدْفعْ لأَمري إِلاَّ نحو ثلاثِ مئَةِ نسخةٍ فقط ، وكانَ كلُّ ذلكَ في سَنةِ (١٣٥٥هـ) ، غيرَ أَنَّني أَحَلْتُ ٱلسَّيِّدَ عبدَ ٱللهِ بنَ مُحَمَّدِ بنِ حامدٍ ٱلسَّقَّافَ ليقبضَ ٱلجميعَ منهُ ، ثمَّ كاتبتُ وطالبتُ ٱلاثنينِ حتَّىٰ عَيِيتُ بدونِ جدوىٰ ولا جوابٍ ، فأَحدهما أَو كلاهُما ملومٌ ، وكانَ ٱلواجبُ علىٰ كلٍّ منهُما أَنْ يُبرِّىءَ نَفْسَهُ ، وأَنْ يؤَدِّيَ ٱلأَمانةَ مَنْ كانت عندَهُ[٥] .

ومِنْ أَكابرِ مَنْ تدَيَّرَ سيئونَ : ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ بنِ إِبراهيمَ بامخرمةَ[٦] ، ٱلسَّيبانيُّ ٱلهجرانيُّ ، ترجمَهُ ٱلشِّلِّيُّ في « ٱلسَّنا ٱلباهرِ »[٧] ترجمةً

---

(١) ولد عبد القادر بن أحمد في سربايا سنة (١٣١٦هـ) ، وسمّاه الحبيب محمد بن طاهر ، وتوفي بها في (٢٨) جمادى الآخرة (١٣٤٥هـ) ، وله ولد على اسم أبيه . « البنان » : (١٧٦) .

أما ابنه أحمد هـٰذا . . فولد سنة (١٣٤٤هـ) ، ترجم له معاصره الصبَّان في كتابه : « الحركة الأدبية في حضرموت » (١٨٦) .

(٢) ولد عمر بن محمد سنة (١٣٢٠هـ) ، ترجم له والده في « البنان » ، والصبان في « الحركة الأدبية » (١٧٨) ، وكانت وفاته سنة (١٤٠٥هـ) بعد طبع « البنان » .

(٣) شاعر حضرموت الشهير ، ورائد القصة المسرحية في العالم العربي ، ولد بسربايا حدود (١٣٢٠هـ) أو قبلها ، وتوفي بمصر سنة (١٣٨٩هـ) = (١٠) نوفمبر (١٩٦٩م) . ترجم له عمه الشيخ محمد في « البنان » ، وكتب عنه د . محمد أبو بكر حميد في مقدمة ديوان « أزهار الربى في شعر الصبا » ، والزركلي في « الأعلام » (٤/ ٢٦٢) .

(٤) وبحمد الله تمت طباعته محققاً مرتباً ، بدار المنهاج بجدة ، وصدر في (٣) مجلدات .

(٥) توفي المذكوران بعد المؤلف ؛ فالسيد عبد الله توفي سنة (١٣٨٧هـ) ، وباكثير بعده بسنتين .

(٦) الشيخ عمر بامخرمة ولد سنة (٨٧٠هـ) ، وتوفي بسيئون سنة (٩٥٢هـ) في يوم السبت (٢٠) ذي القعدة الحرام ، تقدم ذكر والده وإخوته في الهجرين . ومن مراجع ترجمة الشيخ عمر : « تاريخ بافقيه » (٣١٢) ، و« السنا الباهر » ، و« الشعراء » (١/ ١٣٠) ، وغيرها .

(٧) في حوادث سنة (٩٥٢هـ) .

طويلةً ، وذكرَ أَنَّ فقهاءَ عصرهِ أَنكرَوا عليهِ بعضَ ٱلأَحوالِ ، منها : أَنَّهُ يحضرُ أَغاني ٱلفتايا ويجلسُ إِليهنَّ وأَنَّهنَّ ممَّن يضربُ ٱلدُّفوفَ ويغنِّي بينَ يديهِ في ٱلمواكبِ وٱلمجالس .

ولذا لَم يَذكرهُ ولدُهُ عبدُ ٱللهِ في « ذيلِ طبقاتِ ٱلفقهاءِ » للإسنوي ، وذكرَ أَخاهُ ٱلطَّيِّبَ ، معَ أَنَّهُ لا يزيدُ عليهِ فقهاً . ونقلَ تلكَ ٱلتَّرجمةَ بأَسرِها سيِّدي عمرُ بنُ سقَّافٍ في كتابهِ « تفريحُ ٱلقلوبِ » .

وما صنعَهُ عبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ مِنْ إِغفالِ ذِكرِ والدهِ يدلُّكَ علىٰ تحرٍّ شديدٍ وحَيْطةٍ هائِلةٍ ، وماذا عليهِ لَو ذَكَرَ فِقهَهُ وأَشارَ إِلىٰ بعضِ أَحوالهِ ؟ غيرَ أَنَّ فَرْطَ إِنصافهِ ذهبَ بهِ إِلىٰ أَنْ يتصوَّرَ أَنَّ ذِكرَ أَبيهِ معَ ما يُنكرُ عليهِ يوقعُهُ في شيءٍ مِنَ ٱلهوادةِ ، وهوَ يُنزِّهُ عدالتَهُ عن كلِّ ما يَعْلَقُ بها مِنَ ٱلرِّيَبِ أَو يَمسُّها مِنَ ٱلتُّهمِ ، وإِنَّهُ لَمقامٌ صعبٌ إِلاَّ علىٰ مَنْ وفَّقَهُ ٱللهُ ، فلهوَ أَحقُّ بقولِ حبيبٍ [أَبي تمَّام في « ديوانهِ » ٢/ ١٧١ مِنَ ٱلكاملِ] :

وَيُسِيءُ بِٱلإِحْسَانِ ظَنّاً لاَ كَمَنْ ... هُوَ بِٱبْنِهِ وَبِشِعْرِهِ مَفْتُونُ

أَخذَ عنهُ جماعةٌ مِنَ ٱلعلويِّينَ ، منهُمْ : ٱلشَّيخُ أَبو بكرِ بنُ سالمٍ . وٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ حسينٍ ٱلعيدروسُ .

وأَخذَ هوَ عن جماعةٍ مِنَ ٱلعلماءِ[1] ، منهُم : سيِّدُنا أَبو بكرٍ ٱلعدنيُّ ، لٰكنْ لَم يُحمدْ بينَهُما ٱلمآلُ ، لأَنَّ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱللهِ باهرمزٍ لم يقبل تحكُّمَ ٱلشَّيخِ عمرَ لهُ إِلاَّ بشرطِ أَن يُسمِعَ ٱلعدنيَّ ما يكرهُ ، ففعلَ ، وساءت بينَهما ٱلحالُ حتَّىٰ لقد كانَ ٱلشَّيخُ يمدحُ بدرَ بنَ مُحمَّدٍ ٱلكثيريَّ وٱلعدنيُّ يَهجوهُ ، وٱلعدنيُّ يمدحُ ٱلسُّلطانَ عامرَ بنَ عبدِ ٱلوهَّابِ ويذمُّ ٱلبهّالَ[2] ، وٱلشَّيخُ عمرُ بعكسهِ .

ولمَّا جرتِ ٱلحادثةُ ٱلهائِلةُ على ٱلبهّالِ . . عدَّها ٱلغواةُ مِن هواةِ ٱلخوارقِ مِنْ كراماتِ ٱلعدنيِّ ، ثمَّ لمَّا قُتِلَ عامرٌ شرَّ قِتْلةٍ . . عدَّها ٱلآخرونَ في كراماتِ ٱلشَّيخِ عمرَ .

---

(١) ومن شيوخه : الشيخ عبد الرحمٰن الأخضر باهرمز ، (ت٩١٤هـ) ، المتقدم ذكره في هينن .

(٢) البهّال هو شريف بيحان وحاكمها .

وما أَحسنَ قولَ ٱبنِ نباتةَ : (وٱللهِ . . لا يضرُّ ولا ينفعُ ، ولا يضعُ ولا يرفعُ ، ولا يُعطي ولا يمنعُ . . إلاَّ ٱللهُ) .

وكنتُ أَظنُّ ٱلنَّفرةَ ٱستحكمَتْ بينَ ٱلعلويِّينَ وآلِ بامَخْرمةَ في عهدِهِ وعهدِ ولدِهِ عبدِ ٱللهِ إِلىٰ حدٍّ بعيدٍ ، حَسَبَما أَشرْتُ إِلىٰ ذلكَ في « ٱلأَصلِ » ، ويتأَكَّدُ ذلكَ بٱلقصَّةِ ٱلآتيةِ لَهُ معَ ٱلسَّيِّدِ علويِّ بنِ عقيلٍ في ٱلعرِّ مِن ضَرْبِ ٱلسَّيِّدِ علويِّ بن عقيلٍ ٱلشَّيخَ عمرَ بٱلنِّعالِ ، وما بعدَ ذلكَ من هوادةٍ ولا حفظٍ لخطِّ ٱلرَّجعةِ .

لا سيَّما وقد نقلَ سيِّدي عليُّ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ عنِ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ما يقتضي انحصارَ أَخْذِ ٱلشَّيخِ عمرَ بامخرمةَ على ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ باهرمزٍ وأَن لا شيخَ لهُ مِنَ ٱلعلويِّينَ .

ولا ينتقضُ ذلكَ بما كانَ مِن أَخذِهِ عَنِ ٱلعدنيِّ ؛ لأَنَّهُ لم يدم ، بل بطلَ حكمُهُ ، وقد أَشرتُ إِلىٰ جميعِ هـٰذا في « ٱلأَصلِ » وربَّما كانَ مُبَالغاً فيه ، وقد عُوِّضَ ٱلشَّيخُ عمرُ عمَّا لحقَهُ مِن جفاءِ ٱلعلويِّينَ في زمانِهِ بما كان من إِصفاقِ أَعقابِهم علىٰ فضلِهِ وٱلولوعِ بديوانِهِ وقد أَطنبَ سيِّدي عُمرُ بنُ سقَّافٍ في مدحِهِ .

أَمَّا أَشعارُ ٱلشَّيخِ عمرَ بامخرمةَ . . فأَلذُّ مِنَ ٱلوِصالِ ، وأَحلىٰ مِنَ ٱلسَّلسالِ ، وفيها فراساتٌ صادقةٌ عن أُمورٍ متأَخِّرةٍ ، كما يُعرفُ ذلكَ بٱلاستقراءِ[1] . ولَم يَزَلْ بسيئونَ تحتَ ٱلضَّغطِ وٱلمراقبةِ مِنْ بدر بوطويرق[2] ، لا مِنَ ٱلنَّاحيةِ ٱلَّتي يُنكرُها عليهِ ٱلفقهاءُ ، ولـٰكنْ لِما علىٰ كلامهِ مِنَ ٱلقبولِ : ولَهُ مِنَ ٱلتَّأْثيرِ ؛ فهوَ يخشىٰ أَنْ يُحرِّضَ عليهِ ، فتتنكَّرُ لَهُ ٱلنَّاسُ[3] ، علىٰ أَنَّ ذلكَ وقعَ عليهِ معَ شدَّةِ تحرِّيهِ ، فثارَ عليهِ ولدُهُ[4] ، وأَلقى ٱلقبضَ عليهِ ، وسجنَهُ حتَّىٰ ماتَ بغيظِهِ مقهوراً في سجنِهِ سَنةَ (٩٧٧هـ) .

---

(١) وشعره مجموع في دواوين ، والمسموع من أفواه الشيوخ أن شعره كله يزيد على (٢٠) ديواناً . والموجود حالياً من شعره مجلدان مخطوطان متداولان بين الناس ، ويقال : إنها تصل إلى عشرة مجلدات .

(٢) تماماً كما فعل بدر مع الشيخ معروف باجمال في شبام ، كما مر فيها .

(٣) أي : لبدر بوطويرق .

(٤) أي : عبد الله بن بدر . . انظر مادة مريمه .

وما كنتُ أدري أنَّ للشَّيخ عمرَ بامخرمةَ حَشَماً وأُبَّهَةً وأَتباعاً إلاَّ مِنْ قصَّتِهِ ٱلسَّابقةِ في هينن معَ ٱلشَّيخِ حسين بنِ عبدِ ٱللهِ بافضلٍ ، فإمَّا أَنْ تكونَ قَبْلَ ٱلمراقبةِ عليهِ ، وإمَّا أَنْ تكونَ ٱلمراقبةُ محدودةً بما يُخشىٰ منهُ ٱلثَّورةُ .

وكانتْ وفاةُ ٱلشَّيخِ حسينٍ كما في « ٱلنُّورِ ٱلسَّافرِ » سَنَةَ (٩٧٩هـ) .

وكانت وفاةُ ٱلشَّيخِ عمرَ بامخرمةَ بسيئون في سَنَةِ (٩٥٢هـ) ، وكانَ ٱلسَّيِّدُ زينُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ علويٍّ ٱلحدَّادُ كثيرَ ٱلمدحِ لَهُ وٱلثَّناءِ عليهِ ، وما أَكثرَ ما يتمنَّىٰ أَنْ يُدفنَ بجوارِهِ[١] .

وفي غربيِّ قبرِهِ : ضريحُ ٱلشَّيخِ أَحمدَ مسعود بارجاء ، باني ٱلجامعِ ٱلثَّاني ٱلسَّابقِ ذِكرهُ .

وفي غربيِّهِ إلى ٱلجنوبِ : مقبرةُ آلِ باحُوَيرث ، كانَ فيهِم كثيرٌ مِنَ ٱلأَخيارِ ، يُكثرونَ ٱلعبادةَ ، ويُحافظونَ على ٱلصَّلاةِ ، وأَظنُّهُم على ٱتِّصالٍ في ٱلمناسبِ بآلِ حُوَيرث ٱلسَّابقِ ذِكرُهُم في ٱلخريبةِ .

وكانتْ أُمُّ جدِّنا عليِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ مِنْ آلِ ثَبْتان ، وهُم مِنْ سيئونَ .

وكانَ جدُّنا عمرُ ٱلصَّافي[٢] بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلمعلِّمِ بنِ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافُ يتردَّدُ مِنْ تريم إِلىٰ سيئونَ بسببِ أَنَّ أَحدَ مُحبِّيهِ مِنْ تريم ٱنتقلَ مِنها إِليها ، ولمَّا علِمَ بَدْرُ بوطويرق بتردُّدِهِ . أَمرَ ذلكَ ٱلرَّجُلَ أَنْ يُزيِّنَ لَهُ ٱلزَّواجَ بسيئونَ ، فما زالَ بهِ حتَّى ٱقترنَ بسُلْطانةَ بنتِ مُحمَّدٍ بانجّار ، من قومٍ يَرجعونَ إِلىٰ نجّارِ بنِ نشوانَ مِنْ بني حارثةَ، وقد ٱختُلفَ في بني حارثةَ : فقيلَ : كنديُّونَ . وقيلَ : مذحجيُّونَ[٣] .

وكانتْ لآلِ بانجَّارٍ دولةٌ ببَوْرٍ فٱنمحتْ بدولةِ آلِ كثيرٍ وصاروا سُوقَةً بسيئونَ وغيرِها .

وقد وُلِدَ لجدِّنا عمرَ ولدُهُ طـٰهَ مِنْ سلطانةَ ٱلمذكورةِ ، ونشأَ في حجرِ أُمِّهِ بسيئونَ ،

---

(١) ولكنه مات بعُمَان بجزيرة الصير سنة (١١٥٧هـ) .

(٢) توفي الحبيب عمر الصافي بتريم ، ودفن بها ، ولم تؤرخ وفاته .

(٣) وزاد المقحفي في « معجمه » : ذكر انتسابهم لبني زياد الخولانيين (٢/ ١٧١٨) .

ولمَّا شبَّ . . ذهبَ إِلىٰ تريم ، فضجَّ آلُ سيئونَ وراجَعوهُ ، فعادَ وتزوَّج بها وبنىٰ بها مسْجِدَهُ ٱلمشهور ، ولَم يَزَلْ بها منفرداً بٱلسِّيادةِ إِلىٰ أَنْ توفِّيَ سَنةَ (١٠٠٧هـ) .

ولَهُ ٱبنٌ ٱسمُهُ : عمرُ ، لَهُ حالاتٌ شريفةٌ ، طلبَ ٱلعِلْمَ ، ثمَّ غلبَ عليهِ ٱلتَّصوُّفُ ، وأَكبَّ علىٰ « رسالةِ ٱلقشيريِّ » ، ونقلَها بخطِّهِ ، وكتبَ سبعةَ كراريسَ مِنها في يومٍ واحدٍ .

وكانَ لَهُ ٱتِّصالٌ أَكيدٌ بٱلسَّادةِ آلِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخٍ ٱلعيدروسِ في تريمَ ، لا ينزلُ هناكَ إِلاَّ عليهِم . ولَهُ عباداتٌ جليلةٌ ، وأَوقاتٌ موزَّعةٌ ، توفِّيَ بسيئونَ سَنةَ (١٠٥٣هـ)[١] .

وهوَ والدُ ٱلعلاَّمةِ ٱلجليلِ طٰهَ بنِ عمرَ ٱلثَّاني ، ٱلمتوفَّىٰ بسيئونَ سَنةَ (١٠٦٣هـ) ٱلمترجمُ لَهُ في « ٱلمشرعِ » [٢/٢٨٥] ، ورثاهُ جماعةٌ مِنَ ٱلشُّعراءِ ، فكانت أَبلغَ مرثيَّةٍ فيهِ للشَّيخِ عمرَ بنِ مُحَمَّدٍ باكثير .

وخَلَفَهُ ولدُهُ عمرُ ، توفِّيَ بمكَّةَ سَنةَ (١٠٨٥هـ) ، وسِنُّهُ سبعٌ وعشرونَ سَنةً ، وخَلَفَهُ ٱبنُهُ مُحَمَّدُ بنُ عمرَ بنِ طٰهَ بنِ عمرَ .

وقد رسختْ أَقدامُ هٰذا ٱلبيتِ بسيئونَ ، غيرَ أَنَّهُم كانوا لا يزيدونَ علىٰ سبعةٍ ، متىٰ وُجدَ لأَحدهم ذِكرٌ . . ماتَ أَحدُ ٱلسَّبعةِ حتَّىٰ كانت أَيَّامُ ٱلجدِّ سقَّافِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عمرَ بنِ طٰهَ ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (١١٩٥هـ)[٢] ، فبدؤوا يتكاثرونَ ، ولَم يَمُتْ إِلاَّ وقد بَلغوا ٱلثَّلاثينَ ، إِلاَّ أَنَّ عصاهمُ ٱنشقَّت ، وأَمرَهم ٱنفرج ، وكانوا ـ وهم قليلٌ ـ خيراً منهم بعدَما كثُروا ، وللهِ درُّ حبيبٍ حيثُ يقولُ [في « ديوانه » ١/ ٣٣٠ مِنَ ٱلبسيطِ] :

إِنَّ ٱلْكِـرَامَ كَثِيـرٌ فِـي ٱلْبِـلاَدِ وَإِنْ ... قَلُّوا ، كَمَا غَيْرُهُم قُلٌّ وَإِنْ كَثُرُوا[٣]

---

(١) هو الحبيب عمر بن طه بن عمر الصافي الأول ، ولد بسيئون سنة (٩٩٠هـ) ، وبها توفي ضحى السبت (٢٠) جمادى الثانية (١٠٥٣هـ) .

(٢) الحبيب سقاف بن محمد ، كان عالماً شريفاً عفيفاً ، تولى القضاء ، وتولاه بعده عدد من أولاده ، أفرده بالترجمة ابنه حسن وهي المسماة : « نشر محاسن الأوصاف » ، وقد طُبِعَتْ في مجلَّدٍ صدَرَ عن دار المنهاج .

(٣) المعنىٰ : إِنَّ الكرام لهم شأن عظيم وإن كان عددهم قليلاً ؛ فهم قليلو العدد كثيرو الفائدة ، على العكس من اللِّئام ؛ فإنَّهم وإن كثُر عددهم . لـٰكنَّ فعلهم قليل ، ولا تأثير له .

والشَّريفِ ٱلرَّضيِّ حيثُ يقولُ [في « ديوانه » ١/٥٢٨ مِنَ ٱلبسيط] :

قَلُّوا عَنَاءً وإنْ أَثْرَىٰ عَدِيدُهُمُ ... وَرُبَّمَا قَلَّ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَثُرُوا

وهوَ بيتٌ طيِّبٌ ، مغرسُ عِلْمٍ ، ومنبتُ صلاحٍ ، سيماهُمُ ٱلتَّواضعُ ، وشأنُهُمُ ٱلخمولُ ، يقضونَ حوائِجَهُم بأَنفُسِهِم ، ولا يتميَّزونَ عن أَحدٍ مِنَ ٱلنَّاسِ إلاَّ بٱلعِلْمِ إذا سُئِلوا عنهُ أَو تفتَّحوا في ٱلدُّروسِ .

وكانَ نجوعُهُم مِنْ تريم علىٰ حينِ خللٍ بدأَ في طريقِ ٱلعلويِّينَ ، كما يُعرفُ مِنَ « ٱلفوائدِ ٱلسَّنيَّةِ » لسيِّدي أَحمدَ بنِ حسنٍ ٱلحدَّادِ ، ومِنَ « ٱلعقودِ ٱللُّؤلؤيَّةِ »[١] للعلاَّمةِ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ حسينٍ ٱلحَبْشيِّ ، فٱنحفظت طريقهُم بسيئون عن ذلكَ ٱلخللِ ، وبقَوا علىٰ ما كان عليهِ أَوَّلوهم من ٱلتلزُّمِ بٱلفقهِ ، حَسَبَما قلتُ مِنْ قصيدةٍ أَردُّ بها علىٰ بعضِ ٱلمغترِّينَ مِنْ أَهلِ ٱلبدَعِ والرِّئَاساتِ [في « ديوان المؤلِّف » ق١٩٢ مِنَ ٱلبسيط] :

سَلْ مَنْ أَرَدْتَ فَقَدْ كَانَتْ أُبُوَّتُنَا ... عَلَىٰ طَرِيقٍ مِنَ ٱلإِنْصَافِ مَحْمُودِ

طَرِيقَةٍ مِنْ قَذَى ٱلأَوْهَامِ صَافِيَةٍ ... وَمَنْهَلٍ مِنْ زُلاَلِ ٱلْفِقْهِ مَوْرُودِ

لا يدخلُ مسجدَهُم طبلٌ ولا يراعٌ[٢] ، ولقد عملَ ٱلشَّيخُ عوضُ جبران تابوتاً لقبرِ جدِّي ٱلمحسنِ فمنعتُهُ مِنْ وضعهِ عليهِ .

وكانوا يتوسَّعونَ في ٱلفقهِ ، ويشاركونَ في ٱلتَّفسيرِ وٱلحديثِ ، وليسَ عندَهُم مِنْ علومِ ٱلعربيَّةِ إلاَّ ٱلقليلُ ، ولبعضهِم أَشعارٌ لا تنتهي إلىٰ إجادةٍ . ولَهُم مِنَ ٱلأَعمالِ ٱلصَّالحةِ وتحمُّلِ ٱلمشاقِّ في مجاهدةِ ٱلنُّفوسِ ما لَو لَم أَرهُ عِياناً في مِثلِ والدي . . لَم يَكُنْ لِيَ بما يُذكَرُ عنِ ٱلسَّلفِ سبيلٌ إلى ٱلتَّصديقِ ، لـٰكنْ جاءَ ٱلعِيانُ فأَلْوىٰ بٱلأَسانيدِ .

فلقد نشأَ والدي في طاعةِ ٱللهِ[٣] ، لهوُهُ ٱلتَّحنُّثُ معَ أَترابٍ لَهُ في جبالِ سيئونَ ،

---

(١) اسمه كاملا : « العقود اللؤلؤية في بيان طريق السادة العلوية » . طبع ضمن مجموع بالمطبعة الشرفية بمصر سنة (١٣٢٨هـ) ، على نفقة السيد شيخ بن محمد الحبشي ابن مؤلفه ، يقع في (٣٠) صفحة .

(٢) اليراع : قصبة يُزمَّر بها ، وقد يقال لها : الشبابة ، أو المدروف ، أو الناي .

(٣) أي : الحبيب العالم الورع الزاهد الإمام عبيد الله بن محسن بن علوي بن سقاف ، ولد سنة =

وكانَ يكتفي بوجبةٍ ويتصدَّقُ بالأُخرىٰ ، حتّىٰ عَلِمَ بهِ أَبوهُ لمَّا كانَ يذهبُ بها مِن مخترِفهم إلىٰ من كانوا يعتادونَهُ مِنهُ بالبلدِ ، فنهاهُ .

ومنذ عرفتُهُ وهوَ يقومُ مِنَ ٱلنَّومِ قَبْلَ ٱنتصافِ ٱللَّيلِ فيَخفُّ إِلى ٱلطَّهارةِ ، ثمَّ يُصلِّي سُنَّتَها ، ثمَّ ٱلوترَ إِحدىٰ عشرةَ بحُسنِ قراءَةٍ وطولِ قيامٍ ، ثمَّ يقرأُ حصَّةً مِنَ ٱلقرآنِ بصوتٍ شجيٍّ ، ثمَّ يأْخذُ في الأَورادِ وٱلمناجاةِ ، وكثيراً ما يقولُ في آخِرِ دعائِهِ :

ٱللَّهُمَّ ؛ ٱرحمنا إِذا عَرِقَ مِنَّا ٱلجبينُ ، وٱنقطعَ مِنَّا ٱلأَنينُ ، وأَيسَ مِنَّا ٱلطَّبيبُ ، وبكىٰ علينا ٱلحبيبُ .

ٱللَّهُمَّ ؛ ٱرحمْنا يومَ نُركبُ على ٱلعُودِ ، ونُساقُ إِلى ٱللُّحُودِ .

ٱللَّهُمَّ ؛ ٱرحمْنا إِذا نُسيَ ٱسْمُنا ، وٱندرسَ رَسْمُنا ، وفنينا وٱنطوىٰ ذِكرُنا ، فلَم يَزُرْنا زائِرٌ ، ولَم يَذكُرْنا ذاكرٌ .

ٱللَّهُمَّ ؛ ٱرحمْنا يومَ تُبلى ٱلسَّرائِرُ ، وتُكشفُ ٱلضَّمائِرُ ، وتوضعُ ٱلموازينُ ، وتُنشرُ ٱلدَّواوينُ .

ومتىٰ جاءَ فصلُ ٱلصَّيفِ وٱلخريفِ . . كانَ تهجُّدُهُ علىٰ سطحِ مُصلَّاهُ أَو في بطنِ مسيلِهِ ، فكأَنَّما تؤَوِّبُ معَهُ ٱلجبالُ[1] ، وتكادُ تنقدُّ لِخشوعِهِ ٱلصُّدورُ وتتفطرُ ٱلمرائِرُ[2] ، ثمَّ يُصلِّي ٱلصُّبحَ ونافلتَهُ ، ويأْخذُ في أَذكارِ ٱلصَّباحِ ، حتَّىٰ إِذا أَسفرَ ٱلأُفقُ . . نبَّهني وأَعادَ معيَ ٱلصَّلاةَ وجلسَ يُقرئُني إِلىٰ أَنْ ترتفعَ ٱلشَّمسُ قدرَ رمحٍ ، فيُصلِّي سبحةَ ٱلضُّحىٰ ثمانياً ، وتارةً يختصُّ ٱلإِشراق بركعتينِ ؛ إِذِ ٱلمسأَلةُ خلافيَّةٌ ، فٱلَّذي في « ٱلإِحياء » [١/٣٣٧] أَنَّ صلاةَ ٱلإِشراقِ غيرُ صلاةِ ٱلضُّحىٰ ، وجرىٰ عليهِ في « ٱلعباب » [١/٢٦٣] و« ٱلتُّحفةِ » [٢/٢٣٧ـ٢٣٨] .

= (١٢٦١هـ) ، وتوفي سنة (١٣٢٤هـ) . « التلخيص الشافي » (١٣٢ـ١٣٧) ، « تاريخ الشعراء » (٤/١٧٠ـ١٧٦) .

(١) تُؤَوِّب معه : تردِّد معه بالتَّسبيح ، وهو من قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ .

(٢) جمع مرارة ، كناية عن شدة الهلع .

وقالَ ٱبنُ زيادٍ في « فتاويهِ » : ويظهرُ عدمُ ٱلاكتفاءِ في نيَّتِها بمطلق ٱلصَّلاةِ ؛ لأَنَّها ذاتُ وقتٍ كٱلضُّحىٰ، وقالَ في « الإمدادِ »: وهيَ غيرُ ٱلضُّحَىٰ علىٰ ما قالهُ في « ٱلإحياء ».

فتبرّأً منهُ ، وٱعتمدَ في « ٱلإيعاب » أَنَّها مِنَ ٱلضُّحَىٰ وأَنَّ مقتضى ٱلمذهبِ ٱمتناعُ فِعلِها بنيَّةِ ٱلإِشراقِ ، وعليهِ ٱلرَّمْليُّ في « ٱلنِّهايةِ » ، ومالَ إليه ٱلسَّيِّدُ عمرُ ٱلبصريُّ .

ثمَّ يتناولُ ما تيسَّرَ مِنَ ٱلفُطُورِ ويعودُ إلىٰ مصلاَّهُ ٱلَّذي بناهُ في سَنةِ (١٣٠٠هـ) ، ووقفَ منهُ قطعةً صغيرةً للمسجديَّةِ علينا وعلىٰ ذرِّيَّاتِنا فقط ؛ لِيصحَّ ٱلاعتكافُ فيهِ ، فيَجلسُ للتَّدريسِ بهِ لأُناسٍ مخصوصينَ ؛ هُمُ : ٱلسَّيِّدُ سقَّافُ بنُ علويٍّ بنِ محسنٍ[1] ، وٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ حسينِ بنِ محسنٍ[2] ، وٱلشيخُ عمرُ عبيد حسَّان[3] ، وٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ باكثيرٍ ، وٱلشَّيخُ محفوظُ بنُ عبدِ ٱلقادرِ حسَّانَ[4] ، وأَمَّا ٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ ٱلدِّثنيُّ . . فإِنَّهُ لَزِيمُهُ .

وكلُّ هـٰؤلاءِ حضرَ بعضَ دروسي في ٱلتَّفسير وٱلشَّمائلِ وٱلفقهِ بسيئون ، إلاَّ ٱلسَّيِّدَ سقَّافَ بنَ علويٍّ فإِنَّما حضرَ دروسي بسربايا مِن أَرضِ جاوة في سنةِ (١٣٣٠هـ) .

فإذا قضىٰ أُولئكَ دروسَهُمْ . . ٱستدعاني ليباشرَ تعليمي بنَفْسهِ بعقبِ ٱنصراف ٱلمخصَّصينَ لتعليمي في محلِّنا ؛ إِذْ كانَ يحميني عن مخالطةِ أَبناءِ ٱلنَّاسِ ، ويُسرِّبُ إِليَّ أَولاداً في سِنِّي يرضاهم لِلَّعبِ معي ، يراقبُ أَخلاقَهُم وأَحوالَهُم بنَفْسهِ ، منهمُ ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ حسينِ بنِ محسنٍ ، ومنهم : سالمُ بنُ حسنِ بنِ محمَّدٍ حسَّانَ .

---

(١) ابن عم المؤلف ، ولد بسيئون ، وطلب العلم بها ، هاجر إلى إندونيسيا ، وكان له بها نفع ، فتولى منصب قاضي العرب بسورابايا ، وتوفي بها سنة (١٣٣٦هـ) . « التلخيص » (١٦١) .

(٢) ابن عم المؤلف أيضاً ، ولد سنة (١٢٨٨هـ) ، وتوفي في (٨) رجب (١٣٤٩هـ) ، كان عالماً زعيماً ، قاضياً مصلحاً حكيماً ، وعرف أولاده بآل القاضي ، ومن ذريته : السيد العلامة علوي بن عبد الله ، المتوفى سنة (١٣٩١هـ) بمصر مؤلف كتاب : « التلخيص الشافي في تاريخ آل طه بن عمر الصافي » ، وشيخنا الحبيب العلامة علي بن عبد الله المتوفى بجدة في محرم سنة (١٤٢٣هـ) ، تراجمهم في « التلخيص » (١٤٥ـ١٦١) .

(٣) توفي بسيئون سنة (١٣٥٦هـ) .

(٤) المعروف بقاضي شبام ؛ لإقامته مدة بها في عمل القضاء ، ثم عاد إلى سيئون ، وتوفي بها ، لعله حدود (١٣٤٨هـ) .

ومتىٰ فرغَ مِنْ درسي . . جاءَ إليهِ ٱلدَّثنيُّ يقرأُ عليهِ إلىٰ قريبِ ٱلظُّهرِ ، عندئذٍ يتناولُ ما تيسَّرَ مِنَ ٱلغداءِ ، ثمَّ يقيلُ نصفَ ساعةٍ أَو أَقلَّ ، ثمَّ يتهيَّأُ للظُّهرِ فريضةً ونوافلَ ، وبعدَ أَن يفرغَ فتارةً يحضرُ عليهِ أُولئك ٱلرَّهطُ فيقرؤونَ ، وتارةً يدخلُ إلىٰ أَهلهِ ، وهناكَ تحضرُ ٱلوالدةُ[1] بكتابِها فتقرأُ عليهِ ، كلَّما ٱنتهتْ مِنْ كتابٍ . . شَرعتْ في آخَرَ ؛ لأَنَّها كانتْ مشاركةً في ٱلعِلْمِ ، وأَحياناً يضربُ ٱلسِّترَ ويأْتي ٱلدَّثنيُّ بكتابهِ وسيدتي ٱلوالدةُ مِنْ ورائهِ إلىٰ أَنْ تَجبَ ٱلعصرُ ، فيقوم إلىٰ مصلاَّهُ ويؤَدِّيها نافلةً وفريضةً بطهرٍ مجدَّدٍ ، ثمَّ يشتغلُ بشيءٍ مِنَ ٱلأَورادِ وٱلحزوبِ ، ثمَّ أَحضرُ بكتابي فأَقرأُ درساً ، ثمَّ أَنهضُ لِلَّعبِ معَ أَصحابي ٱلمخصَّصينَ لذلكَ ، وكثيراً ما يزورنا ويراقبُنا ، وربَّما شاركنا ؛ تطييباً لأَنفُسنا دقيقةً أَو دقيقتينِ .

يَـرُوعُ رَكَـانَـةً وَيَـذُوبُ ظَـرْفـاً فَمَـا تَـدْرِي أَشَيْـخٌ أَمْ غُـلاَمْ[2]

ثمَّ يحضرُ ٱلدَّثنيُّ إلى ٱلمغربِ ، وعند ذاكَ يستأْنفُ ٱلطَّهارةَ ، ثمَّ يُؤَدِّي ٱلمغربَ بنوافلِها ٱلرَّاتبةِ وغيرِها ، ثمَّ أَحضرُ بكتابي فأَقرأُ درساً خفيفاً ، ويَخلُفني ٱلدَّثنيُّ في ٱلقراءَةِ إلى ٱلعِشاءِ ، وقد يحضرُ ٱلسَّابقونَ في هٰذا ٱلوقتِ وغيرُهم فيكونُ درسُهُم واحداً .

ثمَّ يؤَدِّي ٱلعِشاءَ بدونِ تجديدِ طهارةٍ ، ثمَّ يُصلِّي راتبَتَهُ ، ويَشتغلُ بأَذكارِ ٱلمساءِ ، ثمَّ يتناولُ ٱلعُلْقةَ مِنَ ٱلطعامِ ، ثمَّ يأْخذُ مضجعَهُ وقد غلبَ عليهِ ٱلخوفُ مِنَ ٱللهِ وٱلشَّوقُ إليهِ ، فقلَّما يَطمئِنُّ بهِ مضجعُهُ ، وهٰكذا دواليكَ .

وقدِ ٱنطبعتْ نَفْسُهُ ـ ورسختْ أَعضاؤُهُ على ٱتِّباعِ ٱلسُّنَّةِ في يقظتهِ وٱنتباههِ ، وقيامهِ وقعودِهِ ، ومدخلهِ ومَخرجهِ ، وقضائهِ للحاجةِ ، وأَكلهِ وشربهِ ـ ٱنطباعاً لا يحتاجُ معَهُ إلىٰ تكلُّفٍ ، بل كثيراً ما أَراهُ يتضجَّرُ مِنَ ٱلنَّهارِ ، ولاسيَّما إذا كثُرَ عليهِ ٱلواردونَ ـ معَ أَنَّ كلامَهُ معَهُم لا يخرجُ عنِ ٱلتَّمجيدِ وٱلتَّحميدِ ، وٱلتَّعريفِ وٱلتَّوحيدِ ، وٱلوعظِ ٱلَّذي

---

(١) هي الشريفة نور بنت محمد بن سقاف مولى خيلة .

(٢) البيت من الوافر ، وهو لأَبي الطيِّب المتنبِّي في « العُكبَريّ » (٤/ ٧٥) . يروع : يفزع . الرَّكانة : الوقار . **الظَّرف** : الحسن .

يلينُ لَهُ ٱلحديدُ ـ فيَحنُّ إلى ٱللَّيالي حنينَ ٱلصبِّ ٱلمشتاقِ إِلىٰ حبيبهِ ٱلقادمِ بعدَ طولِ ٱلفراقِ ؛ لِما يَجِدُهُ مِنْ لذَّةِ ٱلعبادةِ ، وحلاوةِ ٱلتِّلاوةِ ، وعذوبةِ ٱلمناجاةِ ٱلَّتي أَشارَ إِلىٰ مِثلِها ٱبنُ ٱلقيِّمِ في (ص ٣٣١) مِنْ « إغاثةِ ٱللَّهفانِ » .

ومعَ ذلكَ فقد كانَ يتململُ لِما يَجِدُ مِنْ تلكَ ٱللَّذةِ خوفاً أَنْ ينقطعَ بها عنِ ٱلمقصودِ ، أَو تكونَ حظَّهُ مِنَ ٱلعملِ ، وكانَ يحكي مثلَ ذلكَ عن أَبيهِ . وأَقولُ : أَمَّا خوفُ ٱلانقطاعِ بها عنِ ٱلمقصودِ . . فممكنٌ ، وأَمَّا أن تكونَ حظَّهُ مِنَ ٱلعملِ . . فلا ؛ لأَنَّها بعضُ ثمرتِهِ ٱلمعجَّلةِ .

وكانَ آيةً في عزَّةِ ٱلنَّفسِ وٱلصَّدعِ بٱلحقِّ وٱلشِّدَّةِ فيهِ وٱلغَيرةِ عليهِ ، إِلىٰ بسطةِ كفٍّ ، وفرطِ رحمةٍ ، وسلامةِ صدرٍ ، وورعٍ حاجزٍ ، وٱحتياطٍ تامٍّ ، وقناعةٍ بما يجدُ مِنْ حرثهِ ، وما يصلُ مِنَ ٱلفتوحِ إِليهِ مِنْ غيرِ طمعٍ ولا إِشرافِ نَفْسٍ ، فعندَهُ غُفَّةٌ[1] مِنَ ٱلعيشِ ، جمعَ إِليها شعبةً وافرةً مِنَ ٱلقناعةِ ، مغتبطٌ بعيشهِ ، قانعٌ برزقهِ ، راضٍ عن ربِّهِ ، ليسَ لَهُ حجابٌ ، ولا يُغلَقُ عليهِ بابٌ ، وإِنَّما هوَ كما قالَ ٱلسُّلاميُّ [مِنَ الطَّويل] :

كَمَاءِ ٱلْفُرَاتِ ٱلْجَمِّ أَعْرَضَ وِرْدَهُ ... لِكُلِّ أُنَاسٍ فَهْوَ سَهْلُ ٱلشَّرَائِعِ

وكانَ لَهُ في ٱلوعظِ لسانٌ ، ويأْخذُهُ فيهِ حالٌ عظيمٌ يشغلُهُ عن نَفْسهِ ، ولَهُ قلمٌ سيَّالٌ في ٱلمكاتباتِ وٱلرَّسائِلِ ٱلعلميَّةِ ، جَمعَ مِن ذلكَ ٱلفاضلُ ٱلسَّيِّدُ سالمُ بنُ حفيظٍ ما دخلَ في ستَّةِ مجلَّداتٍ .

ولٰكنَّ لسانَهُ أَقوىٰ بكثيرٍ مِنْ قلمهِ .

يَقُولُ عَارِفُ مِقْدَارِ ٱلْكَلَامِ لَهُ ... سُبْحَانَ خَالِقِهِ سُبْحَانَ بَارِيهِ[2]

وطيلةَ حياتي لَم أَسمعْ منهُ لغواً قطُّ ، وكانَ أَعيانُ زمانهِ يعرفونَ منهُ ذلكَ ، فيحاولونَ أَنْ يتسقَّطوهُ ٱلكلامَ ويحتالونَ ليخوضَ معَهُم ، فلا يقدرونَ علىٰ شيءٍ ، فلا أَجدُ لَهُم وإِيَّاهُ مثلاً إِلاَّ ٱلرَّبيعَ بنَ خيثمٍ ؛ إِذْ خَفُّوا إِليهِ يومَ قتلِ ٱلحسينِ ليَستخرجوا منهُ

(١) الغُفَّةُ : البُلغة من العيش .
(٢) البيت من البسيط .

كلاماً ، فأخبروهُ ، فلَم يَزِدْ علىٰ أَنْ قالَ : أَو قد فعلوها ؟! قالوا : نعَمْ .

فرفعَ يديهِ إلى ٱلسَّماءِ وقالَ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[1] .

فما أَشبهَ هـٰذا بذاكَ . لا ينفذُ إلىٰ فعلهِ ٱلتَّعليلُ ، ولا يحتاجُ شيءٌ مِنهُ إلى ٱلتَّأْويلِ ؛ إذْ صارَ هواهُ تبعاً لما جاءَ بهِ نبيُّهُ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، فجاءَ فيه موضعُ قولِ ٱبنِ كناسةَ في إبراهيمَ بنِ أَدهمَ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

أَمَاتَ ٱلْهَوَىٰ حَتَّىٰ تَجَنَّبَهُ ٱلْهَوَىٰ   كَمَا ٱجْتَنَبَ ٱلْجانِي ٱلدَّمَ ٱلطَّالِبُ ٱلدَّمَا

سرورهُ في إقبالِ ٱلخَلْقِ على ٱللهِ ، وحزنُهُ في إعراضِهم عنهُ ، حتَّىٰ لقد كانَ سببُ موتِهِ مِن هـٰذا ٱلبابِ .

وكانَ كثيرَ ٱلأَخذِ عنِ ٱلمشايخِ ، جمَّ ٱلحرصِ على ٱلاستكثارِ مِنَ ٱلأَسانيدِ وٱلاتِّصالِ بسلاسلِ ٱلرِّجالِ وأَئِمَّةِ ٱلحديثِ وٱلطَّريقِ . وقدِ ٱجتمعَ لَهُ ولي بفضلهِ ـ رضوانُ ٱللهِ عليهِ ـ ما لا يوجدُ عندَ أَحدٍ من أَهلِ عصرِهِ ، وللهِ ٱلحمدُ .

وكانَ في أَيَّامِ أُستاذهِ ٱلأَبَرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ يتردَّدُ عليهِ مِنْ أَيَّامِ والدهِ[2] عن أَمرِهِ في كلِّ ثلاثٍ ماشياً ، وبينهُما نحو مِنْ أَربعةِ أَميالٍ أَو أَكثر ، ولقد أَرادَ أَخوهُ في ٱللهِ ٱلشَّيخُ عوضُ بنُ عمرَ شيبان ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ في ٱلغرفةِ أَنْ يشتريَ لَهُ مركوباً ، فأَبىٰ وقالَ : لو أَحسستُ بتعبٍ . . لقبلتُ . ولقد كادَ أَنْ يخرجَ عن إهابهِ مِنَ ٱلطَّربِ ؛ إذْ تمثَّلْتُ لَهُ عندَ مثلِ هـٰذا ٱلكلامِ بقولِ ٱلعبَّاسِ بنِ ٱلأَحنفِ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

أَرَى ٱلطَّرِيقَ قَرِيباً حِينَ أَسْلُكُهُ   إِلَى ٱلْحَبِيبِ بَعِيداً حِينَ أَنْصَرِفُ

وقولِ ٱلآخَرِ [كُثَيِّر عَزَّة في « ديوانهِ » ١٠٩ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلَىٰ أَزُورُهَا   أَرَى ٱلأَرْضَ تُطْوَىٰ لِي وَيَدْنُو بَعِيدُهَا[3]

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ١١١) .

(٢) أي : الحبيب محسن بن علوي ، المتوفى سنة (١٢٩١هـ) ، وعُمُرُ المترجَمِ حينذاك (٣٠) عاماً .

(٣) في « الديوان » : (سُعْدَىٰ) بدل : (لَيْلَىٰ) .

مِـــنَ ٱلْخَفِــرَاتِ ٱلــلاَّءِ وَدَّ جَلِيسُهَــا إِذَا مَـا ٱنْقَضَـتْ أُحْـدُوثَـةٌ لَـو تُعِيـدُهَـا

ثمَّ ظفرَ هو بقولِ ٱلآخرِ [مِنَ السَّريعِ] :

وَٱللهِ مَـــا جِئْتُكُـــمْ زَائِـــرَا إِلاَّ رَأَيْـــتُ ٱلأَرْضَ تُطْـــوَىٰ لِـــي
وَلاَ ٱنْثَنَــىٰ عَــزْمِــيَ عَــنْ بَـابِكُـمْ إِلاَّ تَعَثَّـــرْتُ بِـــأَذْيَــالِـــي

فكانَ كثيرَ ٱلتَّغنِّي بهما ، وهو معنىً واسعٌ للشُّعراءِ فيه مجالٌ ، ولم يَنْسَ ٱلمتنبّي حظَّهُ مِنْ هـٰذا ٱلمعنىٰ ، لـٰكنْ مِنْ غيرِ إجادةٍ ، حيثُ يقولُ [في « العُكبَريّ » ١/ ٦٣ مِنَ الطَّويلِ] :

أَتَـىٰ مَـرْعَشـاً يَسْتَقْـرِبُ ٱلْبُعْـدَ مُقْبِـلاً وَأَدْبَـرَ إِذ أَقْبَلْـتَ يَسْتَبْعِـدُ ٱلْقُـرْبَـا[١]

وكانت ترعدُ عندَهُ فرائصُ ٱلملوكِ ؛ لِما عندَهُم مِنِ ٱحترامِ ٱلحقِّ وهيبةِ ٱلدِّينِ ، ولِما يرونَ عليهِ مِنْ عزَّةِ ٱلإيمانِ وشرفِ ٱلعِلْمِ ، وصولةِ ٱلحَقِّ ، وسلطانِ ٱلصِّدْقِ ، وقوَّةِ ٱليقينِ ، فيأْمرُهُم وينهاهُم ، ولا يُؤَمِّلونَ أبداً في أَنْ يَقبلَ منهُم شيئاً ؛ إِذ كانتِ ٱلشُّبهاتُ في عهدِهِ ـ فضلاً عنِ ٱلحرامِ ـ ظاهرةَ ٱلنَّكارةِ ، فاحشةَ ٱلملامةِ ، حتَّىٰ لقد كانَ مكَّاسُ ٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ ـ ٱلمُسمَّى توفيقاً ـ منبوذاً مُهاناً ، وكثيراً ما يمرُّ بجانبِ مدرسةِ طـٰهَ بنِ عمرَ فيرميهِ صبيانُها بٱلحجارةِ ، فلا يقدرُ على ٱلدِّفاعِ ، ولو دافعَ . . للقيَ أكبرَ .

ولهُ محاسنُ ، وكانَ موتُهُ يومَ ٱلجمعةِ ، فأَشكلَ ذلكَ علىٰ والدي ، فخفَّ إِلى ٱلأُستاذِ ٱلأَبَرِّ فقالَ ـ قبلَ أَن يبلعَ ٱلرِّيقَ ـ : أَحوجُ ٱلنَّاسِ إِلى ٱلجمعةِ : توفيقٌ .

ثمَّ صارَ أَبناءُ ٱلسَّادةِ ٱليومَ يتسابقونَ إِلىٰ مثلِ وظيفتِهِ ، ويتنافسونَ فيها ، ويشمخونَ بأُنوفِهم ؛ ظنّاً أَن قد رفعَتْ مِن أَقدارِهم .

وعلى ٱلجملةِ : فكلُّ ساعاتِهِ ذِكرٌ أَو تذكيرٌ ، أَو قراءَةٌ أَو تدريسٌ ، أَو صلاةٌ يستشعرُ حاضرُها ـ بما يغشاهُ مِنَ ٱلطُّمأْنينةِ وٱلخشيةِ ـ نزولَ ٱلسَّكينةِ ، وشمولَ ٱلرَّحمةِ ، وحضورَ ٱلملائكةِ .

---

(١) مَرْعَش : حصنٌ ببلد الرُّوم من أَعمال مَلَطْيَة .

وما أَلذَّ ما تسمعُ آياتِ ٱلقرآنِ مِنْ لسانهِ في ٱلصَّلاةِ ٱلجهريَّةِ ، بصوتهِ ٱلجهيرِ ، ونغمتهِ ٱلشَّجيَّةِ ، غضَّةً طريَّةً ، تكادُ تنتزعُ ٱلقلوبَ مِنْ أَماكِنها ، ويخيَّلُ لَهم أَنَّهُم لَم يَسمعوها مِنْ قَبْلُ ، وأَنَّها إِنَّما نزلت تلكَ ٱلسَّاعة ، حتَّىٰ ليحسبُ ٱلمقتدونَ بما يَشملهُم مِنَ ٱللَّذَّةِ ويَغمرهُم مِنَ ٱلهيبةِ ويستولي عليهم مِنَ ٱلخشوعِ أَنْ قدِ ٱنفصلَوا عن عالَمِ ٱلحسِّ ، وٱلتحَقوا بعوالِمِ ٱلقُدْسِ ، بحيثُ لا يمكنُ لمسبوقٍ أَنْ يقرأَ (ٱلفاتحةَ) من خلفِهِ .

وَأَذْكُـرُ أَيَّـامِـي لَـدَيْـهِ فَـأَنْثَنِـي ... عَلَـىٰ كَبِـدِي مِـنْ خَشْيَـةٍ أَنْ تَقَطَّعَـا[1]

وما أَذكرُ صلاةً أَشفىٰ للنَّفْسِ ، وأَجمعَ للقلبِ ، وأَبردَ للخاطرِ وأَنفىٰ للهمِّ ، وأَدنىٰ إِلى ٱلإِخلاصِ مِنْ صلواتي في ٱلجهريَّاتِ خَلْفَهُ ، وخَلْفَ شيخِنا ٱلفاضلِ ٱلشَّيخِ حسنِ بنِ عوضِ بنِ زينٍ مُخَدَّمْ ، وصلواتي خَلْفَ ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ جهريَّةً كانت أَو سرِّيَّةً ؛ فإِنَّهُ يسري إِلينا سرٌّ مِن إِخلاصِهِ ، يلذُّ لنا بهِ ٱلتَّطويلُ مطلقاً .

وأَذكرُ أَنَّ أَوَّلَ صلاةٍ كانت لي بٱلمسجدِ ٱلحرامِ لمَّا حجَجنا في سَنةِ (١٣٢٢هـ) هيَ ٱلصُّبحُ خَلْفَ واحدٍ مِنَ ٱلعلماءِ ـ يُدعىٰ فيما أَتوهَّمُ خَوْقير ـ قرأَ في ٱلأُولىٰ بٱلتِّينِ فكادَ ٱلقلبُ يخرجُ عن شِغافهِ عندَ إِشارتهِ إِلى ٱلبلدِ بقولهِ : ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ ثمَّ ما كفاهُ حتَّىٰ قرأَ في ٱلثَّانيةِ سورةَ ـ (قريشٍ) فلا تَسَلْ عمَّا داخلَني عندَ إِشارتهِ إِلى ٱلبيتِ ـ وما بيننا وبينَهُ إِلاَّ ثمانيةُ أَذرعٍ أَو أَقلُّ ـ بقولهِ : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ فلولا ٱلاعتصامُ بٱلأَجَلِ . . لالتحقت ٱلرُّوحُ بٱلباري عزَّ وجلَّ ، ولٰكنِّي :

ضَمَمْـتُ عَلَـىٰ قَلْبِـي يَـدَيَّ مَخَـافَـةً ... وَقَـدْ قَـرَعَتْـهُ بِـٱلْغَطَـاةِ ٱلْقَـوَارِعُ[2]

وَمَـا يَنْفَـعُ ٱلْقَلْـبَ ٱلَّـذِي طَـاشَ لُبُّـهُ ... لِتِلْـكَ ٱلْمَعَـانِـي أَنْ تَضُـمَّ ٱلأَصَـابِـعُ

---

(١) البيت من ٱلطَّويلِ ، وهو للصِّمَّة بن عبد الله القشيريِّ ، بتغيير بسيط .

(٢) البيتان من ٱلطَّويل ، وهما كما عند ابن نباتة السَّعديِّ :

أَضُـمُّ عَلَـىٰ قَلْبِـي يَـدَيَّ مَخَـافَـةً ... إِذَا لاَحَ لِـي بَـرْقٌ مِـنَ ٱلشَّـرْقِ لاَمِـعُ

وَمَـا يَنْفَـعُ ٱلْقَلْـبَ ٱلَّـذِي بَـانَ إِلْفُـهُ ... إِذَا طَـارَ شَـوْقـاً أَنْ تَضُـمَّ ٱلأَصَـابِـعُ

وكثيراً ما شنَّفَ سمعيَ ، وٱستوكفَ دمعيَ ، وٱمتلكَ لبِّي ، وٱستأْسرَ قلبيَ ما سمعتُهُ مِنْ قراءةِ إمامِ ٱلحرم بأَوساطِ ٱلمفصَّلِ في صلاةِ ٱلصُّبحِ سَنَةَ (١٣٥٤هـ) ، وتذكَّرتُ صلاةَ والدي ، إلاَّ أَنَّ تلكَ أَخشعُ وقراءةَ إمامِ ٱلحرمِ أَجودُ وأَسمعُ ، فهوَ مقرىءٌ غيرُ مدافَعٍ ، ولٰكنَّ خطابتَهُ دونَ ما يليقُ بٱلمسجدِ ٱلحرامِ ٱلَّذي يطلبُ بلاغةً تتفرَّىٰ لها ٱلأُهبُ ، وتكادُ لها ٱلنُّفوسُ تنتهب .

ثـمَّ إنَّ والـدي رحمـهُ ٱللهُ مـعَ مـا سَبَـقَ كلِّـه لَـمْ يَكُـنْ بـٱلمتـزمِّـتِ ولا بـٱلمتنطِّعِ ولا بٱلمُنْقَبِضِ ، بل لا يفارقُ ثغرَهُ ٱلابتسامُ في سرَّاءَ ولا ضرَّاءَ ، ولَهُ في ٱلدُّعابةِ مذهبٌ جميلٌ ، يُخرجُهُ عن طريقِ ٱلمُرائِينَ ٱلمتصنِّعِينَ ، ويُحلِّيهِ بقولِ ٱلمتنبِّي [في « العُكبَرِيِّ » ٢/٢٨٧ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

تَفَكُّـرُهُ عِلْـمٌ ، وَسِيـرَتُـهُ هُـدَىً ... وَبَـاطِنُـهُ دِيـنٌ ، وَظَـاهِـرُهُ ظَـرْفُ

فلَهُ معنا ـ ولاسيَّما عندَ ٱلأكلِ ، بل وفي مثاني ٱلدُّروسِ عندَ ٱلمناسَباتِ ـ مفاكهاتٌ شهيَّةٌ ، ومنادراتٌ لذيذةٌ ، وتراهُ يُصغي بسمْعِهِ وقلبِهِ لِما أُنشدُهُ إيّاهُ مِنَ ٱلأَبياتِ ٱلأَدبيّةِ عندَ ٱلمقتضياتِ ، ويطرَبُ لذلكَ ويستعيدُهُ .

وقد سبقَ أَنَّهُ يُشاركني أَحياناً في ٱللَّعِبِ إيناساً لي ، وضنَّةً بيَ عن مخالطةِ ٱلأَضدادِ ، فلَم تَكُنِ ٱلهيبةُ ٱلغالبةُ عليهِ هيبةَ تعاظُمٍ ولا ترفُّعٍ ، كلاَّ وٱللهِ ، ثمَّ كلاَّ وٱللهِ ، ولٰكن كما قالَ أَبو عبادةَ [في « ديوانه » ٢/٣٠٩ مِنَ ٱلبسيطِ] :

يُهَـابُ فِينَـا وَمَـا فِـي لَحْظِـهِ شَـزَرٌ ... وَسْـطَ ٱلنَّـدِيِّ وَلاَ فِـي خَـدِّهِ صَعَـرُ[١]

وإنْ كانَ ليجرُّني ٱلرَّسنُ فأُناقشُهُ ٱلمسائِلَ وأُجاذبُهُ ٱلبحثَ فلا يزيدُهُ إلاَّ سروراً وٱغتباطاً ، علىٰ شرطِ أَن أَتوكَّأَ على ٱلدَّليلِ وأَعتمدَ على ٱلنَّصِّ . ولقد جَهِدْتُ أَنْ أَتعلَّقَ لَهُ بِهَفْوةٍ أَحتجُّ بها عندما يُناقشني ٱلحسابَ على ٱلمباحاتِ ، ويُكلِّفني ٱلصَّعبَ مِنَ ٱلمجاهَداتِ فلَم أَستطعْ .

---

(١) **الشَّزر** : النَّظر بمؤَخَّر العين ، ويكون عند الغضب . **النَّديُّ** : مجلس القوم . **الصَّعَر** : إمالة الخدِّ عن النَّاس تكبُّراً .

وقد سُئِلَ ٱلحسنُ ٱلبصريُّ عن عَمرِو بنِ عبيدٍ[1] ، فقالَ : (لقد سأَلْتني عن رجلٍ كَأَنَّ ٱلملائِكَةَ أَدَّبتْهُ ، وكَأَنَّ ٱلأنبياءَ ربَّتْهُ ، إنْ قامَ بأمرٍ . . قعدَ بهِ ، وإِنْ قعدَ بأَمرٍ . . قامَ بهِ ، وإِنْ أَمرَ بشيءٍ . . كانَ أَلزمَ ٱلنَّاسِ لَهُ ، وإِنْ نهىٰ عن شيءٍ . . كانَ أَبعدَ ٱلنَّاسِ عنهُ ، مارأَيتُ ظاهراً أَشبهَ بباطنٍ منهُ)[2] ، وكأَنَّما نظرَ في هـٰذا بلحظِ ٱلغيبِ إلىٰ والدي ، فإِنَّهُ ٱلوصفُ ٱلَّذي ينطبقُ عليهِ تماماً ، لا يأْنفُ مِنْ حقٍّ ، ولا يتقدَّمُ إِليهِ بباطلٍ ، فلَهو وٱللهِ من أَحقِّ ٱلنَّاسِ بقولِ كثيرٍ [في « ديوانه » ١٤٥ مِنَ ٱلطَّويل] :

تَـرَى ٱلْقَــوْمَ يُخْفُــونَ ٱلتَّبَسُّــمَ عِنْــدَهُ وَيُنْــذِرُهُــمْ عُــورَ ٱلْكَـلاَمِ نَـذِيـرُهَـا[3]
فَـلاَ هَـاجِـرَاتُ ٱلْقَـوْلِ يُـؤْثَـرْنَ عِنْـدَهُ وَلاَ كَلِمَـاتُ ٱلنُّصْـحِ يُقْصَـىٰ مُشِيـرُهَـا

وقولِ كعبِ بنِ سعدٍ ٱلغنويِّ [مِنَ ٱلطَّويل] :

إِذَا مَــا تَــرَاءاهُ ٱلــرِّجَــالُ تَحَفَّظُــوا فَلَــمْ يَنْطِقُــوا ٱلْعَــوْرَاءَ وَهْــوَ قَــرِيــبُ

ولَئِنْ قالَ ٱبنُ عنقاءَ : (إِذا قيلتِ ٱلعوراءُ . . أَغضىٰ) فإِنَّ هـٰذا إِذا قيلتِ : ٱلعوراءُ . . غضبَ ، بل لا أَذكرُ أَنَّ أَحداً نطقَ في مجلسِهِ بكلمة غِيبةٍ أَو نحوِها .

وكذلكَ كانَ يقولُ عنهُ ٱلشَّيخُ ٱلدِّثنيُّ ، ويُكثرُ ٱلتَّعجُّبَ مِن ذلكَ ، وهوَ أَشدُّ وأَقدمُ له لزاماً منِّي .

ومعَ هـٰذا كلِّهِ فما هوَ إِلاَّ صورةٌ مصغَّرةٌ مِنْ أَحوالِ والدهِ وأَحوالِ سيِّدِنا ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ ، وكلَّما ٱستكثرْنا أَعمالَهُ . . قلَّلَ مِنها بٱلنِّسبةِ لأَعمالِهم ، وأُقسمُ أَنَّهُ غيرُ هاضمٍ لِنَفْسهِ ، ولـٰكنَّهُ مُخبرٌ بٱلواقعِ .

وعلىٰ مِثلِ حالهِ رأَيتُ سيِّدي شيخانَ بنَ محمَّدٍ ٱلحَبْشيَّ ، علىٰ ضيقٍ في عطفِهِ ، وخشونةٍ في خلقِهِ ، وإِلاَّ . . فقد كانَ هـٰذا أَوسعَ عِلماً وأَكثرَ عبادةً ، وأَشدَّ مجاهدةً

---

(١) هو عمرو بن عبيد بن باب ، وقيل : ابن كيسان ، التميمي المعتزلي مولاهم أبو عثمان البصري . ولد سنة (٨٠هـ) ، ومات سنة (١٤٢هـ) ، ترجمته مطولة في « تهذيب الكمال » ومختصراته .

(٢) انظر ترجمة عمرو بن عبيد ، والقصَّة هـٰذه في « وفيات الأعيان » (٣/ ٤٦٠) .

(٣) عور الكلام : قبيحه .

للنَّفسِ ، إلاَّ أَنَّ والدي كانَ أَجْودَ وَأَسمحَ ، وأَنصحَ وأَفصحَ ، وأَرأَفَ وأَعطفَ ، وأَظرفَ وألطفَ .

وكانَ سيِّدي عبدُ ٱللهِ بنُ حسنٍ ٱلبحرُ علىٰ قريبٍ مِنْ تلكَ ٱلحالِ ، بل هوَ أَندىٰ بناناً ، وأَشجعُ جَناناً ، وأَكثرُ ضِيفاناً ، وأَطولُ قياماً وركوعاً ، وأَغزرُ بكاءً وخشوعاً ، إلاَّ أَنَّ والدي كانَ أَكثرَ عِلْماً وَأَغزَرَ فهماً ، وأَبلغَ لساناً ، وأَفصحَ بياناً ، وأَحلىٰ لفظاً وأَنجعَ وعظاً .

ولقد أُشهدتُ منهما مشهداً عجيباً بمنزلِ سيِّدي ٱلفاضلِ محمَّدِ ٱبنِ ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ ٱلمُسمَّىٰ : باوعيل في شرقيِّ تَرِيسَ سنةَ (١٣١٨هـ) ، تذاكرا فيهِ أَحوالَ ٱلإمامِ ٱلبحرِ وٱلأُستاذِ ٱلأَبَرِّ وشدَّةَ خوفهما مِنَ ٱلباري عزَّ وجلَّ ، وفرطَ ٱنكسارِهما بينَ يديهِ ، وجرىٰ لهما مثلُ ما جرىٰ لابنِ ٱلمنكدرِ وأَبي حازمٍ ؛ فقد ذكرَ غيرُ واحدٍ أَنَّ ٱبنَ ٱلمنكدرِ صلَّىٰ وبكىٰ ، ففزعَ أَهلُهُ حتَّى ٱستعانوا بأَبي حازمٍ . . فقالَ لهُ : ما ٱلَّذي يُبكيكَ حتَّىٰ رُعتَ أَهلك؟

قالَ : مَرَّ بي قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ ، فصعقَ أَبو حازمٍ وٱشتدَّ بكاؤُهما ، فقالَ بعضُ أَهلِ ٱبنِ ٱلمنكدرِ لأَبي حازمٍ : جئنا بك لِتُفرِّجَ عنهُ فزدتَهُ . فقريبٌ مِن ذلكَ جَرىٰ لوالدي معَ ٱلقانتِ ٱلأَوَّابِ ٱلبحر يومئذٍ ، وكانا جاءا للترويحِ . . فعادا في مأْتمٍ .

وعلى **ٱلجُمْلَةِ** : فقد كانَ كثيرٌ ممَّنْ أَدركناهُم وأَخذنا عنهُم علىٰ غِرارِهم ، وشريفِ آثارِهم ؛ كسادتي : عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ بنِ سميطٍ ، ٱلمتوفَّىٰ بشبام سَنَةَ (١٣١٣هـ) . وأَحمدَ بنِ محمَّدٍ ٱلكافِ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريم سَنَةَ (١٣١٧هـ) . وعبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ حامدٍ ٱلسَّقَّافِ ، ٱلمتوفَّىٰ بسيئونَ سَنَةَ (١٣١٦هـ) . وٱلشَّيخ عُمَرَ عُبُودٍ بلخيرٍ ، ٱلمتوفَّىٰ بالغرفة في حدودِ سنة (١٣١٦هـ) . وعبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ مُحَمَّدٍ ٱلمشهورِ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريم سَنَةَ (١٣٢٠هـ) .

والشَّيخِ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلخطيبِ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريمَ سنةَ (١٣٣١هـ) . وٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ قعيطبانَ ، ٱلمتوفَّىٰ بها سنةَ (١٣١٦هـ) . وٱلشيخ أَحمدَ بنِ

عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ ٱلخطيبِ ، ٱلمتوفَّىٰ بها سنةَ (١٣٣٣هـ) . وٱلسَّيِّد عيدروسِ بن علويٍّ ٱلعيدروسِ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريم سَنةَ (١٣٢٠هـ) . وأخيه مِنَ ٱلأُمِّ ٱلسَّيِّدِ شيخِ بنِ عيدروسِ بنِ محمَّدٍ ٱلعيدروسِ ٱلمتوفَّىٰ بها سنةَ (١٣٣٠هـ) . وٱلسَّيِّد علويِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ ، ٱلمتوفَّىٰ بسيئون سَنةَ (١٣٢٨هـ) . وٱلشَّيخِ حسنِ بنِ عوضِ بنِ زينِ بنِ مخدَّمٍ ، ٱلمتوفَّىٰ ببور سَنةَ (١٣٢٨هـ) . وٱلسَّيِّد أَحمدَ بنِ حامدِ بنِ سميطٍ ، ٱلمتوفَّىٰ بشبام سَنةَ (١٣٣١هـ) . وطاهرِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ سميطٍ ، ٱلمتوفَّىٰ بشبام أيضاً سَنةَ (١٣٣١هـ) . وٱلسَّيِّد عبدِ ٱلقادرِ بنِ أَحمدَ بنِ قِطْبَان ، ٱلمتوفَّىٰ بسيئون سَنةَ (١٣٣٤هـ) . وٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليِّ بنِ شهابٍ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريم سَنةَ (١٣٤٠هـ) .

ومَنْ في طبقاتهم ممَّنْ لَم تَحضرني أَسماؤُهم حالَ رَقْمِ هـٰذا ، فقد كانوا بتفاوتِ ٱلدَّرجاتِ ٱلعِلميَّةِ أَراكينَ إِسلامٍ ، وجمالَ أَيَّامٍ .

وُجُــوهٌ عَلَيْهَــا لِلْقَبُــولِ عَــلاَمَــةٌ   وَلَيْـسَ عَلَـىٰ كُـلِّ ٱلْـوُجُـوهِ قَبُـولُ[1]

وُجُـوهٌ إِذَا مَـا أَسْفَـرَتْ عَـنْ جَمَـالِهَـا   سَجَــدْنَ عَلَــىٰ أَعْتَــابِهِــنَّ عُقُــولُ

أَمَّا مَنْ قَبْلَهُم ؛ كسادتي : أَحمدَ بنِ عمرَ بنِ سميطٍ ، وسيدِ ٱلوادي ٱلحسنِ بنِ صالحِ ٱلبَحْرِ ، وعبدِ ٱللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ ، وعبدِ ٱللهِ بنِ حسينِ بلْفَقِيه ، وعبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ باسَوْدان ، وعبدِ ٱللهِ بنِ سعدِ بنِ سميرٍ ، وجدِّي ٱلمحسنِ ، وعبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ بنِ يحيىٰ ، وٱلإِمامِ ٱلمحضارِ ، ومَنْ علىٰ شاكلتهم مِنْ تلكَ ٱلطَّبقةِ . . فقد كانوا أَفضلَ فريقاً ، وأَقومَ طريقاً .

جَمَالَ ذِي ٱلأَرْضِ كَانُوا فِي ٱلْحَيَاةِ وَهُمْ   بَعْدَ ٱلْمَمَاتِ جَمَالُ ٱلْكُتْبِ وَٱلسِّيَرِ[2]

وقد ذكرَ سيِّدي عبدُ ٱللهِ بنُ حسينِ بنِ طاهرٍ في (ص١٠٧) من « مجموعه » جماعة مِنْ أَفاضل من رآهم وعاشرهم بهم تقرُّ ٱلنَّواظرُ ، وتبردُ ٱلخواطرُ ، وتطيبُ ٱلأَخبارُ ، وتزَّيَّنُ ٱلأَسمارُ ، ومعَ هـٰذا كلِّهِ فلا أَتصوَّرُ أَحداً يتفضَّلُ علىٰ سيِّدي ٱلأُستاذِ

---

(١) البيتان من الطَّويل .

(٢) البيت من البسيط ، وهو لأَبي العلاءِ المعرِّي في « سقط الزند » (٥٩) .

ٱلأَبرُّ ؛ وما أدري أذلكَ هوَ ٱلواقعُ؟ أَو إِنَّما هيَ دهشةُ ٱلنَّظَرِ ، وقد قالَ أَبو ٱلطَّيِّبِ [في « ٱلعُكبَريِّ » ٣/ ٨١ مِنَ ٱلبسيطِ] :

خُـذْ مَـا تَـرَاهُ وَدَعْ شَيْئـاً سَمِعْـتَ بِـهِ فِي طَلْعَةِ ٱلشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

وربَّما كانَ في مِثلِ هٰذا إِساءةُ أَدبٍ مِنَّا ؛ إِذِ ٱلعِلْمُ للهِ ، وما نظنُّ إِلاَّ ظنّاً ؛ لأَنَّ شمائِلَهُ لَم تَكُنْ لتخرجَ ـ بعدَ ٱستثناءِ ٱلجهادِ ـ عن شمائِلِ جدِّهِ ٱلمصطفىٰ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ ، وهٰهنا موضعُ قولِ كَشَاجِمٍ :

لَـوْلاَ عَجَـائِـبُ صُنْـعِ ٱللهِ مَـا نَبَتَـتْ تِلْكَ ٱلْفَضَائِلُ فِي لَحْمٍ وَلاَ عَصَبِ[١]

وإِنَّما أَسهبتُ في ٱلموضوعِ معَ خروجِهِ عنْ سمتِ ٱلمقصودِ ؛ لأَنَّ ٱلزَّمانَ ٱنحطَّ دُفعةً ، وتراذلَ فجأَةً ، فلَم تكتحلْ عيونُ ٱلمتأَخِّرينَ بأَحدٍ مِنْ أَمثالِ أُولئِكَ ٱلَّذينَ :

رَضِعُـوا لِبَـانَ ٱلْمَجْـدِ فِـي حِجْـرِ ٱلْعُـلاَ فَعَلَـوْا عَلَـى ٱلأَكْفَـاءِ وَٱلأَنْـدَادِ[٢]

وَأَظَلَّهُـم بَيْـتُ ٱلنُّبُـوَّةِ وَٱبْتَنَـوْا شَـرَفـاً عَلَـىٰ شَـرَفٍ بِغَيْـرِ حِـدَادِ

فَلَهُـمْ إِذَا مَـا زُرْتَهُـمْ وَخَبِـرْتَهُـمْ شَـرَفُ ٱلْمُلُـوكِ وَسِيـرَةُ ٱلـزُّهَّـادِ

قَـوْمٌ إِذَا سَفَـرُوا حَسِبْـتَ وُجُـوهَهُـم لِلنَّـاظِـرِيـنَ أَهِلَّـةَ ٱلأَعْيَـادِ

فأَحببتُ تقريرهُم بهِ عن مشاهَدةٍ بٱلعينِ ؛ كيلا تحملَهُمُ ٱلظُّروفُ ٱلسَّيِّئَةُ بقياسِ ٱلمشاهَدةِ علىٰ إِنكارِهم وتوهُّمِ ٱستحالتِهِم ، وما كانوا إِلاَّ كما قالَ ٱلقُطاميُّ ، أَو لقيطُ بنُ زرارةَ :

أَضَـاءَتْ لَهُـمْ أَحْسَـابُهُـمْ وَوُجُـوهُهُـمْ دُجَى ٱللَّيْلِ حَتَّىٰ نَظَّمَ ٱلْجِزْعَ ثَاقِبُهْ[٣]

---

(١) البيت من البسيط ، وهو ليس لكشاجم ، بل لابن الرومي من قصيدته الطويلة التي مطلعها :

مَـا أَنْـسَ لاَ أَنْـسَ هِنْـداً آخِـرَ ٱلْحُقُـبِ عَلَـى ٱخْتِـلاَفِ حُـرُوفِ ٱلـدَّهْـرِ وَٱلْعُقُـبِ

وعدد أبيات القصيدة (١٤٠) بيتاً .

(٢) الأبيات من الكامل ، وهي لناصح الدِّين الأرَّجاني .

(٣) الأبيات من الطَّويل ، وهي ليست للقطاميِّ ، ولا للقيط بن زرارة ، بل لأبي الطَّمَحان القينيِّ ، كما في « ديوان الحماسة » (٢/ ٢٧١ـ٢٧٢) . دجى اللَّيل : ظلمته . نظَّم : جمع . الجزع : الخرز اليماني . ثاقبه : الَّذي يضمه .

نُجُـومُ سَمَـاءٍ كُلَّمَـا ٱنْقَضَّ كَـوْكَـبٌ بَـدَا كَـوْكَـبٌ تَـأْوِي إِلَيْـهِ كَـوَاكِبُـهْ
وَمَـا زَالَ مِنْهُـمْ حَيْـثُ كَـانُـوا مُسَـوَّدٌ تَسِيرُ ٱلْمَعَـالِي حَيْثُ سَـارَتْ رَكَـائِبُـهْ

لا يُفْقَدُ منهم زعيم . . إلاّ سدَّ مسدَّهُ رجلٌ عظيم ، وكلَّما غابَ منهم نجيب . . سدُّوا معاوِزَ فقدِهِ بلبيب ، قالَ ٱلشَّريفُ ٱلرَّضيُّ [في « ديوانِهِ » ١/ ٥٠٠ مِنَ ٱلخفيفِ] :

كُلَّمَـا غَـابَ مِـنْ بَنِـي خَلَـفٍ بَـدْ رٌ يُضِـيءُ ٱلظَّـلاَمَ أَخْلَـفَ بَـدْرَا
نَقَـضَ ٱلـدَّهْـرُ مِنْهُـمُ ثُـمَّ أَعْيَـوْ هُ بُـدُوراً مِـنَ ٱلْمَطَـالِـعِ تَتْـرَىٰ

ومازالَ والدي علىٰ فِعلهِ ٱلجميلِ وسعيهِ ٱلجليلِ إلىٰ أنْ توفِّيَ علىٰ ذِكرِ ٱللهِ في يومِ ٱلجمعةِ (٢١) جمادى ٱلأُولىٰ مِنْ سَنةِ (١٣٢٤هـ)[١] .

ولْنَعُدْ على ٱلبدءِ . . فممَّنْ سكنَ سيئونَ : ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ عليِّ بنِ عقيلٍ ٱلسَّقَّافُ[٢] .

هُمَـامٌ يَلْمَعِـيٌّ مِـنْ قُـرَيْـشٍ كَـأَنَّ جَبِينَـهُ فَلَـقُ ٱلصَّبَـاحِ[٣]
عَلَيْـهِ سِيمِيَـاءُ ٱلْمَجْـدِ بَـادٍ وَعُنْـوَانُ ٱلْفَضَـائِـلِ وَٱلسَّمَـاحِ

كانَ أَبوهُ يتردَّدُ إلىٰ سيئونَ ، ثمَّ ٱقترنَ بسَلاَمةَ بنتِ ٱلحبيبِ عليٍّ[٤] بنِ عمرَ بنِ طـٰهَ بنِ عمرَ ٱلسَّقَّافِ ، فأَولدَها إيَّاهُ .

وفي « ٱلمواهبِ وٱلمننِ » : (أَنَّ والدَ ٱلسَّيِّدِ عليٍّ كانَ يتردَّدُ إلى ٱلحاوي علىٰ حصانٍ معهُ إلىٰ عندِ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ، وكانَ ساكناً بٱلمسفلةِ ، ولهُ ٱبنٌ يُقالُ لهُ :

---

(١) ولم يُعْقِب الحبيب عبيد الله من الذكور سوى ابنه عبد الرحمٰن مؤلف الكتاب ، وثلاث بنات ، أعلمهن وأشهرهن ذكراً الشريفة علوية التي كانت تعقد مجالس العلم للنساء فيأتينها من أطراف البلد ، بل ومن خارجها للانتفاع بها ، وكان مجلسها يعقد مرتين في الأسبوع ، وقد توفيت حدود سنة (١٣٨٠هـ) . « التلخيص » (١٤٣) .

(٢) ولد الحبيب علي بن عبد الله بسيئون ، وتوفي بها كما ذكر المؤلف ، أما والده . . فمقبور بقسم ، توفي بها سنة (١١٢٣هـ) .

(٣) البيتان من الوافر ، وهما للشريف الرضي في « ديوانه » (١/ ٢٤٦) بتغيير يسير .

(٤) ولد بسيئون سنة (١٠٢٠هـ) ، وتوفي سنة (١٠٧٤هـ) ، كان من علماء سيئون البارزين ، تولى الإفتاء والقضاء بها . « التلخيص » (٢٥) .

سقاف ، أَكبرُ مِن عليٍّ ، إلاَّ أَنَّ علياً كانَ أَكثرَ منهُ بحثاً وقراءةً ، ونشأ في ضنكٍ مِنَ ٱلمعيشةِ وشدَّةٍ شديدةٍ ، وكانَ إذا جاءَ إلى ٱلحاوي هوَ وزوجتُهُ . . ينسونَهم بلا غداءٍ ، ولـٰكنَّ ٱلقطبَ ٱلحدَّادَ كانَ يتفقَّدُهم بنفسِهِ ، ثمَّ فتحَ ٱللهُ عليهِ آخرَ عمرِهِ بسيئونَ ، فكانَ يكثرُ مِن شربِ ٱلسَّمنِ بٱلليلِ فذهبَ بصرُهُ) اهـ

وقد ترجمَهُ سيِّدي عمرُ بنُ سقَّافٍ وهوَ حفيدُهُ مِن بنتِهِ بجزءٍ خاصٍّ .

وكانَ ـ أعني ٱلحبيبَ علياً ـ كثيرَ ٱلتَّنقُّلِ في ٱلبلدانِ[1] ، ولاسيَّما حوطةِ ٱلشَّيخةِ سلطانةَ بنتِ عليٍّ ٱلزُّبَيديِّ ، ثمَّ سارَ إلى ٱلهندِ وعادَ ـ متجرِّداً عنِ ٱلدُّنيا كما بدأَ ـ إلىٰ سيئونَ ، ولَم يَزَلْ يتنقَّلُ في ديارٍ مِنها حتَّىٰ عمَّرَ مكانَهُ ٱلَّذي بيثْمِهْ ، فكانَ منهلاً للواردينَ ، ومرجعاً للطَّالبينَ ، وٱستقرَّ فيهِ يقري ٱلضِّيفانَ ، وينشرُ ٱلعرفانَ حتَّىٰ ماتَ بها في سَنةِ (١١٨١هـ) ، وقُبرَ بجانبِ مسجدِهِ في شَرْقيِّهِ بدونِ وصيَّةٍ منهُ ، بل قيلَ لَهُ في مرضِ موتِهِ : أَينَ تُحبُّ أَنْ يكونَ قَبْرُكَ ؟ فقالَ : حيثما يريدُهُ ٱللهُ .

ولَهُ ذرِّيَّةٌ صالحونَ ، مِنْ أَواخرِهم : حفيدُهُ ٱلمُعمَّرُ مُحَمَّدُ بنُ أَحمدَ بنِ عليِّ بنِ عبدِ ٱللهِ ، توفِّيَ بسيئونَ في رابعِ ذي ٱلقعدةِ سَنَةَ (١٣٠٧هـ) عن مئة وخمسةَ عشرَ ربيعاً ، وقد حضَرْتُهُ وقرأتُ عليهِ ، وباركَ عليَّ ودعا ليَ وأَلبسني بفضلِ والدي رضوانُ ٱللهِ عليهم .

وقد أَدركَ ٱثني عشرَ عاماً مِن حياةِ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ حسنٍ ٱلحدَّادِ وهوَ قد أَدركَ خمسَ سنينَ مِن حياةِ جدِّهِ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ .

ومِنْ ذرِّيَّتِهِ : ٱلفاضلُ ٱلمحبُّ لِلعِلْمِ وأَهلِهِ ، ٱلوَصُولُ للأَرحامِ : أَحمدُ بنُ جعفرِ بنِ أَحمدَ بنِ عليِّ بنِ عبدِ ٱللهِ[2] ، ٱلمتوفَّىٰ بسيئونَ سَنةَ (١٣٢٠هـ) عن عمرٍ

(١) أخذ عن الإمام الحداد ، وعن الحبيب علي بن عبد الله العيدروس صاحب سورت بالهند ، وهو ممن اختصر كتاب « مجمع الأحباب » للواسطي ، وسمى مختصره : « لب اللباب » ، وهو غير مختصر الحبيب محمد بن زين بن سميط المسمى بنفس الاسم .

(٢) هو الحبيب أحمد بن جعفر بن أحمد بن الحبيب علي . . ولد بسيئون ، وتوفي بها في (٤) صفر سنة (١٣٢٠هـ) ، وهو ثالث ثلاثة إخوة كلهم صالحون أخيار ، والآخران هما : عبد الرحمـٰن توفي بمكة=

يُناهزُ ٱلمئةَ . وقد أخذتُ عنهُ بفضلِ والدي مرَّةً في ٱلحِجَّةِ مِنْ سَنةِ (١٣٠٩هـ) بمكانهِ ، وأُخرىٰ بمكانِنا عَلَم بدْر ليلةَ ٱلإثنينِ (٧) ٱلقعدة مِنْ سَنةِ (١٣١٣هـ) ، فأجازَنا وألبسَنا أنا ووالدي وٱلشَّيخَ مُحَمَّدَ ٱلدِّثنيَّ وولدَهُ عمرَ ، بعدَ أنْ أمرني والدي بقراءَةِ شيءٍ مِنَ ٱلكُتُبِ ، وقالَ لوالدي : (لَم يَسأَلْني ٱلإجازةَ مِنْ سيئونَ أحدٌ غيرُكَ) ، فذكرتُ بهِ ما رواهُ شارحُ « ٱلعينيَّةِ » في (ص ٣٢٠) عنِ ٱلحبيبِ عقيلِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ أنَّهُ ألبسَ ٱلقطبَ ٱلحدَّادَ كوفيَّتَهُ ، وقالَ لَهُ : (ألبسناكَ ولَم نُلبسْ غيركَ) اهـ

وما رويَ عن ٱلحبيبِ عمرَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلبارّ أنَّهُ قالَ : إنَّ ٱلقطبَ ٱلحدَّادَ ألبَسَني وأذِنَ لي في ٱلإلباسِ وٱلتَّحكيمِ إذناً مطلقاً ، ولم يأذن لأحدٍ غيري إلاَّ ٱلحبيبَ أحمدَ بنَ زينٍ .

لـٰكن في « ٱلمواهبِ وٱلمننِ » : أنَّ ٱلحبيبَ عمرَ حامدٍ غضبَ مِن كلامِ ٱلبارِّ هـٰذا ، وقالَ : إنَّ أفضلَ وأكملَ منهُ قولُ ٱلحدَّاد لولديهِ علويٍّ وحسنٍ : أقمتُكما مقامي ، وأنبتُّكما عنِّي .

ثمَّ رأيتُ ٱلسَّيِّد محمَّدَ بنَ حسن عيديدَ يقولُ : إنَّهُ أخذَ عَن شيخِنا أحمدَ بنِ جعفرٍ ولبسَ منهُ .

ولا يغبِّرُ علىٰ ما تقدَّمَ ؛ لأنَّ ٱلنَّفيَ إنَّما كانَ خاصّاً بآلِ سيئونَ ، وإمَّا لأن يكونَ أخذُهُ بعدَ ٱلتَّاريخِ ٱلسَّابقِ . اهـ

وفي ذلك ٱلمجلسِ ذَكَرَ ٱلحبيبُ أحمدُ بنُ جعفرٍ أنَّهُ : ٱجتمعَ بٱلحبيبِ طاهرِ بنِ حسينٍ ، وٱلحبيبِ علويِّ بنِ سهلٍ مولىٰ خيله[1] ، وٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ أبي بكرٍ

= سنة (١٢٧١هـ) ، وعلي توفي بسيئون سنة (١٣١١هـ) .

وذكروا أنه لما توفي المترجَم . . حفروا له عند رأس أخيه علي فوجدوه بعد (٩) سنوات سالماً لم يَبْلَ جسْمُه ، ذكر هـٰذا الحبيب عبد الرحمـٰن المشهور في ترجمته له في « الشجرة » .

(١) هو السيد الشريف علوي بن محمد بن سهل بن محمد بن أحمد بن سليمان بن عمر بن محمد بن سهل بن عبد الرحمـٰن مولىٰ خيله العلوي . ولد بتريم سنة (١١٦٦هـ) ، ونشأ بها ، ثم هاجر إلى الهند واستقر بمليبار ، ولم يزل بها يترقى في مراقي الكمال حتى وافاه الحِمام سنة (١٢٦٣هـ) ببلدة ترنقالي . جمع نبذة من كراماته العلامة أحمد بن أبي بكر بن سميط وطبعت بمصر ، وله ذكر في « تاج=

صاحبِ ملاكَه[1] ، والسَّيِّدِ أَحمدَ بيتي ، والسَّيِّدِ أَحمدَ بافقيهِ ، وابنِهِ شيخ ، والحبيبِ شيخِ بنِ علويِّ بنِ شيخِ بنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ سقَّافٍ ، والحبيبِ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ حسنِ بنِ سقَّافٍ ، والحبيبِ مُحَمَّدِ بنِ عمرَ بنِ سقَّافٍ[2] ، والشَّيخِ عمرَ بنِ عبدِ الرَّسولِ العطَّارِ[3] ، والسَّيِّدِ يوسف البطَّاحِ الأَهدلِ[4] ، والمُعلِّمِ عُمَرَ مَشْغَان[5] ، والشَّيخِ مُحَمَّدٍ باقيس . وغيرِهم .

ولَهُ مكارمُ ومآثرُ ؛ مِنها : مسجدٌ بسيئونَ ، ومسجدٌ بسربايا ، وزيادةٌ حَسْبَما سَبَقَ في الجامعِ .

وهـٰهنا مسائلُ :

الأولىٰ : أَنَّ مسجدَ السَّيِّدِ أَحمدَ بنِ جعفرٍ بسيئونَ كانَ صغيراً محتاجاً إِلى التَّوسعةِ ، فاستفتاني ولدُهُ عمرُ في ذلكَ؟ فأَفتيتُهُ بالجوازِ تبعاً لِما استظهرَهُ بعضُهم ، بل قيلَ بالوجوبِ حينئذٍ إذا قامَ مالُ الوقفِ بذلكَ .

والثَّانيةُ : أَنَّ هـٰذا المسجدَ كانَ فقيراً ، ومسجدَه بسربايا كانَ غنيّاً ، فأَفتيتُهُ بجوازِ الصَّرف من مال هـٰذا علىٰ ذاكَ ، مستدلاً بكلامٍ للشَّيخِ الجليلِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ باسودانَ في ذلكَ ، وفتوىً للخليليِّ ناصَّةٍ عليهِ .

وقد نُقِلَ عن كثيرٍ مِن علماءِ اليمنِ أَنَّهُ يجوزُ صرفُ الفاضلِ مِن رَيْعِ الموقوفِ علىٰ مسجدٍ في مصالحِ المسلمينَ وإِلىٰ عمارةِ مسجدٍ آخرَ في موضعِهِ ؛ لأَنَّ القصدَ مصلحةُ المسلمينَ . وقد نُقِلَ ذلكَ عنِ العمرانيِّ مؤلِّف « البيانِ » .

ولئِن لم يكن مسجدُ سيئونَ بموضعِ مسجدِ سربايا . . فإِنَّهُ أَقربُ إِلىٰ غرضِ الواقفِ

= الأعراس » .

(1) المولود بالشحر ، والمتوفى بملاكه بماليزيا سنة (١٢٥٥هـ) ، وترجمته في « نشر النفحات المسكية » لباحسن (خ) .

(2) مولده سنة (١١٩٨هـ) ، ووفاته (١٢٤٩هـ) . « التلخيص » (٧٧ـ٧٨) .

(3) وفاته بمكة سنة (١٢٤٧هـ) .

(4) وفاته بمكة سنة (١٢٤٦هـ) .

(5) توفي سنة (١٢٩٣هـ) ، وله بعض مصنفات .

مِنَ ٱلصَّرفِ لمصالحِ ٱلمسلمينَ ولفقراءِ ذلكَ ٱلموضعِ ، وما أَكثرَ ما تُرَاعَىٰ مقاصدُ ٱلواقفينَ .

والثَّالثةُ : أَنَّهُ عملَ لهُ منارةً رفعَها وتضرَّرَ بها ٱلجيرانُ ، ونهيتُهُ . . فما ٱنتهىٰ .

وأَوَّلُ مَنِ ٱتَّخذَ ٱلمنائِرَ : شُرحبيلُ بنُ عامرٍ ٱلمُراديُّ زمنَ معاويةَ .

وكانَ بلالٌ ـ كما عند أَبي داود [٥١٩] ـ يؤَذِّنُ علىٰ بيتِ ٱمرأةٍ مِن بني ٱلنَّجَّارِ ؛ لأَنَّهُ أَطولُ بيتٍ حولَ ٱلمسجدِ .

وقد أَمرَ خالدُ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلقسريُّ بهدمِ ٱلمنائرِ ، فقالَ فيهِ ٱلفرزدقُ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

بَنَىٰ بِيعَةً فِيهَا ٱلنَّصَارَىٰ لأُمِّهِ ... وَيَهْدِمُ مِنْ كُفْرٍ مَنَارَ ٱلْمَسَاجِدِ

وقال [في « ديوانه » ١/١٧٨ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

عَلَيْكَ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ ... وَأَصْحَابِهِ لاَ طَهَّرَ ٱللهُ خَالِدَا

بَنَىٰ بِيعَةً فِيهَا ٱلصَّلِيبُ لأُمِّهِ ... وَهَدَّمَ مِنْ بُغْضِ ٱلصَّلاَةِ ٱلْمَسَاجِدَا

علىٰ أَنَّهُ لم يهدِمها إِلاَّ لأَنَّهُ سمعَ رجلاً ـ ظننتهُ عمرَ بنَ أَبي ربيعةَ ـ ينشدُ :

لَيْتَنِي فِي ٱلْمُؤَذِّنِينَ حَيَاتِي ... إِنَّهُمْ يُبْصِرُونَ مَنْ فِي ٱلسُّطُوحِ

فَيُشِيرُونَ أَوْ تُشِيرُ إِلَيْهِمْ ... بِٱلْهَوَىٰ كُلُّ ذَاتِ دَلٍّ مَلِيحِ

وإِن لم يخنِّي ٱلحفظُ . . فخالد هـٰذا هوَ ٱلَّذي أَلزَمَ ٱلنِّساءَ حاشيةَ ٱلمطافِ عندما بلغهُ قولُ عمرَ بنِ أَبي ربيعةَ :

وَحَبَّذَا ٱللاَّئِي يُزَاحِمْنَنَا ... عِنْدَ ٱسْتِلاَمِ ٱلْحَجَرِ ٱلأَسْوَدِ

وقالَ : إِنَّهنَّ لَن يزاحمنَك بعدَ ٱليوم .

وذَكَرتُ لها نظائرَ في « ٱلعودِ » ، ثمَّ رأَيتُ بعضَهُ عندَ ٱلأَزرقيِّ ، وأَخرجَ سعيدُ بنُ منصورٍ : أَنَّ عمرَ بنَ ٱلخطَّابِ نهىٰ أَن يطوفَ ٱلرِّجالُ معَ ٱلنِّساءِ ، فإِذا هوَ برجلٍ ذاتَ يوم يطوفُ معَ ٱلنِّساءِ ، فٱنهالَ عليهِ ضرباً ، وقالَ لهُ : أَلم أَنهَ عن هـٰذا؟! فقالَ : لا ، لم تَبلُغني عزمتُكَ ، فقالَ لهُ : دونكَ ؛ يعني : فٱقتصَّ . . فلم يفعل ، قالَ : فٱعفُ ،

قالَ : ولا أَعفو ، فما زالتِ ٱلكراهيةُ تُعرفُ في وجهِ عمرَ حتَّىٰ راجعَ ٱلنَّاسُ ٱلرَّجلَ فعَفَا ، فسُرِّيَ عنِ ٱبنِ ٱلخطَّابِ . أَو ما هـٰذا معناهُ .

ثمَّ إنَّ ٱلَّذي أَذكرُهُ عن مذهبنا مِن أَنَّ للإنسانِ أَن يتصرَّفَ في ملكِهِ وإن أَضرَّ بجارِهِ لا بملكِهِ إذا خالفَ ٱلعادةَ . بخلافِ ٱلمصالحِ ٱلعامَّةِ ، فلا يتصرَّفُ فيها بما يضرُّ ٱلجيرانَ .

وٱلَّذي أَكتبُهُ في ٱلجوابِ عن هـٰذهِ ٱلمسألةِ هوَ مِن لسانِ ٱلقلمِ وبقيَّةِ ٱلحفظِ لا عن رجوعٍ منِّي إلىٰ ما حرَّرتُهُ في أَجوبتِها يومَ سُئِلتُ ، فلا مجالَ للاعتمادِ عليهِ إلاَّ بعدَ ٱلنَّظرِ ، وإنَّما كتبتُهُ لمجرَّدِ ٱلبحثِ وٱلمذاكرةِ .

وفي « تبصرةِ ٱلحُكَّامِ » : يُمنعُ ٱلرَّجلُ مِن إحداثِ إصطبلٍ للدَّوابِّ عندَ بابِ جارِهِ ؛ لما يؤذيهِ من بولِها وزبلِها وحركتِها ليلاً ونهاراً ، وكذلكَ ٱلطَّاحونُ وكِيرُ ٱلحدَّادِ .

وفيها تنازعَ ٱلشُّيوخُ ببلدِنا ـ قديماً وحديثاً ـ في ٱلرَّجلِ يجعلُ في دارِهِ رحىً أَو شبهَ ذلكَ ممَّا له دويٌّ ، فقالَ بعضُهم بٱلمنعِ مطلقاً ، وقالَ بعضُهم لا مَنعَ مطلقاً ، وقالَ بعضٌ : يُمنعُ بٱللَّيلِ لا بٱلنَّهارِ ، ومتى ٱجتمعَ ضَررانِ . . مُنِعَ ٱلحادثُ لا ٱلقديمُ .

وبسيئونَ جماعةٌ مِن ذرِّيَّةِ ٱلهادي بنِ أَحمدَ ٱلحبشيِّ صاحبِ ٱلشِّعبِ . ومِنْ ذرِّيَّةِ ٱلحسنِ بنِ أَحمدَ[1] .

منهُمُ : ٱلسَّيِّدُ ٱلصَّالحُ علويُّ بنُ عليِّ ٱلحَبْشيُّ ، ٱلمتوفَّىٰ بسيئونَ في حدودِ سَنةِ (١٣٣٤هـ) ، كانَ هوَ وأَخوهُ أَحمدُ وأَبوهُما مِنْ أَهلِ ٱلأَحوالِ ٱلصَّالحينَ ، ويقالُ لَهُم : أَهلُ ٱلرَّوشَنِ[2] ، لَهُم أُمورٌ غريبةٌ وخوارقُ عجيبةٌ .

---

(١) توفي الحبيب الحسن سنة (١٠٩٩هـ) بسيئون ، وعقبه بسيئون وسمارانغ بجاوة .

(٢) **آل الروشن** : ذرية السيد علي الروشن بن أحمد بن عبد الله بن علوي بن طه بن حسن بن أحمد صاحب الشعب . « المعجم اللطيف » (٩٧) . وعند ضياء شهاب في « التعليقات » (٤٦٦/٢) غير هـٰذا .
والروشن : ما يعمل في البيوت على سبيل الإضاءة والتهوية ، ويسميه البعض : الروشان ؛ لأن جدهم كان أول من عمله في سيئون . . فلقبوه به .

وفيها جماعةٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلحسينِ بنِ أَحمدَ بنِ محمَّدٍ ٱلحَبْشيِّ ، منهُمْ : ٱلعلاَّمَةُ ٱلفاضلُ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ مُحَمَّدٍ ٱلحَبْشيُّ[1] ، كانَ أَبوهُ داعياً إِلى ٱللهِ ـ كما سَبَقَ في قيدونَ ـ يتنقلُ في ٱلبلدانِ بإِشارةِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ ، لا يخرجُ عن أَمرِهِ في شيءٍ قطُّ . فوُلِدَ لهُ ٱلسَّيِّدُ عليٌّ في قَسَمٍ ، وٱنتقلَتْ بهِ أُمُّهُ[2] إِلىٰ سيئونَ ، وبها نشأَ ، ولَهُ رحلةٌ إِلى ٱلحجازِ ، وتخصُّصٌ في عِلْمِ ٱلنَّحوِ ، ولَهُ شِعرٌ جيِّدٌ ، وأَكثرُ أَوَّلِهِ علىٰ لسانِ ٱلصُّوفيَّةِ ، ولهُ تأْليفٌ صغيرٌ في قصَّةِ ٱلمولدِ[3] ، ولهُ أَشعارٌ حُمَينيَّةٌ ، وقد طُبِعَ جميعُ ذلكَ ، وفيهِ مِنَ ٱلدَّلالةِ علىٰ مرتبتِهِ ٱلعلميَّةِ وٱلشِّعريَّةِ ما يُغني عن كلِّ شيءٍ .

إِنَّ آثــارَنَــا تَــدُلُّ عَلَيْنَــا ... فَــٱنْظُــرُوا بَعْــدَنَــا إِلَــى ٱلآثَــارِ

وقالَ عليُّ بنُ ٱلجهمِ [مِنَ ٱلمتقاربِ] :

وَأَعْلَــمُ أَنَّ عُقُــولَ ٱلــرِّجَــا ... لِ يُقْضَــىٰ عَلَيْهَــا بِــآثَــارِهَــا

أَمّا أَبوهُ : فإِنَّهُ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ حسينٍ ٱلحَبْشيُّ ، مفتي ٱلشَّافعيَّةِ بمكَّةَ ، وهوَ ٱلشَّيخُ ٱلسَّادسَ عشرَ مِنْ مشايخِ سيِّدي ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ ، توفِّيَ بمكَّةَ سَنَةَ (١٢٨١هـ) ، وخَلَفَهُ ولدُهُ ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ حسينُ بنُ مُحَمَّدٍ ٱلحَبْشيُّ[4] ، لَهُ رحلاتٌ كثيرةٌ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ يتنفَّسُ بها ٱلزَّمانُ ، وتتبسَّمُ بها ٱلأَيَّامُ ، حتَّىٰ إِنَّها لتكادُ تكونُ أَعياداً وأَخوهُ ٱلسَّيِّدُ عليٌّ

---

(١) العلامة الكبير صاحب المقام والصيت الذائع ، ولد سنة (١٢٥٩هـ) ، وتوفي سنة (١٣٣٣هـ) ، أخباره كثيرة وشهيرة ، جمع ترجمته وسيرة حياته السيد الفاضل طه بن حسن السقاف في كتاب سماه : « فيوضات البحر الملي » في مجلد كبير .

(٢) والدة الحبيب علي هي الشريفة علوية بنت حسين بن أحمد الجفري ، سكان شبام ، عقد بها على والده شيخه الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر .

(٣) هو المولد الذائع الصيت المسمىٰ : « سمط الدرر في أخبار مولد خير البشر وما له من أخلاق وأوصاف وسير » ، طبعاته كثيرة . وأما مواعظه وكلامه المنثور . . فجمعه عدد كبير من المريدين والتلامذة ؛ منهم السيد عمر مولىٰ خيله ، والسيد محسن بن عبد الله بن محسن السقاف ابن عم المؤلف ، والسيد حسين بن عبد الله الحبشي وغيرهم .

(٤) ترجمته في : « تاريخ الشعراء » (٤/ ١١٠) ، « فهرس الفهارس » (٣٢٠) ، « رياض الجنة » للفاسي (٢/ ١٣ ـ ١٩) ، « فتح القوي » لتلميذه الشيخ عبد الله غازي ، وحفيده العلامة أبو بكر بن أحمد بن حسين في « الدليل المشير » (٩٢ـ٩٧) .

يبالغُ في إكرامِهِ ويعترفُ بفضلِهِ ويقدِّمُهُ في ٱلصَّلاةِ ؛ إذْ كانَ غزيرَ ٱلعِلْمِ ، وفيرَ ٱلحِلْمِ ، جميلَ ٱلمحاضرةِ ، لطيفَ ٱلمحاورةِ .

لاَ طَائِشٌ تَهْفُو خَلاَئِقُهُ وَلاَ خَشِنُ ٱلْوَقَارِ كَأَنَّهُ فِي جَحْفَلِ[1]
فَكِهٌ يُجِمُّ ٱلْجِدَّ أَحْيَاناً ، وَقَدْ يَضْنَىٰ وَيَهْزُلُ حَدُّ مَنْ لَمْ يَهْزِلِ[2]

وقد أخذتُ عنهُ ولبستُ منهُ مراراً ، وسمعتُ عنهُ ٱلسَّلسلات ، وقرأتُ عليهِ ، توفِّيَ بمكَّةَ ٱلمشرَّفةِ سَنَةَ (١٣٣٠هـ) .

وأَمَّا أخوهُ ٱلسَّيِّدُ شيخُ بنُ مُحَمَّدٍ ٱلحَبْشيُّ[3] .. فقد كانَ شهماً كريماً ، ونزهةً نديماً ، سليمَ ٱلذَّوقِ ، مائِيَّ ٱلأخلاقِ .

فَلَوْ كَانَ مَاءً .. كَانَ مَاءَ غَمَامَةٍ وَلَوْ كَانَ نَوْماً .. كَانَ تَعْرِيسَةَ ٱلْفَجْرِ[4]

لَهُ شِعرٌ جيِّدٌ ، وأدبٌ غضٌّ ، ونكاتٌ لطيفةٌ ، ونوادرُ عجيبةٌ . وكانَ بيني وبينَهُ إخاءٌ وودٌّ ، وكانَ لا يُبالي في زيارتي والتَّردُّدِ عليَّ بلومِ لائمٍ ممَّنْ علىٰ شاكلةِ باطُوَيح . توفِّيَ بسيئونَ سَنَةَ (١٣٤٨هـ) ، ودُفِنَ بقبَّةِ أخيهِ .

وبما أَنَّ ٱلسَّيِّدَ شيخاً كانَ عذبَ ٱلشَّمائِلِ ، رقيقَ ٱلحاشيةِ ، ميَّالاً إلى ٱلأشعارِ ٱلغَزَليَّةِ ، كثيرَ ٱلولوعِ بشِعرِ ٱبنِ ٱلفارضِ .. تذكَّرتُ أَنَّ ٱلجَعْبريَّ زارَ قَبْرَ ٱبنِ ٱلفارضِ فرآهُ مشعّثاً مغموراً بالتُّرابِ ، فأنشدَ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

مَسَاكِينُ أَهْلُ ٱلْعِشْقِ حَتَّىٰ قُبُورُهُمْ عَلَيْهَا تُرَابُ ٱلذُّلِّ بَيْنَ ٱلْمَقَابِرِ[5]

---

(١) البيتان من الكامل ، وهما لأبي تمَّام في « ديوانه » (١٩/٢) .

(٢) يُجِمُّ الجدَّ : يتركه ، وهو مستعار من إجمام الفرس ، إذا تركه صاحبه فلم يركبه .

(٣) ولد السيد شيخ بسيئون سنة (١٢٦٤) ، وتوفي بها سنة (١٣٤٨هـ) ، ترجمته في : « تاريخ الشعراء » (٢٠٩/٤ ـ ٢١٨) ، وله رحلة إلىٰ مصر وإستنبول سمَّاها : « الشاهد المقبول في الرحلة إلى مصر والحجاز واستنبول » .

(٤) البيت من الطَّويل . تعريسة الفجر : نومة المسافر واستراحته عند الفجر .

(٥) روى العلاَّمة جعفر بن أحمد السرَّاج في كتابه « مصارع العشَّاق » (١٣٠/١) عن ابن المعتزِّ بيتين في عكس هٰذا البيت ، وهما :

مَرَرْتُ بِقَبْرٍ مُشْرِقٍ وَسْطَ رَوْضَةٍ عَلَيْهِ مِنَ ٱلأَنْوَارِ مِثْلُ ٱلشَّقَائِقِ=

وفي سيئونَ جماعةٌ مِنْ آلِ حسَّان ، يَرجعونَ في ٱلنَّسَبِ ـ حَسَبَما يقولونَ ـ إلى ٱلشَّيخِ ٱلمؤرِّخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عليِّ بنِ حسَّان[1] ، يحترفونَ بٱلصِّياغةِ ، وكانت لهم منها ثروةٌ ـ بٱلنَّخيلِ ـ ومواساةٌ ، ولـٰكنَّهم علىٰ وشكِ ٱلتَّلاشي ٱليومَ .

ومِنْ آخِرِهم : شيخُنا ٱلعلاَّمةُ ٱلمحقِّقُ عمرُ عُبَيدِ حسَّان ، كانَ عابداً ناسكاً ، قويمَ ٱلسِّيرةِ ، طاهرَ ٱلسَّريرةِ ، غزيرَ ٱلفقهِ ، شديدَ ٱلورَعِ ، متينَ ٱلتَّقوىٰ ، وكانَ مِنْ أخصِّ تلاميذِ والدي وقُرَّائِهِ ، وهوَ ٱلمخصَّصُ لتعليمي ٱلفقهَ ، ثمَّ كانَ ممَّنْ يَحضر دروسيَ بمسجدِ طـٰهَ في ٱلتَّفسيرِ وٱلفقهِ وٱلحديثِ .

توفِّيَ رحمةُ ٱللهِ عليهِ بسيئونَ سَنةَ (١٣٤٩هـ) ، وخَلَفَهُ ولدُهُ عبدُ ٱللهِ علىٰ قريبٍ مِنْ حالهِ باركَ ٱللهُ فيهِ .

وفي سلسلةِ ذوي ٱلأنسابِ ٱلموجودة بتريم : أَنَّ يهوديّاً ٱسمُهُ لحجٌ ، لهُ ثلاثةُ أولادٍ ؛ هم : داود وحسن ووحش ، أسلموا مع أبيهم وٱنتشرَ عقبُهم ، وٱحترفوا بٱلصِّياغةِ ، فآلُ باطودٍ مِن ذرِّيَّةِ داودَ ، آلُ حِسَّانَ ـ بكسر الحاء ، وبٱلسِّينِ ـ مِن ذرِّيَّةِ حسن ، وآلُ باحشوانَ من ذرِّيَّة وحشٍ . اهـ بمعناه .

ولـٰكنَّهُ يغبِّرُ عليهِ ما ذكرهُ من وصولِ لحجٍ وإسلامِهِ وإسلام بنيهِ علىٰ يد ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ، معَ أنَّهم أقدمُ مِن ذلكَ بكثيرٍ .

وفيها أيضاً : أنَّ آلَ باسلامةَ وآلَ ٱلتَّويِّ وآلَ هبيص وآلَ مشعبيٍّ . . عبيدٌ لِحميرٍ . اهـ

وٱلعهدةُ علىٰ مؤلِّفها ، أو على ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ سعيدِ بن مرتعٍ ٱلَّذي روىٰ لي هـٰذا عنها .

وعنِ ٱلأخِ عيدروسِ ٱلبارِّ ـ ٱلسَّابقِ ذِكرهُ في ٱلقُرينِ مِن بلادِ دوعَن ـ : أنَّهُ وصلَ مِنَ ٱلبصرةَ معَ ٱلمهاجرِ أحمدَ بنِ عيسىٰ أربعةُ عبيدٍ ، ثمَّ أعتقَهم وموَّلَهم ، وهم : مخدَّمٌ

= فَقُلْتُ لِمَنْ هَـٰذَا؟ فَقَالَ لِيَ ٱلثَّرَىٰ : تَـرَحَّـمْ عَلَيْـهِ إِنَّـهُ قَبْـرُ عَـاشِـقِ

(١) المولود بريدة المشقاص سنة (٧٥٠هـ) ، والمتوفى بكروشم من بلدان الريدة المذكورة سنة (٨١٨هـ) ، كان عالماً فقيهاً مؤرخاً ، له مصنفات . ترجمته في : « تاريخ الشعراء » (١/ ٧٤ـ ٧٦) .

جدُّ آلِ مخدَّمٍ ، وشويعٌ جَدُّ آلِ شويعٍ ، وحشوانُ جدُّ آلِ باحشوانَ ، وحسَّانُ جدُّ آلِ حسَّانَ . وهٰذا هوَ ٱلأَولىٰ بِٱلقَبولِ .

وكانَ في سيئونَ جماعةٌ مِنْ آلِ باشيخٍ ، يَرجعونَ في ٱلنَّسَبِ ـ كما هوَ منقولٌ بخطِّ ٱلعلاَّمةِ ٱلجليلِ عليٍّ باصبرين ـ إِلىٰ بني ٱلعبَّاسِ ، مِنْ ذرِّيَّةِ عليِّ بنِ طَرّادِ بنِ إبراهيمَ ٱلإمامِ .

وفي « تاريخِ باعبَّادٍ » : أَنَّ ٱلحبيبَ عبدَ ٱلرَّحمـٰنِ بنَ عبدِ ٱللهِ بلفقيه مرَّ بسيئونَ في سَنةِ (١١١٩هـ) ، وزارَ تربتَها ، وتعشَّىٰ عندَ آلِ باشيخٍ ، وسارَ إِلىٰ دوعنَ ، ومِنها إِلى ٱلشِّحْرِ يريدُ ٱلحجَّ .

وفي ترجمةِ سيِّدِنا ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ زينٍ ٱلحَبْشيِّ مِنْ « عِقْدِ أُستاذِنا ٱلأَبرِّ » : أَنَّهُ كانَ يمشي إِلىٰ سيئونَ مِنْ غيرِ مركوبٍ يأْخذُ ٱلنَّحوَ عنِ ٱلشَّيخِ محروسٍ .

وبها كانَ جماعةٌ منهم ـ أَعني آل محروسٍ ـ ثمَّ لَمْ يَبْقَ منهُم إِلاَّ ٱلقليلُ ؛ مِنهُم : تاجرٌ غاشمٌ يمتصُّ دماءَ ٱلمحتاجينَ بِٱلرِّباءِ أَو بأَخيهِ ، ويأْخذُ مِنهُم أَرباحاً باهظةً تُلجِئُهُم إِليها ٱلضَّرورةُ ، ويَرتهنُ بها أَموالَهُم إِلىٰ أَنْ تغلقَ[1] .

وقد سَبَقَ لآلِ وَبْرٍ ذِكرٌ في ٱلمِختِرْقه . وكانَ بسيئونَ جماعةٌ منهم وجماعةٌ مِنِ آل هذبولٍ ، أَمَّا الآنَ . . فلا ، ولـٰكن مِن آلِ وَبرٍ ناسٌ في ٱلحُوطةِ وتاربه وبحيرةَ وثبي .

وفي « مجموعِ ٱلجدِّ طٰهٰ بنِ عمرَ » أَنَّ : (آلَ وَبْرٍ وآلَ هَذْبُولٍ أَكفاءٌ ؛ لأَنَّ حرفةَ ٱلجميعِ ٱلسِّناوةُ وٱلحَرْثُ سابقاً) اهـ

وكانَ بسيئونَ جماعةٌ مِنَ ٱلفرقتينِ ، أَمَّا ٱلآنَ . . فلا ، ولـٰكنْ مِنْ آلِ وبرٍ جماعةٌ في تاربه وٱلحوطةِ وبحيره وثبي .

ومِنْ « مجموعِ ٱلجدِّ طٰهٰ » أَيضاً : (أَنَّ عقودَ سيئونَ أَكثرُها بغيرِ كفءٍ ؛ لأَنَّ فيها أَراذلَ كثيرٌ) اهـ

---

(١) تغلق : تُستَحقُّ للمرتهن فيأْخذها .

وكنتُ أَستشكلُ لُؤْمَ أَهلِ سيئونَ ٱلَّذي لا ينتهي إِلىٰ حدٍّ حتَّىٰ رأَيتُ هـٰذا ، فإِنَّها وإِنْ كانَ فيها ناسٌ مِنْ أُولي ٱلأُصولِ ٱلطَّيِّبةِ وٱلبيوتاتِ ٱلشَّريفةِ . . فإِنَّ ٱلاختلاطَ مدعاةُ ٱلفسادِ ، وهوَ موجودٌ بكثرةٍ مِنَ ٱلرَّضاعِ وٱلمصاهَرةِ وغيرِهما ، وقد قالَ ٱلأَوَّلُ [أوس بن حجر في « ديوانه » ٥٦ مِنَ ٱلوافرِ] :

إِذَا ٱلْحَسَبُ ٱلصَّمِيمُ تَدَاوَلَتْهُ بُنَاةُ ٱلسُّوءِ . . أَوْشَكَ أَنْ يَضِيعَا

وٱرجعْ إِلىٰ ما ذكرتُهُ في ٱلقَطْنِ .

وقد سلَّني ٱللهُ مِن أَهلِ سيئونَ كما تُسَلُّ ٱلشَّعرةُ مِنَ ٱلعجينِ ، فجاءَ موضعَ قولِ أَبي ٱلطَّيِّبِ [في « ٱلعُكبَريّ » ٤/ ٧٠ مِنَ ٱلوافرِ] :

وَمَا أَنَا مِنْهُمُ بِٱلْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَـٰكِنْ مَعْدِنُ ٱلذَّهَبِ ٱلرَّغَامُ

علىٰ أَنَّني لم أَكن مِنها ، وإِنَّما أَنا من حوطةٍ مستقلَّة ، بضاحيتِها ٱلشَّرقيَّةِ .

أَمَّا ما أَخرجهُ ٱلأَصفهانيُّ بسندهِ في « ٱلأَغاني » [١١/ ٢٦٥] أَنَّ حضرميّاً بٱلكوفةِ خطبَ ٱمرأَةً مِن بني أَسدٍ ، فأَخذَ يسأَلُ عن حسبِها ونسبِها ، فقالَ ٱلأُقيشرُ ٱلمعروفُ [مِنَ ٱلرَّمَلِ] :

حَضْرَمَوْتُ فَتِّشَتْ أَحْسَابَنَا وَإِلَيْنَا حَضْرَمَوتُ تَنْتَسِبْ
إِخْوَةُ ٱلْقِرْدِ وَهُمْ أَعْمَامُهُ بَرِئَتْ مِنْكُمْ إِلَىٰ ٱللهِ ٱلْعَرَبْ

. . فجزافٌ غيرُ مقبولٍ ، وهجاءُ ٱلأُقيشر غيرُ ضائر ؛ لشهرتِهِ بٱلفسوقِ ، ولـٰكنَّ ٱلفرزدق يقولُ في هجاءِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَبي زيادٍ ٱلحضرميِّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَلَوْ كَانَ عَبْدُ ٱللهِ مَوْلَىً هَجَوْتُهُ وَلَـٰكِنَّ عَبْدَ ٱللهِ مَوْلَىٰ مَوَالِيَا

أَرادَ بٱلموالي : ٱلحضرميِّينَ ، وكانوا مواليَ بني عبدِ شمس بنِ عبدِ منافٍ ، وعبدُ ٱللهِ مولى ٱلحضرميِّينَ . . فهوَ مولى موالي ، ولـٰكنَّهُ أَعلمُ أَهلِ ٱلبصرةِ بٱلنَّحوِ ، وعنهُ أَخذَ أَبو عمرو بنُ ٱلعلاءِ وأَبو ٱلخطَّابِ ٱلأَخفشُ ، ويونسُ بنُ حبيبٍ ، وعيسى بنُ عمرَ . وكانَ يُلَحِّنُ ٱلفرزدقَ . . فهجاهُ ، توفِّيَ سنةَ (١١٧هـ) ، عن ثمانيةٍ وثمانينَ عاماً .

معَ أَنَّهُ لا ينكرُ ٱختلاطُ حضرموتَ بٱلعجمِ كما سبقَ قريباً وفي حورةَ ، ومرَّ في كلامِ جدِّنا تأكيدُهُ عن أَهلِ سيئونَ خاصَّةً . . فهوَ أَخذَ إِليهم بعنقِ قولِ ٱلشَّريفِ ٱلرَّضيِّ [في « ديوانِهِ » ١/ ٤٠٤ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

لَهُـمْ حَسَـبٌ أَعْمَـىٰ أَضَـلَّ دَلِيلَـهُ فَلَـمْ يُـدْرَ فِـي ٱلأَحْسَـابِ أَيْـنَ يُقَـادُ

وفي « ديوانِ » ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلصَّمدِ باكثيرٍ ما يدلُّ علىٰ وصولِ ٱلشَّيخِ إسماعيلَ بنِ زينِ ٱلعابدينَ ٱلمقدسيِّ ٱلأَنصاريِّ إِلىٰ سيئونَ في سَنَةِ (١٠١٠هـ) ، وذلكَ لأَنَّهُ خاطبَ عبدَ ٱلصَّمدِ بأَبياتٍ ؛ مِنها قولُهُ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

لِسَيْئُـونَ سِـرْنَـا بَـلْ سُـرِرْنَـا لأَنَّنَـا لِسَـاحَـةِ مَـوْلاَنَـا عَلَـى ٱلنُّجْـبِ نَسْبِـقُ

وفي سيئونَ ناسٌ مِن آلِ وثَّابٍ ، لهم ذِكْرٌ كثيرٌ في « سفينةِ ٱلبضائعِ » لسيِّدي عليِّ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ ؛ لأَنَّهُ كانَ يحبُّهم وينزلُ بسيئونَ عليهم .

ومنهم بقايا لا أَدري أَيراعونَ أَم لا ودَّ أَجدادِهم في ذُرِّيَّةِ ٱلحبيبِ ومنصبِهِ ؛ فقد جاء ٱلحثُّ علىٰ ذلكَ كما في حديثِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ عند مسلمِ بن ٱلحجَّاجِ [٢٥٥٢] ، ومعناهُ : « إِنَّ مِنْ أَبَرّ ٱلبِرِّ أَن يَوَدَّ ٱلرَّجلُ أَهلَ ودِّ أَبيهِ » أَو ما يقربُ مِن ذلكَ ، ويؤَكِّدُهُ ما صحَّ مِن قولهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : « إِنَّ حُسْنَ ٱلعهدِ مِنَ ٱلإيمانِ ، وإِنَّها كانت تأْتينا في أَيَّامِ خديجةَ » .

ٱلقضاءُ بسَيئون :

أَوَّلُ مَنْ تولَّى ٱلقضاءَ بسيئونَ مِنَ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلصَّافي ٱلنَّاقلينَ إِليها مِنْ تريم هوَ : جدُّنا ٱلعلاَّمةُ ٱلإمامُ طـٰهَ بنُ عمرَ بن طـٰهَ بنِ عمرَ ، ٱلمتوفَّىٰ بها سَنةَ (١٠٦٣هـ) .

ثمَّ أَخوهُ عليُّ بنُ عمرَ ، ثمَّ ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عمرَ ، ثمَّ جدُّنا مُحَمَّدُ بنُ عمرَ بنِ طـٰهَ بنِ عمرَ ، ثمَّ جدُّنا سقَّافُ بنُ مُحَمَّدٍ(١) ، ٱلمتوفَّىٰ بها سَنةَ (١١٩٥هـ) .

ثمَّ ٱبنُهُ ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ عُمَر بنُ سقَّافٍ ، ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ في ٱلسَّومِ ، ولَم يتولَّهُ إِلاَّ

---

(١) ولد بسيئون في حدود سنة (١١١٥هـ) . ترجمته في « التلخيص » (٤٦ـ٥٢) . وأفرده ابنه السيد حسن بترجمة واسعة سمّاها : « نشر محاسن الأوصاف » طبعت وصدرت عن دار الحاوي .

تأثُّماً مدَّةً قصيرةً ، ثمَّ نزلَ عنهُ لأخيهِ علويٍّ[1] ، فلاقىٰ عداءً كبيراً مِنْ أبناءِ عمِّهِ علويِّ بنِ مُحَمَّدٍ[2] ، ثمَّ نزلَ عنهُ لأخيهِ مُحَمَّدِ بنِ سقَّافٍ[3] ، ولَم يُحمَدِ ٱلحالُ بينَ مُحَمَّدٍ هـٰذا وأخويهِ عمرَ وعلويٍّ ، كما أشارَ إليهِ ٱلسَّيِّدُ أحمدُ بنُ حسنٍ ٱلحدَّادُ .

وكانَ ٱلسَّيِّدُ محمَّدٌ هـٰذا شديداً ، حتَّىٰ لقد قتلَ أحدُ آلِ باجري مسكيناً بسيئونَ في أيَّامِ يافعٍ . . فلم ترفع يافعٌ رأساً بذلكَ ، وما كانت تسكتُ علىٰ مثلِ ذلكَ معَ أنَفِها وإبائِها إلَّا لغرضٍ ـ وكأنَّهُ كانَ عندَها دماءٌ لآلِ باجري فأرادتِ ٱلمبادَلَةَ ـ فٱشتدَّ ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ سقَّافٍ وقالَ : إمَّا أن يُسلِّموا آلُ باجري ٱلقاتلَ للحُكْمِ ٱلشَّرعيِّ ، وإمَّا أن تحاربوهم .

وزَجَّهم في ٱلنَّارِ ، فٱهتمُّوا بذلكَ وألجؤوا آلَ باجري على ٱلخضوعِ للحقِّ ، وبعدَ محاكمةِ صاحبِهم وٱمتناعِ أولياءِ ٱلقتيلِ عنِ ٱلعفوِ . . قُتِلَ بٱلسَّيفِ قصاصاً أمامَ دارِ ٱلقاضي . هـٰكذا بلغني عَن أحدِهم .

وبقيَ ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ سقَّافٍ هـٰذا على ٱلقضاءِ إلىٰ أنْ توفِّيَ بسيئونَ سَنَةَ (١٢٢٢هـ) ، ثمَّ لَم يَجِدْ سيِّدُنا علويُّ بنُ سقَّافٍ بدّاً مِنَ ٱلرُّجوعِ إليهِ ، فتولاَّهُ إلىٰ أنْ ماتَ بسيئونَ سَنَةَ (١٢٣٥هـ) ، فأُكرِهَ عليهِ ولدُهُ جدُّنا ٱلمُحْسِنُ[4] ، وكانَ سِنُّهُ إذْ ذاكَ نحوَ ٱلأربعةِ وعشرينَ ربيعاً ، ولـٰكنَّهُ أُعينَ بٱلتَّوفيقِ ، وكانَ آيةً في فصلِ ٱلأحكامِ :

---

(١) هو العلامة الجليل ، علوي بن سقاف بن محمد . . ولد بسيئون ، وبها توفي سنة (١٢٣٥هـ) ، تولّى القضاء بسيئون وهو لم يجاوز الثانية والعشرين من عمره ، وهو أصغر أولاد أبيه ، وجد والد المؤلف . ينظر : « التلخيص الشافي » (١٠٠ ـ ١٠٩) ، « تاريخ الشعراء » (٣/ ٥٥) .

(٢) هو الحبيب علوي بن محمد بن عمر الصافي . أكبر إخوانه سناً ، توفي سنة (٧٠) أو (١١٧١هـ) ، وأولاده : حسن وحسين ومحمد .

(٣) العالم القاضي الفقيه ، ولد بسيئون سنة (١١٥٨هـ) ، وبها توفي سنة (١٢٢٢هـ) . ينظر : « التلخيص الشافي » (٨٨ ـ ٨٩) .

(٤) هو العلامة المصلح الحبيب محسن بن علوي بن سقّاف ، جد المؤلف مباشرة ، ولد سنة (١٢١١هـ) ، وتوفي سنة (١٢٩١هـ) ، له سيرة زكية ، ومناقب عطرة ، وأخبار كثيرة ، وله مصنفات . ينظر : « التلخيص الشافي » (١٠٩ ـ ١٢٥) ، « تاريخ الشعراء » (٤/ ١ـ٢١) ، « العدة المفيدة » عدة مواضع .

وَإِذَا خِطَابُ ٱلْقَوْمِ فِي ٱلْخَطْبِ ٱعْتَلَىٰ　　فَصَـلَ ٱلْقَضِيَّـةَ فِـي ثَـلاَثَـةِ أَحْـرُفِ

ثمَّ تبرَّمَ بٱلقضاءِ ، وٱشتكىٰ إِلىٰ سيِّد ٱلوادي سيِّدِنا ٱلحسنِ بنِ صالحٍ ٱلبحرِ ، فأشارَ عليهِ بٱلسَّفرِ إلى ٱلشِّحْرِ .

ولا أتحقَّقُ مَنْ أُسندَ إليه ٱلقضاءُ بعده ، ولـٰكن ممَّن تولَّىٰ قضاء سيئونَ ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ أَحمدَ بنِ مُحَمَّدٍ باكثير ، إلاَّ أنَّهُ متأخِّرُ ٱلوفاةِ ؛ إذ لم تكن إلاَّ في سَنة (١٣٠٧هـ) .

ولمَّا ٱستولىٰ آلُ عبدِ ٱللهِ ٱلكثيريُّونَ علىٰ سيئونَ . . أَسندَوا ٱلقضاءَ في سَنةِ (١٢٦٥هـ) ، إِلى ٱلعلاَّمةِ ٱلتَّقيِّ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بن عليِّ بنِ علويِّ بن عبدِ ٱللهِ[1] ، ثمَّ تركَهُ ، وتولاَّهُ ٱلسَّيِّدُ طـٰهَ بنُ علويٍّ[2] ، ثمَّ عُزلَ ، وأُعيدَ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ في سَنةِ (١٢٦٧هـ) ، ثمَّ ٱنفصلَ وعادَ إِليهِ ٱلسَّيِّدُ طـٰهَ بنُ علويِّ بنِ حسنٍ ، ثمَّ عُزلَ ، ثمَّ أُعيدَ في سَنةِ (١٢٧٢هـ) ، وطالتْ مدَّتُهُ على ٱلقضاءِ في هـٰذهِ ٱلمرَّةِ ، ثمَّ عُزلَ ، ووليَ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ في حدودِ سَنةِ (١٢٩٠هـ) ، ثمَّ ٱنفصلَ لأَمرٍ جرىٰ عليهِ مِنَ ٱلأَميرِ عبد ٱللهِ بنِ محسنٍ ، وعبودِ بنِ سالمٍ وتولاَّهُ ٱلسَّيِّدُ صافي بنُ شيخٍ إِلىٰ أَنْ ماتَ سَنةَ (١٣٠٠هـ) ، وأَلَّفَ مجموعةً في ضبطِ أَموالِ سيئونَ ، ذكَر فيه الأيدي العادِيةَ ، وما دخلَ فيهِ ٱلحرامُ وٱلشُّبهةُ مِنَ ٱلأَموالِ بتحرٍّ لا يُستغنَىٰ عنه .

وبإِثْرِ وفاتِهِ . . تولّى ٱلقضاءَ عمُّنا عبدُ ٱللهِ بنُ محسنٍ ، ثمَّ سافرَ إِلىٰ جاوة وأَنابَ شيخَنا ٱلعلاَّمةَ علويَّ بنَ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ[3] ، ولمَّا عادَ . . لَم يَرْضَ بٱلرُّجوعِ إِلى ٱلقضاءِ ، وٱمتنعَ نائبُهُ مِنَ ٱلاستمرارِ عليهِ ، فتولاَّهُ ٱلسَّيِّدُ عبد ٱللهِ بنُ عمرَ بنِ أَبي بكرٍ[4] ، ٱلمتوفَّىٰ بسيئون سَنةَ (١٣٢٠هـ) ، ثمَّ عُزلَ ، ووليَ ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ مُحَمَّدِ

---

(١) المتوفى ساجداً في صلاة الضحى بمسجد المحضار بتريم سنة (١٣٠٤هـ) . أفرده حفيده مصطفى بن سالم بن محمد بترجمة سماها : « البيان الجلي » طبعت .

(٢) هو السيد العلامة طه بن علوي بن حسن بن علوي بن محمد بن عمر الصافي ، ولد سنة (١٢١٦هـ) ، وتوفي سنة (١٢٩١هـ) . « التلخيص » (٣٦) .

(٣) العلامة الورع الحبيب علوي بن عبد الرحمـٰن بن علوي بن سقاف بن محمد . . ابن عم والد المؤلف ، مولده سنة (١٢٥٦هـ) ، ووفاته سنة (١٣٢٨هـ) ، « التلخيص » (١٦٢ـ١٦٦) .

(٤) هو السيد عبد الله بن عمر بن أبي بكر بن عمر بن سقاف بن محمد « التلخيص » (٨٦) .

بارجاءٍ ، ثمَّ عُزلَ ، وأُعيدَ ٱلسَّيِّدُ عبد ٱللهِ بنُ عمرَ ، ثمَّ عُزِل وأَسندوهُ إِلىٰ عمِّنا عبدِ ٱللهِ بنِ محسنٍ ، وبقيَ عليهِ إِلىٰ أَنْ ماتَ في رمضانَ سَنةَ (١٣١٣هـ) .

فٱجتمعَ ٱلأَعيانُ وٱلسُّلطانُ بدارِ ٱلشَّيخِ أَحمدَ بنِ محمَّدٍ بارجاءٍ . وأَرادوا توليةَ سيِّدي علويِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ . . فٱمتنعَ ، فولَّوا ٱلشَّيخَ أَحمدَ بارجاءٍ مؤَقَّتاً ريثما يقنعوا سيِّدي علوي .

فخرجَ سيِّدي علويٌّ مِن فورِهِ وعقدَ ببنتِ عمِّنا ٱلغائبِ علويِّ بنِ محسنٍ على ٱلسَّيِّدِ محـمَّدِ بنِ عبدِ ٱلقادرِ بنِ محسنٍ ، وكانت له ولايةٌ على ٱلأَنكحة ، فأَشَارَ ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ محمَّدٍ ٱلحبشيُّ بعدَ خروجهِ على ٱلسُّلطانِ أَن يعزلَ كلَّ متولٍّ غيرَ بارجاءٍ ، ففعلَ ، وعلموا بعقدِ شيخِنا فأَرسلوا ٱلشَّيخَ أَحمدَ بارجاءٍ ليُخبرَ ويجدِّدَ ٱلعقدَ ؛ لأَنَّ ٱلعقدَ ٱلأَوَّلَ وقعَ بعدَ عزلِ ٱلعاقدِ ، فقالَ لهم شيخُنا : إِنَّ ٱلقاضي لا ينعزلُ بنفسِ ٱلعزلِ ، ولـٰكن ببلوغِ ٱلخبرِ ، فٱلعقدُ علىٰ صحَّتِهِ ، فلم يُستأنَف ، وكنتُ أَنا ممَّن شهدَ ذلك .

وكانَ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ حامدٍ[1] يُرشِّحُ نَفْسَهُ لَهُ ـ بعدَ عمِّنا ـ وٱلنَّاسُ لا يعدلونَ أَحداً بشيخِنا علويِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ، وهوَ مصمِّمٌ على ٱلامتناعِ من قَبولهِ ، فلَم يَكُنْ مِنَ ٱلأعيانِ إِلاَّ أَنِ ٱجتمَعوا ثانياً ٱجتماعاً مشهوداً من سائرِ ٱلنَّاسِ في منزلِ ٱلسَّيِّدِ شيخِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ شيخِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ[2] ، وأَقرعوا ثلاثَ مرَّاتٍ بينَ ٱلاثنينِ ، وٱلقرعةُ تخرجُ عليهِ في ٱلثَّلاثِ بحيلةٍ مدبَّرةٍ مِنَ ٱللَّيلِ بينَ ٱلسَّيِّدِ شيخِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ وٱلشَّيخِ عمرَ جوَّاس ، وبعدَ خروجِها عليهِ ثلاثَ مرارٍ . . لَم يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنَ ٱلقَبولِ .

وقد سارَ سيرةً حميدةً ، أَتعبَ بها مَنْ بَعدَهُ ، وأَزرىٰ علىٰ بعضِ مَنْ كانَ قَبْلَهُ ، ولم

---

(١) المتوفى بمكة عقب حج سنة (١٣٣٨هـ) ، وهو والد السيد عبد الله مؤلف « تاريخ الشعراء » ، ترجمته في « تاريخ ابنه » (٤/٢١٩ ـ ٢٤٤) ، وفي « التلخيص » (٩٠) .

(٢) من آل عبد الرحمـٰن بن سقاف بن محمد . . مولده سنة (١٢٤١هـ) ، ووفاته في رمضان (١٣١٦هـ) . « التلخيص » (٥٦ـ٥٧) .

يتأثّل مالاً ، وكانت قيمةُ أثاثِ بيتهِ ـ يومَ توفّي ـ لا تزيدُ عن ثلاثةَ عشرَ ريالاً .

عَــلاَّمَــةٌ لَيْــسَ فِــي فَتْــوَاهُ سَفْسَطَــةٌ ... لِلسَّــائِلِيــنَ وَلاَ فِــي حُكْمِــهِ جَنَــفُ[1]

فِــي هَــدْيِــهِ خَلَــفٌ عَــنْ جُــلِّ سُبَّقِــهِ ... وَرُبَّمَــا جَــازَ قَــدْرَ ٱلــذَّاهِــبِ ٱلْخَلَــفُ

حَيْــثُ ٱلْحُقُــوقُ قِيَــامٌ فِــي مَقَــاطِعِهَــا ... وَكُــلُّ مَــنْ حَــاكَــمَ ٱلأَيَّــامَ يَنْتَصِــفُ

ولمَّا توفِّيَ سَنةَ (١٣٢٨هـ) .. كانَ ٱلمرشَّحونَ لِلقضاءِ : ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ حامدِ بنِ عمرَ ٱلسَّابقُ ذكرُهُ . وٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ حسينِ بنِ محسنٍ .

فرَجحَتْ كفَّةُ ٱلثَّاني ، وتحلَّبَ ٱلأَوَّلُ مَرارةَ ٱلفشلِ مرَّةً ثانيةً ، ولـٰكنَّهُ تجلَّدَ وكظمَ غيظَهُ ـ علىٰ خلافِ طبعِهِ ـ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عنِ ٱلأَمرِ معدىً ، معَ أَنَّهُ لَم يَكُنْ بعيدَ ٱلغَورِ .

ودامتْ ولايةُ ٱلثَّاني إِلىٰ حدودِ سَنةِ (١٣٤٠هـ) ، ثمَّ ٱنفصلَ بعدَ أَن صارَ ما لا يُحمدُ ، وكانَ ٱلزَّمانُ تغيَّرَ ، وساءَ ٱلظَّنُّ بٱلواحدِ فأُسندَ إِلىٰ جماعةٍ ، هُم : ٱلشَّيخانِ : مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ باكثير ، وعوضُ بَكْران ٱلصَّبَّانُ . وٱلسَّادةُ : علويُّ بنُ عبدِ ٱللهِ بنُ حسينٍ ، ومُحَمَّدُ بنُ حسينِ بنِ مُحَمَّدٍ ٱلجفريُّ ، وٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ مُحَمَّدٍ بارجاءٍ . ولَم تَطُلْ مدَّةُ ولايتِهم .

وأُحيلَ بعدَهُم إِلى ٱلشَّيخينِ : مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ باكثير ، ومُحَمَّدِ بنِ مسعودٍ بارجاءٍ ، وٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ سقَّافِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ بنِ أَبي بكرٍ ٱلسَّقَّافِ[2] .

ثمَّ ماتَ ٱلسَّيِّدُ عمرُ ، وٱستقلَّ بهِ ٱلشَّيخانِ ، ثمَّ ٱنعزلا ، وولي ٱلشَّيخانِ : عبدُ ٱلقادرِ وعبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ٱبنا مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ بارجاءٍ ، ثمَّ ماتَ ٱلأَوَّلُ ، فأُبقيَ ٱلثَّاني مستقلاً إِلىٰ أَنْ لصقتْ بهِ ريبةٌ ، فضمُّوا إِليهِ ٱلشَّيخَ مُحَمَّدَ بنَ مسعودٍ بارجاءٍ ، ثمَّ سافرَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ فٱستقلَّ بهِ محمَّدُ مسعودٍ ، ثمَّ ضَمُّوا إِليهِ ٱلسَّيِّدَ مُحَمَّدَ بنَ أَحمدَ كرَيسَانْ[3] .

---

(١) الأبيات من البسيط ، وهي للشريف الرضي في « ديوانه » (٢/ ٧) بتغيير يسير .

(٢) حفيد السيد عبد الله بن عمر السابق ذكره ، ولد سنة (١٣١٠هـ) ، وتوفي سنة (١٣٤٣هـ) عن (٣٢) عاماً . « التلخيص » (٨٧) .

(٣) توفي بسربايه في حدود سنة (١٣٦٩هـ) .

والسَّيِّدَ عيدروسَ بنَ سالمِ بنِ مُحَمَّدٍ السَّوم . والسَّيِّدَ عبدَ القادرِ بنَ عبدِ اللهِ بنِ صالحٍ الحامدِ .

ثمَّ انتهتْ ولايتهُمْ ، وأسندوا القضاءَ إلى السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ حسينٍ الجفريِّ ، ثمَّ عُزِلَ ووليَ السَّيِّدُ علويُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ حسينٍ[1] ، ثمَّ انفصلَ وأُسندَ القضاءُ لِلشَّيخِ امبارك عُمَيِّر باحُرَيش[2] ، أحدِ طلبةِ العِلْمِ بتريم ، وكانَ آيةً في النَّزاهةِ علىٰ غرارِ سيِّدي علويِّ بنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ ، لولا ضِيقُ خُلُقٍ وتعصُّبٌ يَقْصِدُ بهِ الاحتياطَ فيوقعُهُ في تعنُّتِ الشُّهودِ مِن حيثُ لا يشعرُ .

ومنَ المقرَّرِ أنَّ الاحتياط ـ في حقِّ القاضي ـ مِن أصعبِ ما يكونُ ؛ لأنَّهُ إذا احتاطَ في جانبٍ . . أضرَّ بالآخرِ .

ومعَ حُبِّي له وإعجابي بهِ وانقطاعهِ إليَّ في قراءةِ كتبِ السَّلفِ . . فقد لاحظتُ عليهِ أغلاطاً ما أظُنُّهُ يتعمَّدُها ، ولـٰكنَّهُ يقعُ فيها بغِشٍّ بعضِ المغرضينَ ، غيرَ أنَّهُ لا يرجعُ عنها .

ولمَّا اضطربَ القضاءُ بسيئونَ وتحوَّلَ إلىٰ تجارةٍ ـ وكانَ الأغلبُ أنْ يُلقىٰ للقاضي حبلُهُ علىٰ غاربهِ ، لا رادَّ لأمرهِ ، ولا معقِّبَ لِحُكمهِ ، بشرط أن يتجنب مساخط أهل النفوذ فقط ـ . . ساءت القالةُ ، وفي الأخيرِ أُنشئَتْ لجنةٌ للاستئنافِ ، فسُرَّ النَّاسُ وأمَّلُوا الإنصافَ ، وأنْ تكونَ الأحكامُ وفقَ المقرَّرِ المعتمَدِ مِنَ المذهبِ ، فما هيَ إلاَّ أيَّامٌ قليلةٌ . . حتَّىٰ تبيَّنوا أنَّ النكسَ شرٌّ مِنَ المرضِ ، وإليكُم مثالٌ مِن مقرَّراتِ استئنافهِم ؛ ليكونَ عنواناً لِما سواهُ :

---

(١) قال السيد علوي المذكور في « تلخيصه » (١٥٧) : وفي سنة (١٣٦٤هـ) طلب مني السلطان جعفر المنصور ووزيره سالم المشهور مع زمرة ممن يعز علي من آبائي وإخواني أن أتولى القضاء ثانياً ولو لمدة وجيزة . . فقبلته وتوليته لمدة (٢٧) شهراً ، ويا ليتني لم أتحمله ، كما قال جدي محسن : (القضاء صفاء زلال لا تثبت عليه إلا أقدام الكمل من الرجال) ، ولست منهم في عير ولا نفير ، ثم تخلصت منه بالعزم على السفر . اهـ

(٢) مولده بتريم ، ودرس بمدرسة جمعية الحق بها ، وبرباط العلم ، وشيوخه كثيرون ، وكان من خواص السيد محمد بن حسن عيديد ، وهو الذي جمع له الثبت المسمى : « إتحاف المستفيد » ، توفي بتريم بعد خروجه من القضاء في شوال (١٣٦٧هـ) .

ٱلحمدُ للهِ ، وهوَ ٱلمستعانُ ، وبَعْدُ :

فقد رُفعَ ٱلحُكمُ ٱلصادرُ مِنَ ٱلسَّيِّدِ علويِّ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلسَّقَّافِ قاضي سيئونَ إلينا ، ٱلمؤرَّخ في (٢٧) جمادى ٱلآخرةِ سَنة (١٣٦٤هـ) في قضيَّةِ ٱلشَّريفةِ رقيَّةَ بنتِ مُحَمَّدِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلعيدروسِ معَ أَولادِ ٱلسَّيِّدِ علويِّ بنِ عيدروسٍ ، معَ ٱلملاحَظاتِ ٱلَّتي قُدِّمتْ عليهِ ، فتأَمَّلْنا ذلكَ .

وحيثُ إنَّ ٱلملاحَظاتِ بمناقضةِ ٱلدَّعوى ٱلَّتي بُنيَ ٱلحُكمُ عليها لِما تقدَّمَ مِنْ إقرارِها عندَ ٱلقاضي مُحَمَّدِ بنِ حسينٍ ٱلجفريِّ ، بأَنَّ ٱلمالَ معهَّدٌ ، وأَنَّها تطالبُ بٱلفكاكِ . . ظاهرٌ في ٱلقدحِ .

وحيثُ إنَّ كتابةَ ٱلقاضي ٱلسَّابقِ مُحَمَّدٍ ٱلجفريِّ ٱلمذكورِ يُصرِّحُ بٱعترافِها بأَنَّ ٱلمالَ معهَّدٌ عندَ أَولادِ ٱلسَّيِّدِ علويٍّ ٱلعيدروسِ ٱلمذكور ، ومطالبتِها بفكاكِ ٱلعهدةِ .

ولَو فرضَ أَنَّ ٱلإقرارَ لَم يَصدرْ إلاَّ مِنْ وكيلِها . . فهٰذا أَيضاً مثبتٌ لمناقضةِ ٱلدَّعوى ٱلأُولىٰ للدَّعوى ٱلثَّانيةِ ٱلَّتي في ٱلحُكمِ بٱلنِّسبةِ للوكيلِ .

فبناءً علىٰ ما ذكرَ . . ٱتَّضحَ لَنا أَنَّ ٱلدَّعوى ٱلثَّانيةَ غيرُ صحيحةٍ ، وأَنَّ ٱلحُكمَ ٱلمترتِّبَ عليها غيرُ صحيحٍ . وٱللهُ يهدي مَنْ يشاءُ إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ ، وحرِّرَ في (٢٤) صفر سَنةَ (١٣٦٥هـ) ، وفي « مجموعِ ٱلحبيبِ طٰهٰ » ما يُصرِّحَ بما تقدَّمَ وٱللهُ رقيبٌ .

عيدروسُ بنُ سالمٍ ٱلسَّوم — صالحُ بنُ عليٍّ ٱلحامدُ

مصطفىٰ بنُ سالمٍ ٱلسَّقَّافُ — محمَّدُ بنُ شيخٍ ٱلمُساوىٰ

فكتبتُ عليها غَيرةً على ٱلعلمِ لا مساعدةً للحاكمِ ؛ فلم أَكن بٱلرَّاضي عن أَحكامِهِ ٱلَّتي بدأَها بحكمٍ لعمرَ بنِ كرامَةَ ٱلزَّوعِ علىٰ زوجتِهِ خديجةَ بنتِ أَحمدَ بنِ سالمٍ باقطيَّان وعَرَضَهُ عليَّ ، ومِن شهودِهِ : ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ عليٍّ . . فلم تلبث أَن أَرضتهُ ٱلمرأَةُ فقُضي لها ، ودُفِنَ ٱلحكمُ ٱلأَوَّلُ .

ومعَ هٰذا فقد كتبتُ علىٰ كلمةِ ٱلاستئنافِ ما يلي :

بما أنَّ ٱلقاضيَ ٱلسَّيِّدَ مُحمَّدَ بنَ حسينٍ ٱلجفريَّ مُنكِرٌ مِنْ إقرارِ رقيَّةَ ووكيلِها بٱلعهدةِ إنكاراً شديداً ، ولَم يَثبُتْ ذلكَ ٱلإقرارُ ببيِّنةٍ قطُّ عندَ أَهلِ ٱلاستئنافِ كما يستهلُّ بهِ بعضُهم ، وإنَّ إنكارَ ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ حسينٍ مِن ذلكَ ملأَ سمعَ ٱلأَرضِ وبصرَها قبلَ أَن يقولَ ٱلاستئنافُ قولَهُ ذاكَ ، وفي إمكانِهم أَن يسأَلوهُ ؛ لأَنَّهُ لا يزالُ على ٱلقضاءِ ، أو يطلبوا ثبوتَ ذلكَ بطريقهِ ٱلشَّرعيِّ ـ ولم يكن ذلك . . يتبيَّنَ أَنَّ هـٰذا ٱلتَّقريرَ رملٌ مبنيٌّ علىٰ ماءٍ ، وأَتعجَّبُ كثيراً مِنْ قولِهم : وفي « مجموعِ ٱلحبيبِ طـٰهَ » ما يُصرِّحُ بما تقدَّمَ ؛ لأَنَّهُ يدلُّ علىٰ غفلةٍ فاحشةٍ وسهوٍ قبيحٍ ؛ إذِ ٱلَّذي في « ٱلمجموعِ » علىٰ أَلوانٍ ، منهُ :

ما نقلَهُ عن « فتاوىٰ عبدِ ٱللهِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلخطيبِ » : (فيما لوِ ٱستدعىٰ رجلٌ لأَولادهِ نذراً معلَّقاً ، ثمَّ ٱدَّعىٰ لَهم نذراً منجَّزاً وأَسندَهُ إلىٰ ما قَبْلَ ٱلتَّعليقِ . . لَم تُسمَعْ دعواهُ إلاَّ لِلتَّحليفِ ؛ لمناقضةِ ذلكَ لدعواهُ ٱلأُولىٰ ، فبَطَلَتْ بٱلنِّسبةِ لَهُ ، وأَمَّا بٱلنِّسبةِ لأَولادهِ . . فلا ، ولـٰكنْ لا يصحُّ أَنْ يدَّعيَ هوَ لَهُم ؛ لأَنَّهُ خرجَ بإقرارهِ عن كونهِ وليّاً لَهُم في ذلكَ ، بل يُنصِّبُ ٱلحاكمُ مَنْ يدَّعي لَهُم ، وتُقبلُ دعواهُ وبيِّنتُهُ)اهـ مِنْ كرَّاسِ ٱلإقرارِ

وفي ٱلدَّعوىٰ وٱلبيِّنةِ منهُ : عنِ ٱلخطيبِ ٱلمذكورِ : (لَو باعَ داراً ، فٱدَّعى ٱبنُهُ على ٱلمشتري أَنَّ ٱلبائعَ وَقَفَها عليهِ وعلىٰ أَولادهِ ، وأَقامَ بيِّنةً . . بطلَ ٱلبيعُ .

فلَو أَقامَ ٱلمشتري بيِّنةً بإقرارِ ٱلمدَّعي أَنَّها كانتْ مِلكاً لأَبيهِ حينَ باعَها وثَمَّ أَطفالٌ مِنْ أَولادِ أَولادهِ . . سُمِعَت ، وبطلتِ ٱلوقفيَّةُ في نصيبهِ دونَ نصيبِ ٱلأَطفالِ ، وليسَ لَهُ أَنْ يدَّعيَ نصيبَ ٱلأَطفالِ ؛ لأَنَّهُ خرجَ بإقرارهِ عن كونهِ قيِّماً لَهُم ، ويجوزُ أَنْ ينصِّبَ ٱلمقرُّ مدَّعياً . قالَهُ ٱلقاضي حسينٌ .

قالَ ٱلبغويُّ كما قالَ ٱلعباديُّ : ولوِ ٱدَّعى ٱلمقرُّ جهلَهُ بٱلوقفِ حالَ ٱلإقرارِ . . صُدِّقَ بيمينهِ ، وهـٰذا هوَ ٱلصَّحيحُ ، ويجبُ ٱلجزمُ بهِ إذا دلَّتِ ٱلقرائنُ علىٰ صِدقهِ ؛ كأَنْ كانَ طِفلاً) اهـ

ومِثلُ هـٰذا موجودٌ في (ص ١١٥ ج ٣) مِنْ « فتاوى ٱبنِ حجرٍ » .

وقولُهُ : (كأَنْ كانَ طِفلاً) مِثلُهُ لوِ ٱعتذرَ بأَنَّ إِقرارَهُ مبنيٌّ علىٰ ظاهرِ ٱلحالِ ، كما في ذلكَ « ٱلمجموعِ » أَيضاً مِنْ تصريحِ ٱلخطيبِ ٱلمذكورِ قُبيلَهُ بأَسطرٍ .

ومِنْ قولهِ : (ويجوزُ أَنْ يُنصِّبَ ٱلمقرُّ . . . إلخ) يُعرفُ تقييدُ خروجهِ عنِ ٱلولايةِ علىٰ أَولادهِ بخصوصِ ٱلدَّعوىٰ فيما ناقضَهُ بإِقرارهِ فقط ، وبهِ يندفعُ ٱلإِشكالُ .

وفي ٱلنَّذرِ مِنْ ذلكَ « ٱلمجموعِ » : (رجلٌ ٱستدعىٰ مِنِ ٱمرأَةٍ نذراً لأَولادهِ ، فنَذَرَتْ لَهُم نذراً معلَّقاً ، ولمَّا علمَ أَنَّها تريدُ نقضَهُ . . ٱدَّعىٰ نذراً سابقاً ، لَم تُسمَعْ دعواهُ ؛ لأَنَّهُ بٱستدعائهِ ٱلمعلَّق أَقرَّ لَها بٱلمِلْكِ . وهوَ مبسوطٌ في كراريسِ ٱلإِقرارِ مِنْ جوابِ مُحَمَّدٍ باحُوَيرث ، وردَّهُ أَحمدُ مؤَذِّن) اهـ

وظاهرُهُ أَنَّ أَحمدَ مُؤَذِّن يقولُ بسماعِ ٱلدَّعوىٰ مطلَقاً ، ويَلزمُهُ ٱلقولُ بأَنَّ ٱلوكيلَ إِذا ٱنعزلَ بٱلإِقرارِ ثمَّ تجدَّدتْ لَهُ ٱلوكالةُ . . صحَّت ، وبذلكَ صرَّحَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَبي بكرٍ ٱلخطيبُ ، كما في « ٱلمجموعِ » ٱلمذكورِ أَوائلَ ٱلدَّعوىٰ .

وحاصلُ كلامِ أَحمدَ مؤَذِّن في « ٱلمجموعِ » ٱلمذكورِ : (أَنَّ أَحمدَ باعُطُب ٱدَّعىٰ علىٰ عائشةَ بنتِ مُحَمَّدٍ ٱلحاجِّ شعيب أَنَّها نَذَرتْ لأَولادهِ بنصفِ دارها نذراً منجَزاً ، وثبتَ ذلكَ بشهادةِ ٱلسَّيِّدِ فلانٍ ، ولَم يَبْقَ إِلاَّ يمينُ ٱلتَّكملةِ ، فعارضني فلانٌ وكتبَ سؤَالاً ذكرَ فيهِ أَنَّ باعُطُب ٱستدعىٰ بعدَ ذلكَ نذراً مِنْ عائشةَ ، وأَنَّ ذلكَ إِقرارٌ منهُ يُناقضُ دعواهُ .

فكتبتُ علىٰ ظهرهِ : هـٰذا غلطٌ واضحٌ ؛ لأَنَّ إِقرارَ ٱلأَبِ لاغٍ في حقِّ أَولادهِ .

ثمَّ أَجابَ بعضُ أَكابرِ دوعنَ بما يوافقُ ٱلمعترضَ ، وصادقَ عليهِ باخُبَيزَان في بُضَه ، وبامعلِّم في قيدونَ ، فأَخذَ ٱللهُ علىٰ بصائرِهم فلَم ينتفعوا بأَبصارهم) اهـ

وٱلحاصلُ : أَنَّ أَحمدَ مؤَذِّن يقولُ بإِلغاءِ ٱلإِقرارِ وصحَّةِ ٱلدَّعوىٰ ، وكانَ باخبيزان ومَنْ لَفَّهُ يقولونَ بصحَّةِ ٱلإِقرارِ وٱلمؤَاخذةِ بهِ ، وهوَ غلطٌ إِنْ صحَّ عنهُم .

وعبدُ ٱللهِ بنُ أَبي بكرٍ ٱلخطيبُ يقولُ : لا مؤَاخذةَ على ٱلأَولادِ بإِقرارِ أَبيهم إِلاَّ في عدمِ سماعِ ٱلدَّعوىٰ ما لَم يُبدِ عذراً . هـٰذا كلُّهُ في « ٱلمجموعِ » ، فماذا ٱلَّذي أَرادَ منهُ

أهلُ ٱلاستئنافِ ؟ لقد حَفِظوا شيئاً وغابتْ عنهُم أَشياءُ ، أَلم يَعلموا أَنَّهُ يجبُ على ٱلقاضي ٱلكاملِ بيانُ مستندِهِ إذا نقضَ حُكمَ غيرِهِ فضلاً عن قضاةِ ٱلضَّرورةِ ؟ وأَيُّ مستندٍ بيّنَهُ هـٰؤلاءِ ؟! أَمَا كانَ ٱلواجبُ عليهم بٱلتَّنزُّلِ وجعلِ إقرارِ ٱلمرأَةِ أَو وكيلِها مانعاً مِن سماعِ ٱلدَّعوى ٱلثَّانيةِ ـ لغرضٍ أَنَّهُ مِن غيرِ تأويل ـ أن يقولوا : ثبتَ لدينا بشهادةِ فلانٍ وفلانٍ ، ويراعوا ٱلأَوضَاعَ ٱلشَّرعيَّةَ في جميعِ ذلكَ ، وينقلوا ٱلنَّصَّ ٱلَّذي ٱعتمدوهُ بعينِهِ ؟!

وإذا لم يكن شيءٌ مِن ذلكَ . . فما قولُهم إلا هراءٌ ، بينَهُ وبينَ ٱلصَّوابِ سُبُلٌ وعرةٌ وأَرضٌ عراء . وٱللهُ أَعلمُ .

كَتَبه : عَبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عبيدِ اللهِ

وبلغَني أَنَّ السَّيِّدَ مصطفى ٱرعوىٰ ورجعَ عَن كلامِهِ ، وأَمَّا ٱلباقونَ . . فأَصرُّوا ، ولـٰكن أُلغيَ كلامُهُم وأُعيدَ المالُ إِلىٰ رقيّةَ ، ثمَّ فُصِلوا تماماً وأُسندَ ٱلاستئنافُ إِلىٰ جماعةٍ بتريم مدَّةً قليلةً ، ثمَّ هوَ ٱلآنَ في يدِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ صالحِ بنِ هاشمٍ ٱلحَبْشيِّ[1] ، وفَّقَنا ٱللهُ وإِيَّاهُ للسَّداد ، وجعَلنا وإِيَّاهُ ممَّن يؤثرُ ٱلنُّصوصَ ٱلمقرَّرةَ في ٱلاعتماد .

وهوَ مشهورٌ بٱلنَّزاهةِ ، إلاّ أَنَّ مِن أَصحابِهِ مُغرضينَ يزعمُ ٱلنَّاسُ أَنَّهُ قد ينخدعُ بكلامِهم .

ومِنَ ٱلعلماءِ ٱلمشهورينَ وٱلأَشخاصِ ٱلظَّاهرينَ بسيئونَ : أَخونا ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ هادي بنِ حسنِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ حسنِ بنِ سقَّافٍ[2] ، فلقد شمَّرَ ـ

---

(١) ولد بالحوطة ، وتوفي بها سنة (١٣٨٧هـ) ، وكان طلب العلم بمكة وكان فقيهاً عالماً ، له اعتناء بعلم الفلك ، وقدم تريم ودرّس في الرباط في حياة الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري .

(٢) ولد الحبيب محمد بن هادي بسيئون سنة (١٢٩١هـ) ، وتوفي بها في (١٥) رجب (١٣٨٢هـ) . نشأ في حجر والده ، وأخذ عن جملة من علماء عصره ؛ منهم : الإمام الأبر ، والحبيب علي الحبشي ، وقرأ على والده الحبيب هادي المتوفى سنة ١٣٢٩هـ ، له رحلة إلى مصر سنة ١٣٤٢هـ دوّن وقائعها مرافقه وتلميذه الشيخ بكران الصبان ، وأخرى إلى الحجاز كتب وقائعها تلميذه السيد محمد شيخ المساوىٰ . وجمع بعضهم كلامه ومواعظه في مجلد . ينظر : « التلخيص » (٩٧ـ ٩٨) ، « تاريخ الشعراء » (٥/١٦٦) .

بسائقِ أبيهِ مِنْ نعومةِ أظفارهِ ـ ٱلذَّيلَ ، وواصلَ في طِلاَبِ ٱلعلومِ بينَ ٱلنَّهارِ وٱللَّيلِ ، ولَم يَزَلْ يردُ ٱلضَّجرَ ، ويفترشُ ٱلمدرَ ، ويُدمنُ ٱلسَّهَرَ ، ويُديمُ ٱلتَّحديقَ ، ويُلازمُ ٱلتَّحقيقَ ، حتَّىٰ يَنعَتْ لَهُ ٱلأماني ، وٱقتطفَ ثمارَ ٱلتَّهاني . . فجاءَ موضعَ قولِ ٱلشَّريفِ ٱلرَّضيِّ [في « ديوانه » ٢/٨ من ٱلبسيطِ] :

لَــو أَنَّ عَيْــنَ أَبِيــهِ ٱلْيَــوْمَ نَــاظِــرَةٌ تَعَجَّــبَ ٱلأَصْــلُ مِمَّــا أَثْمَــرَ ٱلطَّــرَفُ

وكانَ أكثرُ تخصُّصهِ في عِلْمِ ٱلنَّحوِ ، فهوَ وٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ باكثير فيهِ فَرَسا رِهانٍ ، ورضيعا لبانٍ ، وربَّما ٱختلَفا في بعضِ ٱلمسائِلِ ؛ كما في (منهلاً) مِنْ قولِ ذي ٱلرُّمَّةِ [في « ديوانهِ » ١٠٢ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَلاَ زَالَ مُنْهَلاً بِجَرْعَائِكِ ٱلْقَطْرُ

ـ فٱلأَوَّلُ يرىٰ أَنَّ (منهلاً) ٱسمُ فاعلٍ ورفعَ ٱلمسأَلةَ إِلىٰ بعضِ ٱلعلماءِ بمكَّةَ ، فصوَّبَ كلامَهُ .

ـ وٱلثَّاني يرىٰ أَنَّهُ ٱسمُ مفعولٍ ، وظفرَ مِنْ شرحِ « ٱلمتمِّمةِ » لِلسَّيِّدِ ٱلأهدلِ بنصٍّ يُوافقُهُ علىٰ ذلكَ .

وعندي : أَنَّ كلاًّ مِنهُما مُصيبٌ ؛ لأَنَّ (منهلاً) زنةُ (معتلاً) ، وهوَ صالحٌ للاثنينِ ، كما في « حاشيةِ ٱلصَّبانِ على ٱلأَشمونيِّ » [٢/٤٧٦] ، لا يتميَّزُ أَحدُهُما إِلاَّ بٱلنِّيَّةِ .

خصائِصُ سيئونَ :

مِنها : **عذوبةُ ٱلماءِ** ، حتَّىٰ إِنَّ قائِلَهُم يقولُ : (سيئونُ وٱلماءُ ، ولا سَمْنُ ٱلبقرِ في شبامٍ) .

ومِنها : **ٱعتدالُ هوائِها** ، **وكثرةُ صفائِها** ، ولهٰذا كانَ لَها منظرٌ جذَّابٌ يأخذُ بقلوبِ أَهلِها فيكثرُ لَهُ حنينُ ٱلغائبينَ عنها مِنْ أَبنائِها .

ولأَهلِها مَيلٌ كثيرٌ إِلى ٱلأُنسِ ، حتَّىٰ إِنَّهُم كانوا يَخرجونَ بأَهاليهِم في فصْلَي ٱلصَّيفِ

والخريفِ كلَّ عشيَّةٍ إلى ٱلفضاءِ ٱلرَّحبِ في سفوحِ يثْمةَ[1] علىٰ طبخِ ٱلقهاوي ، ومناشدةِ ٱلأشعارِ ، ومبادلةِ ٱلنَّوادرِ ، ثمَّ لا يرجعونَ إلاَّ لِلعشاءِ ، مع نزاهةٍ وصيانةٍ وتباعدٍ في ٱلمجالسِ ، بحيثُ لا يبينُ لأحدٍ لونُ ٱمرأةٍ لا تحلُّ ، إلاَّ مَن كانوا من ٱلمبرِّزينَ ٱلَّذينَ لا تتحجَّبُ نساؤُهم . . فبينَ ما يفعلونَ وما يُؤثَرُ قديماً عن سَمَرِ أهلِ ظَفَار . . بُعدُ ٱلمشرقَينِ .

وهـٰذهِ ٱلسُّفوحُ قاحلةٌ ليسَ بها شيءٌ مِنَ ٱلأعشابِ وٱلأشجارِ إلاَّ تعاشيبُ مِنَ ٱلإذخرِ والأُشنانِ وما أشبهَ ذلكَ ، وحوالَيها مجاري ٱلسُّيولِ وٱلمطرُ بها قليلةِ ٱلهطولِ ، ولـٰكنَّهُ منظرٌ يَجلو ٱلهمَّ ، ويُفرِّجُ ٱلحَزَنَ ، ويُجِمُّ ٱلفؤَادَ .

ولمَّا ٱشتكى ٱلحبيبُ عليُّ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلسَّقَّافُ ما يعتريهِ مِنَ ٱلهمِّ إلى ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويٍّ ٱلحدَّادِ . . أشارَ عليهِ بمقابلةِ وادي يثْمه كلَّما طَرَقَهُ ، ففعلَ فنجحَ ، ووجد منهُ أفضلَ علاجٍ لهُ ولهـٰذا ٱتَّخذَ بفناءِ مسجدِهِ مكاناً في شرقيِّهِ ينظرُ منه إليهِ .

وما أشبهَ حنينَ آلِ سيئونَ إليها . . بما كانَ مِن رسولِ ٱللهِ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ وأصحابهِ ٱلمهاجرينَ إلىٰ مكَّة ٱلمُشرَّفةِ ، حتَّىٰ لقد جاءَهُ أُصيلٌ ٱلغفاريُّ مِن مكَّةَ ووصفَ له خصبَها ، وقالَ : إنَّ ٱلإذخرَ أورقَ ، وٱلشَّجرَ قد أعذقَ[2] ، أو ما يشبهُ هـٰذا ، فاغرورقت عيناه . وإن كانَ بِلالٌ ليرفعُ عقيرَتَهُ إذا أخذتهُ ٱلحُمّى ـ مع أنه لم يلاق بمكة إلا كل بلاء ـ ويقولُ [مِنَ الطَّويلِ] :

أَلاَ لَيْـتَ شِعْـرِي هَـلْ أَبِيتَـنَّ لَيْلَـةً	بِـوَادٍ وَحَـوْلِـي إِذْخِـرٌ وَجَلِيـلُ
وَهَـلْ أَرِدَنْ يَـوْمـاً مِيَـاهَ مَجَنَّـةٍ	وَهَـلْ تَبْـدُوَنْ لِـي شَـامَـةٌ وَطَفِيـلُ

وفي جنوبِ تلكَ ٱلسُّفوحِ في شرقيِّ سيئونَ موقعُ مكانِنا عَلَم بدر[3] ، وكلَّما بارحتُهُ

(١) وادٍ من الأودية المشهورة في سيئون . وهو الذي نشأ فيه الحبيب علي بن عبد الله السقاف ـ المتقدم ذكره ـ وبنىٰ فيه مسجده . وهو يقع الآن داخل سيئون .

(٢) أعذق : أخرج ثمرَهُ .

(٣) أصل تسميته باسم السلطان علي بن بدر بن عمر بن بدر بوطويرق ، المتوفى بالشحر سنة (١١٠٧هـ) . « تاريخ الدولة » (٨٦ ـ ٨٨) . ولـٰكن لما كثر دوران الاسم على الألسنة . . تحرف=

ـ علىٰ ما أُلاقي بهِ مِنَ ٱلأذايا ـ ٱشتدَّ شوقي إليهِ ، كما يُعرفُ مِنْ « ديواني » ٱلمحشوِّ بهِ ، مِنْ ذلكَ قولي مِنْ قصيدةٍ إماميَّةٍ [في « ديوان المؤلِّف » ٥٢١ـ٥٢٢ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

شُجُونٌ أَطَارَتْ فِي ٱلظَّلاَمِ مَنَامِي ... لِتَذْكَارِ أَيَّامٍ بِسَفْحِ يَثَامِ

بِحَيْثُ ٱلْفَضَاءُ ٱلرَّحْبُ وَٱلسِّدْرُ حَوْلَهُ ... مَنَابِتُ نَخْلٍ بَاسِقٍ وَبِشَامِ[1]

قَلِيلٌ بِهِ ٱلأَعْشَابُ لَكِنَّ مَاءَهُ ... أَلَذُّ وَأَصْفَىٰ مِنْ سُلاَفِ مُدَامِ[2]

وَمَا نُزَهُ ٱلدُّنْيَا وَجَنَّاتُ رِيفِهَا ... بِأَنْفَعَ مِنْ بَطْحَائِهِ لِسَقَامِ

وَلَنْ أَنْسَ فَوْقَ ٱلرَّمْلِ فِيهِ مَجَالِسِي ... شِمَالِيَ بِنْتِي وَٱلْيَمِينَ غُلامِي

عَشَايَا عَلَىٰ تِلْكَ ٱلسُّفُوحِ تَصَرَّمَتْ ... بِإِثْرِ غَدَايَا فِي هَناً وَوِئَامِ

بِصُحْبَةِ قَوْمٍ طَاهِرِينَ مَرَاجِحٍ ... مَيَامِينَ شُمٍّ صَادِقِينَ كِرَامِ

مَضَوْا كُلُّهُمْ قِدْماً وَعَاشُوا بِحَمْدِهِمْ ... وَإِنْ أُعْقِبُوا فِي عَصْرِنَا بِلِئَامِ

ومِنْ أُخرىٰ وَدَاعيَّةٍ كانَ إنشاؤُها في سَنةِ (١٣٥٤هـ) [في « ديوان المؤلِّفِ » ٥٢٥ـ٥٢٦ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

تَذَكَّرْتُ شَرْقِيَّ ٱلْحِمَىٰ مَنْبِتَ ٱلأَثْلِ ... وَمَا أَصْعَبَ ٱلذِّكْرَىٰ عَلَىٰ ذِي ٱلْوَفَا مِثْلِي[3]

مَشَارِفُ مَا فِيهِنَّ لِلْعَيْنِ مَنْظَرٌ ... يَرُوقُ سِوَىٰ شَيْءٍ مِنَ ٱلسِّدْرِ وَٱلنَّخْلِ

فَمَا زَرْعُهَا زَاكٍ وَلاَ ثَمَّ سَاكِنٌ ... بِهَا غَيْرُ شَاكٍ قِلَّةَ ٱلأَمْنِ وَٱلْعَدْلِ

وَلَكِنَّ فِيهَا نَشْأَتِي وَوِلاَدَتِي ... وَخَلَّفْتُ فِيهَا صِبْيَتِي وَبِهَا أَهْلِي

فَمَا فِي بِلاَدِ ٱللهِ أَرْضٌ كَمِثْلِهَا ... لَدَيَّ عَلَىٰ تِلْكَ ٱلْمَخَاوِفِ وَٱلأَزْلِ[4]

وَلَمْ أَنْسَ فِي يَوْمِ ٱلْوَدَاعِ مَوَاقِفاً ... لَوَاعِجُهَا فِي ٱلْقَلْبِ أَشْوَىٰ مِنَ ٱلثُّكْلِ[5]

= فصار (علم بدر) كما يوردها المؤلف كثيراً في هٰذا الكتاب .

(١) البِشام : نبت طيِّب الرَّائحة ، يستاك به .

(٢) سلاف المدام : أجودها وأزكاها .

(٣) الأثل : شجر طويل ، يعمِّر كثيراً ، جيِّد الخشب ، كثير الأغصان متعقِّدها ، دقيق الورق .

(٤) الأزل : الشِّدَّة .

(٥) اللَّواعج : الآلام .

تُـــرَاجِعُنِـــي فِيهَـــا ٱلْهَـــوَىٰ أُمُّ شَـــادِنٍ وَأَجْفَـانُهَـا تَجْـرِي وَأَشْجَـانُهَـا تَغْلِـي[١]
وَتَلْـــوِي بَلِيتَّهَـــا مَخَـــافَـــةَ طِفْلَـــةٍ تَرَىٰ مَا بِهَا مِنْ حَسْرَةِ ٱلْبَيْنِ أَوْ طِفْلِ
تَصُـــدُّ لإِيهَـــامِ ٱلأُطَيْفَـــالِ تَـــارَةً وَتُقْبِـلُ أَحْيَـانـاً بِفَـوَّارَتَـيْ وَبْـلِ[٢]
وَيَمْنَعُهَـــا سَـــوْقَ ٱلْمَقَـــالِ نَشِيجُهَـــا سِـوَىٰ كَلِمَـاتٍ سَـاقَطَتْهَـا عَلَـىٰ رِسْـلِ
تَقُولُ : إِلَىٰ أَيْنَ ٱلسُّرَىٰ بَعْدَ مَا تَرَىٰ؟ فَلَيْـسَ لَنَـا ذَرْعٌ عَلَـىٰ فُـرْقَـةِ ٱلشَّمْـلِ[٣]
فَقُلْـتُ : قَـرِيبـاً تَنْطَـوِي مُـدَّةُ ٱلنَّـوَىٰ وَيُعْقِبُهَـا مِـنْ فَضْلِـهِ ٱللهُ بِـٱلْـوَصْـلِ

وٱلشَّوطُ بطينٌ جدّاً مِنْ أَمثالِ هـٰذا ، ولـٰكنْ لا حاجةَ لإِثارةِ ٱلأشواقِ ، وتجديدِ ٱلأحزانِ ، ولقد كانت لي أُختٌ صالحةٌ تجرمت لها ٱلأعوامُ في ٱلأمراضِ ٱلمزمنةِ وٱلأوجاعِ ٱلمؤذيةِ ، وعرضنا عليها أَن تُمرَّضَ في بيتِنا . . فٱمتنعَ زوجُها ، فكانت لا تَغِبُّنا زيارةً مع ضعفِها ، تستشفي برؤيتِنا وٱستنشاقِ هوائِنا ، حتَّى ٱشتدَّ بها ٱلمرضُ وأَلحَّ عليها ٱلألمُ ، فكانت تأمُرُ أَن تُحمَلَ لتُطِلَّ مِنْ نافذةٍ يتراءىٰ لها منها مكانُنا ، فقلتُ في جملةِ رثائِها [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَكَـمْ هَـزَّهَـا شَـوْقٌ لِمَسْقَـطِ رَأْسِهَـا فَنَـاءَ بِهَـا ضَعْـفٌ فَجَـاشَ لَهَـا وَبْـلُ
تَـذُوبُ حَشَـاهَـا حَسْـرَةً كُلَّمَـا بَـدَا مُصَلَّـىٰ أَخِيهَـا أَوْ تَـرَاءَىٰ لَهَـا ٱلنَّخْـلُ

وكانَ سيِّدُنا ٱلجدُّ سقَّافُ بنُ مُحَمَّدٍ يحرصُ كثيراً علىٰ سرورِ أَهلِ بلادِهِ ، حتَّىٰ إِنَّه ليرتقي سطحَ دارِهِ في أَيَّامِ ٱلصَّيفِ وٱلخريفِ فإِن لَم يَسمعْ غناءً ولا طبلاً . . تكدَّرَ ؛ لأَنَّهُم لا يخرجونَ بتركِهِ عن عادتِهم في ذلكَ إِلاَّ لِمُكدِّرِ عيشٍ ، ومشوِّشِ بالٍ . وكانوا معَ فَرْطِ ٱلصَّفاءِ وترادفِ ٱلسُّرورِ في فقرٍ مُدْقِعٍ متساوينَ فيهِ ، وإِنْ وُجدَ لدىٰ أَحدٍ شيءٌ مِنَ ٱلمالِ . . لَم يُعرَفْ أَثَرُهُ في لباسِهِ ، ولا في أَثاثِهِ ولا في دارِهِ ، وإِنَّما يظهرُ أَثَرُهُ في

(١) الشَّادن : ولد الغزال عندما يطلع قرناه ويستغني عن أُمّه .
(٢) الفوَّارة : العين الَّتي يفور ويجري ولا ينقطع ماؤُها . الوبل : المطر الشَّديد وهو هنا كناية عن فوران العينين بالدموع .
(٣) ذرع : قوَّة وطاقة .

ٱلإحسانِ ومواساةِ ٱلأقاربِ وٱلجيرانِ؛ كسيِّدي جعفرِ بنِ شيخٍ[1]، وٱلشَّيخِ عمرَ دُحْمي[2].

وفي أَوائِلِ هـٰذا القرنِ بدأَتْ زَهَراتٌ ضئيلةٌ مِنَ ٱلثَّروةِ ، ٱستفزَّت بعضَ أَهلِ ٱلعِلْمِ فٱستمالوا أَهلَها وعظَّموهُم، وكبَّروهُم في أَنفسِهِم، وحملوهُم على ٱقتناءِ ٱلفراشِ وٱلأَثاثِ، وتشييدِ ٱلدُّورِ ، وزخرفةِ ٱلقصورِ ، ونَهَجُوا لهُمُ ٱلسَّبيلَ إِلى ٱتِّباعِ ٱلشَّهَواتِ ، وٱلتَّقلُّبِ في ٱللَّذَّاتِ ، فأَخذَ ٱلسُّرورُ يغيضُ[3] وٱلأَحزانُ تفيضُ[4] ، حتَّى ٱنحلَّ ٱلرِّباطُ ، وطُوِيَ ٱلبساطُ ، وتقوَّضَ ذلكَ ٱلفسْطَاطُ ، وأُديلَ ٱلاجتماعُ بٱلافتراقِ، وٱلاتِّحادُ بٱلانشقاقِ، وٱنكسرت خواطرُ ٱلفقراءِ، فٱقشعرَّ بهم بطنُ ٱلبلادِ، وتوزَّعتهمُ ٱلأَقاليمُ ٱلنَّائيةُ.

ونجمتِ ٱلمنافساتُ وٱلمزاحَماتُ ـ ٱلعائدُ كثيرٌ مِنْ شرِّها إِلىٰ بدعةِ طائفةٍ باطُوَيح ، فهُم ومن على شاكلتِهِم ٱلَّذينَ بذروا بذورَ ٱلتَّحاسُدِ ، وأَثاروا الأحقادَ ـ وما كان آلُ سيئونَ قَبْلَ ظهورِ ٱلثَّروةِ وٱلجاهِ ونجومِ هـٰذهِ ٱلبدعةِ إِلاَّ إِخواناً علىٰ سُرُرِ ٱلصَّفاءِ متقابلينَ ، وكانَ ٱلدَّرَسَةُ أَحراراً ، وٱلأَوقاتُ موزَّعَةٌ ، لكلِّ وقتٍ شيخٌ يُدرِّسُ ٱلعِلْمَ ويحضرُ عليهِ ٱلطَّالبونَ ، فيبثُّ فيهمُ ٱلحبَّ ، ويؤكِّدُ ٱلإِخاءَ ، ويُثني بينَهم علىٰ أَقرانِهِ ، ويغريهم بٱلأَخذِ عنهُم . لا يمتازُ شيخٌ بأَحدٍ ، بل كلُّهم شرعٌ فيهم .

وقد قالَ ٱلنَّوويُّ في مقدِّمةِ « ٱلمجموع » [٦١] : (ومِنْ أَهمِّ ما يُؤمَرُ بهِ ٱلعالِمُ : أَنْ لا يتأَذَّىٰ ممَّنْ يقرأُ عليهِ إِذا قرأَ علىٰ غيرِهِ ، وهـٰذهِ مصيبةٌ يُبتلىٰ بها جهلةُ ٱلمعلِّمينَ ، وهوَ مِنَ ٱلدَّلائلِ ٱلصَّريحةِ علىٰ عدمِ إِرادتِهم وَجْهَ ٱللهِ ، وقد قدَّمنا عن عليٍّ ـ كرَّمَ ٱللهُ وجهَهُ ـ ما فيهِ مِن ٱلإِغلاظِ) اهـ

فعندَ نجومِ ٱلجاهِ ، وتفشِّي ٱلمالِ ، وظهورِ ٱلبدعةِ . .

غَـاضَ ٱلسُّـرُورُ وَفَـاضَ ٱلْهَـمُّ وَٱتَّسَعَـتْ مَسَافَةُ ٱلْخُلْفِ بَيْنَ ٱلْقَوْلِ وَٱلْعَمَلِ[5]

---

(١) هو السيد جعفر بن شيخ بن عبد الرحمـٰن بن سقاف توفي سنة (١٢٩٥هـ) . « التلخيص » (٥٤ـ٥٥).

(٢) وعمر دحمي من آل السبايا ، تنظر أخباره في : « العدة المفيدة » .

(٣) يغيض : يذهب ، ويقلُّ .

(٤) يفيض : يزداد .

(٥) البيت من البسيط ، وهو للطُّغرائِيِّ في « ديوانه » .

ثمَّ جاءَتِ ٱلطَّامَّةُ ٱلكبرىٰ وكانتِ ٱلحربُ ٱلطَّاحنةُ ، وٱنقطعَتْ صِلاتُ جاوة وسنغافورة عن حَضْرَمَوْتَ ، فوقعَ ٱلحضارمُ ـ ولاسيَّما مَنْ نزلَ عن شبام ـ في أَضيقَ مِنْ حلقةِ ٱلميمِ ، وأَشدَّ مِنْ صمَّاءِ ٱلغَبَرِ[(١)] ، ورماهُمُ ٱللهُ بسَبْعٍ كسبعِ يوسفَ[(٢)] ، يكفي لوصفِها ما جاءَ في قصيدتي ٱلمستهلَّةِ بقولي [مِنَ ٱلكامل] :

عِبَــرٌ يَلِيــنُ بِهَــا ٱلْغَلِيــظُ ٱلْجَــافِـي وَيَحُسُّ مِنْهَـا ٱلْقَلْـبُ وَخْـزَ أَشَـافِـي[(٣)]

وقد طُبعتْ مرَّاتٍ ، وأَشرتُ إِلىٰ شيءٍ مِنْ ذلكَ في قصيدةٍ أُخرىٰ ، مطلعُها [مِنَ ٱلكامل] :

يَـا لَيْـتَ شِعْـرِي هَـلْ يُسَـاغُ ٱلـرِّيـقُ وَيُـدَالُ بِـٱلإِفْـرَاجِ هَـٰـذَا ٱلضِّيـقُ

ولَو أَنَّ سيئونَ عادتْ بٱلفقرِ ٱلأَخيرِ سِيرَتَها ٱلأُولىٰ مِنَ ٱلأُنسِ وٱلصَّفاءِ ، وكثرةِ ٱلسُّرورِ وسلامةِ ٱلصُّدورِ . . لكانَ ٱلأَمرُ هيِّناً ، بل ممدوحاً ، فلا مرحباً بٱلمالِ إِن لم يكشفِ ٱلبؤس ، ويُؤْنسِ ٱلنُّفوس ، ولٰكِنْ . . لا ذا تأَتَّىٰ ولا ذا حصلَ[(٤)] ، وما أُتوا إِلاَّ مِنْ قِبَلِ نفوسِهِم ، وسوءِ أَعمالِهم ، ونَغَلِ قلوبِهم ، وفسادِ نيَّاتِهِم ، فكانَ ٱلأَمرُ كما قالَ ٱلقطبُ ٱلحدَّادُ [في « ديوانه » ١٢٦ مِنَ ٱلرَّمَلِ] :

آيَــةُ ٱلأَنْفَــالِ وَٱلــرَّعْــدِ مَــعَ ٱلنَّــحْـلِ لَمَّــا غَيَّــرُوهَــا . . غَيَّــرَتْ[(٥)]

---

(١) الصَّمَّاء : الحيَّة . الغبر : الأرض الَّتي لا يهتدىٰ فيها ، يضرب مثلاً للداهية العظيمة .

(٢) المجاعة الكبرى في حضرموت : بدأت من حدود (١٣٦٢هـ) إلى سنة (١٣٦٦هـ) إبان الحرب العالمية الثانية ، وقد مات أثناءها أمم لا تحصى ، وقد كانت من أسباب الهجرة إلى الحجاز ونواحي الجزيرة ، والبعض إلى الحبشة وأرتيريا ، ومؤخراً إلى السعودية وبلدان الخليج .

(٣) الأشافي : الإبر .

(٤) أخذاً من البيتين المشهورين في التحذير من التقليد الأعمى :

غــــراب تعلـــم مشـــي القطــــا وقــد كــان يحســنُ مشـــيَ الحَجَــلْ
فهـــزْوَل مـــا بيـــن هــٰـذا وذا فـــلا ذا تـــأتـــى ولا ذا حصَـــلْ

(٥) آية الأنفال : هي قوله تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

آية الرعد : هي قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ .

آية النحل : هي قوله تعالىٰ : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .

ومِنْ خصائِصِ سيئونَ : ملاحةُ نسائِها ، حتَّىٰ جاءَ في أَمثالِهم : (مِصْباةٌ في سيئونَ . . خيرٌ مِنْ حُزْمة في مَدُودِه) . والمصباةُ هيَ : الأَثافيُّ إِزاءَ المنصَّةِ الَّتي تطبخُ عليها المِلاحُ القهوةَ .

فَفِيهَا الْمِلَاحُ الْهِيفُ يَلْعَبْنَ بِالنُّهَىٰ ... وَيَقْتُلْنَ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْعِشْقَ قَلْبُهُ[1]

وهنَّ كما يقولُ شيخُنا العلاَّمةُ ابنُ شهابٍ عن نساءِ عدن [في «ديوانه» ٢٣٦ مِنَ الطَّويل] :

حَوَاضِرُ آدَاباً وَلُطْفاً وَرِقَّةً ... أَعَارِيبُ إِنْ حَاوَرْنَ نُطْقاً وَتِبْيَانَا

مَعَاطِيرُ لاَ مِنْ مسِّ جامِ لَطِيْمَةٍ ... وَأَذْكَىٰ شَذاً مِنْ مِسْكِ دَارِينَ أَرْدَانَا[2]

وكم لأَخي علويٍّ ولأَبي ريًّا مِنَ التَّغزُّلاتِ السَّائقة بغواني سيئونَ الفائقة .

ومِنْ خصائِصِها : **لِينُ الطِّباعِ** ، حتَّىٰ لقد رَوَوا أَنَّ أَميرَينِ ببور اختلَفا وطالَ بينَهُما النِّزاعُ ، فأَشارَ بعضُ أَهلِ الفِراسةِ بِطِينٍ مِنْ سيئون فرشُّوهُ تحتَ قطيفةِ أَحدِهما ، فلاَنَ وبخعَ للآخَرِ بما يريدُ ، وسُوِّيتِ المسأَلةُ في دمائهم .

أَمَّا أَحوالُ سيئونَ السِّياسيَّةُ :

- فقد مرَّ في هٰذهِ المسوَّدةِ أَنَّها كانت سَنةَ (٦٠١هـ) لظَنْيان وبني سعدٍ ، والمقصودُ نخيلُها ، أَمَّا ديارُها . . فإِنَّها خرابٌ لذلكَ العهدِ .

- وفي سَنةِ (٨٤٢هـ) أَخذَها السُّلطانُ الكثيريُّ كما عندَ شَنْبَلٍ [ص١٧٦] .

- وفي سَنةِ (٨٥٤هـ) كانت سيئون والغرفةُ وجِفِل مِلكَ الكثيريِّ ، ولٰكنَّ آلَ يمانيٍّ وآلَ ثعلبٍ يغْزُونَهُم ويُحارِبُونَهُم ، ثمَّ تقلَّبتْ بها الأَحوالُ الَّتي تقلَّبتْ بسائِرِ بلادِ حَضْرَمَوْتَ ، حَسَبَما يُفهَمُ ممَّا مرَّ في شبام .

وهنا نلخِّصُ شيئاً مِنْ أَحوالِ الدَّولةِ الأَخيرةِ عنِ « **الأَصلِ** » : ففي سَنةِ (١٢٦٤هـ) أَخذَها نُوَّابُ السُّلطانِ غالبِ بنِ محسنٍ الكثيريِّ مِنْ أَيدي آلِ الظَّبي اليافعيِّينَ[3] ، يرجعُ

---

(١) البيت مِنَ الطَّويلِ .

(٢) **اللَّطيمةُ** : وعاءُ العطر .

(٣) ينظر « العدة المفيدة » (١/ ٤٠٠) وما بعدها .

نَسَبُهم إِلىٰ يافع بنِ زيدِ بنِ مالكِ بنِ زيدِ بنِ ذي رُعَينٍ ، وكانَ لجلائِهِم منها رنَّاتُ حُزْنٍ مؤثِّرة ، كما قالَ أَبو عبادةَ [في « ديوانِهِ » ٢/ ٣٦٣ مِنَ الكامل] :

كَـانُـوا جَمِيعـاً ثُـمَّ فَـرَّقَ بَيْنَهُـمْ ... بَيْـنٌ كَتَقْـوِيـضِ ٱلْجَهَـامِ ٱلْمُقْلِـعِ[1]

وَوَرَاءَهُـمْ صُعَـدَاءُ أَنْفَـاسٍ إِذَا ... ذَكَرُوا ٱلْفِـرَاقَ . . أَقَمْـنَ عُـوجَ ٱلأَضْلُعِ

لأَنَّ لفُرَاقِ ٱلأَوْطَانِ مُطْلقاً عَبَراتٌ تنقضبُ[2] لَها ٱلضُّلوعُ ، فكيفَ بسيئونَ ٱلَّذي مرَّ بكَ مِنْ وَصْفِها ما يُشْعِرُ بتزيُّدِها في هٰذا ٱلشَّأْنِ ؟ ولذا لَم تَزَلْ يافعُ تتحرَّقُ حتَّىٰ ظفرت بٱلمساعدةِ مِنَ ٱلأَميرِ عُمَرَ بنِ عوضٍ ٱلقعيطيِّ ، فٱستردَّتْها في سَنةِ (١٢٦٥هـ) ، ولٰكنَّهُم لَم يُقيموا بها إِلاَّ سبعينَ يوماً ، وٱلفتنةُ ذاكِ أُوارُها ، مترامٍ شرارُها .

وفي يومِ ٱلخميسِ غرَّةَ جمادى ٱلأُولىٰ مِنْ سَنةِ (١٢٧٢هـ) . . وصلَ ٱلسُّلطانُ غالبُ بنُ محسنٍ[3] مِنَ ٱلهندِ إِلىٰ ريدةِ ابنِ حمدات ـ ٱلسَّابقِ ذِكرُها في ٱلمراسي ـ ونزلَ عندَ أَصحابِهِ آلِ عبدِ ٱلودودِ ، ثُمَّ إِلىٰ تاربه ، ثُمَّ إِلىٰ تريم ، ثُمَّ إِلىٰ سيئونَ .

وفي ثاني يومِ وصولِهِ إِلىٰ سيئونَ خَفَّ إِلىٰ ذي أَصبحٍ لزيارةِ وحيدِ حَضْرَمَوْتَ ،

---

(١) **تقويض** : تفريق . **الجَهام** : السحاب .

(٢) **تنقضب** : تنقطع .

(٣) هو غالب بن محسن بن أحمد بن محمد بن عبد الله ، المنتهي نسبه إلى عبد الله بن بدر بوطويرق الكثيري ، ولد سنة (١٢٢٤هـ) أو (١٢٢٣هـ) في قرية غنيمة بوادي تاربة ، وسافر سنة (١٢٤٦هـ) إلى الهند ، والتحق بالجيش النظامي ، وترقى إلى رتبة جمعدار بمعونة الجمعدار عبد الله بن علي العولقي .

وكانت عودته لإقامة دولة آل عبد الله الأخيرة بمعونة بني عمومته : علي بن أحمد ، وعُبُود بن سالم آل كثير ، وكان ابن أخته عُبُود بن سالم قد ورد إلى حضرموت سنة (١٢٦١هـ) وبدأ في التمهيد ، وأخذ يجوب حضرموت شرقاً وغرباً يأخذ العهود والمواثيق من القبائل ، وكان السلطان غالب يمده من الهند بالأموال اللازمة ، ولم يأت إلى حضرموت إلا وقد ملأ اسمه وصيته الأسماع . ينظر : « الصفحات » لباوزير (١٩٠ـ٢٠٠) .

أما دولة آل كثير الأولى . . فقد انتهت في عام (١٢٢٣هـ) بعد هزيمة يافع للأمير جعفر بن علي بن عمر بن جعفر ، وبوفاته انحصرت سلطة أبنائه على شبام فقط ، وقامت بها دويلة آل عيسى بن بدر سنة (١٢٣٩هـ) ، وانتهت بمقتل السلطان منصور بن عمر في شبام سنة (١٢٧٤هـ) على يد السلطان عوض بن عمر القعيطي .

ٱلإمامِ : حسنِ بنِ صالحِ ٱلبحرِ وطلبَ دعاءَهُ ، وكانَ ٱلسُّلطانُ غالبٌ صالحاً عادِلاً ، أَبيضَ ٱلسَّريرةِ ، غيرَ أَنَّ وزيرَهُ عُبُودَ بنَ سالمٍ ـ وهوَ ٱبنُ أُختِهِ ـ لَم يَكُنْ هناكَ ، وقدِ ٱستولىٰ علىٰ خواطرِه ، فكانت تتَّجهُ إِليهِ ملاومُ أَهلِ ٱلحقِّ مِنْ هـٰذهِ ٱلنَّاحيةِ مِنْ حينٍ إِلىٰ آخَرَ ، ولَم يَزَلْ على ٱلسَّلطنةِ إِلىٰ أَنْ توفِّيَ فجأَةً في (٢١) رجبَ ، سَنةَ (١٢٨٧هـ) ، ودُفنَ مِنَ ٱليومِ ٱلثَّاني في جَمْعٍ عظيمٍ أَمَّ ٱلنَّاسَ فيهِ سيِّدي ٱلجدُّ محسنُ بنُ علويٍّ ، وخطبَ خُطبةً وَجِلَتْ لَها ٱلقلوبُ ، وذَرَفَتِ ٱلعيونُ .

وقد طَمِعَ في ٱلإِمارةِ بَعدَهُ كلٌّ مِنْ : أَخيهِ عبدِ ٱللهِ بنِ محسنٍ ، وٱبنِ أُختهِ عُبُودِ بنِ سالمٍ ، وٱبنِ عمِّهِ عبدِ ٱللهِ بنِ صالحٍ . وكانَ أَشدَّهُم طمعاً عبودٌ ؛ لأَنَّ خالَهُ تهيَّأَ قُبيلَ وفاتِهِ للتَّنازلِ عنها لَهُ تأَثُّماً مِنَ ٱلتَّبعاتِ ، غيرَ أَنَّ ٱلجدَّ محسناً بحكمتهِ وشهامتهِ وصرامتهِ وضعَ عمامتَهُ علىٰ رأسِ ولدِهِ منصورٍ ، فكمَّتِ ٱلأَفواهُ وكانَ إِذْ ذاكَ أَوانَ ٱلبلوغِ ، وكانَ ذلكَ ٱلصَّنيعُ فَلْتَةً ، إِلاَّ أَنَّ ٱللهَ وقىٰ شرَّها .

وكانَ ٱلسُّلطانُ محسنُ بنُ غالبٍ صغيراً يومَ ماتَ أَبوهُ ، ولمَّا شبَّ . . ساهَمَ أَخاهُ[1] ، فتناصَفا ٱلمُلكَ عن طيبةِ خاطرٍ .

وفي سَنةِ (١٣٣٤هـ) وصلَني كتابٌ مِنْ قائِدِ ٱلجيوشِ ٱلعثمانيَّةِ بلَحْج ، وهوَ علي سعيد باشا ، يطلبُ ٱعترافَ سلاطينِ حَضْرَمَوْتَ بأَنَّهُم تبعُ ٱلدَّولةِ ٱلعليَّةِ ، فما زلتُ بٱلسُّلطانَينِ حتَّىٰ وقَّعا على ٱلوثيقةِ ٱلمكتوبةِ في ذلكَ ٱلمعنىٰ بإِمضائِهما ومُهْرَيْهما ، إِلاَّ أَنَّ مُهْرَ[2] ٱلسُّلطانِ محسنٍ كانَ معَ ٱلاستعجالِ منكوساً ، فتشاءَمْنا مِنْ ذلكَ .

ووقَّعَ عليها ٱلسُّلطانُ عليُّ بنُ منصورٍ بصفتهِ وليَّ عهدِ أَبيهِ ، وٱلقاضي[3] لذلكَ ٱلعهدِ .

وأَرسلتُها إِليهِ فلَم يَكتفِ بها حتَّىٰ طلبَ إِمضاءَ ٱلمناصبِ وٱلرُّؤَساءِ ، فما زلتُ بهِم حتَّىٰ أَمضىٰ أَكثرهُم علىٰ مِثلِها ، وسَيَّرتُها إِليهِ . وغَضِبتْ لَها حكومةُ عدن ، وتوعَّدني

---

(١) ساهم أَخاه : أَعطاه سهمَه وحصَّته ، وكان لمحسن وأَولاده تريم ونواحيها .

(٢) المُهْر ـ بضم الميم ـ الختم .

(٣) أي ووقَّع معهم القاضي ، وحكمته : ليُعْلَم أن السلاطين يحكّمون الشريعة .

ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ ٱلمحضارُ ظاهراً ، ولـٰكنَّهُ كانَ يُغريني في ٱلسِّرِّ علىٰ توثيقِ ٱلعلائِقِ بيني وبينَ علي سعيد باشا ، ومواصلةِ ٱلكتبِ إِليهِ ، وقد تُبودلَتْ بيننا كثيرٌ مِنَ ٱلكتبِ وٱلقصائِدِ توجدُ بمحلِّها مِنَ « **ٱلأصلِ** » و« **ٱلدِّيوانِ** » .

وبإِثرِ ذلكَ كانت حروبٌ صُوريَّةٌ بينَ ٱلقعيطيِّ وآلِ كثيرٍ ، وهيَ ٱلمسمَّاةُ : حَرْب قَشْبَل ، وكانَ ٱلضِّلعُ ٱلأقوىٰ فيها ٱلشَّيخَ طالبَ بنَ جعفرٍ مِنْ آلِ كثيرٍ .

وأكثرُ ٱلنَّاسِ يَتفرَّسُ أَنَّ ٱلسَّيِّدَ حسينَ بنَ حامدٍ كانَ يتعلَّلُ بتلكَ ٱلمناوشاتِ معَ آلِ كثيرٍ عمَّا تُطالبُهُ بهِ حكومةُ عدن مِنَ ٱلاشتراكِ في مباشرةِ ٱلحربِ معَ علي سعيد باشا .

ولمَّا شعرَ بٱنتهاءِ ٱلحربِ ٱلعظمىٰ . . أَشارَ علىٰ حكومةِ عدن بإِيقافِ حربِ حَضْرَمَوْتَ ، وطَلَبِ ٱلمتحاربينَ إِلىٰ عدن ، ففَعَلَتْ ، وسارَ هوَ بٱلنِّيابةِ عنِ ٱلسُّلطانِ غالبِ بنِ عوضٍ ، وجاءَ ٱلشَّيخُ سالمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ طالبٍ ، وٱلشَّيخُ سالمُ بنُ جعفرٍ ، وٱلشَّيخُ ناصرُ بنُ عمرَ بنِ يمانيٍّ بصفةِ ٱلنِّيابةِ عن آلِ كثيرٍ ، وهناكَ تواضَعوا على ٱلمعاهَدةِ ذاتِ ٱلإحدىٰ عشرةَ مادَّةً ، ٱلمحرَّرةِ في (٢٧) شعبانَ سَنَةَ (١٣٣٦هـ) ، وقد حدَّدوا فيها نفوذَ سلاطينِ آلِ كثيرٍ في ستِّ نقطٍ ، وهيَ : تريمُ ، وٱلغرفُ ، وسيئونُ ، ومريمه ، وتريسُ ، وغيلُ ٱبنِ يُمَينٍ .

قالوا : وصارَ ٱلاعترافُ : أَنَّ ٱلشَّنافرَ تابعونَ لسلاطينِ آلِ عبدِ ٱللهِ ، وهُم : آلُ عمرَ وآلُ عامرٍ[1] ، وٱلفخائذُ : آلُ كثيرٍ وٱلعوامرُ ، وآلُ جابرٍ ، وآلُ باجْرَي وما شَمِلَتْهُ حدودُهُم .

فمِنْ هـٰذهِ ٱلجملةِ وَجدوا ٱلسبيلَ إِلىٰ توسيعِ منطقتهِم ؛ إِذْ لَم يَكُنْ عندَ ٱلقعيطيِّ كَفِيٌّ بِقَرْعِ هـٰذهِ ٱلحُجَّةِ بمثلِها .

وبإِثرِ ذلكَ وصلَ ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ ، وٱستُقبلَ ٱستقبالاً مهيباً عظيماً ، وفي ٱليومِ ٱلثَّاني مِنْ وصولِهِ إِلىٰ سيئونَ زارني بمكاني عَلَمْ بدرٍ ، وحَضَرَ

---

(١) هـٰذه هي المعاهدة الثانية وهي معاهدة صلح ، أما الأولى . . فكانت : معاهدة الحماية ، والثالثة : معاهدة الاستشارة وتقدمتا . ينظر : « الأدوار » (٤١٤) .

بحضورِهِ زهاءَ أَلفٍ وخمسِ مئةٍ مِنَ العلويِّينَ ، والسَّلاطينِ ، ويافعٍ ، وآلِ كثيرٍ ، والعوامرِ ، وآلِ باجْرَيْ ، وآلِ تميمٍ ، وغيرِهم ، وهناكَ أَنشدتُ قصيدةً مطوَّلةً ، أَقولُ فيها للسَّيِّدِ حسينٍ [في « ديوان المؤلِّف » ق : ١٣٦ـ١٣٨ مِنَ البسيط] :

أَدْرَكْتَ بِالْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ مَا عَجَزَتْ ... عَنْهُ الْمُلُوكُ بِجَلْبِ الْخَيْلِ وَالإِبِلِ
مَلَكْتَ قَسْراً قُلُوبَ النَّاسِ قَاطِبَةً ... بِخِفَّةِ الرُّوحِ وَالأَخْلاَقِ وَالْحِيَلِ
لاَ شَكَّ أَنَّكَ ذُو سِحْرٍ وَشَعْوَذَةٍ ... أَوْ ذُو مَقَامٍ لَدَى الْبَرِّ اللَّطِيفِ عَلِي
وَالْيَوْمَ أَتْمَمْتَ عَقْدَ الصُّلْحِ مُحْتَسِباً ... هَـذَا الصَّنِيعَ فَقَرَّتْ أَعْيُنُ الدُّوَلِ
عَسَىٰ تَكُونُ لَنَا عُقْبَاهُ صَالِحَةً ... فَمَا عَلِمْنَا بِتَفْصِيلٍ وَلاَ جُمَلِ
تَخَالَفَ النَّاسُ فِي الأَخْبَارِ عَنْهُ وَلَمْ ... أَعْرِفْ حَقِيقَتَهُ مَاذَا عَلَيَّ وَلِي
هَلْ فِيهِ لِلنَّاسِ وَالإِسْلاَمِ فَائِدَةٌ ... أَمْ لاَ ؟ فَإِنَّ رُوَاةَ الْقَوْلِ فِي جَدَلِ

ومنها :

يَا رَبِّ وَانْصُرْ جُيُوشَ التُّرْكِ دَوْلَتَنَا ... وَامْلأْ قُلُوبَ الْعِدَىٰ بِالْخَوْفِ وَالْوَجَلِ
وَاحْمِ الشَّرِيعَةَ فِي شِبْهِ الْجَزِيرَةِ بِالْـ ... ـمَوْلَى الإِمَامِ مِنَ الآفَاتِ وَالْعِلَلِ

وقولي : (لَم أَعرفْ حقيقتَهُ) هوَ الواقعُ يومَئِذٍ ؛ لأَنَّ سلاطينَ آلِ كثيرٍ ومَنْ علىٰ رأْيِهم مِنَ الأَغنياءِ بعدَ أَنْ عَلِموا غضبَ حكومةِ عدن مِنْ تلكَ الوثيقةِ ، وعَلِموا انهزامَ الأَتراكِ . . تجافَوا عنِّي ، وكتَمُوني أَخبارَهُم ؛ لأَنَّني لا أَرضى انسحابَ حُكمِ الحمايةِ الإنكليزيَّةِ علىٰ بلادِنا ، لأَنَّ الحمايةَ مظنَّةُ الجورِ الفاحشِ ، ولا سيَّما لو سُلِّمتِ الأُمورُ إِلىٰ غيرِ أَهلِها ـ كما هوَ الأَغلبُ ـ فهيَ إِذن شرٌّ مِنَ الاستعمارِ ؛ بشهادةِ الفروقِ الشَّاسعةِ بينَ إِدارةِ عدن وإِداراتِ حضرموتَ الَّتي لا أَثرَ لشيءٍ فيها من عدالةِ الدِّينِ القيِّمِ .

أَمَّا في بلادِهم . . فإِنَّ العدلَ فيها ـ حَسبَمَا بلغني ـ أَشبهُ بِهِ عندَنا في خيرِ العصورِ ؛ لأَنَّهم أَخذوا عنَّا ما أَعانَهم علىٰ ذلكَ ، وبالغتُ جهدي في عرقلةِ ذلكَ ، والتَّحذيرِ من سوءِ مغبَّتِهِ بما نشرتُ بعضَهُ في « الأَصل » . . فكانَ أَوَّلَ ما زيَّنَ لَهُم محبُّوها الابتعادُ عنِّي ، وما زالوا علىٰ ذلكَ إِلى اليومِ ، وقد خارَ اللهُ لِيْ في ذلكَ ، وما زلَّ نعلي ،

ولا خوىٰ نَجْمي ، ولا تغيَّرَ رأْيي ، وأَنا ٱلَّذي أَقولُ [مِنَ ٱلطَّويل] :

وَقَدْ أَحْسَنَ ٱلْحُسَّادُ بِي حَيْثُ كَايَدُوا ... مَكَـانِـي مِـنَ ٱلسُّلْطَـانِ حَتَّـىٰ تَغَيَّـرَا
لأَنِّـيَ لَـوْ قَـارَبْتُـهُ فِـي مَشُـورَةٍ ... لأَتْعَبْـتُ نَفْسِـي أَوْ لَكُنْـتُ مُقَصِّـرَا
وَأَنِّـيْ يُحَـابِـي مَـنْ بَنَـاهُ إِلَـهُـهُ ... عَلَى ٱلصِّدْقِ وَٱلتَّصْرِيحِ مِنْ يَوْمَ أَثْغَرَا
صَفَـا لَهُـمْ جَـوُّ ٱلسِّيَـاسَـةِ فَـٱنْتَهَـوْا ... إِلَىٰ مَا ٱشْتَهَوْا وَٱلْحَالُ يَكْفِيكَ مُخْبِرَا
فَقَـدْ طَـوَّقُـوا أَعْنَـاقَهُـم بِمَـلاَوِمٍ ... تَـدُومُ إِلَـىٰ أَنْ يَبْعَـثَ ٱلْخَـالِـقُ ٱلْـوَرَىٰ
وَقَـدْ أَنْشَبُـوا أَوْطَـانَهُـمْ فِي مَعَـاطِـبٍ ... تُطِيـلُ لِـذِي ٱللُّـبِّ ٱلْبُكَـا وَٱلتَّحَسُّـرَا
وَتُكْثِـرُ لِلْـوَالِـي ٱلنَّـدَامَـةَ وَٱلأَسَـىٰ ... لَـوِ ٱنْتَبَهَـتْ أَفْكَـارُهُ وَتَـدَبَّـرَا
وَقَدْ خَارَ لِي ٱلرَّحْمَـٰنُ فِي ٱلْبُعْدِ عَنْهُمُ ... فَـلاَ ذَنْـبَ لِـي إِذْ لاَ حَضَـرْتُ وَلاَ أَرَىٰ

وفي جمادى ٱلآخرة مِنْ سَنةِ (١٣٣٧هـ) توجَّهَ ٱلأَميرُ عليُّ بنُ منصورِ بنِ غالبٍ يحملُ توكيلاً مِنْ والدهِ بإمضاءِ تلكَ ٱلمعاهدةِ بدارِ ٱلاعتمادِ في عدن ، وتوجَّهَ ٱلأَميرُ سالمُ بنُ عبودِ بنِ سالمٍ يحملُ توكيلاً مِنَ ٱلسُّلطانِ محسنِ بنِ غالبٍ بإمضائِها ، ونزلا بٱلمُكَلاَّ علىٰ ضيافةِ ٱلسُّلطانِ غالبِ بنِ عوضٍ ٱلقعيطيِّ ، وسارا بمعيَّتهِ إِلىٰ عدن حيثُ وقَّعوا عليها هناكَ .

وكانَ ٱلسُّلطانُ ٱلمنصورُ بنُ غالبٍ ، وأَخوهُ ٱلسُّلطانُ ٱلمحسنُ بنُ غالبٍ تقاسما ٱلممالكَ بوثيقةٍ محرَّرةٍ بينَهُم لتاريخِ فاتحةِ رجب مِنْ سَنةِ (١٣٣٦هـ) ، فكانت سيئونُ ومريمه وتريسُ وأَعمالُها لِلمنصورِ ولأَولادهِ مِنْ بَعدِهِ ، وكانت تريمُ وٱلغُرَفُ لِلمُحسنِ بنِ غالبٍ ولأَولادهِ مِنْ بعدهِ .

وفي (١٢) من جمادى ٱلأُولىٰ سَنةَ (١٣٤٣هـ) توفِّيَ ٱلسُّلطانُ محسنُ بنُ غالبٍ بسيئونَ ، وخَلَفَهُ ولدُهُ ٱلسُّلطانُ عبدُ ٱللهِ بنُ محسنٍ ، وكانَ رحيبَ ٱلصَّدرِ ، طويلَ ٱلباعِ ، رخيَّ ٱلبالِ ، رقيقَ ٱلطَّبعِ ، مأمونَ ٱلغضبِ ، جميلَ ٱلأَخلاقِ ، خبيراً بٱلأُمورِ ، خليقاً بٱلملكِ ، إِلاَّ أَنَّهُ لا ينجو مِنْ بيتِ ليلى ٱلأَخيَليَّةِ ـ ٱلَّذي تمثَّلنا بهِ في

(ٱلحزم وصُدَاعَ)[1] ، لمحسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلعولقيِّ ـ ويُشاركُهُ في ٱلأَمْرِ أَخوهُ ٱلسُّلطانُ مُحَمَّدُ بنُ محسنٍ .

وفي ٱليومِ ٱلثَّامنِ مِنَ ٱلحجَّةِ سنةَ (١٣٤٧هـ) توفِّي ٱلسُّلطانُ ٱلمنصورُ بنُ غالبٍ ٱلكثيريُّ بعرفةَ ، وخلفَهُ ولدهُ ٱلسَّلطانُ عليُّ بنُ منصورٍ .

وفي ليلةِ ٱلخميسِ (١٨) شعبانَ سَنَةَ (١٣٥٧هـ) توفِّيَ فجأَةً بسيئونَ[2] ، ودُفنَ بها مِنَ ٱليومِ ٱلثَّاني . وكانَ ذكيّاً نبيهاً ، مشاركاً في ٱلأَدبِ وٱلعِلْمِ ؛ إِذْ كانَ يَحضرُ مجالسي ويُكثرُ ٱلمكوثَ عندي فتثقَّفَ بذلكَ لا بغيرِهِ . وخَلَفَهُ أَخوهُ ٱلسُّلطانُ جعفرُ بنُ منصورٍ[3] وكانَ يحضرُ معَ أَبيهِ وأَخيهِ عندي ، ويتولَّىٰ طبخَ ٱلشَّاي بيدِهِ ، وكانَ ٱلغالبُ عليهِ ٱلسُّكوتَ ، ولهٰذا أُخفيَ حالُهُ عنَّا ؛ لأَنَّ ٱلمرءَ مخبوءٌ تحتَ لسانِهِ ، وكثيراً ما أَسأَلُ أَباهُ عن حالِهِ فيقولُ : لا أَعرفُ عنهُ إِلاَّ ما تعرفُ ، ولٰكن كانَ منصَّرُ بنُ عبودٍ خصيصاً بهِ ، فلمَّا أَحفيناهُ ٱلسُّؤَالَ . . أَشارَ إِلىٰ أَنَّهُ حقودٌ ، ولهُ مِنَ ٱلشَّجاعةِ نصيبٌ لا يُنكَرُ .

وفي محرَّمٍ سَنةِ (١٣٥٨هـ) أُبرمتْ بينَهُ وبينَ ٱلحكومةِ ٱلإِنكليزيَّةِ معاهدةٌ رضيَ

---

(١) والبيت هو :

فَنِعْـمَ فَتَـى ٱلـدُّنْيَـا وَإِنْ كَـانَ فَـاجِـراً ... وَفَـوْقَ ٱلْفَتَـىٰ إِنْ كَـانَ لَيْـسَ بِفَـاجِـرِ

(٢) علي بن منصور كان مولده بسيئون سنة (١٢٩٨هـ) ، وهو الذي أقام السور المحيط بمدينة سيئون ، وفرغ منه سنة (١٣٥٢هـ) ، وفي عهده دخلت البلاد تحت الاستشارة ، وكان من مناقبه أنه : يُعيد المسروقات إلى أربابها ليلاً ويؤدب السارق سراً حفاظاً على السمعة والكرامة ، وقَمَع شوكة العبيد عندما بدؤوا بالأعمال الفوضوية بأن أَجْلَىٰ رأسَهم بخيت عبد الخير ، وهدم داره عام (١٣٤٤هـ) .

(٣) السلطان جعفر بن منصور بن غالب . . خلف أخاه علياً في الحكم من سنة (١٣٥٧هـ) ، إلى وفاته في سنة (١٣٦٨هـ) ، وفي أيامه ترسّمت الحدود بين دولته ودولة القعيطي ، وعاصر حركة ابن عبدات وقمْعَها بواسطة الإنكليز كما سبق في الغرفة .

ولما توفي . . خلفه ابنُ أخيه السلطان حسين بن علي بن منصور ، الذي تولى الحكم سنة (١٣٦٨هـ) وهو في ريعان شبابه ، وظل في الحكم نحو (٢٠) عاماً ، إلى أن أزاحه الحكم الشيوعي على إثر استقلال المنطقة من الاستعمار البريطاني عام (١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م) .

وهاجر السلطان حسين إلى السعودية ، وتوفي بجدة سنة (١٣٩٦هـ= ١٩٧٦م) ودفن في مكة المكرمة . وانتهى بتنحيته تاريخ الدولة الكثيرية في حضرموت ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

فيها بأَنْ يكونَ لَهُ مِنها مستشارٌ يَقبلُ نصيحتَهُ في جميعِ ٱلأُمورِ ، ما عَدا ٱلمسائِلَ ٱلمتعلِّقةَ بٱلدِّيانةِ وٱلعادةِ ٱلإسلاميَّةِ[1] . وكانَ تمنَّعَ ٱلإمضاءَ علىٰ تلكَ ٱلمعاهدةِ زماناً طويلاً ، ولـٰكنَّ ٱلضَّابطَ ٱلسيِّاسيَّ بمساعدةِ ٱلسَّيِّدِ أَبي بكرِ بنِ شيخٍ ٱلكافِ أَحفاهُ ٱلسُّؤَال حتَّىٰ رضيَ علىٰ شرطِ أَن يكونَ ٱلأَمرُ سرّاً ، فأَمضىٰ علىٰ وثيقة مكتوبةٍ بٱلإنكليزيَّةِ ، ولـٰكنَّهم أَعلنوها في جريدةٍ محميَّةِ عدنَ ، ومنها نقلتُ نصَّها ٱلمنشورَ بـ« ٱلأَصلِ » .

وفي يومِ ٱلخميسِ (١١) جمادى ٱلأُولىٰ مِنْ سَنةِ (١٣٦٦هـ) قرَّرتِ ٱلحكومةُ ٱلكثيريَّةُ مكوساً جائِرةً ـ لا تتحمَّلُها ٱلجبالُ فضلاً عنِ ٱلرِّجالِ ـ علىٰ كلِّ ما يردُ إِلىٰ منطقتِها ، فوقعَ ٱلنَّاسُ ـ ولا سيَّما ٱلضُّعفاءُ ـ في شرٍّ ممَّا كانوا أَنكروهُ على ٱبنِ عِبْدَات ، وضَجُّوا منهُ .

أَمَّا ٱلأَقوياءُ : فإنَّ ٱلعمَّالَ في أَيديهم ، وٱلتَّهريبَ أَيسرُ شيءٍ عليهم ، فٱلظُّلمُ ـ كما قالَ ٱلعلاَّمةُ ٱبنُ تيميةَ ـ مكرَّرٌ .

وبدلاً مِنَ ٱلاحتجاجِ عليهِ . . قامَ آلُ تريم يُهيِّجونَ ٱلشَّعبَ ٱلميتَ للاحتجاجِ على ٱلحكومةِ ٱلقعيطيَّةِ فيما تأْخذُهُ مِنَ ٱلرُّسومِ على ٱلبضائِعِ ٱلواردةِ إِلى ٱلمنطقةِ ٱلكثيريَّةِ ، وما أَظنُّهُم يَنجحونَ في هـٰذا ٱلاحتجاجِ معَ تفارطِ ٱلأَيَّامِ ومرورِ نحوِ ٱلمئـةِ عامٍ ، وما تلكَ إِلاَّ أَعمالُ مَنْ رضيَ بهـٰذهِ ٱلمكوسِ ٱلباهظةِ ، وأَرادَ خدعةَ ٱلصَّبيِّ عنِ ٱللَّبـنِ بتلكَ ٱلاحتجاجاتِ ٱلآيلةِ إِلى ٱلفشلِ لا محالةَ ٱلَّتي ليست مِن ٱختصاصاتِ ٱلرَّعيَّةِ ، وإِنَّما واجبُهم أَن يحتجُّوا علىٰ ما نزلَ بهم ، ولـٰكنَّ ٱلشَّعبَ ميِّتٌ ، يشكرُ على ٱلإساءةِ ، ويُثني على ٱلجنايةِ ، ويتهافتُ في تولِّي من يمكِّنُ ٱلأَجانبَ مِن ناصيتهِ ، ويوطِّىءُ لهم مناكبَهُ لسلطةٍ موهومةٍ ، ورئاسةٍ مزعومةٍ ، وإِلاَّ . . فأَيُّ معنىً لهـٰذهِ

---

(١) وهي معاهدة الاستشارة السابق ذكرها . . وبنودها اثنان فقط ، وهما :

البند الأول : تقبل حكومة جلالة الملك في المملكة المتحدة أن تعين مستشاراً مقيماً للسلطان ، والسلطان يرتضي أن يجهز بيتاً لائقاً للمستشار المقيم المذكور ، ولأجل سعادة مملكته ، يقبل نصيحته في جميع الأمور عدا المسائل المتعلقة بالديانة المحمدية والعادة .

أما البند الثاني : فمتعلقٌ بتعيين الخلفاء للسلطان . وكان توقيعها في عدن بنظر المستر رايلي والي عدن ، والمستر انجرامس .

ٱلرُّسومِ ٱلغاشمةِ معَ تصريحِ ٱلمعاهداتِ بأَنَّ ٱلسَّاحلَ وسائرَ حضرموتَ إقليمٌ واحدٌ ، بل بلغني عن جريدةِ ٱلحكومةِ ٱلرَّسميَّةِ بعدنَ إطلاقُ لفظِ عدنَ على ٱلجميعِ ، فلو رأَيتَ ما يُصنَعُ بمنكوبي جاوةَ ٱلَّذين وصلوا حضرموتَ مِنَ ٱلتَّفتيشِ وٱلإرهاقِ . . لرأَيتَ ما يكمدُ ٱلنُّفوسَ ، ويذيبُ ٱلقلوبَ إن كانَ فيها إسلامٌ وإيمانٌ ، ومعاذَ ٱللهِ أَن نبرِّي جماركَ ٱلسَّاحلِ مِنَ ٱلظُّلمِ ٱلفاحشِ ، وٱلجورِ ٱلفادحِ ، لـٰكنَّ ٱلبراءةَ بالأَولىٰ أَلزمُ ، وٱلأَخذَ مِنَ ٱلأَطرافِ أَحزمُ .

ضواحي سيئون :

هيَ محاطةٌ بٱلنَّخيلِ فيما عدا جنوبَها ، وفي جانبِها ٱلشَّماليِّ إلىٰ جهةِ ٱلشَّرقِ علىٰ أَكثرَ مِنْ ميلٍ مِنها قريةٌ يقالُ لَها : **ٱلفُجَيرُ** ، يَسكنُها أَعقابُ ٱلإمامِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ[1] ابنِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويٍّ مولى ٱلدُّويلةِ[2] ترجمَ لهُ في « ٱلمشرعِ » ولحفيدِهِ عبدِ ٱللهِ بنِ سالمِ بنِ سهلِ بن عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ .

ومنهمُ ٱلعلاَّمةُ سالمٌ ، وفي « ٱلمواهبِ وٱلمنَنِ » : أَنَّ ٱلحبيبَينِ محمَّدَ بنَ علويٍّ خيله ، ومحمَّدَ بنَ حسنٍ خيله ممَّنِ ٱنتفعَ بٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ حسنٍ ٱلحدَّادِ .

وعلى ٱلجملةِ . . فقد كانَ فيهِمُ ٱلعلماءُ وٱلصُّلحاءُ ، وَأَطالَ سيِّدي حسنُ بنُ سقَّافٍ في ترجمةِ ٱلسَّابقِ ٱلذِّكرِ ؛ منهُمْ : ٱلسَّيِّدُ ٱلشَّريفُ مُحَمَّدُ بنُ علويِّ بنُ مُحَمَّدٍ ، ٱلمتوفَّىٰ بٱلفجيرِ سَنةَ (١٢٦٧هـ) ومنهم : ٱلسَّيِّدُ حسنُ بنُ حسينٍ ، كانَ أَغزرَهُم جوداً في أَهلهِ وغيرِ أَهلِهِ ، قالَ عمُّهُ محمَّدُ بنُ علويٍّ علىٰ مَن عابَهُ بذلكَ : (ماحَدْ عرف قدر ٱلدُّنيا إلاَّ حسين) ، فهوَ في فرطِ بذلِهِ محتاجٌ إلىٰ زيادةٍ عن قولِ أبي عبادةَ [في « ديوانِهِ » ٢/ ٣٣٩ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

تَغَطْــرس جُــود لَــمْ يُمَلِّكْــهُ وَقْفَــةً   فَيَخْتَــارُ فِيهَــا لِلصَّنِيعَــةِ مَــوْضِعَــا

---

(١) مولى خيله .

(٢) آل مولى الدويلة هم ذرية السيد الإمام محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي بن الفقيه ، توفي بتريم سنة (٧٦٥هـ) . « المعجم » (٨٧) .

وقد ذكرنا في « **ٱلأصل** » سيِّدَنا ٱلعارفَ علويَّ بنَ سهلٍ مولىٰ خيله ، وولدَهُ فضلاً ، وفصَّلنا أخبارَ دولتِهِ بظفار ، وأشرنا إلىٰ أَنَّ ٱلسَّيِّدَ محمَّدَ بنَ أحمدَ ٱلسَّقَّافَ أَودعَهُ جاريةً ، ثمَّ ٱتُّهِمَ بها ، ثمَّ أخبرني ٱلثِّقاتُ عنِ ٱلفاضلِ ٱلجليلِ ٱلأخِ عيدروسِ بنِ سالمٍ ٱلبارِّ أَنْ ليسَ ٱلأمرُ كذلكَ ، ولٰكن للأميرِ فضلٍ كثيرٌ مِنَ ٱلمنافسينَ ؛ لشريفِ منزلتِهِ عندَ ٱلسُّلطانِ عبدِ ٱلحميدِ ، فكانوا يتطلَّبونَ لهُ ٱلعيوبَ لِمَا أَحرقَهم مِن سؤدَدِهِ ، ولمَّا ٱتَّهموهُ بذلكَ . . جاءَ أميرُ ٱلإحسانِ ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ أحمدَ ٱلسَّقَّافُ لخصوصِ تبرئَتِهِ مِنَ ٱلتُّهمةِ ، وأعلنَ للسُّلطانِ وللخاصِّ وٱلعامِّ أَنَّهُ لم يودعهُ ٱلجاريةَ . . بل وهبَها لهُ . . فَشَرَقَ ٱلحسدَةُ بريقِهِم ، ورُجمُوا بحَجَرِهم ، وللهِ ٱلحمدُ علىٰ هـٰذهِ ٱلرِّوايةِ ٱلصَّحيحةِ ٱلَّتي بلغَ بيَ ٱلسُّرورُ إلىٰ ما لا نهايةَ لهُ ، ولم أَذكرْ تلكَ ٱلتُّهمةَ بـ« **ٱلأصلِ** » إلاَّ أداءً للأمانةِ ، وكشفاً للحقيقةِ ؛ لأنَّ ٱلسَّيِّدَ أميرٌ ، يُحتاجُ بيانُ حالِهِ ، فللهِ ٱلحمدُ على ٱلسَّلامةِ ، وكانَ مِن كبارِ رجالاتِ ٱلصُّوفيَّةِ ٱلعارفينَ ، ولٰكن قد سُئِلَ ٱلجنيدُ : أَيَزني ٱلعارفُ . . فقالَ : وكان أَمرُ ٱللهِ قدراً مقدوراً .

ومنهُم : جدِّي لأُمِّي ، ٱلمنوَّرُ ٱلبالِ ، ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ سقَّافٍ مَوْلىٰ خَيْلِه ، ٱلمتوفَّىٰ بها سَنَةَ (١٣١٦هـ) وحدِّثْ عن آلِ خيله بلا حَرَجٍ ؛ فإنَّهم مذكورونَ في خبابِ ٱلشَّرفِ بِلا عَرَجٍ .

وأَمَّا ٱلجُودُ وكَرَمُ ٱلضِّيافةِ . . فبيتُ قصيدِهم ، وخاصِّيَّتُهمُ ٱلَّتي بَسطتْ ذراعيها بوصيدِهِم[1] لا يجزرُ لهم مَدّ ، ولاَ يَقِفُ سَماحُهُم عندَ حَدّ .

وَتَـأْخُـذُهُـمْ فِـي سَـاعَـةِ ٱلْجُـودِ هِـزَّةٌ	كَمَا خَايَلَ ٱلْمِطْرَابُ مِنْ نَشْوَةِ ٱلْخَمْرِ[2]
فَتَحْسَبُهُـمْ فِيهَـا نَشَـاوَىٰ مِـنَ ٱلْغِنَـىٰ	وَهُمْ فِي جَلاَبِيبِ ٱلْخَصَاصَةِ وَٱلْفَقْرِ
عَظِيـمٌ عَلَيْهِـمْ أَنْ يَبِيتُـوا بِـلاَ يَـدٍ	وهَيِّـنٌ عَلَيهِـمْ أَنْ يَبِيتُـوا بِـلاَ وَفْـرِ
إِذَا نَـزَلَ ٱلْحَـيَّ ٱلْغَـرِيـبُ تَقَـارَعُـوا	عَلَيْـهِ فَلَـمْ يَـدْرِ ٱلْمُقِـلَّ مِـنَ ٱلْمُثْـرِي

(١) الوصيد : الفناءُ .
(٢) الأبيات من الطويل ، وهي للشريف الرضي في « ديوانه » (١/ ٥٠٥) .

لقد كانتْ بهِمُ ٱلفجيرُ موضعَ ٱلعجِّ وٱلثَّجِّ[١] لا يشبهُها إلاَّ مِنىً في أَيَّامِ ٱلحج ، فٱلشِّفارُ مِنَ ٱلذَّبائحِ تسيلُ ، وٱلطُّهاةُ مِنَ ٱلمطابخِ لا تميلُ .

يُغْشَـوْنَ حَتَّـىٰ مَـا تَهِـرُّ كِـلاَبُهُـمْ ... لاَ يَسْـأَلُـونَ عَـنِ ٱلسَّـوَادِ ٱلْمُقْبِـلِ[٢]

لا تخبو مصابيحُهُم طولَ ٱللَّيلِ ، ثمَّ بينَ ديارِهم رباطُ ٱلخيلِ ، أَخبرني محفوظُ هويديٍّ بأَنَّهُ رأَىٰ ليلةَ ٱلشَّعبانيَّةِ فيهم ثمانيةَ عشرَ عناناً من جيادِ ٱلصَّافِناتِ كلُّهم بِيضٌ كرامٌ ، لا يسوَدُّ بينَهُم إلاَّ ٱلمطابخُ وٱلبِرامُ[٣] ، ولا يُعابونَ إلاَّ بمثلِ قولِ أَبي هفَّانَ [مِنَ ٱلمنسرحِ] :

عَيْـبُ بَنِـي مُخْلِـدٍ سَمَـاحَتُهُـمْ ... وَأَنَّهُـمْ يُتْلِفُـونَ مَـا مَلَكُـوا[٤]

فلقد أَطلقَ ٱلجودُ ما بأَيديهِم ، حتَّىٰ صوَّحَ ناديهِم ، وأَسرفوا في ٱلمكارمِ ، حتَّىٰ أَثقلتهُمُ ٱلمغارم .

كَـانَـتْ لَهُـم هِمَـمٌ فَـرَّقْـنَ بَيْنَهُـمُ ... إِذَا ٱلْقَعَـايِـدُ عَـنْ أَمْثَـالِهَـا قَعَـدُوا[٥]

فِعْـلُ ٱلْجَمِيـلِ وَتَفْـرِيـجُ ٱلْجَلِيـلِ وَإِعْـ ... ـطَـاءُ ٱلْجَـزِيـلِ ٱلَّـذِي لَـمْ يُعْطِـهِ أَحَـدُ

---

(١) **العجُّ** : رفع الأَصوات . **الثَّجُّ** : سيلان دماءِ الذَّبائح .

(٢) البيت من الكامل ، وهو لسيِّدنا حسَّان بن ثابت رضي ٱلله عنه في « ديوانه » (٣٦٢) . **يُغشَون** : يُزارون ولا تخلو منازلهم من الأَضياف . والمعنىٰ : هم قوم كرام ، دائِم الدَّوم عندهم ضيوف ، فأَلِفَتْ كلابهم منظر الضِّيفان وما عادت تنبح علىٰ أَحد .

(٣) **البِرام** : القدور ، جمع : (بُرمة) .

(٤) ما أَجمل العيوب إِذا كانت هٰكذا ، وهٰذا ما يسمِّيه علماءُ البلاغة بـ(المدح بما يشبه الذَّمّ) ؛ كقول الشاعر :

وَلاَ عَيْـبَ فِيهِـمْ غَيْـرَ أَنَّ سُيُـوفَهُـمْ ... بِهِـنَّ فُلُـولٌ مِـنْ قِـرَاعِ ٱلْكَتَـائِـبِ

فأَنت عندما تسمع (ولا عيب فيهم غير أَنَّ) تظنُّ أَنَّه سيذكر بعد هٰذا صفة من الصِّفات المعيبة ، ولٰكنَّك تُفاجأُ بقوله : (إِنَّ سيوفهم قد تكسَّرت وٱلتَوَت من كثرة قتالهم الأَعداءَ) . وهٰذه صفة مدح ، فتعلم أَنَّه لم يذكر صفة مشينة بل ذكر صفة مدح بأُسلوب عربيٍّ جميل وهو : أُسلوب المدح بما يشبه الذَّمّ .

(٥) البيتان من البسيط .

فاقشعرَّتْ قريتُهُم ، وتفرّقَتْ فِتيَتُهُم ، وقد قالَ محمَّدُ بنُ عليٍّ بنِ خلفٍ ٱلبيرمانيُّ [مِنَ ٱلطَّويل] :

يُقِيمُ ٱلرِّجَالُ ٱلْمُوسِرُونَ بِأَرْضِهِمْ   وَتَرْمِي ٱلنَّوَىٰ بِٱلْمُقْتِرِينَ ٱلْمَرَامِيَا

ولَم تَبْقَ إلاَّ ٱلدّيارُ ٱلخاوية ، وٱلكلابُ ٱلعاوية ، يستمري ٱلعيونَ بومُها ، وتُفتّتُ ٱلأكبادَ رسومُها .

أَوَ مَا رَأَيْتَ مَنَازِلَ ٱبْنَةِ مَالِكٍ   رَسَمَتْ لَهُ ـ كَيْفَ ٱلزَّفِيرُ ـ رُسُومُهَا[1]

آنَاؤُهَا وَطُلُولُهَا وَنِجَادُهَا   وَوِهَادُهَا وَحَدِيثُهَا وَقَدِيمُهَا[2]

تَغْدُو ٱلرِّيَاحُ سَوَافِياً وَعَوَافِياً   فَتُضِيمُ مَغْنَاهَا وَلَيْسَ تُضِيمُهَا[3]

وَكَأَنَّمَا أَلْقَىٰ عَصَاهُ بِهَا ٱلْبِلَىٰ   مِنْ شُقَّةٍ قُذُفٍ فَلَيْسَ يَرِيمُهَا[4]

وفي ٱلمفاضلَةِ بينَها وبينَ ذي أَصبح وأهليهما . . ليْ ولأُمِّ أولادي كلامٌ طويلٌ ؛ إذْ أَهلُ ٱلفُجَيرِ أخوالي ، وأَهلُ ذي أَصبحَ أهلُها ، وٱلحقُّ أن ليسَ لسيِّدِ ٱلوادي ٱلحسنِ بنِ صالحٍ ثمَّ لولدِهِ عبدِٱللهِ مثيل ، وكلُّ كفَّةٍ بِهما تَشِيل ، وفيهما يأتي موضعَ قولِ ٱلأَوَّلِ [مِنَ ٱلطَّويل] :

أَبُونَا أَبٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ   أَبٌ مِثْلُهُ أَغْنَاهُمُ بِٱلْمَنَاقِبِ

أَمَّا بقيَّةُ آلِ ٱلبحرِ . . فآلُ خيله خيرٌ منهم ، إلاَّ مَن سقطَ مِن محلِّهم عَن عناقيدِ ٱلعزِّ ؛ إذ لا مدفعَ لهم عن قولِ ٱلأَوَّلِ [مِنَ ٱلطَّويل] :

وَلَيْسَ لَنَا عَيْبٌ سِوَىٰ أَنَّ جُودَنَا   أَضَرَّ بِنَا ، وَٱلْبَأْسُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

وقد هلكَ ـ أَو كادَ ـ كلٌّ مِنَ ٱلقريتينِ ، نسألُ ٱللهَ أَنْ يُقيِّضَ لكَسْرِهما جَبْرَهُ ، وأَنْ يُديلَ عبرتَهُما حَبْرَهُ .

---

(١) الأبيات من الكامل ، وهي لأبي تمّام في « ديوانه » (٢/١٤٣) .

(٢) آناؤها : أطرافها . نجادها : مرتفعاتها . وهادها : منخفضاتها .

(٣) سوافياً : تسفي التُّراب ، وتذريه . عوافياً : ماحية .

(٤) الشُّقَّة : الوجهة . قُذُف : بعيدة . يَريمها : يُفارقها .

وفي غربيِّ ٱلفجيرِ ، قريةٌ للحوارثِ ، يقالُ لَها : **ملْفُوق** ، شَمَلَها ٱلاندثارُ ، ولَم يَبْقَ مِنها إلاَّ آثارٌ .

وفي شرقيِّها قريةٌ كانَ يَسكنُها ٱلسَّادةُ آلُ بامَزْرُوعٍ مِنْ آلِ ٱلحَبْشيِّ ، منهم أُمُّ جدِّي ٱلمحسنِ ، لَم يَبْقَ مِنها إلاَّ مسجدٌ صغيرٌ ، كثيرُ ٱلأنوارِ ، مشهورٌ بٱلأسرارِ ، يقالُ لَهُ : مسجدُ باسَكَن .

ٱلقَرْنُ : هوَ مُخْتَرَفُ ٱلسَّادةِ آلِ طٰهَ بنِ عمرَ ، في شرقيِّ سيئونَ علىٰ نصفِ ميلٍ مِنها ، وكانَ قريةً صغيرةً يسكنُها ٱلفلاَّحونَ ، ثمَّ بنىٰ به جدُّنا محمَّدُ بنُ عمرَ بنِ طه بنِ عمرَ بنِ طهَ بنِ عمرَ مسجدَهُ ٱلَّذي بحضيضِ ٱلجبلِ ٱلجنوبيِّ ، ثمَّ تتابعتِ ٱلبناياتُ بعدَ ذلكَ في ٱلبساتينِ ، ولهٰذا لا تصحُّ ولا تنعقدُ ٱلجمعةُ فيها علىٰ ما في « مجموعِ ٱلجدِّ طهَ بنِ عمرَ » عنِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ أحمدَ بامخرمةَ ؛ لأنَّها لم تُخَطَّ بلداً مِنَ ٱلبدءِ .

كانَ منفصلاً عن سيئونَ في ٱلقديمِ ، ثمَّ ٱتَّصلَتِ ٱلعمائرُ . وكانتْ لَهُم فيهِ ٱلدِّيارُ ٱلعامرةُ ، وٱلأفراحُ ٱلغامرةُ ، وكانت أيَّامُهُ لديهم أعياداً زاهرةً ، وقد سبقَ ذِكرُ ما ٱمتازتْ بهِ سيئونُ مِنَ ٱلأُنسِ وٱلصَّفاءِ ، ولٰكنَّهُ لا يُعدُّ شيئاً بٱلنِّسبةِ لأيَّامِ ٱلقرنِ ولياليها ، فلَو شَهِدْتَها وٱلبُرُدُ[1] ماطرةٌ بٱلأوْرَاقِ ، وجاوة دارَّةٌ بٱلأرزاقِ ، وسَمِعْتَ طبولَ ٱلغواني بشجيَّاتِ ٱلمغاني ، ورأَيتَ ٱلشُّبَّانَ متوزِّعينَ علىٰ بطحائِهِ لياليَ ٱلقمرِ ٱلأَضْحِيانِ على ٱلشَّاهي ٱللَّذيذِ ، وٱلشِّواءِ ٱلغريضِ[2] ، بٱلأحاديثِ ٱلجنيَّةِ ، وٱلأشعارِ ٱلشَّهيَّةِ ، كلُّ فرقةٍ علىٰ قدرِ ما عندَها . . لَما خرجَ عن لِسانِكَ قولُ ٱلصِّمَّةِ بنِ عبيدِ ٱللهِ ٱلقشيريِّ [مِنَ الوافر] :

شُهُورٌ يَنْقَضِينَ وَمَا شَعَرْنَا	بِأَنْصَافٍ لَهُنَّ وَلاَ سَرَارِ[3]
فَأَمَّا لَيْلُهُنَّ فَخَيْرُ لَيْلٍ	وَأَقْصَرُ مَا يَكُونُ مِنَ ٱلنَّهَارِ

(١) **البُرُد** : جمع بريد ، وهو ما يأتي من رسائل .

(٢) **ٱلغريض** : الطريُّ من اللحم .

(٣) **السَّرار** : آخر ليلة من الشَّهر .

أو قولُ ٱلبحتريِّ [في « ديوانِهِ » ١/ ١٠٠ مِنَ ٱلطَّويل] :

فَـلاَ تَـذْكُـرَا عَهْـدَ ٱلتَّصَـابِـي فَـإِنَّـهُ تَقَضَّىٰ ـ وَلَمْ نَشْعُرْ بِهِ ـ ذَٰلِكَ ٱلْعَصْرُ

ومِنْ خيرِ ما في هٰذا ٱلموضوعِ قولُ متمِّمٍ [مِنَ ٱلطَّويل] :

فَلَمَّـا تَفَـرَّقْنَـا كَـأَنِّـيْ وَمَـالِكـاً لِطُـولِ ٱجْتِمَـاعٍ لَـمْ نَبِـتْ لَيْلَـةً معَـا

وَكُنَّـا كَنَـدْمَـانَـيْ جُـذَيْمَـةَ بُـرْهَـةً مِـنَ ٱلـدَّهْـرِ حَتَّـىٰ قِيـلَ لَـنْ نَتَصَدَّعَـا

ولقد شهدَ بعضَ ذلكَ ٱلسَّائحُ ٱلباسقيُّ ، فقالَ : (إِنِّي لأَرثي لِمَنْ يفارقُ هٰذهِ ٱلدِّيارَ ، وأَتصوَّرُ أَنَّ حنينَهُ يطولُ وبكاءَهُ يدومُ) .

لٰكنَّ ٱلزَّمانَ جَفُولٌ ؛ فبينما هُم في ظلِّ عيشٍ غُفُولٌ . . إذ تضيَّقتِ ٱلشَّمسُ للأُفولِ ، ولَم يَبْقَ إِلاَّ ٱلقليلُ ، ٱلَّذي لا يروي ٱلغليلَ .

يَـا مَنْـزِلاً أَعْنَقَـتْ فِيـهِ ٱلْجَنُـوبُ عَلَـىٰ رَسْـمٍ مُحِيـلٍ وَشَعْـبٍ غَيْـرِ مُلْتَئِـمِ

هَـرِمْـتَ بَعْـدِيَ وَٱلـرَّبْـعُ ٱلَّـذِي أَفَلَـتْ مِنْـهُ بُـدُورُكَ مَعْـذُورٌ عَلَـى ٱلْهَـرَمِ(١)

ولقد وصفتُهُ في يومِ غامَ ضحاهُ ، وأَرْجَفَ رعده برحاهُ ، وتخيَّلتُ عهدَ ٱلأَشياخِ ، فقلتُ مِنْ مطوَّلةٍ [مِنَ ٱلخفيف] :

فِـي رِيَـاضٍ مِـنَ ٱلنَّخِيـلِ تَـلاَقَـى ٱلْـ ـمَـاءُ فِيهَـا مِـنَ ٱلسَّمَـا وَٱلسَّـوَانِـي

طِبْـنَ مَـرْأَىً وَمَسْمَعـاً وَمَـذَاقـاً وَخَيَـالاً بِـذِكْـرَيَـاتٍ حِسَـانِ

مَلْعَبُ ٱللَّهْوِ مَسْقَطُ ٱلرَّأْسِ مَأْوَى ٱلْـ ـغِيـدِ مِـنْ هَـاشِـمٍ سِبَـاطِ ٱلْبَنَـانِ

سَـادَةٌ يَمْـلأُ ٱلـزَّمَـانَ سَنَـاهُـمْ بَهْجَـةً مِـنْ فُـلاَنَـةٍ وَفُـلاَنِ

وأَسعدُ ما شهدتُ من زمانِهِ ٱلعامَ ٱلَّذي ٱخترفَ بقربهِ سيِّدي وشيخي ٱلأُستاذُ ٱلأَبرُّ مسندُ ٱلدُّنيا : عيدروسُ بنُ عمرَ ، وهوَ عامُ (١٣٠٧هـ) ، فلقد عَظُمَت تلك ٱلسَّنةَ ٱلمِنَّة ، حتَّىٰ كأَنَّما ٱسترقتِ ٱلأَيَّامُ مِنَ ٱلجنَّة ، وكانوا أَوَّلَ ٱلخريفِ في جدبٍ ، فلمَّا

---

(١) البيتان من البسيط ، وهما لأَبي تمَّام في « ديوانهِ » (٢/ ٩٣) . أَعنقت : سارت مسرعة . الرَّسم : ما لصق بالأَرض من آثار الدِّيار . محيل : دارس .

أَوى ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ محمَّدٍ ٱلحبشيُّ إلىٰ فراشِهِ . . ذكرَ ما ٱلنَّاسُ فيهِ ، فخفَّ بلباسِ ٱلنَّومِ إلى ٱلأُستاذِ يستشيرُهُ في ٱلاستسقاءِ ، فٱهتمَّ ٱلأُستاذُ وباتَ يُلِحُّ علىٰ ربِّهِ في ٱلدُّعاءِ ، فما كادَ يبرقُ ٱلفجرُ . . إلاَّ وقد جاءتِ ٱلسُّيول ، وٱمتلأتِ ٱلحقول ، ثمَّ تتابعت حتَّىٰ لم يكنِ ٱنجلاؤُها إلاَّ بعدَ ٱلتَّضرُّعِ وٱلابتهالِ ، فجاءَ موضعَ قولِ ٱلبوصيريِّ :

. . . . فَٱعْـجَـبْ لِغَيْـثٍ إِقْـلاَعُـهُ ٱسْتِسْقَـاءُ

فكيفَ لا تفيضُ ٱلعبرات ، وتتصاعدُ ٱلزَّفرات ، لتلكَ ٱلوجوهِ ٱلنَّاضرة ، وٱلأَيَّامِ ٱلزَّاهرَة ، وٱللَّيالي ٱلعاطرة .

أَعِـزَّايَ مَـا أَبْقَـوْا لِعَيْنِـيَ قُـرَّةً ... وَلاَ زَوَّدُوا إِلاَّ ٱلْحَنِيـنَ ٱلْمُـرَجَّعَـا[1]
وَكَـانُـوا عَلَـى ٱلأَيَّـامِ مَلْهَـىً وَمَطْـرَبـاً ... فَقَـدْ أَصْبَحُـوا لِلْقَلْـبِ مَبْكَـىً وَمَجْـزَعَـا

فما أَطولَ ٱلرِّثا ، ولا سيَّما إذ لم يبقَ إلاَّ ٱلغُثا ، فجاءَ موضعَ قولِ ٱلشَّريفِ ٱلرَّضيِّ [في « ديوانِهِ » ٢/ ٢٦٢ مِنَ ٱلسَّريع] :

كَـانُـوا صَفَـاءَ ٱلْكَـأْسِ ثُـمَّ ٱنْجَلَـوْا ... مِـنَ ٱلْبَـوَاقِـي عَـنْ قَـذَىً ثَـافِـلِ

ومن أَواخرِ رثائي لأُولئكَ قولي [مِنَ ٱلطَّويل] :

فَكَـمْ فِي ٱلْحَشَـا مِنْ مَـوْجِعَـاتٍ لِسَـادَةٍ ... مَنَـاطَ ٱلـرَّجَـا كَـانُـوا فَغَطَّـاهُـمُ ٱلـرَّمْـلُ
جِبَـالٌ مُنِيفَـاتٌ مِـنَ ٱلْمَجْـدِ أَصْبَحَـتْ ... كَأَنْ لَمْ تَكُـنْ لَوْلاَ ٱلأَحَادِيثُ ـ مِنْ قَبْلُ
أَمَـرَّ لَنَـا ٱلْعَيْـشَ ٱلـرَّغِيـدَ فِـرَاقُهُـمْ ... وَأَثْقَلَنَـا مِـنْ بَعْـدِ مَـا أَوْحَشُـوا ٱلْحَمْـلُ
وَلَـوْلاَ ٱعْتِصَـامٌ بِـٱلَّـذِي لَـمْ يَكُـنْ لَنَـا ... نَعِيشُ فَـوَاقـاً بَعْـدَمَـا ٱنْقَطَـعَ ٱلْـوَصْـلُ
فَفِـي كُـلِّ حِيـنٍ يَـأْخُـذُ ٱلْبَيْـنُ غُـرَّةً ... تَـذُوبُ لَهَـا أَكْبَـادُنَـا ثُـمَّ لاَ نَسْلُـو
فَـأَيْـنَ ٱلْمَصَـابِيـحُ ٱلَّتِـي كَـانَ لِلْهُـدَىٰ ... بِهَا فِي ٱلْبِلاَدِ ٱلشَّأْنُ وَٱلشَّرَفُ ٱلْجَزْلُ
وَأَيْـنَ ٱلْمَـرَاجِيـحُ ٱلْمَسَـامِيـحُ وَٱلأُلَـىٰ ... بِغُـرَّاتِهِـمْ يُسْتَـدْفَـعُ ٱلشَّـرُّ وَٱلأَزْلُ

---

(١) البيتان من الطَّويل ، وهما للشريف الرضي في « ديوانه » (١/ ٦٣٩) .

وَإِنْ قَصُـرَتْ ذُرْعَـانُ قَـوْمٍ بِحَـادِثٍ　　تَلَقَّـاهُ مِـنْ آرائِهِـمْ كَـاهِـلٌ عَبْـلُ
تَلَـذُّ لَنَـا أَخْبَـارُهُـمْ وَتُـذِيبُنَـا　　فَـوَاعَجَبـاً مِنْهَـا تَمُـرُّ كَمَـا تَحْلُـو
يُـذَكِّـرُنِيهِـمْ كُـلُّ مَمْسَـىً وَمَصْبَـحٍ　　فَمَـا زَالَ فِـي خَـدِّي لِتَـذْكَـارِهِـمْ طَـلُّ

ومِن أَواخرِ ما رأيتُ مِن بهجةِ ٱلقرنِ ونضارتِهِ : أَنَّني أَصعَدُ ذُروةَ داري بعدَ ٱلمغربِ سنةَ (١٣٥٥هـ) ، وهيَ سطحٌ صغيرٌ قاصرُ ٱلجدارِ ، يُسافرُ ٱلطَّرفُ مِنَ ثلاثِ نواحيهِ ، إحاطةَ ثلثي ٱلدَّائرة ، كأَنَّها ٱلكواكبُ ٱلمنتثرة ، وٱلشُّبَّانُ أَوزاع ، وٱلفرحُ مخيِّمٌ علىٰ سائرِ ٱلبِقاع ، فأَستغرقُ في ذلكَ ٱلجمالِ ٱلباهر ، وٱللَّذَّةِ ٱلَّتي تحمي ٱلنَّومَ عَنِ ٱلسَّامرِ وٱلسَّاهرِ ، ثمَّ عدتُ إِلىٰ مثلِ ذلكَ في سنةِ (١٣٦٣هـ) فكنتُ كما قالَ ٱلرَّضيُّ [في « ديوانهِ » ١/ ٦٥٤ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

نَظَـرْتُ ٱلْكَثِيـبَ ٱلأَيْمَـنَ ٱلْيَـوْمَ نَظْـرَةً　　فَـرَدَّتْ إِلَـيَّ ٱلطَّـرْفَ يَـدْمَـىٰ وَيَـدْمَـعُ

إِذ قد أَدبرَ ٱلعيش ، وكَرَّ مِنَ ٱلإِدبارِ جيش ، وأُديلَ ٱلنُّورُ بِٱلظَّلام ، فلا سمرَ ولا غناء ولا سراجَ ولا كلام ، وكأَنَّما كلُّ ذلكَ مِنَ ٱلأَحلام ، وما هوَ إِلاَّ ببعضِ ما ٱكتسبوا ، ويعفو عن كثيرٍ وٱلسَّلام .

وَلَّـىٰ ٱلـزَّمَـانُ وَوَلَّـتِ ٱلأَيَّـامُ　　فَعَلَـى ٱلْمَنَـازِلِ وَٱلنـزِيـلِ سَـلاَمُ[1]

ثُمَّ إِنِّي بعدَ أَن خَبَتِ ٱلمصابيح ، وأَوحشتِ ٱلسُّطوحُ وٱلمراويح . . هجرتُ ٱلذرىٰ ليلاً ، وجعلتُ أَتسنَّمُها غدياتِ ٱلخريف ، وأَسرحُ ٱلنَّظرَ مِنَ ٱلجهاتِ ٱلثَّلاثِ تالياً ما تعوَّدتُهُ مِنَ ٱلأَورادِ في ٱلظِّلِّ ٱلظَّليل ، وٱلجوِّ ٱلبليل ، وٱلرِّيحِ ٱلعليل ، وٱلفضاءِ ٱلرَّحب ، وٱلهواء ٱلطَّلق ٱلشبيهِ بنعيمِ ٱلجنَّة ، لا يمتازُ بهِ أَحد ، وإِنَّما هوَ كجمالِ ٱلأَفلاكِ وأَنوارِها ، ما يكونُ منهُ عندَ هٰؤلاءِ . . يكونُ عندَ ٱلآخرين ، ولهٰذا ينتفي ٱلتَّحاسدُ عليه ؛ لأَنَّ ٱلنَّاسَ مشاعٌ فيهِ ، فأَرى ٱلنَّخيلَ ٱلباسقة ، وٱلقصورَ ٱلبيضاءَ ٱلشَّاهقة ، فأَستغرقُ في ٱلنِّعمة ، وأَنبسطُ مِنَ ٱلبهجة ؛ إِذ يظهرُ حينئذٍ ما يدهشُ ٱلعقلَ

(١) البيت من الكامل ، وهو للإمام عبد الله بن علوي الحداد في « ديوانه » (٤٧٤) .

ويخلبُ ٱللُّبَّ ، وينيرُ ٱلفكرَ وينعشُ ٱلرُّوح ، ويبعثُ ٱلذِّكرياتِ ٱلجميلة ، ويوحي بٱلمعاني ٱلنَّبيلة ، فأكادُ أخرجُ عَن جِلدي ، وأَغيبُ عَن نفسي ، وأُلامِسُ العالَمَ ٱلقدسي ، وأتأكَّدُ أَن ليسَ بينَ ٱلأَدعيةِ وبينَ سماءِ ٱلقبولِ حجاب ، وأَنْ قدِ ٱنفتحَ مِنَ ٱلخيرِ بشهادةِ ٱلقشعريرةِ وهيمنةِ ٱلروحنةِ كلُّ باب ، لا أَفَضلَ ولا أَجملَ ولا أَروعَ ولا أَبدعَ عندي مِن ذلكَ . . إلاَّ مجالسةٌ بٱلروضةِ ٱلشَّريفةِ تجاهَ ٱلقبرِ ٱلأَعظم ، وقعودي علىٰ بطحاءِ أُمِّ ٱلمناسكِ عشيَّات ٱلأَشْتيَةِ إزاءَ ٱلبيتِ ٱلمعمور ، ثمَّ أَنثني علىٰ كَبدي خشيةَ أَن تقطَّعَ ، وأَلوثُ بُردي علىٰ صدري حذارَ أَن يتفلَّق .

فَلَـوْ فَلَـقَ ٱلْفُـؤَادَ شَـدِيـدُ وَجْـدٍ ... لَهَـمَّ سَـوَادُ قَلْبِـي بِـٱنْفِـلاَقِـي[1]

وَما أَشَدَّ رِقَّتِي لأُولئكَ ٱلَّذينَ يَتَشَتَّتونَ فِي ٱلبُلدان ، ويفارقونَ هٰذهِ ٱلأَوطان .

وَارَحْمَتَـا لِلْغَـرِيـبِ فِـي ٱلْبَلَـدِ ٱلنَّـا ... زحِ مَـاذَا بِنَفْسِـهِ صَنَعَـا[2]

فَـارَقَ أَحْبَـابَـهُ فَمَـا ٱنْتَفَعُـوا ... بِـٱلْعَيْـشِ مِـنْ بَعْـدِهِ وَمَـا ٱنْتَفَعَـا

ولو أَنَّهم جمعوا قناطيرَ ٱلرَّقين[3] . . لما ٱستعاضوا إلاَّ بتدارُكِ ٱللَّيالي ٱللَّواتي بَقِين ، وماذَا يفيدونَ وقد رضُوا بٱلدُّون ، وأَبناؤُهم يتامىٰ ، وأَزواجهم أَيامىٰ .

كَـمْ غَـادَةٍ فِـي ظَـلاَمِ ٱللَّيْـلِ بَـاكِيَـةٍ ... عَلَـىٰ أَلِيـفٍ لَهَـا يَهْـوِي بِـهِ ٱلطَّلَبُ[4]

فٱلقلوبُ تنذاب ، وٱلبينُ أَكبرُ عذاب ، يبعثُ ٱلشُّجون ، ويُكثرُ ٱلدُّجون ، ويشبهُ ٱلسُّجون ، وما لي أرى ٱلأَحبابَ وٱلأَولادَ يذهبونَ ثمَّ لا يجيئون ، وقد قالَ ٱلقطبُ ٱلحدَّاد [في « ديوانِهِ » ٩١ مِنَ ٱلبسيط] :

مُشَتَّتُـونَ بِـأَطْـرَافِ ٱلْبِـلاَدِ عَلَـىٰ ... رَغْـمِ ٱلأُنُـوفِ كَمَـا تَهْـوَاهُ حُسَّـادُ

---

(١) البيت من الوافر ، وهو لأمية بن الأسكر كما في « خزانة الأدب » (٦/ ٢٠) .

(٢) البيتان من المنسرح ، وهما لعلي بن الجهم .

(٣) الرَّقين : الدراهم .

(٤) البيت من البسيط ، وهو لحافظ إبراهيم في « ديوانه » (١/ ٢٦٩) .

وقال قيسٌ [ابن ذريح في « ديوانِهِ » ٣٣ مِنَ الطَّويلِ] :

رَأَيْـتُ مُصِيبَـاتِ ٱلـزَّمَـانِ بِـأَسْـرِهَـا   سِوَىٰ فُـرْقَـةِ ٱلأَحْبَـابِ هَيِّنَـةَ ٱلْخَطْـبِ

وقالَ حبيبٌ [في « ديوانِهِ » ٢/ ٣١ مِنَ ٱلكاملِ] :

لَـوْ جَـاءَ مُـرْتَـادُ ٱلْمَنِيَّـةِ لَـمْ يَجِـدْ   إِلاَّ ٱلْفِـرَاقَ عَلَـى ٱلنُّفُـوسِ دَلِيـلا

وقالَ أبو ٱلطَّيِّبِ [في « العُكبريِّ » ٣/ ١٦٣ مِنَ ٱلبسيطِ] :

لَـوْلاَ مُفَـارَقَـةُ ٱلأَحْبَـابِ مَـا وَجَـدَتْ   لَهَـا ٱلْمَنَـايَـا إِلَـىٰ أَرْوَاحِنَـا سُبُـلا

وممَّا يزيدُ ٱلأَمر عُقدةً ، وٱلشَّوقَ وَقْدةً : تذكُّري قولَ ٱلجدِّ رضوانُ ٱللهِ عليهِ وقد قابلَ سيئونَ في مرجعِهِ مِن فسحةٍ قضاها معَ أَصحابٍ لهُ تحتَ حَصَاةٍ بحضيضِ ٱلجبلِ ٱلشَّرقيِّ يسمُّونَها : (ٱلرَّضّه) فلقد ملأَ صدرَهُ ، وٱستجهرَ نظرَهُ جمالُ سيئونَ وصفاؤُها ، فقالَ : ما أَحسنَ هـٰذا ٱلمنظر . . وأَطنبَ بوصفِهِ لولا تشوُّشُهُ بظلمٍ يافعٍ ، ثمَّ لم يزل يفتلُ في ٱلذُّرىٰ وٱلغاربِ حتَّىٰ أَخذَ بٱلثَّار ، وٱرتفعَ ٱلحقُّ وثار ، وأَخذتِ ٱلمظالمُ في ٱلاندثار ، فكيفَ لو شاهدَ جدُّنا سيئونَ في ليالي سنة (١٣٥٤هـ) ، أو لو أَشرفَ مِن ذروةِ دارِ مُختَرَفي حتَّىٰ صبحِ ٱليوم . . إذن لرأَىٰ ما يملأُ صدرَهُ نوراً ، ويغمرهُ سروراً ، هـٰذا مِن جهةِ ٱلجمالِ وٱلشَّارة ؛ إذ لم يرَ إذ ذاكَ حتَّىٰ معشاره ، وأَمَّا مِن جهةِ ٱنحطاطِ ٱلعلمِ وٱلدِّين ، وظهورِ أَمرِ ٱلملحدينَ وٱلمفسدين ، وتجهُّمِ ٱلدَّهرِ ٱلغاشم . . فلا نقولُ إلاَّ ما قالَ عبدُ ٱلمطَّلبِ بنُ هاشم ، وٱللهُ ٱلمسؤولُ أَن يطويَ ٱلبين ، ويقرِّبَ ٱلأَين ، ويُقِرَّ ٱلعين ، ويَقضيَ ٱلدَّين .

فَكُـلُّ ٱللَّيَـالِـي لَيْلَـةُ ٱلْقَـدْرِ إِنْ دَنَـتْ   كَمَـا كُـلُّ أَيَّـامِ ٱللِّقَـا يَـوْمُ جُمْعَـةِ[1]

وهوَ ٱلمؤَمَّلُ أَن يعطيَنا وإِيَّاهُم عطاءً جزيلاً ، ويردَّهم إِلينا مردّاً جميلاً يدخلُ تحتَ قولِ ٱلوليد [ابن عبيدٍ البحتري في « ديوانِهِ » ٢/ ٧٣ مِنَ الطَّويلِ] :

مَـلأْتُ يَـدِي فَـٱشْتَقْـتُ وَٱلشَّـوْقُ عَـادَةٌ   لِكُـلِّ غَـرِيـبٍ زَالَ عَـنْ يَـدِهِ ٱلْفَقْـرُ

---

(١) البيت من الطويل ، وهو لسلطان العاشقين في « ديوانه » (٨٠) .

فإنَّ أَهاليهم يحنُّونَ إليهم حنينَ ٱلعشار ، وتهتزُّ لهم منهمُ ٱلأَشعارُ وٱلأَبشار ، وتتحدَّرُ مدامِعُهم عندما إليهم يُشار ، ومعَ ذلكَ فإنَّنا نُعيذُهم بٱللهِ مِن قولِ بشَّار [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَأَوْبَــةُ مُشْتَــاقٍ بِغَيْــرِ دَرَاهِــمِ   إِلَــىٰ أَهْلِــهِ مِــنْ أَعْظَــمِ ٱلْحَــدَثَــانِ

ومما أَمرى ٱلعيون ، وأَشوى ٱلجفون مِن كتابِ سيَّرَهُ جدُّنا ٱلمحسنُ لأَحبابهِ بجاوة مِن روضةِ ٱلعلوم إذ ذاكَ مسجدِ طهَ حينما أَخذَهُ ٱلطَّرَب ، وملأَهُ ٱلأُنس بٱلرَّب ، يصفُ لهم ما يجنونَ مِنَ ٱلمعارف ، ويتمتَّعونَ بهِ في ظلِّها ٱلوارف ، يَحدوهُم لنادِيهم ، ويشوقُهم لواديهم ، ولا بُدَّ أَن يُصيبَ مهزَّهم ، ويُطبقَ مَحزَّهم ، ويُسيلَ شؤونَهم ، ويُرعفَ عيونَهم ، ولئنِ ٱنتثر ٱلجمان ، وٱنحطَّ ٱلزَّمان . . فلا يزالُ حبُّ ٱلأَوطانِ مِنَ ٱلإيمان .

بِـلاَدِي ـ وَإِنْ هَـانَـتْ مَقَـاماً ـ عَـزِيـزَةٌ   وَأَهْلِـي وَإِنْ جَـارُوا عَلَـيَّ كِـرَامُ[1]

وقالَ بعضُ مَن أَغزاهُ عثمانُ وجمَّرهُ[2] [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

بَلَغْنَـا إِلَـىٰ حُلْـوَانَ وَٱلْقَلْـبُ نَـازِعٌ   إِلَىٰ أَهْلِ نَجْدٍ أَيْنَ حُلْوَانُ مِنْ نَجْدِ
لَجَنْجَـاثُ نَجْـدٍ حِيـنَ يَضْـرِبُـهُ ٱلنَّـدَىٰ   أَحَبُّ وَأَشْهَىٰ عِنْدَنَا مِنْ جَنَى ٱلْوَرْدِ[3]

وغنَّت حبابةُ بقولِ ٱلأحوصِ[4] [مِنَ ٱلوافرِ] :

لَعَمْــرِي إِنَّنِــي لأُحِــبُّ سَلْعــاً   وَمَــنْ قَــدْ حَــلَّ فِــي أَكْنَــافِ سَلْــعِ
حَلَفْــتُ بِــرَبِّ مَكَّــةَ وَٱلْمُصَلَّــىٰ   وَأَيْــدِي ٱلسَّــابِحَــاتِ غَــدَاةَ جَمْــعِ
لأَنْــتَ عَلَــى ٱلتَّــدَانِــي وَٱلتَّنَــائِـي   أَحَــبُّ إِلَــيَّ مِــنْ بَصَــرِي وَسَمْعِــي

ثم تأَوَّهت آهةً كادت تُقَضِّبُ ضلوعَها ، فقالَ لها ٱلوليدُ : ما هٰذا؟ وأنا لو شئتِ حملتُ إليكِ سلعاً حجراً حجراً ، فقالت : إِنَّما أُحبُّ ٱلمكانَ لأَجلِ ٱلسُّكَّان ، وكانَ لها رَباءٌ بٱلمدينةِ .

---

(١) البيت من الطويل .

(٢) جمَّرهُ : حبسه في الثغر ومنعه عن العود إلى أهله .

(٣) الجَنجاثُ : شجر أصفر ، مرٌّ ، طيب الريح .

(٤) القصة والأبيات في « الأغاني » (١٥/ ١٣٥) .

وقالَ أبو ٱلعلاءِ [في « سقط ٱلزَّند » ٢٣٣ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَيَـا وَطَنِـي إِنْ فَـاتَنِـي بِـكَ سَـابِـقٌ ... مِـنَ ٱلـدَّهْـرِ فَلْيَنْعَـمْ لِسَـاكِنِـكَ ٱلْبَـالُ
وَإِنْ أَسْتَطِـعْ آتِيـكَ فِـي ٱلْحَشْـرِ زَائِـراً ... وَهَيْهَـاتَ ؛ لِـي يَـوْمَ ٱلْقِيَـامَـةِ أَشْغَـالُ

وقالَ [في « سقطِ ٱلزَّند » ٢٤٧ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَيَـا بَـرْقُ لَيْـسَ ٱلكَـرْخُ دَارِي وَإِنَّمَـا ... رَمَـانِـي إِلَيْـهِ ٱلـدَّهْـرُ مُنْـذُ لَيَـالِـي
فَهَـلْ فِيـكَ مِـنْ مَـاءِ ٱلْمَعَـرَّةِ قَطْـرَةٌ ... تَبُـلُّ بِهَـا ظَمْـآنَ لَيْـسَ بِسَـالِـي

ولشدَّ ما أُوذي شيخُنا ٱلعلاَّمةُ ٱبنُ شهابٍ في تريمَ ، ولٰكنَّهُ لمَّا كانَ كريمَ ٱلمنبتِ . . لم يسكن حنينُه ، فضلاً عن أَن يَنْبَتَّ ، وقد بكىٰ جماعةٌ مِن شيوخِ ٱلعلويِّينَ لمَّا أَنشدَ بينَهم قولهُ [في « ديوانه » : ١٨٦ـ١٨٧ مِنَ ٱلبسيطِ] :

يَـا أَيُّهـا ٱلـرَّاكِـبُ ٱلْغَـادِي إِلَـىٰ بَلَـدٍ ... جَـرْعَـاؤُهُ خَصْبَـةُ ٱلْمَـرْعَـىٰ وَأَبْـرُقُـهُ
نَـاشَـدْتُـكَ ٱللهَ وَٱلْـودَّ ٱلْقَـدِيـمَ إِذَا ... مَـا بَـانَ مِـنِ بَـانِ ذَاكَ ٱلسَّفْـحِ مَـوْرِقُـهُ
أَنْ تَسْتَهِـلَّ صَـرِيخـاً بِـٱلتَّحِيَّـةِ عَـنْ ... بَـاكٍ تَكَـادُ شُـؤُونُ ٱلـدَّمْـعِ تُغْـرِقُـهُ
بِـٱلْهِنْـدِ نَـاءِ أَخِـيْ وَجْـدٍ يَحِـنُّ إِلَـىٰ ... أَوْطَـانِـهِ وَسِهَـامُ ٱلْبَيْـنِ تَـرْشُقُـهُ
إِلَـى ٱلْعَـرَانِيـنِ مِـنْ أَقْـرَانِـهِ وَإِلَـىٰ ... حَـدِيثِهِـمْ عَبَـرَاتُ ٱلشَّـوْقِ تَخْنُقُـهُ

حصنُ ٱلحوارثِ

هوَ ديارٌ في شرقيِّ ٱلقرنِ ، كانَ به أُناسٌ مِنَ ٱلحوارثِ لهمُ ثروةٌ وأَعمالٌ خيريَّة ، منها مسجدٌ بسيئونَ يقالُ لهُ : مسجدُ ٱلحومرةَ ، ثمَّ ٱضمحلُّوا وتشتَّتَتْ أُمورُهم ، وذهبَت أَموالُهم ضحيَّةَ ٱلفوضويَّةِ في حضرموتَ ، وخَلَفَهم ناسٌ مِن آلِ جعفرِ بنِ بدرٍ ٱلعوينيِّينَ يقالُ لهمُ : آلُ ريِّس .

وحصلَ فيهِ فسوقٌ كبيرٌ ، حتَّى ٱشترىٰ بعضَ ديارِهِ ٱلسُّلطانُ منصورُ بنُ غالبٍ ، وأَجهزَ عليهم سوءُ عملِهم ، فقلُّوا .

وأَخبرني ٱلشَّيخُ ٱمباركُ بنُ جعفرِ ٱلقحومِ بنِ سعدٍ : أَنَّ ٱلحومرةَ تركَ ٱمرأَةً وبنتاً ،

فأَمَّا ٱلبنتُ . . فتزوَّجها ريِّسُ بنُ عامرِ ٱلملقَّبُ بٱلصراحِ ، مِن آلِ سعيدٍ ، وأَمَّا ٱلمرأةُ . . فلم تكد تَحِلَّ حتَّىٰ تزوَّجَها عليُّ بنُ عوضٍ ٱلعوينيُّ ، ثمَّ تزاحموا على ٱلتَّركةِ ، وكانَ ذلكَ في أَواخرِ أَيَّامِ يافعٍ ، ولم يَشعُرِ ٱلصراحُ وهوَ في قصرِ ٱلحومرَةِ بحصنِ ٱلحوارثِ . . إلاَّ وقد دخلَ عليهِ جماعةٌ مِن آلِ جعفرِ بنِ بدرٍ ، فوائبَهم ، ولمَّا كثروهُ . . تحاجَزُوا علىٰ أَن يخرجَ بأَهلِهِ معَ ٱلشرف ٱلعسكريِّ ، وتخلَّصَ منهم أَيضاً عبدُهُ ٱلمكينُ لديهِ وكانَ شجاعاً لا يُطاق وٱسمُهُ ناصرٌ ، ولمَّا ٱستقرَّ بجعيمه وٱستولىٰ آلُ جعفرِ بنِ بدرٍ علىٰ حصنِ ٱلحومرةِ وأَموالِهِ . . ركبَ ٱلصراح ٱللَّيلَ في عبديهِ ناصرٍ وسالَمين ونفرٍ مِن آلِ سعيدٍ ، وهجموا علىٰ دارِ ٱلبيتيِّ ، وكانَ مِن جملةِ ما ٱستولىٰ عليهِ آلُ جعفرِ بنِ بدرٍ مِن أَموالِ ٱلحومرةِ ، وكانَ فيهِ نحو ستَّةٍ فقتلوهم ، وٱحتلُّوا ٱلدَّارَ ، ودامتِ ٱلمناوشاتُ بينَهم مدَّة ، حدَثَ في أَثنائِها أَن سمعَ ناصرٌ وسالِمينَ بطلوعِ عليِّ بنِ عوضٍ ٱلعوينيِّ مِن حصنِ ٱلحومرةِ إلىٰ سيئونَ في نفرٍ مِن أَصحابه ، فأَخذوا عليهمُ ٱلطَّريقَ وناشبوهمُ ٱلحربَ وظفرَ آلُ عونٍ بعدَ ذلكَ بواحدٍ مِن آلِ سعيدٍ فقتلوهُ ، وكانَ ٱلصراح ٱستولىٰ علىٰ تركةِ عمٍّ لهُ ، فرضيَ بعضُ أَبناءِ عمِّهِ ، وذهبَ ٱلباقونَ إلىٰ جفل ، وكانَ منهم محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ عبودٍ ، فسافرَ إلىٰ باندوم ، وجمعَ لهُ مِنَ ٱلمالِ ما يسَّرَهُ ٱللهُ ، ولمَّا عادَ إلىٰ حضرموتَ بعدَ موتِ ٱلصراحِ بدفيقه أَيَّامَ حربِها . . قصدَ جفلاً ، ووجدَ جعفرَ بنَ عليِّ بنِ سعيدٍ قدِ ٱستولىٰ علىٰ مالِهِ بجعيمةَ بسببِ أَنَّهُ تعهَّدَ مِن بعضِ إخوانِهِ ، فسارَ إلى ٱلقوزِ من سحيلِ جعيمه ، ومعهُ ناصرٌ وسالَمين عبيدُ ٱلصراحِ ، فأَلفَوا مَحمَّدَ بنَ جعفرِ بنِ عليِّ بنِ سعيد يحصد الزروع الذي في مال محمد بن علي بن عبودٍ . . فٱنقضَّ عليهِ ناصرٌ وقَدَّ بطنَهُ ، ولم يشتفِ غيظهُ بذلكَ . . فأَرسلَ جماعةً مِن أَصحابهِ إلى قوزِ سحيلِ جعيمه فلم يغنوا شيئاً ، فتبعَهُم هوَ بنفسِهِ وناوشَ آل محمَّدِ بنِ عليٍّ ٱلحربَ ، فخرجوا عليهم ، وقُتِلَ ناصرٌ ، فجاءَ جماعةٌ مِن آلِ سعيدٍ ليحجزُوا بينَهم ، فلم يرضَ محمَّدُ بنُ عليٍّ لِمَا اشتدَّ عليهِ مِن مصرعِ ناصرٍ حتَّىٰ قالَ لهُ أَحدُهم : أَما علمتَ أَنَّ عامرَ بنَ سعيدٍ يأَكلُ جلجل في ٱلكوتِ ، فرضيَ ، وكانَ ٱلَّذي أَصابَ ناصراً عليُّ بنُ جعفرِ بنِ عليِّ بنِ سعيدٍ فوثبَ عامرُ بنُ سعيدٍ فرآهُ ناصرٌ وكانَ فيهِ رمقٌ

أَمكنَهُ بهِ أَن يَستلَّ خِنجرَهُ ويُوجِرَ[1] بِهِ عامراً .

وقولُهُ : (يأكل جلجل) كنايةٌ عجيبةٌ عن دخولِ ٱلنَّملِ إلىٰ فيهِ وهوَ مطروحٌ بٱلكوتِ .

ثمَّ عادَ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ عبودٍ إلىٰ باندوم ، وكانَ مقصداً فيها للضِّيفانِ ، وقد تلقَّاني إلى ٱلمحطَّةِ لمَّا ٱجتزتُ باندوم سنة (١٣٣٠هـ) ، وبتُّ عندَهُ علىٰ أَرغدِ عيشٍ ، إلاَّ أَنَّهُ كانَ عندَهُ ليلتَئِذٍ رجلٌ مِنَ ٱلسَّادةِ نَفَسَ عليَّ تخصيصَهُ بٱلمنزلِ والمبالغةِ في ٱلتَّحفِّي فقاتَلَ ٱللهُ ٱلحسدَ ٱلَّذي لا يؤذي إلاَّ صاحبَهُ .

وفي حدودِ سنةِ (١٣٢٦هـ) حضرَ بعضُ ورثةِ ٱلحوارثِ فٱدَّعىٰ على ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ حامدِ بنِ عمرِ ٱلسَّقَّافِ بحصَّتِهِ مِنَ ٱلبيرِ ٱلمسمَّاةِ (ٱلحضيره) في شمالِ حصنِ ٱلحوارثِ إلى ٱلجهةِ ٱلشَّرقيةِ ، وكانت من جملة أَموالِهم فٱنتهت إلى ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ حامدٍ فيما تُوُزِّعَ مِن تراثِهم ، ولم يعدمِ ٱلمدَّعي بيِّناتٍ كثيرةً بأَنَّها ملكُ مُوَرِّثِهِ إلىٰ أَن ماتَ ، وكانَ على ٱلقضاءِ إذ ذاكَ سيِّدي علويُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافُ ، وهوَ أَخو ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ حامدٍ مِنَ ٱلأُمِّ ، فتوقَّفَ عنِ ٱلحكمِ في ٱلقَضيَّةِ خشيةَ أَن يحابيَ أَخاهُ فلا يستوفي حقَّ ٱلمدَّعي بأَجمعِهِ ، فأَمرَ ٱلسُّلطانُ بنفوذ ٱلطَّرفينِ إلىٰ تريمَ للتَّحاكُمِ عندَ قاضيها .

ولمَّا هبُّوا للسَّيرِ وأَحضرَ ٱلمدَّعي بيِّناتِهِ وعرفَ ٱلسَّيِّدُ شيخُ بنُ محمَّدٍ ٱلحبشيُّ حقَّ ٱلمعرفةِ توجُّهَ ٱلقضاءِ على ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ حامدٍ ـ وكانَ لهُ صديقاً ومحبّاً ـ أَنقذ ٱلموقفَ ، وطلبَ سحبَ ٱلمسأَلةِ مِنَ ٱلقضاءِ ، وتفويضَ ٱلأمرِ إلىٰ أَربعةِ نفرٍ هوَ أَحدُهم ، وأَنا ٱلثَّاني ، والثَّالثُ ٱلأَخُ عبدُ ٱللهِ بنُ حسينٍ ، والرَّابعُ هوَ ٱلسَّيِّدُ سقَّافُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ شهيدُ ٱلهَدْم ، فَخَلَّصْنا ٱلسَّيِّدَ محمَّدَ بنَ حامدٍ مِنَ ٱلأَحمالِ ٱلفادحةِ ٱلَّتي لا محيصَ لهُ عنها لوِ ٱنبرمَ ٱلقضاءُ بشيءٍ مِنَ ٱلدَّراهمِ حوالي ٱلأَربع مئةِ ريالٍ عن حصَّةِ ذلكَ ٱلوارثِ مِنَ ٱلحظيره ، وعمَّا كانَ ٱستغلَّهُ ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ حامدٍ من ثمراتِها طوالَ ٱلسِّنينَ ـ وبرضا ٱلطَّرفينِ تمَّ ٱستحلالُها عن طيبةِ نفسٍ ـ أَبرمنا ٱلصُّلحَ علىٰ ذلكَ بعدَ ٱلإقرارِ ٱلصَّريحِ بٱلعقدِ ٱلصحيحِ ، ولو لم يكن إقرارٌ . . لما صحَّ ٱلصُّلحُ ، وبقيَ ٱلمدَّعي علىٰ دعواهُ ، فَسُرَّ بهِ سيِّدي ٱلعلاَّمةُ ٱلقاضي علويُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ سروراً كثيراً .

---

(١) يوجرُ : يطعنُ .

وما أظنُّ سعيَ الفاضلِ ٱلسَّيِّدِ شيخ بنِ محمَّدٍ ٱلحبشيِّ في ذلكَ ٱلأمرِ إلاَّ عن إشارةِ أخيهِ العلاَّمةِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ محمَّدٍ ٱلحبشيِّ لأنَّ ٱلسَّيِّدَ محمَّدَ بنَ حامدٍ مِن أخصِّ تلاميذِهِ ، وقد نُشِرتِ ٱلقضيَّةُ في جريدةِ الإصلاحِ ٱلَّتي كانَ يُصدرُها ٱلشَّيخُ كرامةُ بلَّدرم في سنغافورةَ لذلكَ ٱلعهدِ ، ولم يستطع أنْ يكذِّبَها أحدٌ ببنتِ شفةٍ ، علىٰ أنَّهُ جاءَ عنها : هـٰذا حاصلُ قضَّيةِ ٱلبيِّرِ بتلطيفٍ وتصغيرٍ . وكانَ ذلكَ مِن إنشاءِ ٱلعلاَّمةِ ٱلجليلِ ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ عقيلٍ .

وحصنُ ٱلحوارثِ ٱليومَ موضعٌ لعسكرِ ٱلباديةِ ٱلَّذي تجلبهُ ٱلحكومةُ ٱلإنكليزيَّةُ لتأمينِ ٱلطُّرقِ بأَسفلِ حضرموتَ ، قد قلَّ سكَّانُهُ قبلَ سكنى ٱلعسكرِ حتَّى ٱنتهَوا إلىٰ أقلَّ مِن عشرينَ .

مَرْيَمَه[1]

قالَ في « ٱلتَّاجِ » : (مريمةُ ـ بكسرِ ٱلرَّاءِ ـ بلدةٌ بحَضْرَمَوْتَ ، وبها سكنُ ٱلسَّادةِ آلِ باعلويٍّ ٱلآنَ) ، وفيهِ خطأٌ مِن جهتينِ :

ٱلأُولىٰ : مِنْ جهةِ ٱلضَّبطِ ، فالرَّاءُ فيها ساكنةٌ ، وٱلميمانِ وٱلياءُ مفتوحاتٌ ـ كما عليه ٱلاستعمالُ ـ وبذلكَ صرَّحَ ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ صاحبُ ٱلحمراء في كتابهِ « فتحُ ٱلرَّحيمِ ٱلرَّحمـٰنِ » .

وٱلثَّانيةُ : قولُهُ : (إنَّها مسكنُ ٱلعلويِّينَ ٱلآنَ) معَ أنَّهُ لم يكن بها أحدٌ منهم لعهدِهِ ، وإنَّما كانَ بها منهم ٱلسَّيِّدُ أحمدُ بنُ علويِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافُ ، ولَهُ ٱبنانِ :

أحدُهُما : عمرُ[2] ، وذرِّيَّتُهُ بدَثِينةَ .

وٱلآخَرُ : علويٌّ ، لَهُ ٱبنانِ :

---

(1) مَرْيَمَهْ : تقع جنوب شرق سيئون ، وتبعد عنها نحو (٨كم) .

(2) عمر هـٰذا هو الملقب بالمكنون ، كما لقِّب بنفس اللقب ابن عم أبيه السيد علوي بن عبد الله بن عبد الرحمـٰن السقاف ، وآل مكنون لهم انتشار في الحامي والشحر ونواحيها ، ومنهم جماعة بالمكلا ، توفي عمر المكنون سنة (٩٧٤هـ) ، وهو صاحب الحوطة بالشعب بين مشطة وروغة ، وذريته من ابنه أحمد بن عمر المكنون .

ـ أَحدُهُما : عليٌّ ، وعَقِبُهُ آلُ قِيسِيهْ[1] ، كانوا بسيئونَ ثمَّ نَجعوا إلىٰ جاوة .

ـ وٱلثَّاني : عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ[2] ، لَهُ ثلاثةُ أَولادٍ :

أَحدُهُم : أَحمدُ ، توفِّيَ بمَرْيمهْ ، ودُفنَ بتريم ، وعَقِبُهُ آلُ أَحمدَ بنِ علويٍّ بسيئونَ، ومنهُمْ : ٱلشَّيخُ ٱلصَّالحُ شيخُ بنُ سقَّافٍ ، توفِّيَ بسيئونَ سَنَةَ (١٣٢٢هـ)[3] ، ولهُ أَولادٌ ؛ أَكبرُهم : جعفرٌ ، كان علىٰ رئاسةِ ٱلعربِ في فلمبانَ .

ومنهُمْ : ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ علويٍّ ، مُثْرٍ متواضعٌ ، يَحسبُهُ ٱلنَّاسُ فقيراً ، ولَطالما أَرادَهُ ٱلسَّيِّدُ ٱلشَّهيرُ عليُّ بنُ مُحَمَّدٍ ٱلحَبْشيُّ علىٰ تبديلِ دارِهِ وأَثاثِهِ ليُكثرَ ٱلمجيءَ إِليهِ وٱلتَّردُّدَ عليهِ ؛ لأنَّ بنتَهُ كانت تحتَ أَحدِ أَولادِهِ فلَم يَفعلْ ، توفِّيَ بسيئون حدودَ سَنَةِ (١٣٢٦هـ) ، وخَلَفَهُ ولدُهُ مُحَمَّدٌ علىٰ مِثلِ حالهِ مِنَ ٱلتَّواضعِ ، وزادَ عليهِ بٱلعبادةِ ؛ فلقد أَقامَ نحو أَربعينَ سنةً يُحيي ثلثَ ٱللَّيلِ ٱلآخِرِ كلِّهِ بٱلتَّهجُّدِ . ويقالُ : إِنَّ لَهُ صدقاتٍ سريَّةً ، وٱللهُ أَعلمُ بذلكَ . توفِّيَ سَنَةَ (١٣٦٠هـ) عن عُمُرٍ يناهز ٱلثمانينَ .

ومنهُمْ : ٱلسَّيِّدُ هودُ بنُ أَحمدَ ٱلسَّقَّافُ ، لَهُ وجاهةٌ عندَ آلِ كثيرٍ ، ٱكتسبَها بإِكرامِهِم وفَتْحِ دارِهِ لَهُم ، وبذلِهِ ٱلجهدَ في مداراتِهِم وإِرضاءِ مَنْ يَغضبُ عليهِ منهُم ـ وٱلمتعزِّزُ بهِم ذليلٌ ـ فمرَّتْ حياتُهُ معَهُم في عناءٍ ، وأَشدُّ منهُ محاولتُهُ إِخفاءَ إِساءاتِهِم وتجنِّيهِم عليهِ ، وإِن كانَ ٱلاثنانِ منهم أو مِن عَبيدِ ٱلدَّولةِ لَيَتواضعانِ علىٰ أَن يَدَّعيَ أَحدُهما على ٱلآخرِ بشيءٍ ؛ فيترافعانِ إِليهِ ؛ فَيُصْلِحُ بينَهم ، ويتحمَّلُ ٱلمَبْلَغَ . . فيقتسمانِهِ . توفِّيَ بسيئونَ سَنَةَ (١٣٥٢هـ) .

وٱلثَّاني : علويٌّ[4] ، عَقِبُهُ بٱلهندِ وجِفِل وسيئونَ .

---

(١) آل قيسيهْ (من الأمر قيسي) وهم ذرية السيد علي بن علوي بن أحمد بن علوي المذكور هنا ، وهم بجاوة ، ومنهم السادة آل المعلم عبده بسيئون وسمارانغ .

(٢) ويعرف بالمفقود .

(٣) هو السيد شيخ بن سقاف ـ الملقب فرقز ـ ٱبن أحمد بن عبد الله بن علوي بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمـٰن بن أحمد بن عبد الرحمـٰن بن علوي بن أحمد صاحب (مريمه) . ولد بسيئون سنة (١٢٥١هـ) ، وتوفي بها في (٢٠) جمادى الأولى (١٣٢٢هـ) .

(٤) توفي بتريم وقبر شرقيَّ العيدروس .

والثالثُ : شيخُ المجذوبُ ، عَقِبُهُ بحوطةِ الزُّبَيديِّ ، كذا في « شمسِ الظَّهيرةِ » ، ولكنَّهُ لا ذِكْرَ لَهُمُ الآنَ بالحوطةِ ، فلعلَّهُم تَحوَّلوا ، أَو انقرَضوا ؛ فما بالحوطةِ الآنَ نافخُ نارٍ مِنَ العلويِّينَ .

وممَّنْ تديَّرَ مَرْيمَه : العلاَّمةُ السَّيِّدُ يوسفُ بنُ عابدٍ الحسنيُّ الفاسيُّ[1] ، جاءَ في أَواخِرِ أَيَّامِ سيِّدِنا الشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ وأَخذَ عنهُ ، وسَكَنَ مريمه ، وكانَ يتردَّدُ بينَها وبينَ الحزمةِ بمأربَ ، ولَهُ في كلٍّ أَهلٌ .

وفي سَنةِ (٩٩٣هـ) اقترنَ ببنتِ أَحمدَ بنِ عمرَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عليِّ بنِ عمرَ الحارثيِّ ، قالَ : وحضرَ عَقْدَ النِّكاحِ جماعةٌ مِنَ العلويِّينَ ، منهُمُ : الشَّيخُ أَحمدُ بنُ مُحَمَّدٍ الحَبْشيُّ ، وجماعةٌ مِنَ الفقراءِ الزَّبدةِ أَهلِ الرِّباطِ[2] ، وكثيرٌ مِنْ بني حارثةَ[3] . ثمَّ تزوَّجَ على ابنةِ عمٍّ هٰذهِ كما فصَّلَ ذلكَ في « رحلتهِ »[4] .

وكانَ تولَّى القضاءَ بمريمه ، وكانَ يُزوِّجُ الشَّرائفَ مِنْ غيرِ الأَكفاءِ فلا يُنْكَرُ عليهِ .

وجاءَ في « مجموعِ الأَجدادِ : طٰهَ بنِ عمرَ وعليِّ بنِ عمرَ » ، عنِ الفقيهِ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ أَحمدَ حنبلٍ[5] ، قالَ : (لمَّا طلبَ السُّلطانُ عبدُ اللهِ الزَّواجَ مِنْ بنتِ

---

(١) ولد السيد يوسف سنة (٩٦٥هـ) أو (٩٦٦هـ) بالمغرب ، ببلدة الفيضة بالفاء أو الغين ، من بلاد أنقاد الواقعة بين فاس وتلمسان التي فيها جبال زناته . وكان والده مات سنة (٩٧٥هـ) وهو في نحو العاشرة ، فدخل فاس واجتمع بسلطانها مولاي إسماعيل العلوي ، وبعدها هاجر وطوف كثيراً من البلدان ، وكان وصوله عينات واجتماعه بالشيخ أبي بكر في (١٢) ربيع الثاني سنة (٩٩٢هـ) ، وكانت وفاته بمريمه سنة (١٠٤٨هـ) .

وله عقب كثير ؛ إذ تزوج مراراً ، وبلغ عدد زوجاته اللاتي دخل بهن بحضرموت فقط سبع زوجات من عدة نواحي .

وعرفت ذريته بآل بن يوسف ، وآل الحَسْني ـ بسكون السين ـ وآل مشهور .

(٢) الرباط : يقصد به رباط الشيخة سلطانة ، الآتي ذكره عقب مريمه .

(٣) وحضر هٰذا النكاح من الأعيان أيضاً : الشيخ عبد القادر بن إبراهيم باكثير ، والشيخ عبد الله بن عمر باجمال ، والفقيه محمد بن عبد الرحمٰن سراج باجمال ، والشيخ نادر باحميد ، وعبد الكبير باحميد ، ومحمد بن عبد الرؤوف باحميد . . إلخ . « الرحلة » (ص١٠٩) .

(٤) وهي الرحلة التي دوّن أحداثها سنة (١٠٣٦هـ) ، وتعرف باسم « رحلة يوسف بن عابد » .

(٥) آل حنبل هؤلاء من آل بارجاء ، ولهم مسجد يعرف بمسجد حنبل بسيئون ، ومنهم الشيخ الفاضل =

ٱلملكانيِّ وأَحدُ أَخويها غائِبٌ . . قلتُ لَهُ : لا يجوزُ إِلاَّ بٱلتَّقليدِ . فأَمرَ بهِ ، فعقدتُ لَهُ .

ثمَّ ٱجتمعتُ بٱلسَّيِّدِ يوسفَ بنِ عابدٍ ، فقالَ ليْ : عقدتَ لِلسُّلطانِ ؟ قلتُ : نَعَمْ .

قالَ : أَصبتَ ، هوَ مذهبُ مالكٍ . وقالَ ليْ : إِنَّ ٱلسَّيِّدَ عبدَ ٱلرَّحمـٰنِ بنَ شهابٍ أَرسلَ إِليَّ بشريفةٍ وليُّها غائِبٌ فزوَّجتُها مِنْ باحنّان مِنْ غيرِ ضرورةٍ . وذكر والدي أَنَّ ٱلشَّيخَ أَبا بكرِ بنَ عبد ٱللهِ ٱلعيدروس ٱلعدنيَّ خرجَ إِلىٰ تريم فزوَّجَ ٱلشَّرائِفَ مِنْ آلِ بافضلٍ) اهـ

وقولُ ٱلسَّيِّدِ يوسفَ بنِ عابدٍ : (أَصبتَ هوَ مذهبُ مالكٍ) أَي : بقطعِ ٱلنَّظرِ عن أَمرِ ٱلسُّلطانِ بتقليدهِ ، أَمَّا معَ أَمرِهِ بهِ . . فيصيرُ مذهباً لِلشَّافعيِّ ، كما قرَّرهُ ٱبنُ حجرٍ وبامخرمةَ في « فتاويهما » .

وقد مرَّ في حوره أَنَّ آلَ ٱلملكاني ـ بفَتَحَاتٍ ـ مِن مُسْلِمةِ ٱلرُّومِ ، وما أَدري ما سببُ ٱنحطاطِ ٱلسُّلطانِ عنهم في ٱلكفاءَةِ حتَّىٰ لم يصحَّ ٱقترانُهُ ببنتهم إِلاَّ بٱلتَّقليدِ .

ثمَّ عرفتُ أَنَّ آلَ ٱلمَلَكاني سادةٌ كانوا بسيئون من بني ٱلحسنِ بنِ عليٍّ ، ومنهمُ ٱلشَّريفةُ علويَّةُ بنتُ حسينِ ٱلمَلكانيِّ ٱلحسنيِّ ، لها ذِكْرٌ في أَدعيةِ مسجدِ ٱلجدِّ طـٰهَ بنِ عمرَ لمن تصدَّق عليهِ .

وفي ٱلنُّسخِ ٱلصَّحيحةِ مِن « مجموع ٱلجدِّ » أَنَّ ٱلسُّلطانَ عبدَ ٱللهِ طلبَ ٱلزَّواجَ مِن بنتِ ٱلمَلْطاني بٱلطَّاءِ لا بٱلكافِ ، وبهـٰذا ينكشفُ ٱلإِشكالُ .

وفي ٱلحكايةِ (٣٨٠) مِنَ « ٱلجوهرِ ٱلشَّفَّافِ » [٢/١٣٢] : (أَنَّ يَمَانيَّ بنَ فاضل مرَّ هوَ وأَخوهُ فتفرَّسَ ٱلشَّيخُ أَبو بكرٍ ٱلسَّكرانُ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (٨٢١هـ) أَنَّ يمانيَّ سيُلحِقُ ٱلأَذىٰ بأَبيهِ ظلماً ، فلمَّا كانَ بعدَ سنينَ . . ٱعتدىٰ علىٰ أَبيهِ فاضلٍ وأَخرجَهُ مِنْ مريمه ، وبقيَ هوَ عليها إِلىٰ أَنْ ماتَ أَبوهُ) اهـ

= النساخ شيخ بن عبد الله بن حنبل بارجاء ، من مُجَالسي المؤلف ، ونسخ له بعض مؤلفاته ، كان حياً سنة (١٣٦٢هـ) .

ومنهُ تعرفُ أَنَّ دولةَ مريمه كانت للحَوَارِثِ ؛ لأَنَّ هـٰؤلاءِ كانوا منهُم ، ويتأَكَّدُ ذلكَ بما ذكرَهُ « شنبلٌ » في أَخبارِ سَنةِ (٩١٤هـ) أَنَّ : (مجلّبَ بنَ عقيلٍ ٱلأَظلفيَّ تسوَّرَ على ٱلسُّلطانِ مُحَمَّدِ بنِ جعفرِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ ٱلكثيريِّ ليلةَ ٱلنِّصفِ مِنْ صَفَرَ مِنْ تلكَ ٱلسَّنةِ وهوَ بمصنعةِ مريمه ، فقتلَهُ وهوَ راقدٌ بجانبِ زوجتِهِ بنتِ مُحَمَّدِ بنِ جميلٍ ٱلحارثيِّ) اهـ

وما كانَ ٱلسُّلطانُ متملِّكاً علىٰ مريمه وإِنَّما جاءَها زائراً ، وبلَغني أَنَّ بعضَ سلاطينِ آلِ كثيرٍ حاصرَ ٱلحارثيَّ بمصنعةِ مريمه سَنةً ، ثمَّ ولدتْ لِلكثيريِّ فرسٌ بعدَ ٱنتهاءِ ٱلسَّنةِ ، فأَدلىٰ لَهُ حُزمةً مِنَ ٱلقَضْبِ من رأسِ ٱلمصنعةِ[1] ، فقالَ : (مَنْ لا يعوزهُ ٱلقَضْبُ معَ هـٰذا ٱلحصارِ . . فلَنْ يَعوزهُ غيرُهُ) فٱرتحلَ عنهُ .

وآثارُ ٱلنَّقْبِ في أَسافلِ هـٰذهِ ٱلقارةِ ظاهرةٌ إِلى ٱليومِ ، وكأَنَّ ذلكَ ٱلمحاصرَ أَو غيرهُ أَرادوا حفرها ليمنعوهُ ٱلماءَ فلَم يَقْدِروا .

وبلَغنا عن بعضِ ٱلمشايخِ : أَنَّ ٱلقطبَ ٱلحدَّادَ زارَ بعضَ صلحاءِ مَرْيمه وكانَ مُقعداً ، وسأَلَهُ أَنْ يدعو لَهُ بحُسْنِ ٱلخاتمةِ ، فحميَ ٱلشَّيخُ وأَخذَهُ حالٌ وٱهتزَّ ، وقالَ : حولَها ندندنُ ، وأَنشأَ الرَّجلُ يقولُ [مِنَ ٱلمجتثِّ] :

قَـــدِ ٱسْتَعَنْتُـــكَ رَبِّـــي ... عَلَـــىٰ مُـــدَاوَاةِ قَلْبِـــي
وَحَـــلِّ عُقْـــدَةِ كَـــرْبِـــي ... فَـــٱخْتِـــمْ بِـــٱلإِيمَـــانِ ٱلاجَـــالْ[2]

وأَخذَتْهُ حالةٌ شريفةٌ جرىٰ مِنْ حرارتِها في عروقهِ ٱلدَّمُ ، وقامَ سوياً كأَنْ لَمْ يَكُنْ بهِ أَلَمٌ ، وقدِ ٱستحسنَ ٱلقطبُ ٱلحدَّادُ هـٰذا ٱلكلامَ فأَدرجَهُ في قصيدةٍ لَهُ بناها عليهِ ، وبعضُ هـٰذهِ ٱلقصَّةِ موجودٌ في « كلامِ سيِّدِنا عمرَ بنِ حسنٍ ٱلحدَّادِ » .

ولَم تَزَلْ ذرِّيَّةُ ٱلسَّيِّدِ يوسفَ بنِ عابدٍ بمريمه إِلى ٱلآنَ .

ومنهُمُ : ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخِ بنِ إِبراهيمَ ٱلحسني ، ٱلمتوفَّىٰ بها سَنةَ (١٣٤٠هـ) ، وكانَ مُكثراً مِنَ ٱلبنينَ وٱلبناتِ ، لَهُ منهُم فوقَ ٱلخمسينَ ،

---

(١) القضب : البرسيم (دارجة) .
(٢) انظر البيتين والقصة في « ديوان الإمام الحدّاد » (٤٤١ـ٤٤٥) .

ولـٰكنْ لَمْ يُبارِكِ ٱللهُ فيهِم ولا في أعقابِهِم ، وكانَ بينَهُم وبينَ بعضِ ٱلمشايخِ ٱلزُّبَيديِّينَ آلِ ٱلحوطةِ نزاعٌ وضرابٌ ، حتَّىٰ لقد شجُّوا مرَّةً رأسَ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ مُحَمَّدٍ ٱلحسنيِّ هـٰذا ، وتمغثوهُ ، فلَم يثأَرْ لَهُ أَولادُهُ علىٰ وفرةِ عددِهم وقوَّةِ أَجسامِ بعضِهم ، ولم تُغْنِه كثرتُهم .

ومن ذُرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ يوسفَ بن عابدٍ : ٱلعارفُ ٱلكاملُ وٱلسَّالكُ ٱلواصلُ يوسفُ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلفاسيُّ ، وقدِ ٱنتقلَ من مريمه إلىٰ سيئونَ وتديَّرها . أثنىٰ عليهِ سيِّدي ٱلأُستاذُ ٱلأَبَرُّ في (ص٥٨ ج٢) من « عقده » ثناءً جميلاً .

وفي كلامِ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ عمرَ بنِ سميطٍ أَنَّهُ أَفضلُ مِنَ ٱلأَوَّلِ ، ومِن أَعقابِهِ بسيئون : ٱلشَّهمُ ٱلجوادُ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ علويٍّ ٱلمشهورُ ، سكنَ سيئونَ وكانت لهُ ثروةٌ يُنْفِقُ منها في سبيلِ ٱلخيراتِ بسرورِ نفسٍ ، وطيبةِ خاطرٍ ، يصحُّ فيه قولُ ٱبنِ جدِّهِ ٱلشَّريفِ ٱلرَّضيِّ [في « ديوانِهِ » ٢/٤٠٣ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

كَثِيرُ ٱرْتِيَاحِ ٱلْقَلْبِ فِي عَقْبِ جُودِهِ إِذَا جَائِدٌ ٱلْقَىٰ يَداً فِي ٱلتَّنَدُّمِ

توفِّي بسيئونَ سنةَ (١٣٢٩هـ) ، وتركَ ولدَين لم يُحسنا سياسةَ تلكَ ٱلثَّروةِ ، ثمَّ تأكَّلَها ٱلقُضاةُ وٱلأَوصياءُ ، فٱضمحلَّت أَو كادَت .

وقد مرَّ قُبيلَ ٱلقطنِ أَنَّ إِمارةَ مَريمه كانت لبني بكْرٍ مِنْ يافعٍ ، ثمَّ أَجلَتْهُمُ ٱلدَّولةُ مِنها في سَنةِ (١٢٨٤هـ) ، وٱستولَتْ علىٰ أَموالِهِم بها ، وكانت لَهُم ذمَّةٌ مِنْ آلِ زيمةَ ٱلكثيريِّينَ فلَم تُبالِ بهِم ، وعيَّرَهُمُ ٱلنَّاسُ حتَّى ٱلصِّبيانُ فصَبروا .

وفي شمالِ تربةِ مريمةَ كانَ مدفنُ ٱلسُّلطانِ عبدِ ٱللهِ بنِ راشدٍ[1] ؛ لأَنَّهُ كانَ قُتلَ علىٰ مقربةٍ مِنها .

---

(١) السلطان الصالح العالم عبد الله بن راشد بن شجعنه بن فهد بن أحمد بن قحطان.. ولد سنة (٥٥٣هـ) ، وتوفي مقتولاً سنة (٦١٦هـ) ، ولي الحكم عام (٥٩٣هـ) عقب مقتل أخيه شجعنه . وكان عصره أحسن عصور حضرموت التاريخية ؛ إذ كان فقيهاً محدثاً عالماً ، طلب العلم بمكة وغيرها ، فجمع الحديث على ابن أبي الصيف والحافظ عبد الغني المقدسي والحافظ ابن عساكر ، وقرأ « صحيح البخاري » على الفقيه محمد بن أحمد بن أبي النعمان الهجريني.. وإليه ينسب وادي حضرموت ، ويقال : وادي ابن راشد . ينظر : « الأدوار » (١١٠) ، « الحامد » (٢/٤١١) .

وبينَ مريمه هٰذهِ ومريمه ٱلشَّرقيَّةِ : قارَةٌ فارِدَةٌ عاليةُ ٱلذُّرْوةِ ، وفيها بئْرٌ عذبةٌ ، وهيَ ٱلَّتي كانت عليها مَصْنعةُ مريمةَ ٱلسَّابقةُ ٱلذِّكرِ .

ولا تزالُ آثارُ مريمة ٱلشَّرقيَّة ظاهرةً ولٰكنَّها كلَّها غامرةٌ ، وهيَ إِسلاميَّةٌ ، وفيها عدَّةُ مَسَاجدَ .

وكانت مدينةً كُبرَىٰ في سابقِ ٱلأَيَّام ، ولا أَدري مَن هدَمَها . وسيأْتي في قَارةِ العر أَنَّ عُمرَ بنَ مهديٍّ أَعادَ بناءَ ٱلعرِّ حوالَي سنةِ (٦١٩هـ) ، فيحتمِلُ أَن يكونَ ٱلَّذي هدَمَ ٱلعرَّ هوَ ٱلَّذي هدمَ مريمه ٱلشَّرقيَّةَ ، ويحتمِلُ غيرَ ذلكَ .

وفي مريمةَ ناسٌ مِن آلِ باجُبَيرِ ، فيهم علماءُ ؛ منهم : شيخُ صاحبِ « ٱلمشرعِ » بتريمَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ أَحمدَ باجبيرِ .

وفي سَنةِ (١٣٢١هـ) هَجَمَ ٱلعوامرُ علىٰ مريمه ، وٱستولَوا عليها، ونَهبوا ما فيها، ثمَّ تقدَّموا إِلىٰ منتصفِ ٱلطَّريقِ بينَها وبينَ ٱلقَرْنِ فلاقتْهُمْ عَبيدُ ٱلدَّولةِ أَثناءَ ٱلطَّريقِ ، وٱلتحمَ ٱلقتالُ بينَهُم ، ولٰكنَّ ٱلعوامرَ كاثَروا ٱلعبيدَ وأَحاطوا بهِم ، ولولا أَنَّ ٱللهَ أَدركَهُم بٱلمنصبِ ٱلسَّيِّدِ عيدروسَ بنِ عبدِ ٱلقادرِ ٱلعيدروسِ ـ حداثةَ وفاةِ أَبيهِ ـ فحجزَ بينَهُم . . لاستأْصلوهُم قتلاً .

جَذَعٌ

هوَ ٱسمٌ لعِدٍّ ماءٍ[1] لا يزولُ شتاءً ولا صيفاً في أَثناءِ جبلٍ عن جنوبِ مَرْيمه ، يمتدُّ طولاً ينهرُ إِليهِ بعضُ ماءِ ٱلجبالِ ٱلَّتي تدفعُ إِلىٰ تاربه ويثمه وشُحُوحٍ .

وتُشْرَعُ منهُ مجاري ماءٍ مجصَّصةٌ لا تزالُ آثارُها ظاهرةً تدلُّ علىٰ أَنَّ ماءَهُ كانَ جارياً يَسقي ٱلنَّخيلَ وٱلمزارعَ ٱلَّتي حواليهِ ، والناس يقصدون ذلك المكان للاغتسال والتنزه فيه .

وفي « فتحِ ٱلرَّحيمِ ٱلرَّحمٰنِ » : (أَنَّ ٱلسَّيِّدَ عبدَ ٱللهِ بنَ أَبي بكرٍ ٱلعيدروس دخلَ

---

(١) **الماء العدّ** : الذي يجري بدون انقطاع .

هوَ وجماعةٌ مِنْ أَهلِ مريمه غديراً يغتسلونَ فيهِ، فقالَ لَهُمُ ٱلشَّيخُ : هلمُّوا نتغاطسْ) اهـ وما أَظنُّهُ إلاَّ هـٰذا ٱلغديرَ .

وبه ذكرتُ ما جاءَ في (ص٢٠٩) من « القِرَى لقاصد أم القُرىٰ » : أَنَّ عاصمَ بنَ عُمرَ وعبدَ ٱلرَّحمـٰنِ بنَ زيدٍ تماقلا في ٱلبحرِ وهما محرمانِ ، يغيِّبُ كلُّ واحدٍ منهما رأسَ صاحبهِ ، وعمرُ رضي الله عنه جالسٌ علىٰ شاطىءِ ٱلبحرِ لا ينكرُ ذلكَ . أخرجه أَبو ذرٍّ ٱلهرويُّ بلفظِهِ ، وٱلشَّافعيُّ بمعناهُ[1] ، ومعنىٰ : تماقلا : تغاطَسا كما فُسِّر بهِ في ٱلسِّياقِ .

حَوْطَةُ سلطانة[2]

بينَ مَرْيمه ٱلشَّرقيَّةِ وقارةِ ٱلعُر فَضَاءٌ فيهِ نخيلٌ ، ولَهُ وادٍ مخصوصٌ ، سكنَ فيهِ آلُ ٱلزبيديِّ ، ثمَّ ٱشتهرَ بحوطةِ سلطانةَ بنتِ عليٍّ ٱلزُّبَيديِّ ، وهي مِنْ أَكابرِ ٱلصَّالِحينَ ، لَها عباداتٌ وأَحوالٌ تشبهُ أَحوالَ رابعةَ ٱلعدويَّةِ .

قيلَ : إنَّ بعضَ أَهلِ ٱلفضلِ قالَ لها : (والبَكْرَة يومها ناقَة تماري الجمالْ) .

فقالت : (الحِمْل بالحِمْل والزايدْ لَبَنْ والعيالْ) قالَ ٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ أَبي بكرٍ عبَّاد في « ترجمتهِ » لِلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ مُحَمَّدٍ ٱلقديمِ[3] : (كانَ ٱلشَّيخُ عمرُ ٱلزُّبَيديُّ ٱلحارثيُّ مِنَ ٱلصَّالحينَ ، وكانتْ لَهُ أُختٌ ٱسمُها سلطانةُ ، لَها أَحوالٌ عظيمةٌ ، وقد تحكَّمتْ لِلشَّيخِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلقديمِ هيَ وإِخوانُها ورَجعوا عن طريقِ ٱلعوامِّ ، وكانَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافُ وأَولادُهُ أَبو بكرٍ وعمرُ يزورونَها ، وقد بَنَتْ رباطاً بٱلعُرِّ) اهـ

ومنهُ يتأَكَّدُ ما ٱرتأَيناهُ في مريمه ٱلشَّرقيَّةِ مِنْ أَنَّ ٱلعُرَّ ٱسمٌ شاملٌ لذلكَ ٱلفضاءِ بأَسرهِ ، وأَنَّ ٱلقارةَ ليستَ إلاَّ منسوبةً إِليهِ .

---

(١) انظر : « الأم » (٢/٢٠٥) .

(٢) الشيخة سلطانة إحدى كبريات وشهيرات النساء بحضرموت ، بلغت جاهاً وعلماً وصلاحاً شهد به القريب والبعيد .

(٣) المسماة : « المنهاج القويم » (خ) .

ولرباطِ ٱلشَّيخةِ سلطانةَ ذِكرٌ كثيرٌ في كتبِ ٱلتَّراجمِ ٱلحضرميَّةِ[1] .

أمَّا كونُ ٱلشَّيخةِ سلطانةَ تحكَّمتْ هيَ وأخوها لِلشَّيخ مُحَمَّدٍ باعبَّاد.. فلا يُخالِفُهُ ما جاءَ في « مفتاحِ ٱلسَّعادةِ وٱلخيرِ » لمؤلِّفِ صاحبِ « ٱلقلائدِ » مِنْ قولهِ : (أخبرني مَنْ أعرفُهُ وأشكُّ في عينهِ ، وأظنُّهُ عليَّ بنَ عثمانَ ٱلزُّبيديَّ : أنَّ سببَ رجوعِ جدِّهِم عمرَ ٱلزُّبيديِّ عن طريقِ ٱلجهالةِ إلىٰ طريقِ ٱلفقرِ أنَّهُ كَمنَ ومعَهُ غيرُهُ بطريقِ كُحْلانَ ، فمرَّ بهِم بعيرٌ للفقيهِ مُحَمَّدِ بنِ حكمٍ باقشير ، فأخذوهُ ولَم يَعرفوا أنَّهُ لَهُ ، فأُخبرَ ٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ بنَ حكمٍ بذلكَ ، فقالَ : إنْ كانَ أخذوهُ مِنْ حاجةٍ وفاقةٍ.. تابَ ٱللهُ عليهِم . وكذلكَ كانَ ، فحصلَ لَهُ رجوعٌ صادقٌ وتابَ في ٱلحالِ) اهـ لأنَّهُ لو جاءَ إلى ٱلشَّيخ محمَّدِ بنِ حكمٍ وتابَ علىٰ يدهِ ، وتحكَّمَ لهُ.. لَذُكِرَ ذلكَ ، ولـٰكنَّهُ لم يذهب إلاَّ إلىٰ عندِ ٱلشَّيخ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ باعبَّادٍ بشبام ، معَ أنَّ ٱلتَّوبةَ لا تصحُّ إلاَّ بٱلاستحلالِ وردِّ ٱلمظلمةِ ، وكيفَ يقبلهُ ٱلشَّيخُ محمَّدٌ باعبَّادٍ مِن دونِها ، ولعلَّهُ لم يَعلَم بذلكَ ، أو لعلَّهُ بلغَهُ أنَّ ٱلشَّيخَ محمَّد بنَ حكمٍ حلَّلهُ ، غيرَ أنَّ ٱلتَّحليلَ ٱلمذكورَ في كَلامِ باقشيرٍ لم يستوفِ ٱلشَّرائطَ . وٱللهُ أعلمُ .

وكانَ للسَّيِّدِ ٱلفاضلِ ، ٱلكثيرِ ٱلإحسانِ ، طـٰهَ بنِ عبدِ ٱلقادرِ بنِ عمرَ ٱلسَّقَّافِ[2] ، ٱلمتوفَّىٰ بسيئونَ في سَنةِ (١٣٢٠هـ) تعلُّقٌ كثيرٌ بحوطةِ سلطانةَ وتردُّدٌ إليها ، وقدِ ٱبتنىٰ بها داراً واسعةً للمنصبِ هيَ ٱلَّتي يَسكنُها ٱلآنَ . وأكثرُ نفقاتِها ممَّا كانَ يرسلُهُ إليهِ ٱلشَّيخُ زينُ بنُ عبدِ ٱلقادرِ بنِ أحمدَ بنِ عمرَ ٱلزُّبيديُّ أخو ٱلمنصبِ لذلكَ ٱلعهدِ ـ ٱلشَّيخِ كرامةَ بنِ عبدِ ٱلقادرِ ـ وكانَ ٱلشَّيخُ زينٌ هـٰذا وقفَ حياتَهُ علىٰ خدمةِ ٱلحبيبِ طـٰهَ بنِ عبدِ ٱلقادرِ.. فكانَ يُسافرُ ٱلسَّفراتِ ٱلطَّويلةَ إلىٰ جاوةَ ، وكلَّما عادَ.. دفعَ جميعَ

---

(١) في « الأدوار » (٣١٠) : (وللشيخة سلطانة رباط تردد ذكره في بعض الكتب والأمالي الحضرمية ، بنته بالعر وهو العراء الممتد شرقي مريمه إلى نهاية حوطتها .
ولـٰكن تلك الكتب لم تشرح لنا شيئاً عن الرباط المذكور ولا عن مريديه ولا عن العلوم التي تدرّس فيه ، وهل تباشر هي بنفسها تطبيق شيء من الرياضات أو الدروس فيه أم هو أشبه بخان صوفية لتنزيل الضيوف منهم ومن أتباعهم فيه ، ولعل هـٰذا هو الأقرب) اهـ

(٢) ترجمته في « التلخيص » (٢٨) .

ما يأتي بهِ مِنَ ٱلمالِ للحبيبِ طٰهٰ . وكانَ هٰذا ٱلسَّيِّدُ آيةً مِنْ آياتِ ٱللهِ في رِقَّةِ ٱلقلبِ ، وٱلانفعالِ عندَ سماعِ ٱلقرآنِ ، وكانَ مطبوعاً على ٱلجودِ ، حتَّىٰ إنَّهُ ليَستدينُ ويتصدَّقُ ، إلىٰ أنْ بلغَ دَيْنُهُ يومَ ماتَ خمسةَ عشرَ ألفاً مِنَ ٱلرِّيالاتِ ، لَم يُنفقهُ إلاَّ في هٰذهِ ٱلسَّبيلِ ، فقضاهُ ٱللهُ لصحَّةِ قصدِهِ وإخلاصِ نيَّتِهِ[1] .

وولدهُ أَبو بكرِ بنُ طه[2] مِنْ أَهلِ ٱلعِلْمِ وَٱلأَدبِ ، وٱلشَّهامةِ وٱلفضلِ ، وهو ٱلآن منذ زمانٍ بسنغافورةَ ، ولَهُ بها ٱبنٌ ذكيٌّ نبيهٌ ، يُحرِّرُ صحيفةً عربيَّةً تظهر تارةً وتغيب أُخرىٰ[3] .

وللزَّبدةِ بُلدانٌ كثيرةٌ ذاهبةٌ في ٱلوادي حِفافَي مسْيالِ عِدِمَ ، ما بينَ ساه وٱلغُرَفِ ومسيلةِ آلِ شيخٍ ؛ مِنها : **ٱلرُّدُودُ** ، **وسُونهْ** ، **وتَمْرانُ** ، **وشريوفُ** .

ولِلشَّيخِ سعيدِ بنِ مُحَمَّدٍ ٱلزُّبيديِّ نهضةٌ أَخضعَ بها آلَ جابرٍ وآلَ تميمٍ ، وحرَّر بها بيتَ مسلمةَ مِنْ أَخذِ ٱلشِّراحةِ منهُ بدونِ رضىً مِنْ أَربابِ ٱلأَموالِ ، وكانت تلكَ ٱلنَّهضةُ في حدودِ سَنةِ (١٢٣٠هـ) ، وقدِ ٱستوفيناها بـ« **ٱلأَصلِ** » .

ومنصبُ ٱلزَّبدةِ ٱليومَ ٱلعامُّ هوَ : ٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ كرامةَ ٱلزُّبَيديُّ ، مِنْ أَكثرِ ٱلمناصبِ رماداً ، وأَوسعِهم صدراً ، وأَكثرِهم ضِيفاناً ، وهوَ مِنَ ٱلتَّواضعِ في ٱلاعتبارِ ٱلأَوَّلِ ، لا تدلُّ عليهِ هيئتُهُ ٱلرَّثَّةُ ، ولا يُعرفُ إلاَّ بٱلتَّعريفِ ، وقد لَدَغتْهُ حيَّةٌ يعاودُهُ سمُّها في كثيرٍ مِنَ ٱلأَوقاتِ ، كما قالَ شاعرُ ٱلمعرَّةِ [في « سقط الزند » ١٦١ مِنَ ٱلوافر] :

وَمَــنْ تَعْلَــقْ بِــهِ حُمَــةُ ٱلأَفَــاعِــي ... يَعِــشْ ـ إنْ فَــاتَــهُ أَجَــلٌ ـ عَلِيــلا

---

(١) كان قضاءُ دينه على يد ربيبه السيد محمد بن عبد الله بن جعفر بن شيخ بن عبد الرحمٰن بن سقاف . « التلخيص » (٢٩) .

(٢) مولده بسيئون ، ووفاته بسنغافورة سنة (١٣٧٥هـ) ، وعند تأسيس مدرسة النهضة بسيئون على يد السيد سقاف بن محمد بن عبد الرحمٰن بن علوي السقاف سنة (١٣٣٩هـ) . . قام بمساعدته فيها . . رحم الله الجميع .

(٣) وهو السيد الأديب الفاضل طه بن أبي بكر بن طه . ولد بسيئون ، ودرس بمدرسة النهضة ، ثم هاجر إلى إندونيسيا وسنغافورة ، وعمل بها تارة مدرساً وتارة مديراً لبعض المدارس ، ثم أصدر صحيفتين عربيتين ، فيهما مرتع خصبٌ للباحثين والكتاب .

ومِنْ فحولِ ٱلزَّبدةِ : ٱلشَّيخُ أَبو بكرِ بنُ سعيدٍ ٱلزُّبَيديُّ ، ممدوحُ شيخِنا ٱلعلاَّمةِ ٱبنِ شهاب . وهوَ صاحبُ ٱلقصَّةِ ٱلسَّابقةِ في شبام وإِلىٰ رأْيِهِ يرجعُ كثيرٌ مِنَ ٱلعظماءِ عندَ ٱلمُهمَّاتِ .

ومنهُمُ : ٱلولدُ ٱلنَّجيبُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَبي بكرِ بنِ أَحمدَ ٱلزُّبيديُّ .

ومرجعُهُم في ٱلنَّسبِ إِلىٰ مذحجٍ ، وقيلَ : إِلىٰ بني أُميَّةَ ، ويُؤَكِّدُهُ أَنَّهُم يتَّفقونَ معَ آلِ سَنَدٍ ، وقد مرَّ في ٱلدَّحقه ٱلَّتي إِلىٰ جنبِ ٱلحزمِ : أَنَّهُم مِنْ بني أُميَّةَ .

ومِنَ ٱلنَّاسِ مَن ينسبُ بني حارثةَ إِلىٰ كندةَ ، وٱلزَّبدةُ مصفقونَ على أَنَّهم من بني أُميَّة ، والنَّاسُ مأْمونونَ علىٰ أَنسابِهِم .

قَارَةُ ٱلحَبُوظيِّ وقارةُ ٱلعُرِّ[1]

ـ **أَمَّا قارةُ ٱلحَبُوظيِّ** : ففي سفحِ ٱلجبلِ ٱلشَّماليِّ ، غربيَّ صليلةَ ، وشرقيَّ حصونِ آلِ ٱلصُّقَيرِ . وفيها آثارُ عِمَاراتٍ قديمةٍ ، وبئرٌ في أَعلاها .

وٱلحَبُوظِيُّ هوَ : صاحبُ ظَفَارٍ ، وقدِ ٱستولىٰ علىٰ حَضْرَمَوْتَ بأَسرِها في سَنةِ (٦٧٣هـ) ، ولَهُ بها آثارٌ ومنازلُ كثيرةٌ لِلضِّيفانِ ، وصدقاتٌ جمَّةٌ تكرَّرَ ذِكرُها في أَعالي حَضْرَمَوْتَ[2] ، وأَمَّا في أَسفلِها . . فَذِكرُها قليلٌ إِذا ٱستثنينا : مسجدَ ٱلحبوظيِّ بتريم[3] ، وهـٰذِهِ ٱلقارةَ ، ومكاناً آخرَ بينَ ٱلعجز وتريم .

وما قِلَّةُ ذِكْرِ صدقاتِ ٱلحبوظيِّ بأَسفلِ حضرموتَ ـ فيما أُراه ـ إِلاَّ لكثرةِ خيانةِ ٱلنُّظَّارِ بهِ أَكثرَ ممَّا بأَعلاها .

وبنو حارثةَ ينقسمونَ إِلىٰ فرقتينِ :

ٱلأُولىٰ : بنو حارثةَ ٱلحبوظيِّ ، وسُكناهُم بهـٰذِهِ ٱلقارةِ وما يليها مِنَ ٱلدِّيارِ ،

---

(١) **العُر** ـ تضبط بعين وراء مهملتين ـ : وهي غير حصن العز بالعين المهملة والزاي المعجمة الآتي ذكره قبيل تريم ، فليُعلم ؛ فإِن هـٰذه قارة وذاك حصن .

(٢) في وادي عمد ونواحيه .

(٣) وهو الكائن في حافة السوق قريباً من الجامع .

ولا تزالُ لأَعقابِهِم مِنْ آلِ خليفةَ أَموالٌ بصَلِيلةَ وما حواليها ؛ لأَنَّهُم مِنْ بني حارثةَ ٱلحبوظيِّ .

وٱلفرقةُ ٱلأُخرىٰ : بنو حارثةَ ٱلعُرِّ ؛ لأَنَّهُم كانوا يَسكنونَ ٱلقارةَ ٱلَّتي بسفحِ ٱلجبلِ ٱلجنوبيِّ ٱلَّذي علىٰ يمينِ ٱلذَّاهبِ مِنَ ٱلجهةِ ٱلغربيَّةِ إِلى ٱلحسيّسةِ وتاربه وما وراءَهما .

وقد جاءَ في أَخبارِ سَنةِ (٦١٩هـ) أَنَّ عمرَ بنَ مهديٍّ أَحدَ أُمراءِ ٱلرَّسوليِّينَ بٱليَمنِ أَعادَ بناءَ قارةِ ٱلعُرِّ[١] ، ولَنْ يُعيدَهُ إِلاَّ عن سابقِ بناءٍ وٱنهدامٍ .

وكانَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافُ متزوِّجاً بها على ٱمرأَةٍ مِنْ بني حارثةَ ٱلعُرِّ ، وهيَ أُمُّ بنتهِ عائشةَ ، ولَهُ بها مسجدٌ لا يزالُ موجوداً إِلى ٱليومِ .

وصَهَرَ إِليهِم أَيضاً ٱلشَّيخُ عمرُ ٱلمِحْضَارُ ، فمنهُم أُمُّ بنتهِ مريمَ[٢] .

وإِليها ينسبُ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عليِّ بنِ ٱلشَّيخِ مُحَمَّدِ بنِ حسنٍ جملِ ٱللَّيلِ ، فيقالُ : عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ قَارَة ٱلعُرِّ ، وبها يسكنُ ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ عقيلٍ .

وقد أَشرنا في سيئونَ إِلىٰ قصَّتِهِ معَ ٱلشَّيخِ عمرَ بنِ عبدِ ٱللهِ بامخرمةَ ، وهيَ ما جاءَ في ٱلحكايةِ (١٤٨) مِنْ « أُنسِ ٱلسَّالِكينَ » لِلسَّيِّدِ باهارونَ[٣] : (أَنَّ ٱلسَّيِّدَٱلشَّريفَ علويَّ بنَ عقيلِ بنِ أَحمدَ بنِ أَبي بكرِ ٱلسَّكرانِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ أَقبلَ مِنَ ٱلعرِّ إِلىٰ بورٍ ، فأَلفى ٱلسُّلطانَ عبدَ ٱللهِ بنَ جعفرٍ وٱلفقيهَ عمرَ بنَ عبدِ ٱللهِ بامخرمةَ جلوساً علىٰ عُصْبيِّ ٱلجامعِ[٤] ، فقالَ بامخرمةَ بصوتٍ خافتٍ ، لا يمكنُ للسَّيِّد أَن يسمعَهُ : إِنَّكَ لَنْ تخرقَ ٱلأَرضَ ولَنْ تَبلغَ ٱلجبالَ طُولاً .

فدخلَ ٱلسَّيِّدُ علويُّ إِلى ٱلمسجدِ وصلَّىٰ ركعتينِ ، ثمَّ خرجَ إِلى ٱلعُصْبيِّ وضربَ

---

(١) « شنبل » (٨١) .

(٢) وإِلى مريم هـٰذه ينسب السادة آل الكاف من جهة الأمهات .

(٣) هو السيد عبد الله بن عبد الرحمـٰن بن علي بن هارون بن حسن بن علي بن الشيخ جمل الليل ، توفي بالهند ، ولم تُؤرَّخ وفاته .

(٤) **العُصْبي** ـ بضم العين وسكون الصاد ـ : الدكة التي تكون خارج المسجد وقد تحيط به ، يجلس الناس عليها .

بامخرمةَ بنِعَالِهِ ، وقالَ لعبدِ ٱللهِ بنِ جعفرٍ : نحترمكَ ، ولـٰكنْ إذا لَم تُرسلْ لي بحِمْلِ بُرٍّ وحِمْلِ ذُرَةٍ إلىٰ بلادِ ٱلعرِّ بلادِ سلطانةَ . . ترىٰ ما يحدُث عليكَ . فبعثَ لَهُ بذلكَ ، وقالَ للشَّيخِ عمرَ بامخرمةَ : ما لكَ حاجةٌ معَ هـٰؤلاءِ ؛ فإنَّهُم مجبَّرينَ) اهـ

وكانَ هـٰذا ٱلسَّيِّدُ مِنْ أَهلِ ٱلأَحوالِ ٱلمجاذيبِ . وٱللهُ أَعلمُ .

وجاءَ في حوادثِ سَنَةِ (٩١٨هـ) أَنَّ ولدَ عبدِ ٱللهِ بن جعفرٍ حصرَ ٱلعرَّ ، ثمَّ أَخذَها قهراً ، وأَخربَ ديارَها ولَم يُبقِ إلاَّ ٱلمَصْنعةَ فقط[١] .

وفي حوادثِ تلكَ ٱلسَّنةِ هَجَمَ أَولادُ ٱلفقيرِ مِنْ بني حارثةَ علىٰ ديارِ أَصحابِهم بٱلعرِّ، وأَخذوا ٱلحِصْنَ ، ونَهبوا بيوتَ أَصحابِهم وأَحرقوها ، وأَخربوها ما عدا ٱلمصْنعةَ ، وكانَ أَصحابُهُم يومئذٍ بٱلكسرِ غائِبينَ عنِ ٱلعرِّ . وهـٰذا دليلٌ علىٰ أَنَّ ٱلتَّخريبَ ٱلَّذي كانَ مِنْ ولدِ عبدِ ٱللهِ بنِ جعفرٍ لَم يَستأْصِلْ ديارَ ٱلعرِّ ، وإلاَّ . . لَما كانَ هـٰذا .

وٱلفقيرُ في عرفِ ٱلسَّابقينَ مِنْ مشايخِ حَضْرَمَوْتَ مَنْ تَرَكَ ٱلسِّلاح وتَحكَّمَ لأَحدِ مشايخِ ٱلتَّصوُّفِ إذْ ذاكَ ؛ كباعبَّادٍ ، وباقُشَيرٍ ، وٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ مُحَمَّدِ بنِ عليٍّ باعلويٍّ ، وٱلشَّيخِ سعيدِ بنِ عيسى ٱلعموديِّ .

وللعرِّ[٢] ـ وهوَ جبلٌ علىٰ مقربةٍ مِن أَرضِ ٱلبيضاءِ كما يُفهَمُ مِنْ رحلةِ ٱلشَّيخِ عمرَ صالحِ بنِ هرهرةَ ـ ذِكرٌ كثيرٌ في ٱلحروبِ ٱلَّتي جَرَتْ بينَ ٱلإمامِ ويافعٍ في سَنَةِ (١١٠٤هـ) . وفي ٱلحيمةِ من أَرضِ ٱليمنِ مكانٌ يُقالُ له : (العر) أَيضاً .

بَوْر وحَنْظَلَةُ ٱبنُ صفوانَ عليهِ ٱلسَّلامُ وعَرْضُ عبيدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ بنِ عيسىٰ

أَمَّا بَوْر[٣] : فمِنَ ٱلبلدانِ ٱلقديمةِ ، و« ديوانُ ٱلشَّيخِ عمرَ بنِ عبدِ ٱللهِ بامخرمةَ » يَستهلُّ في كثيرٍ مِنَ ٱلقصائدِ بأَنَّها مِنْ ديارِ عادٍ ، ولَهُ فيها أَماديحُ كثيرةٌ ، مِنها قولُهُ :

---

(١) شنبل (٢٥٢) .

(٢) هناك (١١) موضعاً باليمن وحضرموت تعرف بهـٰذا الاسم ، ومنها السابق الذي في حضرموت . وأما ما عناه المصنف . . فهو جبل بأعلى يافع ، به قلعة حصينة يعود تاريخ بنائها إلى القرن السابع الهجري . « المقحفي » (٢/ ١٠٣٥) .

(٣) بور : تقع شمال شرقيِّ سيئون ، وتبعد عنها نحو (١٠) كم .

يَـا بَـورْ يَـا جَنَّـةَ ٱلـدُّنْيَـا   يَـا مصْـرَنَـا ذِي لَهَـا شَـارَهْ

وقولُهُ ـ قبلَ أَن ينزغَ ٱلشَّيطانُ بينَهُ وبينَ بدرٍ بوطويرق ـ :

ثَـلاَث ٱللهُ جَمَعْهُـمْ فِـي كَمَـالْ ٱلْكَمَـالْ   كَفَىٰ بِهَا : بَدْر ، وَٱلدِّمْنَهْ ، وبَاهِي ٱلْجَمَالْ

يريدُ بِٱلدِّمنةِ : بوراً .

وفي طرفِ بور ٱلشَّرقيِّ جامعٌ كبيرٌ ، بناهُ سيِّدُنا علويُّ بنُ عبيدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ بنِ عيسىٰ[1] ، وقدِ ٱرتفعتْ عليهِ ٱلأَرضُ فصاروا لا ينزلونَ إِليهِ إِلاَّ بدَرَجٍ ، ولـٰكنَّهُم بَنوا عليهِ مثالَهُ ، وبقيَ ٱلقديمُ مطموراً بِٱلتُّرابِ مِنْ سائرِ جهاتهِ ، إِلاَّ مِنْ جهةِ دَرَجهِ ٱلَّذي ينزلونَ منهُ إِليهِ ، وحَفرَ علىٰ قريبٍ منهُ بئراً طواها بِٱلحجارةِ ، ٱلَّتي كتبَ ٱسمَهُ علىٰ كلِّ حجرٍ مِنها ، تسمَّى ٱلآنَ : **بيرَ ٱلأَعمشِ** ، ومِنْ خصائصِها : أَنَّ الاغتسالَ فيها مجرَّبٌ لِحُمَّى ٱلرِّبْعِ[2] .

وقد عُرِفَ ممَّا سبقَ في ٱلغرفةِ وسيئونَ أَنَّ ولايةَ بور كانت لآلِ باجمَّالٍ ، ثمَّ ٱنتزعَها منهُم آلُ بانجَّارٍ ٱلكنديُّونَ ، أَوِ ٱلمَذْحِجيُّونَ على ٱختلافِ ٱلأَقوالِ فيهِم .

ولمَّا جاءَتْ سَنةُ (٧٢٣هـ) . . هَجَمَ آلُ كثيرٍ علىٰ بورٍ وٱستولَوا عليها ، وقَتلوا جماعةً مِنْ آلِ بانجَّارٍ ، منهُم أَربعةٌ ولدوا في يومٍ واحدٍ ، وٱختتنوا في يومٍ واحدٍ ، وخَتموا ٱلقرآنَ في يومٍ واحدٍ ، وشَرعوا يُصلُّونَ في يومٍ واحدٍ .

وكانتْ بَور قاعدةَ مُلْكِ آلِ كثيرٍ برهةً مِنَ ٱلزَّمنِ ، وهـٰذا ممَّا يتأَكَّدُ بهِ أَنَّ سيئونَ كانت خراباً ، وإِنَّما تجدَّدت عِمارتُها شيئاً فشيئاً ، أَكثَرُها في ٱلقرنِ ٱلعاشرِ .

ولمَّا ضَعُفَ أَمرُ آلِ كثيرٍ ببور ، وٱشتدَّتِ ٱلفوضويَّةُ فيها وفي أَعمالِها . . سعىٰ آلُ بورٍ وآلُ باجرَي في ٱستقدامِ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ علويٍّ ٱلعيدروس[3] ، وأَقاموهُ منصباً

---

(١) وهو الملقب عند أهل الطبقات من النسابين بالمبتكر ، لأنه ابتُكِر له اسم (علوي) ولم يكن معروفاً في آبائه من قبل ، وهو جد بني علوي قاطبة ، توفي حدود الأربع مئة وقبر بسُمَل الواقعة على ثلث مرحلة من تريم .

(٢) هي الحُمَّى التي تأتي يوماً وتغيب يومين وتعود في الرابع .

(٣) هو السيد الحبيب أحمد ـ الملقب المحتجي أو المحتجب ـ بن علوي ، من ذرية الشيخ عبد الله العيدروس . كان مولده ببور ، وبها وفاته .

علىٰ بورٍ ، وكانَ لَهُ رباءٌ فيها ؛ إذ كانت أُمُّهُ مِنْ آلِ باعَبُودٍ ، ثمَّ أَخذهُ أبوهُ صغيراً للتَّعليمِ إلىٰ تريم ، فتعبتْ أُمُّهُ لِفراقهِ .

وكانَ آلُ بورٍ محتاجينَ إلىٰ والٍ يجتمعونَ عليهِ . . فٱستقدموهُ ، وأقامَ على ٱلمنصبةِ بها إلىٰ أَنْ توفِّيَ سَنةَ (١١٠٤هـ) ، وخَلَفَهُ ٱبنُهُ علويٌّ[1] ، ثمَّ ٱبنُهُ عبدُ ٱللهِ بنُ علويٍّ ، ٱلمتوفَّىٰ ببورٍ سَنةَ (١١٤٥هـ) ، وكانَ فاضلاً جليلَ ٱلقدرِ ، لَهُ ٱتِّصالٌ أكيدٌ بٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ، وكثيراً ما يذهبُ إليهِ هوَ وخادمُهُ ٱبنُ زَاملٍ ، وهوَ ٱلشَّاعرُ ٱلمطبوعُ من آلِ باجري ، ولَهُ فيهِ وفي ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ غررُ ٱلمدائحِ بٱلعبارةِ ٱلعامِّيَّةِ .

وخَلَفَهُ ولدُهُ علويٌّ ، ثمَّ ولدُهُ سالمُ باحَجْرةَ ، ثمَّ ولدُهُ علويُّ بنُ سالمٍ ، ثمَّ سالمُ بنُ علويٍّ (ٱلأخيرُ) ، وكانَ عالماً فاضلاً ، لَهُ كلامٌ كثيرٌ في ٱلتَّصوُّفِ ، توفِّي ببورٍ سنةَ (١٢٨٠هـ) ، ولَهُ أَخٌ ٱسمُهُ عبدُ ٱللهِ ، كانَ شريفاً فاضلاً متواضعاً ، لَم يَلِ ٱلمنصبةَ ، توفِّيَ ببورٍ قبلَ أخيهِ سَنةَ (١٢٧٤هـ) .

وتولَّى ٱلمنَصبةَ بعدَ ٱلحبيبِ سالم بنِ علويٍّ : ولدُهُ عبدُ ٱلقادر ، وكانَ شهماً شجاعاً ذا وجاهةٍ تامَّةٍ ، لهُ يدٌ في ٱلإصلاحِ ، وكم سَلِمت نفوسٌ بحجزهِ بينَ ٱلمتحاربينَ ؛ لأنَّهم متىٰ رأوا عَلَمَه يرفُّ . . كَفُّوا ، مهما يكن من حَرَدِهم وغيظِهم .

وكانَ مِنْ أجهرِ ٱلنَّاسِ صوتاً ، حتَّىٰ إنَّهُ لَينادي مِنْ صَلِيلَة[2] فيسمعُ مَنْ بحوطةِ سلطانةَ وبينهما نحوٌ مِنْ أربعةِ أميالٍ ، فينطبقُ عليهِ قولُ بعضِهم في شبيبِ بنِ يزيدَ ٱلخارجيِّ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

إنْ صَاحَ يَوْماً حَسِبْتَ ٱلصَّخْرَ مُنْحَدِراً وَٱلرِّيحَ عَاصِفَةً وَٱلْمَوْجَ يَلْتَطِمُ

وقولُ ٱلآخرِ [مِنَ ٱلمتقاربِ] :

جَهِيرُ ٱلرُّوَاءِ جَهِيرُ ٱلْعُطَاسِ جَهِيرُ ٱلْكَلَامِ جَهِيرُ ٱلنَّغَمْ

وفي غيرِ موضعٍ من كُتبي ذكَرْتُ ندىٰ صوتِ ٱلعبَّاسِ وعروةِ ٱلسِّباعِ وما يتعلَّقُ

---

(١) توفي ببور .

(٢) ضاحية من ضواحي بور .

بذلكَ ، وقولَ أَبي ٱلطَّيِّبِ [مِنَ الكاملِ] :

وَرْدٌ إِذَا وَرَدَ ٱلْبُحَيْـــرَةَ شَـــارِبـــاً   وَرَدَ ٱلْفُـــرَاتَ زَئِيـــرُهُ وَٱلنِّيـــلاَ

توفِّي ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ سالمٍ ببور سنة (١٣٢٠هـ) .

وخَلَفَهُ ولدُهُ خوَّاضُ ٱلغَمَراتِ ، ووقَّاد ٱلجَمَرات ، وحامي ٱلحقائِقِ ، وحتف ٱلأَقرانِ ، ٱلفاضلُ ٱلمتواضعُ ، عيدروسُ بنُ عبدِ ٱلقادرِ ، كانَ رجلاً بطلاً ، طِوالاً شديدَ ٱلأَسْرِ :

قَـدْ أَرْضَعَتْـهُ وَأُسْـدُ ٱلْغِيـلِ تَحْـرُسُـهُ   بِـٱلْبَـدْوِ كُـلُّ دَرُورٍ حَـافِـلُ ٱلـرِّيِّ[1]

فَجَـاءَ إِذْ جَـاءَ مِثْـلَ ٱلـرُّمْـحِ مُعْتَـدِلاً   وَشَـبَّ إِذْ شَـبَّ كَـٱلصَّقْـرِ ٱلْقُطَـامِـيِّ[2]

لَهُ في ٱلنَّجدةِ وٱلشَّهامةِ أَخبارٌ كبيرةٌ ، مِنْ أَدناها : أَنَّ أَولادَ ٱلسَّيِّدِ زينِ بنِ علويٍّ ٱلعيدروسِ كانوا مضطغنين عليه يُنافسونَهُ ـ وهم أَربعةٌ ـ فمرَّ عليهِم ذاتَ ليلةٍ ، فقالوا لَهُ : لِمَ لَمْ تُسلِّمْ ؟ قالَ : لَم أَرَكُمْ .

فٱنقضُّوا عليهِ ، وما زالوا يساورونَهُ بكلِّهم وهوَ وحدَهُ حتَّىٰ قَتلَ عُمَرَ بنَ زينٍ ، وطردَ ٱلباقينَ ، وبهِ منهُم سَبْعُ طَعناتٍ ، وبإِثرِ ذلكَ تعصَّبَ آلُ باجْرَي علىٰ عَيدَرُوسٍ ، فٱمتَنَعَ عنِ ٱلظُّهورِ إِلاَّ بخفيرٍ فمنعوا ٱلنَّاسَ من خَفارته ، فلم يمتنع أَحدُ آلِ سالمِ بنِ عمرَ خَفْرَهُ ، فتعرَّضَ لَهُم أَربعةٌ مِنْ آلِ حُمُودٍ في سوقِ بورٍ ، ففشلَ ٱلخَفيرُ ، ولٰكنَّ عيدروساً ثبتَ ، ولمَّا ضربَهُ أَحدُهُم بنَمْشَتِهِ . . تلقَّاها بذراعهِ . فلَم تُؤَثِّرْ فيهِ إِلاَّ قليلاً ، ثمَّ أَطلقَ عليهِ عاملَهُ ودقَّهُ فيه . . فخرجَ سنانُهُ من ظهرِهِ ، ولَم يقدِرْ على ٱنتزاعِهِ إِلاَّ بجُهدٍ معَ قوَّةِ أَيدِهِ ، ولٰكنَّ ٱلمطعونَ سلِمَ وهربَ ٱلثَّلاثةُ إِلىٰ أَنْ سُوِّيتِ ٱلمسأَلةُ بٱلصُّلحِ ، وكِفَّتُهُ راجحةٌ ، وخدودُ أَعدائِهِ ضارعَةٌ ، وعذرُهُ في قتلِ عُمَرَ بنِ زينٍ ظاهرٌ ؛ إِذ بدؤوهُ بالاعتداءِ ، ولم يمكنْهُ ٱلدَّفعُ إِلاَّ بٱلقتلِ ، وعندَ ظهورِ ٱلقرينةِ بٱلصِّيالِ . . يكونُ ٱلمُعتَدىٰ عليهِ هوَ ٱلمُصدَّقُ ، ويذهبُ دمُ ٱلصَّائِلِ هدراً .

---

(١) البيتان من البسيط ، وهما لابن هانىءٍ الأندلسيِّ بتغيير بسيط . درور : المرأة ذات اللبن الكثير .

(٢) **القطامي** : نوع من أنواع الصقور .

وبإثرِ هـٰذهِ ٱلحادثةِ كانتْ حادثةُ آلِ أَحمدَ بنِ حسينِ ٱلعيدروسِ ببورٍ ، وذلكَ أَنَّ ٱلفاضلَ ٱلتَّقيَّ ٱلكريمَ ٱلسَّيِّدَ حسنَ بنَ أَحمدَ ٱلعيدروسَ[1] ـ ٱلمتوفَّىٰ بتريم سَنَةَ (١٣٠٤هـ) ـ كانَ لَهُ أَخٌ يقالُ لَهُ : عبدُ ٱللهِ بنُ أَحمدَ ، ولكلٍّ منهُما أَولادٌ ، غيرَ أَنَّ أَولادَ ٱلسَّيِّدِ حسنِ بنِ أَحمدَ كانوا أَكثرَ ، فتنازَعوا ذاتَ ليلةٍ ، فزعمَ شيخُ بنُ حسنِ بنِ أَحمدَ أَنَّهُ مطعونٌ مِنْ أَحدِ أَولادِ عمِّه عبدِ ٱللهِ ، فخفَّ مصطفىٰ بنُ حسنٍ وقَتَلَ مُحَمَّدَ بنَ عبدِ ٱلقادرِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ ، وسمعتُ مِنَ ٱلمنصبِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ عبدِ ٱلقادرِ : أَنَّ مصطفىٰ لَم يقدرْ علىٰ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلقادرِ حتَّىٰ أَمسكَهُ لَهُ ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ حسينٍ ، وهو رجلٌ أَكولٌ ذو مِرَّةٍ ؛ فإنهُ لمَّا سمعَ بقَتْلِ شَيخِ بنِ حسنٍ . . أَحبَّ أَنْ يَتوافَوا ، فأَمسكَ محمَّداً فقتلَهُ مصطفىٰ والحالُ أَنَّ جُرحَ شيخٍ لم يكن إِلاَّ خفيفاً سرعانَ ما برِىءَ منهُ .

فتداخلَ ٱلمنصبُ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ سالمٍ في ٱلقضيَّةِ ، وجمعَ لَها ٱلأَعيانَ ، فسُوِّيَتْ علىٰ عفوٍ معلَّقٍ علىٰ أَنْ لا يعودَ ٱلقاتلُ إِلىٰ بورٍ مادامَ أَحدٌ مِنْ والدي ٱلمقتولِ حيّاً .

وٱلَّذي يَظهرُ أَنَّ هـٰذا ٱلعفوَ غيرُ صحيحٍ ؛ لأَنَّ ٱلعفوَ والإِبراءَ أَخَوانِ ؛ إِذْ يصحُّ ٱلعفو عنِ ٱلدَّمِ بلفظِ ٱلإِبراءِ ، ويصحُّ ٱلإِبراءُ مِنَ ٱلمالِ بلفظِ ٱلعفوِ ، وقد صرَّحَ ٱلفقهاءُ بأَنَّ تعليقَ ٱلإِبراءِ يُبطلُهُ .

وقد ذهبَ مصطفىٰ[2] بإثرِ هـٰذهِ ٱلحادثةِ إِلىٰ مكَّةَ ٱلمشرَّفةِ ، وٱكتسبَ بها ثروةً طائلةً ، وماتَ في سَنةِ (١٣٦٣هـ) ، وتركَ هناكَ أَولاداً لهم سَمْتٌ حَسَنٌ وتواضعٌ ، إِلاَّ أَنَّهُ يؤثَرُ عنهم لؤمٌ ، بلغَ بهم أَنَّ ٱلأَخَ ٱلفاضلَ محمَّدَ بنَ هادي ٱلسَّقَّافَ أَبرقَ إِليهم بسفرِهِ مِن عدن إِليهم معَ أَهلِهِ برقيَّةً وصلتهم في وقتِها ، وكانوا يتردَّدونَ عليهِ ،

---

(١) حسن بن أحمد بن حسين . . كان جليلاً فاضلاً من الصالحين ، ولد ببور سنة (١٢٣٤هـ) ، وتوفي في (٢٧) محرم (١٣٠٤هـ) ، وجمع بعض أحفاده ترجمة مختصرة له .

(٢) هو مصطفى بن حسن بن أحمد ، توفي بمكة سنة (١٣٦٣هـ) ، وله بالحجاز عدد من الأبناء ، ومنهم : عبد الله وهو الذي جمع الأدعية والأذكار المأثورة في كتاب سماه : « مخ العبادة » .

ويتظاهرونَ بحسنِ ٱلظَّنِّ فيهِ ، فتركوهُ حائراً في ٱلمطارِ ، لا يدري ماذا يفعلُ . . حتَّىٰ فرَّجَ ٱللهُ عليهِ بمباركِ ٱلنَّاصيةِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ حسنٍ ٱلجفريِّ ، وكانَ جاءَ في لقاءِ بعضِ أَصحابِهِ ، فقامَ بأَمرِهِ ، كما أَخبرني بجميعِ هـٰذا ٱلسَّيِّدُ عيدروسُ بنُ سالمٍ ٱلسَّومُ .

وكانت قبائِلُ آلِ عونٍ أَطوَعَ للسَّيِّدِ عيدورسٍ مِنَ ٱلخاتمِ ، ولم يَزَلْ بهم وبقوَّةِ بأسِهِ وهمَّتِهِ مرهوبَ ٱلجانبِ ، محترمَ ٱلفناءِ ، حتى ٱنقادَ لبعضِ آراءِ ٱلسَّيِّدِ عمرَ بن بوبكر ٱلعيدروس ، وكانَ علىٰ بنتِهِ ، ففَترتِ ٱلعلائِقُ بينَهُ وبينَهم ؛ لأَنَّ عمرَ بنَ بوبكرٍ حَمَلَهُ ـ بإِيعازٍ مِن آلِ ٱلكافِ ـ علىٰ إِيثارِ جانبِ دولةِ آلِ عبدِ ٱللهِ عليهم .

ولمَّا توفِّيَ ٱلسَّيِّدُ عيدروسُ بنُ عبدِ ٱلقادرِ في سَنةِ (١٣٤٤هـ) . . وقعَ رداؤُهُ علىٰ أَخيهِ ٱلعلاَّمةِ ٱلجليلِ عليِّ بنِ عبدِ ٱلقادرِ بنِ سالمٍ ٱلعيدروسِ[١] ، وكانَ عالِماً فاضلاً ، طَلَبَ ٱلعِلْمَ بمكَّةَ ٱلمشرَّفةِ علىٰ كثيرٍ مِنْ مراجيحِها ، وكانَ متخصِّصاً في « عِلْمِ ٱلأُصولِ » ، ومشاركاً مشاركةً قويَّةً في غيرِهِ ، وعنهُ أَخذتُ « عِلْمَ ٱلجبرِ وٱلمقابلةِ » ، و« عِلْمَ ٱلخطأَين »[٢] ، و« عِلْمَ ٱلعروضِ وٱلقوافي » ، أَنا وٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ باكثير معاً في منزلِنا ؛ لأَنَّهُ كانَ يتردَّدُ إِلىٰ سيئونَ ، ولـٰكنَّهُ لَم يَبْقَ بذهني شيءٌ مِنْ هـٰذهِ ٱلعلومِ إِلاَّ ٱلنَّزرُ مِنَ ٱلقوافي ، وأَمَّا ٱلبواقي معَ أَنَّني أَتقنتُها عليهِ . . فقد تفلَّتتْ عنِّي لضعفِ ٱلتَّوجُّهِ إِليها حتَّىٰ كأَنِّي لَم أَقرأْها بَعْدُ .

ولقد أَردتُ أَنْ أَستذكرَ « عِلْمَ ٱلجبرِ » مرَّةً ، لوقوعِ رسالةٍ في يدي منهُ ، فٱعتاصَتْ عليَّ وضاقَ صدري وٱطَّرَحتُها .

---

(١) السيد العلامة المنصب علي بن عبد القادر بن سالم ، مولده سنة (١٢٩٢هـ) بقرية صليلة ، طلب العلم بتريم ، ثم رحل إلى مكة مجاوراً برباط السادة بسوق الليل ، ترجمته في : « تاريخ الشعراء » (٥/ ١٨٩ـ١٩٧) ، « تعليقات ضياء شهاب » (١/ ١٢٤) .

(٢) **علم الخطأين** : من فروع علم الحساب ، وهو علم يتعرف منه استخراج المجهولات العددية ، إذا أمكن صيرورتها في أربعة أعداد متناسبة ، ومنفعته كالجبر والمقابلة ، إلا أنه أقل عموماً وأسهل عملاً ، وإنما سمي به لأنه يفرض المطلوب شيئاً ويختبر ، فإن وافق . . فذاك ، وإلا . . حفظ الخطأ الثاني ، ويستخرج المطلوب منهما ، فإذا اتفق وقوع المسألة أولاً في أربعة أعداد متناسبة . . أمكن استخراجه بخطأ واحد . ينظر : « كشف الظنون » (١/ ٧٠٧) .

ولَهُ مؤلَّفاتٌ ؛ مِنها : شرحُهُ علىٰ « ألفيّةِ » ٱلسُّيوطيِّ في ٱلنَّحوِ[1] . ورسالةٌ ردَّ بها على ٱلقضاةِ : عيدروسِ بنِ سالمٍ ٱلسَّوم ، ومُحَمَّدٍ بنِ أحمدَ كِرَيْسَان ، ومُحَمَّدِ بنِ مسعودٍ بارجاء ، ردّاً مفحماً ، صادقَ عليهِ طَلَبَةُ ٱلعِلْمِ بأَسرِهم في نواحي حَضْرَمَوْتَ وساحِلها . ولَهُ أشعارٌ جزلةٌ ، إلاّ أنَّهُ مُقِلٌّ مِنها .

ومِنَ ٱللَّطائِفِ : أنَّهُ هجا عبدَ ٱللهِ عليَّ حسَّانٍ حوالي سَنةِ (١٣٢٠هـ) . . فوقعَ كلُّ ما تفرَّسَهُ فيها عنهُ مِنَ ٱلموبقاتِ .

ولَهُ عنايةٌ بغرسِ ٱلنَّخيلِ ، غرسَ مِنها ٱلشَّيءَ ٱلكثيرَ فنَمَتْ وآتَتْ أُكُلَها ، ودرَّ عليهِ مِنْ ثمارِها خيرٌ كثيرٌ .

توفِّيَ ببورٍ لإحدىٰ عشرَةَ خَلَتْ مِنْ ربيعٍ ٱلأوَّل سَنةَ (١٣٦٣هـ) ، وكانتْ وفاتُهُ فجأَةً بٱلسَّكتةِ ٱلقلبيَّةِ .

وخَلَفَهُ ولدُهُ عبدُ ٱلقادرِ ـ وكانَ طائِشاً ـ فتوقَّرَ وفتحَ بابَهُ لوجهاءِ ٱلضِّيفانِ ، وأعانَهُ على ٱلقيامِ بمنصبهِم ضعفُهُ[2] ؛ إذ قلَّتْ مهمَّاتُ ٱلمنصِبِ لضغطِ ٱلحكومةِ عليهِ ومضايقتِهِ . ويُعجبني منهُ تلزُّمُهُ بٱلشَّريعةِ ، حتَّىٰ لقد سألَني في عيدِ ٱلحجَّةِ مِنَ ٱلسَّنةِ ٱلمنصرمةِ ـ أعني سَنةَ (١٣٦٦هـ) ـ عن جَحْشٍ ، قالَ يومَ ٱشتراهُ وهوَ صغيرٌ : بَغيتُهُ أُضحيةً ؟ فأَجبتُهُ بأَنَّ هـٰذا ٱلقولَ كنايةٌ ـ كما صرَّحَ بهِ عبدُ ٱللهِ بامخرمةَ ـ إنِ ٱقترنتْ بهِ نيَّةٌ . . وجبتِ ٱلتَّضحيةُ بهِ ، وإلاَّ . . فلا .

ومرَّ في ٱلغرفةِ ، ذِكْرُ ٱلسَّيِّدِ أحمدَ بنِ محضارٍ ٱلعيدروسِ ، وهوَ مِن آلِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويٍّ ٱلعيدروسِ آلِ بورَ ٱلمذكورين ، وكانَ قائداً مُحَنَّكاً عندَ عظامِ حيدرِ آبادَ ٱلدَّكَنِ ، ولمَّا ٱستفحلَ أَمرُ ٱلأُمَّةِ ٱليابانيَّةِ ببُورْما في ٱلحربِ ٱلأخيرةِ ، وطفحَ سيلُها ، وٱمتدَّ ذيلُها . . ضاقَ صدرُ الإنكليزِ ، فٱستنجدَ بحكومةِ حيدرِ آبادَ فأَمدَّتهُ بهِ ، فأَعطاهُ قيادةً

---

(١) هـٰذه الألفية تسمى : « الفريدة » أو « الزبدة » تحوي علم النحو والصرف والخط ، وقد بدأ الحافظ السيوطي في شرحها بنفسه ، وسماه : « المَطَالع السعيدة شرح المنظومة الفريدة » ولم يكْمُل .

(٢) أي : ضعف المنصب (المقام) .

عامَّةً ، ورمَىٰ بهِ ٱليابانُ في بُورْما ، فكانَ كما قالَ ٱلشَّريفُ ٱلرَّضيُّ [في « ديوانهِ » ٢/ ٢٩٣ مِنَ ٱلكامِل] :

عَمْـرِي لَقَـدْ قَـذَفُـوا ٱلْكُـرُوبَ بِفَـارِجٍ ... مِنْهَـا وَقَـد رَجَمُـوا ٱلْخُطُـوبَ بِمِـرْجَـمِ
فَكَـأَنَّمَـا قَـرَعُـوا ٱلْقَنَـا بِعُتَيْبَـةٍ ... وَلَقُـوا ٱلْعِـدَا بِـرَبِيعَـةِ بْـنِ مُكَـدَّمِ
رَقَّـاءُ أَضغَـانٍ يَسُـلُّ شَبَـاتَهَـا ... حَتَّـىٰ يُغَيِّـرَ سُـمُّ ذَاكَ ٱلأَرْقَـمِ

ففلَّ نابَها ، وقطعَ أَسبابَها ، وأَظهرَ شجاعةً خارقةً ، وتدبيراً حازماً ، وكلَّل ٱللهُ أَعمالَهُ بٱلنَّجاحِ ، حتَّىٰ لقد سمعتُ أَنَّ ملكَ ٱلإنكليزِ رسمَ بعشرينَ نيشاناً لتلكَ ٱلجيوشِ ، فحازَ هوَ وعسكرُهُ منها سبعةَ عشرَ ، ولم يقع لبقيَّةِ ٱلأَجناسِ إلاَّ ثلاثةُ أَوسمةٍ منها فقط . وٱللهُ أَعلمُ .

ولهُ إِلىٰ جانبِ ذلكَ ٱلبأسِ أَخلاقٌ فاضلةٌ ، وغيرةٌ على ٱلعروبةِ ، ودفاعٌ عنها ؛ فإنِ ٱنضمَّ إِلىٰ ذلكَ ٱنتهاءٌ عنِ ٱلمحظوراتِ وقيامٌ بفرائضِ ٱلعبادة . . فقد تمَّ تمامُهُ ، لـٰكن قالَ لي مرتضى ٱبنُ أَبي بكرٍ شهابٌ أَنَّهُ هوَ ٱلَّذي باعَ حيدرَ آبَادَ ٱلدَّكَنِ على ٱلبوذيِّينَ بستِّ مئةِ ٱلفِ ربيَّةٍ ، ثمَّ لم يدفعوها لهُ ، ومِنَ ٱلمتواترِ بينَ ٱلنَّاسِ في ٱلهندِ أَنَّ أُختَهُ متزوِّجةٌ بناصرِ بنِ عوضٍ بلَّيلٍ .

وكانَ في بَوْر جماعةٌ مِنَ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلحَبْشيِّ ؛ مِنهُمُ : ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ[1] بنُ هاشمِ بنِ أَحمدَ بنِ مُحَمَّدٍ ٱلحَبْشيُّ ، كانَ مقيماً ببور ، ترجمَهُ في « شرحِ ٱلعينيةِ » (ص ٣٢٥) وذكرَ في ترجمتهِ أَنَّهُ : (أَخذَ عنِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عبدِ ٱللهِ بامُدْركٍ ، ٱلمقيمِ ببور ، كانَ فقيهاً يتولَّىٰ فيها ٱلأَحكامَ ٱلشَّرعيَّةَ ، وأَظنُّهُ قرأَ عليهِ « ٱلمنهاجَ » بكمالهِ) اهـ

وكانَ بينَ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ بنِ هاشمٍ وٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ودٌّ وإِخاءٌ ، ثمَّ تواحشا لاختلافٍ جرىٰ بينَهُما حولَ ٱلهجرينِ ، ومعَ ذلكَ فلَم يَمنعْهُ ٱلانحرافُ عنِ ٱلاعترافِ بفضلِ ٱلحدَّادِ وإِرشادِهِ أَهلَ بور إِلى ٱلأَخذِ عنهُ وٱلاقتباسِ مِنْ علومهِ .

---

(١) هو حفيد صاحب الشعب ، هو السبب في تصنيف الإمام الحداد كتاب : « رسالة المعاونة » توفِّي في ذي الحجة (١١١٥هـ) ، ودفن بشعب أحمد .

ولمَّا ماتَ . . رثاهُ ٱلقطبُ ٱلحدَّادُ بقصيدتِهِ ٱلَّتي ٱستهلَّها بقولِهِ [في « ديوانه » ٥٥٠ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

شَرَى ٱلْبَرْقُ مِنْ نَجْدٍ فَهَيَّجَ لِي شَجْوِي ... فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ مَا إِلَى ٱلْعَالَمِ ٱلْعُلْوِي[1]

وفيهِ أيضاً جماعةٌ مِنْ آلِ خَيْلَه ، ولـٰكنَّهُمُ ٱنقرَضوا ، وجماعةٌ مِنْ آلِ باعَبُودٍ ؛ منهُمُ :

ٱلسَّيِّدُ ٱلفقيهُ عليُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ باعَبُودٍ ، ٱلمتوفَّىٰ بعَرْضِ آلِ خيله مِنْ أَعمالِ بور ، في سَنةِ(١٢٩١هـ) . وٱلعلاَّمَةُ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ زين بنِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ باعَبُودٍ[2] .

ولَمْ يَبْقَ منهُمُ ٱلآنَ إلاَّ ٱلقليلُ ؛ منهُمُ : ٱلولدُ ٱلبحَّاثةُ ٱلفاضلُ ٱلأَديبُ عليُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ زينٍ باعبُودٍ ، نزيلُ مصرَ ٱلآنَ[3] .

وفيها جماعاتٌ مِنْ أَهلِ ٱلفضلِ وٱلعِلْمِ وٱلمروءَةِ كآلِ باشَرَاحِيل وغيرِهم ؛ ومِنْ أَواخرِهم : ٱلعلاَّمةُ ٱلمتفنِّنُ ٱلجليلُ : عبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ باشراحيل[4] .

---

(١) شرى البرق : تتابع في لمعانه .

(٢) ولد ببور سنة (١٢١٣هـ) ، كانت وفاته بجدة سنة (١٢٩٧هـ) ، من شيوخه إمام الدعوة الحبيب أحمد بن عمر بن سميط .

(٣) السيد علي باعبود العلوي ـ المتوفىٰ حوالي (١٣٩٧هـ) ـ : كان عالماً أديباً واسع الاطلاع والثقافة ، باحثاً مؤرخاً ، طلب العلم بتريم ، ثم هاجر إلى جاوة فمصر ، كان من أعضاء الرابطة العلوية ، ثم أحد أركان جمعية الدفاع عن العلويين بمصر تحت رئاسة السيد عبد الله السقاف صاحب « تاريخ الشعراء » .

صحب عدداً من الأعلام ، في طليعتهم : السيد علوي بن طاهر الحداد ، وكانت بينهما مراسلات متواترة ؛ إذ كان السيد علي معيناً له في جمع بعض المعلومات من مخطوطات دار الكتب المصرية ، وأخذ في مصر عن الإمامين الجهبذين : العلامة محمد زاهد الكوثري ، والحافظ المحدث السيد أحمد بن الصديق الغماري ، وأفاد منهما علماً جماً . وله مقالات نشر بعضها في الصحف العربية بإندونيسيا ومصر .

ذكره المستشرق سارجنت في كتابه : « حول مصادر التاريخ الحضرمي » ، وتحدث عن اجتماعه به سنة (١٩٥٤م = ١٣٧٥هـ) فقال : لن أنسى ذكر علي باعبود الساكن في القاهرة ، والذي قابلته في زيارتي لـ(عدن) عام (١٩٥٤) . . ثم أشار لبعض إفاداته (ص٩٣ـ٩٤) .

(٤) هناك شخصان من آل باشراحيل يحملان نفس هـٰذا الاسم :

أما الأول منهما . . فعاش في القرن العاشر الهجري ، وكان تولى الإفتاء في عدن ، وهو من تلامذة=

ومن أُولي مروءَةِ متأخِّريهم : ٱلشَّيخُ عمر باشراحيل ، وولدُهُ عبد ٱلقادِرِ .

ومِنْ متأَخِّري فضلائِها : ٱلعلاَّمةُ ٱلصُّوفيُّ المنقطعُ ٱلنَّظيرِ ، شيخُنا ٱلشَّيخُ : حسنُ بنُ عوضِ بنِ زينِ مخدّم ، كانَ جبلاً مِنْ جبالِ ٱلتَّقوىٰ وٱلعِلْمِ وٱلعبادةِ ، لَهُ مؤلَّفاتٌ كثيرةٌ مِنْ لسانِ ٱلقلمِ ، علىٰ منهجِ ٱلصُّوفيَّةِ ؛ مِنها : شرحُهُ علىٰ « ٱلرَّشفاتِ » في خمسةِ مجلَّداتٍ . ومِنها : شرحُهُ علىٰ « ٱلحكمِ » ، وغيرُها .

لَهُ أَخذٌ كثيرٌ عنِ ٱلحبيبِ أَبو بكر بن عبدِ ٱللهِ ٱلعطَّاسِ ، ثمَّ عن شيخِنا وسيِّدِنا ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ ، وغيرِهم .

وكانَ والدي ـ رحمَهُ ٱللهُ ـ يُؤْثِرُهُ ويُقدِّمُهُ ، ويأْمرُنا بتقبيلِ يدهِ . وكانَ كثيرٌ مِنَ ٱلعلويِّينَ يتهضَّمونَ فضلَهُ ويَحسدونَهُ .

وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَجْحَدُ ٱلشَّمْسَ ضَوْءَهَا وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِي لَهَا بِضَرِيبِ[1]

وقد أَخذتُ عنهُ كثيراً ، وجَرَتْ بيني وبينَهُ أُمورٌ طيِّبةٌ ؛ وليْ فيهِ مدائِحُ يوجدُ بعضُها في « ٱلدِّيوانِ »[2] .

وكانَ يقرأُ ربعَ ٱلقرآنِ في صلاةِ ٱلعِشاءِ كلَّ ليلةٍ مِنْ رمضانَ ، ولا يَؤُمُّ إِلاَّ محصورينَ

= الفقيه عبد الله بن عمر بامخرمة (٩٧٢هـ) ، وأحد الذين اختصروا « فتاواه » .

وأما الثاني منهما . . فهو العلامة الفقيه عبد الله بن عمر بن عبد الله باشراحيل ، طلب العلم بمكة المكرمة ، وتفقه على يد العلامة الشيخ محمد صالح الريّس الزمزمي (ت ١٢٤٤هـ) ، وحرر له إجازة حافلة عند عزمه العودة إلى حضرموت ، مؤرخة في ذي الحجة سنة (١٢٣٣هـ) . له مصنفات مفيدة .

(١) البيت من الطَّويل ، وهو لأَبي الطَّيِّب المتنبِّي في « العُكبَرِيّ » (١/٥٦) .

(٢) منها قصيدة مطلعها :

أتخن الروح جرحها بالبعاد حين أضرمتم الجوى في فؤادي
واعتقلتم من القدود رماحاً مزقت مهجتي بطعن الصعاد

قال في ديباجتها :

(وهـٰذه أرسلتها لشيخنا الجليل العارف بالله الشيخ حسن بن عوض مخدَّم ، وكان أرسل لوالدي كتاباً خصني فيه بخطاب طويل يحثني فيه على الزهد والانتظام في سلك طريق الصوفية . .) إلخ . « الديوان » (٣٦٣ـ٣٦٥) .

رَضُوا بٱلتَّطويلِ نطقاً ، منهُمُ : ٱلمَنْصبُ ٱلسَّيِّدُ عيدروسُ بنُ عبدِ ٱلقادرِ ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ ، وكانَ ٱلقرآنُ على لسانِهِ مثلَ ٱلفاتحةِ ، ولهُ شِعرٌ لا ينتهي إلىٰ إجادةٍ .

ولمَّا دنا أَجَلُهُ . . قالَ لِمَنْ حَضَرَهُ : (هلمُّوا بِنا نُصلِّي على ٱلنَّفسِ ٱلمؤمنةِ) ثمَّ صلَّىٰ بهم صلاةَ ٱلجنازةِ ، وبمجرَّدِ ما فرغَ مِنها . . فاضتْ روحُهُ ، وكانَ آخِرَ كلامهِ في ٱلدُّنيا : (لا إلٰهَ إلاَّ ٱللهُ) . وهـٰذهِ ٱلصَّلاةُ وإنْ لَم يُجوِّزها ٱلفقهُ . . فإنَّها تدلُّ علىٰ شأنٍ كريمٍ ، وثباتٍ عظيمٍ وما ٱلاجتهاد من الشيخ ببعيدٍ ؛ فلا إنكارَ عليهِ .

وكانتْ وفاتُهُ سَنةَ (١٣٢٨هـ)[1] وخَطَبَ ٱلنَّاسَ قُبيلَ ٱلصَّلاةِ عليهِ ٱلشَّهمُ ٱلجليل ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ عيدروسِ بنِ علويٍّ ، ووعظَهُم موعظةً بليغةً وكانَ أَحدَ محبِّيهِ وٱلآخذينَ عنهُ .

وعن أَبي شكيلٍ : أَنَّ آلَ باخطيبٍ وآلَ باغانمٍ ببور ، وكلاهُما مِنَ ٱلصَّدِفِ .

وكانَ بها جماعةٌ مِنْ آلِ باغُشَير .

منهُمُ : ٱلفقيهُ ٱللُّغويُّ ٱلمقرىءُ : مُحَمَّدُ بنُ أَحمدَ باغُشَيرٍ ، صاحبُ ٱلمدائح في ٱلقطبِ ٱلعيدروسِ[2] .

ومنهُم : شيخُ ٱلعيدروسِ ٱلعلاَّمةُ ٱلشَّيخُ : عبدُ ٱللهِ باغشيرٍ ، عمُّ ٱلأَوَّلِ ، لهما ذِكرٌ في « فتحِ ٱلرَّحيمِ ٱلرَّحمـٰنِ » و« ٱلمشرع » [٢/٢٤٣] وغيرِهما .

وبعضُهُم يلتبسُ عليهِ هـٰؤلاءِ بآلِ باقُشَير أَصحابِ ٱلعَجْزِ ٱلآتي ذِكرُهم فيهِ .

وفي غربيِّ بور : ديارُ آلِ أَحمدَ بنِ عليٍّ آلِ باجريّ ، لا يزيدونَ ٱليومَ معَ مواليهِم وأَكَرَتهِم عن مئةٍ وثلاثينَ رَجلاً ، وكانَ سيِّدي ٱلحسنُ بنُ صالحٍ ٱلبحرُ طلبَ منهُم صُلْحاً لآلِ قَصيرٍ فٱمتنَعوا ، وكانَ لأَحدِهم لسانٌ وعارضَةٌ ، فٱفتخرَ أَمامَ سيِّدِنا ٱلبحرِ ، فدعا عليهِ . . فسقطَ عليهِ ٱلدَّارُ مِنْ يومهِ ، ثمَّ طلبَ ٱلصُّلْحَ مِنْ مُقْبلِ بنِ رَسّامٍ أَحدِ آلِ أَحمدَ بنِ عليٍّ ، فأَجابَهُ ، فسُرَّ منهُ وهواةُ ٱلكراماتِ يذكرونَ حولَ هـٰذا كلاماً كثيراً هم فيهِ مختلفونَ .

---

(١) كانت وفاته مساءَ الإثنين (١٩) محرم ، ودفن صبيحة الثلاثاء (٢٠) محرم .

(٢) ترجمة العيدروس في « المشرع » (٢/٣٤٨) .

وفي شمالِ مكانِ آلِ أحمدَ بنِ عليٍّ مكانٌ يقالُ لَهُ : **ٱلحاوي** ، عَذْبُ ٱلماءِ جدّاً ، ٱبتنىٰ بهِ ٱلمنصبُ ٱلسَّابقُ ٱلمرحومُ عليُّ بنُ عبدِ ٱلقادرِ بنِ سالمٍ ٱلعيدروس قصراً فخماً ، وسكنَهُ آخِرَ أيَّامهِ ، ثمَّ بنىٰ علىٰ مقربةٍ منهُ مسجداً ، وبٱلحاوي يسكنُ خَلَفُهُ ٱلمنصب ٱلحالي ٱلآنَ .

وفي غربيِّهِ بحضيضِ ٱلجبلِ ٱلغربيِّ قبرٌ يقالُ : **إنَّهُ قبرُ نبيِّ ٱللهِ حنظلةَ بنِ صفوانَ عليهِ ٱلسَّلامُ** ، وقد دلَّلتُ علىٰ تصديقِ كونِهِ بحضرموتَ في « **ٱلأصلِ** » بجملةٍ مِنَ ٱلأدلَّةِ :

ـ **منها** : أنَّ ٱللهَ تعالىٰ قَرَنَ قومَهُ ـ وهُم أصحابُ ٱلرَّسِّ ـ بعادٍ وثمودَ في سياقةٍ واحدةٍ ، حيثُ يقولُ في آيةِ ٱلفرقانِ : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ ﴾ ، وقد قالَ بدلالةِ ٱلاقترانِ جماعةٌ مِنْ أهلِ ٱلعِلْمِ ؛ كٱلمُزَنيِّ وابن أبي هريرةَ مِنَ ٱلشَّافعيَّةِ ، وأبي يوسفَ مِنَ ٱلحنفيَّةِ ، وغيرِهم .

ـ **ومنها** : قولُ صاحبِ « خريدةِ ٱلعجائب » : (إنَّ حَضْرَمَوْتَ شرقيَّ ٱليَمنِ ، وإنَّ بها بلادُ أصحابِ ٱلرَّسِّ) .

ـ **ومنها** : قولُ ٱلبكريِّ في « معجمه » [٢/٦٥٢] : (وٱلرَّسُّ ٱلمذكورُ في ٱلتَّنزيلِ بناحيةِ صَيْهَدٍ مِن أرضِ ٱليمنِ ، وٱنظرهُ في رسمِ صَيهدَ) اهـ

ولٰكنَّ ٱلمجلَّدَ ٱلَّذي فيهِ (صيهد) منهُ لم يكن عندي[1] .

وقد قرَّرنا في « **ٱلأصل** » أنَّ وباراً منها وٱلرِّمالَ ٱلَّتي في جنوبِها ممتدَّةٌ منها إليها معَ

---

(١) وإتماماً للفائدة نذكر ما جاء في المجلد الذي أشار إليه المؤلف رحمه الله تعالىٰ ، قال البكري في « معجمه » (٣/٨٤٩) : (صيهد ـ بفتح أوّله وإسكان ثانيه ، بعده هاء مفتوحة ودال مهملة ـ : أرض باليمن ، وهي ناحية منحرفة ما بين بيحان فمأرب فالجوف فنجران فالعقيق فالدهناء ، فراجعاً إلى عَبرِ حضرموتَ . والرسُّ المذكور في التنزيل . . . بناحية صيهد .

قال الهمدانيُّ : ذهب في صيهد بعهدنا قطارٌ فيه سبعون محملاً من حاج الحضارم صادرين من نجران ، كانت في أعقاب الناس ، ولم يكن فيهم دليل ، فساروا الليلة وأصبحوا قد تياسروا عن الطريق ، وتمادى بهم الجور حتى انقطعوا في الدهناء فهلكوا) اهـ كلام البكري رحمه الله تعالىٰ .

انعطافٍ ، فيما يقربُ مِنَ ٱلعَبرِ ، إلاَّ أنَّ ٱلجبلَ ٱلطَّويلَ ـ ٱلَّذي يمتدُّ مِن هناكَ إلىٰ نحوِ سَيْحُوتَ ـ يفصلُها عن بلادِ حضرموتَ .

وقالَ ٱلهمدانيُّ في ٱلجزءِ ٱلأوَّلِ مِنَ « ٱلإكليلِ » [١/١٩٣ـ١٩٤] : (وَوَلَد ٱلحارثُ بنُ قحطانَ بنِ هودٍ بطناً يُقالُ لهم : ٱلأقيونُ ، دخلوا في حِميَرَ ، وهم رهطُ حنظلةَ بنِ صفوانَ ، ووُجدَ في قبرهِ لوحٌ مكتوبٌ فيه : أنا حنظلةُ بنُ صفوانَ ، أنا رسولُ ٱللهِ ، بعثَني إلىٰ حِميرَ وهمدانَ وٱلعريبِ مِن أهلِ ٱليمنِ ، فكذَّبوني وقتلوني ، فمن يرىٰ هـٰذا ٱلخبرَ . . يرىٰ أنَّه بُعِث إلىٰ سبأ بمأربَ ، فلمَّا كذَّبوه . . أرسلَ ٱللهُ عليهم سيلَ ٱلعَرِمِ) اهـ

ولا يخلو عنهُ ٱلوهمُ في ٱلمكانِ وٱلزَّمانِ .

ثمَّ قالَ : قالَ ٱبنُ هشامٍ : هوَ حنظلةُ بنُ صفوانَ مِنَ ٱلأقيونِ بني ٱلرَّسِّ . وٱلرَّسُّ مدينةٌ بناحيةِ صيهدٍ ، وهيَ بلدةٌ مخترقةٌ ما بينَ بيحانَ ومأربَ وٱلجوفِ فنجرانَ فٱلعقيقِ فٱلدَّهناءِ فراجعاً إلىٰ حضرموتَ . . . إلىٰ أن قالَ :

حنظلةُ بنُ صفوانَ بنِ ٱلأقيونِ . كذا رواهُ ٱلنُّسَّابُ ؛ مثلُ : ٱلأملوكِ ، وٱلأصنوعِ ، وٱلأخصوصِ . وكانَ هـٰذا ٱلاسمُ جمَّاعَ قبيلةٍ ، ولمَّا كذَّبوهُ . . أهلكَهُمُ ٱللهُ . كما قالَ : ﴿ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ ، وقالَ رجلٌ مِن قحطانَ يرثيهم [مِنَ ٱلهزجِ] :

بكَتْ عيني لأهلِ ٱلرَّ سِّ رَعْوِيلٌ وَقِدْمَانُ

ومِنها : قولُ ٱلمحدِّثِ ٱلشَّهيرِ مُحَمَّدِ بنِ أحمدَ عقيلة[1] في كتابهِ « نسخةُ ٱلجودِ في ٱلإخبارِ عنِ ٱلوجودِ »[2] : (أمَّا مَنْ آمنَ بصالحٍ عليهِ ٱلسَّلامُ . . فسارَ إلى ٱليمنِ ،

---

(١) الشيخ العلامة ، المتوفى بمكة سنة (١١٥٠هـ) ، روى عن الحبيب علي بن عبد الله العيدروس صاحب سُورَتْ مكاتبة ، له مصنفات عديدة تبلغ (٩٠) مؤلفاً ، له ترجمة في « مختصر نشر النور » (٤٦٢) ، و« سلك الدرر » (٤/٣٠) .

(٢) اسمه كاملاً : « نسخة الوجود في الإخبار عن حال الوجود » ، قال عنه ميرداد : (ذكر فيه من ابتداء العالم إلى زمانه من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام والخلفاء والملوك والسلاطين ومشاهير العلماء . وفي آخره أحوال المعاد . يوجد منه الآن بمكة نسخة واحدة عند السيد حسين الحبشي ، قال في آخرها : كان الفراغ من تأليفه في جمادى الأولى سنة ١١٢٣هـ) اهـ

وأقامتْ طائفةٌ منهُم بعدن ، وهُم أَهلُ ٱلبئرِ ٱلمعطَّلةِ ، وطائفةٌ بحَضْرَمَوْتَ ، وهُم أَهلُ ٱلقصرِ ٱلمشيدِ) إلىٰ أَنْ قالَ : (وقريباً مِنْ هٰذا ٱلزَّمانِ أَصحابُ ٱلرَّسِّ ، ومسكنُهُم أَيضاً حَضْرَمَوْتُ) .

ومِنها : قولُ ٱلميدانيِّ : (إنَّهُ يقالُ لجبلِ أَهلِ ٱلرَّسِّ : دمخ)[1] .

وفي حَضْرَمَوْتَ جبلانِ :

جبلٌ في جنوبِ ٱلغُرَفِ ، يقالُ لَهُ : (**دمح**) بٱلحاءِ ٱلمهملَةِ .

وجبلٌ بٱلسَّاحلِ ، يقالُ لهُ : (**دمخ**) بٱلخاءِ ٱلمعجمَةِ ، لَهُ دخلةٌ في ٱلبحرِ ، وهوَ ٱلحدُّ ٱلفاصلُ بينَ ٱلقعيطيِّ وٱلمهريِّ حَسَبَما فصَّلناهُ في موضعهِ ، وبما أَنَّ كِلا ٱلموضعَينِ مِنْ بلادِ حَضْرَمَوْتَ . . ففيها شواهدُ عدلٍ علىٰ صدقِ ما ٱشتهرَ بهِ وجودُ قبرِ حنظلةَ بنِ صفوانَ عليهِ ٱلسَّلامُ بحَضْرَمَوْتَ .

وفي ٱلجزءِ ٱلثَّامنِ مِنْ « إكليلِ ٱلهمدانيِّ » [ص١٣٨] وما بعدَها حديثٌ طويلٌ عن قبرِ حنظلةَ بنِ صفوانَ ، وليسَ فيهِ ٱلتَّصريحُ بأَنَّهُ في حَضْرَمَوْتَ ، ولٰكنَّهُ قد يُفهَمُ منهُ .

وقالَ ٱلمفسِّرونَ ـ وٱلعبارةُ للبغوي ـ : (روىٰ أبو روقٍ عن ٱلضَّحَّاكِ أَنْ هٰذه ٱلبيرَ ـ يعني ٱلمُعَطَّلَةَ ـ كانت بحضرموت في بلدةٍ يُقالُ لها : حاضوراء ، وذلكَ أَنَّ أَربعةَ آلافِ نفرٍ مِمَّن آمنَ بصالحٍ نَجَوا مِنَ ٱلعذابِ . . أَتَوا حضرموتَ ومعَهم صالحٌ ، فلمَّا حضروا . . ماتَ صالحٌ ، فَسُمِّيَ : حضرموتَ ؛ لأَنَّ صالحاً لمَّا حضَرَهُ ماتَ ، فبنَوا حاضوراءَ وقعدوا علىٰ هٰذهِ ٱلبيرِ وأَمَّروا عليهم رجلاً ، فأَقاموا دهراً وتناسلوا حتَّىٰ كَثروا ، ثمَّ إِنَّهم عبدوا ٱلأَصنامَ وكفروا . . فأَرسلَ ٱللهُ عليهم نبيّاً يُقالُ لهُ : حنظلةُ بنُ صفوانَ ، وكانَ حمَّالاً فيهم ، فقتلوهُ في ٱلسُّوقِ ، فأَهلكَهُم ٱللهُ وعُطِّلت بيرُهم ، وخُرِّبت قصورُهم) اهـ[2]

وفي شمالِ قبرِ حنظلةَ قريةٌ يقالُ لَها : **ٱلرِّبَيِّده** . وفي غَرْبِيِّها : **وادي مَدَرْ** .

---

(١) ذكرها الميداني في « مجمع الأمثال » (١/ ٤٢٩) عند قوله : (طارت بهم العنقاء) .

(٢) « تفسير البغوي » (٣/ ٢٩١) .

وفي جنوبِ بلادِ بور أَرضٌ واسعةٌ لا يُعرفُ مُلاَّكُها ، وفيها آثارُ عماراتٍ إسلاميَّةٍ ، غرسوها نخلاً فزكا ونما ، وهو عِثريٌّ يشربُ بعروقِهِ ، لا يحتاجُ إلىٰ سقيٍ مِنَ ٱلآبارِ ، إلاَّ في ٱلابتداءِ .

وبما أَنَّها مِنَ ٱلأَموالِ ٱلضَّائِعةِ مرجعُها لبيتِ ٱلمالِ . . طالبَهُمُ ٱلمنصبُ ٱلسَّابقُ ٱلسَّيِّدُ عيدروسُ بنُ عبدِ ٱلقادرِ ، ثمَّ ٱلمرحومُ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ عبدِ ٱلقادرِ بحصَّةِ ٱلأَرضِ مِنَ ٱلنَّخلِ ، وهوَ في عادتهِمُ ٱلخُمسُ ، فلَم يَدفعْ لَهُما إلاَّ ٱلضُّعفاءُ ، أَمَّا ٱلأَقوياءُ مِنَ ٱلسَّادةِ ومن آلِ باجريٍّ . . فتارةً يعترفونَ ويدفعونَ ٱلشَّيءَ ٱليسيرَ مِنَ ٱلثَّمرةِ ، وأُخرىٰ يتمرَّدونَ ويُجاهرونَ بٱلمنعِ ، معَ أَنَّهُم قد أَمضوا لِلسَّيِّدِ عليِّ بنِ عبدِ ٱلقادرِ بٱلاعترافِ في عدَّةِ وثائِقَ ، ولمَّا لَم يَجدِ ٱلمنصبُ ٱلحاليُّ علاجاً غيرَ ٱلكيِّ وخاف من تشوف الحكومة إليه : ٱلاستيلاءَ عليه ، ودَفعَهُ جملة عنهُ . . ٱتَّفقَ هو وإيَّاها علىٰ أَنْ يكونَ عليهِ إظهارُ ٱلوثائِقِ وإقامةُ ٱلحجَّةِ ٱلشَّرعيَّةِ ، وعلى ٱلحكومةِ أَنْ تساعدَهُ بٱلقوَّةِ على ٱستخراجِ حصَّةِ ٱلذِّبرِ مِنَ ٱلنَّخلِ وهوَ ٱلخُمُسُ ـ كما مرَّ آنفاً ـ ثمَّ يُقسَّمُ علىٰ ثمانيةِ أَجزاءٍ :

ثلاثةٌ يكونُ أَمرُها لِلمنصبِ ، يصرفُها في مصارِفها ٱلشَّرعيَّةِ .

وخمسةٌ للحكومةِ ٱلكثيريَّةِ تصرِّفها كذلكَ . وعلىٰ هـٰذا وقَّعوا ، وما ندري ماذا تكونُ ٱلخاتمةُ ؟

وفي شرقيِّ بور : **عَرْضُ عبدِ ٱللهِ** : فيهِ مسجدٌ ، وحولَهُ ضريحٌ لعبيدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ[1] ، عليهِ قبَّةٌ ، معَ أَنَّ ٱلأَثبتَ أَنَّهُ إنَّما دفِنَ بسُمَل كما سيأتي فيها .

وسُكَّانُ ٱلعَرْضِ طائفةٌ مِنْ آلِ باجْرَي ، يقالُ لَهُم : آلُ بدرِ بنِ مُحَمَّدٍ ، وآلُ حسنِ بنِ عليٍّ ، وآلُ بدرِ بنِ عليٍّ ، لا يزيدونَ معَ مواليهم وخدمهم وعمَّالهم عن مئَتي رجلٍ ، وكانت لَهُم قَبولةٌ خشنةٌ ، حتَّىٰ إنَّ أَحدَ ٱلعوامرِ أَخفر ذِمَّتَهُم ، فتسوَّروا دارَهُ وقَتلوهُ إلىٰ جانبِ ٱمرأَتهِ .

---

(١) هو ابن المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى ، ولـٰكن لأن المؤلف يرى أنه مقبور بسُمَل . . فقد أرجأ ذكره إليها .

وفي سَنةِ (١٣٣٧هـ) حدثَ شجارٌ بينَ رَجلينِ منهُم ـ يقالُ لأَحدِهما : عبدُ ٱللهِ بنُ صلاحٍ ، وللآخَرِ : كرامةُ بنُ فَرَجٍ ـ علىٰ قطعةِ أَرضٍ ، فلَم يَكُنْ مِنْ كرامةَ إلاَّ أنْ قتلَ عبدَ ٱللهِ بنَ صلاحٍ ، وأَخذَ دارَهُ وأَخرجَ عائلتَهُ منهُ ، فوصلَ إليهِ ستَّةٌ مِنْ أَقربائِهِ ، وبينا هُم يراجعونَهُ . . أَقبلَ آلُ باجْرَيٍّ ، فلمَّا رآهُم أَقبلوا . . أَطلقَ عليهِمُ ٱلرَّصاصَ ، فلَم يَكُنْ مِنْ أَحدِ ٱلسِّتَّةِ إلاَّ أَنْ قتلَهُ ؛ لأَنَّهُ رأَىٰ إطلاقَهُ ٱلرَّصاصَ على ٱلقومِ وهوَ إلىٰ جانبهِ مخلاًّ بذمامهِ ، فٱنبرىٰ لَهُ آخَرُ مِنَ ٱلسِّتَّةِ فقتلَ قاتلَ كرامةَ ، وهٰكذا تناحرَ ٱلسِّتَّةُ وسَقطوا يتشحَّطونَ في دمائِهِم .

وكانَ آلُ باجْرَيٍّ مِنْ أَبعدِ قبائِلِ حَضْرَمَوْتَ عنِ ٱلسَّلْبِ وٱلنَّهبِ وقطعِ ٱلطَّريقِ حتَّىٰ في أَيّامِ ٱلفوضويَّةِ . ومِنْ أَواخرِ رؤَسائِهِمُ : ٱلشَّيخُ سعيدُ بنُ قِطَامِيٍّ ، كانَ شجاعاً ، قويَّ ٱلعارضةِ ، لا ينكصُ[1] في مأْزقِ ٱلقتالِ ، ولا يتلَجْلَجُ إذا تشادقتِ ٱلرِّجالُ ، إلاَّ أَنَّهُ ٱلآنَ ضَعُفَ ، وذهبَ بصرُهُ وسمعُهُ ، وخفَّ شعورُهُ ، حتَّىٰ لا يُحسُّ بٱنكشافِ عورتِهِ ، فدخلَ تحتَ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ﴾ ، علىٰ أَنَّهُ لَم يَكُنْ بٱلطَّاعنِ في ٱلسِّنِّ كثيراً ، وغايةُ ما يكونُ أَنَّهُ ذَرَّفَ على ٱلثَّمانينَ ، وفيهِم مَنْ ناهزَ ٱلمئَةَ متمتِّعاً بٱلحواسِّ ؛ كسعيدِ بنِ حَبْشيٍّ باجْرَيٍّ .

وفي سَنةِ (١٣٦٠هـ) أَحدثَ بعضُ عبيدِ ٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ حدثاً بتريم ، وهَربوا ، ولَم يقدرْ أَحدٌ يجيرهُم ؛ خوفاً مِنَ ٱلإنكليزِ . . فضاقتْ بهِمُ ٱلأَرضُ ، فنزلوا علىٰ آلِ باجْرَيٍّ فأَضافوهُم ، وعَزموا علىٰ تبليغِهِمُ ٱلمأمنَ علىٰ عادةِ ٱلعربِ ٱلمطَّردةِ في ذلكَ ، فلَم يَشعروا إلاَّ وقد باغتتهُم ثلَّةٌ مِنْ عساكرِ ٱلدَّولةِ ٱلإنكليزيَّةِ ٱلموكّلينَ بحمايةِ ٱلطُّرقِ وحفظِ ٱلأَمانِ ، وقالوا لآلِ باجْرَيٍّ : إمَّا أَنْ تُسلموا ٱلعبيدَ ، وإلاَّ . . وقعَ عليكُمُ ٱلحربُ .

فقالَ لَهُم سعيدُ بنُ قطاميٍّ ـ بعدَ أَنِ ٱجتمعَ حولَهُ آلُ باجريٍّ كلُّهُم ، آلُ أَحمدَ بنِ عليٍّ وآلُ حمُودٍ وغيرُهُم ـ : وٱللهِ ، لَو تناطحتِ ٱلجبالُ . . لن ندفعَ لكم جيرانَنا بسبيلٍ

(١) ينكص : يرجع .

ما بقيَ فينا نافخُ ضَرَم . فتبادلوا إطلاقَ ٱلرَّصاصِ ، وأُصيبَ أَحدُ ٱلعسكرِ وأَحدُ آلِ باجْرَيٍّ بإصاباتٍ خفيفةٍ ، ثمَّ أَحاطَ آلُ باجْرَيٍّ بٱلعسكرِ في كُوتٍ لأَحدِهِم ـ وهوَ بدرُ بنُ صلاحِ بنِ يمانيٍّ ، كانَ ٱلعسكرُ أَرْضَوهُ فدفعَهُ لَهُم ـ وبِإثرِ تطويقِ آلِ باجْرَيٍّ للكوتِ . . سفرَ ٱلسُّفراءُ بينَهُم ، وسُوِّيتِ ٱلمسأَلةُ بٱلَّتي هيَ أَحسن ، وأَبلغوا ٱلعبيدَ ٱلمأمن ، وطلبَ منهم بعضُ ٱلزُّعماءِ أَن يخضعوا للضَّابطِ ٱلإنكليزيِّ . . فأَبَوا .

ولـٰكنَّ هـٰذا كانَ قبلَ جلاءِ ٱبنِ عِبْداتٍ عنِ ٱلغرفةِ ، أَمَّا بعدَهُ . . فقد هانتِ ٱلشَّنافرُ حتَّىٰ صاروا أَذلَّ مِنَ ٱلأَيدي في ٱلأَرحامِ ، وصَدَقَ عليهِم ما قدَّمتُهُ في ٱلقصيدةِ ٱلَّتي وصفتُ بها زوالَ ٱبنِ عِبْداتٍ .

وفي شوَّالٍ مِنْ سَنةِ (١٣٦٦هـ) . . ٱدَّعى ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ شيخٍ ٱلعيدروسُ علىٰ أَحدِ آلِ باجْرَيٍّ بدعوىٰ في بئرٍ ، وتوجَّهَ لَهُ ٱلقضاءُ ، فٱمتنعَ باجْرَيٌّ عن قَبولِ ٱلحُكمِ بتشجيعٍ من رجلٍ منهم يقالُ له : عبد بن عليٍّ ، فرَصدَتْهُ ٱلحكومةُ ٱلكثيريَّةُ حتَّىٰ قيلَ لَها : إنَّهُ بتاربه ، فأَرسلَتْ لَهُ عسكراً ، فأَخذوهُ مِنها إلىٰ سيئونَ ، ولـٰكنَّ أَصحابَهُ عَلِموا ، فتحزَّبوا ولاقوهُم أَثناءَ ٱلطَّريقِ ، وأَطلقَوا عليهِمُ ٱلرَّصاصَ ، فتراجعوا ، وأفلت عبدُ بنُ عليٍّ وعادَ ٱلعسكرُ بٱلفشلِ ، فغضبتِ ٱلحكومةُ ٱلإنكليزيَّةُ ، وأَرسلَتْ بثُلَّةٍ مِنْ جيشِ ٱلباديةِ[1] ٱلمحافظِ على أَمنِ ٱلطَّريقِ بعتادِهِم ومعدَّاتهِم ، فلانَتْ أَعصابُ آلِ باجريٍّ ، وٱنشقَّتْ عصاهُم ، وما كلُّ مرَّة تسلَمُ ٱلجرَّةُ ، فتوسَّطَ ٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ سالمينَ بنُ جعفرِ بنِ بَدرٍ ٱلعوينيُّ ، فسُوِّيتِ ٱلمسأَلةُ علىٰ : تسليمِ ٱلبنادقِ ٱلَّتي صَوَّبتْ رصاصَها على ٱلعسكرِ ، وغرامةِ أَلفِ روبيَّةٍ ، وحبسِ عبدِ بنِ عليٍّ ثلاثَ سنينَ بٱلمُكَلاَّ تحتَ ٱلأَعمالِ ٱلشَّاقَّةِ .

---

(١) جيش البادية : أنشأه انجرامس في عام (١٩٣٩م) تقريباً ، قال في « مذكراته » : (لقد اقترحت إنشاء قوة من البدو لتكون قوة بوليس للمناطق النائية التي كان لها اتصالات ضعيفة بالسلطنتين) . . . إلخ . ولقد أرادت بريطانيا من هـٰذا الجيش أن يكون يدها التي تبطش بها من غير أن تستفز المشاعر الوطنية ، وكان أفراد هـٰذا الجيش يُرَبَّون على الانتماء المطلق لـ(بريطانيا) ، وكان عدده عند تكوينه (٥٠) رجلاً خصص له (١٢) جملاً ، وسيارتين ، وجهاز لاسلكي . ينظر : « سياسة بريطانيا تجاه حضرموت » للأستاذ صادق عمر مكنون السقاف (١٠٢ـ١٠٣) .

وفي بور كثيرٌ مِنَ ٱلقرىٰ لَم نذكُرْها ؛ مِنها :

عَرْضُ مولىٰ خيلةَ : في شمالِ بور ، يَسكنُهُ آلُ سالمِ بنِ عمرَ مِنْ آلِ باجْرَيٍّ ، لا يزيدُ عَددُهُم معَ حرَّاثِهِم علىٰ عشرينَ رَجلاً .

وبيرُ ٱلمَدِينيِّ : لآلِ عُبُودٍ مِنْ آلِ باجْرَيٍّ ، لا يزيدُ عَددُهُم معَ حُرَّاثِهِم عن خمسينَ رَجلاً .

ومِنها : **ٱلقُفْل** : لآلِ رَطّاسٍ من آل باجري ، لا يزيدُ عَددُهُم عن عشرةِ رجالٍ .

ومِنها : **مكانُ آلِ مِعْتَاشي** ، فيهِ نحو ثلاثينَ رَجلاً .

ومِنها : **مُقَيبِلٌ** ، فيها نحو مئةِ رَجلٍ .

وفي ضواحي بورٍ : قارَّة جُشَيْرٍ ـ ويُقَالُ : جُشيبٍ ـ وقد سكنَها ٱلمهاجرُ أَحمدُ بنُ عيسىٰ فلم تطِبْ لهُ ، فٱنتقلَ عنها إِلى ٱلحُسَيِّسَة . ويأتي في قارَّةِ الصَّناهجةِ ما لهُ بها تَعلُّقٌ .

نُخرُ كُعْدِهْ

موضعٌ بينَ قارةِ ٱلعرُّ وٱلحسيِّسةِ ، يَكمنُ بهِ ٱللُّصوصُ وقُطَّاعُ ٱلطَّريقِ ، وكم تَلِفَتْ بهِ أَموالٌ ، وماتت فيهِ رجالٌ .

منها : أَنَّ ٱلفاضلَ ٱلرَّقيقَ ٱلطَّبعِ ٱلسَّيِّدَ شيخَ بنَ محمَّدٍ ٱلحبشيَّ كانَ عائداً مِن تَرِيمَ إِلىٰ سيئونَ حوالَي سنة (١٣٢٤هـ) معَ جماعةٍ مِن أَهلِ ٱلثَّروةِ ، فعرضَ لهم جماعةٌ مِن بدوِ آلِ عامرٍ ، فنهبوهم وأَخذوا دوابَّهم وما عليها إِلىٰ نحو بحيره ، فجاءَ سيِّدي عَيدروسُ بنُ حسينٍ ٱلعيدروسُ وآلُ أَحمدَ بنِ زينٍ لمراجعتِهم في ذلكَ ، ولمَّا أَثَّرَ فيهم كلامُ ٱلحبيبِ عيدروسِ بنِ حسين ، وبخعوا له بردِّ ٱلمنهوبِ. . نَفِسَهُ آلُ أَحمدَ بنِ زينٍ فزيَّنوا لهمُ ٱقتسامَهُ ، فلم يردُّوا إِلاَّ ٱلدَّوابَّ معَ شيءٍ يسيرٍ مِنَ ٱلمالِ بدراهمَ تسلَّموها مِنَ ٱلمنهوبينَ .

وهٰذهِ مِن صغارِ تلكَ ٱلحوادثِ ، وإِنَّما ذكرتُها لاستخراجِ ٱلعِبرةِ منها بتخاذلِ

ٱلعلويِّينَ إلىٰ هـٰذا ٱلَّذي لا بدَّ وأن يُعرِّضَهم لكلِّ مهانةٍ وٱبتلاءٍ .

وسببُ تسميتهِ بهـٰذا ٱلاسمِ ـ حَسَبَما أخبرني ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عليِّ بنِ عمرَ بنِ سقَّافٍ عن والدِهِ ـ : أَنَّ ٱللُّصوصَ أخذوا كُعْدةً ـ وهيَ إبريقٌ مِنَ ٱلخَزَفِ تُطبخُ فيهِ ٱلقهوةُ ـ علىٰ أحدِ رعايا ٱلسُّلطانِ جعفرِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلكثيريِّ مِنْ بور ، فلم يكن مِنَ ٱلسُّلطانِ إلاَّ أَنْ سارَ بقَضِّهِ وقَضيضِهِ وسائرِ عسكرِهِ ، ونزلَ بهم ضيفاً علىٰ عشيرةِ ٱللِّصِّ ، فأنفقوا علىٰ ضيافتهِ كلَّ طارفٍ وتليدٍ ، حتَّى ٱحتاجوا إلى ٱلدَّينِ ، فوسَّطوا مَنْ يسأَلُهُ عن شأنِهِ ، فأَخبرهُم ، وقالَ : لا أرتفعُ عنهم إلاَّ بٱلَّذي أَخذَ ٱلكُعْدةَ .

فدفعوهُ برمَّتهِ إليهِ ، فهابَهُ ٱلنَّاسُ ، وأُطلقَ ٱللَّقبُ على ٱلمكانِ مِنْ يومِئذٍ .

وكانَ سيِّدي أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سميطٍ كثيراً ما يُعاتبُ أهلَ زمانهِ على ٱلقهوةِ ويُحذِّرُهُم مِنها ؛ لأَنَّها تأْخذُ عليهِم كثيراً مِنَ ٱلأموالِ بدونِ فائدةٍ ، ويقولُ لَهُم : (إنَّكُمُ ٱنتهبتُم في نُخَرِ كُعْدةْ) يُعرِّضُ بهـٰذا في توريةٍ لطيفةٍ ، وكانَ يتقطَّع ـ كما مرَّ ـ حسراتٍ لعدمِ ٱلوالي ويقول : (لَو جُمعتِ ٱلأَموالُ ٱلَّتي تُتلَفُ في ٱلقهوةِ . . لأَمكنَ بها إقامةُ دولةٍ عادلةٍ بحَضْرَمَوْتَ)[1] .

ٱلحُسَيِّسَةُ

هيَ بقريةٍ خاربةٍ بإزاءِ بور ، في سفحِ ٱلجبلِ ٱلجنوبيِّ ٱلمعروفِ بشعْبِ مُخَدَّمٍ .

وكانت قريةً معمورةً ، ثمَّ خَرِبتْ ، فبناها عليُّ بنُ عمرَ ٱلكثيريُّ في سَنةِ (٨٢١هـ) ، ثمَّ أَخربَها عقيلُ بنُ عيسى ٱلصَّبراتيُّ سَنةَ (٨٣٩هـ) ، كذا في « تاريخِ ٱبنِ حميدٍ » ، وهوَ إنَّما ينقلُ عن « شنبلٍ » ، وٱلَّذي رأَيتُهُ فيهِ : أَنَّ عقيلاً هـٰذا أَخربَها في سَنةِ (٨٨٩هـ) .

---

(١) لأن الفوضى كانت سائدة في زمان الإمام ابن سميط ، كما يعلم مِمَّا مَرَّ في شبام وسيئون . وله رحمه الله كلام اقتصادي وسياسي نفيس نحو هـٰذا في « مجموع كلامه » الذي جمعه الشيخ دحمان بن عبد الله بن عمر لَعْجم باذيب .

وفي رحلةِ ٱلمهاجرِ إلى ٱللهِ ٱلسَّيِّدِ أحمدَ بنِ عيسىٰ[1] أنَّهُ : لمَّا وصلَ حَضْرَمَوْتَ . . دخلَ ٱلهجرينِ ، وأقامَ بها مُدَيدَةً ، وٱشترىٰ مالاً ، فلَم تَطِبْ لَهُ ، فوهبَ ٱلمالَ لعتيقهِ شَويه .

وٱنتقلَ مِنها إلىٰ قارةَ جُشَيب ، فلَم يأْنَسْ بها .

فٱنتقلَ إلى ٱلحُسَيِّسَةِ ـ بضمِّ ٱلحاءِ وفتحِ ٱلسِّينِ ٱلمكرَّرةِ بينَهما ياءٌ مشدَّدةٌ مكسورةٌ ، قريةٌ علىٰ نصفِ مرحلةٍ مِنْ تريمَ ـ فٱستوطنَها إلىٰ أَنْ توفِّيَ بها سَنةَ (٣٤٥هـ) ، ودُفِنَ بحضْنِ ٱلجبلِ ٱلمذكورِ .

قالَ ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ صاحبُ ٱلحَمْراء في ترجمتهِ للعيدروسِ : (توفِّيَ ٱلشَّيخُ أحمدُ بنُ عيسىٰ بٱلحسيِّسةِ ، ودُفِنَ في شعبِها ، ولَم يُعرفِ ٱلآنَ موضعُ قبرهِ ، بل إنَّ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱللهِ بنَ أبي بكرٍ ٱلعيدروس كانَ يزورهُ في ٱلشِّعبِ ٱلمذكورِ ، وقالَ : إنَّ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱلرَّحمـٰنِ كانَ يزورهُ) اهـ

وهوَ ظاهرٌ في أنَّهُما كانا يزورانِ ٱلجبلَ بدونِ تعيينِ موضعٍ ، أمَّا ٱلآنَ . . فقد عيَّنوهُ : إمَّا بٱلقرائنِ ، وإمَّا بٱلكشفِ ، على ٱرتفاعٍ يزيدُ عن مئَةِ ذراعٍ في ٱلجبلِ ، وهـٰهنا مباحثُ :

ٱلمبحثُ ٱلأوَّلُ :

زعمَ قومٌ أنَّ سيِّدَنا ٱلمهاجرَ ، وٱبنَهُ عبيدَ ٱللهِ ، وأولادَهُم ٱلثَّلاثةَ : بصريٌّ وجديدٌ وعلويٌّ ، كانوا شافعيَّةً أشعريَّةً ، وقد فنَّدتُ ذلكَ متوكِّئاً علىٰ ما يُغني ويُقني مِنَ ٱلأدلَّةِ وٱلأماراتِ في « ٱلأصلِ » ، وتشكَّكتُ في وقتِ دخولِ ٱلمذهبِ ٱلشَّافعيِّ إلىٰ حَضْرَمَوْتَ ، وقرَّرتُ كثرةَ ٱلعلماءِ بحَضْرَمَوْتَ لعهدِ ٱلمهاجرِ وما قَبْلَهُ ، ولو شئْتُ أَنْ أَجمعَ ما أنجبتهُم تلكَ ٱلعصورُ من رجالاتِ ٱلعلمِ وٱلحديثِ . . لاستدعىٰ مجلَّداً

---

(١) ينظر لمعرفة ترجمته : « المشرع » (١/ ٧٧) ، و« الغرر » وتواريخ حضرموت للشاطري ، والحامد ، والبكري ، وللسيد محمد ضياء شهاب كتاب خاص عن المهاجر ، اسمه : « الإمام المهاجر » مطبوع صدر عن دار الشروق بجدة .

ضخماً ؛ إذْ لا يخلو « تهذيبُ ٱلتّهذيبِ » في حرفٍ منهُ عنِ ٱلعددِ ٱلكثيرِ منهُم .

وَإِذَا ٱسْتَطَـالَ ٱلشَّـيءُ قَـامَ بِنَفْسِـهِ وَصِفَاتُ ضَوْءِ ٱلشَّمْسِ تَذْهَبُ بَاطِلاَ[1]

ومعاذَ ٱللهِ أَنْ تحصلَ منهُم تلكَ ٱلثّروةُ ٱلضّخمةُ في ٱلآفاقِ ، ويَملؤونَ زوايا ٱلشّامِ وٱلحجازِ ومصرَ وٱلعراقِ ، بدونِ نظيرِهِ أَو أَقلَّ منهُ في مساقطِ رؤُوسِهِم .

ويتأكَّدُ بما سيأتي عنِ « ٱلمشرعِ » في تَرِيمَ من تردُّدِ ٱلسَّادةِ مِن بيتِ جُبيرٍ إِلىٰ تريمَ في سبيلِ ٱلعلمِ .

وفي ترجمةِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ : أَنَّهُ أخذَ عن أَبيهِ وعن غيرِهِ من علماءِ عصرِهِ ، معَ ذكرِهم لاجتماعِهِ بأَبي طالبٍ وقراءتِهِ لكتابه « ٱلقوت » عليهِ .

ومَرَّ في شِبَام ما يكثِّرُ علماء ٱلإباضيَّةِ مِن شعرِ إِبراهيمَ بنِ قيسٍ ، وهوَ مِن أَهلِ ٱلقرنِ ٱلخامسِ ، وذِكْرُ مَن نجَعَ مِنَ ٱلأَزدِ إِليها في أَيَّامِ ٱلحجَّاجِ .

وسبَقَ في ٱلشِّحرِ ما يدلُّ علىٰ حالتِها ٱلعلميَّةِ حوالَي سنة (٢٨٠هـ) ، وفي صوران ونقعة وغيرها ما يؤكِّدُ ذلكَ ، وحسبُكَ أَنَّ أَكثرَ مشايخ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ من غيرِ ٱلعلويِّينَ ، قالَ سيِّدي ٱلأَبرُّ في « عِقدِهِ » : (وتفقَّهَ ـ يعني : ٱلفقيهَ ٱلمقدَّمَ ـ على ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ باعبيدٍ ، وعلى ٱلقاضي أَحمدَ بنِ محمَّدٍ باعيسىٰ ، وأَخذَ ٱلأُصول وٱلعلومَ ٱلعقليَّةَ عَنِ ٱلإمامِ ٱلعلاَّمةِ عليِّ بنِ أَحمدَ بامروانَ ، وٱلإمامِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ أَبي ٱلحبِّ ، وأَخذَ عِلمَ ٱلتَّفسيرِ وَٱلحديثِ عَنِ ٱلحافظِ ٱلمُجتهِدِ ٱلسَّيدِ عَليِّ بن محمدٍ باجديد ، وَأَخَذَ ٱلتَّصوفَ وَٱلحقائِقَ عَن عَمِّهِ ٱلشَّيخِ عَلَويِّ بنِ محمدٍ صاحبِ مِربَاط ، وَعَنِ ٱلإمامِ سالمِ بنِ بصريٍّ ، وٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ عليٍّ ٱلخطيبِ) اهـ

وأَكبرُ مِن هـٰذا ما تضمُّهُ ٱلغَنَّاءُ مِن أَصحابِ رسولِ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ودعاتِهِ إِلى ٱلإسلامِ حتَّىٰ لهـٰذا أَنكرَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ باعلويٍّ علىٰ مَن استبعدَ وجودَ ربعِ أَهلِ بدرٍ فيها كما سيأتي في تريمَ ، وقالَ : إِنَّهُ يتلقَّاهُ ٱلخَلَفُ عن ٱلسَّلفِ ، فٱنطَمَسَ منارُهم ، وٱندرست آثارُهم ، وهم نجومُ ٱلهدىٰ ، ومصابيحُ ٱلدُّجىٰ ، وشفاءُ

---

(١) البيت من الكامل .

ٱلكلومِ ، وينابيعُ ٱلعلومِ ، كلاَّ ، ولـٰكنَّها ٱلأَقدامُ تزلّ ، وٱلأَفهامُ تضل ، وٱلأَهواءُ تتغلَّب ، وٱلأَوهامُ تتأَلَّب ، ولا حولَ ولا قوَّة إِلاَّ بٱللهِ .

ولا يَلْزَم ـ علىٰ كثرةِ ٱلعلماءِ بها ـ أَن يتمذهبوا بشيءٍ مِنَ ٱلمذاهبِ ٱلمشهورةِ ؛ فقدِ ٱشتهروا بٱلعلومِ في عصرِ ٱلتَّابعينَ فمن بعدَهم قبلَ ظهورِ ٱلمذاهبِ ، وإِن كانَ ٱلبدويُّ ٱلجافي لَيَأْتِي إِلىٰ رسولِ ٱللهِ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ فيقيمُ أَيَّاماً لا يقرأُ كتاباً ، فيعودُ وفي يدِهِ سراجُ ٱلإِسلامِ يرشدُ قومَهُ ويدعوهم إِلى ٱللهِ ؛ ففي (ص ٤٩٢ ج ١) من « إِمتاع ٱلأَسماعِ » للمقريزي : (أَنَّ عثمانَ بنَ أَبي ٱلعاصِي كانَ أَصغرَ وَفدِ ثَقيفَ ، فكانوا يخلفونَهُ في رِحالِهم وكانَ إِذا ناموا بٱلهاجرةِ . . عَمَدَ إِلى ٱلنَّبيِّ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ فسأَلَهُ عَنِ ٱلدِّينِ وٱستقرأَهُ ٱلقرآنَ ، وأَسلمَ سرّاً وفقِهَ ، وقرأَ مِنَ ٱلقرآنِ سوراً) اهـ

وٱلشَّاهدُ : في فقهِهِ معَ أَنَّهُ لم يتلقَّ إِلاَّ أَوقاتاً يسيرةً ، وكذلكَ أَحوالُ كثيرٍ مِنَ ٱلوافدينَ .

وقد توفِّيَ رسولُ ٱللهِ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ عن مئَةٍ وعشرينَ أَلفاً مِنَ ٱلصَّحابةِ ، وفيهِم مِنَ ٱلأَجلافِ مَنْ لا يعرفُ إِلاَّ ٱلفاتحةَ أَو إِلاَّ ٱلبسملةَ ، كما في « معاهدِ ٱلتَّنصيصِ » في قسمةِ أَنفالِ ٱلقادسيَّةِ ، وهُم يُصلُّونَ ويصومونَ ويَحجُّونَ ويُزكُّونَ بدونِ تَمذْهُبٍ ، وكذلكَ كانَ أَهلُ حَضْرَمَوْتَ فيما أَظنُّ وفيما يقضي ٱلاستصحابُ ، حتَّىٰ غزتهم ٱلمذاهبُ بسببِ ٱلاختلاطِ ٱلواقعِ أكثرُه بٱلحجازِ وٱليمنِ .

وقد جاءَ في « ٱلمشرعِ » : (أَنَّ فتاوى ٱلسَّيِّدِ سالمِ بنِ بصريٍّ علىٰ أَساليبِ أُولي ٱلاجتهادِ) وفي (ص٥ ج ٢) منهُ : (أَنَّ أَهلَ حَضْرَمَوْتَ يَشتغلونَ بٱلعلومِ ٱلفقهيَّةِ ، وجَمْعِ ٱلأَحاديثِ ٱلنَّبويَّةِ) اهـ

ويؤَيِّدُهُ ما جاءَ في موضعٍ آخرَ منهُ : (أَنَّ كثيراً مِنَ ٱلصُّلحاءِ وٱلعلماءِ لا يعرفونَ عينَ قبرِهِ ، بل ولا جِهتَهُ ؛ لأَنَّ ٱلمتقدِّمينَ كانوا يجتنبونَ ٱلبناءَ وٱلكتابةَ على ٱلقبورِ) اهـ

فإِنَّهُ أَنصعُ ٱلأَدلَّةِ علىٰ تمسُّكِهم بٱلسُّنَّةِ . وفي (ص ١٤٤ ج٦) من « تاريخ ٱبن

خلِّكان » (عنِ ٱبنِ حزمٍ : مذهبانِ ٱنتشرا في بدءِ أَمرِهما بِٱلرِّئاسةِ وٱلسُّلطان ؛ مذهبُ أَبي حنيفَةَ ، ومذهبُ مالكِ بنِ أَنسٍ) اهـ مختصراً .

وفي (ص ٢٣٣ ج ٥) : (أَنَّ ٱلمُعِزَّ ٱبنَ باديسَ حَمَلَ أَهلَ ٱلمغربِ علىٰ مذهبِ مالكٍ بعدما كانَ مذهبُ أَبي حنيفةَ أَظهرَ ٱلمذاهبِ بهِ) . وكانت وفاةُ ٱلمُعِزِّ ٱلمذكورِ سنةَ (٤٥٤هـ) .

وفي « مذكراتي » : (أَنَّ عبدَ ٱلرَّحيمِ بنَ خالدِ بنِ يزيدَ بنِ يحيى بنِ مولى جمحٍ وصلَ إِلىٰ مصرَ في أَيَّامِ ٱللَّيثِ بنِ سعدٍ ، فأخذَ عنهُ ٱللَّيثُ وٱبنُ وهبٍ ورشيدُ بنُ سعدٍ ، وٱنتشرَ بهِ مذهبُ مالكٍ ، وتوفِّيَ بالإسكندريَّةِ سنةَ « ١٦٣هـ » ، وخَلَفَهُ ـ في نشرِ مذهبِ مالكٍ بمصر ـ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ ٱلقاسمِ ، وما زالَ مشهوراً حتَّىٰ قَدِمَها ٱلشَّافعيُّ في سنةِ « ١٩٨هـ » فصحبَهُ جماعةٌ مِن أَعيانِها كٱبنِ ٱلحَكَمِ وٱلرَّبيعِ بنِ سليمانَ وٱلمُزنيِّ وٱلبُوَيْطيِّ وعملوا بمذهبِهِ ، ولم يكن أَهلُ مصرَ يعرفونَ مذهبَ أَبي حنيفةَ معرفتَهم بمذهبِ مالكٍ وٱلشَّافعيِّ .

ويُعَلِّلُ ٱلمَقْرِيزيُّ ذلكَ بأَنَّ إسماعيلَ بنَ ٱلرَّبيعِ ٱلكوفيَّ ـ ٱلَّذي تَولَّىٰ قضاءَ مصرَ بعدَ ٱبنِ لهيعةَ ـ كانَ يبطلُ ٱلأَحْبَاسَ ، فثقلَ على ٱلمصريِّينَ مذهبهُ في ذلكَ ، وسئموهُ .

أَمَّا ٱلإمامُ أَحمدُ. . فكانَ في ٱلقرنِ ٱلثَّالثِ ، ولم يخرج مذهبُهُ عنِ ٱلعراقِ إِلاَّ في ٱلقرنِ ٱلرَّابعِ ، وفي هـٰذا ٱلقرنِ مَلَكَ ٱلفاطميُّونَ مصرَ ، وجاؤوا بمذهبِهم علىٰ يدِ جوهرٍ ٱلصِّقلِّي) اهـ

ولا بدعَ أَن يَغزوَ ٱلمذهبُ ٱلشَّافعيُّ حَضرموتَ ؛ إِمَّا مِن أَصحاب ٱلشَّافعيِّ ٱلأَدنينَ ، أَو مِن أُمِّ ٱلقرىٰ ، أَو مِن زبيدَ بواسطةِ ٱلحُجَّاجِ وٱلتُّجَّارِ وطُلاَّبِ ٱلعلمِ ؛ فٱلمواصلاتُ متواترةٌ بينَ حضرموتَ وبينَ هـٰذهِ ٱلأَطرافِ ، علىٰ أَنَّ ٱلحضارمةَ مِن أَبعدِ ٱلنَّاسِ عَنِ ٱلتَّمذهُبِ .

وفي « نسيمِ حاجر » وفي ٱلمبحثِ ٱلثَّالثِ نسبةُ ٱلاجتهادِ لكثيرٍ مِنَ ٱللاَّحقينَ فضلاً عنِ ٱلسَّابقينَ. قالَ ٱلشَّيخُ إِبراهيمُ بنُ يحيىٰ بافضل، ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (٦٨٤هـ) [مِنَ ٱلوافرِ] :

إِذَا لَـمْ أُفْتِكُـمْ بِصَـرِيـحِ عِلْـمٍ فَـلاَ مِـنْ بَعْـدِهَـا تَسْتَفْتِئُـونِـي
بِمَـا فِـي مُحْكَـمِ ٱلْقُـرْآنِ أُفْتِـي وَإِلاَّ بَعْـدَ هَـٰذَا كَـذِّبُـونِـي

أَوَليسَ مِنْ أَصرحِ ٱلصَّريحِ في دعوى ٱلاجتهادِ ؟

وذكرَ ٱلعلاَّمةُ ٱبنُ حجرٍ في « فتاويهِ » عن علماءِ ٱلمتأخِّرينَ مِنَ ٱلحضارمِ : أَنَّهم لا يتقيَّدونَ بكلامِ ٱلرَّافعيِّ وٱلنَّوويِّ ، وهما عمدةُ ٱلمذهبِ ، ولا يحضرُني نصٌّ صريحٌ في تعيينِ وقتِ ٱلتَّمذهُبِ ، وكانتِ ٱلعربُ إذ ذاكَ متَّصلةً ، وٱلأَسواقُ جالبةً ، وٱلمشاهدُ جامعةً ، وٱلبلادُ بما أَلِفوهُ مِنَ ٱلتَّرحُّلِ وٱستقرابِ ٱلبعيدِ متقاربةً .

وممَّا يشهدُ لهـٰذا : أَنَّ كلَّ مرحلةٍ يأتي ذكرُها عندَ ٱلهَمْدانيِّ وأَمثالِهِ تزيدُ عن مرحلتَينِ بسيرِ أَهلِ ٱلعصورِ ٱلمتأَخِّرةِ .

ومرَّ في ٱلكَسرِ أَنَّ يونسَ بنَ عبدِ الأَعلىٰ كانَ منهُ ، وهوَ أَحدُ أَصحابِ ٱلشَّافعيِّ ، وغير خافٍ أن حرملةَ بن عبيدِ ٱللهِ صاحبَ ٱلإمامِ ٱلشَّافعيِّ وأَحدَ رواةِ مذهبِهِ . . كانَ مِن تجيبَ ، ومثلُهُ أَبو نعيمٍ ٱلتَّجيبيُّ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (٢٠٤هـ) .

ومثرى تجيب بالكَسرِ ، ثمَّ نجعَ منهمُ ٱلكثيرُ إِلىٰ مصرَ ، ولا بدَّ بطبيعةِ ٱلحالِ أَن يكونوا على ٱتِّصالٍ بأَهلِ وطنِهم أَدبيّاً ومادِّيّاً كما هي ٱلعادةُ بينَ ٱلعشائرِ ، ومعاذَ ٱللهِ أَن تقطعَ رجالاتُ ٱلعلمِ صِلاتِها بأَوطانِها وقراباتِها وهم أَحقُّ ٱلنَّاسِ بصلةِ ٱلأَرحامِ وٱلحنينِ إِلى ٱلأَوطانِ وٱلقيامِ بحقوقِها ٱلَّتي تفضلُ حقوقَ ٱلأُمَّهات على ٱلأَولادِ كما فصَّلتُ في غيرِ قصيدةٍ مِنَ « ٱلدِّيوان » .

ومرَّتِ ٱلإشارَةُ فِي هـٰذا ٱلمبحثِ لبَعضِ ٱلعُلماءِ ٱلحَضرَميِّينَ ، وأَنَّ آلَ باذيبٍ نجعوا مِنَ ٱلعراقِ إِلىٰ حضرموتَ في أَيَّامِ ٱلحَجَّاجِ ، وكان فيهم مفتونَ وقضاةٌ .

وقالَ ٱلشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ أَحمدَ باسودانَ في « جواهرِ ٱلأَنفاسِ » : (نَقلَ ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ أَبي بكرٍ عَن بَعضِ عُلَماءِ آلِ عبَّادٍ أَنَّه كَانَ في تريم ثلاثُ مئةِ مُفْتٍ ، وٱلصَّفَّ ٱلأَوَّلَ من جامِعِها كلُّهُ فقهاءُ ، يعني : مجتهدينَ في ٱلمذهب .

وفي شبامٍ ستُّونَ مفتياً ، وقاضٍ شافعيٌّ ، وقاضٍ حنفيٌّ ، وفي ٱلهجرينِ مثلُ ذلكَ) اهـ

وفي موضعٍ آخرَ منهُ عنِ ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ عمرَ جمالٍ : (أنَّهُ يقولُ : عمَّتِ ٱلبلوىٰ في جهةِ حضرموتَ بكثرةِ ٱلجهلِ ، وٱلجُهَّالُ أشبهُ بٱلشَّياطينِ في أَحوالِهم ، وأَقربُ مِن ٱلبهائم في طبائِعِهم ، وقد كانت هـٰذهِ ٱلجهةُ معمورةً بٱلعلمِ ، حكى ٱلمؤرِّخونَ أنَّهُ كانَ ببلدِ تريمَ ثلاثُ مئةِ مفتٍ ، وفي شبامٍ ستُّونَ مُفْتٍ ، وقاضٍ شافعيٌّ ، وقاضٍ حنفيٌّ ، وفي ٱلهجرينِ قريبٌ من ذلكَ) اهـ

وما نقلَهُ عنِ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ أَبي بكرٍ موجودٌ في آخرِ ٱلصَّفحة (١١٧) مِنَ « ٱلبرقةِ » ونصُّهُ : (وقد صحَّ بٱلنَّقلِ ٱلصَّحيحِ عنِ ٱلثِّقاتِ أَنَّهُ ٱجتمعَ في تريمَ في زمنٍ واحدٍ ثلاثُ مئةِ مفتٍ ، وبلغَ ٱلصَّفُّ ٱلأوَّلُ في صلاةِ ٱلجمعةِ كلُّهُ فقهاءَ) اهـ

وسيعادُ هـٰذا بأَبسطَ ممَّا هنا في تريم .

وفي ٱلصَّفحةِ ٱلَّتي قبلَها : أَنَّ ٱلإمامَ عليَّ بنَ محمَّدِ حاتمٍ هَنَّأَ شيخَهُ ٱلمحقِّقَ قاضيَ ٱلقضاةِ وسيِّدَ ٱلقُرَّاءِ في عصرِهِ أَبا بكرِ بنِ يحيى بنِ سالمٍ أَكدرَ بأَبياتٍ علىٰ شفائِهِ مِن مرضٍ أَلَمَّ بهِ ؛ منها :

قَـدْ حَـنَّ مَسْجِـدُنَـا لِفَقْـدِكَ وَٱشْتَكَـىٰ   خَلَـــلاً وَإِنْ كَثُـــرَتْ بِـــهِ ٱلأَقْـــوَامُ

وَفِي ٱلحَاشِيةِ : أَنَّ مسجدَهم هوَ ٱلمعروفُ بمسجدِ عاشقٍ ، يجلسُ علىٰ دكته منهم مِن أَهلِ ٱلعلمِ وٱلفتوىٰ (٤٥) رجلاً .

وفي « سموم ناجر » : أَنَّ وفاةَ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ يحيىٰ هـٰذا كانت سنةَ (٥٧٥هـ) شهيداً ، ويأتي في تريمَ عن « جوهرِ ٱلخطيبِ » ما يُوهِمُ أَنَّ كثرةَ ٱلمفتينَ بتريمَ يعودُ إِلىٰ ما بذلَهُ ٱلشَّيخُ سالمُ بافضلٍ مِن نشرِ ٱلعلمِ ، وٱللهُ أَعلمُ .

وكانت وفاةُ ٱلشّيخِ بافضلٍ في سنةِ (٥٨١هـ) أي : بعدَ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ أَكدرَ بنحوِ ستِّ سنينَ ، ومِنَ ٱلبعيدِ أَن يكونَ تفقُّهُهُ عليهِ . . فَلْيُتأَمَّل .

أَمَّا ٱشتهارُ مذهبِ ٱلشَّافعيِّ في ٱليمنِ . . فقد قالَ ٱلسَّخاويُّ : إِنَّهُ كانَ في ٱلمئةِ ٱلثَّالثةِ ، ونقلَهُ عنِ ٱلجنديِّ .

وقالَ ٱليافعيُّ : إنَّ ممَّن أَظهرَ مذهبَ ٱلشَّافعيِّ بٱليمنِ موسى بنَ عمرانَ ٱلمعافريَّ ، قالَ : وممَّن نشرَهُ بزبيدَ بنو عقامة .

ومن كتابِ « ٱلمسالك ٱليمنيَّةِ » للسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ إسماعيلَ ٱلكبسيِّ : أَنَّ ٱلمأمونَ وَلَّىٰ محمَّدَ بنَ هارونَ ٱلتَّغلبيَّ قضاءَ ٱلتَّهائمِ في سنةِ (٢٠٣هـ) .

ومحمَّدُ بنُ هارونَ هـٰذا هوَ جدُّ بني عقامةَ .

وفي « طبقاتِ ٱبنِ ٱلسُّبكيِّ » [١٣٠/٧] : (عنِ ٱبنِ سَمُرَةَ : أنَّ فضائِلَ بني عقامةَ مشهورةٌ ، وهمُ ٱلَّذينَ نشرَ ٱللهُ بهم مذهبَ ٱلشَّافعيِّ في تهامة ، وقدماؤهم جهروا بٱلبسملةِ في ٱلجمعةِ وٱلجماعاتِ) اهـ

وقولهُ : (وهمُ ٱلَّذينَ . . . إلخ) صيغةُ حصرٍ ، وكأَنَّ ٱلمذهبَ ٱلشَّافعيَّ أَتاهم قبلَ أَن يعرفوا ٱلمذاهبَ ، فوافقَ ما عندَهم فتمكَّنَ ونشرَهُ ٱللهُ بهم .

يعجبُني ما ذكرَهُ ياقوتُ [١٠٨/٤] لبعض قضاتِهم يرثي هَلْكَاهُ ٱلمدفونينَ بٱلعرقِ وهوَ موضعٌ بزبيدَ [من ٱلكامل] :

يَـا صَـاحِ قِـفْ بِـٱلْعِـرْقِ وِقْفَـةَ مُعْـوِلِ ... وَٱنْـزِلْ هُنَـاكَ فَثَـمَّ أَكْـرَمُ مَنْـزِلِ
نَـزَلَـتْ بِـهِ ٱلشُّـمُّ ٱلْبَـوَاذِخُ بَعْـدَمَـا ... لَحَظَتْهُـمُ ٱلْجَـوْزَاءُ لَحْظَـةَ أَسْفَـلِ
أَخَـوَايَ وَٱلْـوَلَـدُ ٱلْعَـزِيـزُ وَوَالِـدِي ... يَـا حَطْـمَ رُمْحِـي عِنْـدَ ذَاكَ وَمُنْصُـلِ
هَـلْ كَـانَ فِـي ٱلْيَمَـنِ ٱلْمُبَـارَكِ بَعْـدَنَـا ... أَحَـدٌ يُقِيـمُ صَغَـا ٱلْكَـلَامِ ٱلأَمْيَـلِ
حَتَّـىٰ أَنَـارَ ٱللهُ سُـدْفَـةَ أَهْلِـهِ ... بِبَنِـي عُقَـامَـةَ بَعْـدَ لَيْـلٍ أَلْيَـلِ
لاَ خَيْـرَ فِـي قَـوْلِ ٱمْـرِىءٍ مُتَمَـدِّحٍ ... لَكِـنْ طَغَـىٰ قَلَمِـي وَأَفْـرَطَ مِقْـوَلِـي

وذكرَ ٱليافعيُّ أَيضاً : (أَنَّ ٱلقاسمَ بنَ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلقرشيَّ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ « ٤٣٨هـ » نشرَ مذهبَ ٱلشَّافعيِّ في نواحي ٱلجَنَدِ وصنعاءَ وٱلمعافرِ وٱلسُّحولِ وعدن ولحجٍ وأَبينَ) اهـ

ولئنْ تأَخَّرَ وصولُ ٱلمذهبِ ٱلشَّافعيِّ إِلىٰ حضرموتَ عمَّا مرَّ . . فلن يخطِئَها فيما حوالي هـٰذا ٱلتَّاريخ .

وقالَ بعضُ ٱلزَّيديَّةِ : إنَّ ٱلعترةَ ٱلطَّيِّبة قد تفرَّقت في ٱلبلادِ ، وملأَتِ ٱلأغوارَ وٱلأنجادَ ، وكلُّ مَن كانَ منهم في إقليمٍ . . فإنَّما هوَ علىٰ مذهبِ جهتِهِ وإقليمِهِ في غالبِ ٱلأمرِ ، لم يتواصوا كلُّهم بمذهبٍ واحدٍ في مهمَّاتِ ٱلأصولِ ، فضلاً عن نوادرِ ٱلفروعِ ، فهٰؤلاءِ ٱلأئمَّةُ ٱلمعروفونَ في ٱليمنِ وعددٌ قليلٌ مِنَ ٱلجبلِ شاعت أقوالُهم ، وسارتِ ٱلرُّكبانَ بمذاهبِهم كٱلنَّاصرِ .

وفي ٱلكثيرِ منهم ـ وهم أَهلُ ٱلكوفةِ وما والاها ـ ذكَر بعضُ ٱلعلماءِ جماعةً كثيرةً زيديَّةً من دعاتِهم ، وأَهلُ ٱليمنِ لا يعرفونَهم ولا يعرفونَ مقالتَهم ، وكذلك ٱلإدريسيُّون في ٱلمغربِ فيهمِ كثرةٌ ، وظاهرهم علىٰ مذهبِ مالكٍ ، ثمَّ من هٰذهِ ٱلذُّرِّيَّةِ شافعيَّةٌ أو حنفيَّةٌ في ٱلفروعِ ، أَشعريَّةٌ في ٱلأُصولِ ، متظاهرونَ بذلكَ ؛ كٱلمحقِّقِ ٱلسَّيِّدِ ٱلشَّريفِ ٱلجرجانيِّ وغيرِهِ .

وفي ٱلمُحدَثينَ ٱلكثيرُ ٱلطَّيِّبُ عُلماءُ مجتهدونَ منتسبون إلى ٱلمذاهبِ ٱلأَربعةِ ، مُصَنِّفونَ فيها ، إذا طالعتَ كتبَ ٱلرِّجالِ . . عَرفتَ ما يصفونَهم به .

وبهِ نعرفُ أَنَّ ٱلَّذي في ٱلزَّيديَّةِ لا يزيدونَ عليهم وصفاً ولا عدداً ، وكلٌّ يَدَّعي أَنَّهُ ٱلمُقتفي لآبائهِ ٱلقدماءِ مِن أَهلِ ٱلبيتِ عليٍّ وٱلحَسَنَيْنِ ونحوِهم رضي الله عنهم . . . إلخ كلامه .

وكَتَب عليهِ ٱلقاضي إسماعيلُ بنُ مزاحمٍ ٱلمجاهدُ بما حاصلُه : حَصرُ ٱلحقِّ على ٱلسَّادةِ ٱلزَّيديَّة بٱليمنِ ؛ لأَنَّهم همُ ٱلَّذينَ بقُوا معَ ٱلقرآنِ في قرنٍ متبوعينَ لا تابعينَ .

وقالَ : أَلاَ ترىٰ لو أَنَّ أَحدَ أَهلِ ٱلبيتِ ٱلمُقلِّدينَ لمَالِكٍ قالَ : إنَّ ٱلكلبَ طاهرٌ . . لأَنكَرَ عليهِ ٱلكلُّ أَن تكونَ هٰذهِ ٱلمقالةُ لأَهلِ ٱلبيتِ . اهـ مختصراً بالمعنىٰ

وأنا لا أَرضَىٰ هٰذا ٱلجوابَ ؛ لما فيهِ من تحجُّرٍ ، وليسَ ٱلزَّيديَّةُ بفرقةٍ واحدةٍ ، وإنَّما هم ـ كغيرهم ـ فيهمُ ٱلمغالونَ وٱلمعتدلونَ ، وما أَحسنَ ما فَسَّرَ بهِ ٱلشَّوكانيُّ ٱلفرقةَ ٱلنَّاجيةَ مِن أَنَّها : مَن كانت علىٰ هَدْيهِ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ في إيثارِ ٱلحقِّ علىٰ ما سواهُ . أَو ما يقربُ هٰذا مِن معناهُ .

والوسطُ هوَ المحمودُ ، وعندَهُ يلتقي شأوُ المُنصِفينَ من كلِّ فرقةٍ ، وقبلتُنا مَن أَمَّها . . لا يُكَفَّرُ .

وفي غيرِ هٰذا الموضعِ أَنَّهُ كانَ للعلويِّينَ اتِّصالٌ بالسَّادةِ الزَّيديَّةِ إلاَّ أَنَّهُ تلاشىٰ بعدَ التَّمذهُبِ حتَّىٰ جدَّدَهُ اللهُ باتِّصالي بأَميرِ المؤمنينَ المتوكِّلِ على اللهِ يحيى بنِ محمَّدٍ حفظهُ اللهُ .

المبحثُ الثَّاني :

لا نزاعَ فيما يُؤْثَرُ عن سابقي العلويِّينَ مِنَ الشَّهامةِ والفتوَّةِ والكرمِ ، والمروءَةِ والجاهِ والشَّرفِ والسِّيادةِ ، والحلمِ والصَّبرِ والعبادة ، والنَّجدةِ والتَّواضعِ والورَعِ والتَّقوىٰ ، والأخذِ مِنْ مكارمِ الأَخلاقِ بالغاياتِ القصوىٰ ، بل كلُّ ثناءٍ مقصِّرٌ عنهُم في هٰذهِ النَّواحي .

وجاءَ في مواضعَ مِن كلامِ الحبيبِ عمرَ بنِ حسن الحدَّادِ أَنَّ المشايخَ استنكروا العلويِّينَ ؛ لأَنَّ المقامَ مقامُهم ، وفي كلامِ غيرِه : أَنَّ النَّاسَ أَقبلوا عليهم من بدءِ الأَمرِ ، وتجتمعُ أَطرافُ الكلامِ بما انتصبَت عليهِ القرائِنُ مِن استنكارِ أَهلِ المذاهبِ للتَّخالفِ المُنْضَمِّ إِلى الحسدِ ، ولٰكنَّ العامَّةَ ـ بسلامةِ قلوبِهم ونشأَتِهم على الفطرةِ وانقيادِهم بسوقِ الطَّبيعةِ ـ أَقبلوا عليهم إِقبالاً عظيماً ، وكيفَ لا . . وهم أَوَّلُ مَن عُرِفوا من العِتْرةِ الطَّاهرةِ ، وقد قيلَ[1] :

يَقُـولُـونَ مَـا بَـالُ النَّصَـارَىٰ تُحِبُّهُـمْ ... وَأَهْـلُ النُّهَـىٰ مِـنْ أَعْـرُبٍ وَأَعَـاجِـمِ
فَقُلْـتُ لَهُـمْ : إِنِّـي لأَحْسَـبُ حُبَّهُـمْ ... سَرَىٰ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ حَتَّى الْبَهَائِمِ

لا سيَّما وقد انضمَّ إِلىٰ ذلكَ ما يستجهرُ الأَبصارَ والبصائِرَ مِنَ الشَّرفِ الفخمِ والسُّؤددِ الضَّخمِ ؛ فقد كانَ الأَمرُ أَعظمَ ممَّا يُتصوَّرُ ، وإِن كانَ سيِّدُنا محمَّدُ بنُ عليٍّ ـ صاحبُ مرباطَ ـ ليخفرُ القوافلَ مِن بيتِ جُبَيْرٍ إِلىٰ ظفارٍ ، بما لهُ من ضخامةِ الجاه ، كما ذكرَهُ الشَّيخُ سالمُ بنُ حميدٍ عنِ الشَّيخِ عبدِ الله بنِ عمرَ الكثيريِّ .

---

(١) البيتان من الطويل ، وهما لزينب بنت إسحاق النصراني ، وهما في « نفح الطيب » (٢/ ٨٤٤) .

وكانتِ ٱلقوافلُ ترحلُ مِن حضرموتَ إلىٰ صنعاءَ في خفارةِ مسبحةِ سيِّدِنا ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ باعلويٍّ كما رواهُ والدي عنِ ٱلأُستاذِ ٱلأبرِّ فيما جمَعَهُ مِن كلامِهِ .

ولا شاهِدَ بشيءٍ مِن ذلكَ على ٱلتَّوسُّعِ في ٱلعلمِ بأَمارَةِ ٱلمشاهدةِ ؛ فأُولو ٱلجاهِ عندَ ٱلبوادي وٱلعامَّةِ وغيرِهم مِن مناصبِ حضرموتَ قديماً وحديثاً لا ينتسبُ منهم إلى ٱلعلمِ إلاَّ ٱلقليلُ ، فأرىٰ أنَّهُ مُبالغٌ فيما يُنسبُ منهُ إلى ٱلأسلافِ ٱلطَّيِّبينَ .

فقد نَقلوا عنِ « ٱلياقوتِ ٱلثَّمينِ » : (أنَّ عبيدَ ٱللهِ بنَ أحمدَ مِنْ أكابرِ ٱلعلماءِ) ، معَ أنَّهُم لَم يَذكروا أثراً لِعلْمِهِ إلاَّ قراءَتَهُ لـ « قوتِ ٱلقلوبِ » علىٰ مؤلِّفِهِ ، وطنطنوا علىٰ ذلكَ بما دلَّنا علىٰ أنَّهُ لَو كانَ هناكَ أثرٌ أكبرُ منهُ . . لَذَكروهُ وكبَّروهُ ، علىٰ أنَّ ٱلَّذي في « ٱلمشرعِ » أنَّهُ : (حجَّ في سَنةِ « ٣٧٧هـ » ، وفي ذلكَ ٱلعامِ حجَّ أبو طالبٍ ٱلمكيُّ ، فأَخذَ عنهُ مؤلَّفاتِهِ ، وسمعَ منهُ مرويَّاتِهِ) اهـ

ولَم يذكر أنَّهُ قرأَ عليهِ « قوتَ ٱلقلوبِ » . . ومعلومٌ أنَّ وقتَ ٱلحجِّ لا يتَّسعُ لغيرِ مجرَّدِ ٱلأخذِ ، فأمَّا قراءَةُ « قوتِ ٱلقلوبِ » بحذافيرِهِ . . فلابدَّ لَها مِنْ زمانٍ طويلٍ ، ثمَّ إنَّ مجرَّدَ قراءَةِ « ٱلقوتِ » ـ بتسليمِها ـ لا تستدعي ٱلتَّوسُّعَ في ٱلعِلْمِ ٱلشَّرعيِّ ، بل ولا ٱلاتِّسامَ بسِمَتِهِ ؛ إذْ لا يُعطىٰ مَنْ حفظَ « قوتَ ٱلقلوبِ » وتعقَّلَهُ ـ فضلاً عمَّنْ قرأَهُ فقط ـ ممَّا يوصىٰ بهِ للعلماءِ أَو يوقَفُ عليهم .

وممَّا يدلُّكَ علىٰ تسامحِهم في ٱلثَّناءِ بٱلعلمِ : أنَّ ٱلشِّلِّيَّ وغيرَهُ ترجمَ للسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ مُحَمَّدٍ صاحبِ مرباط ، ووصفوهُ بٱلحفظِ ، ثمَّ لَم يَذكروا لَهُ أثراً مِنْ ذلكَ سوىٰ إجازةٍ لَهُ مِنَ ٱلقَلْعيِّ[1] في روايةِ « جامعِ ٱلتِّرمذيِّ »[2] ، معَ أنَّ ٱلبخاريَّ ـ كما

---

(١) هو الفقيه الإمام العلامة محمد بن علي القلعي الظفاري ، المتوفى سنة (٦٣٠هـ) . ينظر : « عقود الألماس » (٢٣٠) وما بعدها ، ومقدمة كتابه « تهذيب الرياسة » .

(٢) أورد السيد خرد في « الغرر » نصَّ هٰذه الإجازة المؤرخة في (٥٧٥هـ) ، وهو رآها مكتوبة على ظهر الجزء الأول من « الترمذي » وهي للشريف عبد الله وللفقيه الإمام أبي القاسم بن فارس بن ماضي . ونصها : (أجزت لهما « جامع أبي عيسى الترمذي » وغيره ، كتبه محمد بن علي القلعي) اهـ توفي الشريف عبد الله سنة (٥٩٢هـ) .

رواهُ غيرُ واحدٍ ـ يقولُ : (ٱعلَمْ أنَّ ٱلرَّجلَ لا يصيرُ محدِّثاً كاملاً في ٱلحديثِ . . إلاَّ أَنْ يكتبَ أَربعاً مع أَربعٍ ، كأَربعٍ مِثْلَ أَربعٍ ، في أَربعٍ عندَ أَربعٍ ، بأَربعٍ علىٰ أَربعٍ ، عن أَربعٍ لأَربعٍ . وكلُّ هـٰذهِ ٱلرُّباعيَّاتِ لا تتمُّ إلاَّ بأَربعٍ معَ أَربعٍ . .) إلىٰ آخرِهِ[1] ، ممَّا ينبغي أَن يكشف من [ص٢٨٤] « فتاوىٰ حديثية » لابن حجر الهيتمي .

وأُخرىٰ ، وهيَ أَنَّ بيْنَ أَيدينا « ٱلبرقةَ » و« عقدَ » سيِّدي ٱلأُستاذِ ٱلأبَرِّ ، وقد ذكروا عمودَ ٱلنَّسبِ فَلَم يُطنِبُوا في ٱلثَّناءِ بِٱلعِلمِ إلاَّ على ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ وصاحبِ مرباطَ ، ولم يصفوا والدَ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ إلاَّ بأَنَّهُ عالمٌ صوفيٌّ .

وٱقتصروا في ٱلإمامِ أَحمدَ بنِ عيسىٰ علىٰ : (ذي ٱلعقلِ ٱلكبيرِ ، وٱلقلبِ ٱلمستنيرِ ، وٱلعِلْمِ ٱلغزيرِ) لأَجلِ ٱلسَّجعِ ، ولو كانَ واسعَ ٱلعلمِ . . لبسطوا ٱلقولَ فيهِ ، كما لم يذكروا ولدَهُ عبيدَ ٱللهِ ولا محمَّداً صاحبَ ٱلصَّومعةِ ، ولا علياً ٱلعُريضيَّ ، ولا علياً خالعَ قَسَمٍ بعلمٍ أَصلاً .

وأَضجعوا ٱلقولَ في وصفِ علويٍّ بنِ محمَّدٍ وعيسى بنِ محمَّدٍ بٱلعلمِ ، معَ إطنابِهم في فضلِهم وعبادتِهم ، علىٰ أَنَّنا لا ننسىٰ ما نقلَهُ والدي عن سيِّدي ٱلأُستاذِ ٱلأبرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ : أَنَّهُ زارَ ٱلمهاجرَ معَ ٱلعلاَّمةِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ ، فقالَ لولدٍ لهُ صغيرٍ ـ يُدعَىٰ محمَّدَ ٱلطَّاهر ـ : تدري مَن هـٰذا ـ يعني ٱلمهاجرَ ـ يا ولدي؟ فقالَ لهُ : هـٰذ ٱلمهاجرُ ، أَفضلُ مَنْ في ٱلوادي عِلماً وعملاً وقُرباً مِنَ ٱلنَّبيِّ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ؛ لأَنَّ مثلَ ذلكَ قد لا يرادُ بهِ كلُّ ظاهرِهِ في تبصيرِ ٱلأَولادِ وحثِّهم على ٱلاجتهادِ .

وسيأْتي في تريمَ أَنَّ ٱلطَّيِّبَ بامَخْرَمةَ لم يذكر فقيهاً مِنَ ٱلعلويِّينَ إلاَّ ٱلفقيهَ ٱلمقدَّمَ .

---

(١) ثم قال الراوي : فهالني قوله ، فسكتُّ متفكراً ، وأطرقت نادماً . فلما رأى ذلك مني . . قال ـ أي : الإمام البخاري ـ : وإن لا تطق احتمال هـٰذه المشاق كلها . . فعليك بالفقه الذي يمكنك تعلمه وأنت في بيتك ، قار ساكن ، لا تحتاج إلى بعد الأسفار ، ووطء الديار ، وركوب البحار ، وهو مع ذا ثمرة الحديث . وليس ثواب الفقيه بدون ثواب المحدث في الآخرة ، ولا عزه بأقل من عز المحدث . وانظر هـٰذا الخبر بطوله في « الغنية » للقاضي عياض (ص٦٨) ، و« الإلماع » (ص٢٩) .

وفي ترجمةِ عليِّ بنِ ٱلجديدِ من « تاريخِ ٱلجَنَديِّ » : أَنَّهُ مِن أَشرافٍ هناكَ يُعرَفونَ بآلِ أَبي علويٍّ ، بيتِ عبادةٍ وصلاحٍ ، علىٰ طريقِ ٱلتَّصوُّفِ ، وفيهم فقهاءُ يأتي ذِكْرُ مَن أَتحقَّقُ منهم إن شاءَ اللهُ تعالىٰ .

ومن مجموعِ ما سُقْنَاهُ معَ ما سبقَ مِن مبالغةِ « ٱلعِقدِ ٱلثَّمينِ » . . تعرفُ أَنَّ تلكَ ٱلمبالغاتِ ـ من غيرِ شهادةِ ٱلآثارِ ـ مبنيَّةٌ علىٰ ممادحِ ٱلعناوينِ ٱلَّتي لا يرادُ مِن أَكثرِها إلاَّ مجرَّدُ ٱلثَّناءِ ، وهو شَيءٌ معروفٌ بينَ ٱلنَّاسِ .

والثالثة : هيَ : أَنَّ قريشاً ـ ومَنْ علىٰ شاكلتِهم مِنَ ٱلعربِ ـ ٱنصرَفوا لتلكَ ٱلعصورِ عن طلبِ ٱلعِلْمِ ؛ لِما في طريقِهِ مِنَ ٱلذُّلِّ ٱلَّذي يَمنعُهُم ٱلشَّرفَ ـ بعدَ ٱلطُّفوليَّةِ ـ عنِ ٱمتهانِ أَنفسهِم فيهِ ، ولذا قلَّ ما يوجدُ ٱلعِلْمُ فيهِم إلاَّ في ٱلنُّدْرىٰ ؛ كٱلباقرِ وأَخيهِ ، وٱلصَّادقِ وٱبنهِ ، وٱلإمامِ أَحمدَ بنِ عيسى بنِ زيدٍ ثمَّ ٱلمرتضىٰ وأَخيهِ وٱلنَّاصرِ للحقِّ مِنْ بعدِهم .

وهناكَ دسيسٌ آخَرُ ، وهوَ : أَنَّ ٱلملوكَ لا يُنصفونَ ٱلعلماءَ منهُم ، ولا يُنْعِمُونَهُم بهِ عيوناً ؛ لأَنَّ لِلعلمِ سلطاناً فوقَ كلِّ سلطانهم ، فلا بدَّ لِلمستبدِّ أَنْ يَستحقرَ نَفْسَهُ ـ ولَو في سِرِّهِ ـ كلَّما وقعتْ عينُهُ علىٰ مَنْ هوَ أَرفعُ منهُ سلطاناً ، فإنِ ٱضطرَّ إلى ٱلعِلْمِ . . ٱختارَ ٱلمتصاغرَ ٱلمتملِّقَ .

وإذا كانَ ٱلأُمويُّونَ وٱلعبَّاسيُّونَ يطاردونَ ٱلعلويِّينَ لمجرَّدِ بُسُوقِهِم في ٱلشَّرفِ[1] . . أَفَتُراهُم يَسكتونَ عنهُم لَو جَمعوا إليهِ عزَّةَ ٱلعِلْمِ وسلطان ٱلمعرفةِ ؟ هٰذا ما لا يُتصوَّرُ بحالٍ .

وقد أَخرجَ ٱبنُ ٱلصَّلاحِ في « رحلته » عنِ ٱلزُّهريِّ، قالَ : (قدمتُ علىٰ عبدِ ٱلملكِ ابنِ مروانَ . فقالَ : مِنْ أَينَ أَقبلتَ ؟ قلتُ : مِنْ مكَّةَ . قالَ : مَنْ يَسودُ أَهلَها ؟ قلتُ : عطاءُ بنُ أَبي رباحٍ . قالَ : مِنَ ٱلعربِ هوَ ؟ قلتُ : لا ، بل مِنَ ٱلموالي . قالَ : بِمَ سادَهُم ؟ قلتُ : بٱلدِّيانةِ وٱلرِّوايةِ . قالَ : فمَنْ يسودُ أَهلَ ٱليَمنِ ؟ قلتُ :

---

(١) البسوق : الطُّول ، وهو هنا كناية عن الرِّفعة والسُّمُوِّ .

طاووسُ بنُ كيسانَ . فقالَ مِثلَ قولهِ ٱلأَوَّلِ . . فأَجبتُهُ بمثلِ قولي في عطاءٍ . قالَ : فمَنْ يسودُ أَهلَ مِصرَ ؟ قلتُ : يزيدُ بنُ أَبي حبيبٍ . قالَ : فمَنْ يسودُ أَهلَ دمشقَ ؟ قلتُ : مكحولٌ ، وهوَ عبدٌ نوبيٌّ أَعتقتْهُ ٱمرأَةٌ مِنْ هذيلٍ . قالَ : فمَنْ يسودُ أَهلَ ٱلجزيرةِ ؟ قلتُ : ميمونُ بنُ مهران . قالَ : فمَنْ يسودُ أَهلَ خراسانَ ؟ قلتُ : ٱلضَّحَّاكُ بنُ مزاحمٍ . قال : فمَنْ يسودُ أَهلَ ٱلبصرةِ ؟ قلتُ : ٱلحسنُ بنُ أَبي ٱلحسنِ . وهوَ في كلِّ ذلكَ يسأَلُني مِثلَ سؤَالِهِ عن عطاءٍ ، وأُجيبُهُ بمثلِ جوابي فيهِ ، حتَّىٰ قالَ : مَنْ يسودُ أَهلَ ٱلكوفةِ ؟ قلتُ : إبراهيمُ ٱلنَّخعيُّ .

قالَ : مِنَ ٱلعربِ أَم مِنَ ٱلموالي ؟ قلتُ : بل مِنَ ٱلعربِ . قالَ : ويلكَ يا زهريُّ! فرَّجتَ عنِّي ، وٱللهِ لتَسودَنَّ ٱلموالي حتَّىٰ يُخطَبَ لَها على ٱلمنابرِ وٱلعربُ مِنْ تحتِها . قلتُ : إنَّما هوَ أَمرُ ٱللهِ ودِينُهُ ، مَنْ حفظَهُ . . سادَ ، ومَنْ ضيَّعَهُ . . سقطَ) اهـ مختصراً .

وما كانَ ٱبنُ مروان ليجهلَ حالَ أُولئكَ ، وإنَّما هوَ من سَوْقِ ٱلمعلوم مساقَ ٱلمجهولِ ؛ لنكتةٍ هيَ ـ فيما أُرجِّحُ ـ قرَّةُ عينهِ بٱنصرافِ ٱلعربِ عنِ ٱلعِلْمِ ؛ لِئَلاَّ يستحقرَ نَفْسَهُ في جانبِهم ، خلاف ما يتظاهرُ بهِ مِنْ قولهِ : (فرَّجتَ عنِّي) ؛ إذْ لَو كانَ أُولئكَ مِنْ قريشٍ فضلاً عن أَنْ يَكونوا هاشميِّينَ . . لاستشاطَ غضباً ، وتأَجَّجَ حسداً ، لاسيَّما وأَشدُّ ٱلنَّاسِ حسداً همُ ٱلملوكُ كما قيلَ .

وما كانت قُرَيشٌ إذ ذاكَ خاليةً مِنَ ٱلعلمِ ، ولـٰكنَّهم ضيَّقوا عليهمُ ٱلأَنفَاسَ ، وأَخذوا منهم بٱلمخنقِ ، وقد أَشرتُ إلىٰ شيءٍ مِنِ ٱنصرافِهم عنِ ٱلعلمِ أَوائِلَ « ٱلنَّجمِ ٱلمضي في نقدِ عبقريةِ ٱلرَّضي » .

وفي آخرِ ٱلجزءِ ٱلأَوَّلِ مِنَ « ٱلبيانِ وٱلتَّبيينِ » للجاحظ : أَنَّ رجلاً مِنْ بني ٱلعبّاسِ قالَ : ليسَ ينبغي لِلقرشيِّ أَنْ يَستغرقَ في شيءٍ مِنَ ٱلعِلْمِ إلاَّ عِلْمَ ٱلأَخبارِ ، فأَمّا غيرُ ذلكَ . . فٱلنُّتفُ وٱلشَّدوُ منَ القولِ .

وفيه أيضاً : (أَنَّ رجلاً مِنْ قريشٍ مرَّ بفتىً مِنْ ولدِ عتَّابِ بنِ أُسيدٍ يَقرأُ « كتابَ سيبويه » ، فقالَ : إنَّ لكُم عِلمَ ٱلمؤَدِّبينَ وهمَّةَ ٱلمحتاجينَ) .

وفيه: (قالَ ٱبنُ عتّابٍ: يكونُ ٱلرَّجلُ نَحْويّاً عروضيّاً، قسّاماً فرضيّاً، حسنَ ٱلكتابةِ جيِّدَ ٱلحسابِ، حافظاً لِلقرآنِ، راويةً للأشعارِ، يرضىٰ أَنْ يُعلِّمَ أَولادَنا بستِّينَ درهماً)[1].

ومتىٰ تقرَّرَ ٱنحرافُ قريشٍ عنِ ٱلعِلْمِ لما يجلبهُ لها من تهضُّمِ ٱلملوكِ، ولأنَّها تسودُ قَبْلَ أَنْ تتفقَّهَ.. فما كانَ ٱلعلويُّونَ ٱلمهاجرونَ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ لِيخرقوا عادتَهُم إِلاَّ بعدَ أَنْ تُؤَثِّرَ فيهِمُ ٱلظُّروفُ، وينطبعوا بطابعِ ٱلزَّمانِ وٱلمكانِ، وتَقهرَهُمُ ٱلعوائِدُ وتنتفي ٱلموانع، وربَّما كانَ ذلكَ أَواسطَ ٱلقرنِ ٱلسَّابع، معَ ٱستثناءِ ٱلقليلِ فيما قَبْلَ ذلكَ.

وإِنَّما بقيَ ٱلعِلْمُ في ٱلسَّادةِ ٱلزَّيديَّةِ لبعدِهم عنِ المدَنيَّةِ ٱلشُّومىٰ، وتصديقاً لوعدِ ٱلنَّبيِّ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ، ولاشتراطِهِ للخلافةِ، وهيَ لا تزال فيهم، وٱلنَّاسُ علىٰ دِينِ ملوكهم، وٱلسُّلطانُ سُوقٌ يُجلَبُ إِليهِ ما يناسبُهُ، ولهـٰذا فلا بدَّ أَنْ تتفاوتَ أَزمنتُهُم بحَسَبِ رغباتِ خلفائِهِم فيهِ كثرةً وقلَّةً. ولهـٰذا ٱلمبحثِ تكميلٌ ـ إِنْ شاءَ ٱللهُ ـ يأتي في تريم.

أَمَّا ٱلمبحثُ ٱلثَّالثُ:

فقدِ ٱتَّسعَ فيهِ ٱلقولُ، وتفتَّحت شآبيبُ ٱلكلام، وسالت فيهِ عزالي ٱلبراهينِ وٱلأَدِلَّةِ، حتَّىٰ صارَ رسالةً فضفاضةً تستحقُّ أَن تُسمَّىٰ: « سمومَ ناجر لمن يعترضُ نسيمَ حاجر »، ولا بأسَ أَنْ نزيدَ هنا ما يتأَكَّدُ بهِ بعضُ ما فيها وما في « ٱلنَّسيم » معَ ٱلاعتذارِ عَمَّا لا بدَّ منهُ للفائدةِ مِنَ ٱلتَّكرارِ.

قالَ سيِّدي ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ زينٍ ٱلحبشيُّ في كتابِهِ « ٱلمسلكِ ٱلسَّويِّ »: (ومن ثمَّ لمَّا ذَهَبت عنهمُ ٱلخلافةُ ٱلظَّاهرةُ ـ لكونِها صارَت مُلْكاً عضوضاً ـ ولذا لم تتمَّ للحسنِ.. عُوِّضوا عنها بٱلخلافةِ ٱلباطنةِ حتَّىٰ ذهبَ كثيرٌ مِنَ ٱلقومِ إِلىٰ أَنَّ قطبَ ٱلأَولياءِ في كلِّ زمانٍ لا يكونُ إِلاَّ منهُم) اهـ

ثمَّ رأَيتُ هـٰذهِ ٱلعبارةَ عندَ ٱلحفظيِّ آخرَ كلامٍ نُقلَ عَن « صواعقِ ٱبنِ حجرٍ » [٢/٤٢٦] وٱللهُ أَعلمُ.

---

(١) انظر « البيان والتبيين » (١/٢٠٧ـ٢٠٨).

وقالَ في « ٱلمسلكِ ٱلسَّويِّ » أيضاً : (ولمبالغةِ ٱلشَّافعيِّ في تعظيمِهم . . صَرَّحَ بأَنَّهُ مِن شيعتِهم حتَّىٰ نسبَهُ ٱلخوارجُ إِلى ٱلرفضِ) اهـ

وذكرَ ٱلذَّهبيُّ : أَنَّ واليَ ٱليمنِ كتبَ إِلى ٱلعراقِ : إِن كُنتُم لطاعةِ أَهلِ ٱليمنِ أَرسلتُمُ ٱلشَّافعيَّ . . فإِنَّهُ يعملُ معَ ٱلطَّالبيِّينَ للخروجِ ، فأَرسلوا بهِ إِلى ٱلعراقِ مكبَّلاً بٱلحديدِ ، وممَّا قالَ حينَ ٱتُّهِمَ بٱلرَّفضِ [من الكامل] :

إِنْ كَـانَ رَفضـاً حُـبُّ آلِ مُحَمَّـدٍ فَلْيَشْهَـدِ ٱلثَّقَـلاَنِ أَنِّـيَ رَافِضِـي

وفي « ٱلمسلكِ » أيضاً عن ٱلأُستاذِ ٱلحدَّادِ أَنَّهُ قالَ : (جاءَني جماعةٌ مِن علماءِ مكَّةَ يسأَلونني عن مذهبي ، فأَردتُ أَن أَقولَ لهم : مذهبي ٱلكتابُ وٱلسُّنَّةُ ، لـٰكن حَصَلت مُحَاذَرةٌ ؛ خوفاً عليهم مِنَ ٱلإِنكارِ .

وهـٰذهِ إِشارةٌ إِلىٰ أَنَّهُ مجتهدٌ لا مُقَلِّدٌ ، وكثيراً ما أَسمعهُ يقولُ عندَ ٱلمذاكرةِ في ٱلمسائِلِ : وعندَنا فيها رأيٌ آخرُ ، لـٰكنَّ ٱلتَّمسُّكَ بمذهبِ ٱلشَّافعيِّ كافي) اهـ

ونُقِلَ عنِ ٱلأُستاذِ أَيضاً أَنَّهُ قالَ : (أُريتُ أُصولُ أَهلِ ٱلأُصولِ ، لـٰكن يغلبُ علينا ٱلرَّجاءُ حتَّىٰ للمخالفينَ مِنَ ٱلفرقِ . وهـٰذهِ ٱلمسأَلةُ متَّصلةٌ بٱلذَّوقِ ، ولا يمكنُ ٱلتَّعبيرُ عنها ؛ لخفاءِ ٱلحقِّ فيها ، فلا يُعلمُ إِلاَّ في ٱلدَّارِ ٱلآخرةِ .

وٱدَّعىٰ أُناسٌ أَنَّهم حقَّقوها ، ولم يظهر لنا ذلكَ ؛ لأَنَّ ٱلتَّدقيقَ لا تُحيطُ بهِ ٱلعِبارةُ ، ولا بدَّ أَن يقعَ في ٱلغلطِ من يُعَبِّرُ عنها؛ كقولِ ٱلغزاليِّ: ما في ٱلإِمكانِ أَبدَعُ ممَّا كانَ) اهـ

وقوله : (حتى للمخالفين من الفرق) أي : الإسلامية ؛ لإجماعهم علىٰ تكفيرِ مَن لم يَدن بدينِ ٱلإِسلامِ ـ كما فَصَّلناهُ في « ٱلسَّيفِ ٱلحادِ » ـ وكلُّ مَن يعتقدُ بنجاةِ مِلَّةٍ غيرِ ٱلإِسلام . . فهوَ كافرٌ ، وقد حاولَ ٱلبهائِيُّونَ ـ ٱلَّذينَ ذكرَهم فريدُ وجديٌّ ـ أَن يُوَحِّدوا بينَ ٱلأَديانِ ، فوقَعوا في شرٍّ مِنْ كُفرِ ٱليهودِ قاتلَهمُ ٱللهُ أَنَّىٰ يؤفكونَ . ومنهمُ ٱلقائلونَ بٱلإِباحةِ مِن أَهلِ ٱلوحدةِ ٱلمطلقةِ ٱلَّذينَ يعتقدونَ بأَنَّ ٱلباري عزَّ شأنهُ هـٰذا ٱلوجودُ ٱلسَّاري في ٱلموجوداتِ ٱلظَّاهرِ فيها على ٱختلافِ صورِها وأَنواعِها بحسبِها . . فهوَ في ٱلماءِ ماءٌ ، وفي ٱلنَّارِ نارٌ ، وهوَ حقيقةُ كلِّ شيءٍ وماهيَّتُهُ ، ووجودُ كلِّ موجودٍ صغيرٍ

أَو كبيرٍ ، خسيسٍ أَو شريفٍ . تعالى ٱللهُ عمَّا يقولونَ علوّاً كبيراً .

وليسَ منها كما قالَ سعدُ ٱلدِّينِ ٱلتَّفتازانيُّ في « شرحِ ٱلمقاصدِ » أَنْ يستغرقَ ٱلسَّالكُ عندَ ٱنتهاءِ سلوكِهِ في بحرِ ٱلتَّوحيدِ وٱلعرفانِ بحيثُ تضمحلُّ ذاتُهُ في ذاتِهِ ، وصفاتُهُ في صفاتِهِ ، ويغيبُ عن كلِّ ما سواهُ ، ولا يرىٰ في ٱلوجودِ إِلاَّ ٱللهَ ، وهـٰذا مايسمُّونَهُ : ٱلفناءَ في ٱلتَّوحيدِ ، ويسمُّونَهُ : ٱلجمعَ أَيضاً .

وغايةُ سيرِ ٱلسَّالكينَ . . فناءُ ٱلمريدِ عن نفسِهِ ، ومنهُ يرجعُ إِلىٰ عالمِ ٱلملكِ ، وهوَ ٱلفرقُ ٱلثَّاني ، وٱلصَّحوُ بعدَ ٱلمحوِ ، ويعبَّرُ عنهُ أَيضاً : بٱنصداعِ ٱلجمعِ ، وبٱلفرقِ بعدَ ٱلجمعِ ، وبظهورِ ٱلكثرةِ في ٱلوحدةِ ، ويعبر عنه أَيضاً : بمحوِ ٱلمحوِ ، وبشهودِ ٱلوحدةِ في ٱلكثرةِ ، وٱلكثرةِ في ٱلوحدةِ ، وصاحبُ هـٰذا ٱلمقامِ عندَهم لا يحجبُهُ ٱلحقُّ عنِ ٱلخلقِ ، ولا ٱلخلقُ عنِ ٱلحقِّ ، وهوَ مقامُ إِرشادِ ٱلمريدينَ .

المبحثُ ٱلرَّابعُ :

جاءَ في (ص ٣٣ ج ١) مِنَ « ٱلمشرعِ » : (أَنَّهُ كانَ للمُهاجرِ في ٱلوعظِ لسانٌ فصيحٌ ، ثمَّ لمَّا ٱستولىٰ أَخوهُ محمَّدُ بنُ عيسىٰ علىٰ أَقاليمِ ٱلعراقِ . . أَتىٰ إِليهِ وعظَهُ موعظةً بليغةً ، بأَلفاظٍ فصيحةٍ جسيمةٍ ، ولم يَزَلْ بهِ حتَّىٰ تركَ ذلكَ ، وزهدَ فيما هنالكَ) اهـ

وفي (ص ١٣٩) مِنَ « ٱلبرقةِ » : (أَنَّ محمَّدَ بنَ عيسى ٱستولىٰ علىٰ جهةٍ مِنَ ٱلعراقِ ، وتَبِعَهُ خلقٌ كثيرٌ ، وجمٌّ غفيرٌ ، ثمَّ تركَ ٱلولايةَ زاهداً) اهـ

وبينَ ٱلرِّوايتينِ فرقٌ ليسَ بٱليسيرِ ، وقد راجعتُ « كاملَ ٱبنِ ٱلأَثير » و« تاريخَ ٱبنِ خلدونٍ » . . فلم أَرَ لخروجِ محمَّدِ بنِ عيسى ذِكْراً ، ولو كانَ كما يقولُ صاحبُ « ٱلمشرعِ » في شمولِ ٱستيلائِهِ للعراقِ . . لذكراهُ ، وإِذا لم يذكراهُ . . كانَ ذلكَ قادحاً فيهِ ؛ لأَنَّ ٱلخبرَ ٱلَّذي تتوافرُ ٱلدَّواعي علىٰ تواترِهِ ثمَّ لا ينقلهُ إِلاَّ ٱلآحادُ . . يكونُ مردوداً كما قَرَّرَهُ أَهلُ ٱلأَثرِ ؛ فإِن وُجدَ لهُ ذِكْرٌ في ٱلتَّاريخِ ، وإِلاَّ . . فما هوَ إِلاَّ ٱنتقالُ نظرٍ إِليهِ مِن زيدِ بنِ موسى ٱلكاظمِ .

وقد كانَ زيدٌ هـٰذا ـ كما عندَ ٱبنِ خلدونٍ ـ مِن قُوَّادِ أَبي ٱلسَّرايا مُدَبِّرَ أَمرِ محمَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ زيدِ بنِ عليٍّ زينِ ٱلعابدينَ ، وكانَ أَبو ٱلسَّرايا وَجَّهُ زيدَ بنَ موسىٰ هـٰذا إِلى ٱلبصرةِ ، فعاثَ وأَحرقَ خَلْقاً كثيراً حتَّىٰ سمَّوهُ : زيدَ ٱلنَّارِ .

وفي (ص٢٧١ ج٣) من « تاريخِ ٱبنِ خلِّكانَ » : (وكانَ زيدُ بنُ موسى ٱلكاظمِ خرجَ بِٱلبصرةِ وفتكَ بأَهلِها ، فأرسلَ إِليهِ ٱلمأمونُ أَخاهُ عليّاً ٱلرِّضا يردُّهُ عَن ذلكَ ، وقالَ لهُ : ويلكَ يا زيد ؛ فعلتَ بِٱلمسلمينَ بِٱلبصرةِ ما فعلتَ وتزعُمُ أَنَّكَ ٱبنُ فاطمةَ بنتِ رسولِ ٱللهِ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ؟ وٱللهِ لأَشدُّ ٱلنَّاسِ عليكَ رسولُ ٱللهِ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ يا زيدُ ، ينبغي لمن أَخذَ برسولِ ٱلله صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ أَن يعطيَ بهِ .

فبلغَ كلامُهُ ٱلمأمونَ ، فبكىٰ وقالَ : هـٰكذا ينبغي أَن يكوْنَ أَهلُ بيتِ رسولِ ٱللهِ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ .

قلتُ : وآخرُ هـٰذا ٱلكلامِ مأخوذٌ مِن كلامِ عليٍّ زينِ ٱلعابدينَ ؛ فقد قيلَ : إِنَّهُ إِذا سافَرَ . . كتمَ نفسَهُ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ؟ فقالَ لهُ : أَنا أَكرهُ أَن آخذَ برسولِ ٱللهِ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ما لا أُعطي به) اهـ كلامُ ٱبنِ خلِّكانَ

أَقولُ : ومِثلُهُ موجودٌ في خطبةِ عليٍّ ٱلرِّضا يومَ بويعَ لهُ ، فقد قالَ : أَيُّها ٱلنَّاسُ ؛ إِنَّ لنا عليكُم حقّاً برسولِ ٱللهِ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، ولكم علينا حقٌّ بهِ ، فإِذا أَدَّيتُم لنا ذلكَ . . وجَبَ لكم علينا ٱلحقُّ ، وٱلسَّلامُ .

ٱلمبحثُ ٱلخامسُ :

ٱشتبَه عليَّ وقتُ ٱنهيارِ سدِّ سَنَا ، وقد رأَيتُ في مناقبِ ٱلحبيبِ عليِّ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلسَّقَّافِ ـ تأْليفُ ٱلحبيبِ عمرَ بنِ سقَّافِ بنِ محمَّدٍ ٱلصَّافي ، ٱلسَّابقِ ذِكرُهُ في ٱلسَّومِ ـ : (أَنَّ ٱلحبيبَ عليّاً ٱلمذكورَ ٱجتمعَ بِٱلسَّيِّدِ ٱلجليلِ حسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويٍّ ٱلحدَّادِ ، فسأَلَهُ عنِ ٱرتفاعِ قبرِ ٱلمهاجرِ ، فقالَ : لعلَّهُ خشيةَ ٱلسُّيولِ ٱلسَّابقةِ ٱلهائِلةِ معَ عدمِ ٱلخدِّ في ٱلأَرضِ ، لأَنَّهُ لَم يَحدثْ إِلاَّ بعدَ زمانِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ بسيلٍ قَاحِشٍ ، ٱلَّذي أَخبر عنهُ في غيبتهِ ، قال ٱلحبيبُ عليٌّ : هـٰذا هو ٱلَّذي أَراهُ) اهـ بمعناه وفيهِ إِشكالاتٌ وفائِدةٌ :

فمِنَ ٱلإشكالاتِ : أَنَّ ٱلحُسَيِّسَةَ ـ وهيَ محلُّ ٱلسُّكنىٰ ـ لَم تَكُنْ بذلكَ ٱلارتفاعِ ولا بقريبٍ منهُ ، وإنَّما كانتْ بسَفْحِ ٱلجبلِ وحضيضهِ ، وآثارُها ظاهرةٌ بهِ إلى ٱليومِ . . فكيف يخافونَ على ٱلميتِ في قبرِهِ ما لا يخافونَهُ على ٱلأحياءِ في دُورِهم ؟ !

ومِنها : أَنَّهُ لَو كانَ ماءُ ٱلسَّيلِ ٱلرَّاجع عن سدِّ سنا يصلُ ولو إلى ربع ٱرتفاعِ ٱلموجودِ . . لأغرقَ شباماً فضلاً عمَّا دونَها ، حَسَبَما قُلنا في ٱلكَسْرِ .

ومِنها : أَنَّ تريم ، وبور ، وتِنْعِه ، وٱلعِجز ، وثُوبه ، كانت موجودةً مِنْ قَبْلِ ٱنهيارِ سدِّ سنا ، ولَو كانَ رَجْعُ ٱلماءِ عنهُ يضرُّها . . لَما أَمكنَ بقاؤُها .

وأَمّا ٱلفائدةُ ٱلَّتي لَم نَسْمَعْ بها إلاَّ مِنْ هـٰذا ٱلكلامِ . . فهيَ : أَنَّ ٱلخدَّ بٱلأرضِ لَم يَكُنْ إلاَّ مِنْ بعدِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ ، المتوفَّىٰ سنة (٦٥٢هـ) ، ومعلومٌ أَنَّهُ لَن يكونَ دفعةً ، بل بٱلتَّدريجِ ، في ٱلَّذي يلي ٱلسَّدَّ ، ثمَّ في ٱلَّذي يليهِ ، وهـٰكذا كما يشهدُ لَهُ ٱلحِسُّ ، فمِسْيال سَرّ ٱلواقعُ ٱلآن بينَ ٱلحُسَيِّسَةِ وبور لا ينخفضُ ٱلآنَ عن سطحِ ٱلأرضِ بأكثرَ مِنْ نحوِ ستَّةِ أَذرعٍ . . إن لم يكن بأقلَّ .

وجاءَ في « ٱلنُّورِ ٱلسَّافرِ » [ص١١٨] عن تريمَ أَنَّها كانتْ في قديمِ ٱلزَّمانِ عامرةً جدّاً ، وأَمَّا ٱلآنَ . . فهيَ ضعيفةٌ إلى ٱلغايةِ[1] ، إلىٰ أَنْ قالَ : (وٱلظَّاهرُ أَنَّ سببَ خرابِها سيلُ ٱلعرمِ ٱلَّذي أَرسلَهُ ٱللهُ علىٰ سبأٍ ، فٱنقطعتْ عنها ٱلمياهُ ٱلَّتي كانت تزرعُ عليها ، فسبحانَ مَنْ يُقلِّبُ ٱلأُمورَ) اهـ

وهـٰذا أَيضاً فيهِ فائدةٌ وإشكالٌ :

أَمّا ٱلفائدةُ فهيَ : ٱلإشارةُ إلىٰ أَنَّ حَضْرَمَوْتَ كانت تشربُ مِنَ ٱلمياهِ ٱلمخزونةِ بسدِّ مأربَ ، وهوَ موافقٌ لِما ذكرتُهُ في « **ٱلأَصلِ** » عنِ ٱلخزرجيِّ و« شرحِ ٱلأَمثالِ » للميدانيِّ ، إلاَّ أَنَّهُ قد يغبِّرُ عليهِ ما جاءَ في « إكليلِ ٱلهمدانيِّ » (ص ٤٦ ج ٨) مِنْ قولهِ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

(١) مفاد الكلام هنا : أن تريم كانت عامرة ـ أي : بالزروع والنخيل ـ ولـٰكنها ضعفت جداً في أواخر القرن العاشر ، زمن تأليف « النور السافر » .

وَجَنَّتَا مَأْرِبٍ مِنْ بَعْدِ ذَا مُثُلٌ ... وَٱلْعَرْشُ فِيهَا وَسَدٌّ وَسْطَ وَادِيهَا
تُسْقَىٰ بِهِ جَنَّتَاهَا ثُمَّ بَعْدَهُمَا ... مَسَافَةُ ٱلْخَمْسِ مَوْصُولاً لَيَالِيهَا

ولـٰكن يجابُ بأَنَّ ٱلمسافةَ مِنْ مأرب إلى ٱلكَسرِ إِنَّما هيَ أَربعُ مراحلَ ، وَهي لاَ تَسْتَوفي ٱلْخَمسةَ ٱلأَيَّامِ ، وَإِذا بَقِيَ للَّيالي مثلُها. . بَلَغ سَدَّ سَنا أَو جاوزَها ، فٱلأَمرُ قريبٌ مِنْ بعضهِ .

وأَمَّا ٱلإِشكالُ : فإِنَّهُ لا يُمكنُ أَنْ تَصِلَ حَضْرَمَوْتُ مِنَ ٱلضَّعفِ إِلىٰ حيثُ ذَكَرَ ما دامَ ٱلماءُ ينبسطُ على ٱلأَرضِ كلِّها فتثبتُ زروعُها ، وتؤتي أُكُلَها كما كانت أَيَّامَ ملوكِ كندةَ وملوكِ حضرموت ، وإِنَّما تناهىٰ بها ٱلجدبُ وٱلقحطُ من حين ظهورِ ٱلأُخدودِ ، وٱنقباضِ ٱلماءِ عن أَكثرِ ٱلأَرضِ ولم يكن ذلكَ إِلاَّ بعدَ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّم بزمانٍ طويلٍ ، حتَّىٰ إِنَّهُ ـ معَ تفارطِ ٱلأَيَّامِ ـ لم يصل إِلى ٱلمسحرةِ بعدُ ؛ فهي لا تزالُ سالمةً منهُ ، وٱلماءُ ينبسطُ فيها مِنَ ٱلشَّمالِ إِلى ٱلجنوبِ .

وقد كانَ ٱلإِشكالُ في سدِّ سنا أَثقلَ عليَّ مِنَ ٱلطَّودِ ٱلعظيمِ ، وكلَّما ٱلتأَمَ ليَ ٱلكلامُ عنهُ مِنْ جانبٍ. . ٱنتشرَ مِنَ ٱلآخرِ ، حتَّىٰ أَخبرني ٱلأَخُ ٱلفاضلُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ محمَّدِ بنِ شهابٍ عن مشاهدةٍ أَنَّ سدَّ سنا طبيعيٌّ مِنْ حجارةٍ رَخْوةٍ ، يمازجُها طينٌ صلبٌ ، شبهَ ٱلقارةِ ٱلصَّغيرةِ ، يُدفَعُ ٱلماءُ عن جانبَيْها ٱلمرتفعَينِ عن مستوى ٱلأَرضِ بنحوٍ مِنْ ستَّةِ أَذرعٍ تقريباً ، ثمَّ إِنَّ ٱلسيولَ جَرَفتْ تلكَ ٱلقارةَ وحَفَرَتْها فصارَ ٱلماءُ يَجري في مكانِها ٱلَّذي خدَّهُ سيلُ قاحش وما بعدَهُ ، وٱرتفعَ جانباها ٱللَّذانِ كانَ عليهما يجري ٱلسَّيلُ ـ كما سنرسمُ صورتَهُ ٱلَّتي دفعهَا لي في موضعهِ إِنْ شاءَ ٱللهُ[1] ـ فلَم يَكُنْ رَجْعُ ٱلسُّيولِ عن ذلكَ ٱلسَّدِّ ٱلطَّبيعيِّ بٱلفاحشِ حتَّىٰ يكتسحَ ٱلْبلادَ ، ولـٰكنَّهُ صغيرٌ يصدُّ تيَّارَ ٱلماءِ فقط ، فينبسطُ في كلِّ ناحيةٍ ، ويَسقي ٱلنَّاسُ منهُ أَراضيَهم بدونِ أَنْ يجرفَ في ٱلأَرضِ ؛ لأَنَّ ٱنبساطَهُ يُقلِّلُ مِن قوَّةِ جريهِ فلا يخدُّ في ٱلأَرضِ ، وهـٰذا هو ٱلمعقولُ ؛ فقد كانتِ ٱلحصاةُ ٱلَّتي يُصَلِّي عليها سيِّدُنا عمرُ

---

(١) ستأتي الصورة في سنا .

ٱلمحضارُ بحافَّةِ نهرِ هودٍ عليه السلام بارزةً لعهدِهِ ، وما بِهِ بُعدٌ عن عهدِ ٱلفقيهِ ، وليسَ ٱرتفاعُها عنِ ٱلنَّهرِ ٱليومَ بٱلفاحشِ ، مع تناهي ٱلخدِّ ، ولـٰكنَّهُ قريبٌ . ولهـٰذا ٱلسَّببِ أَنكرَ بعضُ ٱلسُّيَّاحِ ٱلأجانبِ وجودَ هـٰذا السَّدِّ رأساً ؛ لأَنَّ ٱلوهمَ يذهبُ بهم إِلىٰ ٱرتفاعِهِ ، فيتأمَّلونَ ولا يجدونَ لهُ أَثراً ، فأَنكروهُ . وٱلحالُ أَنَّهُ كما وصفَهُ ليَ ٱلأَخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ٱبنُ شهابٍ .

وفي حدودِ سنةِ (١٣٣٩هـ) ٱشتد ٱلنِّزاعُ بينَ آلِ بورٍ وآلِ تاربه بشأنِ جبلِ ٱلحُسيِّسةِ ، وكلٌّ ٱدَّعىٰ أَنَّهُ في حَدِّهِ ، فَلَهُ قَنْصُ صَيدِهِ وإِدارةُ ٱلقهوةِ وٱلعُودِ في حفلاتِهِ ٱلعامَّةِ ، حتَّىٰ عُطِّلت مراراً ، ثمَّ تواضعوا علىٰ أَن لا يُدارَ شيءٌ خوفَ ٱلفتنةِ .

وما زالوا كذلكَ حتّىٰ أُقيمت جمعيَّةٌ ببتاوي لآلِ ٱلعيدروسِ ، كانَ من أَغراضِها : ٱلالتفاتُ إِلىٰ إِصلاحِ ذاتِ بينهم .

وفي سنةِ (١٣٤١هـ) وافقَ آلُ ٱلعيدروسِ بحضرموتَ ، وصارَ ٱلإِصلاحُ بينَ آلِ بورٍ وآلِ تاربه علىٰ أَنَّ لكلٍّ منهم قنصَ ٱلجبلِ ، وعلىٰ أَنَّ خُدَّامَهم يشتركونَ فيما يُدارُ فيهِ .

تَاربه

هيَ أَرضٌ واسعةٌ ، فيها قرىً كثيرةٌ ، أَكثرُها عن يمينِ ٱلذَّاهبِ مِنْ سيئونَ وٱلحُسَيِّسَةِ في ٱلطَّريقِ ٱلسُّلطانيَّةِ[1] ـ أَو ٱلعَبَاديَّة ـ إِلىٰ تريم ، وبعضُها عن يسارِهِ .

فأَمَّا ٱلَّتي عن يمينهِ : فأَوَّلُها قريةٌ يقالُ لَها : **ٱلسِّحِيلُ ٱلقِبليُّ** ، وكذلك يقال لها : **سِحِيلُ بدرٍ** ، يَعْنُونَ بدرَ بنَ عبدِ ٱللهِ بن عمرَ بنِ بدرٍ بوطويرق[2] .

وفي « **ٱلأَصلِ** » : أَنَّ ٱلمُلكَ كانَ لأَبيهِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ بنِ بدرٍ بوطويرق[3] ، فتنازلَ عنهُ في سَنةِ (١٠٢٤هـ) لأَخيهِ بدرِ بنِ عمرَ ، ولـٰكنَّ بدرَ بنَ عبدِ ٱللهِ هـٰذا وثبَ

---

(١) الطريق السلطانية هي التي عبّدها آل كثير لتصل السيارات بين سيئون وتريم .

(٢) المتوفى سنة (١٠٧٥هـ) . « تاريخ الدولة » (٧٤ـ٨٣) .

(٣) المتوفى بمكة سنة (١٠٤٥هـ) . « تاريخ الدولة » (٦٧ ـ ٦٨) .

في سَنةِ (١٠٥٨هـ) على عمِّهِ بدرِ بنِ عمرَ ـ وكانَ طغىٰ وبغىٰ ـ فجاءَتْ نجدةُ ٱلإمامِ ٱلمتوكِّلِ على ٱللهِ إسماعيلَ فهزمَتْهُ ، وردَّتِ ٱلمُلكَ لعمِّهِ ، وألقىٰ هو بنَفْسهِ في أَحضانِ قائِدِ ٱلجيوشِ ٱلمتوكليَّةِ ٱلصَّفيِّ أحمدَ بنِ ٱلحسنِ ، فأَرسلَهُ إلىٰ صنعاءَ ، فعفا عنهُ ٱلإمامُ ، ثمَّ عادَ وأَقامَ بسيئونَ إلىٰ أَنْ ماتَ في سَنةِ (١٠٧٥هـ) ، كذا بـ« **ٱلأَصلِ** » .

وٱلَّذي يظهرُ مِنْ هـٰذا : أَنَّهُ بعدَ رجوعهِ مِنْ صنعاءَ . . لم تطب نفسُهُ بٱلمقامِ في سيئونَ على ٱلذِّلَّةِ وٱلمهانةِ بعدَ ٱلمُلكِ وٱلعزَّةِ ، وعزَّ عليهِ أَن يتوجَّعَ لهُ صديقٌ أَو يشمَتَ بهِ عدوٌّ . . فٱبتنىٰ لَهُ داراً بهـٰذا ٱلسَّحِيلِ ، ولَم يُقِمْ بسيئونَ إلاَّ ريثما عَمَّرَ ٱلدَّارَ ، ثمَّ عَمَّرَ بشمالهِ مسجداً لا يزالُ معموراً إلى ٱليومِ ، وهوَ خارجٌ عن سورِ ٱلسَّحيلِ ٱلْقِبليِّ ، ومعَ ذلكَ فإنَّهم يُجمّعونَ فيهِ[1] .

وحِصْنُ بدرٍ ومسجدُهُ ـ حَسَبَما يقولُ ٱلشَّيخُ ٱلمعمِّرُ أَحمدُ بنُ عبُود ٱلزُّبيديُّ ـ أَوَّلُ ما بُنِيَ بتاربه ، وما كانت قَبْلَ ذلكَ ـ إذا ٱستثنينا سُمَل حَسَبَما يُعرفُ ممَّا يأتي فيها ـ إلاَّ مرعىً وبعضَ خيامٍ ينتجعُها ٱلعوامرُ إذا أَجدبَ نجدُهم وقلَّ عليهِمُ ٱلماءُ فيهِ .

أمّا في وقتِ ٱلخِصبِ . . فإنَّهم لا يقنعونَ بتاربه في جنبِ خيراتِهِ ٱلفائضةِ وأَراضيهِ ٱلخِصبةِ وكانَ للعوامرِ ـ في حاضرِهم وباديهم ـ شهامةٌ كما يقولُ حسَّانُ [في « ديوانِهِ » ٤٢٣ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

لَنَـا حَـاضِـرٌ فَعْـمٌ وَبَـادٍ كَـأَنَّـهُ شَمَـارِيـخُ رَضْـوَىٰ عِـزَّةً وَتَكَـرُّمَـا[2]

وَمِنْ سكَّانِ ٱلسَّحِيلِ هـٰذا جماعةٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ عيدروسِ بنِ سالمِ بنِ عمرَ بنِ ٱلحامدِ ٱبنِ ٱلشَّيخ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ ؛ منهُمُ :

ٱلسَّيِّدُ صالحُ بنُ أَحمدَ بنِ صالحٍ . وأَخوهُ سالمُ بنُ أَحمدَ بنِ صالحٍ .

فأَمَّا سالمٌ . . فبقيَ بٱلسَّحيلِ إلىٰ أَنْ ماتَ ، وخَلَّفَ أَولاداً ؛ منهُمُ : ٱلسَّيِّدُ

---

(١) **يجمعون فيه** : يصلُّون فيه الجمعة .

(٢) **فعمٌ** : كثيرٌ . **شماريخ رضوىٰ** : أعاليهِ .

عبدُ ٱللهِ بنُ سالمٍ ، بقيَ بمكانِ أَبيهِ ، إلاَّ أَنَّهُ يُكثرُ ٱلتَّردُّدَ إِلىٰ سيئونَ . وفي سَنةِ (١٣٦٤هـ) توفِّيَ بها لعشر مِنْ رمضانَ .

وأَمَّا ٱلسَّيِّدُ صالحُ بنُ أَحمدَ : فقدِ ٱنتقلَ إِلىٰ سيئونَ ، وكانت لَهُ يدٌ في خدمةِ ٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ ، وجَلْبِ ٱلعسكرِ لَهُم مِنَ ٱلصَّيعرِ ضدَّ يافعٍ . توفِّيَ بسيئونَ[1] ، ولَهُ بها أَولادٌ .

أكبرُهم وأغناهم : ٱلشَّهمُ ٱلغيورُ ٱلفاضلُ ، ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ صالحِ بنِ أَحمدَ ، جَمَعَ ثروةً من جاوة فوصلَ فيها ٱلأَرحامَ ، وأَطعمَ ٱلطَّعامَ ، وأَقرضَ ٱلمحتاجينَ ، وأَعانَ علىٰ نوائِبِ ٱلحقِّ ، وأَوصىٰ بما يُغِلُّ نحوَ ثمانِ مئةٍ وخمسينَ ربيَّةٍ لمثلِ ما كانَ يفعلُهُ مِنَ ٱلضِّيافةِ وٱلمعروفِ في حياتِهِ ، وكانَ يُنكرُ ٱلخرافاتِ وٱلدَّعاوي ٱلكاذبةَ ، ولمَّا واظبَ علىٰ حضورِ دروسي في « ٱلشَّمائِلِ ٱلنَّبويَّةِ » . . تأَكَّدَ ما بخاطرِهِ مِنْ ذلكَ ، فوافَقَني علىٰ إنكارِها وصارحَ بذلكَ ، فلحقَهُ شيءٌ يسيرٌ مِنْ فُضُولِ ما لَحِقَني مِنْ تعصُّبِ عشَّاقِ ٱلجاهِ ٱلمنفوخِ ، وٱلولايةِ ٱلمزيَّفةِ ، منها أَنَّهُ مِنَ ٱلمشارِ إِليهِم بقولِ ٱلعلاَّمةِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ محمَّدٍ ٱلحبشيِّ [من الكامل] :

حُجِبُـوا وَحَسْبُهُـمُ ٱلْحِجَـابُ عَـذَابُ ... يَـالَيْتَهُـمْ سَمِعُـوا ٱلنِّـدَا فَـأَجَـابُـوا

وٱلقياسُ : نَصْبُ (ٱلعذاب) ولٰكنَّهُ ٱرتفعَ .

ولولا ٱعتصامُهُ بِٱلثَّروةِ ـ وهيَ ٱلشَّافعُ ٱلمقبولُ في بلادِنا ـ . . لنالَهُ ما نالَني أَو أَكثرُ .

توفِّيَ بسيئونَ سنةَ (١٣٤٩هـ)[2] ، ورثاهُ جماعةٌ مِنْ أُدباءِ سيئونَ وشُعرائِها ؛ منهُم : ولدُهُ ٱلنَّجيبُ صالحُ[3] ، وٱلسَّيِّدُ عيدروسُ بنُ سالمٍ ٱلسَّوم ، وٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ شيخٍ ٱلمساوَىٰ .

---

(١) سنة (١٢٩٩هـ) .

(٢) وصدر كتيب صغير بعنوان : « فقيد سيئون » ، طبع بجاوة ، اشتمل على نبذة عن حياته والمراثي التي قيلت فيه .

(٣) صالح بن علي بن صالح الحامد (١٣٤٢ـ١٣٨٧هـ) ، ولد بسيئون ، وتربى في حجر والده ، وقرأ القرآن عند الشيخ عبد القادر باحميد ، وتفقه على السيد العلامة محمد بن هادي السقاف ، وتتلمذ =

وفي «مجموعةِ مراثيهِ» : أَنَّ لهُ ٱتِّصالاً بِٱلعلاَّمةِ ٱلسَّيِّدِ شيخانَ بنِ محمَّدٍ ٱلحبشيِّ .

وما أُراهُ إلاَّ وهماً ؛ لأَنَّ ٱلسَّيِّدَ شيخانَ توفِّيَ في رجبٍ مِن سنةِ (١٣١٣هـ) ، وٱلسَّيِّدَ عليَّ بنَ صالحٍ لم يَعُد مِن جاوة إلاَّ بعدَ ذلكَ بأكثرَ مِن سنتينِ عن غيبةٍ طويلةٍ ، كان في أَثنائِها ٱتِّصالُ ٱلسَّيِّدِ شيخانَ بسيئونَ .

وبِٱلسّحيلِ جماعةٌ مِن آلِ ٱلحبشيِّ ؛ من أَواخرِهم : ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلحبشيُّ ، وأَخوهُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ ـ أَصحابُ بير ٱلميرِ ٱلواقعةِ في شرقيِّ هـٰذا ٱلسّحيلِ وغربيِّ باعبدِ ٱللهِ ـ وطـٰه بنُ عليٍّ ، وأَخوهُ عبدُ ٱلقادرِ ، وكانت للثَّاني ثروةٌ جمعَها مِن سنغافورةَ ، ولـٰكنَّها تلاشت أَو كادت ، وكانَ وصلَ إِلىٰ حضرموتَ ، وجَرىٰ بينَهُ وبينَ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ بنِ سالمٍ بوفطيمٍ شِجارٌ ، فَشَجَّهُ حسينُ بنُ أَحمدَ بوفطيمٍ في رأسِهِ شجَّةً منكرةً ، فذهبَ يستنجدُ بِٱلعلاَّمةِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ محمَّدٍ ٱلحبشيِّ وآلِ أَحمدَ بنِ زينٍ ٱلحبشيِّ . . فلم ينفعهُ أَحدٌ ، ولـٰكنَّ ولدَهُ محمَّدَ بنَ عبدِ ٱلقادرِ ٱستعانَ ببعضِ ٱلعوامرِ ، فتسوَّر ـ وهم معه ـ ذاتَ ليلةٍ علىٰ حسينِ بنِ أَحمدَ وضربَهُ ضرباً مبرِّحاً وهوَ إِلىٰ جانبِ ٱمرأَتِهِ وكانت حاملاً فأَجهضَت ولم تطُل مدَّتها .

وسافرَ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ وولدُهُ محمَّدٌ إِلىٰ سنغافورة .

ثمَّ عادَ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ عليٍّ في حدودِ سنة (١٣٣٠هـ) إِلىٰ تريم ومعه أَهلٌ وأَولادٌ صغارٌ ، فتوفِّيَ وشيكاً ، ووصلَ ولدُهُ محمَّدٌ إِلىٰ تريمَ أَيضاً فأُوذيَ بها ، فعادَ إِلىٰ سنغافورة ، وٱستولىٰ علىٰ مالِ أَبيهِ فيها ، وتدخَّلَ آلُ ٱلكافِ ـ بتوكيلٍ مِنَ ٱلأَولادِ ٱلصِّغارِ وبعضِ ٱلنِّساءِ ـ وسعَوا في حبس محمَّدٍ ، فحبستهُ حكومةُ سنغافورة مدَّةً ، ثمَّ أَطلقتْهُ ، وصاحَ ٱلشَّيطانُ في تلكَ ٱلتَّركةِ ، فهلكت وهلكَ ٱلأَبناءُ كلُّهم إِلاَّ محمَّداً ،

= للمؤلف ، وأخذ في مهجره عن العلامة الإمام علوي بن طاهر الحداد . تردد على بلدان جاوة ومصر والحرمين ، وكان أديباً مطبوعاً ، نشرت له الصحف المصرية عدداً من أشعاره ، ومقالاته التاريخية القيمة ، له مؤلفات قيمة تقلد عدداً من المناصب الكبيرة في حضرموت ؛ منها : منصب مفتش المحاكم الشرعية ، وعضواً في محكمة الاستئناف العليا ، فمفتياً رسمياً للدولة الكثيرية . وكانت وفاته في (٦) ربيع الأول (١٣٨٧هـ) بسيئون ، رحمه الله .

وهوَ أَكبرُهم ؛ فإنَّه لا يزالُ بسنغافورة إلى ٱلآنَ .

ومنهمُ : ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدِ بنِ حسين ٱلحبشيُّ ، يجتمعُ معَ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱلقادرِ بنِ عليٍّ في محمَّدِ بنِ حسينٍ ٱلحبشيِّ وجدَ بجاوة في حدودِ سنةِ (١٢٨٦هـ) ، وخرجَ إِلىٰ حضرموتَ سنةَ (١٢٩٨هـ) ، وأَخذَ عن أَراكينِها ، وأَقامَ مدَّةَ خمسِ سنواتٍ ببور يطلبُ ٱلعلمَ ويتردَّدُ إِلىٰ مدائنِ حضرموتَ للأَخذِ وٱلتَّلقِّي ، ثمَّ عادَ إِلىٰ جاوة وحجَّ أَربع مرَّاتٍ : ٱلأُولىٰ سنةَ (١٣١١هـ) ، وٱلثَّانيةَ سنةَ (١٣٤٨هـ) ، وٱلثَّالثةَ سنةَ (١٣٥٤هـ) ، وٱلرَّابعةَ سنةَ (١٣٦٧هـ) .

وبيني وبينَهُ ودٌّ وإِخاءٌ ، ولبسَ منِّي ولبستُ منهُ ، ولا يزالُ لهُ بجاوةَ شأنٌ عظيمٌ ، ولهُ لسانٌ في ٱلوعظِ بٱللُّغةِ ٱلجاويَّةِ ، وٱنتفعَ بهِ خلائقُ ، وأَسلمَ علىٰ يدهِ كثيرٌ ، ولا يزالُ ناشراً ٱلدَّعوةَ إِلى ٱللهِ ، وأَهلُ ٱلرَّابطةِ ٱلعلويَّة ينتفعونَ بجاهِهِ ، ويأخذون بهِ إِلىٰ مساعدتِهم بٱلحياءِ ، وإِلاَّ . . فإِنَّهُ لم يسلك فجَّهم في ٱلتَّفرقةِ بينَ ٱلحضارمِ ، ولهُ تواضعٌ وخُلُقٌ حسنٌ ، ودمعةٌ غزيرةٌ ، مَدَّ ٱللهُ في حياتِهِ علىٰ خيرٍ .

وبٱلسِّحِيلِ أَيضاً جماعةٌ مِنَ ٱلمشايخِ ٱلزُّبيديِّينَ ، منهُمْ : ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ عبُودِ بنِ عيسى بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ تميمٍ ٱلزُّبيديُّ ، كانَ عاقلاً ، أَصيلَ ٱلرَّأْيِ ، لَهُ يدٌ في ٱلطِّبِّ ٱلحضرميِّ ، يوافقُهُ ٱلتَّوفيقُ في كثيرٍ مِنَ ٱلمعالَجاتِ ، توفِّيَ سَنةَ (١٣٢٥هـ) .

وأَصلُهم مِنْ حَوطةِ سلطانةَ ، فٱنتقلَ جدُّهُم عبدُ ٱللهِ بنُ تميمٍ ـ مِنْ جَوْرٍ حصلَ عليهِ مِنْ يافعٍ ـ إِلىٰ عَرْض عبدِ ٱللهِ ببور ، ثمَّ ٱنتقلَ إِلىٰ تاربه ، وحفرَ بها مئةً وستِّينَ بئْراً ، غرسَها بٱلنَّخيلِ ، وٱلوثائِقُ ٱلموجودةُ بينَ آلِ تاربه ناطقةٌ ـ حَسَبَما يُقالُ ـ بأَنَّ تلكَ ٱلآبارَ لَم تَنتقلْ إِلىٰ ملاَّكِها إِلاَّ بٱلشِّراءِ منهُ ، أَو مِنْ ورثتهِ . وكانَ ٱنتقالُهُ إِلىٰ تاربه في حدودِ سَنةِ (١٠٩٠هـ) .

وبٱلسِّحِيلِ مسجدٌ صغيرٌ ، بناهُ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ سالمِ بنِ أَحمدَ ٱلحامدُ في جانبهِ ٱلجنوبيِّ ـ وهو غير جامعِ بدرٍ ٱلَّذي بٱلشَّمالِ ـ وفيهِ جماعةٌ مِنَ ٱلعوامرِ آلِ خميسٍ ، كانَ بينهم في ٱلوقتِ ٱلأَخيرِ رجلٌ لَهُ نجدةٌ ووفاءٌ ، يقالُ لَهُ : سالمُ بنُ عُويَضٍ ، قُتلَ غِيلَةً في حدودِ سَنةِ (١٣٣٣هـ) .

وفي جنوبِ ٱلسَّحيلِ : **حراد** ، وهوَ موضعٌ بسفحِ جبلٍ ، فيه قريةٌ صغيرةٌ ، وأَكثرُ أَرضهِ إِلى ٱلآنَ لمقامِ ٱلشَّيخةِ سلطانةَ بنتِ عليٍّ ٱلزُّبيديَّة .

وسكَّانُهُ : آلُ سيفٍ مِنَ ٱلعوامرِ ، ينتسبونَ إِليها بٱلخدمةِ ، وكانَ فيهم رجالٌ يهابونَ ٱلعارَ ، ولا يُبالونَ طَعْنَ ٱلشِّفارِ ، لا تَحُلُّ حِباهُمُ ٱلخطوبُ ، ولا تَعرفُ وجوهُهُمُ ٱلقطوبَ ؛ مِثلُ ٱلشَّيخِ هادي بنِ سيفٍ ، فلقد كانَ ينطبقُ عليهِ قولُ لقيطٍ ٱلإِياديِّ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

لاَ يَمْـلأُ ٱلْهَـوْلُ قَلْبِـي قَبْـلَ مَـوْقِعِـهِ ... وَلاَ أَضِيـقُ بِـهِ صَـدْراً إِذَا وَقَعَـا

ولَهُ ولابنهِ عليِّ بنِ هادي ذِكرٌ كثيرٌ في حروب ٱلدَّولةِ آلِ عبدِ ٱللهِ معَ ٱلقعيطيِّ ويافع .

وفيها ناسٌ مِنَ ٱلحرَّاثينَ آلِ عبدِ ٱلشَّيخِ ٱلمنتشرينَ بقرىٰ تاربةَ ونخيلِها ؛ ومنهمُ ٱلرَّجلُ ٱلصَّالحُ سالمُ عبدِ ٱلشَّيخِ ، لهُ عملٌ مبرورٌ ، وسعيٌ مشكورٌ ، وتواضعٌ جَمٌّ مذكورٌ .

وفي جنوبِ حرادٍ : **وادي عبدِ ٱللهِ بنِ سَلْمان** ، سُكَّانُهُ حرَّاثونَ . ثمَّ : **حصنُ ٱلدَّولةِ** آلِ جعفرِ بنِ أَحمدَ .

ثمَّ : **غنيمهْ** ، وهيَ مسكنُ آلِ أَحمدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عليِّ بنِ بدرِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ بنِ بدرٍ بوطويرق ، ولأَحمدَ بنِ مُحَمَّدٍ هـٰذا أَربعةُ أَولادٍ : جعفرٌ ، وعبدُ ٱللهِ ٱنقرضا عنِ ٱلذُّكورِ . ومحسنُ بنُ أَحمدَ ، وهوَ والدُ ٱلسُّلطانِ غالبِ بنِ محسنٍ ، وأَخيهِ عبدِ ٱللهِ . وعليُّ بنُ أَحمدَ والدُ أَصحابِ قيطعٍ .

ولأَحمدَ بنِ مُحَمَّدٍ هـٰذا إِخوان أَربعةٌ : يقالُ لأَحدِهم : صالحُ بنُ مُحَمَّدٍ ، ولَهُ أَولادٌ ؛ منهُم : ٱلسُّلطانُ عبدُ ٱللهِ بنُ صالحٍ ، ٱلشُّجاعُ ٱلموفَّقُ ٱلمشهورُ . وللثَّاني : سالمُ بنُ مُحَمَّدٍ ، والدُ عبُودِ بنِ سالمٍ . وللثَّالثِ : حسنُ بنُ محمَّدٍ ، وهوَ جدُّ حسنِ بنِ عمرَ بنِ حسنِ بنِ محمَّدٍ . وللرَّابعِ : جعفرُ بنُ محمَّدٍ ، وهوَ أَبو سعيدِ بنِ جعفرٍ ، والدِ أَحمدَ بنِ سعيدٍ ، وعليِّ بنِ جعفرٍ والدِ منصورِ بنِ عليٍّ .

ثمَّ إِنَّ أَحمدَ بنَ مُحَمَّدٍ أو والدَهُ مُحَمَّداً فارقَ غنيمهْ ، وسكنَ علىٰ مقربةٍ مِنْ قارةِ

ٱلشّناهز ، وكانَ بها جماعةٌ مِنْ آلِ عبدِ ٱلودودِ ، فصهرَ إليهم أحمدَ بنَ مُحَمَّدٍ ، وبقيَ يقطعُ ٱلطَّريقَ ويُخيفَ ٱلسَّابلةَ حتَّىٰ تابَ علىٰ يدِ ٱلحبيبِ إسماعيلَ بنِ أحمدَ ٱلعيدروسِ ، وعادَ بأَمرِهِ إلىٰ وادٍ في تاربه ، ولهـٰذا ٱلسَّببِ بقيَ عندَهُ وعندَ أعقابِهِ ٱحترامٌ لآلِ إسماعيلِ

ومِنْ وراءِ غنيمه جنوباً : **غيلُ بدرِ بنِ عبدِ ٱللهِ** بنِ عمرَ بنِ بدرٍ بوطويرق ، وعندَهُ آثارُ ديارٍ صغيرةٍ .

ومِنْ ورائِهِ : مكانٌ لآلِ خميسٍ ، يقالُ لَهُ : **حَرِيز**[1] ، وهوَ منبعُ عيونِ ماءٍ تدفعُ إلىٰ غيلِ بَدْرٍ .

سِحِيلُ مِحْسِنٍ ، وعندما يرجعُ ٱلذَّاهبُ مِنْ وادي تاربه إلىٰ جهةِ ٱلشمالِ . . يجدُ دياراً بسفحِ ٱلجبلِ ٱلشَّرقيِّ ، فيها جامعٌ كبيرٌ ، يقالُ لتلكَ ٱلدِّيارِ : سِحِيلُ محسنٍ ، نسبةً إلى ٱلسَّيِّدِ محسن بن حسينٍ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ . وبها كانَ يَسكنُ ٱلشَّيخُ أَبو بكر بنُ سعيدٍ ٱلزُّبيديُّ ٱلسَّالفُ ذِكرُهُ في حوطةِ سلطانةَ .

ومِنْ سكَّانِها : آلُ عبدِ ٱلباقي ٱلعامريُّونَ ؛ منهُم : آلُ كرتم ، كانَ مِنْ آخِرِهم : ٱلشَّيخُ بخِيتُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ كرتم ، رجلٌ لَهُ شهامةٌ ومروءَةٌ .

ومنهم : ناصرُ بنُ عوضِ بنِ عبيدٍ قاتلُ ٱلسَّيدِ بوبكر بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ظلماً حَسَبَما يأتي قريباً في باعبد ٱلله ، ولهُ أَخٌ مِن أَحسنِ ٱلنَّاسِ سيرةً ، وأَصفاهم سريرةً ، وهو سالمينَ بنُ عوضٍ ، لهُ أَعمالٌ مشكورةٌ ، منها تأْسيسُ مدرسةِ ٱلرِّياضةِ ٱلعربيَّةِ بممباسا ، وقيامُهُ بمصالِحِها ، وهوَ ٱلرَّئيسُ ٱلأَوَّلُ لها ، ويعاونُهُ ٱلشَّيخُ صالحُ بنُ عليٍّ باكثيرٍ على ٱلتَّدريسِ فيها .

وقريباً مِنْ سحيلِ محسنٍ كانَ يَسكنُ ٱلشَّيخُ صالحُ بنُ عائِضِ بنِ جخيرٍ وأُسرتُهُ آلُ جخيرٍ ، وهوَ رجلٌ مِنْ لهاميمِ[2] ٱلعربِ ، يهابُ ٱللَّومَ ، ولا يُبالي كَثُرَت أَم قلَّتِ

---

(١) وهو غير حريز موضع بالكسر ينسب للإمام أحمد بن حسن العطاس ، وفيه أملاك وأراض واسعة له .

(٢) **اللّهاميم** : السّابقون في الجود ، مفردها : لِهميم .

ٱلقومُ ، يُغلي الكلامَ ، ويوفي ٱلذِّمامَ ، وقلَّ أنْ تُنجبَ مِثلَهُ ٱلأَيَّامُ ، لا ينامُ عَن ثار ، ولا يعلقُ بهِ ٱلعار .

أَخُو ٱلْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ ٱلْحَرْبُ عَضَّهَا وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا ٱلْحَرْبُ شَمَّرَا[1]

ولَهُ أَخبارٌ جميلةٌ ، ذكرنا بعضَها في « **ٱلأصلِ** » . ولَهُ محبَّةٌ في ٱلصَّالِحينَ وأَهلِ ٱلعِلْمِ ، توفِّيَ حوالي سَنةِ (١٣٣٣هـ) .

وفي شمالِهم : **ديارُ آلِ مَطْرفٍ مِنَ ٱلحَطَاطبةِ**[2] ، كانَ لَهم تعلُّقٌ بٱلسَّادةِ آلِ خيله وٱنتسابٌ إِليهم بٱلخدمةِ .

ومنهُم : عبُودٌ ومُحَمَّدٌ ٱبنا سَلاَمةَ بنِ مَطْرفٍ ، كانت لَهُم ثروةٌ ، حتَّىٰ إِنَّهُ يُذكَرُ أَنَّهُم أَعانوا ٱلسُّلطانَ ٱلكثيريَّ في تجهيزِهِ على ٱلشِّحرِ سَنةَ (١٢٨٣هـ) .

باعَبْدَ ٱللهْ

هوَ في شرقيِّ ٱلسِّحيلِ ٱلقِبليِّ بيسيرٍ مِنَ ٱلانعطافِ ، وهيَ عاصمةُ تاربه ، ويقالُ لَها : باعَبْدَ ٱللهْ ؛ لأَنَّ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱللهِ بنَ تميمٍ باعَها في أَوَّلِ ما باعَ مِن أَرضِ تاربه ، فقيلَ : باعَ عبد ٱللهْ ، ثمَّ سقطتِ ٱلعينُ بٱلتَّدريجِ وتداولتهُ ٱلأَلسنُ حتَّىٰ صارَ عَلماً عليها ، ويتأَيَّدُ هـٰذا بما سبقَ عنِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ تميمٍ في ٱلسِّحيلِ ٱلقبليِّ . وقيل : وعليهِ ٱلأَكثرُ ؛ لأَنَّ أَوَّلَ مَن تديَّرَها مِنْ أَعقابِ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ ـ صاحبِ ٱلطَّاقةِ ـ ٱبنِ أَحمدَ بنِ حسينٍ ٱلعيدروس . . هو ٱلسَّيِّدُ ٱلجليلُ عَلَويُّ بنُ أَحمدَ ، وبها توفِّيَ سَنةَ (١١١٩هـ) ، فنُسبتْ إِليهِ ـ لأَنَّ جدَّهُ عبدُ ٱللهِ ـ أَي : قريةُ ٱبنِ عبدِ ٱلله ، ومثلُ هـٰذا ولا سيَّما في دوعنَ كثيرٌ ، كذا سمعتُه وهو معقولٌ .

وَمِنْ ذرِّيَّتِهِ آلُ عمرَ بنِ زينٍ ، وآلُ جعفرٍ ، ومنهُمُ : ٱلسَّيِّدُ بوبكرِ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ جعفرٍ ، ٱلمقتولُ ظلماً بجامِعها ليلةَ (٢٧) مِنْ رمضانَ ، سَنةَ (١٣٥٩هـ) ، قتلَهُ

---

(١) البيت من الطَّويلِ ، وهو لحاتم الطَّائي في « ديوانه » (١٠٩) .

(٢) آل مطرف هؤلاء غير آل بامَطْرف القنازلة الكنديين السابق ذكرهم في المكلا والقطن .

ناصرُ بنُ عوضٍ أَحدُ آلِ عبدِ ٱلباقي وٱلجامعُ مملوءٌ بٱلنَّاسِ وبجماعاتٍ مِنْ كلِّ قبائِلِ ٱلعوامرِ ، ولَم تَحبِقْ في ذلكَ شاةٌ! وٱلعوامرُ يعتذرونَ عن ذلكَ بأَنْ ليسَ لهم وجهٌ بعدما بَسَطت نفوذَها عليهمُ ٱلحكومةُ ٱلكثيريَّةُ بٱلقوَّةِ ٱلإنكليزيَّةِ .

وقد هربَ ٱلقاتلُ إِلىٰ نَجْدِ ٱلعوامرِ حيثُ تزوَّجَ وتبسَّط على ٱلأَمانِ ، وبقيَ يتردَّدُ إِلىٰ دارِهِ بتاربه أَوَّلاً في ٱلسِّرِّ ، ثمَّ تعالَنَ في ذلكَ . ويقالُ : إِنَّ ٱلحكومةَ ٱلكثيريَّةَ جدَّتْ في طلبِهِ ، فلَم تَقدرْ عليهِ ، وبإِثرِ ذلكَ ركبَ إِلى ٱلسَّواحلِ ٱلإِفريقيَّةِ عن طريقِ سيحُوت .

ومِنْ ذرِّيَّتِهِ بها : آلُ محضارٍ ، وآلُ إِسماعيلَ بنِ أَحمدَ ، وهـٰؤلاءِ هُم مناصبُها وأُمراؤُها ، وكانَ لَهُمُ ٱلضِّلعُ ٱلأَقوىٰ في ٱلفتنةِ ٱلَّتي قامت بتريم سَنةَ (١١٦١هـ) بسببِ تابوتِ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ؛ فإِنَّ آلَ عيدروس جدُّوا في مَنْعِهِ ومعَهُم آلُ جابرٍ ، وآلُ ٱلحدَّادِ صمَّموا علىٰ وضعِهِ ومعهُم آلُ كثيرٍ ومنصبُ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ ، وأَمَّا يافعٌ . . فمفترقونَ ومواربونَ ، وكانتِ ٱلنَّتيجةُ أَنَّ ٱلتَّابوتَ وضعَ علىٰ قبرِ ٱلحدَّادِ ثمَّ أُحرقَ ، ثمَّ رُمِّمَ ، ثمَّ وضعَ ، ثمَّ أُزيلَ ، ولذلكَ حديثٌ طويلٌ مستوفىً بـ« **ٱلأَصلِ** » .

ومِنْ آخرِ مناصبِ آلِ إِسماعيلَ بنِ أَحمدَ : ٱلمنصبُ ٱلجليلُ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ حسينٍ ، كانَ شهماً شجاعاً ، محبّاً للعلماءِ ، كثيرَ ٱلبرِّ بأُمِّهِ ، لَهُ معَ ٱلمنصبِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱلقادرِ بنِ سالمٍ مداعباتٌ ومفاكهاتٌ ، تشهدُ بسلامةِ ٱلصُّدورِ وٱلبُعْدِ عنِ ٱلتَّصنُّعِ وٱلتَّنطُّعِ وٱلتَّكلُّفِ ، وكانَ بينَهُ وبينَ ٱلعلاَّمةِ ٱلجليلِ ٱلسَّيِّدِ أَبي بكرِ بنِ شهابٍ مشاحنةٌ يوسِّعُها ٱلعلويُّونَ توسيعاً هائِلاً ؛ كِياداً لابنِ شهابٍ وحسداً لَهُ ؛ إِذ كانَ لِلمنصبِ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ حسينٍ إِذ ذاكَ نفوذٌ كبيرٌ على ٱلدَّولةِ آلِ عبدِ ٱللهِ بسيئونَ وتريم ، وعلىٰ آلِ جابرٍ وعلىٰ كثيرٍ مِنَ ٱلعوامرِ ، وضالَّةُ ٱلعلويِّينَ إِذ ذاكَ : أَذيَّةُ ٱلعلاَّمةِ ٱبنِ شهابٍ ومضايقتُهُ وإِهانتُهُ ، فأَذكوا نارَ ٱلعداوةِ بينَهُ وبينَ ٱلمنصبِ ٱلمذكورِ حتَّىٰ لحقَهُ كثيرٌ مِنَ ٱلأَذىٰ ، فلَم يَكُنْ مِنِ ٱبنِ شهابٍ إِلاَّ أَنْ جاءَ ليلةً بخِفَارةٍ قويَّةٍ إِلىٰ دارٍ للشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سعيدٍ ٱلزُّبيديِّ في سحيلِ محسنٍ ـ وكانَ لَهُ صديقاً ـ وخفَّا مِنْ آخرِ ٱللَّيلِ إِلىٰ جامعِ باعبْدَ ٱللهْ حيثُ كانَ ٱلمنصبُ يتهجَّدُ هناكَ ، فتصافحا وتعانقا وتباكيا ، وٱستحالتِ ٱلصَّهباءُ[1] ، وصارَ ٱلمنصبُ مِنْ أَكبرِ أَصدقاءِ

---

(١) **استحالت** : تحوَّلت . **الصَّهباءُ** : الخمر . والمفعول محذوف معلوم بالضرورة ؛ أَي : خَلاًّ . وفي=

ٱلعلاَّمةِ ٱبنِ شهابٍ ، وترافقا في سفرةٍ لَهما مِنْ حَضْرَمَوْتَ إِلى ٱلشِّحْرِ ، ثمَّ إِلىٰ عدنَ ، ثمَّ إِلىٰ لَحْج .

توفِّيَ ٱلمنصبُ في سَنةِ (١٣٢٥هـ) ، وخَلَفَهُ ولدُهُ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ ، وَكان سليمَ ٱلبالِ أَبيضَ ٱلسَّريرةِ ، توفِّيَ في سَنةِ (١٣٤٩هـ) .

وفي سَنةِ (١٣٤٢هـ) نشرَ ٱلشَّرُّ أُذنَيهِ بينَ آلِ تريمَ وآلِ ٱلعيدروسِ ، بسببِ أَنَّ آلَ ٱلعيدروسِ أَرادوا بناءَ حصنٍ إِلىٰ جانبِ حصنِهِمُ ٱلمُسمَّىٰ بحصنِ ٱلعزِّ ، في حدِّ ثِبي ٱلشَّماليِّ ، فمنعَهم آلُ تريمَ ، فغضبَ لذلكَ ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينٍ ووافقَهُ أَكثرُ آلِ ٱلعيدروسِ ، وٱشتعلَتِ ٱلفتنةُ ، ثمَّ سُوِّيتِ ٱلقضيَّةُ في سنةِ (١٣٤٤هـ) علىٰ يدِ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ ٱلمِحضَارِ ، فقضىٰ بهدمِ بعضِ ٱلحصنِ ٱلجديدِ ، وإِلىٰ ذلكَ ٱلإِشارةُ بقصيدَتي ٱلمُسْتَهلَّةِ بقولي [مِن ٱلطَّويلِ] :

عَلَى ٱلعِزِّ يَبْكِي مِلْءَ عَبْرَتِـهِ ٱلنَّـاعِي هَـوَىٰ حِصْنُـهُ يَـا وَيْـحَ بَـانٍ وَصُنَّـاعِ

ولها قصَّةٌ طريفةٌ مستوفاةٌ ـ معَ أَخبارِ تلكَ ٱلحادثةِ ـ بـ« **الأَصلِ** » ، وفي ديباجةِ ٱلقصيدةِ مِنَ ٱلدِّيوانِ .

توفِّيَ ٱلمنصبُ ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ حسينٍ في سنةِ (١٣٥٤هـ) ، وٱختُلِفَ فيمن يتولَّىٰ بعدَهُ ، فٱلسُّلطانُ عليُّ بنُ منصورٍ رَشَّحَ لها ٱبنَهُ محمَّداً ، ٱلمُلَقَّبَ بـ : (ٱلفاخرِ) ، وكانَ شهماً ، إِلاَّ أَنَّهُ غائبٌ بجاوة ، فأَرادَ أَن ينوبَ عنهُ أَخوهُ إِلىٰ وصولِهِ .

ولـٰكنَّ آلَ ٱلعيدروسِ أَسندوا ٱلمَنصَبَةَ إِلى ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينٍ ٱلعيدروسِ .

ثمَّ لمَّا توفِّيَ . أَسندوها إِلىٰ أَخيهِ ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينٍ ، وهوَ ٱلَّذي عليها ٱليومَ ، إِلاَّ أَنَّهُ ضَعُفَ نفوذُهم ـ كما قدَّمنا في بورٍ ـ بمضايقةِ ٱلحكومةِ لهم .

وفي باعَبْدَ ٱللهْ جماعةٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ بنِ عليِّ بنِ ٱلحسنِ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي

= هـٰذا كناية عن تبدُّل الأَمر من السَّيِّء إِلى الأَحسن . كما تقول : تحوَّلت الخمر خلاًّ .

بكرِ بنِ سالمٍ ، يقالُ لَهُم : آلُ بوفُطَيمْ ؛ منهُمْ : ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ سالمٍ[1] ، وكانَ شهماً غيوراً ، أَبيَّ ٱلضَّيمِ ، قويَّ ٱلنَّفسِ .

وكانَت لديهِم ثروةٌ في ٱلمالِ وٱلرِّجالِ ، فبدا لَهُم أَنْ يَبتنوا مسجداً بفناءِ دُورِهم ٱلضَّخمةِ في سَنةِ (١٣٠٧هـ) ، ولمَّا شَرعوا فيهِ . . منعَهُمُ ٱلسَّادةُ آلُ ٱلعيدروسِ ، وتَداعوا لِلقتالِ وٱستعانَ آلُ ٱلعيدروسِ بآلِ كثيرٍ ، وجاءَ ٱلشَّيخُ عائضُ بنُ سالمينَ في جمهورٍ منهم بصورةِ ٱلمساعدينَ لهم ، ولمَّا وصلوا تاربه . . ٱستقبلَهم أحدُ ٱلعوامرِ ٱلَّذينَ في جانبِ آلِ بو فطيمٍ بقولِهِ :

حيا بكم يا أهل النَّكَفْ يا أهل الطرفْ يــا ٱللّــي تهــابــون المعــار
أن لا تِقــدَّى العيــدروســي واعتــرَف بــانحــرق الســوادي بنــار

فقالَ عائضٌ : أَجيبوهُ ، فأَجابَهُ سعيدُ بنُ محمَّدِ بنِ عمرَ بنِ عليٍّ ـ ٱلَّذي لا يزالُ حتَّى ٱلآنَ موجوداً ـ بقولِهِ :

يـا حـاز أنْ بَخـزيـك يـاذِيـب أفتنـي يـا زاهـد المعنـى وحـرف الافتكـار
عُـود الـدَّقَـلْ صـاري مَعـا غُبـة قَمَـر حـافِظ على ٱلسنبـوق مـن دَقِّ القشـار

ثمَّ إنَّ آلَ بوفطيم أَرضَوا عائضَ فأَخذَ يهوِّلُ علىٰ آلِ ٱلعيدروسِ بأَنَّ منعَ بناءِ مسجدٍ مِنَ ٱلمنكراتِ ـ ولم يدرِ حكمَ ذلكَ ٱلَّذي قرَّرناهُ في « **ٱلأَصلِ** » ـ ثمَّ إِنَّهُ ٱنصرفَ ولم ينفع آلَ ٱلعيدروسِ بشيءٍ ، وما زالتِ ٱلقضيَّةُ تتعقَّدُ حتَّىٰ توسَّطَ سيِّدي ٱلأُستاذُ ٱلأَبرُّ عيدروسُ بنُ عمرَ ، فسوَّى ٱلمسأَلةَ علىٰ أَنْ يكونَ مسجداً صغيراً لا يزيدُ عن عمودينِ ، فسكنَ ٱلشَّرُّ ، وفَرغوا مِنْ بنائِهِ سَنةَ (١٣٠٨هـ) ، فكانَ تاريخُهُ : (مسجد ضرارٍ) .

ثمَّ نجَمَ ٱلشَّرُّ بينَهُم مرَّةً أُخرىٰ يومَ ٱلعيدِ في ٱلجامعِ ، فتضاربوا بٱلعِصِيِّ ، وكانَ ما فصَّلناهُ بـ« **ٱلأَصلِ** » .

ثمَّ ضَعُفَ أَمرُ آلِ بوفُطَيم ، فقلَّتْ رِجالُهُم ، وتبدَّدتْ أَموالُهم .

ومِنَ ٱللَّطائفِ : أَنَّ أَحدَ ٱلزُّعماءِ مِنَ ٱلعلويِّينَ ـ بمرأَىً منِّي ومسمعٍ ـ أَطالَ في

(١) ذكره العلامة المشهور في « الشمس » (١/ ٢٧٥) .

تهضُّمِ آلِ بوفطيمٍ ، وٱلحطِّ مِنهُم بحضورِ بعضِهِم ، فٱنبريتُ لَهُ وقلتُ :

أَمَّا تَكَنِّي جدِّهِم ببو فُطَيمٍ فشرفٌ لَهُم ، وقدِ ٱكتنى ٱلنَّبيُّ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ بفاطمةَ .

وأَمَّا ٱلتَّصغيرُ . . فما هوَ إلاَّ أَدبٌ معَ جدِّهم وجدَّتِهِم فاطمةَ ٱلزَّهراءِ . فٱنقطعَ .

ومِنْ وراءِ باعَبْدَ ٱللهْ إِلىٰ جهةِ ٱلشَّرقِ عن يمينِ ٱلذَّاهبِ إِلىٰ تريم أَيضاً دارٌ صغيرةٌ لآلِ كَلِيلةَ ، تقابلُ دارَهُم ٱلأُخرى ٱلَّتي عنْ يسارِ ٱلذَّاهبِ إِلىٰ تريم .

ومِنْ ورائِها : دارٌ لآلِ بو فطيمٍ . ومِنْ ورائِها : **قريةُ شَرْمه** . وأَمَّا عن يسارِ ٱلمنحدرِ إِلىٰ تريم : فأَوَّلُ ما يكونُ : **مكانُ آلِ كرتم** .

ثمَّ : **كسَاحُ** ، مساكنِ آلِ سالمٍ مِنَ ٱلحطاطبةِ . ثمَّ : **مكانُ آلِ غريبٍ** ، وهُم وآلُ خميسٍ أَهلُ ٱلسَّحيلِ ٱلقِبليِّ ينتسبونَ إِلىٰ رجلٍ واحدٍ . ثمَّ : **مكانُ آلِ جعفرٍ** .

وقد سَبَقَ في ٱلقارةِ أَنَّ شنبلَ لا يُطلِقُ لقبَ ٱلشَّنافرِ إلاَّ علىٰ آلِ عبدِ ٱلعزيزِ ، وقد تشكَّكْتُ هل يعني آلَ ٱلقارةِ أَم ٱلعوامرَ ؟ ثمَّ رجَّحتُ ٱلثَّانيَ ، ويتأَكَّدُ بما ٱتَّفقَ عليهِ جماعةٌ مِنْ معمِّري ٱلعوامرِ ـ تلقَّوه عن آبائِهم وهلمَّ جراً ـ منهُم : ٱلشَّيخُ عوضُ بنُ رُبيّع بنِ سيفٍ ، وناصرُ بنُ ٱلضَّبِّ ، وصالحُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ غريبٍ ـ وهوَ : أَنَّ جدَّهُم عاشَ معَ ٱلوحوشِ فلَم يَعرفِ ٱلكلامَ ، وما كادَ أَهلُهُ يقدرونَ عليهِ إلاَّ بعدَ لأْيٍ ما ، وعندما قَدروا عليهِ . . أَمسكوهُ ، وما زالوا بهِ حتَّىٰ أَنِسَ بهم ، ولَم يَتكلَّمْ حتَّىٰ رأى ٱلشَّنَّةَ[1] ٱنشقَّتْ فقال : (ٱلشَّن ٱنفرىٰ) ، ولمَّا كانت هيَ أَوَّلَ كلمةٍ نَطَقَ بها . . أَطلقوها عليهِ ، ثمَّ غيَّروها قليلاً وقالوا : (ٱلشَّنفري) .

هٰذا هوَ جدُّ ٱلعوامرِ ، وفيهِ ردٌّ لِما طرقَ سمعي أَخيراً عن بعضِ ٱلمجلاَّتِ ٱلمصريَّة أَنَّ مَنْ لَم يعرفِ ٱلكلامَ لبُعدِهِ عنِ ٱلنَّاسِ . . يموتُ .

ولا يبعدُ أَنْ يكونَ ٱلعوامرُ مِنْ أَعقابِ سُمَلٍ ٱلَّذي صهرَ إِليهِ جدُّنا عبيدُ ٱللهِ بنُ

---

(١) **الشَّنَّة** : قِربة الماءِ .

أحمدَ ، وكانَ مثرى ٱلعوامرِ بِٱلنَّجْدِ[1] ، وكانوا منتشرينَ فيهِ وفي وبارِ إِلىٰ أَرضِ عُمَانَ ، ولا يزالُ بمشارفِ عُمَانَ ـ كما سبقَ في حصنِ ٱلعوانزه ـ منهُمُ ٱلعددُ ٱلكثيرُ إِلى ٱلآنَ .

وقد مرَّ أَوائلَ هـٰذهِ ٱلمسوَّدةِ أَنَّ تاربه لَم تَكُنْ إِلاَّ مراعيَ ينتجعُها ٱلعوامرُ إِذا أَجدبَ نَجْدُهُم ، ثمَّ تحضَّرَ بعضُهُم وٱبتنوا بها ٱلدِّيارَ ، وشَيَّدوا ٱلحصونَ ، ولَهُم أَقوالٌ في أَنسابِهِم تُخالفُ ما ذكرَهُ غيرُهُم ؛ مِنها : أَنَّ رجلاً يقالُ لَهُ : مُحَمَّدٌ ، ولدَ أَربعةَ رجالٍ :

ٱلأَوَّلُ : عبدُ ٱللهِ ، وهوَ جدُّ ٱلدَّولةِ آلِ عبدِ ٱللهِ ، وآل عبدِ ٱللهِ ٱلعوينيِّينَ ، وهُم : آلُ منيباري ، وآلُ جعفرِ بنِ بدرٍ .

وٱلثَّاني : بدرٌ ، وهوَ جدُّ آلِ كثيرٍ ، ويؤَيِّدُهُ إِصفاقُهُم علىٰ أَنَّهُم آلُ بدرِ بنِ مُحَمَّدٍ .

وٱلثَّالثُ : جابرٌ ، وهوَ جدُّ آلِ جابرٍ .

وٱلرَّابعُ : عامرٌ ، وهوَ جدُّ ٱلعوامرِ . وكانَ في ٱلعوامرِ كثرةٌ ، ولـٰكنْ أَخذتْ حاضرتَهُمُ ٱلأَسفارُ وٱلحروب ، وباديتَهُمُ ٱلجدوبُ وٱلغاراتُ ، فلا يزيدُ أَهلُ نَجْدِهِم عن مئتَينِ وخمسينَ رجلاً ، كما لا تزيدُ حاضرتُهُم عن مئتَينِ وعشرينَ رجلاً .

شَرْمَه[2]

هيَ قريةُ ٱلكسابيبِ مِنَ ٱلعوامرِ ، ولَهُم بها مسجدٌ يُجمّعُونَ فيهِ .

وكانَ بِٱلأَخير فيهِم رجلٌ نجدٌ ثقةٌ ، يقالُ لَهُ : هادي بنُ بِخيت ، ثقلَ علىٰ بعضِ منافسيهِ رُجْحَانُ كفَّتهِ عليهِ ، وٱنضمَّ إِلىٰ ذلكَ أَنَّ بعضَ أَهلِ ٱلثَّروةِ حملَهُ علىٰ قَتْلهِ . فَلَم يَقدرْ ، فأَغرىٰ بهِ ٱبنَ عمٍّ لَهُ صغيراً فقتلَهُ علىٰ غِرَّةٍ ، ونضخَ دمُهُ في ثيابِ أَحدِ ٱلكسابيبِ ، فتقنَّعَ وأَنكرَ مِنْ شهودهِ ٱلقتلَ .

---

(١) **نجد العوامر** : يقع غربيَّ نجد المناهيل ، وشمال وادي حضرموت ، ويحدّه من غربه نجد الكثيري ، وهو نجد قليل الخير ، ويقرب من خط الطول : (٥٠ـ١٢ـ٤٩) . « الشامل » (١٢٠ـ١٢١) .

(٢) تقع شمال شرق سيئون ، على بعد (١٨كم) ، وهي غير شرما التي بالساحل التابعة لمديرية الشحر .

وما كادَ ولدُ هادي يبلغُ ٱلحنثَ إلاَّ وأَغرتْهُ أُمُّهُ بأَخذِ ثأْرِه ، فقتلَ قاتلَ أَبيهِ ، وأَقرَّ بصنيعهِ ٱلعُيُونَ ، وأَثلجَ ٱلخواطرَ ، وقد أُوذيَ وحُبسَ مِنْ جهةِ ٱلحكومةِ بدونِ حقٍّ ، ثمَّ أُطلقَ .

وٱلكسابيبُ وإِنْ كانوا قبيلةً واحدةً . . فهُم ـ كأَكثرِ فرقِ ٱلعوامرِ ـ بيوتٌ كثيرةٌ ؛ منهُم :

ـ آلُ كُبْرىٰ : ولَهُم مساكنُ في شَرْمهْ ، وأُخرىٰ بسُمَل حوالي ضريحِ ٱلإِمامِ علويٍّ بنِ عبيدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ بنِ عيسىٰ ، ولَهُم هناكَ بساتينُ نخلٍ حواليها ، فيها دُورٌ يَخترفونَ فيها .

وٱتُّفقَ أَنْ تنازعَ في سَنةِ (١٣٦٠هـ) أمباركُ بنُ عمرَ بنِ كُبْرىٰ وكرامةُ بنُ عيسى ٱلدَّوِيلُ علىٰ قطعةِ أَرضٍ بمِسْيَال سَر ، حوالي ٱلجبلِ ٱلشَّماليِّ ، بإِزاءِ شرمهْ ٱلواقعةِ بسفحِ ٱلجبلِ ٱلجنوبيِّ ، فٱلتقوا ذاتَ يوم وتُبودلَ بينَهُم إِطلاقُ ٱلرَّصاصِ ، فسقطَ أَحدُهُم وهوَ أمباركُ بنُ عمرَ بنِ كُبْرىٰ ميتاً ، وأَنكرَ قتلَهُ آلُ ٱلدَّوِيلِ ، وقالوا : إِنَّما أَصابتْهُ طلقةٌ مِنْ أَصحابِهِ ، ولَم يَطلبوا صلحاً ، وتقدَّمَ آلُ كبْرَىٰ بإِعلانٍ للعوامرِ بأَنْ لا يعطوا خفيراً لآلِ ٱلدَّوِيلِ ، ولٰكنَّ ٱلحطاطبةَ لَم يُبالوا بهـٰذا ٱلإِعلانِ .

وفي رمضانَ مِنْ سَنةِ (١٣٦١هـ) كانَ كرامةُ بنُ عيظةَ بنِ ٱلدَّوِيلِ يمشي ومعَهُ خفيرٌ مِنَ ٱلحَطَاطِبةِ ، يقالُ لَهُ : سالمُ بنُ صالحِ بنِ حاضرٍ ، فهجَمَ عليهِما آلُ كبْرَىٰ وقتلوهُما ، فغضبتِ ٱلحطاطبةُ لِقتلِ ٱبنِ ٱلدَّوِيلِ أَكثرَ ممَّا غَضبوا لِقتلِ صاحبِهم ؛ لأَنَّ قَتْلَ ٱلأَوّلِ إِلىٰ جانبِ صاحبِهم يُلطِّخُهم بٱلعارِ ، فأَنذروا ٱلكسابيبَ بٱلحربِ ، فتبرَّؤُوا مِنْ آلِ كُبْرىٰ ، وبما أَنَّهُ لا طاقةَ لآلِ كبرىٰ بحفظِ ديارِهم في شرمه وسُمَل ؛ لِقلَّتهم . . ذهبوا إِلىٰ سمل وأَخلوا ديارَهُمُ ٱلَّتي في شرمهْ بٱلنِّساءِ ؛ ثقةً بأَنَّ ٱلكسابيبَ وإِنْ تبرَّؤُوا منهُم لَن يَخفروا ذمَّتَهُم بتمكينِ ٱلحطاطبةِ مِنْ ديارِهمُ ٱلَّتي بينَ ظهرانيهِم ليسَ فيها إِلاَّ نساؤهم ؛ لأَنَّ ذلكَ مِنْ أَكبرِ ٱلعارِ بينَ ٱلقبائِلِ ، ولٰكنَّ ٱلكسابيبَ لَم يُبالوا بشيءٍ من ذلكَ ، فهجمَ ٱلحطاطبةُ علىٰ ديارِ آلِ كبرىٰ بينَ ٱلكسابيبِ ، وطَردوا ٱلنِّساءَ ، ونهبوها ، ثمَّ أَحرقوها .

وبإِثرِ ذلكَ توسَّطَ بينَهُم أَحدُ آلِ تميمٍ ـ وهوَ سليمانُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ سليمانَ ـ فأَبى ٱلحطاطبةُ مِنْ بذلِ ٱلصُّلحِ في قتيلِهم سالمِ بنِ صالحِ بن حاضرٍ حتَّىٰ يَغسل آلُ كبرى

ٱلعارَ ٱلَّذي ٱلصقوهُ بٱلحطاطبةِ بخفرِ ذمَّةِ صاحبهم ، وكانَ لآلِ كبرىٰ طمعٌ في مالِ ٱمباركِ بنِ عمرَ بنِ كبرىٰ ، ولَم يَبْقَ لهُ إلاَّ ولدٌ واحدٌ ، فزيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيطانُ أَنْ يُلقوا عليهِ ٱلقبضَ ويَقتلوهُ صَبْراً ، وبذلكَ تَجلَّلَ ٱلكسابيبُ بأَسرِهم خزياً وإِثماً إِلىٰ يومِ ٱلقيامةِ .

سُمَل (١)

جاءَ في ترجمةِ ٱلفاضلِ ٱلجليلِ عُبَيدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ مِنْ « شرحِ ٱلعينيَّةِ »[١٣٥] ما نصُّهُ : (وهوَ ٱلَّذي خَلَفَ أَباهُ زهداً وعِلماً وعبادةً ، وٱرتحلَ بعدَ والدهِ إِلىٰ سُمَل ، ووهبَ أَرضَ صَوح لمولاهُ جعفرِ بنِ مخدَّم ، وٱستوطنَ بقريةِ سُمَل ، وٱشترىٰ بها أَموالاً ، وتزوَّجَ بٱبنةِ سُمَل ، وأَولدَها ٱبنَهُ جديداً ، وتوفِّيَ بسُمل في سَنةِ (٣٨٣هـ) ، ورثاهُ جماعةٌ مِنَ ٱلأُدباءِ ، وللمتأَخِّرينَ مدائحُ فيهِ كثيرةٌ) اهـ

ولَو أَنَّهُ تفضَّلَ علينا بنَسَبِ سُمَل ، وذكرَ لَنا مراثيَ بعضِ أُدباءِ ذلكَ ٱلعصرِ فيهِ . . لَتوفَّرَ للتَّاريخِ منهُ فوائدُ جليلةٌ ، ولٰكنَّ ٱلأَمرَ للهِ ، وليسَ في أَيدينا إِلاَّ ما حصلَ .

وقالَ في « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » [٧١/١] : (وقبرُ علويِّ بنِ عبيدِ ٱللهِ بسُمَل ، وأَمَّا قبرُ أَبيهِ . . فبعَرْضِ بور ، وقيلَ : بسُمَل) اهـ بمعناهُ

وفي كونِ قبرهِ بعَرْضِ عبدِ ٱللهِ ببور ، معَ أَنَّ وفاتَهُ بسُمَل . . إِشكالٌ قويٌّ ، ولهٰذا يترجَّحُ دفنُهُ بسُمَل وأَنَّ ٱلَّذي بـ(عرضِ عبدِ ٱلله) ليسَ إِلاَّ مشهداً لهُ ، علىٰ ما يفعلهُ ٱلجهلةُ بحضرموتَ .

ولعبيدِ ٱللهِ ثلاثةُ أَولادٍ : بصريٌّ ، ولَم يُذكر محلُّ ولادتهِ ، وعلويٌّ وجديدٌ وُلدا بحَضْرَمَوْتَ ، وكانت وفاةُ هٰؤلاءِ ٱلثَّلاثةِ بسُمَل ، ولَم يتحقَّقْ تاريخُ وفاتِهم .

وفي كلامِ « شرحِ ٱلعينيَّةِ » بعضُ ٱلتَّناقضِ عن وِلادتهم ؛ ففي (ص ٢٢٣) منه يقولُ : (وخرجَ سيِّدُنا ٱلمهاجرُ أَحمدُ بنُ عيسىٰ ومعَهُ وَلدُهُ عبيدُ ٱللهِ ، وأَولادهُ ٱلثَّلاثةُ : علويٌّ ، وبصريٌّ ، وجديدٌ ، إِلىٰ وادي حَضْرَمَوْتَ) اهـ

---

(١) تبعد عن تريم نحو (٩كم) .

وفي (ص ٢٣٢) يقولُ : (إنَّ علويَّ بنَ عبيدِ ٱللهِ ولدَ بحَضْرَمَوْتَ) .

وجاءَ في (ص ٢٣٥) : (أَنَّ بصريّاً شقيقَ علويٍّ أُمُّهُما بنتُ ٱلشَّيخِ مُحَمَّدِ بنِ عيسىٰ ، تُدعىٰ أُمَّ ٱلبنينَ) .

وفي (ص ٢٣٩) : (أَنَّ جديداً وُلدَ بحَضْرَمَوْتَ ، ولهـٰذا سُمِّيَ جديداً ؛ لِتجدُّدِهِ بعدَ ٱلسَّفرِ ، وأُمُّهُ أُمُّ ولدٍ) اهـ

وقولُهُ : (إنَّ أُمَّهُ أَمُّ ولد) مخالِفٌ لِما سبقَ مِنْ أَنَّها بنتُ سُمَل .

وليسَ لِعلويِّ بنِ عبيدِ ٱللهِ إلاَّ ٱبنٌ واحدٌ ، وهوَ : مُحَمَّدٌ[1] ، وقد بقيَ هوَ وبنو عمِّهِ بصريٍّ وجديدٌ برهةً مِنَ ٱلزَّمانِ بقريةِ سُمَل ، ثمَّ ٱرتَحَلوا عنها إلىٰ بيتِ جُبَيرٍ كما في « مشرعِ ٱلشِّلِّيِّ » و« شرحِ ٱلعينيَّةِ » وغيرِهما .

وقبرُ ٱلإمامِ علويِّ بنِ عبيدِ ٱللهِ لا يزالُ معروفاً بسُمَل إلى ٱلآنَ ، وأَمَّا قبرُ جَدِيدٍ . . فلا يُعرفُ ، وقد قيلَ : إنَّهُ ٱنتقلَ في حياتهِ إلىٰ بيتِ جُبَيرٍ .

قَارَةُ ٱلشَّنَاهِزِ

قالَ في « ٱلقاموسِ » : (ٱلشَّناهِزُ قلعةٌ بحَضْرَمَوْتَ) . قالَ شارِحُهُ : (وٱلصَّوابُ : قارةُ ٱلشَّناهزِ ، وهيَ مشهورةٌ عندَهُم) اهـ

وهيَ مبانٍ علىٰ قارةٍ فاردةٍ لها ثلاثةُ رؤوسٍ ، في جنوبِها جبلٌ ، بسَفْحِهِ قريةٌ لابأْسَ بها . كانَ مِنْ سُكَّانِها : ٱلسَّيِّدُ طـٰه بنُ مُحَمَّدِ بنِ شيخِ بنْ يَحْيىٰ ، وبها كانت وفاتُهُ .

وحَوَالَيْها مزارِعُ كثيرةٌ ، وإليها ينسبُ جماعةٌ مِنْ أَهلِ ٱلعِلْمِ ، وقدِ ٱجتمعَ بها ـ حَسَبَما سمعتُ مِنْ ثقاتِ ٱلأَشياخِ ـ خمسونَ حافظاً لكتابِ ٱللهِ .

وفي « شمس ٱلظَّهيرة » [٢/٥٦٦] : أَنَّ عبدَ ٱلرَّحمـٰنِ ـ صاحبَ مسجدِ بَابُطَيْنَهْ ـ ٱبنَ أَحمدَ بنِ علويٍّ، عمَّ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ لَهُ أَربعةُ بنون . منهُم : عمرُ أَحْمَرُ ٱلعُيُونِ بنُ

---

(١) محمد بن علوي ، ولد سنة (٣٩٠هـ) بسُمَل ، ثم انتقل إلى بيت جبير ، وكانت وفاته بها سنة (٤٤٦هـ) ، عن (٥٦) عاماً . « تعليقات ضياء شهاب » (١/ ٧٠) .

عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ، مِنْ عَقِبه آلُ ٱلنَّضيرِ بمقْدِشُوه[1] ، ويُقالُ له : ٱلصَّنهجيُّ ، أَوِ ٱلشَّنهزيُّ ؛ لأَنَّ أُمَّهُ مِن صنهاجةَ ، مِنَ ٱلقارةِ ٱلمذكورةِ ، وجَدُّ آلِ ٱلنَّضيرِ هوَ أَحمدُ بنُ عمرَ أَحمرِ ٱلعيونِ ـ ٱلثَّاني ـ ٱبنِ محمَّدٍ ٱلنَّضيرِ ـ سُمِّيَ بِذلكَ لفرطِ جمالِهِ ـ ٱبنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ وهوَ أَحمرُ ٱلعيونِ ٱلأَوَّلُ .

وقد هاجرَ أَحمدُ بنُ عمر أَحمر ٱلعيونِ ٱلثَّاني مِن تريمَ ـ في ٱلأَلفِ مِنَ ٱلهجرةِ ـ إِلىٰ مرباط ، ثمَّ إِلى ٱلشِّحرِ ، وتزوَّجَ وَأَولدَ فيها ولداً سمَّاهُ علوياً ، وثَمَّ ركبَ إِلىٰ مقدشوه ، ووصلَها في سنةِ (١٠٠٣هـ) ، وتوفِّيَ بقريةٍ في ٱلسَّواحلِ سنةَ (١٠٢٧هـ) ، وله أَعقابٌ ، بٱلسَّواحلِ وسيلاَنَ وبرنيو وسورةَ ومقدشوه .

وفيها منهُمُ ٱلآنَ : ٱلفاضلُ ٱلنَّبيهُ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ أَبي بكرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عيدروسٍ ٱلنَّضيريُّ ، لَهُ سيرة حسنة ، وخدمة لِلجنابِ ٱلمصطفويِّ ، ودعوة إِلىٰ محبَّتِهِ وٱلاعتصامِ بِسُنَّتِهِ ، ولَهُ وجاهةٌ تامَّةٌ ، وعندَهُ ولدٌ مباركٌ ، هوَ : عيدروسُ بنُ عليٍّ ٱلنّضيريُّ ، يَشدُّ أَزرَ أَبيهِ ويُساعدُهُ علىٰ مقاصدِهِ ٱلحسنةِ ، إِلاَّ أَنَّهُ ٱتَّفقَ بٱلآخرةِ أَنْ طغى ٱلصُّوماليُّونَ بما عندَهُم مِنَ ٱلأَسلحةِ على ٱلعربِ بمقدشوه وهُم عُزَّلٌ ، فأنهالوا عليهم قتلاً ونهباً ، وكانَ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ أَبي بكرٍ ممَّنْ شايعَ ٱلصُّوماليِّينَ علىٰ أَبناءِ جِنْسِهِ فجَفَوهُ ، وكادتْ أَنْ تتلاشىٰ بينَهُم وجاهتُهُ ٱلكبيرةُ ، وعلَّ لَهُ عذراً ونحنُ نلومُ!

ومنهُم : عليُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلشَّنهزيُّ ، وبهٰذهِ ٱلمناسبةِ ذكرتُ أَحْمرَ ٱلعيونِ وأَعقابَهُ ، وهُم وٱلقطبُ ٱلحدَّادُ وٱلسَّادةُ آل ٱلشُّميطِ يرجعونَ إِلىٰ جدٍّ واحدٍ حَسَبَما سبقَ في ٱلحزمِ .

وقد أَصفقَ مؤَرِّخو حَضْرَمَوْتَ علىٰ بناءِ ٱلقارةِ وخرابِ كُحْلان سَنةَ (٦٠٤هـ) ،

---

(١) لقب أحمر العيون قال عنه في « المعجم اللطيف » : (لقب يستعمل لكل من عرف بالنجابة والذكاء والإقدام ، فيقال : فلان أحمر عين ، وأحمر العيون وأكثر ما تستعمله العامة فيما ذكرته ، ويحتمل أن يكون أحمر العيون خلقياً أو لعارض . ولٰكن الخلقي يدل على ما ذكرته . وكانت العرب تتغالى في الإبل الحمر الحدق ؛ لأنها من أحسن أنواع الإبل ، وفي بعض قبائل البادية المعروفين بالشجاعة توجد حمرة في أحداقهم) اهـ

وما أظنُّها إلاّ هـٰذهِ ٱلقارةَ ، بأمارةِ قُربها مِنْ كُحْلان ، أمّا قارةُ ٱلعزِّ ٱلسَّابقِ ذِكرُها . . فلا تُذكرُ مطلقةً وإنّما تُذكَرُ مقيَّدةً بٱلعزِّ ، وقد سبقَ أنَّ ٱبنَ مهديٍّ أعادَ عمارتَها في سَنةِ (٦١٩هـ) ، فيبعدُ أنْ تكونَ هيَ ٱلمرادة ، وكذلكَ لا يُمكنُ أنْ تكونَ قارةَ ٱلعزِّ ـ بٱلمعجمةِ ـ ٱلآتي ذِكرُها ؛ لأنَّها لَم تُبْنَ إلاَّ في سَنةِ (٨٤٢هـ) .

وعمارةُ قارةِ ٱلشَّناهزِ بٱلتَّاريخِ ٱلمتقدِّم لَم يَكُنْ بأوَّل وجودها ، بل كانَ تجديداً ، وإلاَّ . . فهيَ مِنْ أيَّامِ ٱلجاهليَّةِ ، بل مِنَ ٱلدِّيارِ ٱلعاديَّةِ[١] .

وعنِ ٱلعلاَّمةِ ٱلبصيرِ ٱلسَّيِّدِ أحمدَ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ : (أنَّ أوَّلَ مَنْ بناها جشيبُ بنُ شَلْهَمَ بنِ شماخٍ) اهـ

ولعلَّهُ ٱنتقالُ فكرٍ إليها عن قارةِ جُشَيبٍ ٱلواقعةِ علىٰ مقربةٍ مِنْ بور .

ومقبرةُ قارةِ ٱلشَّناهزِ مشهورةٌ بكثرةِ ٱلأولياءِ وٱلصَّالحينَ ، وممَّا يكادُ يتواترُ أنَّهُ يُسمعُ مِن تربتِها أذانٌ مِن آخرِ كلِّ ليلةِ جمعةٍ إلى ٱليومِ .

وفي حوادثِ سَنةِ (٥٩٥هـ) حصرتِ ٱلشَّناهزُ تريم ، وفي سَنةِ (٥٩٨هـ) كانت واقعةُ ٱلشَّناهزِ ونهدٍ في رمضانَ ، وٱختلفتْ آراؤُهم .

وفي آخرِ ٱلشَّهرِ وقعتِ ٱلشَّناهز علىٰ نَهْدٍ فأخذوا فريقاً منهُم ، وقُتلَ فيها يزيدُ بنُ يزيدَ .

وفي « تاريخِ باشراحيل » : (أنَّ حَضْرَمَوْتَ ٱلكَسْر وشبام وٱلشَّناهز تجمَّعوا وأخربوا قارةَ جشيبٍ وحبوظةَ وكحلان في سَنةِ « ٦٠٥هـ ») اهـ

وهـٰذا ٱلتَّاريخُ قريبٌ ممَّا سبقَ عن خرابِ كُحلانَ ؛ فإمَّا أن يكونَ واحداً ، وإمَّا أن يكونَ بقيَ شيءٌ عنِ ٱلخرابِ ٱلأوَّلِ فأكملوهُ .

وفي حوادثِ سَنةِ (٧٤٦هـ) أخذَ أحمدُ بنُ يمانيٍّ قارةَ ٱلشَّناهزِ .

وفي سَنةِ (٧٧٣هـ) ألقىٰ راصعُ ٱلقبضَ علىٰ ولدِ عمِّهِ يمانيِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أحمدَ ، فقتلَهُ أخدامُهُ بأمرِهِ في قارةِ ٱلشَّناهزِ بٱلنَّهارِ .

---

(١) أي : من أيام قوم عاد .

وفي هـٰذهِ ٱلسَّنةِ وقعَ ٱلحلفُ بينَ راصع بنِ دُوَيس وآلِ كثيرٍ وآلِ جميلٍ ، وأَخذوا قارةَ ٱلشَّناهزِ مِنَ ٱلصَّبراتِ .

وفي حوادثِ سَنةِ (٧٩١هـ) أَنَّ راصعاً أَخذَ قارةَ ٱلشَّناهزِ ، وفيهِ دِلالةٌ علىٰ سرعةِ تقلُّبِ ٱلدُّولِ علىٰ هـٰذهِ ٱلقارةِ ٱلمذكورةِ .

ودولتُها في ٱلأَكثرِ لِلشَّناهزِ[١] ، وقد بقيَ منهُم جماعةٌ مِنَ ٱلحرَّاثينَ ، مِنْ آخِرِهم رجلٌ يقالُ لَهُ : صالحُ بنُ عوضٍ ٱلشَّنْهَزِيُّ ، وكانَ لَهُ شيءٌ مِنَ ٱلمالِ طمعَ فيه أَحدُ شياطينِ آلِ تميمٍ ، فأَغرىٰ بهِ عبداً مِنْ عبيدِ ٱلقرامِصَةِ يقالُ لَهُ : كِلَيْوَاسْ ، فقتلَهُ وٱستولىٰ هوَ علىٰ مالِهِ ، وكانَ ذلكَ حوالي سَنةِ (١٣٥٠هـ) .

وقد سبقَ في سدبه أَنَّ ٱلطَّيرَ يعفُّ عنِ ٱلتَّعدِّي علىٰ زروعِها ، وكأَنَّ فيها أَرصاداً تمنعُها مِن ذلكَ إِن صَحَّ ما قيلَ .

ٱلغُرَفُ

هيَ بلدةٌ صغيرةٌ في موقعٍ جميلٍ ، يحيطُ بها ٱلفضاءُ ٱلواسعُ مِنْ كلِّ جهةٍ ، تنشعبُ منها ٱلطُّرقُ ، فعلىٰ مقربةٍ مِنها في شمالِها تمرُّ ٱلطَّريقُ ٱلسُّلطانيَّةُ ٱلَّتي تجيءُ مِنْ أَعلىٰ حَضْرَمَوْتَ إِلىٰ أَسفلِها ، ومِنها إِلى ٱلجنوبِ ممرُّ ٱلطَّريقِ ٱلمَهْيَعِ إِلى ٱلشِّحْرِ وٱلمُكَلاَّ وغيرِهما مِنَ ٱلسَّواحلِ[٢] .

---

(١) أرجع المؤرخ الأستاذ بامطرف أصل التسمية إلى (صنهاجة) . . وهي من فخائذ قبيلة حمير الكبيرة ، وكتب تحت هـٰذا الاسم في « الجامع » : (بنو صنهاجة أو الصناهيج فخذ من حمير حضرموت ، غادروا حضرموت بأجمعهم مع قبائل حضرمية أخرى ؛ تلبية لدعوة من الخليفة أبي بكر الصديق لفتح الشام . استقر الصناهيج أول الأمر بفلسطين ، ثم نزحوا منها إلى مصر ، فاستقرت طائفة منهم بخطة القرافة بالفسطاط ، ونزحت جماعة إلى منطقة الفيوم وبلدة أبو صير المجاورة لها ، ومن هؤلاء : الشاعر البوصيري صاحب البردة والهمزية . وبنو صنهاجة هؤلاء هم الذين اندمجت فيهم عدة قبائل بربرية في شمال أفريقيا يدعون : (صنهاجة) ، والنسبة إليهم صنهاجي ، وفي حضرموت يقال لهؤلاء : صناهجة ، وأطلال محلتهم باقية إلى اليوم إلى الشرق من مدينة تاربة بوادي حضرموت ، واسمها قارة الصناهيج . .) إلخ هـٰذا كلام بامطرف بنصه .

(٢) وطريق المكلا والشحر هـٰذه قام بتعبيدها السادة آل الكاف ، وتعرف بطريق الكاف .

وهيَ مِنَ ٱلقرى ٱلحديثةِ ٱلعهدِ ، كانت لآلِ زَيْدَانَ مِنَ ٱلقرامِصَةِ ٱلتَّميميِّينَ ، فٱشتراها منهُمُ ٱلسُّلطانُ عبدُ ٱللهِ بنُ محسنِ بنِ أَحمدَ ٱلكثيريُّ لأَخيهِ ٱلسُّلطانِ غالبٍ ، بهمَّةِ جدِّي ٱلمحسنِ ، وإِشارةِ سيِّد ٱلوادي ٱلحسنِ بنِ صالحٍ ٱلبحرِ ، ومساعدةِ جبلِ ٱلعبادةِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ بأَلفِ ومئَتي ريالٍ ـ وٱلمبيعُ إنما هو إِمارتها لا رقبتُها ـ وكانتْ أَوَّلَ دولتِهِم بها ، ولمَّا بدأَ ٱلسُّلطانُ عبدُ ٱللهِ بنُ محسنٍ بسورها . . ثارتْ ثائِرةُ ٱلقرامصةِ حتَّىٰ أَرضاهُم بنافلةٍ مِنَ ٱلمالِ .

وكانَ يَسكنُها ٱلسَّيِّدُ ٱلجليلُ ، ٱلدَّاعي إِلى ٱللهِ بلسانِهِ وقلمِهِ ، ٱلوالدُ عثمانُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنْ يحيىٰ[1] ، حفيدُ ٱلعلاَّمةِ ٱلفاضلِ ٱلجليلِ عقيلِ بنِ عمر بنْ يحيىٰ[2] ، لَهُ مؤَلَّفاتٌ كثيرةٌ في خدمةِ ٱلدِّينِ ٱلإِسلاميِّ ، ويدٌ بيضاءُ في نشرِ دعوتِهِ وشرحِ أَسرارِهِ بينَ ٱلجاويِّينَ .

ولمَّا وردتُ جاوة في سَنةِ (١٣٣٠هـ) . . وجدتُ جماعةً مِنَ ٱلسَّادةِ يُناوئُونَهُ ؛ منهُمْ : ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ شهابٍ[3] ، وٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ عليِّ بنِ شيخ ٱلعيدروسُ ، ومَنْ علىٰ شاكلتِهِم مِنَ ٱلرَّهطِ ٱلَّذي كان يبثُّ مبادىءَ ٱلإِرشادِ في

---

(١) ولد السيد عثمان ببتاوي جاكرتا سنة (١٢٤٨هـ) ، ونشأ في كنف والده ، ثم أرسله إلى حضرموت وأقام مدة بها يطلب العلم ما بين المسيله وتريم ؛ وقد قام برحلات إلى عدد من الأقطار ، فدخل مكة والمدينة والجزائر وتونس ومصر وإستانبول ، وله بها شيوخ عدة . ثم عاد إلى مسقط رأسه ، وأسس مطبعة حجرية نشر من خلالها مؤلفاته التي فاقت على (١٦٠) مؤلفاً ما بين رسالة وكتاب ، وأكبر مؤلفاته كتاب : « القوانين الشرعية » ، وكانت له لقاءات مع المستشرق الهولندي المعروف : سنوك هرخرونيه الذي يقال : إنه أسلم على يديه ، وقد ذكره المستر سنوك كثيراً في مذكراته المطبوعة .
وكانت وفاته ببتاوي يوم الأحد (٢١) صفر (١٣٣٢هـ) .

(٢) السيد عقيل بن عمر . . كان من كبار العارفين ، له مناقب جليلة وسيرة حسنة جميلة ، توفي بمكة سنة (١٢٣٧هـ) ، وله بها مقام كبير ، وذرية كثيرة ، له ذِكْرٌ في « عقد اليواقيت » ، وله مؤلفات عظيمة ، تنظر ترجمته منه .

(٣) المؤرخ والكاتب والأديب ، ولد بتريم سنة (١٢٨٧هـ) ، وتوفي بجاكرتا سنة (١٣٤٩هـ) ، كان من قدماء مؤسسي الرابطة العلوية ، له رسائل تاريخية ومقالات نشرت في الصحف الإندونيسية ، ينظر : « الرابطة » عدد (جمادى الأولى ـ رجب) ، وفيها معلومات كثيرة عن المذكور ، « الأعلام » (٦/ ١٩٩) نقلاً عن مقال لعبد الله السقاف بجريدة « المقطّم » ، « الجامع » لبامطرف .

ٱلحضرميينَ لغرضِ ٱلانتقامِ وٱلتَّشفِّي منهُ ومِنْ أَمثالِ ٱلسَّادةِ ٱلأَجلاَّءِ ٱلكرامِ مُحَمَّدِ بنِ أَحمدَ ٱلمحضارِ ، ومُحَمَّدِ بنِ عيدروسِ بنِ مُحَمَّدٍ ٱلحَبْشيِّ ، وعبدِ ٱللهِ بنِ محسنٍ ٱلعطَّاسِ وأَمثالِهِم .

ثمَّ ٱنقلَبوا بشدَّةٍ وحَرَدٍ[1] لنقضِ تلكَ ٱلمبادىءِ ، فأشْعلوا نارَ ٱلفرقةِ وٱلاختلافِ وٱلعداوةِ بينَ ٱلحضارمِ ـ حَسَبَما هوَ مفصَّلٌ بـ« **ٱلأَصلِ** » ـ وكادَ أُولئِكَ ٱلرَّهطُ يَستميلوني إِليهِ وٱشتدَّ حرصُهُ علىٰ أَن ينفرجَ ٱلأَمرُ بيني وبينَ سيِّدي ٱلوالدِ عثمانَ ، وكدتُ أَقعُ في حبالتِهم لاسيَّما وقد زوَّدني أَهلُ فلمبان بشيءٍ مِنْ ثمارِ نيَّاتهم ومبادئِهِمُ ٱلَّتي كانَ يبثُّها فيهم أَحدُ أَحفادِ ٱلسَّيِّدِ عثمانَ ضدَّ جدِّهِ ، ولـٰكنْ عزمَ ٱللهُ لِيَ بٱلثَّباتِ ، لاسيَّما بعدَ أَنْ دعاني إِلىٰ بيتهِ وأَهداني مجموعةَ مؤلَّفاتِهِ ٱلقيِّمة معنىً وإِن لم تبلغِ ٱلإِجادةَ مبنىً ، ورأَيتُهُ بخلافِ ما ذكروا لي عنهُ ، فأَكبرتُ صنيعَهُ ، وأَحمدتُ أَثرَهُ ، وٱعترفتُ بفضلهِ ، ورأَيتُ مِنْ سلوكهِ في طريقِ ٱلحقِّ ومجاهدتهِ فيهِ ما يَملأُ صدري وصدرَ كلِّ منصفٍ باحترامهِ وإِجلالهِ ، وهوَ ملتزمٌ بٱلسُّنَّةِ وٱلفقهِ ، ولقد جاءَ ذِكرُ ٱلكراماتِ بينَ يديهِ فأَنكرَ مجازفةَ ٱلمغرورينَ فيها إِنكاراً شديداً ، وقالَ : لقد كنتُ مختصّاً بخالي وسيِّدي عبدِ ٱللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ وهوَ ممَّن لا تدفعُ ولايتُهُ ، وجالستُهُ زماناً طويلاً . . فلم أَرَ منهُ إِلاَّ كرامتَينِ ، ليسَ فيها خرقُ عادةٍ ، وإِنَّما :

أُولاهُما : أَنَّهُ خرجَ يصلِّي ٱلعصرَ وعليهِ رداءٌ فتنني ، وتمنَّيتُ أَن لو كانَ لي مثلُهُ ، ومرَّت صلاتي وأَنا أُفكِّرُ فيهِ ، وما كانَ ينفتلُ مِن صلاتِهِ حتَّىٰ دعاني وقالَ لي : هـٰذا ٱلرِّداءُ لكَ ، وأَعطاني مفتاحَهُ ٱلخاصَّ لآتيهِ برداءٍ آخرَ ـ وصفه لي ـ ولولا أَنَّهُ تفرَّسَ ما في خاطري . . ما خالفَ عادتَهُ مِن عدمِ ٱلكلامِ إِلاَّ بعدَ فراغِهِ مِن وردِهِ .

والأُخرىٰ : أَنَّ ٱلسَّيِّدينِ محمَّداً وعمرَ ٱبني ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ بنِ يحيىٰ عزما على ٱلانتقالِ سرّاً مِنَ ٱلمسيله ، وتكتَّما بٱلأَمرِ حتَّىٰ لا يشعرَ فينهاهُما ، وأَرادا أَن لا يعلَمَ إِلاَّ بعدَ ٱلأَمرِ ٱلواقعِ ، فلمَّا صلَّينا ٱلعشاءَ وفرغَ مِن وردِهِ ونافلتِهِ . . قال لي : ٱدعهم لي ، فدعوتُهما ، فقالَ لهما : إِذا عزمتُما علىٰ أمرٍ فشاوراني ؛ فعندي ما ليسَ

---

(١) ٱلحَرَد : الغضب .

عندَكما مِنَ ٱلعقلِ ، وقد جرَّبتُ ٱلزَّمانَ وأَهلَهُ ، لم يزد علىٰ ذلكَ ، فسكتا ، ولـٰكنَّهما ٱنصرفا عمَّا كانا نوياهُ ، وأَنا علىٰ يقين أَنَّهُ لم يكن إلاَّ عَن فراسةٍ صادقةٍ ؛ إذ لم تعلَم حتَّىٰ ثيابُهم بما كانوا يبيّتونَ ، ولقد حَفظني بظهرِ ٱلغيبِ ، وطبعَ نشرتينِ في ٱلذَّبِّ عنِّي لمَّا تكلَّمَتْ عليَّ صحيفةُ « ٱلوطنِ »[1] ٱلصَّادرة بسنغافورة ، إحداهُما خاصَّةٌ بيَ ، وٱلثَّانيةُ جامعةٌ لي وللسَّادةِ ٱلأَجلاَّءِ ٱلكرام : مُحَمَّدِ بنِ حامدٍ ٱلسَّقَّافِ ، وحسنِ بنِ علويِّ بنِ شهابٍ ، ومُحَمَّدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ شهابٍ ، في ٱلثَّناءِ علينا وٱلنِّضالِ عنَّا ، معَ أَنَّ ٱلأَخيرَ كانَ ينافِسُهُ ويبتغي له ٱلغوائلَ ويدبِّرُ لهُ ٱلمكايدَ ، ولمَّا خلىٰ مكانُهُ في سَنةِ (١٣٣٢هـ) . . لَم يَستطعْ أُولئكَ ٱلرَّهطُ ٱلَّذينَ ملؤُوا نواحيَ جاوة بَقاقاً[2] وأَوراقاً أَنْ يَشغلوا مكانَهُ بأَحدٍ ممَّنْ يُرشِّحونَهُ ويتمنَّونَ أَنْ لَو كانَ في موضعِهِ ، فٱنطبقَ عليهِم معَهُ قولُ ٱلحطيئَةِ [في « ديوانِهِ » : ٤٠ مِنَ ٱلطَّويل] :

أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لاَ أَبَا لأَبِيكُمُ ... مِنَ ٱللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا ٱلْمَكَانَ ٱلَّذِي سَدُّوا

ومِنَ ٱللَّطائفِ : أَنَّ سيِّدي عثمانَ وقتما كان بٱلغرفِ ٱعتلَّ يوماً عن حضورِ ٱلجمعةِ ببعضِ أَعذارِها ، وكانَ مِنْ عادتِهِ ٱلتَّبكيرُ ، فكلُّ مَنْ جاءَ إِلى ٱلجامعِ . . رجعَ وتوهَّمَ أَنَّ ٱلوقتَ لَم يَدخلْ ، وهـٰكذا حتَّىٰ بقيَ ٱلخطيبُ وحدَهُ حتَّىٰ وجبَتِ ٱلعصرُ .

ومِنْ أَهلِ ٱلغُرَفِ : ولدُهُ ٱلعلاَّمةُ ٱلبحَّاثةُ ، ٱلمحقِّقُ ٱلفقيهُ مُحَمَّدُ بنُ عثمانَ[3] ، كانَ من ٱستحضارِهِ « تحفة ٱبنِ حجرٍ » كأَنَّما يحفظُها توفِّيَ بسنغافورة سَنةَ (١٣١٦هـ) .

ومنهم : ولدُهُ علويُّ بنُ عثمانَ ، كانَ مِن أَهلِ ٱلعقلِ وٱلدِّينِ وٱلصَّلاحِ ، توفِّيَ حوالَي سنةِ (١٣٤٤هـ) .

ومنهم : ٱبنُهُ محمَّدُ بنُ علويِّ بنِ عثمانَ ، كانَ شهماً صالحاً ، لمَّا حضرَهُ ٱلموتُ

---

(١) « صحيفة الوطن » : أسبوعية ، كان يصدرها السيد حسن بن علوي بن شهاب في سنغافورة ، وهو مدير تحريرها ، لـٰكنه كان ينسبها إلى غيره تواريًا عن الأنظار .

(٢) رجل بَقاقٌ : كثير الكلام .

(٣) ترجم له السيد محمد بن حسن عيديد في « الإتحاف » ، وذكر أنه كان ذكياً عالماً ، وإذا سئل عن مسئلة . . أجاب وأحال السائل إلى المراجع الكبيرة ، بل ربما ذكر له الجزء والصفحة !

توضَّأ وٱستاكَ وأخذ يكرِّرُ ٱلجلالةَ حتَّىٰ فارقَ ٱلحياةَ ، وكانت وفاتُهُ قبلَ وفاةِ أبيهِ .

ومنهُم : أخوهُ صاحبُ ٱلنَّوادرِ ٱللَّطيفةِ ، وٱلنُّكاتِ ٱلعجيبةِ ، عقيلُ بنُ عثمانَ[1] بنِ عبد ٱللهِ بنِ يحيىٰ ، كانَ شاعراً أديباً ، لهُ يدٌ في ٱلتَّاريخِ حتَّىٰ لقد هنَّأني على ٱلرَّوبَّةِ يومَ ٱقترنتُ بأُمِّ حسنٍ وأشقَّائِهِ بقصيدةٍ طولىٰ ، كلُّ شطرٍ منها تاريخٌ ، أخذَ عن والدِهِ ، وعن سيِّدي ٱلأُستاذِ ٱلأبرِّ ، وعن والدي ، وله فيهِ مدائحُ .

ولغزيرِ ٱلإحسانِ ٱلوالدِ أحمدَ بن عمرَ بنِ يحيىٰ فَضلٌ عليهِ ، ولقد حضرتُ عندَهُ أنا وهوَ ـ أعني ٱلوالدَ أحمدَ ـ قُبَيلَ موتِهِ بيومٍ ، فقالَ لي : مَرَّ عليَّ مثلُ هٰذا ٱليومِ ٱلعامَ ٱلماضي وأنا أشقى أهلِ ٱلمسيله حالاً ، ثمَّ إنَّني ٱليومَ ـ بفضلِهِ ـ أسعدُهم ، يبتدرونَ إشارتي إذا أشرتُ ، ويتسابقونَ في مرضاتي إذا أمرت ، وكانوا لا يردُّون عليَّ ٱلسَّلامَ قَبْلُ .

ثمَّ قلتُ لهُ ، أو قالَ لي : ما أُراني إلاَّ متوفًّى في مَرَضِي هٰذا ، فماذا تفعلُ؟ فقلتُ : أرثيكَ بقصيدةٍ أستهلُّها بقولي [مِنَ الطويلِ] :

مُصَابٌ أَصَابَ ٱلنَّاسَ وَهْوَ جَلِيلُ غَدَاةَ أَتَى ٱلنَّاعِي فَقَالَ عَقِيلُ

فقالَ : يكفيني منكَ هٰذا ، وإنَّهُ لكثيرٌ . توفِّيَ بٱلمسيله سَنةَ (١٣٤٦هـ) .

وفي حدودِ سَنةِ (١٢٩٨هـ) كانَ أحدُ عبيدِ ٱلشَّيخِ صالحِ بنِ عائِضِ بنِ جخَيرٍ يخْفرُ ٱلسَّيِّدَ مُحَمَّدَ بنَ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلكافِ بتريم ، فٱستاءَ ٱلسُّلطانُ ٱلكثيريُّ من جراَةِ ٱلشَّيخِ صالحٍ وجوارِهِ عليهِ في بلادِهِ ، فٱنتهكَ ٱلسُّلطانُ ٱلكثيريُّ حُرمتَهُ وطردَ عبدَهُ ـ وٱلعارُ مضَّاضٌ ـ عندَ ٱلشَّيخِ صالحِ بنِ عائِضٍ ، فلَم يَكُنْ منهُ إلاَّ أَنِ ٱقتحمَ ٱلغرفَ وٱحتلَّها في أسرعِ وقتٍ ، وطردَ عبيدَ ٱلسُّلطانِ منها وجاءَتْ نجداتُ ٱلدَّولةِ مِنْ تريم وسيئون ،

(١) ولد السيد عقيل بالمسيلة سنة (١٢٩٠هـ) ، وتربى في كنف والدته وأخيه محمد ، وتعلم على يد السيد عمر بن عبد الله بن عمر بن يحيى ، ثم طلبه والده إلى جاوة ، فسافر سنة (١٣١١هـ) ، كان ذكياً شديد الذكاء ، اشتغل بالتجارة مع والده ، وكان ينظم الشعر . عاد إلى حضرموت سنة (١٣٢٩هـ) ، وأصيب بالعمى ، وظل بها إلى أن توفي .
« تاريخ الشعراء » (١٤٧/٥ ـ ١٥٩) .

والتحمَ ٱلقتالُ ، وقُتلَ أحدُ ٱلعوامرِ وثلاثةٌ مِنْ أَصحابِ ٱلدَّولةِ ، وما زالوا في ٱلحربِ حتَّىٰ وصلَ ٱلمنصبُ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ سالمٍ ٱلعيدروسُ من بورٍ بطبولِهِ وخيولِهِ وراياتِهِ فحجزَ بينَهم ، وأَخرجَهُم منها صُلْحاً لا عَنْوةً مِنَ ٱلغرفِ بعدَ ما غسلوا ٱلعارَ ، وٱستجهروا ٱلأَبصارَ ، وسُوِّيتِ ٱلقضيَّةُ علىٰ ما يُحبُّهُ ٱلشَّيخُ صالحٌ .

وأَخبرني ٱلأَخُ عقيلُ بنُ عثمانَ ٱلمذكورُ بأَنَّ أَهلَ ٱلغرفِ خَرجوا في نزهةٍ ، ولمَّا تهيَّأَ غداؤُهُم ـ وكانَ شُرْبةً ـ جاءَ بعضُ أَعدائِهم فطردهُم عن موضعِ ٱلفسحةِ ، فهربوا وتركوا غداءَهُم ، ولهٰذا كانَ ٱلنَّاسُ يعيِّرونَهم فصاروا يغضبونَ من ذِكْرِ ٱلشُّربةِ كما يغضبُ آلُ شِبَامٍ مِن وزنِ ٱلهرِّ .

وللأَخِ عقيلٍ منظومةٌ جميلةٌ في أَلقابِ ٱلبلادِ ٱلحضرميَّةِ .

وكانَ ٱلوالدُ أَحمدُ بنُ عمرَ بنِ يحيىٰ يصنعُ بٱلمسيله عشاءً مِنَ ٱلشُّربةِ للمساكينِ في كل ليلةٍ مِن رمضانَ ، فغضبَ آلُ ٱلغرفِ وحقدوها عليهِ! فكانت شبيهةً بقصَّتِهِ معَ ٱلشَّيخِ سالمٍ باسويدان ٱلسَّابقةِ في شبام .

وأَخبرني ٱلأَخُ عقيلُ بنُ عثمان ٱلمذكورُ أَنَّ أَكثرَ أَهلِ ٱلغرفِ ماتَ بحسرةٍ علىٰ عدمِ ٱلتَّوفيقِ في قنصِ ٱلوعولِ ؛ إذ كانَ ٱلغالبُ عليهم ٱلإخفاقُ وٱلخيبةُ كلَّما صَعدوا ٱلجبالَ ، حتَّىٰ إنَّهُم لمَّا عزموا علىٰ صعودِ ٱلجبالِ مرَّةً لذلكَ ، ففيما يَستعدُّونَ ويَعملونَ ٱلأَسمارَ وٱلأَشعار . . ٱستقدموا شاعراً ليستعينوا بهِ في أَفراحِهِم ، فكانَ أَوَّلُ ما أَنشأَهُ لهم قولَهُ :

قَالَ بَدَّاعْ ٱلْقَوَافِي: بَارِق ٱلْجُودَاتِ رَفّ — مِنْ خُلِقْنَا مَا سَمِعْنَا زَفّ عِنْدَ اَهْلِ ٱلْغُرَفْ

فطردوهُ وكادوا يسْطُونَ بهِ!!

وقدِ ٱعتنتْ بها ٱلحكومةُ ٱلإنكليزيَّةُ في ٱلسَّنواتِ ٱلأَخيرةِ ، وٱحتلَّتْها وٱتَّخذتْها مقرّاً لإدارتِها ٱلعامَّةِ ، ولٰكنْ بدونِ ٱستئذانٍ ـ حَسَبَما يقولُ ليَ ٱلسُّلطانُ عبدُ ٱللهِ بنُ محسنٍ ـ منهُم ، وهُم ملاَّكُها ، ثمَّ نُقلَتْ إدارتُها مِنها إلىٰ سيئونَ .

ٱلمَسِيلَهْ

بميمٍ مفتوحةٍ ، ثمَّ سينٍ مكسورةٍ ، ثمَّ ياءٍ ساكنةٍ ، ثمَّ لامٍ مفتوحةٍ . سُمِّيت بذلكَ لأنَّها علىٰ ضفَّةِ مسيلِ عِدِمَ ٱلغربيَّةِ .

وعِدِم - بعين ودال مكسورتين - : أكبرُ - لا أكثر - مجاري ٱلسُّيولِ بحضرموتَ ، تنهرُ إليهِ مياهُ ٱلنَّجْدِ ٱلجنوبيِّ بحضرموتَ ، عدا ما يسقطُ إلى ٱلسَّاحلِ ، وما يفيضُ إلىٰ وادي سَنَا .

وكلُّ مياهِهِ تذهبُ ضياعاً لا تنفعُ إلاَّ ما في عينِ ٱلمسيلِ مِنَ ٱلنَّخيلِ ، وتلتقي مياهُهُ معَ مياهِ سَر عندَ طرفِ جبلِ كُحلانَ .

والمسيله هيَ مسكنُ ٱلسَّيِّدِ شيخِ بنِ أَحمدَ بنِ يحيىٰ ، ولذا قيلَ لَها : مسيلةُ آلِ شيخٍ .

قالَ ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ عليٍّ ٱلجنيدُ : منهُم : أَبو بكرٍ وعبدُ ٱللهِ ، ٱبنا عمرَ بنِ طٰهَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ شيخٍ ، كانا فاضلَينِ ، وقدِ ٱنتقلا ؛ أَي : مِنْ قارةِ ٱلشَّناهزِ إلىٰ عينات ، وٱستوطناها حتَّىٰ ماتا .

فأَمَّا عبدُ ٱللهِ : فقدِ ٱنقرضَ عَقِبُهُ مِنَ ٱلذُّكورِ .

وأَمَّا أَبو بكرٍ : فتركَ ولدَهُ عُمَرَ ، فعادَ إلى ٱلمسيله ، وبنىٰ عندَهُمُ ٱلحبيبُ حسينُ بنُ طاهرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ هاشمٍ[1] مسجدَهُ ودارَهُ ٱلَّذي سكنَهُ بعدَهُ أَولادُهُ :

ٱلحبيبُ طاهرُ بنُ حسينٍ ، صاحبُ ٱلنَّهضةِ ٱلمشهورةِ ، ٱلمتوفَّىٰ بٱلمسيله سَنَةَ (١٢٤١هـ)[2] .

---

(١) وكانت بها وفاته في (١٢) رجب (١٢٢٠هـ) ، ودفن بتريم ، عن عمر ناهز (٧٠) عاماً . وكان سبب نزوحه إلى المسيله : هو الاضطراب الأمني ، وشيوع الفوضى في البلاد .

(٢) الحبيب طاهر بن حسين من أكابر أهل عصره ، ومن أراد معرفة أخباره . . فعليه بكتاب حفيده الأستاذ محمد بن هاشم المسمّى : « تاريخ الدولة الكثيرية » ، و« العدة المفيدة » لابن حميد ، و« تعليقات ضياء شهاب » (٢/ ٥٨٧) ، وغيرها .

والحبيبُ عبدُ اللهِ بنُ حسينٍ ، الَّذي لا تستوفي العبارةُ كُنْهَ ما لَهُ مِنَ الفضلِ ، المتوفَّىٰ بها سَنةَ (١٢٧٢هـ)[1] .

وفي كلامِ الحبيبِ أَحمدَ بنِ عمرَ بنِ سميطٍ : أَنَّ أَباهم فَرَّغهم للعلمِ ، وسافرَ إِلىٰ جاوةَ نحوَ ثلاثِ مرَّاتٍ .

ومنِ آلِ طاهرٍ : شيخُنا السَّيِّدُ الجليلُ أَحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ ، كانَ جبلاً مِن جبالِ العلمِ والعبادةِ ، توفِّي بالمسيله لأَربعٍ في جمادى الآخرةِ مِن سنةِ (١٣١٧هـ) .

ومنهم : هاشمُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ ، كانَ مِن أَهلِ الصَّلاحِ والعبادةِ والأَذكارِ ، توفِّي بعدن في رجبٍ سنةَ (١٣١٦هـ) ، ولهُ ابنٌ ذكيٌّ ، ناظمٌ ناثرٌ ، تقلَّبَ في الأَعمالِ المدرسيَّةِ بفليمبانَ ، ثمَّ في جاوة ، ورأَسَ التَّحريرَ بجريدةِ « حضرموت » ، ثمَّ وَزَرَ للسُّلطانِ جعفرِ بنِ منصورٍ ، وهوَ الآنَ يُدَرِّسُ بمدرسةِ جمعيَّةِ الأُخوَّةِ والمعاونةِ بتريمَ .

ومنهم : السَّيِّدُ أَبو بكرِ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ طاهرٍ ، لَهُ جاهٌ ورئاسةٌ بالتَّيمورِ ، ثمَّ وصلَ إلى المسيله ومعَهُ الأَعلامُ الحريريَّةُ المُحلاَّةِ بالذَّهبِ التِّبرِ والطُّبولُ والخيولُ ، توفِّيَ بالمسيله سنةَ (١٣٣١هـ) ، وأَبقىٰ عَتاداً نفيساً ، وأثاثاً فاخراً ، وعُلُوقاً مُثمَّنةً ، تولاَّها أَحدُ خُدَّامِهِ بعدَهُ ، فعَاثَ بها عيثَ الجرادِ بالزُّروعِ ، وَلَمْ يُبقِ لأَولادِهِ الصِّغارِ إِلاَّ ما لا يُسمِنُ ولا يُغني من جُوعٍ .

ومنهم : أَخوهُ الخفيفُ الظِّلِّ : عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ ، كانَ ظاهرَ التَّقوىٰ والوَرَعِ ، ولهُ معرفةٌ بالطِّبِّ ، وتَعَلَّقٌ بالسَّيِّدِ فضلِ بنِ علويٍّ مَوْلَىٰ خيله ، وطولُ صُحبَةٍ معَهُ في الأَستانةِ ، ولِينُ جانبٍ ، ولطفُ أَخلاقٍ ، وحُسنُ محاضرةٍ .

توفِّيَ بالمدينةِ المنوَّرة في رمضانَ سنةَ (١٣٥٢هـ) .

---

(١) ترجمته الحافلة في « عقد اليواقيت الجوهرية » لتلميذه الإمام عيدروس بن عمر الحبشي (١/ ١٠٢) ، و« تاريخ الشعراء » (٣/ ١٦٢ ـ ١٧٨) .

ومنهمُ : ٱلسَّيِّدُ ٱلفاضلُ أَحمدُ بنُ طاهرِ بنِ أَحمدَ بنِ طاهرِ بنِ حسينٍ ، لهُ ٱعتناءٌ بٱلأَورادِ ، توفِّيَ بسنغافورة في (١٥) رمضانَ سنةَ (١٣١٤هـ) .

ومنهمُ : ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ أَحمدَ بنِ طاهرِ بنِ حسينٍ ، لهُ سعة ٱطِّلاعٍ ، توفِّي بٱلمسيله سنةَ (١٣٠٠هـ) .

وقد عاشَ آل طاهرٍ إِلىٰ وفاةِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينٍ مع آلِ يحيىٰ علىٰ عبادةِ ٱللهِ ومدارسةِ ٱلعلومِ ، وَٱلأَمرِ بٱلمعروفِ ، وٱلإِنكارِ للمنكَرِ .

وكانَ عبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ بنِ يحيىٰ جبلاً مِنْ جبالِ ٱلتَّقوىٰ ، وبحراً مِنْ بحورِ ٱلعِلْمِ ، توفِّيَ بٱلمسيله في سَنةِ (١٢٦٥هـ)[1] بإِثرِ وفاةِ ولدٍ لهُ شديدِ ٱلأَسرِ ، حديدِ ٱلفهمِ ، يَعرفُ مواقعَ رضاءِ أَبيهِ ويفعلُ ما يُحِبُّهُ مِن غَيرِ إِشارةٍ ، حتَّىٰ لقد وردَهُ ٱلسَّيِّدُ حسنُ بنُ حسينٍ ٱلحدَّادُ وحدَهُ ، فذبحَ لهُ كبشاً ساحّاً كبيراً ، وما كادَ يستقرُّ بِهِ ٱلمجلسُ حتَّىٰ دعاهُ وَسَارَّهُ بقولِهِ : ٱذبحِ ٱلكبشَ ٱلفلانيَّ ـ يعني ٱلمذبوحَ ـ وإِنَّما لم يَكْتَفِ بعمَلِهِ حسبَ ٱلعادةِ ؛ لإِيثارِ ٱلخروجِ عنها بذبحِ ٱلكَبْشِ ٱلكبيرِ لواحدٍ ، فقالَ لوالدِهِ : إِنَّهُ لم يأْتِ إِلاَّ وحدَهُ معَ خادمٍ واحدٍ ، فيكفي لهُ رأسٌ صغيرٌ .

فقالَ : لا تُراجِعْ ، وٱذبحِ ٱلكبيرَ ، قالَ : قد ذبحتُهُ . فَسُرَّ مِنْهُ وقرَّت بهِ عينُهُ . وٱسمُهُ أَبو بكرٍ .

وسمعتُ والدي يروي عنِ ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ أَنَّ قصَّةَ ذبحِ ٱلكبشِ للحدَّادِ وقعت للحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينٍ معَ أَحدِ أَولادِهِ ، وٱلَّذي يرويهِ آلُ يحيىٰ بحذافيرِهم : ٱلأَوَّلُ ، وٱلأَمرُ قريبٌ ، وٱلتَّعدُّدُ بعيدٌ .

ثمَّ توفِّيَ بعدَهُ بها ولدُهُ ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ عمرُ بنُ عبدِ ٱللهِ في سَنةِ (١٢٧٧هـ) ثمَّ أَخوهُ ٱلصُّوفيُّ ٱلفقيهُ مُحَمَّدٌ سَنةَ (١٣٠٨هـ) ، ودُفِنَ بها .

---

(١) العلامة الكبير عبد الله بن عمر بن أبي بكر ، كان واحداً من العبادلة السبعة فقهاء حضرموت ، ولد بالمسيله سنة (١٢٠٧هـ) ، وتوفي بها كما ذكر المؤلف ، له ترجمة في : « عقد اليواقيت » ، و « تاريخ الشعراء » (٣/٢٠٨ـ٢١٤) ، وأخبار متفرقة في « العدة » .

وكانَ ٱلشَّيطانُ ـ كما قالَ بعضُهُم ـ يَفْرَقُ مِنَ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ فَرَقَهُ مِنِ ٱبنِ ٱلخطَّابِ رضيَ ٱللهُ عنه فلَم يَدخلِ ٱلمسيله في أَيَّامِهِ ، ولٰكنَّهُ لَم يَمُتْ إِلاَّ وٱلشَّيطانُ ممتلىءُ ٱلصَّدرِ غيظاً من طولِ ما طُرِدَ عنها ، فٱحتبىٰ إِثْرَهُ في محرابِ مسجدِها .

ونزغَ ٱلشَّيطانُ بينَ أَبناءِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينٍ وأَبناءِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ بنِ يحيىٰ علىٰ أَوقافِ ٱلمسجدِ ونظارتهِ ، وكانَ ٱلَّذي تولَّىٰ كبرَ ٱلمخاصَمةِ ٱلسَّيِّدُ عقيلُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ ، وكانَ لَهُ ٱختصاصٌ شديدٌ بٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ ، فلَم يبلُّوا غليلَ صدرِهِ ، بل خذلوهُ ، فسافرَ إِلى ٱلهندِ وحالفَ آلَ ٱلقعيطيِّ وهجمَ بهِم علىٰ تريم ، وكانت حادثةُ ٱلنُّويدرةِ وهيَ جانبُ تريم ٱلشَّماليُّ ، وٱستولَتْ عليهِ عساكرُ ٱلقعيطيِّ مِنْ جهةِ دمُّونَ ، بمساعدةِ آلِ تميم وخيانةٍ مِنْ بعضِ عبيدِ ٱلدَّولةِ ، وكانَ ذلكَ في سَنَةِ (١٢٩٢هـ) ، ودامَ ٱلحربُ وٱحتلالُ ٱلنُّويدرةِ إِلىٰ سَنَةِ (١٢٩٤هـ) ، وفي تلكَ ٱلأَثناءِ كانت وفاةُ ٱلسَّيِّدِ عقيلِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ يحيىٰ عن أَربعينَ ربيعاً وأَربعةِ أَيَّامٍ ، أَخبرني ٱلفاضلُ ٱلوالدُ أَحمدُ بنُ عمرَ بنِ يحيىٰ : أَنَّ عمَّهُ عقيلاً رأىٰ كَأَنَّ قائلاً يقولُ لهُ : عُمُرُكَ أَربعونَ عاماً ، فٱنزعجَ ، ولٰكن عادَ فرأَىٰ ذلكَ ٱلقائِلَ يقولُ لهُ : زدناكَ أَربعَ مرَّاتٍ ، فٱطمأَنَّ .

فكانت ٱلرُّؤيا حقّاً ، ولٰكن لَم تكنِ ٱلزِّيادةُ إِلاَّ أَربعةَ أَيَّامٍ .

وفي تلكَ السَّنَةِ أيضاً ٱنتصرَ ٱلقعيطيُّ على ٱلعولقيِّ وعلى ٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ في ٱلحزمِ وصداع ، حَسَبَما سَبَقَ عندَ ذِكرِهما .

وبإِثرِ ذلكَ ٱنعقدَ ٱلصُّلحُ بواسطةِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ عمرَ ٱلحُبَيد[1] ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ ، وٱلعلاَّمةِ ٱلسَّيِّدِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ شهابٍ علىٰ تخييرِ ٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ بينَ :

أَنْ تخرجَ مِنْ تريم ، وتتسلَّمَ عشرةَ آلافِ ريالٍ .

---

(١) هو السيد الفاضل الشريف علي بن عمر بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله الحُبَيد بن أبي بكر بن حسن بن الحسين بن الشيخ أبي بكر .

وبينَ أنْ تدفعَها لِلقعيطيِّ فيرتفعَ بعسكرِهِ عنِ ٱلنُّويدرةِ فٱختارتْ هـٰذهِ ، ووقعَ ٱلنَّاسُ مِنْ جرَّاءِ تحصيلها في قرنِ ٱلحمارِ ، وكُتبَت بينَهُم وثيقةٌ بتاريخِ ربيعِ ٱلثَّاني مِنْ سَنةِ (١٢٩٤هـ) ، أوردناها معَ تفصيلِ أخبارِ تلكَ ٱلحادثةِ مفصَّلةً في « ٱلأَصلِ » ، وإلىٰ هـٰذهِ ٱلحادثةِ ٱلإشارةُ بقولِ ٱلعلاَّمةِ ٱبنِ شهابٍ [في « ديوانِه » ١٢١ مِنَ ٱلكاملِ] :

كَـمْ فِتْنَـةٍ فِيهَـا ٱكْفَهَـرَّ وَبَـالُهَـا حَمَـدَ ٱلأَنَـامُ سُـرَايَ فِـي إِخْمَـادِهَـا

وهوَ بارٌّ راشدٌ في ذلكَ ، فلقد كانَ لَهُ ٱلسَّعيُ ٱلحثيثُ في ٱلإخمادِ ، ثمَّ كانت لهُ ٱليدُ ٱلبيضاءُ في تحصيلِ ٱلدَّراهمِ .

أمَّا محمَّدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بن عمرَ . . فتركَ أولاداً كراماً ؛ منهم : شيخٌ ، وعمرُ ، وأحمدُ ، لَهم مساعٍ جليلةٌ ، وفضائِلُ جميلةٌ ، وهُم مِنْ أخصِّ ٱلنَّاسِ بأُستاذي ٱلأبرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ ، أقاموا عندَهُ بٱلغرفةِ مدَّةً طويلةً للأخذِ وٱلتَّلقِّي عنهُ . توفِّيَ ٱلأوَّلُ بٱلمسيله سَنةَ (١٣١١هـ) ، وٱلآخرانِ بِمكَّةَ بعدَ أداءِ ٱلنُّسكَينِ سَنةَ (١٣١٠هـ) وولدُهُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ محمَّدٍ حيٌّ يُرزَقُ إلى ٱلآنَ .

وأمَّا ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ عبدِ ٱللهِ . . فقد تركَ أولاداً منهُم : ٱلمتَّفَقُ علىٰ صلاحهِ وتقواهُ ، ٱلسَّيِّدُ أبو بكرِ بنُ عمرَ ، ٱلمتوفَّىٰ بسربايا سَنةَ (١٣٣١هـ)[1] .

ومنهُم : تاجرُ ٱلآخرةِ ، ٱلمشاركُ في كثيرٍ مِن فنونِ ٱلعِلْمِ ، ٱلوالدُ : أحمدُ بنُ عمرَ بنِ يحيىٰ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريم سَنةَ (١٣٥٧هـ) ، وكانَ ٱلنَّاسُ يَنسبونَهُ إلى ٱلشُّذوذِ ؛ لأنَّهُ يُسامحُ في ٱلكبيرِ ويَشتدُّ في ٱلصَّغيرِ ، وربَّما عزَّ عليَّ ٱلانفصالُ عن قولِهم : (لأنَّهُ يجودُ بٱلألفِ وقد يَضِنُّ بٱلدِّرهمِ) وكنتُ ألومُ نفسي ، وأستحيي مِن نظيرِهِ حتَّىٰ رأيتُ

---

(١) هو الحبيب المرشد الصالح أبو بكر بن عمر بن عبد الله بن عمر ، وكان من خواصه السيد العلامة علوي بن محمد بن طاهر الحداد ، الذي جمع بعض الكراريس من منثور كلامه ومواعظه ، وللحبيب أبو بكر رسالة حوت فوائد وأذكار (مخطوط) ، وله ذرية منتشرة ، ومن أَجَلِّ ذريته : ابنته السيدة المسندة العابدة الصالحة فاطمة بنت أبي بكر ، المتوفاة بتريم في (١٢) جمادى الأولى (١٣٥١هـ) .

ما يُشبهُهُ في سيرةِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ بنِ ٱلخطَّابِ رضي ٱللهُ عنهُما ، وحاتمِ ٱلطَّائيِّ ، وعبدِ ٱللهِ بنِ جعفرٍ . وقالَ ٱلبحتريُّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

يَضِيــقُ مِــنَ ٱلأَمــرِ ٱلْيَسِيــرِ مَخَــافَــةً   وَإِنْ كَـانَ أَضْحَىٰ وَاسِعَ ٱلصَّـدْرِ وَٱلْيَدِ

وله أولاد ؛ منهُمْ : ٱبنُهُ ، قرَّةُ ٱلعينِ ، ٱلمنغَّص ٱلشباب مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريمَ في حياةِ أبيه سَنةِ (١٣٥٤هـ)[١] ، وأخوهُ ٱلفاضلُ ٱلأديبُ عبدُ ٱللهِ[٢] بنُ أحمدَ ، يسكنُ ٱلآنَ في سنغافورةَ ، وهوَ ٱلَّذي كانَ يُصدِرُ مجلَّة (عكاظ) في حضرموتَ بخطِّ ٱليدِ ، وقدِ ٱطَّلعتُ علىٰ أعدادٍ منها مليئةٍ بٱلفوائدِ .

ولَعَمْري ، لقد كانتِ ٱلمسيله منزلَ عِلْمٍ ، ومَكْرعَ رِيٍّ ، ومهادَ تقوىٰ ، وعمادَ شرفٍ ، بها رَسَتْ قواعدُ ٱلمجدِ ، وٱنبثقَتْ عيونُ ٱلجودِ ، وٱستحصفت[٣] أسبابُ ٱلمكارمِ ، حتَّىٰ لقد وصفَها بعضُهم بقصيدةٍ قالَ في مطلعها بحقٍّ :

ٱللهُ أَكبَــرْ هَـٰـذِهِ ٱلْمَسِيلَــهْ   فِيهَــا ٱلْهُــدَىٰ وَٱلنُّــورُ وَٱلْفَضِيلَــهْ

إلاَّ أنَّها تعاورُها ٱلظُّلمةُ وٱلنُّورُ ، وٱلغمُّ وٱلسُّرورُ ، ولمَّا وصلَها ٱلوالدُ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ يحيىٰ في سَنةِ (١٣٤٥هـ)[٤] .. أطلعَ بوحَها[٥] ، وأعادَ رُوحَها ، فأَثَّ نباتُها ، وٱنتشرَ رُفاتُها ، ولـٰكنَّهُ لم يَسْلَم مِن أذِيَّةِ آلِ تميمٍ معَ ٱنتسابِهم إليهِ وإلىٰ أجدادِهِ بٱلخدمةِ ، فغادرَها إلىٰ تريمَ ، وكانَ لهُ بها قصرٌ فخيمٌ ، فعادتِ ٱلمسيله إلى ٱلذُّبولِ ، وغابَ عنها ٱلقَبولُ .

---

(١) كان السيد محمد من ألمع بني يحيى المتأخرين ، ذكياً أديباً شاعراً نحوياً ، درس في حضرموت على يد المؤلف وغيره ، وكتب مصنفات في النحو والصرف .

(٢) كان مولده بسنغافورة حيث كان والده يقيم في حدود عام (١٣٢٥هـ) ، وتوفي سنة (١٤٠٥هـ) تقريباً بدولة بالإمارات العربية عند أولاده ، عن سن عالية ناهزت التسعين .
وكان قد تقلب في مناصب حكومية عديدة . ينظر : « تعليقات ضياء شهاب على شمس الظهيرة » (٣٢٥/١ـ٣٢٦) .

(٣) استحصفت : تمكَّنت وٱستحكمت .

(٤) عائداً من سنغافورة .

(٥) بوحَها : شمسها .

أَسْلَىٰ ٱلـزَّمَـانُ عَلَيْهَـا كُـلَّ حَـادِثَـةٍ   وَفُـرْقَـةٍ تُظْلِـمُ ٱلـدُّنْيَـا لِنَـازِحِهَـا[1]
دَارٌ أُجِـلُّ ٱلْهَـوَىٰ عَـنْ أَنْ أُلِـمَّ بِهَـا   فِـي ٱلـرَّكْـبِ إِلاَّ وَعَيْنِـي مِـنْ مَنَـائِحِهَـا

وسيأْتي ذكرُ ٱلسَّيِّدِ عقيلٍ وأَولادِهِ في يشحرَ .

دَمَح

اِعلَمْ أَنَّ في جنوبِ ٱلغُرَفِ فضاءً واسعاً تَشْرَعُ ـ كما سَبَقَ ـ فيهِ ٱلطَّريقُ إِلىٰ سواحلِ حَضْرَمَوْتَ وٱلمسيله في شرقيِّ ٱلغرفِ ، وذلكَ ٱلفضاءُ يمتدُّ في جنوبِها أَيضاً . وفي ذلكَ ٱلفضاءِ كثيرٌ مِنَ ٱلقرىٰ وٱلمزارعِ وٱلصَّحاري ، ولا ينتهي إِلاَّ بالعقبة المسماة بـ : عقبةِ ٱلغزِّ علىٰ ما نُفَصِّلُهُ .

وأَوَّلُ ما يكونُ مِنَ ذلكَ ٱلفضاءِ يقالُ لَهُ : دَمَح .

وفي جنوبِهِ جبلٌ شاهقٌ ، يمتدُّ إِلىٰ ما شاءَ ٱللهُ في جهةِ ٱلجنوبِ ، وأَمَّا مِن جهةِ ٱلشَّرقِ . . فإِنَّهُ ينقطعُ حيثُ ينبسطُ ذلكَ ٱلفضاءُ .

وقد وقعَ في « **ٱلأَصلِ** » أَنَّ هـٰذا ٱلجبلَ بقربٍ مِنَ ٱلسُّويريِّ ، وليسَ كذلكَ حَسَبَما أَخبرني مَن أَثِقُ به مِن أَهلِ تلكَ ٱلجهةِ أَكثرَ مِن ثقتي بمن أَخبرَني بما ٱنبنىٰ عليهِ كلامي في « **ٱلأَصلِ** » ، ومهما يَكُنْ مِنَ ٱلأَمرِ . . فلَم يَنخرمِ ٱلتَّدليلُ بهِ علىٰ وجودِ أَهلِ ٱلرَّسِّ ببلادِ حَضْرَمَوْتَ ؛ لأَنَّ ٱلغُرَفَ وٱلسُّويريَّ متقاربتانِ ، وعن تقارُبِهما نشأَ غلطُ من أَخبرني أَوَّلاً وقد نقلَ ٱلميدانيُّ عنِ ٱبنِ ٱلكلبيِّ : (أَنَّ لأَهلِ ٱلرَّسِّ نبيّاً يقالُ لَهُ : حنظلةُ بنُ صفوان، وكانَ بأَرضِهِم جبلٌ يقالُ لَهُ: دَمَخ ، مصعدُهُ في ٱلسَّماءِ ميلٌ) اهـ[2]

ولَئِنْ كانَ ذاكَ بٱلخاءِ ٱلمعجمَةِ وهـٰذا بٱلمهملَةِ . . فإِنَّ ٱلأَمرَ قريبٌ جدّاً والتصحيفُ في مثلِهِ كثيرٌ ؛ كما صحَّفوا (سر) عن (رس) .

---

(١) البيتان من ٱلبسيط ، وهما لأَبي تمّام في « ديوانه » (١/ ٢٠٢ـ٢٠٣) . أَسْلىٰ : أَغرىٰ . النَّازح : الَّذي ترك دياره ، وبَعُدَ عنها .

(٢) « مجمع الأمثال » (١/ ٤٢٩) .

وفوقَ هـٰذا فإنَّ ٱلجبلَ ٱلفاصلَ بينَ ٱلقُعَيطيِّ وٱلمَهْريِّ بسَاحِلِ ٱلبَحْرِ يقالُ لَهُ : **دَمَخٌ** بٱلخاءِ ٱلمعجمَةِ كما مرَّ في ٱلمرافىءِ ، وٱلأَماكنُ متقاربةٌ ، وكلُّها مِنْ حَضْرَمَوْتَ ، فٱلتَّدليلُ ثابتٌ علىٰ كلِّ حالٍ .

وقالَ ٱبنُ مُقْبلٍ ـ وكانَ وصَّافاً لكثيرٍ مِنَ ٱلأَماكنِ ٱلحضرميَّةِ [مِنَ ٱلكاملِ] ـ :

لِمَـنِ ٱلـدِّيَـارُ بِجَـانِـبِ ٱلأَمْهَـارِ   فِبتَـلِّ دَمْـخٍ أَوْ بِسَلْـعِ جِـرَارِ
خَلَـدَتْ وَلَـمْ يَخْلُـدْ بِهَـا مَـنْ حَلَّهَـا   ذَاتُ ٱلنِّطَـاقِ فَبُـرْقَـةُ ٱلأَحْفَـارِ

وقالَ عنترةُ بنُ ٱلأَخرسِ ٱلطَّائيُّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

لَقَـدْ حَلَّقَـتْ بِـٱلْجَـوِّ فَتْخَـاءُ كَـاسِـرٍ   كَفَتْخَـاءِ دَمْـخٍ حَلَّقَـتْ بِـٱلْحَـزَوَّرِ(1)

وهوَ غيرُ دَمْخٍ ٱلواقعِ بٱلطَّائِفِ ٱلَّذي يقولُ فيهِ مُزَاحمٌ ٱلعُقَيْليُّ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

حَتَّـىٰ تُحَـوِّلَ دَمْخـاً عَـنْ مَـوَاضِعِـهِ   وَهَضْـبَ تُـرْبَـانَ وَٱلْجَلْحَـاءَ مِـنْ طُنُـبِ

وٱلأَسماءُ كثيراً ما تتشابهُ .

وقالَ حمزةُ بنُ ٱلحسنِ ٱلأَصبهانيُّ : دمخٌ : جبلٌ مِن جبالِ ضريّه ، طولُهُ في ٱلسَّماءِ ميلٌ .

وقالَ طُفيلٌ ٱلغنويُّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَلَمَّـا بَـدَا دَمْـخٌ وَأَعْـرَضَ دُونَـهُ   غَـوَارِبُ مِـنْ رَمْـلٍ تَلُـوحُ شَـوَاكِلُـهْ

ٱلسَّهلةُ

ومِنْ وراءِ دَمَح في ٱلجنوبِ مكانٌ يقالُ لَهُ : **ٱلسَّهلةُ** ، لآلِ بَالْهِنْديِّ مِنْ آلِ تَمِيمٍ . وفي أَوَّلِ سَفَرٍ لي مِنْ حَضْرَمَوْتَ ـ سنةَ (١٣٢٢هـ) إلى ٱلحجازِ ـ بكّرْتُ من سيئونَ معَ ٱلمرحومِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عمرَ ٱلسَّقَّافِ مِنْ مكانِنَا عَلَمْ بدرٍ ، وأَبرَدْنا بظِلِّ

---

(1) **الفتخاء** : ليِّنة الجناح . **الكاسر** : العُقاب . **الحزوَّر** : المكان الغليظ . وللبيت قصة ذكرها الميداني في « مجمع الأَمثال » (١/ ٤٢٩) عند قوله : (طارت بهم العنقاء) ، فليراجعها هناك من أحبَّ .

أَثْلٍ[1] حولَ ٱلغرفِ ، ثمَّ كانَ ٱلمبيتُ بهـٰذا ٱلموضعِ ـ أعني : ٱلسَّهلة ـ ، ومعَ ٱمتلاءِ صدري بٱلأحزانِ لفراقِ والديَّ وأهلي . . كانَ سروري عظيماً لمَّا علمتُ أَنَّ ٱسمَ هـٰذا ٱلمكانِ هوَ ٱلسَّهلةُ وَتفاءَلْتُ خيراً ، كما أَنَّ والدي رحمهُ ٱللهُ تكدَّرَ لفراقي كثيراً ولـٰكنَّهُ لَم يَقْدرْ علىٰ منعي عنِ ٱلحجِّ ، وفي ٱللَّيلةِ ٱلَّتي رَكِبْتُ مِنْ فجرِها أو سَحَرِها . . زارَ بي أَحدَ ٱلفضلاءِ ٱلصَّالحينَ ، وبمجرَّدِ ما خرجنا مِنْ عندهِ إذا بإنسانٍ يصيحُ بقولهِ تعالىٰ : ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ فتبادرت دموعُ والدي مِنْ فرطِ ٱلسُّرورِ رضوانُ ٱللهِ عليهِ .

ومِنْ وراءِ ٱلسَّهلةِ جنوباً : **باغْلاَل** . وعن يمينهِ قريةٌ صغيرةٌ كانَ فيها ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ سليمانَ أَحدُ حكَّامِ آلِ تميمٍ وأُولي رأْيِهِم ، قُتِلَ في حربٍ ٱشتبكَ فيها معَ آلِ شملان بعد أَنْ سلَّمَ مِنْ صلاةِ ٱلصُّبحِ ، فلَم تَشْغلهُ ٱلحروبُ عن أَداءِ ٱلفريضةِ .

وفيها جماعةٌ مِنَ ٱلمشايخِ ٱلزُّبيديِّينَ .

ـ ومِنْ ورائِهِما : **ٱلغارينِ** ، لآلِ مُحَمَّدٍ ٱلتَّميميِّينَ . ثمَّ : **بريكة** ، لآلِ مُحَمَّدٍ ٱلتَّميميِّينَ أَيضاً .

يَشْحَرْ

وهوَ وادٍ ليسَ بٱلواسعِ في جنوبِ ٱلمسيله إِلىٰ شرقٍ ، فيهِ عينُ ماءٍ صغيرةٍ .

كانَ ٱلسَّيِّدُ عقيلُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ يحيى ٱشتراهُ للأَميرِ محسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ ٱلعولقيِّ ، ٱلسَّابقِ ذِكرهُ في صداعٍ ، ثمَّ وقفَهُ بتوكيلٍ منهُ علىٰ نَفْسهِ وأَولادهِ ، وعلى ٱلواردينَ وٱلصَّادرينَ ، وٱلعلماءِ وٱلمتعلِّمينَ ، وٱلفقهاءِ وٱلمتفقِّهينَ ، وفي صيغةِ ٱلوقفِ مجالٌ واسعٌ لِلنَّظرِ ، لا سيَّما وقد فَهِمَ بعضُ متأَخِّري ٱلعلماءِ مِن كلامِ ٱبنِ حجرٍ موافقتَهُ للرَّمليِّ في ٱشتراطِ قَبولِ ٱلموقوفِ عليهِ ٱلمُعَيَّن ؛ لأَنَّهُ لا يتأَتَّىٰ مِنَ ٱلسَّيِّدِ عقيلٍ حينئذٍ ٱلوقفُ علىٰ نفسِهِ ، ثمَّ ٱلقَبولُ ، علىٰ ما بَسَطْتُهُ في « **ٱلأَصلِ** » مِن وجهِ ٱلنَّظرِ .

---

(١) **الأثل** : نوع من أنواع الشّجر .

وكانَ ٱلسَّيِّدُ عقيلُ بنُ عبدِ ٱللهِ شهماً قويَّ ٱلنَّفْسِ ، حميَّ ٱلأنفِ ، كما يُعرفُ مِنْ قضيَّةِ ٱلنُّوَيدرةِ .

فَتَـىً عِنْـدَهُ حُسْـنُ ٱلثَّـوَابِ وَشَـرُّهُ ... وَمِنْـهُ ٱلإِبَـاءُ ٱلْمِلْـحُ وَٱلْكَرَمُ ٱلْعَـذْبُ[1]

وكانَ رَجُلَ جِدٍّ ، وله غرائِبُ ؛ مِنها : أَنَّهُ حجَّ ، وٱنعقدَتْ بينَهُ وبينَ ـ ٱلمثري ٱلشَّهيرِ صاحبِ الخيرات الكثيرة ، وٱلأَربطةِ ٱلمعروفةِ بمكَّةَ وجُدَّة ـ فرج يُسرٍ صداقةٌ متينةٌ ، ولمَّا عزمَ ٱلسَّيِّدُ عقيلٌ على ٱلسَّفرِ إِلىٰ جاوة بعدَ أَداءِ ٱلنُّسكَين . . قالَ لَهُ : مِثْلُكَ لا ينبغي أَنْ يغيبَ عَنْ حَضْرَمَوْتَ .

فقالَ لهُ : لا يُمكنني ٱلرُّجوعُ إِليها إِلاَّ ببسطةِ كفٍّ أَستعينُ بها علىٰ حقوقِ ٱلشَّرفِ وٱلمجدِ . قالَ لَهُ : كم تُؤَمِّلُ مِنْ جاوة ؟ قالَ : ما أَنتَ وذاكَ ؟

فأَلحَّ عليهِ ، فقالَ لَهُ : لا يُمكنني ٱلرُّجوعُ إِلىٰ حضرموتَ إِلاَّ بثمانينَ أَلفَ ريالٍ .

فأَعطاهُ إِيَّاها معَ ملءِ مركبٍ شراعيٍّ مِنَ ٱلأَرُزِّ وما يناسبهُ مِنَ ٱلبضائعِ وٱلحبوبِ ، وبمجرَّدِ ما وصلَ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ . . بنىٰ سدّاً للماءِ في مسيال عِدِم ، كلَّفَهُ نحواً مِنْ خمسينَ أَلفاً من ٱلرِّيالاتِ ، فأَجتاحَهُ ٱلسَّيلُ في ليلةٍ واحدةٍ!

وما زالَ ٱلسَّيِّدُ عقيلٌ علىٰ كسبِ ٱلجميلِ ، وفعلِ ٱلجليلِ ، لا يقرُّ علىٰ ضيمٍ ، ولا يَلينُ لقائدٍ ، ولمَّا لَم يَجِدْ عندَ ٱلكثيريِّ لِلنَّفعِ وٱلصَّنيعِ موضعاً . . ٱنبرىٰ لِلمضرَّةِ علىٰ حدِّ قولِ عبدِ ٱلأَعلى بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عامرٍ ـ وكانَ كما في « طبقاتِ ٱلنُّحاةِ » مِنَ ٱلفصحاءِ ـ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

إِذَا أَنْـتَ لَـمْ تَنْفَـعْ . . فَضُـرَّ فَـإِنَّمَـا ... يُـرَجَّـى ٱلْفَتَـىٰ كَيْمَـا يَضُـرَّ وَيَنْفَعَـا[2]

وقالَ ٱلشَّريفُ ٱلرَّضيُّ [في « ديوانهِ » ١/ ٤١٥ من مجزوءِ ٱلرَّجزِ] :

مِـــنْ مَعْشَـــرٍ لَـــمْ يُخْلَقُـــوا ... إِلاَّ لِنَفْـــــعٍ وَضَـــــــرَرْ

---

(١) البيت من الطويل ، وهو لأبي تمام في « ديوانهِ » (١/ ١٤٣) .
(٢) البيت للنَّابغة الجعديِّ في « ديوانهِ » (١٠٦) .

وقالَ كعبٌ ٱلأَشقريُّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

رَأَيْتُ يَـزِيـداً جَـامِـعَ ٱلْحَـزْمِ وَٱلنَّـدَىٰ ... وَلاَ خَيْــرَ فِيمَــنْ لاَ يَضُــرُّ وَيَنْفَــعُ

وقالَ حبيبٌ [في « ديوانه » ١/ ٤٠٠ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَلَـمْ أَرَ نَفْعـاً عِنْـدَ مَـنْ لَيْـسَ ضَـائِـراً ... وَلَـمْ أَرَ ضُـرّاً عِنْـدَ مَـنْ لَيْـسَ يَنْفَـعُ

وقالَ عديُّ بنُ زيدٍ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

إِذَا أَنْــتَ لَــمْ تَنْفَــعْ بِــوُدِّكَ أَهْلَــهُ ... وَلَـمْ تُنْـكِ بِـٱلْبُـؤْسِ عَـدُوَّكَ فَـٱبْعِـدِ

وعندئِذٍ قامَ بفتنةِ ٱلنُّويدرةِ ٱلسَّابقِ ذِكرُها في ٱلمسيله .

ومِن مكارمِ عقيلٍ : أَنَّهُ وضعَ عندَ أَبي بسيطٍ أَربعينَ أَلفَ ريالٍ عَن مئةِ أَلفِ ربيَّةٍ هولنديَّةٍ بمصرفِ ذلكَ ٱلعهدِ علىٰ سبيلِ ٱلقرضِ ، فلمَّا تأَخَّرَ شغلُ أَبي بسيطٍ . . كتبَ لهُ ٱلنَّاصحونَ ليتلافىٰ مالَهُ بٱلسَّفرِ إِلىٰ سربايا مِن أَرضِ جاوة ، فلامَهم وقالَ : إِنِّي أَحرجَ ٱلأَوقات أُضيِّقُ علىٰ صديقي ، لو كانَ مالي بأَسرِهِ ينفِّسُ عنهُ ما وقعَ فيهِ . . لأَعطيتُهُ إِيَّاهُ .

ثمَّ لم أَدرِ ماذا صارَ ، غيرَ أَنَّ هـٰذا مِنَ ٱلشَّهامةِ وٱلوفاءِ بمكانٍ .

يَـا هِمَّــةً نَبُلَــتْ عَــنْ أَنْ يُقَــالَ لَهَــا ... كَــأَنَّهَــا وَتَعَــالَــتْ عَــنْ مَــدَى ٱلْهِمَــمِ

وقد خلَّفَ جملةً مِنَ ٱلأَولادِ ، أَكبرهُمُ : ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ عقيلٍ(١) ، كانت لَهُ حافظةٌ قويَّةٌ ، وٱطِّلاعٌ تامٌّ ، وإِكبابٌ على ٱلمطالعةِ ، وكانَ بدءَ أَمْرِهِ

---

(١) ولد بالمسيلة سنة (١٢٧٩هـ) ، عكف من صغره على مكتبة آبائه وأجداده ، ونهل منها علماً كثيراً . ثم سافر إلى سنغافورة تاجراً وأثرى بها ، رحل إلى بلدان عديدة .

كان له الريادة في إصدار أول صحيفة عربية تصدر في شرق آسيا ، وهي صحيفة : « الأيام » ، صدر عددها الأول في جمادى الآخرة (١٣٢٤هـ) (١٩٠٦م) ، وآخر عدد في ذي الحجة (١٣٢٦هـ) . وأتبعها بصحيفة : « الإصلاح » ، وكانت أسبوعية ، صدر عددها الأول في شوال (١٣٢٦هـ) ، واستمرت إلى ذي الحجة (١٣٢٨هـ) ، وكانت رئاسة تحريرها للأستاذ كرامة بلدرم . ثم أصدر صحيفة : « برهوت » عندما كان مقيماً في الصولو بإندونيسيا ، مكثت عامين ثم انقطعت كمثيلاتها .

على ٱعتدالٍ في ٱلتَّشيعِ حتَّىٰ لقد دخلَ ٱلعراقَ في سَنةِ (١٣٣٠هـ) ومعَهُ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ ٱلحبيدُ وٱلسَّيِّدُ يوسفُ بنُ أحمدَ ٱلزَّواوي صاحبُ مَسْقطٍ ، فلَم يُرْضِ ٱلشِّيعةَ ولا أهلَ ٱلسُّنَّةِ ؛ لخروجهِ عن سَمْتِ ٱلفريقينِ ، ولٰكنَّهُ غلا بٱلآخرةِ في تشيُّعهِ حتَّى ٱقتربَ مِنْ ساداتِ ٱلأُمَّةِ رضوانُ ٱللهِ عليهِم ، وتأثَّرَ بكلامهِ كثيرٌ ممَّنْ يَعِزُّ علينا ٱنحرافُهُم ، فلقد بعثَ ليَ بنسخةٍ مِنْ قصيدةٍ سيَّرَها للإمامِ ٱلحالي ، يقولُ مِنها في مدحهِ [مِنَ ٱلكاملِ] :

رُوحٌ مُقَــدَّسَــةٌ وَقَلْــبٌ ضَمَّــهُ ... فِـي قَـالَـبِ ٱلتَّصْـوِيـرِ أَحْسَـنُ هَيْكَـلِ

ويقولُ فيها عن أهلِ ٱلبيتِ :

بُـرَآءُ مِـنْ حَسَـدِ ٱلْمَشُـومِ وَغِلْظَـةِ ٱلْـ ... ـفَـظِّ ٱلْغَشُـومِ وَمِـنْ تَقَهْقُـرِ نَعْثَـلِ[1]

وما أرىٰ هٰذا ٱلتَّعريضَ ٱلفاحشَ عن عقدٍ قلبيٍّ ونيَّةٍ قطعيَّةٍ ، وعلَّهُ كانَ عن ثورةٍ نفسيَّةٍ ذهبَ بهِ ٱلكلامُ فيها إلىٰ غيرِ ما يريدُ ، وما أصدقَ قولَ بديعِ ٱلزَّمانِ : الكلامُ مجون ، وٱلحديثُ شُجون ، وٱللَّفظُ قد يُوحِشُ وكلُّه ود ، وٱلشَّيءُ قد يُكرَهُ وما مِن فعلِهِ بُد ، وٱلعربُ تقولُ : لا أبَا لكَ في ٱلأمرِ إذا هَمّ ، وقاتَلَهُ ٱللهُ ولا يريدونَ بهِ ٱلذَّمّ ، وويلُ أُمِّهِ للمرءِ إذا أهمّ .

أمَّا ٱلإمامُ حفظَهُ ٱللهُ : فإنَّهُ لا يعجبُهُ مثلُ ذلكَ ؛ لأنَّهُ ليسَ مِنَ ٱلمتعصِّبينَ ، بل هوَ ٱلَّذي ٱجتثَّ عروقَ ٱلتَّعصُّبِ مِن بينِ ٱلزَّيديَّةِ وٱلشَّافعيَّةِ حتَّىٰ عادوا إخواناً ، وسلَكَ فجَّهُ وليُّ عهدِهِ ، وبابُ مدينةِ مُلكِهِ ومجدِهِ : ولدُهُ أحمدُ وولدُهُ زينُ ٱلشَّبابِ ٱلمأسوفُ عليهِ ٱلبدرُ محمَّدٌ .

وأمَّا أنَا : فقدِ ٱتَّعَظتُ بغلوِّ ٱلعلاَّمَةِ ٱبنِ عقيلٍ ٱتِّعاظاً حسناً ؛ إذ سَلِمتُ بٱستنكارهِ عنِ ٱلوقوعِ في ٱلحِمَى ٱلَّذي لا ينبغي أنْ يُقرَبَ ، لاسيَّما وحاميهِ سيِّدُ ولدِ آدمَ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وما للقاصرينَ أمثالِنا وٱلدُّخولَ بينَ ٱلمهاجرينَ ٱلأوَّلينَ وتعريفَ

---

(١) التَّقهقر : الرُّجوع . النَّعثل : الشَّيخ الأحمق .

طبقاتِهم وترتيبَ درجاتِهم ؟ هيهاتَ! لقد حَنَّ قدحٌ ليسَ مِنها[1] .

وكانَ ٱلعلاَّمةُ ٱبنُ عقيلٍ قويَّ ٱلإرادةِ ، حميَّ ٱلأنفِ ، وجرىٰ عليهِ ٱمتحانٌ بسنغافورة وجاوة . . فلم يزلَّ نعلُه ، ولا لان جانبُه ، ولَهُ رحلاتٌ ـ حتَّىٰ إلى ٱلقارَّةِ ٱلأوربيَّةِ ـ بمعيَّةِ أَميرِ ٱلإحسانِ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ أَحمدَ ٱلسَّقَّافِ[2] ، ولهُ ٱتِّصالٌ بكثيرٍ مِنْ أَعيانِ مصرَ وغيرِها . ولَهُ مؤَلَّفاتٌ كثيرةٌ ، أَجمعُها وأَحبُّها إِليهِ ٱلكتابُ ٱلموسومُ بـ« ثمراتِ ٱلمطالعةِ » ، ومنها : « ٱلعَتْبُ ٱلجميلُ علىٰ أَهلِ ٱلجَرْحِ وٱلتَّعديلِ »[3] .

غيرَ أَنَّ ٱلشَّيخَ ٱلأديبَ أَحمدَ ٱلحضرانيَّ أَخبَرني عن ٱلعبَّاديِّ ٱلثِّقةِ ٱلَّذي كانَ موظَّفاً بدارِ ٱلضَّربِ في حيدر آبادَ ٱلدَّكَنِ : أَنَّهُ ليسَ لهُ ، وإِنَّما كانَ مِن تأليفِ ٱلعلاَّمةِ ٱلسَّيِّدِ أَبي بكرِ بنِ شهابٍ ، فنزلَ عنهُ للعَلاَّمَةِ ٱبنِ عقيلٍ ، وأَنَّهُ كانَ شاهدَ ذلكَ ٱلنُّزولِ .

وأَنا في شكٍّ منهُ ؛ أَمَّا أَوَّلاً : فلأَنَّ عبارتَهُ وموضوعَهُ أَمَسُّ بعبارةِ ٱبنِ عقيلٍ وجَدِيلتِهِ ، وأَمَّا ثانياً : فإِنَّهُ حصيلُ مطالعاتٍ كثيرةٍ ومراجعاتٍ وفيرةٍ لا يصبرُ عليها شيخُنا ٱلعلاَّمةُ ٱبنُ شهابٍ ، وإِنَّما كانَ لهُ فهمٌ وقَّادٌ يتيسَّرُ لهُ عفواً معَهُ ٱلمرادُ ، وٱللهُ أَعلمُ .

توفِّيَ ٱلسَّيِّدُ ٱبنُ عقيلٍ بٱلحديدةِ سَنَةَ (١٣٥٠هـ) ، وقد رثيتُهُ بمرثيَّةٍ لزوميَّةٍ توجَدُ بمكانِها مِنَ « ٱلدِّيوانِ » .

ورثاهُ جماعةٌ مِنَ ٱلأُدباءِ ؛ منهم ٱلعلاَّمةُ ٱلأَخُ علويُّ بنُ طاهرٍ ٱلحدَّادُ ، وٱلشَّاعرُ

---

(١) **حنَّ قدح ليس منها** : مثل تضربه العرب للرَّجل يتمدَّح بالشَّيء وهو من غير أهله .

(٢) هو السيد المحسن صاحب المبرات والأوقاف الخيرية ، محمد بن أحمد بن عبد الرحمـٰن بن علوي بن عبد الله بن محمد بن عمر الصافي السقاف . . .
ولد بسنغافورة ، وكان والده من أعيان تجارها ، مشهوراً بالسخاء والكرم ، واقتفى ابنه المترجم نهجه ، وأجرى الله على يديهما خيراً كثيراً ، توفي السيد محمد بسنغافورة سنة (١٣٢٣هـ) . تكلم عن جودهما صاحب « التلخيص » (٤٤) .

(٣) وقد طبع « العتب » بمصر قديماً ، وهو يتناول الدفاع عن بعض الرواة ضعفوا بسبب تهمتهم بالتشيع! وله مؤلفات أخرى غير هـٰذا . . تنظر في ترجمته الطويلة من « التعليقات » لضياء شهاب : (١/٣١٨ـ٣٢٤) ، « الرابطة » أعداد سنة (١٣٥١هـ) ، و« الأعلام » (٦/٢٦٩ـ٢٧٠) .

ٱلمطبوعُ : أَحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلسَّقَّافُ ، وٱلكاتبُ ٱلشَّهيرُ ٱلسَّيد محمَّدُ بنُ هاشمِ بنِ طاهرٍ ، وغيرُهم .

وتركَ أَولاداً ؛ مِنهُم ـ وهوَ أَكبرُهُم ـ : عيسىٰ ، لَهُ نكاتٌ ونوادرُ ، يسكنُ ٱلآنَ بصنعاءَ . ومِنهُم : عليٌّ ، شابٌّ فاضلٌ ، كريمُ ٱلأَخلاقِ ، كانَ كاتمَ سرِّ سيفِ ٱلإسلامِ ٱلحسينِ بنِ أَميرِ ٱلمؤمنينَ ، وكانَ بمعيَّتِهِ في سفرهِ إِلىٰ أَوربَّة ثمَّ إِلى ٱلحجازِ ، توفِّيَ بصنعاءَ في سَنةِ (١٣٦٣هـ) .

ومن أولاد السيد عقيل : ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ عقيلٍ ، كانَ فقيهاً حكيماً ، ذا رأْيٍ أَصيلٍ ، وسعيٍ جميلٍ ، وخُلُقٍ حسنٍ ، توفِّيَ بٱلمسيله بإِثرِ حمًّى خفيفةٍ جدّاً[1] في محرَّمِ سنةَ (١٣٣٩هـ) ، وشهدَ دفنَهُ أَخوهُ ٱلعلاَّمةُ محمَّدٌ ؛ لأَنَّهُ وصلَ حضرموتَ في أَواخرِ سنةِ (١٣٣٨هـ) ، ولم تطل إِقامتُهُ بعدَ وفاةِ أخيهِ بل عادَ إِلىٰ مقرِّ تجارتِهِ .

ولا بأْسَ إِذ جرىٰ ذِكرُ ٱلشَّيخِ فرجِ يُسرٍ مِنَ ٱلإِشارةِ إِلىٰ سببِ ثروتِهِ وزوالِها ؛ لأَنَّ خبرَ ذلكَ طريفٌ جدّاً ، فقد كانَ راكباً في أَحدِ ٱلمراكبِ ٱلشِّراعيَّةِ ، وكانَ في خُلقهِ حدَّةٌ وشراسةٌ ، وكانَ رُبَّانُ ٱلمركبِ يُحبُّ أَنْ يُغضبَهُ ويتنادرَ عليهِ ، فرسىٰ بهِمُ ٱلمركبُ في سيلان[2] ولَهُ بها معارفُ ، ومِنْ عادتهِم أَنْ لا يُقلعوا إِلاَّ بعدَ شحنِ ٱلبضائعِ مِنها وهيَ تستغرقُ أَيَّاماً ، فكانوا يخرجونَ لِلنُّزهةِ صباحَ كلِّ يومٍ إِلىٰ مرسىٰ كُلُمبو[3] ، وهناكَ يحضرُ ٱلدَّلاَّلونَ بٱلأَشياءِ ٱلتَّافهةِ لِبَيْعِها بٱلمزادِ ، فتواطأَ ٱلرُّبانُ معَ ٱلحاضرينَ أَنْ يُوقِعوا فرجَ يسرٍ في ٱلشَّبكةِ ، فكانَ ٱلمعروضَ في ذلكَ ٱليوم صندوقانِ خشبيَّانِ أَكلَ ٱلدَّهرُ عليهِما وشربَ ، وٱعترقتِ ٱلأَرضةُ ظواهرَهُما حتَّىٰ لَم يَبْقَ مِنهُما إِلاَّ ٱلرُّسومُ ، إِلاَّ أَنَّهُما

---

(١) وقد خلف السيد عمر في فضله وعلمه ابنُه العلامة الفقيه الأديب السيد إبراهيم بن عمر المولود بالمسيله سنة (١٣٢٧هـ) تقريباً . وقد كان السيد إبراهيم من أعيان علماء اليمن ، وتولى نظارة المعارف في صنعاء وتعز أيام الإمام أحمد . وهو من خريجي الرباط وجمعية الأخوة بتريم ، ودرس على شيوخ عصره ، وله منظومة عذبة حوَتْ أسماء شيوخه سمّاها : « مشرع المدد القوي نظم السند العلوي » . ثم تولى منصب إفتاء لواء تعز إلى أن توفي سنة (١٤١٥هـ) . له ترجمة مختصرة في : « لوامع النور » .

(٢) جزيرة سيلان الشهيرة المعروفة الآن باسم : (سيرلانكا) .

(٣) وهي العاصمة .

لا يزالانِ مُقفلَينِ ، فوقعا بتدبيرِ ٱلرُّبَّانِ عندَ فَرَج ، فأَخذوا يغمزون ويلمزون إلىٰ أن ضاقَ صدرُ فرج ـ وسرعان ما يضيقُ ـ فعادَ إلى ٱلمركبِ حزيناً ، ولمَّا كانَ وسطُ ٱللَّيلِ . . عزمَ علىٰ رميهما في ٱلبحرِ ، ثمَّ ثابَ إليهِ رشدُهُ وٱرتأَىٰ أَنْ لا يَرميَهُما حتَّىٰ يرىٰ ما فيهما ، فعادَ بهما إلىٰ مَخْدعهِ وفتحهما . . فإذا بهما مشحونانِ بٱلأوراقِ ٱلماليَّةِ مِنْ ذواتِ ٱلألفِ ربيَّةٍ بما يُقوَّمُ بعشراتِ ٱلملايين ، فمِنْ ذلكَ كانت ثروتُهُ ٱلَّتي لَم يقفْ فيها عندَ غايةٍ مِنْ فعلِ ٱلمَكْرُماتِ ، إلاَّ أَنَّ أَمرَها مَخُوفٌ ، ولاسيَّما إِنْ أَمكنَ معرفةُ أَربابِ تلكَ ٱلأَموالِ ، فعسىٰ أَنْ لا تُمكنَ معرفتُهُم إذ ذاكَ ليكونَ لها وجهٌ مِنَ ٱلحلِّ .

ولَم يَكتفِ بتلكَ ٱلمبالغِ ٱلضَّخمةِ حتَّىٰ أَخذَ يوسّعُها بٱلتِّجارةِ ، فٱقتنى ٱلعددَ ٱلكثيرَ مِنَ ٱلمراكبِ ٱلشِّراعيَّةِ ، يَمخُرُ بها عبابَ ٱلبَحْرِ ٱلهادي وٱلهنديّ وٱلأَحمر وٱلأَبيض وغيرِها ، حتَّىٰ لقد جهَّزَ في بعضِ ٱلمواسمِ خمساً وعشرينَ سفينةً هيَ وما فيها مِنَ ٱلبضائعِ . . مِنْ أَموالهِ ٱلخالصةِ . ولمَّا جاءَ ٱلإدبارُ . . وَرِدَتْهُ في يومٍ واحدٍ خمسٌ وعشرونَ برقيَّةً ، كلٌّ واحدةٍ بتلفِ سفينةٍ وما فيها مِنَ ٱلبضائعِ ، فلَم يَنكسفْ بالُهُ ، ولَم يَتغيَّرْ حالُهُ . علىٰ روايةٍ هـٰذا ٱتَّفقَ جماعةٌ مِنْ معمَّري ٱلحُدَيدةِ في سنةِ (١٣٤٠هـ) عن خبرةٍ بحقيقةِ ٱلأَمرِ ؛ إذ كانَ رَبَاؤهُ هوَ بٱلحديدةِ ، إلاَّ أَنَّ في ٱلنَّفسِ شيئاً مِنَ ٱلبرقيَّاتِ ؛ لأَنِّي لا أَدري أَكانت متَّصلةً لذلكَ ٱلعهدِ أَم لا؟

وكانَ عبداً حَبشيّاً أَعتقَهُ بعضُ أَهلِ ٱلحديدةِ ، وكانت أُمُّ ٱلسَّيِّدِ ٱلجليلِ عقيلٍ حَبشيَّةً أَيضاً ، فهـٰذا معَ عِشْقِ ٱلمكارمِ وتحمُّلِ ٱلمغارمِ . . هوَ ٱلجامعُ بينَ ٱلرَّجلَينِ .

ومِنْ وراءِ يشحر إلىٰ جهةِ ٱلجنوبِ ٱلغربيِّ مكانٌ يقالُ لَهُ :

ٱلصَّاري ، وهوَ قريةٌ صغيرةٌ لآلِ مِقَيْدِح ٱلجَابريِّينَ ، لا يزيدُ سُكَّانُها ٱلأَكَرَةُ عن سبعينَ شخصاً .

ثمَّ : **شَرْيُوف** ، وهوَ وادٍ أَكثرُ أَموالهِ للسَّادةِ آلِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينٍ ٱلعيدروسِ وٱلمشايخِ ٱلزُّبيديّينَ .

ثمَّ : **رضيح** ، وهوَ وادٍ مباركٌ ، كانَ لِلحبيبِ علويِّ بنِ أَحمدَ ٱلعيدروسِ ، ثمَّ ٱنقسمَ بينَ ورثتهِ ، ثمَّ ٱستخلصَ أَكثرَهُ ٱلمنصبُ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ حسينٍ ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ في

تاربه ، وكانَ تحمَّلَ ديوناً في ٱلحَرْبِ ٱلَّتي جَرَتْ بسببِ مَسْجدِ آلِ بوفطيمٍ ، أثقلَتْ كاهلَهُ ، ولـٰكنَّهُ قضاها مِنْ موسمٍ واحدٍ فيهِ صادفَ غلاءً وسلامةً مِنَ ٱلجرادِ ٱلَّذي ٱجتاحَ أكثرَ زرعِ حَضْرَمَوْتَ في ذلكَ ٱلعامِ .

وبإثرِ وفاتهِ ٱستولىٰ إمارةَ رضيخ ولدُهُ ٱلمَنْصِبُ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ ، وفي أيَّامهِ دخلَ آلُ عمِّهِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينٍ بٱلشِّراءِ مِنْ إخوانهِ إلىٰ ما لأبيهم مِنْ ميراثِ أبيهِ فيه ، فأقلقوا راحتَهُ ، وجرت بينَهُم منازعاتٌ لا تزالُ آثارُها في نفوس ٱلطَّرفينِ إلى ٱليومِ . وقد قالَ حبيبٌ [في « ديوانهِ » (٢/ ١٠٢) مِنَ ٱلكامل] :

حَسَـدُ ٱلْقَـرَابَـةِ لِلْقَـرَابَـةِ قَـرْحَـةٌ   تُـدْمِـي عَـوَانِـدُهَـا وَجُـرْحٌ أَقْـدَمُ[1]

وقد مرَّ في ٱلحسيِّسةِ أنَّ آلَ ٱلعيدروسِ ألَّفوا جمعيَّةً أهمُّ أغراضِها : إصلاحُ ذاتِ بينِهم ، ولـٰكنَّها لم تفعل شيئاً إزاءَ هـٰذا ؛ لأنَّ تلكَ ٱلجمعيَّةَ معقودةٌ بما يهواهُ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ حسينٍ ٱلعيدروسُ ؛ إذ هوَ ٱلقائمُ بأكثرِ كلفتِها ، وكانَ متعصِّباً على ٱبنِ أخيهِ . فلم تتداخل جمعيَّتُهُم في ذلكَ ؛ مراعاةً لخاطرِهِ .

ثمَّ حصنُ ٱبنِ ضَوْبان ، لآلِ جابرٍ ، ومنهُ تنشعبُ ٱلطُّرقُ ، فتذهبُ طريقٌ إلى ٱلنَّعرِ ؛ وهوَ مسيلٌ بينَ جبلَينِ ، تنصبُ فيهِ ٱلمياهُ مِنْ عدَّةِ جبالٍ واسعةٍ .

ومتى ٱرتفعتَ عن ذلكَ ٱلمسيلِ وتسنَّمتَ ٱلجبلَ . فأوَّلُ ما تمرُّ بهِ . . **حَرُو** ، وفيهِ حوضٌ يحفظُ ٱلماءَ مدَّةً ليست بٱلطَّويلةِ ؛ لأنَّهُ غيرُ مجصَّصٍ . ثمَّ ريدةُ **ٱلجُوهِيِّينَ** . ثمَّ **بضي** .

وتذهبُ ٱلأُخرىٰ في ذلكَ ٱلفضاءِ ٱلواسعِ تَوّاً . وأوَّلُ ما يمرُّ ٱلذَّاهبُ فيها **بٱلرُّدُودِ** ، قريةٌ لابأسَ بها لِلمشايخِ ٱلزُّبيديِّينَ وآلِ جابرٍ . ومِنَ ٱلزَّبدةِ بها ٱلآنَ ٱلشَّيخُ يِسْلَمُ بنُ سعيدٍ .

ثمَّ **سُونهْ** ، وهوَ وادٍ صغيرٌ لِلزَّبدةِ . ثم **حِكْمِهْ** ، وهوَ وادٍ آخَرُ أوسعُ وأكثرُ عمارةً مِنْ سُونهْ ، لآلِ جابرٍ ولِلزَّبدةِ .

---

(١) **القَرحة** : الجرح الَّذي امتلأ قيحاً . **عواندها** : سيلانها ، مِن عَنَدَ الدَّمُ . . إذا سال .

وتصعدُ مِن وادي حِكْمه في عقبتِها طريقٌ إلىٰ رِسِبَ ، ومنها إلىٰ عثه عَقَبَةٌ كأداءُ يُنزَلُ منها إلى ٱلأَرضِ ٱلمتَّصلةِ بٱلسَّاحلِ علىٰ مسافةِ يومٍ للرَّاكبِ ٱلمُجدِّ .

وفي أثناءِ عَقبةِ حِكْمه عينٌ صغيرةٌ عذبةٌ باردةٌ .

وفي قطَعٍ معيَّنةٍ مِنْ شراجِ حكمه تداعٍ بينَ ٱلزَّبدةِ وٱبنِ مُتَيهمٍ ، وحاصلُهُ : أَنَّ ٱبنَ متيهمٍ باسطٌ ذراعيهِ علىٰ تلكَ ٱلقطعِ منذُ نحوِ مئةِ سنةٍ ، ومعَهُ خطٌّ بٱلقسمةِ بينَ ٱلزبدةِ وبينَ أَبيهِ ، فٱدَّعى ٱلزُّبيديُّونَ أَنَّ يدَهُ غاصبةٌ بطريقِ ٱلشَّراحةِ ٱلظَّالمةِ ، وشهدَ لَهُم شهودٌ منهم ، وصدرَ لَهُم حُكمانِ ضدَّ ٱبنِ مُتَيهمٍ مِنْ قاضي تريم لِما قَبْلَ ٱليوم بأَكثرَ مِنْ عشرِ سنينَ ، فسُئِلْتُ عن ٱلحكمينِ . فأَفتيتُ ببطلانِهما ؛ لأَنَّ ٱلشُّهودَ شَهدوا بأَنَّ فلاناً غصبَ هـٰذهِ ٱلقطعَ ، وٱلحالُ أَنَّهم لَم يَشهدوا زمنَ ٱلغصبِ ، ومِنْ شرطِ ٱلشَّهادةِ بٱلتَّسامعِ في ٱلغصبِ أَنْ يقولَ ٱلشَّاهدُ : (أَشهدُ أَنَّهُ مغصوبٌ) لا (أنه غصبَ) ـ بصيغة ٱلفعل ٱلماضي ـ لأَنَّ هـٰذهِ صورةُ كذبٍ ؛ لاقتضائِهِ أَنَّهُ رأَىٰ ذلكَ وشاهدَهُ .

هـٰذا ما قرَّرَهُ ٱلفقهاءُ بٱلاتِّفاقِ ، وٱنضمَّ إلىٰ ذلكَ ما قرَّرُوهُ في ٱلأَيمانِ أَنَّ ٱستدامةَ ٱلغَصْبِ ليست بغَصْبٍ ، فٱلشَّهادةُ باطلةٌ .

ويزيدُ ٱلحكمُ ٱلثَّاني بأَنَّ أَحدَ شهودِهِ كانَ مِنَ ٱلمدَّعينَ في ٱلأَوَّلِ .

ثمَّ تكرَّرتِ ٱلأَحكامُ ، وخبطَ ٱلقضاةُ وٱلمستأْنِفونَ ، واختلفوا .

ومِنَ ٱلمُدهشِ : أَنَّهم لم ينفصلوا عنِ ٱلاعتراضَينِ ٱللَّذَينِ ذكرتُهما بحالٍ ، وكأَنَّهم لا يلجؤُونَ إلى ٱلكُرَّاسِ ، وإنَّما يأْخذونَ ممَّا في ٱلرَّاس .

وأُحيلَتِ ٱلقضيَّةُ في ٱلأَخيرِ إلى ٱستئنافٍ جديدٍ لا ندري ماذا يفعل . وٱلمسأَلةُ مشكلةٌ لا مِنْ حيثُ ٱلنُّصوصُ ٱلعلميَّةُ ، ولـٰكنْ لاختلافِ مشاربِ أَهلِ ٱلنُّفوذِ ؛ فأَحدُهم يؤَيِّدُ ٱلزَّبدةَ ، وٱلأَخرُ يؤَيِّدُ ٱبنَ متيهمٍ وٱلحقُّ في ظاهرِ ٱلأَوضاعِ ٱلشَّرعيَّةِ إلىٰ جانبِ ٱبنِ مُتَيهم ، وأَمَّا في باطنِ ٱلأَمرِ . فٱلشُّبهةُ قائِمةٌ ، وٱللهُ أَعلمُ .

وفي غربيِّ حِكْمه : وادٍ واسعٌ يقالُ لهُ : **بايوت** ، يسكنُهُ كثيرٌ مِن آلِ نهيمٍ ٱلوزيريِّينَ ، وغيرُهم . **ورِسِب** ، وهوَ لآلِ جابرٍ ، ومنذُ ٱثنتي عشرَةَ سنةً تعرَّضوا

لسيَّارةٍ فيها أَحدُ رجالِ ٱلحكومةِ ٱلإنكليزيّة[1] فأَصابوها بخللٍ قليلٍ ، فحكمَ عليهم سلطانُ سيئونَ غيابيّاً بغرامةٍ كثيرٍ مِنَ ٱلبنادقِ وٱلإبلِ ، فلَم يَمتثلوا ، فأَمطرتهُمُ ٱلطَّائِراتُ نيراناً أَضرَّتْ بحصونِهم وعلوبِهم ، فبخعوا بها وسلَّموها صاغرينَ مظلومينَ .

ومِنْ وراءِ حِكْمِهْ إِلى ٱلجنوبِ : **سكْدَان** ، يَسكنُهُ : آلُ جابرٍ ، وحرَّاثونَ ، وسادةٌ مِنْ بيتِ حُمُودِهْ ، وناسٌ مِنْ آلِ قعفان ، وناسٌ مِنْ آلِ بلحاج ، وناسٌ مِنْ آلِ ٱبنِ قماش .

ثمَّ **راوَك** ، للمشايخِ آلِ باوزيرٍ . ثمَّ **غَيلُ عُمَرَ** ، وقد سبقَ في غيلِ باوزيرٍ أَنَّ غيلَ عمرَ هـٰذا هوَ أَقدمُ منهُ ، وأَوَّلُ مَنْ بنىٰ بهِ بيتاً ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ سالمٍ باوزير ، سَنَةَ (٧٠٦هـ) ، ثمَّ بنى ٱلنَّاسُ بعدَهُ ، ذكرَهُ ٱبنُ حسَّان في « تاريخهِ » .

وٱلشَّيخُ عمرُ هـٰذا أَحدُ تلاميذِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ باعلويٍّ ، كما في (ص ١٨٦ ج ٢) مِنَ « ٱلمشرعِ »[2] .

وٱلمنازلُ ٱلَّتي يَشملُها ٱسمُ غيلِ عمرَ منقسمةٌ بٱلمسيال :

فٱلَّذي في ٱلشَّاطىءِ ٱلغربيِّ منهُ : **ٱلصُّبَيعةُ** ، وفي جنوبِها مَسْجدُ ٱلشَّيخِ عمرَ . وٱلَّذي في ٱلشَّاطىءِ ٱلشَّرقيِّ : **ٱلدُّلْفةُ** . ثمَّ **ٱلحَزمُ** . ثمَّ **سكْدَان** . ثمَّ **كُوتُ سُرُور** . ثمَّ **ٱلعَرْضُ** . ثمَّ **ٱلنُّويدرةُ** .

وقدِ ٱستوخمَهُ كثيرٌ مِنَ ٱلسُّكَّانِ فٱنتقلوا عنهُ إِلىٰ سكْدَان . وكانَ فيهِ أَجدادُ ٱلمشايخِ آلِ باسَوْدانَ ، حتَّىٰ إِنَّ بعضَهُم ينسبُهُ إِليهِم ، فيقولُ : غيل باسَودان .

وربَّما يكونُ ٱلمنسوبُ إِلىٰ باسودانَ ناحيةٌ غيرُ ٱلنَّاحيةِ ٱلمنسوبةِ إِلى ٱلشَّيخِ عمرَ ؛ فٱلغيلُ طويلٌ ، منبعُ مياهِهِ مِن جنوبِ ساه ، ولا ينتهي إِلاَّ بعدَ مجاوزةِ سنا ، إِلاَّ أَنَّها تتقطَّعُ ؛ ففي أَكثرِ ٱلنُّقاطِ تظهرُ ، وفي ٱلكثيرِ تغورُ .

ثمَّ إِنَّ آلَ باسودانَ خرجوا عَنِ ٱلعاميَّةِ وتَفقَّروا ، وأَخذوا في طلبِ ٱلعِلمِ حَسَبَما سبقَ في ٱلخُريبةِ من بلادِ دَوعنَ .

---

(١) هو انجرامس ، ممثل بريطانيا في حضرموت .

(٢) في النسخة التي اعتمدناها في التحقيق (٢/٤٠٦) .

ثمَّ عرفتُ أنَّهم كانوا حلولاً في سكدانَ ، وبذلكَ ينطقُ شعرُ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ ، ولهمُ ٱتِّصالٌ بدوعنَ في أيَّامِ ٱلشَّيخِ سعيدِ بنِ عيسى ٱلعموديِّ ، ثمَّ تزوَّجَ فيهمُ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ سالمٍ باوزيرٍ ، فكانوا أخوالَ ولدِهِ عمرَ ٱلمذكورِ ، ولمَّا ظهر . . بَنَىٰ بٱلغيلِ وطَرَدَ عنهُ أخوالَهُ ، فذهبوا إلىٰ دوعنَ .

سَاه[1]

هيَ في جَنُوبِ غيلِ عمرَ ، عن يسارِ ٱلذَّاهبِ إلىٰ عقبة ٱلغُزِّ ، وهيَ بلدةٌ لابأسَ بها ، في حدودِ آلِ جَابرٍ ، بل هيَ عاصمةُ بلادِهِم ، ولٰكنْ لمَّا كَثُرَتْ بينَهُمُ ٱلمظالمُ ، ولَم ينتصفْ أَحدٌ مِنَ ٱلآخرِ . . جاؤُوا في حدودِ سَنةِ (١٣٣٦هـ) إلىٰ سيئونَ يَطلبونَ مِنْ أُمرائِها أَنْ يَحتلُّوها ، فرأَوا أَنْ لا طاقةَ لَهُم بحفظِها ، فذهبوا إلىٰ شبام وطَلبوا مِنَ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ أَنْ يحتلَّها ، فبسطَ ٱلرَّأْيَ للدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ ، فيقالُ : إنَّهُم أذنوا لَهُ ، وعنَّ لهم بعد أُمَّةٍ مِنَ ٱلزَّمانِ أَنْ يُطالِبوا بحقوقِهم فيها ، وبعدَ ٱلأَخذِ وٱلرَّدِّ . . ٱتَّعدوا على ٱلاجتماعِ بدارِ ٱلرَّئيسِ ٱلمكرَّمِ طالبِ بنِ جعفرٍ بٱلعُقْدةِ ، قالَ ليَ ٱلسُّلطانُ عبدُ ٱللهِ بنُ محسنٍ : (فحضرتُ أنا وٱبنُ عمِّي عليُّ بنُ منصورٍ ، وبعدَ شيءٍ مِنَ ٱلمحاورةِ . . أخرجَ نائِبُ ٱلقعيطيِّ ـ وهوَ عليُّ بنُ صلاحٍ ـ كتاباً مِنْ والدي ومِنْ عمِّي منصورٍ للسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ بٱلإِذنِ في ٱحتلالِها ، فٱنقطعَتْ حُجَّتُنا) .

ـ ومِنْ وراءِ ساه جنوباً إلىٰ جهةِ ٱلغربِ : **صَيْقةُ آلِ عامرٍ** ، وهيَ عن يمينِ ٱلذَّاهبِ إلىٰ عَقَبةِ ٱلغُزِّ ، فيها جماعةٌ مِنْ آلِ جَابرٍ منهم : صالح عيضه ، كانت لَهُم ثَرْوةٌ ، ثمَّ

---

(١) **ساه** : هي مدينة في أعلى هضاب وادي عِدِمْ ، تقع على يسار الذاهب إلى عقبة الغز ، وعلى بعد (٧٥ كم) من سيئون .

وتتكون مدينة ساه من جزأين : الصيقة ، والبلاد ؛ لأنه يشطرها مجرى ماء ـ ساقية ـ إلى شطرين يصل بينهما جسر حديث ، وتبلغ مساحتها : (١٥٠ كم) طولاً ، و(٧٥كم) عرضاً ، وبها مخزون نفطي ، ويجري من ساه جدول مائي ينتهي بغيل عمر بطول (٢٥ كم) ، ويوجد في ساه مياه وفيرة ، ويبلغ عدد الآبار بها (١٦٣) بئراً سطحية ، وبئر جوفية واحدة فقط . كما أن الإحصائيات الحديثة تشير إلى وجود مليون نخلة بمنطقة ساه . « المقحفي » (١/ ٧٦٤) .

نجمت بينَهم مشاغباتٌ أخذَتْ منها ٱلحظَّ ٱلوافرَ .

ـ ومِنْ ورائِها في ٱلجنوبِ : **عَقَبةُ ٱلغُزِّ** ، وهيَ طريقٌ مختصرَةٌ يُصْعَدُ فيها مِنَ مستوى ٱلأرضِ إلىٰ عُزْعُرَةِ ٱلجبلِ[1] ، لا يحتاجُ مُصْعِدُها لأكثرَ مِنْ نصفِ ساعةٍ ، ولـٰكنَّ ٱلانحدارَ بعدَها عن قمَّةِ ٱلجبلِ بطريقِ عقبة ٱلفِقْرةْ أَوِ ٱلعَرْشةْ أو عثه ، أو عبدِ ٱللهِ غريبٍ ، أو غيرِها مِنَ ٱلعقابِ ٱلَّتي تنزلُ إلىٰ جهاتِ ٱلسَّاحلِ لا تقلُّ مسافتُها عن ثلاثِ ساعاتٍ ؛ وذلكَ لأنَّ داخلَ حَضْرَمَوْتَ مرتفعٌ عن سطحِ ٱلبحرِ بمقدارِ ذلكَ ٱلتَّفاوتِ بينَ ٱلصُّعودِ وٱلنُّزولِ .

وهيَ منسوبةٌ إلى ٱلغُزِّ ؛ إمَّا لكثرةِ سلوكِهم فيها ، أو لأنَّ أوَّلَ هجومِهم علىٰ حَضْرَمَوْتَ كانَ مِنها .

ومِنها إلىٰ ريدةِ ٱلمعارَّةِ في جنوبِها مرحلةٌ ، ونحو ذلكَ مِنها إلىٰ رَيدةِ ٱلجوهيِّينَ ٱلَّتي في جنوبِها أيضاً .

كُحْلان

هيَ قريةٌ كانت بطرفِ ٱلجبلِ ٱلَّذي تلتقي عندَه مياهُ سَرّ وعِدِمْ ، في جانبِهِ ٱلشَّرقيِّ ٱلشّماليِّ ، باقيةٌ آثارُ بعضِ خرائبِها حوالَي مضرحِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ باجَلْحَبَان ، وهيَ على ٱسمِ مخلافٍ مِنْ مخاليفِ ٱليمنِ . فيهِ بينونَ ورُعين ، وهُما قصرانِ عجيبانِ[2] ، قالَ ٱمرؤُ ٱلقيسِ [مِنَ ٱلوافر] :

وَدَارُ بَنِـي سُـوَاسَـةَ فِـي (رُعَيْـنٍ) تَجُـرُّ عَلَـىٰ جَـوَانِبِـهِ ٱلشَّمَـالاَ

وفي « ٱلقاموسِ » « وشرحِهِ » : (كُحْلانُ ـ بٱلضَّمِّ ـ ٱبنُ شُرَيحٍ ، أبو قبيلةٍ مِنَ ٱليَمنِ مِنْ ذي رعين) اهـ

---

(١) **عُزْعُرة الجبل** : رأسه وأعلاه .

(٢) وهما بكحلان ذي رُعَين ، التابعة حالياً لمديرية الرضْمة بمحافظة إب ، تقع شرقي مدينة يريم بـ(٢٣ كم) .

وقد مرَّ في قارة ٱلشَّناهزِ أَنَّ ٱلمُؤَرِّخينَ أَصفَقوا علىٰ بنائِها وعلىٰ خرابِ قريةٍ كحلان سَنَةَ (٦٠٤هـ) ، وفي ذلكَ ٱلعامِ كانت أَحداثٌ كثيرةٌ مذكورٌ بعضُها في « **ٱلأَصلِ** » .

وذكرَ شنبلٌ في حوادثِ سَنَةِ (٥٩٩هـ) مِنْ « تاريخهِ » [ص٦٣] حادثةً في كُحْلان ، ولـٰكنَّهُ لَم يُفصِّلْها ، وبإِثرِها أَخذَت نهدٌ ومَنْ أَعانَها مِنْ تجيب والدُّهْم وبني حارثةَ خريفَ ٱلمسيلةِ ؛ يعني : خريفَ ٱلنَّخلِ ٱلَّذي حَوالَي كُحْلان .

ٱلصَّومعةُ[1]

هيَ مدينةُ ٱلعلويِّينَ ببيت جبيرٍ . وهيَ ٱلَّتي سَبَقَ في سُمَل أَنَّهُمُ ٱنتقلوا مِنها إِليها .

قالَ ٱلشِّلِّيُّ : (وهيَ مدينةٌ لطيفةُ ٱلهواءِ ، عذبةُ ٱلماءِ ، سكنَها جماعةٌ مِن أَعيانِ ذلكَ ٱلزَّمانِ ، فطابَ لهمُ ٱلبقاءُ ، وأَسَّسوا بها مسجداً ، وكانَ لهم حارةٌ تُسمَّىٰ : العلويَّة) اهـ

وبها توفِّيَ سيِّدُنا مُحَمَّدُ بنُ علويِّ بنِ عُبَيْدِ ٱللهِ ، ولا يُعرفُ تاريخُ موتهِ .

وفيها كانت وفاةُ ولدهِ علويٍّ سَنَةَ (٥١٣هـ) ، وكانَ كريماً عظيماً مُمَدَّحاً ، مِنْ جملةِ مادحيهِ : تلميذُهُ ٱلفقيهُ يحيىٰ بنُ عبدِ ٱلعظيمِ ٱلحاتميُّ[2] ، ٱلمتوفَّىٰ بتريم سَنَةَ (٥٤٠هـ) ، ٱمتدحَهُ بقصيدةٍ أَوردَ مِنها صاحبُ « ٱلمشرعِ » وصاحبُ « ٱلجوهرِ » وشارحُ « ٱلعينيَّةِ » وغيرُهُم مِنها قولَهُ [مِنَ ٱلكامل] :

هَـٰذَا قَـرِيـعُ ٱلْعَصْـرِ وَٱبْـنُ قَـرِيعِـهِ   وَلُبَـابُ تَخْـتِ ٱلْفَخْـرِ وَٱلتَّعْظِيـمِ[3]

---

(١) أورد المقحفي في « معجمه » ذكر (٧) بلدان وقرى تحمل نفس الاسم .

(٢) من كبار علماء تريم وفقهائها ، ولد سنة (٤٨٠هـ) ، وتوفي سنة (٥٤٠هـ) ، تفقه على علماء عصره ، وأخذ عن الإمام علوي بن محمد المذكور . « تاريخ الشعراء » (١/ ٥٢ـ٥٣) .

(٣) **التَّخت** : كلمة فارسيَّة ، معناها : الكرسي أو المنبر ، واصطلاحاً : سرير السُّلطان ، كان يجلس عليه في المواكب والاجتماعات العامَّة ؛ ليكون مميَّزاً عن غيره من النَّاس ، وهو هنا كناية علىٰ أنَّه استولىٰ علىٰ أُصول المفاخر والمحامد . وٱلله أعلم .

أَمَّا ولدُهُ عليُّ بنُ علويٍّ خالعُ قسم . . فقدِ ٱنتقلَ مِنْ بيتِ جبيرٍ في سَنَةِ (٥٢١هـ) إلىٰ تريم ، وبها توفِّيَ سَنَةَ (٥٢٩هـ) .

وبيتُ جبيرٍ وادٍ واسعٌ ، قالَ ٱلشِّلِّيُّ : كانَ (كثيرَ ٱلمياهِ وٱلأَنهارِ) ، وأَنا في شكٍّ مِنَ ٱلأَنهارِ ما لَم يَعْنِ ٱلنَّهرَ ٱلَّذي كانَ يجري في أُخدودِ مسيلِ سَر وعِدِم ؛ فإِنَّهُ قريبٌ مِنْ شراجِ بيت جبيرٍ ، ولـٰكنْ ما أَظنُّهُ ينبسطُ عليها ولا يَسقي شيئاً مِنها في أَيَّامِ ٱلشِّلِّيِّ ، فما هوَ إِلاَّ بٱعتبارِ ٱلزَّمانِ ٱلقديمِ وقتما كانت حَضْرَمَوْتُ بأَسْرِها رياضاً غنَّاءَ ، وجناناً خضراءَ ، ثمَّ كانَ مِن معنِ بنِ زائدةَ ما كانَ مِن سكِّ سُكُرِ ٱلأَنهارِ ، وأَعقبَهُ ٱنهيارُ سدِّ سنا ، فذوى ٱلنَّباتُ وٱشتدَّ ٱلإِسناتُ ، ولَم يَبْقَ إِلاَّ ٱلسُّيولُ ٱلَّتي يذهبُ أَكثرُها ضياعاً في وادي بيتِ جبيرٍ ؛ لعدمِ إِصلاحهِ ، وٱندثارِ أَسْوامهِ وضُمُرِهِ .

وقد أَخبرني ٱلعلاَّمةُ ٱلشَّيخُ فضلُ بنُ عبدِ ٱللهِ عرفانُ ، عن شيخِنا ٱلعلاَّمةِ ٱلفاضلِ علويِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلمشهورِ : (أَنَّ أَموالَ بيتِ جبيرٍ صارت مِنْ جملةِ ٱلأَموالِ ٱلضَّائعةِ مرَّتينِ ، وأَنَّ بيتَ ٱلمالِ قد باعَها مرَّتينِ) . وهـٰذهِ فائِدةٌ نفيسةٌ نحتاجُ إِليها في كثيرٍ مِنَ ٱلمواضعِ .

وأَكثرُ مسمَّىٰ وادي بيت جُبَيرٍ يدخلُ بينَ ٱلجَبَلِ ٱلَّذي في طريقهِ إِلى ٱلصَّومعةِ وٱلجبلِ ٱلشَّرقيِّ ٱلَّذي يُحاذيهِ .

وفي بيتِ جبيرٍ قامت دولةُ ٱلشَّيخِ عمرَ بن عبدِ ٱللهِ بنِ مُقَيص ٱلأَحمديِّ ٱليافعيِّ بإِشارةِ ٱلعلويِّينَ حَسَبَما فُصِّلَ بـ« **ٱلأَصلِ** » .

وٱشتروا لهُ حصنَ مطهَّرٍ ٱلواقعَ بحضيضِ جبلِ كحلانَ في ركنهِ ٱلشَّماليِّ علىٰ يسارِ ٱلذَّاهبِ إِلىٰ تريمَ .

وكانَ لآلِ مطهَّرٍ ناس مِن يافعَ ، وقد وُزِّرَ لهُ ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ بوبكرٍ عيديدُ ، ٱلَّذي هجاهُ بعدَ ذلكَ بما نقلناهُ في « **ٱلأَصلِ** » ، وكانت دولتُهُ أَقصرَ مِن ظمءِ ٱلحمارِ حتَّىٰ لقد صارت مضربَ ٱلمثلِ في قصرِ ٱلمدَّةِ ، وعمَّا قريبٍ يأتي ذكرُ شراءِ ٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ لهـٰذا ٱلحصنِ .

الرَّيضة

ومِنْ وراءِ ٱلصَّومعةِ إلى ٱلشَّمالِ فضاءٌ واسعٌ ، أَوَّلُ ما يكونُ فيهِ قريةُ ٱلرَّيِّضةِ ، أَوَّلُ مَنِ ٱختطَّها ٱلسَّيِّدُ حسنُ بنُ علويِّ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ بنِ حسينٍ ؛ لأَنَّهُ كانَ وَرِثَ واديَ ٱلذَّهبِ ـ ٱلآتي ذِكرُهُ ـ عن أَبيهِ ، فباعَهُ ونزلَ ٱلرَّيِّضةَ ، ثمَّ بنىٰ عندَهُ بعضُ ٱلنَّاسِ .

ومِن أَهلِ ٱلرَّيِّضةِ : ٱلسَّيِّدُ سالمُ بنُ أَبي بكرٍ عيديدُ ، ٱلمقتولُ سنةَ (١٢٢٦هـ) ، أَثنىٰ عليهِ شيخُنا ٱلمشهورُ ، وترجمَ لهُ ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ عليٍّ ٱلجنيدُ .

ولا يزالُ أَهلُ ٱلرَّيِّضةِ بحسرةٍ علىٰ عدمِ ٱلجبالِ لدَيهم ، فلم يكن لهم حظٌّ مِنَ ٱلقنصِ ، ويُروىٰ : أَنَّ بعضَهم تنادَرَ عليهم وقالوا لهم : لو غرستُم حصاةً وتعاهدتُموها بٱلسَّقيِ . . لنَمت وصارت جبلاً ففعلوا ، هٰكذا يُقالُ ، وٱللهُ أَعلمُ .

وفي شرقيِّها إلى ٱلجنوبِ بلدُ : **ٱلسُّويريِّ** ، هي قريةٌ مسوَّرةٌ لآلِ شَمْلان ٱلتَّميميِّينَ ، كانَ فيهِم رجالٌ يشارُ إليهم ؛ منهُمُ : ٱلمقدَّمُ عوضُ بنُ سَعيدِ بنِ شَمْلان ، لَهُ ذِكرٌ كثيرٌ في حوادثِ ٱلقُعَيطيِّ وآلِ كثيرٍ وغيرِها .

وفيها كانَ يَسكنُ ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ ٱلمُتَفنِّنُ : عبدُ ٱللهِ بنُ أَبي بكرٍ عيديدُ ، ذكَرَهُ سيِّدي عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بثناءٍ حسنٍ في « مشجَّرِهِ » ، وترجَمَهُ ٱبنُ أُختِهِ ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ عليٍّ ٱلجُنَيدُ في « ٱلنّورِ المُزهِرِ » .

ولدَ سنةَ (١١٩٥هـ) ، وتوفِّيَ بٱلسويريِّ سنةَ (١٢٥٥هـ) ، ودُفن بتريمَ .

وبإزاءِ ٱلصَّومعةِ في شمالِها : **دحّامة آل قَصِير** :

وكانَ بها مسكنُ ٱلأَميرِ عمر بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ مُقَيْصٍ ، ٱلَّذي يُضربُ ٱلمَثلُ بقِصَرِ دولتهِ كما مرَّ ، وكانت في سَنةِ (١٢٤٢هـ) حَسَبَما فَصَّلتُ بـ« **ٱلأَصلِ** » .

وفي شمالِها ديارٌ أُخرىٰ لآلِ قصيرٍ ، تقابلُ **حصنَ مطهرٍ**[1] ٱلواقع في جبلِ كُحْلان ٱلغربيِّ ، وهوَ حصينُ ٱلمَوْقعِ ، وكانَ لابنِ مُقيصٍ ، ولمَّا تلاشت دولتُهُ وصارَ تراثُهُ إلىٰ

---

(١) آل مطهر هؤلاء الذين ابتاع السادة منهم الحصن هم من بطون يافع وليسوا من السادة آل باعلوي .

آلِ قَصيرٍ . . باعوهُ على ٱلأميرِ عبُودِ بنِ سالمٍ ٱلكثيريِّ في سَنةِ (١٢٦١هـ) بثلاثِ مئةِ ريالٍ فرانصة .

وقد ذكرَ ٱلمؤرِّخُ ٱلشَّهيرُ سالمُ بنُ حُمَيدٍ شراءَ هٰذا ٱلحصنِ . وتركَ موضعَ ٱلبائعِ بياضاً ، ويَبعدُ أَنْ يكونَ عن جهلٍ بهِ وهوَ ٱلخبيرُ ٱلمطَّلعُ ٱلبحَّاثةُ ٱلمعاصرُ ، ولٰكنْ لنكتةٍ لا ندريها .

وأَقربُ ما يُظنُّ : أَنَّ ٱلبائعَ غيرُ شرعيٍّ ؛ فذِكرُهُ يعودُ بٱلبُطلانِ على ٱلصَّفقةِ .

وهٰذا ٱلحصنُ ٱلآنَ في أَيدي آلِ قَصيرٍ ، وقد سلَّموهُ لِلحكومةِ ٱلقعيطيَّةِ فجعلَتْهُ مركزاً لأَخذِ ٱلرُّسومِ مِنَ ٱلبضائعِ ٱلَّتي تمرُّ بهِ إذا لَم تَكُنْ عشَّرتْ في شيءٍ مِنْ بلادِها ؛ لأَنَّ ٱلدَّولتينِ ٱلقعيطيَّةَ وٱلكثيريَّةَ أَخذَتا تتسابقانِ في نهبِ أَموالِ ٱلمُسْتَضْعَفينَ بٱلمُكُوسِ ٱلباهظةِ في كلِّ ناحيةٍ ، معَ ٱعترافِها بأَنَّ ٱلإقليمَ واحدٌ لا يتجزَّأُ .

وفي هٰذا تصديقٌ لِما تفرَّسْتُهُ في ٱلقصيدةِ ٱلَّتي قدَّمتُها لِلسُّلطانِ صالحِ بنِ غالبٍ ٱلقعيطيِّ في سَنةِ (١٣٥٥هـ) بِقولي [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَمَا زَالَـتِ ٱلأَحْـلاَفُ حِبْـراً بِمَهْـرَقٍ ... أُذِيعَـتْ لَهَـا ٱلأَخْبَـارُ لَكِـنْ بِـلاَ أَثَـرْ

وَيَـا لَيْتَهَـا كَـانَـتْ كَفَـافـاً وَلاَ جَـرَىٰ ... عَلَـىٰ إِثْـرِهَـا لِلْمُسْلِمِيـنَ أَذَىً وَشَـرّ

فَكُنْتُـمْ كَشَـانِ ٱلضَّبْـعِ وَٱلـذِّيـبِ حَرْبُهَـا ... نَجَـاةٌ وَفِـي ٱلإِصْـلاَحِ مَـا بَيْنَهَـا ٱلْخَطَـرْ

وٱرجع إلىٰ قولي ٱلسَّابقِ في أَحوالِ سيئونَ ٱلسِّياسيَّةِ، وٱلضَّميرُ فيهِ لِلصُّلحِ [مِنَ ٱلبسيط] :

هَـلْ فِيـهِ لِلنَّـاسِ وَٱلإِسْـلاَمِ فَـائِـدَةٌ ... أَمْ لاَ ؟ فَـإِنَّ رُوَاةَ ٱلْقَـوْلِ فِـي جَـدَلِ

الرَّمْلَةْ

هيَ قريةٌ في أَرباضِ تريم في شمالِ حصنِ ٱلعزِّ إلى ٱلشَّرقِ ، تَبعدُ عن سورِها بنحوِ مِيلٍ ، يَسكنُها ٱلآنَ بعضُ ٱلسَّادةِ آلِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخٍ ٱلعيدروس ، وهُم : آلُ زينِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ جعفرِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخٍ ـ صاحبِ ٱلشِّحْرِ ـ ٱبنِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخٍ ٱلشَّهيرِ ، صاحبِ ٱلقبَّةِ بتريم .

كانت مَصِيفاً لَهُم ، ثمَّ ٱستوطَنها بعضُ متأخِّريهِم معَ بقاءِ صِلتهِم بتريم ، فيها يُصلُّونَ ٱلجُمُعةَ ، ويَشهدونَ ٱلجنائزَ ، ويحضرونَ بعضَ ٱلدُّروسِ .

وهٰذهِ ٱلرَّملةُ منسوبةٌ للإمامِ ٱلجليلِ مُحَمَّدِ بنِ جعفرِ بنِ عبدِ ٱللهِ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريم سَنَةَ (١١٩٣هـ) ، كانت لَهُ أَحوالٌ عجيبةٌ ، ومناقبُ كريمةٌ ؛ مِنها ـ كما في « شرحِ قصيدةِ مدهرٍ » للسَّيِّدِ أحمدَ بنِ عليٍّ ٱلجنيدِ ـ :

(أَنَّ وَلَدَيْهِ ـ زيناً ٱلسَّابق ٱلذِّكرِ وجعفراً ـ لَم يَرغبا في حفظِ ٱلقرآنِ ، فآلىٰ علىٰ نَفْسِهِ أَنْ يذهبَ مِنَ ٱلرَّملةِ إِلىٰ تريم ، ثمَّ لا يرجعُ إِلاَّ بعد أَنْ يحفظَ أبناهُ ٱلقرآنَ وربعَ « ٱلإِرشادِ » ، وأَبرَّ قسمَه) .

وذكرَ ٱلعلاَّمةُ ٱلإمامُ عبدُ ٱلرَّحمٰنِ بنُ مصطفىٰ نزيلُ مصرَ في كتابهِ « مرآةُ ٱلشُّموسِ » : أَنَّ ٱلسَّيِّدَ مُحَمَّدَ بنَ جعفرٍ ـ هٰذا ـ هوَ ٱلَّذي أَمَّ ٱلنَّاسَ في ٱلصَّلاةِ علىٰ والدهِ مصطفىٰ بنِ شيخٍ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريم سَنَةَ (١١٦٤هـ) ، وعلىٰ عمِّهِ أَحمدَ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريم سَنَةَ (١١٦٤هـ) أَيضاً .

ولـزينِ بـنِ مُحَمَّـدِ بـنِ جعفـرٍ أَولادٌ ؛ منهُـم : صـادقٌ ، ٱلمتـوفَّـىٰ بتـريـم سَنـةَ (١٢٨١هـ) ، وهوَ والدُ ٱلسَّيِّدِ زينِ بنِ صادقٍ ، كانَ شهماً مهاباً ، وليثاً وثَّاباً ، لا يحسبُ للدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ ولا غيرِها حساباً ، وقدِ ٱختلفَ معَ آلِ تريم في كثيرٍ مِنَ ٱلمسائلِ فازَ فيها قدحُهُ ، ونفذَ أَمرُهُ ، إِلاَّ أَنَّهُ كانَ فقيراً ، حتَّىٰ إِنَّ ٱلعلاَّمةَ ٱبنَ شهابٍ يقولُ : مِن نِعَمِ ٱللهِ علىٰ آلِ تريمَ : فقرُ زينِ بنِ صادقٍ ، وبخلُ شيخِ ٱلكافِ .

وكانَ ٱلسَّيِّدُ زينُ بنُ صادقٍ ـ علىٰ فقرِهِ ـ مبسوطَ ٱلكفِّ ، وهو طويلُ ٱلقامةِ ، كبيرُ ٱلهامةِ ، مشبوحُ ٱلذِّراعِ ، طويلُ ٱلباعِ ، توفِّيَ ليلةَ ٱلثُّلاثاءِ (٢٣) رمضان مِنْ سَنَةِ (١٣٢٨هـ) ، فٱمتُهِنَ بعدَهُ ٱلسَّرح[1] ، وأُصيبَ إِثرَهُ ٱلشَّرفُ بٱلكمدِ ٱلبَرْحِ[2] ، وجاءَ هنا موضعُ قولِ ٱلرَّضيِّ [في « ديوانهِ » ١/ ٦٢٧ مِنَ ٱلبسيطِ] :

(١) السَّرح : قطيع الماشية ، وهو كناية عمَّن تحته من الرَّعيَّة .
(٢) البَرح : الشديد .

مَنَابِتُ ٱلْعُشْبِ لاَ حَامٍ وَلاَ رَاعِي أَوْدَى ٱلرَّدَىٰ بِطَوِيلِ ٱلرُّمْحِ وَٱلْبَاعِ

وللرَّملةِ ذِكرٌ كثيرٌ في شِعرِ ٱلعلاَّمةِ ٱلجليلِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ مصطفىٰ نزيلِ مصرَ ، منهُ قولُهُ :

يَقُولُ ٱلْهَاشِمِي آهٍ عَلَى ٱزْمَانْ تَقَضَّتْ فِي رُبَا ٱلْغَنَّا بِلاَدِي
ورَمْلَتْنَا ٱلَّتِي فَاقَتْ بِغُزْلاَنْ سَبَتْ بِٱللَّحْظِ ظَبْيَاتِ ٱلْبَوَادِي
فَكَمْ فِي (ٱلرَّمْلَةِ) ٱلْفَيْحَا مِن ٱعْوَانْ عَلَى ٱلنَّافِعْ لَهُمْ يومَ ٱلْمَعَادِي
وَكَمْ فِيهَا غُرَفْ زَانَتْ بِبُنْيَانْ عَلَىٰ بُنْيَانْ بِٱلرَّاحَهْ تِهَادِي
وكَمْ طُفْنَا بِهَا لِيماً وُرُمَّانْ وشَمَّيْنَا بِهَا عَبْهَرْ وُجَادِي
وكَمْ بُسْتَانْ فِيهَا إِثْرْ بُسْتَانْ مِنَ ٱلنَّخْلْ ٱلَّتِي سَرَّتْ فُؤَادِي

وقولُهُ :

آهْ مِنْ ذِكْرَايْ (حَوطَتْنَا) و(ٱلسَّحِيلِ) ٱلْفَايِقِ ٱلْخِصْبِ
آهْ شَوقاً نَحْوَ (رَمْلَتْنَا) وُظَبَاهَا ٱلْخُرَّدْ ٱلْعُرْبِ

وقولُهُ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَفِي (ٱلرَّمْلَةِ) ٱلْغَرَّا غَزَالٌ غَزَى ٱلْحَشَا أَغَنُّ إِذَا غَنَّىٰ بَدَا مُضْمَرَ ٱلْوَجْدِ

وعنِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱلباري بنِ شيخ بنِ عيدروس ، عن والدِهِ : أَنَّهُ ضاعَ كبشٌ لبعضِ أَهلِها ولَم يَجِدْهُ إِلاَّ بعدَ شهرٍ ؛ إِذ بقيَ طيلةَ ٱلمدَّةِ يرعىٰ في مراعيها ٱلخِصْبةِ ، ويشربُ مِنْ مياهِ ٱلغدرانِ ٱلعذبةِ ٱلموجودةِ بها لكثرةِ ٱلسُّيولِ .

وفي شمالِ هـٰذهِ ٱلقريةِ إِلىٰ شرقٍ : آثارُ قريةٍ يقالُ لَها : **ٱلرَّملةُ ٱلقديمةُ** ، لعلَّها كانت مَصيفَ ٱلسَّادةِ آلِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخٍ ٱلعيدروس قَبْلَ أَنْ يَختطُّوا هـٰذهِ .

وبٱلقربِ مِنها بئرٌ تسمَّى ٱلآنَ : **بيرَ عبدِ ٱللهِ بنِ مصطفىٰ** بنِ زينِ ٱلعابدينَ ، يعْنُونَ ٱلملقَّبَ بٱلباهرِ ، ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (١١٢٨هـ) ، وقد ترجمَهُ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ مصطفىٰ في كتابهِ : « مرآةُ ٱلشُّموسِ » ، وأَطالَ بل أَفردَهُ بٱلتَّرجمةِ في كتابٍ سمَّاهُ : « حديقةُ ٱلصَّفا » .

ونقلَ في « ٱلمرآةِ » عنِ ٱلسَّيِّدِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخٍ أَنَّهُ قالَ لمَّا ماتَ ٱلباهرُ : (ودِدْتُ أَنْ نفديهِ بسبعةٍ مِنْ كبارِ آلِ ٱلعيدروسِ ، ولٰكنْ . . كانَ ذلكَ في ٱلكتابِ مسطوراً) وعندَ هٰذا ذكرتُ قولَ متمِّمٍ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَلَـوْ أَخَـذَتْ مِنِّـي ٱلْمَنِيَّـةُ فِـدْيَـةً   فَـدَيْنَـاكَ مِنْهَـا بِـٱلسَّـوَامِ وَبِـٱلأَهْـلِ[1]

وقولَ إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

أَجَـارِيَ لَـوْ نَفْـسٌ فَـدَتْ نَفْـسَ مَيِّـتٍ   فَـدَيْتُـكَ ـ مَسْـرُوراً ـ بِـأَهْلِـي وَمَـالِيَـا

وموضعُ ٱلرَّملةِ بٱلحقيقةِ بعدَ حصنِ ٱلعِزِّ ، ولٰكنْ طغى ٱلقلمُ ، ولَم أَتنبَّهْ لَهُ إلاَّ وقد خاضَها ، وٱلأَمرُ قريبٌ .

حصنُ جَرَّهْ

هوَ عن يسارِ ٱلذَّاهبِ إِلىٰ تريم ، في آخِرِ ٱلفضاءِ ٱلواسعِ ٱلمسمَّىٰ بـ : باجَلْحَبَان ؛ نسبةً إِلى ٱلشَّيخِ ٱلكبيرِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ باجَلْحَبَان ٱلمقبورِ في أَثنائهِ ، وقد ترجمَ لهُ صاحبُ « ٱلجوهرِ » ، ولَم يُترجِمْ لأَحدٍ خارجَ تريمَ سواهُ .

وحصنُ جرَّهْ هوَ لآلِ ٱمبارِكِ بنِ عُمَرَ بنِ شيبانَ ٱلتميميِّينَ ، وكانوا أَهلَ ثَرْوةٍ ، جمعَها ٱمبارك ، وأَصلُها ريالٌ دفعَهُ لهُ ٱلحبيبُ عبدُ ٱللهِ بنُ حسينِ بنِ طاهرٍ معَ ٱستيداعِهِ منهُ للسَّفرِ ، فٱشترىٰ لباناً مِنَ ٱلشِّحرِ وباعَهُ في سنغافورةَ وباركَ ٱللهُ لهُ فيهِ .

ولمبارِكٍ هٰذا مكارمُ أَخلاقٍ ، ومواساةٌ لأَهلِ ٱلفضلِ ، خصوصاً لسيِّدي عيدروسِ بنِ علويٍّ ٱلعيدروس ، توفِّيَ[2] حوالي سَنَةِ (١٣١١هـ) ، ودُفِنَ بزنبلَ ، بمقابرِ ٱلعلويِّينَ ، وخَلَفَهُ أَولادٌ كرامٌ ؛ منهُم : ولدُهُ عمرُ .

وكانَ أَوَّلَ ما دخلَ عليهِم ٱلوَهَنُ : أَنَّ ٱلشَّيخَ ٱمبارك أَوصىٰ بثلثِ مالهِ لمثلِ ما يعتادُهُ مِنَ ٱلخيراتِ في حياتهِ ، وأَسندَ وصايتَهُ إِلىٰ عمرَ ، فنازعَهُ أَخوهُ عبدُ ٱللهِ في

(١) السَّوام : كلُّ إبلٍ وماشية ترسل للرَّعي ولا تُعلَف .
(٢) أي : ٱمبارك شيبان ، لا العيدروس .

ٱلوصيَّةِ ، ولَم يقدرْ علىٰ إبطالِها لا بحضرموت ولا بجاوة ، ثمَّ نَشبتْ بينَهُم وبينَ آلِ فَلّوقة ـ ٱلواقعةِ حصونُهُم إزاءَهُم بسفحِ ٱلجبلِ ٱلشّرقيِّ ٱلمسمَّىٰ باعَشْمِيل ـ حربٌ ، فأبتزَّتْ طارفَهُم وتليدَهُم ، حتَّىٰ أثقلَتْ كواهلَهُمُ ٱلدُّيونُ ، وأبحرَ عمرُ إلىٰ جاوة ، وبقيَ علىٰ ما يقدر عليهِ مِنَ ٱلمبرَّاتِ إلىٰ أنْ ماتَ في سربايا حوالي سَنةِ (١٣٣٥هـ) ، وما عَلِمناه إلاّ شهماً أبيّاً ومقداماً عربياً [من الطويل] :

يَـزِيـدُ عَلَـىٰ فَضْـلِ ٱلـرِّجَـالِ فَضِيلَـةً وَيَقْصُـرُ عَنْـهُ مَـدْحُ مَـنْ يَتَمَـدَّحُ
وَيُـدْلِـجُ فِـي حَـاجَـاتِ مَـنْ هُـوَ نَـائِـمٌ وَيُـورِي كَـرِيمَـاتِ ٱلنَّـدَىٰ حِيـنَ يَقْـدَحُ

وخلَّفَ أولاداً كثيرين ؛ منهُم : ٱلشَّاعرُ ٱلمطبوعُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ عمرَ[1] ، لَهُ أشعارٌ عاميَّةٌ ، لـٰكنَّها جَزْلةُ ٱلمعاني ، حُلْوَةُ ٱلمباني ، ولَهُ هجاءٌ كثيرٌ لجمعيَّةِ ٱلحقِّ بتريم ، وممَّا يُطرِبُني مِن شعرِهِ : قولُهُ ـ مِن قصيدةٍ مجَّدَ فيها مولاهُ ـ :

هُـو لِـي عَطَـىٰ مُـوسَـى ٱلْعَصَـا هُـو لِـي رَتَـقْ هُـو لِـي فَتَـقْ
وقـت الاجـابـة مـن عَبيـدِهْ نَـاطِـقِ ٱلْقُـدْرَةْ نَطَـقْ
فِـي ٱلإِبْتِـدَا قَـالُـوا بَلَـىٰ وَمَـنْ بَقِـي صَـادِقْ صَـدَقْ
وَٱلإِنْتِهَـا يُلْطُـفْ بِنَـا يَـوْمَ ٱلْغَـرَقْ يَـوْمَ ٱلْقَلَـقْ
وَٱلْعِتْـرَةَ ٱلْعُظْمَـىٰ خَلَقْـهَـا رَبُّنَـا مِيـزَانَ حَـقّ
فِـي عِلْـمِ مَكْنُـونِ ٱلسَّـرَا يْـزْ عِلْـم مَـا هُـو فِـي وَرَقْ
مَـنْ يُبْغِـضَ اَهْـلَ ٱلْبَيْـتْ بَـا لُـهْ يَـوْمْ وَاحِـدْ مَـا شَـرَقْ
لَـوْ كَـانَ لِـي فِيهِـمْ وَلاَ[2] بَـا دُقَّهُـمْ فِـي ٱلأَرْضِ دقّ

ويُقالُ : لهُ ٱبنُ عمٍّ علىٰ غيرِ رأيِهِ يقالُ لهُ : عليُّ بنُ صالحِ بنِ ٱمبارَك أحرَقَ « ديوانَهُ » .

---

(١) توفي عبد القادر بن عمر بسُرَبايا سنة (١٣٤٢هـ) ، المُلقَّب أبو صالح والشُّعَيرة ، ولقب الشُّعَيرة أطلق على جده أمبارك ؛ لأن أمه كانت تحبه جداً وتسميه شُعَيرة العين ، ومنه سرى اللقب لأولاده وأحفاده .
(٢) أي : لو كان لي ولاية على من يبغض أهل البيت . . لدققتهم بالأرض دقاً .

ثِبي

هيَ قريةٌ لا بأسَ بها في شمالِ حصنِ جرَّه ، لا تبعدُ عنهُ إلاَّ نصفَ ميلٍ تقريباً ، حولَها شراجٌ كثيرةٌ ، فيها نخيلٌ تشربُ مِنَ ٱلسُّيولِ .

وكانَ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ أحمدَ بنِ حسينٍ ٱلعيدروسُ[1] يَخْتَرِفُ فيهِ ، ثمَّ ٱنتقلَ إليهِ ولدُهُ علويٌّ ـ ٱلمترجَمُ لَهُ في « ٱلمشرعِ » (ص ٢٤٩ ج ٢) ـ وٱتَّخذَهُ قراراً إلىٰ أنْ توفِّيَ سَنةَ (١٠٥٥هـ) ، ودُفِنَ بتريم ، وكانَ وادي ٱلذَّهبِ لحَسَنِ بنِ علويٍّ ، فباعَهُ ـ حَسْبَما مرَّ في ٱلرَّيِّضةِ ـ وٱعتاضَها بهِ . ووادي ثبي وٱلحِطَيطةُ لحسينِ بنِ علويٍّ .

وثبي مِنْ جملةِ أوديةِ تريم ، وٱلجبالُ ٱلَّتي تنهرُ إليهِ بعيدةُ ٱلفروعِ وكلُّها في شمالِها ، يأخذُ بعضُها إلى ٱلغربِ ، وبعضُها إلى ٱلشَّرقِ .

وفي حوادثِ سَنةِ (٩٠٤هـ) مِن « تاريخِ شنبل » : أنَّ ضَمِير ثبي عُمِّرَ بنحو ألفينِ وثلاثِ مئةِ دينارٍ مرسَلةٍ لذلك مِنَ ٱلسُّلطانِ عامرِ بنِ عبدِ ٱلوهَّابِ ، سلطانِ عدنَ وٱليَمنِ ، وهوَ ٱلَّذي كانَ ٱلإمامُ أبو بكرٍ ٱلعدنيُّ ٱلعيدروسُ يُحبُّهُ ويُثني عليهِ ، وكانَ كثيرَ ٱلخيراتِ وٱلعَمَاراتِ .

وقدِ ٱشتبهَ عليَّ في « **ٱلأصلِ** » باني صهاريجِ عدن ، ثمَّ وقفتُ علىٰ ما ذكرَهُ سيِّدي عبدُ ٱلقادرِ بنُ شيخٍ ٱلعيدروسُ في ص[١٧٠] مِنَ « ٱلنُّورِ ٱلسَّافرِ » عن عامرٍ هـٰذا مِنْ أنَّهُ (بنىٰ مسجداً بداخلِ عدنَ ، وأجرى ٱلمياهَ بظاهرِ بابِ ٱلبرِّ مِنها ، وعملَ بها صِهْريجاً عظيماً ، لَم يُسبَقْ إلىٰ مِثلِهِ) اهـ

وبما أنَّ أكبرَ ٱلصَّهاريجِ في ٱلواقعِ هوَ آخرُها . . فقد تعيَّنَ بانيه ، لـٰكنَّ ٱلسُّؤَالَ عنِ ٱلقُدامىٰ لا يزالُ بحالِهِ ، ولـٰكنَّها لَنْ تكونَ قَبْلَ ٱلهمدانيِّ ، ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (٣٣٤هـ) لأنَّها لَو كانت موجودةً في زمانِهِ أَو قَبْلَهُ . . لَذكرَها في عجائبِ ٱليَمنِ ٱلَّتي ليسَ في بلادِ

---

(١) هو السيد الشريف العالم العامل عبد الله بن أحمد بن الحسين بن الإمام عبد الله العيدروس ، يلقب بمولى الطاقة ، كان من أهل المعرفة والصلاح والكشف ، توفي سنة (١٠٢٥هـ) بتريم .

مِثلُها ؛ فقد ذكرَ مِنها بابَ عدن ، قالَ : (وهوَ شصرٌ[1] مقطوعٌ في جبلٍ كانَ محيطاً بها ، ولَم يَكُنْ لَها طريقٌ إلى ٱلبرِّ إلاَّ لَمَنْ يتسنَّمُ ظهرَ الجبلِ ، فقطعَ في ٱلجبلِ بابٌ مبلغُ عرضهِ حتَّىٰ سلكتْ فيهِ ٱلدَّوابُّ وٱلمحاملُ وغيرُها . وفي بينونَ أيضاً جبلٌ قطعَهُ بعضُ ملوكِ حِمْيَرَ حتَّىٰ أجرىٰ فيهِ سيلاً مِنْ بلدٍ وراءَهُ إلىٰ أرضِ بينون) اهـ بمعناهُ[2] ، وفيهِ شَبَهٌ بما سبقَ في ميفعةَ .

وفيهِ شاهدٌ لِما سَبَقَ في ميفعةَ ، ومِنَ ٱلعجبِ أَنَّ ٱلهمدانيَّ لَم يَذكرْ ذلكَ ، وبعيدٌ أَنْ يكونَ مِنْ بعدهِ ، بل مُحَالٌ .

ثمَّ وقعَ إليَّ « تاريخ أَبي ٱلفتحِ يوسفَ بنِ يعقوبَ بنِ محمَّدٍ » ٱلمعروفِ بٱبنِ ٱلمُجاورِ ، فإذا فيهِ : أَنَّ ٱلسُّلطانَ شاهَ بنَ جمشيدَ بنِ أَسعدَ بنِ قيصرَ تولَّىٰ عدن في حدودِ سنةِ (٦٢٥هـ) ، وكانَ يجلُبُ إليهم ماءَ ٱلشُّربِ مِن زيلعَ ، ثمَّ بَنَوا ٱلصَّهريجَ لأجلِ ماءِ ٱلغيثِ .

إذاً فٱلصَّهريجُ ٱلأَوَّلُ بعدن مِن بناءِ ٱلفُرسِ .

ولـٰكن قد مرَّ أَوائلَ هـٰذا ٱلكتابِ ما يُعرَفُ منهُ حالُ ذلكَ ٱلتَّاريخِ ، ومرَّ عنهُ ـ أيضاً ـ في تلكَ ٱلنُّقطةِ : أَنَّ فتحَ بابِ عدن كانَ مِن عملِ عفريتِ شدَّادِ بنِ عادٍ لا مِن أَعمالِ حِمْيَرَ .

ثمَّ إنَّ عمارةَ عامرٍ لضميرِ ثبي لَم يَطُلْ أَمَدُها ، بلِ ٱنهارتْ وشيكةً ، وجدَّدَها ٱلشَّيخُ ٱلكبيرُ عبدُ ٱللهِ بنُ شيخِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخٍ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريم سَنَةَ (١٠١٩هـ) أَلفٍ وتسعَ عشْرةَ ، ومِنَ ٱلغريبِ أَنَّ صاحبَ « ٱلمشرعِ » لَم يَذكرْ لَهُ هـٰذهِ ٱلمكْرُمةَ ٱلخالدةَ فإنَّها ٱلباقيةُ إلى ٱليومِ .

ومِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ علويِّ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ بنِ حسينٍ ٱلعيدروسِ . . ٱلسَّيِّدُ ٱلمجذوبُ : حسينُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ حسين بن علويٍّ ، ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (١١٧٣هـ) ، وهوَ صاحبُ ٱلمقطّبِ بثبي ، ومِنْ ذرِّيَّتِهِ آلُ علويِّ بن مُحَمَّدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بٱلمقطّبِ .

---

(١) الشِّصر : الشَّقُّ والقطعة ، قال في « اللِّسان » : (الشُّصور : الشُّطور) وشطر الشَّيء : بعضه .

(٢) صفة جزيرة العرب (٣٠٦ـ٣٠٧) .

قالَ شيخُنا ٱلمشهورُ في « شمس ٱلظَّهيرة » [١/ ١٢٠] : (وهُم مناصبُها وأَولياءُ أَمرِها) اهـ

وفي سَنةِ (١٢٠٦هـ) نشبتِ ٱلحربُ في تريم بينَ يافعٍ وٱلحبيبِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلعيدروسِ منصبِ ثبي ، وقامَ معَهُ آلُ تميمٍ وجميعُ قبائِلِ حَضْرَمَوْتَ ، ودخلوا تريم ونَهبوها ، وأَحرقوا جملةَ بيوتٍ في ٱلحوطةِ وٱلسِّحِيلِ .

أَمَّا ٱلحبيبُ علويُّ بنُ مُحَمَّدٍ . . فتربَّىٰ بٱلعلاَّمةِ ٱلإمامِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينِ بنِ طاهرٍ ، فهذَّبَ أَخلاقَهُ ، وقوَّمَ أَوَدَهُ[1] ، وثقَّفَ قناتَهُ ، فلَم يتولَّ ٱلمنصبةَ إلاَّ وهوَ بها خليقٌ ـ وكانَ سيِّدي عبدُ ٱللهِ بنُ حسينِ بنِ طاهرٍ كثيراً ما يَعتني بأُمورِ ٱلمناصبِ وٱلمرشّحينَ لها وتهذيبِهِم؛ لعمومِ نفعِهِم ـ ولمَّا ماتَ خَلَفَهُ ولدُهُ عبدُ ٱللهِ إِلىٰ أَنْ توفِّيَ سَنةَ (١٣٢٩هـ).

وكثيراً ما ينوبُ عنهُ ـ ولا سيَّما في غيابهِ ـ أَخوهُ مُحَمَّدُ بنُ علويٍّ ، وكانَ كثيرَ ٱلتَّعلُّقِ بسيِّدي ٱلأُستاذِ ٱلأبرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ ، حتَّىٰ إِنَّهُ ليُصلِّي ٱلعصرَ في جامعِ ثبي ، ثمَّ يركبُ حصانَهُ ويُعديهِ مِلْءَ فروجِهِ[2] ، ويزورُ والدي بمكانِنا علم بدرٍ ويجلسُ معَهُ ساعةً ، ثمَّ لا تفوتُهُ صلاةُ ٱلمغربِ خلفَ ٱلأُستاذِ ، وبينَهُما قرابُ ٱلمرحلةِ .

ذهبَ إِلىٰ جاوة في سَنةِ (١٣٤٢هـ) ، ثمَّ رجعَ عنها بدونِ طائِلٍ ، وقد قالَ أَبو نواسٍ [مِنَ ٱلطَّويل] :

وَأَوْبَـــةُ مُشْتَـــاقٍ بِغَيْـــرِ دَرَاهِـــمٍ ... إِلَـىٰ أَهْلِـهِ مِـنْ أَعْظَـمِ ٱلْحَـدَثَـانِ

غيرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ محتاجاً لِلدَّراهمِ ؛ إِذْ لا أَولادَ لَهُ ، وإِنَّما هوَ عقيمٌ ، ولَم تَطُلْ مدَّتُهُ بعدَ عودتِهِ ، بل ماتَ بعدَ وصولِهِ بأَيَّامٍ في (٨) ذي ٱلحجَّةِ سَنةَ (١٣٤٦هـ) .

وخلفَ ٱلسَّيِّدَ عبدَ ٱللهِ بنَ علويٍّ على ٱلمنصبةِ ولدُهُ حسينٌ ولمَّا ماتَ ، وقعَ رداؤُهُ

---

(١) ٱلأَوَد : الاعوجاج .

(٢) يُعْديهِ مِلْءَ فروجه : أَي يركضه ركضاً يملأُ الفراغ الَّذي بين رجليه ، وهو كناية عن شدَّة سرعة الفرس ؛ إِذ إِنَّك لا ترىٰ فراغاً بين رجليه ، بل تحسُّ أَنَّ رجليه لصقت ببطنه من شدَّة سرعة حركتها .

على ٱبنهِ ٱلفاضلِ أَحمدَ بنِ حسينٍ ، وكانَ غزيرَ ٱلمروءَةِ ، كثيرَ ٱلصَّمتِ ، جمَّ الوقار ، وهوَ ٱلَّذي جرىٰ بينَهُ وبينَ آلِ تريم ما أَشرنا إِليهِ في تاربه[1] .

وثبي مِنَ ٱلأَوديةِ ٱلمباركَةِ ، يتيامنُ بهِ ٱلنَّاسُ ، متىٰ صَلحتْ ثمارُهُ وأَمرعَ[2] . . عمَّ ٱلخصبُ في وادي حَضْرَمَوْتَ ، حتَّىٰ لقد كانَ ٱلحبيبُ حسينُ بنُ عمرَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلعطَّاسُ يقولُ : إِنَّا لنعرفُ خصبَ وادي ثبي بدرورِ ٱلبركاتِ في زروعِ وادي عَمْدٍ ونخيلِهِ .

وسُكَّانُ ثبي مِنَ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلعيدروسِ ، ومِنَ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلحَبْشيِّ ، ومنهُمْ : ٱلعالِمُ ٱلصَّالحُ ، ٱلفاضلُ ٱلعابدُ ٱلمتواضعُ : عبدُ ٱللهِ بنُ علويٍّ ٱلحَبْشيُّ[3] ، ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (١٣٤٣هـ) عن جملةِ أَولادٍ ؛ منهُمْ : ٱلعالمُ ٱلصُّوفيُّ ٱلنَّاسكُ ، ٱلحافظُ لكتابِ ٱللهِ : حسينٌ ، نفع الله به[4] .

وسُكَّانُها ناسٌ مِنْ آلِ ٱلرَّاقي آلِ بافضلٍ ؛ منهُمْ : ٱلرَّجلُ ٱلصَّالحُ أَبو بكرِ بنُ سالمِ بنِ بوبكرٍ ٱلرَّاقي[5] ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (١٣١٣هـ) ، وصاحبُنا ٱلشَّيخُ عوضُ بنُ مُحَمَّدٍ ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (١٣٦٠هـ)[6] .

وناسٌ مِنَ ٱلزُّبيديِّينَ ؛ منهُم : صافي وعيسىٰ وأَبو بكرٍ بنو أَحمدَ ٱلزُّبيديِّ ، لَهم ضيافةٌ ومكارمُ أَخلاقٍ ، وقد أَوصَى ٱلأَوَّلُ ـ وهوَ صافي ـ بثُلُثِ مالِهِ في سبيلِ

---

(١) جاء في هامش المخطوط : (توفي السيد أحمد بن حسين في غرَّة شوال من عامنا بعد الفراغ من هٰذا « ١٣٦٧هـ ») .

(٢) أمرع : أعشب .

(٣) ولد بتريم سنة (١٢٧٣هـ) ، وكان عالماً ورعاً ، تولى التدريس والدعوة ، أخذ عن بعض علماء تريم وشبام ، وسار إلى جاوة ـ فليمبانغ ـ وعدن ، وعاد إلى حضرموت سنة (١٢٩٩هـ) ، وتوفي بها سنة (١٣٤٣هـ) .

(٤) جاءَ في هامشِ ٱلمخطوطِ : (توفِّي ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ عبدِ ٱللهِ هٰذا آخرَ ٱلعامِ هٰذا بعدَ ٱلفراغِ مِن هٰذا ٱلكتابِ « ١٣٦٧ هـ ») .

(٥) كان في سن السيد علوي بن زين الحبشي ، ودرسا سوية ، حتى إنهما كانا يترافقان في الذهاب إلى المسيلة للقراءة على الإمام عبد الله بن حسين بن طاهر . . « الصلة » (٢٩٦) .

(٦) وهو : عوض بن محمد بن أبي بكر ، الجد الجامع لآل الراقي الذين بثبي ، وهو الشيخ أبو بكر بن أحمد بن محمد بن فضل الراقي .

ٱلمَبرَّاتِ ، وجعلَ ٱلنَّظَرَ للسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويٍّ ٱلحبشيِّ وولدِهِ حسينٍ ، ومِن حيثُ إنَّهما شهودُ ٱلوصيَّةِ . . فقد ثبتت بشهادتِهما ، لـٰكن لم تثبتِ ٱلوصايةُ ؛ لأَنَّ فيها شهادةً لأَنفُسِهما ، ولمَّا بطلت . . أَسْنَدَ منصبُ ثبي ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ حسينٍ ٱلنَّظَرَ إِلىٰ عيسىٰ .

وفي ثبي كثيرٌ مِنَ ٱلأَكَرةِ وٱلمساكينِ ، إِلاَّ أَنَّ ٱلمجاعةَ ٱلأَخيرةَ ٱجتاحت منهمُ ٱلكثيرَ .

وادي ٱلذَّهبِ

هوَ وادٍ ليسَ بٱلواسعِ ولا بٱلضَّيِّقِ ، ولـٰكنْ بينَ بينَ ، يَبعدُ عن ثِبي شمالاً إِلىٰ جهةِ ٱلغربِ بنحوِ ساعتينِ ونصفٍ لِلماشي ، وهوَ بينَ جبلَينِ ، وعليهِ شراجٌ كثيرةٌ ، بعضُها لِلمشايخِ ٱلزُّبيديِّينَ آلِ بو بكرِ بنِ عيسىٰ ، يُرْبِعونَ بهِ في أَيَّامِ ٱلخصبِ علىٰ ملءِ ٱلجفانِ ، وإِكرامِ ٱلضِّيفانِ ، ويهربونَ إِليهِ في أَيَّامِ ٱلجَدبِ ؛ لكثرةِ مَن ينزلُ بهم مِن أَبناءِ ٱلسَّبيلِ إِذا بقوا بثبي .

وقد نزلَ بهِ أَولادي حسنٌ ومحمَّدٌ علىٰ ضيافةِ ٱلشَّهمِ ٱلكريمِ ٱلولدِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلزُّبيديِّ ، علىٰ نيَّةِ أَنْ ينقلبوا مِنْ آخِرِ يومِهِم ، فأَعجبَهمُ ٱلهواءُ ٱلطَّلقُ ، وٱلفضاءُ ٱلرَّحبُ ، وٱلأُنسُ ٱلتَّامُّ ، فأَقامَوا بهِ ثلاثةَ أَيَّامٍ .

وبعضُ شراجِهِ لسكَّانهِ ـ ٱلَّذينَ لا يرحلونَ عنهُ خصباً ولا جدباً ولا شتاءً ولا صيفاً ـ وهم آل بِرَاهِمْ ، وهُم مِنَ ٱلمَهْرةِ ، وإِنَّما نجعوا في أَيَّامِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخِ ٱلثَّاني[1] ، وبعضُهُم يعدُّهُم مِنَ ٱلعوامرِ بٱعتبارِ ٱنغماسِهِم فيهِم بٱلحِلْفِ .

ومِنَ ٱلغرائبِ : أَنَّ نَمِراً وثبَ على ٱمرأَةٍ مِن سَرَواتِهم ـ وهي تحطب ـ فٱتَّقتْهُ بِمشعبٍ معَها وضعتْهُ في فمِهِ ، وجعلَت تضربُهُ بمسحاةٍ معها حتَّىٰ قتلَتْهُ ، وطمعَ فيها رجلٌ وهيَ منفردةٌ تحتطِبُ ، فأَلانت لهُ ٱلقولَ ، ولمَّا ٱقترَبَ مِنها . . أَلقت رأْسَهُ بينَ ركبتَيها تدوسُهُ ، حتَّىٰ شمَّ ٱلموتَ ، فتعهَّدَ لها بخمس عشرَةَ شاةً إِزاءَ ما ٱجترأَ عليها ،

---

(١) المتوفى بتريم سنة (١٠١٩هـ) .

ووفّىٰ لها ، وٱسمُها فطومُ بنتُ بخيتِ بنِ كرتمِ بنِ براهمَ ، كانت موجودةً في سنةِ (١٣٦٠هـ) ، وإنَّما ماتت بعدَ ذلكَ .

وقد مرَّ في شبوةَ خبرٌ عن عليِّ ناصرِ ٱلقردعيِّ فيهِ شَبَهٌ مِن خبرِ هـٰذِهِ ٱلمرأَةِ ٱلجزلةِ رحمةُ ٱللهِ علىٰ عظامِها ، وأَكبرُ منهُ ما سبقَ في ٱلقَطْنِ عنِ ٱمرأَةِ ٱلأَميرِ صلاحِ بنِ محمَّدٍ ٱلقعيطيِّ .

حِصْنُ ٱلعِزِّ

قد سَبَقَ في قارةِ ٱلشَّناهزِ أَنَّهُ لَم يُبْنَ إِلاَّ في سَنَةِ (٨٤٢هـ) ، وذلكَ أَنَّ دُوَيسَ بنَ رَاصِعٍ تحرَّشَ بٱلسُّلطانِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليِّ بنِ عمرَ ٱلكثيريِّ ، فأَقبلَ مِنْ ظَفَار وحصرَ تريم ، وتعدَّدتِ ٱلمعاركُ تحتَ تريم ، وشادَ ٱلسُّلطانُ بعضَ معاقل لتشديدِ ٱلحَصْرِ عليها ، فكانَ حصنُ ٱلعزِّ مما بناه يومئذٍ .

وفي « ٱلمشرعِ » [١/٢٥٣] عن « تاريخ شنبل » [٦٣] أَنَّهُ : (بُنِيَ لتريم في سَنَةِ (٦٠١هـ) سورٌ مِنْ قارَةِ ٱلعزِّ إِلىٰ حيدِ قاسمٍ ، ثمَّ أَخربَهُ ٱلسُّلطانُ بدرُ بنُ مُحَمَّدٍ ٱلكثيريُّ[1] سَنَةَ (٨٩٥هـ) ، ثمَّ عُمِّرَ ، ثمَّ أَخربَهُ ٱلسُّلطانُ عبدُ ٱللهِ بنُ راصعٍ[2] سَنَةَ (٩١٠هـ) ، ثمَّ أَعادَهُ ٱلسُّلطانُ مُحَمَّدُ بنُ أَحمدَ[3] سَنَةَ (٩١٣هـ) ، ولا وجودَ لذلكَ ٱلسُّورِ ، وٱلظَّاهرُ أَنَّ بدرَ بنَ عبدِ ٱللهِ بوطويرق هدمَهُ لمَّا أَخذَها سَنَةَ (٩٢٦هـ) ، مِنْ مُحَمَّدِ بنِ أَحمدَ ٱلمذكورِ) اهـ بمعناهُ .

وقد ذكرنا في « ٱلأَصلِ » ما يُروىٰ أَنَّ عبدَ ٱللهِ بنَ راشدٍ ٱعتزلَ ٱلسِّياسةَ بٱلآخرةِ ، وسكنَ قارةَ ٱلعزِّ ـ بما فيهِ ـ وأَنَّ بعضَ ٱلصَّالحينَ بتريم ماتَ ، فأَحبَّ ٱلفقيهُ مُحَمَّدُ بنُ

---

(١) هو بدر بن محمد بن عبد الله بن علي بن عمر ، توفي في (٣) شوال (٩١٥هـ) ، ودفن بجرب هيصم بشبام . « الدولة » (٢٨ـ٣٠) .

(٢) كان والياً وقتها على (تريم) ، وهو من آل يماني . « الحامد » (٢/ ٥٣٢) .

(٣) هو محمد بن أحمد بن سلطان بن يماني كان حاكماً على تريم من عام (٩١٢) إلى (٩٢٦هـ) . « الحامد » (٢/ ٥٣٣) .

أَبي ٱلحبِّ حضورَ ٱلسُّلطانِ عبدِ ٱللهِ بنِ راشدٍ للصَّلاةِ عليهِ ، فلَم يَقدرْ علىٰ أُجْرةِ رسولٍ يبعثُ بهِ إِليهِ في قريةِ ٱلعزِّ ٱلمذكورةِ ، فٱتَّفقَ حضورُ ٱلسُّلطانِ مصادفةً .

وقد رجَّحتُ في « **ٱلأَصلِ** » أَنَّ ٱلمرادَ قارةُ ٱلعزِّ ٱلَّتي بحوطةِ سلطانةَ ، بأَمارةِ أَنَّ ٱلسُّلطانَ قُتلَ علىٰ مقربةٍ مِنها ، فلعلَّها هيَ ٱلَّتي أَقامَ بها بعدَ ٱعتزالِ ٱلسِّياسةِ إِنْ صحَّ ـ علىٰ ما فيهِ ـ وهيَ ٱلَّتي يتمَعْنىٰ أَنْ لا يقدرَ ٱبنُ أَبي ٱلحبِّ علىٰ أُجرةِ رسولٍ إِليها ، أَمَّا قارةُ ٱلعزِّ . . فلا تحتاجُ إِلىٰ أُجْرةٍ تُذكرُ ؛ لأَنَّها علىٰ دونِ نصفِ ٱلميلِ مِنْ تريم ، بل قد مرَّ بكَ أَنَّها منها ؛ لانتهاءِ سورِها إِليها في سابقِ ٱلزَّمانِ ، ولـٰكنِّي رأَيتُ في ٱلحكايةِ ٱلخامسةِ مِنَ « ٱلجوهرِ ٱلشَّفَّافِ »[١/٥٩ـ٦٠] ما يُعيِّنُ هـٰذهِ .

ويُفهَمُ ممَّا مرَّ أَنَّ لفظَ ٱلعزِّ يُطلَقُ على ٱلقارةِ مِنْ قديمٍ ، وإِن كانَ ٱلبناءُ بها متأَخِّراً .

حصنُ آلِ فَلُّوقَة(١)

هوَ قريةٌ واقعةٌ في سفحِ ٱلجبلِ ٱلمسمَّىٰ باعَشْمِيل ، في جنوبِ تريم بإِزاءِ ٱلرَّملةِ ، إِلىٰ شرقيِّها ، فيصلحُ عدُّها هنا في ٱلقرى ٱلَّتي بجنوبِ تريم ، ويَصلحُ عدُّها في ٱلقرى ٱلَّتي في شرقيِّها ، ولـٰكنِّي آثرتُ ٱلأَوَّلَ لأَتمكَّنَ مِنْ كلماتٍ تليقُ بفضيلةِ شيخِنا ٱلعلاَّمةِ أَبي بكرِ بنِ شهابٍ بمناسبةِ وجودِهِ فيها معَ نشاطِ ٱلخاطرِ ؛ إِذْ لا يُمكنني أَنْ أَبلُغَ فيهِ شيئاً ممَّا أُريدُ في أَخبارِ تريم ٱلمقصودِ مراجيحُها بٱلحظِّ ٱلأَوفىٰ مِنْ قولِ ٱلعلاَّمةِ ٱلجليلِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَسعدَ ٱليافعيِّ [مِنَ ٱلطَّويل] :

مَـرَرْتُ بِـوَادِي حَضْـرَمَـوْتَ مُسَلِّمَـا	فـأَلْفَيْتُـهُ بِـأَلْبِشْـرِ مُبْتَسِمـاً رَحْبَـا
وَأَلْفَيْـتُ فِيـهِ مِـنْ جَهَـابِـذَةِ ٱلْعُـلاَ	أَكَـابِـرَ لاَ يُلْفَـوْنَ شَـرْقـاً وَلاَ غَـرْبَـا

وقد سمعتُ كثيراً مِنَ ٱلشُّيوخِ وأَهلِ ٱلعلمِ يقولونَ : (إِنَّ هـٰذا كانَ جوابَ ٱلشَّيخِ لمَّا سأَلَهُ أَبوهُ عن أَهلِ حَضْرَمَوْتَ) ، وهوَ وَهَمٌ ظاهرٌ ؛ لأَنَّ وفاةَ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ

---

(١) آل فلّوقة : بطن من بطون قبيلة تميم .

أَسعدَ كانتْ في سَنةِ (٧٦٨هـ)[١] ، ووفادةُ ولدِهِ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ إِنَّما كانتْ في سَنةِ (٧٩٤هـ) كما ذكرَهُ شنبل[٢] .

وسيأْتي عن بامخرمةَ في تريم أَنَّ صاحبَ ٱلقصَّةِ إِنَّما هوَ عليُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَسعد ، ولـٰكنَّ كلامَ شنبلٍ أَثبتُ ؛ لأَنَّهُ أَعرفُ بحضرموتَ وأَخبارِها .

وُلِدَ شيخُنا ـ ٱلَّذي لا حاجةَ إِلىٰ ذِكرِ ٱطِّرادِ نَسَبِهِ ؛ لِغناهُ عنهُ بشُهرتهِ ، كما قالَ ٱلمتنبِّي [في « العُكبريِّ » ١/١٧٦ مِنَ ٱلبسيطِ] :

يَـا أَيُّهَـا ٱلْمَلِـكُ ٱلْغَـانِـي بِتَسْمِيَـةٍ ... فِي ٱلشَّرْقِ وَٱلْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبِ

في تلكَ ٱلقريةِ سَنَةَ (١٢٦٢هـ) ، ودرجَ بينَ أَحضانِ ٱلعنايةِ ، وشبَّ محفوفاً بٱلرِّعايةِ ، وكانَ في صفاءِ ٱلذِّهنِ وحدَّةِ ٱلفَهمِ آيةً ، نعسَ مرَّةً بينَ أَصحابٍ لَهُ ـ منهمُ ٱلسَّيِّدُ ٱلشَّهيرُ عليُّ بنُ محمَّدٍ ٱلحبشيُّ ـ يقرؤونَ في ٱلفرائضِ فعاتبَهُ أَحدُهُم ، فسردَ لَهُم ما كانوا فيهِ! ثمَّ صبَّحَهُم مِنَ ٱليومِ ٱلثَّاني بمنظومتهِ ٱلموسومةِ بـ : « ذريعةِ ٱلنَّاهضِ » وقد أَخذَ قولَهُ في آخرِها [مِنَ ٱلرَّجَز] :

وَعُـذْرُ مَـنْ لَـمْ يَبْلُـغِ ٱلْعِشْـرِينَـا ... يُقْبَـلُ عِنْـدَ ٱلنَّـاسِ أَجْمَعِينَـا

من قولِ صاحبِ « ٱلسُّلَّمِ » [في البيت ١٣٨ مِنَ ٱلرَّجَزِ] :

وَلِبَنِـي إِحْـدَىٰ وَعِشْـرِيـنَ سَنَـهْ ... مَعْـذِرَةٌ مَقْبُـولَـةٌ مُسْتَحْسَنَـهْ

وجرى ٱلاختلافُ بمحضرِ شيخِنا ٱلمشهورِ فيما لَوِ ٱختلفَ ٱلماءُ وزناً ومساحةً بماذا يكونُ ٱلاعتبارُ في ٱلقُلَّتينِ؟ فنظمَ على ٱلبديهةِ سؤَالاً سيَّرهُ لمفتي زبيد ٱلسَّيِّدِ داودَ حَجَر[٣] ،

---

(١) ترجمة الشيخ عبد الله اليافعي في المصادر التالية : « الدرر الكامنة » (٢/٢٤٧) ، « شذرات الذهب » (٦/٢١٠) ، « طبقات الشافعية » (٦/١٠٣) ، « الأعلام » (٤/٧٢) .

(٢) « شنبل » (ص١٥٠) .

(٣) العلامة المحقق الفقيه داود بن عبد الرحمـٰن بن قاسم الملقّب : (حَجَر القُدَيمي) الحسيني الزبيدي الشافعي ، المولود بزبيد ، والمتوفّى بها سنة (١٣١٣هـ) ، أخذ عن جَمْع من شيوخ عصره.. كان عالماً نحريراً ، وبحراً غزيراً ، تنظر ترجمته في : « أئمة اليمن » لزبارة (٢/٣٧٨) ، و« ثبت الفقيه» .

فعادَ ٱلجوابُ علىٰ غرارِ ذلكَ ٱلنَّظمِ مصرِّحاً بٱعتبارِ ٱلمساحةِ[1] .

---

(١) ومن باب إتمام الفائدة المرجوّ منها حسن العائدة . . نسرد هنا أبيات السيد أبي بكر (السؤال) ، ثم نتبعه برد السيد داود (الجواب) نقلاً عن خط العلامة الفقيه المعمر عبد الله الناخبي حفظه الله تعالىٰ :

نص السؤال :

إلىٰ علماء العصر في البر والبحر — من الشافعيين الجهابذة الغرّ
سؤالٌ ولولا الجهل ما خُطّ رسْمُه — من الحضرميِّ ابن شهابِ أبي بكر
لقد جاء ما معناه عن سيّد الورى — نبي الهدى الداعي إلى الحق والبر
إذا بلغ الما قلتي هَجَرٍ فليـ — ـس يحمل خُبْثاً يدفع الخَبَثَ المزري
وأطبق أتباع ابن إدريس بعده — بأنهما بالوزن مضبوطي القدر
وذلك تقريباً بخمس مئي وفت — بأرطال ساحات الرصافة والجسر
وأنهما طُولاً وعَرضاً ونازلاً — ذراعٌ وربعٌ بالمساحة والشبر
وجرّب أهلُ الخِبرة الماءَ فهو فيْ — بقاعٍ خفيفٌ وهو في البعض كالصخر
وكيف إذا جئنا بخمس مئي كما — أفادُوا ثقيلاً وهو بالمسح ذا خُسْر
وبالعكس ما لو كان بالمسح كاملاً — خفيفاً وكان النقص وزناً لَدَى الحزر
فعند اختلاف الوزنِ والمسح ما الذي — به الأخذُ شرعاً منهما يا ذوي الذكر
فإن قلتمُ بالمسحِ نأخذُ أُلْغِيتْ — عباراتُهم في الضبط للوزن للقدر
وإن قلتمُ بالوزن ثم رددتم — إلى الأصل هٰذا الحكم لم يخْلُ عن نكر
وبالمسح لا بالوزن كَثْرتُهُ التي — على دفعه يقوى بها وعلى الطهر
فهٰذا سؤالٌ يا بني الفقه لم أجد — إلى كشفه نقلاً وما العلم بالحَجْر

فلما وصل هٰذا السؤال المنظوم إلى حضرة السيد داود . . دفعه إلى ابنه العلامة السيد محمد داود . . المتوفى بإستنبول سنة (١٣٠٧هـ) ، فأجابه نظماً على وزنه وقافيته :

أحَبٌّ غمامٍ أم عقودٌ من الدر — أم الغادة الحسناء باسمة الثغر
نعم طرسُ علمٍ ذو معانٍ نفيسة — أتى من نُضَار الآل والسادة الغر
أعاد لنا ذكر الأُلىٰ سبقوا إلى — معالي المعاني فوق سابحة الفكر
فأبدى سؤالاً ما سؤالاتُ نافع — ولا معنَ في تحقيقه غير ذي حصر
يقول : اختلافُ الماءِ ثُقْلاً وخفةً — يبايِنُ ضبطَ القلتين لدى السَّبر
فخمس مئي الارطال تقصُرُ إن يكن — ثقيلاً عن المقدار بالذَرع والشبر
وأكثرَ منها يَبْلُغَنْهُ بخفةٍ — فما المُرتَضَى عند اختلافِ ذوي الحَزْرِ
جوابك : أنَ المرتضىٰ الذرعُ حسبَما — يشير إلى ذاك الحديث لمن يدري
لتعليقه للحكم بالظَّرْفِ وهو ذو — جوانب تُدْرَى بالمساحة للخُبْر
ولو كان للوزنِ اعتبارٌ أتى به — فمن عَذْلِهِ عنه اطّرحاهُ في القَدْر=

وقد ذكرَ شيخُنا ٱلمسألةَ في « ٱلبغيةِ » ، ولٰكنَّهُ لم يُشِر إِلىٰ ما كانَ واقعاً مِنَ ٱلقِصَّةِ ، وٱمتُحِنَتْ شاعريَّتُهُ في حضرةِ ٱلشَّريفِ عبدِ ٱللهِ[1] بمكَّةَ ٱلمشرَّفةِ ، فخرجَ كما يَخرجُ ٱلذَّهبُ ٱلتبرُ مِنْ كِيرِ ٱلصَّائغِ ؛ إِذْ أَنشأَ في ٱلمجلسِ مِنْ لسانِ ٱلقلمِ أكثرَ ممَّا ٱقترحوهُ عليهِ .

وفي « ديوانِهِ » عدَّةُ قصائِدَ بهيئَةِ الأَرْتَقيّات[2] في مديحِ خديوي مصرَ ٱلجليلِ توفيق باشا[3] ، وزعمَ جامعو « ديوانِهِ » أَنَّهُ لَم يُقدِّمْها إِليهِ ، وأَنا لا أُصدِّقُ ذلكَ ؛ لِخروجهِ عنِ ٱلطَّبيعةِ ٱلغالبةِ ؛ إِذ قلَّما يُنجزُ ٱلشَّاعرُ قصيدتَهُ إِلاَّ كانت في صدرهِ وَلْوَلَةٌ لا تهدأُ إِلاَّ بإِظْهارِها ، فٱلظَّاهِرُ أَنَّهُ قدَّمَها ولٰكنَّها لَم تَحْظَ بٱلقَبولِ ، وقد قيلَ لأَرسطو : إِنَّ أَهلَ أَنطاكيَّةَ لم يقبلوا كلامَك . . قالَ : لا يهمُّني قَبولُهم ، وإِنَّما يهمُّني أَن يكونَ صواباً .

وللعلاَّمةِ ٱبنِ شهابٍ أُسوةٌ بسابقيهِ مِنَ ٱلفحُولِ ، فقدِ ٱقشعرَّ بطنُ مصْرَ بأَراكِينِ ٱلقريضِ ؛ كحَبيبٍ وأَبي عُبادةَ ، ولَم يَنجُ ٱلمتنبِّي إِلاَّ بجُرَيعةِ ٱلذَّقنِ حَسَبَما قرَّرْتُهُ في « ٱلنَّجمِ ٱلمضي » .

= وكـون صِحـاب الشـافعـي يـذكـرونـه ... فـذلـكَ لِـلاستظهـار منهـم بـلا نُكْـرِ

نظيـرُ الـذي قـالُـوهُ فـي صـاع فطـرةٍ ... وَوُسْـقِ زكـاةٍ للبـراءةِ مِـن خُسْـرِ

فقـد ذكـروا الميـزان لكـنْ مَـدارهُـمْ ... على الكيـلِ فاطلُـب مـا هنـالكَ واستقـرِ

وممـا يقـوّي مـا ذكـرنـاه : نصُّهـم ... على الـوزنِ بـالتقـريـبِ خَليـكَ عـن ذكـرِ

ومـا جـاوزَ التحـديـدَ فـي قـدر أذرع ... وهـٰـذا دليـل الاعتبـار لهـا فـادرِ

وحـاصلُـهُ : أن التَّخـالُـفَ إن يكُـنْ ... فَيُرْضَـى بتحكيـم المسـاحـةِ فـي الطُّهـرِ

هـٰذا ما كتبه الشيخ عبد الله الناخبي ، في كراس له ، كتبه سنة (١٣٤٧هـ) ، أي قبل (٧٥) سنة من اليوم ، أطال الله عمره ، وأمتع به في خير وعافية .

(١) يعني به : الشريف عبد الله بن الحسين بن علي الحسني الهاشمي (١٢٩٩ـ١٣٧٠هـ) ، ولد بمكة ، وصار نائباً عن أبيه سنة (١٣٢٦هـ) ، وفي عام (١٣٦٥هـ) أقيم ملكاً على الأردن ، ومات سنة (١٣٧٠هـ) . « الأعلام » (٤/ ٨٢) .

(٢) جمع أرتقيّة ؛ وهي القصائد التي تبتدىء أبياتها وتنتهي بحرف واحد ، وأول من ابتكرها صفي الدين الحلي عبد العزيز بن سرايا (ت٧٥٠هـ) في مدح ملوك الدولة الأرتقية بالشام .

(٣) هو خديوي مصر محمد توفيق باشا ابن الخديوي إسماعيل بن إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا ، سادس ملوك مصر ، ولد سنة (١٢٦٩هـ) ، ومات في (٦) جمادى الثانية (١٣٠٩هـ) في حلوان . « الأعلام الشرقية » (١/ ٣٩) .

وأخبار العلاّمة ابن شهابٍ أكثرُ مِنْ أنْ يتّسعَ لَها المجالُ ، وهوَ الّذي مُهِّد لَهُ الصّوابُ ، وأُطْلِقَ الخطابُ ، وأُلِينَ القولُ ، وأُطِيلَ الجولُ .

كَـأَنَّ كَـلامَ النَّـاسِ جُمِّـعَ حَـوْلَـهُ ... فـأُطْلِـقَ فِـي إِحْسَـانِـهِ يَتَخَيَّـرُ[١]

لقد أخذَ قَصَبَ السَّبْقِ ، ولَم تُنجبْ حضْرَمَوْتُ مثلَهُ مِنَ الخلْقِ .

أمَّا في الفقهِ . . فكثيرٌ مَنْ يفوقُهُ مِنَ السَّابقينَ ، بل لا يَصلُ فيهِ إلىٰ درجةِ سادتي : علويِّ بنِ عبدِ الرَّحمـٰنِ السَّقَّافِ وعبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ محمَّدٍ المشهورِ ، وشيخانَ بنِ مُحَمَّدٍ الحبشيِّ ، ومُحَمَّدِ بنِ عثمانَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ يحيىٰ مِنَ اللاَّحِقينَ .

وأمَّا في التَّفسيرِ والحديثِ . . فلا أدري .

وأمَّا في الأصلينِ ، وعِلمِ المعقولِ ، وعلومِ الأدبِ والعربيَّةِ ، وقرضِ الشِّعرِ ونقدِهِ . . فهوَ نقطةُ بيكارِها ، ولَهُ فيها الرُّتبةُ الّتي لا سبيلَ إلىٰ إنكارِها .

وقـد رأينـا أشعـارَ إمـامِ الإباضيَّـةِ ، والشَّيـخِ سـالـمِ بـافضـل ، وابـنِ عقبـةَ ، وعبدِ المعطي ، وعبدِ الصَّمدِ ، ومطالعَ القطبِ الحدَّادِ الرَّائِعةَ ، ومنقَّحاتِ العلاَّمةِ ابنِ مصطفى الشَّاعرة ، فضلاً عمَّنْ دونَهُم . . فلَم نرَ أحداً يفري فَرْيَهُ[٢] ، ولا يمتحُ بغربهِ[٣] ، ولا يُسعىٰ بقدمهِ ، والآثارُ شاهدةٌ والمؤَلَّفاتُ والأشعارُ ناطقةٌ .

مَجْـدٌ تَلُـوحُ حُجُـولُـهُ وَفَضِيلَـةٌ ... لَـكَ سَـافِـرٌ وَالْحَـقُّ لا يَتَلَثَّـمُ[٤]

أما إنَّ كلامَهُ لَيسوقُ القلوبَ النَّافرةَ أحسنَ مَسَاقٍ ، ويَستصرفُ الأبصارَ[٥] الجامحةَ كما تَستصرفُ الألحاظُ العُشَّاقَ .

يَنْسَـىٰ لَهَـا الـرَّاكِـبُ الْعَجْـلاَنُ حَـاجَتَـهُ ... وَيُصْبِـحُ الْحَـاسِـدُ الْغَضْبَـانُ يَـرْوِيهَـا[٦]

---

(١) البيت من الطَّويل .

(٢) يَفري فرْيَه : يعمل عملاً متقناً كعمله .

(٣) يمتح : يستقىٰ . بغربه : دلوه العظيمة .

(٤) البيت من الكامل ، وهو لأبي تمَّام في « ديوانه » (٢/ ١٠٤) .

(٥) يستصرف الأبصار : يردُّها عن وجهتها .

(٦) البيت من البسيط ، وهو من قصيدة لابن نباتة السعدي .

ولَطالَما وَرَدتِ ٱلقصيدةُ بعدَ ٱلقصيدةِ مِنْ أَشعارِهِ إِلىٰ حضرةِ سيِّدي ٱلوالدِ في حفلةٍ فلا تَسَلْ عمَّا يقعُ مِنَ ٱلاستحسانِ وٱلثَّناءِ مِنْ كلِّ لسانٍ ، وٱلإِجماعِ علىٰ فضلِ ذلكَ ٱلإِنسانِ ، غيرَ أَنَّ والدي كثيراً ما يَخشىٰ عليَّ ٱلافتتانَ بتلكَ ٱلرَّوائعِ فيُغيِّرُ مَجْرى ٱلحَدِيثِ ، ولٰكنَّهُ لا يقدرُ أَنْ يُنقذَ ٱلموقفَ متىٰ حضرَ سيِّدي ٱلوالدُ علويُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ، لأَنَّهُ مِنَ ٱلمولَعينَ بٱبنِ شهابٍ وبأَدبهِ ، فلا يزالُ يُكرِّرُ إِنشادَها ، ويطنبُ فيمَنْ شادَها ، وكلَّما أَرادَ أَبي أَن يُنقذَ ٱلموقفَ . . قالَ لهُ : دعنا يا عُبيدَ ٱللهِ نتمتَّعْ بهٰذا ٱلكلامِ ، لَنْ يفوتَكَ ما أَنتَ فيهِ .

ونحنُ نجدُ مِنَ ٱللَّذةِ بذلكَ ٱلشِّعرِ ٱلعذْبِ ، وٱللُّؤلؤِ ٱلرَّطبِ ، ما يكادُ ينطبقُ عليهِ قولُ ٱلمتنبِّي [في « العُكبريِّ » ٤/٨٦ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

أَلَـذُّ مِـنَ ٱلصَّهْبَـاءِ بِـٱلْمَـاءِ ذِكْـرُهُ ... وَأَحْسَـنُ مِـنْ يُسْـرٍ تَلَقَّـاهُ مُعْـدِمُ[1]

وكلٌّ مِنَ ٱلقومِ ضاربٌ بذَقَنهِ ، أَو باسطٌ ذراعيهِ بٱلوصيدِ ، ويزيدُ أَهلُ ٱلشِّعرِ منهُم بتمنِّي أَنْ لَو كانَ لأَحدِهم بيتٌ مِنها بجملةٍ مِنَ ٱلقصيدِ .

وكما لُقِّحَتِ ٱلبلادُ بفنونهِ عن حيالٍ . . فلا أَكذِبُ ٱللهَ : كلُّ مَنْ بعدَهُ عليهِ عيالٌ ، وأَنا معترفٌ بأَنَّ ما يوْجَدُ علىٰ شِعري مِنْ مَسْحةِ ٱلإِجادةِ . . إِنَّما هو بفضلهِ ؛ لأَنَّني أُطيلُ ٱلنَّظَر في شِعرهِ ، وأَتمنَّىٰ أَنْ أَصلَ إِلىٰ مِثلهِ .

وَكَـــأَنَّنَـــا لمَّـــا ٱنْتَحَيْنَـــا نَهْجَـــهُ ... نَقْفُـو ضِيَـاءَ ٱلْكَـوْكَـبِ ٱلْـوَقَّـادِ[2]

وكانَ يُحسَدُ حسداً شديداً ، لا مِنَ ٱلنَّاحيةِ ٱلعلميَّةِ وٱلأَدبيَّةِ ٱللَّتينِ سقطَتْ دونَهُما هِمَمُ ٱلعِدا ونفاسةُ ٱلحسَّادِ ؛ لأَنَّ ٱلأَمرَ مِنْ هٰذهِ ٱلنَّاحيةِ كما قالَ ٱلبحتريُّ [في « ديوانهِ » ١/١٤ مِنَ ٱلكاملِ] :

فَنِيَـتْ أَحَـادِيـثُ ٱلنُّفُـوسِ بِـذِكْـرِهَـا ... وَأَفَـاقَ كُـلُّ مُنَـافِـسٍ وَحَسُـودِ

---

(١) الصَّهباءُ : اسم من أَسماءِ الخمر . المعدم : الفقير .

(٢) البيت من الكامل ، وهو للبحتريِّ في « ديوانهِ » (١/١٨٦) بتغيير بسيط .

ولـٰكنْ مِنْ قوَّةِ نَفْسهِ ومغالاتِهِ بها ، وما يَصحبُهُ مِنَ ٱلتَّوفيقِ في ٱلإصلاحِ ؛ فإنَّهُ لا يهيبُ بمشكلٍ إلاَّ ٱنحلَّ ، ولا ينبري لمعضلٍ إلاَّ ٱضمحلَّ .

فَـأَرَى ٱلأُمُـورَ ٱلْمُشْكِـلاَتِ تَمَـزَّقَـتْ ظُلُمَـاتُهَـا عَـنْ رَأْيِـهِ ٱلْمُسْتَـوْقِـدِ[1]

ومع تألُّبِ الأعداءِ عليهِ مِنْ كلِّ صوبٍ . . تخلَّصَ منهُم قائبةَ مِنْ قوبٍ[2] ، ووُقيَ شرَّهُم وُقيّاً ، وما زادوهُ إلاَّ رُقيّاً ، فٱنطبقَ عليهِم قولُ حبيبٍ [في « ديوانِهِ » ٢/١٠٣ مِنَ ٱلكامل] :

وَلَقَـدْ أَرَدْتُـمْ أَنْ تُـزِيلُـوا عِـزَّهُ فَـإِذَا (أَبَـانٌ) قَـدْ رَسَـىٰ وَ(يَلَمْلَـمُ)[3]

وهوَ محبوبٌ بعدُ لدىٰ فُحُولِ ٱلرِّجالِ وأئمة أَهلِ ٱلكمالِ ، كسيِّدي ٱلجدِّ ، وٱلأُستاذِ ٱلأبرِّ ، وٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ مُحَمَّدٍ ٱلمحضارِ ، وٱلحبيبِ عليِّ بنِ حسنٍ ٱلحدَّادِ ، وٱلحبيبِ عمرَ بنِ حسنٍ ٱلحدَّادِ ، وٱلحبيبِ مُحَمَّدِ بنِ إبراهيمَ ، وأَمثالِهِم . وقد قالَ ٱلأَوَّلُ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

إِذَا رَضِيَـتْ عَنِّـي كِـرَامُ عَشِيـرَتِـي فَـلاَ زَالَ غَضْبَـانـاً عَلَـيَّ لِئَـامُهَـا

وله رحلاتٌ كثيرةٌ ، أُولاها سَنَةَ (١٢٨٦هـ) إلى ٱلحجازِ ، ثمَّ عادَ إلىٰ تريم ، وفي سَنَةِ (١٢٨٨هـ) ركبَ إلىٰ عدن وٱتَّصلَ بأُمراءِ لَحْجٍ ومدحَهُم ، وزعمَ بعضُ ٱلنَّاسِ أَنَّهُ كانَ يَعنيهِم بقصيدتهِ ٱلمستهلَّةِ بقولهِ [في « ديوانه » (٩٣ـ٩٥) مِنَ ٱلوافرِ] :

ذَهَبْـتَ مِـنَ ٱلْغَـرِيـبِ بِكُـلِّ مَـذْهَـبْ وَمِلْـتُ إِلَـى ٱلنَّسِيـبِ وَكَـانَ أَنْسَـبْ

وأَنا في شكٍّ مِن ذلكَ ؛ لأَنَّ لَهُ فيهِم بعدَها غررَ ٱلقصائِدِ ، وَمِنها قولُهُ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

هُـوَ ٱلْحَـيُّ إِنْ بُلِّغْتَـهُ فَـٱنْـزِلِ ٱلْحَـانَـا وَحَـيِّ ٱلأُلَـىٰ تَلْقَـاهُـمُ فِيـهِ سُكَّـانَـا

---

(١) البيت من الكامل ، وهو للبحتريِّ في « ديوانهِ » (١/ ٦٦) .

(٢) يقال في المثل : تخلصت قائبة من قوب ؛ أي بيضة من فرخ ، يضرب لمن انفصل من صاحبه .

(٣) أبان ويلملم : اسما جبلين .

علىٰ أنَّ للإنسانِ لساناً في ٱلغضبِ غيرَ لسانِهِ في ٱلرِّضا ، وقد قالَ ٱلأوَّلُ [مِنَ ٱلطَّويل] :

هَجَوْتُ زُهَيْراً ثُمَّ إِنِّي مَدَحْتُهُ وَمَا زَالَتِ ٱلأَشْرَافُ تُهْجَىٰ وَتُمْدَحُ

ثمَّ إنَّ ٱلمترجَمَ ركبَ مِنْ عدن إلىٰ جاوة وأقامَ بها نحواً مِنْ أربع سنينَ ، ثمَّ عادَ إلى ٱلغنَّاءِ في سَنةِ(١٢٩٢هـ) ، وثَمَّ نَجمَتْ فتنةُ ٱلنُّويدرةِ وكانَ لَهُ أفضلُ ٱلسَّعيِ في إخمادِها ونجحَ ، ثمَّ ٱشتدَّ عليهِ ٱلأذىٰ فهجرَ حَضْرَمَوْتَ سَنةَ (١٣٠٢هـ) ، وهي ٱلرِّحلةُ ٱلَّتي يقولُ عندَ رجوعِهِ منها [مِنَ ٱلطَّويل] :

ثَلاثُونَ عَاماً بِالْبِعَادِ طَوَيْتُهَا وَكَمْ أَمَلٍ فِي طَيِّ أَيَّامِهَا ٱنْطَوَىٰ

وَهَا عَوْدَتِي لَمَّا أُتِيحَتْ نَوَيْتُهَا عَسَىٰ وَعَسَىٰ أَنْ لَيْسَ مِنْ بَعْدِهَا نَوَىٰ

ولمَّا قدمَ إلىٰ تريم في سَنةِ (١٣٣١هـ) . . هنَّأْتُهُ بقصيدةٍ نكرَ مِنها بعضُ أهلِ ٱلعِلْمِ بتريم أبياتاً ، فقالَ ليَ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلكافُ : أتحبُّ أنْ يبحثَ معكَ إخوانُكَ في أبياتٍ أنكروها مِن قصيدتكَ ؟ فقلتُ لَهُ : نَعَمْ ، بكلِّ مَسرَّةٍ وفرحٍ .

فأقبلَ ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ حسنُ بنُ علويِّ بنِ شهابٍ ـ لأنَّهم نصَّبوهُ إذ ذاكَ لِلرِّياسةِ ٱلعلميَّةِ بتريم لِيُنافسَ ٱلوالدَ أبا بكرٍ ٱبنَ شهابٍ في عشرينَ مِنْ عِلْيَةِ طلاَّبِ ٱلعِلْمِ ، فيهِمُ ٱلعلاَّمةُ عليُّ بنُ زينِ ٱلهادي[1] ، ولمْ أكرهْ حضورَ أحدٍ سواهُ ؛ لِما ٱشتهرَ بهِ مِنَ ٱلحِدَّةِ ، فخشيتُ أنْ يخرجَ بِنا ٱلجدالُ عنِ ٱللَّياقةِ ، وما فرغنا مِنَ ٱلمناقشةِ . . إلاَّ وقد رجعوا إلىٰ كلامي ، وأوَّلُ مَنِ ٱنحازَ إلىٰ جانبي هوَ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ زينِ ٱلهادي مصداقُ أنَّ ٱلحِدَّةَ تعتري ٱلأخيارَ . . فكانَ مِنَ خيارِ ٱلمنصِفينَ ، فهابَهُ مَنْ رامَ ٱلمغالَطةَ .

وما أنا في هـٰذا بمجازفٍ ولا كاذبٍ ، ولا أستشهدُ علىٰ طولِ ٱلزَّمانِ بميتٍ ولا غائبٍ ؛ فقد بقيَ ٱلسَّيِّدُ يوسفُ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلمشهورُ ممَّنْ حضرَ ذلكَ ٱلبحثَ فليسألْهُ مَنْ أحبَّ .

وموضوعُ ٱلمناقشةِ أنَّني عرَّضتُ ـ في تلكَ ٱلقصيدةِ ـ ببعضِ من يَعِزُّ عليهم ممَّن غَيَّرَ

---

(١) كان السيد علي فقيهاً عالماً مفتياً ، تولى التدريس بزاوية الشيخ علي بتريم ، وتوفي بها في (٧) ذي الحجة (١٣٤٦هـ) .

منارَ سيرةِ ٱلسَّلفِ بإعزازِ ٱلأغنياءِ وإذلالِ ٱلفقراءِ وٱلعلماءِ ، ولمَّا صَدَقْتُهُم وذكَرَتُ لهم من أَعمال أُولئكَ ما يخالفُ هَديَهُ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ . . لم يَسعْهُم إلاَّ ٱلإذعانُ ، ووعدوا بٱلتَّوسُّطِ لإصلاحِ ٱلأُمورِ ، وكأَنَّهم لم يجدوا قبولاً مِن ذلكَ ٱلجانبِ فأنثنَوا ، وٱلقصيدةُ بموضِعِها مِنَ « ٱلدِّيوانِ » .

وأَشهدُ لقد طلعتُ عليهِ فجأَةً إلىٰ سطحِ قَصْرِهِ بعدَ ٱلمغربِ . . فإذا بهِ يدورُ علىٰ غايةٍ مِنَ ٱلاستغراقِ وٱلحضورِ ، ويُكرِّرُ قولَ أَبي فراسٍ [في « ديوانِه » ٤٥ مِنَ ٱلطَّويل] :

فَلَيْتَــكَ تَحْلُــو وَٱلْحَيَــاةُ مَــرِيــرَةٌ وَلَيْتَــكَ تَــرْضَــىٰ وَٱلأَنَــامُ غِضَــابُ
وَلَيْــتَ ٱلَّــذِي بَيْنِــي وَبَيْنَــكَ عَــامِــرٌ وَبَيْنِــي وَبَيْــنَ ٱلْعَــالَمِيــنَ خَــرَابُ

فجمعتُ يدي منهُ علىٰ دِينٍ ثابتٍ ، ويقينٍ فَرْعُهُ في ٱلسَّماءِ وأَصلُهُ في ٱلتُّخومِ نابتٌ .

ولَطالما ترنَّحتُ طرباً لهٰذينِ ٱلبيتينِ ، وٱستجهرَني جمالُهما ، وترنَّمتُ بهما في مناجاةِ ٱلباري عزَّ وجلَّ ، لاسيَّما وقد تمثَّلَ بهما جلَّةُ ٱلعلماءِ ، ومنهُم سلطانُهُمُ عزُّ ٱلدِّينِ ٱبنُ عبدِ ٱلسَّلامِ ، غيرَ أَنِّي لمَّا أَنعمتُ ٱلنَّظرَ ، وأَفقتُ مِنْ دهشةِ ٱلإعجابِ بهِ . . أَلفيتُهُ مصادماً لقولهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ : « لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ ٱلْعَدُوِّ ، وَٱسْأَلُوا ٱللهَ ٱلْعَافِيَةَ »[1] ؛ إذ لم يترك شيئاً مِنَ ٱلبلاءِ إلاَّ تمنَّاهُ .

وربَّما يكونُ ما وقعَ فيهِ ٱبنُ عبدِ ٱلسَّلامِ مِنَ ٱلسِّجنِ وٱلامتحانِ مسبَّباً عَن ذلكَ ، وقد ذكَرْت في « ٱلعُودِ » [٢٥٩/٢] جماعةً ممَّن أُصيبوا بٱلعاهاتِ مِن جهةِ تمنِّيهم ذلكَ في طريقِ ٱلوِصَالِ ، وقد أَخذَ ٱللهُ بَصَرَ ٱلمؤمَّلِ ٱبنِ أُميلٍ مِن صباحِ ٱللَّيلةِ ٱلَّتي قالَ فيها [مِنَ ٱلبسيط] :

شَــفَّ ٱلْمُــؤَمِّــلُ يَــوْمَ ٱلْحَيْــرَةِ ٱلنَّظَــرُ لَيْــتَ ٱلْمُــؤَمِّــلَ لَــمْ يُخْلَــقْ لَــهُ بَصَــرُ

وبَرِصَ ٱلمجنونُ لقولِهِ [في « ديوانِه » ٢٢٦ مِنَ ٱلطَّويل] :

قَضَــاهَــا لِغَيْــرِي وَٱبْتَــلاَنِــي بِحُبِّهَــا فَهَــلاَّ بِشَــيْءٍ غَيْــرِ هَــٰذَا ٱبْتَــلاَنِيَــا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٤) ، ومسلم (١٧٤٢) .

وقالَ عمرُ بنُ أَبي ربيعةَ لكثيِّرٍ : أَخبرني عَن قولِكَ لنفسِكَ ولحبيبتِكَ [في « ديوان كثير » ٤٧ـ٤٨ مِنَ الطَّويل] :

أَلاَ لَيْتَنَا يَا عَزُّ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ ... بَعِيرَيْنِ نَرْعَىٰ فِي ٱلْخَلاَءِ وَنَعْزُبُ

كِلاَنَا بِهِ عَرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ ... عَلَىٰ حُسْنِهَا جَرْبَاءُ تُعْدِي وَأَجْرَبُ[1]

إِذَا مَا وَرَدْنَا مَنْهَلاً صَاحَ أَهْلُهُ ... عَلَيْنَا فَمَا نَنْفَكُّ نُرْمَىٰ وَنُضْرَبُ

وَدِدْتُ وَبَيْتِ ٱللهِ أَنَّكِ بَكْرَةٌ ... هِجَانٌ وَأَنِّي مُصْعَبٌ ثُمَّ نَهْرُبُ[2]

نَكُونُ بَعِيرَيْ ذِي غِنىً فَيُضِيعُنَا ... فَلاَ هُوَ يَرْعَانَا وَلاَ نَحْنُ نُطْلَبُ

وَيلَكَ! تمنَّيتَ لها ٱلزَّفَّ وٱلجَرَبَ وٱلرَّميَ وٱلطَّردَ وٱلمسخَ!! فأَيُّ مكروهٍ لم تتمنَّهُ لكما؟ أَما وٱللهِ لقد أَصابَها منكَ قولُ ٱلأَوَّلِ : (مودَّةُ ٱلأَحمقِ. . شرٌّ مِن معاداةِ ٱلعاقلِ) .

وعاتَبَتْهُ عزَّةُ علىٰ ذلكَ ، ومعاذَ ٱللهِ أَن يسلموا مِن سوءِ ٱلعاقبةِ .

وما وقعَ فيهِ أَبو فراسٍ لا ينقص ـ إِن لم يزد ـ علىٰ ما تمنَّاهُ كُثيِّرٌ ، وسبقَ في ذي أَصبح أَنَّ جدِّي ٱلمحسنَ كانَ يقولُ : ما نغني بٱلأَسماعِ وٱلأَبصارِ عندما ندعو بحفظِها إِلاَّ حسنَ بنَ صالحٍ وأَحمدَ بنَ عمرَ وعبدَ ٱللهِ بنَ حسينٍ ، ولـٰكنَّهُ أَضرَّ بٱلآخرةِ ، ومثلُهُ ٱلمترجَم. . فلا بعدَ أَن يكونَ مِن تلكَ ٱلبابةِ .

كما تبتُ عنِ ٱلدُّعاءِ بقولِ سيِّدِنا عمرَ بنِ ٱلخطَّابِ : (بل أَغناني ٱللهُ عنهُم) ، لما قيلَ لَهُ : (نفعكَ بنوكَ) ، وكنتُ أَستحسِنُهُ وأَدعو بمقتضاهُ ، حتَّىٰ تفطَّنتُ لما فيهِ ، ورأَيتُ أَنَّ أَبناءَ ٱبنِ ٱلخطَّابِ لم يكونوا هناكَ ، وليسَ هوَ بأَفضلَ مِنَ ٱلعبدِ ٱلصَّالحِ إِذ عُوقِبَ علىٰ قولِهِ : ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ كما جاءَ في ٱلحديث .

بعدَ هـٰذا كلِّهِ ذهَبَتِ ٱلنَّشوةُ ، وٱنجابتِ ٱلغفوةُ ، وظهرَ ما تحتَهُ مِنَ ٱلهفوةِ .

وفي روايةٍ عنِ ٱلشَّافعيِّ : أَنَّه لا يُحبُّ أَن يُقالَ في ٱلتَّعزيةِ : أَعظمَ ٱللهُ أَجرَكَ ؛ لِما

---

(١) العرُّ : الجرب .

(٢) البكرةُ : الفتية من الإبل ، المصعب : فحل الإبل .

في طيِّهِ مِنَ ٱلاستكثارِ مِنَ ٱلمصائِبِ ، فَسَحبتُ عندئذٍ ما كانَ مِنِّي مِن ٱستحسانِ ذلكَ ، وتُبتُ عنهُ توبةً صادقةً أرجو ٱللهَ قَبولَها .

وما أَشدَّ ما يُسيءُ هـٰؤلاءِ ٱلشُّعراءُ ٱلأَدبَ ويُقلُّونَ ٱلحياءَ ؛ فمثلُ كلامِ أَبي فراسٍ لا يليقُ بخطابِ ٱلمخلوقِ ، ومِنْ ثمَّ صرفَهُ ٱلمفتونونَ بجمالهِ إِلىٰ خطابِ ٱلخالقِ غَفْلةً عمَّا فيهِ مِنَ ٱلتَّعرُّضِ للبلاءِ ٱلمنهيِّ عن مِثلهِ ، وكمثلهِ قولُ ٱلبحتريِّ لِلفتحِ بنِ خاقان [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَيُعْجِبُنِــي فَقْــرِي إِلَيْــكَ وَلَــمْ يَكُــنْ ... لِيُعْجِبَنِــي لَــوْلاَ مَحَبَّتُــكَ ٱلْفَقْــرُ

وقد صرفتُهُ إِلى ٱلباري عزَّ وجلَّ في قصيدةٍ إِلـٰهيَّةٍ جرَىٰ لي فيها حديثٌ لا أَمَلُّ بهِ ، فأَرجو أَن لا يلحقَني بأسٌ بعدُ ؛ إِذ لا يحسنُ غيرُ ٱلمأثورِ ، وقد فُتِنَ ٱلرَّضيُّ بهـٰذا ٱلبيتِ ، وأَغارَ عليهِ فلم يُحسنِ ٱلاتِّباعَ حيثُ يقولُ [في « ديوانِهِ » ١/٥٤١ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَمَـا كَـانَ لَـوْلاَكُـمْ يَمُـرُّ لِـيَ ٱلْغِنَـىٰ ... وَيَحْلُـو إِلَـىٰ قَلْبِـي ٱلْخَصَـاصَـةُ وَٱلْفَقْرُ

ومِنَ ٱلغلوِّ ٱلممقوتِ قولُ ٱبنِ هانىءٍ ٱلأَندلسِّي [مِنَ ٱلبسيطِ] :

أَتْبَعْتُــهُ فِكْــرَتِــي حَتَّــىٰ إِذَا بَلَغَــتْ ... غَــايَــاتِهَــا بَيْــنَ تَصْــوِيــبٍ وَتَصْعِيــدِ
أَبْصَـرْتُ مَـوْضِـعَ بُـرْهَـانٍ يَلُـوحُ وَمَـا ... أَبْصَـرْتُ مَـوْضِـعَ تَكْيِيـفٍ وَتَحْـدِيـدِ

ولقدِ ٱحترستُ حينَ تمثَّلتُ في ذي أَصبح ببيتٍ مِنْ شِعرِ ٱلمتنبِّي لا يَخلو عنِ ٱلغلوِّ ، علىٰ أَنَّ ٱلرُّوحَ لا تنفدُ فلا ينفدُ وصفُها .

ومِنَ ٱلتُّرَّهاتِ ٱلممقوتةِ أَيضاً : قولُ أَبي عبدِ ٱللهِ ٱلخليعِ ، يخاطبُ أَحمدَ بنَ طولونَ ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (٢٧٠هـ) [مِنَ ٱلكاملِ] :

أَنَـا حَـامِـدٌ أَنَـا شَـاكِـرٌ أَنَـا ذَاكِـرٌ ... أَنَـا جَـائِـعٌ أَنَـا رَاجِـلٌ أَنَـا عَـارِي
هِـيَ سِتَّـةٌ وَأَنَـا ٱلضَّمِيـنُ لِنِصْفِهَـا ... فَكُـنِ ٱلضَّمِيـنَ لِنِصْفِهَـا بِعِيَـارِ

ولذا نقلَهما كسابقيهما أَهلُ ٱلحقِّ إِلىٰ خطابِ ٱلباري عزَّ وجلَّ ، وأَبدَلوا قافيةَ ٱلثَّاني بـ« ياباري » فكانت أَعذبَ وأَطيبَ .

وكنتُ معجباً بمختاراتِ حافظٍ ، ومعَ ذلكَ . . فإِنِّي أُفضِّلُ عليهِ ٱلأُستاذَ ، حتَّىٰ قلتُ

لَهُ مرَّةً : أَلستَ أَشعرَ منهُ ؟ قالَ : أَينكَ عن قولِهِ [في « ديوانه » ٢/ ١٦١ مِنَ ٱلبسيطِ] :

إِنِّي أَرَىٰ وَفُؤَادِي لَيْسَ يَكْذِبُنِي ... رُوحاً يَحُفُّ بِهَا ٱلإِجْلَالُ وَٱلْعِظَمُ
أَرَىٰ جَلَالاً أَرَىٰ نُوراً أَرَىٰ مَلَكاً ... أَرَىٰ مُحَيّاً يُحَيِّينِي وَيَبْتَسِمُ
ٱللهُ أَكْبَرُ هَـٰذَا ٱلْوَجْهُ نَعْرِفُهُ ... هَـٰذَا فَتَى ٱلنِّيلِ هَـٰذَا ٱلْمُفْرَدُ ٱلْعَلَمُ

وقولِهِ [في « ديوانِهِ » ١/ ٢٨٩ مِنَ ٱلبسيطِ] :

كَمْ غَادَةٍ فِي ظَلَامِ ٱللَّيْلِ بَاكِيَةٍ ... عَلَىٰ أَلِيفٍ لَهَا يَهْوِي بِهِ ٱلطَّلَبُ
لَوْلاَ طِلَابُ ٱلْعُلَا لَمْ يَبْتَغُوا بَدَلاً ... مِنْ طِيبِ رَيَّاكَ لَكِنَّ ٱلْعُلَا تَعَبُ

ولهـٰذا حديثٌ مبسوطٌ في « ٱلعودِ ٱلهنديِّ » [٢/ ٤٠] .

أَمَّا شوقي : فلَم أَقرأْ شِعرَهُ إِلاَّ بعدَ ذلكَ ، فلمْ يَكُنْ عندي شيئاً في جانبِ جيِّدِ حافظٍ ، وما أَرىٰ إِغراقَ بعضِهم فيهِ وتأْميرَهُ وتفضيلَهُ إِلاَّ مِنْ جنسِ تفضيلِ جريرٍ على ٱلفرزدقِ ، بدونِ حقٍّ ، حَسْبَما فصَّلتُهُ بدلائلِهِ في « ٱلعودِ ٱلهنديِّ » .

وبقيَ عليَّ أَنْ أُشيرَ إِلىٰ ما ٱجتمعَ للأُستاذِ مِنَ ٱلشِّدَّةِ وٱللِّينِ ، وٱلشَّمَمِ وٱلإِباءِ ، ودماثةِ ٱلأَخلاقِ ، وطوعِ ٱلجانبِ ، وحلاوةِ ٱلغريزةِ .

قَسَا فَـٱلأُسْدُ تَهْرُبُ مِنْ قُوَاهُ ... وَرَقَّ فَنَحْنُ نَخْشَىٰ أَنْ يَذُوبَا[1]

وما أَظنُّ ٱلعلاَّمةَ ٱبنَ شهابٍ إِلاَّ علىٰ رأْيي فيهِ ، وإِلاَّ . . لذَكَرهُ لي وأَثنىٰ عليهِ ، ولا أُنكرُ أَنَّ لهُ محاسنَ ، لـٰكنَّهم رفعوهُ عن مستواها إِلىٰ مالا يستحقُّ ، وكانَ ٱبنُ شهابٍ يتشيَّعُ ، لـٰكن بدونِ غلوٍّ ، بل لقدِ ٱعتدلَ ٱعتدالاً حَسَناً جميلاً بعقبِ زيارتِهِ لحضرموتَ وٱطِّلاَعِهِ على « ٱلرَّوضِ ٱلباسمِ » ، ورسائِلِ ٱلإِمامِ يحيى بنِ حمزةَ ، وكانَ قلمُهُ أَقوىٰ مِنْ لسانِهِ ، أَمَّا لسانُهُ معَ فَرْطِ تواضعِهِ ولُطْفِ ديدنهِ . . فإِنَّكَ لا تكادُ تعرفُ أَنَّهُ هوَ ٱلَّذي ملأَ سَمْعَ ٱلأَرضِ وبصرَها إِلاَّ إِذا سُئِلَ فتفتَّحَ عن ثبجِ بحرٍ جيَّاشِ ٱلغواربِ[2] .

---

(١) البيت من الوافر ، وهو للمتنبي في « العُكبريّ » (١/ ١٤٣) .

(٢) يقال : جاش البحر ؛ إذا هاج موجه وتلاطم . والغوارب : الموج العالي ، وبهـٰذا يتضح معنى العبارة .

إذا قـالَ . . لَـمْ يَتْـرُكْ مَقَـالاً لِقَـائِـلٍ   بِمُبْتَـدَعَـاتٍ لاَ تَـرَىٰ بَيْنَهَـا فَصْـلاَ[1]
كَفَىٰ وَشَفَىٰ مَا فِي ٱلنُّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ   لِـذِي إِرْبَـةٍ فِـي ٱلْقَـوْلِ جِـدّاً وَلاَ هَـزْلاَ

وٱلأدلَّةُ حاضرةٌ ، وما بينَ ٱلعينينِ لا يوصَفُ ، ولهوَ ٱلأحقُّ مِنَ ٱلقزَّازِ ٱلقَيْروانيِّ بقولِ يَعْلىٰ بنِ إبراهيمَ فيهِ [مِنَ ٱلكاملِ] :

أَبَـداً عَلَـىٰ طَـرَفِ ٱللِّسَـانِ جَـوَابُـهُ   فَكَـأَنَّمَـا هُـوَ دُفْعَـةٌ مِـنْ صَيِّـبِ

وقد عرفتَ مِن قولِهِ في حافظٍ . . أنَّهُ مِن ساداتِ ٱلمُنصفينَ ، ولي معَهُ مِن ذلكَ ما يُؤَكِّدُهُ ، وقد ذَكَرتُ بعضَهُ في خطبةِ ٱلجزءِ ٱلثَّاني مِنَ « ٱلديوانِ » .

وفي سَنةِ (١٣٣٤هـ) توجَّهَ مِنْ حَضْرَمَوْتَ إلى ٱلهندِ ليقطعَ علائِقَهُ مِنها ويبيعَ داراً لَهُ بها ، وبينا هوَ يَجمعُ متاعَهُ لِلسَّفرِ ٱلنِّهائيِّ إلىٰ مسقطِ رأسِهِ ، ومربعِ أُناسِهِ ٱلَّذي لا يزالُ يَحنُّ إليهِ بما يذيبُ ٱلجمادَ ، ويُفتِّتُ ٱلأكبادَ ؛ كقولِهِ [في «ديوانه» ١٨٧ مِنَ ٱلبسيطِ] :

بِـٱلْهِنْـدِ نَـاءٍ أَخِـي وَجْـدٍ يَحِـنُّ إِلـىٰ   أَوْطَـانِـهِ وسِهَـامُ ٱلْبَيْـنِ تَـرْشُقُـهُ
إِلَـى ٱلْعَـرَانِيـنِ مِـنْ أَقْـرَانِـهِ وَإِلَـىٰ   حَـدِيثِهِـمْ عَبَـرَاتُ ٱلشَّـوْقِ تَخْنُقُـهُ

. . إذ وافانا نعيُهُ في جمادى ٱلآخرةِ مِنْ سَنةِ (١٣٤١هـ)[2] .

فَضَـاقَـتْ بِنَـا ٱلأَرْضُ ٱلْفَضَـاءُ كَـأَنَّمَـا   تُصَعِّـدُنَـا أَرْكَـانُهَـا وَتَجُـولُ[3]

فٱشتدَّ ٱلأَسىٰ ، ولَم تَنفعْ عسىٰ ، وكادتِ ٱلأرضُ تميدُ ، لموتِ ذلكَ ٱلعميدِ ، وطفقَ ٱلنَّاسُ زماناً .

يُعَـزَّوْنَ عَـنْ ثَـاوٍ تُعَـزَّىٰ بِـهِ ٱلْعُـلاَ   وَيَبْكِي عَلَيْهِ ٱلْجُودُ وَٱلْعِلْمُ وَٱلشِّعْرُ[4]

---

(١) البيتان من ٱلطَّويل ، وهما لسيِّدنا حسَّان بن ثابت رضي ٱلله عنه في « ديوانه » (٤١٢) .
(٢) كانت الوفاة بحيدر آباد الدكن ليلة الجمعة (١٠) جمادى الأولى . . وسبب تأخره وطول المدة بين سفره من تريم سنة (١٣٣٤هـ) مع عزمه على الرجوع ومن ثم موته بالهند . . إنما هو نشوب الحرب العالمية الأولى وصعوبة السفر آنذاك وخطورته ، لاسيما عبر المحيط الهندي .
(٣) البيت من الطَّويل .
(٤) البيت من الطَّويل ، وهو لأَبي تمَّام في « ديوانه » (٢/ ٣٠٤) .

تريم[1]

هيَ قاعدةُ حَضْرَمَوْتَ ، وقد أَطالَ ٱلخطيبُ في « جوهرِهِ » وٱلشِّليُّ في « مشرعِهِ » وغيرُهُما بما يُغني ويُقْني في وصفِها وشرحِ أَحوالِها[2] ، فَأَنا في تعاطي شيءٍ مِنْ ذلكَ بعدَهُم . . كواصفِ ٱلنَّجْمِ ٱلسَّاطعِ وٱلبدرِ ٱلطَّالعِ ، وإنَّما نحرصُ علىٰ شاردةٍ نتلقَّفها ، أَو نادرةٍ نتخطَّفُها .

قالَ ٱلهَمْدانيُّ : (وتريم مدينةٌ عظيمةٌ)[3] . وقالَ ياقوتُ : (تريم ٱسمٌ لإِحدىٰ مدينتي حَضْرَمَوْتَ ؛ لأَنَّ حَضْرَمَوْتَ ٱسمٌ لِلنَّاحيةِ بجملتِها ، ومدينتاها تريم وشبام ـ وهُما قبيلتانِ ـ سمِّيت بِٱسمِهِما ٱلمدينتانِ ، وقالَ ٱلأَعشىٰ [في « ديوانِهِ » ٢٤٦ مِنْ مجزوءِ ٱلكاملِ] :

طَـالَ ٱلثُّـوَاءُ عَلَـىٰ تَـرِيـ ... ـمَ وَقَـدْ نَـأَتْ بَكْـرُ بـنُ وَائِـلْ)اهـ[4]

وقال كثيِّرٌ [في « ديوانِهِ » ١٣٧ مِنَ ٱلوافرِ] :

كَـأَنَّ حُمُـولَهَـا بِمَـلاَ تَـرِيـمٍ ... سَفِيـنٌ بِـٱلشُّعَيْبَـةِ مَـا تَسِيـرُ

وقد مرَّ آخِرَ ٱلكلامِ علىٰ تريس قولُ ٱلهمدانيِّ في موضعٍ مِنْ « صِفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » : (تريمُ ديارُ تميمٍ ، وتريسُ بحَضْرَمَوْتَ) اهـ

وتفرَّسنا أَنَّ قولَهُ : (وتريس) محرَّفٌ عن تريم كما يُفهَمُ مِنَ ٱلسِّياقِ .

وقالَ في ٱلجزءِ ٱلثَّامنِ [ص١٩٠] مِنَ « ٱلإِكليلِ » : (حصونُ حَضْرَمَوْتَ : دمُّونُ لِحِمْيَر ، وٱلنُّجَيرُ لِبني معدي كربَ مِنْ كِنْدةَ ، وحَضْرَمَوْتُ وحَوْرَه فيها كندةُ ٱليومَ ،

---

(١) هي أشهر بلدان وادي حضرموت ، الفائقة على غيرها من البلدان بالعلم والعلماء ، وكثرة الصالحين والأولياء ، وهي مسقط رأس السادة بني علوي ، ومنها تفرقوا وهاجروا إلى سائر البلدان والأودية والأقطار ، تقع في الشمال الشرقي من سيئون ، وتبعد عنها نحو (٣٢ كم) .

(٢) في « المشرع » (١/ ٢٥١) . وصف لها جميل . . فلينظر هناك .

(٣) صفة جزيرة العرب (ص١٧٠) .

(٤) معجم البلدان (٢/ ٢٨) .

وتريمُ موضعُ ٱلملوكِ مِنْ بني عَمرِو بنِ معاويةَ ؛ منهُم : أَبو ٱلخيرِ بنُ عَمرِو ٱلوافدُ علىٰ كسرىٰ ليستمدَّ منهُ على ٱبنِ ٱلحارثِ بنِ معاويةَ) اهـ[١]

وما ذكرَهُ عن دمُّون مخالِفٌ لِما ذكرناهُ عنهُ فيها ، ما لَم يُرِدْ دمُّونَ ٱلشَّرقيَّةَ ٱلآتي ذِكرُها ؛ فإنَّهُ ممكنٌ .

وجاءَ ذِكرُ حورة فيهِ بِٱلزَّاي ٱلمعجمةِ ، وهوَ غلطٌ مِنَ ٱلنَّاسخِ لَم يهتدِ إليهِ مُصحِّحُهُ حينَ ٱلطَّبعِ .

وممَّا ٱستدركَهُ « ٱلتَّاجُ » علىٰ « أَصلِهِ » قولُهُ : (وتريم ـ كأَميرٍ ـ مدينةٌ بحَضْرَمَوْتَ ، سُمِّيتْ بٱسمِ بانيها تريم بنِ حَضْرَمَوْتَ . قالَ شيخُنا[٢] : هيَ عُشُّ ٱلأَولياءِ ومنبِتُهُم ، وفيها جماعةٌ ممَّنْ شهدَ بدراً ، وهيَ مسكنُ ٱلسَّادةِ آلِ باعلويٍّ ، ومنها تفرَّقوا في ٱلبلادِ) اهـ

وهٰذا كلُّهُ صحيحٌ ، ولا وَهَمَ فيهِ ، وبمجرَّدِ ما وصلَ كتابُهُ صلَّى ٱلله عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ إِلىٰ تريم . . أَسلمَ أَهلُها ، وٱنتشرَ ٱلإِسلامُ بحَضْرَمَوْتَ ، وكانَ سليمُ بنُ عمرٍو ٱلأَنصاريُّ داعيةَ ٱلإِسلام بحَضْرَمَوْتَ ، فنجحَ نجاحاً باهراً . ولمَّا توفِّيَ ٱلنَّبيُّ صلَّى ٱلله عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ وٱرتدَّ مَنِ ٱرتدَّ بحَضْرَمَوْتَ . . وردَ كتابُ أَبي بكرٍ ٱلصِّدِّيقِ علىٰ لبيدِ بنِ زيادٍ[٣] وهوَ بمدينةِ تريمَ ، فقرأَهُ علىٰ أَهلِها فبايَعوهُ ، ثمَّ بايعَهُ أَكثرُ أَهلِ حَضْرَمَوْتَ ،

---

(١) يفهم من كلام الهمداني هٰذا : أن تريم كانت محكومة من قبل الملوك بني معاوية الأكرمين من كندة ، وقد صحح العلامة علوي بن طاهر الحداد هٰذه المعلومة . . فقال بعد أن عدد قبائلهم وفخائذهم التي كان فيها المُلْك : ولم تكن تريم ولا أسافل وادي حضرموت بمنزل لهم ، وإنما كانت منازل حضرموت القبيلة الأصلية الحضرمية والسَّكونِ من كندة ، ومن هؤلاء : بنو قُتيرة سكان تريم إذ ذاك .

وإنما كانت منازل كندة الملوك في أعالي وادي حضرموت ، وقد أصابتهم الحرب بحدها لما ارتدوا ، فضعفوا وتفرقوا أيادي سبأ ، وسَلِمَت السكون والسكاسك من ذلك .

(٢) هو السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس ، شيخ الزبيدي صاحب « التاج » .

(٣) اسمه في معاجم الصحابة وكتب التاريخ : زياد بن لبيد ، ممن شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولما كانت الردة . . قام بالقبض على الأشعث بن قيس ، وبعث به أسيراً إلى أبي بكر رضي الله عنه .

فطالعَ أَبا بكرٍ بِٱلخبرِ ، فدعا لأَهلِ تريم[1] بما بعضُ أَثرِ إجابتِهِ محسوسٌ إِلى ٱليومِ من ٱلبركةِ ، ثمَّ ظهرتِ ٱلإِباضيَّةُ ، وكانَ مِنْ تقلُّبِ ٱلأَحوالِ وٱلدُّولِ ما لخَّصناهُ في شبام .

أَمَّا جامعُ تريم : فأَوَّلُ ما ٱنتهىٰ إِلينا مِنْ عمارتِهِ كونُها في سَنةِ (٢١٥هـ) ، ثمَّ جَدَّدَ عمارتَهُ ٱلحسينُ بنُ سلامةَ ، وٱلعجبُ مِنَ ٱلشِّلِّيِّ أَنَّهُ لَم يَذكرْ إِلاَّ عمارتَهُ سَنةَ (٥٨١هـ) ، قالَ : (ثمَّ جُدِّدتْ عمارتُهُ سَنةَ « ٥٨٥هـ » ، ثمَّ في سَنةِ « ٩٠٣هـ » ، كتبَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بافضلٍ بلحاجٍ إِلى ٱلسُّلطانِ عامرِ بنِ عبدِ ٱلوهَّابِ يَطلبُ منهُ توسيعَ ٱلمسجدِ ؛ لأَنَّهُ ضاقَ بِٱلنَّاسِ ، فأَرسلَ بمالٍ جزيلٍ معَ ٱلسَّيِّدِ ٱلجليلِ مُحَمَّدِ بنِ أَحمدَ باساكوته ، فعمَّرهُ عمارةً أَكيدةً هيَ ٱلموجودةُ إِلى ٱلآنَ) اهـ[2]

وبعيدٌ جدّاً أَنْ تبقىٰ تريمُ بدون جامعٍ إِلىٰ سَنةِ (٢١٥هـ) وبها مِنَ ٱلصَّحابةِ وأَهلِ ٱلعِلْمِ مَنْ لا يُحصىٰ ؛ ففي « ٱلجوهرِ » عنِ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ مُحَمَّدٍ ٱلخطيبِ قالَ : (كنَّا جلوساً في مقبرةِ تريم ومعنا ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ باعلويِّ ، فقالَ رجلٌ مِنْ أَهلِ تريم : في مقبرةِ تريم سبعونَ بدريّاً . فقلتُ لَهُ : ما كفاكُم يا أَهلَ تريم ما فيكُم مِنَ ٱلصَّالحينَ حتَّىٰ تريدونَ قريباً مِنْ رُبعِ أَهلِ بدرٍ ؟! فقالَ ليَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ : ما لكَ وللاعتراضِ يا ولدي؟ هـٰذا كلامٌ نقلَهُ ٱلخلَفُ عنِ ٱلسَّلَفِ) اهـ

ومعاذَ ٱللهِ أَنْ يكونَ غيرَ صحيحٍ ما يقولُ فيهِ ٱلثِّقةُ ٱلإِمامُ : أَنَّهُ مرويٌّ مِنَ ٱلخلَفِ عنِ ٱلسَّلَفِ ، ومعَ هـٰذا فهل يُمكنُ بقاؤُهُم بدونِ جامعٍ ؟

وقد قالَ بعضُهم بوجوبِ بناءِ ٱلمساجدِ مستدلاًّ بما أَخرجهُ ٱلتِّرمذيُّ [٥٩٤] وأَبو داودَ

---

(١) المسموع أنه دعا لهم بثلاث دعوات : أن ينبت الصالحون والأولياء فيها كما ينبت البقل ، وأن يعذب ماؤها ، وأن لا تخبو فيها نار حتى قيام الساعة . بمعنى بقاء عمارتها ودوامها . والله أعلم . ينظر : « المشرع » (١/٢٥٢) ، « أدوار التاريخ » (٩١) .

(٢) « المشرع » (١/٢٦٩) ، السلطان عامر هـٰذا.. تقدم ذكره في قيدون ، ولم نعرِّف به حينها.. فنقول : هو الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة القرشي الأموي ، آخر سلاطين اليمن من بني طاهر ، تولى بعد أبيه سنة (٨٩٤هـ) ، ومات سنة (٩٢٣هـ) ، كان شديد الشكيمة ، أقام في زبيد ، واستولى على صنعاء ، وله مآثر كثيرة ، وأقام مساجد ومدارس عديدة باليمن ، قتل بجبل نُقُم قرب صنعاء . « الأعلام » (٣/٢٥٣) .

[٤٥٥] وٱبنُ ماجه [٧٥٨] بسندٍ صحيحٍ مِن حديثِ عائشةَ : أَمرَ رسولُ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ببناءِ ٱلمساجدِ في ٱلدُّورِ ، وأَن تُطَيَّبَ وتُنَظَّفَ ، وأَمرَ عمرُ أَهلَ ٱلأَمصارِ ببناء مساجدِهم ، وأَمرَهم أَن لا يبنوا مسجدَين يُضَارُّ أَحدُهما ٱلآخرَ ، رواه البغوي .

وٱلأَصلُ في ٱلأَمرِ : ٱلوجوبُ ، ورَجَّح ٱبنُ حَجَرٍ ٱلهَيتميُّ ـ كما في « ٱلمرعى ٱلأَخضرِ » ـ ٱلنَّدْبَ .

ومهما كان الأمر . . فٱلمؤكَّدُ أَنَّ جامعَ تريمَ كانَ مبنيّاً مِنَ ٱلصَّدرِ ٱلأَوَّلِ ، وإِنَّما جُدِّدَ أَو وسِّعَ ـ كجامعِ شبام ـ في سَنَةِ (٢١٥هـ) ، ثمَّ تكرَّرتْ عليهِ ٱلعمارةُ وٱلتَّرميمُ ، ومتىٰ أَغفلَ ٱلشِّلِّيُّ ٱلعماراتِ ٱلسَّابقةَ عن سَنَةِ (٥٨١هـ) . . فأَولىٰ أَنْ يُغفِلَ ٱلعمارةَ ٱلقديمةَ[١] .

أَمَّا ٱلعلويُّونَ : فقد تفرَّسنا في غيرِ موضعٍ مِنْ هٰذا ومِنَ « ٱلأَصلِ » أَنَّ ٱمتناعَهُم عن سُكنىٰ مدينتَي حَضْرَمَوْتَ لَمْ يَكُنْ في ٱلبدءِ إِلاَّ لأَجْلِ ٱلتَّنافسِ ٱلمذهبيِّ ، ورأَيتُ في غيرِ موضعٍ مِنْ مجموعِ كلامِ ٱلحبيبِ عمرَ بنِ حسنٍ ٱلحدَّادِ ما يُصرِّحُ بوجودِ أَصلِ ٱلتَّنافسِ .

ثمَّ إِنَّ ٱلمؤرِّخينَ يُكثرونَ مِنْ عِلْمِ ٱلمهاجرِ ومَنْ بعدَهُ إِلىٰ عليِّ بنِ علويٍّ خالعِ قَسَم ، ويذهبونَ بهِ إِلىٰ غاياتٍ بعيدةٍ ، وللشَّكِّ في مثلِ ذلكَ منافذُ كثيرةٌ أَشرنا إِلىٰ شيءٍ منها في ٱلمبحثِ ٱلثَّالثِ من ٱلحسيَّسةِ ، لاسيَّما وقد جاءَ في ٱلحكايةِ ٱلتَّاسعةِ مِنَ « ٱلجوهرِ » [١/٦٣(خ)] لِلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلخطيبِ[٢] ـ وهوَ غرِّيدُ مديحِ ٱلعلويِّينَ وصنَّاجةُ ثنائِهم ـ : (أَنَّ ٱلشَّيخَ ٱلإِمامَ سالمَ بنَ فضلٍ كانَ مِنْ كبارِ ٱلزَّاهدينَ ٱلورعينَ ٱلعاملينَ ، وكانَّ ٱلعِلْمَ أَرادَ أَنْ يندرسَ في حَضْرَمَوْتَ فأَحياهُ ؛ وذلكَ أَنَّهُ سافرَ في طلبهِ ومكثَ أَربعينَ سنةً في ٱلعراقِ وغيرِهِ يطلبُ ٱلعِلْمَ ، وأَهلُهُ يظنُّونَ أَنَّهُ قد ماتَ ، ثمَّ عادَ ومعَهُ أَحمالٌ مِنْ كتبِ ٱلعِلْمِ ، حديثاً وفقهاً وغيرِها ، ثمَّ درَّسَ في بلدهِ ، وأَقبلَ عليهِ

---

(١) وقد وسِّع جامع تريم مؤخراً توسعة كبيرةً في عام (١٣٩٢هـ) ، وللشيخ علي بن سالم بكيِّر رسالة ألفها بهٰذه المناسبة سمَّاها : « الجامع في تاريخ الجامع » ، طبعت .

(٢) توفي الشيخ عبد الرحمن بن محمد الخطيب سنة (٨٥٥هـ) بتريم ، كما في « شنبل » ، و« تاريخ الشعراء » (١/ ٧٧) ، و« الحامد » (١/ ٣٠٠) .

طلبةُ ٱلعِلْمِ من كلِّ مكانٍ ، وحصَّلَ ٱلعِلْمَ علىٰ يديهِ خلقٌ كثيرٌ ، حتَّىٰ إِنَّهُ ربَّما بلغَ في تريم ثلاثُ مئةِ مفتٍ في عصرٍ واحدٍ ، ومصنِّفونَ كثيرٌ ؛ كٱلإمامِ عليِّ بنِ أحمدَ بامَرْوان ، ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ « ٦٢٤هـ » ، وٱلإمامِ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ أَبي عُبَيدٍ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريم سَنةَ « ٦١٣هـ » ، وٱلإمامِ مُحَمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ أَبي ٱلحبِّ ، ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ ٦١١هـ) اهـ

ومِنَ ٱلأَجلاَّءِ كما يرويٰ عن سيِّدِنا ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ مَن يُلحقُ منَّتَهُ بنشرِ ٱلعلمِ بما كانَ مِن هجرةِ ٱلإمامِ أَحمدَ بنِ عيسىٰ ووَضْعِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ للسِّلاحِ ، وتحريرِ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ أَبي بكرٍ للشَّجرةِ .

ومِنْ علماءِ تريم لذلكَ ٱلعهدِ : ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عليِّ بن حاتم ، ٱلمتوفَّىٰ ـ كما في « تاريخ باشراحيل » ـ بتريم في شعبانَ سَنةَ (٦٠٣هـ)[1] .

ومنهُم: ٱلفقيهُ ٱلصَّالحُ عليُّ بنُ يحيىٰ بنِ ميمونَ، ٱلمتوفَّىٰ بتريم سَنةَ (٦٠٤هـ)[2].

أَمَّا ٱلشَّيخُ سالمُ بنُ فَضْلِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ ٱلكريمِ بنِ مُحَمَّدٍ بافضل هـٰذا صاحبُ ٱلرِّحلةِ إِلى ٱلعراقِ . . فقد توفِّيَ شهيداً بتريم سَنةَ (٥٨١هـ)[3] ، صرَّحَ بذلكَ ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَبي بكرِ بنِ قَدْري باشعيب ، ولَم يَذكرْ ذلكَ صاحبُ « ٱلجوهرِ » ، معَ أَنَّ مِثلَ ذلكَ لا يَخفىٰ عليهِ ، لـٰكنْ ليسَ بغريبٍ مِنهُم إِغفالُهُ ، فقد أَغفلوا ذِكرَ قتلِ ٱلسَّيِّدِ سالمِ بنِ بَصْريٍّ[4] ، وٱلظَّاهرُ أَنَّ شهادةَ ٱلشَّيخِ سالمٍ بافضل حَصلَتْ لا علىٰ يد

---

(١) « شنبل » (ص٦٥) ، وكان مولده بها سنة (٥٤٠هـ) ، كان عالماً فقيهاً محققاً ، تلقى علومه عن المشايخ آل أكْدر .

(٢) ذكره المؤرخ شنبل (ص٦٦) ، وسماه : علي بن يحيى باميمون .

(٣) ترجمته مفصلة في : « صلة الأهل » (٤٠ـ٦٧) ، و« أدوار التاريخ » (١٩٣ـ ١٩٩) ، و« الحامد » (٢/ ٤٧٢ـ٤٧٥) .

(٤) ذكرُ المؤلف خبر مقتل الإمام ابن بصري المتوفى سنة (٦٠٤هـ) اعتمد فيه على ما في بعض نسخ «تاريخ شنبل»، ولـٰكن العلامة الشاطري رحمه الله قال: (التحقيق: أنه توفي ولم يقتل ، كما أجمع على ذلك المؤرخون الذين هم أقرب إلى عصره ومن يليهم، باستثناء بعض نسخ «تاريخ شنبل» فقط) اهـ « الأدوار » (١/ ٢٠٢) ، و« تاريخ شنبل » (٦٦) ، ولـٰكن الذي في النسخة المطبوعة منه أنه توفي ولم يذكر القتل .

ٱلغزِّ أُمراءِ ٱلأَيوبيِّينَ ؛ لأَنَّها لَو كانت علىٰ يدهِم. . لَم يَكنْ مانعٌ مِنْ ذكرِهم ، كما ذكروا قتلَهم لآلِ أَكدرَ وغيرِهم وما لَم أُنبِّهْ عليهِ في هـٰذا ٱلكلامِ. . فمِنَ « ٱلجوهرِ ٱلشَّفَّافِ » .

وهـٰهنا فوائدُ :

ٱلأُولىٰ : إِنَّ في ٱلكلامِ ما يدلُّ علىٰ أَنَّ ٱلبلادَ كانت ملأَىٰ بٱلعِلْمِ ، ثمَّ ٱندرسَ حتَّىٰ أَحياهُ ٱلشَّيخُ سالمُ بافضل ، ولئِنْ لَم يُصرِّحِ ٱلخطيبُ بتلاشي ٱلعِلْمِ في ٱلبدءِ ، بل جاءَ بفعلِ ٱلمقاربةِ. . فإِنَّهُ صرَّحَ بهِ قولُهُ في ٱلأَخرةِ : (فأَحياهُ) ، وأَمَّا ٱمتلاءُ ٱلدِّيارِ ٱلحضرميَّةِ بٱلعِلْمِ في ٱلزَّمانِ ٱلأَوَّلِ. . فشاهدُهُ ما نقرِّرُهُ في كثيرٍ مِنَ ٱلمواضعِ ـ بهـٰذا و« **أَصلِهِ** » ـ مِنْ كثرةِ رجالِ ٱلحديثِ فيها إِذْ ذاكَ ؛ فمعاجمُ ٱلرِّجالِ كـ « تهذيبِ ٱلتَّهذيبِ » و« لسانِ ٱلميزانِ » مشحونةٌ بأَسمائِهم وتراجمِهم ، وقد مرَّ نحْوُ هـٰذا في ٱلحسيِّسةِ .

وقد جاءَ في (ص ١٢٨ ج ١) مِنَ « ٱلمشرعِ ٱلرَّويِّ » : (أَنَّ ٱلسَّادةَ في مدَّةِ إِقامتِهم ببيتِ جُبيرٍ يُكثرونَ ٱلدُّخولَ إِلىٰ مدينةِ تريمَ ، ووجدوا بها من أَربابِ ٱلعلومِ وٱلآدابِ وأَصحابِ ٱلفهومِ وٱلأَلبابِ ما شغَلَهُم عَنِ ٱلأَهلِ وٱلوطنِ ، وأَذهلَهم عَن كلِّ خِلٍّ صفيٍّ وسَكَن) اهـ

ولَئِن أَشكلَ وجودُ أَربابِ ٱلعلومِ لذلكَ ٱلعهدِ معَ قولِ ٱلخطيبِ : أَنَّ ٱلعلمَ كادَ أَن يتلاشىٰ حتَّىٰ أَحياهُ ٱلشَّيخُ بافضلٍ ٱلمقتولُ بتريمَ سنةَ (٥٨١هـ). . فإِنَّ ٱلمدَّةَ ليست بٱلقصيرةِ ، بل صالحةٌ لوجودِ ٱلعلماءِ ، ثمَّ ٱندراسِ ٱلعلمِ بموتِهم .

وكانت وفاةُ ٱلسَّيِّدِ علويِّ بنِ محمَّدٍ بٱلصَّومعةِ مِن بيتِ جُبَيْرٍ ، سنةَ (٥١٢هـ) ، ووفاةُ أَبيهِ مِن قبلِهِ. . فلا مدفعَ للنَّصِّ ، ولا إِشكالَ ؛ فقد جرىٰ بأَعيُننا ما يُشبهُهُ مِنَ ٱلتَّقلُّباتِ في ٱلأَزمنةِ ٱلمتقاربةِ ، ولئن حاولَ بعضُهم أَن يغبِّرَ علىٰ ما نُدلِّلُ بهِ لعلمِ ٱلحضارمةِ مِن كثرةِ رواتِهم بزعمِهِ أَنَّ أَكثرَهم منسوبونَ إِلى ٱلقبيلةِ. . فجوابُهُ : أَنَّ مثرى ٱلقبيلةِ ودولتَها ببلادِ حضرموتَ كما بيَّناهُ بـ« **ٱلأَصلِ** » وأَشرنا إِليهِ في شبامٍ ، حتَّىٰ لقدِ ٱختلفوا ـ كما في « ٱلتَّاجِ » ـ في سببِ ٱلتَّسميةِ ، فقيل : إِنَّ ٱلبلدَ سُمِّيَت بٱسمِ ٱلقبيلةِ ،

وقيلَ ٱلعكسُ ، وهـٰذا أبلغُ ما يكونُ في ٱلتَّلازمِ ، فشرفُ ٱلعلمِ حاصلٌ علىٰ كلِّ حالٍ .

وفي « تاريخِ ٱبنِ خَلِّكانَ » [٣/٣٨] : أَنَّ عبدَ ٱللهِ بنَ لَهِيعةَ ـ أَوَّلَ قاضٍ بمصرَ مِن جهةِ ٱلخليفةِ ـ حضرميٌّ ؛ نِسْبةً إلى ٱلبلدِ .

والثَّانيةُ : أَترى ٱلخطيبَ يُهملُ ذِكرَ ٱلعلويِّينَ في مثلِ هـٰذا ٱلموضعِ ـ وقد وقفَ نَفْسَهُ علىٰ خدمتِهِم وبثِّ فضائِلهم وٱلتَّغنِّي بمناقبِهِم ـ لَو كانَ أَحدٌ منهُم يوازي أُولئِكَ ؟ لا وٱللهِ! نعم ؛ كانَ ٱلسَّيِّدُ سالمُ بنُ بصْريٍّ مِنْ أَراكينِ ٱلعلومِ لذلكَ ٱلعهدِ ، فما لَهُ لَم يَذكرْهُ ؟ فإِمَّا أَنْ يكونَ معَ غزارةِ عِلْمِهِ أَنزَلَ عن درجةِ أُولئِكَ فيهِ ، وإِمّا أَنَّهُ لا تأْليفَ لَهُ وأُولئِكَ مؤَلِّفونَ .

والثَّالثةُ : ذكرَ صاحبُ « ٱلمشرعِ » ونقلَ عنهُ شارحُ « ٱلعينيَّةِ » : أَنَّ ٱلشَّيخَ سالمَ بافضلٍ صاحبَ ٱلرِّحلةِ إلى ٱلعراقِ ، وعليَّ بنَ أَحمدَ بامروانَ ، وٱلقاضي أَحمدَ بنَ مُحَمَّدٍ باعيسى ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (٦١٨هـ) ، وٱلشَّيخَ عليَّ بنَ مُحَمَّدٍ ٱلخطيبَ ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (٦٤٢هـ) . . أَخذوا عنِ ٱلسَّيِّدِ ٱلإِمامِ مُحَمَّدِ بنِ علي صاحبِ مرْباط ، ٱلمتوفَّىٰ سَنةَ (٥٥١هـ) ، أَو سَنةَ (٥٥٦هـ) على ٱختلافِ ٱلرِّوايةِ ، وفي أَخذِهِم عنهُ شيءٌ مِنَ ٱلبُعدِ :

أَمَّا ٱلشَّيخُ سالمٌ . . فلِغَيْبَتِهِ لِطلبِ ٱلعِلْمِ ، ثمَّ لَمْ يَعُدْ إِلىٰ تريم إِلاَّ وصاحبُ مرباط بعيدٌ عنها ، ومعَ ذلكَ فٱلاحتمالُ فيهِ من جهةِ ٱلسِّنِّ أَقربُ ممَّنْ سواهُ[1] ، ويقربُ منهُ ٱبنُ أَبي ٱلحبِّ المتوفَّىٰ سنةَ (٦١١هـ) ؛ إِذْ لَم يتأَخَّرْ موتُهُ عن صاحبِ مرباطٍ إِلاَّ خمساً وخمسينَ عاماً ، ثمَّ ٱبنُ أَبي عبيدٍ ؛ إِذْ لَم يَزِدْ ما بينَ وفاتيهما علىٰ سبعٍ وخمسينَ عاماً .

أَمَّا بامروان . . فٱلفرقُ بينَ وفاتِهِ ووفاةِ صاحبِ مرباط تسعٌ وستُّونَ عاماً ، وبينَهما وبينَ وفاةِ باعيسى اثنتان وسبعونَ سنةً ؛ لأَنَّ وفاتَه سنةَ (٦٢٨هـ) وأَبعدُ ما يكونُ بينَهُ وبينَ ٱلخطيبِ ؛ إِذِ ٱلبَوْنُ شاسعٌ جدّاً يقربُ مِنْ ستَّةٍ وثمانينَ سنةً معَ تباعدِ ٱلدِّيارِ .

---

(١) لأن بين وفاتيهما نحو (٣٠) عاماً .

أَمَّا سيِّدي عليُّ بنُ أَبي بكرٍ . . فإِنَّهُ لَم يذكرْ في « ٱلبَرْقةِ » إلاَّ أَخذَ ٱلشَّيخِ سعيدٍ ٱلظَّفاريِّ وٱبنِ أَخيهِ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ ، وهٰذا هوَ ٱلقريبُ ؛ لِقوَّةِ ٱلمناصرةِ ، وكثرةِ ٱلمعاصرةِ ، وقُربِ ٱلمجاورةِ ، وليراجَعْ جميعُ ذلكَ فإِنِّي لَم أُطِلْ فيهِ ٱلتَّحديقَ ، ولم أَمُرَّ علىٰ « ٱلبرقةِ » بأَسرِها . . فلا مؤَاخذةَ إِن وُجِدَ غيرُ ما ذكرتُهُ في موضعٍ مِنها لم أَستحضرهُ ، ومعَ ما ٱستقربناهُ مِن أَخذِ ٱلشَّيخِ سالمٍ بافضلٍ عن صاحبِ مِرْباط يُبعِدُهُ أَنَّهُ عاصرَ ٱلقطبَ ٱلجيلانيَّ وجاورَهُ في طلبهِ بٱلعراقِ ، ولَم يَذكرِ ٱلمؤَرِّخونَ لَهُ أَخذاً عنه ، ولَو كانَ . . لَتلقَّىٰ عنهُ تلاميذُهُ بأَخذِهِ عنهُ ، وٱنتشرتْ بينهم طريقُهُ ، ولٰكنَّهُ لَم يَكُنْ شيءٌ مِنْ ذلكَ ، وإِلاَّ . . لتواترَ ، ومِنَ ٱلمعلوم أَنَّ ٱلخبر ٱلَّذي تتوفَّرُ ٱلدَّواعي علىٰ تواترهِ كهٰذا لا يثبتُ بروايةِ ٱلآحادِ وإِنْ كانوا عُدُولاً ، فكيفَ ولَم يَروهِ أَحدٌ قطُّ ؟

معَ أَنَّ ٱلقطبَ ٱلجيلانيَّ أَشهرُ وأَذْكَرُ مِن أَبي مَدْيَنَ ، وقدِ ٱشتهرَ أَخذُ ٱلفقيهِ ٱلمُقدَّمِ عنهُ ٱشتهارَ ٱلشَّمسِ ٱلضَّاحيةِ ، معَ أَنَّهُ لم يكن إلاَّ بٱلواسطةِ ، وقد أَمكنَ ٱلشَّيخُ سالمٌ أَن يأخذَ عَنِ ٱلجيلانيِّ بدونِها ، وكلُّ ما تَحيَّلَ كتمانُهُ . . لا يُقبَلُ بروايةِ ٱلآحادِ .

قالَ ٱلغزاليُّ : فإِن قيلَ قد تفرَّدَ ٱلآحادُ بنقلِ ما تتوفَّرُ ٱلدَّواعي عليهِ ، حتَّىٰ وقعَ ٱلخلافُ فيهِ ، وذكرَ عدَّةَ أُمورٍ ؛ أَقواها في ٱلإِشكالِ : ٱنشقاقُ ٱلقمرِ ، فلم ينقلهُ إِلاَّ ٱبنُ مسعودٍ وعددٌ يسيرٌ معَهُ ، وكانَ ينبغي أَن يراهُ كلُّ مؤمنٍ وكافرٍ وبادٍ وحاضرٍ ، وقد أَجابَ بأَنَّهُ آيةٌ ليليَّةٌ ، وإِنَّما وقعَ لحظةً وٱلنَّاسُ نائمونَ ، فلم يرهُ إِلاَّ مَن ناصرَ ٱلنَّبيَّ صلَّى ٱلله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ مِن قريشٍ ونبَّهَهُ على ٱلنَّظرِ لهُ .

وكم مِن زلزلةٍ وٱنقضاضِ كوكبٍ وأُمورٍ هائلةٍ من ريحٍ وصواعقَ بٱللَّيلِ لا ينتبهُ لها إِلاَّ ٱلآحادُ ، علىٰ أَنَّ مثلَ هٰذا لا يعلَمُهُ إِلاَّ مَن قِيلَ له : ٱنظُر إليه .

وقدِ ٱنشقَّ ٱلقمرُ عقيبَ ٱلتَّحدِّي ، ثمَّ ٱلتأَمَ مِن ساعتِهِ . اهـ بمعناهُ وأَكثرِ لفظه .

فلا شكَّ في أَنَّ عدمَ أَخذِ ٱلشَّيخِ سالمٍ عنِ ٱلقُطبِ ٱلجيلانيِّ خبيئاً يتفسَّرُ بما في « **ٱلأَصل** » .

وغيرُ بعيدٍ مِنَ ٱلفقيهِ ٱلقُحِّ أَن تَنفرَ نفسُهُ مِن أَهلِ ٱلطَّرائقِ وَمَنْ علىٰ شاكلتِهم ، فٱلحربُ عَوانٌ بينَ ٱلطَّائفتينِ ، حتَّىٰ لقد كانَ ٱلإمامُ أَحمدُ ٱبنُ حَنْبَلٍ يكرهُ ٱلحارثَ ٱلمُحاسبيَّ ؛ قيل : لنظرِهِ في علمِ ٱلكلامِ ، ثمَّ إِنَّهُ هَجَرَهُ فٱستخفى ٱلحارثُ مِنَ ٱلعامَّةِ ، ولمَّا ماتَ . . لم يُصَلِّ عليهِ إلاَّ أَربعةُ نفرٍ ، وفي ذلكَ ٱلعهدِ كانتِ ٱلصَّولَةُ للحديثِ وٱلفقهِ ، ثمَّ أُديلت للتَّصوُّفِ ، وكذلكَ ٱلأَيَّامُ تَداوَلُ بينَ ٱلنَّاسِ .

وفي « ٱلفتاوى ٱلحديثيَّةِ » لابنِ حَجَرٍ : أَنَّهم بالغوا في ردِّ إِنكارِ ٱلإمامِ أَحمدَ على ٱلحارثِ ، ولعلَّ ذلكَ بَعدَهُ بزمانٍ ، أَمَّا في حياتِهِ : فلو ردُّوه . . لصلَّوا عليهِ .

وما كانَ بافضلٍ ليدعَ أَخذَ ٱلجيلانيِّ ويأْخذَ عن صاحبِ مرْباطٍ .

وٱلرَّابعةُ : أَنَّ صاحبَ « ٱلجوهرِ ٱلشَّفَّافِ » بينما هوَ يُكثِّرُ مِنْ إِقبالِ ٱلنَّاسِ على ٱلعلويِّينَ مِنْ حينَ جاؤُوا . . كادَ أَنْ يناقضَ تماماً في قولِهِ : (وٱعلَمْ يا أَخي ـ وفَّقَكَ ٱللهُ وإِيَّانا ـ أَنَّهُ لَمْ يَزَلِ ٱلسَّاداتُ مِنْ مشايخِنا ٱلأَجلاَّءِ ، وٱلفقهاءُ وٱلفضلاءُ مِنْ علمائِنا ـ سلفاً وخلفاً ـ يُجلُّونَ آلَ باعلويٍّ ، خاصَّهُم وعامَّهُم ، ويُعظِّمونَهُم ويُوقِّرونَهُم ، ويَحترمونَهُم ٱلحرمةَ ٱلزَّائِدةَ ٱلكاملةَ ، ويُنزلونَهُمُ ٱلمنزلةَ ٱلعاليةَ ؛ لأَجْلِ شرفِهِمُ ٱلظَّاهرِ ٱلنَّبويِّ ، وها نحنُ نقتصرُ علىٰ ذِكرِ واحدٍ وعشرينَ[1] مِنَ ٱلشُّيوخِ ٱلكبارِ مِنهُم :

شيخُنا أَبو ٱلعبَّاسِ فضلُ بنُ عبدِ ٱللهِ بافضلٍ ، وٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ أَبي بكرٍ عبَّاد ، وٱلشَّيخةُ سلطانةُ بنتُ عليٍّ ٱلزُّبيديِّ ، وٱلشَّيخُ معروفٌ باعبَّاد ، وٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ أَحمدَ بنِ أَبي ٱلحبِّ ، وٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَسعدَ ٱليافعيُّ ، وٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ ٱللهِ باعبَّادٍ ، وٱلشَّيخُ أَحمدُ بلعفيف صاحبُ ظفارٍ ، وٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ عبدِ ٱلرَّحيمِ باوزيرٍ ، وٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ إبراهيمَ باقشيرٍ ، وٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ مُحَمَّدٍ باحكم باقشيرٍ ، وٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ حكم باقشيرٍ ، وٱلشَّيخُ إبراهيمُ بنُ يحيىٰ بافضلٍ ، وٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ حسَّانَ ، وٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَبي عيسى ٱلعموديُّ ، وٱلفقيهُ ٱلكبيرُ بامُهْرَةَ ٱلشِّباميُّ ، وٱلقاضي مُحَمَّدُ بنُ سعيدٍ كِبَّنْ ، وٱلشَّيخُ حسنُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ

---

(١) سيذكر الشيخ المؤلف رحمه الله تعالىٰ عشرين ، لا واحداً وعشرين ، فلعل اسماً سقط سهواً .

أَبي ٱلسُّرورِ ، وٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ أَحمدَ بايعقوب ، ولعلَّ ٱلحادي وٱلعشرينَ سعيدُ بنُ مُحَمَّدٍ ٱلكنديُّ نزيلُ ٱلهجرينِ) اهـ بمعناهُ

ووجهُ ٱلمناقضةِ : أَنَّ طبقةً يكونُ فيها ثلاثُ مئَةِ مُفْتٍ ثمَّ لم يَجد ٱلخطيبُ مَن يذكرُهُ منهُم معَ شدَّةِ حرصهِ على ٱلتَّعدادِ وٱلتَّكثُرِ إِلاَّ واحداً هوَ ٱبنُ أَبي ٱلحبِّ فقط[1] ؟ إنَّ هـٰذا ٱلحدَّ ظاهرٌ في ٱلمناقضةِ .

أَمَّا ٱلباقونَ فليسَ فيهِم مِنْ أَهلِ تريم إِلاَّ ثلاثةٌ ، وهُم :

إِبراهيمُ بنُ يحيىٰ بافضلٍ[2] ، وليسَ مِنْ تلكَ ٱلطَّبقةِ ، ولـٰكنَّهُ متأَخِّرٌ ، كانت وفاتُهُ في سَنةِ (٦٨٤هـ) ، وإِنَّما كانَ مِنْ تلكَ ٱلطَّبقة أَبوهُ وجدُّهُ ، وهم أَولىٰ بٱلعدِّ لو كانوا هناكَ .

وٱلثَّاني : فضلُ بنُ عبدِ ٱللهِ فضل ، وقد مرَّ في ٱلشِّحْرِ أَنَّ وفاتَهُ كانتْ سَنةَ (٨٠٥هـ) أَيَّامَ ٱلسَّقَّافِ .

وٱلثَّالثُ : مُحَمَّدُ بنُ أَحمدَ بايعقوبَ ، ولا أَذكرُ تاريخَ وفاتهِ ، وربَّما كانَ والدَ ٱلقاضي بتريم أَبي بكرِ بنِ مُحَمَّدٍ بايَعْقُوب ، وكانَ معاصراً لِلسَّقَّافِ .

وفي « المشرع » وٱلحكايةِ (٣٨٧) مِنَ « ٱلجوهرِ » أَنَّ هـٰذا ٱلقاضيَ تكلَّمَ بكلامٍ خشنٍ قبيحٍ على ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ ، فدعا عليهِ . . فعميَ .

وفي ٱلحكايةِ (٣٣٤) منهُ : أَنَّ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱللهِ بنَ مُحَمَّدٍ بازْغيفَان تكلَّمَ وهوَ علىٰ منبرِ ٱلقارةِ بكلامٍ قبيحٍ على ٱلسَّقَّافِ وهوَ حاضرٌ ، فلَم يُجبهُ .

وفي ٱلحكايةِ (٣٤٣) : أَنَّ بازغيفان هـٰذا كانَ مِنْ مشايخِ حَضْرَمَوْتَ ، يشهدُ لَهُ بذلكَ عليُّ بنُ سعيدٍ باصليب ، ٱلملقَّبُ بٱلرُّخَيلةِ .

---

(١) هو الفقيه العلامة الشيخ محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي الحب الخطيب الأنصاري التريمي ، ولد حوالي (٥٤٥هـ) ، وتوفي ليلة الأحد (٢٤) ذي الحجة (٦١١هـ) ، ترجمته في « الشعراء » (١/٥٩ـ٦٢) .

(٢) ترجمته في « الصلة » (٧٧ـ٨٥) .

وفي « ٱلمسلكِ ٱلسَّويِّ » لسيِّدي أحمدَ بنِ زينٍ ٱلحبشيِّ : (أَنَّ ٱلرخيلةَ هٰذا من مُريدي ٱلشَّيخِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ) اهـ

ومِنَ ٱلتَّعاجيبِ أَن يشهدَ لبازغيفانَ بٱلمَشْيَخةِ معَ ما كانَ منهُ إِلىٰ شيخِهِ ٱلسَّقَّافِ .

وأَمَّا ٱبنُ أَبي ٱلسُّرورِ . . فلا أَعرفُ مَنْ هوَ ، نعم ؛ سَبَقَ في بيتِ جبيرٍ أَنَّ ٱلشَّيخَ يحيىٰ بنَ عبدِ ٱلعظيمِ ٱلحاتميَّ ، ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (٥٤٠هـ) كانَ مِنْ تلاميذِ سيِّدِنا علويِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ علويِّ بنِ عبيدِ ٱللهِ ، ومادحيهِ ، وهوَ أَقدمُ مِنْ تلكَ ٱلطَّبقةِ ، لٰكنَّ ٱلاعتبارَ إِنَّما هوَ بٱلأَكثرِ ٱلغالبِ .

وقد دلَّلنا في « ٱلأَصلِ » على ٱنحرافِ ٱلشَّيخِ سالمٍ بافضل عنِ ٱلعلويِّينَ ، وٱنتفاءُ ذِكرِهِ هنا بينَ محبِّيهم ومُعظِّميهم ممَّا يُؤَكِّدُهُ ، وهوَ أَكبرُ علماءِ تريمَ لذلكَ ٱلعهدِ ، بل حضرموتَ على ٱلإِطلاقِ .

ودلَّلنا فيهِ أَيضاً علىٰ أَنَّ ٱلسَّيِّدَ سالمَ بنَ بصريٍّ ذهبَ ضحيَّةَ ٱستبدادِ ٱلسُّلطانِ عبدِ ٱللهِ بنِ راشدٍ ، وكانَ ٱبنُ أَبي ٱلحبِّ معَ مَيلِهِ إِلى ٱلعلويِّينَ يتشيَّعُ لِلسُّلطانِ عبدِ ٱللهِ بنِ راشدٍ تشيُّعاً شديداً ، فكأَنَّما نطقَ بلسانِهِ ٱلأَوَّلُ حيثُ يقولُ [مِنَ ٱلكاملِ] :

عَجَباً لَهُ أَبْكِيهِ مِلْءَ مَدَامِعِي وَأَقُولُ لاَ شَلَّتْ يَمِينُ ٱلْقَاتِلِ

ولو خَلَصَ وِدُّهُ . . لعادَىٰ مَن يعاديهِ ؛ إِذ قد قالَ ٱلعتَّابيُّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِي صَدِيقُكَ لَيْسَ ٱلنَّوْكُ عَنْكَ بِغَائِبِ

لٰكنَّهُ رثىٰ سالماً ملءَ دموعِهِ ، ولَم يتعرَّضْ للقاتلِ ، كأَنَّما إِحدىٰ يديهِ أَصابتِ ٱلأُخرىٰ فقط ، علىٰ أَنَّهُ لا يلامُ مِنْ هٰذهِ ٱلنَّاحيةِ ؛ فقد كانَ كثيرٌ مِنَ ٱلعلويِّينَ يُطنبونَ فيهِ معَ فعلتهِ ٱلَّتي فعلَ ـ فيما إِخالُ ـ وهوَ مِنَ ٱلظَّالمينَ .

علىٰ أَنَّ ثناءَهُم عليهِ لا يبعدُ أَن يكونَ تحتَ تأثيرٍ مِنَ ٱلضَّغطِ حَسَبَمَا تمثَّلَ بهِ ٱلإِمامُ ٱلغزاليُّ مِن قولِهِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَلَمْ أَرَ ظُلْماً مِثْلَ ظُلْمٍ يَنَالُنَا يُسَاءُ إِلَيْنَا ثُمَّ نُؤْمَرُ بِٱلشُّكْرِ

ومهما يكن مِنَ ٱلأمرِ . . فليَسَعِ ٱبنَ أَبي ٱلحبِّ ما وسعَهُم مِن ذلكَ ، علىٰ أَيِّ تقديرٍ كانَ .

وفي « سفينةِ ٱلأرباحِ » : أَنَّ ٱبنَ أَبي ٱلحبِّ هوَ ناظمُ ٱلقوافي ٱلَّتي أَوَّلُها :

تَبَـــارَكَ ذُو ٱلْعُـــلاَ وَٱلْكِبْـــرِيَـــاءِ تَفَـــرَّدَ بِـــالجَـــلالِ وَبِـــالبَقَـــاءِ

وكأَنِّي بمنْ يَطَّلعُ علىٰ هـٰذا مِنَ ٱلأغبياءِ فيتوهَّم ٱلغضَّ مِنْ فضلِهم بهِ ، وليسَ كذلكَ ، وإِنَّما واجبي إِنصافُ ٱلتَّاريخِ وتمحيصُ ٱلحقائِقِ ما وجدتُ إِليهِ سبيلاً مِنِ ٱتِّخاذي منهُ أَكبرَ حجَّةٍ للمجدِ وٱلشَّرفِ ، وقد كانَ جَدُّهُم عليُّ بنُ أَبي طالبٍ ـ كرَّمَ ٱللهُ وجهَهُ وهو خيرٌ منهم ـ مبغوضاً بينَ ٱلنَّاسِ ، لا يوجدُ بمكَّةَ وٱلمدينةِ عشرونَ رجلاً يُحبُّهُ ، وأَصلُ ذلكَ في ٱلصَّحيحِ ؛ إِذ جاءَ فيه أَنَّهُ كانَ لَهُ وجهٌ مِنَ ٱلنَّاسِ أَيَّامَ فاطمةَ ، ومفهومُهُ ٱلواقعُ في محلِّ ٱلنُّطقِ أَنَّهُم تنكَّروا لَهُ بعقبِ وفاتِها .

وقد قالَ معنُ بنُ زائِدةَ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

إِنِّـي حُسِـدْتُ فَـزَادَ ٱللهُ فِـي حَسَـدِي لاَ عَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْماً غَيْرَ مَحْسُودِ

وقالَ ناصحُ ٱلدِّينِ ٱلأَرَّجانيُّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَظَـلَّ نِسَـاءُ ٱلْحَـيِّ يَحْسُـدْنَ وَجْهَهَـا وَلاَ خَيْـرَ فِـي نُعْمَـىٰ بِغَيْـرِ حَسُـودِ

وقالَ حبيبٌ [في « ديوانه » ٢/ ١٠٣ مِنَ ٱلكاملِ] :

تِلْكُـمْ قُـرَيْـشٌ لَـمْ تَكُـنْ أَحْـلاَمُهَـا تَهْفُـــو وَلاَ آرَاؤُهَـــا تَتَقَسَّـــمُ
حَتَّـــىٰ إِذَا بُعِـــثَ ٱلنَّبِـــيُّ مُحَمَّـــدٌ مِنْهُـمُ غَـدَتْ أَحْقَـادُهُـمْ تَتَضَـرَّمُ

وقالَ غيرُهُ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

مُحَسَّـدُونَ وَشَـرُّ ٱلنَّـاسِ مَنْـزِلَـةً مَـنْ عَـاشَ يَـوْمـاً سَلِيمـاً غَيْـرَ مَحْسُـودِ

وفي شرحِ قولِ ٱلمتنبِّي [في « العُكبريِّ » ١/ ٣١٩ مِنَ ٱلخفيفِ] :

مَـا مُقَـامِـي بِـأَرْضِ نَخْلَـةَ إِلاَّ كَمُقَـامِ ٱلْمَسِيـحِ بَيْـنَ ٱلْيَهُـودِ

مِنْ كتابي « ٱلعودُ ٱلهنديُّ » [٢/ ٣١٥ـ٣٢٤] إِطنابٌ في ٱلموضوعِ ، وكلامٌ ممتعٌ يأْتي

أكثرُهُ هنا ، ولكنْ لا حاجةَ إلى ٱلإطالةِ معَ إمكانِ الإحالةِ .

وٱضربْ بطَرْفِكَ حيثُ شئْتَ . . فلَنْ تجدَ أحداً مِنَ ٱلعلويِّينَ ٱتَّفقَ لَهُ ظهورٌ وجاهٌ ضخمٌ إلاَّ ٱقشعرَّ لهُ بطنُ تريم ، خلا ما كانَ مِنَ ٱلعيدروسِ ٱلأكبرِ ، فلقد ٱستجهرَ ٱلنَّاسَ بمَجْدٍ وجُودٍ ٱنقطعَ لَهما ٱلحسودُ ، فكانَ كما قالَ ٱبنُ ٱلرُّوميِّ [مِنَ الكاملِ] :

مَـا أَنْـتَ بِـٱلْمَحْسُـودِ لَكِـنْ فَـوْقَـهُ	إِنَّ ٱلْمُبِيـنَ ٱلْفَضْـلَ غَيْـرُ مُحَسَّـدِ
يَتَحَـاسَـدُ ٱلْقَـوْمُ ٱلَّـذِيـنَ تَقَـارَبَـتْ	طَبَقَـاتُهُـمْ وَتَشَـابَهَـتْ فِـي ٱلسُّـؤْدَدِ
فَـإِذَا أَبَـرَّ أَمِيـرُهُـمْ وَبَـدَا لَهُـمْ	تَبْـرِيـزُهُ فِـي فَضْلِـهِ لَـمْ يُحْسَـدِ

على أنَّ ٱلعادةَ لم تنخرم فيهِ ؛ بآيةِ أنَّهُ لَم يأخذْ عنهُ ولم ينتفعْ به . . إلاَّ أولادُهُ وٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ صاحبُ ٱلحمراء فقط ، فلعلَّ ما يُذكَرُ مِن إقبالِ ٱلنَّاسِ عليهِ في حياتِهِ مبالَغٌ فيهِ وإنَّما ٱشتدَّ ظهورُهُ بٱنتشارِ ٱلدِّعايةِ لهُ بعدَ وفاتِهِ[1] .

والخامسةُ : لَم يَكثرِ ٱلتَّأْليفُ في ٱلعلويِّينَ إلاَّ بعدَ ظهورِ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلعيدروسِ[2] ، فلقد كلَّفتُ ٱلفاضلَ ٱلنَّزيهَ ٱلشَّيخَ ٱمباركَ عُمير باحريش ـ قاضي تريم سابقاً وسيئون ٱلآنَ ، إذْ كانَ محبّاً لآلِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخٍ وعارفاً بمآثرِهِم ـ أَنْ يُلخِّصَ ليَ أسماءَ ما يعرفُ من مؤلَّفاتهم ، فأحصىٰ ليَ كثيراً منها ؛ من ذلك : أحدَ عشرَ مؤلَّفاً لِلسَّيِّدِ ٱلجليلِ شيخِ بنِ عبدِ ٱللهِ[3] .

ومِنها : كتابُ « ٱلشَّجرةِ ٱلنَّبويَّةِ في تحقيقِ أنسابِ ٱلسَّادةِ ٱلعَلويَّةِ » لابنهِ ٱلعلاَّمةِ ٱلنَّسَّابةِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخٍ[4] .

---

(١) في « المشرع » (٢/ ٣٤٥) قولٌ آخر ينظر منه .

(٢) أي : من أواسط القرن العاشر الهجري ؛ لأن جدهم العيدروس الأكبر توفي سنة (٨٦٥هـ) .

(٣) هو السيد الإمام شيخ بن عبد الله الأكبر بن شيخ بن الإمام عبد الله العيدروس ، المولود بتريم سنة (٩١٩هـ) ، والمتوفى بالهند سنة (٩٩٠هـ) ، والدُ صاحب « النور السافر » ، ومؤلفُ « العقد النبوي » . وله مؤلفات كثيرة ذكرها ابنه صاحب « النور السافر » فلتراجع منه .

(٤) هو (الأوسط) صاحب القبة بتريم ، المولود بها سنة (٩٤٥هـ) ، والمتوفى ساجداً في صلاة العصر سنة (١٠١٩هـ) .

ومنها : ستَّةٌ وعشرونَ مؤَلَّفاً لِلعلاَّمةِ ٱلصُّوفيِّ ، ٱلفقيهِ ٱلمؤرِّخِ ، ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱلقادرِ بنِ شيخٍ[1] .

ومِنها : « إيضاحُ أَسرارِ علومِ ٱلمقرَّبينَ » لِلعلاَّمةِ ٱلجليلِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخٍ .

ومنها : مؤَلَّفاتُ أَخيهِ شيخِ بنِ عبدِ ٱللهِ[2] ، وهيَ : « نصيحةُ ٱلملوكِ » و« ٱلسِّلسلةُ » في ثلاثةِ مجلَّداتٍ كبارٍ .

ومِنها : عدَّةُ رسائِلَ لِلسَّيِّدِ زينِ ٱلعابدينَ بنِ عبدِ ٱللهِ[3] ، صنو ٱللَّذَينِ قَبْلَهُ .

ومِنها : مؤَلَّفاتُ ٱبنهِ جعفرِ ٱلصَّادقِ[4] .

ومِنها : « عشرةُ مؤَلَّفاتٍ » للعلاَّمةِ ٱلشَّاعرِ ٱلمُجيدِ جعفرِ ٱلصَّادقِ ٱلثَّاني ٱبنِ مُحَمَّدٍ ٱلمصطفىٰ بنِ زينِ ٱلعابدينَ[5] .

و« رسائِلُ » أَخيهِ عبدِ ٱللهِ بنِ مُحَمَّدٍ[6] ، ولٰكنَّها قليلةٌ .

وأَمَّا خاتمةُ محقِّقيهِمُ ٱلسَّيِّدُ عَبْدُ ٱلرَّحمٰنِ بنُ مصطفىٰ[7] نزيلُ مصْرَ . . فقد ذكرَ

---

(١) ولد بالهند سنة (٩٧٨هـ) ، وتوفي بها سنة (١٠٣٨هـ) ، ترجم لنفسه في « النور السافر » في سنة (٩٧٨هـ) . وذكر أسماء مؤلفاته ، فلتراجع .

(٢) شيخ بن عبد الله الأوسط بن شيخ . . ولد بتريم سنة (٩٩٣هـ) ، وتوفي بالهند سنة (١٠٤١هـ) ، له إجازة من عمه عبد القادر أوردها الشلي في « الجواهر » .

(٣) مولده بتريم سنة (٩٨٤) ، وتوفي بها سنة (١٠٤١هـ) سنة توفي أخوه شيخٌ سابق الذكر .

(٤) جعفر الصادق ـ الأول ـ بن زين بن عبد الله ، ولد بتريم سنة (٩٩٧هـ) ، وتوفي بسورت بالهند سنة (١٠٦٤هـ) .

(٥) جعفر الصادق الثاني . . ولد بتريم سنة (١٠٨٤هـ) ، وتوفي بسورت سنة (١١٤٢هـ) ، أفرده السيد عبد الله جعفر مُدْهِرْ بترجمة . وله مؤلفات ذكرها محمد ضياء شهاب في « التعليقات » (١/ ١١٠) ، والسقاف في « الشعراء » (٢/ ٨١) .

(٦) عبد الله بن محمد المصطفى . . هو الملقب الباهر ، ولد بتريم ، وتوفي بها سنة (١١٢٧هـ) أو (١١٢٨هـ) ، أفرده سبطه حفيد أخيه العلامة عبد الرحمن بن مصطفى بمصنف سماه : « حديقة الصفا » .

(٧) عبد الرحمن بن مصطفى بن شيخ بن محمد المصطفى بن زين العابدين علي بن عبد الله بن شيخ . . . =

سيِّدي ٱلأُستاذُ ٱلأبرُّ في « عقدهِ » أَنَّها تزيدُ عنِ ٱلسِّتِّينَ وٱلمسمَّىٰ منها في العريضةِ ٱلَّتي قدَّمها لي ٱلشَّيخُ ٱمباركٌ منها ثمانيةٌ وخمسونَ ، وهٰذهِ ثروةٌ طائِلةٌ وفَّروها للعِلمِ بحَضْرَمَوْتَ ، وقد قرأَ عليَّ ٱلشَّيخُ ٱمباركٌ جملةً مِنها ، فغسلَتْ صدري عن كثيرٍ منَ ٱلكُدُوراتِ ـ ولاسيَّما « إيضاحُ أَسرارِ علومِ ٱلمقرَّبين »[(١)] ـ وأَنعشَتْ روحي ، وذكَّرتني أَيَّامَ والدي ، ونَفَتْ عنِّي وعَنَاءَ ٱلمسائِلِ ٱلفقهيَّةِ ، إِلاَّ أَنَّ في بعضِها ما يَخلُصُ إِليهِ ٱلانتقادُ ، نحوُ ٱلغلوِّ في ٱلشَّيخِ وإِنزالِهِ في أَعلىٰ ممَّا يستحقُّ ويجوزُ ، وفي بعضِها ما يُشبهُ كلامَ ٱلشَّيخِ ٱبنِ عربيٍّ فيأْتي فيها ما يقالُ فيهِ ، وقد جوَّدتُ ٱلقولَ عن ذلكَ في ٱلجزءِ ٱلثَّاني مِنَ « **ٱلأَصلِ** » ، في شرحِ ٱلبيتِ (٤٤) ، ومِنْ أَحسنِ ما أَتىٰ علىٰ طَرَفي ٱلنَّقْدِ وٱلعُذْرِ ما نقلتُهُ عن شيخِ ٱلإِسلامِ ٱبنِ تيميَّةَ فليُكشفْ منهُ .

أَمَّا كرمُ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلعَيْدَرُوسِ . . فحَدِّثْ عنهُ ولا حَرَجَ .

فمنهُم : ٱلشَّيخُ ٱلكبيرُ عبدُ ٱللهِ بنُ شيخٍ[(٢)] ، حُكيَ أَنَّهُ ٱستأْذنَهُ جماعةٌ مِنْ أَهلِ ٱلعِلْمِ ليسافروا مِنْ أَجلِ ديونٍ لَزمتْهُم ، فقالَ لَهُم : (واحدٌ ولا جماعةٌ) فركبَ إِلى ٱلحجازِ ، ثمَّ إِلى ٱلهندِ ، فأَكرمَهُ بعضُ ملوكِها بما يكفي لَهُم أَجمعينَ ، وما هيَ إِلاَّ مدَّةٌ يسيرةٌ وعادَ ، فمثَّلَ ٱلمكارمَ ، وتحمَّلَ ٱلمغارمَ .

خُـذُوا هَنِيئـاً مَـرِيئـاً يَـا بَنِـي عَلَـوِي مِنْـهُ أَمَـانَيْـنِ مِـنْ خَـوْفٍ وَمِـنْ عَـدَمِ[(٣)]

= إلخ . ولد بتريم سنة (١١٣٦هـ) ، وتوفي بمصر سنة (١١٩٢هـ) ، درس في تريم وبها تخرج على آبائه وأعمامه وشيوخ عصره . . رحل إلى العديد من البلدان . . فسطع نجمه وظهر ، وطار صيته في الآفاق وانتشر ، وكان مستقره بمصر القاهرة وبها توفي ، وأشهر تلامذته : السيد محمد مرتضى الزبيدي شارح « القاموس » و« الإحياء » ، ومما صنفه في حق شيخه المترجم : « النفحات القدوسية بواسطة البضعة العيدروسية » وغير ذلك ، وترجم له في « معجم شيوخه » .

(١) وقد طبع « الإيضاح » وصدر عن دار الحاوي ، وصُحِّح بمعرفة العلامة الحبيب يحيى بن أحمد العيدروس رحمه الله تعالىٰ .

(٢) هو الأوسط صاحب القبة بتريم ، المتوفى بها سنة (١٠١٩هـ) .

(٣) الأبيات من البسيط ، وهي لأبي تمّام في « ديوانه » (٢/ ٩٤ـ٩٥) ، ولٰكنَّ الشَّيخ المؤلِّف رحمه الله تعالىٰ تصرف فيها .

نَـالَ ٱلْمَحَـامِيـدَ إِمْـلَاقٌ فَقِيـلَ لَهُـمْ   شِيمُـوا نَـدَاهُ إِذَا مَـا ٱلْبَـرْقُ لَـمْ يُشَـمِ[1]
فَمَـا ٱلـرَّبِيـعُ عَلَـىٰ أُنْـسِ ٱلْبِـلَادِ بِـهِ   أَشَـدَّ خُضْـرَةَ عُـودٍ مِنْـهُ فِـي ٱلْأَزَمِ

ومنهُمُ : ٱلغيثُ ٱلْهَتُونُ[2] ٱلسَّيِّدُ جعفرٌ ٱلصَّادقُ ٱلأَوَّلُ ، فقد كانَ يرسلُ في كلِّ عامٍ لكلِّ فردٍ مِنْ محاويجِ ٱلأشرافِ بمئَةِ ريالٍ .

هَـٰـذَا ٱلَّـذي بَجِـحَ ٱلـزَّمَـانُ بِـذِكْـرِهِ   وَتَـزَيَّنَـتْ بِحَـدِيثِـهِ ٱلأَسْمَـارُ[3]

ومنهُمُ : ٱلشَّريفُ ٱلعالي ٱلمقدارِ ٱلسَّيِّدُ عليُّ زينُ ٱلعابدينَ ٱلثَّاني[4] ، كانَ يُرسلُ لأبيهِ عشرينَ ألفَ ريالٍ سنويّاً ، فضلاً عن صِلاتهِ لأرحامِهِ وغيرِهم .

وعلىٰ كلِّ حالٍ . . فللسَّادةِ آلِ ٱلعيدروسِ ـ ولا سيَّما آلُ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخٍ ـ ٱلنَّضلُ ، وإلىٰ بيوتِهم تنتهي مناصبُ ٱلفضلِ .

لَـوْلاَ أَحَـادِيـثُ سَنَّتْهَـا أَوَائِلُهُـمْ   مِنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلنَّدَىٰ . . لَمْ يُعْرَفِ ٱلسَّمَرُ[5]

وأَنا في شكٍّ بعدُ ممَّا جاءَ في « مجموعِ كلامِ ٱلحبيبِ عمرَ بنِ حسنٍ ٱلحدَّادِ » عنِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ باسَوْدان مِنْ قولِهِ : (ما كانَ ظهورُ سادتِنا آلِ باعلويٍّ في غيرِ جهتِهم إلاَّ بعدَ ظهورِ ديوانِ ٱلحدَّادِ) ؛ فإنَّهُ لا يصحُّ معَ ما لآلِ ٱلعيدروسِ مِنَ ٱلشُّهرةِ ٱلَّتي طبَّقتِ ٱلآفاقَ ، وملأَتْ زوايا ٱلشَّامِ وٱلحجازِ وٱلهندِ وٱلعراقِ . وٱللهُ أعلمُ .

وٱلسَّادسةُ : جاءَ في « ٱلمشرعِ » [١/٢٥٣] عن بعضِ ٱلمشايخِ : (أَنَّ حارةَ ٱلأزمرة[6] هيَ ٱلمدينةُ ٱلقديمةُ ، وهيَ ٱلَّتي في شرقيِّ ٱلجامعِ ، ممتدَّةٌ إلى ٱلجنوبِ ،

---

(١) شيموا : انظروا .

(٢) الهتون : الهاطل .

(٣) البيت من ٱلكامل ، وهو لأبي الطَّيِّب المتنبِّي في « العُكبريّ » (٢/٨٦) . بجحَ : فرح .

(٤) واسمه تامّاً : علي زين العابدين بن محمد مصطفى بن علي زين العابدين الأول بن عبد الله بن شيخ . . توفي بتريم سنة (١١٣٦هـ) .

(٥) البيت من البسيط .

(٦) هكذا هي في « المشرع » ، وفي الطبعة الأخيرة التي أشرف على طبعها وتصحيحها العلامة السيد محمد الشاطري عُلِّق عليها بهٰذه العبارة : (الصحيح « حارة الأزراء » ، وهي حارة جنوب شرقي تريم القديمة ، وفيها مسجد السقاف ، وسميت بهٰذا الاسم لكثرة النخيل المعروف بالزار فيها) اهـ

ثمَّ ٱتَّسعتْ عمارتُها ، وهيَ تزيدُ وتنقصُ بحسبِ ٱلولاةِ وٱلزَّمانِ ، وٱلأَمنِ وٱلرَّخاءِ وضدِّها) اهـ

وهـٰذا لا يناسبُ ما يُكثرهُ ٱلرُّواةُ مِنْ سكَّانها وعلمائِها وصلحائِها ، وقد سبقَ قولُ ٱلخَطِيبِ : أَنَّهُ ربَّما بلغَ في عصرٍ واحدٍ ثلاثُ مئَةِ مُفْتٍ بتريم .

وقالَ في موضعٍ آخَرَ : وعن أَحمدَ بنِ ٱلفقيهِ طَطّة[1] ـ بطاءَينِ ـ وكانَ أَهلُهُ من تريمَ ثمَّ ٱنتقلَ إِلىٰ ظفارِ ـ قالَ : (أَعرفُ في تريمَ ثلاث مئَةِ مفتٍ في زمانٍ واحدٍ) .

وعنِ ٱلفقيهِ عليِّ بنِ سِلْمٍ قالَ : (قالَ لي والدي : ٱروِ عنِّي يا ولدي أَنَّهُ بلغني أَنَّهُ وقعَ في تريم ثلاثُ مئَةِ فقيهٍ مفتٍ في زمانٍ واحدٍ) .

وعنِ ٱلشَّيخِ علويِّ بنِ مُحمَّدِ بنِ أَبي علويٍّ ، عن سعيدٍ باجابر قالَ : (تذاكرتُ أَنا وٱلشَّيخُ أَبو ٱلعفيفِ في تريم وٱلهجرينِ وشبام ، فقالَ ليَ ٱلشَّيخُ : في تريم أَربعونَ مسجداً) .

وعن أَبي بكرِ بنِ عبدِ ٱللهِ باجري ، عنِ ٱلفقيهِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ باحاتم قالَ : (قالَ خالي : ٱجتمعَ علىٰ دكَّةِ مسجدِ آلِ باحاتم[2] ٱلَّذي بتريم أَربعونَ فقيهاً مِنْ آلِ باحاتم) .

وعنِ ٱلفقيهِ مُحمَّدِ بنِ أَبي بكرٍ عبَّاد أَنَّهُ قالَ : (بلغَ ٱلصَّفُّ ٱلأَوَّلُ في جامعِ تريم يومَ ٱلجمعةِ أَنَّ أَهلَهُ كلَّهُم فقهاءُ مِنْ كثرةِ فقهائِها) .

ورُوِّينا : (أَنَّهُ كانَ في تريم سبعُ مئَةِ قبيلةٍ لا تخلو كلُّ قبيلةٍ عن أَحدٍ مِنَ ٱلصَّالحينَ ، سوىٰ قبيلةٍ واحدةٍ) .

هـٰذا كلُّهُ مِنْ « جوهرِ ٱلخطيبِ » ، وأَكثرُهُ موجودٌ في « ٱلبرقةِ » و« ٱلمَشْرعِ » ، وبعضُهُ مذكورٌ ـ أَيضاً ـ في « مقالِ ٱلنَّاصِحِينَ » لباجَمّال ـ وسبقَ كثيرٌ منهُ في ٱلحُسيِّسةِ ـ ومثلُ هـٰذهِ ٱلأَخبارِ ٱلعظيمةِ لا يُمكنُ أَنْ تكونَ في قَرْيةٍ صَغيرةٍ ، ومتىٰ كان بانيها

---

(١) توفي الفقيه أحمد بن محمد طَطَّة بظفار سنة (٦٩٠هـ) « شنبل » (ص١٠٧) .
(٢) مسجد باحاتم : هو مسجد عاشق المعروف اليوم ، وكان يسمّى مسجد بلْعِشَرْ .

تريمُ بنُ حَضْرَمَوْتَ . . فلَنْ تكونَ إلاَّ كبيرةً مِنَ ٱلبَدْءِ ؛ لكبرِ شأنِهِ ، وضخامةِ دولتِهِ[1] .

أَمَّا ما جاءَ أَنَّ بتريم أَربعينَ مسجداً . . فمحمولٌ علىٰ ما قَبْلَ وفاةِ ٱلشَّيخِ علويِّ بنِ مُحَمَّدٍ بمدَّةٍ ، وكانت وفاتُهُ سَنَةَ (٦٦٩هـ) ، أَمَّا بعدُ فقد تعدَّدتْ فيها ٱلمَسَاجِدُ بكَثْرةٍ مُفْرِطةٍ ، وأَكثرَ ٱلعلويُّونَ مِنْ بنائِها .

وكنتُ أَستشكلُ ذلكَ بما سبقَ عنِ ٱبنِ ٱلخطَّابِ وبما ذكرَهُ ٱلسُّيوطيُّ في كتابهِ « هدم ٱلجاني »[2] مِنْ أَنَّهُ لا يجوزُ بناءُ مسجدٍ بجانبِ مسجدٍ قديمٍ مِنْ غيرِ حاجةٍ إِلى ٱلبناءِ ولا زحمةٍ في ٱلقديمِ بينَ ٱلمصلِّينَ . حتَّىٰ قالَ ليَ والدي ـ رضوانُ ٱللهِ عليهِ ـ : إِنَّ ٱلغرضَ مِنْ كثرةِ تلكَ ٱلمساجدِ ٱلصَّغيرةِ . . إِنَّما هو : ٱلعزلةُ وٱلاعتكافُ وأَداءُ ٱلنَّوافلِ ٱلمطلوبةِ شرعاً في ٱلمساجدِ كما كانَ أَبو بكرٍ ٱبتنىٰ مسجداً بفناءِ دارهِ معَ وجودِ ٱلمسجدِ ٱلحرامِ ، أَمَّا جماعةُ ٱلصَّلواتِ . . فلَم تَكُنْ إِلاَّ في مساجدَ معلومةٍ لا تتعدَّدُ إِلاَّ بمقدارِ ٱلحاجةِ ؛ كَمسجدِ آلِ أَحمدَ ٱلمعروفِ ٱليوم بـ : « مسجد باعَلَويٍّ » .

وَأَوَّلُ « رباطٍ » بُني بتريم هوَ رباطُ ٱلشَّيخِ إِبراهيمَ بنِ يحيىٰ بافضلٍ ، ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (٦٨٤هـ) ، قالَ ٱلخطيبُ في « جوهرهِ » : (وكانَ يُقيمُ بهِ على ٱلتَّوكُّلِ في جماعةٍ مِنْ فُقَرائهِ) .

وفي ٱلحكايةِ (٣٣) منهُ : (أَنَّ ٱلشَّيخَ مُحَمَّدَ بنَ عثمانَ ٱلشَّمْهونيَّ ـ نسبةً إِلىٰ شَمْهونَ ، قريةٌ مِنْ قرىٰ ظَفَار ـ قدمَ علىٰ أَولادِ ٱلفقيهِ إِلىٰ تريم ، فتلقَّاهُ علويٌّ وعَبْدُ ٱلرَّحمـٰنِ ، ولمَّا تقدَّمَ عَبْدُ ٱلرَّحمـٰنِ إِلى ٱلدَّارِ لتهيئَةِ ٱلضِّيافةِ . . تقدَّمَ ٱلشَّيخُ إِبراهيمُ يحيىٰ بافضلٍ فطلبَ مِنْ علويِّ بنِ ٱلفقيهِ أَنْ يُؤْثِرَهُ بٱلشَّمْهُونيِّ ذلكَ ٱليومَ ، فأَطاعهُ ، فذهبَ بهِ إِلىٰ رباطهِ ، وأَنزلَهُ فيهِ) اهـ

وٱلمفهومُ مِنْ أَمثالِ هـٰذا أَنَّهُ كانَ رباطاً حقيقةً ، غيرَ أَنَّ مَنْ لا أَذكرُ ٱسْمَهُ ٱلآنَ مِنَ

---

(١) الجدير بالتنبيه أن تريم لم تمر في دور واحد في عمارتها . . بل مرت في أدوار عديدة ، ذكرها العلامة القاضي عمر بن أحمد بن عبد الله المشهور في رسالته : « بغية من تمنَّى في توضيح بعض معالم تريم الغنَّا » .

(٢) واسمه : « هدم الجاني على الباني » ، مطبوع ضمن « الحاوي للفتاوي » (١/ ١٧٧ـ١٩٣) .

علماءِ تريم أخبرني بأنَّهُ لم يَكُنْ رباطاً ، وإنَّما بناهُ ٱلشَّيخُ سالمُ بافضلٍ مسجداً مِنْ يومِ بنائِهِ ، فوسَّعَهُ ٱلشَّيخُ إبراهيمُ ورمَّمَهُ فنُسِبَ إليهِ ، وما سمِّي رباطاً إلاَّ لأنَّ موضعَهُ كانَ مَرْبَطَ خيلِ ٱلمهاجرِ بنِ أَبي أُميَّةَ ٱلمخزوميِّ ومَنْ معَهُ مِنَ ٱلصَّحابةِ ٱلواردينَ لقتالِ أَهلِ ٱلرِّدَّةِ ، وهوَ ٱليومَ مشهورٌ بمسجدِ ٱلرِّبَاطِ .

قالَ ٱلشِّلِّيُّ : (وكانَ ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ مُحمَّدٍ بافضل ٱلشَّهيرُ بٱلعطَّاسِ ملازماً لَهُ في عباداتِهِ ، وكانَ قد تهدَّمَ بعضُ جدرانِهِ ، فهدمَهُ جميعَهُ ، وجدَّدَ عمارتَهُ في سَنةِ « ٩١٧هـ »[1]) .

وأَشهرُ مساجدِ تريم : مَسْجِدُ آلِ أَحمدَ[2] ، بناهُ ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ عليٍّ خالعُ قَسَم بعدَ ٱستيطانِهِم بتريم[3] ، نقلَ طينتَهُ ولَبِنَهُ مِنْ بيتِ جُبَيرٍ على ٱلعَجَلِ ٱلَّتي تجرُّها ٱلأَبقارُ وٱلبغالُ إِلىٰ تريم .

وفي « ٱلمسلكِ ٱلسَّويِّ » : ملاحظةٌ مِنَ ٱلأُستاذِ ٱلحدَّادِ علىٰ قولِهم : إنَّ باني مسجد آلِ أَحمدَ هوَ ٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ عليٍّ ، وقالَ : إنَّ بناءَهُ كانَ مِن قبلِهِ . وٱللهُ أَعلمُ .

ثمَّ جدَّدَ ٱلشَّيخُ عمرُ ٱلمحضارُ عمارتَهُ ما عدا ٱلصَّفَّ ٱلأَوَّلَ ، وعليهِ أَوقافٌ كثيرةٌ ، يُصْرَفُ ما يفيضُ عن مصالحهِ وإِطعامِ ضيفانهِ وتفطيرِ ٱلصَّائِمينَ فيهِ إِلىٰ أَولادِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ باعلويٍّ ؛ لاشتراطهِ ذلكَ في وَقْفِهِ ٱلَّذي وقفَهُ عليهِ ، وكانَ ثمنُ ما وقفَهُ عليهِ يزيدُ عن مئةِ ألفِ دينارٍ[4] . وكانَ يقومُ بنفقةِ ٱلعلويِّينَ ـ في تريمَ ـ جميعِهِم في أَيَّامِهِ ، ولمَّا ماتَ[5] . . تركوا لِلمسجدِ ما يكفيهِ وٱقتَسَموا ٱلباقي . ولمَّا ٱنتهتْ نقابةُ ٱلعلويِّينَ

---

(١) « المشرع » (١/ ٢٧٠) ، و« شنبل » (٢٥١) .

(٢) وهو المعروف بمسجد باعلوي .

(٣) أي : بعد سنة (٥٢١هـ) .

(٤) قال في « المشرع » (٢/ ٤٠٧) : (ووقف على مسجد بني علوي المنسوب إليه نخيلاً وأراضي وآبار ماء وعيون ، وعلى الواردين إلى المسجد المذكور من الضيفان بما قيمته (٩٠,٠٠٠) تسعون ألف دينار) اهـ وفي « مواهب القدوس » (١٠٤) (خ) معلومات هامة عن المسجد وعمارته . . فلتنظر منه .

(٥) سنة (٧٣١هـ) .

إلى ٱلشَّيخِ عمرَ ٱلمحضارِ[1] . . أَمرَ بردِّ ٱلأَوقافِ لآلِ عبدِ ٱللهِ باعلويٍّ ؛ لاختصاصِها بهِم ، فوافقوهُ إلاَّ أَخاهُ عقيلاً[2] ؛ فإِنَّهُ ٱمتنعَ وبقيَ ما عندَهُ مِنها تحتَ يدِهِ ، ثمَّ ٱستمرَّ بعدَهُ معَ أَولادهِ إلى ٱلآنَ . قالَهُ ٱلشِّلِّيُّ في (ص ٢٦٤ ج ١) مِنْ « مشرعهِ » .

وقالَ في ترجمةِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ حسنِ بروم : (وكانَ قليلَ ٱلغلالِ ، كثيرَ ٱلعيالِ ، وقد سعىٰ في توليةِ أَوقافِ آلِ عبدِ ٱللهِ باعلويٍّ ، فولاَّهُ ٱلسُّلطانُ أَمرَها ، وأَنفقَ على ٱلفقراءِ منهُم ومِنْ غيرِهم ، وصارَ يعملُ كلَّ ليلةٍ طعاماً لِلفقراءِ وٱلمساكينِ وٱلغرباءِ ٱلوافدينَ ، وٱستمرَّ علىٰ ذلكَ مدَّةً يسيرةً ، ثمَّ سعىٰ كلُّ واحدٍ في ٱسترجاعِ ما كانَ تحتَ يدهِ مِنَ ٱلوقفِ ، وعادَ علىٰ ما كانَ عليهِ أَوَّلاً ، وجرت في ذلكَ أُمورٌ وإِحنٌ في ٱلصُّدورِ ، ثمَّ سعىٰ لبُرُوم إمامُ ٱلعارفينَ ، زينُ ٱلعابدينَ[3] ، في إمامةِ مسجدِ ٱلجامعِ ، ورتَّبَ لَهُ ما يكفيهِ معَ عيالهِ ، وٱستمرَّ علىٰ حالهِ إِلىٰ أَنْ ماتَ في سَنة (١٠٣٩هـ) وقد نَيَّفَ على ٱلسَّبعينَ) اهـ بمعناهُ[4]

ومنهُ تعرفُ أَنَّ ٱلنَّاسَ مثلُ ٱلنَّاسِ ، وأَنَّ ٱلأَطماعَ تحيدُ بأَهلِ تلكَ ٱلعصورِ ٱلصَّالحةِ عن وجهِ ٱلحقِّ كما تحيدُ بأَهلِ زمانِنا ، وإلاَّ . . فما فعلَهُ عقيلٌ مِنَ ٱلحرامِ ٱلصِّرفِ ٱلَّذي لا يحتملُ ٱلتَّأْويلَ ، ومعَ ذلكَ فإِنَّ ٱلشَّوَّافَ يقولُ فيه :

أَمَّا عَقِيلُ ٱلْعَاقِلْ مَا حَدْ لِفَضْلِهْ نَاقِلْ
حُبُّ ٱلْمُهَيْمِنْ بَاقِلْ فِي قَلْبِهْ شِي للهِ؟

فما بالُ حبِّ ٱلمهيمنِ لَم يَنهَهُ عن أَوقافِ آلِ عبدِ ٱللهِ باعلويٍّ؟ ! وٱللهُ يقولُ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ .

وطالَما عَيَّرْنا ٱلعمَّ سقَّافَ بنَ محسنٍ بٱستيلائِهِ على مالٍ بٱسمِ طلبةِ ٱلعِلمِ بسيئون لهُ مندوحةٌ فيهِ ؛ إِذ كانَ من شرطِهِ لأَبيهِ أَن يصرفَهُ لمن شاءَ ، ومعَ ذلكَ فلم نَزَلْ بهِ حتَّىٰ

---

(١) المتوفى سنة (٨٣٣هـ) .
(٢) توفي عقيل ابن السقاف سنة (٨٧١هـ) بتريم .
(٣) هو العيدروس المتوفّى سنة (١٠٤٠هـ) .
(٤) « المشرع » (٢/ ٤٢٤ـ٤٢٥) .

أَحرجناهُ وضَيَّقنا عليهِ ٱلأَنفاسَ في ٱلمجلسِ فخرجَ منهُ ، ولو أَنَّهُ عَلِمَ بصنيعِ عقيلٍ . . لاتَّخذَ منهُ ما يكفيهِ للتَّدليلِ .

ولا يُحصىٰ مَنْ أَنجبتْهُم تريم مِنْ رجالاتِ ٱلفضلِ وأَراكينِ ٱلدِّينِ وٱلعلمِ ، وقد أُفرِدَ كلُّ ذلكَ بٱلتَّأْليفِ[1] .

وٱلطَّبقةُ ٱلأُولىٰ مِنْ « جوهرِ ٱلخطيبِ » هُم : عليُّ بنُ علويٍّ خالع قَسَم ، وٱبنُهُ مُحَمَّدُ بنُ عليِّ بنِ علويٍّ صاحبُ مِرْباطٍ[2] ، وسالمُ بنُ بصريٍّ[3] ، وعليُّ بنُ إِبراهيمَ بنِ يحيىٰ بنِ إِبراهيمَ بنِ عليِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ سليمانَ ٱلخطيبُ[4] ، وولدُهُ مُحَمَّدٌ[5] .

وسالمُ بنُ فضلٍ ، وولدُهُ يحيىٰ بنُ سالمٍ[6] ، وٱلقاضي أَحمدُ بنُ مُحَمَّدٍ باعيسىٰ[7] ، وعبدُ ٱللهِ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ أَبي عبيدٍ[8] ، وأَحمدُ بنُ عليٍّ ٱلخطيبُ ،

---

(١) كـ« المشرع الروي » ، و« الجوهر » ، و« البُرْد النعيم » لآل الخطيب ، وكتبٌ كثيرة لايتسع المقام لذكرها كلها . ومن المتأخرين . . صنف الفقيه الصالح الشيخ عمر بن عبد الله الخطيب المتوفى بتريم سنة (١٤١٩هـ) كتاباً سمّاه : « التمهيد الكريم » جمع فيه فوائد وتراجم متنوعة عن علماء تريم ، وهو مفيد بالجملة ، وفيه تراجم نادرة لبعض شيوخه .

(٢) ولد بتريم ، ونشأ في حجر والده ، وبه تخرج ، وارتحل إلى البلدان للأخذ والطلب . « المشرع » (١/ ٣٩٢ـ٣٩٤) ، « الأدوار » (١/ ١٩١) .

(٣) مولده بتريم ، وبها وفاته سنة (٦٠٤هـ) ، حفظ القرآن صغيراً ، ثم اشتغل بالعلوم على الشيخ سالم بافضل ، وطبقته من آبائه وبني عمومته من آل أبي علوي . « المشرع » (٢/ ٢٥٤ـ٢٥٧) ، « الأدوار » (١/ ١٩٩) ، « الحامد » (٢/ ٤٧٦) .

(٤) لم تؤرخ وفاتُه ، ووُصِفَ في « البُرْد النعيم » بأنه : (الذي انتهت إليه نوبة الفقه والفتوى بتريم ، وكان إماماً عالماً فاضلاً ذا ورع حاجز) .

(٥) توفي الفقيه محمد بتريم سنة (٦٠٩هـ) ، كما هو عند شنبل (ص٧٣) ، وذكر عن الشيخ محمد هـٰذا أنه كان يُشَمُّ من فمه رائحةُ المسك .

(٦) ترجمته في « صلة الأهل » (٦٨ـ٧١) ، ولم يؤرخ وفاته ، وفي « الشعراء » : أنه توفي سنة (٦٤٠هـ) .

(٧) توفي سنة (٦٢٦هـ) ، وقبره عند قبور آل باعلوي بتريم .

(٨) هو الإمام العلامة الفقيه المحقق أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن زكريا ـ وقيل : بن عبيد ـ التريمي الحضرمي ، توفي سنة (٦١١هـ) كما في المطبوع من « شنبل » ، وعند غيره سنة (٦١٣هـ) .

ومُحَمَّدُ بنُ أَحمدَ بنِ أَبي ٱلحبِّ ، وباحبليل ، وحسينُ باجُذَيع ، وحسنُ بنُ عليٍّ بالذعيرِ ، وعليُّ بنُ مُحَمَّدٍ بالُوَيذ[١] ، وأَحمدُ بنُ يسلمَ باحيدرةَ ، وعَبْدُ ٱلرَّحمـٰنِ باجَلْحَبَان ، وهـٰذا كما مرَّ ليسَ مِنْ أَهلِ تريم ولَم يَذكرِ ٱالخطيبُ في « جوهرِهِ » أَحداً مِنْ غيرِها سواهُ .

ومِنْ هـٰذهِ ٱلطَّبقةِ ـ وإِنْ أَغْفَلَ بعْضَهُمُ ٱلخطيبُ ـ : ٱلشَّيخُ إِبراهيمُ بنُ أَبي ماجدٍ[٢] ، وكانَ آخِرَ عمرِهِ بظفار ، وٱلإِمامُ أَبو بكرِ بنُ أَحمدَ باماجدٍ[٣] ، وٱلإِمامُ فضلُ بنُ إِبراهيمَ باحوّاش[٤] .

وٱلإِمامُ عليُّ بنُ مُحَمَّدٍ باحاتمٍ ، ممدوح نشوان بنِ سعيدٍ ـ ٱليمانيُّ بلداً ٱلحميريُّ نسباً ـ بقولهِ [مِنَ ٱلطَّويل] :

رَعَـى ٱللهُ إِخْـوَانِـي ٱلَّـذِيـنَ عَهِـدْتُهُـم ... بِبَطْـنِ تَـرِيـمٍ كَـٱلنُّجُـومِ ٱلْعَـوَائِـمِ[٥]

عَلِيّـاً حَلِيـفَ ٱلنَّجْـدَةِ ٱبْـنَ مُحَمَّـدٍ ... وَٱبْنَـا أَخِيـهِ ٱلْغُـرَّ أَبْنَـاءَ حَـاتِـمِ

وَكَـمْ فِـي تَـرِيـمٍ مِـنْ فَقِيـهٍ مُهَـذَّبٍ ... وَسَيِّـدُ أَهْـلِ ٱلْعِلْـمِ يَحْيَـىٰ بْـنُ حَـاتِـمِ

أُولَئِـكَ أَهْـلُ ٱلْفَضْـلِ فِـي ظِـلِّ فَـاضِـلٍ ... عَظِيمٍ مِنَ ٱلأَمْلاَكِ عَالِي ٱلدَّعَائِمِ[٦]

---

(١) اسمه عند شنبل : علي بن أحمد ، وأرخ وفاته سنة (٦٠٢هـ) ، قال : وقبر بالفريط بتريم ، ولويذ : بالذال المعجمة كما ضبطها الخطيب في « الجوهر » .

(٢) هو الفقيه إبراهيم بن أبي بكر بن يحيى بن فضل الملقب بأبي ماجد (باماجد) ، من علماء مرباط ، وتوفي بها ، أصله من تريم ، وهاجر إلى ظفار . « السلوك » (٢/ ٤٧٠) .

(٣) ابن أخي السابق ؛ فهو أبو بكر بن أحمد بن أبي بكر باماجد. . إلخ ، أخذ عن عمه وبه تفقه ، وأخذ عنه العلم الفقيه سعد بن سعيد بن مسعود المنْجَوي بالولاء ، أحد من وزر لأحمد بن محمد ، ثم لابنه إدريس آل الحبوظي . « السلوك » (٢/ ٤٧٠ـ٤٧٢) .

(٤) باحوّاش ، بالحاء المهملة والشين المعجمة وتشديد الواو : موضع معروف بتريم ، وفيه مساكن السادة آل الجنيد ، اشتراه أحدهم ، وهو السيد عبد الرحمـٰن بن علي. . وسوّره وبنى فيه منازل له ولأولاده . ولازالوا به إلى اليوم ، ولعل أصله بستان ينسب لهـٰذه الشخصية أو لأسرته .

(٥) **العوائم** : الَّتي تسبح في السَّماءِ .

(٦) كان الحاكم بحضرموت لما زارها نشوان : هو شَجْعنة بن راشد المتوفى سنة (٥٩٤هـ) ، أخو السلطان عبد الله .

أَنِسْتُ بِهِمْ فِي سَالِفِ ٱلدَّهْرِ بُرْهَةً فَكَانَتْ لَيَالِيهَا كَأَحْلَامِ نَائِمِ
وَفَارَقْتُهُمْ كُرْهاً وَنَارُ فِرَاقِهِمْ تَأَجَّجُ مَا بَيْنَ ٱلْحَشَا وَٱلْحَزَائِمِ
أَلاَ هَلْ لأَيَّامٍ تَقَضَّتْ بِرَجْعَةٍ أَوَ ٱبْكِي عَلَيْهِمْ بِٱلدُّمُوعِ ٱلسَّوَاجِمِ
وَهَلْ لِزَمَانِ ٱلْوَصْلِ بِٱلْوَصْلِ عَوْدَةٌ وَهَيْهَاتَ لَيْسَ ٱلصَّدْعُ كَٱلْمُتَلائِمِ
لَئِنْ بَعُدَتْ أَحْبَابُنَا فَقُلُوبُنَا تَرَاءَىٰ بِوُدٍّ غَيْرِ وَاهِي ٱلْعَزَائِمِ
سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ مِنْ صَدِيقٍ بِقَلْبِهِ جِرَاحُ فِرَاقٍ مَا لَهَا مِنْ مَرَاهِمِ

وشفعَهُ بمنثورٍ ؛ منهُ : (ما تريم إلاَّ جنَّةُ نعيمٍ ، في حوزةِ ملكٍ كريمٍ ، حامي ٱلذِّمارِ وٱلحريمِ ، لو فارقَها . . لأَضحتْ كٱلصَّريمِ[1] ، وقد صحَّ عنِ ٱلرَّسولِ فيما رويَ مِنَ ٱلمنقولِ : سلطانٌ عادلٌ خَيْرٌ مِنْ مطرٍ وابلٍ ، وَسلطانٌ غشومٌ خَيْرٌ مِنْ فتنةٍ تدومُ) .

وقد ذكرتُ في « ٱلأصلِ » أَنَّ نشوانَ[2] هـٰذا جريءُ ٱللِّسانِ سَيِّءُ ٱلأدبِ ، وقد كفَّرَهُ بعضُ علماءِ ٱليَمنِ بشيءٍ مِنْ شِعرِهِ ، ولولا أَنَّهُ ٱعتصمَ بأَحدِ ٱلأئِمَّةِ[3] وكانَ أَخاً لَهُ مِنْ أُمِّهِ ـ كما قالَ ياقوت ـ . . لأُريقَ دمُهُ .

وذكرَ ٱبنُ ٱلسُّبكيِّ : أَنَّ ٱلكرَّاميَّةَ ٱدَّعوا على ٱبنِ فوركَ ٱلقولَ بٱنقطاعِ نبوَّةِ محمَّدٍ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ورسالتِهِ بموتِهِ ، وسعَوا بهِ في ذلكَ إِلىٰ محمودِ بنِ سبكتكينَ ، وأَنَّ ٱبنَ حزمٍ زعمَ أَنَّهُ قتلَهُ بٱلسُّمِّ علىٰ ذلكَ ، ثمَّ بالغَ في تكذيبِ جميعِ ذلكَ ، وٱرجع إن أَردتَ ٱلتَّبسُّطَ في ٱلموضوعِ إِلىٰ ما ذكرَهُ في ترجمةِ ٱلأشعريِّ وٱبنِ فوركَ من « طبقاتِهِ » ، وقدِ ٱعترفَ بأَنَّ ٱلكرَّاميَّةَ هيَ ٱلَّتي قتلَتِ ٱبنَ فوركَ بٱلسُّمِّ ، ولم يذكر أَنَّ ٱبنَ سبكتكينَ ٱنتقمَ منهم ، وذلكَ معَ ظهورِ ٱللَّوثِ ، وٱنتصابِ ٱلقرائنِ ممَّا يبعثُ علىٰ تصديقِ أَنَّهُ ٱلقاتلُ ؛ إِذ لن يخفىٰ ذلكَ عليهِ وقد جزمَ بهِ « ٱلتَّاجُ » .

---

(١) الصَّريم : اللَّيل المظلم .

(٢) نشوان بن سعيد ، الأمير العلامة اللغوي المؤرخ ، كان فقيهاً ، شاعراً مجيداً ، استولى على قلاع وحصون ، وقدمه أهل جبل صَبِر حتى صار ملكاً ، وكان مقيماً بحُوث ، وبها مات في (٢٤) ذي الحجة من سنة (٥٧٣هـ) . من مصادر الترجمة : « معجم الأدباء » (١٩/ ٢١٧) ، « بغية الوعاة » (٢/ ٣١٢) ، « أعلام الزيدية » (١٠٦٠)

(٣) وهو أحمد بن سليمان الزيدي ، المتوكل على الله ، المتوفى سنة (٥٦٦هـ) .

ومِنْ جرأَةِ نشوانَ قولُهُ : (وصحَّ عنِ ٱلرَّسولِ . . إلخ) ، فما رأَيتُهُ حديثاً بهـٰذا ٱللَّفظِ بعدَ أَنْ كشفتُ عنهُ في « مزيلِ ٱلإلباسِ » فضلاً عَنْ أَنْ يصحَّ ، لـٰكنَّ الرجلَ مجازفٌ ، وكما جازفَ في ٱلتَّقوُّلِ علىٰ رسولِ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ . . فلن يتورَّعَ عنِ ٱلمجازفةِ في مدحِ سلطانٍ يُتَّهم ، وأَظنُّهُ عبدَ ٱللهِ بنَ راشدٍ .

وجاءَ في مادَّةِ (سما) مِنَ « ٱلتّاجِ » أَنَّهُ قالَ[1] : (كُلُّ مؤنَّثٍ بلا علامةِ تأنيثٍ يجوزُ تذكيرهُ ؛ كالسَّماءِ والأَرضِ والشَّمسِ ، والنَّارِ والقوسِ والقِدْرِ ، وهيَ فائدةٌ جليلةٌ . وردَّ عليهِ شيخُنا[2] ذلكَ وقالَ : هـٰذا كلامٌ غيرُ معوَّلٍ عليهِ عندَ أَربابِ ٱلتَّحقيقِ)اهـ

وما سقتُهُ إلاَّ لفائدةٍ ، ولِمَا فيهِ مِنْ أَمارةِ مجازفةِ قائِلِهِ نشوانَ وإلقائهِ ٱلكلامَ علىٰ عواهنهِ ، ولِلنُّحاةِ في ٱلموضوعِ كلامٌ لا يتَّسعُ لَهُ ٱلمجالُ .

ومِنْ أَشعارهِ ٱلَّتي أَساءَ بها ٱلأَدبَ حتَّىٰ على ٱلنَّبيِّ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ قولُهُ [مِنَ ٱلكاملِ] :

أَظَنَنْتُـمُ أَنَّ ٱلنُّبُـوَّةَ سَـرْمَـدُ ؟ ... إيـهٍ قُـرَيْـشُ كُـلُّ حَـيٍّ هَـالِـكُ
فَـٱلْيَـوْمَ هَـلْ مِنْكُـمْ نَبِـيٌّ يُـوجَـدُ ؟ ... مِنْكُـمْ نَبِـيٌّ قَـدْ مَضَـىٰ لِسَبِيلِـهِ
خُتِمَـتْ وَقَـدْ مَـاتَ ٱلنَّبِـيُّ مُحَمَّـدُ! ... إِنَّ ٱلنُّبُـوَّةَ بِـٱلنَّبِـيِّ مُحَمَّـدٍ

أَمَّا ٱلطَّبقةُ ٱلثَّانيةُ عندَ ٱلخطيبِ[3] . . فهيَ أَكثرُ رجالِ ٱلكتابِ ، وأَوَّلُهُمْ : ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ علويِّ بنِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ[4] .

وأَمَّا ٱلطَّبقةُ ٱلثَّالثةُ فيهِ . . فقليلةٌ ؛ لأَنَّ ٱلمنيَّةَ عاجلَتْهُ في ٱلقرنِ ٱلتَّاسعِ .

وقد مرَّ في حُصُونِ آلِ فَلّوقةَ ما قالَهُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ أَسعدَ

---

(١) وهو قول « شمس العلوم » للقاضي نشوان .

(٢) شيخ الحافظ مرتضى الذي يعول عليه في « التاج » هو العلامة الشمس محمَّد الطيِّب الفاسي .

(٣) ذكر المؤلف أن الخطيب جعل علماء تريم وساداتها على (٣) طبقات ، والذي بين أيدينا في مخطوط « الجوهر » ، أنهم (٤) طبقات . . فلتنظر منه .

(٤) توفي بتريم سنة (٦٩٩هـ) .

ٱليافعيُّ عن رجالِ حَضْرَمَوْتَ ، وإنَّهُم لجديرونَ بقولِ ٱلعَرَنْدَسِ ٱلكلابيِّ [كما في « ديوانِ ٱلحماسةِ » مِنَ ٱلبسيطِ] :

لاَ يَنْطِقُونَ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا ... وَلاَ يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارِ

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لاَقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلَ ٱلنُّجُومِ ٱلَّتِي يَسْرِي بِهَا ٱلسَّارِي

وذكرَ ٱلطَّيِّبُ بامخرمةَ تريمَ فقال : (وقد خرجَ مِنها علماءُ فقهاءُ فضلاءُ ، ومشايخُ أجلاَّءُ .

مِنهُمُ : ٱلفقيهُ يحيىٰ بنُ سالمٍ أَكْدَرَ بَلَجْ ، وٱلفقيهُ عليُّ بنُ أَحمدَ بكيرٍ ، قُتلا معاً في سَنةِ «٥٧٧هـ»[1] ، ومنهمُ ٱلفقيهُ سالمُ بافضلٍ صاحبُ « ٱلذَّيلِ » علىٰ « تفسيرِ ٱلقشيريِّ » ، وٱلفقيهُ شرفُ ٱلدِّينِ أَحمدُ بنُ مُحَمَّدِ بن ضَمْعَجٍ ، والدُ ٱلسِّبتيِّ صاحب « شرحِ ٱلتَّنبيهِ »[2] ،

(١) وفي بعض نسخ « شنبل » ومعظم التواريخ . . أن ذلك حدث في سنة (٥٧٦هـ) . ولا زالت تعرف إحدى مقابر تريم بمقبرة أكدر ، ويقول العامة : بكدر .

(٢) آل السبتي . . أصلهم من تريم ، تديروا مرباط ثم ظفار ، ثم قدموا الشحر بسبب خوف صاحب ظفار أحمد بن محمد الحبوظي منهم وارتيابه فيهم لضعف سلطانه .

١ـ وأول من قدم الشحر : هو القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى السبتي ، المذكور هنا ، ونسبته إلى ضمعج ، وهو ضمعج بن أوس الصحابي ، وكان الشيخ أحمد قد سكن حيريج أولاً ، بعد قدومه من ظفار ، ثم استدعاه عبد الرحمن بن إقبال صاحب الشحر وجعله حاكماً بعد إبراهيم بن علي باشكيل (الذي توفي بتريم سنة ٦٦٢هـ) ، ثم توفي بالشحر بعد المذكور سنة بضع وستين وست مئة ، وكان تفقهه على الشيخ محمد علي القلعي ، وخلف شيخه المذكور في موضع درسه بعد وفاته سنة (٦٣٠هـ) ، وهو مصنف « شرح التنبيه » وليس ابنه ، كذا عند الجندي في « السلوك » (٢/٤٥٨ـ٤٥٩) .

٢ـ وخلفه في العلم والصلاح ابنه عبد الرحمن بن أحمد . . توفي سنة بضع وسبعين وست مئة ، وكان حاكماً على الشحر (أي قاضياً) .

وخلفه ابنه أحمد .

٣ـ فأما أحمد . . فتفقه بالشيخ أبي الخير الذي خلف والده في المنصب ، وتولى الإفتاء والقضاء ، وأعقب ولدين هما : محمد ، ورضي الدين ، وتوفي حدود سنة (٦٩٠هـ) .

٤ـ تفقه محمد بن أحمد بن عبد الرحمـٰن بأبيه وتولى الإفتاء والقضاء ، وتوفي سنة (٧١٢هـ) .

٥ـ رضي الدين أبو بكر بن أحمد ، ولد سنة (٦٩٣هـ) ، وتفقه بأخيه محمد ، وبخاله محمد بن سعد باشكيل ، وهو مصنف « شرح الرحبية » ، فرغ منه سنة (٧٣٧هـ) ، وهو شرح مشهور جداً ، =

والفقيهُ أَحمدُ بنُ فضلٍ[1] ، والفقيهُ الصَّالحُ الزَّاهدُ عليُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عليِّ بنِ يحيىٰ بنِ حاتمٍ ، والفقيهُ عليُّ بنُ أَحمدَ بامروانَ[2] ، والفقيهُ الشَّيخُ جمالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ باعلويٍّ[3] ، والفقيهُ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ باعُبَيدٍ ، صاحبُ « الإكمالِ لِما وقعَ في التَّنبيهِ مِنَ الإشكالِ » ، والفقيهُ مُحَمَّدُ بنُ أَحمدَ بنِ أَبي الحبِّ ، توفِّيَ سَنَةَ « ٦١٢هـ » ، وفي تريم علماءُ وعبَّادٌ وزهَّادٌ لا يُحصَونَ ، ومقبرتُها مشهورةُ البَرَكةِ ، ومدفونٌ في جبَّانةِ تريم أَربعونَ مِنْ أَهلِ بدرٍ) اهـ كلامُ القاضي مسعودٌ

وفيها جمعُ السَّادةِ الأَشرافِ آلِ باعلويٍّ ؛ كالشَّيخِ عبدِ الرَّحمـٰنِ[4] وأَولادِهِ وحفدتهِ وغيرِهم ، خَلْقٌ لا يُحْصَونَ .

ولمَّا رأَى الشَّيخُ عليُّ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أَسعدَ اليافعيُّ مشايخَ اليَمنِ ، ووصلَ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ ورأَىٰ ما فيها مِنَ الصَّالحينَ . . أَنشدَ [مِنَ الطَّويل] :

مَـرَرْتُ بِـوَادِي حَضْـرَمَـوْتَ مُسَلِّمَـا   فَـأَلْفَيْتُـهُ بِـالْبِشْـرِ مُبْتَسِمـاً رَحْبَـا

= وطبع مرات عديدة ، وهو من أنفع الشروح وأبركها . وكانت وفاته سنة (٧٦١هـ) . ومن مصنفاته أيضاً : « مختصر شرح الوسيط » ، و« مختصر شرح مسلم » عاصره الجَنَدي وذكره في « السلوك » (٢/ ٤٦٠) .

(١) هو العلامة القاضي أحمد بن محمد بن فضل بن محمد بن عبد الكريم بافضل ، أخذ عن عمه الفقيه سالم بن فضل وتخرج به ، توفي حدود (٦٠٠هـ) ، « صلة الأهل » (٧٤ـ٧٦) .

(٢) هو الشيخ الفقيه العلامة علي بن أحمد بن علي بن سالم بامَرْوان ، مولده سنة (٥٥٥هـ) ، ووفاته في (٣) رجب (٦٢٤هـ) . « السلوك » (٢/ ٤٨٠) ، « المشرع » عدة مواضع ، « شنبل » (٤٠ ، ١٨١) .

(٣) هو الشيخ الأستاذ الكبير الشهير بالفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط . . مولده بتريم سنة (٥٧٤هـ) ، وكان ذكياً عالماً فقيهاً جليلاً ، ويعتبر الفقيه المقدم رمز التحول من عصر السلاح إلى عصر التصوف ، وهو مؤسس المدرسة العلوية التي سادت في حضرموت وخارجها حتى أيامنا هـٰذه .
ترجمته مبثوثة في العديد من المصادر التاريخية الحضرمية . وللشيخ علي السكران : « الأنموذج اللطيف » في مناقبه مطبوع مع « البرقة » . وينظر : « الأدوار » (٣٠١) ، « المشرع » (٢/ ٧ـ ٢١) ، وغيرها .

(٤) هو السقاف ، ولد سنة (٧٣٩هـ) بتريم ، وتوفي سنة (٨١٩هـ) عن (٨٠) عاماً ، ويلقبه بعض النسابة بالمقدم الثاني لكثرة ذريته ، وترجمته في معظم المراجع والمصادر الحضرمية كـ« المشرع » و« الغرر » وغيرها .

وَٱلْفَيْتُ فِيهِ مِنْ جَهَابِذَةِ ٱلْعُلاَ أَكَابِرَ لاَ يُلْفَوْنَ شَرْقاً وَلاَ غَرْبَا

هـٰذا آخرُ كلامِ بامخرمةَ ، وقد تقدَّم أكثرُه[1] .

وقد سَبَقَ في حصْنِ فَلّوقةَ عن شَنبلٍ أَنَّ الأَثبتَ في منشدِ ٱلبيتينِ إنَّما هوَ عَبْدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ أَسعدَ ، لا ولدُهُ عليٌّ ، فليُنظَرْ .

وٱلسَّادةُ ٱلعلويُّونَ بحَضْرَمَوْتَ علىٰ طبقاتٍ ثلاثٍ :

الأولىٰ : مِنَ ٱلمهاجرِ إلى ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ ؛ فكانوا علىٰ أزياءِ ٱلصَّحابةِ في هيئتِهم وأَسلحتِهم ، كما نقلَهُ سيِّدي ٱلأُستاذُ ٱلأبرُّ عنِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ بنِ يحيىٰ في ترجمتِهِ عن « عقدِهِ »[2] .

الثانية : من ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ إلى العيدروس .

أمَّا الفقيهُ المقدَّمُ . . فإنه :

مِنَ ٱلْبِيضِ يَسْتَامُونَ وَٱلْعَامُ كَالِحٌ جُدُوباً وَمَطَّارُونَ فِي ٱلْحُجَجِ ٱلْغُبْرِ[3]

مَغَاوِيرُ فِي ٱلْجُلَّىٰ مَغَابِيرُ فِي ٱلْحِمَىٰ مَفَارِيجُ لِلْغُمَّىٰ مَدَارِيكُ لِلْوَتْرِ

وهوَ أَوَّلُ مَن تركَ ٱلسِّلاحَ وسلكَ طريقَ ٱلصوفيَّةِ ولبسَ ٱلخَوذَةَ ، وهيَ ما يقالُ لَهُ بمكَّةَ وحَضْرَمَوْتَ : (ٱلقُبْعُ) ، ذكرَهُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حكمٍ صاحبُ « ٱلقلائدِ » في كتابهِ : « مفتاحُ ٱلسَّعادةِ وٱلخيرِ في مناقبِ ٱلسَّادةِ آلِ باقشير » .

وفي ٱلحكايةِ (٢٩٥) مِنَ « ٱلجوهرِ » : (أَنَّ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّاف يلبسُ ٱلخَوذَةَ) .

وفي ٱلحكايةِ (١٣٤) منهُ : (أَنَّ ٱلشَّيخَ مُحَمَّدَ بنَ عليٍّ مولى ٱلدُّويلةِ يلبسُ ٱلقُبْعَ) .

وفي ٱلحكايةِ (١٤٥) منهُ : (أَنَّ خادمَ عبدِ ٱللهِ باعلويٍّ يلبسُ ٱلخوذةَ ، وخادمَ باعبَّادٍ يلبسُ ٱلطَّاقيَّةَ) .

---

(١) نسبة البلدان (ق٥٩) .

(٢) كما في « عقد اليواقيت » في (المقدمة) .

(٣) البيتان من الطويل ، وهما للشريف الرضي في « ديوانه » (١/ ٥٠٥) .

وفي ٱلحكايةِ (٣٢١) مِنَ « ٱلجوهرِ » : (أَنَّ ٱلسَّيِّدَ عُبُودَ بنَ عليٍّ كانَ يلبسُ ٱلخَوذةَ في سَنةِ ٧٨٧هـ) .

ولـٰكنْ هل هجروا لَها ٱلعمامةَ رأساً ، أَم لا يلبسونَها إلاَّ في ٱلرَّسميَّاتِ ؟ كلٌّ محتملٌ ، وٱلأَوَّلُ هوَ ٱلأَقربُ إلىٰ كلام باقشيرٍ وٱلَّذي يُفهَمُ مِن موضعٍ من « عقدِ » سيِّدي ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ ، ولـٰكنْ يغَبِّرُ عليهِ أَنَّ ٱلسَّيِّدَ مُحَمَّدَ بنَ علويٍّ بنِ أَحمدَ بنِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ ٱشتهرَ بصاحبِ ٱلعمائِمِ[1] ، وذكروا أَنَّهُ ٱحترقَ عليهِ مِنها عددٌ بسببِ ٱلاستغراقِ في ٱلمطالعةِ ، إلاَّ أَنْ يُجابَ بأَنَّ لبسَهُ لَها لَم يَكُنْ بحَضْرَمَوْتَ ، وإنَّما كانَ بمقدشوه ؛ إذ هاجرَ إليها في طَلَبِ ٱلعِلْمِ على ٱلعلاَّمةِ ٱلشَّيخِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ ٱلصَّمدِ ٱلجوهيِّ .

وفي هجرةِ هـٰذا ٱلإمامِ في طلبِ ٱلعِلْمِ تأكيدٌ لِما سَبَقَ في ٱلحسيِّسةِ وأَوائِلِ هـٰذهِ ٱلمسوَّدةِ مِنْ إشرافِ ٱلعِلْمِ على ٱلتَّلاشي ، حتَّىٰ هاجرَ ٱلشَّيخُ سالمُ بافضلٍ في تجديدِهِ ، وجاءَ صاحبُ ٱلعمائِمِ يتقيَّلُ آثارَهُ ؛ إذْ لا يُمكنُ أَنْ يُحيطَ ٱلشَّيخُ سالمٌ بأَطرافِ فنونِه .

وقد قرأَ صاحبُ ٱلعمائِمِ ٱلحديثَ وٱلفقهَ وٱلتَّفسيرَ وٱلتَّصوُّفَ وعلومَ ٱلعربيَّةِ وبرعَ فيها ، وشاركَ في ٱلأَصلَينِ وٱلمعاني وٱلبيانِ وٱلمنطقِ ، وكانَ يقرأُ « ٱلمهذَّبَ » على ٱلجوهيِّ في سَنةٍ ، و« ٱلتَّنبيهَ » و« ٱلوسيطَ » و« ٱلوجيزَ » في ٱلأُخرىٰ قراءةَ بحثٍ وتحقيقٍ ، كما كانَ ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ أَحمدَ بامروانَ يفعلُهُ[2] .

فٱلتَّدليلُ بهجْرةِ صاحبِ ٱلعمائِمِ إلى مقدشوه علىٰ قلَّةِ ٱلعِلْمِ بحَضْرَمَوْتَ . . صالحٌ لا يُنتَقضُ بما كانَ مِنْ أَمرِ ٱلشَّيخِ سالمٍ ؛ لِما مرَّ آنفاً ، ولأَنَّ ٱلواحدَ غيرُ كافٍ[3] وإنِ ٱنتشرَ عنهُ ٱلعِلْمُ ، وقد قالَ تعالىٰ : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ

---

(١) ترجمته في « المشرع » (١/ ٣٧٣) .

(٢) جاء في « المشرع » (١/ ٣٧٣) : (وكان ـ أي : صاحب العمائم ـ في أول طلبه سمع أن علي بن أحمد بامروان كان يقرأ كل واحد منها في سنة ـ أي : الثلاثة الكتب المذكورة ـ ، فطلب من الله أن يرزقه ذلك ، فاستجاب الله دعاءه وأعطاه ما تمناه) اهـ

(٣) ولتباعد الزمان ؛ فسالم بافضل توفي سنة (٥٨١هـ) ، وصاحب العمائم سنة (٧٦٧هـ) ، فبين وفاتيهما (١٨٦) سنة .

﴿ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾ ولا ينتقضُ بما كانَ مِنْ تأْثيرِ ٱلهجرةِ في ٱلطَّلبِ بما لا يكونُ في ٱلإقامةِ .

وقد حَمَّقوا رجلاً سارَ في طلبِ ٱلعلمِ مِنَ ٱلعراقِ وعندَهُ عليُّ بنُ طالبٍ ، وكأنَّ ٱلإكبابَ على ٱلسِّراجِ في ٱلمطالعةِ صارَ طبيعياً لصاحبِ ٱلعمائمِ ، وإلا . . فمن حقِّ ٱللَّبيبِ أَن يَعْتَبِرَ بواحدةٍ ، وقديماً كانَ يُقالُ : (مَن لدغتْهُ ٱلأفعىٰ . . خافَ مِنَ ٱلحَبلِ) فهوَ معَ ٱلاستغراقِ يهوِّنُ مِن وطأَةِ ٱلإشكالِ ٱلَّذي ذكرتُ ـ عندَهُ ـ ما أَخرجهُ أَبو نُعَيمٍ في « ٱلحليَةِ » [٣/٣١٢] بسندِهِ إِلىٰ عَطاءِ بنِ أَبي رَباحٍ قالَ : (إِن كانت فاطمةُ بنتُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ لَتَعْجِنُ ، وإِنَّ قَصَّتَها لتكادُ أَن تضربَ ٱلجفنةَ) .

تـوفِّي صاحبُ ٱلعمائمِ بتريمَ آخرَ سنةِ (٧٦٧هـ) ، وتنتهي هٰذهِ ٱلطَّبقةُ بٱلعيدروسِ ، وجلُّهم كما قالَ ٱلشَّريفُ [في « ديوانهِ » ١/٤٠٥ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

أَقَـامُـوا بِـأَقْطَـارِ ٱلْعُـلاَ وَتَنَـاقَلُـوا ... عَلَيْهَـا وَأَبْـدَوْا فِـي ٱلْعُـلاَ وَأَعَـادُوا
إِلَـىٰ حَسَـبٍ مِنْـهُ عَلَـى ٱلْبَـدْرِ عِمَّـةٌ ... وَفِـي عَـاتِـقِ ٱلْجَـوْزَاءِ مِنْـهُ نِجَـادُ
إِذَا وَقَفُـوا فِـي ٱلْمَجْـدِ خَـافُـوا نَقِيضَـهُ ... فَتَمُّـوا عَلَـىٰ عُنْـفِ ٱلسِّيَـاقِ وَزَادُوا

وهٰؤلاءِ همُ ٱلَّذينَ يقولُ ٱلمغربيُّ في « رحلتِهِ » أَنَّهم أَشبهُ بٱلملائكةِ .

وأَمَّا ٱلطَّبقةُ ٱلثَّالثةُ . . فمنَ ٱلعيدروسِ إِلىٰ تمامِ ٱلقرنِ ٱلثَّالثَ عشرَ :

فَـاسْتَـأْنَفُـوا ٱلْعِـزَّ مُخْضَـرّاً زَمَـانُهُـمُ ... كَـأَنَّمَـا ٱلـدَّهْـرُ فِيهِـمْ رَوْضَـةٌ أُنُـفُ[1]
تَسْعَـى ٱلْبِكَـارُ مُعَنَّـاةً وَقَـدْ مَلَكَـتْ ... أُولِـي ٱلْجُمَـامِ عَلَيْهَـا ٱلْجِلَّـةُ ٱلشُّـرُفُ

ثمَّ رأَيتُ في مناقبِ سيِّدِنا ٱلحسنِ بنِ عبدِ اللهِ ٱلحدَّادِ ٱلمُسمَّىٰ : « ٱلمواهبَ وٱلمِنَنِ » لحفيدِهِ ٱلعلاَّمةِ علويِّ بنِ أَحمدَ بنِ ٱلحسنِ ما نصُّهُ : ولم يلبَس بعدَ ٱلحجِّ إِلاَّ ٱلخوذةَ وٱلبَتَّ مِن غزلِ ٱلحَاوي وٱلسُّبَيْرَ فوقَ ٱلشُّقَّة ، وفي ٱلبيتِ ٱلشُّقَّة وٱلكوفيَّةَ ٱلبيضاء ٱلمُخَرَّمة ، وٱلعمامةَ للجمعةِ وٱلزِّيارةِ وٱلأَوَّابينَ في ٱلبلدِ ، وسروالٌ وقميصٌ مِنَ ٱلبَفْتِ وفوقَهُ أَيضاً بَفْتٌ ، وكانَ حَجُّهُ في سنةِ (١١٤٨هـ) .

---

(١) البيتان من البسيط ، وهما للشريف الرضي في « ديوانه » (٢/٧ـ٨) .

وفي (ص ٢٩٢ ج ١) منه : طَلَبتُ مِنَ ٱلسَّيِّدِ زينِ ٱلعابدينَ بنِ مصطفى ٱلعيدروسِ قُبعاً مُخيَّطاً مِنَ ٱلهندِ ، مُرَادِي أَلبسُهُ يومَ ٱلزِّينَةِ مثلَ ٱلوالدِ ، فأعطاني إِيَّاهُ بعدَ أَنِ ٱستشارَ ٱلوالدَ فأذِنَ لهُ ، فلبستُهُ يومَ ٱلزِّينةِ ولم يلبسهُ أَحدٌ مِن إِخواني قَبْلِي ، ثمَّ لبسَ مثلَهُ ٱلأَخُ علويٌّ في ٱلزِّينةِ ٱلثَّانيةِ .

وفي أوائلِ ٱلقرنِ ٱلرَّابعَ عشرَ كانَ بناءُ ٱلرِّباطِ بتريم[1] ، ومِنْ أكبرِ ٱلقائمينَ بهِ وٱلسَّاعينَ لَهُ : ٱلصَّدرُ ٱلجليلُ ، ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ أَحمدَ ٱلحدَّادُ[2] .

وهوَ رجلٌ غزيرُ ٱلمروءَةِ ، جَزْلُ ٱلرَّأيِ ، يُثْنِي عليهِ شيخُنا ٱلمشهورُ ، وكثيراً ما يسمِّيهِ : (ٱلغصنَ ٱلرَّطيبَ) يريدُ بهِ ٱلمبالَغةَ في ٱلمدحِ ، ولـٰكنَّهُ ممتلىءٌ مِنَ ٱلرَّخاوةِ ، وقد عابوا على ٱلخوارزميِّ قولَهُ في ٱلصَّاحبِ [مِنَ ٱلخفيفِ] :

وَظَرِيفٍ كَأَنَّ فِي كُلِّ فِعْلٍ   مِنْ أَفَاعِيلِهِ عَرَائِسَ تُجْلَىٰ

وقالوا ـ كما في « اليتيمة » [٤/٢٥٤] ـ إن ٱلمحتشمينَ لا يوصفونَ بٱلظَّرفِ ؛ إذ هو مِن أَوصافِ ٱلأَحداثِ وٱلشبّانِ وٱلقِيَانِ ، ثمَّ لم يرضَ بهـٰذهِ ٱلفُرْطةِ حتَّىٰ شبَّهَ أَفاعيلَهُ بٱلعرائسِ تُجْلَىٰ ، فلو أَنَّهُ مدحَ مُخنَّثاً . . لمَا زادَ .

ولـٰكنَّني نقضتُهُ أَواخرَ ٱلجزءِ ٱلثَّالثِ مِن « **بضائعِ ٱلتَّابوتِ** » .

وممَّن ساعدَ علىٰ بناءِ ذلكَ ٱلرِّباطِ : ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنَ سقَّافٍ ٱلجنيدُ ، وٱلسَّيِّدُ محمَّدُ بنُ سالمٍ ٱلسَّريُّ ، وٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عمرَ عرفان ، وكانَ إِليهمْ ٱلنَّظرُ في مُدَّةِ حياتِهم ، وفي ٱلشَّرحِ أَنَّ مَن ماتَ منهم يُبدَّلُ بغيرِهِ ، ولمَّا توفِّيَ أَحمدُ بنُ سقَّافٍ أُبدِلَ بأَخيهِ علويٍّ ، ولـٰكنَّهُ لم يتداخل بٱلأَمرِ إِلاَّ قليلاً ، بل فوَّضَ ٱلأَمْرَ إِلىٰ رفاقِهِ ، ولمَّا

---

(١) كان بناؤه في سنة (١٣٠٤هـ) .

(٢) المتوفى سنة (١٣١٣هـ) بالحوطة ، وكان المذكور ممثِّلاً عن آل الحداد الذين هم رابع خمس أسر تعاضدت علىٰ إنشاء الرباط . وهي : آل الحداد ، وآل الجنيد ، وآل الشاطري ، وآل السري ، وآل عرفان بارجاء .

وسلمت إدارته للسيد الجليل العلامة عبد الله بن عمر الشاطري بعد عودته من الحجاز أوائل سنة (١٣١٤هـ) ، ولم يزل مقيماً على التعليم فيه إلى أن توفي سنة (١٣٦١هـ) .

توفِّيَ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ سنةَ (١٣١٣هـ) . . خَلَفَهُ ولدُهُ عيسىٰ ، ولمَّا توفِّيَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ عمرَ عرفان . . أُقيمَ في مقامِهِ ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ أحمدَ ٱلشَّاطريُّ ، ولا أدري بمَن أُبدِلَ ٱلسَّيِّدُ محمَّدٌ ٱلسَّريُّ ، وأَظنُّ ٱلوضعَ تغيَّرَ .

وكانَ ٱلسَّيِّدُ عمرُ ٱلشَّاطريُّ وعيسى ٱلحدَّادُ ٱلكُلَّ في ٱلكُلِّ ؛ فٱلحدَّادُ يتسلمُ ما للرِّباطِ مِن إيرادٍ بسنغافورة ويرسلُهُ إلىٰ عندِ ٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ أحمدَ ، وهو يصرفُهُ بغايةِ ٱلأَمانةِ وٱلتَّدبيرِ في مصارفِهِ كما يأتي .

ولَم يَزَلْ رباطُ تريمَ معموراً بٱلعِلْمِ مِنْ يومَ بُني ، وحصلَ بهِ نفعٌ عظيمٌ ، وتخرَّجَ بهِ كثيرٌ مِنْ تريم ، ومِنَ ٱلبيضاءِ ودوعن وغيرِهم مِنَ ٱلأَقاليمِ ، وٱلحالُ أَنَّ إيرادَهُ ٱلشَّهريَّ لا يزيدُ عن أَربعِ مئَةِ ربيَّةٍ هنديَّةٍ ، معَ أَنَّهُ قد يجتمعُ فيهِ متَّنا طالبٍ داخليُّونَ ، وفي ذلكَ شهادةٌ لناظرِهِ ٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ أحمدَ ٱلشَّاطريِّ[1] بٱلورعِ ٱلحاجزِ ، وٱلتَّدبيرِ ٱلتَّامِّ ، وٱلنَّزاهةِ ٱلَّتي لا تعلقُ بها تهمةٌ .

وكانَ ٱلقائِمُ بٱلدَّرسِ ٱلعامِّ فيهِ بُكرتَي ٱلسَّبتِ وٱلأربعاءِ هوَ شيخُنا وسيِّدُنا ٱلوالدُ عَبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ مُحمَّدٍ ٱلمشهورُ حياتَه[2] ، ثمَّ ولدُهُ ٱلصَّالحُ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ إلىٰ أَنْ توفِّيَ بتريمَ سَنَةَ (١٣٤٤هـ) ، وقد يُشاركُهُ ويخلُفُهُ في ذلكَ شيخُنا ٱلعلاَّمةُ علويُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلمشهورُ .

وأَمَّا إدارةُ تعليمِهِ : فقد كانت إلى ٱلعلاَّمةِ ٱلجليلِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ ٱلشَّاطريِّ[3] ، وهوَ ٱلقائِمُ بٱلتَّعليمِ وٱلتَّدريسِ فيهِ ، معَ مَنْ يُخصِّصُهُم لَهُ مِنْ تلاميذِهِ[4] .

---

(١) المولود بتريم في رمضان (١٢٧٢هـ) ، والمتوفَّى بها في يوم الإثنين (٢) شوال سنة (١٣٥٠هـ) ، وهو والد الحبيب عبد الله بن عمر .

(٢) حياته : طول حياته .

(٣) ولد الإمام الجليل والحبر النبيل الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري بتريم في رمضان سنة (١٢٩٠هـ) ، وتوفي بها في (٢٩) جمادى الأولى سنة (١٣٦١هـ) . وقد أفرده بالتأليف تلميذه العلامة الفقيه السيد محمد بن سالم بن حفيظ بكتاب سمّاه : « نفح الطيب العاطري » في مجلد (مخطوط) ، استوعب فيه ذكر شيوخه وما قيل فيه في حياته وبعد مماته ، رحمه الله .

(٤) وتلاميذه رحمه الله ورضي عنه كثرة كاثرة ، وفيهم من تولى الإفتاء في بقاع وبلدان شتى ، ومنهم من=

وبعدَ وفاةِ ٱلسَّيِّدِ عليٍّ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱنتهتْ إليهِ رياسةُ ٱلعِلْمِ بتريم جميعِها ، فوفَّاها حقَّها ، وٱنتفعَ بهِ ٱلقاصونَ وٱلدَّانونَ ٱنتفاعاً جمّاً ، وكانَ هـٰذا ٱلرِّباطُ بِذْرةَ خيرٍ أَثَّتْ وربَتْ في جميعِ ٱلبلادِ[1] ، وما زالَ على ذلكَ إلىٰ أَنْ توفِّيَ سَنَةَ (١٣٦١هـ) ، فعَظُمَت ٱلرَّزيَّةُ بموتهِ ؛ لأَنَّ مِعْوَزَ فَقْدِهِ لَم يُرقَعْ كما كانَ مِنْ قَبْلِهِ .

وخَلَفَهُ علىٰ رئاسةِ ٱلعِلْمِ بتريم وٱلتَّدريسِ ٱلعامِّ في ٱلرِّباطِ وغيرِهِ : أَخونا ٱلفاضلُ ٱلجليلُ ، ٱلنَّاطقُ بٱلحقِّ ، ٱلحافظُ لِسِيَرِ ٱلسَّلفِ ٱلصَّالحِ ، علويُّ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱبنُ شهابٍ[2] ، مدَّ ٱللهُ في أَيَّامهِ ، ونفعَ بهِ .

وبقيت إدارةُ تعليمِ ٱلرِّباطِ لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ ٱلشَّاطريِّ[3] وأَخوَيهِ حسنٍ وأَبي بكرٍ فنرجو أَنْ يسلكوا ذلكَ ٱلمنهاجَ ، ويَستضيئُوا بذلكَ ٱلسِّراجِ ؛ ليبقى ٱلرِّباطُ علىٰ مِثْلِ حالهِ مِنَ ٱلإنتاجِ .

ثمَّ إنَّ لطبقةِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ فمن بَعْدَهُ مِنَ ٱلأَعمالِ وٱلرِّياضاتِ ومجاهداتِ ٱلنُّفوسِ ما لا تستقرُّ لَهُ ٱلعقولُ ، ولا تتصوَّرُهُ ٱلأَفكارُ ، ولا تقدرُ علىٰ تصديقِهِ ٱلقلوبُ إلاَّ بعدَ ضربِ ٱلأَمثالِ مِنَ ٱلمشاهداتِ ، وقياسُ أُولئكَ علىٰ مَنْ بقيَ مِنْ فريقهِم وٱنتهاجِ طريقهِم إلىٰ أَوائِلِ أَعمارِنا ؛ فقد شاهَدْنا وشاهدَ أَقرانُنا كثيراً ممَّنْ علىٰ ذلكَ ٱلنَّمطِ ، حَسَبَما مرَّ في سيئونَ ، ممَّا يصدِّقُ قولَ ٱلمغربيِّ[4] ٱلسَّابقِ : إنَّهُم بٱلملائكةِ أَشبهُ .

= أسس أربطة في بلده.. كالعلامة الجليل الحسن بن إسماعيل الحامد (ت١٣٦٧هـ) صاحب رباط عينات ، والعلامة السيد محمد الهدار (ت١٤١٨هـ) صاحب رباط البيضاء ، والعلامة السيد عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر (ت١٣٨٤هـ) صاحب رباط الشحر ، وغيرهم كثير ، وما هؤلاء إلا نماذج وأمثلة رحمهم الله تعالى .

(١) أَثَّت : كثرت وعظمت . ربت : نمت .

(٢) هو الحبيب الإمام الورع الصالح الزاهد الولي علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب الدين ، مولده بتريم في محرّم سنة (١٣٠٣هـ) ، وبها وفاته في (١٢) رمضان سنة (١٣٨٦هـ) ، أفرده بالترجمة السيد النحوي اللغوي عمر بن علوي الكاف (ت١٤١٢هـ) بكتاب سمّاه : « تحفة الأحباب » .

(٣) وهو الملقب بالمهديّ ، مولده بتريم سنة (١٣٢٨هـ) ، درس في الرباط ولازم والده وتخرج به ، وقام بشؤون الرباط بعد والده ، وبعد هجوم الشيوعيين على الحكم في البلاد.. هاجر إلى دولة الإمارات العربية المتحدة ووافته منيته في أبو ظبي في محرم سنة (١٤٠٥هـ) .

(٤) يشير إلى « رحلة المغربي إلى تريم » التي جرت في سنة (٨٦٥هـ) ، وهو شخص مجهول لا يعرف=

ومِنْ بعدِ ٱلعيدروسِ ٱلأكبرِ[1] ٱنتشرتِ ٱلمعارفُ ويَنَعتِ ٱلعلومُ ، ولـٰكنْ بدأَتِ ٱلمجاهداتُ تنقصُ ، وٱلخللُ يدخلُ علىٰ طريقِ ٱلعلويِّينَ ، ولهـٰذا كانَ ٱلقطبُ ٱلحدَّادُ يأخذُ بكلِّ عادةٍ كانت مِنْ أيَّامِ ٱلعيدروسِ فمَنْ قَبْلَهُ بدونِ أَنْ يبحثَ عنِ ٱلدَّليلِ ؛ لِتلزُّمِهِم بٱلسُّنَّةِ ٱلمطهَّرةِ تلزُّماً شديداً ، وأمَّا مِنْ بعدِهِ. . فلا يقبلُ شيئاً إلاَّ بدليلِهِ ٱلواضحِ ، ونَقَلَ غيرُ واحدٍ عَن أبي حنيفةَ أَنَّهُ كانَ يقولُ : ما جاءَنا عن رسولِ اللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ. . فعلَى ٱلرَّأسِ وٱلعينِ ، وما جاءَنا عَنِ ٱلصَّحابةِ رضي الله عنهم. . نختارُ أَحسنَهُ ولم نخرج عَن أقوالِهِم ، وما جاءَنا عنِ ٱلتَّابعينَ. . فهم رجالٌ ونحنُ رجالٌ . وفي روايةٍ : زاحمناهم . ومعَ ذلكَ فلَم يَزَلْ فيهِم أَراكينُ علومٍ ، ومصابيحُ هدىً أَمثالَ ٱلنُّجومِ .

وُجُوهٌ لَـوْ أَنَّ ٱلأَرْضَ فِيهَـا كَـوَاكِـبٌ   تَـوَقَّـدُ لِلسَّـارِي. . لَكَـانُـوا كَـوَاكِبَا[2]

وإنَّ زماناً يظهرُ فيهِ أَمثالُ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ وعبدِ ٱللهِ بنِ أحمدَ بلفقيهِ[3] وٱبنهِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ[4] وأقرانهم. . لَغيرُ مَلُومِ .

لَقَـدْ حَلُّـوا مِـنَ ٱلشَّـرَفِ ٱلْمُعَلَّـىٰ   وَمِـنْ حَسَـبِ ٱلْعَشِيـرَةِ حَيْـثُ شَـاؤُوا[5]

= اسمه ، وجرى كلام حول صحة ومصداقية هـٰذه الرحلة ، لـٰكن الشيخ محمد بن عوض بافضل أوردها بتمامها في نهاية « صلة الأهل » ، وعضّدها بكونها قرئت على مولانا الحبيب أحمد بن حسن العطاس فأيدها ، ينظر « الصلة » (٣٢٦ـ٣٤٢) .

(١) هو الإمام عبد الله بن أبي بكر السكران ، تقدم ذكره في عدة مواضع ، توفي سنة (٨٦٥هـ) ، وتنظر أعماله وأحواله ومجاهداته في « المشرع الروي » ، « الغرر » ، « فتح الرحيم الرحمـٰن » في مناقبه لتلميذه السيد عمر بن عبد الرحمن صاحب الحمراء ، ومؤلفات آل العيدروس المتقدم ذكرها في سير أهلهم وآبائهم رضي الله عنهم .

(٢) البيت من الطَّويل ، وهو لأبي تمّام في « ديوانه » (١/١٢٦) .

(٣) العلامة الجليل الشأن ، رفيع المقدار ، مولده بتريم سنة (١٠٤٤هـ) ، وبها وفاته سنة (١١١٢هـ) أو (١١١٠هـ) ، كان من أقران الإمام الحداد ، وقرأ هو وإياه « المختصر الكبير » على السيد عبد الرحمن بن عبد الله باهارون .

(٤) الإمام وجيه الدين ، المعروف عند أهل تريم بعلاَّمة الدنيا ، ولد بتريم سنة (١١٠١هـ) ، وتوفي بها سنة (١١٦٣هـ) . ونبغ في العلوم وقرأ بالعشر جمعاً وإفراداً ، وسمع وأجيز وحدث وأجاز ، وصنف الكتب المفيدة النافعة .

(٥) البيتان من الوافر ، وهما لدِعْبل الخزاعي .

فَلَــوْ أَنَّ ٱلسَّمَــاءَ دَنَــتْ لِمَجْــدٍ ... وَمَكْــرُمَــةٍ دَنَــتْ لَهُــمُ ٱلسَّمَــاءُ

ومِنْ أَواخِرِهم بتريم : شيوخُ مشايخِنا ؛ كٱلسَّادةِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينِ بلفقيهِ[1] ، وعبدِ ٱللهِ بنِ أَبي بكرٍ عيديد[2] ، وعبدِ ٱللهِ بنِ عليٍّ بنِ شهابٍ[3] ، وأَحمدَ بنِ عليٍّ ٱلجنيدِ[4] .

ومِنْ أَواخِرِهم : مفتي ٱلدِّيارِ ٱلحضرميَّةِ ، شيخُنا ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ ، صاحبُ ٱلمؤلَّفاتِ ٱلفائقةِ ، عَبْدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ مُحَمَّدٍ ٱلمشهورُ[5] ، ٱلمتوفَّىٰ بتريم (١٥) صفر سَنةَ (١٣٢٠هـ) ؛ فإِنَّهُ ومَنْ سبقَهُ مِنْ شيوخهِ ومشايخِهم بتريم لَكَما قالَ ٱلمتنبِّي [في « العُكبريّ » ٢/ ١٧١ مِنَ ٱلكاملِ] :

نُسِقُــوا لَنَــا نَسْــقَ ٱلْحِسَــابِ مُقَــدَّمَــا ... وَأَتَــىٰ فَــذَلِـكَ إِذْ أَتَيْــتَ مُــؤَخَّــرَا[6]

---

(١) الفقيه الحبر ، مفتي حضرموت ، ولد بتريم سنة (١١٨٩هـ) ، تفقه بأبيه ولازمه حتى توفي سنة (١٢١٧هـ) ، وأخذ عن جمع من علماء تريم ، انظرهم في « عقد اليواقيت » : (١/ ١٣٠ـ١٥٠) ، توفي عشية الأربعاء (١٨) ذي القعدة (١٢٦٦هـ) . وترك مصنفات جامعة .

(٢) العالم الناسك الجليل ، مولده بتريم سنة (١١٩٥هـ) ، وبها وفاته سنة (١٢٥٥هـ) ، أخذ عن جملة من أجلاء عصره ، وعنه أخذ ابن أخته السيد أحمد بن علي الجنيد وترجم له في إجازته للإمام الأبر كما في « عقد اليواقيت » (١/ ١٢٥) .

(٣) السيدُ الفقيهُ العالم الصالح ، أحد العبادلة السبعة بحضرموت ، مولده بدَمّون سنة (١١٨٧هـ) ، وبها وفاته سنة (١٢٦٥هـ) ، من شيوخ صاحب « العقد » ، وترجمته فيه ضافية (١/ ١١٢ ـ ١١٩) فنحيل القارىء عليها ، وله مؤلفات وآثار مكتوبة .

(٤) الحبيب العلامة المتفنن المقرىء المسند ، مولده بتريم سنة (١١٩٥هـ) ، وبها وفاته في (٢) شوال سنة (١٢٧٥هـ) ، أخذ عن أئمة عصره ، ترجَمَتُه في « عقد اليواقيت » (١/ ١٢٣ـ١٢٧) ، لتلميذه الإمام الأبر ، وأفرده بالتصنيف السيد العلامة عبد الرحمن بن عبد القادر بن عمر الجنيد نزيل (دار السلام) عاصمة تنزانيا في مجلَّدٍ حافل ، وضم إليها تراجم أعلام أسرتهم المباركة ، وقد طبع بسنغافورة بعنوان : « العقود العسجدية » .

(٥) الإمام الحبر الفقيه العلامة الورع ، مولده بتريم سنة (١٢٥٠هـ) ، وبها وفاته في (٦) صفر (١٣٢٠هـ) ، كما في « الشجرة » . وفي « منحة الإله » : (١٧) صفر . أفرده بالترجمة ابنه الورع الصالح الحبيب علي بكتاب سمّاه : « شرح الصدور » ، منه نسخٌ بتريم ، وكان صاحب الترجمة مرجع أهل حضرموت قاطبة في الفقه ونوازل الأحوال ، وله مصنفات جليلة شاهدة بعلو كعبه .

(٦) المعنىٰ كما قال الواحدي : (جُمع لنا الفضلاءُ في الزّمان ، ومضوا متتابعين متقدِّمين عليك في =

وقد كانَ بطلاً شجاعاً ، يباشرُ إبطالَ ٱلباطلِ بنَفْسهِ ، ولا يخافُ في ٱللهِ لومةَ لائمٍ ، فرُزِىءَ ٱلإسلامُ بهِ رُزْءاً أليماً ، وفَقَدَتْ تريمُ بفَقْدِهِ رُكْناً عظيماً ، وكانَ ـ وٱللهِ ـ كما قالَ ٱلأَفْوَهُ ٱلأَوديُّ [مِنَ ٱلوافر] :

لَقَدْ أَبْقَىٰ مَكَانُكَ فِي لُؤَيٍّ ... وَآلِ مُحَمَّدٍ خَلَلاً مُبِينَا
فَآنَسَ شَخْصُكَ ٱلْجَدَثَ ٱلْمُعَفَّىٰ ... وَأَوْحَشَ قَبْرُكَ ٱلْمُتَهَجِّدِينَا

إذ كانَ آخِرَ مَنْ يُستحيىٰ منهُ ، فٱنفتحَ بإثْرِهِ للمَلاَوِم ٱلبابُ ، ولَم يُخفْ مِنها عتابٌ ، وخرجَ ٱلأمرُ عنِ ٱلحِسَابِ ، ونجمتِ ٱلقرونُ[١] ، وتطلَّعتِ ٱلضِّبابُ[٢] .

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَيْنَمَةٌ ... لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكْثُرِ ٱلْخُطَبُ[٣]

وتَواترَ عنهُ أنَّهُ لم يتركِ ٱلجماعَةَ في أوَّلِ ٱلوقتِ أربعينَ سنةً ، وعند هٰذا ذَكَرْتُ ما أخرجَهُ أبو نُعَيمٍ [٥/ ٥٠] بسندِهِ إلىٰ يحيى ٱلقطَّانِ قالَ : كانَ ٱلأعمشُ مِنَ ٱلنُّسَّاكِ ، وكانَ محافظاً على ٱلصَّلاةِ في ٱلجماعةِ وعلى ٱلصَّفِّ ٱلأوَّلِ .

وبهِ إلىٰ وكيعٍ قالَ : كانَ ٱلأعمشُ قريباً مِن سبعينَ سنةً لم تَفُتْهُ ٱلتَّكبيرةُ ٱلأولىٰ . أمَّا شيخُنا . . فلا يُتَصَوَّرُ أَنْ تفوتَهُ ٱلتَّكبيرةُ ؛ لأنَّه طيلةَ أيَّامِهِ إمَامٌ .

وكانَ ٱلمرشَّحَ لرئاسةِ ٱلعِلْمِ بعدَهُ ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلمشهورُ[٤] ،

= الوجود ، فلمَّا أتيت بعدهم . . كان فيك من الفضل ما كان فيهم ؛ مثل الحساب ، يذكر تفاصيله أوَّلاً ، ثمَّ تجمل تلك التَّفاصيل ، فيكتب في آخر الحساب ، وكذلك أنت ، جمع فيك ما تفرَّق من الفضائل والعلم والحكمة) .

(١) نجمت : ظهرت وطالت .

(٢) جمع ضبٍّ ، لأنها تختبىء في الجحور حتى تأمن من عدم وجود أحد .

(٣) البيت من البسيط .

(٤) هو الشريف المنيف العلامة المسند الرحالة المتفنن الداعية . . علوي بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد المشهور . . آل شهاب الدين ، ويخطىء البعض فيظنونه ابن مفتي تريم ، والحال أنه من أبناء عمومته ، ولد بتريم سنة (١٢٦٢هـ) ، وبها توفي سنة (١٣٤١هـ) ، رحل إلى العديد من البلدان داعياً إلى الله ومذكراً ، وقد جمع ترجمته وألف عن حياته وأسفاره وشيوخه . . حفيد ابنه ، السيد الداعي إلى الله أبو بكر بن علي بن أبي بكر بن علوي المشهور حفظه الله في كتاب سمّاه « لوامع النور »=

ولـٰكنَّهُم دفعوهُ عنها بٱلرَّاحِ[1] وتعصَّبوا عليهِ ، ونادَوا بٱلقانتِ ٱلأوَّابِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلمشهورِ[2] خليفةً عن والدهِ في ٱلدُّروسِ ، فقامَ بها ، ولـٰكنْ كانَ حظُّهُ مِنَ ٱلعبادةِ وٱلزَّهادةِ أوفرَ مِنَ ٱلعِلْمِ ، توفِّيَ سَنةَ (١٣٤٤هـ) .

وممَّا كنتُ أستخرجُ بهِ ٱلعجبَ وٱلاعتبارَ ممَّنْ يَحضرني : أنَّني شهدتُ موسمَ زيارةِ نبيِّ ٱللهِ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ سَنةَ (١٣٤٠هـ) ، وكانَ حَفْلاً عظيماً ، حضرَهُ ٱلوالدُ ٱلمفضالُ مصطفىٰ بنُ أحمدَ ٱلمحضارُ في جماعةٍ مِنْ أهلِ دوعن ، ومعَ أنَّ أكثرَ ٱلخَطابةِ إليَّ في تلكَ ٱلمحافلِ ٱلشَّريفةِ . . لا أجلسُ أنا وٱلأخُ ٱلفاضلُ عبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ ٱلشَّاطريُّ إلاَّ في ٱلأطرافِ ؛ لكثرةِ ٱلأجلاَّءِ مِنَ ٱلأشياخِ ، وأكثرُهُم مِنَ ٱلغنَّاءِ تريم . ثمَّ شهدتُهُ في سَنةِ (١٣٥٠هـ) فكنتُ أنا وٱلأخُ عبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ في ٱلصَّدْرِ ، وبهِ ذكرتُ أنَّ بعضَ فقهاءِ ٱلشَّافعيَّةِ جلسَ مجلسَ شيوخهِ ، فأطالَ ٱلوقوفَ بٱلبابِ يبكي ، ثمَّ أنشدَ [مِنَ ٱلكامل] :

خَلَتِ ٱلدِّيارُ فَسُدْتُ غَيْرَ مُسَوَّدِ وَمِنَ ٱلشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بِٱلسُّؤْدُدِ[3]

وجرتْ بينَ شيخِنا ٱلعلاَّمةِ علويِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلمشهورِ ، وبينَ علماءِ تريم بمَنْ فيهِم مِنْ تلاميذهِ مناقضاتٌ في عدَّةِ مسائلَ .

مِنها : ما إذَا قالَ رجلٌ : أنفِقْ علىٰ أهلِ بيتي . ولَم يَقُلْ : علىٰ أنْ ترجعَ عليَّ . وطالَ ٱلنِّزاعُ في ذلكَ ، وأصْفقوا علىٰ خلافهِ ، وساعدَهُم عليهِ طلبةُ ٱلعلمِ بسيئون ، وهوَ مصمِّمٌ علىٰ رأيِهِ ، ولا أحفظُ حاصلَ ذلكَ .

= في ثلاثة أجزاء ، طبع الأولان في مجلّدٍ وبقي الثالث مخطوطاً .

(١) الرّاح ـ جمع راحة ـ : باطن اليد .

(٢) ولد الحبيب علي بن عبد الرحمن بتريم في (٢١) ربيع الثاني (١٢٧٤هـ) ، وتوفي في (٩) شوال (١٣٤٤هـ) ، من عُبّاد تريم وزهادها ، له أحوال وأخبار جليلة ، وجمع بعض تلامذته نبذة من كلامه ، وترجمته في مجموع سمّاه : « لَمْعَة النور » .

(٣) انظر القصّة في « شذرات الذهب » (١٧/٢) ، وصاحب القصّة هو شيخ الشّافعيّة ، العلاّمة الشّاشي ، أبو بكر محمّد بن أحمد بن الحسين ، رحمه الله تعالىٰ .

ومِنها : أَنَّ أَخاهُ عمرَ[1] كانَ علىٰ قضاءِ تريم ، فبلغَهُ ثبوتُ شوَّالٍ فصادقَ عليهِ ، وٱمتنعَ شيخُنا عَبْدُ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلمشهورُ مِنَ ٱلموافقةِ ، وتبعَهُ أَهلُ تريم ، ولمَّا عيَّدَ سيِّدُنا علويُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ وصلَّىٰ في ٱلمسجدِ ٱلَّذي بجوارِ بيتهِ لا في ٱلجامعِ . . غاضَبُوهُ وهاجَرُوهُ ، وجرتْ أُمورٌ إِلىٰ أَنْ سوِّيتِ ٱلمسأَلَةُ حَسَبَما في « ٱلأَصلِ » .

ومتىٰ عرفتَ أَنَّ ٱلسَّيِّدَ عمرَ بنَ عبدَ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلمشهورَ كانَ على ٱلقضاءِ بتريم لذلكَ ٱلعهدِ . . فٱعلَمْ أَنَّهُ حكمَ على ٱلسَّيِّدِ علويِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ علويٍّ ٱلكافِ بحبسٍ لأَمرٍ ٱقتضىٰ ذلكَ ، فنُفِّذَ ، ولـٰكنَّهُ ٱضطَغَنها عليهِ ، فكمَنَ لَهُ ليلةً مخرجَهُ آخِرَ ٱللَّيلِ إِلى ٱلمسجدِ ، فضربَهُ بصَمِيلٍ[2] معَهُ ضربةً لَم تُغنِ شيئاً ، فأَخذَ ٱلصَّمِيلَ ـ وكانَ جَلْداً ـ وكادَ أَنْ يَسطوَ بهِ ، ولـٰكنْ كانَ معَ علويٍّ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ سقَّافٍ ٱلجنيدُ ، فتلقَّى ٱلقاضيَ بلَكْمةٍ مِنْ وراءِ أُذنهِ أَلقاهُ بها صريعاً ، فتمكَّنَ علويٌّ مِنْ ضربهِ كيفما أَرادَ .

وفي ٱليومِ ٱلثَّاني أَكثرَ مِنَ ٱلكَتْبِ يستصرخُ ٱلنَّاسَ ويستنجدُ بٱلسُّلطانِ محسنِ بنِ غالبٍ ؛ وظنَّ ٱلنَّاسُ أَنَّ ضربَ ٱلقاضي وٱلجرأَةَ عليهِ سيكونُ وبيلَ ٱلعاقبةِ ، فلَم تحقق في ذلكَ شاةٌ ، وكانَ بعضُه كِياداً للحبيبِ علويِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ؛ إِذ كانَ أَهلُ ٱلثَّروةِ وٱلنُّفوذِ ضِدَّهُ .

ولَم تَطُلْ بعدَها أَيَّامُ ٱلسَّيِّدِ عمرَ ، بل ماتَ وشيكاً رحمةُ ٱللهِ عليهِ ، وتركَ أَولاداً ؛ مِنهُم :

ٱلفاضلُ ٱلذَّكيُّ ٱلنَّبيهُ : عيدروسُ ، محرِّرُ جريدةِ « حَضْرَمَوْتَ »[3] ، ويُعجبني منهُ

---

(١) عمر بن عبد الرحمـٰن المشهور . . العلامة القاضي ، طلب العلم بتريم ، وكان مع أخيه علوي كفرسي رهان ، وله إجازة من العلامة محمد بن عبد الله باسودان ، وله مساع في الخير ؛ منها : إدخال رافعات الماء إلى تريم ، رحل إلى جاوة بعد استقالته من قضاء تريم ، وسكن في بانقيل ، وبها توفي سنة (١٣٢٢هـ) .

(٢) الصميل : الهراوة .

(٣) ولد بتريم ونشأ في حجْر والده قاضي تريم ، واهتم به عمه العلامة علوي ، وأخذ عن علماء تريم ، ثم هاجر إلى سنغافورة ، وعمل بها في التجارة ، وأسس جريدته المشهورة : « حضرموت » سنة (١٣٤١هـ) ، وكان صدور أول عدد منها الخميس (٧) ربيع الثاني (١٣٤١هـ) ، واستمرت (١١)=

رقَّةُ طبعهِ ، وسلامةُ ذوقهِ ، وحُسنُ تأثُّرهِ ببليغِ ٱلكلامِ ، وإنْ لَم أكُنْ راضياً عن كثيرٍ ممَّا بجريدتهِ .

وشبيهٌ بقصَّةِ ٱلقاضي معَ علويٍّ ٱلكافِ ما ذكرَهُ ٱبنُ حجرٍ في ترجمةِ كثيِّرِ بنِ شهابٍ مِنَ « ٱلإصابةِ » [٥/٥٧١] : (عنِ ٱلمرزُبانيِّ : أنَّهُ ضربَ عبدَ ٱللهِ بنَ ٱلحجَّاجِ بنِ ٱلمحصنِ في ٱلخمرِ ، فلَم يَكُنْ مِنْ عبدِ ٱللهِ إلاَّ أنْ جاءَ ليلاً إلىٰ كثيِّرٍ فضربَهُ علىٰ وجههِ ضربةً أثَّرتْ فيهِ ، ثمَّ هربَ) .

أمَّا علويٌّ . . فلَم يَهربْ ، ولٰكنَّ ٱلقاضي هربَ ـ إذ عزَّةُ ٱلإنصافُ في ٱلدُّنيا ـ إلى ٱلآخرَةِ يَطلبُهُ فيها ، وعندَ ٱللهِ تجتمعُ ٱلخصومُ .

وذكرَ أبو ٱلعبَّاسِ ٱلمبرِّدُ في « ٱلكاملِ » [٢/٥٦٢] : (أنَّ رجلاً مِنَ ٱلأعرابِ تقدَّمَ إلى ٱلقاضي سوَّارِ بنِ عبدِ ٱللهِ في أمرٍ ، فلَم يُصادفْ عندَهُ ما يُحبُّ ، فٱجتهدَ فلَم يَظفرْ بحاجتهِ ، قالَ : فقالَ ٱلأعرابيُّ ـ وكانت في يدهِ عصاً ـ [مِنَ السَّريع] :

رَأَيْتُ رُؤْيَا ثُمَّ أَوَّلْتُهَا وَكُنْتُ لِلأَحْلاَمِ عَبَّارَا
بِأَنَّنِي أَخْبِطُ فِي لَيْلَتِي كَلْباً فَكَانَ ٱلْكَلْبُ سَوَّارَا

ثمَّ ٱنهالَ بعصاهُ علىٰ سَوَّارٍ فلمْ يَزلْ يَضْربُهُ حتَّىٰ مُنِعَ منهُ ، فما عاقبَهُ سوَّارٌ بشيءٍ) .

وكانَ ٱلسَّيِّدُ علويٌّ ٱلمشهورُ شهماً وقوراً ، ركينَ ٱلمجلسِ ، جميلَ ٱلشَّارةِ ، عذبَ ٱلكلامِ ، كثيرَ ٱلرِّحلاتِ إلى ٱلحجازِ وٱلهندِ وٱلسَّواحلِ ٱلأفريقيَّةِ ومصرَ وجاوة ، وفيها جرت لَهُ قضيَّةٌ معَ شيخِنا ٱلوالدِ عثمانَ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عقيلٍ ؛ وذلكَ أنَّهُ أثنىٰ عليهِ بحضرةِ ٱلمستشرقِ ٱلهولنديِّ ٱلمسمَّىٰ (سنوك)[1] فرغبَ في ٱلاجتماعِ بهِ ، ولمَّا حضرَ

= سنة كاملة إلى عام (١٣٥٢هـ) . وكانت وفاته بإندونيسيا سنة (١٣٨٤هـ) .

(١) هو مستشرق هولندي ، اشتهر بسنوك ، واسمه الكامل كرستيان سنوك هرخونيه ، ولد سنة (١٢٧٣=١٨٥٧م) ، ومات سنة (١٣٥٥هـ=١٩٣٦م) . تعلم في ليدن وستراسبورج ، ودخل الحجاز وأقام بجدة أشهراً ، وتسمّى بعبد الغفار ، ودخل مكة ، وكتب دراسات ضافية عن علماء جاوة المقيمين بها ، وكان جلوسه في « سوق الليل » لمدة (٥) أشهر . ثم بعد انكشاف أمره . . سار إلى بتاوي ومكث بها (١٧) سنة . ثم عاد إلى بلاده وعين أستاذاً للعربية بجامعة ليدن ، ثم مستشاراً في =

ٱلهولنديُّ إلىٰ منزلِ ٱلسَّيِّدِ عثمانَ لِلميعادِ . . تأَخَّرَ ٱلسَّيِّدُ علويٌّ ، وكانَ أشارَ عليهِ بعضُ أصحابهِ أَنْ لا يذهبَ ، فغضبَ ٱلمستشرقُ وكادَ يُسيءُ ٱلظَّنَّ بٱلسَّيِّدِ عثمانَ ، وكانتِ ٱلنَّتيجةُ أَنْ نُفيَ ٱلوالدُ علويٌّ مِنْ جاوة بعدَ أَن دُعيَ للمحكمةِ مِراراً ، وأُوذيَ بطولِ ٱلانتظارِ ، ٱلَّذي لا تحتملُهُ قلوبُ ٱلأَحرارِ .

ولَهُ مؤَلَّفاتٌ وأَشعارٌ ونظمٌ لمولدِ ٱلنَّبيِّ ٱلشَّريفِ[1] ، توفِّيَ أَوَّلَ سَنةِ (١٣٤١هـ) .

ومِنْ أُدباءِ تريم وعلمائها : ٱلذَّكيُّ ٱلنَّبيهُ ، ٱلسَّيِّدُ حسنُ بنُ علويِّ بنِ شهابٍ[2] ، وقد لَقِيَ ٱمتحاناً ؛ مِنه : أَنَّهُ علَّقَ طلاقَ نسائِهِ بتعليقٍ كانَ ٱلأَصحُّ ٱنحلالَهُ ، فأَجْرَوهُ عليهِ وأَخذوهُ بهِ ، حَسَبَما فُصِّلَ بـ« **ٱلأَصلِ** » .

ومِنه : أَنَّهُم قَطعوا أُذنَ حمارِهِ ، ولَطَّخوا بابَ بيتِهِ بٱلعَذِرةِ ، فذهبَ مُغاضباً إلىٰ سنغافورةَ ، وأَنشأَ قصيدةً يتذمَّرُ فيها ؛ مِنها قولُهُ [مِنَ ٱلخفيفِ] :

وَعَلَيْـــكِ ٱلسَّـــلامُ طَيْبَـــةُ مِنِّـــي ... وَعَلَيْـــكِ ٱلـــدَّمَـــارُ يَـــا حَضْـــرَمَـــوْتُ

وقدِ ٱستعانَ في هٰذهِ ٱلقصيدةِ بجملةِ أَبياتٍ مِنْ قصيدةٍ لِلجخَّافِ ٱليمانيِّ ، أَحدِ شعراءِ « ٱليتيمةِ » .

وفي سَنةِ (١٣٢٠هـ) كانَ موجوداً بتريم ، وكانَ والدي ـ رضوانُ ٱللهِ عليهِ ـ موجوداً بها لِلتَّعزيةِ بسيِّدي عيدروسِ بنِ علويٍّ ٱلعيدروسِ ، فبينا والدي يتكلَّمُ في ٱلحثِّ على ٱلجدِّ في شوَّال قريباً منهُ في رمضانَ ، إذ ربُّ ٱلشَّهرينِ واحدٌ . . تمثَّلَ لَهُ ٱلسَّيِّدُ حسنٌ ـ وكانَ حسنَ ٱلإنشادِ ، فخمَ ٱلأَلفاظِ ، يَملأُ شِدْقيهِ بٱلحروفِ ـ بقولِ

= الأمور الإسلامية والعربية بوزارة المستعمرات الهولندية . من أشهر كتبه : « مكة في القرن التاسع عشر » ، ترجم إلى العربية ونشره نادي جدة الأدبي ، ثم أعيد نشْرُه ضمْنَ فعاليات المئوية ، وغير ذلك . « الأعلام » (٧/ ٢٢١) ، وذكر مصادر متعددة لترجمته .

وجاء في « الجامع » لباامطرف أنه أسلم على السيد عثمان بن يحيى ، وفيه نظر . .

(١) واسمه : « الدرر المنظمة » ، طبع بزنجبار سنة (١٣٣٠هـ) ، ثم في سوريا سنة (١٣٩٤هـ) على يد بكري رجب . « اللوامع » (١/ ١٥٠) .

(٢) مولده بتريم سنة (١٢٦٨هـ) ، وبها وفاته سنة (١٣٣٢هـ) ، وتلقى علومه ومعارفه بها على يد الحبيب عبد الرحمن المشهور وطبقته ، ثم هاجر إلى سنغافورة سنة (١٣٢٠هـ) .

ٱلشَّرفِ ٱبنِ ٱلفارضِ [في « ديوانه » ٨ مِنَ ٱلرَّمَلِ] :

فِــي هَــوَاكُــمْ رَمَضَــانٌ عُمْــرُهُ يَنقضِــي مَــا بَيْــنَ إِحْيَــاءٍ وَطَــيّ

فكادَ والدي يطيرُ كما هيَ عادتُهُ عندَ مِثلِ ذلكَ . ولَهُ في سيِّدي ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ قصائِدُ غرَّاءُ[1] .

وٱلبيتُ في ٱلحقيقةِ جزلٌ تظهرُ بهِ صعلكةُ قولِ ٱلشَّريفِ ٱلرَّضيِّ [في « ديوانِهِ » ٢/٤١٨ مِنَ ٱلوافر] :

إِذَا مَـا ٱلْمَـرْءُ صَـامَ عَـنِ ٱلـدَّنَـايَـا فَكُــلُّ شُهُــورِهِ شَهْــرُ ٱلصِّيَــامِ

وحوالي سَنةِ (١٣٢٤هـ) هجا أَعيانَ ٱلعلويِّينَ بسنغافورةَ ـ لـٰكنْ بٱلتَّعريضِ لا بٱلتَّصريحِ ـ بقصيدةٍ طبعَها ووزَّعها بينَ ٱلنَّاسِ ، وهـٰذا مطلعُها [مِنَ ٱلخفيفِ] :

لاَ تَلُمْهَــا فَــاللُّــؤْمُ مِنْهَــا سَجِيَّــهْ وَهْــيَ بِــالْبَطْــشِ وَالشَّقَــاءِ حَــرِيَّــهْ

وكانَ ٱلصَّدرُ ٱلشَّهمُ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ عليٍّ ٱلسَّقَّافُ أَحدَ أَغراضِ سهامِ تعريضهِ ومطاعنهِ ، وبما أَنَّهُ لَم يَكُنْ يدري ٱلشِّعرَ ـ كقضيَّةِ ٱلعينيِّ معَ ٱلحافظِ ٱبنِ حجرٍ ـ طافَ مَقَاوِلَ ٱلشُّعراءِ ، فاشتدَّتِ ٱلرَّجَّةُ ، وعَظُمتِ ٱلضَّجَّةُ ، إِلاَّ أَنَّ صاحبنا ٱلسَّيِّدَ عليَّ بنَ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ سهلٍ[2] ، ٱلمتوفَّىٰ بتريمَ سَنَةَ (١٣٤٩هـ) أَقذعَ في ٱلجوابِ بما لا حاجةَ إِليهِ .

وأَمَّا ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافُ . . فٱستعانَ بي ، ولـٰكن لم تكنِ ٱلمستأْجرةُ كٱلثَّكلىٰ ، وإِنَّما كنتُ لهُ كما كانَ متمِّمٌ في رثاءِ زيدِ بنِ ٱلخطَّابِ ، ومطلعُ قصيدتي [مِنَ ٱلخفيفِ] :

هَــوِّنِــي أَيُّهَــا الطَّمُــوحُ ٱلأَبِيَّــةْ مَــا لَقِيتِــي مِــنَ ٱلْعَنَــا وَٱلأَذِيَّــةْ

وٱتَّفقَ أَنْ أَجازَ أُدباءُ حَضْرَمَوْتَ لذلكَ ٱلعهدِ ـ ومنهُم : كاتبُ هـٰذا ، وٱلسَّيِّدُ

---

(١) وهي برمتها في « الشعراء » (٥/٢٦ـ٢٧) .

(٢) مولده بتريم سنة (١٢٦٥هـ) ، ووفاته كما ذكر المؤلف . ترجمته في : « تعليقات ضياء شهاب » (٢/٤٨٧) .

عبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ ٱلشّاطريُّ ، وٱلسَّيِّدُ حسنُ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلكافُ ، وٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ باكثير ـ أَبياتاً للشَّيخِ بكران باجَمّال[1] ، فلامَهُمُ ٱلسَّيِّدُ حسنُ بنُ شهابٍ ، ولَم يُحبَّ ٱتِّصالَ كلامِهِم بكلامِهِ ، وقرَّعَهُم علىٰ ذلكَ بشديدِ ملامِهِ ، ونقدَ أَبياتَ باجَمّال برسالةٍ مختصرةٍ ، أَنشأَ يقولُ فيها [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَقَـائِلَـةٍ مَـاذَا لَـهُ أَنْـتَ شَـارِحٌ فَقُلْتُ لَهَا : شِعْراً ، فَقَالَتْ : لِمَنْ يُعْزَىٰ
فَقُلْتُ : لِبَاجَمَّالَ ، قَالَتْ : فَقُلْ لَهُ : فَقُلْتُ لَهَا : مَاذَا؟ فَقَالَتْ : بِهِ يُخْزَىٰ

وفي حدودِ سَنةِ (١٣٢٣هـ) نشرَ رسالتَهُ ٱلمسمَّاة : « نحلةُ ٱلوطنِ »[2] ، وفيها ٱنتقاداتٌ ٱستثنىٰ مِنها بعضَ ٱلمشهورينَ بٱلعِلْمِ وبعضَ أَهلِ ٱلثَّروةِ ، فأَثارتْ عليهِ غضباً ، حتَّىٰ لقد يشفعُ ٱلنُّسخةَ ٱلَّتي أَرسلَها مِنها لوالدي برسالةٍ خصوصيَّةٍ ، فأَمرني بٱلجوابِ لِشكوٍ أَلَمَّ بهِ ، ففعلتُ ، ولمَّا نشرَ رسالتي بمجلةِ « ٱلمنارِ » . . عَدُّوا ذلكَ عليَّ مِنْ كبائرِ ٱلذُّنوبِ ؛ لأَنَّهُم كانوا يتقارضونَ ٱلثَّناءَ معَ ٱلعلاَّمةِ ٱلنَّبهانيِّ[3] ، وقد أَوْجَرَهم[4] بغضَ ٱلإِمام مُحَمَّد عبدُه وتلميذِهِ صاحبِ « ٱلمنارِ » ، وجرَتْ لي معَهُم بهٰذا ٱلشَّأْنِ محاوراتٌ وأَخبارٌ .

وكانَ هوَ وٱلسَّيِّدُ ٱلجليلُ مُحَمَّدُ بنُ عقيلٍ علىٰ رأْيٍ واحدٍ ، ثمَّ نزغَ بينَهُما ٱلشَّيطانُ بٱلآخرةِ ، وتشاتما هٰذا بجريدةِ « ٱلوطنِ » وذاكَ بجريدةِ « ٱلإِصلاحِ » و« ٱلحسامِ » .

---

(١) الشيخ الفاضل الأديب بكران بن عمر بن بكران بن زين باجَمَّال ، مولده بالغرفة سنة (١٢٨٩هـ) ، ووفاته بتريم سنة (١٣٣٧هـ) ؛ إذ بارح سيئون بعد وفاة شيخه الحبيب علي الحبشي وانتقل إلى تريم . « تاريخ الشعراء » (٥/ ١٣١) .

(٢) اسمها كاملاً : « نِحْلة الوطن في استنْهاضِ هِمم ذوي الفِطَن ومن به قَطَن » ، فرغ منها سنة (١٣٢٣هـ) ، تقع في (٤١) صفحة ، وقد كتب عنها السيد عبد الله محمد الحبشي مقالةً في كتابه : « أوليات يمانية » .

(٣) يعني به حسان العصر الشيخ العارف الرباني يوسف بن إسماعيل النبهاني البيروتي ، المولود سنة (١٢٦٥هـ) ، والمتوفى سنة (١٣٥٠هـ) ، صاحب المؤلفات الجليلة في الجناب النبوي المعظم ، الفائقة النظير ، ترجمته معروفة وأخباره مشهورة ، وكان محباً للسادة آل باعلوي ومعظماً لهم ، وله إجازة عظيمة من الإمام أحمد بن حسن العطاس أوردها برُمَّتها في « جواهر البحار » آخر الجزء الثاني .

(٤) أي : أشربهم ، مأخوذ من وَجَرَه الدواء إذا سقاه إياه بالقوة .

ومِنَ ٱللَّطائفِ : أَنَّ ٱلسَّيِّدَ مُحَمَّدَ بنَ حسنِ عيديد[1] كانت لهُ خؤولةٌ مِن آلِ يحيىٰ ، وعندما قدمَ علىٰ أَميرِ سومطرةَ . . لَم يَلتفتْ إِليهِ ، وبينا هوَ هناكَ . . بعثَ لَهُ ٱلسَّيِّدُ حسنُ بنُ شهابٍ عدداً مِنْ « جريدتهِ » يقولُ فيهِ : إِنَّ سيلاً هائِلاً خَرَجَ مِنْ وادي عيديد ، فهوَىٰ بدارِ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ علىٰ أُمِّهِ وأَهلهِ وأَولادهِ ، يريدُ أَنْ يحرقَ قَلْبَهُ بذلكَ ؛ لأَنَّ أُمَّهُ مِنْ آلِ يحيى ٱبنةَ عمِّ ٱلسَّيِّدِ ابنِ عقيلٍ ، ولـٰكنَّ ٱلخبرَ قدِ ٱنتهىٰ إِلى ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ حسنِ عيديد بحصولِ غيثٍ هنيٍّ لا ضررَ فيهِ ولا عيث ، فسُرَّ بٱلجريدةِ ، وذهبَ بها إِلى ٱلأَميرِ يعْصِرُ عينيهِ ، فرقَّ لَهُ وأَكرمَهُ بأَضعافِ ما يؤمِّلُ ، فما كادَ يصلُ إِلىٰ سنغافورةَ . . إِلاَّ وخفَّ إِلىٰ بيتِ ٱلسَّيِّدِ حسنِ بنِ شهابٍ يُخبرُهُ ويَشكرُهُ ، ويقولُ لَهُ ما معناهُ : أَردتَ مساءَتي فٱجتلبتَ مسرَّتي .

. . . . وَقَدْ يُحْسِنُ ٱلإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَدْرِي

ولمَّا نشرَ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ عقيلٍ « نصائِحَهُ » . . ردَّ عليهِ ٱلسَّيِّدُ حسنٌ بـ « ٱلرُّقيةِ ٱلشَّافيةِ » ، ونقضَها عليهِ شيخُنا ٱلإِمامُ أَبو بكر بنُ شهابٍ برسالةٍ سمَّاها : « وجوبُ ٱلحمية من مضارِّ ٱلرُّقية » ، وٱتَّفقَ أَنْ كانَ ٱلأَديبُ ٱلسَّيِّدُ عقيلُ بنُ عثمانَ بنِ يحيىٰ بسنغافورةَ فضمَّهُم حفلٌ ـ وفي صحَّةِ ٱلسَّيِّدِ عقيلٍ ٱنحرافٌ ـ فأَرادَ ٱلسَّيِّدُ حسنٌ أَنْ يُحرِّكَ ٱلموقفَ ٱلَّذي شملَهُ ٱلعبوسُ مِن ٱجتماعِ ٱلأَضدادِ ، فقالَ لعقيلٍ : لعلَّ ٱلعلاجَ نفعكَ ؟ فقالَ : لا ، ولـٰكنْ نفعتني ٱلحميةُ . فوجمَ لَها ٱلسَّيِّدُ حسنٌ ، وتغامزَ ٱلقومُ .

وما كانَ ردُّ ٱلسَّيِّدِ حسنٍ بـ« ٱلرُّقيةِ » عن ضميرٍ وٱعتقادٍ ، ولـٰكنْ لمَّا كانتِ « ٱلنِّحلةُ » أَثارتْ عليهِ بعضَ ٱلسَّخطِ . . أَحبَّ أَنْ يَغسلَهُ بـ« ٱلرُّقيةِ » .

ولهُ مدائحُ في سيِّدنا ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ ، مطلعُ إِحداهنَّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

---

(١) مولده بتريم سنة (١٢٩٠هـ) ، وبها وفاته سنة (١٣٦١هـ) ، كان عالماً فاضلاً ، طلب العلم بتريم ، وله اعتناء بالأخذ عن الشيوخ ، وقد ضمّهم في « ثبت » كبير جمعه له تلميذه ومحبه القاضي مبارك باحُرَيش وسمّاه : « إتحاف المستفيد بذكر من أخذ عنهم وواخاهم السيد محمد بن حسن بن أحمد عيديد » ، يقع في (٤٤٠) صفحة مع فهارسه . وجمع عنه نبذةً في ترجمته وأخباره القاضي المذكورُ وسمّاها : « البلبل الغرِّيد » تقع في (٥٨) صفحة .

يُحَدِّثُ عَنكَ ٱلْوَقْتُ أَنَّكَ صَاحِبُهْ ... فَلاَ غَرْوَ إِنْ شُدَّتْ إِلَيكَ رَكَائِبُهْ

ولَهُ مدائحُ في عالِمِ حَضرَمَوْتَ على ٱلإطلاقِ ٱلسَّيِّدِ أَبي بكرِ بنِ شهابٍ ؛ مِنها قصيدةٌ سيَّرها إليهِ إلى ٱلهندِ ، يقولُ فيها [منَ ٱلخفيفِ] :

تَرْجُمَانُ ٱلْعَوِيصِ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ ... بِدَقِيقِ ٱلْمَدَارِكِ ٱلْمَرْضِيَّهْ

ذَاكَ شِبْلُ ٱلْغَنَّا أَبُو بَكْرٍ ٱلْحَا ... وِي بِرَغْمِ ٱلْعِدَا لأَسْنَىٰ مَزِيَّهْ

وَرِثَ ٱلْمَجْدَ تَالِداً وَطَرِيفاً ... بِطَرِيقِ ٱلتَّعْصِيبِ وَٱلْفَرْضِيَّهْ

ومنها :

عُدْ إِلَى ٱلسَّفْحِ بِٱلنُّعَيرِ مِنَ ٱلْغَنَّـ ... ـاءِ وَٱغْنَمْ مِنَ ٱلزَّمَانِ ٱلْبَقِيَّهْ

وَتَدَارَكْ تَرِيمَ مِمَّا عَرَاهَا ... فَهْيَ أَمْسَتْ بِحَالَةٍ وَحْشِيَّهْ

فَهْيَ فِي حَاجَةٍ إِلَيْكَ وَعَنْ مِثْـ ... ـلِكَ يَا بْنَ ٱلْكِرَامِ لَيْسَتْ غَنِيَّهْ

وَلَئِنْ صَالَتِ ٱلزَّعَانِفُ فِيهَا ... إِنَّمَا هُمْ سَحَابَةٌ صَيْفِيَّهْ

يَا أَبَا ٱلْمُرْتَضَىٰ وَيَا ٱلْحَكَمُ ٱلْمَرْ ... ضِيَ وَنَجْلَ ٱلرِّضَا وَذَا ٱلأَرْيَحِيَّهْ

قَدْ حَدَانِي إِلَيْكَ فَضْلُكَ وَٱلْعَهْـ ... ـدُ وَنَفْسٌ مَشْغُوفَةٌ وَوَفِيَّهْ

شَطَّ مِنْهَا مَزَارُهَا وَرَمَاهَا ... حَظُّهَا بَيْنَ أُمَّةٍ هَمَجِيَّهْ

جَمَعَ ٱللهُ شَمْلَنَا بِتَرِيمٍ ... وَحَبَانَا بِسَوْحِهَا ٱلأُمْنِيَّهْ

وببقائي علىٰ صداقةِ ٱلعلاَّمةِ ٱبنِ عقيلٍ تحرَّشَ بيَ ٱلسَّيِّدُ ٱلحسنُ ، فجرتْ ليَ معَهُ مناقضاتٌ كانت كِفَّتي فيها ٱلأرجح ، إلاَّ أَنَّني أَقْذَعْتُ لَهُ في بعضِ ٱلقصائدِ وٱلمقالاتِ ممَّا أَخجلُ مِنْ ذِكرهِ ؛ إِذ لَم يَكُنْ إلاَّ في نزوةِ ٱلشَّبابِ وجماحِ ٱلطَّبيعةِ ، وكانَ لَهُ ٱلفضلُ إِذ بدأَني بٱلمصالحةِ ، وتمثَّلَ ليْ بقولِ ٱلمتنبِّي [في « ٱلعُكبَريّ » ٤/ ٢٤١ منَ ٱلخفيفِ] :

وَمُرَادُ ٱلنُّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ ... نَتَعَادَىٰ فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَىٰ

وكانَ ـ كما يفهمُ حَسَبَما مرَّ ـ يتقعَّرُ في ٱلإنشاءِ وٱلكلامِ ، إلاَّ أَنَّهُ لا يَثقلُ ظلُّهُ بذلكَ ، وهوَ مِنَ ٱلعلماءِ ، وٱختصاصُهُ بٱلنَّحوِ أَكثرُ .

ولو أَنَّني ٱطَّلعتُ عليها قبلَ ٱلجدالِ حولَ تهنئتي لشيخِنا أَبي بكرِ بنِ شهابٍ . . لساغَ

لي ـ حينَ قالَ : مَن تعني بقولِكَ [مِنَ الطَّويلِ] :

صَفَا ٱلْوَقْتُ حِيناً لِلثَّعَالِبِ وَٱعْتَلَتْ   أَسَافِلُهُ لَمَّا تَنَاءَتْ صُدُورُهُ

ـ أن أقولَ : أعني بهمُ الزَّعانفَ والهمجَ الّذين ذكرتَهم في قصيدتِكَ ، ولـٰكنِّي كنتُ جِدُّ عارفاً بما في « نحلتِه » ، وأنساني الشَّيطانُ أن أذكُرَهُ لهُ يومئذٍ ، غيرَ أنَّ اللهَ أغناني عنهُ بما هوَ أدخلُ في الصَّوابِ ، وأفحمُ في الجوابِ ، وللهِ الحمدُ .

توفِّيَ العلاَّمةُ السَّيِّدُ حسنُ بنُ شهابٍ بتريمَ في سنةِ (١٣٣٢هـ) .

ومِنْ أغنياءِ تريم وأجوادِها : السَّيِّدُ حسينُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ سهلٍ ، لَهُ في السِّياسةِ أمورٌ عظيمةٌ ، وفي السَّماحةِ أخلاقٌ كريمةٌ ، مذكورٌ بعضُها في « **الأصلِ** » .

فَتَىً فَيْصَلِيُّ ٱلْعَزْمِ تَعْلَمُ أَنَّهُ   نَشَا رَأْيُهُ بَيْنَ ٱلسُّيُوفِ ٱلصَّوَارِمِ[1]

أَسَاءَتْ يَدَاهُ عِشْرَةَ ٱلْمَالِ بِٱلنَّدَىٰ   وَأَحْسَنَتَا جِدّاً خِلاَفَةَ حَاتِمِ

توفِّيَ بالشِّحْرِ سَنَةَ (١٢٧٤هـ) .

ومِنْ أغنيائِها ؛ بل أغنىٰ أهلِها على الإطلاقِ : السَّيِّدُ الفاضلُ شيخُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ الكافُ ، كانَ صالحاً متواضعاً ، يُحبُّ العِلْمَ ، لا يكادُ يفوتُهُ شيءٌ مِنْ دروسِ شيخِنا المشهورِ ، وكانَ يحفظُ « الإرشادَ » ، وكتَبَهُ بخطِّ يدِهِ نحواً مِن سبعينَ مرَّةً بالأُجرةِ في أيَّامِ فقرِهِ ، ولَهُ اعتناءٌ بعد غناهُ بقراءةِ « الإحياءِ » بدارِهِ في كلِّ صباحٍ ، يَحضرُهُ ثُلَّةٌ مِنَ المساكينِ فيُقدِّمُ لَهُمُ الفطورَ . ولَهُ خيراتٌ كثيرةٌ ، ومبرَّاتٌ جزيلةٌ ، أوصىٰ بثُلُثِ مالِهِ لِما كانَ يعتادُ مثلَهُ في أيَّامِهِ مِنَ البرِّ ، ومعَ لِينِ جانبِهِ لأهلِ العِلْمِ والدِّينِ . . كانَ شديدَ الشَّكيمةِ على الأُمراءِ والمعتدينَ ، وجرتْ لَهُ معَهُم أُمورٌ مذكورةٌ بـ« **الأصلِ** » .

ولمَّا أنشدتُهُ قولي [مِنَ السَّريعِ] :

يَمُوتُ شَيْخُ ٱلْكَافِ فِي مَالِهِ   كَمَوْتِ بَاحَشْوَان فِي فَقْرِهِ[2]

---

(١) البيتان من الطَّويلِ ، وهما لأبي تمَّام في « ديوانه » (٢/١١٦) . فَيْصَلِي : نسبة إلى الفيصل وهو السَّيف القاطع ؛ أي : عزمه قاطع كالسَّيف .

(٢) باحشوان : يرمز به إلى عامة الناس بحضرموت .

. . طَرِبَ لَهُ وٱستجادَهُ ، وكرَّرهُ وٱستعادَهُ . توفِّيَ بتريم سَنَةَ (١٣٢٨هـ) عن جملةِ أولادٍ ، أنجبهُمْ : حسينٌ ، وعَبْدُ ٱلرَّحمـٰنِ[١] ، وأبو بكرٍ[٢] .

وقد كانَ ٱبنُ عمِّهم حسنُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلكافُ[٣] معدوداً في علماءِ تريم وأُدبائِها ، لَهُ عاطفةٌ جميلةٌ ، وشِعرٌ عذبٌ ، تهزُّ ٱلأريحيَّةُ عودَهُ ، ويَستمطرُ ٱلكلامُ ٱلعذبُ جودَهُ .

ومِن خيرِ ما فيهِ . . عطفُهُ على ٱلعلمِ وأَهلِهِ ، وٱستصغارُهُ نفسَهُ بجنبِ مَن لا يُوزنُ بهِ مِنهم ؛ إذ كانَ وافرَ ٱلحظِّ مِنَ ٱلإنصافِ ، وقد خسرَ ٱلعِلمُ بتريم وغيرِهَا خسارةً كبرىٰ بموتهِ في سَنةِ (١٣٤٦هـ) .

ومِنْ متأخّري علماءِ تريم وأُدبائِها : ٱلسَّيِّدُ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ عوضٍ ٱلشَّاطريُّ[٤] ، ٱلمتوفَّىٰ بها سَنَةَ (١٣٦٠هـ) ، كانَ شهماً ذكياً نبيهاً ، لَهُ فهمٌ وقَّادٌ وفِكرٌ نقَّادٌ ورِثهُما عن جدِّهِ لأُمِّهِ شيخِنا ٱلعلاَّمةِ ٱبنِ شهابٍ ، وكانَ متفنِّناً متواضعاً ، مستقيمَ ٱلسِّيرةِ ، طيِّبَ ٱلسَّريرةِ ، كثيرَ ٱلبحثِ ، جمَّ ٱلتَّحقيقِ ، غزيرَ ٱلاطِّلاعِ .

ولا بأسَ بإيرادِ قضيَّةٍ يشفعُ لِخروجِها عن سمتِ ٱلمقصودِ دلالتُها علىٰ حالةِ ٱلبلادِ في ٱلمباحثِ ٱلعلميَّةِ :

---

(١) ولد عبد الرحمـٰن بن شيخ في سنغافورة سنة (١٣٠٤هـ) ، وقدم إلى تريم سنة (١٣١٠هـ) بصحبة والديه ، ودرس في (معلامة باغريب) ثم أخذ يطلب العلم على شيوخ تريم فقرأ على عدد من الشيوخ ، ثم سافر سنة (١٣٢٥هـ) لإدارة أعمال والده ، توفي في حدود سنة (١٣٧٠هـ) .

(٢) ولد بسنغافورة سنة (١٣٠٥هـ) ، وهو أجل رجال آل شيخ الكاف بجهوده الإصلاحية الجبارة في حضرموت ، ترجم له ضياء شهاب في « تعليقاته » (٢/ ٤١٦ـ٤١٨) .

(٣) ولد السيد الحسن بتريم سنة (١٢٩٧هـ) ، ونشأ يتيماً في حجر أخويه الحسين وعبد الرحمن ، وعمه شيخ ، ونشأ على حب العلم والعلماء ، وشغف بالأدب والشعر ، وحفظ كثيراً من المتون . له مصنفات مفيدة .

(٤) ولد السيد أحمد بن عمر بتريم سنة (١٣١٢هـ) ، نشأ بها وطلب العلم وجد في الطلب ، وكان أخذه عن شيخ عصره العلامة عبد الله بن عمر الشاطري الذي أبنه عند موته بقوله في حقه : إنه شاب لا صبوة له . درّس بمدرسة جمعية الحق ، وأسس في عام (١٣٣٧هـ) « جمعية نشر الفضائل » ، وكانت له آراؤه الإصلاحية ، وله آثار علمية .

فقدِ ٱتّفقَ أَنْ سُئِلتُ عن رجلٍ ماتَ وعليهِ دَينٌ ، وقد أَوصىٰ بوَصايا ، وكانت أُمُّهُ مِنْ ورثتِهِ ، فنذرَتْ بنصفِ ما ٱنجرَّ لَها بٱلإرثِ فيهِ لآخَرَ نذراً معلَّقاً بما قَبْلَ مرضِ موتِها بيومٍ ، ثمَّ ٱنفكَّتِ ٱلتَّركةُ مِنْ حجرِ ٱلدَّينِ وٱلوصيَّةِ .

فأَجبتُ بأَنَّ ٱلأَشْخرَ[1] أَطلقَ صحَّةَ تعليقِ ٱلنَّذرِ بٱلمرهونِ علىٰ صفةٍ توجَدُ بَعْدَ ٱلانفكاكِ ، وهوَ كلامٌ مطلَقٌ ، وقالَ ٱبنُ حجرٍ في « فتاويهِ » : (ويصحُّ ٱلنَّذرُ بٱلمرهونِ ، لـٰكنْ إِنْ علَّقَهُ بٱلفكاكِ كما هوَ ظاهرٌ ؛ لِتعلُّقِ حقِّ ٱلغيرِ بهِ . نعم ، إِنْ كانَ ٱلمنذورُ ٱلعتقَ . . تأَتَّىٰ فيهِ تفصيلُ عتقِ ٱلمرهونِ) اهـ

وفيهِ تقييدٌ لِما أَطلقَهُ ٱلأَشخرُ ، وعليهِ فٱلنَّذرُ ٱلمذكورُ في ٱلسُّؤَالِ لا يصحُّ إِذا كانتِ ٱلتَّركةُ مرهونةً رهناً شرعيّاً حالَ صدورِهِ ؛ إِذ لا تعليقَ فيهِ بٱلفكاكِ ، هـٰذا معنى ٱلجوابِ .

وكانَ ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ عمرَ ٱلشَّاطريُّ قد أَجابَ عن هـٰذا ٱلسُّؤَالِ بصحَّةِ ٱلنَّذرِ إِذا لَم يَبْقَ شيءٌ مِنْ وَصايا ٱلموصي وقتَ وجودِ ٱلصِّفةِ ، وصادقَ عليهِ ٱلعلاَّمةُ ٱلشَّيخُ فضلُ عَرْفان ، ولمَّا ٱنتهىٰ إِليهِم جوابي . . شطبَ ٱلشَّيخُ فضلٌ مصادقتَهُ ، وصمَّمَ ٱلعلاَّمةُ ٱلشَّاطريُّ وكتبَ نحوَ صفحتينِ في ٱلرَّدِّ عليَّ ، ونقَضْتُهُ بأَكثرَ مِنْ ذلكَ .

وبعدَ مدَّةٍ وصلَني ٱلوجيهُ ٱلسَّيِّدُ عَبْدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ شيخٍ ٱلكافُ ، وقالَ ليَ : إِنَّ ٱلسَّيِّدَ أَحمدَ ٱلشَّاطريَّ يريدُ أَنْ ينقضَ كتابتكَ ٱلأَخيرةَ ، ولـٰكنْ يَخشىٰ أَنْ لا تُنصفَهُ .

فقلتُ لَهُ : معاذَ ٱللهِ ، وإِني لأَتمنَّىٰ أَنْ يظهرَ ليَ صوابُ ما يقولُ ؛ ليقعَ ليَ شرفُ ٱلرُّجوعِ إِلى ٱلحقِّ ، ولأَسلَمَ مِنْ تكديرِ خاطرِهِ ؛ لأَنَّهُ كما قيلَ ليَ : سريعُ ٱلانفعالِ مِنْ مثلِ ذلكَ ، فليكتب ما شاءَ ، ثمَّ إِنْ قدرتُ علىٰ ردِّهِ بٱلنَّصِّ مِنْ لسانِ ٱلقلمِ وٱلبريدُ واقفٌ . . فتلكَ أَمارةُ ٱلحقِّ ٱلبريءِ مِنَ ٱلتَّكلُّفِ ، وإِنْ لَم أَقدرْ علىٰ نقضِهِ . . صادقتُ عليهِ معَ ٱلبريدِ نَفْسهِ في ٱلحينِ وٱلسَّاعةِ . وهـٰذا غايةُ ما يمكنُ مِنْ تفسيرِ ٱلإِنصافِ .

---

(١) هو العلامة الفقيه المحقق محمد بن أبي بكر الأشخر اليمني ، مولده سنة (٩٤٥هـ) ، ووفاته سنة (٩٩١هـ) ، من قرية بيت الشيخ بقرب الضَّحي في اليمن ، تفقه في زبيد . له مصنفات نافعة .

فجاءَ في كتابتهِ ٱلأخيرةِ ما نصُّهُ : (وكلُّ ما قالوهُ ونقلوهُ لا دليلَ لَهُم فيهِ . . فاستدلالُهم بهِ غلطٌ واضحٌ ، منشؤه توهُّمهُم أَنَّ مجرَّدَ ٱلتَّعليقِ يُسمَّىٰ تصرُّفاً ، وٱلصَّوابُ خلافُهُ) .

فكتبتُ عليهِ ـ وحاملُ رسالتِهِمُ ٱلمخصوصُ لَها واقفٌ ـ ما معناهُ : لقد أَخذَ ٱلعلاَّمةُ ٱلشَّاطريُّ بطَرَفَي ٱلفَصْلِ ؛ إِذ حصرَ نقطةَ ٱلخلافِ ٱلمنتشرِ ، فلنقفْ عندَها ، ثمَّ إِنْ قدرنا علىٰ نصٍّ صريحٍ في أَنَّ ٱلتَّعليقَ يُسمَّىٰ تصرُّفاً ، وإِلاَّ . . سلَّمنا وسقيناهُ على ٱلظَّفرِ[1] .

لـٰكنْ جاءَ في فصلِ ٱستثناءِ ٱلطَّلاقِ مِنَ « ٱلمنهاجِ » معَ بعضِ مزجٍ مِنَ « ٱلتُّحفةِ » [٦٨/٨] كـ« ٱلنِّهايةِ » [٤٧٠/٦] : (وكذا يَمنعُ ٱلتَّعليقُ بٱلمشيئَةِ ٱنعقادَ وقفٍ وعتقٍ تنجيزاً وتعليقاً ، ويمينٍ ونذرٍ ، وكلِّ تصرُّفٍ غير ما ذكرَ ، مِنْ كلِّ عقدٍ وحلٍّ وإِقرارٍ ونيَّةِ عبادةٍ) اهـ

وتعليقُ ٱلنَّذرِ عَقْدٌ فهوَ داخلٌ في مسمَّى ٱلتَّصرُّفِ ، وقالوا في (ٱلوصيَّةِ) : (إِنَّ ٱلتَّلفُّظَ بٱلوصيَّةِ هوَ ٱلتَّصرُّفُ ، وٱلإِجازةُ حيثُ ٱشترطتْ مِنَ ٱلوارثِ فإِنَّما هيَ تنفيذٌ على ٱلمذهبِ) اهـ وكذلكَ ٱلتَّلفُّظُ بتعليقِ ٱلنَّذرِ هوَ ٱلتَّصرُّفُ .

وفي (ٱلإِقرارِ) مِنَ « ٱلتُّحفةِ » [٣٧٣/٥] و« ٱلنِّهايةِ » [٨٣/٥] : (لَو وهبَ ولدَهُ عيناً وأَقبضَهُ إِيَّاها ثمَّ أَقرَّ بها لآخرَ . قُبل علىٰ ما في « ٱلبيانِ » ، لـٰكنْ بناهُ ٱلأَذْرَعيُّ علىٰ ضعيفٍ هو أَنَّ ٱلرُّجوعَ يحصلُ بمجرَّدِ ٱلتَّصرُّفِ) اهـ

وٱلشَّاهدُ : في تسميةِ ٱلإِقرارِ تصرُّفاً ؛ فإِنَّهُ متىٰ كانَ تصرُّفاً . . كانَ تعليقُ ٱلنَّذرِ أَحرَىٰ بأَنْ يُسمَّىٰ تصرُّفاً ، عندَ ذلكَ ٱنقطعَ ٱلخصامُ وٱنفصلَ ٱلنِّزاعُ .

وجاءَ ٱلعلاَّمةُ ٱلشَّاطريُّ لزيارةِ ٱلطَّبيبِ بسيئون فزارني ، وأَضفتُهُ في ٱليومِ ٱلثَّاني ، وكانَ يوماً سعيداً مشهوداً ، تساقينا فيهِ ٱلسُّرورَ ، وتجاذَبنا أَطرافَ ٱلأُنسِ ، وتنازعنا كأْساً لا لغوٌ فيها ولا تأثيم ، ثمَّ ذهبتُ إِلىٰ تريم ، وجِئْتُ إِلىٰ منزلهِ بعدَ صلاةِ ٱلجمعةِ ،

---

(١) أي : كافأناه على فوزه ونجاحه .

وحضرَ جماعةٌ مِنْ أَهلِ ٱلعِلْمِ وٱلأدبِ ، وعندما ٱنبسطنا وشَرعنا في ٱلمحاوراتِ وٱلنُّكاتِ . . لَم يرُعْنا إلاَّ دخولُ قاضي تريم لذلكَ ٱلعهدِ ٱلسَّيِّدِ علويّ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلجِفْريِّ بهيئةٍ غيرِ عاديَّةٍ ، وما كادَ يضمُّ ثيابَهُ لِلجلوسِ . . حتَّىٰ قالَ : (يا عمّ عبد ٱلرَّحمـٰنِ . . نطلبُ منكَ أَنْ توضحَ لَنا ٱلصَّوابَ في ٱلمسأَلةِ ٱلَّتي ٱختلفتُم فيها أَنتُم وٱلأخُ أَحمدُ ٱلشَّاطريُّ) فدارَ بيَ ٱلفضاءُ ، وأَظلمَ عليَّ ٱلمنزلُ ؛ لأَنِّي وقعتُ بينَ أَمرينِ : إمَّا ٱلتَّعرُّضُ لمشقَّةِ صاحبِ ٱلمنزلِ ، وهوَ عليَّ عزيزٌ . وإمَّا توهُّمُ ٱلحاضرينَ ٱلانقطاعَ ، وهوَ أُمنيةُ ٱلحُسَّادِ ، وأَكثرُهم مِنَ ٱلعلويِّينَ .

فلَم يَكُنْ بُدٌّ مِنْ شرحِ ٱلصَّوابِ معَ بسطِ ٱلعذرِ لِلسَّيِّدِ أَحمدَ بعبارةِ ٱلأَشْخَرِ ٱلَّتي نقلَهَا عنِ « ٱلرَّوضةِ » بما يمنعُهُ كلامُ « ٱلرَّوضِ » و« شرحهِ » ، وهوَ لا يزيدُ علىٰ حسنِ ٱلإِصغاءِ ، إمَّا عن إكرامٍ ليَ ، وإمَّا عنِ ٱقتناعٍ بما قرَّرتُهُ .

ولمَّا شكوتُ صنيعَ ٱلقاضي إلىٰ حضرةِ ٱلمكرَّمِ ٱلأخِ أَبي بكر بنِ شيخٍ ٱلكافِ . . قالَ : أَنا أَمرتُهُ ؛ لِتُذكيَ نارَ ٱلحربِ بينكُم ونقفَ معَ ٱلنَّظَّارةِ . فقلتُ لَهُ : حسبُكَ ٱللهُ ، لقد نغَّصتَ علينا ٱلمجلسَ .

ثمَّ ٱطَّلعتُ بعدَ ذلكَ علىٰ عباراتٍ بعضُها يؤَيِّدُ ما قلتُهُ ؛ مِنها : قولُ ٱبنِ حجرٍ في (ٱلرَّهنِ) مِنْ « حاشيةِ ٱلفتحِ » : (وإذا لزمَ ٱلرَّهنُ . . ٱمتنعَ على ٱلرَّاهنِ بلزومهِ بيعٌ وهبةٌ) اهـ[1]

وظاهرُهُ : أَنَّ عقدَها يقعُ باطلاً وإِنْ لَم يتَّصلْ بهِ قبضٌ وإِنْ لَم تفوِّتِ ٱلتَّوثيقَ ؛ لأَنَّ ٱلتَّلفُّظَ بٱلهبةِ سببٌ للقبضِ ٱلممتنعِ ٱتِّفاقاً ، فليَكُنْ هوَ ممتنعٌ أَيضاً .

ومنها قوله في « الفتاوى الكبرى » : (أن وقت الإلزام والالتزام . . هو وقت التلفظ بالنذر) . ومنه قوله في « التحفة » : (أن لزوم النذر يوم النذر) .

ومِنها قولُهُ فيها [١٤٥/٨] قبيلَ (ٱلرَّجعةِ) : (لأَنَّ ٱلعِبْرَةَ بوقتِ ٱلتَّعليقِ لا بوقتِ وجودِ ٱلصِّفةِ على ٱلمعتمَدِ) اهـ

ومنها أن العلامة السيد عبد الرحمـٰن بن محمد العيدروس من رسالة له ما نصه :

---

(١) « فتح الجواد » (١/ ٤٥٤ـ٤٥٥) .

(وذلك أن التعليق عندنا تصرف ناجز الآن ، وأثره يقع عند وجود الصفة) اهـ

ووجدتُ عبارةً قد توافقُهُ ؛ وهيَ قولُ ٱلرَّمليِّ أثناءَ (ٱلطَّلاقِ) : (ليسَ لَهُ تعيينُ ٱلطَّلاقِ في ٱلَّتي بانتْ منهُ قَبْلَ وجودِ ٱلصِّفةِ ؛ تفريعاً علىٰ أَنَّ ٱلاعتبارَ بحالةِ ٱلصِّفةِ لا بحالةِ وجودِ ٱلتَّعليقِ) اهـ

إلاَّ أَنَّهُ لا تصريحَ في هـٰذهِ باعتمادِ ٱلفرعِ عليهِ معَ إمكانِ ٱلفرقِ بينَ هـٰذهِ ومسألتِنا . . فلا يصحُّ قياسُهَا عليها معَ وجودِ ٱلفارقِ .

معَ أَنَّهُ لو وُفِّقَ للاعتمادِ عليها . . لتركتُ لهُ حالَهُ ؛ لِمَا أَحدَثت عندي مِنَ ٱلشَّكِّ ، معَ أَنَّ ٱلعلاَّمةَ ٱبنَ حَجَرٍ مخالفٌ للرَّمليِّ في هـٰذهِ ، فقد جاءَ في « ٱلفتاوى ٱلكبرىٰ » : (فيمن علَّقَ بٱلطَّلاقِ وحَنِثَ ، وله زوجتانِ ماتت إحداهما : أَنَّ ٱلبلقينيَّ بحثَ أَنَّ ٱلعِبرةَ بحالةِ ٱلتَّعليقِ ، فلهُ تعيينُ ٱلميتةِ ، لـٰكنِ ٱعترضَ بأَنَّ ٱلَّذي يظهرُ خلافُهُ ؛ نظراً لحالةِ ٱلوقوعِ . وٱلأَوَّلُ أَوجهُ) اهـ

وذكَرَها ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بازرعةَ في « ٱختصارهِ للفتاوىٰ » ٱلمذكورةِ ، ولم يذكر لهُ مخالفاً معَ ٱلتزامهِ بذكرِ ٱلمخالفينَ ، إلاَّ أَن يفرِّقَ بينَ ٱلبائنةِ بٱختيارهِ وبدونهِ . وٱللهُ أَعلمُ .

ثمَّ إنَّ في قولِ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ ٱلشَّاطريِّ : (إذا لَم يَبْقَ شيءٌ مِن وصَايا ٱبنِ ٱلمرأةِ . . .) بحثاً ؛ لأَنَّ لِلعلاَّمةِ ٱبنِ حجرٍ في « تحفتهِ » [٥/١١١] عباراتٍ متناقضةً في ٱلموضوعِ ، ففي حجرِ ٱلتَّركةِ بٱلدَّينِ يقولُ : (وكٱلدَّينِ ٱلوصيَّةُ ٱلمطلَقةُ ، فيمتنعُ ٱلتَّصرُّفُ في قدرِ ٱلثُّلثِ ، كذا قيلَ ، وٱلقياسُ : ٱمتناعُ ٱلتَّصرُّفِ في ٱلكلِّ) اهـ

وقالَ في (ٱلإقرارِ) [٥/٣٨٧] : (لأَنَّها ـ يعني ٱلوصيَّةَ ـ إنَّما تتعلَّقُ بٱلثُّلثِ) .

وقالَ أَوَّلَ (ٱلفرائضِ) [٦/٣٨٥] : (فٱلوصيَّةُ بعدَ ٱلقَبولِ مانعةٌ مِنَ ٱلتَّصرُّفِ في ٱلعينِ ٱلموصىٰ بها ، وفي ثلثِ غيرِ ٱلمُعَيَّنِ شائعاً) اهـ

ومِنْ متأخِّري علماءِ تريم : **ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلخطيبُ**[1] ، توفِّيَ سَنَةَ (١٣٣١هـ) ، كانَ مِنْ كبارِ ٱلفقهاءِ وٱلصَّالِحينَ .

---

(١) مولده بتريم ، ويدعى هو وأولاده بآل البكري نسبة لجده أبي بكر . الفقيه التريمي . ترجم له في « إتحاف المستفيد » (٢١٨ـ٢٢٩) .

ومنهُمُ : ٱبنُهُ ٱلعلاَّمةُ ٱلشَّيخُ أَبو بكرِ بنُ أَحمدَ[1] ، كانَ فقيهاً محقِّقاً مشاركاً في غيرِهِ ، ولَهُ فتاوىٰ ـ جمعَها ٱلسَّيِّدُ سالمُ بنُ حفيظٍ ـ نافعةٌ ، توفِّيَ أَوَّلَ سَنةِ (١٣٥٦هـ) .

ومنهمُ : ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ أَحمدَ ٱلخطيبُ ، كانَ فقيهاً جليلاً تقيّاً صوفيّاً ، لهُ تعلُّقٌ كثيرٌ بوالدي وسيِّدي ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ ، ولا أَذكرُ وقتَ وفاتِهِ ، غيرَ أَنَّها بعدَ ٱلأَربعينَ وٱلثَّلاثِ مئةٍ .

ومنهُم : قاضي تريم ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱلقويِّ بافضلٍ[2] ، كانَ ورعاً نزيهاً عابداً ، توفِّيَ بتريم سَنةَ (١٣٢٤هـ) .

ومنهُمُ : ٱلشَّيخُ فضلُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عبدِ ٱللهِ بافضلٍ[3] ، كانَ مضربَ ٱلمثلِ في ٱلورَعِ[4] ، توفِّيَ سَنةَ (١٣٠٨هـ) .

ومنهُمُ : ٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ أَحمدَ قُعَيطِبان[5] ، كانَ محبوباً ومعتقداً ، توفِّيَ سَنةَ (١٣١٦هـ) .

---

(١) ولد بتريم سنة (١٢٨٦هـ) ، وطلب العلم صغيراً وجد واجتهد ، وأخذ عن معظم شيوخ عصره ، وله « إجازة » أشبه بثبت أجاز بها العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد ، وقد أرفقها السيد سالم بن حفيظ مع « الفتاوى النافعة » ، وجعلها في أولها مستعيضاً بها عن ترجمة الشيخ أبي بكر ؛ لكفايتها وقيامها بذلك المقام ، حج وأدرك السيد أحمد دحلان .

(٢) ترجم له السيد محمد بن حسن عيديد في « إتحاف المستفيد » (٢٣٤ـ٢٤٠) ، وقال عنه : « وكان صاحب الترجمة شيخاً فاضلاً محباً لأهل البيت النبوي ، معروفاً بالسر والصدق والأمانة بين الناس ، ولم يزل متحلياً بتلك الأوصاف الحميدة والخصال الفريدة ، حتى توفاه الله يوم الجمعة (١١) رجب الحرام سنة (١٣٢٤هـ) » اهـ

(٣) وهو المعروف بلقب : فضل الطبيب ، ترجمته في « صلة الأهل » (٢٨٧ـ٢٩٢) ، و« إتحاف المستفيد » (٢٤٢) ، وهو من ذرية الشيخ عبد الله بلحاج صاحب المختصرات .

(٤) من أخبار ورعه بل من كراماته أنه يميز بين الحلال والحرام بانتفاض عرق في يده مع أنه بصير لا يرى ، وفي « صلة الأهل » جملة من أخباره . وكان يلقب بالطبيب لأنه كان يعرف مرض الشخص بالجسّ بيده ويصف له العلاج الناجح ، واشتهر عنه هـٰذا . . أخذ عن كثير من شيوخ عصره ، حج (٣٤) حجة لقي فيها عدداً من الأكابر ، أخذ عنه جمع ، منهم : السيد محمد بن سالم السري ، والسيد سالم بن حفيظ ، والسيد محمد حسن عيديد ، وترجموا له في « أثباتهم » .

(٥) قُعَيْطِبان : بالتصغير ، وهو من آل باجرش سكان تريم ، وباجرش ينطقه التريميون بضم الجيم بينما أهل=

ومنهُم : ٱلشَّيخُ فضلُ بنُ عبدِ ٱللهِ عرْفَان بارجاء[1] ، إليهِ ٱنتهى ٱلفقهُ ٱليومَ بتريم ، ولَهُ مشاركةٌ في غيرهِ ، وهوَ مِنْ أخصِّ تلاميذِ شيخِنا ٱلأُستاذِ ٱلأبرِّ ، ولَهُ فيهِ مدائحُ جميلةٌ ، وكانَ كثيرَ ٱلرُّجوعِ إلى ٱلحقِّ عندما يتبيَّنُ لَهُ ، فلا يَتعصَّبُ علىٰ رأيهِ إلاَّ بمؤَثِّرٍ مِنْ غيرهِ ، وجرَتْ بيننا وبينَهُ مناقضاتٌ ؛ مِنها :

مسألةٌ جرَتْ بينَ ٱلسَّادةِ آلِ جُنَيدٍ أَصرَّ فيها علىٰ رأيهِ ، حتَّىٰ لقد قلتُ لَهُ في آخِرِ رسالةٍ كانت مقطعَ ٱلكلامِ وفصلَ ٱلنِّزاعِ : (وظنِّي بالشَّيخِ إدراكُ ٱلصَّوابِ فيما قرَّرتُهُ ؛ لأَنَّهُ أَجلُّ في نظري مِنْ أَنْ يَخفىٰ عليهِ ، غيرَ أَنَّهُ يكتبُ فيما أَحسبُ تحتَ محاباةٍ أو ضغطٍ ممَّنْ يكرهُ ٱلحقَّ ، ولاسيَّما إذا جاءَهُ علىٰ يدي ، ويأبى ٱللهُ ـ ببركةِ ٱلمشايخِ ٱلأَبرارِ ودُعائِهم وٱلأَخذِ عنهُم ـ إلاَّ أَنْ يُبيحني عرائِسَهُ ، ويُيَسِّرَ ليَ نفائِسَهُ ، ويُلبسَني فروتَهُ ، ويُحِلَّني ذُرْوتَهُ ، ويقرعَ ليَ مَرْوتَهُ :

وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَجْحَدُ ٱلشَّمْسَ ضَوْءَهَا ... وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِي لَهَا بِضَرِيبِ[2]

وإنِّي لعلىٰ ما درجتُ عليهِ مِنِ ٱحترامِ ٱلشَّيخِ ومحبَّتِهِ ، وكيفَ لا ؟ وقد وَرَدْنا معاً على ٱلمنهلِ ٱلعذبِ ، وٱستقينا جميعاً مِنَ ٱلعينِ ٱلصَّافيةِ ، وربطتنا بهِ جامعةُ ٱلأَخذِ عن عِدِّ ٱلعِلْمِ ٱلخسيفِ ، وجبلِ ٱلمجدِ ٱلمنيفِ ، وزينةِ ٱلزَّمانِ ٱلآخرِ ، وقرَّةِ عينِ ٱلمكارمِ وٱلمفاخرِ . . . إلخ) .

وفي هـٰذهِ ٱلأَيَّامِ يتألَّقُ عارضُ ٱلنِّزاعِ بينَهُ وبينَ آلِ تريم ، في قضيَّةٍ حاصلُها : أَنَّ رجلاً مِنْ آلِ بافَضْلٍ لَهُ ٱبنٌ وبنتٌ مِنِ ٱمرأَةٍ مِنْ آلِ باحرمي ، قيلَ إنَّهُ أَضاعَهما في أَيَّامِ ٱلأَزمةِ حتَّىٰ ماتَ ٱلابنُ جوعاً ، ثمَّ أَشبلَتِ ٱلأُمُّ على ٱلبنتِ وفدَتْها بروحِها إلىٰ أَنْ أَدركَتْ ، فخطَبَها رجلٌ مكْفِيٌّ مِن آلِ عَرْفانَ ، فمنعَ حتَّىٰ أَرضاهُ بسبعينَ ربيَّةً فقبلَ ، ثمَّ

= شبام يفتحونها . والشيخ المترجم كان صالحاً محبوباً لدى علماء تريم ، مولده ووفاته بها ، وممن استجاز منه : السيد محمد بن حسن عيديد ، والسيد سالم بن حفيظ ، وكلاهما ترجم له في « ثبته » .

(١) مولده بتريم سنة (١٢٩١هـ) ، وبها وفاته ، له أبحاث وفتاوى قيمة آلت إلى أبنائه ، ثم بيعت مع مكتبته وآلت بالشراء للقاضي العلامة عبد الرحيم بن مسعود بارجاء بسيئون .

(٢) البيت من الطَّويل ، وهو لأَبي الطَّيِّب المتنبِّي في « العكبري » (١/ ٥٦) .

أَغراهُ أَصحابُهُ فرجعَ عنِ ٱلقَبولِ ، وعقدَ لَها بفقيرٍ عناداً ، فٱدَّعتِ ٱلبنتُ أَنَّ بينَها وبينَهُ رَضاعاً محرِّماً .

فأَفتى ٱلشَّيخُ فضلٌ بإبطالِ ٱلعقدِ ، وصادقْتُ علىٰ جوابهِ ؛ لاتِّفاقِ ٱبنِ حجرٍ وٱلرَّمْليِّ وغيرِهما مِنَ ٱلمتأَخِّرينَ علىٰ أَنَّ إقرارَ ٱلمرأَةِ بٱلرَّضاعِ يَمنعُ ٱلنِّكاحَ إذا كانَ قَبْلَهُ ، وإذا كانَ بعدَهُ مِنْ دونِ إذنِها في ٱلمعقودِ لَهُ ، وقَبْلَ ٱلدُّخولِ يَجعلُها ٱلمصدَّقةَ فيهِ بيمينِها .

وهـٰذا ممَّا لا ينبغي ٱلاختلافُ بعدَهُ ؛ لأَنَّهُ ٱلنَّصُّ ٱلملجِمُ ، لـٰكنَّ ٱلدَّراهمَ كانت في ٱلجانبِ ٱلآخَرِ ، وهيَ ٱلَّتي عليها يدورُ ٱلتَّنفيذُ ، لا ٱلنُّصوصُ! علىٰ أَنَّ مقابلَ ٱلأصحِّ في قولِ « ٱلمنهاجِ » [٤٢٩/٢] : (ولَو عَيَّنَتْ كفؤاً وأَرادَ ٱلأَبُ غيرَهُ فله ذلكَ) هوَ ٱلأَحرىٰ بالاعتمادِ ، ولذا ٱختارَهُ ٱلسُّبكيُّ ، وهوَ ٱلموافقُ للأَحاديثِ ٱلصَّحيحةِ ٱلثَّابتةِ ، ولِقواعدِ ٱلشَّريعةِ .

وفي « مجموعِ » ٱلجدِّ عليِّ بنِ عمرَ عن أَحمدَ مُؤَذِّن : (ومِنْ قواعدِ ٱلتَّرجيحِ : أَنَّ ٱلقولَ ٱلمرجوحَ في ٱلمذهبِ يتأَيَّدُ بمَنْ قالَ بهِ مِنَ ٱلأَئمَّةِ ٱلأَربعةِ ، وهـٰذا مِنَ ٱلغوامضِ ٱلَّتي قلَّ أَنْ توجدَ عندَ أَبناءِ ٱلعصرِ بعدَ أَنْ كانت عندَ مشايخِنا مِنَ ٱلواضحاتِ) اهـ

وقرَّرَ ٱلعلاَّمةُ ٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ ٱللهِ باسَوْدان أَنَّ ٱلمرجوحَ يترجَّحُ بٱلمرجِّحِ ٱلخارجيِّ ؛ كٱلفَسْخِ ؛ لِتضرُّرِ ٱلمرأَةِ . ونقلَهُ عنِ « ٱلعقدِ ٱلفريدِ » لِلسَّمهوديِّ[١] .

وقد أَلَّفَ ٱلعلاَّمةُ ٱبن زيادٍ رسالةً في وجوبِ مراعاةِ ٱلمصلحةِ على ٱلوليِّ في ٱلنِّكاحِ[٢] .

وفي (ٱلوصيَّةِ) مِنَ « ٱلتُّحفةِ » [٣٧/٧ـ٣٨] و« ٱلنِّهايةِ » [٦٦/٦] أَنَّهُ : (يجبُ على ٱلوليِّ قَبولُ ٱلوصيَّةِ فوراً بحسبِ ٱلمصلحةِ ، فإنِ ٱمتنعَ ممَّا ٱقتضتْهُ ٱلمصلحةُ عناداً . . ٱنعزلَ) اهـ

وأَطلتُ ٱلقولَ بما يدفعُ كلَّ شبهةٍ ، ثمَّ رأَيتُ ما ذكرَهُ ٱلعلاَّمةُ ٱبنُ ٱلقيِّمِ عن ذلكَ في « زادِ ٱلمعادِ » . . فإذا فيهِ كثيرٌ ممَّا ذكرتُهُ في جوابي قَبْلَ أَنْ أَطَّلعَ عليهِ ، فكانَ فرحي

---

(١) هو « العقد الفريد في أحكام التقليد » .

(٢) واسمها : « إيضاح النصوص المفصحة ببطلان تزويج الولي الواقع على غير الحظ والمصلحة » .

بذلكَ أَشدَّ كثيراً مِنْ فرحِ ٱبنِ ميَّادة إذ تواردَ معَ ٱلحطيئةِ في قولهِ [مِنَ الطَّويلِ] :

مُفِيــدٌ وَمِتْــلاَفٌ إِذَا مَــا أَتَيْتَــهُ تَهَلَّــلَ وَٱهْتَــزَّ ٱهْتِــزَازَ ٱلْمُهَنَّــدِ[1]

وبما تقرَّرَ معَ قولِ ٱلشَّافعيِّ : (إذا صحَّ ٱلحديثُ . . فهوَ مذهبي) يتحقَّقُ ٱلمنصِفُ أَنَّ مقابلَ ٱلأَصحِّ هوَ ٱلأَصحُّ ، ولا سيَّما في هـٰذهِ ٱلقضيَّةِ ؛ لما مرَّ بكَ مِنَ ٱلمرجِّحاتِ ٱلخارجيَّةِ إن لم تنتهِ إِلىٰ دفعِ بافضلٍ عنِ ٱلولايةِ رأساً .

أَمَّا إذا كانَ ٱلأَمرُ كما في ٱلسُّؤالِ . . فلا شكَّ أَنَّهُ ساقطٌ عنِ ٱلولايةِ ، وإِنَّما كانَ كلامي مبنيّاً علىٰ بقائِهِ بصفتِها ، وبكلامِ ٱبنِ ٱلقيِّمِ ٱزدادَ قلبي طمأْنينةً ، وصدري ٱنشراحاً ، وما أَظنُّ مؤمناً يَطَّلِعُ عليهِ ثمَّ يُداخلُهُ شكٌّ بعدُ فيما ٱستوضحتُهُ .

وقد بلَغني أَنَّ ٱلقُطْبَ ٱلحدَّادَ ـ واللهُ أَعلمُ ـ كانَ لا يزوِّجُ أَبكارَ بناته ٱلبالغاتِ إِلاَّ بعدَ ٱلاستئذانِ ، ويتأَكَّدُ ذلكَ بما عرفَ من حالِهِ أَنَّهُ لا يفارقُ « ٱلزَّادَ » حضراً ولا سفراً ، وكذلكَ كانَ أُستاذي ٱلأَبرُّ رضوانُ ٱللهِ عليهِم .

وَمَــا أَنَــا إِلاَّ مِــنْ غَــزِيَّــةَ إِنْ غَــوَتْ غَــوَيْــتُ وَإِنْ تَــرْشُــدْ غَــزِيَّــةُ أَرْشُــدِ[2]

علىٰ أَنَّ ٱلغيَّ عن أُولئك بعيدٌ ، وإِنَّما ذكرناهُ لِلتَّأكيدِ ، علىٰ حدِّ قولهِ : ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ .

ولَو أَردتُ ٱلاستقصاءَ وأَن أَذكرَ مِثلَ أَولادِ سيِّدي عيدروس بنِ علويٍّ[3] ٱلثلاثةِ : مُحَمَّدٍ، وعمرَ[4]، وعبدِ ٱللهِ[5]، ٱلدَّاخلينَ تحتَ قولِ حبيبٍ [في «ديوانه» ٢/ ١٤٤ مِنَ ٱلكاملِ]:

---

(١) روىٰ صاحب « الإيضاح في علوم البلاغة » (٣٨٠) : (أنشد ابن ميَّادة لنفسه : « مُفِيدٌ وَمِتْلاَفٌ إِذَا مَا أَتَيْتَهُ . . . » البيت ، فقيل له : أين يُذهب بك؟ هـٰذا للحطيئة ، فقال : الآن علمت أَنِّي شاعر ؛ إذ وافقته علىٰ قوله ولم أَسمعه) .

(٢) البيت من الطَّويل ، وهو لدُريد بن الصِّمَّة ، كما في « ديوان الحماسة » (١/ ٣٣٧) .

(٣) هو السيد الشريف عيدروس بن علوي بن عبد الله بن علوي ، مولده بتريم سنة (١٢٥٠هـ) ، ووفاته بها في (٢٧) رجب (١٣٢٠هـ) . ترجمته في : « إتحاف المستفيد » .

(٤) السيد عمر بن عيدروس ، مولده بتريم سنة (١٢٨١هـ) ، ووفاته بها في (٢١) ذي الحجة سنة (١٣٢٨هـ) ، كان فاضلاً ذا هيبة وكلمة نافذة ، حافظاً لكتاب الله ، يصدع بالحق ، آمراً بالمعروف ناهِ عن المنكر . مترجم في « الإتحاف » (٣٨ـ٣٩) ، « تعليقات » ضياء شهاب (١/ ١٢٠) .

(٥) ولد الحبيب عبد الله بتريم سنة (١٢٨٤هـ) ، وبها توفي يوم السبت (٥) محرم سنة (١٣٤٧هـ) ، =

بِثَلاثَةٍ كَثَلاثَةِ الرَّاحِ اسْتَوىٰ ... لَكَ لَوْنُهَا وَمَذَاقُهَا وَشَمِيمُهَا[1]

وَثَلاثَةِ الشَّجَرِ الْجَنِيِّ تَكَافَأَتْ ... أَفْنَانُهَا وَثِمَارُهَا وَأُرُومُهَا[2]

وَثَلاثَةِ الدَّلْوِ اسْتُجِيدَ لِمَاتِحٍ ... أَعْوَادُهَا وَرِشَاؤُهَا وَأَدِيمُهَا[3]

والشَّابُّ النَّاشىءِ في طاعةِ اللهِ عبدِ اللهِ بنِ زينِ العابدينَ بنِ أحمدَ العيدروسِ[4] المتوفَّىٰ سَنةَ (١٣١٦هـ) ، والفاضلِ العلَّامةِ الصُّوفيِّ عبدِ الباري بنِ شيخٍ العيدروسِ[5] المتوفَّىٰ سَنةَ (١٣٥٨هـ) ، ومَنْ علىٰ غرارِهم مِنَ السَّابقينَ واللاَّحقينَ ، لَو أَردتُ ذلكَ . . لزادَ السَّيلُ ، وطفحَ الكيلُ .

وقد أخرجَ السَّيِّدُ أحمدُ الجنيدُ بسندهِ إلى القطبِ الحدَّادِ أنَّهُ كانَ يقولُ : (وددتُ لَو أنَّ هٰؤلاءِ الأربعةَ تفرَّقوا بنواحي تريم ؛ لِيَعمَّ بهمُ الخيرُ ويكثُر بهم دفعُ الشَّرِّ) ، ولٰكنَّهُم كانوا كلُّهُم جيراناً بالنُّويدرةِ ، وهُم : مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ حسينٍ باهارونَ[6] ، والجنيدُ بنُ عليٍّ باهارونَ[7] ، ومُحَمَّدُ بنُ أحمدَ مشهورِ بنِ شهابٍ

= ترجمته في : « إتحاف المستفيد » (٣٩) ، و« لوامع النور » (٢/٢٦) ، وغيرها .

(١) بثلاثة : بممدُوحين ثلاثة .

(٢) الأروم : الأصول .

(٣) الماتح : الَّذي يخرج الماءَ من البئر . رشاؤُها : حبلها . أديمها : جلدها .

(٤) هو السيد الشريف عبد الله بن زين العابدين بن أحمد بن الحسين بن مصطفى بن شيخ ، وجده الحسين أخو الإمام عبد الرحمن صاحب مصر . كان المترجم سيداً شريفاً فاضلاً عفيفاً ، له جاه وحشمة ، توفي بتريم في (٢٨) جمادى الأولى سنة (١٣١٦هـ) .

(٥) السيد الشريف الحبيب عبد الباري بن شيخ بن عيدروس بن محمد بن عيدروس بن شيخ بن محمد المصطفى بن زين العابدين . . إلخ ، يجتمع مع ابن مصطفى في جده شيخ . ولد المترجم بتريم سنة (١٢٩٠هـ) ، وتوفي بها في (١٥) محرم (١٣٥٨هـ) ، وجمع تلميذه السيد محمد بن سقاف بن زين بن محسن الهادي مجموعاً سماه : « بهجة النفوس » اشتمل على نبذة من مواعظه وترجمته ، وجمع حفيده سيدي يحيى جزءاً في ترجمته . انظر : « إتحاف المستفيد » (٦٠) ، و« تعليقات السيد ضياء » (١/١١٠) ، و« الخبايا في الزوايا » (٦٠ـ٦١) .

(٦) الملقب : الصويلح ، كان معاصراً للإمام الحداد ، لا يعلم تاريخ وفاته ، وهو غير السيد محمد بن عبد الله الصويلح باهارون صاحب « مسجد باهارون » بنويدرة تريم .

(٧) من السادة الأفاضل الأخيار الصالحين ، مولده ووفاته بروغة سنة (١١١٧هـ) ، وقبر بتريم .

ٱلدِّينِ[١] ، وعمرُ بنُ علويٍّ عيديدُ ، وكانوا يُصلُّونَ ٱلعصرَ في باعلوي ، ولمَّا عجزوا.. صلَّوها في ٱلمسجدِ ٱلَّذي بناهُ ٱلحدَّادُ بٱلنُّويدرة ، فسمَّاهُ « مسجدَ ٱلأوَّابينَ » ؛ لأنَّهُم يُصلُّونَ فيهِ .

وفي تريم كثيرٌ مِنَ ٱلمدارسِ :

منها : مدرسةُ أَبي مُرَيِّم[٢] ، وهوَ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ عمرَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ ، ٱلَّذي يقولُ فيهِ ٱلسَّقَّافُ : (لَو وقعَ ٱجتهادُ مُحَمَّدِ بنِ عمرَ في ٱلعبادةِ علىٰ جبلٍ.. لدكَّهُ)[٣] ، توفِّيَ سَنَةَ (٨٢٢هـ) بعدَ أَنْ ختمَ ٱلقرآنَ علىٰ يديهِ ثمان مئَةِ[٤] شخصٍ ، كلُّهُم يقرأُ عليهِ بعدَ ٱلقرآنِ ربعَ « ٱلتَّنبيهِ » .

وأَقدمُ مدرسةٍ في تريم - فيما إِخالُ - هيَ مدرسةُ ٱلشَّيخِ سالمِ بافضلٍ ، ٱلواقعةُ بحذاءِ مسجدِهِ[٥] ، بجوارِ دارِ ٱلسَّيِّدِ بوبكر خرد[٦] ، ٱلمتوفَّىٰ بتريم سَنَةَ (١٣١٢هـ) .

ومِنها : مدرسةُ ٱلشَّيخِ حسينِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلحاجِّ[٧] ، وهيَ ٱلواقعةُ في غربيِّ ٱلجبَّانةِ ، تسمَّى ٱليومَ بـ« مسجدِ شُكْرةَ » .

ومنها : مدرسةُ باغريب[٨] ؛ مِن أَكابرِ ٱلمعلِّمينَ بها : ٱلشَّيخُ عُمرُ بنُ عبدِ ٱللهِ

---

(١) أول من لقب بالمشهور من السادة آل شهاب الدين ، وإليه ينسب آل المشهور قاطبة ، أحد الأوابين ، توفي بتريم آخر سنة (١١٣٠هـ) ، وهو حفيد الشيخ شهاب الدين الأصغر .

(٢) وكانت تعرف بمعلامة أبي مريِّم ، ينظر ما كتبه عنها السيد عمر الكاف في « الخبايا » (١٧٢ـ١٨٣) .

(٣) « المشرع » (٢/ ٣٢) .

(٤) في « المشرع » : (ثلاث مئة) .

(٥) وهي في حارة الخليف في الجهة الغربية الجنوبية ، ويعرف المسجد اليوم باسم : « مسجد الدويْلة » بالتصغير ، نسبة للشيخ محمد الدويْلة بافضل الذي أخربه وعمره من جديد .

(٦) هو السيد أبو بكر بن عبد الله (ت١٢٤٤هـ) بن علي.. خرد ، ولد بتريم سنة (١٢٣٦هـ) ، وتوفي بها سلخ ذي الحجة سنة (١٣١٢هـ) ، كان عالماً عاملاً ذكياً نبيهاً آمراً بالمعروف ، وكانت تعتريه حلة .

(٧) هو ابن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن مؤلف المختصرات ، توفي سنة (٩٧٩هـ) ، ترجمته في « صلة الأهل » (١٧٤ـ٢٠٥) ، ولم تذكر هـٰذه المدرسة في « خبايا الزوايا » .

(٨) تنسب هـٰذه المدرسة أو المِعْلامة للشيخ الكبير عبد الله بن أبي بكر العيدروس (ت٨٦٥هـ) ، =

باغريبٍ ، ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (١٢٠٧هـ) ، أَطنبَ في مدحِهِ ٱلحبيبُ علويُّ بنُ أَحمدَ بنِ حسنٍ ٱلحدَّادُ في كتابِهِ « ٱلمواهبُ وٱلمننُ » ، وقالَ : إِنَّهُ تعلَّمَ لديهِ مِنَ ٱلسّادةِ أَكثرُ مِنَ ٱلأَلفِ ؛ منهمُ ٱلوالدُ أَحمدُ ، وٱلعمُّ حامدُ بنُ عمرَ ، ومَن في طبقتِهِم وأَولادُهم وأَولادُ أَولادِهم فقد تعلَّم عندَهُ بعدَ والدِهِ ثلاثُ طبقاتٍ مِن أَهلِ تريمَ غيرُ ٱلسَّادةِ ٱلأَلفِ .

ومِنْ أَواخِرِ مَنْ علَّمَ بها ٱلشَّيخُ ٱلصَّالحُ عمرُ بنُ سعيدِ بنِ أَبي بكرٍ باغريب[1] ، توفِّيَ بتريم سَنةَ (١٣٤٧هـ) .

ومنها : **مدرسةُ آلِ باجمعانَ** ، مِنَ « ٱلمشرع » [٦٦/٢] : (ولمَّا بنى ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ عمرَ بافقيهِ ٱلمتوفَّىٰ بحيدر أَباد مدرستَهُ ٱلَّتي بتريم.. فوَّضَ تدريسها إِلى ٱلعلاَّمةِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ شهابٍ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريم سَنةَ (١٠٦١هـ) ، فدرسَ بها ٱحتساباً أَيَّاماً ، ثمَّ تركَ ذلكَ) .

وقد جاءَ في « ٱلنَّورِ ٱلمُزْهِرِ » : (أَنَّ ٱلسَّيدينِ أَبا بكرٍ وعلويَّ[2] ٱبنَ علويٍّ ٱلكاف ماتا بِفَلِمْبَانَ ، وأَوصيا بمالِهِما ٱلمقدَّرِ بستِّينَ أَلفَ ريالٍ بحَضْرَمَوْتَ للأَرحامِ وٱلمساجدِ وٱلمدارسِ) اهـ

وهـٰذا ٱلجمعُ يدلُّ علىٰ كثرتِها .

وفُتحتْ في ٱلأَخيرِ مدرسةٌ علىٰ نفقةِ خيراتِ ٱلمرحومِ شيخِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلكافِ[3] ، إِلاَّ أَنَّهم لم يَبنوا لها مِنها مكاناً ، وقد تخرَّجَ مِنها جماعةٌ[4] ؛ أَنجَبُهُمْ :

= واشتهرت بنسبتها إلى آل باغريب لكونهم لازموا التدريس بها منذ زمن بعيد .

(١) مولده بتريم ، وبها وفاته في التاريخ المذكور ، وأخذ عنه جماعات ، منهم : السيد سالم بن حفيظ ، والسيد محمد بن حسن عيديد ، وترجماه في « ثبتيهما » .

(٢) هو السيد علوي الملقب يُسْرين ، لقِّب باسم سفينة شراعية له سمّاها بهـٰذا الاسم.. فأضيف إليها ، توفي سنة (١٣١٢هـ) بفليمبانغ بجاوة ، وكان بها مولده . أما أبو بكر المذكور هنا.. فهو ابن السيد علوي يسرين ، توفي أيضاً بفليمبانغ .

(٣) كان افتتاح مدرسة الكاف سنة (١٣٥٢هـ) ، وكانت مدرسة خاصة بأولاد آل شيخ الكاف ، وبني عمومتهم ، ثم أدرجت في مدرسة جمعية الأخوة والمعاونة ، وأطلق اسم الكاف على مدرسة جمعية الحق ، وكان من المدرسين بها السيد عمر الكاف ، والسيد محمد بن حفيظ .

(٤) الذين سيذكرهم المؤلف هنا.. ليسوا من خريجي مدرسة الكاف ، إنما هم خريجو مدرسة جمعية =

ٱلشَّيخُ سالمُ سعيدِ بكَيِّر[1] ، وٱمبارَكُ عمرُ باحُرَيشٍ ، فبِها ٱنفتحت أَذهانُهم ، وإن كانا إنَّما توسَّعا في ٱلفقهِ بعدَ ٱنفصالِهم عنها ، وأَصلُهما مِنَ ٱلحرَّاثينَ ، ثمَّ تشرَّفوا بٱلعلمِ وٱلذَّكاءِ وٱلفهمِ ، إلىٰ تواضعٍ ونسكٍ ، إلاَّ أَنَّهُ مشوبٌ بشيءٍ مِنَ ٱلتَّعصُّبِ ، فتراهم لا يرجعونَ عن رأيٍ ، ولا يذعنونَ لحجَّةٍ .

ومُحَمَّدُ بنُ أَحمدَ بنِ عمَر ٱلشَّاطريُّ[2] ، ذكيٌّ نبيه ، وشاعرٌ فقيه .

ومِنَ ٱللَّطائفِ : أَنَّ ناظرَها ٱلسَّيِّدَ عبدَ ٱلوليِّ بنَ طاهرٍ أَرادَ أَنْ يضحكَ مِنَ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ بنِ حسينِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ سهلٍ ، فٱستدعاهُ وهوَ مارٌّ بٱلطَّريقِ ، وقالَ لَهُ : تكلَّمْ على ٱلطَّلبةِ .

فقالَ لَهم : (لا أَزيدكُم علىٰ كلمةٍ ، لقد دامتْ شوارعُ تريم ملأَىٰ بمراكيبِ ٱلمدعوِّينَ لِعذيرةِ ختاني ثمانيةَ أَيَّامٍ ، ثمَّ إنَّ غدانا ٱليومَ رطلانِ مِنَ ٱلتَّمرِ ٱلمنزوعِ ٱلنَّوىٰ مِنَ ٱلسُّوقِ ـ وهيَ هـٰذهِ ـ فلا يُمكنُ لأَحدٍ أَنْ يَغترَّ بٱلدُّنيا ويَسكنَ إِليها ، وٱلسَّلامُ) .

= الحق ، وإنما اشتبه الأمر عليه ؛ لأن جمعية الحق التي أسست سنة (١٣٣٤هـ) قُلِبَ اسمُها إلى مدرسة الكاف بعد سنة (١٣٥٢هـ) لأسباب عدة . . وهـٰذا الأمر حدث بعد تخرج هؤلاء الأعلام منها بزمن . . فليعلم .

(١) ولد المفتي العلامة الفقيه الشيخ سالم سعيد بكيِّر ـ مصغراً مشدداً ـ باغيثان بتريم سنة (١٣٢٣هـ) ، والتحق في صغره بمدرسة جمعية الحق ، وتخرج بالعلامة أحمد بن عمر الشاطري ، والعلامة حامد السري ، والشيخ حسن عرفان .
آلت إليه مقاليد الإفتاء سنة (١٣٥٦هـ) عقب وفاة الشيخ أبي بكر الخطيب ـ آنف الذكر ـ ولم يزل على العمل الصالح متجراً في المتجر الرابح حتى دعاه داعي المنون في (١٢) جمادى الثانية سنة (١٣٨٦هـ) .

(٢) العلامة الأوحد ، والجهبذ العبقري المسدد ، مؤسس جمعية الأخوة والمعاونة ، ومفتي الدولة الكثيرية ، والقاضي بالمجلس العالي بالمكلا ، والمفتش في المحاكم الشرعية ، ورئيس بلدية تريم ، ثم المشرف الاجتماعي بمدارس الفلاح الثانوية بجدة . . صاحب المؤلفات الرائقة ، والمجالس الزهية الشائقة . كان مولده بتريم يوم الإثنين (٢٨) جمادى الثانية سنة (١٣٣١هـ) ، وحياته حافلة بجلائل الأعمال التي يضيق عنها نطاق هـٰذه الأسطر ، ومن أراد المزيد . . فعليه بمقدمة « شرح الياقوت » . هاجر المترجم إلى السعودية سنة (١٣٩٣هـ) ونال الجنسية السعودية ، ولم يزل بها حتى دعاه داعي المنون فلبى نداء ربه صائماً عشية السبت (٣) رمضان المعظم من عام (١٤٢٢هـ) .

وفي تريم أَوديةٌ وشِعابٌ مُشْرِقةٌ بالأَنوارِ ؛ لأَنَّها كانت متهجَّدَ عبادِ ٱللهِ ٱلأَخيارِ ، حتَّىٰ إِنَّ مِنْ أَهلِ تريم مَنْ وقذَتْهُ ٱلعبادةُ إِلىٰ حدٍّ أَنَّ صبيانَهُم يسأَلونَ أُمَّهاتِهم عنهُم ، فيَقُلْنَ لهم : أَخذتْهُمُ ٱلجبالُ بٱللَّيلِ لِلتَّهجُدِ ، وٱلمساجدُ بٱلنَّهارِ للاعتكافِ وٱلعِلْمِ وٱلعبادةِ ؛ مِنهم ـ كما في (ص ١٧٥) مِنَ « شرحِ ٱلعينيَّةِ » ، وٱلحكايةِ (١٧٤) مِنَ « ٱلجوهرِ » ـ : ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ علويِّ بنِ ٱلفقيهِ ٱلمقدَّمِ ، ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (٦٧٥هـ) ، فبهِ يتأَكَّدُ قولُ ٱلمغربيِّ : إِنَّهُم بٱلملائكةِ أَشبهُ .

مِنْ تلكَ ٱلأَوديةِ : ٱلنُّعير[1] ـ كزُبَير ـ ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ في ثناءِ ٱلسَّيِّدِ حسنِ بنْ شهابٍ علىٰ وحيدِ حضرموتَ ٱلسَّيِّدِ أَبي بكرِ بنِ شهابٍ .

ومِنها : خَيله[2] ، وسببُ تسميتهِ بذلكَ ـ كما سمعتُ مِنْ أَفواهِ ٱلمُعَمَّرينَ ـ : أَنَّها لمَّا ظهرتْ نواصي خيلِ ٱلصَّحابةِ . . قالتِ ٱمرأَةٌ : خَيله . قالت ٱلأُخرىٰ : خيلتَين . وقالتِ ٱلثَّالثةُ : أَربعُ مئةٍ ما يِعْتَدَّين . وأَهلُ تريم إِلى ٱليوم يَغضبونَ مِنْ هـٰذا ٱلكلامِ ، وٱلغَوغَاءُ تعيِّرُهُم بهِ .

وما فيهِ مِن عارٍ ، ولـٰكن يأتي فيهِ ما تمَثَّلَ بهِ ٱبنُ ٱلزُّبيرِ لمَّا عُيِّرَ بأَنَّهُ ابنُ ذاتِ ٱلنِّطاقِ وهوَ :

وعَيَّـرَنِـي ٱلْــوَاشُــونَ أَنِّــي أُحِبُّهَــا ... وَتِلْـكَ شَكَـاةٌ ظَـاهِـرٌ عَنْـكَ عَـارُهَـا

وتمثَّلَ بعجُزِهِ ٱلإِمامُ ٱلغالبُ أَيضاً في إِحدىٰ رسائِلِهِ .

وفي حدودِ سَنةِ (١٣٣٢هـ) أُلِّفَتْ في تريم (جمعيَّةُ ٱلحقِّ) ، وطَلبتْ مِنَ

---

(١) يقع شعب النعير إلى الجهة النجدية من شعب خيله ، ويميَّزُ من قِبَل البعْض إلى شعبين ، فيقال : شعب النعير الصغير والكبير . تعبَّد فيه كثير من الصالحين ؛ منهم : الشيخ الكبير عبد الرحمن السقاف ، والشيخ عبد الله العيدروس ، وابنه العدني ، والشيخ عبد الرحمـٰن بن علي . . وغيرهم من السادة والمشايخ . ويمر ماء هـٰذا الشعب من حافة النويدرة إلى ساقية حامد إلى نُخُر الحاوي إلىٰ مسيلة عِدِم . « بغية من تمنى » (ص٢٦) .

(٢) شعب خيله : شعب مبارك ، وكان سيدنا الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم ، وحفيده الإمام عبد الله باعلوي ممن يتعبد فيه . ينفذ ماؤه ما بين البيوت ويمر تحت مسجد الشيخ علي إلىٰ ساقية حامد إلى نُخُر الحاوي إلى مسيلة عدمْ . « بغية من تمنى » (٢٥ـ٢٦) .

ٱلسُّلطانِ ٱلمحسنِ أَنْ يوليَها ماليَّةَ ٱلبلادِ ، ففعَلَ وأَمَّلَ ٱلنَّاسُ مِنْ ذلكَ خيراً ، فٱنعكسَ ٱلظَّنُّ ، وتضاعفتِ ٱلمكوسُ ، وكانت علىٰ قلَّتِها تُؤْخَذُ بٱحترامٍ وتواضعٍ . . فصارت علىٰ كثرتِها تُؤْخَذُ بتجبُّرٍ وإهانةٍ ، ولَم تَزلْ وٱلاستبدادُ روحُها ، وٱلمستشارونَ لا يزيدونَ على ٱلموافقةِ ، وٱلمعارضةُ تكادُ تكونُ بينَهُم مِنَ ٱلمستحيلاتِ ، ولذا فإنَّ رئيسَها لا يتبدَّلُ إلاَّ فتراتٍ قليلةً لتحليلِ ٱلشَّرطِ .

وظهرتْ بعدَ ذلكَ (جمعيَّةُ ٱلأُخوَّةِ وٱلمعاونةِ) ، وبدأَتْ بنشرِ ٱلتَّعليمِ في ٱلبوادي ، ثمَّ ظهرتِ ٱلأَغراضُ وشهواتُ ٱلاستعلاءِ ، ومحبَّةُ ٱلنَّهي وٱلأَمرِ ، فكانت كسابقتِها[1] .

ومِن أَعمالِها : أَنَّها ٱتَّهمت نُظَّارَ أَوقافِ ٱلمساجدِ بتريم فٱنتزعتها منهم بمبرِّرٍ وبدونِ مبرِّرٍ ، ولـٰكن كانَ ٱلإصلاحُ أَنزرَ ، وٱلإنفاقُ أَغزرَ ، فبعدَ أَن كانت مغلاَّتُ أَكثرِ ٱلمساجدِ تزيدُ مِن نفقاتِها . . صارت تنقصُ ، معَ ٱلتَّقصيرِ في ٱلعمارةِ ، بل قيلَ : إنَّ ٱلدَّينَ ٱرتكبَ بعضَ ٱلمساجدِ فوقَ ذلكَ .

وقد جاءَ في (ص ٢٥٤ ج ١) مِنَ « ٱلمشرعِ » : (أَنَّ مِنْ خواصِّ تريم طيب عيشِها ، خصوصاً لأَهلِها ٱلَّذينَ لا تعلُّقَ لَهُم بٱلدُّوَلِ) اهـ[2]

وذلكَ مجرَّبٌ ، أَمَّا ٱلَّذينَ يتعلَّقونَ بها لِتكونَ لَهُمُ ٱلكبرياءُ في ٱلأَرضِ . . فلا يزيدونَ علىٰ أَنْ يُنشبوا أَنفسَهُم في ٱلمتاعبِ ، ويُنشبوا غيرَهُم في ٱلمصاعبِ .

ومِنَ ٱلبلاءِ ٱلَّذي لا يَعدِلُهُ بلاءٌ : أَنَّ مقرَّراتِ ٱلإقليمِ كلِّهِ مِنْ ساحلِهِ إِلىٰ أَقصاهُ ، سواءٌ كانتْ مِنَ ٱلأَفرادِ أَو مِنَ ٱلهيئاتِ . . لا تكونُ كما يشاءُ ٱلحقُّ وٱلإنصافُ ، وإنَّما تكونُ مشابةً بٱلمحاباةِ أَو بٱلحسدِ أَو بٱلأَغراضِ ، وكلُّهُ ناشىءٌ عن نقصِ ٱلأَخلاقِ ، وهوَ مِنْ أَكبرِ ٱلمصائبِ ، لا أَكبرَ مِنهُ إلاَّ عدمُ ٱلتَّفكيرِ في علاجهِ معَ ٱشتمالِ ٱلجمَّاءِ ٱلغفيرِ مِنَ ٱلخاصَّةِ عليهِ عن معرفةٍ بأَحوالِ أَنفُسِهم ، وتعمُّدٍ منهُم فيما يفعلونَ ، ومهارةٍ

---

(١) ينظر كلام مؤسسها السيد محمد الشاطري عنها في كتابه : « أدوار التاريخ الحضرمي » (٢/٤٢٣ـ٤٢٥) .

(٢) في « المشرع » جاءت العبارة هكذا : (الذين لا تعلق لهم بالدول والدنيا) اهـ وهي واضحة المعنى والمغزى .

فيما يَستميلونَ بهِ سواهُم مِنَ ٱلأخذِ بٱلحياءِ وما أَشبهَهُ ، وقليلٌ مَنْ يقعُ في تلكَ ٱلرَّذائلِ عن غيرِ شعورٍ ، وإنَّما يرتبكُ فيها بمؤثِّراتٍ تخفىٰ عليه فيبقىٰ علىٰ ظنِّهِ ٱلخيرَ بنَفْسهِ وهوَ خائنٌ لَها وللنَّاسِ ، ففي ٱلمقامِ صعوبةٌ لا تنحلُّ إلاَّ بأَيدي ٱلعلماءِ وٱلمحقِّقينَ ، ولذا كانَ ٱلسَّلفُ يوصونَ بٱلكتبِ ٱلغزاليَّةِ ؛ لأنَّها ٱلنَّجمُ ٱلوهَّاجُ في عِلْمِ ٱلنَّفْسِ وٱلأخلاقِ ، ولأَنَّ فيها لأَمراضِ ٱلأخلاقِ ، أَنجعَ علاجٍ .

ومِنَ ٱلتَّعاجيبِ أَنَّ مِن هـٰؤلاءِ مَن يقرؤُها ويخالفُها علىٰ خطٍّ مستقيمٍ ؛ كأَنَّما يتقرَّبونَ إلى ٱللهِ بمجرَّدِ قراءَةِ أَلفاظِها .

وكانَ لآلِ علويٍّ ولآلِ جديدٍ حافَتانِ بتريم[1] يَصونونَ فيها أَولادَهُم عنِ ٱلاختلاطِ بٱلأضدادِ ، ولا يُمكِّنونَهُم مِنْ مجاوَزَتِهما إلاَّ بعدَ تمكُّنِهم مِنَ ٱلدِّينِ وٱلأخلاقِ ، وفي « **ٱلأَصلِ** » إشارةٌ إلىٰ ما بحضرموتَ مِنَ ٱلحُوَطِ وإنكارِ بعضِ ٱلنَّاسِ أَمرَها ، وكثيرٌ مِن أَعقابِ أُولئكَ ٱلمنكرينَ ومتأَخِّريهم في زمانِنا يُجلُّون جمالَ ٱلدِّينِ ٱلأفغانيَّ ، ولا يتفطَّنونَ إلىٰ ما جاءَ في سياقٍ لهُ مِن قولِهِ : فذهبتُ إلىٰ مقامِ عبدِ ٱلعظيمِ ، وهوَ حرمٌ مَن دخلَهُ كانَ آمناً .

وفيها ٱلآنَ كثيرٌ مِنَ ٱلحافَّاتِ ؛ مِنها في غربِ تريم إلى ٱلشَّمالِ : حارةُ **ٱلخِلَيف** بكسرِ ٱلخاءِ وفتحِ ٱللاَّمِ على ٱسمِ وادٍ معروفٍ في شعبِ جبلٍ ذكرَهُ ٱلبكريُّ .

وكندةُ كثيراً ما تُسَمِّي قراها في الآفاقِ علىٰ ما كانت أَسماءُ بلادِها بحضرموتَ .

ثمَّ **ٱلرُّضَيمةُ** ، ثمَّ **ٱلسِّحِيلُ** ، ثمَّ **ٱلنُّويدِرَةُ** .

ومِنها في ٱلجهةِ ٱلشَّرقيَّةِ : **ٱلسُّوقُ** ، ثمَّ **ٱلمَجَفُّ** .

ولآلِ تريم تعصُّبٌ شديدٌ معَ أَهلِ ٱلحُوَفِ ، يسري مِنَ ٱلسَّفلَةِ إلى ٱلجُلَّةِ ومِنَ ٱلحاكةِ

---

(١) كان العلويون ـ والمقصود بنو أحمد بن عيسى ـ عندما سكنوا تريم اختطوا لأنفسهم محلة عرفت بالحوطة ، وهي الواقعة بين مسجد باعلوي ومسجد العيدروس ومسجد السقاف ـ حالياً ـ واحتوت هـٰذه الحوطة على بيوت آل علوي وآل بصري وآل جديد . وقيل غير ذلك .

ومعنى الحافة ، كالحارة : وهي كل محل تدانت مساكنه والتف بعضها على بعض . وما سبق من تحديد بحافات لا يتعارض .

إلى ٱلعلماءِ ، وكانَ يتعاظمُني ما أَسمعُهُ مِنْ ذلكَ حتَّىٰ رأَيتُ ما ذكرَهُ ٱلخطيبُ في ٱلحكايةِ (٢٠٥) من « جوهره » [٢٢١خ] : (أَنَّهُ نشبَ حربٌ بينَ أَهلِ حافَّةِ ٱلسُّوقِ وأَهلِ حافَّةِ ٱلخِلَيفِ ، وجرىٰ بينَهُم قتلٌ ، وكانَ أَهلُ ٱلسُّوقِ أَكثرَ ، فكَمنوا لأَهلِ ٱلخِلَيفِ ، فعلِموا بذلكَ ، فشكوا إِلى ٱلشَّيخِ أَحمدَ بن عليِّ بنِ مُحَمَّدِ بن عبدِ ٱللهِ ٱلخطيبِ ، فقالَ لَهم : إذا كبَّرتُ لصلاةِ ٱلصُّبحِ . . فقَعوا عليهِم ، ففعلوا وهزموهُم) .

وكانت وفاةُ ٱلشَّيخِ أَحمدَ هـٰذا في سَنةِ (٧٠٨هـ) ، ووفاةُ أَخيهِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ في سَنةِ (٧٣٠هـ) ، ووفاةُ أَخيهما مُحَمَّدٍ سَنةَ (٧٥٥هـ) ، فعرفنا مِنْ تعصُّبِ ٱلشَّيخِ أَحمدَ لأَهلِ حافَّتِهِ أَنَّ آلَ تريم لَم يَرثوهُ عن كلالةٍ[1] .

ومِنَ ٱلنَّوادرِ : أَنَّ سيِّدي عبدَ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلمشهورَ ـ علىٰ ورعِهِ وتقواهُ وكمالِهِ ـ حكمَ أَيَّامَ كانَ على ٱلقضاءِ بحكمٍ لأَحدِ أَهلِ ٱلسِّحيلِ بشاهدَينِ مِن أَهلِ ٱلسِّحيلِ أَيضاً علىٰ واحدٍ مِن أَهلِ ٱلسُّوقِ ، وكانَ هوَ ـ أَعني سيِّدي عبدَ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلمشهورَ ـ إِذ ذاكَ يسكنُ ٱلسِّحيلَ ، فأَمضى ٱلحكمَ ، ونائبُ ٱلدَّولةِ وهوَ عليُّ عبدُ ٱلدَّائمِ أَحدُ عبيدِهم حاضرٌ ، أَلزَمَهُ بتنفيذِهِ ، فٱتَّهَمَهُ وقالَ لهُ : لا أُنَفِّذُهُ ، ولا أَرىٰ صحَّتَهُ ؛ مدَّعٍ مِنَ ٱلسِّحيلِ ، وشهودٌ مِنَ ٱلسِّحيلِ ، وقاضٍ مِنَ ٱلسِّحيلِ ، هـٰذا حكمٌ باطلٌ ! !

قرىٰ تريم :

وحوالي تريم كثيرٌ مِنَ ٱلقرىٰ ، مِنها ما يخرجُ عن سُورِها ٱلموجودِ ٱليومَ ؛ **كعَيدِيد**[2] ، وهوَ وادٍ مشرقُ ٱلبهجةِ ، واضحُ ٱلنَّظارةِ ، ساطعُ ٱلنُّورِ ، واقعٌ بسفحِ **مَخاران**[3] **ٱلجنوبيِّ** ، وهوَ ٱلجبلُ ٱلَّذي يكونُ بحضيضهِ ٱلشَّرقيِّ ٱلخِلَيفُ ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ .

---

(١) وللشيخ الفاضل عبد الله بن حسين بافضل ـ الملقب : رحيّم بكسر الراء وتشديد الياء ، وكان مؤرخاً ، توفي سنة (١٤٠٠هـ) ـ مجموعٌ في أخبار وحوادث الحُوَف بتريم .

(٢) **وادي عيديد** : يقع في الجهة الغربية الجنوبية لمدينة تريم ، وهو واد عظيم كثير الديار والسكان ، وفيه كثير من بساتين النخيل ، وله ذكر في شعر الإمام الحداد .

(٣) **شعب مخاران** : في جبل الفريط ، غربيّ المدينة ، يلي شعب عيديد إلى الجهة النجدية (الشمالية) . انظر : « البغية »(٢٥) .

وكانَ ٱلعلاَّمةُ ٱلجليل ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ مولىٰ عَيدِيد[1] ـ ٱلمترجَمُ لَهُ في « ٱلمشرع » [١/٣٩٩ـ٤٠١] و« ٱلغُررِ » و« شرحِ ٱلعينيّةِ » [٢٠٥ـ٢٠٧] وغيرِها ، بل جاءَ في « ٱلفتحِ ٱلمبينِ » لِلعلاَّمةِ ٱلجليلِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ مصطفىٰ نزيلِ مصرَ : أَنَّ مناقبَهُ مخصوصةٌ بٱلتَّأليفِ ، أَحبَّ ٱلانجماعَ عنِ ٱلنَّاسِ آخِرَ حياتهِ ، فٱبتنىٰ بعيديد مسجداً وداراً صغيرينِ ، وٱعتزلَ ٱلخَلْقَ ، وأَقبلَ على ٱلعبادةِ ، ولا ينزلُ إلاَّ لِلجمعةِ ٱلمفروضةِ أَوِ ٱلعيادةِ ٱلمندوبةِ ، ثمَّ بنىٰ عندَهُ أَصحابُهُ حتَّىٰ صارَ قريةً معمورةً .

وكانَ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدٌ هـٰذا شديدَ ٱلخوفِ مِنَ ٱللهِ ، حتَّىٰ لقد ذكرَ صاحبُ « مفتاحِ ٱلسَّعادةِ وٱلخيرِ » عن شيخِهِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عليٍّ ، عن والدهِ عليٍّ بنِ أَبي بكرٍ : (أَنَّ ٱلسَّيِّدَ عبدَ ٱللهِ بنَ مُحَمَّدِ بنِ حكمٍ باقشير إذا قامَ للصَّلاةِ . . ٱنتفضَ وجرىٰ دمعُهُ علىٰ خدَّيهِ ولحيتهِ طيلةَ صَلاتهِ ، حتَّىٰ لقد حصلَ لدموعهِ أَثرٌ ظاهرٌ علىٰ خدَّيهِ ، قالَ ٱلشَّيخُ عليٌّ : وكذلكَ رأَيتُ ٱلفقيهَ مُحَمَّدَ بنَ عليٍّ صاحبَ عيديد) اهـ

ومثلُ هـٰذا ٱلأثرِ على ٱلخدِّ مِنَ ٱلدَّمعِ مشهورٌ عنِ ٱبنِ ٱلخطَّابِ رضيَ ٱللهُ عنهُ ، ومثلُ ذلكَ ٱلخوفِ مذكورٌ عن زينِ ٱلعابدينَ عليٍّ بنِ ٱلحسينِ .

وكانَ والدُ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ مولىٰ عيديد[2] مِنْ مراجيحِ ٱلعلماءِ ٱلأتقياءِ ، وهوَ معروفٌ بصاحبِ ٱلحَوطةِ ـ محلٌّ بقربِ تريم ، لعلَّهُ ٱلَّذي بينَها وبينَ ٱلحاوي ؛ فإنَّهُ لا يزالُ يُطلَقُ عليهِ لفظُ ٱلحوطةِ إلى ٱلآنَ ـ ٱنجمعَ فيها عنِ ٱلخَلْقِ ، وكانَ ولدُهُ مُحَمَّدٌ سكنَ قبلَ عيديدَ قريباً مِنْ حوطةِ والدهِ .

أَخذَ أَبو مُحَمَّدٍ عنِ ٱلشَّيخِ ٱلسَّقَّافِ ، وتوفِّيَ سَنةَ (٨٣٨هـ) ، وكانتْ وفاةُ ولدِهِ مُحَمَّدٍ سَنةَ (٨٦٢هـ) ، ولَهُم ذرِّيَّةٌ صالحةٌ بعيديد وغيرِها ؛ منهُمْ :

---

(١) وإليه ينسب السادة آل عيديد ، وتمام نسبه : محمد بن علي ـ صاحب الحوطة ـ ٱبن محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٧٢٥هـ) ٱبن عبد الرحمـٰن بن علوي عم الفقيه . وسيأتي أن وفاته سنة (٨٦٢هـ) . وقبر في قبر جده أحمد بن عبد الرحمـٰن في الرضّة .

(٢) ترجمته في « المشرع » (٢/٥١٥ـ٥١٦) ، و« الغرر » ، و« الجوهر » ، و« إتحاف المستفيد » (٣٤٠ـ٣٤٥) .

ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ مُحَمَّدِ بن عليٍّ مولىٰ عيديدَ ، قالَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ مُحَمَّدٍ باقُشَيرٍ في كتابهِ « مفتاحِ ٱلسَّعادةِ وٱلخيرِ » : (وأَعقبَ ٱلشَّيخُ حَكَمُ باقُشَير بنتاً يقالُ لَها : حكيمةُ ، تحفظُ القرآنَ ، تزوَّجَها ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ مُحَمَّدٍ صاحِبُ عيديد بإِشارةِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلعيدروسِ ، وكانَ هوَ ٱلَّذي دفعَ عنهُ ٱلجهازَ ، ثمَّ بعدَ أَيَّامٍ سارَ ٱلشَّيخُ حَكَمٌ إِلىٰ شعبِ هودٍ وأَخذَ معَهُ علياً يُروِّضُهُ ويُربِّيهِ ، وبقيا على ٱجتهادٍ في ٱلعبادةِ ، وكانَ أَكثرَ قُوتِهِم هناكَ ثمرُ ٱلأَراكِ) .

وتوفِّيَ عليٌّ ٱلمذكورُ في سنةِ تسعِ مئةٍ وتسعَ عشرَةَ (٩١٩هـ)[١] .

ومِنهُمُ : ٱلسَّيِّدُ أَبو بكرِ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ عليِّ بنِ مُحَمَّدٍ ، صاحبُ عيديد[٢] ، لَهُ « وصيَّةٌ جامعةٌ » مِنَ ٱلعلاَّمةِ ٱبنِ حجرٍ ٱلهيتميِّ بتاريخ صفر سَنَةَ (٩٥٥هـ) ، أَوردَها ٱلفاضلُ ٱلشَّيخُ ٱمبارِكُ عمر باحريش[٣] في كتابهِ « إِتحافِ المستفيدِ » ٱلَّذي جمعَهُ علىٰ لسان شيخِهِ ٱلصَّالحِ المنوَّرِ ٱلقَلْبِ مُحَمَّدِ بنِ حسنٍ عيديد ، وفيهِ تعريفٌ بكثيرٍ مِنَ ٱلسَّادةِ ٱلمشارِ إِليهم وغيرِهم .

وقد مرَّ في سيئونَ أَنَّ بها منهُمُ ٱلفاضلَ ٱلصَّالحَ ٱلسَّيِّدَ حسينَ بنَ عبدِ ٱللهِ بنِ حسنٍ عيديد ، شريفٌ كريمٌ ، موطَّأُ ٱلأَكنافِ ، رحبُ ٱلفِناءِ للأَضيافِ ، ولا زالَ محمودَ ٱلسَّيرِ ، معاناً على ٱلمروءَةِ وٱلخيرِ ، وإِيَّانا . . آمينَ .

ومِنْ سكَّانِ عيديد : ٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ عبدِ ٱللهِ ٱلخطيبُ[٤] ، تولَّىٰ خطابةَ جامعِ تريم وهوَ ٱبنُ خمس عشرَة سنةً ، ودامَ عليها إِلىٰ أَنْ ماتَ ، وقَدْ نيَّفَ على ٱلسَّبعينَ في سَنَةِ (١٣٣٣هـ) ، وكانَ فاضلاً خاشعاً ناسكاً ، شريفَ ٱلسِّيرةِ ، ولذا نجعوا لَهُ بخَطابةِ

---

(١) « إتحاف المستفيد » (٣٢٧ـ٣٢٨) ، وذكر فيه أنه طلق ابنة باقشير لعدم رغبته في التزوج آنذاك .

(٢) توفي بمكة ، ولم تؤرخ وفاته ، وله أخ يلقب بالمحجوب ، توفي بالشحر سنة (٩٧٣هـ) ، وهناك اضطراب بين ما ورد في « الفرائد الجوهرية » للسيد الكاف (٣/ ٨٣٥) ، وبين ما جاء في « إتحاف المستفيد » (٣١٩) .

(٣) نقلاً عن خط العلامة مفتي تريم الشيخ أبي بكر بن أحمد الخطيب ، تقع في (٦) صفحات .

(٤) أحمد بن عبد الله بن عمر بن أحمد بن حسين الخطيب ، المتوفى سلخ محرم بكرة الجمعة سنة (١٣٣٣هـ) ، كان رجلاً فاضلاً صالحاً ، ترجم له في « الإتحاف » برقم (١٧٥) ، وتُرجِمَ له في « الرسالة الجامعة لخطباء تريم » (٥٨ـ٦٠) .

تريم صغيراً ، معَ أَنَّ مقابلَ ٱلأَظهرِ عدمُ صحَّةِ ٱلجمعةِ خَلْفَهُ ؛ لأَنَّها لا تنعقدُ بهِ ؛ إذ كانَ مِنْ قريةٍ مستقلَّةٍ لنَفْسِها .

ويُذكرُ أَنَّ سيِّدَ ٱلوادي ٱلحسنَ بنَ صالحٍ ٱلبَحْرِ حضرَ خُطْبَتَهُ وصلَّىٰ خَلْفَهُ . ولمَّا ماتَ . . طمعَ فيها ولدُهُ عبدُ ٱلرَّحمٰنِ ، وأَرادَ أَنْ يَبْقَىٰ عليها مِنْ بعدِهِ ، فلَم يَرضَهُ ٱلخُطَباءُ[١] ، وٱنتزعوها منهُ عَنوةً ، وسلَّموها لِمَنْ لا تصلحُ إلاَّ لَهُ ، وهوَ : ٱلعلاَّمةُ ٱلتَّقيُّ ، ٱلعابدُ ٱلنَّزيهُ ، ٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ أَحمدَ ٱلخطيبُ[٢] ، كانَ غزيرَ ٱلعِلْمِ ، طويلَ ٱلحِلْمِ ، كريمَ ٱلشَّمائِلِ ، كثيرَ ٱلفضائِلِ ، فلَم يَزلْ عليها إلىٰ أَنْ ماتَ .

وكانتِ ٱلخطابةُ أَلقتْ رَحْلَها في هٰذا ٱلبيتِ ثمَّ لَم تَتحوَّلْ[٣] ، حتَّىٰ إنَّهُ لمَّا مرضَ ٱلشَّيخُ عليُّ بنُ مُحَمَّدٍ ٱلخطيبُ[٤] ، وكان أَولادُهُ صغاراً . . طلبَها بعضُ أَهلِ ٱلعِلْمِ لِنَفْسِهِ ، ولٰكنْ قامَ ٱبنُ أُختهِ ٱلفقيهُ ٱلمحقِّقُ أحمدُ بنُ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ علويٍّ عمِّ ٱلفقيهِ[٥] ،

---

(١) أي : أسرة آل الخطيب ، المتولون لهٰذه الوظيفة منذ زمن قديم .

(٢) هو العلامة المفتي الفقيه محمد بن أحمد بن سالم بن عبد الله بن أبي بكر الخطيب التريمي ، ولد بها سنة (١٢٨٤هـ) ، وتوفي سنة (١٣٥٠هـ) ، كان فقيهاً نحريراً حاذقاً ، درّس برباط تريم وزاوية الأوابين وزاوية سرجيس وزاوية بروم ، ومن شيوخه : المفتي المشهور ، والسيد علوي المشهور ، والشيخ أحمد الخطيب . ترجمته في : « تذكرة الباحث المحتاط » للمؤرخ عبد الله بن حسن بلفقيه ، و« الرسالة الجامعة في ذكر من تولى الخطابة بتريم » للشيخ أبي بكر الخطيب (٦١ ـ ٦٩) (خ) . والمترجم هو الخطيب الثاني والثلاثون ممن رقوا منبر جامع تريم منذ نحو (١٠٠٠) سنة .

ومن الآخذين عنه : ابن أخيه الشيخ العلامة الفقيه عمر بن عبد الله بن أحمد بن سالم ، المولود بتريم سنة (١٣٢٦هـ) ، والمتوفى بسنغافورة سنة (١٤١٨) ، كان علامة نحريراً ، طوّحت به الأسفار إلى سنغافورة ، وأقام بها مفتياً ومرشداً وقاضياً وخطيباً حتى توفي عليه رحمة الله .

(٣) جاء في « برد النعيم » أن أول من تولى الخطابة منهم هو جدهم الجامع الشيخ الإمام محمد بن سليمان بن أحمد بن عباد بن بشر في القرن الثالث الهجري ، ثم قام بعده ابنه علي ، فابنه إبراهيم بن علي ، فيحيى بن إبراهيم ، فإبراهيم بن يحيى ، فعلي بن إبراهيم ، فمحمد بن علي المتوفى سنة (٦٠٩هـ) ، وهو والد الشيخ علي صاحب الوعل الآتي ذكره .

(٤) وهو الملقب بصاحب الوعل لكرامة جرت له ، توفي سنة (٦٤١هـ) كما في « تاريخ شنبل » ، له مناقب وحكايات في « الجوهر » ، و« البُرْد » .

(٥) توفي السيد الفقيه أحمد بن عبد الرحمٰن سنة (٧٢٠هـ) ، ترجمته في « المشرع » (٢/١٣٧ ـ ١٣٨) .

فحدبَ عليهم[1] ، ونابَ فيها عنهُم ، ولمَّا تسنَّمَ ذروةَ ٱلمنبرِ لأَوَّلِ مرَّةٍ . . بكىٰ وٱستبكىٰ بما طابَ وراقَ ، حتَّى ٱنحفظَ خبرُهُ ، وبقيَ ذِكرُهُ خالداً في ٱلأوراقِ ، ولمَّا تأَهَّلَ أَولادُ خالهِ . . دفعَها إِليهِم .

وكانت وفاةُ ٱلفقيهِ أَحمدَ هـٰذا في سَنةِ (٧٢٠هـ)[2] .

وفي (قسمِ ٱلفيءِ وٱلغنيمةِ) مِنَ « ٱلتُّحفةِ » [٧/١٣٨ـ١٣٩] و« ٱلنِّهايةِ » [٦/١٤١] : (وٱستنبطَ ٱلسُّبكيُّ مِنْ إِعطاءِ مُمَوِّني ٱلمرتزقِ مِنْ أَولادٍ وزوجاتٍ : أَنَّ ٱلفقيهَ أَوِ ٱلمعيدَ أَوِ ٱلمدرِّسَ إِذا ماتَ . . يُعطىٰ ممونُهُ ممَّا كانَ يأْخذُهُ ما يقومُ بهِ ؛ ترغيباً في ٱلعِلْمِ ، فإِنْ فَضَلَ شيءٌ . . صُرفَ لِمَنْ يقومُ بٱلوظيفةِ ، ولا نظرَ لاختلالِ ٱلشَّرطِ فيهِم ؛ لأَنَّهُم تبعٌ لأَبيهِم ، فمُدَّتُهُم مغتفَرةٌ في جنبِ ما مضىٰ كزمنِ ٱلبطالةِ ، وٱلممتنعُ إِنَّما هوَ تقريرُ مَنْ لا يصلحُ ٱبتداءً .

ورُدَّ بظهورِ ٱلفرقِ بينَ ٱلمُرْتَزِقِ وغيرِهِ ؛ بأَنَّ ٱلعِلْمَ محبوبٌ لا يصدُّ ٱلنَّاسَ عنهُ شيءٌ) اهـ

وكأَنَّهُما يُشيرانِ إِلىٰ ما جاءَ في « طبقاتِ ٱبنِ ٱلسُّبكيِّ » [٨/١٨١] مِنْ قولِهِ : (أَشاعَ كثيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ أَنَّ ٱلوالدَ كانَ يرىٰ توليةَ ٱلأَطفالِ وظائفَ آبائِهِم مع عدمِ صلاحيَّتِهِم إِذا قامَ بٱلوظائفِ صالحٌ ، ويرجحُهُم على ٱلصَّالحينَ ، وتوسَّعوا في ذلكَ ، ونحنُ أَخبرُ بأَبينا ، ولَم يَكُنْ ذلكَ رأْيَهُ على ٱلإِطلاقِ ، وإِنَّما كانَ رأْيُهُ فيمَنْ كانت لَهُ يدٌ بيضاءُ في ٱلإِسلامِ ـ مِنْ عِلمٍ وغيرِهِ ـ وتركَ ولداً يُمكنُ أَنْ يتأَهَّلَ بأَنْ يُباشرَ وظيفتَهُ مَنْ يصلحُ لها وتكونُ ٱلوظيفةُ بٱسمِ ٱلولدِ ؛ لأَنَّ ٱلتَّوليةَ تنقسمُ إِلىٰ قسمينِ : توليةِ ٱختصاصٍ ، وتوليةِ مباشَرةٍ .

فتوليةُ ٱلاختصاصِ لِلصَّبيِّ ، وتوليةُ ٱلمُباشَرةِ لِلمباشِرِ .

ومتَىٰ ثَبتتْ ولايةُ ٱلاختصاصِ لِلطِّفلِ . . كانَ مستحقّاً للوظيفةِ ٱستقلالاً ، فيأْخذُها عندَ صلوحيَّتِهِ مِنْ دونِ ٱحتياجٍ إِلىٰ تجديدِ ولايةٍ .

---

(١) حدَبَ عليهم : ٱنحنىٰ عليهم ، والمراد : عطف عليهم .

(٢) وهو مشهور بالفقيه ؛ لأن من محفوظاته : « الوجيز » للغزالي .

وإنْ لَم يُمكنْ أَنْ يتأَهّلَ ؛ كبنتٍ وزوجةٍ في إمامةِ مسجدٍ ، أَو ٱبنٍ أُيستْ أَهليَّتُهُ . . فهـٰؤلاءِ لا أُوَلِّيهم مطلقاً .

وإنَّما أَقولُ لِمنْ أُولِّيهِ : التزمْ بِٱلنَّذرِ ٱلشَّرعي أَنْ تدفعَ إِليهم كيتَ وكيتَ ما دامَ كذا مِنْ معلومِ هـٰذهِ ٱلوظيفةِ . .) إلىٰ آخِرِ ما أَطالَ بهِ .

وليسَ بِٱلنَّصِّ فيما سَبَقَ عنِ « ٱلتُّحفةِ » و« ٱلنِّهايةِ » ، ولـٰكنَّهُ تفصيلٌ لِما نقلاهُ عنهُ مجملاً فيحقُّ لَهُ ٱلاعتمادُ ، وإنَّما ذكرتُهُ لِما فيهِ مِنَ ٱلفائدةِ ، ولأَنَّهُ لا يعدمُ شبهاً بقضيَّةِ أَولادِ ٱلشَّيخِ عليٍّ وٱبنِ عمَّتهِمُ ٱلفقيهِ أَحمدَ في ٱلجُمْلةِ .

ثمَّ رأَيتُ ٱبنَ عابدينَ نقلَ في حاشيتهِ « ردِّ ٱلمحتارِ على ٱلدُّرِّ ٱلمختارِ » عنِ ٱلبيريِّ ما نصُّهُ [٥/ ٤٤] : (أَقولُ : هـٰذا مؤيِّدٌ لِما هوَ عُرْفُ ٱلحَرَمَيْنِ ٱلشَّريفينِ ومصرَ وٱلرُّومِ ، مِنْ غيرِ نكيرٍ مِنْ إبقاءِ أَبناءِ ٱلميتِ ـ ولَو كانوا صغاراً ـ علىٰ وظائفِ آبائِهم مُطْلقاً ، مِنْ إمامةٍ وخَطابةٍ وغيرِ ذلكَ ، عُرْفاً مرضيّاً ؛ لأَنَّ فيهِ إحياءَ خَلَفِ ٱلعلماءِ ومساعدتهم علىٰ بذلِ ٱلجهدِ في ٱلاشتغالِ بِٱلعِلْمِ ، وقد أَفتىٰ بجوازِ ذلكَ طائفةٌ مِنْ أَكابرِ ٱلفضلاءِ ٱلَّذينَ يُعوَّلُ علىٰ إفتائِهم) اهـ

وما ذكرَهُ ٱبنُ ٱلسُّبكيِّ مِنَ ٱلتَّفصيلِ هوَ ٱلحسنُ ٱلجميلُ ؛ لأَنَّهُ ٱلجامعُ للمصلحتينِ : توليةِ ٱلصالحِ مراعاةً للمسلمينَ ، ومواساةِ ٱلأَبناءِ قياماً بواجبِ فضلِ ٱلعلمِ .

ٱلحَاوِي[1] :

هوَ قريةٌ صغيرةٌ في شرقيِّ تريم ، كانت منفصلةً عنها ، ولـٰكنَّها أُدخلَتْ في سُورِها ٱلَّذي بناهُ ٱلأَميرُ سالمُ بنُ عبُودِ بنِ سالمٍ ٱلكثيريُّ في سَنَةِ (١٣٣٠هـ) وقْتَمَا كانَ علىٰ إمارتِها ، وقد أَنفقَ فيهِ أَموالاً جزيلةً ، ٱستدانَ بعضَها مِنْ أَخيهِ بدرِ بنِ عُبُودٍ علىٰ ضوءِ وعدٍ مِنَ ٱلسُّلطانِ محسنِ بنِ غالبٍ وأَغنياءِ تريم بِٱلوفاءِ ، فلَم يَفعلوا ، فٱنظلمَ سالمٌ وظلمَ أَخاهُ .

---

(١) ويسميه الإمام الحداد : حاوي الخيرات . وهو غير حاوي الحوطة الذي تقدم ذكره في معرض الكلام على القرى المحيطة بها .

وكانَ بِٱلحاوي جماعةٌ مِن آلِ ٱلجِفريِّ سكنوها قبلَ أَن ينزلَ بها ٱلحدَّادُ[1] ، وكانَ ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ شيخِ بنِ حسنِ بنِ علويٍّ ٱلجفريُّ مؤاخياً للقطبِ ٱلحدَّادِ ، وصَهَرَ ٱلحدَّادَ إِلى ٱلسَّيِّدِ حسنِ بنِ علويٍّ ٱلجفريِّ علىٰ بنتِهِ .

ومِن آلِ ٱلجفريِّ ٱلسَّيِّدُ ٱلشَّهيرُ شيخُ بنُ محمَّدِ بن شيخِ ٱلجفريُّ ، صاحبُ مليبار ؛ فقد وصلَ ٱلحاوي سنةَ (١١٨٧هـ) ، وأَخذَ عن ٱلعلاَّمةِ ٱلحسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلحدَّادِ ، وبدأَ بهِ في ٱلأُرجوزةِ ٱلتي نَظَمَها في ٱلإسنادِ ، وشَرَحها بكتابهِ ٱلمُسمَّىٰ : « كنزَ ٱلبراهين » .

وكانَ بِٱلحاوي بيتٌ ومسجدٌ صغيرٌ للحبيبِ عمرَ بنِ أَحمدَ ٱلمنفِّرِ ، وهوَ جدُّ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ علويٍّ ٱلحدَّادِ ٱلغاني بتسميتِهِ عنَ كلِّ وصفٍ ؛ إِذ كانَ كما قيلَ [مِنَ ٱلوافر] :

وَكَـانَ مِـنَ ٱلْعُلُـومِ بِحَيْـثُ يُقْضَـىٰ ... لَـهُ مِـنْ كُـلِّ فَـنٍّ بِـٱلْجَمِيـعِ

فلا حاجةَ للإِطنابِ وٱلآثارُ ناطقةٌ بفضلِهِ ، وٱلإِجماعُ منعقدٌ علىٰ تقديمِهِ .

وفي سنةِ (١٠٨٣هـ) ٱبتنى ٱلحبيبُ ٱلحدَّادُ دارَهُ بِٱلحاوي وبقيَ يتراوحُ بينَهُ وبينَ دارِهِ بتريم .

وفي سنةِ (١٠٩٩هـ) ـ وهيَ سنةُ ميلادِ ٱبنِهِ ٱلحسنِ ـ ٱستوطَنَهُ صيفاً وشتاءً ، وٱنتشرت علومُهُ في ٱلبلادِ ، وأَخَذَ عنهُ ٱلحاضرُ وٱلبادِ .

ولنا إِليهِ طرقٌ كثيرةٌ ؛ مِن أَقربِها : أَنَّني أَخذتُ عنِ ٱلسَّيِّدِ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بنِ

---

(١) سيدنا الإمام ، شيخ الإسلام ، مجددُ الدين على رأس المئة الحادية عشر من هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ولد سنة (١٠٤٤) ، وانتقل إلى الدار الآخرة سنة (١١٣٢هـ) .
لم تعرف حضرموت أحداً مثل هٰذا العَلَم في العلم والعبادة والصلاح والدعوة إلى الله ، وقد انتشرت دعوته وكتبه في أقطار الدنيا ، وألفت في مناقبه المؤلفات الرائعة ، وصنفت المصنفات البديعة ، فكتب تلميذه السيد محمد بن زين بن سميط « غاية القصد والمراد » في مجلدين طبعا ، وذَيّله بـ« بهجة الزمان » في تراجم الشيوخ والتلامذة ، واختصرها في « بهجة الفؤاد » .
وللإمام الحداد من البنين : علوي ، والحسن ، والحسين ، وزين العابدين ، وسالم ، ومحمد .

عليٍّ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلسَّقَّافِ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (١٣٠٧هـ) عن مئةٍ وخمسةَ عشرَ عاماً ، وهوَ أَخذَ عن أبيهِ عن جدِّهِ عنِ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ .

وأَخَذَ ٱلسَّيِّدُ محمَّدٌ أَيضاً عنِ ٱلعلاَّمةِ ٱلجليلِ أَحمدَ بنِ حسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلحدَّادِ ، وأَدْرَكَ مِن زمانِهِ ٱثني عشرَ عاماً .

وٱلحبيبُ أَحمدُ أَخَذَ عن جَدِّهِ ٱلقُطبِ ٱلحدَّادِ ، وأَدركَ مِن زمانِهِ خمسَ سنينَ .

ومنها : أَنَّني أَخذتُ عنِ ٱلحبيبِ ٱلمعمَّرِ محمَّدِ بنِ إِبراهيمَ بلفقيهِ ، وهوَ أَخَذَ عن عمِّهِ ٱلحبيبِ عيدروسٍ ، وهوَ أَخَذَ عنِ ٱلأُستاذِ عبدِ ٱللهِ بن علويٍّ ٱلحدَّادِ .

وكانَ ٱلسُّلطانُ ياقوتٌ يهدي للقطبِ ٱلحدَّادِ ٱلأَكسيَةَ ٱلفاخرةَ وٱلشَّالاتِ ٱلمُثْمِنَةَ وٱلعمائِمَ ٱلَّتي تبلغُ ثمانينَ ذراعاً في عرضِ ذراعٍ ونصفٍ ، وإِن كانوا لَيَلْوونها ٱثنتي عشرةَ لَيَّةً ، ثمَّ يُدخلونَها ٱلخاتمَ فتمرُّ فيهِ ، وكانَ يُعطي بعضَها لابنهِ ٱلحسنِ فيلبسُها ؛ لولَعِهِ في شبابِهِ بٱلثِّيابِ ٱلفاخرة ، ولـٰكنَّهُ لمَّا عادَ مِنَ ٱلحجِّ في سنةِ (١١٤٨هـ) . . ٱخشوشَنَ ، فلم يلبس إِلاَّ ٱلخوذةَ وٱلبَتَّ ـ مِن غزلِ ٱلحاوي وٱلسُّبيرِ ـ فوقَ ٱلشُّقةِ ، ويقتصرُ في ٱلبيتِ على ٱلشقَّةِ وٱلكوفيَّةِ ٱلبيضاءِ ٱلمخرَّمةِ ، ويلبسُ ٱلعمامةَ للجمعةِ معَ ٱلسِّروالِ وٱلقميصِ ، ويلبسُ ٱلبتَّ مِن فوقِ ٱلقميصِ .

وفي أَخبارِهِ ـ أَعني ٱلحسنَ بنَ ٱلحدَّادِ ـ أَنَّهُ تركَ ٱلرِّداءَ رأساً بعدَ رجوعِهِ مِنَ ٱلحجِّ ، وذكَرَ ٱلشَّيخُ عمرُ بنُ عوضٍ شيبانَ عن سيِّدِنا ٱلأُستاذِ ٱلأَبَرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ أَنَّهُ يقولُ : كانت ٱلطَّبقةُ ٱلَّتي قبلَنا يكتفونَ بٱلقمصانِ ٱلحضرميَّةِ ، وقليلٌ مِنَ ٱلأَعيانِ مَن تكونُ عندَهُ مصدَّرةُ بَتٍّ ، وأَمَّا ٱلجُبَبُ . . فلا يلبسونَها إِلاَّ في ٱلأَعيادِ .

توفِّيَ سيِّدُنا عبدُ ٱللهِ بنُ علويٍّ ٱلحدَّادُ في سنةِ (١١٣٢هـ) عن ثمانٍ وثمانينَ سنةً إِلاَّ ثلاثةَ أَشهرٍ ، وخلَّفَ عدَّةَ أَولادٍ وبناتٍ ، وهم : علويٌّ وحسنٌ وزينٌ وحسينٌ وسالمٌ ومحمَّدٌ ، وكلُّهم أَسنُّ مِنَ ٱلحسنِ إِلاَّ زيناً ؛ فإِنَّهُ بعدَهُ .

وقامَ في مقامِهِ بأَمرِهِ ولداهُ علويٌّ وحسنٌ ؛ إِذ قالَ لهما في حياتِهِ : (أَقمتُكُما مقامي وأَنبْتُكما عنِّي) ، ونزَل لهما في آخرِ عمرِهِ عن إِمامةِ ٱلصَّلاةِ ، فكانَ يؤُمُّهُ علويٌّ إِن

حضرَ ، وحسنٌ إن غابَ ، غيرَ أنَّ أكثرَ إقامةِ علويٍّ وأولادِهِ بالسُّبيرِ .

وكانَ الحسنُ لا يفارقُهُ ؛ فهوَ الَّذي تكثرُ إمامتُهُ لهُ ، وإذا زاروا هُوداً عليهِ السَّلامُ . . كانَ الَّذي يُسَلِّمِ بالنَّاسِ عندَ البيرِ : علويٌّ ، وعندَ الضَّريحِ : الحسنُ .

وكانَ هوَ الَّذي يحملُ عَن أبيهِ عامَّةَ أمرِهِ في أيَّامِ حياتِهِ ، وذكَرَ السَّيِّدُ علويُّ بنُ أحمدَ : أنَّ السَّيِّدَ محمَّداً الجفريَّ وزينَ العابدينَ الحبشيَّ وسائرَ الدَّرَسةِ تأخَّروا عن الحضورِ علىٰ علويٍّ بعدَ والدِهِ ؛ لأنَّهُ لم يُدَرِّسْ في حياةِ أبيهِ ، ولمَّا رأى الحسنُ تثاقُلَهم عَن دروسِ أخيهِ . . حَضرَ عندَهُ وأتمَّ عليهِ « سُنَنَ أبي داودَ » الَّتي ماتَ والدُهُ في أثناءِ قراءتِهِ إيَّاها عليهِ ، وأرادَ السَّيِّدُ زينُ العابدينَ أن يعملَ قبَّةً علىٰ ضريحِ القطبِ الحدَّادِ ، فمنعَهُ آلُ العيدروسِ ، وأمَّا الصُّندوقُ . . فقدِ استوفينا قصَّتَهُ في « الأصلِ » .

وعنِ السَّيِّدِ حسينِ بنِ محمَّدِ بنِ القطبِ الحدَّادِ أنَّهُ قالَ : سمعتُ ناساً مِن تريمَ ـ منهمُ السَّيِّدُ شيخُ بنُ محمَّدِ بنِ شهابٍ ـ يقولُ : لولا حسنٌ . . لمَا قامَ منصبُ آلِ الحدَّادِ ، لا يقدرُ علويٌّ ولا غيرهُ علىٰ ما تحمَّلَهُ حسنٌ ؛ لأنَّ الحسينَ توفِّيَ والدُهُ وهوَ مريضٌ ، وزَيْنٌ صغيرٌ ، وعلويٌّ مائلٌ عن تدبيرِ ما النَّاسُ فيهِ ، وإنَّما هوَ صاحبُ عبادَةٍ ، وأمَّا الحسنُ . . فقد جمعَ العِلْمَ والعملَ والفتوَّةَ ورجاحةَ الرَّأْيِ .

توفِّيَ الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ الحدَّادُ في سنة (١١٨٨هـ) عنِ تسعينَ عاماً إلاَّ تسعةَ أشهرٍ ، وقامَ في مقامِهِ ابنُهُ العالي المنار ، الجليلُ المقدار : أحمدُ بنُ حسنٍ ، إلاَّ أنَّهُ لم يَسْلَم مِن منازعةِ السَّيِّدِ عليِّ بنِ علويِّ بن القطبِ الحدَّادِ لهُ ، غيرَ أنَّهُ توفِّيَ وشيكاً في سنةِ (١١٨٩هـ) .

واستقلَّ بعدَهُ الحبيبُ أحمدُ بنُ حسنٍ بالمنصبِ ، وكانَ أهلاً ؛ لتمامِ كفاءتِهِ ، وهوَ صاحبُ العلومِ الزَّاخرة ، والمؤلَّفاتِ الشهيرةِ ، وأكثرُها فائدةً وأجملُها عائدةً : « سفينةُ الأرباحِ » في مجلَّداتٍ ثلاثةٍ كبارٍ .

وقد جاءَ في « المواهبِ والمنَنِ » الَّذي استعنتُ بهِ في الموضوعِ : أنَّهُ ـ أعني مؤلِّفَهُ الحبيبَ علويَّ بنَ أحمدَ بنَ حسنٍ ـ قرأَ « سفينةَ الأرباحِ » علىٰ جدِّهِ الحسنِ .

وجاءَ فيهِ أَيضاً : أَنَّ للحبيبِ حسنٍ « سفينةً » لا نظيرَ لها في كلِّ فنٍّ مِنَ ٱلعلومِ ٱلنَّافعةِ ، غَرِقَت فيما غَرِق على ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ حسنٍ حينَما ٱنكسرَ بهِ ٱلمركبُ في حجِّهِ سنةَ (١١٥٧هـ) ، فعملَ « سفينةَ ٱلأَرباحِ » علىٰ غرارِها .

وذَكَرَ ٱلحبيبُ علويُّ بنُ أَحمدَ بنِ حسنٍ : أَنَّ مِن نَظْمِ والدِهِ في حادثةِ ٱلغَرَقِ قولَهُ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

لَـكَ ٱلْحَمْـدُ أَمَّـا مَـا نُحِـبُّ فَـلاَ نَـرَىٰ وَنَسْمَـعُ مَـا لاَ نَشْتَهِـي . . فَلَـكَ ٱلْحَمْـدُ

وهوَ صريحٌ في أَنَّ ٱلحبيبَ علويَّ بنَ أَحمدَ قرأَ ما أَلَّفَهُ أَبوهُ مِن « سفينةِ ٱلأَرباحِ » علىٰ جدِّهِ بعدَما غرقت « سفينتُهُ » ، لـٰكنَّ ٱلعجبَ ٱلعجابَ أَنَّ ٱلحبيبَ أَحمدَ لم يُشِر في خطبةِ « سفينتِهِ » إِلىٰ ما كانَ مِن تأليفِ والدِهِ ! ولاَ بدَّ أَن يثقلَ على ٱلحسنِ إغفالُ ٱبنِهِ لذكرِهِ .

ومِن مؤلَّفاتِهِ : فتاواهُ ٱلمُسَمَّاةُ : « ٱلقول ٱلصَّواب » ، وشَرْحٌ علىٰ راتبِ جدِّه سمّاهُ : « سبيلَ ٱلهدايةِ وٱلرَّشاد » ، ومنسكٌ في ٱلحجِّ ، و« ٱلفوائدُ ٱلسَّنيَّة في تريمَ وحضرموتَ وما خُصَّ بهِ ٱلسَّادةُ ٱلعلويَّة » ، وهوَ ٱلَّذي حَرَّرَ « تثبيت ٱلفؤاد » ورتَّبهُ في نحوِ أَربعينَ كُرَّاساً . ثمَّ رأَيتُ ٱلعجلونيَّ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (١١٦٢هـ) يعزو ٱلبيتَ ٱلسَّابقَ وهوَ : (لك الحمد أما ما نحب) إلخ للمتنبي ، وهوَ مخطىءٌ في ذلكَ ، كما أَنَّ ٱلحبيبَ علويَّ بنَ أَحمدَ لم يصب في عزوِهِ لوالدِهِ ، وإنَّما قالَهُ متمثِّلاً .

توفِّيَ ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ حسنٍ في سنةِ (١٢٠٤هـ) عن سبعٍ وسبعينَ عاماً .

وخَلَفَهُ ٱبنُهُ عمرُ بنُ أَحمد ، وكانَ علاَّمةً فاضلاً ، توفي سنة (١٢٢٦هـ) .

وَخلَفَهُ أخوهُ حسينُ بنُ أَحمد بنِ حسنٍ وكانَ فاضلاً سخيّاً ، وُجِدَ سنةَ (١١٨٠هـ) وتوفِّيَ سنةَ (١٢٤٨هـ) .

وخَلَفَهُ ٱبنُهُ حسنُ بنُ حسينٍ ، وكانَ مِن أَهلِ ٱلفضلِ وٱلعلمِ ، وُجِدَ سنةَ (١٢٠٥هـ) وتوفِّيَ سنةَ (١٢٨٤هـ) .

وخلَفَهُ ٱبنُهُ عليُّ بنُ حسنٍ ، وكانَ جليلَ ٱلقدرِ عظيمَ ٱلخطرِ ، مُعَظَّماً عندَ ٱلنَّاسِ ،

ولهُ هيبةٌ في ٱلصُّدورِ ، توفِّيَ سنةَ (١٣٠٩هـ) ، وكانَ ولدُهُ العالمُ ٱلنَّاسكُ ٱلمتبتِّلُ عبدُ ٱللهِ بنُ عليٍّ غائباً بجاوةَ ، ولـٰكنَّهُ وصلَ علىٰ وشكِ ٱنقضاءِ أَجلِ أَبيهِ ، ثمَّ عادَ إِلىٰ جاوة سريعاً ، فكأَنَّما كانَ علىٰ ميعادٍ مِن موتِ والدِهِ ، ولمَّا فَرَغ مِن أَمرِهِ . . ٱنقلبَ علىٰ إِثرِهِ .

وقد أَحضرني عليهِ والدي في قَدمتِهِ تلكَ فقرأتُ عليهِ ، وأَلبسَني ، وشابَكَني ، وأَجازَني ، كما قدِ ٱستجازَ لي مِن والدِهِ عليٍّ بنِ حسنٍ ، وٱجتمعتُ بهِ ـ أَعني ٱلحبيبَ عبدَ ٱللهِ ـ بمنزلِهِ في جاوة أَوائِلَ سنةِ (١٣٣٠هـ) ، وكانَ صادعاً بِٱلحقِّ ، شديداً علىٰ أَهلِ ٱلجاهِ وٱلرِّئاسةِ مِنَ ٱلعلويِّينَ ، وطالما ٱحتجبَ عنهم وردَّهم عن بابِهِ ، توفِّي ببانقيل مِن أَرضِ جاوةَ في سنةِ (١٣٣١هـ) .

وأَمَّا ٱلَّذي خَلَفَ عَلَى ٱلمنصبِ بعدَ ٱلسَّيِّدِ عليٍّ بنِ حسنٍ ٱلحدَّاد . . فهوَ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ أَحمدَ بنِ حسنِ بنِ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ، وكانَ شهماً فاضلاً عاليَ ٱلهمَّةِ قويَّ ٱلنَّفسِ ، توفِّي بخلعِ راشدٍ في ٱلقعدةِ مِن سنةِ (١٣١٣هـ) .

وخلفَهُ ٱلحبيبُ حسنُ بنُ عمرَ بنِ حسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ بنِ حسنِ بنِ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ، وكانَ أَبيضَ ٱلقلبِ ، كثيرَ ٱلتَّواضعِ ، صادقَ ٱلإِخاءِ لوالدي ، توفِّيَ في ٱلقعدةِ مِن سنةِ (١٣٢٢هـ) .

وخلَفَهُ ولدُهُ عليُّ بنُ حسنٍ ، وكانَ شهماً كريماً ، فَحَصلت عليهِ أَذِيَّةٌ مِن آلِ تَريمَ ، فركبَ إِلىٰ جاوةَ ، وكانَ آخرَ ٱلعهدِ بهِ .

وخَلَفَهُ على ٱلمَنْصِبِ أَخوهُ عَبدُ ٱلقادرِ بنُ حسنٍ، وتوفِّيَ في محرَّمٍ مِن سنةِ (١٣٥٢هـ).

وخَلَفَهُ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدِ بنِ أَبي بكرِ بنِ محمَّدٍ ٱلحدَّادِ ، وتوفِّي في جمادى ٱلآخرةِ سنَةَ (١٣٥٣هـ) .

وخَلَفَهُ ٱلسَّيِّدُ عيسى بنُ عبدِ ٱلقادرِ بنِ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ أَحمدَ ٱلحدَّادِ إِلىٰ أَن توفِّيَ في رَجَبٍ مِن سنةِ (١٣٥٤هـ) .

وخَلَفَهُ أَخوهُ عبدُ ٱللهِ ، ثمَّ تنازعَ هوَ وأَبناءُ أَخيهِ عيسىٰ ، فٱنفصلَ عنِ ٱلمنصبِ وٱبتنىٰ لهُ داراً في غربيِّ خَلْعِ راشدٍ ، غَرَسَ حولَها كثيراً مِنَ ٱلنَّخلِ وتديَّرها معَ تردُّدِهِ إِلى ٱلحاوي بتريمَ .

وخَلَفَهُ على ٱلمنصبِ ٱلولدُ حسنُ بنُ عليِّ بنِ حسنِ بنِ عمرَ بنِ حسنٍ ٱلحدَّادِ ، فهوَ ٱلَّذي عليهِ ٱليومَ ، ولـٰكنَّهُ مضغوطٌ عليهِ كسائرِ ٱلمناصبِ بسببِ ٱشتدادِ ركنِ ٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ بٱلإِنكليزِ .

وفي ٱلحاوي جماعةٌ مِنْ آلِ باسالمٍ ، قالَ ٱلحبيبُ عمرُ بنُ حسنٍ : (كانَ جدُّ عمرَ بنِ عبدِ ٱللهِ جدِّ آلِ باسالمٍ مِنَ ٱلمغربِ يكاتبُ ٱلحبيبَ عبدَ ٱللهِ بنَ علويٍّ ٱلحدَّاد ، ثمَّ وصلَ حَضْرَمَوْتَ وتزوَّجَ بها . وآلُ باسالمٍ تطولُ أَعمارُهُم زائداً على ٱلنَّاسِ) .

ومِنْ كلامِ ٱلحبيبِ عمرَ بنِ حسنٍ أَيضاً : (أَنَّ ٱلحبيبَ عبدَ ٱللهِ ٱلحدَّادَ عندَهُ ستَّةُ أَولادٍ ، يلازمُهُ منهُمُ ٱثنانِ أَو ثلاثةٌ ، وٱلباقونَ يَسكنُ بعضُهُمُ ٱلحاوي ، وبعضُهُم بقيَ بتريم ، وهوَ يتركُ حبالَهُم علىٰ غواربِهِم ، فيسافرونَ حيثُ شاؤُوا ، وأَكبرُهم مُحَمَّدٌ . وكلُّ مَنْ تزوَّجَ مِنْ أَولادِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ . . بنىٰ لَهُ داراً لا تصلُ نفقتُها إِلىٰ عشرينَ ريالاً ، ويقولُ لَهُ : ٱسكنْها ، وهوَ يواسيهِم) اهـ

وكذلكَ كانَ سيِّدي ٱلحبيبُ عبدُ ٱللهِ بنُ حسينِ بنِ طاهرٍ ، إِذا زَوَّجَ أَحدَ أَولادِهِ . . أَفردَهُ بدارٍ وأَعطاهُ بقرةً وحماراً وسائرَ آلاتِ ٱلحرثِ ونَفَقَةَ خمسةِ أَشهرٍ ، وقالَ لهُ : أَنتَ بٱلخيارِ ؛ إِن شئتَ . . جعلتَني أَباً ، وإِن شئتَ . . جعلتَني أَخاً ، وإِن شئتَ . . جعلتَني كواحدٍ مِنَ ٱلمسلمينَ .

وكانَ ٱلحبيبُ عمرُ بنُ حسنٍ ٱلحدَّادُ مِن خيارِ ٱلعلويِّينَ وصلحائِهِم ، وكانَ كآبائِهِ وأَقربائِهِ يسكنُ ٱلحاوي ، ثمَّ حدثَ بينَهُ وبينَ ٱلمنصبِ ٱلحبيبِ عليِّ بنِ حسنِ بنِ حسينٍ شجارٌ علىٰ خادمةٍ منعَها ٱلحبيبُ عليٌّ عَنِ ٱلخدمةِ في بيتِ ٱلحبيبِ عمرَ ، فٱنتقلَ إِلىٰ نويدرةِ تريمَ ، ولم يَزَل بها على ٱلعلمِ وٱلعبادةِ حتَّىٰ توفِّيَ ظهرَ ٱلأَربعاءِ (٢٣) ذي ٱلحجَّةِ ٱلحرامِ مِن سنةِ (١٣٠٨هـ) أَي : قبلَ وفاةِ ٱلحبيبِ عليِّ بنِ حسنٍ بمُديدةٍ قصيرةٍ .

ومِنَ « ٱلمواهبِ وٱلمنَنِ » : أَنَّ فسادَ يافعٍ زادَ في سنةِ (١١٧٩هـ) .

ومنها : أَنَّ محسنَ بنَ عمرَ بنِ جعفرٍ نهبَ دمُّونَ وضواحي تريمَ ، فجاءَ ٱلحبيبُ طاهرُ بنُ محمَّدِ بنِ هاشمٍ يقولُ للحسنِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلحدَّادِ : (ما بقيَ لأحدٍ جاهٌ عندَ هٰذا ٱلظَّالمِ غيرُكَ ؛ فإِن شَفعتَ في رَدِّ أَموالِ ٱلمساكينِ ، وإِلاَّ . . فٱلإِثمُ عليكَ) ، فتوجَّهَ إِليهِ فيها . . فَرَدَّها .

ومنها : عنِ ٱلحبيبِ عمرَ بنِ زينِ بنِ سميطٍ : أَنَّهُ سمعَ بعضَ ٱلسَّادةِ مِن تريمَ يُفَضِّلُ ٱلحسنَ بنَ عبدِ ٱللهِ على ٱلعَلاَّمتينِ : عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ بلفقيهِ وطاهرِ بنِ محمَّدِ بنِ هاشمٍ .

ومنها : أَنَّ ٱلسُّلطانَ صالحَ بنَ ناصرِ بنِ أَحمدَ ٱلرَّصَّاصِ هَمَّ بٱلخروجِ إِلىٰ حضرموتَ ، ثمَّ ٱنثنَىٰ ، ثمَّ عَزمَ بعدُ ، فضلَّ في ٱلرَّملِ عتادُهُ مِنَ ٱلبارودِ وٱلرَّصاصِ ، وتفرَّقَ شملُ أَصحابِهِ وكَثُرَ فيهمُ ٱلموتُ وٱلمرضُ ، وعادَ خائباً .

ومِنها : أَنَّ ٱلحبيبَ حسناً خَرَجَ هوَ وأَولادُهُ وقرابتُهُ وأَتباعُهُ إِلىٰ بيتِ جُبَيْرٍ فذهبَ أَحدُ أَحفادِهِ ومعَهُ ٱلخدمُ يأمرُهم أَن يجمَعوا ٱلقَضْبَ مِنَ ٱلآبارِ ٱلَّتي حواليهِ لمراكيبِهم ، وٱلمُتَبَادرُ أَنَّهم يأخذونَها ـ علىٰ عادة ٱلمناصبِ ـ بدونِ مقابلٍ ، وهوَ مِنَ ٱلمُشكلاتِ ؛ كَمِثْلِ ما سبقَ في ٱلمبحثِ ٱلثَّالثِ مِنَ ٱلحُسيَّسةِ ، إِلاَّ أَن يُقالَ : إِنَّها مرصودةٌ للمصالِح فتلزمُ مواساتُها ؛ بآيةِ أَنَّهم لا يأخذونَ إِلاَّ للخيلِ ، فقد يحتملُ ، إِلاَّ أَنَّهُ مِنَ ٱلبعيدِ أَن تكونَ مراكيبُ ٱلحسنِ وأَتباعِهِ خيلاً كلُّها معَ كثرةِ ٱلخيلِ إِذ ذاكَ بحضرموتَ ؛ فقد كانَ ٱلسُّلطانَ عيسى بنُ بدرٍ يزورُ ٱلقُطبَ ٱلحَدَّادَ في أَربعينَ عِناناً ، وكانَ فِرَاشُ مدرسةِ ٱلقُطبِ ٱلحدَّادِ بٱلحاوي حصيراً مِن دونِ وسادةٍ ، وأَمَّا في منزلِهِ . . فسجادةٌ عليها وسادةٌ .

وفي أَيَّام ٱلحسنِ فَرَشَ منزلَهُ ٱلواسعَ بٱلسُّجَّادِ ٱلفارسيِّ مِن غيرِ ٱلهنديِّ .

وتزوَّجَ ٱلقطبُ ٱلحدَّادُ بنيِّفٍ وثلاثينَ ٱمرأَةً ، أَربعَ عشرةَ مِنَ ٱلشَّرائفِ ، وٱلبواقي مِن غيرهنَّ ، وأُمُّ ولدِهِ محمَّدٍ مِن آلِ كثيرٍ .

ولسيف بنِ محمَّدٍ ٱلكثيريِّ كانَ تأليفُ « رسالةِ ٱلمُريدِ » ، وعنِ ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ أَنَّ سيِّدَنا ٱلحدَّادَ يقولُ : لم نُسَمِّ ٱلَّذي أَلَّفنا لهُ « رسالةَ ٱلمريدِ » ؛ لأَنَّهُ رجعَ عنِ ٱلإِرادةِ ، وكثيراً ما يُوَكِّلُ ٱبنَهُ ٱلحسنَ في قبولِ ٱلنِّكاحِ لهُ ، وكانَ لا يزيدُ علىٰ مسحةٍ واحدةٍ لرأسِهِ ، إلاَّ أَنَّهُ يمسحُهُ كلَّهُ ، وقد سرَّني هـٰذا لموافقتِهِ لِمَا أَنا عليهِ مِن زمانٍ قبلَ أَن أَعلمَ بهِ ، وقبلَ أَن أَعرفَ أَنَّ جدِّي ٱلمحسنَ بنَ علويٍّ كانَ علىٰ مثلِهِ .

وقد لقي ٱلقطبُ ٱلحدَّادُ أَذىً كثيراً مِن إِخوانِهِ ، قالَ ٱلحبيبُ عمرُ بنُ حسنٍ : إِنَّهُ ٱشترىٰ مالَ أَهلهِ ثلاثَ مرَّاتٍ ، كلَّما ٱشتراهُ . . ٱدَّعىٰ عليهِ بعضُ إِخوانهِ . قيلَ لَهُ : وكذلكَ ٱلحبيبُ حسنُ بنُ أَحمدَ ٱلعيدروسُ ، فقالَ : يرحمُهُ ٱللهُ رحمةَ ٱلأَبرارِ .

وأَكثرُ ما وقعَ ٱلأَذىٰ على ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ مِنْ أَخيهِ عمرَ[1] ، حتَّىٰ لقد سمعتُ ـ لـٰكنْ ممَّنْ لا أَثِقُ بهِ ـ أَنَّهُ ٱدَّعىٰ عليهِ بمئَةِ بهارِ ذهب ، فما زالَ أَهلُ ٱلتَّدبيرِ ومحبُّو ٱلإِصلاحِ يسفرونَ بينهم حتَّىٰ تمَّ ٱلصُّلحُ علىٰ مئَةِ بهارِ تمرٍ مِنْ نخيلِ وادي ٱلذَّهبِ ، وٱللهُ أَعلمُ بصحَّةِ ذلكَ .

وقالَ بعضُهم: إِنَّما كانتِ ٱلدَّعوىٰ في بهارٍ واحدٍ مِنَ ٱلذَّهبِ . وهـٰذا هوَ ٱلأَقربُ .

ثم ما زالوا به حتَّىٰ أَبعدوهُ عنهُ ، ونقلوهُ إِلى ٱلحاوي ٱلَّذي ٱختطَّهُ في شمالِ حوطةِ آلِ أَحمدَ بنِ زينٍ .

وفي قضاءِ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحيمِ باكثيرٍ : توجَّهتْ على ٱلحدَّادِ دعوىٰ لزمتْهُ بها ٱليمينُ . . فغلَّظَها عليهِ ، وجاءَ معَهُ بمصحفٍ مِنْ تريم ، فقالَ لَهُ ٱلحدَّادُ : (أما عندنا مصاحفُ؟!) وفي هـٰذهِ ٱلقضيَّةِ فوائدُ :

---

(١) ولد الحبيب عمر بتريم ، ونشأ في كنف والديه ، وتربى بأخيه الإمام ، وله منه وصية طويلة ، قال فيها : (هـٰذه وصيتي لك ، والله خليفتي عليك وهو يتولى الصالحين ، كن صالحاً حتى يتولاك ، وإذا تولاك . . فلا تحتاج لأحد من الخلق . أدام الله توفيقك ، وزودك التقوى ، ويسر لك الخير أينما توجهت ، وكان لك حيثما كنت وإيانا وأحبابنا . .) إلخ . أملاها سنة (١١٧٥هـ) في شهر الله المحرم بالتماس من أخيه عمر المذكور . وبهـٰذا يتحقق لنا أخذ أخيه عمر عنه وأدبه معه ، وهـٰذا ينافي البتة ما رواه غير الثقة للمؤلف ، والله يتولى الجميع . ينظر للمزيد : « نور الأبصار » للعلامة علوي بن طاهر الحداد : (٣٤ـ٣٥) .

مِنها : أَنَّ خروجَ ٱلقاضي إِلى ٱلحاوي إِمَّا لتحليفِ ٱلحدَّادِ علىٰ عينِ ٱلمدَّعىٰ بهِ ؛ لاشتباهِهِ وَتعذُّرِ نقلِهِ ، وإِمّا لأَنَّهُ لا يليقُ بهِ ٱلحضورُ إِلىٰ مجلسِ ٱلحُكمِ .

وٱلمسأَلةُ حينئذٍ خلافيَّةٌ ، فبعضُهُم يُلزِمُهُ ٱلحضورَ لأَجلِ ٱليَمينِ ، وبعضٌ يُلزِمُ ٱلقاضيَ إِرسالَ مَنْ يُحلِّفُهُ في مكانِهِ ، وهوَ ٱلَّذي أَظُنُّني رجَّحتُهُ ، وٱلبحثُ مستوفىً في ٱلمسأَلتينِ (٥٧٠) و(٩٧٦) مِنْ كتابي : « صوبُ ٱلرُّكامِ في تحقيقِ ٱلأَحكامِ » .

وقدِ ٱختلفَ ٱلسَّلَفُ في ٱلصَّبْرِ لليمينِ ، فكرِهَهُ بعضُهُم حتَّىٰ خرجَ مِنَ ٱلمالِ أَنفةً ، ولَم يَرَ بهِ آخَرونَ بأْساً .

وقد ترافعَ مُحَمَّدُ بنُ داودَ ٱلظَّاهريُّ معَ خَصْمٍ لَهُ إِلى ٱلقاضي إِسماعيلَ بنِ إِسحاقَ ، ولمَّا توجَّهتِ ٱليمينُ على ٱبنِ داود.. قالَ لَهُ ٱلقاضي : أَيحلفُ مثلُكَ يا أَبا بكرٍ ؟ قالَ : ما يمنعني وقد أَمرَ ٱللهُ نبيَّهُ بٱلحلفِ في ثلاثةِ مواضعَ مِنْ كتابهِ ؟ قالَ ٱلقاضي : أَينَ ذلك ؟!

قالَ في قولِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ ، وقولِهِ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ ، وقولِهِ : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ .

وٱلقصَّةُ مبسوطةٌ في كتابي : « بلابلُ ٱلتَّغريدِ » .

وفي ٱلمسأَلةِ (١٣٨١) مِنَ « ٱلصَّوبِ » صرَّحَ ٱلإِمامُ في « ٱلنِّهايةِ »[1] بأَنَّ ٱليمينَ لا تجبُ ، وأَقرَّهُ ٱلرَّافعيُّ ، لٰكنْ قالَ ٱبنُ عبدِ ٱلسَّلامِ : ليسَ علىٰ إِطلاقهِ :

أَمَّا يمينُ ٱلمدَّعىٰ عليهِ : فإِنْ كانت كاذبةً.. فحرامٌ ، وإِنْ كانتْ صادقةً : فإِنْ كانَ ٱلحقُّ مما يُباحُ بٱلإِباحةِ ؛ كٱلمالِ.. وجبتِ ٱليمينُ دفعاً لمفسدةِ كذبِ خصمهِ.. إِلىٰ آخرِ ما أَطلتُ بهِ .

ومنهُ : أَنَّ ٱبنَ حجرٍ ٱستوجهَ عدمَ وجوبِ ٱليمينِ فيما يقبلُ ٱلإِباحةَ ، ووجوبَها فيما لا يَقبلُهُ إِذا تعيَّنتْ . وٱللهُ أَعلمُ .

---

(١) أي إمام الحرمين في « نهاية المطلب » .

ودعوى ٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ علويٍّ ٱلحدَّادِ علىٰ أخيهِ بِٱلذَّهبِ ٱلمشارِ إليهِ ممَّا تحيلُه ٱلعادةُ ، لـٰكن قالَ فقهاؤُنا بوجوبِ إحضارِ ٱلمُدَّعىٰ عليهِ وإن أحالَتْها ٱلعادةُ ، وهوَ مِنَ ٱلبُعدِ بمكانٍ ، لا سيَّما معَ ٱتِّفاقِهم علىٰ ردِّ كلِّ دعوىٰ وكلِّ شهادةٍ ، بل وكلِّ إقرارٍ يكذِّبُهُ ٱلشَّرعُ أَوِ ٱلحِسُّ . وٱلبَحْثُ مستوفىً في ٱلمسألةِ (٥٥٩) مِنَ « ٱلصَّوبِ » .

وبعَضُ ٱلنَّاسِ ينتقدُ فِعلَ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحيمِ ويعدُّهُ مِن إساءَةِ ٱلأدبِ ، وليسَ مِن ذلكَ في شيءٍ ، وإنَّما هوَ أداءٌ للواجبِ ، وبُعدٌ عَنِ ٱلمحاباةِ ، مَعَ أَنَّ ٱلقُطبَ ٱلحدَّادَ لم يُلاحِظ عليهِ إلاَّ ٱستصحابَ ٱلمصحفِ مِن تريمَ .

وقد أطالَ ٱلشَّيخُ عليٌّ في ترجمةِ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ووفَّاهُ حقَّهُ ؛ لأنَّهُ مِن كبارِ مشايخِهِ ، بل أكبرُهم ، وكانَ يخرجُ إلى ٱلحاوي كلَّ يومٍ بعدَ ٱلظُّهرِ ، ولمَّا حصلَت عليهِ ٱلأذيَّةُ مِنَ ٱلدَّولةِ . . لم يعتصم إلاَّ بٱلإقامةِ في ٱلحاوي .

ومن قرىٰ تريم : **ٱلمُحَيضِرَةُ** .

وكانت للسَّادةِ آلِ سميطٍ ، وهم وآلُ شبامٍ قبيلةٌ واحدةٌ ، ومنهمُ ٱلقاضي بتريمَ علويُّ بنُ سميطٍ ، تعمَّر كثيراً ، وأَضَرَّ في آخرِ وقتِهِ ، ولـٰكنَّها ٱنعمرتِ ٱلآنَ . ولَها ذِكرٌ كثيرٌ في حروبِ يافع وآلِ كثيرٍ .

ومِنها : **ٱلحَيْوَار**[1] ، وقد أُدخِلَتْ بعضُ ذبورهِ في سورِ تريم ، وعُمِّرتْ فيها ديارٌ كثيرةٌ .

ومِنها : **بريح** ، كانت بينَ دمُّونَ وتريم ، ولا أثرَ لشيءٍ مِنها إلاَّ ٱلمقبرة .

أمَّا أحوالُ تريم ٱلدُّوَليَّةُ : فكما سبقَ في شبام ذَرْوٌ مِنها ، وهيَ كرسيُّ مملكةِ آلِ قَحطانَ ٱلمتفرِّعةِ ولايتُهُم علىٰ حَضْرَمَوْتَ عن إمارةِ ٱلهَزيليِّ علىٰ شبام في حدودِ سَنةِ (٢٧٠هـ) ، وقد قالَ صاحبُ « ٱلبردِ ٱلنَّعيمِ » : (إنَّ ولايتَهُمُ ٱمتدَّتْ إلىٰ أكثرَ مِنْ ثلاثِ مئةِ سَنةٍ) اهـ

---

(١) وجرى بها في (١٢٦٢هـ) وما بعدها إبان حكم غرامة عدة حوادث . ينظر : « العدة المفيدة » (١/ ٣٤٢ـ٣٤٣) وما بعدها .

والحالُ أنّها باعتبارِ أصلِها امتدّتْ إلىٰ أطولَ مِنْ ذلكَ بكثيرٍ .

ومدافِنُهم بالرُّضَيمةِ من تريمَ ، وكانوا ـ كما في « **الأصلِ** » ـ يدفنونَ هلكاهم بها في صناديقَ ، وفي كلامِ القطبِ الحدَّادِ أنَّ بالرُّضَيمةِ صناديقَ مِن ذهبٍ ، فلعلَّ الصَّناديقَ الَّتي كانوا يدفنونَ موتاهم فيها كانت مِنَ الذَّهبِ كما الملوكُ تفعلُ ، ومِن مأثورِ الكلامِ : أنَّ أمَّ الإسكندرِ أمسكت علىٰ صندوقِ الذَّهبِ الَّذي وضعوا ابنَها فيهِ ليُدفَنَ بعدَ أَن قالَ كلٌّ مِنَ الحكماءِ كلمتَهُ المأثورةَ ، فقالَت : لقد جمعتَ هـٰذا في حياتِكَ . . فجمَعَكَ بعدَ مماتِكَ .

ثمَّ انتهى الأمرُ إلىٰ آلِ أحْمَدَ والصَّبراتِ ، وجرىٰ بينَهُم بعضِهِم بعضاً وبينَهُم وبينَ غيرِهم أمورٌ طويلةٌ عريضةٌ ، فصّلنا مِنها في « **الأصلِ** » ما شاءَ اللهُ أَنْ نُفصِّلَ ، ثمَّ صارَ الأمرُ لآلِ كثيرٍ ، ثمَّ للإمامِ ، ثمَّ ليافعٍ .

وسببُ اتِّصالِ يافعٍ بحَضْرَمَوْتَ : أنَّهُم زاروا حَضْرَمَوْتَ في أيّامِ الشَّيخِ أبي بكرِ بنِ سالمٍ ، وأحبُّوهُ ، واعتقَدوا فيهِ الصَّلاحَ ، ثمَّ زاروها في أيّامِ ابنِهِ الحسينِ ، كما سيأتي عندَ ذِكرِهِ في عينات ، ثمَّ خَرجوا معَ أحدِ سلاطينِهم ـ وهوَ : السُّلطانُ عمرُ بنُ صالحِ بنِ الشَّيخِ عليٍّ هرهرة ، اليافعيُّ وطناً ، الهَمْدانيُّ نَسَباً ـ نجدةً للأميرِ بدرِ بنِ مُحَمَّدٍ المرْدُوفِ[1] ، بإشارةٍ مِنَ الحبيبِ عليِّ بنِ أحمدَ أو مِنْ أخيهِ شيخِ بنِ أحمدَ على اختلافِ الرِّوايةِ ، أو مِنهُما كما هوَ الأقربُ . . وكانت طريقُهُم بأرضِ العوالقِ ، فأكرمَهُم سلطانُها ، ثمَّ قدِموا على العَمُوديِّ بدوعن فأضافَهُم ، ثمَّ التقوا معَ سلطانِ آلِ كثيرٍ عمرَ بنِ جعفرٍ في بَحْران سَنةَ (١١١٧هـ) وهناكَ انهزمَ آلُ كثيرٍ واستولَتْ يافعُ علىٰ جميعِ بلدانِ حَضْرَمَوْتَ الوسطىٰ والسُّفلىٰ ؛ مِثلُ : هينن ، وشبام ، وسيئون ، وتريم .

وبعدَ أَنْ ضبطَها عمرُ بنُ صالحٍ . . ركبَ إلى الشِّحْرِ واستولىٰ عليها ، ثمَّ بلغَهُ أَنَّ أَهلَ هينن نَكثوا وأخرجوا يافعاً مِنها ، فعادَ لَهُم وأخضعَهُم ، ورجعَ إلىٰ يافع وقدِ

(١) المتوفى سنة (١١٢٠هـ) ، وهو بدر بن محمد المردوف بن عمر بن بدر بوطويرق ، تولى الحكم بعد وفاة والده سنة (١٠٧٣هـ) . ينظر : « تاريخ الدولة الكثيرية » (٨٩ـ٩٤) .

ٱقتسمتْ يافعُ بلادَ حَضْرَمَوْتَ ، فكانت شبام وهينن لِلمُوسطه[١] ، وسيئونُ ومريمه لآلِ ٱلضَّبْي[٢] ، وتريمُ لِلبَعوسِ[٣] ـ وفوقها بنادق من العلوق الغالية ـ والدولةِ ، أَقامَ أناس مِنهم بسيئونَ ، وناسٌ في باجلحبان ، بحصنٍ بناهُ آلُ مطهَّرٍ ، فيهِ بئرٌ عذبةُ ٱلماءِ .

وأَمَّا بنو قاصدِ ٱليافعيُّونَ[٤] ٱلمرؤُوسونَ بٱبنِ عفيفٍ . . فقد كانَ مِنهُم ناسٌ قليلٌ في هٰذا ٱلتَّجهيزِ ، مِنهُم : آلُ يزيدَ ، رئاستُهُم بحَضْرَمَوْتَ لِلبطاطيِّ ؛ لأَنَّهُم وإِيَّاهُم شيءٌ واحدٌ ، وكانَ مسكنُهُم بٱلهجرينِ وٱلقِزه ، وفيهِ ناسٌ أَيضاً مِنَ ٱلكَلَدِيينَ[٥] ، وناسٌ مِنْ قبيلةِ يَهَر[٦] ، يقالُ لهم : ٱلشَّناظيرُ ، أَقاموا بغيلِ ابن يُمَينٍ ، فنسبَهُ بعضُ ٱلنَّاسِ إِليهِم .

وأَمَّا ٱلكساديُّ : فكانَ مِنْ ذي ناخبٍ[٧] ، وجاءَ بعدَ ذلكَ إِلى ٱلمُكلاَّ . اهـ مِنْ

---

(١) **المُوسْطه** : حلف قبلي في يافع ، عاصمتهم بلدة القدمة ، حيث مقر شيوخهم آل النقيب . . ومن قبائلهم : آل الخلاقي ، العَلَسي ، الربوي ، القعيطي ، السعدي ، السعيدي ، الجرادي ، اليسلمي ، الرشيدي ، الحوثري ، العروي ، العيسائي ، الحنشي ، وتفصيل مناطقهم في : « معجم المقحفي » (١٦٨٤) .

(٢) قبيلة من يافع العليا ، يمتازون بقوة الشكيمة ، يدينون بالطاعة لآل الشيخ علي .

(٣) لبعوس = الأبعوس : قبيلة وجبل في يافع ، ويقال لهم : (مكتب البُعْسِي) ، وجبل لبعوس هو مركز مديرية يافع إحدى كبريات مديريات محافظة لحج ، وللأبعوس فرعان مهمان ؛ هما : الحوري ، والسَّيَلي .

(٤) **بنو قاصد** : قبيلة من يافع السفلى (والمقصود بالسفلى : مديريات رصد وجعار في أبين) ، من قبائلهم : آل يزيد ، آل البطاطي ، آل الذبياني ، آل العرمي ، آل طاهر .

(٥) **الكلدي** : نسبة إلى كَلَد ، بطن من قبائل يافع السفلى ، ديارهم في القارة من أعمال أبين مديرية رصد . ومن فروعها : ١ـ الجلادي : وهم : هويدي ، وعطوي ، ومعليسي ، وهيثمي . ٢ـ منصّري : بركاني ، عياشي ، جدسي . ٣ـ يوسفي . ٤ـ ساعدي . ٥ـ جريدي . ٦ـ باقري . ٧ـ داودي . . وغيرهم .

(٦) **يَهَر** : قبيلة حميرية يافعية كبيرة ، سكنت بلاد يافع ، ونسب إليها وادي يهر ، وهو وادٍ خصيب يلتقي مسيلهُ مع وادي بنا جوار قرية العسكرية ، ويشكل مركزاً إدارياً مع مديريات يافع : أعمالَ محافظة لحج . وترتبط يهر المنطقة بمنطقة المفلحي بطريق إسفلتية طولها (١١ كم) .

(٧) وذو ناخب هٰذا هو وادٍ فسيح في أعالي مرتفعات يافع العليا ، تحدث عنه الشيخ الناخبي في : « رحلة إلى يافع » (٢٧ ، ٢٩) .

« بستانِ ٱلعجائبِ » لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ سقَّافِ بنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ .

وفيهِ مخالفةٌ لِما سبقَ في ٱلمُكَلاَّ عن سببِ ٱتِّصالِ ٱلكساديِّ بٱلمُكَلاَّ ، ولبعضِ ما في « ٱلأَصلِ » ، إلاَّ أَنَّهُ خلافٌ يسيرٌ ، لا يضرُّ بأَصلِ ٱلخبرِ ، بل يتيسَّرُ ٱلجمعُ لِلنَّاظرِ بينَهُما بأَدنىٰ تأَمُّلٍ .

ومِن (يَهَرَ) رئيسُ ٱلحضارمِ بٱلسومالِ ٱلإيطاليِّ ٱلحاجُّ محمَّدُ عبادي بنُ عاطفِ بنِ عبيدِ بنِ جبرانَ ٱلأَرَّجانيُّ ، وفي « إكليلِ ٱلهمدانيِّ » : أَنَّ ذا يهرَ أَحدُ أَذواءِ حميرَ ، وهوَ ٱبنُ ٱلحارثِ بنِ سعدِ بنِ مالكِ بنِ زيدِ بنِ سددِ بنِ زرعةَ بنِ سبأٍ ٱلأَصغرِ ، وفيهِ يقولُ أَسعدُ بنُ تبَّعٍ [مِنَ المتقاربِ] :

وَقَــدْ كَــانَ ذُو يَهَــرٍ فِــي ٱلأُمُــو ... رِ يَــأْمُــرُ مَــنْ شَــاءَ لاَ يُــؤْمَــرُ

وقصْرُ ذي يَهَرَ علىٰ بعضِ يومٍ من صنعاءَ بموضعٍ في بيتِ حنبصٍ ، وهوَ قصرٌ جاهليٌّ يسكنُهُ في عهدِنا أَبو نصرٍ ٱلحنبصيُّ نسبةً إِليهِ ، وهوَ مِن أَوعيةِ ٱلعلمِ ، وفيهِ يقولُ بعضُ أَهلِ عصرِهِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

لَعَمْــرُكَ مَــا ٱلْكَلْبِــيُّ إِنْ عُــدَّ عِلْمُــهُ ... وَعِلْــمُ جُبَيْــرٍ وَٱلإِمَــامِ أَبِــي بَكْــرِ

وَدَغْفَــلَ فِــي شُجَّيْــرَةٍ وَٱبْــنِ شَــرْيَــةٍ ... بِــأَعْــرَفَ فِيمَــا حَــاوَلُــوا مِــنْ أَبِــي نَصْــرِ

وهوَ محمَّدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ سعيدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدِ بنِ وهبِ بنِ شرحبيلَ بنِ عريبِ بنِ زيدِ بنِ وهبِ بنِ يعفرَ بنِ زيدِ بنِ شمرِ بنِ شرحبيلَ بنِ أَشمرَ بنِ زرعةَ بنِ شرحبيلَ بنِ وهبِ بنِ نوفِ بنِ يعفرَ بنِ ٱلحارثِ بنِ شرحِ بنِ يعفرَ ذي يهرَ . اهـ باختصار لفظ

ومنهُ تعرفُ أَنَّ ٱلشَّناظيرَ ليسوا مِن يافعَ أَنفُسِهِم ، ولـٰكن قد آخَتْهُم .

وقدِ ٱنقسمت لَبْعُوسُ في تريم وأَرباضِها إِلىٰ فرقٍ متعدِّدةٍ ، أَقواهُم آلُ غرامةَ ، ورئيسُهُم سالمُ بنُ غرامةَ صاحبُ حصنِ ٱلدُّكينِ ٱلواقعِ في شرقيِّ دمُّونَ ، وكانَ ٱبنُ أَخيهِ عبد ٱللهِ عوض غرامةَ ينازعُهُ ، ولمَّا ماتَ في حدودِ سَنَةِ (١٢٢٦هـ) . . صفا لعبدِ ٱللهِ ٱلجوُّ ، وكانَ شهماً شجاعاً ، لا يَملأُ ٱلهولُ صدرَهُ قَبْلَ موقعِهِ ، ولا يضيقُ بهِ ذرعاً إذا

وقعَ ، ولا يقتضي حاجاتِه مِنْ حملةِ ٱلسِّلاحِ إلاَّ بِٱلسَّيفِ ، وقد قالَ ٱلمتنبِّي [في « العُكبَرِيِّ » ٤/ ١٦٠ مِنَ ٱلبسيطِ] :

مَـنِ ٱقْتَضَـىٰ بِسِـوَى ٱلْهِنْـدِيِّ حَـاجَتَـهُ   أَجَـابَ كُـلَّ سُـؤَالٍ عَـنْ هَـلٍ بِلَـمِ[1]

وكانَ يُنكِرُ بطبعِهِ غلوَّ ٱلقبوريِّينَ فوافقَتْهُ آراءُ ٱلوهَّابيَّةِ ، وأكثرَ ٱلتَّعلُّقَ بوحيدِ عصرِهِ ، وفريدِ دهرِهِ ، مقدَّمِ ٱلجماعةِ ، وشيخِ ٱلصِّناعةِ ، ٱلَّذي ٱنتهتْ إليهِ رياسةُ ٱلعِلْمِ بتريم ، ٱلعلاَّمةِ ٱلجليلِ ٱلسَّيِّدِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلهندوانِ[2] ، ٱلمتوفَّىٰ بتريم سَنَةَ (١٢٤٨هـ) ، وقدِ ٱتَّهمَهُ ٱلعلويُّونَ بأَنَّهُ هوَ ٱلَّذي يُعلِّمُ عبدَ ٱللهِ عوض غرامة آراءَ ٱلوهَّابيَّةِ ، ويَحثُّهُ على ٱلإلزامِ بها ومؤاخذةِ ٱلنَّاسِ بمقتضاها ، فتآمَروا علىٰ قَتْلِهِ ، فهربَ إلىٰ بيتِ جبيرٍ ، ولَم يَقدرْ عبدُ ٱللهِ غرامة علىٰ حمايتِهِ بتريم ؛ لأَنَّهُ لا يَملكُها كلَّها .

وفي أَيَّامِهِ كانَ وصولُ ٱلوهَّابيَّةِ إلىٰ تريم سَنَةَ (١٢٢٤هـ) ، بقيادةِ ٱلأَميرِ عليِّ بنِ قَمْلا ، فطوىٰ بهم حَضْرَمَوْتَ ، ولَم يُفسدْ حَرْثاً ولا أَهلكَ نَسْلاً ، وإنَّما هدمَ ٱلقِبابَ ، وسوَّى ٱلقبورَ ٱلمُشْرِفةَ ، وأَلقى ٱلقبضَ على ٱلمناصبِ آلِ عينات وآل تاربه وأَهانَهُم ، وأَتلفَ قليلاً مِنَ ٱلكتبِ كثَّرهُ بعضُ ٱلعلويِّينَ ـ كصاحبِنا ٱلفاضلِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ سهلٍ ـ بدونِ مبرِّرٍ مِنَ ٱلدَّليلِ[3] ، وأَقاموا بتريم نحواً مِنْ أَربعينَ يوماً ، وعاهدَهُ عبدُ ٱللهِ عوض غَرَامة وعبدُ ٱللهِ بنُ أَحمدَ بنِ يِمَانيٍّ علىٰ أَنْ يكفَّ ٱلأَذىٰ عن بلادَيهِما علىٰ شرطِ أَنْ يقوما بنشرِ دعوتِهِ ٱلَّتي لاقتْ هوىً مِنْ نفوسِهِم ، وقَبولاً مِنْ خواطِرِهِم .

ووَجَدْتُ أَيضاً معاهدةً بتاريخِ سنةِ (١٢٢٢هـ) بينَ عليِّ بنِ صالحِ بنِ ثابتٍ ،

---

(١) المعنىٰ ـ كما في « العُكبَرِيِّ » ـ : من طلب حاجته بغير السَّيف . . أَجاب سائله عن قوله : هل أَدركت حاجتك؟ بقوله : لم أُدرك .

(٢) هو حفيد العلامة أحمد بن عمر الهندوان ، المتوفى سنة (١١٢٢هـ) ، أحد أقران الإمام الحداد ومن تربطهم به صحبة ومحبة .

(٣) ومثله جاء في بعض أعداد مجلة « الرابطة » .

وعبدِ ٱللهِ بنِ سلطانِ بن ثابتٍ ، ومنصَّرِ بنِ محمَّدٍ ، وناجي بنِ محمَّدٍ آلِ قملا ، وجعلا عبدَ ٱللهِ بنَ سلطانٍ أَميراً مِن قِبَلِهما على ٱلكَسْرِ .

ووجدتُ أَيضاً معاهدةً بينَهما وآلِ ٱلعطَّاسِ بحريضةَ وأَمَّرا مِن قِبَلِهما عليها ٱلسَّيِّدَ عليَّ بنَ أَحمدَ ٱلعطَّاسِ كما يروي جميعَ ذلكَ شيخُنا ٱلعلاَّمةُ أَحمدُ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ .

وكذلكَ توجدُ معاهدةٌ بينَ آلِ قملا وٱلسَّادةِ آلِ ٱلمَسِيله .

وقالَ ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ أَحمدَ بنِ حسنٍ في مقدِّمتِهِ لـ« ديوان جدِّهِ » : (وذكَرَ ٱلشَّيخُ عقيلُ بنُ دغمشٍ أَنَّهم خرجوا إِلىٰ حضرموتَ ثلاثَ مرَّاتٍ .

فالأُولىٰ : سنةَ (١٢١٨هـ) ، وردَّهم جعفرُ بنُ عليٍّ لمَّا مَلكَ شبام .

وٱلثانية : سنةَ (١٢٢٤هـ) ، وجَرَىٰ منهم ما تقدَّم في تريمَ ، وأَخذوا نحواً مِن أَربعينَ يوماً ، ثمَّ ساروا مِنها كلُّهم .

وٱلثَّالثة : خرجوا سنةَ (١٢٢٦هـ) ، ووصلوا قريباً مِن شبام وفازوا بٱلقتلِ وٱلانهزام ، ورجعَ مِنهم مَن رجعَ شذرَ مَذرَ) اهـ

وقد سبقتِ ٱلإِشارةُ في تريسَ وغيرِها إِلىٰ ميلِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بن حسينٍ بلفقيهِ إِلىٰ بعضِ آراءِ ٱلوهَّابيَّةِ ، ومِن أَدِلَّةِ ذلكَ : أَنَّهُ أَثنىٰ علىٰ قَسَمَ وأَهلِها بقصيدةٍ ٱستهلَّها بقولِهِ : (لنا بمغنىٰ قَسَم أَهلٌ وإِخوانُ) ٱنتهىٰ بها إِلىٰ مدحِ آلِ تميمٍ عموماً ، وٱلمقدَّمِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ خصوصاً ، فقالَ [مِنَ البسيط] :

لاَ تَنْسَ أَوْلاَدَ رَوحٍ هُمْ قَبَائِلُهَا	قَدْ هُدِّمَتْ لِلأَعَادِي مِنْهُمُ أَرْكَانُ
فَٱبْنُ يَمَانِيِّهِمْ رَأْسُ ٱلأُسُودِ لَهُ	فِي ٱلْحَرْبِ صِيتٌ وَفِي ٱلإِحْسَانِ عُنْوَانُ
كَمْ مِنْ فَتَىً مِنْهُمُ عِنْدَ ٱللِّقَا فَرِحٌ	كَأَنَّ أَعْدَاهُ إِذْ يَغْشَاهُمُ ضَانُ
كَمْ كَسَّرُوا لِلأَعَادِي مِنْهُمُ قِمَمَاً	حَتَّى غَدَا حَدُّهُمْ بِالأَمْنِ مَلآنُ
جِيرَانُهُمْ فِي مَحَلِّ ٱلعِزِّ عِنْدَهُمُ	كَأَنَّهُمْ فِي رُبُوعِ ٱلْقَوْمِ ضِيفَانُ
أَقُولُ حَقَّاً بِأَنَّ ٱللهَ نَاصِرُهُمْ	لأَنَّهُمْ لأُهَيْلِ ٱلْبَيْتِ أَعْوَانُ

وفي سَنَةِ (١٢٢٩هـ) أَرسلَ ٱلأَميرُ عبدُ ٱللهِ عوض غرامَة ثلَّةً مِنْ جندهِ للتَّحرُّشِ بأَهلِ ٱلمسيله فلَم يَجْرُؤُوا ، وعندَ ٱنصرافِهِمُ ٱلتقوا بجماعةٍ مِنَ ٱلسَّادةِ عَسْكرِ ٱلحبيبِ

طاهرٍ ، إمَّا مصادفةً ، وإمَّا طَمعوا فيهِم لمَّا رأَوهُمُ ٱنقلَبوا بدونِ طائِلٍ ، ومعهمُ العلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ سالمُ بنُ أَبي بكرٍ عيديد ، فٱنهزمَ ٱلسَّادةُ بمجرَّدِ ما سَمِعوا إطلاقَ ٱلرَّصاصِ ، معَ أَنَّ جندَ غرامة لَم يَتعمَّدوا إصابتَهُم ، وإنَّما أَرادوا كفَّهُم وتخويفَهُم ، فٱنهزَموا هزيمةً فاحشةً ، حتَّىٰ لقد سَقَطَ إزارُ أَحدِهم فهربَ عُرْياناً! فقالت إحدىٰ شواعرِ تريمَ :

إِذَا ٱقْبَلُــــوا يَـــــافِـــــعْ ٱلمِثْقِلِيـــــنْ   تِقْعُـونْ سَـادَهْ حَتَّـىٰ حِـزَمْكُـمْ تِلِيـنْ

أَخبرني بهـٰذا ٱلثِّقةُ ٱلثَّبتُ ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ عمرَ بنِ عوضٍ ٱلشَّاطريُّ ، عن جدِّه لأُمِّهِ شيخِنا ٱبنِ شهابٍ . ولَم يتبَعْهُم جندُ عبدِ ٱللهِ عوض ، غيرَ أَنَّ رصاصةً أَصابتِ ٱلسَّيِّدَ سالمَ عيديد[1] فسقطَ ميتاً معَ ٱلبارودِ ، وفي ٱليوم ٱلثَّاني أَرسلَ إليهِمُ ٱلأَميرُ عبدُ ٱللهِ عوض بتَعْزيةٍ يقولُ فيها : (إنَّنا لا نريدُ ذلكَ ولا نحبُّهُ ، وإنَّما كانَ قَتْلُهُ علىٰ غيرِ ٱختيارٍ منَّا ، لـٰكنَّ شُؤْمَ أَعمالِكُم ، وٱلتفاتَكُم إلىٰ غيرِ ٱللهِ ، وعبادَتَكم للأَمواتِ وٱلقبورِ . . هوَ ٱلَّذي جرَّ عليكُمُ ٱلمصائِبَ ، وسيجرُّ عليكُم ما هوَ أَعظمُ) اهـ

ويقالُ : إنَّ هـٰذهِ ٱلمكاتبةَ كانتْ مِنْ إنشاءِ إمامِ تريم لذلكَ ٱلعهدِ ـ ٱلمتقدِّمِ ذِكرُهُ ـ ٱلسَّيِّدِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلهندوانِ ، وٱللهُ أَعلمُ .

وحصلَتْ مِنْ عبدِ ٱللهِ عوض غرامة مساعداتٌ ماليَّةٌ للأَميرِ عليِّ بنِ قَمْلا كلَّفَ بها ٱلرَّعايا ، حتَّىٰ لقد رأَيتُ وثيقةً فيها أَنَّ نوَّابَ وَقْفِ ٱلمحضارِ باعوا بئرين لَهُ ببيتِ جبيرٍ بثلاثِ مئَةٍ وعشرينَ ريالاً علىٰ سبيلِ ٱلعُهْدةِ ، في دفعِ ضررِ ٱبنِ قَمْلا وعبدِ ٱللهِ عوضٍ عن مالِ ٱلمحضارِ ، وعليها إمضاءُ ٱلقاضي حسينِ بنِ علويٍّ مديحج[2] ، وتاريخُها سَنَةَ (١٢٦٣هـ) ، ولعلَّهُ كانَ غلطاً ؛ إذْ تاريخُ وصولِ ٱبنِ قملا إلىٰ تريم إنَّما كانَ سَنةَ (١٢٢٤هـ) ، أَو سَنةَ (١٢٢٦هـ) علىٰ ٱختلافِ ٱلقولِ في ذلكَ ، وأَمَّا سَنةُ (١٢٦٣هـ) . . فبعدَ وفاةِ عبدِ ٱللهِ غرامة بمدَّةٍ ، ما لَم يَكونوا ٱستدانوا ذلكَ ٱلقدرَ ثمَّ لَم تَسنحِ ٱلفرصةُ لِلتَّعهُّدِ إلاَّ بَعْدُ ، وفيهِ فائِدتانِ :

---

(١) كان موته صريعاً في محرم (١٢٢٩هـ) ، وقد كان عالماً عاملاً ذكياً نبيهاً ولياً صالحاً .

(٢) هو السيد حسين بن علوي بن عبد الله بن سالم عقيل مديحج ، كان سيداً فاضلاً فقيهاً ، تولى القضاء بتريم ، توفي بها في صفر (١٢٦٨هـ) .

ٱلأُولىٰ : ٱلتَّوسُّعُ ببيعِ ٱلموقوفِ ، إلاَّ أَنَّهُ قد يُجابُ بأَنَّ ٱلأَصلَ في أَموالِ ٱلمساجِدِ ٱلملكُ .

وٱلثَّانيةُ : بيعُهُ عهدةً وٱلأَغلبُ أَنَّها إِنَّما تكونُ بدونِ ثمنِ ٱلمثلِ ، وهوَ ممتنعٌ في مالِ ٱلمسجدِ ، وَقَد صَرَّحُوا بٱمتِنَاعِ بَيعِ مَالِ ٱلمحجورِ عُهدةً مُطلقاً ، وٱلمسجدُ مثلُهُ فَفِي هـٰذا ٱلصنيعِ فُسحةٌ وتَسامحٌ .

ولعبدِ ٱللهِ عوض أَخبارٌ عجيبةٌ ذكرنا مِنها نُتفاً بـ« **ٱلأَصلِ** » ؛ ومِنها : أَنَّ بعضَ أَعيانِ ٱلسَّادةِ ركبَ إِلىٰ زيارةِ نبيِّ ٱللهِ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ ، وبينا هوَ خارجٌ مِنْ تريم وأَمامَهُ خشارةٌ[١] مِنَ ٱلحاكةِ ومَن لفَّهم يرتجزونَ بمِثلِ قولِهم : يا شيخَنا يا محضارُ . . إِذ غضبَ غرامةُ وٱستلَّ سيفَهُ ليُغمدَهُ بِطَلَىٰ زعيمِ ٱلحَاكةِ وٱنتصبَ لمساورتِهِ بعضُ ٱلسَّادةِ آلِ ٱبنِ إِبراهيمَ ، لولا أَنَّ شيخَ مشايِخنا ـ وهوَ ٱلحبيبُ عبدُ ٱللهِ بنُ حسينٍ بلفقيه ـ تداركَ ٱلأَمرَ وقالَ لَهُم : (قولوا : سبحانَ مَنْ لا يفنىٰ ولا يزولُ مُلكُهُ) ، فٱرتجَزوا بها ، فسُرَّ عبدُ ٱللهِ غرامةَ وقالَ : (أَستغفرُ ٱللهَ) وهيَ كلمتُهُ ٱلَّتي يُوَشِّحُ بها كلامَهُ ، ولا يزالُ ٱلأَكَرَةُ يتغنَّونَ بها إِلى ٱليوم .

وبهِ ذكرتُ قولَ ٱلعلاَّمةِ ٱبنِ حجرٍ : (**فائِدةٌ** : أَحدثَ ٱلمؤَذِّنونَ ٱلصَّلاةَ وٱلسَّلامَ علىٰ رسولِ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ عقبَ ٱلأَذانِ للفرائِضِ ، ما عدا ٱلصُّبحَ وٱلجمعةَ ؛ فإِنَّهُم يُقدِّمونَ ذلكَ فيهما على ٱلأَذانِ ، وإِلاَّ ٱلمغربَ ، لِضيقِ وقتِها ، وسببُهُ : أَنَّ ٱلحاكمَ[٢] لمَّا قُتِلَ . . أَمرتْ أُختُهُ ٱلمؤَذِّنينَ أَنْ يقولوا في حقِّ ولدهِ : ٱلسَّلامُ على ٱلإِمامِ ٱلطَّاهرِ ، ثمَّ ٱستمرَّ ٱلسَّلامُ بعدَهُ على ٱلخلفاءِ حتَّىٰ أَبطلَهُ صلاحُ ٱلدِّينِ ، وجعلَ محلَّهُ ٱلصَّلاةَ وٱلسَّلامَ عليهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، فجزاهُ ٱللهُ خيراً ، ونِعمَّا

---

(١) **الخُشارة** : الرَّديء من كلِّ شيءٍ ، والمقصود هنا غوغاءُ النَّاس .

(٢) هو السلطان العبيدي الحاكم بأمر نفسه ، فرعون زمانه ، الذي جعل الناس يسجدون له ويسبحون بحمده من دون الله . . مات لعنه الله سنة (٤١١هـ) ، واسمه منصور بن نزار . ينظر : « الأعلام » (٧/ ٣٠٥ـ٣٠٦) .

فعلَ . وقد أفتىٰ مشايخُنا وغيرُهُم بأنَّ ٱلأصلَ سنَّةٌ ، وٱلكيفيَّةَ بدعةٌ ، وهوَ ظاهرٌ) اهـ بنوعِ اختصارٍ .

ولا يبعدُ عنهُ ما كانَ مِن عمرَ بن عبدِ ٱلعزيزِ مِن إبدالِهِ ما ٱعتادَهُ بنو أُميَّةَ بآيةِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ إلىٰ آخرِها .

وكانَ عبدُ ٱللهِ غرامة شديداً على ٱلأعداءِ ، ليِّنَ ٱلعريكةِ للضُّعفاءِ ، سهلَ ٱلجانبِ لَهُم ، ولَهُ أَصحابٌ مِنَ ٱلحاكةِ وٱلأَراذلِ يتنادَرُونَ عليهِ كأَنَّهُ أَحدهُم ، وهوَ يُجرِّئُهُم علىٰ نَفْسهِ ليأْنسَ بهِم ، وتسقطَ كلفةُ ٱلتَّحفُّظِ فيما بينَهُم ، فهوَ :

مُمْقِـــرٌ مُـــرٌّ عَلَـــىٰ أَعْـــدَائِـــهِ ... وَلَـدَى ٱلأَدْنَيْـنَ حُلْـوٌ كَـٱلْعَسَـلْ[1]

عاشَ وسيفُهُ يقطرُ مُهَجاً ، ويسيلُ دماً ، مِنْ آلِ تميمٍ وغيرِهم مِنْ حملةِ ٱلسِّلاحِ ، وكانَ لا يأْخذُ صلحاً فيمن يَقتلُهُ مِنْ آلِ تميمٍ قطُّ ، توفِّيَ بتريم سَنَةَ (١٢٥٥هـ) بعدَ أَنْ خبطَ ٱلزَّمانَ خَبْطاً ، وضبطَ ٱلرِّجالَ ضَبْطاً ، وكانَ كما قالَ بشَّارٌ [في « ديوانهِ » ١٤٥ـ١٤٦ مِنَ ٱلمتقاربِ] :

فَتَـــىً لاَ يَبِيــتُ عَلَـــىٰ دِمْنَــةٍ ... وَلاَ يَشْـــرَبُ ٱلْمَـــاءَ إِلاَّ بِـــدَمْ

يُحِـــبُّ ٱلْعَطَـــاءَ وَسَفْــكَ ٱلــدِّمَـــا ... فَيَغْـــدُو عَلَـــىٰ نِعَـــمٍ أَوْ نِقَـــمْ

وتلقَّىٰ رايةَ مجدِهِ بٱليمينِ ولدُهُ عبدُ ٱلقويِّ وهوَ في إِبَّانِ ٱلبلوغِ ، فكانَ كما قالتِ ٱلخنساءُ [في « ديوانها » ٧١ مِنَ ٱلمتقاربِ] :

طَـــوِيـــلُ ٱلنِّجَـــادِ رَفِيـــعُ ٱلْعِمَـــا ... دِ سَـــادَ عَشِيـــرَتَـــهُ أَمْـــرَدَا

وكما قالَ ٱلرَّضِيُّ [في « ديوانِهِ » ١/ ٤٦٤ مِنَ ٱلبسيطِ] :

مُتَيَّـــمٌ بِـــٱلْعُـــلاَ وَٱلْمَجْـــدُ يَـــأْلَفُـــهُ ... وَمَـا مَشَـىٰ فِـي نَـوَاحِـي خَـدِّهِ ٱلشَّعَـرُ

وقد برز بهِ علىٰ قولِ ٱلمتنبِّي [في « ٱلعُكبَريّ » ٢/ ٨ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

أَرَى ٱلْقَمَرَ ٱبْنَ ٱلشَّمْسِ قَدْ لَبِسَ ٱلْعُلاَ ... رُوَيْـدَكَ حَتَّـىٰ يَلْبَـسَ ٱلشَّعَـرَ ٱلْخَـدُّ

---

(١) البيت من الرَّمَل ، وهو للبيد في « ديوانهِ » (١٣٣) . ممقرٌ : شديد المرارة .

وقد ذكرنا في « **ٱلأَصلِ** » أَنَّ بعضَ أَعدائِهِ أَلقىٰ زاملاً بينَ يديهِ ، منهُ قولُهُ :

مِنِّـي سَـلاَمَ ٱلْفَيْـنِ يَـا عَبْـدَ ٱلْقَـوِي   يَـا شَيْـخَ يَـافِـع يَـا عَـرِيضَ ٱلسَّـاعِـدَيْـن

وهوَ مثلُ قولِ ٱلسَّيِّدِ ٱلحميريِّ يمدحُ قاتلَ طلحةَ بنِ عُبيدِ ٱللهِ [منَ ٱلكاملِ] :

وَٱعْتَـرَّ طَلْحَـةَ عِنْـدَ مُشْتَجَـرِ ٱلْقَنَـا   عَبْـلُ ٱلـذِّرَاعِ شَـدِيـدُ أَصْـلِ ٱلْمَنْكِـبِ

ثمَّ إِنِّي بعدَ أَنِ ٱفتتنتُ زماناً ببيتِ ٱلشَّريفِ ٱلرَّضيِّ ٱلسَّابقِ . . عرفتُ أَنَّهُ نظرَ فيهِ إِلىٰ قولِ أَبي عبادةَ [في « ديوانِهِ » ٢/٣٠٨ منَ ٱلبسيطِ] :

وَلِلْفَتَـىٰ مُهْلَـةٌ فِـي ٱلْحُـبِّ وَاسِعَـةٌ   مَـا لَـمْ يَمُـتْ فِـي نَـوَاحِـي خَـدِّهِ ٱلشَّعَـرُ

وفي سَنةِ (١٢٦١هـ) ٱشترىٰ آلُ عَبْدِ ٱللهِ ٱلكثيريُّونَ ناصفةَ ٱلخِلَيفِ مِنْ آلِ همَّامٍ ٱليافعيِّينَ بنحوٍ مِنْ أَلفَي ريالٍ ، وأَدخلوا إِليهِ بعضَ عبيدِهم ، وبقوا هُم وإِيَّاهُم على ٱلتَّناصفِ بالتَّصافي .

وفي سَنةِ (١٢٦٢هـ) باعَ عبدُ ٱلقويِّ غرامة علىٰ آلِ عبدِ ٱللهِ ناصفة ما تحتَ يدِهِ بتريم ، وتمَّتِ ٱلصَّفقةُ بٱلمسيله بمحضر ٱلعلاَّمةِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ بنِ يحيىٰ ، وٱلسَّيِّدِ ٱلجوادِ حسينِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ سهلٍ ، علىٰ نحوِ أَربعةِ آلافِ ريالٍ فرانصة ـ أَو ستَّةِ آلافٍ ، لا نحفظُ تحقيقَ ذلكَ[1] ـ وعلىٰ أَنْ تكونَ ٱلماليَّةُ كلُّها في أَيدي آلِ عبدِ ٱللهِ ، بشرطِ أَنْ يَدفعوا لعبدِ ٱلقويِّ ثمانيةَ ريالاتٍ يوميّاً إِزاءَ دخلِ ٱلنَّاصفةِ ٱلباقيةِ لَهُ .

ولمَّا دخلَ آلُ عبدِ ٱللهِ في رمضانَ مِنْ نَفْسِ ٱلسَّنةِ . . عظمَ ٱلأَمرُ علىٰ عبدِ ٱلقويِّ ؛ لأَنَّهُم دخلوها علىٰ غيرِ ٱلصِّفةِ ٱلمشروطةِ بينَهُم مِنِ ٱمتناعِ ٱلمظاهراتِ وٱلزَّواملِ ، وبعدَ ٱلمراجعاتِ وٱلأَخذِ وٱلرَّدِّ . . أَذكىٰ عليهِم نارَ ٱلحربِ ، وكانَ عبُودُ بنُ سالمٍ يُضمرُ ٱلغدرَ لعبدِ ٱلقويِّ ، فركبَ إِلى ٱلجهاتِ ٱلقبليَّةِ في شعبانَ قَبْلَ أَنْ يَدخلوا إِلىٰ تريم أَصلاً ، وأَقبلَ في ربيعِ ٱلأَوَّلِ مِنْ سَنةِ (١٢٦٣هـ) بنحوِ أَلفينِ وٱلحربُ قائمةٌ ، فكثروا عبدَ ٱلقويِّ وضايَقوهُ ، ولـٰكنَّهُ ثبتَ ثباتَ ٱلرَّواسي ، ثمَّ تواضَعوا قريباً ممَّا تمَّ ٱلأَمرُ عليهِ

(١) الذي في « العدة » (١/ ٣٤١) : أنها (٤٠٠٠) أربعة آلاف ريال فرانصة .

أَوَّلاً ، وأَرادَ ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ سهلٍ تأطيدَ ٱلصُّلحِ ، فسعىٰ ليمثِّلَ حالَ خالدِ بنِ يزيدَ معَ رملةَ بنتِ ٱلزُّبيرِ حتَّىٰ صَهَرَ ٱلأَميرَ عبُودَ بنَ سالمٍ إِلىٰ آلِ غرامةَ ، فٱقترنَ بأُختِ عبدِ ٱلقويِّ[1] ، وجرت أُمورٌ طويلةٌ عريضةٌ مستوفاةٌ بـ« ٱلأصلِ » ، ولـٰكنَّ سُكنىٰ تريم لَم تَطِبْ لِنفْسِ عبدِ ٱلقويِّ وَأَصحابِهِ ٱللبعوسيِّينَ ؛ إِذْ كانتْ تلكَ ٱلأُسرةُ لذلكَ ٱلعهدِ حقيقةً بقولِ ٱلمعريِّ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

كَـانَـتْ تَضُـمُّ رِجَـالاً بَيْـنَ أَعْيُنِهِـمْ مَعَـاطِسٌ لَـمْ تُـذَلِّـلْ عِـزَّهَـا ٱلْخُطُـمُ[2]

فبارحَ تريماً إِلى ٱلمُكَلاَّ ، وأَودعَ بعضَ سلاحهِ مِنَ ٱلعُلُوقِ ٱلغوالي ٱلسَّابقِ ذِكرُ وقوعِها للبعوسِ ، معَ ٱقتسامِ يافع بلادَ حَضْرَمَوْتَ عندَ زعيمِ آلِ عامرٍ ٱلكثيريِّينَ مُحَمَّدِ بنِ عَزَّانَ بنِ عِبْدَاتٍ ، فلَم يَردَّها عليهِ ؛ لنفاستِها .

وتتابعَ بعدَ عبدِ ٱلقويِّ غرامة جلاءُ آلِ لبعوسِ مِنْ تريم إِلىٰ عندِ آلِ ٱلظَّبي بسيئون ، وهـٰكذا قُضي علىٰ دولةِ غرامةَ ، وسبحانَ مَنْ لا يدومُ إِلاَّ مُلكُهُ[3] .

ودولةُ تريم ٱليومَ لِلسُّلطانِ عبدِ ٱللهِ بنِ محسنِ بنِ غالبٍ وأَخيهِ ٱلسُّلطانِ محمَّدٍ ، حَسَبَما مرَّ في سيئون .

وٱلحكومةُ ٱلإِنكليزيَّةُ تحاوِلُهم على ٱلاعترافِ بقيادةِ ٱلسَّلطنةِ لأَميرِ سيئونَ لتتوحَّدَ ٱلدَّولةُ ٱلكثيريَّةُ معَ بقاءِ حقِّهم مِنَ ٱلاستقلالِ في حدودِهم ، وهم مِن ذلكَ في شماسٍ شديدٍ ، ولـٰكنَّهُ لا يُستغربُ أَن يعودَ إِلى ٱلمياسرةِ .

وقَوْلُنا : إِنَّ آلَ همَّامٍ يافعيُّونَ . هوَ ٱلمشهورُ ، ولا ينافيهِ ما يوجدُ في كلامِ ٱلحبيبِ علويِّ بنِ أَحمدَ ٱلحدَّادِ ممَّا يُوهِمُ خلافَهُ ؛ كقولِهِ : إِنَّ بينَ عسكرِ تريمَ آلِ همَّامٍ ويافع كلُّ مَن لَقِيَ خادمَ أَحدٍ قبضَهُ ؛ لأَنَّ بعضَ ٱلبيوتِ قد يختصُّ بالاسمِ ؛ مثلُ آلِ ٱلسَّقَّافِ .

---

(١) في « العدة » (١/ ٣٤٤) : أنه بنى بابنة عبد القوي .

(٢) **الخُطُم** ـ جمع خطام ـ : كالزِّمام ، وهو هنا كناية علىٰ أنَّهم لا يخضعون ولا يذلُّون لأَحد ؛ كما أنَّ الحيوان أَو الفرس الوحشيَّ الَّذي لا يقبل الزِّمام لا يخضع لأَحد .

(٣) لمعرفة المزيد من تفاصيل هـٰذه الأخبار . . ينظر : « العدة » (١/ ٣٤١ـ٣٥٤) .

ٱلمسنَّده

وما وراءَها إلىٰ عينات

إذا خرجَ ٱلخارجُ مِنْ تريم وذهبَ شرقاً . . فأوَّلُ ما يكونُ عن يمينِهِ : ٱلمسنده، وإليها تُنسَبُ ٱلحربُ ٱلتَّميميَّةُ ٱلكثيريَّةُ، فيقالُ : (حربُ ٱلمسنّدة) ، ومِنْ حديثِها بٱلاختصارِ :

أَنَّهُ لمَّا ٱستقرَّ عبُودُ بنُ سالمٍ في تريم . . طمعَ في مثاوي آلِ تميمٍ ، وكانَ يتوهَّمُ سهولةَ إخضاعِهِم ؛ لِما كانَ يسمعُ بِهِ مِنْ غطرسةِ عبدِ ٱللهِ عوض غرامة عليهِم وٱحتمالِهِم إيَّاها ، ولمَّا قُرِعَ ٱلنَّبْعُ بٱلنَّبعِ . . أَبَتْ عِيدانُهُ أَنْ تُكسرَ ، ودامتِ ٱلحربُ بينَهُم سبعَ سنينَ ـ وقد سبقَ في سيئون أَنَّ ٱلسُّلطانَ غالبَ بنَ محسنٍ قدمَ مِنَ ٱلهندِ إلىٰ تاربه غرَّةَ جمادى ٱلثَّانيةِ مِنْ سَنةِ (١٢٧٢هـ) ، وبقيتْ تلكَ ٱلفتنةُ إلىٰ سَنةِ (١٢٧٤هـ) ، حيثُ ٱنعقدَ ٱلصُّلحُ لمدَّةِ سبعِ سنينَ علىٰ شروطٍ ؛ منها : أَنْ يدفعَ ٱلسُّلطانُ غالبُ بنُ محسنٍ عشرةَ آلافِ ريالٍ فرانصة[1] غرامةَ ٱلحربِ لِلمقدَّمِ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ يمانيٍّ قائدِ رئاسةِ آلِ تميمٍ .

وحُدِّدَتْ بينَهُم يومئذٍ ٱلحدودُ ، ومِنْ ذلكَ ٱليومِ تحرَّرَ آلُ تميمٍ ، وٱمتدَّ سلطانُ ٱلمقدَّمِ مِنْ شرقيِّ تريم إلىٰ ما وراءَ قبرِ نبيِّ ٱللهِ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ ، وتمرَّنَ آلُ تميمٍ على ٱلحَرْبِ وٱلضَّرْبِ ، ونجَّذَهُم عليها ٱختلاطُهُم بيافع ؛ فكثيراً ما يهزُّ آلُ كثيرٍ بٱلحَمْلةِ في تلكَ ٱلفتنةِ علىٰ آلِ تميمٍ فينهزمونَ ، ولٰكنْ متىٰ حضرَ عندَهُم آلُ ٱلظَّبي مِنْ سيئون فهزُّوا عليهِم بٱلحَمْلةِ سَمعوا صليلَ سيوفِ آلِ ٱلظَّبي عندَ سلِّها . . أَحجَموا وقالوا : إِنَّ في ٱلمكانِ غيرَ أَهلِهِ .

ولبسَ ٱلتَّميميُّونَ مِنْ بعدِ ذلكَ جلودَ ٱلنُّمورِ ، وعادوا أَبطالاً لا يهابونَ ٱلموتَ ،

---

(١) الريالات الفرانصة التي كان الناس يتعاملون بها آنذاك هي ريالات نمساوية من الفضة الخالصة ، ويسميها البعض قروش فرانصة ، وهي المضروبة باسم القدّيسة المسيحية ماريا تيريزا ، راهبة عاشت في النمسا ـ فيينّا ـ في العصور الوسطى ، وقد انتهى عهد التعامل بها في حضرموت في وقت ليس بالبعيد .

ولا تتخاذلُ أَرجلُهُم عندَ ٱلصَّوتِ ، وصارَ أَكثرُ أَهلِ تريم تحتَ رحمةِ آلِ تميمٍ ؛ لأَنَّ أَكثرَ أَموالهم[1] تحتَ سيطرتهم ، وكانوا يأْخذونَ مِنها ٱلشَّيءَ ٱلكثيرَ ، حتَّىٰ تواضَعوا هُم وإِيَّاهُم بواسطةِ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ ٱلمحضارِ وزيرِ ٱلقعيطيِّ على ٱلخُمُسِ ، وكُتبت بينَهم ٱلوثائقُ بذلك .

ولمَّا ٱنبسطَ نفوذُ آلِ عبدِ ٱللهِ بواسطةِ ٱلحكومةِ ٱلإِنكليزيَّةِ وساعدَهُمُ ٱلقعيطيُّ[2] . . منعوا آلَ تميمٍ مِنْ ذلكَ ٱلرَّسْمِ ، وحُرِّرَتْ في ذلكَ فتوىٰ مِنَ ٱلشَّيخِ فَضْلِ بنِ عبدِ ٱللهِ عَرْفان ، وصادقَ عليها ٱلجمَّاءُ ٱلغفيرُ ، وكنتُ ممَّنْ صادقَ عليها عن غيرِ تروٍّ ولا يزالُ ذلكَ مُشْكلاً عليَّ ؛ لأَنَّني إِذا رأَيتُ ما جاءَ في غيرِ موضعٍ مِنْ « مجموع ٱلأَجدادِ » : (أَنَّ رجلاً بيدِهِ نخلٌ يقاسمُ آخَرَ في ثمرتهِ سنينَ ، ثمَّ ٱمتنعَ بٱلآخرةِ وقالَ : لا أُعطيكَ شيئاً مِنْ ثمرتهِ إِذْ لا حقَّ لكَ فيها ولا في ٱلنَّخلِ ، فأَقامَ ٱلمدَّعي بيِّنةً بأَنَّهُ يُقاسمُهُ سنيناً عديدةً على ٱلرُّبعِ مثلاً . . كانَ ٱلقولُ قولَ صاحبِ ٱلنَّخلِ بيمينِهِ، وإِقامةُ ٱلبيِّنةِ مِنَ ٱلمدَّعي بمجرَّدِ ٱلمقاسَمةِ غيرُ مسموعةٍ ، فلا يُحكمُ لَهُ بشيءٍ مِنَ ٱلنَّخلِ ولا مِنْ ثمرتهِ) اهـ بمعناهُ .

ويؤَيِّدهُ ما في فقهِ ٱلسَّادةِ ٱلزَّيديَّةِ مِن أَنَّ ٱلحقَّ لا يثبتُ بٱلبيِّنةِ بٱليدِ كما في (ص ١٣٥ ج ٤) من « شرحِ ٱلأَزهارِ » ، ويزيدُهُ قوَّةً قولُ جدِّي علاَّمةِ وادي ٱلأَحقافِ علويِّ بنِ سقَّافٍ : (وليسَ لشارحٍ[3] ولا لحرَّاثٍ ولا لمفخِّط[4] يدٌ) .

إِذا رأَيتُ مِثلَ هٰذا . . سكنَ خاطري ، ولٰكنْ يَختلجني ٱلشَّكُّ إِذا رأَيتُ قولَ « ٱلتُّحفةِ » في (زكاةِ ٱلنَّباتِ) [٣/٢٤٣] : (وصرَّحَ أَئِمَّتُنا بأَنَّ ٱلنَّواحيَ ٱلَّتي يؤخذُ ٱلخَراجُ مِنْ أَراضيها ولا يُعلَمُ أَصلُهُ . . يُحكَمُ بجوازِ أَخذهِ ؛ لأَنَّ ٱلظَّاهرَ أَنَّهُ بحقٍّ) . ونحوهُ في (ٱلبيعِ) . ونحوهُ قولُها في مبحثِ (أَحكامِ ٱلذِّمَّةِ) : (وٱلأَراضي ٱلَّتي

---

(١) المقصود بالمال هنا : الأَنجال والأَراضي الزراعية ـ الجروب ـ وما أَشبهها .

(٢) وذلك في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري .

(٣) **الشَّارح** : الحافظ الَّذي يحفظ الزَّرع .

(٤) **المفخِّط**= الملقِّح : وهو الذي يقوم بتأْبير النخل وتلقيحها بيده .

عليها خَراجٌ لا يُعرفُ أَصلُهُ . . يُحكَمُ بحلِّ أَخذِهِ ؛ لاحتمالِ أَنَّهُ وضعَ بحقٍّ) .

وما جاءَ في « ٱلنِّهايةِ » و« فتاوى ٱبنِ حجرٍ » مِنْ قولِهما : (إِنَّهُ لا يجوزُ لمالكِ جدارٍ هدْمُهُ وفيهِ كوَّةٌ ينزلُ مِنها ٱلضَّوءُ إِلىٰ دارِ جارِهِ ؛ لاحتمالِ أَنَّ فتحَها كانَ لَهُ بحقٍّ) اهـ . . فإِنَّها كٱلصَّريحِ في خلافِ ٱلأَوَّلِ ، لاسيَّما وقد رأَيتُ في بعضِ ٱلوثائقِ ٱلقديمةِ أَنَّها مشتراةٌ مِنْ بابِ ٱلسَّلطنةِ ، فدلَّ ذلكَ علىٰ أَنَّهُ خَراجٌ سُلطانيٌّ يُباعُ ويُشترىٰ .

وفي « بستانِ ٱلعجائبِ » لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ سقَّافِ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ أَنَّهُ : (كانَ لآلِ بنِ يحيىٰ مالٌ بٱلعِجزِ ، ساومَ فيهِ ٱلحبيبُ شيخُ بنُ أَحمدَ ، فقالت لَهُ ٱلشَّريفةُ علويَّةُ بنتُ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ أَحمدَ : يا عمِّ شيخُ ، لا تشترِ مالَ ٱلدِّيوانِ لآلِ أَحمدَ بنِ عليٍّ .

قالَ : إِنَّهُ مالٌ واسعٌ رخيصُ ٱلثَّمنِ . قالت لَهُ : لا تُطفىءْ نورَنا بنارِ ٱلدِّيوانِ . فتركَ ذلكَ ولم يَشترِهِ) اهـ

وفيهِ قيامُ ٱلشُّبهةِ معَ ٱطِّرادِ ٱلعادةِ ببيعِهِ وشرائِهِ .

فإِنْ قيلَ : هلاَّ يكونُ ما ٱشتهرَ مِنِ ٱنبناءِ ٱليد على ٱلشِّراحةِ[1] كافياً في عدمِ ٱعتبارِ ترتُّبِ ٱليدِ ؟ قلتُ : غايةُ ما يمكنُ مِنْ ذلكَ ٱلاشتهارُ بٱلتَّركِ أَنْ يكونَ بمثابةِ ٱلخبرِ ٱلصَّحيحِ ، وقد صرَّحَ ٱبنُ حجرٍ بأَنَّهُ لا يرفعُ ٱليدَ ٱلَّتي لا يُعرفُ أَصلُها ما لَم يَكُنْ معَهُ إِقرارٌ أَو بيِّنة ، وقد بسطتُ ٱلقولَ علىٰ هـٰذا في ٱلمسأَلتينِ (١٤١٨) و(١٤٧٤) مِنْ « صوبِ ٱلرُّكامِ » .

ثمَّ رأَيتُ ٱلكبْسيَّ نقلَ في « تاريخهِ » عن كلٍّ مِنَ ٱلخزرجيِّ وٱلجَنَديِّ : أَنَّ طُغْتكِينَ بنَ أَيوبَ لمَّا ٱستولىٰ على ٱليَمنِ . . دعتْهُ نَفْسُهُ إِلىٰ شراءِ أَرضِهِم بأَسرِها ، وأَمَرَ ٱلمثمِّنينَ أَنْ يُثمِّنوها لِتكونَ ٱلأَرضُ كلُّها لِلحكومةِ بعدَ دفعِ ثَمنِها ، ومَنْ أَرادَ حَرْثَ شيءٍ مِنها . . فليَصِلْ إِلى ٱلدِّيوانِ ، وليستأْجِرْ مِنْ وُكَلاءِ ٱلحكومةِ ، ولـٰكنْ عاجلَتْهُ ٱلمنيَّةُ دونَ تنفيذِ ذلكَ بٱليَمنِ ، ومعلومٌ أَنَّهُ وصلَ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ .

---

(١) جاء في هامش المخطوط : (لعل سيِّدي مفتي حضرموت لم يبلغه أَنَّ هـٰؤلاءِ مقرِّين بالحقِّ لأَهل المال ، وإِنَّما الَّذي يأْخذونه من المال هو مجرَّد حقِّ الشِّراحة) .

وأَنَّ موتَهُ لم يكن إلاَّ بعدَ رجوعِهِ عنها ، فلعلَّهُ قد نَفَّذَ فيها هٰذهِ ٱلفكرةَ ؛ لأَنَّ أَهلَها عبيدُ مَن غَلَبَهم مِن غيرِهم ، فلن يمتَنِعوا مِن شيءٍ ، تِصْدَاقَ قولِ مروانَ بنِ أَبي حفصةَ يخاطِب مَعْناً [في « ديوانِهِ » ٧٥ مِنَ ٱلطَّوِيلِ] :

وَطِئْتَ خُدُودَ ٱلْحَضْرَمِيِّينَ وَطْأَةً ... بِهَا مَا بَنَوْ مِنْ عِزَّةٍ قَدْ تَضَعْضَعَا

فَأَقْعَوْا عَلَى ٱلأَسْتَاهِ إِقْعَاءَ مَعْشَرٍ ... يَرَوْنَ ٱتِّبَاعَ ٱلذُّلِّ أَوْلَىٰ وَأَنْفَعَا

فَلَوْ مُدَّتِ ٱلأَيْدِي إِلَى ٱلْحَرْبِ كُلُّهَا ... لَكَفُّوا وَمَا مَدُّوا إِلَى ٱلْحَرْبِ إِصْبَعَا

وأخرىٰ : وهي أَنَّ ٱلنُّجيرَ وخُبَايه وأَعمالَهُما فُتحتا عَنْوَةً ، فيأْتي فيهِما ما يأْتي في سوادِ ٱلعراقِ[1] .

ومَنْ وراءَ ٱلمسنَّده إِلى ٱلشَّرقِ : خُبَايهْ

وفيها كانت رياضُ ٱلقَطَا ، بشهادةِ قولِ ياقوتٍ [٣/١٠٩] : (وٱلرِّياضُ عَلَمٌ لأَرضٍ بٱليَمنِ ، كانت بها واقعةٌ لِلبيدِ بنِ زيادٍ ٱلبياضيِّ بردَّةِ كندةَ أَيَّامَ أَبي بكرٍ رضي الله عنه) .

وقالَ ٱلشَّاعرُ [مِنَ ٱلمتقاربِ] :

فَمَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ ٱلْقَطَا ... أَلَمَّ بِهَا عَارِضٌ مُمْطِرُ

ومعَ هٰذا فقد تشكَّكَ في [٣/٩٣ـ٩٤] في موضعِ روضِ ٱلقطا ، وذكرَ قولَ ٱلأَخطلِ [في « ديوانهِ » ٢٣٠ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَبِٱلْمَعْرَسَانِيَّاتِ حَلَّ وَأَرْزَمَتْ ... بِرَوْضِ ٱلْقَطَا مِنْهُ مَطَافِيلُ حُفَّلُ[2]

---

(١) سواد العراق : هو رستاق العراق ، أي : قراه ومزارعه وضياعه التي فتحها المسلمون في عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، سمّي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار لأنه تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر ، كانوا إذا خرجوا من أرضهم.. ظهرت لهم خضرة الزروع والأشجار فيسمونه سواداً . وهو في العرف : من حديثة الموصل طولاً إلى عبادان ، وعرضاً : من العذيب بالقادسية إلى حلوان ، فيكون طوله : (١٦٠) فرسخاً . وينظر : « معجم البلدان » مادة (سواد) ليعلم كم كان المسلمون يجبون من هٰذا السواد ، إذ بلغ في عهد أمير المؤمنين عمر إلى مئة وثمانية وعشرين مليون درهم .

(٢) **المعرسانيَّات** : اسم موضع . **أرزمت** : حنَّت . **المطافيل** : الظِّباءُ القريبة العهد بالنِّتاج . **الحُفَّل** : المجتمعة.

ولعلَّهُ متعدِّدٌ في جهاتٍ كثيرةٍ[1] .

وفي خبايه جماعةٌ مِن آلِ قصيرٍ، ومِن أَخبارِهم : أَنَّ ٱثنينِ مِن آلِ قصيرٍ وآلِ ٱلجحيلِ ـ وهما ٱبنا مسعدِ بنِ عوضٍ ـ وآخرَ مِن آلِ دحدحٍ أَهلِ خبايه ساروا إلىٰ دمُّونَ في طلبِ صلحٍ مِن آلِ سلمه ، وأَخذوا معَهم ولداً صغيراً جدّاً مِن سوقِ تريمَ ، ولمَّا ٱنتهوا إلىٰ دمُّونَ . . طلبوا منهمُ ٱلصُّلحَ في قتيلٍ عندَهم لآلِ سلمه طفلٍ ، فقالَ آلُ سلمه : سنتشاورُ، فقالَ لهم أَحدُ آلِ قصيرٍ : باتشاورون نساكم . فغضبوا وقتلوا آلَ قصيرٍ ، فبعثَ آلُ مرسافٍ إلىٰ حيمد سعيّد دلاَّلِ تريمَ : هل يلزمُهم عارٌ مِن وجودِ طفلِهم معَ آلِ قصيرٍ . فلم يكن إلاَّ إرسالُ ثلاثِ سودٍ لهم ، فحطُّوا علىٰ آلِ سلمه ودخلوا ٱلفجيرَ ، فأَحاطَ بهم آلُ سلمه ، فركبوا ٱللَّيلَ وأَخذوا علىٰ آلِ عبدِ ٱلشَّيخِ بٱلمسيله ، وأَقاموا بها سبعَ سنينَ وٱلحربُ قائمةٌ بينَهم وبينَ آلِ سلمه ، وقُتِلَ فيها نحوٌ مِن أَربعينَ ما بينَ قبائلَ ومساكينَ .

ومِنَ ٱلمشهورِ : أَنَّ ٱلسُّيولَ لا تفيضُ عنها وإن كثُرَتْ ، ومِن أَمثالِ ٱلعامَّةِ : (ماء خباية فيها ولا يكفيها) ، وبعضُهم يحملُهُ على ٱلقلَّةِ ، وآخرونَ يقولونَ : إنَّ بها أَرصاداً تمنعُ ذلكَ ، وليسَ بأَغربَ ممَّا ذكرناهُ في مواضعِهِ عَن سَدبه وٱلقارةِ وٱللِّسْكِ .

ٱلنُّجَيرُ

هوَ مِنْ وراءِ خُبَايه شرقاً . وفي « صفةِ جزيرةِ ٱلعربِ » [١٦٩] لابنِ ٱلحائكِ ما يوهمُ قُربَهُ مِنَ ٱلقطنِ ، وليسَ بصحيحٍ . وعدَّهُ في موضعٍ مِنها [٣٢٢] في مَحَافدِ ٱليَمنِ ـ أي : قصورِها ٱلمشهورةِ ـ وعدَّهُ مِنها في ٱلجزءِ ٱلثَّامنِ (ص ٩٠) مِنَ « ٱلإكليلِ » وقالَ : (إنَّهُ لِبني مَعْدِ يكَرِبَ مِنْ كندةَ) اهـ

وكأَنَّهُ إنَّما أَخذَهُ مِنْ فِيئَةِ ٱلأَشعثِ بنِ قيسِ بنِ معد يكربَ ٱلكنديِّ إليهِ في حادثتهِ ٱلمشهورةِ .

---

(١) خبايه : يوجد موضع بنفس الاسم قريب من شبام ، كان به مال للإمام أحمد بن عمر بن سميط ، وكان به منزل صغير كان يسكنه في الصيف ، وقد اندثر الآن ولم يبق منه سوى آثار لأساساته .

وفيهِ [٨/ ٩٠ـ٩١] : أَنَّ آلَ نشق بن بكيل كانوا برَوثَانَ[١] بينَ ٱلجوفِ ومأْرب ، ثمَّ تحوَّلَ ـ يعني روثان ـ إِلىٰ مَنْ بعدَهُم ، وقالَ أَحدُهُم [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ رَوْثَانُ فِي ٱلدَّهْرِ مَسْكَنا ... وَمُجْتَمَعاً مِنْ ذِي ٱلْجِرَابِ وَيَمْجُدِ

فَفَرَّقَهُمْ رَيْبُ ٱلْمَنُونِ وَأَصْبَحُوا ... قُرَىٰ حَضْرَمَوْتٍ سَاكِنِينَ وَسُرْدُدِ[٢]

وفيهِ شاهدٌ قويٌّ لكثرةِ ٱلسَّاقطينَ مِن همدانَ إِلىٰ حضرموتَ في ٱلقديمِ فضلاً عنِ ٱلحديثِ .

وقد مرَّ في ٱلمقدِّمةِ قولُ أَبي دهبلٍ [مِنْ مجزوءِ ٱلكاملِ] :

أَعَرَفْتَ رَسْماً بِٱلنُّجَيْـ ... ـرِ عَفَا لِزَيْنَبَ أَوْ لِسَارَهْ

لِعَزِيزَةٍ مِنْ حَضْرَمَوْ ... تَ عَلَىٰ مُحَيَّاهَا ٱلنَّضَارَهْ

وقالَ ميمونُ بنُ قيسٍ ٱلأَعْشَىٰ [في « ديوانهِ » ١٠٠ـ١٠١ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا ... وَبِتَّ كَمَا بَاتَ ٱلسَّلِيمُ مُسَهَّدَا[٣]

وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ ٱلنِّسَاءِ وَإِنَّمَا ... تَنَاسَيْتَ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَدَا[٤]

وَلَكِنْ أَرَى ٱلدَّهْرَ ٱلَّذِي هُوَ خَائِنٌ ... إِذَا أَصْلَحَتْ كَفَّايَ عَادَ فَأَفْسَدَا

كُهُولاً وَشُبَّاناً فَقَدْتُ وَثَرْوَةً ... فَلِلَّهِ هَـٰذَا ٱلدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا

وَمَا زِلْتُ أَبْغِي ٱلْمَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ ... وَلِيداً وَكَهْلاً حِينَ شِبْتُ وَأَمْرَدَا

وَأَبْتَذِلُ ٱلْعِيسَ ٱلْمَرَاقِيلَ تَغْتَلِي ... مَسَافَةَ مَا بَيْنَ (ٱلنُّجَيْرِ) وَ(صَرْخَدَا)[٥]

وقالَ عليُّ بنُ هوذةَ يذكرُ مَنِ ٱرتدَّ مِنَ ٱلعربِ [مِنَ ٱلمتقاربِ] :

وَلَسْنَا بِأَكْفَرَ مِنْ عَامِرٍ ... وَلاَ غَطَفَانَ وَلاَ مِنْ أَسَدْ[٦]

---

(١) روثان : مدينة قديمة العمارة كانت قائمة في الغائط بين الجوف ومأرب ، وهي اليوم خرائب وأطلال .

(٢) إلىٰ هنا ينتهي كلام « الإكليل » ، وسردد : وادٍ شهير بتهامة ، شمالي الحديدة .

(٣) **السَّليم** : الَّذي لدغته أفعى . وسمِّي بذلك تفاؤُلاً ؛ كما سُمِّيت الصَّحراءُ : مفازة .

(٤) **خُلَّة** : صحبة . **مَهْدَد** : اسم امرأة .

(٥) **العيس المراقيل** : النُّوق الكريمة . **النجير وصرخد** : موضعان .

(٦) الأبيات في « معجم البلدان » (٢/ ١٦٩) .

وَلاَ مِـــنْ سُلَيْـــمٍ وَأَلْفَـــافِهَـــا ... وَلاَ مِـــنْ تَمِيـــمٍ وَأَهْـــلِ (ٱلْجَنَـــدْ)

وَلاَ ذِي ٱلْخِمَـــارِ وَلاَ قَـــوْمِـــهِ ... وَلاَ أَشْعَـــثِ ٱلْعُـــرْبِ لَـــوْلاَ ٱلنَّكَـــدْ

وَلاَ مِـــنْ عَـــرَانِيـــنَ مِـــنْ وَائِـــلٍ ... بِسُـــوقِ (ٱلنُّجَيْـــرِ) وَسُـــوقِ ٱلنَّقَـــدْ

وقالَ كُثَيِّرٌ يصف غيثاً [في « ديوانهِ » ١٢٨ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَطَبَّـــقَ مِـــنْ نَحْـــوِ ٱلنُّجَيْـــرِ كَـــأَنَّـــهُ ... بِـــأَلْيَـــلَ لَمَّـــا خَلَّـــفَ ٱلنَّخْـــلَ ذَامِـــرُ[١]

ٱلجِرَب

بكسرِ ٱلجيمِ وفتحِ ٱلرَّاءِ[٢] ، مكانٌ واسعٌ ، كانت بهِ قريةٌ جرتْ فيها ٱلحادثةُ ٱلمشهورةُ سَنَةَ (٩٥٨هـ) ، وهيَ : أَنَّ بدرَ بنَ عبدِ ٱللهِ بوطُوَيرقٍ حصرَ فيها خمسَ مئةٍ مِنْ عبيدِ آلِ يمانيٍّ ثمَّ قتلَهُم عن بكْرةِ أَبيهِم ، حَسَبَما في « ٱلأَصلِ » .

وفي « مجموعِ كلامِ ٱلحبيبِ عمرَ بنِ حسنٍ ٱلحدَّادِ » أَنَّهُ : (كانَ يطلعُ مِنها سبعونَ مِنَ ٱلعلويِّينَ علىٰ سبعينَ حماراً كلَّ ليلةٍ يُصلُّونَ ٱلعصرَ في مسجدِ باعلويٍّ) .

رَوْغَهْ

هيَ قريةٌ صغيرةٌ مِنْ وراءِ ٱلجرَبِ إِلىٰ شرقٍ . قالَ في « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » [٢/٤٨٧] عندَ ذِكرِ ٱلسَّيِّدِ عقيلِ بنِ مُحَمَّدِ ٱبنِ أَحمدَ بنِ مُحَمَّدٍ جملِ ٱللَّيلِ بنِ حسنٍ ٱلمعلِّمِ[٣] : (هوَ ٱلسَّخيُّ ٱلعالِمُ ٱلمشهورُ ، صاحبُ مسجدِ روغه ، ٱلمتوفَّىٰ بها ، ٱلمقبورُ بتريم

---

(١) في « الديوان » : (النَّجيل) بدل (النُّجير) . أَليل : اسم موضع .

(٢) ضبط الجرب هكذا غريب ، لمخالفته عرف أهل حضرموت ، والجَرْب عندهم معروف وهو بفتح الجيم وسكون الراء . بل كذلك ضبطه بافقيه في « تاريخه » ، والعيدروس في « النور السافر » كلاهما في حوادث سنة (٩٥٨هـ) .

(٣) سقط اسم عبد الله بين محمد جمل الليل وحفيده أحمد ، والاسم تاماً . . هكذا : عقيل بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد جمل الليل . . إلخ .

سَنَةَ (١٠٠٩هـ) ، عَقِبُهُ بروغه ؛ مِنهُمُ : ٱلعلاَّمةُ ٱلفاضلُ مُحَمَّدُ ٱلباقرُ[١] بنُ عمرَ بنِ عقيلٍ ٱلمذكورُ ، توفِّيَ سَنَةَ « ١٠٨٩هـ ») .

وجاءَ في ترجمةِ ٱلإمامِ ٱلجليلِ مُحَمَّدٍ[٢] جملِ ٱللَّيلِ بنِ حسنٍ ٱلمعلِّمِ : (أَنَّ لَهُ مسجداً بروغةَ[٣] ، وهوَ ٱلَّذي يَبعدُ عنها في شرقيِّها قليلاً ، وهوَ مِنَ ٱلمساجدِ ٱلمشهورةِ بإجابةِ ٱلدُّعاءِ) .

ومِنْ أَهلِ روغه : ٱلسَّيِّدُ ٱلفاضلُ ٱلصَّالحُ ٱلكبيرُ علويُّ بنُ عليٍّ ٱلهندوانُ[٤] ، لَهُ عبادةٌ وأَورادٌ وأَذكارٌ ، ولِلنَّاسِ فيهِ ٱعتقادٌ جميل ، وهوَ واسعُ ٱلفِناءِ ، رحبُ ٱلفضاءِ ، جميلُ ٱلطَّبائِعِ ، كريمُ ٱلصَّنائِعِ ، ثمالُ ٱلأيتامِ ، ومجمعُ ٱلكرامِ ، لَهُ بروغَه مسجدٌ جميلٌ ، ولَهُ بوالدي ٱتِّصالٌ أَكيدٌ ، وإِخاءٌ صادقٌ ، وكانَ كثيرَ ٱلدُّعاءِ لي ، جمَّ ٱلاعتناءِ بي ، وكانَ يُبشِّرُ والدي بمستقبلٍ جميلٍ لي بشائِرَ عظيمةً ، وهوَ مِنْ أَهلِ ٱلفراسةِ ٱلصَّادقةِ ، وٱلأَنظارِ ٱلصَّائِبةِ ، فأَرجو أَنْ يُحقِّقَ ٱللهُ ذلكَ . توفِّيَ ودُفِنَ بتريم سَنَةَ (١٣٣٥هـ) .

ومِنْ وراءِ روغه : **مِشْطه وكَوْدةُ آلِ عَوَضٍ** .

---

(١) محمد الباقر . ولد سنة (١٠٢٦هـ) ، وتوفي سنة (١٠٨٩هـ) ، مترجم في « المشرع » ، و« عقد الجواهر » ، وهو من أقران الشلي وأصدقائه ، وتزوج عنده الإمام الحداد ، وأعقب من ابنته ولده السيد علوي .

(٢) السيد الجليل ، الشهير بالشيبة ، وبصاحب روغه ، من العارفين الأكابر ، ولد بتريم سنة (٧٥٠هـ) ، وتوفي بها سنة (٨٤٥هـ) ، له مناقب فخيمة . ترجمته في : « المشرع » ، و« الغرر » ، و« الجوهر الشفاف » ، و« شرح العينية » .

(٣) وكان يكثر العبادة والصلاة فيه ، ومن هنا أطلق عليه لقب : جمل الليل .

(٤) هو السيد الشريف الجليل القدر علوي بن علي بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن عبد الله بن عمر الهندوان . . إلخ .

ولد بروغه سنة (١٢٦٩هـ) ، وقرأ القرآن الكريم وأتقنه موهبة من الله بدون أخذ عن شيخ ، كان صاحب جاه وكرم ، وله سعي في الإصلاح بين القبائل وتسكين الفتن ، وكانت وفاته في (٢) شعبان (١٣٣٥هـ) ، وأثنى عليه في « شمس الظهيرة » . وكان له أخ يكبره يسمّى : أبا بكر ، توفي قبله سنة (١٣٣٢هـ) ، وكان يعظم أخاه المترجم غاية . أخذ عنه المؤلف ، والسيد محمد بن حسن عيديد ، والسيد سالم بن حفيظ . . وترجما له في « ثبتيهما » .

أَمَّا مِشْطَه : ففيها جماعةٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ أَبي بكرِ[1] بنِ عيدروسِ بنِ ٱلحسينِ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ .

قالَ في « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » [١/٢٩٥] : (ومِنهُمُ ٱلآنَ عبدُ ٱللهِ[2] بنُ أَبي بكرٍ ، شريفٌ فاضلٌ عابدٌ) اهـ

ومِنهُمُ : ٱلسَّيِّدُ سالمُ بنُ حفيظِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَبي بكرٍ[3] ، عالمٌ فاضلٌ ، لَهُ ٱعتناءٌ بتحصيلِ ٱلفوائِدِ وٱقتناصِ ٱلشَّوارِدِ ، مِنْ فَضْلِهِ عليَّ أَنَّهُ جمعَ مِنْ رسائِلِ والدي ٱلمُفيدةِ ما دخلَ في ستَّةِ مجلَّداتٍ ، وهوَ ٱلَّذي جَمَعَ فتاوى ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ أَحمدَ ٱلخطيبِ ، كما سبقَ عندَ ذِكرِهِ في تريم .

وقد تمنَّيتُ أَنْ لَو ذكرَهُ شيخُنا ٱلعلاَّمةُ ٱلمشهورُ في « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » ؛ لأَنَّهُ عُرْضَةُ ذلكَ ، ولَهُ بهِ ٱختصاصٌ كثيرٌ ، وقد صهرَ إِليهِ علىٰ بنتِ ٱبنهِ[4] ، غيرَ أَنَّ ٱلأُستاذَ لا يحبُّ ٱلمحاباةَ ، وكأَنَّهُ ظنَّ في ذِكرِهِ شيئاً مِنَ ٱلهُرَاءِ ٱلَّتي يُنكرُها طبعُهُ ، فتحاماهُ معَ ٱلاستحقاقِ ، ولَو ذكرَهُ . . لكانَ ثانيَ ٱثنينِ علىٰ قيدِ ٱلحياةِ ممَّنْ جاءَ ذِكرهُم في « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » ، أَحدُهمُ : ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ حسنٍ ٱلكافُ ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ في ٱلهَجْرينِ .

وٱلسَّيِّدُ سالمُ بنُ حفيظٍ هـٰذا أَحدُ مَنْ صادقَ علىٰ جوابِ ٱلشَّيخِ عمرَ بنِ عثمانَ بنِ مُحَمَّدٍ باعثمانَ ٱلَّذي كتبَهُ سَنةَ (١٣٢٠هـ) في صالحِ ٱلسُّلطانِ عمرَ بنِ عوضٍ ٱلقعيطيِّ ضدَّ أَبناءِ أَخيهِ .

---

(١) توفي السيد أبو بكر بعينات سنة (١٠٨٤هـ) .

(٢) هو السيد عبد الله بن عيدروس بن عمر (الثاني) ٱبن عيدروس بن عمر (الأول) ٱبن أبي بكر بن عيدروس بن الحسين . . إلخ ، وابنه السيد حفيظ ولد سنة (١٢٦٢هـ) ، وتوفي (١٣٤٠هـ) .
والسيد عبد الله هـٰذا هو الجد الأدنى للسيد الحبيب سالم بن حفيظ بن عبد الله الذي سيترجم له المصنف .

(٣) ولد الحبيب سالم ببلدة بندواسة بجاوة سنة (١٢٨٨هـ) ، وتوفي بمشطة في (٢٩) رجب (١٣٧٩هـ) ، وسيرته وترجمته تطول ؛ إذ كان من أعيان السادة في وقته ، وله مشيخة كبيرة ، وله يعود الفضل في تدوين تراجم الكثير من علماء حضرموت وربطهم بمن تقدمهم .

(٤) هي الشريفة نور بنت علي بن عبد الرحمن المشهور ، والدة السيد محمد بن سالم بن حفيظ .

ولَهُ ولدٌ نبيهٌ ذكيٌّ داعٍ إِلى ٱللهِ ، ٱسمُهُ مُحَمَّدُ بنُ سالمٍ[1] ، طُلبَ لِلقضاءِ فرغبَ عنهُ ، وقَبِلَ أَنْ يكونَ مساعداً لِلقاضي ، خارجاً عنِ ٱلتَّبعةِ .

وأَمَّا كَوْدةُ آلِ عوضٍ : فلآلِ عوضِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ مِرْساف[2] وفيها كانت أَكبرُ حوادثِ ٱلمسندةِ ، حَسَبَما فُصِّلَ بـ« **ٱلأَصلِ** » .

ومِنْ سكَّانِها : ٱلشَّيخُ سعدُ بنُ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلصَّبَّانُ باغَرِيب[3] ، لَهُ رياضاتٌ وعِلمٌ بأَسرارِ ٱلأَسماءِ وٱلحروفِ وٱلأَوفاقِ ، توفِّيَ سَنةَ (١٣١٩هـ) .

وفي سِبَاخِ مشطه قريباً مِنْ مسجدِ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ حسنٍ جملِ ٱللَّيلِ ٱلواقعِ بوادي روغه . . ٱعتزلَ ٱلسَّيِّدُ أَبو بكرٍ[4] بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَبي بكرِ بنِ عليِّ بنِ عمرَ بنِ حسنٍ ٱبنِ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ أَبي بكرٍ ، وكانَ مِنْ كبارِ ٱلعلويِّينَ ، زهدَ في ٱلدُّنيا وأَهلِها ، وٱنْجمعَ عنِ ٱلنَّاسِ في ذلكَ ٱلمكانِ ، وكانَ يُصلِّي ٱلجمعةَ بتريم ، يطلعُ إِليها ماشياً وقد جاوزَ ٱلسَّبعينَ سَنةً ، ولَهُ خطٌّ حسنٌ ، كتبَ بيدِهِ جملةً مِنَ ٱلكتبِ ، وطريقتُهُ شاذليَّةٌ ، ويَحفظُ كُتُبَ ٱبنِ عطاءِ ٱللهِ . توفِّيَ سَنةَ (١٢٣١هـ) ، ودُفِنَ بتريم اهـ مِنَ « ٱلنَّورِ ٱلمُزْهرِ شرح قصيدةِ مدهرٍ » لِلسَّيِّدِ أَحمدَ ٱلجنيدِ .

ومِنْ وراءِ مشطه وٱلكوده : **قَوْزُ آلِ مِرْساف** .

---

(١) العلامة الفقيه المحقق مفتي حضرموت ، الشهيد السعيد ، ولد بمشطه سنة (١٣٣٢هـ) ، ونشأ في حجر والده ، طلب العلم وجد واجتهد ، له مشيخة كبيرة ومقامه في الدعوة إلى الله شهير ، اختطفته أيدي الملاحدة الشيوعيين في عام (١٣٩١هـ) ، ولم يدر عن خبره بعدها .

(٢) من قبائل آل تميم .

(٣) ولد الشيخ سعد في ربيع الأول سنة (١٢٣٥هـ) بسيئون ، وانتقل إلى الكودة سنة (١٢٥٤هـ) بأمر من شيخه الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر لتعليم الناس ولتولي عقود الأنكحة وقسمة التركات وكتابة الوثائق . وأقام خطيباً في جامع مشطه لمدة (٤٣) سنة ، أخذ عنه جماعة ؛ منهم : السيد سالم بن حفيظ ، قرأ عليه بعض المختصرات في مسجد جمل الليل بروغه وغيرها ، والسيد محمد بن حسن عيديد ، وترجماه في « ثبتيهما » ، توفي في (٢٧) ذي القعدة (١٣١٩هـ) ، وصلى عليه السيد عمر بن عيدروس العيدروس .

(٤) وهو الملقب بابن حَسَن ، كان صالحاً شريفاً زاهداً ، توفي وهو يكتب بخطه قوله تعالىٰ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ، مذكورٌ في « عقد اليواقيت » .

ثمَّ : **باعَطِير** ، وهيَ قريةٌ لابأْسَ بها ، يخافُ سكّانُها مِنَ ٱلموتِ ، ويغضبونَ مِنْ ذِكرِه ، ومتىٰ أرادَ ٱلذّاهبونَ إلىٰ نبيِّ ٱللهِ هودٍ إغضابَهُم . . حَملوا رداءً علىٰ هيئَةِ ٱلجنازةِ فيكادونَ يقاتلونَ .

وما أَعرفُ سببَ ذلكَ حتَّىٰ أَخبرني رمضانُ سالمِ بُسْرِيٌّ من قَسَمَ بأَنَّ أَهلَ مشطه ونواحيها يشاركونَهم في ٱلغضبِ مِن ذلكَ بسببِ أَنَّه ماتَ علىٰ أَحدِهم بعيرٌ ، فصلُّوا عليهِ صلاةَ ٱلجنازةِ .

وقالَ : إنَّ جماعةً حضروا بشعبِ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ أَحدُهمُ : ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدِ بنِ عقيلِ بنِ مطهَّرٍ من قَسَمَ ، وٱلثَّاني : ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ سالمٍ مِن عينات ، وٱلثَّالثُ : ٱلسَّيِّدُ سالمُ بنُ حفيظٍ مِن مشطة ، وٱلرَّابعُ : ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ محمَّدٍ ٱلمشهورِ مِن تريمَ ، وٱلخامسُ : من سيئونَ ، وٱلسَّادسُ : أَحمدُ بنُ زينِ بنِ عقيلِ بنِ سالمٍ ، وتواضعوا علىٰ مدارسةِ ختمةٍ علىٰ شرطِ أَن لا يغيبَ أَحدٌ عنِ ٱلحضورِ ، ولمَّا ٱنتهوا إلىٰ قولِهِ تعالىٰ في سورةِ ٱلبقرةِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ﴾ . . أشاروا إلى ٱلأَوَّلِ ؛ لأَنهُ لقبُ بلادِهم .

ولمَّا وصلوا مِنها إلىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ ﴾ . . ضحكوا على ٱلثَّاني ؛ لأَنَّ لقبَ عينات : صفاه .

ولمَّا قرؤوا ٱلأَعراف وجاءَ قولُهُ : ﴿ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾ . . سخروا مِن صاحبِ سيئونَ ؛ لأَنَّ لقبهم الجرّ .

ولمَّا ٱنتهَوا إلىٰ قولِهِ تعالىٰ في سورة يوسف : ﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ . . ضحكوا على ٱلسَّيِّدِ سالمِ بنِ حفيظٍ .

وعندَ تلاوةِ قولِهِ تعالىٰ مِنَ ٱلنحلِ : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ ﴾ . . تنادروا علىٰ مفتي حضرموتَ لأَنَّ لقبَ تريمَ هو خيله كما سبقَ فيها .

ولمّا وصلوا إلىٰ قولِهِ تعالىٰ في (يسٓ) : ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ﴾ . . جاءت نوبة ٱلسَّادسِ ؛ لأَنَّ لقبَ ٱلقريةِ منكوسة ، وهوَ منها .

ومِنْ وراءِ باعطير : **أنفُ ٱلجبلِ** ٱلمسمَّىٰ بِٱلسُّويحليِّ .

ومِنْ خَلْفِهِ : **عينات** .وأمَّا عن يسارِ ٱلذَّاهبِ مِنْ تريم إلى ٱلمشرقِ . . فأوَّلُ ما يكونُ :

دَمُّون[1]

وهيَ مساكنُ آلِ سُلْمَه ، وهيَ قبيلةٌ جُلُّها مِنْ آلِ تميمٍ كانَت لهم خشونةٌ ، ولهم ولَها ذِكرٌ كثيرٌ في ٱلحروبِ ٱلواقعةِ بينَ آلِ كثيرٍ ويافع وآلِ تميمٍ في ٱلمسنّدةِ وغيرِها .

وإنَّما قُلنا : (جُلُّها مِن آلِ تميمٍ) ؛ لأنَّ ٱلمسموعَ أنَّهم نُزَّاعٌ مِن قبائلَ شتَّىٰ ، رغَّبهمُ ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ شيخِ بنِ شهابٍ ٱلسابقُ ذكرُهُ أوائلَ ٱلجزءِ ٱلأوَّلِ مِنَ « **ٱلأصلِ** » في سُكنىٰ دمُّونَ لحمايتها ، وكان أكثرُ دمُّونَ ملكاً للسَّيِّد عليٍّ ٱلمذكورِ ؛ بشهادةِ ٱلوثائقِ ٱلكثيرةِ ٱلشاهدةِ بٱنتقالِ ٱلأملاكِ عنهُ وعن ورثتِهِ ، وكانَ عالماً جليلَ ٱلقدرِ ، ترجمَ لهُ ٱلسَّيِّدُ أحمدُ ٱلجنيدُ ، توفيَ بٱلشِّحرِ سنة (١٢٠٣هـ) .

ومِن أهلِ دمُّونَ ٱلسَّيِّدُ أحمدُ بنُ محمَّد بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينِ بنِ محمَّدِ بنِ شهابٍ ، نجعَ إلىٰ جاوةَ ، وجمعَ ثروةً طائلةً ، حتَّىٰ كانت لهُ قريةٌ في جانب بتاوي تسمَّىٰ : (مينتيغ) ، وهوَ ٱلَّذي أعانَ ٱلسَّيِّدَ عليَّ بنَ محمَّدٍ ٱلحبشيَّ على ٱلرِّباطِ بأربعةَ عشرَ ألفاً مِنَ ٱلرُّبِّيَّاتِ ، ولهُ غرائبُ ؛ منها :

أنَّهُ قدمَ مِن سنغافورةَ بكمِّيَّةٍ وافرةٍ مِنَ ٱلأفيونِ ، ولمَّا وصلَ بهِ ميناءَ بتاوي وهوَ ممنوعٌ . . أشاعَ بأنَّهُ ميِّتٌ ، فتواردَ ٱلأعيانُ لهُ وشيَّعوهُ ، ولمَّا كانَ ٱللَّيلُ . . نبشَهُ ، وخلَفَهُ ولدُهُ عليٌّ ، ولهُ مؤلَّفٌ ذكرَ فيهِ ثلاثةً مِنَ ٱلعلويِّينَ ، وهم : المهاجرُ أحمدُ بنُ عيسى ، وعليُّ بنُ علويٍّ خالعُ قسم ، وٱلفقيهُ ٱلمقدَّمُ ، وسمَّاهم ٱلأبطالَ ٱلثَّلاثةَ ، غيرَ أنَّهُ ـ كما قيلَ ـ حافلٌ بٱلأخطاءِ .

وكانَ لهُ ولدٌ سمَّاهُ عبدَ ٱلمطَّلبِ ، وأرسلَهُ إلىٰ تركيَا ، فتخرَّجَ في مدارسِها ، ولمَّا

(١) وهي غير دمون التي سبق ذكرها في الهجرين والمعنية بشعر امرىء القيس . . كما سبق التنبيه عليه ثمة .

عادَ . . جعلَ إليهِ أَمرَ ميتنيغ ، فهتكَ ٱلأَستار ، وضربَ ٱلأَبشار ، وسارَ فيها سيرةَ متكبِّرٍ جبَّار ، ولمَّا زادَ تجرُّؤُهُ وقتلَ واحداً . . رُفعت عليهِ دعوىٰ ، وحكمَ عليهِ بٱلإِعدام ، فدافعَ عنهُ أَبوهُ ، ورهنَ تلكَ ٱلقريةَ ، وخلَّصهُ ، ولما خافَ أَن يغلقَ ٱلرَّهنُ . . باعَها وعملَ بما بقيَ تجارةً رأَسَ عليها عبدَ ٱلمطَّلبِ ، فأَضاعها ، ثمَّ توفِّي عليُّ بنُ أَحمدَ قريباً .

ولهُ ولدٌ يسمَّىٰ ضياءَ ، لهُ أَدبٌ ولطفٌ وشهامةٌ ، وماتَ عبدُ ٱلمطَّلبِ وقد دخلتِ ٱلآنَ تلكَ ٱلقريةُ في بتاوي لاتِّساعِ ٱلعمارةِ ، وٱرتفعَ ثمنُها ٱرتفاعاً هائلاً .

وكانَ في وادي دمُّون[١] عيونٌ جاريةٌ ، تسقي كثيراً مِنَ ٱلمزارعِ وٱلنَّخيلِ وٱلبساتينِ ، فشملها ما كانَ مِنْ تعدِّي معنِ بنِ زائِدةَ بسَكْرِها[٢] .

وكانَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱلكبيرِ باحُمَيدٍ يتعبَّدُ في هـٰذا ٱلوادي ، وأَنبطَ ٱللهُ لَهُ عيناً[٣] تجري على ٱلأَرضِ باقيةً إِلى ٱليومِ ، إِلاَّ أَنَّها لا تصلُ إِلى ٱلمَزارعِ ولا إِلىٰ قريبٍ مِنها ، وإِنَّما ينتفعُ بٱلشُّربِ مِنها ٱلمنتجعونَ إِذا أَجدبتْ نُجُودُهُم ، وتسقي نُخَيلاتٍ بقُربِها . وماؤُها وَشِلٌ[٤] يتقاطرُ مِنْ شِقَّي حَجَرةٍ واحدةٍ ، يخرجُ أَحدُهما حارّاً وٱلآخرُ بارداً ، ولـٰكنَّ ٱلمشاهدةَ ٱلآنَ لا تُصدِّقُهُ ، معَ أَنَّهُ جاءَ في حوادثِ سَنةِ (٦١٧هـ) مِنْ « تاريخِ شنبل » أَنَّ عبدَ ٱلعظيمِ باحميدٍ أَنبطَ غيلَ دمُّون وزرعَ عليهِ ، وقد ذكرَ سيِّدي أَحمدُ بنُ حسنٍ ٱلحدَّادُ بفوائِدِهِ في دمُّونَ هـٰذهِ ما قيلَ في دمُّونَ ٱلهجرينِ ، فإِمَّا أَنْ يكونَ ٱنتقالُ فكرٍ ، وإِمَّا أَنْ يكونَ ٱلسَّببُ في ٱلتَّسميةِ واحداً .

---

(١) وادي دمّون : وادٍ واسع مفرّع ، به من النخيل المصطفة والأراضي الزراعية الواسعة الطيبة ما يروق للعين . وهو يشكل مع وادي عيديد ما يمكن أن يعبر عنه بالجناحين لمدينة تريم ، ويقع في الجهة النجدية (الشمالية) لها ، بينما عيديد في الجهة البحرية (الجنوبية) الغربية منها ، كما تقدم .
وفي « بغية من تمنى » مزيد تفصيل وإيضاح ، ينظر (١ـ١١) .

(٢) أي : إغلاقها وطمسها . وفي « أدوار التاريخ » (١/١٤١ـ١٤٢) ، و« الحامد » (١/٢١٥ـ٢٢٠) ذكر لبعض أفاعيله . . فلتنظر منهما .

(٣) **أنبط له عيناً** : أخرجها له .

(٤) **وَشِلٌ** : قليل يتقاطر .

وفي جنوبِها إِلىٰ شرقها :

ٱلْفُجيرُ ، وهوَ بيوتٌ قليلةٌ ، حواليها مزارعُ ومغارسُ نخيلٍ[1] .

وٱلسُّبيرُ : وهوَ مَصيفُ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ، وبهِ وجودُهُ[2] ، وكانَ ٱلعيدروسُ ٱلأكبرُ ينتابُهُ ، بل قيلَ : إِنَّهُ موضعُ وجودِهِ أَيضاً[3] .

ثمَّ : **حصنُ دُكَينٍ**[4] ، وهوَ ثَغْرُ دمُّون ، وقد سَبَقَ ذِكرُهُ في أَخبارِ آلِ غرامةَ .

ورأَيتُ في بعضِ ٱلمذكَّراتِ أَنَّ عبدَ ٱللهِ عوض غرامة هَجَمَ علىٰ هـٰذا ٱلحصنِ في سَنةِ (١٢٢٤هـ) ، وأَخذَهُ مِنْ عمِّهِ سالمٍ .

ثمَّ ٱلغُوَيْضه[5] ، لآلِ باشعيبٍ ، وسيأتي ذِكرُهم معَ ما يناسبُهُ في ٱلواسطَة .

ومِنْ وراءِ ٱلغُوَيضةِ : **حصْنُ بَلْغَيث** .

ثمَّ : **ٱلحِجَيلُ** ، فيهِ نخلٌ كثيرٌ ، وإِليهِ ٱلإِشارةُ بقولِ شيخِنا ٱبنِ شهابٍ فيما يَعرضُهُ علىٰ معشوقهِ ليرضىٰ بوصالهِ من قصيدةٍ حمينيَّةٍ :

رُحَيلــــةٌ فـــي ٱلحِجيــــلِ ٱلبِــرِكْ فـــي خِيــرْ مَغْــرَس

وبهِ يظلُّ آلُ تريم مرجعَهُم مِنْ زيارةِ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ ، ثمَّ لا يدخلونَ إِلاَّ بٱلعَشيِّ في زفٍّ عظيمٍ .

---

(١) وبها مسجد للسادة آل الوهط (ذرية السيد عمر ابن الشيخ الإمام علي السكران) لازال قائماً بأساساته وجدرانه قبليّ ديار الفجير ، وهـٰذه الفجير غير التي تقدمت في ضواحي سيئون ، والفجير هـٰذه بني فيها مسجد الحبيب عبد الرحمن القاضي بن أحمد شهاب الدين الأخير ، وهو الذي تقام فيه الجمعة حالياً . « بغية من تمنى » (٦) .

(٢) وموضع مولد الإمام لازال معروفاً إلى اليوم ، يقال له (الْحَدْ = الأحد) .

(٣) في « بغية من تمنى » (٤ـ٥) كلام هام حول هـٰذه المنطقة . . فلينظر منه .

(٤) يقول القاضي المشهور عن بير الدُّكَين أنها : (تقع قريباً من بير السوم القريبة من مسجد بروم) . . وقال : (بير الدكين ، المعروفة والمعمورة بالزراعة والنخيل ، وقد كانت مشحونة بالسكان كما بلغنا) اهـ (ص٦) .

(٥) وسمّاها القاضي المشهور بالغويطة ، ولعل الاسم تحرف على العامة . وذكر أن بها مسجداً قديماً يقال له : مسجد النور ، وكان يسكنها آل باشعيب قديماً ، ولا يوجد لهم أثر بها اليوم . « البغية » (٦) .

ثمَّ : **ٱلفرطُ** . ثمَّ : **وادي جِرْمان**[1] .

ثمَّ : **قاهر** ، قريةُ آلِ عبدِ ٱلشَّيخِ ، وهُم قبيلةٌ كريمةٌ مِنْ آلِ تميم ، ولـٰكنْ جَرَتْ بينَهُم في ٱلأخيرِ دويهيَّة تَصفرُّ مِنها ٱلأنامِلُ ؛ وذلكَ أَنَّ ناصرَ بنَ سالمٍ أَحدَ آلِ سُلْمَه أَخذَ حِمْلَينِ مِنَ ٱلحطبِ لآلِ ٱلكافِ في أَيَّامِ فتنةٍ بينَ آلِ سُلْمَه وآلِ تريم ، وكانَ ٱلجمَّالُ يحملُ سكِّيناً مِنْ سالمِ بنِ عبُودٍ بصفةِ ٱلخفارةِ ، فلَم يُبالِ بها ناصرُ بنُ سالمٍ ، فلَم يَكُنْ مِنْ آلِ عبدِ ٱلشَّيخِ إِلاَّ أَنْ صَعدوا ٱلجبلَ ٱلَّذي يُطلُّ علىٰ آلِ سلمه وَأَصبحوا يُطلقونَ عليهِمُ ٱلرَّصاصَ حتَّىٰ حجزَ بينَهُم آلُ تميمٍ علىٰ شرطِ أَنْ يَردُّوا ٱلحطبَ ويَدفعوا بندقيَّةً عربوناً في ٱلخفارةِ ، فسُوِّيتِ ٱلمسأَلةُ ، وٱنحسمَ ٱلعارُ في أَعرافهِم .

وصادفَ أَنْ وصلَ ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ ٱلمحضارُ إِلىٰ عينات ، وٱستدعىٰ آلَ تميمٍ ، فحَضروا ، ولمَّا نهضَ ناصرُ بنُ سالمٍ راجعاً إِلىٰ دمُّونَ . . تبعَهُ سالمُ بنُ عبُودٍ ، ولمَّا فصلا عن عينات . . هتفَ بهِ سالمٌ وذكَّرَهُ بصنيعهِ ، فتساوروا لِلقتالِ ، ولـٰكنْ كانَ سالمُ أَسبقَ بٱستعدادِهِ بحَشْوِ بندقيَّتِهِ مِنْ قَبْلُ ، بخلافِ ناصرٍ ، فما كانَ إِلاَّ آمِناً مطمئِناً ، فسقطَ يتشَحَّطُ في دمِهِ ، وأَرادَ سالمٌ أَنْ يملأَ ماضِغَيْهِ عندَ أَصحابِهِ ٱلَّذينَ لَم يَزالوا يَلسعونَهُ بقارصِ ٱلكلامِ .

ومعَ غضبِ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ مِنْ هـٰذا ٱلصَّنيعِ ٱلَّذي يمسُّ بشرفِهِ وشرفِ حكومتِهِ ، فلولا وجودُهُ . . لَما ٱنعقدَ بينَهُم صلحٌ أَبداً ، ولـٰكنَّهُ أَجبرَهُم عليهِ ـ وفي آلِ سُلْمه طواعيةٌ وحياءٌ ـ فأَطلبوهُ وبذلكَ ٱنتفخَ سالمُ بنُ عبُودٍ ، ولـٰكنَّها ضربةٌ بناقةٍ وضربةٌ بطعنةٍ .

ففي سنة (١٣٦٢هـ) وردَ سالمُ بنُ عبُودِ بنِ عبدِ ٱلشَّيخِ هـٰذا إِلىٰ قسمَ ، وبمعيَّتِهِ ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱللهِ بنُ إِبراهيمَ بنِ علويٍّ ٱلسَّقَّافُ ٱلملقَّبُ : بن سحاق ؛ لِقُبحٍ في منظرتِهِ ، وكانَ ممنوعاً مِنْ دخولِ قسمَ لِوحشةٍ بينَهُ وبينَ ٱلمقدَّمِ عبدِ بنِ عليِّ بنِ أَحمدَ بنِ

---

(١) وجرمان جبل مذكور ضمن حدود تريم (الأسوار) . وهو على طريق الذاهب من تريم إلى عينات وقَسَم ، وبأعلاه حصن بلغيث الذي ذكره المؤلف آنفاً . ولا زال هـٰذا الحصن قائماً إلى الآن بجدرانه ، وهو أحد ثغور تريم أيام يافع . « بغية من تمنى » (١٦) .

يمانيٌّ ، فلَم يَكُنْ مِن ٱبنِ يمانيٍّ إلاَّ أَنْ أَمرَ بن سحاق بمغادرةِ قسم في ٱلحالِ ، فرأىٰ سالمٌ أَنَّ شرفَهُ مُسَّ بذلكَ فحقدَها ، حتَّىٰ مرَّتْ سيَّارةٌ فيها ٱلمقدَّمُ وإخوانُهُ يَخفرهُم أَحدُ آلِ عبدِ ٱلشَّيخِ ، فأَطلقَ سالمٌ ٱلرَّصاصَ عليهِم فأَردى ٱلسَّائِقَ وواحداً مِنْ آلِ يمانيٍّ ، ولـٰكنَّهُ ٱستشعرَ ٱلخوفَ مِنْ خالِ أَولادهِ وهوَ مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ ٱلشَّيخِ ، فأَفرخَ روعَهُ[1] ، وطيَّبَ خاطرَهُ ، ثمَّ لَم يَشعرْ سالمُ بنُ عبُودٍ إلاَّ وٱلرَّصاصُ ينهالُ عليهِ مِنْ دارِ مُحَمَّدِ بنِ عليٍّ بدونِ أَنْ يُصيبوهُ ، ولـٰكنَّهُ لمَّا خفَّ لأَخْذِ بندقيَّتِهِ مِنْ موضعٍ مكشوفٍ . . أَهلكوهُ ، ثمَّ حَصروا ولدَهُ ، ولـٰكنَّهُ ثبتَ حتَّىٰ قالوا لَهُ : إنَّ ٱلمسأَلَةَ ٱنتهت ، كانَ لآلِ يمانيٍّ قتيلٌ فثأَروا بهِ ، وٱنجلىٰ بهِ ٱلعارُ أَيضاً عنِ ٱبنِ عبدِ ٱلشَّيخِ ٱلَّذي خَفرَهُم ، وما بقيَ إلاَّ أَنْ تخرُجَ معنا إلىٰ عينات ونناديَ في سوقِها بٱنفصالِ ٱلقضيَّةِ وأَنَّ دماءنا بعدَ ٱليومِ واحدةٌ .

فقالَ : لا يَطمئِنُّ قَلْبي إلاَّ إنْ تعهَّدَ ليَ خالُ إخواني مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ ٱلشَّيخِ .

فتعهَّدَ لَهُ وأَعطاهُ وجهَهُ ، فٱطمأَنَّ إليهِ وخرجَ مِنْ دارِهِ ، وسارَ هوَ وإيَّاهُ وآلُ عبدِ ٱلشَّيخِ وبعضُ آلِ يمانيٍّ ، ولمَّا كانوا في أَثناءِ ٱلطَّريقِ . . قالَ لَهُم مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ : دونَكُم صاحبكُم ، فكتَّفوهُ وأَطلقَ عليهِ أَحدُ آلِ يمانيٍّ ـ وهوَ ٱبنُ سالمِ بنِ أَحمدَ ـ ٱلرَّصاصَ ، فخرَّ صريعَ ٱلغدرِ وٱلخيانةِ ـ فقبَّحَها ٱللهُ ـ وكانَ ٱلأَولىٰ إغفالَ هـٰذهِ ٱلقبيحةِ ، ولـٰكنَّ ٱلغدرَ يؤلِمُ قَلْبي ، ويَخرِقُ جَوْفي ، وقد قالَ أَبو ٱلطَّيِّبِ ٱلمتنبِّي [في « العُكبَريّ » ٤/ ١٥٢ مِنَ ٱلوافرِ] :

إذَا أَتَـتِ ٱلإسَـاءَةُ مِـنْ لَئِيـمٍ وَلَـمْ أَلُـمِ ٱلْمُسِـيءَ فَمَـنْ أَلُـومُ ؟

ولو كانَ هـٰذا ٱلصَّنيعُ قُبيلَ ٱليومِ بخمسينَ عاماً . . لَما طَمِعَ مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ أَنْ يشربَ ماءً ، أَو يجلسَ مجلساً ، أَو يقعدَ علىٰ فراشِ أَحدٍ ، ولَو قعدَ علىٰ فراشِ مَنْ لَم يَعلَمْ ثمَّ شَعَرَ بعدُ . . لَكانَ ممَّا يوجبُهُ عليهِ عُرفهُم أَنْ يُحرقَهُ ، فرحمةُ ٱللهِ علىٰ أَهلِ ٱلوفاءِ ، ولعنةُ ٱللهِ علىٰ أَهلِ ٱلخيانةِ .

---

(١) أفرخ روعه : أذهب فزعه .

ٱللِّسْكُ

هيَ مِنَ ٱلقرى ٱلقديمةِ ، وقد كادَ يُهجرُ ٱسمُها ؛ إذ صارَ ٱلنَّاسُ لا يُطلِقونَ عليها إلاَّ لفظَ : (ٱلقريةِ) فقط[1] .

وفي جبلِها مدفنُ عبَّادِ بنِ بشرٍ ٱلصَّحابيِّ[2] ، علىٰ بحثٍ فيهِ ٱستوفيتُهُ بـ« **ٱلأَصلِ** » .

يَسكنُها جماعةٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ عقيلِ بنِ سالمٍ ، قالَ في « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » [١/ ٢٣٤] : (ومِنهُمُ ٱلآنَ ـ يعني سَنَةَ « ١٣٠٧هـ » ـ : ٱلسَّيِّدُ ٱلعابدُ زينُ بنُ صالحٍ[3] ، وجماعةٌ منْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ زينِ بنِ عقيلِ بنِ سالمٍ ، ومِنهُم : آلُ علويِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ[4] بٱلقُطَيعاتِ مِنها) .

ومنهمُ ٱلسَّيِّدُ عبَّاسُ بنُ علويِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحيمِ بنِ سالمِ بنِ عبدِ ٱلقادرِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ بنِ عقيلِ بنِ زينِ بنِ عقيلِ بنِ زينِ بنِ عقيلِ بنِ سالمٍ ، يسكنُ ٱلآنَ ـ كآبائِهِ ـ بٱلمدينةِ ٱلمُشَرَّفَةِ ، وهوَ ملجأُ ٱلعلويِّينَ ، بل وغيرِهم مِنَ ٱلحضارمِ فيها ، وقد خنقَ ٱلخمسينَ ، وإليهِ مشيخةُ ٱلعلويِّينَ فيها كآبائِهِ ، وأَوَّلُ مَن تولاَّها بها مِنهمُ : ٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ .

وكانَ لها شأنٌ عظيمٌ ، ولا سيَّما في أيَّامِ ٱلسلطانَينِ عبدِ ٱلمجيدِ وٱبنِهِ عبدِ ٱلحميدِ ؛ إذ كانت عبارةً عَن دولةٍ في باطنِ ٱلدَّولةِ ، ثمَّ وَهَت أَسبابُها ، ولم يبقَ إلاَّ ٱلاسمُ ، وأَصابَها ما أَصابَ ٱلمنصبةَ بحضرموتَ .

---

(١) وقد تضاف فيقال : قرية اللسك ، وفي بعض التعاليق أن اللسك هو اسم الجبل المطل على القرية ، وهو صريح ما جاء في « البرد النعيم » للشيخ محمد بن عبد الله الخطيب .

(٢) هو الصحابي عباد بن بشر الأوسي الأشهلي الأنصاري ، قتل في حضرموت ، وكان قدم صحبة زياد بن لبيد البياضي إلى تريم ، وتزوج بها عند آل باعيسى وحملت منه ، ثم ذهب إلى القرية لأخذ الزكاة من أهلها . . فامتنعوا وقاتلوه . . فقتل ، ثم دفن في كهف بجبل اللسك ، ولم يزل قبره معروفاً إلى اليوم . ومن أراد المزيد . . فعليه بـ« البرد النعيم » .

(٣) هو السيد الشريف العابد الصالح : زين بن صالح بن زين بن عمر ، من آل حفيظ بن محمد بن عقيل بن سالم ، مولده بالقرية سنة (١٢٣٧هـ) ، وبها وفاته سنة (١٣٠٩هـ) .

(٤) وهم : آل علوي بن عبد الرحمـٰن بن عبد الله بن عبد الرحمـٰن بن عبد الله بن حسين بن زين بن عقيل . . إلخ .

وكانَ ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحيمِ حسنَ ٱلأداءِ جميلَ ٱلقراءَةِ ، وكانَ أَحدَ أئِمَّةِ ٱلمسجدِ ٱلحرامِ ٱلمدنيِّ ، وعندَ نوبتِهِ في ٱلجهريَّةِ يحتشدُ ٱلنَّاسُ ، وربَّما أُغشيَ علىٰ بعضِهم مِن حُسنِ أَدائِهِ ، ولذا طلبَهُ ٱلسُّلطانُ عبدُ ٱلحميدِ ٱلعثمانِيُّ لِيُصلِّيَ بهِ ٱلتَّراويحَ ففعلَ إحدى ٱلسنينَ ، وأَرادَهُ أَن يقيمَ عندَهُ بما يتمنَّاهُ ، فأَبىٰ إلاَّ ٱلرجوعَ إِلى ٱلمدينةِ ٱلمشرَّفةِ ، وبها كانت وفاتُهُ سنةَ (١٣٤١هـ) عن تسعينَ ربيعاً .

وفي حوادثِ سَنةِ (٩١٠هـ) مِنْ « تاريخِ شنبل » : أَنَّ ٱلسَّيِّدَ عبدَ ٱللهِ بنَ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱللِّسكيَّ توفِّيَ ذلكَ ٱلعام[1] .

وكانتِ ٱللِّسكُ قاعدةَ مُلْكِ آلِ جسَّارٍ[2] ، ولَها ذِكرٌ كثيرٌ في ٱلحروبِ ٱلَّتي بينَ ٱلصَّبراتِ وآل أحمدِ وآلِ كثيرٍ ، ويأْتي ذروٌ منهُ في ٱلواسطةِ .

وفي ٱلحكايةِ (١٥٥) مِنَ « ٱلجوهرِ » ما يُفهَمُ منهُ أَنَّ دارَ مُحَمَّدِ بنِ أَبي ٱلسُّعودِ في ٱللِّسكِ ، وهوَ ممَّن عاصرَ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱللهِ باعلويٍّ . وسبقَ في حريضةَ أَنَّ ٱلحبيبَ عمرَ بنَ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلعطَّاسَ كانَ ـ كآبائِهِ ـ في ٱللِّسَكِ ، فٱنتقلَ بإشارةِ شيخِهِ إلىٰ حريضةَ .

وفي ٱللِّسَكِ جماعةٌ مِن آلِ مرسافٍ ؛ منهم آلُ قحطانَ ٱلآتي ذِكرُهم في حصنِ ٱلعرِّ .

عِينَاتْ

مِنْ أَشهرِ قرىٰ حَضْرَمَوْتَ[3] ، علىٰ نحوِ ثلثِ مرحلةٍ مِنْ تريم . وأَوَّلُ مَنِ ٱختطَّها آلُ كثيرٍ في سَنةِ (٦٢٩هـ)[4] .

---

(١) هو الشريف عبد الله بن عبد الرحمـٰن بن عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن السقاف ، جد الشيخ أبي بكر بن سالم .

(٢) آل جَسّار من بطون آل كثير ، كما هو صريح كلام شنبل في عدة مواضع من « تاريخه » ، وأقدم تاريخ ذكروا فيه . . سنة (٨٠١هـ)، قتل فيها أحمد بن جسار الأحمدي ، وذكروا في حوادث سنة (٨١٢هـ).
فائدة : ذكر المقحفي في « معجمه » خمس أسر وعوائل عرفت بآل جَسّار . . فلتنظر منه .

(٣) وهي شرقيَّ تريم ، تبعد عنها مسافة (٨كم) تقريباً .

(٤) وهـٰذه هي عينات الجنوبية ، وهي القديمة ، تقع في وادي بُوحه أو نوحه ، أما الجديدة . . فسيذكرها المؤلف رحمه الله تعالىٰ .

وفي سَنةِ (٧٨٧هـ) هَجَمَ آلُ ٱلصَّبْراتِ علىٰ عينات وأخربوها[١] ، وقَتلوا سبعةً مِنْ آلِ كثيرٍ حواليها ، وساعدَهُم راصعٌ علىٰ ذلكَ .

وفي سَنةِ (٨١٧هـ)[٢] بنىٰ آلُ كثيرٍ عينات ، ثمَّ أَخربَها آلُ أَحمدَ في تلكَ ٱلسَّنةِ نَفْسِها ، وقَتلوا ثمانيةً : ٱثنينِ مِنْ آلِ كثيرٍ وخمسةَ عبيدٍ ورامٍ ، وكثيراً ما تقلَّبتْ بها ٱلأَحوالُ ، وأَضرَّتْ بها ٱلحروبُ ٱلواقعةُ بينَ آلِ كثيرٍ وآلِ يمانيٍّ وٱلصَّبراتِ وٱلغزِّ ، حَسبَما فُصِّلَ بعضُهُ في « **ٱلأَصلِ** » ، وقدِ ٱندثرتْ ولَم يَبْقَ إِلاَّ آثارُها ٱلباليةُ ، هـٰذهِ هيَ عينات ٱلقديمةُ .

وأَمَّا ٱلجديدةُ : فأَوَّلُ مَن بنىٰ بها ركنُ ٱلإِسلامِ ، وعَلَمُ ٱلأَعلامِ ، ٱلشَّيخُ أَبو بكرٍ[٣] بنُ سالمِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافُ ، ٱلمتوفَّىٰ بها سَنةَ (٩٩٢هـ) ، وقد ترجمَهُ ٱلشِّلِّيُّ في « ٱلمشرعِ » [٢/٥٨] و« ٱلسَّنا ٱلباهرِ » [حوادث ٩٩٢هـ] ، وأَفردَ مناقبَهُ ٱلعلاَّمةُ ٱبنُ سِرَاجٍ وغيرُهُ بٱلتَّأْليفِ ، وهوَ بٱلحقيقةِ في غنىً ـ بشهرتهِ ٱلَّتي تُغني ـ عنِ ٱلتَّعريفِ .

تَجَـاوَزَ قَـدْرَ ٱلْمَـدْحِ حَتَّـىٰ كَـأَنَّـهُ ... بِـأَكْبَـرِ مَـا يُثْنَـىٰ عَلَيْـهِ يُعَـابُ[٤]

وفي « ٱلرِّياضِ ٱلمُؤْنِقَةِ » للعلاَّمةِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ : (أَنَّ سيِّدَنا ٱلشَّيخَ أَبا بكرِ بنَ سالمٍ ٱبتُلِيَ بعلَّةِ ٱلبرصِ ، وأَنَّ تلميذَهُ أَحمدَ بنَ سهلِ بنِ إِسحاقَ ٱنتقدَهُ . . فأَصابَهُ ٱلكثيرُ مِن ذلكَ حتَّىٰ صارَ يُقالُ لهُ : هِرُّ ٱليمنِ) اهـ

ومِن خطِّ سيِّدي عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عليِّ بنِ ٱلأُستاذِ ٱلحدَّادِ : (أَنَّ ٱلمتعلِّقَ بٱلشَّيخِ مَع ٱلبُعدِ أَحسنُ مِنَ ٱلحاضرِ عندَهُ ؛ لغلبةِ رؤيةِ ٱلبشريَّةِ على ٱلحاضرِ ، وقد قالَ ٱلشَّيخُ

---

(١) « شنبل » (١٤٦) .

(٢) في المطبوع من « شنبل » (٨١٩هـ) (ص١٦٣) .

(٣) الإمام الجليل ، شيخ الإسلام ، الطود الأشمّ ، فخر الدنيا والدين . . مولده يوم السبت (٢٣) جمادى الأولى سنة (٩١٩هـ) ، ووفاته ليلة الأحد (٢٧) ذي الحجة سنة (٩٩٢هـ) أسس عينات الجديدة سنة (٩٤٦هـ) كما مال إليه بعض المؤرخين ، في سن مبكرة .

(٤) البيت من الطَّويل ، وهو لأَبي الطَّيِّب المتنبِّي في « العُكبَريِّ » (١/ ١٩٤) .

أَبو بكرِ بنُ سالمٍ : لو سألْتُ ٱللهَ ـ أَو قالَ ـ لو تشفَّعتُ في أَحدٍ مِنَ ٱلكفَّارِ ولعيالي وأخدامي . . لرجوتُ ٱلإجابةَ لأُولئكَ ٱلكفَّارِ ؛ لأَنَّ ٱلمخامرةَ تُذهِبُ ٱلاحترامَ) اهـ مختصراً

ولمَّا ماتَ . . وقعَ رداؤُهُ على ٱبنهِ عمرَ ٱلمحضارِ[1] .

ومِنْ كلامِهِ : (ما ٱبتليَ أَهلُ حَضْرَمَوْتَ إلاَّ بقَدْحِهِمْ في ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ ، وما شَكُّوا في ولايتهِ إلاَّ لِسوءِ حظِّهِم ، ولـٰكنَّهُ كُفيَ شرَّهُم بٱلعطاءِ وبغيرهِ ، وكلُّ مَنْ شكَّ في ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ . . فهوَ ٱليومَ يُبغضني ويراني خصمَهُ ، بل زادوا وطَعنوا في ٱلعرضِ ، ولـٰكنَّنا نرثي لَهُم ، وندعو لَهُم) اهـ

وفيهِ فوائدُ ؛ منها : أَنَّ ٱلاتِّفاقَ لم ينعقِد علىٰ فضلِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ إلاَّ في ٱلزَّمانِ ٱلمتأَخِّرِ ، وإلاَّ . . فٱلنَّاسُ كٱلنَّاسِ ، ولا يزالونَ مختلفينَ .

توفِّيَ بعينات سَنَةَ (٩٩٧هـ) ، ولَهُ أَعقابٌ[2] منتشرونَ بمرخةَ وبيحانَ ، وروضةِ بني إسرائيلَ ، وحَبَّانَ وخَمُورٍ وٱلهندِ ، وجاوة ودوعنَ وغيرِها .

ومنهُمُ : ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عليِّ بنِ عمرَ ٱلمحضارُ ، وصلَ إلىٰ مَسْوَرَة أَرضِ ٱلرَّصاص فٱقترنَ بٱبنةِ ٱلسُّلطانِ ، فأَقطعَهُ مكاناً بمَرْخةَ يُسمَّى ٱلهَجَرَ ، لا يزالُ إلىٰ يومنا هـٰذا ، وٱلمحاضيرُ فيهِ على ٱستقلالِهم .

وقد سَبَقَ في بَالحاف وبير عليٍّ أَنَّ منصبهُم في سَنةِ (١٣٤٩هـ) أَمضىٰ على ٱلوثيقةِ ٱلَّتي وقَّعَ عليها أَعيانُ تلكَ ٱلجهاتِ وسلاطينُها بٱلسَّمعِ وٱلطَّاعةِ ليَ وكفاني ٱللهُ شرَّ ٱلفتنِ برأْي مولانا ٱلإمامِ يحيىٰ حَسَبَما تقدَّمَ .

ومنهم آل دَرْعَان : ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ ٱلمحضارُ[3] ، وأَولادُهُ : مساعدٌ وسالمٌ ، لَهُم

---

(١) تنبيه ضروري : الشيخ عمر المحضار هـٰذا ابن الشيخ أبي بكر بن سالم هو جدّ كافة السادة آل المحضار المنتشرين في أنحاء المعمورة ، فهو جدهم الأعلى وإليه مرجعيتهم . وليس ينسب أحد منهم للشيخ عمر المحضار الكبير المتوفى سنة (٨١٣هـ) الذي هو ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف ؛ إذ لم يعقب هـٰذا سوى ابنته عائشة التي هي زوجة ابن أخيه عبد الله العيدروس ووالدة ابنه الشيخ الإمام أبي بكر العدني ، رحمهم الله أجمعين ونفعنا بهم .

(٢) عقبه من ابنه أبي بكر بن عمر ، العالم العامل الصالح ، المتوفى بعينات سنة (١٠٥٩) .

(٣) من سكان أرض الرَّصَّاص ، وليسوا آل القويرة كما قد يتبادر لذهن القارىء ، ودرعان بلدة هناك ، =

أخبارٌ في ٱلنَّجدةِ وٱلشَّجاعةِ تنفخُ ٱلأدمغةَ ، وتملأُ ٱلأفئدةَ .

ولهم خيلٌ عتيقةٌ ؛ منها : ٱلكويخه ، لها خَبَرٌ وعِلْمٌ .

وللسَّيِّدِ أحمدَ بنِ درعانَ هـٰذا وِفَادةٌ إلىٰ حضرموتَ ، ونَزَلَ بٱلقويرةِ علىٰ نسيبهِ ٱلإمامِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ٱلمحضارِ ، وطالَ ثواؤُهُ حتَّىٰ مُلَّ ، وسببُ ذلكَ أنَّهُ لا يمكنُ ٱنصرافُهُ إلاَّ بجائزةٍ ، وفي عيشِ ٱلإمامِ ٱلمحضارِ يُبْسٌ إذ ذاكَ ، فلم يجد حيلةً إلاَّ أن قالَ لهُ : نريدُ إكرامَكَ ، لـٰكن ما لدينا شيءٌ إلاَّ ثمانيه ريال عندَ غريمٍ مُمَاطِلٍ ، قالَ لهُ : أعطني تحويلاً عليهِ وسأُخرجُها مِن عينهِ ، فأحالَهُ علىٰ صديقٍ لا يزالُ عندَهُ بٱلقويرةِ صباحَ مساءَ مِن آلِ بروم ، فلمَّا أقبلَ علىٰ دارِهِ وهوَ بظهرِ ٱلكويخة . . سُرَّ وظنَّ معهُ خيراً ، ولمَّا عرفَ باطنَ ٱلأمرِ . . قال : لا شيءَ عندي للحبيبِ أحمدَ ، قال لهُ : ما كان ليكذبَ ، وقد أخبرني بمطلكَ ، ولئن لم تدفَعْها . . لأُوجِرَنَّكَ سِنانَ هـٰذا ٱلرُّمحِ ، فخرجَ ليهربَ ، ولـٰكنَّ ٱبنَ درعانَ قد أغلقَ ٱلسُّدَّةَ وأخَذَ ٱلمفتاحَ ، فصعدَ إلىٰ سطحِ دارِهِ يصيحُ ، حتَّى ٱجتمعَ ٱلجيرانُ ، فأشرفَ عليهمُ ٱبنُ درعانَ وقالَ : لا أخرجُ إلاَّ بٱلثمانيه الريال بعدَ ٱلغداءِ ، فعملوا لهُ غداءً ونقدوهُ ٱلمبلغَ ، فتوجَّهَ إلىٰ عينات ، ثمَّ عادَ إلى ٱلقويرةِ ، ومنها ركبَ إلىٰ مرخة .

ثمَّ إنَّ ٱلشَّيخَ عمرَ ٱلمحضارَ عزمَ علىٰ حملِ ٱلسِّلاحِ لصدِّ عوادي ٱلظَّلَمَةِ ، فلم يوافقْهُ إخوانُهُ ، فَنَزَلَ برضىً منهم[1] بأَنْ يخلفَهُ أخوهُ ٱلحسينُ[2] .

= وهـٰذا اللقب مما يستدرك به على « المعجم اللطيف » للعلامة الشاطري رحمه الله .

(١) أبناء الشيخ أبي بكر بن سالم الذكور (١٣) ابناً ، مضى ذكر المحضار وسيأتي ذكر الحسين ، وبقيتهم : عبد الرحمـٰن ، وجعفر ، وعبد الله الأكبر . هؤلاء الثلاثة لا عقب لهم . وسالم ، له ذرية قليلة ثم قرضوا . وشيخان ، له عقب برخية ووادي العين والهند وسورابايا . وعبد الله الأصغر . وعلي ، توفي سنة (٩٨٢هـ) ، عقبه بالسواحل وسيحوت . والحسن ولد سنة (٩٦٨هـ) ، وتوفي (١٠٥٨هـ) ، وإليه ينسب آل بوفطيم . وأحمد ، توفي بالشحر سنة (١٠٢٠هـ) ، ابنه ناصر من شيوخ الإمام الحداد توفي سنة (١٠٨٢هـ) ، وعقبه من ابنه شيخ بالشحر . والحامد ، توفي بعينات سنة (١٠٣٠هـ) . وصالح .

(٢) الحسين بن الشيخ أبي بكر ، إمام عصره ، وفريد دهره ، كان إماماً عالماً عاملاً فقيهاً ، محيياً للسنة مميتاً للبدعة ، مولده بعينات ، وتربى ونشأ في حجر والده وتحت نظره ، وكانت وفاته بها في =

أَعَـزُّ وَأَتْقَـى ٱبْنَـيْ نِـزَارِ بْـنِ يَعْـرُبِ وَأَوْثَقُهُـم عَقْـداً بِقَـوْلِ لِسَـانِ[1]
وَأَوْفَـاهُـمُ عَهْـداً وَأَطْـوَلُهُـم يَـداً وَأَعْـلاَهُـمُ فِعْـلاً بِكُـلِّ مَكَـانِ

ترجمَهُ ٱلشِّلِّيُّ في « ٱلمشرع » [٣/ ٢١٠-٢١٢] ووَهِمَ في قولِهِ : (إِنَّهُ وليَ ٱلأَمرَ بعدَ أَبيهِ) ؛ لأَنَّهُ لَم يَلِهِ كما قدَّمنا إِلاَّ بعْدَ أَخيهِ .

وبعدَ أَنْ تربَّعَ علىٰ كرسيِّ ٱلمنصبةِ . . حصلَ عليهِ أَذىً مِنْ آلِ كثيرٍ ، فسارَ إِلىٰ مكَّةَ وأَقامَ بها سبعَ سنينَ قَدِمَ في أَثناءِها رؤَساءُ يافع إِلىٰ مكَّةَ وكانَ حصلَ عليهِم تعبٌ مِنَ ٱلزَّيديَّةِ ، فتأَكَّدتْ بينَهُ وبينَهُم ٱلأُلفةُ ، وتأَطَّدتْ قواعدُ ٱلحلفِ ، ووعدوهُ إِنْ نصرَهُمُ ٱللهُ أَنْ يأْخذوا بيدِهِ ، وقد سَبَقَ ٱلقولُ بأَنَّهُم وَصلوا في أَيَّامهِ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ .

توفِّيَ بعينات سَنَةَ (١٠٤٤هـ) . ووقعتْ عمامتُهُ علىٰ ولدِهِ أَحمدَ[2] ، وقامَ بمقامِ أَبيهِ أَحسنَ قيامٍ إِلىٰ أَنْ توفِّيَ ، فٱجتمعَ رأْيُ ٱلسَّادةِ علىٰ تقديمِ ٱبنهِ سالمٍ ٱلسَّابقِ ذِكرُهُ في ٱلغيضَةِ ، وكَثُرتِ ٱلخيراتُ في أَيَّامهِ ، وٱتَّسعَ جاهُهُ ، وأَكثرُهُ مِنْ أَرضِ ٱلظَّاهرِ وجبلِ يافع ، وحصَلَتْ لَهُ أَموالٌ طائلةٌ .

ثمَّ إِنَّ ٱلزَّيديَّةَ ٱستولَتْ علىٰ يافعٍ فٱنقطعَ ٱلمددُ مِنها ، ولمَّا ٱنتهىٰ إِليهِ عزمُ ٱلزَّيديَّةِ علىٰ غزوِ حَضْرَمَوْتَ[3] . . ٱرتحلَ إِلى ٱلحجازِ ، فحجَّ ثمَّ ٱستقرَّ بٱلغيضةِ وسارَ معَهُ بأَهلِهِ ، وبعدَ أَنْ أَقامَ بٱلغيضةِ أَحدَ عشرَ شهراً . . ٱجتوتها[4] زوجتُهُ فاطمةُ بنتُ مُحَمَّدِ بنِ شيخِ بنِ أَحمدَ فَأَذِنَ لَها في ٱلرُّجوعِ إِلىٰ عيناتَ معَ ٱبنهِ عليِّ بنِ سالمٍ ، وتنازلَ

= (١٠٤٤هـ) ، وهي السنة التي ولد فيها الإمام الحداد . وهو كوالده أعقب (١٣) ولداً . وغالب من ترجم لأبيه ترجم له ؛ لأنه كان أشهر أبنائه وأعظمهم جاهاً . ومما يذكر في مناقبه : حربه الشديدة على الدخان والمدخنين ، وكان يشنع على ذلك إلى الغاية وله أخبار كثيرة في هٰذا الصدد .

(١) البيتان من الطَّويل .

(٢) أحمد بن الحسين ، توفي سنة (١٠٦١هـ) ، ترجم له في « المشرع » (٢/ ٢١٠) ، وكان الشلي قد زاره وعرفه . وخلف من البنين (١٠) .

(٣) وذلك في حدود عام (١٠٧٠هـ) .

(٤) أي : لم تطب لها السكنىٰ بها .

لَهُ عن ولايةِ عينات ، وأَباحَ لَهُ أَموالَهُ بحَضْرَمَوْتَ ، وكانَ يرسلُ لَهُ فوقَ ذلكَ بما يكفيهِ ، لِكُلَفِ ٱلمنْصَبَةِ[1] .

وكانتْ لَهُ أَراضٍ واسعةٌ مِنْ عينات إِلى ٱلعُرِّ ترعىٰ بها مواشيهِ ونعمُهُ ، وكانَ يشركُ ٱلسَّادةَ آلَ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ فيما يصلُ إِليهِ مِنَ ٱلفتوحِ .

وبإِثرِ ٱنصرافِ ٱلزَّيديَّةِ عن حَضْرَمَوْتَ . . أَرادَهُ ٱلنَّاسُ على ٱلرُّجوعِ إِليها ، فلَم يَرْضَ[2] .

وبعضُهُم يزعمُ أَنَّ ٱلشَّيخَ عمرَ بامخرمةَ لحظَهُ بطرفِ ٱلغيبِ ، إِذ يقولُ :

سَلِّمْ ٱلأَمِرْ يَا سَالِمْ وَخَلِّ ٱلْحَرَارَه ... خَلِّ ذَا ٱلْكَوْنْ يَآ بنَ ٱحْمَدْ عَلَى ٱللهْ مَدَارَهْ

عَادْ رَبّ ٱلسَّمَا يِعْطِفْ عَلَيْنَا بِغَارَهْ ... يَوْمْ قَالُوا لَنَا ٱلزَّيْدِي تَوَلَّىٰ (شَهَارَهْ)

لأَنَّ شهارةَ حاقَّةٌ معروفةٌ بسيئونَ ، وٱلأَمرُ محتملٌ ؛ فإِنَّ للشَّيخِ عمرَ فراساتٍ كثيرةً صادقةً ، ولٰكنَّ شهارةَ مِنْ ثغورِ ٱليَمنِ في غربيِّ صنعاءَ ٱستولىٰ عليها إِمامُ ٱلزَّيديَّةِ في أَيَّامِ ٱلشَّيخِ عمرَ بامخرمةَ[3] . توفِّيَ ٱلحبيبُ سالمُ بنُ أَحمدَ بٱلغيضةِ سَنةَ (١٠٧٧هـ)[4] .

وبإِثرِ موتِهِ أَحضرَ ولدُهُ عليٌّ سائرَ إِخوانهِ وكتبَ لِلغائبينَ مِنهُم ، وقالَ لَهُم : إِنَّني لا أَقدرُ على ٱلقيامِ بأَعباءِ ٱلمنصبةِ إِلاَّ بأَموالِ والدي ، وقد صارتْ لَكُم ، فخذوها وأَقيموا مَنْ تُحبُّونَ . فقالوا لَهُ : بل أَبحناها لكَ كما كانَ أَباحَها لكَ أَبونا ، وَلا تَزِدْ عمَّا كنتَ تنفقُهُ علينا في أَيَّامهِ .

وقد أَدركَ ٱلحبيبُ عليُّ بنُ سالمٍ عاماً مِنْ حياةِ جدِّ أَبيهِ ٱلحسينِ ، وفي أَيَّامهِ عادَ ٱلظَّاهرُ وجبلُ يافع لأَهلهِ بواسطةِ ٱلسُّلطانِ معوضة بنِ سيفِ بنِ عفيفٍ وٱلسُّلطانِ صالحِ بنِ أَحمدَ بنِ هرهرةَ فدرَّتِ ٱلأَموالُ عليهِ ، وقالَ لإِخوانهِ : ٱقتسِموا ما تركَهُ

---

(١) أي : مؤنتها .

(٢) أخبار الحبيب سالم هٰذه من كتاب « بستان العجائب » (٤ـ١٤) (خ) .

(٣) شَهارة اليمن مدينة شهيرة في بلاد الأهنوم تقع شماليّ حَجّة ، دخلها الأتراك سنة (٩٩٥هـ) .

(٤) وجاء في « الفرائد الجوهرية » أن وفاته سنة (١٠٨٧هـ) ، وما ذكره المؤلف نقلاً عن « بستان العجائب » ، والله أعلم بالصواب .

أَبوكُم ؛ فقد أَغنانا ٱللهُ عنهُ . وأَبقىٰ ما كانَ يُجريهِ عليهِم . توفِّيَ سَنَةَ (١٠٩٦هـ) عن إحدىٰ وخمسينَ سَنَةً ، وكانت إقامتُهُ بٱلمنصبةِ ثمانيةَ عشرَ عاماً[١] .

وخَلَفَهُ ولدُهُ أَحمدُ بنُ عليِّ بنِ سالمِ بنِ أَحمدَ بنِ ٱلحسينِ ، فقام بٱلمنصبةِ وسنُّهُ نحوُ ٱلعشرينَ ، وأَعانَهُ عليها السَّيِّدُ شيخُ بنُ أحمدَ بنِ الحسينِ . توفِّيَ أَحمدُ هـٰذا سَنَةَ (١١١١هـ) ، بعدَ أَنْ مكثَ في ٱلمنصبةِ خمسةَ عشرَ عاماً[٢] .

وخَلَفَهُ عليها ولدُهُ عليُّ بنُ أَحمدَ بنِ عليِّ بنِ سالمٍ ، وٱتَّسعَ جاهُهُ بسببِ ٱتِّساعِ نفوذِ يافع في أَيَّامهِ ، حتَّىٰ لقد كانَ ٱلشُّعيبُ ٱلمشهورُ بحُسنِ ماءِ وردِهِ إقطاعاً لَهُ[٣] .

وكانَ شديدَ ٱلورعِ وٱلتَّواضعِ ، وساءَ ٱلتَّفاهُمُ بينَهُ وبينَ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ بسببِ واشٍ مِنَ ٱلطَّغامِ[٤] قالَ لَهُ : إنَّ ٱلحدَّادَ يحاولُ منصباً مثلَ منصبِ جدِّكَ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ ، ويزعمُ أَنَّهُ أَفضلُ منهُ .

فلَم يَكُنْ مِنَ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ إلاَّ أَنْ وردهُ للترضيَةِ إلىٰ عينات ، وبعدَ ٱلإيناسِ قالَ لَهُ : إنِّي سائِلُكَ : هل خزائِنُ ٱللهِ ملأىٰ أَم لا ؟ فقالَ : بل ملأَىٰ .

قالَ لَهُ : وهل يَنقصُهُ أَنْ يُعطيَ أَحداً مِثلَ ما أَعطى ٱلشَّيخَ أَبا بكرٍ ؟ فقالَ لَهُ : لا . فقالَ ٱلحدَّادُ : إنَّ ٱلَّذي أَعطى ٱلشَّيخَ أَبا بكرٍ يُعطينا مِنَ ٱلهدايةِ ، ويُعطيكَ ويُعطي غيرَنا مِثلَ ما أَعطاهُ .

فٱعتبرَ ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ وجعلَ يُلطِّخُ ٱلحدَّادَ بزبادٍ[٥] مِنْ وعاءٍ كبيرٍ حتَّىٰ نفدَ وهوَ ذاهبٌ عن شعورِهِ . ثمَّ كانَ يزورُ ٱلحدَّادَ في كلِّ أُسبوعٍ أَو في كلِّ شهرٍ معَ كثرةِ أَشغالِهِ وعُظْمِ منصبِهِ ، ويَستغرقُ سحابةَ ٱليومِ في قراءَةِ ٱلكتبِ ٱلنَّافعةِ عليه ، وفي أَوَّلِ قدمةٍ قدمها

---

(١) أخبار الحبيب علي بن سالم في « بستان العجائب » (١٤ـ١٨) .

(٢) « بستان العجائب » (١٨ـ٢٠) ، ويلقب الحبيب أحمد هـٰذا بالمدفع ؛ لكثرة كراماته وصلاحه .

(٣) وكان جاهه واصلاً إلى بلاد القبلة والظاهر وبيحان ، وردمان إلى قرب رداع .

(٤) **الطَّغام** : أَوغاد النَّاس ، وذكر مؤلف « البستان » أنه من أحد الأخدام .

(٥) **الزباد** : طيب كالمسك ، غالي الثمن ، يستخرج من أوعية في بدن بعض السنانير المعروفة بهر الزباد ، ويكثر في بلاد الحبشة والصومال وشرق أفريقيا .

على ٱلحدَّادِ قالَ ـ أعني ٱلحدَّادَ ـ [مِنَ ٱلوافرِ] :

جَـــزَاكَ ٱللهُ عَـــنْ ذَا ٱلسَّعْـــيِ خَيْـــراً وَلَـكِـــنْ جِئْـــتَ فِـــي ٱلـــزَّمَـــنِ ٱلأَخِيـــرِ

وإليهِ ٱلإشارةُ بقولهِ مِنَ ٱلأُخرىٰ [في « ديوانهِ » ١٧٧ مِنَ ٱلرَّملِ] :

زَارَنِـــي بَعْـــدَ ٱلْجَفَـــا ظَبْـــيُ ٱلنُّجُـــودِ . . . .

وفي كلامِ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ عمرَ بنِ سميطٍ ما يفيدُ أَنَّ صاحبَ ٱلقصَّةِ معَ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ هوَ ٱلسَّيِّدُ محسنُ بنُ حسينِ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ ، ولعلَّ ٱلكاتبَ وَهمَ في ذلكَ ؛ لأَنَّ ٱلصَّوابَ هوَ ما ذكرناهُ .

وٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ عليٍّ هـٰذا هو ٱلَّذي كتبَ للسُّلطانِ عمرَ صالحِ بنِ أَحمدَ ٱبنِ ٱلشَّيخِ عليٍّ هرهرةَ ليخرجَ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ لمَّا كثرتْ بها ٱلمظالمُ وٱلفوضويَّةُ ، كذا في « بستانِ ٱلعجائبِ » [ص٣١] للسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ سقَّافٍ .

وٱلَّذي بـ« **ٱلأَصلِ** » عنِ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحيمِ ٱبنِ قاضي في ترجمتهِ لِلسَّيِّدِ شيخِ بنِ أَحمدَ ما يُصرِّحُ بأَنَّهُ هوَ ٱلَّذي تولَّى ٱلأَمرَ بعدَ أَبيهِ ، وأَنَّهُ هوَ ٱلَّذي كتبَ ليافعِ مساعدةً لبدرِ بنِ مُحَمَّدٍ ٱلمرْدُوفِ علىٰ عمرَ بنِ جعفرٍ ، وأَنَّهُ توفِّيَ سَنةَ (١١١٩هـ) وأَنَّ أَخاهُ عليّاً إِنَّما تولَّىٰ بعدَهُ ، وهـٰذا هوَ ٱلأَثبتُ[1] .

ثمَّ إِنِّي ٱطَّلعتُ بعدَ هـٰذا علىٰ « رحلةِ عمرَ بنِ صالحٍ » ، وفيها ما حاصلُهُ : (كانَ نهوضُنا إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ في أَوَّلِ شهرِ ٱلقعدةِ سَنةَ (١١١٧هـ) ، كتبَ إِلينا مولانا وسيِّدُنا وصاحبُ أَمرنا قطبُ ٱلحقيقةِ وٱلطَّريقةِ ، ٱلشَّيخُ ٱلحبيبُ : عليُّ بنُ أَحمدَ بنِ عليِّ بنِ سالمِ بنِ أَحمدَ بنِ ٱلحسينِ بنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ أَن نخرجَ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ ؛ لأَنَّ ٱلسُّلطانَ عمرَ بنَ جعفرٍ طغىٰ وبغىٰ ، وعظَّمَ شعائرَ ٱلزَّيديَّةِ ، وٱستولىٰ على ٱلشِّحْرِ ، وهربَ ٱلسُّلطانُ عيسىٰ بنُ بدرٍ إِلىٰ عينات ، فهجَمَ عليهِ بها هوَ

---

(١) وٱلذي في « هدية الزمن » للعبدلي ، و« تاريخ الدولة الكثيرية » (٨٩) وما بعدها . . يؤيد ما ورد في « بستان العجائب » . . فلا معنى بعد هـٰذا لما قاله ٱبن قاضي ، ولا سيما إذا قرأنا نص « رحلةِ ابن هرهرة » الآتي هنا .

ومَنْ معَهُ مِنَ ٱلزَّيديَّةِ ، وأَخذَهُ مِنها قهراً ، وٱستولىٰ علىٰ حَضْرَمَوْتَ كلِّها ، وأَرسلَ بعيسىٰ بنِ بدرٍ إِلىٰ عندِ ٱلإمامِ ، ثمَّ ٱنكفأَ علىٰ آلِ همَّامٍ ويافع ٱلَّذِينَ بٱلشِّحْرِ وحَضْرَمَوْتَ ، فأَخرجَهُم مِنَ ٱلقلاعِ ، وسلَّمها لِلزَّيديَّةِ ، وٱستهانَ بٱلسَّادةِ ، فعندَ ذلكَ عزمنا) . . . ثمَّ ٱستاقَ (ٱلرِّحلةَ) إِلىٰ آخرِها .

توفِّيَ ٱلحبيبُ عليُّ بنُ أَحمدَ بعينات سَنةَ (١١٤٢هـ)[١] .

وخَلَفَهُ على ٱلمَنْصَبَةِ ٱبنُهُ أَحمدُ بنُ عليِّ بنِ أَحمدَ ، وكانَ مضيافاً يذبحُ كلَّ يومٍ ستّاً مِنَ ٱلأَغنامِ ، سوىٰ ما يذبحُهُ لِلواردينَ ، ولَهُ ولوعٌ شديدٌ بٱلقَنْصِ ، وكانَ كريماً شفيقاً ، حتَّىٰ لقد غضبتْ عليهِ زوجتُهُ أُمُّ أَكبرِ أَولادهِ بنتُ آلِ يحيىٰ مِنْ زواجهِ بغيرِها ، وأَبَتْ أَنْ تعودَ إِلاَّ بمئةِ دينارٍ ، ولمَّا حصَّلَها . . آذنهُم فعمِلُوا ضيافةً عامَّةً دعوا إِليها أَهلَ عينات أَجمعينَ ، فبينا هوَ ذاهبٌ إِليهِم . . سمعَ ٱمرأةً تقولُ مِنْ حيثُ لا تراهُ : نحنُ جائِعونَ عارونَ ولا عيدَ لي ولا لأَيتامي ، وأَحمدُ بنُ عليٍّ بايدْفَعْ لبنتِ آلِ يحيىٰ مئةَ دينارٍ ! !

فظهرَ عليها ورماها بٱلصُّرَّةِ ، وقالَ لَها : حلالٌ لكِ حرامٌ علىٰ بنتِ آلِ يحيىٰ .

فٱمتنعتْ مِنْ قَبولِها لِعِلْمِها بٱلمهمَّةِ ، فلَم يأْخذْها مِنها ، وبعثَ لآلِ يحيىٰ بٱلاعتذارِ ، فعظمَ ٱلأَمرُ عليهِم وأَخبروا بنتَهُم ، فقالت : إِنِّي لأَعلَمُ أَنَّهُ لا يُخلفُ وعداً ، ولا يبيتُ علىٰ جنابةٍ ، ولا يأْكلُ إِلاَّ معَ ضيفٍ ، ولَنْ يتأَخَّرَ إِلاَّ لِمُهمٍّ . وبحثتْ عنِ ٱلواقعِ حتَّىٰ عَرفتْهُ ، فذهبتْ هيَ وأَولادُها إِليهِ ، فكادَ يجنُّ جنونُهُ مِنَ ٱلفرحِ ؛ لأَنَّهُ بها مغرمٌ ، وشكرتْهُ علىٰ صنيعهِ ، وقالت لَهُ : إِنْ لَم تَزُرْ . . زرناكَ .

وقد ترجمَهُ ٱلجنيدُ في « ٱلنّورِ ٱلمُزْهِرِ » توفِّيَ سَنةَ (١١٧٧هـ) ، وفي « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » أَنَّ وفاتَهُ كانت في ٱلسُّجودِ وهوَ يُصلِّي ٱلظُّهرَ[٢] .

---

(١) أخبار الحبيب علي بن أحمد في « البستان » (٢٠ ـ ٣٨) .

(٢) ترجمته الواسعة المستفيضة في « بستان العجائب » (٣٨ـ٧٦) ، وذكر أن وفاته ليلة الإثنين سلخ جمادى الأولى سنة (١١٧٧هـ) ، توفي بعد أن صلى سنة العشاء القبلية ثم أمر المؤذن أن يقيم الصلاة فأقام ثم جلس وهلل وخرجت روحه . وفي « تراجم الشجرة » : أنه توفي ساجداً في صلاة الظهر . والله أعلم .

وفي كلامِ سيِّدي ٱلأُستاذِ ٱلَّذي جمَعَهُ والدي : (أَنَّ سببَ وفاتِهِ أَنَّ سبخةً لسعَتْهُ في جبهتِهِ وهوَ يُصلِّي ٱلظُّهرَ فماتَ) .

وفيهِ أَيضاً : (أَنَّ ٱلعلاَّمةَ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱلرَّحمـٰنِ بنَ أَحمدَ باوزيرٍ كانَ يتحرَّجُ عَن طعامِهِ حتَّىٰ جاءَ ٱلحبيبُ طاهرُ بنُ محمَّدِ بنِ هاشمٍ فأَخبرَهُ بما في نفسِهِ ، فقالَ لهُ : إِنَّهُ صاحبُ ٱلوقتِ ، لهُ ٱلحقُّ في أَموالِ ٱلمسلمين) اهـ

وخَلَفَهُ ولدُهُ سالمُ بنُ أَحمدَ بنِ عليِّ بنِ أَحمدَ بنِ عليِّ بنِ سالمِ بنِ أَحمدَ بنِ ٱلحسينِ ، وكانَ أَبيضَ ٱلسَّريرةِ ، لا يعرفُ شيئاً مِنْ أَمرِ ٱلدُّنيا ، وهوَ ٱلَّذي وصلَتْ مواساةُ صاحبِ ٱلمغربِ لساداتِ حَضْرَمَوْتَ في أَيَّامِهِ[1] ، وٱختلفتِ ٱلرِّوايةُ :

فٱلَّذي قالَهُ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ سقَّافٍ أَنَّهُ رضيَ بأَكياسِ ٱلدَّراهمِ ٱلحريريَّةِ ٱلمزركشةِ بٱلفضةِ قياضاً عمَّا لَهُ ولأُسرتهِ مِنها .

وٱلَّذي قالَ غيرُهُ : أَنَّهُ أَرادَ ٱلاستئثارَ بجميعِها ، فما زالوا بهِ حتَّى ٱقتنعَ بٱلأَكياسِ زيادةً عن نصيبهِ مثلَ ٱلنَّاسِ .

وفي أَيَّامهِ طلبتْ يافعُ بتريمَ مواساةً مِنْ أَهلِها فثَقُلَتْ عليهِم ، فذهبَ أَحدُ آلِ شاميٍّ

---

(١) ما سمّاه المؤلف : (مواساة) . . سمّاه العلامة علوي بن طاهر (مال الفيء) ولمعرفة المزيد من خبر (مال الفيء) وخلاصة هٰذا الخبر : أن أمير المؤمنين الشريف محمد بن أمير المؤمنين الشريف عبد الله بن مولاي إسماعيل العلوي الحسني سلطان المغرب ، المولود سنة (١١٣٤هـ) ، والمتوفى سنة (١٢٠٤هـ) ، أرسل مالاً جزيلاً إلى الحرمين الشريفين ليفرق على السادة الأشراف ، وهو مما أخذه من نصارى الدنيمارك ونصارى بلنسيان ، وكان فرض عليهم جزية (٥٠) قنطاراً عن كل سنة .

وكان قدر ذلك المال (٥٠٠٠) خمسة آلاف سبيكة ذهباً ، كل سبيكة وزنها مئة دينار . . كان نصيب أشراف حضرموت منها (١٠٠,٠٠٠) مئة ألف ريال فرانصة أو أكثر ، وصل كل نفر منهم ذكر وأنثى صغير وكبير ثمانية ريالات إلا ربع .

ولحصر السادة العلويين وضبط أعدادهم قام بالمهمة الشاقة السيد الجليل علي شيخ بن شهاب الدين . . فسار إلى السواحل الحضرمية والبلدان والقرى ، وألحق الفروع بالأصول ، وحرر ذلك تحريراً تاماً ، وتوفي في الشحر سنة (١٢٠٣هـ) ، وكان شريف مكة لذاك العهد هو الشريف سرور بن مساعد ، الذي بنى مسجد سرور بتريم . ينظر : « عقود الألماس » (١٥٩ـ١٧٢) ، و« بستان العجائب » (٨١ـ٨٣) .

بهديَّةٍ تافهةٍ إلاَّ أَنَّها ملوَّنةٌ ، فعزمَ علىٰ يافع أَنْ لا يأْخذوا شيئاً فأنتهوا ، وكذلكَ ٱلحالُ كانَ في ٱلعامِ ٱلَّذِي بعدَهُ . توفِّيَ سَنَةَ (١٢١١هـ)[١] .

وخَلَفَهُ ٱبنُهُ أَحمدُ بنُ سالمٍ ، وكانَ كثيرَ ٱلخيراتِ وٱلمبرَّاتِ ، وفي أَيَّامِهِ كانَ وصولُ ٱلوهَّابيَّةِ إِلىٰ حَضْرَمَوْتَ بطلبٍ مِنْ بعضِ ٱلسَّادةِ وآلِ كثيرٍ ، ولَم يَكُنْ لَهم عسكرٌ كثيرٌ ، وإِنَّما كانوا يَنشرونَ دعوتَهُم فيستجيبُ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ، وكانَ ممَّنِ ٱستجابَ لَهُم : آلُ عليِّ جابر بخَشَامِر غربيَّ شبام ، وبعضُ ٱلسَّادةِ ، وبعضُ آلِ كثيرٍ ، وعبدُ ٱللهِ عوضُ غرامةَ بتريم . فتمكَّنوا بذلكَ مِنْ هدمِ ٱلقبابِ وتسويةِ ٱلقبورِ .

ولمَّا علمَ ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ سالمٍ بوصولِهِم إِلىٰ تريم . . ٱستدعىٰ منصبَ آلِ ٱلحامدِ ٱلسَّيِّدَ سالمَ بنَ أَحمدَ بنِ عيدروسٍ ، وٱتَّفقوا على ٱلدِّفاعِ عن عينات . وٱستدعى ٱلحبيبُ أَحمدُ مَنْ أَطاعَهُ مِنْ يافعٍ وآلِ تميمٍ ، وٱلحبيبُ سالمٌ مَنْ أَطاعَهُ مِنَ ٱلصَّيعرِ وٱلمناهيلِ .

ولمَّا علمتِ ٱلوهَّابيَّةُ وغرامةُ بذلكَ . . كتبَ ٱلأَخيرُ كتاباً لِلمنصبينِ يقولُ لَهُم فيهِ : (إِنَّ ٱبنَ قملا وصلَ بقومٍ ـ ما تعقلُ ـ مِنَ ٱلقبلةِ ، وقَصْدُهُم دخولُ عينات ، وإِنْ دخلوا . . بايخربونَ قبابَ مشايخنا ومناصبِنا ، وٱلأَولىٰ أَنْ تصلونَ أَنتُم ويكونَ ٱلاتِّفاقُ ، وٱحتمِلوا ٱلمشقَّةَ في ٱلوصولِ ، وهـٰذهِ منَّا نصيحةٌ ومحبَّةٌ وشفقةٌ ، وما يشقُّ عليكُم يَشقُّ علينا . .) في كلامٍ طويلٍ[٢] .

وكانوا يعرفونَ محبَّتَهُ وموالاتَهُ لَهُم فٱطمأَنُّوا بكتابهِ ، فوصلوا إِلىٰ تريم ، وأَلقوا عليهِمُ ٱلقبضَ ، وأَلقوهُم تحتَ ٱلمراقبةِ ، وأَرسلوا ٱلعسكرَ إِلىٰ عينات ، وقالوا لأَهلِ عينات : إِنْ أَحدثتُم أَدنىٰ أَمرٍ . . بعثنا لكُم برؤُوس ٱلمناصبِ . فتركوهُم يفعلونَ ما شاؤُوا ، وخافوا منهُم خوفاً شديداً ، وكلَّفوهُم غرامةً شديدةً دفعوا فيها حُليَّ نسائِهِم[٣] .

---

(١) ترجمته وأخباره في « البستان » (٧٧ـ٩٠) .

(٢) ولو لم يكن من غرامة من الغدر والخيانة إلا هـٰذه . . لكفته .

(٣) تنظر التفاصيل في « البستان » (٩٧ـ٣٠٣) .

ثمَّ إنَّ آلَ قَمْلا تصادَقوا هُم وٱلمقدَّمُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ ففتحَ لَهُمُ ٱلطَّريقَ إِلىٰ شعبِ نبيِّ ٱللهِ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ . . فهدموا قبَّتَهُ .

وبإِثرِ رجوعِ آلِ قملا مِنَ ٱلجهةِ ٱلحدريَّةِ . . أَطلقَ غرامةُ سراحَ ٱلمناصبِ .

ولا يُشكِلُ نسبةُ كبرِ ٱلأَمرِ إِلىٰ عبد ٱللهِ عوضٍ غرامةَ ، معَ أَنَّ ذلكَ كانَ في أَيَّامِ عمِّهِ ؛ لاحتمالِ أَنَّهُ غلبَهُ علىٰ رأيِهِ أَوِ ٱستمالَهُ إِليهِ ، وبقيَ عندَهُ فيهِ شكٌّ أَو مجاملةٌ فأَلقىٰ عهدتَهُ علىٰ عبدِ ٱللهِ عوضٍ .

وبإِثرِ وصولِ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ سالمٍ إِلىٰ عينات . . أَرسلَ ولدَهُ أَبا بكرٍ إِلىٰ جبلِ يافع ، وأَتىٰ بأَقوامٍ ، وأَذكىٰ نارَ ٱلحَرْبِ علىٰ غرامةَ ، وضيَّقَ عليهِ ٱلخناقَ .

هـٰذا ما يقولُهُ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ سقَّافٍ ، وفيهِ خلافٌ أَو تفصيلٌ لِما في شرحِ بيتِ آلِ تميمٍ مِنَ « **ٱلأَصلِ** » ؛ إِذِ ٱلَّذي فيهِ : أَنَّ ٱلسَّيِّدَ أَبا بكرِ بنَ أَحمدَ إِنَّما ينهضُ إِلىٰ يافع ليأْتي بقوم يحاربُ بهِمُ ٱلسَّيِّدَ سالمَ بنَ أَحمدَ ٱلحامدَ ، وأَنَّهُم لمَّا وصلوا تريمَ بعدَ ٱللُّتيَّا وٱلَّتي في أَوَّلِ رمضانَ مِنْ سَنَةِ (١٢٣٧هـ) . . أَرضوهُم بخمسِ مئَةِ ريالٍ فرَّقوها علىٰ سيئونَ وتريم وعينات ، ولَم يَكُنْ حربٌ ، وٱللهُ أَعلمُ أَيَّ ذلكَ كانَ . معَ أَنَّهُ لا يبعدُ أَنَّ ٱلحبيبَ أَرسلَ ٱبنَهُ أَبا بكرٍ إِلىٰ يافعَ مرَّتين ؛ أَوَّلاً : لحربِ غرامةَ ، وثانياً : لحربِ ٱلسَّيِّدِ سالمٍ ، ولم يكن بالآخرةِ قتالٌ .

وفي « **ٱلأَصلِ** » عنِ ٱلجنيدِ : أَنَّهُ ٱنتقدَ على ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ سالمٍ هـٰذا كثرةَ حروبِهِ معَ قوَّتِهِ في ٱلعبادةِ وصيامِهِ للأَشهرِ ٱلحرمِ ، وأَنَّ ٱلحبيبَ طاهرَ بنَ حسينٍ أَجابَهُ بما يزيلُ سوءَ ظنِّهِ بهِ ، فليكشفْ منهُ .

ومِنْ هـٰذا ٱلمنصبِ كانتْ توليةُ ٱلقضاءِ لجدِّنا محسنِ بنِ علويٍّ بسيئونَ وأَعمالِها بوثيقةٍ محرَّرةٍ في ذلكَ بتاريخِ محرَّم سَنَةَ (١٢٣٦هـ) ، وفي ذلكَ ما يدلُّ علىٰ نفوذِ أَمرِهِ ، وٱتِّساعِ سلطانِهِ ، ودخولِ يافعِ تحتَ طاعتِهِ .

وقد حجَّ ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ سالمٍ ، وأَكرمَ شريفُ مكَّةَ[1] وفادتَهُ ، وأَهداهُ كسوةً

---

(١) كان ذلك زمن الشريف يحيى ٱبن الشريف سرور بن مساعد ، وكان محمد علي باشا ولاه على مكة سنة=

فاخرةً ، وفرساً عربيّةً مُحلاّةً ، وألفاً وخمسَ مئةٍ مِنَ ٱلرّيالاتِ ٱلفرانصةِ . وكانت لَهُ نفقاتٌ جليلةٌ ، وصدقاتٌ جزيلةٌ . توفِّيَ سَنةَ (١٢٤٢هـ) .

ووقعَ رداؤُهُ على ٱبنهِ أَبي بكرٍ ، وكانتْ لَهُ عبادةٌ ومحاسنُ وإِيثارٌ لِلسَّلمِ ، فٱصطلحَ هوَ وٱبنُ يمانيٍّ وٱلمناهيلُ وأَهدروا ٱلدِّماءَ ٱلَّتي طُلَّتْ[١] بينَهُم ، ولـٰكنَّ يافعاً أَساءَتْ عليهِ ٱلأَدبَ ، ونَهبوا في عينات ، ووصلَ إِلىٰ سيئونَ لِيُصلحَ بينَهُم . . فلَم يَقبلوا لَهُ كلاماً . توفِّيَ سَنةَ (١٢٦١هـ) .

وقامَ في مقامهِ ٱبنُهُ سقّافُ بنُ أَبي بكرِ بنِ أحمد بن سالم وفي أَيّامهِ ٱنتشرَ ٱلجهلُ ، فحرصَ ٱلحبيبُ عبدُ ٱللهِ بنُ حسينِ بنِ طاهرٍ علىٰ كَشْفِ غمراتهِ ، فبعثَ بٱلحبيبِ عمرَ بن عبدِ ٱللهِ بنِ يحيىٰ فلَم يُحسنْ سياستَهُم ، فردُّوهُ مكسورَ ٱلخاطرِ ، ثمَّ إِنَّ جدِّيَ ٱلمحسنَ زار شعبَ ٱلمهاجرِ فلاقىٰ بهِ بعضَ أَبناءِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينٍ ، فزيَّنَ لهُ زيارةَ أَبيهِ ، فتوجَّهوا معاً إِلى ٱلمسيله ، فكلفَ عليهِ ٱلحبيبُ عبدُ ٱللهِ أَن يذهبَ إِلىٰ عيناتٍ ليذكرَ آلَ ٱلشَّيخِ ، فٱعتذرَ أَوّلاً بأَنَّ معَهُ صغارَ أَولادِهِ ، فلم يقبَل لهُ عذراً ، فذهبَ وأَقامَ لديهِم أَربعينَ يوماً ، وحصلَ بهِ نفعٌ عظيمٌ لا يحصلُ مِثلُهُ في أَعدادٍ مِنَ ٱلسِّنينَ ؛ لأَنَّ قلوبَهُم سليمةٌ ، وأَذهانَهُم نقيَّةٌ .

وفي أَيّامهِ وصلَ ٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ عليٍّ بوعلامةَ[٢] ـ ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ في ٱلمُكَلاّ ـ إِلىٰ عينات ، وسارَ هوَ وإِيّاهُ إِلىٰ دوعن[٣] .

ثمَّ حجَّ في سَنةِ (١٢٨٠هـ) ، وتوفِّيَ سَنةَ (١٢٨٣هـ)[٤] ، وٱبنُهُ سالمٌ في بندرِ ٱلمُكلاّ ، فنادوا بهِ معَ غيابهِ منصباً ساعةَ دَفْنِ أَبيهِ ، وكتبوا لَهُ وللنَّقيبِ صلاحِ بنِ مُحمَّدٍ

= (١٢٢٨هـ) بعد القبض على عمه غالب بن مساعد ، فاستمر فيها إلى سنة (١٢٤٢هـ) ، حيث فصل عنها وسار إلى مصر ومات بها سنة (١٢٥٢هـ) .

(١) طلَّت : هُدِرت .

(٢) واسمه : عمر بن علي بن شيخ بن أحمد بن علي . . إلى آخر النسب ، يلقب بأبي عَلاَمة ، مولده في سورابايا . .

(٣) الخبر في « البستان » (١٤١ـ١٤٧) . وكانت وفاة الحبيب عمر بوعلامة في شبام سنة (١٢٧٩هـ) .

(٤) أخباره في « البستان » لابنه محمد بن سقاف (١٣١ـ١٥٣) .

ٱلكساديّ وأولادِ عمرَ بنِ عوضٍ ٱلقعيطيِّ وهُم مجتمعونَ بٱلمُكَلاَّ ، وعندَهُم يافعٌ مِنَ ٱلجبلِ ومِنْ حَضْرَمَوْتَ ، وناسٌ مِنَ ٱلأعجامِ ٱلمسلمينَ ، يقالُ لَهُم : ٱلرُّويلةُ ، مِنْ كابلَ[1] ، يريدونَ بذلكَ إخراجَ غالبِ بن محسنٍ ٱلكثيريِّ مِنَ ٱلشِّحْرِ ، فتمَّ لَهُم ما يريدونَ .

وكانَ ٱلحبيبُ سالمٌ هٰذا أَدَّىٰ نُسكَهُ معَ أَبيهِ ، ثمَّ توفِّيَ سَنةَ (١٢٩٥هـ)[2] .

ونادوا بٱبنهِ أَحمدَ منصباً معَ أَنَّ سِنَّهُ لم يكن يومئذٍ إلاَّ تسعاً ، فكانَ كما قالَ مروانُ بنُ أَبي حفصةَ [في « ديوانهِ » ٧٥ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَبَانَتْ خِصَالُ ٱلْخَيْرِ فِيهِ وَأُكْمِلَتْ وَمَا بَلَغَتْ خَمْساً سِنُوهُ وَأَرْبَعَا

وكانَ عمُّهُ ٱلفاضلُ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ سقَّافٍ غائباً بجاوة ، فتركَ كلَّ شيءٍ وخفَّ إلىٰ حَضْرَمَوْتَ ٱهتماماً بتعليمهِ .

وفي حدودِ سَنةِ (١٣٠٦هـ) ٱتَّصلَ ـ بواسطةِ عمِّهِ محمَّدٍ وٱلسَّيِّدِ بوبكر منصب ٱلآتي ذِكرُهُ ـ بسيِّدي ٱلأُستاذِ ٱلأبرِّ ٱتِّصالاً أَكيداً ، ولبسَ منهُ ، وأَخذَ عنهُ ، وتحكَّم لَهُ ، وعهدي بهِ وهوَ ماثلٌ بينَ يدَي ٱلأُستاذِ في مصلَّىٰ والدي بعَلَمْ بدر مِن أَرباضِ سيئون معَ أَنَّهُ من عشيَّةِ ٱللَّيلةِ ٱلَّتي مَثُلَ في صباحِها بينَ يدي سيِّدي ٱلأَبرِّ كانَ يمشي إلىٰ حفلِ ٱلمولدِ ٱلعامِّ ، وشيوخُ ٱلعلويِّين ـ ومنهمُ ٱلأُستاذُ ـ يمشونَ وراءَهُ كما يقولُ ٱلوالدُ مصطفى ٱلمحضارُ عن مشاهدةٍ ، وهوَ ٱلمقدَّمُ عليهم في ٱلقعودِ وٱلقيامِ .

وفي ذلكَ ٱلعهدِ كانَ وصولُ ٱلفاضلِ ٱلجليلِ ٱلمنصبِ أَبي بكرِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ أَبي بكرٍ[3] ، مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ شيخانَ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ صاحبِ لامو إلىٰ

---

(١) جاء بهم السلطان عوض بن عمر القعيطي لقتال غالب بن محسن الكثيري .

(٢) في (٤) من ذي الحجة من تلك السنة ، وأخباره وترجمته في « البستان » لأخيه محمد : (١٥٣ـ١٩١) .

(٣) ذُكِرَ في « الفرائد الجوهرية » ، ولم يؤرخ لوفاته . ويلقب أجداد المترجم بآل بتّة ؛ نسبة لجدهم أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن شيخان بن الحسين ؛ وبتّة هي مدينة من مدن سواحل أفريقيا الشرقية ، هاجر إليها السيد أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر حفيد المذكور هنا ، ووالد السيد=

حضرةِ ٱلأُستاذِ ، وهوَ رجلٌ شهمٌ ، ذو أَيدٍ وقوَّةٍ ، فلقد شهدتُ سيِّدي ٱلأُستاذَ ٱلأَبرَّ تحتَ نخلةٍ مِن بستانِنا ظليلةٍ بعدَ ٱلظُّهرِ إِذْ سقطَ عذقٌ وٱلنَّاسُ ملتفُّونَ ، وكادَ يقعُ علىٰ عمامةِ سيِّدي ٱلأُستاذِ ، فنهضَ ٱلمنصبُ بوبكرٍ نصفَ نهضةٍ وتلقَّاهُ بيدٍ واحدةٍ كأَنَّهُ كُرَةٌ ، معَ أَنَّهُ لا ينقصُ وزنُهُ عن أَربعينَ رطلاً .

ولَهُ ٱطِّلاعٌ علىٰ أَسرارِ ٱلأَسماءِ وٱلحروفِ ، ومعرفةٌ بٱلأَوفاقِ ، ولَهُ خطٌّ جميلٌ . . وكتبَ « رسالةً » ـ أَظنُّها تتعلَّقُ برحلتهِ وٱتِّصالهِ بٱلأُستاذِ ـ ذكرَ فيها أَخذَ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ سالمٍ عنِ ٱلأُستاذِ ، وفُرْقَانَ ما بينَ حالهِ قَبْلَ أَخذِهِ وبعدَهُ ، وأَطنبَ في ذلكَ بصورةٍ مشوِّقةٍ لَم يَبْقَ بذهني مِنها إِلاَّ ٱليسيرُ ، ولا لومَ ؛ فقد كنتُ يومئذٍ حوالي ٱلسَّابعةَ مِنْ عمري ، ولولا أَنَّ خطَّهُ كانَ بديعاً حسناً ، وأَنَّ ٱلرِّسالةَ كانت مزيَّنةً بٱلأَلوانِ وٱلنُّقوشِ . . لَمْ يَبْقَ لَها أَثرٌ عنديَ ٱلبتَّةَ ، لٰكنَّ وجودَها بٱلصِّفةِ ٱلَّتي تستلفتُ أَنظارَ ٱلصِّبيانِ هوَ ٱلَّذي حمَّلَني مِنها ما لا تزالُ بقاياهُ بٱلذَّاكرةِ علىٰ بُعدِ ٱلعهدِ وصِغَرِ ٱلسِّنِّ ، معَ أَنِّي لم أَنظُرها إِلاَّ وقتَ وجودِهِ بحضرموتَ ، وهو عام (١٣٠٦هـ) كما تقدَّمَ .

توفِّيَ ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ سالمٍ فجأَةً سَنَةَ (١٣٢٤هـ)[1] ، ووقعَ رداؤُهُ علىٰ ولدِهِ عليٍّ ، وكانَ شابّاً نشيطاً ، مضيافاً كثيرَ ٱلإِصلاحِ بينَ ٱلجنودِ ، وكانَ ٱلسَّيِّدُ حسينُ بنُ حامدٍ يَكرهُهُ ويَحسدُهُ ؛ لامتدادِ نفوذِهِ وجاهِهِ ، ولَهُ معَهُ مواقف لَم يَلِنْ فيها جانبُهُ ، ولم يَزِلَّ نعلُهُ ، ولم يعطِ ٱلمقادةَ ، ولم يُسْلِسِ ٱلزِّمامَ .

حجَّ في سنةِ (١٣٤٥هـ) ، وأَكرمَ وفادتَهُ ٱلملكُ ٱبنُ سعودٍ ، وأَعطاهُ خنجراً ومئةَ جنيهٍ مِنَ ٱلذَّهبِ ، وتوفِّيَ سَنَةَ (١٣٤٩هـ)[2] .

= عبد الرحمن المنصب الذي ذكره المؤلف . ينظر : « حاضر العالم الإسلامي » للأمير شكيب أرسلان (٣/ ١٧٨) ، و« تعليقات ضياء شهاب على شمس الظهيرة » (١/ ٢٩٤ـ٢٩٥) .

وبالمناسبة : فإن سلاطين جزر القمر هم من آل الشيخ أبي بكر بن سالم . ينظر « تعليقات السيد ضياء » (١١/ ٢٩٤) .

(١) كانت وفاته في (٢٨) رجب من السنة المذكورة ، وقبته هي سابع قباب آل الشيخ بعينات ، وينظر طرف من أخباره في « البستان » (١٩١ـ إلى آخره) .

(٢) كانت وفاته في (٣) شعبان من السنة المذكورة .

وخَلَفَهُ ولدُهُ ٱلمباركُ أَحمدُ بنُ عليٍّ[1] ، وقدِ ٱعتنىٰ بتربيتهِ ٱلشَّابُ ٱلعفيفُ شيخُ بنُ أَحمدَ بنِ سالمٍ عمُّ أَبيهِ[2] ، وأَحضرَهُ على ٱلعلماءِ ، ودبَّر أُمورَ دنياهُ ، حتَّىٰ لقد ماتَ أَبوهُ مديناً بٱثني عشرَ أَلف ريالٍ (١٢٠٠٠) ، ولَم يَكُنْ ضيفُهُ ولا خَرْجُهُ بأَقلَّ مِنْ خَرْجِ أَبيهِ ، ومعَ ذلكَ فقد قضىٰ جميعَ ديونِ والدهِ ، ومرَّتِ ٱلأَزمةُ وفناؤُهُ رحبٌ ، وضيفُهُ كرمٌ ، وخاطرُهُ رخوٌ ، وكاهلُهُ خفيفٌ بفضلِ تدبيرِ ٱلسَّيِّدِ شيخٍ ، فجزاهُ ٱللهُ خيراً .

ولَهُ فوقَ ذلكَ مِنَ ٱلمحاسنِ ، ولينِ ٱلنَّحيزةِ[3] ، وكرمِ ٱلطَّبيعةِ ، وٱستواءِ ٱلسِّرِّ وٱلعلانيةِ ، وٱلخبرةِ بأَحوالِ ٱلزَّمانِ ، وٱلتَّمرُّنِ علىٰ سياسةِ أَهلهِ . . ما لا يُساهمُهُ أَحدٌ فيهِ .

وللسَّادةِ آلِ ٱلحامدِ بنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ منصبٌ بعينات ، وجاهٌ ضخمٌ لدى ٱلصَّيْعَرِ[4] وٱلمَناهيلِ[5] وغيرِهم .

---

(١) مولده في حدود (١٣٣٠هـ) ، وتوفي سنة (١٤١٤هـ) ، وقد جاوز السبعين ، وخلفه في المقام ابنه السيد المنصب حسن بن أحمد بن علي ، وهو القائم بالمقام اليوم ، تربى تحت نظر والده وجده عم أبيه الحبيب شيخ الآتي ذكره .

(٢) بل هو عمه مباشرة ، ولعل هـٰذا سهو من المؤلف عليه رحمات الله ، ولد الحبيب البركة الشهم المعمر شيخ بن أحمد بن سالم بعينات سنة (١٣٢٠هـ) أو قبلها ، ونشأ في حجر والده ، وأدرك من حياته بضع سنوات ، وله سيرة زكية عطرة ، وترجمته حافلة بالأخذ عن الأكابر ، وأدرك تنصيب حفيد أخيه الحبيب حسن بن أحمد بن علي بعد وفاة والده سنة (١٤١٤هـ) كما تقدم ذكره ، توفِّي فجر الأربعاء (٢٨) رجب الحرام من سنة (١٤١٩هـ) عن عمر ناهز المئة من السنين ممتعاً بكامل حواسه وقواه ، رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه .

(٣) **النَّحيزة** : الطَّبيعة .

(٤) **الصيعر** : من بادية حضرموت ، ومرجعهم إلى كندة ، وهم كما في « الإكليل » للهمداني (٢/ ٤١) : من بني الصيعر بن الأشموس بن مالك بن حريم بن مالك الصدفي .

وهم قسمان كبيران : آل علي بالليث ، وآل محمد بالليث ، ومساكنهم في شمال غرب حضرموت ، ويحد أرضهم من الشمال : الربع الخالي ، ومن الجنوب : الكرب ونهد وحضرموت ، ومن الشرق : العوامر من المشقاص ، ومن الغرب : بلاد دَهْم ويام وعبيدة . وتسمى هـٰذه المنطقة : حجر الصيعر ، أو : ريدة الصيعر ، وبعض منهم يسكن في أسفل دوعن ، وهم آل محفوظ في الهجرين وخريخر ، وآل قصيّر ، وآل مداعس ، وآل بن مساعد .

(٥) أجود ما قيل في نسب المناهيل : أنهم من بني ظنة هاجروا إلى حضرموت إبان هجرة قبائل نهد إليها ،=

وفي « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » [١/٢٨٨] : أَنَّ ٱلقائِمَ بمنصبِ جدِّهِ بعدَ أَبيهِ هوَ : ٱلسَّيِّدُ عيدروسُ بنُ سالمٍ ، ذو ٱلسِّيرةِ ٱلحميدةِ ، توفِّيَ بعيناتَ سَنَةَ (١١٧٠هـ) ، وعقبُهُ هناكَ[١] .

ومنهُم : ولدُهُ ٱلمنصبُ ٱلجليلُ سالمُ بنُ محسنٍ ، وخلَفَهُ ولدُهُ ٱلمنوَّرُ ٱلبارُّ عبدُ ٱلقادرِ ، توفِّيَ وخَلَفَهُ ولدُهُ صالحٌ[٢] .

ومنهُمُ : ٱلفاضلُ ٱلعالمُ ٱلواعظُ ٱلسَّيِّدُ حسنُ بنُ إِسماعيلَ[٣] ، تخرَّجَ برباطِ تريم على ٱلفاضلِ ٱلعلاَّمةِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ ٱلشَّاطريِّ ، ثمَّ عادَ إِلىٰ عيناتَ وٱبتنىٰ بها رباطاً[٤] ، هوَ مقيمٌ بهِ علىٰ نشرِ ٱلعِلْمِ ، وقدِ ٱنتفع بهِ خلقٌ كثيرٌ مِنْ أَهلِ تلكَ ٱلنَّواحي .

= وقيل : إنهم من قضاعة وينسبون هم والمهرة إلى جد واحد . وقيل : إنهم من آل المنهال من بلحارث بن كعب ، « الإكليل » للهمداني (١/ ٢٤٠) .

ويميل بعض الباحثين إلى أنهم من بلحارث بن كعب كما ذكر الهمداني ، وأنهم إنما هاجروا من مساكنهم حوالي نجران إلى شرقي حضرموت خلال هجرة نهد ، وسكنوا مع بني ظنه فنسبوا فيهم .

وأول ما ورد ذكرهم في التاريخ سنة (٩٧٨هـ) عندما سعى محمد كعشم المنهالي في صلح بين السلطان عبد الله بن بدر بوطويرق وقبيلة المهرة . ثم ظهروا كقوة عسكرية تحيط بعينات ، وسكنوا بعد ذلك الجزء الشمالي الشرقي من وادي المسيله ، ويتوغلون شمالاً في الجزء الشرقي لصحراء الربع الخالي ، وبيوتهم كثيرة ، ومنهم من سكن الشحر من السواحل الحضرمية . تنظر أخبارهم في : « الأدوار » (٢/ ٣٥٤) ، « البكري » (٢/ ١٠٦) ، « جواهر » (٢/ ٢٠٣) ، « بابطين » ، أو « المقحفي » . وسيأتي للمؤلف كلام عن المناهيل فيما يأتي .

(١) سلالة السيد عيدروس بن سالم بن سالم بن الشيخ عمر بن الحامد بن الشيخ أبي بكر . . منتشرة في تاربه وسيئون وسيحوت وعمد ورخيه وجاوة .

(٢) هؤلاء السادة المناصب الأفاضل تسلسلت فيهم منصبة مقام الشيخ الحامد ، ولازال الحبيب صالح بن عبد القادر قائماً بالمقام إلى اليوم حفظه الله تعالىٰ .

(٣) هو الحبيب الحسن بن إسماعيل بن علي بن عبد القادر بن أحمد بن عيدروس بن سالم . . إلخ . مولده بعينات سنة (١٣٠٥هـ) ، قدم تريم صغيراً وهو في السادسة من عمره ، وأقام في الرباط طالباً للعلم حتى سنة (١٣٢٤هـ) ، توفي بعينات في (٨) شوال سنة (١٣٦٧هـ) . وللشيخ محمد باحنّان : « الشرف الأصيل في مناقب ابن إسماعيل » ، مذكور في قائمة مؤلفاته .

(٤) كان بناؤه للرباط في سنة (١٣٤٠هـ) ، ونجز خلال عامين تقريباً ، ثم زاد فيه وعمره وقوى بناءه سنة (١٣٤٥هـ) بعد أن دهمه سيل كبير أَثَّر في بنائه الأول .

وفي عينات جماعةٌ مِنْ آلِ باوزيرٍ ؛ منهُمْ : ٱلعلاَّمةُ ٱلشَّيخُ عَبْدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ أَحمدَ باوزيرٍ[1] .

وجماعةٌ مِنْ آلِ بافضلٍ[2] ؛ منهُمْ : ٱلعلاَّمةُ ٱلشَّيخُ رضوانُ بنُ أَحمدَ بافضلٍ[3] ، مِنْ أَعيانِ أَهلِ ٱلعِلْمِ وٱلصَّلاحِ ، وحسبكَ أَنَّ سيِّدي عبدَ ٱللهِ بنَ حسينٍ بلفقيه علىٰ تحرِّيهِ يشهدُ لَهُ بذلكَ ، توفِّيَ سَنَةَ (١٢٦٥هـ) .

وأَوَّلُ مَنْ نَقَلَ منهُم مِنْ تريمَ إِلىٰ عينات : ٱلشَّيخ مُحَمَّدُ بنُ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ أَحمدَ بارضوان ، ٱلمتوفَّىٰ سَنَةَ (١١٨٨هـ)[4] .

وفي عينات جماعةٌ مِنْ آلِ بايعقوب[5] ، أَظنُّهم مِنْ أَعقابِ قاضي تريم في عصرِ ٱلسَّقَّافِ ٱلشَّيخِ بوبكرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أَحمدَ بايعقوبَ ، وناسٌ مِن آلِ باحنانَ وآلِ باعبده وغيرُهم .

حبوظة

هوَ موضعُ قريةٍ قديمةٍ ، ولا أَعرفُ مكانَهُ بٱلتَّعيينِ ، لهُ ذِكْرٌ كثيرٌ في ٱلتَّواريخِ ؛ منهُ ما جاءَ في (ص ١٩٠ ج ٢) مِنَ « ٱلمشرع » ، ومنهُ ما جاءَ في حوادثِ سنةِ (٨٦٠) مِن « تاريخِ شنبلٍ » : أَنَّها وقعت خصومةٌ بينَ صاحبِ مَريمه وصاحبِ حبوظةَ .

إِلاَّ أَنَّ هـٰذا قد يُرادُ منهُ قارةُ ٱلحبوظيِّ ٱلمتاخمةُ لمريمه في ٱلشَّمالِ ؛ لأَنَّهما متقاربتانِ ، ولـٰكن يغبِّرُ عليهِ أَنَّهُ لا يُطلقُ علىٰ قارةِ ٱلحبوظيِّ لفظُ حبوظةَ فقط ؛ ثمَّ

---

(١) كان معاصراً لأبناء الشيخ أبي بكر وأحفاده ؛ ومنهم : الشيخ محمد بن عبد الرحمن البيتي باوزير ، له مكاتبات من الشيخ أبي بكر بن سالم ، وكلاهما مذكوران في كتب المناقب .

(٢) ويعرفون بآل بارْضوان بافضل .

(٣) مولده بعينات في رمضان سنة (١٢١١هـ) ، وبها وفاته ليلة الثلاثاء (٢٤) رمضان سنة (١٢٦٥هـ) . تنظر ترجمته الحافلة في « صلة الأهل » (٢٧٣ـ٢٨٤) .

(٤) ترجمته في « صلة الأهل » (٢٥٧ـ٢٥٨) ، وترجم لوالده قبله وذكر أنه من الآخذين عن الإمام الحداد .

(٥) وهم آل بايعقوب ، وليسوا من آل يعقوب شراحيل سكان شبام . . فليعلم .

عَرَفْتُ أَنَّ حبوظةَ ٱسمٌ لوادٍ علىٰ يسارِ ٱلذَّاهبِ إلىٰ عِينات ، وفي غربيِّهِ : قوز آل مرساف .

ولم يَبْقَ بحبوظة مِن آثارِ ٱلقريةِ ٱلقديمةِ إلاَّ مسجدٌ يُنْسَبُ إلى ٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ ٱلحسينِ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ ، لا تزالُ نظارتُهُ لآلِ عمرَ بنِ حسينٍ إلى ٱليومِ .

النُّقْرَة

في شمالِ عِينَات ٱشتدَّ جرفُ ٱلسُّيولِ في أُخدودِها ٱلمعروفِ مِن حوالَي سنةِ (١٣٠٦هـ) ، وكلَّما جاءَ سيلٌ وجرفَ شيئاً . . غاض ماءُ ٱلنَّهرِ ٱلَّذي يجري تحتَ ٱلأَرضِ ، ويظهرُ منهُ ماءُ ٱلآبارِ في وادي حضرموتَ مِن أَعلاها ؛ لأَنَّهُ متَّصلٌ بماءِ ٱلنُّقرةِ ، وعندئذٍ يغورُ ماءُ ٱلآبارِ ، حتَّىٰ لقد زعمَ بعضُ أَهلِ ٱلأَزْكانِ[1] مِن شبامٍ أَنَّهُ يعرفُ جرفَ ٱلسُّيولِ هناكَ بما يغورُ مِن مياهِ ٱلآبارِ بسحيل شِبَامٍ .

وهَلَكَ بذلكَ نخلٌ كثيرٌ لآلِ عينات ، وزادَ ٱهتمامُ ٱلنَّاسِ لذلكَ ، ونهضوا عدَّةَ مرَّاتٍ لحسمِ شرِّهِ ببنائِهِ بٱلحصى ٱلمُحْكَمِ ، ولٰكنَّهم تارةً تُقَصِّرُ بهمُ ٱلنَّفقة ، وأُخرىٰ يُصلحونَهُ صَلاَحاً غيرَ مُتْقَنٍ فيكتسحُهُ أَوَّلُ سيلٍ يمرُّ بهِ .

وفي ٱلأَخيرِ ٱهتمَّتِ ٱلحكومةُ ٱلإنكليزيَّةُ بإِصلاحِهِ لسببين ؛ أَحَدُهُما : حسمُ شَرِّهِ ، وٱلثَّاني : لإِيجادِ أَعمالٍ للعاطلينَ ـ مِنَ ٱلأَكَرَةِ وغيرِهم ـ مِنَ ٱلمالِ ٱلَّذي خَصَّصتْهُ للإسعافِ بحضرموتَ ، ولٰكنَّهم ٱجتوَوا ذلِكَ ٱلمكانَ في بدءِ ٱلأَمرِ وٱسْتَوخموهُ ، وهَلَكَ مِنهم بشرٌ كثيرٌ لعدمِ ملائمةِ ٱلأَهويةِ لهم هناكَ ؛ بسببِ كثرةِ ٱلمستنقعاتِ وٱلمياه .

غيرَ أَنَّ ٱلجوعَ ٱضطرَّهم إلى ٱلصَّبرِ على ٱلأَعمالِ هناكَ ؛ لأَنَّ شرَّهُ مُحَقَّقٌ ، وشرَّ ذاكَ مشكوكٌ فيهِ ، وقد تمَّ بناؤُهُ علىٰ أَقوى ما يكونُ فيما يتعالمُ بهِ ٱلنَّاسُ ، ويُقالُ : إِنَّ

---

(١) أي : الحصافة والذكاء .

ٱلحكومةَ أنفقت عليهِ أكثرَ مِن ثلاثِ مئة ألفِ رُبِيَّةٍ هنديَّةٍ[1] ، وهوَ مبلغٌ هائلٌ جدّاً ، فلا يتمعنىٰ أن تجدَ ٱلسُّيولُ طريقاً إلى ٱجترافِهِ إن توفَّرَ ولو بعضُ أسبابِ ٱلأَمانةِ في هٰذا ٱلإنفاقِ ٱلعظيمِ لبنائِهِ .

قَسَم

هوَ في شرقيِّ ٱلعِجزِ ، وهوَ أرضٌ واسعةٌ ٱشتراها سيِّدُنا عليُّ بنُ علويِّ بنِ محمَّدِ بنِ علويِّ بنِ عبيدِ ٱللهِ بنِ أحمدَ بنِ عيسىٰ بعشرينَ ألفَ دينارٍ ، وسمَّاها : قَسَم بٱسم أرضٍ كانت لأَهلِهِ بٱلبصرةَ ، وغرَسَها نخيلاً ، وبنىٰ بها داراً ينزلُها أيّامَ ٱلرُّطَبِ ، ثُمَّ بَنَىٰ جماعةٌ بيوتاً عندَ دارِهِ حتَّىٰ صارت قريةً ، ولهٰذا سُمِّيَ : خالعَ قَسَم ، توفِّي بتريمَ سنةَ (٥٢٧هـ) .

وفي ٱلحكايةِ (١٨١) مِنَ « ٱلجوهرِ » ما يُفهَمُ منهُ أنَّها لا تُقامُ جُمعَةٌ بِقَسَم في حدودِ سنةِ (٧٨٦هـ) ، وذلكَ أنَّهُ قالَ فيها : (قالَ بعضُ ٱلثِّقاتِ : طَلَعْتُ معَ ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ باعلويِّ بعدما كُفَّ بصرُهُ مِن قَسَمَ إلىٰ جامعِ ٱلعِجزِ ليصلِّيَ فيهِ ٱلجمعةَ) اهـ

وما كانَ علىٰ ضعفِهِ وذهابِ بصرِهِ ليذهبَ مِن أجلِ صلاةِ ٱلجمعةِ لو كانت تُقامُ في بلدِهِ .

وكانَ ٱلشيخُ محمَّدٌ هٰذا كثيرَ ٱلعبادةِ ، شديدَ ٱلمجاهدةِ ، أقامَ في آخرِ عمرِهِ بمدينةِ قَسَمَ وٱستوطنَها ، وبها توفِّيَ سنةَ (٧٨٧هـ)[2] ، ودُفنَ بمقبرتِها ٱلمُسمَّاةِ بٱلمصفِّ ، وهوَ ٱلمُلقَّبُ جملَ ٱللَّيلِ[3] .

ومِن ذُرِّيَّتهِ : علويُّ بنُ أحمدَ قَسَم بنِ علويِّ ٱلشيبة ٱبنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عليِّ بنِ

---

(١) في نسخة : (ست مئة) .

(٢) كما في ترجمته في « المشرع » (١/٣٣٣ـ٣٣٤) .

(٣) ويعرف بجمل الليل الأول ؛ تمييزاً له عن تلميذه جمل الليل الثاني محمد بن حسن المعلم . . السابق ذكره في روغه .

عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدٍ جملِ ٱللَّيلِ[1] ، كانَ لهُ عَقِبٌ بِقَسَمَ ٱنقرضوا ، ولم يبقَ إِلاَّ شيخُ بنُ عبدِ ٱللهِ بمليبار .

وفي « ٱلأَصلِ » ما يُعْرَف منهُ أَنَّ أَمرَ قَسَمَ كانَ لمنصبِ عِينَات .

وآخرُ مناصبِها وِلاَيةً علىٰ قَسَمَ : ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ سالمِ بنِ أَحمدَ بنِ عليِّ بنِ أَحمدَ بنِ عليِّ بنِ سالمِ بنِ أَحمدَ بنِ ٱلحسينِ ، ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (١٢٣٦هـ) ، فغَلَبهُ عليها ٱلمقدَّمُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱلشَّيخِ بنِ يمانيِّ بنِ سعيدِ بنِ ٱلعبدِ بنِ أَحمدَ ، وهٰذا ٱلنَّسبُ مقطوعٌ بهِ بينَهم .

ثمَّ إِنَّهم يقولونَ : إِنَّ أَحمدَ ـ هٰذا ـ ٱبنُ عبدِ ٱللهِ بنُ يمانيِّ بنِ عمرَ بنِ مسعودِ بن يمانيِّ بنِ سلطانِ بنِ دويسِ بنِ راصعِ بنِ مسعودِ بنِ يمانيِّ بنِ لبيدِ ٱلظَّنِّيِّ .

وربَّما سقطَ شَيءٌ مِن هٰذا ٱلنَّسبِ ؛ فإِنَّهُ ليسَ مِنَ ٱلمقطوعِ ٱتِّصالُ سلسلتِهِ .

ثمَّ صارت إِلىٰ ولدِهِ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ ، وٱتَّسعَ نفوذُهُ مِن ضواحي قَسَمَ ٱلجنوبيَّةِ إِلىٰ ماوراءِ شِعْبِ نبيِّ ٱللهِ هُودٍ عليه السلام . وكانت لهُ ولأَبيهِ شهامةُ مُلْكٍ وأُبَّهةُ سلطانٍ .

لَهُــمْ أَوْجُــهٌ بِيْــضٌ حِسَــانٌ وَأَذْرُعٌ طِــوَالٌ وَمِــنْ سِيمَــا ٱلْمُلُــوكِ نِجَــارُ

وما سمعتُ والدي يذكرُ أَحداً بٱلشَّهامةِ وجمالِ ٱلشَّارةِ سِوَاهُ ؛ لانقطاعِهِ بٱلعلمْ وٱلعبادةِ عن مجاري ٱلأَخبارِ وعَمَّا ٱلنَّاسُ عليهِ ، ولٰكنَّهُ ٱستجهرَهُ لمَّا رآهُ يتخلَّعُ تَخلُّعَ ٱلأَسدِ في جنازةِ ٱلحبيبِ محمَّدِ بنِ إِبراهيمَ سنةَ (١٣٠٧هـ) ، ووراءَهُ زهاءُ ٱلأَربعِ مئةٍ مِنْ أَبطالِ آلِ تميم .

---

(١) لعل في العبارة خللاً ؛ إذ جمل الليل الأول لم يُعْقِب سوى قليلٍ انقرض ، قال في « شمس الظهيرة » (١/٣٣٦) : (ولمحمد ابن : هو عبد الله ، ولعبد الله ابن هو : أحمد ، انقرضوا)اهـ

وأما أحمد قَسَم بن علوي الشيبة . . فهو ينسب إلى عبد الله بن علي بن عبد الله باعلوي ؛ فهو ابن عم محمد جمل الليل الأول ؛ وكلاهما حفيد الشيخ عبد الله باعلوي ، وليس كما ذكر المؤلف فليتنبه ، والله أعلم .

وأما علوي بن أحمد قسم بن علوي الشيبة ـ الذي ذكر هنا ـ . . فقد توفي بقسم سنة (٩١٨هـ) .

وأما جدهم علوي الشيبة . . فوفاته بتريم سنة (٨٦٢هـ) .

ثمَّ خَلَفَهُ ولدُهُ عليُّ بنُ أَحمدَ ، وكانَ شهماً كريماً شجاعاً متين ٱلدِّينِ ، ولهُ غُلَوٌّ في ٱلعلويِّينَ حتَّىٰ لقد سَمَّىٰ ولدَهُ : (عَبْدَ علويٍّ) يعني بهِ شيخَنا ٱلجليلَ علويَّ بنَ عبدِ ٱللهِ ٱلهندوان ٱلسَّابقَ ذِكْرُهُ في روغه .

ولمَّا عَجَزَ عن نفقاتِ حاشيتِهِ وعبيدِهِ ـ وهم كُثُرٌ ـ . تفرَّقوا في ٱلبلادِ ، وهاجرَ كثيرٌ منهم إلى ٱلسَّواحلِ ٱلأفريقيَّةِ ، وأَوَّلُ ذلكَ كانَ بإثرِ ٱلمجاعةِ ٱلَّتي ٱشتدَّت بأسفلِ حضرموت سنةَ (١٣١٥هـ) ، وعندئذٍ ٱحتاجَ إلىٰ مساعدةِ ٱلقعيطيِّ ، وما زالتِ ٱلمفاوضاتُ جاريةً حتَّى ٱنعقدَ بينَهمُ ٱلحِلْفُ ٱلمؤكَّدُ بتاريخِ ذي ٱلحجَّةِ سنةَ (١٣٣٧هـ) .

وفي نفس هٰذا ٱلتَّاريخِ كُتبت بينَهم وثيقةٌ حاصلُها : أَنَّ ٱلمقدَّمَ عليَّ بنَ أَحمدَ بنِ يمانيٍّ[1] ـ عنْ نفسِهِ وعن أَولادِهِ وإخوانِهِ ـ وَهَبَ بلادَهُ ٱلَّتي لهُ ٱلولايةُ عليها ـ وهيَ قَسَمُ وٱلخُونُ وٱلسَّومُ وعِصِمُ وبرهوتُ وفُغمةُ وسَنَا ونواحيها ومتعلقاتُها ـ للمكرّمِ ٱلسُّلطانِ غالبِ بنِ عوضِ بنِ عمرَ ٱلقعيطيِّ ، فتلقَّاها بٱلقَبولِ ، وشَلَّ[2] وٱعترفَ ٱلسُّلطانُ غالبُ بنُ عوضٍ بأَنَّ ٱلأَميرَ ـ مِن طَرَفِهِ ـ عليُّ بنُ أَحمدَ وأَولادُهُ ما تناسلوا .

هٰذا حاصلُ تلكَ ٱلوثيقةِ وعليها إمضاءُ ٱلسُّلطانِ غالبٍ وٱلمُقدَّمِ ، وشهادةُ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ وعبدِ ٱلكريمِ بنِ شملانَ وجماعةٍ مِن يافعَ .

وفي (٢٣) ٱلقعدةِ سنةَ (١٣٥٥هـ) كَتَبَ ٱلسُّلطانُ صالحُ بنُ غالبٍ ما نصُّه :

وبعدُ : فقد أَيَّدَ عظمةُ ٱلسُّلطانِ صالحُ بنُ غالبٍ ٱلقعيطيُّ عبدَ علويٍّ بنَ عليِّ بنِ أَحمدَ بنِ يمانيٍّ مُقدَّماً علىٰ كافَّةِ آلِ تميمَ محلَّ والدِهِ ٱلمرحومِ عليِّ بنِ أَحمدَ بنِ يمانيٍّ ، ولهُ على ٱلدَّولةِ ٱلقعيطيَّةِ ما لوالدِهِ ، وعليهِ ما علىٰ والدِهِ ، وبٱللهِ ٱلتَّوفيقُ . وعليه إمضاؤُهُ بخطِّهِ .

ثمَّ إنَّ ٱلمقدَّمَ لم يحصل علىٰ شيءٍ يستحقُّ ٱلذِّكْرَ مِنَ ٱلمساعدةِ ٱلمرجوَّةِ مِنَ ٱلحكومةِ ٱلقعيطيَّةِ سوى ٱلمواعيدِ ـ ٱلمعروفِ شأنُها ـ مِنَ ٱلسَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدٍ في

---

(١) توفي علي بن أحمد هٰذا سنة (١٣٥٥هـ) ، كما يؤخذ من نص خطاب السلطان صالح الآتي ، المتضمن توليته خلفاً لوالده .

(٢) شلّ : تحمل ، وقد تكررت في عدد من نصوص المعاهدات في هٰذا الكتاب .

أَيَّامِهِ ، بل كثيراً ما كانت ٱلحكومةُ ٱلقعيطيَّةُ بعدَهُ ضدَّ آلِ تميم كما يُعْرَفُ بعضُهُ ممَّا سبقَ .

وقد أَضرَّ ٱلمُقَدَّمُ عليُّ بنُ أَحمدَ بٱلآخرةِ ، وثقلَ سمعُهُ ، ولم يمنعْهُ ذلكَ أَن حَجَّ في سنةِ (١٣٥٤هـ) ، وتوفِّيَ مرجعَهُ مِنَ ٱلحجِّ ، وكانَ شهماً شجاعاً متواضعاً لأَهلِ ٱلعلمِ وٱلدِّينِ ، منصفاً للضُّعفاءِ وٱلمساكين ، وخلَفَهُ ولدُهُ عبدُ علويٍّ ، ولهم معَ ٱلمناهيلِ أَحوالٌ طويلةٌ مستوفاةٌ في « **ٱلأَصلِ** » ، ويأتي بعضُهُ في ٱلعرِّ إن شاءَ ٱللهُ .

ومِن أَخبارِهم : أَنَّهُ حصلَ بعدَ وفاةِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ نزاعٌ على ٱلإمارةِ بَيْنَ ولدِهِ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ وبينَ عوضِ بن صالحِ بنِ عوضِ بنِ صالحِ بنِ عبودِ بنِ عبدِ ٱلشَّيخِ ، وعبدُ ٱلشَّيخِ هٰذا هوَ ٱلجدُّ ٱلَّذي يجتمعونَ فيهِ ، بٱختلافِهِمُ ٱفترقَ ملأُ آلِ تميمَ ، فكانَ آلُ عبدِ ٱلشَّيخِ وآلُ مرسافٍ وآلُ سعيدٍ وآلُ عثمانَ في جانبِ عوضِ بن صالحٍ ، وآلُ سُلْمَةَ وآلُ شيبانَ وآلُ شملانَ وآلُ قصيرٍ وٱلقرامصةُ وآلُ محدٍ في جانبِ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ .

وفي تلكَ ٱلأَثناءِ كانَ تجهيزُ آلِ كثيرٍ علىٰ آلِ تميمَ بعدَ أَن عقدوا حِلفاً معَ عوضِ بنِ صالحٍ ولمَّا ٱستولى ٱلسُّلطانُ ٱلكثيريُّ على ٱلمسنَّدةِ وعلىٰ أَمكنةِ ٱلفلاهمةِ وضربَ ديارَ آلِ شيبانَ بٱلمدافعِ وتحمَّلَ نساءَهُم وأَولادَهم إلىٰ سنا ، وكانَ عوضُ بنُ صالحٍ قد ماتَ وخلفَهُ ٱبنُهُ صالحٌ فأَضارَتْهُ ٱلرَّحِمُ ، وسيَّرَ قصيدةً لأَحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ وهوَ مرابطٌ بٱلسويريِّ يقولُ فيها :

أحمَـدْ زميـم ٱلجيـش ثَـاقِـلْ حِمْلُـهْ	مَـعَ ٱلقَبِيلَـهْ قَـدْ بَلَـغْ مَجهـودهْ
ذَري ٱلأسـد جَمـع ٱلمـلا تشهـدْ لـهْ	بِـأَرضْ جـاوهْ لا جِهـاتِ هْنـودهْ
عَصَـبْ بَنِـي مَـالـكْ وربْعُـهْ جُملـهْ	فـي عـار بِـنْ فَلْهُـومْ لِـي مقصـودهْ
خَـذَوا كُـواتِ ٱلخُشـم هِـنْ والسَّهلـهْ	مَعَـا عـدانـهْ بـاعـلال أعبـودهْ
خَلَّـو دِيَـرْهُـمْ قـايَسُـوهـا سَهْلـهْ	تِـرْجَـعْ محلتهـم بِـرُوس نْجـودهْ
ذا قـولْ مِـنْ صـالـحْ مُـرادهْ فَصْلـه	بِـنْ سـالـمِ ٱللِّـي طـالبـكْ مـردودهْ

فلمَّا وصلتْهُ . . سُرَّ بها ، وأَمَرَ ٱلمعلِّمَ سعيدَ عبدَ ٱلحقِّ أَن يتولَّى ٱلجوابَ ، فأَنشأَ قصيدةً جاءَ فيها قولُهُ :

قـلْ لـهْ وزِدْ قـل لـه وعـادكْ قـلْ لـهْ	سـاعـة أتتنـا أبيـاتـك المـرصـودهْ
الفجـرْ وصلـتْ والقبـايـلْ جُملـهْ	فـي حضـرتـي أربـع مئـهْ معـدودهْ
فـرحـو بحِجَّـهْ مـن كـلامـكْ جَـزلـهْ	حتـى أصبحـت كـل القُبُـلْ مقيـودهْ
يـا ريـتْ لـك عينـاً تشـوفْ ٱلسَّهلـهْ	أيضـاً وشَـرْقيهـا دِيَـرْ مهـدودهْ
ونحـنْ خُـوَّهْ بيننـا متّصلـهْ	والمـرءْ مـا يتـركـهْ لَحـمِ زَنُـودهْ

فلم يكن من صالحِ بن سالمٍ إلاَّ أَن ردَّ حلفَ ٱلكثيريِّ وٱنضمَّ إِلىٰ أَحمدَ بن عبدِ ٱللهِ ، فٱستفحلَ أَمرُهم ثمَّ قامَ الصُّلحُ بينَهم وبينَ ٱلكثيريِّ ، ودفعَ غرامةَ ٱلحربِ ، وحُدِّدتِ ٱلحدودُ كما فُصِّلَ بـ« **ٱلأَصلِ** » .

ومن أَخبارِهم : أَنَّ عوضَ بنَ صالحِ بنِ عوضٍ كانَ في أَيَّامِ حربِ حصنِ ٱلعزِّ في جانبِ آلِ تميم ، وعليَّ بنَ أَحمدَ بنِ يمانيٍّ في جانبِ آلِ كثيرٍ وآلِ تريمَ .وفي عوادِ ٱلحجَّةِ سنةَ (١٣٤٣هـ) جاءَ في أَتباعِه لمعَايَدَة ٱلمقدَّمِ عليٍّ بنِ أَحمدَ بن يمانيٍّ ، فبينا هوَ يلقي ٱلزَّواملَ علىٰ أَصحابِهِ . . أَصابَتْهُ رصاصةٌ بينَ عينيهِ ، قيلَ : إِنَّها مِن حيدرِ بنِ حُمَيدٍ ٱسعيِّد أَحدِ دللِ آلِ تريمَ ، وكَانَ وليُّ دمِهِ ـ وهوَ ٱلشَّهمُ ٱلعربيُّ ٱلقحُّ عبدُ ٱلهادي بنُ سالمِ بنِ صالحِ بنِ سالمِ بنِ صالحِ بنِ عبودِ بنِ عبدِ ٱلشَّيخِ ـ غائباً ، فحضرَ وخاطبوا ٱلمناهيلَ وآلَ مرسافٍ أَن يعطيَهم بعضَ حصونِهِ ليحصروا عليَّ بنَ أَحمدَ ، فلم يرضَ ؛ لأَنَّهُ كانَ حليماً ، وأَرادَ عليُّ بنُ أَحمدَ أَن يبرِّىءَ نفسَهُ فلم يقدِر ، وقالَ لهُ عبدُ ٱلهادي : إِنْ سلِمتُم مِنَ ٱلقتلِ . . فلن تسلموا مِنَ ٱلتَّدبيرِ ، ولمَّا رأَىٰ أَنَّ ٱلزَّمانَ قد حربَ أَبناءَ عمِّهِ . . لم يُرِدْ أَن يكونَ هوَ وٱلزَّمانُ عليهم وبينَهم رحمةٌ ماسَّةٌ ، وصهرٌ أَكيدٌ ، فتوجَّهَ إِلى ٱلسَّواحلِ ٱلأفريقيَّةِ في سنةِ (١٣٤٨هـ) ومعَهُ ٱبنُهُ أَحمدُ ، ولا يزالانِ بها إِلى ٱليومِ علىٰ وجهٍ نقيٍّ ، وسيرٍ مرضيٍّ .

ومِن أَخبارِهم : أَنَّ آلَ يمانيٍّ ذهبوا في سنةِ (١٣٤٩هـ) لجذِّ ما لهم مِنَ ٱلخريفِ

بٱلسَّومِ ، فٱغتنمَ ٱلفرصة مبخوتٌ ٱلمنهاليُّ ، ٱلملقَّبُ بـ : (البس) وقصدَ دارَ سالمِ بنِ أَحمدَ بصفةِ ٱلضَّيفِ ، فلمَّا قابلَهُ . . أَطلقَ عليهِ ٱلرَّصاصَ ، وهربَ ، ولـٰكنَّهُ ـ أَعني البس ـ غزا إِلى ٱلقبلةِ في هـٰذا ٱلعامِ ، فلاقىٰ حتفَهُ ، وكانَ قتلُهُ لسالمِ بنِ أَحمدَ غدراً في أوفىٰ صلحٍ بينَهم .

وفي قَسَمَ جماعةٌ مِن ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ ، ٱلمتوفَّىٰ بتريمَ سنةَ (٨٥٧هـ) ، وهم آلُ بن إبراهيم[١] .

قالَ في « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » : ومنهم : ٱلسَّيِّدُ ٱلفاضِلُ ٱلكريمُ أَبو بكرِ بنُ إِبراهيمَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ[٢] ، لهُ أَيادٍ عظيمةٌ ، وأَوقافٌ جسيمةٌ ، وقَفَ علىٰ مسجدِ ٱلسَّقَّافِ مالاً بنحوِ خمسةِ آلافِ ريالٍ ، توفِّي بقسمَ سنةَ (١٢٢٧هـ) .

ومنهمُ ٱلآن بتريمَ : حفيدُهُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ[٣] بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ ، شريفٌ فاضلٌ متواضعٌ .

ومنهمُ : ٱلسَّيِّدُ علويُّ بنُ إبراهيمَ بنِ شيخِ بنِ أَبي بكرِ بنِ إِبراهيمَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ابنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافُ ، رجلٌ صالحٌ لهُ ثروةٌ ، توفِّيَ سنةَ (١٣٥٢هـ) عن (٨١) ، ولهُ جملةُ أَولادٍ ؛ أَكبرُهُم محمَّدٌ ، لهُ عدَّةُ أَولادٍ ؛ أَكبرُهم عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ . ومنهم عمُّهم عمرُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدِ بنِ شيخٍ ، توفِّيَ بعدَ أَن رجعَ مِنَ ٱلحَجِّ في سنةِ (١٣٥٨هـ) ، وكانَ عالماً فاضلاً .

وفي قسمَ ناسٌ مِن آلِ فَدعقٍ[٤] .

---

(١) السادة آل بن إبراهيم سكان قسم من ذرية السيد إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عقيل السُّعُودي ـ نسبة إلى أخواله آل بَالسُّعود ـ آبن عبد الله بن عبد الله آبن الشيخ عبد الرحمن السقاف .

(٢) السيد أبو بكر هـٰذا ، أمه من آل باقشير سكان العِجز ، توفي بقسم بموضع يقال له : الغديِّر بالتصغير .

(٣) هو السيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر ـ السابق الذكر ـ ، توفي بقسم عشية الإثنين (٨) جمادى الأولى (١٣١٨هـ) ، وليس له عقب ، وورثه زوجتاه ، وعَصَبَتُهُ السيد علوي إبراهيم بن شيخ بن أبي بكر ، المتوفى بقسم في ذي القعدة (١٣٥٢هـ) .

(٤) فدعق لقب لثلاث أسر من العلويين :

١ـ آل أحمد بن محمد بن علوي بن محمد مولى الدويلة ، ذكرناهم في الخون قريباً . =

قال في « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » [١/٣٦٧] : منهم محمَّدُ بنُ عمرَ ، سيِّدٌ جليلٌ ، توفِّيَ سنةَ (١٢٧٨هـ)[١] .

ومن آلِ فدعقٍ ٱلفاضلُ ٱلنَّبيهُ ٱلسَّيِّدُ حسنُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ محمَّدِ بنِ حسينِ بنِ فدعقٍ ، نزيلُ مكَّةَ ٱلمشرَّفةِ ٱلآنَ ، ولهُ بها عدَّةُ أولادٍ ؛ منهم أربعةٌ علىٰ أسماءِ ٱلخلفاءِ ٱلرَّاشدينَ ، أنجبُهم عليٌّ .

وفي قسمَ أيضاً ناسٌ مِن ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ ٱمباركِ مدهر بنِ عبدِ ٱللهِ وطبِ بنِ محمَّدٍ ٱلمنفِّرِ ، ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (٨٨٤هـ)[٢] .

قال في « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » [١/٣٦٤] : (منهمُ ٱلشَّريفُ ٱلنَّجيبُ ٱلسَّاعي للعلماءِ ، وٱلمحبُّ لهمُ : عبدُ ٱللهِ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ[٣] ، ٱلمتوفَّىٰ بمكَّةَ سنةَ « ١٢٩٥هـ » .

ومنهم : عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدٍ[٤] ، شريفٌ نبيهٌ مُكرِمٌ للضِّيفانِ .

= ٢ـ آل عمر فدعق بن عبد الله وطب بن محمد المنفّر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله باعلوي ، توفي سنة (٩١٠هـ) بقسم ، وكان مؤذن الجامع بها ، أعقب (٦) بنين ، أعقب منهم (٣) ، وهم : علي وعلوي وإبراهيم .

٣ـ آل فدعق بن محمد بن عبد الله بن مبارك بن عبد الله وَطَبْ . توفي بالبيضاء من أرض اليمن . عقبه من ولديه : حسين المتوفى بقسم ، وعقيل المتوفى بالهند سنة (١٠٨٩هـ) .

(١) هو السيد محمد بن عمر بن حسين بن علوي بن حسين بن فدعق . . إلخ .

(٢) لعل تداخلاً حصل هنا بين السيد أمبارك بن عبد الله وطب بن محمد المنفر المتوفى سنة (٩١٦هـ) كما تقدم وهو جد السادة آل فدعق ، وبين السيد أمبارك مدهر بن عبد الله بن أحمد مدهر بن محمد بن عبد الله وطب ، ويلقب ببركات ، توفي بظفار ، وتوفي والده عبد الله سنة (٩٩٦هـ) ، وهـٰذا الأخير هو الذي ينسب إليه آل مدهر سكان قسم .

ومن نسل السيد مبارك مدهر هـٰذا : آل مطهّر مدهر ، ذرية السيد مطهر ـ المتوفى بقسم سنة (١١١٧هـ) ـ أبن عبد الله بن علوي بن مبارك .

(٣) هو السيد المتواضع عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عقيل مطهّر مدهر ، وفاته بمكة سنة (١٢٩٠هـ) كما في « الشجرة » ، أو (١٢٩٥هـ) كما في « الشمس » .

(٤) *السيد الشريف الصَّالح عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عقيل . . .* إلخ ، ابن عم المتقدم قبله . مولده بقسم سنة (١٢٦٤هـ) ، وبها وفاته سنة (١٣٣٨هـ) ، أخذ عن جمع من أعيان عصره . واستجاز منه الحبيب سالم بن حفيظ ، وترجم له في « منحة الإلـٰه »

ومنهم : عمُّهُ ٱلمعمَّرُ كثيرُ ٱلصِّيامِ وٱلذِّكرِ : عمرُ بنُ عبدِ ٱللهِ) اهـ

وعبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدٍ هـٰذا هوَ ٱبنُ عقيلٍ مطهرٍ مدهرٍ ، راويةٌ لأخبارِ ٱلأوائلِ ، توفِّيَ بقسمَ سنةَ (١٣٣٨هـ) ، وكانَ بها جماعةٌ مِن ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ أحمدَ بنِ أبي بكرٍ ٱلورعِ[1] ، يُقالُ لهم : آلُ برهانِ ٱلدِّينِ ، ٱنقرضوا[2] .

ومن أَهلِ قسمَ : ٱلسَّيِّدُ ٱلإمامُ محمَّدُ بنُ سالمٍ ٱلجفريُّ ، أحدُ مشايخِ ٱلحبيبِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ بنِ يحيىٰ .

وفي قسمَ جماعةٌ يقالُ : إنَّهم مِن بقايا آلِ ٱلنَّجَّارِ أُمراءِ سيئونَ في ٱلسَّابقِ ؛ منهمُ ٱلآنَ : رجلٌ يُقالُ لهُ : سعيدُ بنُ عبدِ ٱلشَّيخِ .

العِجز[3]

قالَ ياقوتٌ [٨٧/٤] : (قالَ ٱلكلبيُّ : هيَ قريةٌ بحضرموتَ مذكورةٌ في قولِ ٱلحارثِ بنِ جَحْدَمٍ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

تَنَاوَلَهُ مِنْ آلِ قَيْسٍ سَمَيْذَعٌ ... وَرِيُّ ٱلزِّنَادِ سَيِّدٌ وَٱبْنُ سَيِّدِ
فَمَا غَضِبَتْ فِيهِ تَمِيمٌ وَلاَ حَمَتْ ... وَلاَ ٱنْتَطَحَتْ شَاتَانِ فِي قَتْلِ مَزْيَدِ
ثَوَىٰ زَمَناً بِٱلْعُجْزِ وَهْوَ عِقَابُهُ ... وَقَيْنٌ لأَقْيَانٍ وَعَبْدٌ لأَعْبُدِ)

وكانَ مَزْيَدٌ وعبدُ ٱللهِ ٱبنا حرزِ بنِ جابرٍ ٱلعنبريِّ ٱدَّعَيَا قتلَ محمَّدِ بنِ ٱلأشعثِ ٱلكنديِّ ، فأقادهما بهِ مصعبٌ ، فتولَّىٰ قتلَهما ٱلحارثُ بنُ جحدمٍ بيدِ ٱلقاسمِ بنِ

---

(١) السادة آل الورع ، هم ذرية السيد أبي بكر الملقب بالوَرِع لشدة خوفه وورعه ، المتوفى بتريم سنة (٧٠٦هـ) ، وفي بعض التواريخ ومنها « تاريخ شنبل » أنه توفي سنة (٧٥٠هـ) ، وهو ابن أحمد ٱبن الفقيه المقدم ، المتوفى شهيداً غريباً بقسم سنة (٧٠٦هـ) كما تقدم .
وإلى أحمد ٱبن الفقيه تنسب أسر كثيرة ؛ منها : آل البار ، وآل المقدي ، وآل بلفقيه ، وآل خُنَيمان ، وجماعات أخرى .

(٢) السادة آل برهان الدين ، من نسل السيد أحمد الحوت بن عبد الله الورع .

(٣) وقد اندثرت هـٰذه القرية في هـٰذه الأيام ، ويسمّى موضعها : العِجز ينطقها العامة بكسر العين والجيم .

محمَّدِ بنِ ٱلأَشعثِ ، وبمناسبةِ ذلكَ أَنشأَ ٱلحارثُ تلكَ ٱلأَبياتِ ، و(ٱلعجزُ) فيها مضبوطٌ بضمِّ ٱلعينِ وسكونِ ٱلجيمِ ، وإلاَّ . . لتغيَّرَ ٱلوزنُ .

وفي كتابِ « مفتاحِ ٱلسَّعادةِ وٱلخيرِ في مناقبِ ٱلسَّادةِ آلِ باقشير » : وبلدةُ ٱلعجزِ هيَ بفتحِ ٱلعينِ وضمِّ ٱلجيمِ ، مأخوذةٌ مِن عَجُزِ ٱلإِنسانِ ـ وهو أَسفلُهُ ـ كما أَفصحَ بذلكَ ٱلإِمامُ عبدُ ٱلملكِ بنُ هشامٍ في كتابهِ « ٱلتِّيجان في ذكرِ ملوكِ ٱليمنِ في سالفِ ٱلأَزمان » ، وصرَّحَ بوصولِ ذي ٱلقرنينِ إِليها حينَ جاءَ لزيارةِ نبيِّ ٱللهِ هودٍ عليه السلام ، وهيَ آخرُ قريةٍ معمورةٍ يقصدُها ٱلقاصدُ .

وبعدَ أَن ذكرَ ٱبنُ ٱلحائكِ قرىً أَخطأَ في ترتيبِها مِن حيثُ ٱلمواقعُ ، وبعضُها لا أَثرَ لهُ ، أو تبدَّلَ ٱسمُهُ . . قال : (ثمَّ ٱلعَجُزُ ، قريةٌ عظيمةٌ مقسومةٌ نصفينِ بينَ حميرَ ، نصفٌ للأَشباءِ ، ونصفٌ لبني فهد) اهـ[1]

وقد سبقَ هـٰذا معَ ما يتعلَّقُ بٱلأَشباءِ في وادي ٱبن علي .

وفي « مفتاح ٱلسَّعادةِ وٱلخيرِ » [خ٧٦] ـ أيضاً لمؤلف « القلائد » ـ (ومن أَهلِ ٱلعِجزِ : ٱلسَّادةُ بنو مشيرحٍ ، وهم مِنَ ٱلصَّدفِ مِن كِنْدَةَ ، رُؤُوسِ ٱلعربِ كما ذكرَهُ ٱلإِمامُ أَبو شكيلٍ في « تاريخه »[2] ، لهم بٱلعِجزِ مسجدٌ معروفٌ بٱلبركةِ ، تُغَلَّظُ فيهِ ٱلأَيْمَانُ ، فتُعَجَّلُ عقوبةُ ٱلكاذبِ .

وقدِ ٱنقرضَتْ قبيلتُهُم ـ فيما نعلم ـ إِلاَّ أَن يكونَ ٱنقلبَ ٱسمُ ٱلقبيلةِ بٱسمٍ آخرَ .

وقبورُهم ـ كما يُذْكَرُ عن جدِّي سهلٍ ـ في جانبِ ٱلتُّربةِ ٱلقبليِّ ٱلنَّجديِّ) اهـ

وٱلكتابُ ٱلمذكورُ كما يُعْرَفُ مِنِ ٱسمِهِ في مناقبِ آلِ باقشيرٍ ، فعليهِ ٱلإِحالةُ في ذِكْرِ رجالِهِم ومناقبِهِم[3] ، ويُطربُني منها قولُهُ : إِنَّ ٱلسَّيِّدَ عبدَ ٱللهِ بنَ ٱلفقيهِ محمَّدِ بنِ حَكَمٍ

---

(١) صفة جزيرة العرب (ص١٦٩) .

(٢) هو القاضي مسعود ، و« تاريخه » هـٰذا . . قديم مفقود ، وهو الذي حفّز العلامة الطيب بامخرمة بتأليف كتابه « النسبة إلى المواضع والبلدان » . وانظر : ذلك في مقدِّمته .

(٣) وقد ترجم لجمهرة منهم ، وجميعهم ينسبون إلى الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأخير ٱبن عبد الله بن إبراهيم القديم باقشير ، كان معاصراً للفقيه المقدم ، وله أخذ عن ابن الجعد اليمني ، ومنه تناسل أفراد آل باقشير .

باقشيرٍ ـ جدَّ صاحبِ « ٱلقلائِدِ » ـ إذا قامَ إلى ٱلصَّلاةِ . . جَرَت دموعُهُ علىٰ خدَّيهِ ، ولا تزالُ تقاطرُ علىٰ لحيتِهِ ، حتَّىٰ وَقَعَ لها أَثرٌ ظاهرٌ ، وقد أَسلفنا هٰذا في عيديدَ .

قالَ سيِّدي ٱلأُستاذُ ٱلأَبَرُّ : وأَخَذَ ٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ حَكَمٍ عنِ ٱلشَّيخِ عمرَ بن عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ ٱللهِ بامُهْرةَ ٱلحضرميِّ ، وهوَ أَخَذَ عن جماعةٍ مِنَ ٱلفقهاءِ وأَجازوهُ ؛ منهمُ ٱلشَّيخُ ٱلإمامُ محمَّدُ بنُ علويٍّ بنِ أَحمدَ ؛ وٱلشَّيخُ محمَّدُ بنُ أَبي بكرٍ عبَّادٍ ؛ وٱلفقيهُ عمرُ بنُ محمَّدٍ حضارمُ ؛ وٱلشَّيخُ أَحمدُ بنُ أَبي بكرِ بنُ محمَّدِ بنِ حفصٍ ٱلعمديُّ ، وغيرُهم .

وفي « مفتاح ٱلسَّعادَةِ وٱلخير » ذِكْرٌ كثيرٌ للعِجزِ يخرجُ بنا ٱستقصاؤُهُ إلى ٱلإطالةِ .

وقد مَرَّ في عيديدَ ذِكْرُ ٱلشَّيخِ حَكَمِ بنِ عليِّ بنِ محمَّدٍ باقشيرٍ ، ولو لم يكن لهم إلاَّ مؤَلِّفُ « ٱلقلائدِ » وهوَ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ محمَّدٍ باحكمٍ باقشيرٍ[١] . . لكفاهم فخراً وذِكراً .

فَتَـىً كَـانَ يَعْلُـو مَفْـرِقَ ٱلْحَـقِّ قِيلُـهُ ... إِذَا ٱلْعُلَمَـاءُ ٱلصِّيـدُ عَضَّـلَ قِيلُهَـا[٢]

ومِن ذلكَ إنكارُهُ علىٰ بدرٍ بوطويرقٍ ما عملَهُ بٱلإفرنج بعدَ ٱلعهدِ أَو شبهِهِ حَسَبَما في « **ٱلأَصلِ** » ، معَ أَنَّ ٱلمنافقينَ يُثنونَ علىٰ مَن ٱستعانَ بٱلكفَّارِ على ٱلمسلمينَ وسلَّم لهم أَساراهم .

وفي ترجمةِ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ بن ٱلفقيهِ ٱلمُقَدَّم مِنَ « ٱلمشرع » [٢/١٩٠] أَنَّهُ كانَ يتردَّدُ كثيراً إلىٰ قريةِ ٱلعِجزِ ٱلشَّهيرةِ ويُقيمُ بها ؛ لكثرةِ مَن فيها مِنَ ٱلصَّالحينَ ، فٱتَّفَقَ أَن فاضَ

---

(١) الشيخ عبد الله بن محمد بن حكم الملقب (سهل) ٱبن عبد الله بن الفقيه محمد بن الفقيه حكم بن الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأخير ٱبن عبد الله بن إبراهيم باقشير . مولده كما ذكر عن نفسه في « المفتاح » (سنة ٨٩٠هـ) ، ونشأ يتيماً في حجر والدته ، التي دفعت به إلى الفقيه عبد الله بلحاج والسيد الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ علي السكران ، وبهما كان تخرجه . . وطلب العلم ورحل إلى البلدان ، وأخذ بشبام عن الشيخ محمد بن عبد الرحمن باصهي أحد شيوخ والده وغيرهم . ومن الآخذين عنه : الشيخ أبو بكر بن سالم ، والسيد شيخ بن عبد الله العيدروس صاحب « العقد » والد مؤلف « النور السافر » وغيرهما .

(٢) البيت من الطويل .

بها سيلٌ عظيمٌ ، فغرقَ صاحبُ ٱلتَّرجمةِ ، وحصلت لهُ ٱلشَّهادةُ وذلكَ سنةَ (٧٠٦هـ) ، ودُفنَ بٱلقربِ مِن مسجدِ ٱلعارفِ بٱللهِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ إبراهيمَ باقشيرٍ[١] .

الواسطة[٢]

هيَ قاعدةُ مُلكِ ٱلصَّبراتِ ، بشهادةِ ما في « ٱلأَصلِ » عن « مفتاحِ ٱلسَّعادةِ وٱلخيرِ » [خ٦٣] : (أَنَّ عيسى بنَ محمَّدٍ ٱلصَّبْريَّ واليَ ٱلواسطةِ تَعَمَّرَ كثيراً ، وماتَ وَلاَ وَلَد له[٣] ، فَوليَ بعدَهُ عقيلُ بنُ عيسى بنِ مجلبٍ ٱلصَّبريُّ[٤] ، وهوَ ٱبنُ أُختهِ ، وليسَ مِن فخذِهِ ، وكانَ لهـٰذا تعلُّقٌ بٱلصَّالحينَ مثلُ خالِهِ ، فصالَ آلُ أَحمدَ على ٱلواسطةِ فأَرادَ ٱلخروجَ لقتالِهم ـ ولم يكن عندَهُ سوى سبعةِ فرسانٍ معَ عسكرٍ قليلٍ لا يُكافىءُ آلَ أَحمدَ ـ فمنَعَهُ أَصحابُهُ مِنَ ٱلخروجِ ، فلم يمتنع ، وهجمَ علىٰ آلِ أَحمدَ ، وتبعَهُ أَصحابُهُ فقتلوا كثيراً مِن آلِ أَحمد ، وما زالوا يقتلونَهم ويطردونَهم إِلىٰ فُرْطِ باشحاره) اهـ

وللواسطةِ ذِكْرٌ كثيرٌ في حوادثِ آلِ يمانيٍّ وٱلصَّبراتِ وغيرِهم بـ« ٱلأَصلِ » .

وفي ٱلواسطةِ كثيرٌ مِن علماءِ آلِ باشعيبٍ وفضلائهم ؛ منهمُ ٱلشَّيخُ حسنُ بنُ إبراهيمَ باشعيبٍ ؛ أَحدُ تلاميذِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ بنِ سالمٍ[٥] .

---

(١) وقد كان السادة بني علوي كثيري التردد على العجز ، وكثير منهم تزوجوا عند آل باقشير ، كالسيد محمد بن حسن المعلم جمل الليل ، والشيخ عمر المحضار الكبير ، وغيرهما .

(٢) والنسبة إليها : الواسطي ، وهي تدخل في مشتبه النسبة ؛ لوجود جمهرة من أعلام المسلمين يعرفون بهـٰذه النسبة ، إلا أنهم ينسبون إلىٰ واسط في العراق التي اختطها الحجّاج ، أما هـٰذه الواسطة . . فأعلامها معروفون ومحصورون .

(٣) مات عيسى الصبري في آخر يوم من صفر سنة (٩١٥هـ) .

(٤) عقيل بن عيسى هـٰذا هو الثاني ؛ إذ هناك رجل آخر بنفس الاسم ، توفي سنة (٨٥٢هـ) ، كما في « شنبل » (١٨١) .

(٥) لعل هنا سبق قلمٍ ، فتلميذ الشيخ أبي بكر بن سالم إنما هو حسن بن أحمد بن إبراهيم ، وليس حسن بن إبراهيم ، وإنما وقع في ترجمة السيد عبد الرحمن المعلم المنفر في « المشرع » (٢/ ٢٨٦) أنه أخذ عن حسن بن إبراهيم ، وهو خطأ مطبعي ، والصواب ما ذكر ، وقد ترجم له الشلي في « الجواهر والدرر » .

وفي ترجمةِ ٱلسَّيِّدِ عقيلِ بنِ عمرانَ مِنَ « ٱلمشرعِ » [٢/٤٤٢] : أَنَّهُ أَخذَ عنِ ٱلشَّيخِ حسنٍ باشعيبٍ بٱلواسطة .

وفي ترجمةِ ٱلسَّيِّدِ أَبي بكرِ بنِ سعيدِ ٱلجفريِّ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (٨٨٠هـ) أَنَّهُ أَخَذَ عنِ ٱلعارفِ بٱللهِ حسنِ بنِ أَحمدَ باشعيبٍ ، وفي مقدِّمة « ديوانِ ٱلحدَّاد » عنِ ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ زينٍ ٱلحبشيِّ : أَنَّ سببَ إِنشاءِ ٱلقصيدةِ ٱلمُسْتهلَّةِ بقولِهِ [من المنسرح] :

إِنْ كَـانَ هَـٰذَا ٱلَّـذِي أُكَـابِـدُهُ   يَبْقَـىٰ عَلَـيَّ فَلَسْـتُ أَصْطَبِـرُ

ما أَخبرني سيِّدي عبدُ ٱللهِ ٱلحدَّادُ قالَ : وَقَعت لي مسائلُ أَظنُّها ثلاثاً ؛ فلم يُجِبْني عنها أَحدٌ بتريمَ ، فرأيتُ ٱلشَّيخَ حسنَ باشعيبٍ تلميذَ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ في مسجدِ آلِ أَبي علويٍّ فأَجابني عنِ ٱثنتَينِ ، وقالَ لي في ٱلثَّالثةِ : إِنَّما يجيبُكَ عنها ٱلسَّقَّافُ ، فوقَعَ في خاطري : أَنَّهُ ٱلسَّيِّدُ محمَّدٌ صاحبُ مكَّةَ ، فكتبتُ إِليهِ ، فأَجابَني .

وفي ترجمةِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ إِبراهيمَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلمعلِّمِ بنِ إِبراهيمَ بنِ عمرَ بنِ عبدِ ٱللهِ وَطَبٍ ٱلمتوفَّىٰ بقسمَ في سنة (١٠٥٧هـ) : أَنَّهُ أَخَذَ عنِ ٱلإِمامِ ٱلعارفِ ٱلأَديبِ حسنِ بنِ إِبراهيمَ باشُعيبٍ .

ومنهمُ : ٱلعلاَّمةُ ٱلفقيهُ ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ قدريٌّ باشعيبٍ ، له ذِكْرٌ كثيرٌ في « مجموعِ ٱلأَجدادِ » . ومِن فوائدِهِ : أَنَّهُ نقلَ في رسالةٍ لهُ عنِ ٱلتَّاجِ ٱلسُّبكيِّ أَنَّها تسمعُ دعوىٰ مَن يدَّعي علىٰ تاركِ ٱلصَّلاةِ ولو لغيرِ ٱلحسبةِ ، فيقولُ : أَدَّعي علىٰ هـٰذا أَنَّهُ تركَ صلاةَ كذا ، وقد أَضرَّني ، فأَنا مطالبٌ بحقِّي . اهـ

وفي ترجمةِ ٱلشَّيخِ عليِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحيمِ بن قاضي : أَنَّهُ مِن أَقرانِ ٱلقُطبِ ٱلحدَّاد .

ومنهمُ : ٱلشَّيخُ عبدُ ٱللهِ بنُ أَبي بكرٍ قدريٌّ[١] صاحبُ « ٱلباكورةِ » ، أَحدُ مشايخِ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ بنِ عليٍّ ٱلجنيدِ[٢] .

---

(١) الشيخ عبد الله بن أبي بكر القدري باشعيب ، مولده بالواسطة ، ووفاته بها سنة (١١١٨هـ) كما في « تاريخ الشعراء » ، وقد طلب العلم بمكة ، وأخذ بها عن جماعة ، واشتهر باعتنائه بعلم التجويد والقراءات ، وله مصنفات ؛ منها : « باكورة الوليد في علم التجويد » ، وهي منظومة شرحها السيد أحمد الجنيد .

(٢) لعل المؤلف رحمه الله اشتبه عليه الأمر ؛ فوفاة باشعيب سنة (١١١٨هـ) ، ومولد السيد الجنيد سنة =

ومنهمُ : ٱلشَّيخُ حسنُ بنُ أَحمدَ باشعيبٍ صاحبُ كتابِ « عافية ٱلباطن » .

وعلى ٱلإجمال : فإنَّهم بيتُ عِلْمٍ وصلاحٍ ، ولهم مؤلَّفاتٌ ، ولبعضِهم تراجمُ في « خلاصةِ ٱلأثرِ » للمحبِّي .

وعنِ ٱلشَّيخِ رضوانَ بنِ أحمدَ بارضوانَ بافضلٍ قال : (رأَيتُ علىٰ هامشِ تصنيفٍ ـ في مناقبِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ للشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَبي بكرٍ باشعيبٍ[1] ، أظنُّهُ بخطِّ ٱلمؤلِّفِ ـ خبراً عنِ ٱلفقيهِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ بنِ عبدِ ٱللهِ باشعيبٍ ، وهوَ مِن آلِ شعيبٍ أَهلِ شِبَامٍ ؛ منهمُ ٱلشَّيخُ أَبو بكرِ بنُ شعيبٍ صاحبُ ٱلتَّصنيفِ ٱلمشهورِ في ٱلفقهِ ، ولهُ شرحٌ على « ٱلمنهاجِ » ، له إقامةٌ بمكَّةَ ولعلَّهُ توفِّي بٱلحرمينِ .

وليسَ لهمُ ٱتِّصالٌ بآلِ شُعيبِ ٱلمَسْفَلةِ[2] ؛ فجدُّ أَهلِ ٱلمسفلةِ : ٱلشَّيخُ ٱلعارفُ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ سعيدٍ شُعيبُ ٱلخطيبُ ، ٱنتقلَ مِن تريمَ ، وهم مشهورونَ بـ« آلِ شُعَيْبِ ٱلخطيبِ » ، ومنهم بنو عقيلٍ بٱلرَّيدةِ ، كانَ منهم ناسٌ أَهلُ حالٍ منتظمٍ ، ومنهمُ ٱلآنَ ناسٌ بزيِّ ٱلباديةِ .

ومِن آلِ شُعيبِ ٱلمَسْفَلةِ : بنو عيسىٰ أَو بنو عليٍّ بظفارٍ ، كانوا بيتَ عِلْمٍ وصلاحٍ ، ومنهم قُضاةُ ٱلشَّريعةِ ، لهم ذِكْرٌ في مناقبِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَبي بكرٍ ٱلعيدروسِ ، ولأَحدِهم مدائحُ في ٱلشَّيخِ ، وبلغَني أَنَّهُ بقيَ منهم قليلٌ ، ومنهم طائفةٌ بِعُمَان يحملونَ ٱلسِّلاحَ معَ ٱلسُّلطانِ ٱبنِ سيفٍ عَالِمينَ بٱلنِّسبةِ لآلِ أَبي شُعيبٍ .

وسَمعتُ بعضَ شيوخِ آلِ شُعيبٍ بشبامٍ يذكرُ أَنَّ أَصلَ آلِ شعيبٍ بشبام مِن أَرضِ ٱلجوفِ ، وٱللهُ أَعلمُ) اهـ

وقد مَرَّ بعضُهُ في شبامٍ .

= (١١٩٥هـ) ، فمن المحال قطعاً إدراكه له ، وإنما قام بشرح « الباكورة » وسمّى شرحه : « سلم المريد » .

(١) هو عبد الله بن أبي بكر قدري السابق ذكره ، واسم كتابه هـٰذا : « الزهر الباسم في ربى الجنات في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات » .

(٢) المسفلة : من قرى ريدة الصيعر .

وفي ترجمةِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ باعلويٍّ مِنَ « ٱلمشرع » [٢/٤٠٦ـ٤٠٧] : (أَنَّهُ أعطَىٰ تلميذَهُ ٱلشَّيخَ محمَّدَ بنَ عليٍّ باشعيبٍ ٱلأنصاريَّ أرضاً واسعةً ، فغرسَها ٱلشَّيخُ محمَّدٌ نخلاً ، وتُسمَّى بباشُعيب . ووَقَفَ علىٰ ضيفِ بلدِهِ ٱلمُسَمَّاةِ بٱلواسطة نخلاً وأرضاً) اهـ

وهوَ أَوَّلُ مَنِ ٱنتقلَ مِن تريمَ إلى ٱلواسطة .

ومِن آلِ باشعيبٍ ٱلشَّيخُ عُبيدُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ هادي بنِ صالحِ باشُعيبٍ ، طلبَ ٱلعلمَ بتريمَ علىٰ أخينا ٱلعلاَّمةِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بن عمرَ ٱلشَّاطريِّ ، وهوَ ٱلآنَ بمكَّةَ . ولهُ تَعلَّقٌ برجلِ ٱلبرِّ وٱلإحسانِ : ٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ عوضٍ بلأَذنِ ٱلسَّابقِ ذكرُهُ في رباطِ باعشن .

ومن أهلِ ٱلواسطة : ٱلشَّيخُ مهنًا بنُ عوضِ بنِ عليٍّ بنِ أحمدَ بامزروعٍ بامَطرَفٍ ٱلقنزليُّ[1] ، كانَ مِنَ ٱلعلماء ثمَّ تعلَّقَ بكتبِ ٱلصُّوفيَّةِ ، فأَخَذَهُ ٱلجَذْبُ ، ترجمَ لهُ في « خلاصة ٱلأثرِ » [٤/٤٤٢] ، وأوردَ لهُ أشعاراً ؛ منها قولُهُ [مِن مجزوءِ ٱلكامل] :

لِلْقَادِسِيَّةِ فِتْيَةٌ لاَ يَشْهَدُونَ ٱلْعَارَ عَارَا
لاَ مُسْلِمِينَ وَلاَ يَهُو دَ وَلاَ مَجُوسَ وَلاَ نَصَارَىٰ

كذا رُوِي ، وقد رأيتُ ٱلبيتَينِ[2] في مادَّةِ (بغداد) من « معجمِ ياقوتٍ » مَعْزُوَّين لغيرِهِ ، وٱلأوَّلُ شبيهٌ بما أنشدَهُ ٱلأصمعيُّ عن أبي عمرٍو لبعضِ بني أَسَدٍ [مِن مجزوءِ ٱلكامل] :

إِنْ يَبْخَلُوا أَوْ يَجْبُنُوا أَوْ يَغْدِرُوا لاَ يَحْفَلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِيـ ـنَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

قال المحبِّي : (وكانت وِلادةُ مهنًا ـ كما أخبرني بعضُ تلاميذِهِ ـ في شوالِ سنةَ (١٠٠٤هـ)،

---

(١) مهنا بن عوض بامزروع ، من المزاريع المتفرعين من قبيلة القنازلة الكندية ، وإلى القنازلة ينسب آل بامطرف وآل بامزروع ، لكن خف استعمال الناس لهذا الاسم منذ زمن بعيد . ولد بالواسطة بحضرموت سنة (١٠٠٤هـ) ، وكانت وفاته بالمدينة المنورة سنة (١٠٦٩هـ) ، ودفن قريباً من قبة سيدنا إبراهيم ٱبن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ترجم له في « خبايا الزوايا » ، وعاصره الشلّي وترجم له في « الجواهر والدرر » .

(٢) ولكن بتغيير بسيط .

وتوفِّيَ بـ(ٱلمدينةِ) سنةَ (١٠٦٩هـ) ، وأبوهُ عوضٌ مِن تلاميذِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ) .

وفي (ص ٩٤ ج ٢) مِن « عِقدِ شيخِنا » : نروي حزبَ ٱلشَّيخِ أَبي بكرٍ بأَسانيدَ إِلى ٱلشَّيخِ ٱلمُحَدِّثِ حسنِ بنِ عليٍّ ٱلعُجيميِّ ٱلمكِّيِّ بروايتِهِ لهُ عنِ ٱلشَّيخِ ٱلصُّوفيِّ مهنا بنِ عوضٍ بامزروعٍ عن والدِهِ عن ٱلشَّيخِ أَبي بكر بنِ سالمٍ .

وفي « مجموعِ ٱلجدِّ طهَ بنِ عمرَ » عن أَحمدَ مؤَذِّنٍ : (أَنَّ عليَّ باشعيبٍ نائبَ ٱلواسطةِ أَثبتَ هلالَ شعبانَ سنةَ « ١٠٧١هـ » ، وهوَ رجلٌ عاميٌّ محضٌ لا يعرفُ شيئاً مِنَ ٱلفقهِ ، وصادقهُ ٱلحبيبُ عليُّ بنُ ٱلحسينِ ٱبنِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ ، ثمَّ ٱنخسفَ ٱلقمرُ ليلةَ (١٦) علىٰ حسابِهِ ، فتحقَّقَ تهوُّرُهُ في ٱلإِثباتِ . ثمَّ ثبتَ رمضانُ عندَ ولد بَامَطرَفٍ في ٱلغَيْلِ بغوغاءَ ، وأَنفذَ ٱلثُّبوتَ إِلى ٱلشِّحرِ ليلةَ ٱلجمعةِ ، فلم يَرَهُ ليلةَ ٱلسَّبتِ إِلاَّ ٱلآحادُ ، فتبيَّنَ أَنَّ إِثباتَ بامَطرفٍ وٱلكتابةَ بِهِ تلاعبٌ بِٱلدِّينِ) اهـ

وقد مرَّتِ ٱلإِشارةُ إِلىٰ بعضِهِ في ٱلغيلِ .

وفي ٱلواسطة ناسٌ مِن آلِ دخنانَ ٱلتَّميميِّينَ ، وناسٌ من آلِ عثمان ٱلتَّميميِّينَ .

وفي شمالِ ٱلواسطةِ قريةٌ يُقالُ لها : **سويدف** ، فيها مشايخُ مِن آلِ بني صالحٍ باجابرٍ ، وناسٌ مِن آلِ عثمانَ وآلِ سعيدٍ ٱلتَّميميِّينَ ، وناسٌ مِن آلِ عبدِ ٱلباقي ٱلعَوَامِرِ .

ثم : **وادي ٱلواسطة** .

وهناكَ أَوديةٌ كثيرةٌ ؛ **كوادي حسينٍ** ، **ووادي هجره** ، **ووادي عولك** .

ومِن قَسَمَ إِلىٰ جهةِ ٱلشَّرقِ : **وادي ٱلخُوْنِ**[1] ، فيهِ نخلٌ جميلٌ .

ولهُ وادٍ يُسمَّىٰ : **وادي ضرغون** ، يذهب غرباً في ٱلجبل ٱلَّذي عن شمالِهِ ، وفيهِ ثلاثةُ مَعَايِينَ ، يُقالُ لأَحدِها : **معيانُ ٱلعليَا** ، وللثَّاني : **مِعْيَانُ ٱلعيينة** ، وللثَّالثِ : **مِعْيَانُ سُويْدف** .

---

(١) **وادي الخون** : يقع إلى الجنوب من نجد العوامر ، وهذا الوادي به تربة طيبة صالحة للزراعة ، ولكنه متروك غير معمور .

وفي شمالِ هـٰذا : **وادي الشُّكيل** . وفي غربيِّهِ : **وادي سويدف** .

وهـٰذهِ ٱلمعايينُ تَسْقِي نخيلَ ٱلخونِ ٱلَّتي يُضْرَبُ ٱلمَثَلُ بها في ٱلنَّفاسةِ ، ويفيضُ ٱلزَّائدُ مِن مائِها إِلى ٱلمخاضةِ ٱلَّتي في شرقيِّ قَسَمَ علىٰ طريقِ ٱلذَّاهبينَ إِلىٰ شِعْبِ هُودٍ عليه السلام .

وفي ٱلخونِ قريةٌ يُنْسَبُ إِليها ٱلسَّيِّدُ علويُّ ٱلخونِ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ عبدِ ٱللهِ باعلويٍّ ، ٱنقرضَ عَقِبهُ سنةَ (١٠٣٩هـ)[١] ، وٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ أَحمدَ ٱلخونِ .

ومِن وراءِ ٱلخونِ : **ٱلفرطُ** ، **وٱلكَودِه** ، **وباحفاره** ، **ووادي سبيه** ، **ووادي جب** .

ثم : **حصنُ ٱلعر** ، وهو حصنٌ بأَعلىٰ قارةٍ فاردةٍ ، باقيةٌ آثارهُ ٱلشَّاهدةُ بحكمةِ وقوَّةِ بانيهِ مِنَ ٱلحجارةِ ٱلمنحوتةِ ، حتىٰ لقد أَنكرَ بعضُ ٱلسُّوَّاحِ ٱلأَجانبُ أَن يكوْنَ مِن بناءِ ٱلحضارم ، وتوهَّمَ أَنَّهُ مِن بناءِ حكماءِ ٱليونانِ ومُهندسيهم ؛ لأَنَّهُ بصنيعِهم أَشبهُ ، وما دَرَىٰ أَنَّ عَاداً همُ ٱلَّذين يبنونَ بكلِّ ريعٍ آيةً يَعبثونَ ، ويتَّخذونَ مصانعَ لعلَّهم يخلُدون ، وأَنَّ ثموداً نِعْمَ ٱلَّذينَ ينحتونَ مِنَ ٱلجبالِ بيوتاً فرِهين ، وٱللهُ يقولُ : ﴿ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ﴾[٢] .

وتعدُّ منازلُهم وحضارتُهم أَقدمَ مِن حضارةِ ٱليونانيِّينَ بأُلوفِ ٱلسِّنينَ .

وقد مَرَّ في حصنِ ٱلغُرابِ ما ينبغي ٱلنَّظرُ إِليهِ عندَ هـٰذا ، ولا يبعدُ أَن يكوْنَ هـٰذا

---

(١) في المطبوع من « شمس الظهيرة » (١/ ٣٥١) : أنها سنة (١١٣٩هـ) .

(٢) قال صلاح البكري في « تاريخه » (١/ ٤٨ـ٤٩) : (. . أطلال حصن العُر ، وهي عبارة عن بقايا من الحيطان الضخمة ، يرجع عهدها إلى ما قبل الإسلام ، قائمة علىٰ تل منعزل ، ممتدة إلىٰ مسافات بعيدة ، شديد الانحدار ، وهذا الحصن المتهدم كان فيما مضى قلعة تشرف علىٰ ذلك الإقليم .

وفي سفح التل توجد بئر مطمورة . ولا تزال آثار الطريق الذي يؤدّي إلى القمة متميزةً ، وما زالت بقايا الأبنية مبعثرة حول قمة التل على ارتفاع (٥٠) قدماً .

وهناك مَمرٌّ صغير في الصخر ، منحدر من الجهة الجنوبية الشرقية ، حيث توجد بضع درجات كانت المدخل الرئيسي للقلعة ، وعلى الأعمدة المتهدمة نقوش دقيقة تدل علىٰ مهارة صانعها ؛ فقد رسم صوراً للصيد ، بها فرسان يحاربون الأسود وجْهاً لوجه ، وصوراً أخرىٰ جميلة للوعل الذي يلعب دوراً مهماً في خرافات حضرموت ، ورسم أيضاً عناقيد العنب كزخارف جميلة للأعمدة) اهـ

ٱلحصنُ هوَ حصنَ جعفرِ بنِ قرطِ بنِ ٱلهميسعِ ـ المسمىٰ : علعال ـ ٱلَّذي لجأَتْ إليهِ بلقيسُ في خبرِها ٱلمشروحِ بـ« **ٱلأَصلِ** » .

وفي « صفةِ جزيرةِ العرب » [١٧٣ـ١٧٤] لابن ٱلحائِكِ ذكرُ العرِّ وثوبةَ في عِدَادِ سَرْوِ حِمْيَرَ وأَوديتِهِ بترتيبٍ مشوَّشٍ .

وفي « ٱلقاموسِ » : أَنَّ ٱلعرَّ ٱسمٌ لجبلِ عدن .

ولعلَّ ٱلعرَّ وثوبه ٱلمذكورينِ عندَ ٱبنِ ٱلحائِكِ على ٱسمِ ٱلعرِّ هـٰذا وثوبه ٱلَّتي تليهِ ؛ لأَنَّ هـٰذينِ إذا كانا عاديَّينِ . . فهما أَقدمُ مِن ذينِكَ بكثيرٍ .

وحواليَ هـٰذا ٱلحصنِ كانتِ ٱلواقعةُ ٱلهائلةُ للمناهيلِ علىٰ آلِ تميم ، حَسَبَما فُصِّلَتْ بـ« **ٱلأَصلِ** » .

ومن قَتْلىٰ آلِ تميم في ذلكَ ٱليومِ : منصورٌ وهادي وعليٌّ آلُ قحطانَ .

أَبَـوْا أَنْ يَفِـرُّوا وَٱلْقَنَـا فِـي نُحُـورِهِـمْ وَلَـمْ يَـرْتَقُـوا مِـنْ خَشْيَـةِ ٱلْمَـوْتِ سُلَّمَـا
وَلَـوْ أَنَّهُـمْ فَـرُّوا . . لَكَـانُـوا أَعِـزَّةً وَلَـٰكِنْ رَأَوْا صَبْراً عَلَى ٱلْمَوْتِ أَكْرَمَا

وقديماً كانَ يُقالُ : ضَحَّىٰ بنو أُميَّةَ بِٱلدِّينِ يومَ كربلاءَ ، وبِٱلشَّجاعةِ يومَ ٱلعقرِ . . وكذلكَ ضَحَّتِ ٱلمناهيلُ بِناسِ بني تميم يومَ ٱلعُرّ بعدَ أَن كانَ منهم ليوثُ غريفٍ ، وغيوثُ خريفٍ .

لَعَمْـرُكَ مَـا تَـدْرِي ٱلْقَـوَابِـلُ مِنْهُـمُ أَسَلَّـتْ رِجَـالاً أَمْ ظُبَـىٰ قُضُـبٍ بُتْـرِ[1]
هُمُ ٱسْتَفْرَغُوا مَا كَانَ فِي ٱلْبِيضِ وَٱلْقَنَا فَلَـمْ يَبْـقَ إِلاَّ ذُو ٱعْـوِجَـاجٍ وَذُو كَسْـرِ

وفي ٱلأَخيرِ ضَبَطتِ ٱلحكومةُ ٱلقعيطيَّةُ هـٰذا ٱلحصنَ ، وجعلت فيهِ عسكراً أَو شاباً ليسوا من صميمٍ يافعٍ ، ومعَ ذلكَ أَقرَّتْهُمُ ٱلمناهيلُ ولم تستنكِف ، حتَّىٰ سمعوا ما يؤلِمُهـم مِـن بعضِ نُوَّابِ ٱلقعيطيِّ ٱلَّذينَ طالما تأَلَّمنا مِن سياستِهِمُ ٱلعوجاءِ ـ كما سبقَ ـ في ٱلشِّحرِ ؛ لأَنَّهم لا يعرفونَ مقاديرَ ٱلرِّجالِ ، ولا يُنْزِلونَ ٱلنَّاسَ منازلَهم ، فلم

---

(١) البيتان من الطويل ، وهما للشريف الرضي في « ديوانه » (١/ ٥٠٤) .

يكن مِنَ ٱلمناهيلِ إلاَّ أن هجموا على ٱلحصنِ وجَرَّدوا ٱلعسكرَ مِنَ ٱلسِّلاحِ ، وطردوهم ، وكسروا ناموسَهم .

ولم يبالِ أَحدٌ منهم بٱلعارِ سوىٰ يافعيٍّ واحدٍ كانَ بينَهم ؛ فَإِنَّهُ لم يرضَ إلاَّ بٱلقتلِ ، وكان ذلكَ في سنةِ (١٣٦٦هـ) ، وأَشاعَ بإثرِها مَن في صدرِهِ ضبُّ ضغنٍ على ٱلحكومةِ ٱلقيعطيَّةِ : أَنَّ ٱلدَّولةَ ٱلبريطانيَّةَ فصَلتِ ٱلعُرْ وما نزَلَ عنها شرقاً عنِ ٱلمملكةِ ٱلقعيطيَّةِ ، وعَقَدت معَ ٱلمناهيل معاهدةً مستقلَّةً طمعاً فيما ظهرَ بتلكَ ٱلبقاعِ مِن آثارِ ٱلبترولِ . وما أظنُّ هـٰذا يصحُّ بحالٍ ، وإذا كان ٱلمتحدِّثُ سفيهاً . . يكونُ ٱلمستمعُ عاقلاً ؛ لأَنَّ ٱلحكومةَ ٱلإنكليزيَّةَ أَعقلُ مِن أَن تكونَ كٱلصَّائِمِ ٱلَّذي وقعَ على حشفةٍ فأفسدَ بها صومَهُ ، معَ أَنَّهُ لا يتعذَّرُ عليها شيءٌ مِن أَمرِ ٱلبترولِ معَ بقاءِ ٱلأَرضِ في حوزةِ ٱلقعيطيِّ ؛ إِنْ هـٰذا إلاَّ ٱختلاقٌ .

ثُوبه

هيَ مِنَ ٱلدِّيارِ ٱلقديمةِ . لَها ذِكرٌ عندَ ٱبنِ ٱلحائِكِ كما سَبَقَ في ٱلخُونِ ، وقالَ في موضعٍ آخَرَ بعدَ ٱلعِجزِ : (ثمَّ ينحدرُ ٱلمنحدرُ مِنها إِلىٰ ثوبه ، قريةٌ بسفلىٰ حَضْرَمَوْتَ بوادٍ ذي نخلٍ ، ويفيضُ وادي ثوبه إِلىٰ بلدِ مهرةَ ، وحيثُ قبرُ ٱلنَّبيِّ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ) اهـ[1]

وأَطلالُ هـٰذهِ ٱلقريةِ ظاهرةٌ إِلى ٱليوم ، وهيَ في شمالِ ٱلسَّومِ إِلى ٱلغربِ ، بينها وبينَهُ نحو نصفِ ساعةٍ ، يَنزلُها ٱلمناهيلُ ، ويضربونَ بها ٱلخيامَ ، وبها آثارٌ كثيرةٌ مطمورةٌ بٱلتُّرابِ .

وأَخبرني ٱلولدُ ٱلفاضلُ ٱلأَديبُ عبدُ ٱلقادرِ بنُ أَحمدَ بن عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافُ[2] :

---

(١) الصفة (١٦٩ـ١٧٠) .

(٢) وتعود معرفة الحبيب عبد القادر بهـٰذه الأماكن لسكناه بها مدة ؛ إذ كان مدرّساً في قسم في الفترة ما قبل سنة (١٣٩٠هـ) ، وكان معه فيها الأستاذ النحوي الأديب السيد حسين بن عيدروس عيديد وتصاحبا مدة ، قرأ فيها الأستاذ حسين شيئاً من كتب النحو على الحبيب عبد القادر كـ« شرح القطر » لابن هشام.

أَنَّ بعضَهُم خرجَ إليها في ٱلسِّنين ٱلأخيرةِ ، فوقعَ علىٰ ضَرِيبةٍ[1] مِنَ ٱلذَّهبِ لَم يكن لَها مثال . وفي هـٰذا ٱلمكانِ غِيرانٌ وكتاباتٌ حِمْيريَّةٌ ، وهـٰذهِ ٱلضَّريبةُ نموذجٌ ممَّا وراءَها مِنَ ٱلكنوزِ ٱلمدفونةِ .

ومِن وراءِ ثوبه إلى ٱلشَّرقِ : وادي سخورة .

ٱلسَّوم

لا يبعدُ أَنْ يكونَ هوَ ٱلمعنيُّ بقولِ ٱبنِ ٱلحائكِ ٱلسَّابق عن ثوبةَ : (بوادِ ذي نخلٍ) اهـ

إلاَّ أَنَّ وادي ثوبه غيرُ أَوديةِ ٱلسَّومِ ، يَسكنُ فيها جماعةٌ مِنْ آلِ باحُمَيدٍ ، وآلِ ٱلبُسْريِّ ، وآلِ سعيدانَ ، وآلِ بَرْكَيْز ، آلِ قفلةَ من آلِ نهيدٍ مِنْ آلِ تميم .

وفيها مسجدٌ لِلإمامِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ ، وفي « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » [١/٢٢٨] : (أَنَّ في ٱلسَّومِ جماعة مِنْ ذرِّيَّةِ إبراهيمَ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ ، يقالُ لَهُم : آل بن براهيمَ)[2] .

وفيها أَيضاً : (سهلُ بنُ أَحمدَ[3] بنِ مُحَمَّدٍ حذلقات[4] ـ ٱلمتوفَّىٰ بتريمَ سَنَةَ « ٨٢٧ هـ » ـ ٱبنِ علويِّ بنِ مُحَمَّدٍ مولى ٱلدُّويلةِ ، عقبُهُ : آلُ زحومٍ بِشتير[5] قربَ ٱلنَّبيِّ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ . وآلُ صالحٍ ، وآلُ فدعق[6] ؛ ومنهُم : آلُ بالبطقِ بٱلسَّومِ ،

---

(١) أي : نقود مضروبة .

(٢) وآل بن براهيم هؤلاء ذرية عبد الرحمن القارىء بن إبراهيم . . بنو عُمُومة سكان قسم الذين هم من ذرية أخيه عقيل بن إبراهيم كما سبق فيها .

(٣) يلقب السيد أحمد هـٰذا بصاحب بيحر ، توفي سنة (٨٧٣هـ) .

(٤) السيد محمد حذلقات هـٰذا مترجم في « المشرع » (١/ ٣٨١ـ٣٨٢) .

(٥) شتير : واد من أودية الحموم ، يصب قريباً من قبر نبي الله هود عليه السلام بأسفل حضرموت .

(٦) آل فدعق هؤلاء ذرية السيد فدعق بن محمد بن علي بن سهل ، وهم من بادية السادة ، غير آل فدعق سكان قسم آل عبد الله باعلوي ، ومن هؤلاء من سكن قسم ؛ ومنهم : السيد سالم بن زين بن محمد بن عبد الله فدعق ، المتوفى بقسم سنة (١٢٩٠هـ) .

وآلُ ٱبنِ سالمينِ بفُغْمه ، وآلُ ٱبنِ زينٍ بٱلسَّومِ ، وآلُ بيتِ مُحَمَّدٍ بٱلسَّوم وفغمه) اهـ[1]

وفي ٱلحكايةِ (٤٠٥) مِنَ « ٱلجوهرِ » : (رويَ أَنَّ ٱلشَّيخَ عبدَ ٱللهِ بنَ مُحمَّدِ بنِ عليِّ بنِ علويِّ ٱبنِ ٱلفقيهِ كانَ مقيماً بٱلسَّومِ ٱلأَحْرَمِ ، وٱبنُهُ مُحَمَّدٌ[2] إذ ذاكَ بظفارٍ ، فأَرجفوا بموتِ ولدِهِ ، فكذَّبَهُم) . توفِّيَ عبدُ ٱللهِ سَنَةَ (٨١٨هـ) .

وفي ٱلحكايةِ (٤٣٧) : (عنِ ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ باعلويِّ : أَنَّ والدَهُ كانَ ساكناً بأمه[3] في عريشٍ بٱلسَّومِ ، ففاضَ وادي عِزْده بسيلٍ عظيمٍ ، وهوَ ٱلسَّيلُ ٱلمشهورُ ٱلَّذِي أَهلكَ كثيراً مِنَ ٱلنَّاسِ ومِنَ ٱلبهائِمِ ، فلَم يضرَّهُم إلاَّ قليلاً بدفنِ أَثاثِهِم ، ثمَّ أَدركوهُ) .

وكانَ بٱلسَّومِ نخلٌ كثيرٌ مثمرٌ ، حتَّىٰ لقد كانَ ما يدخلُ على ٱلمقدَّمِ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ يمانيٍّ مِنْ مغلِّهِ وجبايتِهِ أَكثرَ مِنْ أَلفي بهَارٍ ، وكانَ أَكثرُ تمرِ حَضْرَمَوْتَ مِنْ ذلكَ ٱلجانبِ ، لـٰكنَّ ٱلسّيولَ ٱجتاحتْ ذلكَ ٱلنَّخلَ ولَم يَبْقَ إلاَّ ٱلقليلُ ، وشرُّ ذلكَ مِن أُخدودِ ٱلنُّقْرةِ .

وحوالي ٱلسَّومِ أَوديةٌ كثيرةٌ ؛ مِنها : **وادي سخورة** .

ثمَّ : **وادي عِزْدِهْ** ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ في حكايةِ « ٱلجوهرِ » ، وهوَ وادٍ تنهرُ إليهِ ٱلسُّيولُ مِنْ جبالٍ بعيدةٍ .

وبينَهُ وبينَ ٱلسَّومِ موضعٌ يقالُ لَهُ : **مُكَيْنُون** ، بهِ آثارٌ قديمةٌ[4] .

---

(١) الصفة (١/٣٢٨) .

(٢) ترجم له في « المشرع » (١/٣٦٦-٣٦٧) .

(٣) أم الشيخ عبد الله باعلوي هي الشريفة فاطمة بنت الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن علوي عم الفقيه المقدم ، لم يعقب والدها سواها .

(٤) تقع أطلال مكينون ، ويقال لها : مكنون ، على مقربة من السوم ، ولا زالت بقايا الأبنية القديمة قائمة ، ويتصل بهـٰذه الخرائب مكان متسع كان مقبرة لذلك الحي ، والقبور طويلة ، مما يدل على أن أصحابها كانوا عماليق ، وقد رصفت الأحجار على القبور بشكل دوائر . وبقُرْب وادي سَخُورة فوق الصخور على ارتفاع (٣٠٠) قدم تقوم قلعة ثوبَه (ثُوبى) ، ولا زالت حيطانها حافظة شكلها بالرغم من سقوطها وتراكمها بعضها على بعض . وتوجد حصون كثيرة واستحكامات متهدّمة في ثُوبَه والعُر ، وهـٰذا يدل على أن هـٰذا الإقليم كان منطقة حربية لحماية حدود المملكة . عن « تاريخ حضرموت السياسي » للبكري (١/٥٦-٥٧) .

ثمَّ : **شَطَبُ** ، **ومشَاطِرُ** ؛ كما في خريطةٍ قدَّمها ليَ ٱلضَّابطُ ٱلإنكليزيُ ٱلمكرَّمُ وطس ، فقلَّدني مَنّاً ، وٱستحقَّ مِنِّي عليها شكراً ، وأَوقعني في ٱلعجب إذ خفَّ في مساعدتي بهـٰذهِ ٱلخدمةِ عندما تثاقلَ ٱلعلويُّونَ .

ثمَّ : **عِصِم** ، وهوَ : منزلٌ ينزلُ بهِ زُوَّارُ نبيِّ ٱللهِ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ ، فيهِ آلُ سعدٍ مِنْ آلِ تميم .

وفي شمالهِ : **وادي عِصِم** . ثمَّ : **ٱلعِصَيَّه** لآلِ تميمٍ . **ووادي عنحي** .

فُغْمَهْ

يَسكنُها جماعةٌ مِنْ ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ عليٍّ مولى ٱلدُّويلةِ ، وآلُ بلْحِتيش مِنْ آلِ تميمٍ .

وفي « بستانِ ٱلعجائِبِ » : (أَنَّهَا كانت قريتينِ : إحداهُما لمولى ٱلدَّويلةِ وفيها لَهُ مسجدٌ ، وٱلأُخرىٰ لابنهِ ٱلسَّقَّافِ وفيها لَهُ مسجدٌ ، وكانَ يقالُ للأُولىٰ : ٱلدَّويلةُ) اهـ بمعناهُ .

وهوَ إمَّا ٱنتقالُ نظرٍ مِنْ يبحر إليها ، وإمَّا أَنْ تكونَ مِثلَها في ٱلانقسامِ بينَ ٱلسَّقَّافِ وأَبيهِ .

وفي جنوبِها : **وادي يَبْحُر** . وفي شمالِها : **وادي فُغْمه** .

ثمَّ : **يَبْحُر** ، وهيَ **ٱلدَّويلةُ** ٱلمنسوبةُ إِلىٰ مُحَمَّدِ بنِ عليٍّ ، وكانتْ موضعاً لِلُّصوصِ وقطَّاعِ ٱلطَّريقِ ، فٱحتمىٰ بهِ كما في ٱلحكايةِ (١٢٥) مِنَ « ٱلجوهرِ »[١] .

وٱلجديدةُ ، ٱلمنسوبةُ إِلى ٱبنهِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافِ[٢] .

---

(١) ويشبه هـٰذا ما قام به الحبيب علي بن حسن العطاس في الموضع الغيوار الذي سمّي بالمشهد .

(٢) وذلك بعد خراب القديمة الدويلة ، جاء في « الشجرة الكبرى » في ترجمة الشيخ محمد مولى الدويلة : (فانحدر وبنى المسجد القبلي الذي على الجُرْف ، وقد انهدم حَمّامه من السيل ، وأُصْلح . . ثم اختطّ بعده يبحر الشرقية ابنه السقاف وبنى بها مسجده المعروف ، وبنيت حوله بيوت ، وصارت قرية يقال=

وفي ٱلحكايةِ (١٢٧) مِنَ « ٱلجوهرِ » : (أَنَّ لآلِ محرم ـ وهُم بطنٌ مِنْ آلِ كثيرٍ ـ حصناً قريباً مِنْ يبحر) .

وفي ٱلحكايةِ (١٣٣) منهُ : (أَنَّ مولى ٱلدَّويلةِ سابقَ مُحَمَّدَ بنَ أَحمدَ ٱلنَّهديَّ . . فسبقَهُ ، معَ أَنَّهُ علىٰ حمارٍ وٱلنَّهديُّ علىٰ فرسٍ) .

ثمَّ : **تِنْعِهْ** : وهيَ مِنْ قُدامى ٱلبلدانِ . قالَ ياقوتٌ : (رويَ عنِ ٱلدَّارقطنيِّ أَنَّهُ قالَ : تِنْعة هوَ بُقَيل بنُ هانىءِ بنِ عَمرِو بنِ ذُهْلِ بنِ شرحبيلِ بنِ حبيبِ بنِ عميرِ بنِ ٱلأَسودِ بنِ ٱلضّبيبِ بنِ عَمرِو بنِ عبدِ بنِ سلامان بنِ ٱلحارثِ بنِ حَضْرَمَوْتَ ، وهُمُ ٱليومَ ـ أَو أَكثرُهم ـ بٱلكوفةِ ، وبهِم سُمِّيتْ قريةٌ بحَضْرَمَوْتَ بقُربِ وادي برهوتَ ٱلَّذي تُسمعُ منهُ أَصواتُ أَهلِ ٱلنَّارِ ، لَهُ ذِكرٌ في ٱلآثارِ .

وقد نسبَ بهـٰذهِ ٱلنِّسبةِ جماعةٌ منهُم إِلى ٱلقبيلةِ ، ومنهُم إِلى ٱلموضعِ .

منهُم : أَوسُ بنُ ضمعج[1] ٱلتَّنعيُّ أَبو قُتَيبةَ .

وعياضُ بنُ عياضِ بنِ عَمرِو بنِ جبلةَ بنِ هانىء بنِ بقيلٍ ٱلأَصغرِ ٱبنِ أَسلمَ بنِ ذهلِ بنِ نميرِ بنِ بقيلٍ وهوَ تنعه ، روىٰ عنِ ٱبنِ مسعودٍ ، حديثُهُ عند سلمةَ بنِ كُهَيلٍ .

وعمرو بنُ سويدٍ ٱلتّنعيُّ ٱلكوفيُّ ٱلحضرميُّ[2] ، روىٰ عن زيدِ بنِ أَرقمَ .

وأَخوهُ عامرُ بنُ سويدٍ يروي عن عبدِ ٱللهِ بنِ عَمرَ ، وعنهُ جابرٌ ٱلجعفيُّ وغيرُهُ) اهـ[3]

= لها : يبحر الجديدة ، والكلُّ الآن خراب ، لم يبق إلا المساجد والتربة رضي الله عن الجميع ونفع بهم) اهـ

(١) أوس بن ضمعج الكوفي الحضرمي ، ويقال : النَّخعي ، ولعله بالولاء ، حدث عن أبي مسعود الأنصاري ، وسلمان الفارسي ، والسيدة عائشة رضي الله عنهم . وعنه : ابنه عمران ، وأبو إسحاق السبيعي ، وإسماعيل بن رجاء ، قال خليفة بن خياط : إنه كان موجوداً سنة (٧٤هـ) في ولاية بشر بن مروان . وقال العجلي : كوفي تابعي ثقة . وقال ابن سعد : أدرك الجاهلية وكان ثقة معروفاً ، قليل الحديث ، وذكره ابن حبان في « الثقات » . وحديثه عند مسلم والأربعة . ترجمته في « تهذيب التهذيب » (١/ ١٩٣ـ١٩٤) .

(٢) نسبته عند ابن حجر في « التهذيب » : الثقفي .

(٣) معجم البلدان (٢/ ٤٩) .

وعلىٰ ذكرِ أوسِ بنِ ضَمْعجٍ أعودُ بٱلقارىءِ إلىٰ ما سبقَ في (يبعث) عن ياقوت مِنْ قولِ ٱلتّنوخيِّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

لَعَمْـرِي لَنِعْـمَ ٱلحَـيُّ مِـنْ آلِ ضَجْعَـمٍ   ثَـوَىٰ بَيْـنَ أَحْجَـارٍ بِبـرْقَـةِ حَـارِبِ

إلىٰ ما جاءَ في كتابهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ هناكَ : (إلىٰ أبناءِ معشر وأبناءِ ضمعج) .

وحوالي تنعه مكانٌ يقالُ لَهُ : **ٱلسّبعةُ ٱلوديانُ** .

ثمَّ : **شُقَيرٌ**[1] ٱلسَّابقُ ذِكرُهُ بهِ ديارُ آلِ مولى ٱلدَّويلةِ .

ثمَّ : **حصنُ ابنِ كُوبٍ ٱلتّميميِّ** ، لا يزالُ بهِ ناسٌ مِنهُم إلى ٱلآنَ .

ثم : **وادي بَرَهُوت**[2] : وٱلكلامُ فيهِ منتشرٌ ، وقد ذكرَهُ ٱبنُ ٱلحائكِ[3] وصاحبُ « ٱلقاموسِ » وياقوتُ [٤٠٥/١] وغيرُهم مِنَ ٱلمحدِّثينَ وٱلمفسِّرينَ وٱلإخباريِّينَ ، فلا حاجةَ إلى ٱلإطالةِ بما لا مطمعَ في حصرهِ ولا يقينَ مِنْ صحَّتهِ .

وفي ٱلأخبارِ لَهُ ذِكرٌ كثيرٌ ، وهوَ وادٍ لابأسَ بهِ ، منهُ كليبُ بنُ سعدٍ ٱلبرهوتيُّ ، وفدَ علىٰ رسولِ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ وأنشدَ قصيدةً ، مِنها ـ كما عندَ ٱبنِ سعدٍ [٣٥٠/١] وٱلسُّيوطيِّ وغيرِهما ـ قولُهُ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

مِنْ (وَشْزِ بَرَهُوتَ) تَهْوِي بِي عُذَافِرَةٌ   إِلَيْـكَ يَـا خَيْـرَ مَـنْ يَحْفَـىٰ وَيَنْتَعِـلُ[4]

شَهْـرَيْـنِ أَعْمَلْتُهَـا نَصّـاً عَلَـىٰ وَجَـلٍ   أَرْجُـو بِـذَاكَ ثَـوَابَ ٱللهِ يَـا رَجُـلُ[5]

---

(١) ولعلها تقرأ : (شتير) ، بالتاء بعد الشين المعجمتين ، وتقدم ذكره .

(٢) **برهوت** : اسم هضبة أسفل وادي ابن راشد من أعمال مديرية سيئون ، بها مزارع وسكان ، وبها مغارة برهوت . ويُرجع المؤرخ عبد القادر الصبان رحمه الله التسمية إلى قبيلة البراهيت من حمير .

(٣) « صفة جزيرة العرب » (٢٤٢) و(٣١٩) و(٣٢٣) .

(٤) **العُذافرة** : النّاقة الشّديدة الأمينة الوثيقة .

(٥) ونص الخبر عند ابن سعد في « طبقاته الكبرى » (٣٥٠/١) : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : حدثني عمرو بن المهاجر سنان ، قال : كانت امرأة من حضرموت من تنعه يقال لها : تهناة بنت كليب ، صنعت لرسول الله كسوة ثم دعت ابنها كليب بن أسد بن كليب فقالت : انطلق بهٰذه الكسوة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأتاه بها وأسلم ، فدعى له ، فقال رجل من ولده ؛ يعرّض بناس=

وحدَّثني مَنْ سارَ إِلىٰ بئرِهِ[1] وقالَ : إِنَّهَا عبارةٌ عن غارٍ يتَّسعُ تارةً ويضيقُ أُخرىٰ ، وهوَ مُظلِمٌ وفيهِ روائحُ منكرةٌ . قالَ : ولمَّا ٱنتهينا إِلىٰ حيثُ ٱنطفأَتِ ٱلسُّرجُ . . لَم نَجسرْ على ٱلتَّقدُّمِ ؛ لأَنَّ ٱنطفاءَها دليلُ فَقْدِ ٱلهواءِ ٱلمغذِّي للأَنفاسِ[2] .

= من قومه :

لقـد مسـح الـرسـول أبـا أبينـا	ولـم يمسـحْ وجـوه بنـي بحيـر
شبـابُهُـم وشيبُهُـم سـواءٌ	فهـم فـي اللـؤم أسنـان الحميـر

وقال كُليبٌ حين أتى النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم :

مـن وشـز بـرهـوت تهـوي بـي عُـذافـرة	إليـك يـا خيـر مـن يَحْفـى وينتعـل
تجـوبُ بـي صفصفـاً غُبْـراً منـاهلـه	تـزداد عفـواً إذا مـا كلّـت الإبـلُ
شهـريـن أعملتهـا نصـا علـى وجَـلٍ	أرجـو بـذاك ثـواب الله يـا رجـل
أنـت النبـي الـذي كنـا نُخَبَّـرُه	وبشـرتنـا بـك التـوراة والـرسُـلُ) اهـ

وها هنا وقفة عند قوله : (وبشرتنا بك التوراة . .) ، مما يدلنا على وجود للديانة اليهودية بحضرموت قبل مجيء الإسلام . والله أعلم .

(١) أي : بئر برهوت .

(٢) يعني به الأكسجين ، ويذهب بعض السياح الأوربيين الذين زاروا هٰذه البئر بعد دراسة ، إلى أنه موضع بركان قديم يظهر أنه انفجر فأهلك من حوله . ولعل مما يؤيد هٰذا الرأي . . ما يقال : إنه يسمع لهٰذا المكان أصوات كالرعد من مسافات ، وأنه يقذف بحرارة ودخان! وينظر « تاريخ البكري » (٥٥/١-٥٦) .

وقد وردت أحاديث نبوية عند الطبراني في « المعجم الكبير » (٩٨/١١) (١١١٦٧) ، و« الأوسط » (١٧٩/٤) (٣٩١٢) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « خير ماء على وجه الأرض . . ماء زمزم . . » وفيه : « وشر ماء على وجه الأرض . . ماء بوادي برهوت ، بقية بحضرموت كرجل الجراد من الهلام ، تصبح تتدفق ، وتمسي لا بلال لها » . وفي رواية : « والله ما على وجه الأرض ماء شر من ماء بئر بوادي برهوت » .

ففي الأحاديث تصريح بأن برهوت اسم للوادي واسم للبئر ، لٰكن لا وجود للبئر اليوم ، إنما هي مغارة أشبه بكهف . . وجاء في كتاب : « الأصنام » للكلبي (ص ٥٠) : (يقال : أمرع من نوذ ، وأجدب من برهوت ، وبرهوت وادٍ بحضرموت ، بقرب قرية يقال لها : تنعة) اهـ

وممن دخلها من المستشرقين : الهولندي فان درميولين (وقد طبعت رحلته) ، والنمساوي فان وايزمان . . وحاصل ما قالاه : أن هٰذه المغارة تقع على ارتفاع (٣٠٠) قدم من سفح الجبل ، ولها طريق معبد نقر في الصخر ، كانت الجمال تسير عليه لجلب السماد من فضلات الخفافيش .

وتتشعب هٰذه المغارة إلى شعب ، كما أن في أقصاها منحدراً .

واستنتجا : أن برهوت كهف جيري ليس به أثر بركاني ، وأن الروائح الخبيثة ليست من الكبريت بل=

وهـٰذا ٱلوصفُ قريبٌ ممَّا نشرَهُ ٱلعلاَّمةُ ٱلجليلُ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ عقيلٍ في « مقتطفِ » جمادى ٱلأُولىٰ مِنْ سَنَةِ (١٣٤٧هـ)[1] .

وأَخرجَ أَبو نُعَيمٍ في ترجمةِ مجاهدٍ صاحبِ « ٱلتَّفسيرِ » مِنَ « ٱلحليةِ » بسندِهِ إِلى ٱلأَعمشِ : أَنَّ مجاهداً ذهبَ إِلى حضرموتَ إِلى بئرِ برهوتَ .

شعبُ نبيِّ ٱللهِ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ

هوَ شعبٌ متَّقدٌ بٱلنُّورِ ، حليٌّ بٱلسُّرورِ ، شبيهٌ بمِنىً مِنْ حيثُ ٱلدُّورُ ، فلا بِدْعَ أن يجيءَ فيهِ موضعُ قولِ ٱلشَّريفِ ٱلرَّضيِّ [في « ديوانِهِ » ٢/ ٥٧٠ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَوَا لَهَفِـي كَـمْ بِـي مِـنَ ٱلْخَيْـفِ لَهْفَـةٌ   تَـذُوبُ عَلَيْهَـا قِطْعَـةٌ مِـنْ فُـؤَادِيَـا

وكيفَ لا يكونُ كذلكَ وهوَ مهبطُ وحيٍ ، ومعقلُ نبوَّةٍ ، ومختلَفُ ملائكةٍ ، ومتنزَّلُ سَكِينةٍ ؟!!

وقد دلَّلتُ في « ٱلأَصلِ » علىٰ وجودِ نبيِّ ٱللهِ هودٍ في حَضْرَمَوْتَ بٱلدَّلائلِ

= من تحول الصخور وبول الخفافيش ، وأن الحرارة ليست من عامل بركاني ولـٰكن من أثر الحرارة الخارجية .

وأخرج أبو نعيم بسنده في « الحلية » (٥/ ١٩٢) من حديث حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة في وادٍ يقال له : برهوت ، يغشى الناس فيها عذاب أليم . . . إلخ » الحديث ، وهو حديث غريب كما قال الحافظ .

قال السيد صالح الحامد (١/ ٨٢) : (وقد رأيت فيما نقله ابن هشام من أخبار يعرب بن قحطان : أنه أتاه آتٍ فقال له : يا يعرب ؛ هلا جعلت نقباً في الجبل الأغر من أرض برهوت في غربي حضرموت ؛ فإنه معدن عقيان ، وانقر شرقيه ؛ فإنه معدن لجين ؛ ففعل ، ثم إنه يستخرج الجوهر من العقيق ، فكثر اللجين والعقيق في أرض يمن) اهـ

وهـٰذا يوقع في النفس احتمالاً آخر ؛ وهو : أن هـٰذه المغارة نقبت وحفرت ؛ بحثاً وطمعاً وراء معدن مظنون في هـٰذا الجبل .

(١) الذي نشر في « المقتطف » الجريدة المصرية المعروفة آنذاك . . هو ملخص رحلة السيد محمد المذكور ، وكان دخوله إلى المغارة بصحبة السيد محمد بن علي الحُبَيد وحاصل رحلتهما : أنهما يريان أنها بقايا بركان قديم خمد . « الحامد » (١/ ٨٢) .

ٱلمجلوَّةِ ، ومِنْ أَقواها هـٰذهِ ٱلآيةُ ٱلمتلوَّةُ : ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وٱلأحقافُ هيَ حَضْرَمَوْت دونَ نزاعٍ[1] ، وٱلأَصلُ بقاءُ ما كانَ علىٰ ما كانَ حتَّىٰ يُعلَمَ خلافُهُ ، فينبغي أَنْ يُعقدَ عليهِ ٱلإجماعُ .

وما أَخرجَهُ ٱلحاكمُ مِنِ ٱلتحاقِ نبيٍّ كلِّ أُمَّةٍ تهلكُ بمكَّةَ[2] .. عامٌّ موقوفٌ ، يُخصِّصُهُ ما أَخرجَهُ ٱبنُ إسحاقَ في « ٱلمبتدإ » وٱبنُ عساكر في « ٱلتَّاريخ » عن عروةَ بنِ ٱلزُّبيرِ : (أَنَّه ما مِنْ نبيٍّ إلاَّ حجَّ هـٰذا ٱلبيتَ ، إلاَّ ما كانَ مِنْ هودٍ وصالحٍ تشاغلا بأَمرِ قومهما حتَّىٰ قَبَضَهُما ٱللهُ ولَم يَحجَّا) .

ولَئِنْ ذُكِرَ حجُّ هودٍ في « مسندِ أَحمدَ »[3] فما سندُهُ بأَشملَ ممَّا مرَّ عن ٱبنِ إسحاقَ وٱبنِ عساكرٍ .

وقد ذكرَ ٱبنُ هشامٍ في « ٱلتِّيجانِ » : (أَنَّ هوداً وأَولادَهُ يَحجُّونَ ثمَّ يَعودونَ إلىٰ ديارِهم) .

وفي جوارِهِ كانَ قبرُ لقمانَ بنِ عادٍ ٱلملطاطِ بنِ سَكْسَك بنِ وائِلِ بنِ حِمْيَرَ ، صاحبُ ٱلنُّسورِ ٱلسَّبعةِ كما في « إكليلِ » ٱلهمدانيِّ[4] [٨/ ١٨٤] وذكرَهُ غيرُهُ أيضاً . ولِقَبْرِ هودٍ ذِكرٌ طويلٌ في (ج ٨ ص ١٣١ـ١٣٣) منهُ .

---

(١) والأحقاف ـ جمع حِقف بالكسر ـ والحقف : المعوجُّ من الرمل ، أو الكثيب منه إذا تقوس ، أو الرمل المستطيل المشرف .

(٢) أخرج الحاكم في « المستدرك » بسنده (٢/ ٦١٥) : عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمـٰن بن سابط قال : (إنه لم تهلك أمة إلا لحق نبيُّها بمكة فيعبُدُ فيها حتى يموت ، وإن قبر هود بين الحِجْرِ وزمزم) .

(٣) أخرج الإمام أحمد في « المسند » (١/ ٢٣٢) : عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال : لمَّا مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوادي عسفان حين حجَّ .. قال : « يَا أَبَا بَكْرٍ .. أَيُّ وَادٍ هَـٰذَا؟ » ، قال : وادي عسفان ، قـال : « لَقَدْ مَرَّ بِهِ هُـودٌ وَصَالِحٌ عَلَىٰ بَكَرَاتٍ حُمْرٍ ، خُطُمُهَا اللِّيفُ ، أُزُرُهُمُ ٱلعَبَاءُ ، وَأَرْدِيَتُهُمُ ٱلنِّمَارُ ، يُلَبُّونَ يَحُجُّونَ ٱلْبَيْتَ ٱلْعَتِيقَ » .

(٤) ومما جاء في « الإكليل » من خبر لقمان : أنه أعطي ما لم يعطه غيره في زمانه ، أعطي حاسة (١٠٠) رجل ، وكان طويلاً جداً ، وهو الحكيم المذكور في القرآن ، وزعم البعض نبوته . =

ولِذِكْرِ منبرِه ، ولقبرِ قضاعةَ بنِ مالكِ بنِ حِمْيَرَ جدِّ قبائِلِ قضاعةَ في ٱلشَّامِ وٱليَمنِ حديثٌ آخَرُ فيهِ مِنْ (ص ١٥٦ـ١٥٨) ، وهوَ لا يخرجُ عمَّا سَبَقَ في وادي عَمْدٍ عنِ « ٱلشِّهابِ ٱلرَّاصدِ » : أَنَّ قَبْرَ قضاعةَ بجبلِ ٱلشِّحْرِ ؛ لأَنَّ شِعْبَ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ داخلٌ في مسمَّى ٱلشِّحْرِ .

وقالَ في (ص ١٧٦ـ١٧٧) منه : (إِنَّ قَبْرَ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ بٱلأحقافِ ، بموضعٍ يقالُ لَهُ : ٱلحفيفُ في ٱلكثيبِ ٱلأَحمرِ)[1] ، وهوَ موافقٌ لِما في « ٱلأَصلِ » ، وذكرَ أَنَّ : « قبرَ قحطانَ بنِ هودٍ بمأْرِب » .

= وسبب تلقيبه بصاحب النسور السبعة . . أنه كان يدعو بعد الصلوات بقوله :

اللهـــــم يــــا رب البحـــار الخُضْـــر والأرضِ ذات النبْـــت بعْـــدَ القَطْـــرِ
(أسأَلُك عُمْراً فوقَ كلِّ عُمْرِ)

فنودي : قد أُجِبْتَ ، وأُعطِيتَ سؤلك ، ولا سبيل إلى الخلود ، فاختر إن شئت بقاء سبع بقرات عُفْرٍ في جبل وعْرٍ لا يمسهن ذكر ، أو بقاء سبعة أنسُرٍ كلما هلك نسْرٌ عقب بعده نسْرٌ ، فاختار النسور .

قال وهب : فيذكر أنه عاش (٢٤٠٠) سنة ، وقال عبيد بن شريَّة : (١٧٦٤) سنة . وكان هو ونسوره مثلاً في العرب ، واسم نسره الأخير (لُبَد) .

وفيه قول النابغة :

أمســت خــلاءً وأمســى أهلُهــا احتملــوا أَخْنَــىٰ عليهــا الــذي أخنَــىٰ علــى لُبَــدِ

قال وهب : لما دنا الموت من لقمان بن عاد . . قال : يا قوم دعوني من سنن الجبارين واسلكوا بي سبل الصالحين ، احفروا لي ضريحاً واروني فيه تراباً وحصباً ، ولا تجعلوني للناظرين نصباً ، فدفن بالأحقاف إلى جوار قبر هود عليه السلام .

(١) بمكان كان يقال له : الهَيْبَنَق ، وفي هٰذا موافقة لما ورد عن الكثيب الأحمر في الأثر الذي روي عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه .

ونصه : ما رواه ابن جرير الطبري في « تفسيره » ، عند تفسير قول الله تعالىٰ : ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا . . .﴾ ، قال : حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال : حدثنا ابن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعي ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال : سمعت عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول لرجل من حضرموت : هل رأيت كثيباً أحمر يخالطه مدرة حمراء ، ذا أراك وسدر كثير ، بناحية كذا وكذا من حضرموت ، هل رأيته ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ووالله إنك تنعته نعت رجل رآه . قال : لا ، ولٰكني قد حُدثت عنه . فقال الحضرمي : وما شأنه يا أمير المؤمنين ؟ قال : فيه قبر هود صلوات الله عليه . اهـ

وذكر في هٰذا الموضع أيضاً روايات عن السدي وابن إسحاق ، حاصلها : أن الأحقاف في =

وأمَّا نسبُ نبيِّ ٱللهِ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ . . فقالَ ٱلهمدانيُّ في (ج ١ ص ١٦١ـ ١٧٧) مِنَ « ٱلإكليلِ » ، (إنَّهمُ ٱختلَفوا فيهِ إلىٰ خمس فِرَقٍ) .

قالتِ ٱلأُولىٰ : إنهُ قحطانُ بنُ هودِ بنِ عبدِ ٱللهِ بنِ رباحِ بنِ خلدِ بنِ ٱلخلودِ ـ وهوَ مُخَلَّدُ ـ ٱبنِ عادِ بنِ عوص بنِ إرَمَ بنِ سامِ بنِ نُوحٍ . قالَ أبو نصرٍ : وٱلنَّاسُ يغلطونَ في عابرٍ ، وهوَ هودُ بنُ أيمنَ بنِ حلجمِ بنِ بضمِ بنِ عوضين بنِ شدَّادِ بنِ عادِ بنِ ٱلهادِ بنِ عادِ بن عوصِ بنِ إرمَ بنِ عوصِ بنِ عابرِ بنِ شالخَ ، وذكَرَ أنَّهُ وَجدَ هٰذا ٱلنَّسبَ في بعضِ مساندِ حِمْيَرَ في صفاحِ ٱلحجارةِ .

وعابرُ بنُ شالخَ هوَ هودُ بنُ شالخَ ، ولا نسبَ لحميرَ في عادٍ .

وأمَّا قولُ علقمةَ بنِ ذي جَدْنٍ [مِنَ ٱلوافرِ] :

وَمَصْنَعَــــةٌ بِـــذِي رَيْـــدَانَ أُسَّـــتْ   بَنَـــاهَـــا مِـــنْ بَنِـــي عَـــادٍ قُـــرُومُ

. . فحيفٌ مِن علقمةَ ، وربَّما كانَ ٱلَّذي بناهُ مِن حِمْيَرَ أبناءُ رجلٍ منهم يُسَمّىٰ عاداً ؛ فٱلأسماءُ مستعارةٌ ، وقد جاءَ في حِمْيَرَ عمالقةٌ ، وٱلعمالقةُ إنَّما هم بنو لاوذَ بنِ سامٍ ، فإمَّا أن يكونَ ذهبَ إلى ٱلقِدَمِ فٱلعربُ تقولُ لكلِّ شيءٍ قديمٍ : عَادِيٌّ ، قالَ بعضُ طيِّءٍ [مِنَ ٱلمتقاربِ] :

وَبِـــالْجَبَلَيْـــنِ لَنَـــا مَعْقِـــلٌ   صَعَـــدْنَـــا إلَيْـــهِ بِسُمْـــرِ ٱلصِّعَـــادْ
مَلَكْنَـــاهُ فِـــي أُولَيَـــاتِ ٱلـــزَّمَـــانْ   مِـــنْ بَعْـــدِ نُـــوحٍ وَمِـــنْ قَبْـــلِ عَـــادْ

ذهبَ إلىٰ مجرَّدِ ٱلقِدَمِ .

ومِنَ ٱلدَّليلِ علىٰ أنَّ حِمْيَرَ ليست مِن عادٍ . . قولُهُ جلَّ وعلاَ بعدَما ذكرَ مهلكَ عادٍ : ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ ، فلا باقيةَ لهم ولا لثمودَ ؛ لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾ ،

= حضرموت ، وهي منازل عاد .

أما الحديث هٰذا ـ حديث الكثيب ـ فقد خرجه العلامة سالم بن عبد الله الشاطري في رسالة « نيل المقصود » فلينظر فيها ، وللأخ السيد علي بن محمد بن حسين العيدروس كتاب سماه : « بذل الجهود في الروايات والأخبار المروية في فضائل نبي الله هود عليه السلام » ، وتحقيق مكان قبره وغير ذلك .

وحِمْيَرُ تملأُ ٱلبلادَ إلى ٱليومِ، وهـٰذهِ ٱلحُجَّةُ ضعيفةٌ، وفي ٱلحديثِ : « إنَّ في ٱلمشرقِ : جابلق ، يسكنُها بقايا عادٍ ، وفي ٱلمغربِ : جابرس ، ويسكنُها بقايا ثمودَ » .

وٱلعربُ كثيراً ما تُطلقُ ٱلكلَّ على ٱلبعضِ .

وقالَ ٱلفرقةُ ٱلثَّانيةُ ـ وهمُ ٱلأكثرُ ـ : هوَ قحطانُ بنُ عابرِ بنِ شالخَ بنِ أرفخشذ ، ثمَّ ٱفترقَت هـٰذه ٱلفرقةُ .

فقالَ أقلُّها : إنَّ عابرَ هـٰذا ليسَ بِهُودٍ ٱلمُرْسَلِ ؛ لأنَّهُ ليسَ مِن عادٍ ، وإنَّ هُوداً ٱلمُرْسَلَ إلىٰ عادٍ كانَ مِن أنفُسِها وأوسطِها .

وقالَ أكثرُ هـٰذهِ ٱلفرقةِ : إنَّ عابرَ بنَ شالخَ بنِ أرفخشذ بنِ سامٍ هوَ ٱلنَّبيُّ ٱلمُرْسَلُ ، وإنَّهُ عاشَ (٤٢٠) سنةً ، وعاشَ عادُ بنُ عوصٍ ثلاث مئةِ سنةٍ وما ماتَ حتَّىٰ ملأَ أولادُهُ ٱلبلادَ ، وأدركَ أوَّلَ ملك ٱلخلجانِ مِن ولدِهِ ، وهوَ ٱلَّذي هَلَكَت عادٌ في عصرِهِ ، وٱحتجَّ هـٰؤلاءِ بِحُجَّتَينِ ؛ إحداهما : قولُ علقمةَ بنِ ذي جَدَنٍ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

سَأَبْكِي لِقَوْمِي حِمْيَراً أَنْ تَجَرَّمُوا ... وَأَصْبَحَ مِنْهُمْ مُلْكُهُمْ مُتَمَزِّقَا
تُرَاثُ نَبِيِّ ٱللهِ هُودِ بْنِ شَالِخٍ ... بَنِيهِ بَنِي قَحْطَانَ غَرْباً وَمَشْرِقَا

وقولُ ٱلنُّعمانِ بنِ بشيرٍ ٱلأنصاريِّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَمِنَّا سَرَاةُ ٱلنَّاسِ هُودٌ وَصَالِحٌ ... وَذُو ٱلْكِفْلِ مِنَّا وَٱلْمُلُوكُ ٱلأَعَاظِمُ

وقولُ حسَّانَ بنِ ثابتٍ ٱلأنصاريِّ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَنَحْنُ بَنُو قَحْطَانَ وَٱلْمُلْكِ وَٱلْعُلاَ ... وَمِنَّا نَبِيُّ ٱللهِ هُودُ ٱلأَخَابِرِ
وَإِدْرِيسُ مَا إِنْ كَانَ فِي ٱلنَّاسِ مِثْلُهُ ... وَلاَ مِثْلُ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ أَبْنَاءِ عَابِرِ

قالَ يعربُ [مِنَ ٱلوافرِ] :

بَنِيَّ أَبُوكُمُ لَمْ يَعْدُ عَمَّا ... بِهِ وَصَّاهُ قَحْطَانُ بْنُ هُودِ

وٱلحُجَّةُ ٱلثَّانيةُ : أنهم ذكروا أنَّ حِمْيَرَ بنَ سبإٍ سيَّرَ جُرهماً إلى ٱلحرمِ وأرضِ ٱلحجازِ ، وأمَّرَ عليهم هيَّ بن بيٍّ بنِ جُرهمَ بنِ يقطنَ بنِ عابرٍ .

وقالَ ٱلخزاعيُّ : هوَ هيُّ بنُ بيِّ بنِ جُرهمَ بنِ ٱلغوثِ بنِ يشددَ بنِ سعدِ بنِ جرهمَ فلمَّا صاروا بأسفلِ مكَّةَ.. إذا هم بهاجَرَ ومعها ٱبنُها إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ، ولمَّا أَخبرَتْهم بنسبهِ.. عَرفوهُ ، وذكروا ٱلقرابةَ ، ورَغَّبَهم قربُهم في مجاورتِهِ ، فكانَ حميرُ بنُ سبأٍ في درجةِ إبراهيمَ في ٱلنَّسبِ إلىٰ عابرٍ ؛ إذ هوَ إبراهيمُ بنُ آزرَ ، وهوَ تارخ بنُ شاروخَ بنِ أرعواء بنِ فالخ بنِ عابرٍ ، وحميرُ بنُ سبأ بنِ يشجبَ بنِ يعربَ بنِ قحطانَ بنِ عابرٍ ، وكذلكَ مَن قالَ : إنَّ عابرَ هوَ هودُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ خالدِ بنِ ٱلخلودِ بنِ عادِ بنِ عوصِ بنِ إرمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ ، وهـٰذا أقربُ ٱلقولَينِ إلىٰ ما يلائِمُ ٱلصَّوابَ .

وقالتِ ٱلفرقةُ ٱلرَّابعةُ : إنَّ حميرَ وجرهمَ قبلَ عادٍ وثمودَ بدهورٍ طويلةٍ ، وإنَّ جُرْهُمَ لم تكن يومَ عثرَت علىٰ إسماعيل وأُمِّهِ وعلىٰ زمزمَ سيَّارةً مِنَ ٱليمنِ ، وإنَّما كانَ حِمْيَرُ بنُ سبأٍ ، سيَّرَهم إلىٰ جبالِ ٱلحرمِ وُلاةً على ٱلعماليقِ وعبد ضخمٍ ، فكانوا بنجدٍ وٱلطَّائفِ وأَجْبُلِ ٱلحرم ، فأقاموا دهوراً لا يدخلونَ واديَ مكَّةَ ـ إذ كانَ خاوياً ـ إلاَّ لرعيٍ ، حَتَّىٰ خرجَ ٱلحارثُ بنُ مضاض بن عمرَ بنِ سعدِ بنِ ٱلرَّقيبِ بنِ ظالمِ بن هيِّ بنِ بيِّ بنِ جرهمَ بن قحطانَ في عصبةٍ ترودُ مِن جرهمَ ، فوجدوا إسماعيلَ وأُمَّهُ فعرَّفَتْهُ بٱلنَّسبِ ، فرغبَ في ٱلمقامِ معهما ، فأقامَ وجميعُ جرهم معَهُ ، وتزوَّجَ إسماعيلُ إلى ٱلعماليقِ ، ثمَّ إلى ٱلحارثِ بنِ مضاضٍ .

أقولُ : وهـٰذا بٱلحقيقةِ لا يردُّ ما قبلَهُ ، بل يؤَيِّدُهُ ؛ إذ لم يزد بينَ ٱلحارثِ وهيِّ بنِ بيِّ إلاَّ خمسةً ، وهـٰذهِ لا تُغيِّرُ علىٰ شيءٍ كما يتوضَّحُ مِن **قولِ ٱلفرقةِ ٱلخامسةِ** : إنَّ ٱلاحتجاجَ بمعَادَّةِ ٱلآباءِ سببٌ ضعيفٌ ؛ لاختلاف أعمارِ ٱلنَّاسِ) اهـ بنوعِ تَصرُّفٍ وٱختصارٍ .

وٱلقولُ ٱلَّذي ينبغي ٱعتمادُهُ هوَ ما تكرَّرَ عندَ ٱلهمدانيِّ وغيرِهِ : إنَّ حِمْيَرَ ٱبنُ سبأ بنِ يَشْجُبَ بنِ يعربَ بنِ قحطانَ بنِ هُودٍ .

وأمَّا ٱلسُّوقُ ٱلَّتي تقومُ في ذلكَ ٱلشِّعبِ.. فقد مرَّ خبرُها في وادي ٱلعينِ ، وكانت هـٰذهِ ٱلسُّوقُ كما بـ« **ٱلأصلِ** » عن « بلوغِ ٱلأربِ » تقامُ في ٱلنِّصف مِنْ شعبانَ ، وما زالَ عليهِ ٱلأمرُ بحَضْرَمَوْتَ إلىٰ ما قبلَ ٱليومِ بنحوٍ مِنْ مئتي سَنةٍ ، فتغيَّرَ قليلاً .

وفي مكاتبةٍ بتاريخِ (٥) شعبانَ سَنةَ (١٢٠٢هـ) مِنَ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ بنِ حسن بنِ عبدِ ٱللهِ ٱلحدَّادِ سيَّرَها لِلسَّيِّدِ مُحمَّدِ بنِ حسنِ بنِ مُحَمَّدٍ مولىٰ خيله . . تدلُّ علىٰ أَنَّ تأَخُّرَ ٱلزِّيارةِ عن نصفِ شعبانَ إِنَّما كانَ بعدَ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ، غيرَ أَنَّ في « مجموعِ كلامِ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ »[1] ما يدلُّ علىٰ أَنَّ بدءَ ٱلتَّغييرِ كانَ في أَيَّامِهِ ، فصارَ أَهلُ سيئونَ ومَنْ في غربيِّهم يدخلونَ ٱلشِّعْبَ في ٱليومِ ٱلثَّامنِ مِنْ شعبانَ ، ويَنفِرُونَ في ٱلعاشرِ ، وآلُ تريمَ يَرِدُونَ في ٱلتَّاسعِ وينقلبونَ في ٱلحادي عشرَ ، وآلُ عينات يدخلونَ في ٱلعاشرِ ويَصْدُرُونَ في ٱلثَّاني عشرَ .

ثمَّ حاولَ ٱلعلاَّمةُ ٱلسَّيِّدُ أَحمدُ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ إِرجاعَ ٱلأَمرِ إِلىٰ ما كانَ مِنَ ٱلاجتماعِ هناكَ لِلنِّصفِ مِنْ شعبانَ ، فتمَّ لَهُ ٱلأَمرُ بعدَ مراجعاتٍ[2] ، ثمَّ ٱختلفَ أَهلُ تريمَ وآلُ عينات علىٰ شرفِ ٱلمجلسِ ٱلحافلِ وقراءةِ دعاءِ شعبانَ وإِمامةِ ٱلعِشائَينِ فيهِ ، وأَهلُ عينات يَقنعونَ بٱلمقاسَمةِ ، لـٰكنَّ أَهلَ تريم لا يُرضيهِمُ إِلاَّ ٱلاستئثارُ بٱلجميعِ ، وتفاقَمَ ٱلأَمرُ حتَّى ٱنتهىٰ إِلىٰ حربٍ صوريَّةٍ كعادةِ حروبِ آلِ حَضْرَمَوْتَ ، ثمَّ لَم تُسوَّ ٱلقضيَّةُ إِلاَّ بإِعادةِ ٱلأَمرِ إِلىٰ ما كانَ عليهِ بٱلآخرِ .

ولقد حضَرْتُ تلكَ ٱلمحافلَ ٱلمشهورةَ بذلكَ ٱلشِّعْبِ ٱلشَّريفِ كثيراً مِنَ ٱلمرَّاتِ ، أَوَّلُها ٱلَّتي لا أَزالُ جامعاً مِنها يديَّ علىٰ غذاءِ ٱلرُّوحِ وتباشيرِ ٱلفتوحِ هيَ ٱلَّتي كانَت بمعيَّةِ والدي وشيخي ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ عيدروسِ بنِ عمرَ ، حوالي سَنةِ (١٣١١هـ) ، وفيها كانت محاوراتٌ فقهيَّةٌ ، سببُها :

أَنَّ سيِّدي عمرَ بنَ عيدروسِ بنِ علويٍّ ٱلعيدروسِ وإِخوانَهُ وٱلشَّيخَ ٱلجليلَ محمَّدَ بنَ أَحمدَ ٱلخطيبِ في ناسٍ مِن تريم تَبعوا سيِّدي ٱلأُستاذَ ٱلأَبرَّ عيدروسَ بنَ عمرَ

---

(١) المعروف بـ« تثبيت الفؤاد » .

(٢) وكان قد ورد إليه خطاب من علماء تريم ومناصبها بتوقيع السادة : أحمد بن حامد باعلوي ، ومحمد بن إبراهيم بلفقيه ، وعلي بن حسن بن عمر الحداد ، وكافة سادة تريم مؤرخاً في فاتحة شعبان (١٣٢٦هـ) ، يطلبون منه القدوم إلى تريم للقيام بالزيارة بمعيته ، والنزول على رأيه من إعادة التراتيب السلفية لهـٰذه الزيارة . وقد دَوّن تفاصيل هـٰذه الرحلة ومجرياتها تلميذه العلامة علوي بن طاهر الحداد ، وهي موجودة متداولة في عدة كراريس ، وقد قرأها على شيخه وأقرها ، وفيها فوائد عزيزة .

في جمعِ ٱلعِشاءِ تقديماً معَ ٱلمغربِ بمسجدِ ٱلعجزِ معَ ٱلذَّهابِ ، معَ أَنَّ ما بينَ تريم والشِّعبِ لا يبلغُ ٱلقَصْرَ ، وٱلظَّاهرُ أَنَّ سيِّدي ٱلأُستاذَ ٱلأَبرَّ يقصرُ ويجمعُ في سائرِ صلواتِهِ ، لـٰكن لا أُثبتُ حفظاً إِلاَّ ما كانَ تلكَ ٱللَّيلةِ .

ثمَّ كانت بعدَها مرَّاتٌ كثيرةٌ ، وأَذكَرُها عندي ـ لأَكثريَّةِ جَمْعِها ـ هيَ ٱلَّتي كانت في سَنةِ (١٣٢٤هـ)[١] .

وقد تداولَ ٱلخَطابةَ في محافِلِها جماعةٌ مِنَ ٱلأَفاضلِ ، وهُمُ : ٱلسَّيِّدُ عليُّ بنُ مُحَمَّدٍ ٱلحَبْشيُّ . وسيِّدي ٱلوالدُ علويُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافُ . وٱلسَّيِّدُ عمرُ بنُ عيدروسٍ ، ٱلمتوفَّىٰ عن عمرٍ قصيرٍ في آخِرِ سَنةِ (١٣٢٨هـ) بتريم ، وكانَ خطيباً مفوَّهاً ، آمراً بٱلمعروفِ ، ناهياً عنِ المنكَرِ ، يتكلَّمُ على ٱلنَّاسِ في أَيَّامِ ٱلشُّيوخِ ٱلمراجيحِ ، وكانَ بدءُ خطابتِهِ أَنَّهُ قرأَ رسالةً لسيِّدي ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ في مجمعِ مولدِ ٱلسَّيِّدِ عليِّ بنِ محمَّدٍ الحبشيِّ ، ثمَّ علَّقَ عليها وتيسَّرَ لهُ مِن بعدِها ٱلكلامُ .

ولا أَذكرُ غيرَ هـٰؤلاءِ ، إِمَّا لنسيانٍ ، أَو لانحصارِها فيهِم .

وقد حضرَ ذلكَ ٱلعامَ سيِّدي ٱلعلاَّمةُ ٱلمتفنِّنُ في أَنواعِ ٱلمعارفِ شهابُ ٱلدِّينِ أَحمدُ بنُ أَبي بكرٍ ٱبنُ سميطٍ في جمعٍ ليسَ بٱلقليلِ مِن آلِ شبامٍ .

وحضرتُها أيضاً في سَنةِ (١٣٤٠هـ) ، وكانت مشهودةً مِنْ نواحي حَضْرَمَوْتَ . . دوعن فما دونَها ، وٱلسَّواحلِ فما وراءَها ، وكانتِ ٱلخَطابةُ خاصَّةً بيَ في ٱليوم ٱلثَّاني عشرَ ، وفي صباحِ ٱليومِ ٱلثَّالث عشرَ كانتْ للعلاَّمةِ ٱلفاضلِ ٱلسَّيِّدِ أَحمدَ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱبنِ عليٍّ ٱلسَّقَّافِ ، ٱلمتوفَّىٰ بسيئونَ سَنةَ (١٣٥٧هـ) ، وبعدَ ظُهرِهِ ليَ وللأَخِ ٱلعلاَّمةِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ عمرَ ٱلشَّاطريِّ ، وفي ٱليوم ٱلرَّابعَ عشرَ ـ وهوَ أَعظمُها حفلاً يترأَّسُهُ منصبُ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ ـ كانتِ ٱلخَطابةُ إِليَّ وإِلى ٱلأَخِ الفاضلِ حسنِ بنِ إِسماعيلَ عالمِ آلِ ٱلشَّيخِ أَبي بكرِ بنِ سالمٍ .

وفي سَنةِ (١٣٥٠هـ) كانَ أَكثرُ ٱلخَطابةِ إِليَّ ، وشاركَني ٱلعلاَّمةُ ٱلفاضلُ ٱلجليلُ

---

(١) سنة توفي والد المؤلف .

ٱلأخُ عبدُ ٱللهِ بنُ عمرَ ٱلشَّاطريُّ في ٱليومِ ٱلتَّاسع ، وٱلفاضلُ ٱلنَّبيهُ ٱلأخُ حسنُ بنُ إسماعيلَ في ٱليومِ ٱلعاشرِ . وكانت ٱلزِّيارةُ في تلكَ ٱلسَّنةِ أُعيدتْ إلىٰ ما كانتْ عليهِ ، بخلافِ سَنةِ (١٣٤٠هـ) .

وكانَ ٱلذَّكيُّ ٱللُّغويُّ ٱلمرحومُ مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ يحيىٰ معنا ذلكَ ٱلعامَ[1] ، فٱختزلَ خُطبتي في حفلِ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلشَّيخِ أبي بكرِ بنِ سالمٍ ، فأُضيفتْ إلىٰ مجموعةِ ٱلخطبِ .

وفي تلكَ ٱلمرَّةِ كانت ضجَّةٌ خفيفةٌ بسببِ أنَّني كنتُ مقيماً بتريم ، ومِنها عزمتُ إلىٰ شِعْبِ نبيِّ ٱللهِ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ معَ آلِ سيئون ومَنْ لفَّهُم ، وقد طالَ مجلسُ ٱلخَطابةِ في ٱليومِ ٱلثَّامنِ حتَّىٰ وجبتِ ٱلظُّهرُ ، فصلَّيتُها بهِم وٱلعصرَ مقدَّماً معها مقصورَتينِ ، فزعمَ بعضُهُم أنْ لا رخصةَ ليَ ؛ لأنَّ ٱلمسافةَ مِنْ تريم إلىٰ شِعْبِ نبيِّ ٱللهِ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ لَم تَبلُغِ ٱلقَصْرَ ، فقلتُ لَهُم : إنَّني بركوبي مِنْ تريم أنشأْتُ سفراً طويلاً مِنها إلى ٱلشِّعْبِ وإلىٰ سيئون إياباً ، بدونِ تخلُّلِ إقامةٍ قاطعةٍ لِلسَّفرِ ، وذكرتُ لَهُم قولَ ٱلعلاَّمةِ ٱبنِ حجرٍ في « ٱلتُّحفةِ » : (يقعُ لكثيرٍ مِنَ ٱلحجَّاجِ أنَّهُم يَدخلونَ مكَّةَ قبلَ ٱلوقوفِ بنحوِ يومٍ ناوينَ ٱلإقامةَ بمكَّةَ بعدَ رجوعِهِم مِنْ مِنىٰ أربعةَ أيَّامٍ فأكثرَ ، فهل ينقطعُ سفرهُم أو يَستمرُّ إلىٰ عَودِهِم مِنْ مِنىٰ ؛ لأنَّهُ مِنْ مقصدِهِم ، فلا تُؤثِّرُ نيَّةُ ٱلإقامةِ إلاَّ عندَ ٱلشُّروعِ فيها ؟ لِلنَّظرِ فيهِ مجالٌ ، وكلامُهُم محتملٌ ، وٱلثَّاني أقربُ) اهـ

فٱقتنعَ بعضُهُم ، وأصرَّ آخرونَ علىٰ تخطئَتي . . وللنَّاظرِ ٱلبحثُ .

ثمَّ ذكَّرني ٱلولدُ ٱلفقيهُ علويُّ بنُ عبدِ ٱللهِ أنَّ ٱلبَحثَ طالَ في ٱلمسألةِ أيَّام تدريسي في « ٱلمنهاجِ » وٱلتزامي بإملاءِ عبائرِ « ٱلتُّحفةِ » و« ٱلنِّهايةِ » و« ٱلأسنىٰ » وحواشيهما مِنْ حِفظي بعدَ ٱلتَّعليقِ وكانَ سيِّدي ٱلوالدُ علويُّ بنُ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ ٱلسَّقَّافُ هوَ ٱلَّذي قلَّدني ذلكَ وٱلعُودُ ريَّانُ ، وٱلعارضُ عريانُ ، وٱلشُّيوخُ كثيرٌ ، وعددُ أهلِ ٱلعلمِ وفيرٌ ، فكنتُ كما قالَ نهارُ بنُ توسعةَ [مِنَ الخفيفِ] :

قلَّـدَتْـهُ عُـرَى ٱلأُمُـورِ نِـزَارٌ ... قَبْـلَ أَنْ تَهْلِـكَ ٱلسَّـرَاةُ ٱلْبُحُـورُ

---

(١) أي : سنة (١٣٥٠هـ) .

لا كما قالَ ٱلأسودُ [مِنَ ٱلوافرِ] :

وَسَادَتْ بَعْدَ مَهْلِكِهِمْ رِجَالٌ   وَلَوْلاَ يَوْمُ بَدْرٍ لَمْ يَسُودُوا

وبما نالَ مِنَ ٱلتَّوفيقِ ، وٱشتملَ ، على ٱلتَّحقيقِ . . كانَ لا يتخلَّفُ عنهُ إلاَّ ٱلشَّاذُّ

قال : ولمَّا قرَّرتَ نحوَ ما هنا . . وافقَ ٱلأكثرونَ ؛ كٱلأجلاَّءِ : ٱلفاضلِ ٱلسَّيِّدِ عبدِ ٱللهِ بنِ حسينٍ[١] ، وٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ حامدِ بنِ عمرَ ، وٱلشَّيخِ محمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ باكثيرٍ ، وٱلشَّيخِ عوضٍ ٱلصَّبَّانِ ، وعمرَ بنِ أحمدَ بنِ جعفرٍ ، وعبدِ ٱللهِ بنِ شيخِ بنِ محمَّدٍ ، وجعفرِ بنِ عبدِ ٱللهِ ، وسالمِ بنِ صافي ، وٱلشَّيخِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ بارجاء ، وغيرِهم .

وخالفَ ٱلشَّيخانِ عمرُ عبيدٍ ومحفوظُ بنُ عبدِ ٱلقادرِ آلُ حسَّان ، وٱشتدَّ ٱلجدالُ ، وتشادقتِ ٱلرِّجالُ ، وأُحضرَ « ٱلإيعابُ » وفيهِ ما هوَ أصرحُ مِنَ « ٱلتُّحفةِ » وقد نظمَهُ[٢] ٱلشَّيخُ مُحَمَّدُ باكثيرٍ بقولهِ [مِنَ ٱلرَّجزِ] :

وَمَنْ يَسِرْ مِنْ نَحْوِ (سَيْئُون) إِلَىٰ   زِيَارَةِ ٱلنَّبِيِّ هُودٍ مَثَلاَ
وَكَانَ لَمَّا وَصَلَ (ٱلْغَنَّا) نَوَىٰ   عَوْداً إِلَىٰ (سَيْئُونَ) بَعْدَ أَنْ أَوَىٰ
فَٱلآنَ لا تُرَخِّصَنْ لَهُ وَلٰـ   ـكِنْ إِنْ يُجَدِّدْ قَصْدَ هُودٍ مُقْبِلاَ
فَفِي ٱلذَّهَابِ وَٱلإِيَابِ كَانَ لَهْ   تَرَخُّصٌ وَٱلنَّقْلُ فِي ذِي ٱلْمَسْأَلَهْ
جَاءَ صَرِيحَ ٱلنَّصِّ فِي « ٱلإِيعَابِ »   عَزَاهُ فِي « ٱلْمَجْمُوعِ » لِلأَصْحَابِ
وَٱلشَّافِعِيُّ وَهْوَ أَنَّ مَنْ أَتَىٰ   لِلْحَجِّ مِنْ بِلاَدِهِ مُوَقِّتَا
ثُمَّ أَتَىٰ (مَكَّةَ) نَاوِياً إِقَا   مَةً تُنَافِي نَحْوَ قَصْرٍ مُطْلَقَا
فَلْيَتَرَخَّصَنْ ذَهَاباً وَإِيَابْ   وَذِي وَتِلْكَ كَٱلْغُرَابِ وَٱلْقِرَابْ

ومعَ هـٰذا أصرَّ ٱلشَّيخانِ عمرُ ومحفوظٌ علىٰ خلافي ، فأنا أُمهِّدُ ٱلعذرَ لِمَنْ أنكرَ عليَّ بَعْدُ ؛ لأَنَّ لَهُ بهـٰذينِ علىٰ ثقوبِ فهمِهما أُسوةً .

---

(١) والد السيد علوي المذكور آنفاً .

(٢) وللشيخ محمد باكثير نظم لكثير من المسائل الفقهية والنحوية وقيودها .

هٰذا حاصلُ ما أَخبرني بهِ ٱلولدُ علويٌّ فتذكَّرتُهُ .

وبعدَ هٰذا كلِّهِ ذكرتُ أَنَّ سيِّدي ٱلأُستاذَ ٱلأَبرَّ عيدروسَ بنَ عمرَ في زيارتهِ ٱلسَّابقِ ذِكرُها أَقامَ بتريم قَبْلَ أَنْ يُنشِىءَ ٱلسَّفرَ إلى ٱلشِّعْبِ أَكثرَ مِنْ أَربعةِ أَيَّام صحيحةٍ وهوَ يقصرُ ويجمعُ كما تقدَّمَ ، وكفىٰ بهِ حُجَّةً ، ولَو أَنَّني ذكرتُ ذلكَ لِعُمَرَ عبيدٍ ومحفوظٍ آلِ حسَّانَ . . لأَذعَنَا لِما ذهبتُ إِليهِ ، ولٰكنَّني نسيتُ ، وما أَنسانيهِ إِلاَّ ٱلشَّيطانُ .

أَمَّا ٱلحديثُ ٱلصَّحيحُ : « لاَ تُشَدُّ ٱلرِّحَالُ إِلاَّ إِلَىٰ ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ » . . فقدِ ٱختُلِفَ فيهِ ، وٱلأَكثرونَ عَلَىٰ أَنَّهُ عامٌّ مخصوصٌ بٱلمساجدِ ، فلا تُشدُّ ٱلرِّحَالُ إِلىٰ شيءٍ مِنها لتقاربِها في ٱلفضيلةِ . . ما عدا ٱلثَّلاثةَ ؛ لتميُّزِها بزيادتِها فيهِ ؛ إِذ لا يحرمُ بٱلاتِّفاقِ شَدُّها للتِّجارةِ وطلبِ ٱلعلمِ وزيارةِ ٱلأَحبابِ وٱلصَّالحينَ منَ ٱلأَحياءِ وما أَشبهَ ذلكَ ، ولٰكن قد نصَّ إِمامُ ٱلحرمينِ ـ ومثلُهُ ٱلقاضي حسينٌ ـ علىٰ تحريمِ ٱلسَّفرِ لزيارةِ ٱلقبورِ ، وٱختارَهُ ٱلقاضي عياضُ بنُ موسى بنِ عياضٍ في « إكمالِهِ » ، وهوَ مِن أَفضلِ متأَخِّري ٱلمالكيَّةِ ، وقَامَ وقعدَ في ذلكَ ٱلشَّيخُ ٱلإِمامُ ٱبن تيميَّةَ ، وخطَّأَهُ قومٌ ، وصوَّبهُ آخرونَ ، ومهما يَكُنْ مِنَ ٱلأَمرِ . . فليسَعْهُ ما وسعَ ٱلجوينيَّ وٱلقاضيَيْن حسيناً وعياضاً ، ولٰكنَّهم أَفردوهُ بٱللَّومِ ، وٱلقولُ واحدٌ .

وقالَ مالكُ بنُ أَنسٍ : من نذَرَ ٱلمشيَ إِلىٰ مسجدٍ مِنَ ٱلمساجدِ ليصلِّيَ فيهِ . . كرهتُ ذلكَ ؛ لقولِهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : « لاَ تُشَدُّ ٱلرِّحَالُ إِلاَّ إِلَىٰ ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ » .

وقالَ ٱبنُ كجٍّ ـ مِن كبارِ أَصحابِ ٱلشَّافعيِّ ـ : إِنَّ ٱلزِّيارةَ قُرْبَةٌ تلزمُ بٱلنَّذرِ .

وٱلخَطْبُ يسيرٌ لم يُوَسِّعهُ إِلاَّ ٱلحسدُ وٱلتَّعصُّبُ ، وإِلاَّ . . فٱلتَّثريبُ في موضعِ ٱلاختلافِ ممنوعٌ .

وأَيَّامُ ٱلشِّعْبِ ـ بما فيها مِنَ ٱلصَّفاءِ وٱلأُنسِ وٱلأَفراحِ وٱلمزاوراتِ ـ أَشبهُ بأَيَّامِ مِنىً[1]

---

(١) وذلك من عدة وجوه ؛ منها : أن الإقامة بها لا تتجاوز الأربعة الأيام . والروحانية العظيمة التي تغمر الحضور . وأن غرض القادمين إليها هو التعبد والخلوة في ذلك الشعب . ووجود الأسواق بها كما في منىٰ . وكونها في واد لا يقصده أحد إلا في أثناء ذلك الموسم وخُلُوّه باقي أيام السنة .

مِنَ ٱلجرادةِ بِٱلجرادةِ ، وفيها ٱلدُّعاءُ يُجابُ ، وٱلغُمَّىٰ تنجابُ[1] ، وٱلرُّحْمَىٰ لا تنتقرُ[2] ، وشَقاشقُ ٱلخطباءِ لا تقرُّ ، وثَمَّ تَذرفُ ٱلعيونُ ، وتغرقُ ٱلجفونُ ، وتبتلُّ ٱلأَردانُ[3] ، وتقشعرُّ ٱلأَبدانُ ، وترجفُ ٱلقلوبُ ، ويحصلُ ٱلمطلوبُ ، ويتحدَّثُ ٱلنَّاسُ في خَطابةِ جدِّي ٱلمحسنِ بتلكَ ٱلمشاهدِ عن أَمرٍ عظيمٍ .

وَقَــدْ عَلِــمَ ٱلْحَــيُّ ٱلْيَمَــانُــونَ أَنَّــهُ إِذَا قَـالَ : أَمَّـا بَعْـدُ . . فَهْـوَ خَطِيبُهَـا[4]

وتنعقدُ ثَمَّ ٱلأَسواقُ ٱلمجلوبةُ إِليها ٱلأَغنامُ وٱلإِبلُ مِنْ أَطرافِ بلادِ ٱلمهرةِ وٱلمناهيلِ ، غيرَ أَنَّ ٱلآخرينَ[5] لا يُمكِّنونَ ٱلأَوَّلينَ[6] مِنْ دخولِها إِلاَّ في ٱليومِ ٱلعاشرِ ، أَمَّا ما قبلَهُ . . فلَهُمُ ٱلأَثَرَةُ به .

ومِنْ وراءِ شعبِ نبيِّ ٱللهِ هودٍ عليهِ ٱلسَّلامُ : **وادي يَنْحُب**[7] ، **ووادي يسحر** .

ثمَّ : **مقاشعُ** ، وهيَ قريةٌ باليةٌ ليسَ بها إِلاَّ ٱلآثارُ ٱلقديمةُ . ثمَّ : **سَنَا** .

وفي « شمسِ ٱلظَّهيرةِ » [٣٢٨/١] في ذِكرِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بنِ أَحمدَ يحرِ بنِ مُحَمَّدٍ حذلقات : (مِنْ عَقِبِهِ آلُ بيتِ ٱلهادي بٱلباديةِ : بٱلجَزْعِ وراطح ، وآلُ بارُزينةَ بالجَزْعِ ، وسنا قُرْبَ هودٍ ، وَآلُ مخضرم بسَنَا وقُعْمَه) اهـ

وفيها أُناسٌ مِنْ آلِ تميمٍ .

وٱلظَّاهرُ أَنَّ سنا على ٱسمِ : سنا بنِ ٱلسَّكونِ بنِ ٱلأَشرسِ بنِ كِنْدَةَ ؛ فقد جاءَ في

---

(١) تنجاب : تنشقُّ .

(٢) تنتقر : تختص أَحداً دون أَحد .

(٣) الأَردان : الأَكمام ، وهو كناية عن شدَّة البكاءِ ؛ حيث لم يبق مع الباكي مناديل يمسح دموعه بها فيمسحها بأكمامه .

(٤) البيت من الطَّويل .

(٥) أي : المناهيل .

(٦) أي : أهل المهرة .

(٧) بفتح فسكون فضم ، وادٍ بالغرب من سنا فيما وراء شعب النبي هود ، وهو من الأودية التي تسيل من نجد المناهيل فتصب جنوباً في وادي حضرموت . « مقحفي » (١٩٢٦/٢) .

« روضةِ ٱلألبابِ وتحفةِ ٱلأحبابِ » لعزِّ ٱلإسلامِ محمَّدِ بنِ عبدِ ٱلله بنِ عليِّ بنِ ٱلحسينِ ٱلشَّهيرِ بِأَبي علامةَ : أَنَّ تَرِيمَ وشِبَامَ وسنا بنو ٱلسَّكونِ بنِ الأَشرس بنِ كِنْدةَ بنِ عفيرٍ ، وذكَرَ أن تريماً وسنا بحضرموتَ .

وقد سبقَ هـٰذا في شبامٍ ، لـٰكنَّ ٱلمقصودَ هنا : كَوْن سنا بحضرموتَ ، سواءٌ كانَ ٱبنَ ٱلسَّكونِ أَوِ ٱبنَ حضرموتَ .

ومن أَقربِ شيءٍ أَن تكونَ سنا هـٰذه على ٱسمِهِ حَسَبَما جرت عادَتُهم بذلكَ مِن تسميةِ ٱلبلادِ بأَسماءِ ٱلسُّكَّانِ .

وفي آخرِ « فتاوىٰ شيخِنا ٱلمشهورِ » عنِ ٱلغسَّانيِّ : أَنَّ حضرموتَ ٱبنُ سبأٍ ٱلأَصغرِ ؛ فمن ولدِهِ : ٱلحارثُ وفُوَّه وسيبانُ وربيعةُ وشبامُ وسبأٌ . اهـ وٱلظَّاهرُ أَنَّ سبأَ ٱلمعطوفَ على شبامٍ محرَّفٌ عن سنا بٱلفوقيَّةِ ؛ ليوافقَ ما في « روضةِ ٱلألبابِ » من جهةٍ .

طُبُوقَمْ

علىٰ عشرينَ ساعة مِنْ سنا إِلىٰ جهةِ ٱلشَّرقِ بُلَيدةٌ يقالُ لَها : طُبُوقَم ، لا يُقيمُ بها ٱلسُّكَّان إِلاَّ ريثما يزرعونَ ويَحصدونَ .

وقُبيلَها : موضعُ سدِّ سنا[1] ٱلسَّابقِ ذِكرُهُ في ٱلحسيِّسةِ ـ على ٱلصُّورةِ ٱلمذكورةِ آخِرَ هـٰذهِ ٱلصَّفحةِ ـ فٱلأُخدودُ ما بينَ ٱلخطَّينِ ٱلأَحمرينِ ، وقدِ ٱنخفضَ ٱلآنَ ٱنخفاضاً هائِلاً .

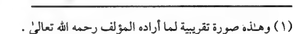
وٱلبياضُ ٱلَّذِي بجانبَي ٱلخطَّينِ ٱلأَحمرين وٱلأَزرقينِ هوَ مستوى ٱلأَرضِ .

(١) سد سنا : هو سدٌّ قديم كانت تنهر إليه سيول الأمطار النازلة من نجد المناهيل ثم تذهب إلى بلاد المهرة . وقد كانت المنطقة الواقعة بين قبر هود عليه السلام ووادي سنا من أخصب البقاع في حضرموت ، ومن أكثرها خيرات وأوفرها غلاّت ، ولـٰكن حينما انهدّ هـٰذا السد الذي كان قائماً في شمال وادي سنا فيما يرجع إلى ما قبل الإسلام . . أجدبت تلك المنطقة وأجدب معها كل الوادي إلى المهرة . اهـ « مقحفي » (١/ ٨١٤) .

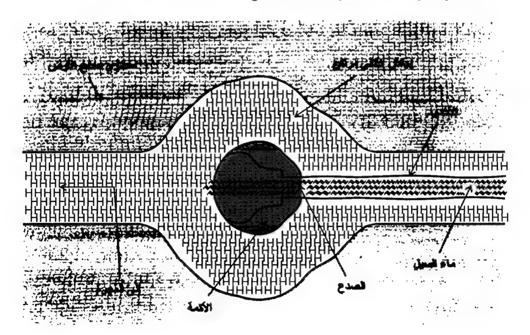
والبياضُ الهلاليُّ في الجانبينِ كانَ مرتفعاً عن سطحِ الأَرضِ بقليلٍ ، ومنـهُ تفيضُ السُّيـولُ ؛ لأَنَّها متىٰ أَقبلتْ . . صدمَتْها الآكامُ المرسومةُ بالحمرةِ فارتدَّتْ إِلىٰ جانبَيها المرسومَين بالزُّرقةِ ، ثمَّ لا تفيضُ إلا مِن ذينِكَ الجانبَينِ ، ومنهما تنهرُ إِلىٰ أَرضِ المهرة ، غيرَ أَنَّ الأَكمةَ المرسومةَ بالحُمْرةِ كانت رخوةً فصدَعَها السَّيلُ ، ومنذُ جرَفَتْها . . بدأَ يخدُّ في الأَرضِ ، فارتفعَ سطحُها عن مجرى السَّيلِ ، وكلَّما أَعمقَ الماءُ في الأُخدودِ . . زادَ حرمانُها مِنَ الماءِ .

وزعمَ بعضُ أَهلِ الحَدْسِ والنَّظرِ مِنْ أَهلِ شبام أَنَّهُم يعرفونَ وصولَ ماءِ السَّيلِ إِلى النُّقرةِ بزيادةِ جَري الماءِ في المسيالِ الواقعِ في جنوبِ شبام ؛ إِذْ يكونُ جَريُهُ قَبْلَ وصولِها رهواً ، فإِذا انتهىٰ إِليها . . اشتدَّ جدّاً . وهوَ مقبولٌ ؛ إِذْ قالوا بأَنَّ الحجرَ السَّاقطَ مِنْ علوٍّ أَو الماءَ المنصبَّ منهُ تتضاعفُ قوَّتُهُ بمقدارِ بُعدِ المسافةِ ، وهـٰذا مِنْ نوعهِ ، وقد سَبَقَ في النُّقرةِ والحسيِّسةِ والكَسْرِ ما يتعلَّقُ بهـٰذا[1] .

* * *



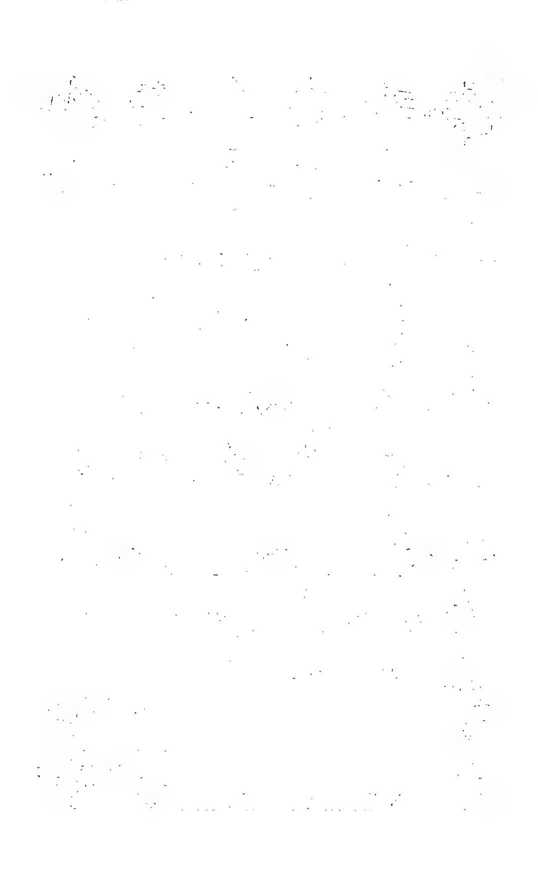
(1) وهـٰذه صورة تقريبية لما أراده المؤلف رحمه الله تعالىٰ .





القسمُ ٱلثَّالثُ

في نجودِ حضرموتَ مِن أَعلاها إلىٰ أَسفلِها



القسمُ ٱلثَّالثُ
في نجودِ حضرموتَ مِن أَعلاها إِلىٰ أَسفلِها

اِعلم : أَنَّ ما سبقَ في ٱلقسمَينِ ٱلأَوَّلِ وٱلثَّاني كلُّه غَوْرٌ[1] ، إلاَّ ما كانَ مِن نحوِ ٱلضُّلَيعةِ وبعضِ ما قبلَها في ٱلثَّاني ؛ فإِنَّها مِنَ ٱلسَّوْطِ ؛ فإِنَّهُ نَجْدٌ في رأْسِ جبلٍ ، فيهِ مضاربُ آلِ بَلْعبَيد ، وهم قبيلةٌ لا تزالُ لها خشُونَـتُها إِلى ٱليوم ـ كما سبقَ ـ لا يبالونَ بعسكرِ ٱلقُعيطيِّ ، بل كلَّما لاقَوهم.. قتلوهم . وهم عدَّةُ ديارٍ : آلُ مزعب ، وآلُ باكِرْش ، وٱلجَهْمةُ ، وسَلْمٌ ، وبلَّحْولِ ، يُقدَّرُ مجموعُهُم بثلاثة آلاف رامٍ .

وفي « سبائِكِ ٱلذَّهبِ » : (أَنَّ بني ٱلعُبَيدِ ـ بضمِّ ٱلعينِ ـ : بطنٌ من سَلِيحٍ مِن قضاعةَ ، وهم مِن أَشرافِ ٱلعربِ ، وإِليهم يشيرُ ٱلأَعشىٰ بقولِهِ [في « ديوانهِ » ١٣٥ مِنَ ٱلوافر] :

. . . . وَلَسْـتَ مِـنَ ٱلْكِـرَامِ بَنِـي ٱلْعُبَيْـدِ

وٱلنِّسبةُ إِليهم : عُبَدِي ؛ كما قالوا في هذيل : هُذَلي) .

وقال في « العبر » : (كانَ لهم ملكٌ يتوارثونَهُ بٱلحصنِ ٱلحصينِ ٱلباقيةِ آثارُهُ في بَرِّيَّةِ سنجارٍ مِنَ ٱلجزيرةِ ٱلفراتيَّةِ ، إِلىٰ أن كانَ آخرهم ٱلضَّيزَنُ بنُ معاويةَ بن ٱلعبيدِ) اهـ

وٱلعُبَيدُ هوَ ٱبنُ ٱلأَبصرِ بنِ عمرِو بنِ أَشجعَ بنِ سليحِ بنِ حُلْوانَ بنِ عمرانَ بنِ ٱلحافي بنِ قضاعةَ .

وممَّا يتأَكَّدُ بهِ كونُ آلِ بلْعُبَيدِ أَهلِ ٱلسَّوطِ هم مِن هٰؤلاء.. وجودُهم في نواحي قُضَاعَةَ ، وقربُهم من يبعثَ ، وقد سبقَ فيهِ أَنَّ سكَّانَهُ ٱلَّذينَ كتبَ إِليهم رسولُ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ مِن أَبناءِ ضمعجٍ ، وهوَ قريبٌ من ضعجم ، وأَنَّ ضَعْجَم هوَ

---

(١) أي : منخفض من الأرض .

ٱبنُ سعدِ بنِ سليحِ بنِ حُلْوانَ بنِ عمرانَ بنِ ٱلحافي بنِ قضاعةَ .

ولسُليحِ ٱلقُضاعيِّ خبرٌ مع غَسَّانَ ٱستوفاهُ ٱبنُ شَريّة[1] ، وسبقَ ذروٌ منهُ في يبعِثَ .

وأَمَّا نُجُودُ حضرموتَ . . فقسمانِ :

أَحدُهما : ٱلجنوبيُّ ؛ وفي أَعلاهُ : كَوْرُ سَيْبَانَ ، وٱلحالكةُ ، وٱلعكابرةُ ، وٱلخِرْبةُ ، وبَحْسَن .

ومنها تكونُ ٱلطَّريقُ مِنَ ٱلسَّاحلِ إلىٰ وادي حُمَمٍ ، ثمَّ ٱلخريبةُ ، ودوعنُ .

ووادي حُمَم[2] ، هوَ وادٍ طويلٌ كثيرُ ٱلنَّخيلِ وٱلأَشجارِ وٱلعيونِ ، يسكنُهُ آلُ باهَبْريٍّ ، مِنْ قديمِ ٱلزَّمانِ ، ولهم ذِكرٌ كثيرٌ ولا سيَّما في حروبِ ٱلقرنِ ٱلعاشرِ ، وفيهِ ناسٌ مِنَ ٱلسَّادةِ آلِ ٱلعطَّاسِ وغيرِهم .

ثم : **حُوَيرة**[3] .

ومنها تنشعبُ ٱلطُّرقُ إلىٰ وادي ٱلعينِ ، وإلىٰ وادي بن عليّ .

وفي شمال حويرةَ إلى ٱلشَّرقِ : **ريدةُ ٱلمَعَارَّةِ وريدةُ ٱلجُوهيِّينَ** ، ومِنهما تَشْرعُ ٱلطُّرقُ إلىٰ حضرموتَ ، وإلىٰ **عقبةِ ٱلفِقْره** ، **وعقبةِ ٱلعَرْشه** ، **وعقبةِ عبدِ ٱللهِ غريبٍ** ، **وعقبةِ عِثِه** ، تنزلُ هـٰذهِ كلُّها إلى ٱلسَّاحلِ ، وقد أُصْلحت في ٱلأَخيرِ طريقٌ للسَّيَّاراتِ في هـٰذا ٱلجبلِ .

وٱلمسافةُ بمشيِ ٱلسَّيَّارةِ بٱلتَّقريبِ مِنَ ٱلغُرَفِ إلىٰ أَوَّلِهِ ـ عقبة الغُزّ ـ نحوُ ثلاثِ

---

(١) هو عُبَيد بن شَرِيَّة الجُرْهُمي ، توفي حوالي (٦٧هـ) ، راوية من المعمرين ، إن صح وثبت وجوده . . فهو أول من صنف الكتب من العرب ، مما ينسب له : « كتاب الملوك وأخبار الماضين » طبع مع كتاب : « التيجان وملوك حمير » المنسوب لابن هشام ، وسمّاه ناشره : « أخبار عبيد بن شرية في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها » . وله : « كتاب الأمثال » ، ويرى بعض المستشرقين أن عبيداً هـٰذا من مخترعات بعض المؤرخين ، ينظر : « الأعلام » (٤/١٨٩) .

(٢) ينظر في وصف هـٰذا الوادي والطريق المؤدية من الساحل عبره إلى وادي دوعن . . كتاب « الشامل » (٨٩ ـ ٩١) وما بعدها .

(٣) حويرة : قرية ووادٍ في طريق القوافل للقادم من الحرشيات ، ورأس حُوَيرة الآن هو مفرق الطرق المؤدية إلى وادي دوعن الأيمن والأيسر ، ينظر تفصيل هـٰذه الطريق في « الشامل » (٩١ـ٩٣) .

ساعاتٍ ، ومنها إلىٰ ريدةِ ٱلجُوهيِّينَ وٱلمعَارَّةِ ثلاثُ ساعاتٍ .

ومنَ ٱلرَّيدتينِ إلىٰ عقبةِ ٱلفِقْره يكثرُ ٱلازوِرارُ وٱلانعطافُ ؛ لكثرةِ ٱلقُورِ وٱلشَّناخيبِ بذلكَ ٱلطَّرَفِ ، فبطنُ ذلكَ ٱلجبلِ ٱلَّذي يلي حضرموتَ أشبهُ بظهرِ ٱلضَّبِّ ، وأمَّا ما يلي عقبةَ ٱلفِقْرِه في شمالِها . . فأشبهُ بذَنَبِهِ ، وٱلسَّيَّاراتُ فيهِ يحيطُ بها خطَرُ ٱلسُّقوطِ إذا لم يَمْهَرِ ٱلسَّائقونَ .

وٱلمسافةُ إلى ٱلفِقْره نحوُ ثلاثِ ساعاتٍ .

ومنها إلى ٱلشّحرِ نحوُ ساعتينِ[1] .

وفي هٰذا ٱلنَّجْدِ **جَوْلُ عبول** ، وهوَ ٱلَّذي توفِّيَ به سيِّدُنا ٱلعيدروسُ ٱلأكبرُ مرجعَهُ مِنَ ٱلشِّحرِ إلىٰ تريمَ[2] ، علىٰ ثلاثِ مراحلَ مِن تريمَ ومرحلتينِ مِنَ ٱلشِّحرِ .

وفيه أيضاً : **مَقَدُ ٱلعَبِيدِ**[3] ، سمِّيَ بذلكَ لسببٍ يتعالَمُ بهِ ٱلحضارمةُ ولا ندري ما نصيبُهُ مِنَ ٱلصِّحَّةِ ، إلاَّ أنَّ آثارَ ٱلقبولِ ظاهرةٌ عليهِ ؛ وهوَ : أنَّ أحدَ سلاطينِ حضرموتَ باتَ بهِ معَ عبيدِهِ في ليلةٍ شاتيةٍ ، وهوَ ممَّا ينطبقُ عليهِ قولُ أبي ٱلطَّيِّبِ [في « العُكبريّ » ١٨/١ مِنَ ٱلكاملِ] :

وَعِقَابُ لُبْنَانٍ وَكَيْفَ بِقَطْعِهَا ... وَهُوَ ٱلشِّتَاءُ وَصَيْفُهُنَّ شِتَاءُ

فجمعوا عليه ٱلرِّحالَ وٱلفراشَ ، وباتوا هم في نقلِ ٱلحجارةِ مِن مكانٍ إلىٰ آخرَ . . فٱندفعَ عنهُم ٱلبردُ بحرارةِ ٱلأعمالِ ، وأصبحَ ٱلسُّلطانُ ميتاً مِن شدَّتِهِ .

وفي أواخرِ هٰذا ٱلنَّجْدِ : **غَيْلُ بنِ يُمَينٍ**[4] ، ولسويدِ بنِ يُمَينٍ ذِكرٌ كثيرٌ في شعرِ إمامِ ٱلإباضيَّةِ إبراهيمَ بنِ قيسٍ ، وقلتُ في « **ٱلأصل** » : يحتمِلُ أن يكونَ سويدٌ صاحِب

---

(١) لمعرفة تفاصيل هٰذه الطرق والوديان . . يراجع « الشامل » (٩١) و(١٠٣) وما بعدها .

(٢) « المشرع » (٢/ ٣٦١) .

(٣) وهٰذا المقد في طريق النازل من رأس حويرة إلى وادي دوعن ، والمقد : هو كل موضع جبلي صعب الصعود ، وأطلق على بعض المواضع .

(٤) غيل بن يمين : بلدة في وادي المسيلة ، ترتبط إدارياً بمديرية الشحر ، وتبعد عنها أكثر من (٢٠٠كم) ، كما تبعد عن سيئون نحو (١٥٠كم) ، وتصب سيولها في وادي سنا .

هـٰذا ٱلغَيل ، ويحتملُ أَن يكونَ ٱلمرادُ مِن شعرِ إبراهيمَ إنَّما هوَ جدُّ آلِ يُمَينٍ ٱلنَّهديِّينَ ٱلموجودينَ ٱليومَ بٱلسُّور ، وسُفُولةِ ٱليَمْنة ، علىٰ مَقْرُبةٍ مِن طريقِ حُرَيضةَ .

وقد سَبَقَ في حجرٍ : أَنَّ طائفةً مِن آلِ دَغَّارٍ يُقالُ لها : آلُ ابن يمين لا تزالُ بقاياها بقريةٍ في حجرٍ يُقالُ لها : ٱلحسينُ ، فلا يبعدُ أَن تكونَ هي ، لا سيَّما وأَنَّ ٱلقرائنَ ٱلمتوفِّرةَ في شِعرِ إبراهيمَ بنِ قيسٍ تؤَكِّدُ ذلكَ .

ويُقالُ للغيل ٱلمذكورِ : غيلُ ٱلشَّناظيرِ أَيضاً ؛ نِسبةً ليافعٍ ٱلَّذينَ ٱستولَوا عليهِ وقتَ ٱقتسامِهم لحضرموتَ .

وفي حوادثِ سنةِ (٩٣٦هـ)[1] ٱستولى ٱلسُّلطانُ بدرُ بوطويرقٍ علىٰ غيلِ ابن يُمَينٍ ، ونهبَ أَولادَ يُمَينٍ وطرَدَهُم ، فلجؤوا إلى ٱلحُمُوم ، وما كادَ يتَّصلُ هـٰذا ٱلخبرُ بٱلسُّلطانِ محمَّدٍ أَخي بدرٍ بوطويرقٍ . . إلاَّ وتكَدَّرَ وٱغْتَاظَ وأَظهرَ أَنَّهُ محشومٌ ، وٱتَّسعَ ٱلخلافُ بينَهُ وبينَ أَخيهِ ، إلىٰ أن سَفَرَ ٱلمصلِحُونَ ، وأَرجعَ بدْرٌ أَمْرَ ٱلغيلِ إلىٰ أَخيه محمَّدٍ فردَّهُ لأَولادِ يُمَينٍ .

وفي رحلةِ ٱلسُّلطانِ عمرَ بنِ صالحٍ هرهرةَ أَنَّ جعفرَ بنَ يُمَينٍ قُتِلَ مَعَ ٱلسُّلطانِ عمرَ بنِ جعفرٍ ٱلكثيريِّ في ٱلمعركةِ ٱلَّتي كانت بينَ يافع وآلِ كثيرٍ في بَحْرانَ سنةَ (١١١٧هـ) .

وللغيل هـٰذا ذكرٌ كثيرٌ في أَخبارِهم وحروبِهم ، ثمَّ ٱستولت عليهِ طائفةٌ مِن يافع يقالُ لهمُ ٱلشَّناظيرُ ، ولذا يَنْسبُهُ بعضهم إليهم كما سبقَ في تريمَ .

وسيولُ هـٰذا ٱلغيلِ تدفعُ إلىٰ وادي سنا ، وأَمَّا ماؤُهُ ٱلجاري . . فٱلغالبُ عليهِ ٱلإهمالُ .

وهوَ مِنَ ٱلنُّقاطِ ٱلمعيَّنةِ لسلاطينِ آلِ عبدِ ٱللهِ ٱلكثيريِّ في ٱلمعاهدةِ ذاتِ ٱلإحدىٰ عشرة مادَّةً ، ولم يُذْكَر في وثيقةِ ٱقتسامِ ٱلمَمَالكِ بينَ ٱلسُّلطانَينِ منصورٍ ومحسنٍ ٱبني غالبِ بنِ محسنٍ ، ٱلمحرَّرةِ فاتحةَ رجبٍ سنةَ (١٣٣٦هـ) ، فهو باقٍ بينَهم على

---

(١) تفاصيلها في « تاريخ بافقيه » (١٩٢) .

ٱلشَّرِكَةِ ٱلشَّائعةِ ، وأَكثرُ مُعَوَّلِ ٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ في حمايتِهِ على ٱلحُمُومِ إِزاءَ ٱمتيازاتٍ لهم فيهِ ، وهمُ ٱلَّذينَ طَردوا عنهُ ٱلشَّناظيرَ مِن يافعٍ سنةَ (١٢٧٥هـ) .

وفيه جماعةٌ من ذرِّيَّةِ ٱلسَّيِّدِ عمرَ بنِ أَحمدَ بنِ قَطْبَانَ ، وبٱلباديةِ حواليَهِ جماعةٌ مِن باديةِ ٱلعلويِّينَ[1] كبيتِ سَهْلٍ ، وبيْتِ حُمُودة ، وبيتِ قَرْمُوصٍ ، وبيتِ عقيلٍ ، وبيتِ ٱلحَنْشَشِ ، وبيتِ مِحْسِن ، وبيتِ ٱلأَخْسَفْ ، وبيتِ كَدْحُوم[2] .

منهم جماعةٌ ٱشتَهروا بٱلنَّجدةِ وٱلشَّجاعةِ ٱلخارقةِ ؛ كٱلسَّيِّدِ حسنٍ بالحنشَشْ ، وٱلسَّيِّدِ عميرٍ ؛ فقد كانا مضربَ ٱلمثلِ في ذلك .

. . . . إِنْســاً إِذَا نَــزَلُــوا ، جِنّــاً إِذَا رَكِبُــوا

لا ، بل كانوا جنّاً وشياطينَ دائماً ، حتَّىٰ إِنَّ ٱلأُمَّهاتِ ليُرَوِّعْنَ بهمُ ٱلصِّبيانَ ليسكتوا عنِ ٱلبكاءِ ؛ لأَنَّهم مِن أَكثرِ ٱلنَّاسِ شرّاً وقيادةً للغارات .

ومنها غارةٌ سنةَ (١٣١٨هـ) ؛ فقد نهبوا قافلةَ ٱلحجيجِ ٱلصَّادرةِ مِنَ ٱلمكلاَّ إِلىٰ حضرموتَ ، وفيها ٱلسَّيِّدُ سالمُ بنُ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ محمَّدٍ ٱلسَّقَّافِ ، وٱلسَّيِّدُ عبدُ ٱلرَّحمـٰنِ بنُ عبدِ ٱلقادرِ ٱلبحرِ ، وكانَ ٱلسَّيِّدُ حسنٌ بالحنشَشْ هوَ ٱلقائدُ ٱلعامُّ لتلكَ ٱلغزوةِ ، غيرَ أَنَّهم بعد ما نهبوا ٱلحاجَّ . . هاجَمتْهم سيْبَانُ وٱلعوابثةُ وهم غارُّون فقتلَت منهم نحواً من خمسينَ ، وأَخذَت ما ٱستولَوا عليها مِن أَموالِ ٱلحُجَّاجِ علىٰ نيَّةِ إِرجاعِهِ لهم ، ثمَّ خاسُوا بتلكَ ٱلنِّيَّةِ ، وبينا هم يقتسمونَ . . عطفَ عليهمُ ٱلسَّيِّدُ حسنٌ بالحنشش بقومِهِ وكثُرَتِ ٱلقَتْلىٰ مِنَ ٱلجَانِبَيْنِ ، ولم يحجُزْ بينهم إِلاَّ حرُّ ٱلنَّهارِ ، وكانَ ٱلوقتُ خريفاً .

---

(١) بادية العلويين تنسب إما : إلى أحمد بن أبي بكر السكران ، ومنهم الذين ذكرهم المؤلف ، أو : إلى علوي بن محمد مولى الدويلة ؛ ومنهم : آل زحوم ، وبيت فدعق ، أو : إلى أحمد بن الفقيه ، ومنهم : بيت بوبكر ، وبيت الرديني « المعجم اللطيف » (٦٢ـ٦٦) .

(٢) في « المعجم اللطيف » لم يذكر هـٰذا الاسم ، لـٰكن ذكر بيت دحوم وبيت كُحُوم وهم من آل أحمد السكران ، وبيت زحوم من آل مولى الدويلة ، وهم غير آل زحوم آل باجبّار ، من فروع آل باجابر سكان بروم . . فليعلم .

وهٰذه من كُبْرَيات حوادثِ باديةِ حضْرَمَوتَ إِن لم تكن أَكْبَرَها على ٱلإِطلاقِ ؛ فلقد أَنْـتَنَتْ مِن جِيَفهمُ ٱلجبالُ وسَنِقَت ٱلوحوشُ[1] مِن لحومِهم .

وفي ٱلنَّاحيةِ ٱلغربيَّةِ مِن هـٰذا ٱلنَّجدِ طريقٌ أُخرىٰ للسَّيَّاراتِ ، تخرجُ مِنَ ٱلمكلاَّ ، وتمرُّ في أعلىٰ وادي حممٍ إِلىٰ جبالِ دوعنَ ، ثمَّ تنزلُ بجحيِ ٱلخنابشةِ ، ومنهُ إِلى ٱلكسرِ ، ثمَّ إِلىٰ شِبَامٍ .

وهناكَ تتَّصلُ ٱلطَّريقانِ ، وتدخلُ في كلٍّ واحدٍ مِنَ ٱلنَّجدينِ أَوديةٌ كثيرةٌ كَعمدٍ ووادي دَوعَنَ ووادي ٱلعينِ ووادي بن عليٍّ وشحوحٍ ووادي تاربه وبايوت وٱلقرى ٱلَّتي في جنوبِ ٱلغُرفِ إِلىٰ عقبةِ ٱلغزِّ .

فهـٰذهِ كلُّها داخلة في ٱلنَّجدِ ٱلجنوبيِّ ، وكوادي سر ويَبهوض وجُعيمه ووادي مدرٍ ووادي ٱلذَّهبِ وٱلخونِ وغيرِها ، فكلُّها داخلة في ٱلنَّجدِ ٱلشَّماليِّ كما سنذكرهُ بعدَ أَسطرٍ .

وأَمَّا ٱلثَّاني : فٱلنَّجْدُ ٱلشَّماليُّ[2] ؛ وهوَ جبلٌ ينقَادُ من قُرْب سَيْحُوتَ شرقاً إِلىٰ محاذاتِ ٱلعَبرِ غرباً ، إِلاَّ أَنَّهُ يستدقُّ في طرفَيهِ ، وتعقُبُهُ في ٱلغربِ آكامٌ وقُورٌ[3] . وعَرْضُهُ تارةً ينبسطُ إِلىٰ مسافةِ ثمانيةِ أَيَّامٍ ، وأُخرىٰ ينقبضُ إِلىٰ خمسةِ أَيَّامٍ فقط ، ومنهُ تنشعبُ ٱلأَوديةُ إِلىٰ وادي **ٱلجابيةِ** ، **ووادي سور** ، **ووادي هينَن** ، **وأَوديةِ سَرْ** ، **وجعيمه** ، **ومدَرْ** ، **وثِبِي** ، **ووادي ٱلغبيرا ٱلَّذي** ينهرُ إِلىٰ دمُّونَ ، **ووادي ٱلخُونِ** ، **وسويدفٍ** ، **ووادي عردِه** ، **ووادي طُبُوقم** مِن **أَوديةِ ٱلظَّنِّيِّ** ، وبعدَهنَّ **وادي عشارهم** ، وهوَ مِن **أَوديةِ ٱلمهريِّ** وغيرِها .

وٱرتفاعُهُ مِن جهةِ ٱلشَّمالِ إِلى ٱلرِّمالِ أَقلُّ مِن ٱرتفاعِهِ في جهةِ جنوبِهِ إِلىٰ حضرموتَ بكثيرٍ ، حتَّىٰ لقد تختلطُ أَطرافُهُ برمالِ ٱلدَّهناءِ ، كما سيأتي عن بيرِ ثمودَ .

---

(١) سنقت : شبعت إِلىٰ حدِّ ٱلتُّخَمَةِ .

(٢) ينظر تفاصيل جغرافية هـٰذا النجد في « الشامل » (١٢٠ـ وما بعدها) .

(٣) تكررت كلمة قور ، ولعل المراد بها جمع قارة ، والقارَة : هي الأرض ذات الحجارة السوداء ، أو هي الجبل الصغير المنقطع عن الجبال .

وفي أَوَّلِ هـٰذا ٱلنَّجْدِ غرباً : **ريدةُ الصَّيْعَرِ**[١] ، قالَ ٱلهمدانيُّ في عدادِ قرىٰ حضرموتَ : (وريدةُ ٱلعُبادِ وريدةُ ٱلحَرَميَّةِ)[٢] .

وقالَ عمرُو بنُ معدِ يكربَ ٱلزُّبيديُّ [مِنَ ٱلوافرِ] :

أُولَـٰئِـكَ مَعْشَـرِي وَهُـمُ خَيَـالِـي ... وَجَـدِّي فِـي كَتِيبَتِهِـمْ وَمَجْـدِي

هُـمُ قَتَلُـوا عَـزِيـزاً يَـوْمَ لَحْـجٍ ... وَعَلْقَمَـةَ ٱبْـنَ سَعْـدٍ يَـوْمَ نَجْـدِ

وما أَظنُّهُ يعني إلا هـٰذا النَّجْدَ ؛ لأَنَّهُ أَقامَ طويلاً علىٰ مقربةٍ منهُ بٱلكسْرِ .

وٱلصَّيعَرُ ـ كما عندَ ٱلهمدانيِّ[٣] وأَجمعَ عليهِ مؤرِّخو حضرموتَ ـ : قبيلةٌ مِنَ ٱلصَّدِفِ تنسبُ إليها ريدةٌ ؛ ليفرِّقَ بينَها وبين ريدةِ أَرْضينَ[٤] .

وقالَ في موضعٍ آخرَ : (وكانَ ٱلصَّدفُ بحضرموتَ مِن يومِ هم ، ثمَّ فاءَت إِليهِم كندةُ بعدَ مقتلِ ٱبنِ ٱلجَونِ يومَ شعبِ جبلةَ لمَّا ٱنصرفوا عن غمرِ ذي كندةَ ، وفيهمُ ٱلصَّدفُ ، وتجيبُ ، وٱلعُبادُ مِن كندةَ ، وبنو معاويةَ بنِ كندةَ ، ويزيدُ بنُ معاويةَ ، وبنو وهبٍ ، وبنو بَدّا بنِ ٱلحارثِ ، وبنو ٱلرَّائشِ بنِ ٱلحارثِ ، وبنو عمرَ[٥] بنِ ٱلحارثِ ، وبنو ذُهَلِ بنِ معاويةَ ، وبنو ٱلحارثِ بنِ معاويةَ ، ومِنَ ٱلسَّكُونِ فرقةٌ ، وفرقةٌ مِن همدانَ يقالُ لهمُ : ٱلمَحَاتل ، وفرقَةٌ مِن بلْحَارِثِ بنِ كعبٍ بريدةِ ٱلصَّيعرِ ، وإليها تنسبُ ٱلإبلُ ٱلصَّيْعَرِيَّةُ ، وٱلأَسْلَّةُ ٱلصَّيْعَرِيَّةُ ، وفيها يقولُ طَرَفَةُ [في « ديوانِهِ » ٢٠٢ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

---

(١) تقع منطقة الصيعر في شمال غرب حضرموت ، **يحدها من الشمال** : الربع الخالي ، **ومن الجنوب** : هينن ، وسور ، وحصن الغراب ، **ومن الغرب** : الربع الخالي ويافع ، **ومن الشرق** : وديان سَرْ .
وهـٰذه المنطقة من أقفر مناطق القطر الحضرمي وأجدبها ، وأنزرها ماءً ، وتنعدم النباتات في المرتفعات ، ولا ترى هناك أثراً يدل على الحياة ، وفي المنخفضات توجد شجيرات النبق والسنط وقليل من الأعشاب القصيرة . « تاريخ البكري » (٢/١٠٨ ـ ١٠٩) .

(٢) صفة جزيرة العرب (١٧٠) .

(٣) في « الإكليل » (٢/ ٤١) .

(٤) ونسبهم كما في « الإكليل » : (بنو الصيعر بن الأشموس بن مالك بن خريم بن مالك الصدفي) اهـ

(٥) في « الصفة » : (عمرو) .

وَبِـالسَّفْـحِ آيَـاتٌ كَـأَنَّ رُسُـومَهَـا يَمَـانٍ وَشَتْـهُ رَيْـدةٌ وسُحُـولُ) اهـ[1]

وقد ناقَشْتُهُ في « الأَصلِ » إذ زعمَ أَنَّ فِئَةَ كندةَ إلى الصَّدفِ بحضرموتَ أَوَّلُ عهدِهم بها ؛ إذ لا يتَّفقُ معَ وجودِ السَّبعينَ مَلِكاً منهم بها مَتَوَّجين ؛ آخرُهمُ الأَشعثُ بنُ قيسٍ .

وقد صرَّحَ بأَنَّ العِبادَ من كندةَ ، وفي « التَّاجِ » [٨/٣٣٨] و« أَصلِهِ » : (أَنَّ العِبَادَ مِنَ القبائلِ الشَّتى الَّتي اجتمعَت على النَّصرانيَّةِ ، معَ احتمالِ أَن يكونَ جَدُّ العِبَادِ الكنديِّينَ أَحدَ أُولئكَ ؛ فإِنَّهُ لا مانعَ منهُ) .

وفي [٨/٧٨] من « خزانةِ الأَدب » للبغداديِّ : (أَنَّ الصَّدفَ بطنٌ مِن كِندةَ يُنْسَبونَ اليومَ إِلىٰ حضرموتَ) اهـ

وقد تفرَّعَ كثيرٌ مِن قبائلِ حضرموتَ عنِ الصَّيْعرِ كما تكرَّرَ مثلُهُ في هـٰذا المجموعِ كآلِ باجَمَّالٍ ، وآلِ باصُهَي ، وآلِ بابَقِي ، وآل باحَنِين ، وآلِ باكثيرٍ ، وآلِ الجَرْوِ ، وآلِ باحُلْوانَ ، وآلِ باغَانمٍ ، وكانوا ببورٍ ، وآلِ بامَطْرفٍ ، وآلِ بامزروعٍ .

وبقيَ أَهلُ الرَّيدةِ علىٰ حالِهم لم يتغيَّرِ اسمُهم ولا اسمُ بلادِهم ، وقد سبقَ في الغرفةِ وغيرِها أَنَّ آلَ باحلوانَ مِن قضاعةَ .

والصَّيعرُ قبيلتانِ : آل مسَلَّمٍ ، وآلُ حَاتِمٍ ، وكلُّ قبيلةٍ تنقسمُ إِلىٰ بطونٍ كثيرةٍ[2] ،

---

(١) صفة جزيرة العرب (١٦٦) .

(٢) **الصيعر** : من بادية حضرموت ، ومرجعهم إلى كندة ، وهم كما في « الإكليل » للهمداني (٢/ ٤١) : من بني الصيعر بن الأشموس بن مالك بن حريم بن مالك الصدفي .
وهم قسمان كبيران : آل علي بلَّيث ، وآل محمد بلَّيث ، ومساكنهم في شمال غرب حضرموت ، ويحد أرضهم من الشمال : الربع الخالي ، ومن الجنوب : الكرب ونهد وحضرموت ، ومن الشرق : العوامر من المشقاص ، ومن الغرب : بلاد دَهْم ويام وعَبيدة . وتسمى هـٰذه المنطقة : حجر الصيعر ، أو : ريدة الصيعر ، وبعض منهم يسكن في أسفل دوعن ، وهم آل محفوظ في الهجرين وخريخر ، وآل قصيّر ، وآل مداعس ، وآل بن مساعد . قال بعض الرحالة الغربيين عن الصيعر وقبائلهم : وقبيلة الصيعر هـٰذه تعرف بذئاب الصحراء ، وهي قبيلة كبيرة قوية ، وكانت قبائل جنوب الجزيرة كلها تخافها وتخشى بأسها لأنها تنهبها دون شفقة ، وتسطو عليها ، ولم يتمكن أوربي من الوصول إلى ربوعهم إلا « بوسكاف » الذي اصطاد الوعول في بلادهم عام (١٩٣١م) ، وإلا « انجرامس » الذي قام بزيارة خاطفة لأطراف أراضيهم سنة (١٩٣٤م) اهـ وهـٰذا الرحالة هو المستر=

ورئيسُ ٱلصَّيْعَرِ كلِّهِمُ ٱلآنَ : سعدُ بنُ طَنَّافِ بنِ رُمَيدانَ[1] ، ورئيسُ آلِ عليٍّ بلَّيثِ منهم ، يقالُ لهُ : عليُّ بنُ عيضةَ ، ومقدَّمُ آلِ يربوعٍ منهم[2] ، يِسْلَم بنُ محمَّدٍ ، ومقدَّمُ آلِ عُبَيدون[3] : سعيد بالْحَاشدي .

وكثيرٌ منهم مَن ينتجعُ وبارِ ، وبٱلأخصِّ آلُ عبدِ ٱللهِ بنِ عَوْنٍ[4] ؛ ففيها منهمُ نحوُ مِئَتَي رامٍ .

ووبَارِ : هيَ ٱلرِّمالُ ٱلَّتي مِن وراءِ جَبَلِهِم ، إلاَّ أَنَّ كُلاًّ مِن أَهلِ ٱلنَّجْدِ يُسمِّي ما يجاورُ نَجْدَه باسمٍ غيرِ ٱلَّذي يُسمِّيهِ ٱلآخرُ ، فٱلصَّيعرُ يسمُّونَ ما يلي نَجْدَهم مِنَ ٱلغربِ إلى ٱلشَّرقِ : (عِيوَه) بكسرِ ٱلعينِ وسكونِ ٱلياءِ وفتحِ ٱلواوِ .

وفي ٱلأخيرِ رعاها آلُ معروفٍ[5] منهم ، ثمَّ نجعوا إلىٰ مقْرُبَةٍ مِن نجرانَ بسببِ ٱلجدبِ ، وأَذِنَ لهم أَميرُ نجرانَ وهوَ رجلٌ شهمٌ ، وعَربيٌّ قُحٌّ مِن صميمِ تميمَ ، لهُ مروءَةٌ وشمَمٌ ، يُقالُ لهُ : تُركيُّ بنُ محمَّدِ بنِ ماضي ـ أَن يضربوا خيامَهم في أَطرافِها ، كما أَذِنتِ ٱلفُرْسُ لحاجبِ بنِ زرارةَ .

ثمَّ وَفَدَ منهم أَربعونَ علىٰ أَربعينَ نجيبةً ، يرأَسُهمُ ٱثنانِ ـ يقالُ لأَحدِهم : قُنَيبر ، وٱلآخرُ هوَ : عبدُ ٱللهِ بنُ سالمِ بنِ مُعَيقِلٍ ـ حتَّىٰ وصلوا ٱلرِّياضَ ، فتركوهم أَربعةَ

= « تيسيغر » في كتابه « رمال العرب » (ص٢٠٩) . عن المقحفي ، وبابطين .
الذي ذكره غير المؤلف وعليه إجماع المؤرخين الحضارمة ـ فيما اطلعنا عليه ـ أن الصيعر يجتمعون على قبيلتين : **الأولى** : آل محمد بلليث ، **والثانية** : آل علي بلّيث . وأمّا آل حاتم . . فهم من آل محمد ، وأما آل مسلّم . . فهم من آل علي ، وتفاصيل أسرهم وفخائذهم في : « الشامل » (١٢٣) ، و« المقحفي » (١/ ٩٣٠) ، وينظر : « تاريخ البكري » (٢/ ١٠٨ـ١٠٩) ، و« الأدوار » (٣٦٠) .

(١) **آل رميدان** : من آل علي بلّيث .

(٢) **آل يربوع** : من آل علي بن سليمان من آل حاتم من آل محمد بلّيث .

(٣) **آل عبيدون** : من المسادسة ـ البامسدوس ـ من آل محمد بلّيث .

(٤) **آل عبد الله بن عون** : من آل معروف ـ سكان عِيوَهْ ـ من آل محمد بلّيث .

(٥) هم آل معروف بن مُعَيقل ، من آل محمد بلّيث من الصيعر ، ومن فروعهم : آل مَلْهِي ، وآل عبد الله بن عون .

أَيَّامٍ ، وفي ٱلخامسِ أَوِ ٱلسَّابعِ ٱجتمعوا بملكِ ٱلحجازِ ونجدٍ ورأَوا مِن بِشْرِهِ وإكرامِهِ أَكثرَ ممَّا يؤَمِّلُونَ ، وقدَّموا لهُ مطيَّةً علىٰ سبيلِ ٱلهديَّةِ ٱشترَوها عمَّا يقولونَ بثلاث مئة ريالٍ ، لـٰكنَّهُ بعيدٌ ؛ لأَنَّ إبلَهم لا تبلغُ ذلكَ ولا نصيفَهُ ، وبعدَ ٱجتماعِهم به أَجْرَوا عليهم حُكْمَ ٱلضِّيافةِ ، وطلبوا منهُ أَن يديمَ ٱلإِذْنَ لهم بٱلإقامةِ في مشارفِ نجرانَ ، فأَحالهم علىٰ ما يرىٰ فيهِ ٱلمصلحةَ أَميرُها ، ودفعَ لكلٍّ مِنَ ٱلرَّئيسَينِ أَربعين ريالاً ، ولكلِّ واحدٍ ممَّن سواهم عشرينَ ، معَ ما يلزمُ مِنَ ٱلزَّادِ ، ولمَّا عادوا إلىٰ نجرانَ. . أَبقاهُم أَميرُها مدَّةً ، ثمَّ طردَهم ، فعادوا إلىٰ عيْوَةْ ، هـٰكذا أَخبرني عنهمُ ٱمباركُ بنُ يسلمَ بنِ زيمةَ بنِ ٱمباركٍ ٱلعُوَينيُّ .

وكما رفعوا ثمنَ ناقتِهم إلىٰ ما لا يقبَلُهُ ٱلعقلُ. . كتموا ـ فيما أَرَىٰ ـ بعضَ ما أَعطاهمُ ٱلملكُ ؛ لأَنَّ ذلكَ ٱلنَّزْرَ لا يتَّفقُ معَ ما سارت بهِ من سماحتِهِ ٱلرُّكبان وضُرِبَتِ ٱلأَمثالُ ؛ فهوَ ٱلَّذي :

يَهْمِي ٱلنَّدَىٰ وَٱلرَّدَىٰ فِي رَاحَتَيْهِ فَلاَ ... عَـاصِيــهِ نَـاجٍ وَلاَ رَاجِيــهِ مَحْـرُومُ

وعددُ ٱلصَّيعرِ لا يزيدُ عَن أَلفي رامٍ ، وقد عاهدَهمُ ٱلضَّابطُ ٱلسِّياسيُّ ٱلإنكليزيُّ انجرامس منذُ أَحدَ عشرَ عاماً معاهدةً ٱعترفَ لهم بٱستقلالِهم ، وأَنَّهم ليسوا تبعاً لأَحدٍ مِن سلاطينِ حضرموتَ ، وعلىٰ أَنْ لاَ رُسُومَ عليهم في بلادِهم ، وعلىٰ أَنَّ ٱلعَبْرَ مِن حدودِهم ، كذا أَخبرني مَن ٱطَّلعَ على ٱلمعاهدةِ[1] .

---

(١) قام انجرامس بزيارة المناطق الحدودية عام (١٩٣٤م) تقريباً ، وقام بتحديد القبائل التي تتبع القعيطي والتي تتبع الكثيري ، وقرر أن تكون القبائل القاطنة في المناطق الحدودية تابعة للقعيطي وخاصة قبائل الصيعر والكرب .

والسبب في ذلك : هو اتفاقية عدن عام (١٩١٨م) ، التي حددت الأراضي التابعة للكثيري بشكل دقيق ، بينما أعطت للقعيطي الحق في التوسع .

وفي تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٣٦م) وجّه انجرامس أنظار السلطان القعيطي إلى أهمية توسيع نفوذه إلى قبائل حضرموت النائية ، كما حضّ حاكم شبام القعيطي للقيام بهـٰذا التوسع ، وناقش معه احتمالات إقامة حامية للقعيطي في حصن العبر .

أما الاتفاقية أو المعاهدة التي أشار إليها المؤلف. . فتعرف باسم : اتفاقية انجرامس للسلام مع قبائل حضرموت كتبت عام (١٩٣٧م) .
=

والجاهليَّةُ عندَهم جهلاءُ ، وشأْنُهم شأنُ ٱلعَرَبِ في ٱلسَّلبِ وٱلنَّهبِ ، وكثيراً ما يتناهَبُونَ هم وٱلعَوامِرُ وآلُ كثيرِ ٱلنَّعَمَ بأنواعِها ، ولٰكنَّ أُولاءِ لا يقدرونَ على ٱلانتصافِ مِنهم ، إلاَّ إذا ٱنضمُّوا إلى ٱلمَهَرةِ وٱلمناهيلِ ، وتجمَّعوا مِن كلِّ صوبٍ ، وأمَّا هُمْ ؛ أَعني ٱلصَّيعرَ وٱلمناهيلَ ، وٱلمهرةَ ، ويامَ ، ودهمَ ، وٱلكربَ . . فلا يتناهبونَ إلاَّ ٱلإبلَ ؛ لبعدِ ٱلشُّقَّةِ .

وفي ٱلشِّتاءِ مِن هٰذهِ ٱلسَّنةِ غزَتْ آلُ حاتمٍ إلىٰ بعضِ ٱلبوادي ٱلدَّاخلةِ في ٱلحدودِ ٱلسُّعوديَّةِ ، فغنِمُوا إبلاً كثيراً ، فٱحتجَّتْ عليهم حكومَةُ عدن ، فقيلَ : إنَّهم أرجَعُوها كلَّها أو بعْضَها ، وقيلَ : لم يردُّوا شيئاً .

وفي جمادى ٱلآخِرَةِ مِن هٰذهِ ٱلسَّنةِ غزَتْ طَائفةٌ مِن قبيلةٍ يقالُ لهم : (ٱلقحطانيُّونَ) مكاناً في شرقيِّ ٱلعَبْرِ وشمالِهِ ، يقالُ لهُ : (شمال) ، وفيهِ أَخبيةٌ لكثيرٍ مِنَ ٱلصَّيْعَرِ وٱلكُرَبِ ونَهْدٍ ، فٱلتحمَ ٱلقتَالُ ودامَ نحْوَ ثلاثِ ساعاتٍ ، وأَنْجَدَهم عسْكَرُ ٱلباديةِ ٱلمحافظُ على ٱلأَمنِ بطرفِ حضرموتَ من جهةِ ٱلحكومةِ ٱلإنكليزيَّةِ ، ولٰكنَّهُ قليلٌ جدّاً ، فلم ينجهِ معَ ٱلفافِهِ إلاَّ ٱلهَرَبُ بعدَ أَن قُتِل منهم ثمانيةَ عشَر ، ونُهبَتْ إبِلُهُم وسَائِرُ ما مَعَهم ، وبيانُ ٱلقتلىٰ : سبعةٌ مِنَ ٱلكُرَبِ ، وسبعةٌ مِنَ ٱلصَّيْعَرِ ، وٱثنانِ من نهدٍ ، وٱثنان مِنَ ٱلعسكرِ ، ويزْعُمُ ٱلمنهوبُونَ أنَّهم ومَن لَفَّهم قتَلُوا ثلاثةً مِنَ ٱلقحطانيِّينَ ، ولٰكنَّهُ زعْمٌ بدونِ تعيُّنٍ ، وعلىٰ هٰذهِ . . فقِسْ ما سواها .

وعن ٱمباركِ بنِ يسلمَ ٱلعُوَينيِّ عن صَالحٍ بالخليسِ ٱلصَّيْعَرِيِّ ٱلكسيليِّ قالَ : غزوتُ علىٰ ظَهْرِ ٱلجبلِ مِن نجْدِنا إلىٰ نجد ٱلمهرةِ ، فلمَّا قاربَ ٱلجبلُ ٱلانتهاءَ . . استدَقَّ حتَّىٰ صارَ مثلَ ٱلسَّيفِ ، فنزلنا عنهُ ونحنُ ستَّةٌ علىٰ ستٍّ من ٱلمطايا ، فلاقانا سوماليٌّ[1] علىٰ جَمَلٍ في طلبِ ٱللُّبَانِ ، فهابَنا ، فآمنَّاهُ ، وسأَلْناهُ : مِن أَينَ أَقبلتَ؟

قالَ : مِن عِيان ، وهوَ موضعٌ قريبٌ من سيحوتَ ، يجري فيهِ غيلٌ ، تقامُ فيهِ ٱلأَسواقُ .

= باختصار من كتاب : « سياسة بريطانيا تجاه حضرموت » رسالة ماجستير بجامعة بغداد ، للسيد صادق عمر مكنون (١٢١ـ١٢٥) .

(١) أي : صومالي ، ولا يزال كثير من الناس ينطقونها بالسين .

قلنا لهُ : مَنْ هناكَ؟ قالَ : تُجَّارٌ بيضائعِهم يتأهَّبونَ لقيامِ ٱلسُّوقِ .

فأَبقيناهُ معَ أَحدِنا عندَ ٱلمطايا ، ولمَّا قاربناهم . . ٱلفينا عندَهم مَهْرياً يحلبُ ناقةً لهُ ، فأَردَيناهُ وٱنتهبنا ستِّينَ مطيَّةً معَ ما قدرنا عليهِ مِن خفيفِ ٱلبضائعِ ، وضربنا آباطَ ٱلإبلِ مَسَاءَها وٱليومَ ٱلثَّاني ورَدْهةً مِنَ ٱللَّيلةِ ٱلثَّانيةِ ، فكَلَّ أَصحابي وأَرادوا ٱلتَّعْريسَ ، فنهيتُهم فلم يسْمَعُوا ، فأَكلُوا وأَغْفَوا ، ولم يَكَد يَطرُقني ٱلنَّوْمُ مِنَ ٱلذُّعرِ حتَّى ٱنتبهتُ فقمتُ أَعُسُّ[1] فشممْتُ رائحةَ ٱلوَزِيفِ[2] مِن عَرَقِ جِمَالِ ٱلنَّجْدَةِ ؛ لأَنَّها تأكلُ منهُ ، فأَقبلتُ علىٰ أَصْحَابي فسبقَتْني إِليهِمُ ٱلبنادقُ ، وٱعتصمتُ بأَكَمةٍ ، وناديتُ ٱلقومَ في أَن يعودَ كلٌّ بحَلاَلِهِ ، فأَجابني ٱلشَّوْصُ أَحَدُ آلِ عليِّ بنِ كثيرٍ وكانَ معهم فقالَ : ٱنتظر حتَّىٰ نتشاورَ ، ولمَّا ناديتُهُ مرَّةً أُخرىٰ . . قال : إِنَّ ٱلَّذين قتلْتُم أَخاهم بٱلأَمسِ وهو يحلبُ ناقتَهُ أَبوا ؛ فجاءَ موضعُ قولِ أَبي مُكعِب [من ٱلبسيط] :

إِنَّ ٱلَّـذِيـنَ قَتَلْتُـمْ أَمْـسِ سَيِّـدَهُـمْ لاَ تَحْسَبُـوا لَيْلَهُـمْ عَـنْ لَيْلِكُـمْ نَـامَـا

ولهٰذا ٱلبيتِ قصَّةٌ جاءَت في (ج ١٠ ص٢٥٠) من « خِزانةِ ٱلأدبِ » .

وأَمرَ جماعةً أَن يكْمُنوا لي عَلَى ٱلطَّريقِ ، وكانَ أَحدُ أَصحابي نَجَا براحلتينِ مِنَ ٱلنَّهبِ ، فٱقْتَعدناهما ، فلم يقدر علينا ٱلكَمِينُ ؛ لأَنَّهما كما قالَ ٱلقطاميُّ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

يَمْشِيـنَ رَهْـواً فَـلاَ ٱلأَعْجَـازُ خَـاذِلَـةٌ وَلاَ ٱلصُّـدُورُ عَلَـى ٱلأَعْجَـازِ تَتَّكِـلُ

وكانت هٰذهِ ٱلقضيَّةُ في حدودِ سنةِ (١٣٥٠هـ) ، وآثارُ ٱلصِّدقِ لائحةٌ عليها .

وفيها فوائدُ كثيرةٌ ؛ أَهمُّها : أَنَّ ٱلجبلَ لا ينتهي إلاَّ علىٰ قربِ سيحوتَ حَسَبَما قدَّمنا ، وقد نقلنا في شرح ٱلبيتِ (٣٦) في ٱلجزءِ ٱلأَوَّلِ مِنَ « **ٱلأَصلِ** » عن أَبي شُكَيلٍ : (أَنَّ مدينةَ تَرِيمَ في شمالِ لَسْعَا ، وجبالها اثنانِ ممتدَّانِ مِنَ ٱلشَّرقِ إِلى ٱلغرب ، فيها قومٌ مِنَ ٱلمَهَرةِ كالوحوشِ ، يتكلَّمونَ بلغةِ عادٍ ، وإِليهم تُنسَبُ ٱلإِبلُ ٱلمهريَّة) اهـ

---

(١) **أعسُّ** : أسير في الظلام أترقب المارة .

(٢) صغار السمك بعد تجفيفه .

وما كانَ ٱلخليسيُّ مَع أَصحابهِ في ٱلمراجعةِ إلاَّ كدُرَيدِ بنِ ٱلصِّمَّةِ[1] في ٱلحادثةِ ٱلَّتي غزا فيها بني كعبِ بنِ ٱلحارثِ بنجرانَ فتبعوهم وقتلوا أَخاهُ عبدَ ٱللهِ[2] في حَبَوْنَنْ[3] وٱستردُّوا مِنهم ما أخذوا ، وفي ذلكَ يقولُ قصيدَتَهُ ٱلَّتي مِنها [مِنَ ٱلطَّوِيلِ] :

بَـذَلْـتُ لَهُـمْ نُصْحِـي بِمُنْعَـرَجِ ٱللِّـوَىٰ ... فَلَـمْ يَسْتَبِينُـوا ٱلنُّصْـحَ إلاَّ ضُحَـى ٱلْغَـدِ

وَمَـا أَنَـا إلاَّ مِـنَ غَـزِيَّـةَ إنْ غَـوَتْ ... غَـوَيْـتُ ، وإن تَـرْشُـدْ غَـزِيَّـةُ أَرْشُـدِ

تَنَـادَوْا فَقَـالُـوا أَرْدَتِ ٱلْخَيْـلُ فَـارِسـاً ... فقُلْـتُ أَعَبْـدُ ٱللهِ ذَلِكُـمُ ٱلـرَّدِي؟!

لَئِـنْ كَـانَ عَبْـدُ ٱللهِ خَلَّـىٰ مَكَـانَـهُ ... فَـلاَ طَـائِشـاً خُلْـوَ ٱلْجَنَـانِ وَلاَ ٱلْيَـدِ

وفي أَرضِ ٱلصَّيعرِ بئرٌ يقالُ لها : مَنْوَخْ ، فيها ماءٌ ، إلاَّ أَنَّهُ ينْضُبُ عندَ قلَّةِ ٱلأَمطارِ[4] ، وهـٰذهِ ٱلبئرُ في منطقةٍ يُقالُ لها : مَنْوَخ .

---

(1) هو دريد بن الصمّة الجشْمي البكري ، من هوازن ، من الأبطال الشعراء ، عمر في الجاهلية ، قتل يوم حنين على جاهليته سنة (٨هـ) ، ولم يسلم ، وكانت هوازن خرجت به معها لقتال المسلمين ، وكان قد عمي ، فأدركه ربيعة بن رفيع السلمي فقتله ، وأخباره كثيرة . « الأعلام » (٢/٣٣٩) .

(2) كان مقتل عبد الله بن الصمة بخليف دكم بأعلى حبونن ، قتله بنو الحارث بن كعب ، وفيه يقول أخوه دريد :

تنـادوا فقـالـوا : أرْدَتِ الخيـلُ فـارسـاً ... فقلـت : أعبـد الله ذلكـم الـردي؟

وقَتَلَ به أخوه دريد : ذؤابَ بن أسماء بن زيد بن قارب ، وقال :

قتلـتُ بعبـد الله خيـر لِـدَاتـه ... ذؤاب بـن أسمـاء بـن زيـد بـن قـاربِ

« الصفة » (٣٠٥) ، « الاشتقاق » (٢٩٢) .

(3) حَبَونن : قال الهمداني : (وهو وادٍ يغيب من بلد يام من سنحان (سمنان) ، وهي كثيرة الأَرْطَى ، وبه بئر زياد الحارثي ، جاهلية) . وقال الحجْري : (بلدة في نجران يسكنها قبائل من يام ثم من مواجد ، وفيها حصن العان من حصون نجران أيضاً) . وهو عند ياقوت بلفظ : حبونى ، بألف مقصورة . « الصفة » (٣٠٥) ، « البلدان اليمانية عند ياقوت » (٨٨) .

(4) تقع بئر منْوَخ في منطقة مَنْوخ الواقعة في الجنوب الشرقي لوادي عِيوَه .

وفي غربي هـٰذه المنطقة على بُعْد (٥٥) ميلاً تقع منطقة زَمَخ ، وبها بئر ، وبها مركز حربي بنته الحكومة القعيطية يبعد عن مركز العَبْر نحو (٣٧) ميلاً ، وفي شمال زمخ رمال الدهناء أو الربع الخالي .

وقد كانت زمخ ومنْوَخ وثمود تشكل مركزاً تجارياً مرموقاً ، ولـٰكن أفناها ما أفنى القرون الماضية . يراجع « الشامل » (١٢١ـ١٢٣) .

وقد بَنَت فيهِ ٱلحكومةُ مَركزاً علىٰ أكمةٍ صخريَّةٍ عاليةٍ ، وهيَ في ٱلجنوبِ ٱلشَّرقيِّ لوادي عِيوَه .

وفي غربيِّ هـٰذهِ ٱلمنطقةِ علىٰ بُعدِ خمسةٍ وخمسينَ ميلاً : منطقةُ زمخٍ ، وفيها بئرٌ مهمَّةٌ يَسْتَقي منها ٱلغُزاةُ ٱلقادمونَ مِن بوادي نَجْرَانَ ، ويحملونَ ما يكفيهم مِنَ ٱلماءِ في غزوِهم للصَّيعرِ ، وآلُ كثيرٍ وٱلعوامرُ وٱلمناهيلُ وٱلمهرةُ ، وكذلكَ هـٰؤلاءِ يتزوَّدون منها لغزو يامٍ وٱلقبائِل ٱلسُّعوديَّةِ وغيرِهم .

ومركزُ زمخٍ يبعدُ عن مركزِ ٱلعَبْرِ بسبعةٍ وثلاثينَ ميلاً .

وعن قريةِ ٱلحجرِ بريدةِ ٱلصَّيعرِ نحواً مِن أَربعينَ ميلاً .

وفي شمالها : رمالُ ٱلدَّهناءِ ، أَوِ ٱلرُّبُعُ ٱلخالي .

وموقعُ زمخٍ بمكانٍ كبيرٍ مِنَ ٱلأهمِّيَّةِ ، ولذا بنت فيهِ ٱلحكومةُ ٱلإنكليزيَّةُ علىٰ حساب ٱلحكومةِ ٱلقُعيطيَّةِ مركزاً لصدِّ عوادي ٱلغُزاةِ أَو تخفيفِها .

وأمَّا بيرُ ثمودَ ـ ٱلآتي ذكرُها ـ فتبعُد عن منطقةِ زمخٍ بمئتين وثلاثةٍ وسبعينَ ميلاً في جهةِ ٱلشَّرق .

وسُكَّانُ منطقةِ زمخٍ : آلُ عبدِ ٱللهِ بنِ عونٍ مِنَ ٱلصَّيْعرِ ، وهم بدوٌ رُحَّلٌ .

وفي وادي دُهْرٍ مكان يُسمَّىٰ : زمخاً ، وبئرٌ تُسمَّى : ببئرِ زمخٍ ، ولـٰكنَّها أَقلُّ شهرةً مِنَ ٱلمكانِ ٱلَّذي نحنُ بسبيلهِ .

وسُكَّانُ منطقةِ مَنْوَخٍ : آلُ عليٍّ بلَّيثٍ مِنَ ٱلصَّيعرِ ، وسيأتي في وَبَارٍ أَنَّها تمتَّعت بٱلثَّروةِ زماناً طويلاً ، وأَنَّها كانت طريقَ ٱلتِّجارةِ ٱلأهمَّ بينَ ٱلشَّرقِ وٱلغربِ . وقد كانت كلٌّ مِن منطقةِ ثمودَ ومنوخٍ وزمخٍ مُدُناً عظيمةً للتِّجارةِ ؛ ولـٰكن أَفناها ما أَفنى ٱلقرونَ ٱلماضيةَ ، ولا شكَّ أَنَّ آثارَها مطمورةٌ بٱلرِّمالِ .

ومنذُ أَربعينَ يوماً غزَتْ يامُ وقتلت ثلاثةً مِنَ ٱلكُرَبِ ، وغنِمَتْ مئةَ راحلةٍ ، ولم يُقْتَل منها إلاَّ واحدٌ ، ولم يُصَب إلاَّ ٱثْنانِ .

وفي مكان ٱلمحارقةِ مِن أَرضِ ٱلصَّيعرِ شيءٌ مِنَ ٱلنَّخْلِ ، ولا نخلَ في سواها من

أَرضِهم ، والطُّرُقُ مِن ريدةِ ٱلصَّيعرِ مفتوحةٌ إِلىٰ كلِّ مكانٍ ، ومِن أَقربِها طريقُ وادي هينَنَ ، ومِن سرٍّ إِلىٰ مكانِ آلِ عليٍّ بلَّيثٍ في ٱلرَّيدةِ مسيرُ يومٍ ونصفٍ .

ومنذُ ثمانِ سنواتٍ تقريباً أَمطَرتِ ٱلطَّائراتُ ٱلإِنكليزيَّةُ نارَهَا علىٰ حصنِ يسلمَ بنِ يربوعٍ ملهيٍّ ، وحصنِ عبدِ ٱللهِ بنِ عونٍ فهدَمَتْهُما ، ثمَّ سُوِّيتِ ٱلقضيَّةُ علىٰ ما تريدُ ٱلحكومةُ مِنَ ٱلموافقةِ على ٱلحِلفِ ٱلسَّابقِ ذِكْرُهُ عمَّا قريبٍ .

وبلغني أَنَّ ٱلحكومةَ جعلتهم بالآخرةِ تَبَعاً للقُعيطيِّ برغمِ ٱلاستقلالِ ٱلَّتي ٱعترفت لهم بهِ في ذلكَ ٱلحِلفِ .

نجدُ آلِ كثير

هوَ مِن وراءِ نجدِ ٱلصَّيعرِ إِلى ٱلمشرقِ[1] ، وفيهِ سَعَةٌ وأَوديةٌ ؛ منها : **فرعٌ** ، **وٱلقويعُ** ، **وظيلمٌ** ، **وٱلحوياه** ، **ونخطٌ** ، **وطرون** ، وفيهِ مِن آلِ عامرٍ : آلِ كُدِّه ، وآلِ دويسٍ ، وآلِ عبداتٍ . . ما يبلغُ مجموعُهم مئةَ رامٍ .

وفيهِ من آلِ عمرَ : آلِ الشَّيْنِ ، وآلِ بدرِ بنِ عبدِ ٱللهِ . . نحوُ ستِّينَ رامياً . وفيهِ مِنَ ٱلفخائذِ آلِ ٱلصُّقَيرِ ، وآلِ زيَمه ، وآلِ عليِّ بنِ سعيدٍ . . نحوُ أَربعينَ رامياً ، ولولا أَنَّ بقيَّةَ ٱلسيفِ أَبقَت عَدداً . . لأتَتْ عليهمُ ٱلمغازي وٱستأصلَتْهمُ ٱلحُرُوبُ .

وفي أَرضِهم تنمو ٱلعلوبُ نماءً عجيباً ، ومنها تُجلَبُ ٱلأَخشابُ للعمارةِ إِلىٰ شبامٍ وسيئونَ وتريمَ وما بينهنَّ . وعُودُ ٱلعلوبِ ـ أَي : شجرِ ٱلسِّدرِ ـ إِذا نضجَ وٱصفرَّ لا تقدرُ عليهِ دابَّةُ ٱلأَرضِ .

وفي أَخبارِ بدرٍ بوطويرق : ما يُفهَمُ منهُ أَنَّ كثيراً مِن أُسرتِهم ـ لعهدِهِ ـ كانوا بهـٰذا ٱلنَّجدِ .

وفي أَخبارِ بدرِ بنِ عبدِ ٱللهِ : أَنَّهُ لمَّا ٱنكسَرَ من جيشِ ٱلإِمامِ ولَّىٰ منهزماً إِلىٰ جبالِ أَخوالِهِ ؛ ففيهِ دلالةٌ علىٰ أَنَّ مثرىٰ آلِ كثيرٍ كان باديةً لذلكَ ٱلعهدِ بهـٰذا ٱلنَّجْدِ .

---

(١) **نجد آل كثير** : يحده شمالاً : الرمال ، وجنوباً : وادي حضرموت الأكبر ، وشرقاً : نجد العوامر ، وغرباً : ريدة الصيعر . وتسيل منه إلى الجنوب : وادي جِعَيمه ، ووادي نَعَام ، ووادي يبهوض . « الشامل » (١٢١) . وهو نجدٌ قليل الخير كنجد العوامر .

نجدُ ٱلعوامرِ

هوَ في شرقيِّ نجدِ آلِ كثيرِ ، ومِن أَوديتِهِ : **يبا** ، **وٱلدُّخان** ، **وأمباركه** ، **وٱلعرج** ، وغيرُهُنَّ[1] ، ورجالُهم لا يزيدونَ عن مئةٍ وخمسينَ ، وفي أَرضهم بئرٌ يقالُ لَها : **تميس** ، لٰكنَّها بعيدةٌ عن أَماكنِهم لا تنفعُهم أَيّام ٱلظَّماِ ، فيفضِّلونَ عليها ٱلانتقالَ إِلىٰ تاربه .

وفي نجدِ ٱلعوامرِ يزكو ٱلنَّخلُ كثيراً ، غيرَ أَنَّهُ يذوي ويموتُ إِذا تتابعت عليهِ ٱلجدوبُ ، ولأَوَّليهم في تعهُّدِهِ ٱعتناءٌ أَكثرُ مِن متأَخِّريهم ، وإِلاَّ . . فنخلُ تاربه لا يعدُّ في جانبِهِ شيئاً مذكوراً .

ولسيِّدي ٱلفاضلِ علويِّ بنِ عبدِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلمشهورِ ـ ٱلسَّابقِ ذِكرُهُ في تريمَ ـ رحلاتٌ إِلى ٱلنَّجْدَينِ لنشرِ ٱلدَّعوةِ ٱلدِّينيَّةِ والإِرشادِ إِلىٰ طريقِ ٱلحقِّ ، غيرَ أَنَّ ٱلمادَّةَ لا تساعدُهُ ، وما أَشدَّ ٱهتمامَهُ بحَفرِ ٱلآبارِ وبنايةِ ٱلأَحواضِ وٱلصَّهاريجِ ؛ لِأَنَّها ضروريَّةٌ هناكَ لو ساعدَتْهُ ٱلقدرةُ ، لٰكنَّ ٱلأَمرَ كما قالَ أَبو ٱلطَّيِّبِ [في العكبَريِّ « ٢/ ٣٧٠ مِنَ ٱلخفيفِ] :

وَٱلْغِنَىٰ فِي يَدِ ٱللَّئِيمِ قَبِيحٌ ... قَدْرَ قُبْحِ ٱلْكَرِيمِ فِي ٱلإِمْلاَقِ

وبناءً علىٰ هٰذا تكلَّمتُ معَ سماحةِ ٱلملكِ ٱبنِ ٱلسُّعودِ في ذلكَ أَواخرَ سنةِ (١٣٥٤هـ) ؛ إِذ كانت حضرموتُ تَمُتُّ إِليهِ بِحُرْمَةٍ وذِمَامٍ بما كانَ بها لأَوَّليهِ مِنَ ٱلإِلمام ؛ إِذ هتفَ بهم منها صريخٌ في حدودِ سنةِ (١٢١٧هـ) ، فإِذا هم لذلكَ ٱلعهدِ كما قالَ ٱلشَّريفُ ٱلرَّضيُّ [في « ديوانِهِ » ٢/ ٤٢١ـ٤٢٢ مِنَ ٱلطَّويل] :

مِنَ ٱلْقَوْمِ مَا زَرُّوا ٱلْجُيُوبَ عَلَى ٱلْخَنَا ... وَلاَ قُرِعَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِمَلاَمِ

---

(١) **ومن أودية العوامر** : وادي القيلة وهَذْبيل ، بهما : آل وعُيل . ووادي جَبًا ، به آل عبد الباقي ، ووادي العري ، وإليه تفيض وديان النجد ، ثم يفضي إلى وادي الخون . ووادي الذهب ، به آل براهم من آل جعفر بن عمر . وحصون السلاسل لآل كليلة . « الشامل » (١٢٠) . وتقدم الكلام على العوامر في (تاربه) ، ومن أراد المزيد . . فعليه « بالشامل » (١٢٠ـ١٢١) .

سَـرِيعُـونَ إِنْ نُـودُوا لِيَـوْمِ كَـرِيهَـةٍ ... جَـرِيئُـونَ إِنْ قِيـدُوا لِيَـومِ خِصَـامِ
يُهَـابُ بِهِـمْ مُسْتَلْئِمِيـنَ إِلَـى ٱلـرَّدَىٰ ... عَلَـىٰ عَـارِفَـاتٍ بِـٱلطِّعَـانِ دَوَامِ
عَنَـاجِيـجُ قَـدْ طَـوَّحْـنَ كُـلَّ حَقِيبَـةٍ ... مِـنَ ٱلـرَّكْـضِ وَٱسْتَهْلَكْـنَ كُـلَّ لِجَـامِ
نَـزَائِـعُ مَـا تَنْفَـكُّ تَطْـرِي صُـدُورُهَـا ... جُيُـوبَ ظَـلاَمٍ ، أَوْ ذُيُـولَ قَتَـامِ
يُخَـالِطْـنَ بِـٱلفُـرْسَـانِ كُـلَّ طَـرِيـدَةٍ ... وَيَبْلُغْـنَ بِـٱلأَرْمَـاحِ كُـلَّ مَـرَامِ

تلكَ هيَ حالُهم قبلَ أَن ينغمسوا في ٱلتّرفِ ، أَمَّا بعدَهُ. . فما أُراهم يقدرونَ علىٰ مثلِ ذلكَ ٱلشَّرفِ ، سُنَّةَ ٱللهِ في خلقِهِ .

وقد قرّرتُ في « بلابلِ ٱلتَّغريدِ » ما ينشأُ عَنِ ٱلتَّرفِ مِنَ ٱلأَضْرارِ وما ينجرُّ بهِ مِنَ ٱلمصايبِ ، ودلَّلتُ عليهِ بما لا يوجدُ في سواهُ .

تكلَّمتُ معَ ٱلملكِ في بنايةِ ٱلأحواضِ وٱلصَّهاريجِ بذلكَ ٱلنَّجدِ فوعدَ ، غيرَ أَنَّ ٱلظُّروفَ وٱلاستعجالَ حالاَ عنِ ٱستنجازِ ذلكَ[1] ؛ إذ لا بدَّ وأَن تَقوْمَ دونَهُ عقابٌ كأداءُ مِنَ ٱلماليَّةِ ٱلمعروفةِ بذلكَ ، وهيَ تطلبُ مِنَ ٱلانتظارِ ما لا يقدرُ عليهِ أَمثالي مِنَ ٱلأَحرارِ ، ولقد أَخبرني غيرُ واحدٍ ممَّن لا أَشكُّ فيهم عنِ ٱلأَميرِ ٱلخطيرِ ٱلثِّقةِ عبدِ ٱللهِ بنِ عبدِ ٱلرَّحمـٰنِ بأَنَّ أَخاهُ ٱلملكَ أَمرَ لي عامئذٍ بمئةِ دينارٍ مِنَ ٱلذَّهبِ. . فٱختانها وزيرُ ٱلماليَّةِ ، وما أَدري هلِ ٱلفرصةُ باقيةٌ لبناء ٱلخزَّاناتِ إلى ٱليومِ أَم قد فاتت ؛ فإنَّ جمعيَّةَ ٱلأُخوَّةِ وٱلمعاونة أَرادت أَن تَبنِيَ مسجداً بٱلعَبرِ ـ وهوَ نظيرُ تلكَ ٱلنَّاحيةِ ـ فلم يُسْمَح لها .

نَجْدُ ٱلمناهيلِ[2]

هوَ في شرقِ نجدِ ٱلعوامرِ ، وقدِ ٱختلفت عليَّ رواةُ ٱلباديةِ في بيرِ ثمودَ ، وجبل ـ أَو قارَّةٍ ـ حَبشيَّةٍ ؛ فمنهم مَن يجعلُهما مِن أَواخرِ نجد ٱلعوامرِ ، ومنهم من يجعلُهما مِن

(١) كان ذلك في حج عام (١٣٥٤هـ) .

(٢) نجد المناهيل : يقع بين وادي المسيله عند حدود المهرة في الجنوب ، وبين قبر هود عليه الصلاة والسّلام شمالاً . وتصب منه إلى وادي حضرموت الكبير هـٰذه الأودية : وادي يشحر ، ووادي فغمه ، =

أَوائلِ نجدِ ٱلمناهيلِ أَمَّا جبلُ حَبْشِيَّة[1] ـ بفتحِ ٱلحاءِ ٱلمهملةِ وسكونِ ٱلباءِ وكسرِ ٱلشِّينِ ٱلمعجمةِ وتشديدِ ٱلياءِ ٱلمثنَّاةِ من تحتُ ٱلمفتوحةِ ـ فعلىٰ مقربةٍ مِن بيرِ ثمودَ .

ويقولونَ : إِنَّهم يسمعونَ دوِيّاً منهُ يدلُّ علىٰ وجودِ شيءٍ مِنَ ٱلمخزوناتِ ناراً أَو غازاتٍ أَو غيرَها .

وأَمَّا بيرُ ثمودَ . . فإِنَّها ـ كما سبق ـ في جانبِ ذلكَ ٱلنَّجدِ ٱلشَّماليِّ ٱلَّذي يقصرُ ٱرتفاعُهُ جدّاً إِلى ٱلدَّهناءِ ، فهيَ في أَطرافِها . وبقاؤُها بهـٰذا ٱلاسم مِن قديمِ ٱلزَّمانِ إِلى ٱلآنَ يؤَكِّدُ ما تقدَّمَ في وادي سَرْ ونبيِّ ٱللهِ صالح عليه السلام .

ويُشاعُ أَنَّ حواليَها منابعُ غزيرةٌ للبترولِ ، يتأَيَّدُ بتردُّدِ رجالِ ٱلحكومةِ ٱلإِنكليزيَّةِ إِلىٰ ذلكَ ٱلمكانِ ، وشدَّةِ ٱهتمامِهم بهِ ، وتكتُّمِهم بعمليَّاتِهم وحفريَّاتِهم فيهِ .

وذكَرَ لي ٱلولدُ ٱلفقيهُ عبدُ ٱلقادرِ ٱلرُّوشُ أَنَّهُ رأَىٰ بمكَّةَ سنةَ (١٣٦٤هـ) عدداً ثامناً مِنَ ٱلجريدةِ ٱلمُسمَّاةِ بـ : (ٱلعالمِ ٱلعربيِّ) ـ ٱلَّتي لم يصدر منها إِلاَّ سبعةُ أَعدادٍ ـ جاءَ فيهِ : (أَنَّ مِن أَغزرِ منابعِ بترولِ ٱلعالمِ : منابعَ ٱليمنِ ، ثمَّ حضرموتَ ، ثمَّ ٱلظَّهرانِ) اهـ

وأَمرتُ ٱلولدَ ٱلنَّبيلَ سالمَ خردٍ أَن يراجعَ لي مسأَلَةً أَذكرُها عَنِ ٱلقطبِ ٱلحدَّادِ ،

= ووادي ينحب ، ووادي عنَح ، ووادي عِصِم ، ووادي عرده ، ووادي فُغْمه .

ونجد المناهيل نجد قليل الخير ؛ لقلة مياهه ، ويرعى سكانه جمالهم بالرمل ، ويوردون مورد المهرة ، وينتهي حد هـٰذا النجد تقريباً عند خط الطول : (٥٠ـ ١٢ـ ٤٩) ، وسوق المناهيل : سيحوت ، يتوصلون إليها عن طريق وادي المسيله .

وفي الوديان المذكورة تنمو الأعشاب بوفرة ، وترعى العنوز والنعاج والجمال ، وتوجد قرى المناهيل وهي مكونة من بيوت وأكواخ مبنية من الطين ، ويسكن البعض منهم في كهوف الجبال . ينظر : « الشامل » (١٢٠) ، « البكري » (٢/١٠٦) .

(١) قال صاحب « الشامل » (١٧) : (بلغنا أنه يوجد في القارة المسمّاة : حَبْشية فوق صيقة سنا بطرف غيل بن يمين بناءٌ بحجارةٍ فيها كتابات ، وعندها كهيئة البئر . . فربما أن يكون ذلك فوق فوهة بركان) اهـ ويقال : إن اسم الحبشة الذي سميت به إثيوبيا جاءها من اسم قبيلة حبشات ، إحدى بطون الأجاعز التي هاجرت إلى إثيوبيا من منطقة جبل حبشية بحضرموت . « الهجرة اليمنية » لبامطرف (٩) .

فراجعَ « تثبيتَ ٱلفؤاد » فتعسَّرَتْ عليهِ ؛ لعدمِ ترتيبهِ ، ولـٰكنَّهُ وَقَعَ علىٰ أَهمَّ منها ، وذلكَ أَنَّهُ جاءَ فيهِ [١/ ٧٢_٧٣] ما يأتي :

لولا أَنَّ هـٰذهِ ـ يعني تريمَ ـ دارُ هجرتِنا . . لخرجنا مِنها ، ولاَ موضعَ لهجرتِنا إلاَّ مرباط ، غيرَ أَنَّهُ لا يمكنُنا ذلكَ لِثقلِ ٱلكلفةِ في ٱلتَّحمُّلِ بِٱلنِّساءِ وٱلصِّغارِ وٱلولدانِ .

ثمَّ قالَ : نحفظُ عن بعضِ جدَّاتنا عنَ أَبيها ـ وهوَ مِن أَهلِ ٱلكشفِ ـ أَنَّهُ أُغميَ عليه عندَ موتِهِ بحضورِها ، ثمَّ أَفاقَ فقالَ : عادكم تقولونَ : يَا حَيَّا دولةَ ٱلكثيريِّ ، ثمَّ أُغميَ عليهِ ، ثمَّ أَفاقَ فقالَ : يأتي على ٱلنَّاسِ زمانٌ ما لهم مفرٌّ إلاَ ثمودَ ، ثمَّ ماتَ علىٰ إثرِ ذلكَ .

وقالَ ٱلحدَّادُ ـ أَيضاً بإثر ذلكَ ـ :

مَـــا فِـــي تَـــرِيـــمْ إلاَّ ٱلْـــوَطَـــنْ   إنَّ ٱلإبِـــــلْ تَهْـــوَى ٱلْعَطَـــــنْ

وقد سبقَ في صِيْفَ مِن أَرضِ دَوْعَنَ أَنَّ ٱلقطبَ ٱلحدَّادَ كانَ يذكرُ ٱلانتقالَ إليها أَيضاً .

وما جاءَ مِن ذِكرِ ٱلمَفَرِّ إلىٰ ثمودَ عن ذلكَ ٱلرَّجُلِ ٱلصَّالحِ في ٱلحالةِ ٱلَّتي لا يُتَّهمُ فيها ٱلكاذبُ . . يُبَشِّرُ بمستقبلٍ ضخمٍ لتلكَ ٱلنَّواحي ، بدأَت تتمخَّضُ بهِ ٱلأَيَّامُ . وٱللهُ ٱلعالمُ وحدَهُ ماذا يكونُ ٱلحالُ عندَ ٱلأَولادِ فيما بعدَهُ ، جعلَ ٱللهُ ٱلعاقبةَ إلىٰ خيرٍ .

وغيرُ بعيدٍ أَن يأتيَ هنا موضعُ ما سبقَ في ميفعَ .

وقد ظَهَرَ تصديقُ فراسةِ ذلكَ ٱلرَّجلِ ٱلصَّالحِ ٱلأُولىٰ : بتمنِّي ٱلنَّاسِ أَيَّامَ ٱلدَّولةِ ٱلكثيريَّةِ ٱلَّتي تضعضَعَتْ ثمَّ بادت بيافعٍ ، وما تصديقُ ٱلفراسةِ ٱلثَّانيةِ ببعيدٍ .

وفي نـجدِ ٱلمناهيلِ : وادي قَتَاب ، وهوَ واسعٌ جدّاً ، حتَّىٰ لقد قيلَ : إنَّهُ أَوسعُ مِن وادي حضرموتَ على ٱلعرفِ ٱلمصغَّرِ مرَّاتٍ[١] .

وفيهِ أَيضاً : وادي قيصوم ، وهوَ واسعٌ أَيضاً ، واقعٌ في جهة ٱلشَّمالِ إلى ٱلشَّرقِ مِن وادي عِيْوَه ـ بكسر ٱلعينِ ٱلمهملةِ وسكونِ ٱلياء ٱلمثنَّاةِ مِن تحتُ وفتحِ ٱلواوِ ـ زِنَةُ عِيوه ٱلصَّيعريَّةِ .

---

(١) أي : في تحديد حضرموت السابق أول الكتاب .

ومن بعدِها : **رَماهْ** ، علىٰ وزنِ قَطاه .

والمناهيلُ فِرقتانِ : آلُ بن مَعْشَني وعددُهم نحوُ ثمانُ مئةِ رامٍ ، وآلُ كَزِيم وعددُهم نحوُ سبعِ مئةٍ ، وكانَ علىٰ رئاستِهم البخِيتُ بنُ اللوَيْطيِّ ، وهوَ مِمَّن أَمضىٰ علىٰ نسخةٍ مِنَ الوثيقةِ الَّتي أُرْسِلَتْ لعليِّ سعيدِ باشا .

ومعَ توقيعِهِ علىٰ تلكَ الوثيقةِ . . أَمضىٰ لي علىٰ ما هـٰذا نصُّهُ :

الحمدُ للهِ ، وبتاريخِ عشر جمادى الأولىٰ سنةَ (١٣٣٥هـ) فقد شَلَّ وتحمَّلَ بخيتُ بنُ اللُّويطيِّ عن نفسِهِ وعَن كافَّةِ المناهيلِ للهِ ولرسولِهِ وللعلمِ الشَّريفِ بكلِّ منفعةٍ يقدرُ عليها للحبيبِ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ عُبَيدِ اللهِ السَّقَّافِ ، وأَن يواليَ مَن والاهُ ويعاديَ مَن عاداهُ ، ويسمعَ نصيحتَهُ وشفاعتَهُ ، ويقومَ معَهُ ومعَ عيالِهِ مِن بعدِهِ بالحقِّ والشَّريعةِ وينصرَهم علىٰ من تعدَّىٰ عليهم بَدًّا بوفا ما ذكر فتَرِث عليهِ وعلىٰ مَن بعدَهُ إلىٰ أَن يرثَ الأَرضَ ورائُها ، واللهُ شهيدٌ بدًا بما ذكر البخيت بنُ اللُّويطيِّ .

وكتبَ بأَمرِهِ وشهدَ بهِ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ سُلْمَةَ وقد قُتِلَ البخيتُ المذكورُ في حربِهِ معَ أَميرِ قَسَمٍ .

ورئيسُ جميعِ المناهيلِ الآنَ عيضه بنُ الحريزِ بنِ طنافٍ .

وفي الأَخيرِ غزَتْهم قبائلُ الجهةِ الغربيَّةِ فأَخذوا عليهم كثيراً مِنَ الإِبلِ ، فجمعوا جموعَهم مِن أَنفسِهم ومِنَ المهرةِ والعوامرِ وغيرِهم . . فانهزموا وكانوا كالضَّبعِ ذهبت تطلبُ لها قرناً . . فعادت بلا أُذنَينِ .

وأَكثرُ المناهيلِ والعوامرِ وآلِ كثيرٍ والصَّيعرِ مِن سكَّانِ هـٰذهِ النُّجودِ . . قبائلُ رُحَّلٌ ، يتتبَّعونَ مواقعَ القطْرِ ، لا بيوتَ لهم إِلاَّ الخيامُ غالباً ، ولـٰكنَّهم يصدحونَ[1] الأَمطارَ عن أَغنامِهم ونعَمِهم وأَنفُسِهم ، وإِلاَّ . . لَلاقَوا منها أَتعاباً وأَنكالاً .

---

(١) **يصدحون** : من الصَّدْحة ؛ وهي : رقية تزعم العرب أنها تمنع المطر أن يصيب مكاناً وقد أصاب كل ما حوله من الأرض .

وذكرَ لي من طالعَ « ٱلصُّبحَ ٱلمُنْبي عن حيثيَّةِ ٱلمتنبِّي »[1] [٥٢ـ٥٤] : (أَنَّ فيهِ قصَّةً طويلةً ؛ فيها : أَنَّ ٱلمتنبِّي خدعَ واحداً بما أراهُ مِن نتيجةِ ٱلصَّدْحةِ ، فآمنَ بنبوَّتِهِ ، وذلكَ شيءٌ يسيرٌ تعملُهُ ٱلعربُ بأَصْغَرِ حيلةٍ ، وقد رأَيتُ كثيراً منهم بٱلسَّكونِ وحضرموتَ وٱلسَّكاسِكِ يفعلونَ هـٰذا ، حتَّىٰ إن أَحدَهم ليَصْدَحُ عن غَنَمِهِ ، وعن إبلِهِ ، وعنِ ٱلقريةِ ، فلا يصيبُها شيءٌ مِنَ ٱلمطرِ ، وهوَ ضَرْبٌ مِنَ ٱلسِّحرِ) اهـ

وٱلأَقربُ أَنَّهُ مِن آثارِ إجابةِ ٱلدُّعاءِ ومِن أَسرارِ ٱلحروفِ ، فلا يلزمُ أَن يكونَ سِحراً[2] ، لا سيَّما وأَنَّ لهُ حقيقةً ظاهرةً .

وبار

ومِن وراءِ هـٰذا ٱلجبل ٱلضَّاربِ بجرانِهِ مِن نحوِ ٱلعبرِ إلىٰ مشارفِ سيحوتَ : صيهدُ حضرموتَ ، أَو وبارِ ، أَو رملُ عالجٍ ، أَوِ ٱلدَّهناءُ ، أَو ٱلبحرُ ٱلسَّافي ، أَوِ ٱلرُّبُعُ ٱلخالي ؛ فكلُّ ذلكَ يُقالُ عليها ـ كما أَشرنا إلىٰ بعضِهِ في « ٱلأَصلِ » ـ ولا عبرةَ بما طرأَ مِن تخصيصِ ٱلدَّهناءِ بما جاورَ نجداً مِن رمالِها ؛ قال ياقوتُ في (ص ٤٤٢) من الجزء ٱلأخير : (وكانت منازلُ عبيل يثربَ ، ومساكنُ أُميم برملِ عالجٍ ـ وهيَ أَرضُ وبارِ ـ ومساكنُ جُرْهمٍ بتهائمِ ٱليمنِ ، ثمَّ لحقوا بمكَّةَ. . .) ، وأَطالَ في ذلكَ بما تكفي ٱلإحالةُ عليهِ .

وكانَ ٱلحبيبُ أَحمدُ بنُ حسنٍ ٱلعطَّاسُ يقولُ : (إنَّها تصلُ ما بينَ ٱلبصرةِ ونجدٍ وأَرضِ ٱلعوامرِ وٱلمناهيلِ وجبالِ حضرموتَ ٱلنَّجديَّةِ ٱلشَّرقيَّةِ ، وأَقربُ ٱلمنازلِ إليها مِن جهةِ ٱلإحساءِ رملةُ يبرينَ) اهـ

وقولُهُ : (ٱلنَّجديَّة) ؛ يعني : ٱلشَّماليَّةَ ، ولعلَّ يبرينَ هـٰذهِ ٱلَّتي يعنيها ٱلشَّمردلُ

---

(١) اسم كتاب من تأليف العلامة يوسف البديعي الحلبي الأديب ، المتوفى سنة (١٠٧٣هـ) ، وهو دمشقي الأصل ، تولى قضاء الموصل . ترجم له المحبي في « الخلاصة » (٤/ ٥١٠) .

(٢) لأن السحر إنما هو تخييل ووهم يضرب على الأعين قال تعالى : ﴿ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ .

في بيتِهِ ٱلسَّابقِ في ٱلمقدِّمةِ[١] ، وسبطُ ٱبنِ ٱلتَّعاويذيِّ بقولِهِ [مِن ٱلكامل] :

إنْ كَانَ دِينُكَ فِي ٱلصَّبَابَةِ دِينِي ... فَقِفِ ٱلْمَطِيَّ بِرَمْلَتَيْ يَبْرِينِ

وهوَ مِن قصيدةٍ شاعرةٍ يمدحُ بها صلاحَ ٱلدِّينِ ، ويعارضُ بها قصيدة صرذر ٱلمُستهلَّةَ بقولِهِ :

أَكَذَا يُجَازَىٰ ودُّ كُلِّ قَرِينِ

وفي ٱلجزءِ ٱلأوَّلِ [ص٢١٩] مِنَ « ٱلإكليلِ » : (أَنَّ معداً كانت بتهامةَ ، فلمَّا قاربت بلدَ حكم ٱبنِ سعد بن مذحجٍ . . حاربَتْهم سعدُ ٱلعشيرةِ وأَخرجَتْهم إلى ٱلحجازِ ، وفي ذلك يقولُ عامرُ ٱبنُ ٱلظَّربِ ٱلعدوانيُّ [مِنَ ٱلوافرِ] :

فَسَعْدٌ أَرْحَلَتْ مِنْهَا مَعَدّاً ... وَكَيْفَ تُصَاقِبُ ٱلدَّاءَ ٱلدَّفِينَا[٢]

وممَّا ينسبُ إلىٰ تُبَّعٍ في ذلكَ قولُهُ [من البسيط] :

عَطَفْتُ خَيْلِي عَلَىٰ عَيْلَانَ إِذْ قَفَلَتْ ... فَأَنْزَلَتْهُمْ بِدَارِ ٱلْجُوعِ يَبْرِينَا
أَرْحَلْتُهُمْ مِنْ بِلَادِ ٱلرِّزْقِ كُلِّهِمُ ... فَمَا يَذُوقُونَ رُمَّاناً وَلَا تِينَا

وبطونُ قيسٍ تنجعُ في ٱلبلادِ شرقاً وغرباً ، وتوغَّلُ في بلدانِ ٱلأعاجمِ ، وفيهمُ ٱلسُّلطانُ ، وما تُحدِّثُ نفوسَها بمأربَ أَن تَطَرَّفَها[٣] إلىٰ غيرِها ؛ فضلاً عن ٱلنُّزولِ بها) اهـ باختصار .

وقد ذكرنا في غير هـٰذا ٱلموضعِ : أَنَّ ٱليمنَ ما زالت قاهرةً لعدنانَ حتَّىٰ كانَ يومُ حزاز وعلىٰ عدنانَ وائلٌ ، فقهروا ٱليمنَ ، ثمَّ ٱتَّصلَ ذلكَ بعدَ عدنانَ في ٱلإسلامِ ؛ فإن أَرادَ ٱلهمدانيُّ ما قبلُ ، وإلاَّ . . فكلامُهُ مردودٌ ، وهوَ لم يكن إلاَّ في ٱلقرنِ ٱلرَّابعِ وحميرُ مقهورةٌ لا قاهرةٌ ، ومرؤوسةٌ لا رئيسةٌ ، وهـٰذا جاءَ في ٱلبينِ لمناسبتينِ مارَّتينِ . . فلنعد لما نحنُ فيهِ .

---

(١) والبيت هو :

بلغن أقصى الرمل من يبرينا ... وحضرموت وبلغن الصينا

(٢) تصاقب : تجاور وتلتصق .

(٣) أي : تنزل بأطرافها .

وقالَ ٱلبكريُّ في « معجمهِ » [١٣٦٦/٤] : قالَ أَبو عمرٍو : وبارِ بٱلدَّهناءِ ، بها إبلٌ وُحُوْشِيَّةٌ[1] ، وبها نخلٌ كثيرٌ ، لا يَرِدُهُ أَحدٌ ولا يجذُّهُ ، وزعمَ أَنَّ رجلاً وقعَ إِلىٰ تلكَ ٱلأَرضِ . . فإِذا تلكَ ٱلإِبلُ تأكلُ مِنَ ٱلتَّمرِ ، وتردُ ماءً هناكَ ، فركبَ منها فحلاً فتبعتْهُ تلكَ ٱلإِبلُ علىٰ توحُّشِها ، فذهبَ بها إِلىٰ أَهلِهِ .

وقالَ ٱلخليلُ : إِنَّها كانت مساكنَ عادٍ ، ولمَّا أَهلكَهمُ ٱللهُ . . ورثَها ٱلجنُّ ، وهيَ ٱلأَرضُ ٱلَّتي ذكرَها ٱللهُ في قولِهِ : ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ .

وقالَ إِسحاقُ بنُ إِبراهيمَ ٱلموصليُّ : كانَ مِن شأْنِ دعيميصَ ٱلرَّمل : أَنَّهُ لم يكد يَدخُلُ أَحدٌ أَرضَ وبارِ غيرُهُ ، ولمَّا ٱنصرفَ عنها . . وقف بٱلموسمِ يقولُ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَمَـنْ يُعْطِنِـي تِسْعـاً وَتِسْعِيـنَ نَعْجَـةً   هِجَـانـاً وَأُدْمـاً أُهْـدِهَـا لِـوَبَـارِ

فلم يلتفت لهُ أَحدٌ مِن أَهلِ ٱلموسمِ سوىٰ رجلٍ مِن مهرةَ أَعطاهُ ما سأَلَ وتحمَّلَ معَهُ في جماعةٍ من قومِهِ بأهليهم وأَموالِهم ، فلمَّا توسَّطوا ٱلرَّملَ . . طَمَسَتِ ٱلجنُّ بصرَ دعيميصَ ، وٱعترتْهُ ٱلصرفة ، وهلكَ هوَ ومَن معَهُ جميعاً) اهـ

وهـٰذا مِنَ ٱلخرافاتِ ؛ فإِنَّ ٱلنَّاسَ ٱليومَ لها فيه جيئةٌ وذهابٌ ، وما بأَحدٍ بأْسٌ .

وٱلنُّحاةُ على ٱختلافٍ في إِعرابِ وبارِ ؛ فمنهم من يبنيها على ٱلكسر ؛ لأَنَّهُ ٱلمطَّردُ فيما كانَ آخرهُ راءً وزنَ فعالِ ، ومنهم مَن يعربُها إِعرابَ ٱلممنوعِ مِنَ ٱلصَّرفِ .

وٱلطُّرقُ مفتوحةٌ للسَّيَّاراتِ في هـٰذهِ ٱلرَّملةِ مِن غيرِ تعبيدٍ إِلىٰ كلِّ مكانٍ ، ومنهُ تعرفُ خطأَ ٱلفرزدقِ إِذ ضربَ ٱلمثلَ بخفاءِ طريقِها في قولِهِ [في « ديوانِهِ » ٣٩٥/١ مِن ٱلكاملِ] :

وَلَقَـدْ ضَلَلْـتَ أَبَـاكَ يَطْلِـبُ دَارِمـاً   كَضَـلاَلِ مُلْتَمِـسٍ طَـرِيـقَ وَبَـارِ

وقد يجابُ بأَن ليسَ ٱلمرادُ قلَّةَ ٱلسَّالكينَ ، ولـٰكن قلَّما تثبتُ ٱلآثارُ على ٱلرِّمالِ ،

---

(١) بمعنىٰ وحشية غير أليفة .

وإلاَّ . . فهي مسلوكةٌ مِن قديمِ ٱلزَّمانِ إلى ٱلآنَ ، وقد سلكها ٱلعلاءُ ٱبنُ ٱلحضرميِّ في قتالِ ٱلمرتدِّينَ ، وندَّت[1] إبلُهم وهم نزولٌ ، وأصابَهم مِنَ ٱلكرب وٱلعطش أمرٌ عظيمٌ ، ثمَّ ظهرَ لهم ماءٌ فمشوا إليهِ ، وعادت إبلُهم وعليها أزوادُهم ، فٱمتطىٰ كلٌّ بعيرَهُ ، وكتبَ إلىٰ أبي بكرٍ ـ كما عند الطبري [في « تاريخه » ٣/٣١٣] ـ يقولُ لهُ : (أما بعد : فإنَّ ٱللهَ تباركَ وتعالىٰ فجَّر لنا ٱلدَّهناءَ فيضاً لا تُرىٰ غواربُه[2] ، وأرانا آيةً وعبرةً بعدَ همٍّ وكربٍ ؛ لنحمدَ ٱللهَ ونمجِّدَهُ) .

فلا يتعذَّرُ سلوكُ ٱلسَّيَّاراتِ بها مِن حضرموتَ إلى ٱلعبرِ ، ولا مِنَ ٱلعبرِ إلىٰ نجرانَ ، وقد سلَكَها ٱلمستشرقُ فلبي .

ولمَّا ٱجتمعتُ بملكِ ٱلحجازِ ونجدٍ في سنةِ (١٣٥٤هـ) . . قالَ لي : إنَّ ٱلحكومةَ ٱلإنكليزيَّةَ أرسلَت إليَّ وفداً في رمضانَ مِن هـٰذا ٱلعامِ يقولُ لي : لا بدَّ مِن إصلاحِ حضرموتَ ، وتمَّ ٱلكلامُ علىٰ إرسالِ وفدٍ مِن عندي ومِن عندِ ٱلأخِ يحيىٰ ومِن عندِهم للاستفتاءِ ؛ فإنِ ٱختاروا ٱلأخَ يحيىٰ . . فبها ، وإنِ ٱختاروني . . فعلي أن أذُبَّ عنهم بما أذُبُّ بهِ عَن أهلي وولدي ، وإن ٱختاروا ٱلإنكليزَ . . فشأنهم وأنفسَهم .

هـٰذا معنىٰ ما قالَهُ لي يومئذٍ ؛ إن لم يكن بلفظِهِ .

وكم كان سرورُ ٱلنَّاسِ بذلكَ لمَّا خابرتُهم بهِ مرجعي مِنَ ٱلحجِّ ، ثمَّ لم يكن إلاَّ أن جاءَ فلبي وكان يتقمَّصُ ٱلإسلامَ ، ولا ينبغي إلاَّ أن نحملَ باطنَهُ علىٰ ظاهرِهِ ، فكانَ ٱلكلَّ في ٱلكلِّ .

وسبقَ في ٱلمقدِّمة ما يقربُ مِن كلامِ ٱلحبيبِ أحمدَ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ عنِ ٱلطَّيِّبِ بامخرمةَ عَنِ ٱلقاضي مسعودٍ .

وقالَ ٱلهَمْدَانيُّ : وفي شعرِ ٱلأخنسِ بنِ شهابٍ ٱلتَّغلبيِّ ٱلَّذي يذكرُ فيهِ منازلَ ٱلعربِ [من الطويل] :

---

(١) ندَّت : تفلَّتت وشردت .

(٢) غوارب الماء : أعالي موجه .

وَصَارَتْ تَمِيمٌ بَيْنَ قُفٍّ وَرَمْلَةٍ ... لَهَا مِنْ جِبَالٍ مُنْتَأًى وَمَذَانِبُ
وَكَلْبٌ لَهَا خَبْتٌ فَرَمْلَةُ عَالِجٍ ... إِلَى ٱلْحَرَّةِ ٱلرَّجْلَاءِ حَيْثُ تُحَارِبُ

والرَّجلاءُ : هيَ ٱلَّتي تُرْجِلَ صاحبَها فلا يقدرُ على ٱلرُّكوبِ فيها .

وأمَّا ما يزعمُهُ كثيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ مِن فرطِ نعومةِ رملٍ بعضِها بحيثُ يغرقُ من يقعُ فيهِ . . فقد أشرتُ في « **ٱلأصلِ** » إلى ٱستحالتِهِ ، غيرَ أنَّ ٱلأخبارَ كثرت بٱلآخرةِ عنهُ .

ويزعمُ بعضُهم أنَّ في هـٰذه ٱلفلاةِ بحراً ، ومعَ ٱتِّساعِها وكثرةِ أعاجيبِها وغرائبِها . . . فإنَّهُ لا يبعدُ ؛ لأنَّ ٱلبدوَ وٱلسُّيَّاحَ قد قتلوها عِلماً ، ولم يذكروهُ ، ولـٰكنَّهم ذكروا أُمَّ ٱلصَّميمِ .

أم الصميم

وهوَ موضعٌ في ٱلرُّبعِ ٱلخالي ، قريبٌ مِن مسقطٍ ، يُرىٰ مثلَ ٱلتُّرابِ ، وهوَ ماءٌ إذا وقعَ فيهِ ٱلإنسانُ . . غرقَ ، ولـٰكنَّهُ ليسَ بواسعٍ ، وزعمَ بعضُ سُيَّاحِ ٱلأجانبِ ممَّن يدَّعي أنَّهُ قتلَها عِلماً : أنَّها تسعُ مئةِ ميلٍ في مثلِها ، لا تزيدُ علىٰ ذلك ، وأوردَ ٱلطَّائيُّ في ٱلمراثي مِن «حماستِهِ» [١/٣٩٨] أربعةَ أبياتٍ لابنِ رواحةَ ٱلسَّبنسيِّ منها [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَمَا زَالَ مِنْ قَتْلَىٰ رَزَاحٍ بِعَالِجٍ ... دَمٌ نَاقِعٌ أَوْ جَاسِدٌ غَيْرُ مَاصِحِ[1]

وفي مضربِ ٱلمثلِ بسعتِها يقولُ ٱلبحتريُّ [في « ديوانِهِ » ٢/ ٣٧٠ مِنَ ٱلكاملِ] :

لَيْسَ ٱلَّتِي ضَلَّتْ تَمِيمٌ وَسْطَهَا ٱلدَّ ... هْنَاءُ لَا بَلْ صَدْرُكَ ٱلدَّهْنَاءُ

وقالَ ٱلهَمْدَانيُّ في موضعٍ آخرَ مِنَ « ٱلصِّفةِ » بعدَ أن ذكرَ أوديةً كثيرةً : (وكلُّ هـٰذهِ ٱلأوديةِ فيها نخلٌ ومساكنُ وزروعٌ ؛ وهيَ تسمَّى ٱلثَّنايا ؛ ثنايا ٱلعارضِ وهوَ قُفٌّ

---

(١) قال شارحُ « ديوانِ ٱلحماسة » : رزاح : ٱسمُ قبيلةٍ من خولانَ . ورملُ **عالج** : ٱسمُ موضعٍ . **وٱلنَّاقعُ** : ٱلثَّابتُ . **وٱلماصحُ** : ٱلذَّاهبُ . **وٱلجاسدُ** : ٱلجامد . **والمعنىٰ** : أَنَّ دماءَ قتلىٰ رزاحٍ بعالجٍ لم تزل طريَّةً أو جامدةً غير ذاهبةٍ ؛ أَي : باقيةً علىٰ حالها فلا تُغسَلُ إلاَّ بأخذِ ٱلثَّارِ مِن أعدائِها .

مستطيلٌ ، أدناهُ بحضرموتَ وأقصاهُ بالجزائر) اهـ[1]

وقد أطلتُ القولَ عن وبارِ هٰذه بـ« الأصلِ » ، ومنهُ : أَنَّها تمتَّعت بالشَّرفِ قروناً طويلةً ، واستمرَت توسُّطَ موقعِها بينَ الشَّرقِ والغربِ ، فكانت مركزَ التِّجارةِ العظيمةِ ، ومخزنَ البضائعِ الأهمَّ ؛ إذ كانتِ السُّفُنُ تقصدُ سواحِلَها ـ ومنها : إلىٰ عمانَ وظفارِ وسيحوت الشِّحرِ ـ مِنَ السِّندِ والهندِ والصِّينِ وجاوة وأفريقيا وغيرِها مِنَ الجهاتِ الغربيَّةِ ؛ كما أشارَ إليهِ صاحبُ « الشِّهابِ الرَّاصدِ » وغيرُهُ .

وأكثرُ الدَّهناءِ لتميمٍ ، ولهم إقطاعٌ مِن رسولِ الله صلَّى الله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ حَسَبَما أظُنُّني ذكرتُهُ في « الأصلِ » .

وقالَ الفرزدقُ في هجائِهِ لعمرِو بنِ عفراءَ [في « ديوانِهِ » ١/٥٩ مِنَ الطَّويلِ] :

وَلَمَّـا رَأَى الـدَّهْنَـا رَمَتْـهُ جِبَـالُهَـا وَقَالَتْ : دِيَافِيٌّ مَعَ الشَّأْمِ جَانِبُهْ[2]

فَـإِنْ تَغْضَـبِ الـدَّهْنَـا عَلَيْكَ فَمَا بِهَا طَـرِيـقٌ لِـزَيَّـاتٍ تُقَـادُ رَكَـائِبُـهْ[3]

ومعناهُ : أنَّ الدَّهناءَ لا تقبلُ زياتاً مثلك .

وقلَّما ذُكرتِ الدَّهناءُ في « خزانةِ الأدبِ » . . إلاَّ وقالَ صاحبُها : وهوَ موضعٌ ببلادِ تميمٍ، كما في شرحِ هٰذهِ الأبياتِ [٥/٢٣٧] منها، وشرحِ قولِ أبي زبيدٍ الطَّائيِّ [مِنَ الخفيفِ] :

فَلَحَـا اللهُ طَـالِـبَ الصُّلْـحِ مِنَّـا مَـا أَطَـافَ الْمُبِـسُّ بِـالـدَّهْنَـاءِ

في (ص ١٥٥) منه : والمُبسُّ : حادي الإبلِ ، وفيه تكثيرٌ لسالكيها ؛ إذ جعلَهُ مضربَ مثلٍ علىٰ عكسِ ما سبقَ .

وقالَ عنِ الفرزدقِ ذو الرُّمَّةِ [في « ديوانه » ٧٢ مِنَ البسيطِ] :

حَنَّـتْ إِلَـىٰ نَعَـمِ الـدَّهْنَـا فَقُلْـتُ لَهَـا أُمِّـي بِـلاَلاً عَلَـى التَّـوْفِيـقِ وَالـرَّشَـدِ

---

(١) صفة جزيرة العرب (٢٥٣) .

(٢) دِيافيٌّ : منسوبٌ إلى بلدةٍ في الشَّامِ ؛ اسمُها : دِيافٌ ، وأهلها نَبَطُ الشام ، وإذا أرادوا التَّعريض برجلٍ أنَّهُ نبطيٌّ نسبوهُ إليها .

(٣) الزَّيَّاتُ : بائع الزَّيتِ .

وقد شرحها صاحب « الخِزانة » في [٩/٤٢٤] ، وقال : (وٱلدَّهنا : موضعٌ ببلادِ تميمٍ ، يُمَدُّ ويُقصَرُ) .

وقد ٱعترفَ كثيرٌ مِنَ ٱلإفرنجِ أَنَّ ٱلمحيطَ ٱلهنديَّ كانَ بحيرةً عربيَّةً مِنَ ٱلقرنِ ٱلثَّامنِ إلىٰ نهايةِ ٱلقرنِ ٱلخامسَ عشرَ كما سبقَ في تريمَ بمناسبةِ ذكرِ ٱلملاَّحِ ٱلعظيمِ أَحمدَ بنِ ماجدٍ عندما ذكرنا علماءَ آلِ با ماجدٍ .

ولِوَبَارِ هـٰذهِ ذكرٌ كثيرٌ مِنَ ٱلأَشعارِ ؛ منها قولُ ٱلنَّابغةِ [مِنَ ٱلكامل] :

فَتَحَمَّلُوا رَحْلاً كَأَنَّ حُمُولَهُمْ   دَوْمٌ بِبِيشَةَ أَوْ نَخِيلِ وَبَارِ[1]

وفي مضربِ ٱلمثلِ بنخلِها ما يؤكِّدُ قولَنا بغزارةِ خيراتِها ، وكثرةِ بركاتِها ، وقد أَطالَ ياقوتٌ فيها بما لا حاجةَ إلىٰ ذكرِهِ ؛ لأَنَّ ٱلكتابَ موجودٌ ، ولأَنَّ بعضَهُ ممَّا يَشُكُّ فيهِ ٱلعاقلُ ، ويحتاجُ في تصديقِهِ إلىٰ سذاجةٍ وافرةٍ .

وممَّن نصَّ علىٰ أَنَّها هيَ رمالُ عالجٍ : ياقوتٌ وٱبنُ خلدونٍ وغيرُهما .

وفي « شرح ديوان الحماسة » [١/٢٤٢] : أَنَّ مروانَ ٱلحمارَ آخرَ ملوكِ بني مروانَ كتبَ لمعدانَ بنِ عبيدِ بنِ عديٍّ : ثمَّ وٱللهِ لأُبيلنَّ ٱلخيلَ في عرصاتِكَ . فقالَ معدانُ للرَّسولِ : قلْ لهُ : تُبيلُ ٱلخيلَ في عرصاتي وبيني وبينكَ رملُ عالجٍ ، وحولي عديدُ طيِّءٍ ، وخلفَ ظهري ٱلجبلانِ؟!! فٱجهد جهدَك ؛ فلا أَبقى ٱللهُ عليكَ إن أُبقيتَ . في حديثٍ طويلٍ .

وقالَ ذو ٱلرُّمَّةِ [في « ديوانه » ٤٥ مِنَ ٱلطَّويل] :

أَبِيتُ عَلَىٰ مَيٍّ كَئِيباً وَبَعْلُهَا   عَلَىٰ كَالنَّقَا مِنْ عَالِجٍ يَتَبَطَّحُ

وقالَ ٱبنُ ٱلأَشعثِ ٱلجنبيُّ يصفُ صيهدَ حضرموتَ هـٰذهِ ـ وكانَ سلكَها إلىٰ وادي نَجْرانَ كما فعلَ فلبي ـ [مِنَ الكامل] :

هَلاَّ أَرِقْتَ لِبَارِقٍ مُتَهَجِّدِ   بَرْقٍ تَوَلَّعَ فِي حَبِيٍّ مُنْجِدِ

---

(١) بيشة : وادٍ بطريق اليمامة .

بَـرْقٍ يُـذَكِّـرُكَ ٱلْجَـرِيـدَةَ أَنَّهَـا ... عَلِقَـتْ عَـلاَئِقُهَـا طِـوَالَ ٱلْمُسْنَـدِ
فَلَقَـدْ ذَكَـرْتُـكِ ثُـمَّ راجَعْـتُ ٱلْهَـوَىٰ ... يَـوْمَ ٱلشُّـرَىٰ وَدَعَـوْتُ أَنْ لاَ تَقْعُـدِي

منها :

فَـإِذَا مَفَـازَةُ صَيْهَـدٍ بِتَنُـوفَـةٍ ... تِيـهٍ تَظَـلُّ رِيَـاحُهَـا لاَ تَهْتَـدِي
وَتَظَـلُّ كُـدْرٌ مِـنْ قَطَـاهَـا وُلَّهـاً ... وَتَـرُوحُ مِـنْ دُونِ ٱلْمِيَـاهِ وَتَغْتَـدِي
بَلَـدٌ تَخَـالُ بِهَـا ٱلْغُـرَابَ إِذَا بَـدَا ... مَلِكاً يُسَـرْبِلُ فِـي ٱلرِّيَـاطِ وَيَـرْتَـدِي
فَسَـأَلْـتُ حِيـنَ تَغَيَّبَـتْ أَعْـلاَمُنَـا ... مِـنْ حَضْـرَمَـوْتَ بِـأَيِّ نَجْـمٍ نَهْتَـدِي؟
قَـالُـوا : ٱلْمَجَـرَّةُ أَوْ سُهَيْـلٌ بَـادِيـاً ... ثُـمَّ ٱهْتَـدُوا لِقُفُـولِكُـمْ بِـٱلْفَـرْقَـدِ
نَـتَجَشَّـمُ ٱلأَهْـوَالَ نَبْغِـي عَـامِـراً ... مُتَحَـرِّزِيـنَ عَلَيْـهِ أَنْ لَـمْ يُـوجَـدِ

وقالَ ٱلهَمْدانيُّ في ٱلجزءِ ٱلأَوَّلِ [ص١٩٥-١٩٧] مِنَ « ٱلإكليلِ » : (ذهبَ في ٱلدَّهناءِ بعهدِنا قطارٌ فيهِ سبعونَ محملاً مِن حاجِّ ٱلحضارمِ ، صادرينَ مِن نجرانَ ، لَحِقَ هٰذا ٱلقطارُ في أَعقابِ ٱلنَّاسِ ، ولم يكن فيهِ دليلٌ ، فساروا ليلةً وأَصبحوا وقد تياسروا عَنِ ٱلطَّريقِ ، وتمادىٰ بهمُ ٱلحورُ حتَّى ٱنقطعوا في ٱلدَّهناءِ ، فلم يُدرَ ما خبرُهم ؛ لأَنَّ أَحداً لا يدخلُ ذلكَ ٱلمكانَ ، ولو دخلَهُ . . لم يظفرْ بموضِعِهم ؛ لسعةِ ذلكَ ٱلخرقِ . . فهيَ فلاةٌ واسعةٌ جدّاً ، وفيها بقايا قصورٍ في جانبِها ٱلغربيِّ ممَّا يصلُهُ ٱلعمرانُ ، يُعَدِّنُهَا ٱلنَّاسُ في زمانِنا . . فيجدونَ فيها ٱلذَّهبَ وما لم يسرع إِليهِ أَكلُ ٱلتُّرابِ مِنَ ٱلفضَّةِ) اهـ

وفيهِ كثرةُ حاجِّ ٱلحضارمِ لذلكَ ٱلعهدِ ؛ لأَنَّهُ إِذا كانَ ٱللاَّحقُ سبعينَ محملاً . . فما بالكُ بِٱلسَّابقينَ؟

ويشبهُ أَن تكونَ هٰذه ٱلقِصَّةُ هِيَ بنفسِها ٱلَّتي سمعتُها عن شيخِنا ٱلعلاَّمةِ أَحمدَ بنِ حسنٍ ٱلعطَّاسِ ، وذكرتُها في « **ٱلأَصلِ** » ، وهي : أَنَّ مئةً وأَربعينَ دخلوا ٱلدَّهناءَ مُردَفينَ علىٰ سبعينَ مطيَّةً ، كلُّ ٱثنينِ علىٰ واحدةٍ ، فغرقوا في بحرِ ٱلرَّملِ ما عدا واحداً تخلَّفَ لقضاءِ حاجتِهِ ، وٱنتظرَهُ صاحبُهُ علىٰ مطيَّتِهِ ، فجاءت حيَّةٌ هائلةٌ وٱلتهمت ٱلجملَ وراكبَهُ ولم ينجُ إِلا قاضي ٱلحاجةِ .

وكنتُ أستبعدُها ؛ لما ٱشتملَت عليهِ من ٱلمحالاتِ ؛ حتَّىٰ رأيتُ كلامَ ٱلهَمْدانيِّ ، فظننتُ أَنَّهُ هيَ ، إلاَّ أَنَّهُ دخلَ عليها ٱلتَّغييرُ . وٱللهُ أَعلمُ .

وفي ٱلمقدِّمةِ : أَنَّ وبارِ ٱسمٌ لحضرموتَ بأَسرِها ، ولٰكنَّ بعضَهم يخصُّهُ بهٰذهِ ٱلفلاةِ ٱلَّتي قلَّما تجلسُ معَ أَحدٍ مِن باديةِ ٱلعوامرِ . . إلاَّ حدَّثكَ بٱلأَعاجيبِ عَن أَشجارِها ، وعن جنِّها ، وعن حيواناتِها ؛ ومنها ٱلنَّعامُ ، وبها يكثرُ بيضُها ، ومِنَ ٱلمعلومِ أَنَّها لا تبيضُ إلاَّ في خصبٍ مِنَ ٱلأَرضِ ، قالَ جابرُ بنُ حريشٍ يصفُ أَرضاً بٱلخصبِ وٱلرَّخاءِ [مِنَ ٱلكاملِ] :

لاَ أَرْضَ أَكْثَـرُ مِنْـكِ بَيْـضَ نَعَـامَـةٍ ... وَمَـذَانِبـاً تَنْـدِي وَرَوْضـاً أَخْضَـرَا

وقالَ ٱلجاحظُ في كتابِ « ٱلحيوانِ » : زعمَ ناسٌ أَنَّ مِنَ ٱلإبلِ وحشيَّةً وكذا ٱلخيلُ ، وقاسوا ذلكَ على ٱلحميرِ وٱلحمامِ وٱلسَّنانيرِ وغيرِها .

وزَعموا أَنَّ مسكنَ ٱلإبلِ ٱلوحشيَّةِ بوبارِ ، قالوا : وربَّما خرجَ ٱلجملُ منها لبعضِ ما يعرضُ فيضربُ في أَدنىٰ هجمةٍ مِنَ ٱلإبلِ الأَهليَّةِ ، ومِن هٰذا ٱلنِّتاجِ كانتِ ٱلإبلُ ٱلمهريَّةُ .

وفي « لسانِ العرب » لابنِ منظورٍ : (أَنَّ ٱلحوشَ ٱلحوشيَّةَ : إبلُ ٱلجنِّ . وقيل : ٱلمتوحِّشةُ . ويُقالُ : إنَّ فحلاً مِنها ضربَ في إبلٍ لمهرةَ بنِ حيدانَ فنتجتِ ٱلنَّجائبُ ٱلمهريَّةُ مِن تلكَ ٱلفحولِ ٱلوحشيَّةِ . . فهيَ لا يكادُ يُدرِكُها ٱلتَّعبُ) . وفي « **ٱلأَصلِ** » ذِكرٌ جميلٌ مِنَ ٱلأَشعارِ في وبارِ .

ومِن أَشهىٰ ما يحدِّثُكَ ٱلخبيرُ عَن وبارِ : حسنُ ٱلتُّربةِ ، وزكاءُ ٱلمنبتِ ؛ فإنَّ ٱلزَّرعَ يُحصَدُ مِنها خمسَ مرَّاتٍ بٱلسَّقيةِ ٱلواحدةِ ، وٱلعوامرُ يسمُّونَ ٱلمكانَ ٱلصَّالحَ للعمارةِ مِنها : ٱلحَجْر ؛ لأَنَّهم يحتجرونَهُ لمراعيهم ؛ كما يسمِّي ٱلصَّيعرُ ٱلمكانَ ٱلنَّازلَ عن نجدهم فيما يليهم منها : عِيوَه .

وخيامُ ٱلصَّيعرِ وٱلعوامرِ وٱلمناهيلِ منتشرةٌ بكثرةٍ في هٰذهِ ٱلرمالِ .

هٰذا ما تلقيتُهُ بشأنِها عن كثيرٍ مِنَ ٱلعوامرِ ، يُصدِّقُ بعضُهم بعضاً ، إلاَّ أَنَّ عندَهم نصيباً كاثراً مِنَ ٱلبلادةِ وسوءِ ٱلفهمِ . . فٱلعهدةُ عليهم .

خاتمة الكتاب

وهٰذا آخرُ ما ٱنتهىٰ إليهِ ٱلقَلَمُ في ٱلموضوعِ ، ولم يصل إليه إلاَّ بعدَ ٱلحِرَان[١] ، وصوارفِ ٱلاقترانِ ، وذلكَ أنَّني لمَّا خرجتُ عن سيئونَ[٢] . . عرضَ ما يوجبُ تصنيفَ « ٱلسَّيفِ ٱلحادِّ لقطعِ ٱلإلحادِ »[٣] ، ثمَّ لمَّا قاربتُ ٱلحسيْسَة . . نجَمَ ما يقتضي تأليفَ « نسيمِ حاجر في تأييدِ قولي عن مذهبِ ٱلمهاجر » ، وبإثْرِهِ ٱنفسختِ ٱلعزيمةُ ، وضعفتِ ٱلهمَّةُ ، حتَّىٰ عالَجْتُها بمثلِ قولِ أَبي ٱلطَّيِّبِ [في « ٱلعكبريِّ » ٤/ ١٤٥ مِنَ ٱلوافرِ] :

وَلَـمْ أَرَ فِـي عُيُـوبِ ٱلنَّـاسِ عَيْبـاً ... كَنَقْـصِ ٱلْقَـادِرِيـنَ عَلَـى ٱلتَّمَـامِ

فٱنبعثْتُ ثالثةً ، لٰكن بخطاً قصيرةٍ ، وصدْرٍ ضيِّقٍ ، معَ أَنَّ ٱلموضُوعَ ليسَ مِن فنِّي[٤] ، ولا يليقُ بسنِّي ، وإنَّما كانَ ٱلأَحرىٰ هوَ ٱلإقبالَ على ٱلدَّارِ ٱلأُخرىٰ ، وأَستَقِيلُ ٱللهَ مِنَ ٱلعِثَارِ ، ومِن غُثَاءِ ٱلإكثارِ ، وقد قالوا : إنَّ أَعراضَ ٱلخَلْقِ حُفْرةٌ مِنْ حُفَرِ ٱلنِّيرانِ ، وقفَ علىٰ شفيرها ٱلقضاةُ وٱلمحدِّثونَ ، وأَهلُ ٱلتَّاريخِ فيهم يدخلونَ .

وأَنا في ٱلمدحِ أَخْوَفُ مِنِّي في ٱلقَدْحِ ؛ إذ قرَّرْتُ في « بلابلِ ٱلتَّغريدِ » أَنْ لا غِيبَةَ لفاسقٍ مطلقاً ؛ فكيف بها للمصلحة؟

فَـإِنِّـي لأَرْجُـو أَنْ أَنَـالَ بِـذَمِّهِـمْ ... مِـنَ ٱللهِ أَجْـراً مِثْـلَ أَجْـرِ ٱلْمُـرَابِـطِ[٥]

وقد صرَّحوا بجوازِ ٱلغِيبةِ للتَّحذيرِ مِنَ ٱلشَّرِّ كجرحِ ٱلشُّهودِ وٱلرُّواةِ .

وقاعدةُ : (ما جازَ بعدَ ٱمتناعِهِ) تقتضي ٱلوجوبَ .

---

(١) الحران : الشدة .

(٢) أي : عقب الانتهاء من تدوين ما يتعلق بها .

(٣) ألفه في الرد على كتاب « وحدة الأديان » للصّافي ، طبع بعدن سنة (١٣٦٧هـ) .

(٤) هٰذا من هضم النفس وكسرها ، وإلا . . فمن لهٰذا الفن الذي لم يدع فيه رحمه الله شاذة ولا فاذة إلا وأوردها ، ولا فائدة وحسن عائدة إلا واقتادها . . سواه ، ولٰكنه اعتذر بما يأتي . . فأبان عن حسن اعتذاره .

(٥) البيت من الطويل ، وهو لبشار بن برد في « ديوانه » (١٨٥) .

والتَّحذيرَ مِنَ الشَّرِّ أَحدُ أُمورٍ ستَّةٍ تستباحُ بها الغِيبةُ مِن دونِ خلافٍ ، وزادَ صاحبُ « الأنوارِ » سابعاً : وهوَ النَّصيحةُ العامَّةُ ، ولٰكن قالَ ابنُ حجرٍ : إنَّهُ داخلٌ تحتَ التَّحذيرِ مِنَ الشَّرِّ ، ونقلَ عنِ المحقِّقينَ : أَنَّهُ لا يجوزُ للمؤرِّخِ أَن يذكرَ مِنَ المساوىءِ إلاَّ ما يقدحُ في العدالةِ ؛ لبيانِ الجرحِ . . . إلخ ما ذكرَ .

ولئن قصَّرتُ في شيءٍ مِن ذلكَ في حقِّ مَن يُخشىٰ بهِ الاغترارُ . . فلخطرِ المقامِ ، وأَنا أَستغفرُ اللهَ ، وأَرجو أَن يكونَ فيما أَذكرُهُ بهٰذا الكتابِ وغيرِهِ مِنَ الكتبِ والأَشعارِ والخطبِ ما يكفي للخروجِ مِنَ الحرجِ .

وأَمَّا في المَدْحِ . . فكيف لا أَخافُ وأَنا لا آمَنُ معَ الاحتياطِ فيهِ التَّسَوُّرَ على الغيبِ ، والثَّناءَ بالأُمورِ القلبيَّةِ ـ وفيهِ ما فيهِ ـ إذ لم تتوفَّرِ القرائنُ مِنَ الإثمِ والعيبِ ، وعسىٰ أَن يكونَ لي مخرَجٌ ممَّا قرَّرْتُهُ في الجزءِ الأَوَّلِ مِنَ « **الأَصلِ** » في مبحثِ الثَّناءِ ، وقد زادني خوفاً : ما جاءني في مكاتبةٍ مِن شيخِ مشايخِنا العلاَّمةِ الجليلِ عبدِ اللهِ بنِ حسينٍ بلفقيهِ مِن قولِهِ : (فأَماثِلُ البلدِ عندَنا لم يبلغوا العَشَرَةَ) اهـ

ومتىٰ كانت تريمُ وهيَ مهدُ العلمِ ووكرُ الولايةِ لا يبلغُ الأَماثلُ ـ فضلاً عن العدولِ ـ بها في ذلكَ العصرِ الطَّيِّبِ عشرةً ، فما بالكَ بما سواها؟ ، وتأَكَّدَ ذلكَ بما جاءَ في حُكْمٍ[1] بتاريخِ سنةِ (١٢٧٦هـ) من قاضي تريمَ لذلكَ العهدِ الشَّيخِ سعيدِ بنِ أَحمدَ بنِ سعيدِ الكُبَيِّرِ : أَنَّهُ قَبلَ شَهادةَ سيِّدي عيدَرُوسِ بنِ علويِّ بنِ عبدِ اللهِ العيدروسِ في دعوىٰ للسَّيِّدِ عوضِ بنِ عمرَ بنِ أَحمدَ الشَّاطريِّ[2] ، وقالَ : لأَنَّهُ مِنَ الأَماثلِ .

ولم يَقُلْ : مِنَ العدولِ .

وذكَرَ غيرُ واحدٍ مِنَ الثِّقاتِ : أَنَّ الحبيبَ عبدَ اللهِ بنَ حسينِ بنِ طاهرٍ شهدَ مرَّةً برؤيةِ الهلالِ لدى القاضي ، ولمَّا أَرادَ العملَ بشهادتِهِ . . قالَ لهُ : تمكثُ حتَّىٰ أُخبركَ بحالي وفِعلي ؛ فربَّما ترىٰ فيهِ ما يُسقِطُ شهادتي ؛ فإنِّي كنتُ أَخرجُ إلىٰ بعضِ الآبارِ وهناكَ

---

(١) أي : حكم قضائي .

(٢) توفي السيد عوض بتريم سنة (١٣٢٥هـ) ، وهو الجد الأول للعلامة أحمد بن عمر بن عوض . . مؤلف « الياقوت النفيس » ، وهو شقيق السيد أحمد بن عمر جد العلامة عبد الله بن عمر الشاطري .

رجلٌ وزوجتُهُ يسنونَ ، وأَقعدُ عندَهم ، وربَّما يكونُ في هـٰذا ما ينافي ٱلعدالةَ . اهـ

ومعاذَ ٱللهِ أَن يكونَ خروجُهُ إِلاَّ لبعضِ شغلِهِ في شيءٍ مِن آبارِهِ ، ثمَّ يعرضُ لهُ ٱلقعودُ ٱلمُشارُ إِليهِ .

وأَنا قد أَطنبتُ في ٱلثَّناءِ علىٰ رجالِ هاتَينِ ٱلطَّبقتَينِ[1] ، لـٰكنَّ ٱلمحاملَ كثيرةٌ ، وفوائدَ حسنِ ٱلظَّنِّ أَثيرةٌ بثيرةٌ ، وإِنِّي لأُحاولُ جَهْدي عندَ ٱلكتابةِ عَن أَيِّ إِنسانٍ ـ ما لم أَنْسَ ٱلتَّحفُّظَ أَحياناً ـ أَن أَتخلَّىٰ عن عواطفِ إِعظامي وحبِّي لهُ ؛ لأَكونَ أَبعدَ عنِ ٱلمغالاةِ في فضائِلِهِ ، كما فعَلْتُ في والدي ، وسيِّدي ٱلأُستاذِ ٱلأَبرِّ ، وشيخِهِ ٱلإِمامِ ٱلبحرِ ، فكلُّ عارفٍ يعْلَمُ أَنِّي مقصِّرٌ فيما كتبْتُ عنهم .

وَلَـوْ أَبْصَـرُوا لَيْلَـىٰ أَقَـرُّوا بِحُسْنِهَـا ... وَقَـالُـوا بِـأَنِّـي فِـي ٱلثَّنَـاءِ مُقَصِّـرُ

وقد بلغَني : أَنَّ بعضَهُم ٱشتكىٰ إِلى ٱلشَّيخِ عبدِ ٱللهِ بنِ أَحمدَ باسَودانَ قراءَتَهُ في شيءٍ مِن كتبِ ٱلأَخلاقِ على ٱلحبيبِ أَحمدَ بنِ عمرَ بنِ سميطٍ مِن غيرِ تقريرٍ منهُ ٱلبتَّةَ ، فقالَ لهُ : يكفيكَ قراءَتُهُ ؛ أَي معرفةُ ما هوَ عليهِ مِنَ ٱلأَعمالِ ٱلحسنةِ وٱلأَخلاقِ ٱلفاضلةِ ، تصداقُ ما أَخرجهُ أَبو نعيمٍ في « حليتِهِ » [٣/ ٣٦٢] بسندهِ إِلى ٱلزُّهريِّ قالَ : (كُنَّا نأتي العالِمَ ، فما نتعلَّمُ مِن أَدبِهِ . . أَحبُّ إِلينا مِن عِلمِهِ) .

وما أَخرجَهُ أَيضاً فيها [٣/٧] : بسندِهِ إِلىٰ عبدِ ٱللهِ بنِ بشرٍ قالَ : (إِنَّ ٱلرَّجلَ رُبَّما جلسَ إِلىٰ أَيُّوبَ ٱلسَّختيانيِّ فيكونُ لِمَا يرىٰ منهُ أَشدَّ ٱتِّباعاً مِنهُ لو سمعَ حديثَهُ) .

وللهِ درُّ أَبي ٱلطَّيِّبِ في قولِهِ [في « ٱلعُكبريِّ » ٢/ ١٥٥ مِن ٱلطَّويل] :

وَٱسْتَعْظِـمُ ٱلأَخْبَـارَ قَبْـلَ لِقَـائِـهِ ... فَلَمَّـا ٱلْتَقَيْنَـا صَغَّـرَ ٱلْخَبَـرَ ٱلْخُبْـرُ

وقولِ عصريِّهِ ٱبنِ هانىءٍ ٱلأَندلسيِّ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

كَـانَـتْ مُسَـاءَلَـةُ ٱلـرُّكْبَـانِ تُخْبِـرُنِـي ... عَـنْ جَعْفَـرِ بْـنِ فَـلاَحٍ أَطْيَـبَ ٱلْخَبَـرِ

حَتَّـى ٱلْتَقَيْنَـا فَـلاَ وَٱللهِ مَـا سَمِعَـتْ ... أُذْنِـي بِـأَحْسَـنَ مِمَّـا قَـدْ رَأَىٰ بَصَـرِي

---

(١) لعله يقصد طبقة الحبيب عبد الله بن حسين (القرن الثالث عشر) ، وطبقَة العيدرُوس والشاطريِّ المذكُورَين ؛ أي : أوائل القرن الرابع عشر لأنه عاصر وقتهما .

كما أَنّني أُكلِّفُ قلمي تكليفاً دقيقاً أَن لا تكونَ كتابتُهُ عمَّن تَنفِرُ عنهُ نفسي تحْتَ تأْثيرِ أَيِّ شيءٍ مِن تلكَ ٱلعاطفةِ ، بل إِنَّني لا آمنُ أَن يذهبَ بيَ ٱلتَّحرِّي فيهِ إِلى ٱلمغالاةِ ؛ تفادياً من مَيْلِ ٱلطَّبْعِ إِلى ٱلتَّقصيرِ ، وإِنَّني لكثيراً ما أَفْترضُ ٱلحبيْبَ بغيضاً وعكْسَهُ ؛ لأَكونَ أَدنىٰ إِلى ٱلنَّزاهةِ ، وأَنأَىٰ عنِ ٱلهَوَادةِ[1] .

ولم يعزب عن ذِهني ما ذكرتُه أَوائِلَ « ٱلأَصلِ » عَنِ ٱبنِ ٱلسُّبكيِّ مِن إِنكارِ ما عليهِ بعضُ ٱلمؤرِّخينَ يُعرِّضُ بٱلإِمامِ ٱلذَّهبيِّ من تقصيرِ ٱلخُطا ، وقرمطةِ ٱلكلامِ في ترجمةِ مَن لا يوافقُهُ هواه متوهِّماً أَنْ لا ضيرَ عليهِ ـ متَى ٱجتنبَ ٱلمذامَّ ـ أَنْ لا يستوفيَ ٱلمحاسنَ ؛ لأَنَّهُ لا يلزمُهُ ٱستيفاؤُها ، وإِن تفضَّلَ بهِ في حقِّ مَن يحبُّهُ ويواليهِ ، أَو ما يقرب مِن هـٰذا ٱلسِّياقِ .

ولـٰكنَّني أَجمدُ عَن نزرِ خواصَّ لبعضِ ٱلمتأَخِّرينَ إِذا لم ننهض للتَّغطيةِ علىٰ سيِّئاتِهم ، وعذري في ذلكَ : أَنَّني إِن ذكرتُهم بٱلعُجَرِ وٱلبُجَرِ . . أُسوِّدُ ٱلتَّاريخَ ، وإِن حلَّيتُهم بٱلمحاسنِ . . كان غِشّاً وظلماً لمن يَفْضُلُهم بٱلنَّزاهةِ معَ خلوِّهِ مِن تلكَ ٱلفضائلِ ٱلَّتي تَشينُ متىٰ وُزنت بتلكَ ٱلمساوىءِ ٱلسَّوداءِ ، فبعدَ أَنِ ٱعتلجتني ٱلخواطرُ ، وأَتعبني ٱلتَّردُّدُ . . رأَيتُ ٱلجمودَ أَحزم ، وٱلإِغضاءَ أَلْزَم ، وٱلاقتصارَ على ٱلتَّعريفِ أَسلم ، وقد قالت إِحدىٰ أخواتِ أُمِّ زرعٍ : (زوجي لا أَبُثُّ خَبَرَهُ) . . . إلخ .

أَقولُ قولي هـٰذا ، وأَستغفرُ ٱللهَ ٱلعظيمَ لي ولوالديَّ ولمشايخي ولمشايخِهم وهلُمَّ جراً ، ولزَوْجِي وأَولادِها ، وللمسْلِمِين ، وٱلحمدُ للهِ ربِّ ٱلعالمينَ ، سبحانَ ربِّكَ ربِّ ٱلعزَّةِ عمَّا يصفونَ ، وسلامٌ على ٱلمرسلينَ ، وٱلحمدُ للهِ ربِّ ٱلعالمينَ ، وصلَّى ٱللهُ علىٰ سيِّدِنا محمَّدٍ وعلىٰ آلهِ وصحبهِ وسلَّم .

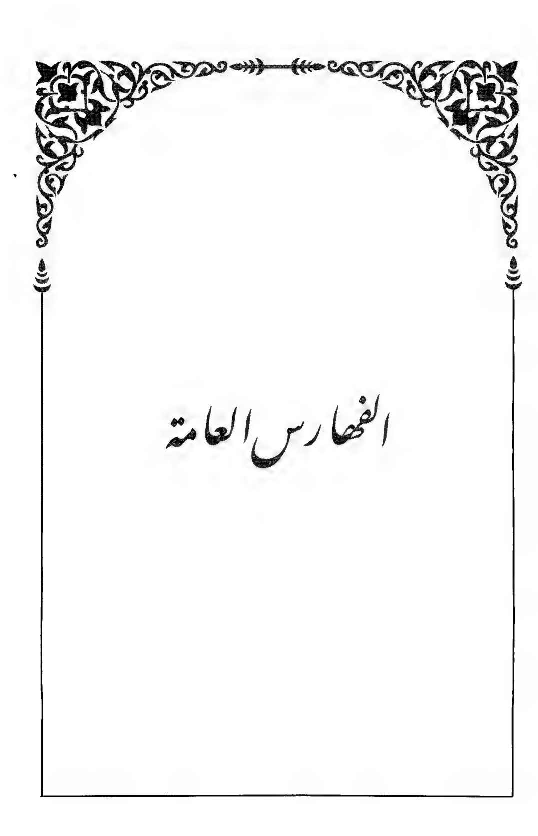
وكانَ ٱلفراغُ منهُ في منتصفِ جمادى ٱلآخرةِ من سنةِ (١٣٦٧هـ) .

* * *

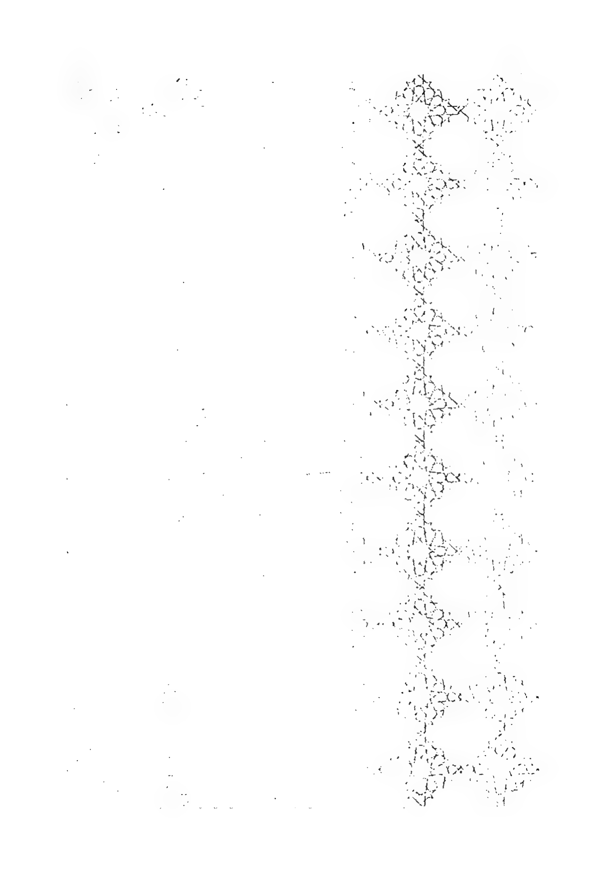
---

(١) الهوادة : اللين .





الفهارس العامة



الأعلام التي ذكرها المؤلف وترجم لها في طيات الكتاب

* * *

الأعلام التي ترجمناها بهوامش الكتاب

ـ أ ـ

- ب -

- ج -

- ح -

- د -

- ر -

- ز -

* * *

الفهرس الألفبائي لأسماء المدن والقرى والمواضع التي ذكرت في الكتاب

-خ-

- ز -

- س -

- غ -

- ف -

- م -

- ي -

* * *



فهرس موضوعات الكتاب

القسم الأول

القسم الثاني

القسم الثالث